مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	للطلبة بوادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالأزهر
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الأول ـ القاهرة في غرة المحرم ١٣٧٥ ـ ١٩ أغسطس ١٩٥٥ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أدبنا بأدب القوة . وعلمنا منطق الحق . وسدد خطانا في طريق البعث . وجدد لنا بتالدنا طريف الحياة . أنت مالك الملك تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي . وترزق من تشاء بغير حساب .

اللهم كما حققت أمل الأمة الأعظم بجلاء الأغيار عن أوطاننا . ورفع كابوس الاستعمار السياسي والعسكري عن صدورنا ـ فحقق اللهم لنا تمام هذا الأمل بجلاء آثار الاستعمار الفكري والخلقي والثقافي من نفوسنا . وكما ألنت لنا الحديد . ويسرت لنا صناعة السلاح . وألهمتنا طاعتك فيما أمرتنا من اعداد أسباب القوة لمن يريد بنا السوء ـ فابعث اللهم فينا سجايا الرجولة بالابتعاد عن مزالق اللهو والضعف والترف . لنكون أمة كفاح يهابها الأغيار . ويشتد بها ساعد اخوانها من العرب والمسلمين . وكما وجهتنا الى تجميل بلادنا . وتجديد شباب عمراننا . فوجهنا كذلك لتجميل نفوسنا . وتجديد شباب أخلاقنا وشريعتنا ومفاخر ديننا . انك على كل شئ قدير .

وبعد فان نهضتنا قد أخذ نطاقها يتسع في مصر وفي غير مصر من أوطان العروبة والإسلام . وان كتائب الجهاد الأزهري والاسلامي أخذت مكانها في صفوف الكفاح . وهي ترى ذلك من العبادة . وتعتبر نفسها مسئولة عن تقدم الأمة في أخلاقها وفضائلها وتجديد ايمانها باسلامها . وكل مسلم يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره قائلا لنفسه لكل أخ من إخوانه : « أنت على ثغرة من ثغور الإسلام . فلا يؤتين من قبلك »

والله الموفق .

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

مليم	
٤٠٠	فى وادى النيل
٢٠٠	لطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠	خارج الوادى
٣٠٠	للطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الأول ـ القاهرة فى غرة المحرم ١٣٧٥ ـ ١٩ أغسطس ١٩٥٥ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أدّبنا بأدب القوة . وعلمنا منطق الحق . وسدد خطانا فى طريق البعث . وجدّد لنا بتالدنا طريف الحياة . أنت مالك الملك تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى . وترزق من تشاء بغير حساب .

اللهم كما حققت أمل الأمة الأعظم بجلاء الأغيار عن أوطاننا . ورفع كابوس الاستعمار السياسى والعسكرى عن صدورنا ـ حقق اللهم لنا تمام هذا الأمل بجلاء آثار الاستعمار الفكرى والخلقى والثقافى من نفوسنا . وكما ألنت لنا الحديد . ويسرت لنا صناعة السلاح . وألهمتنا طاعتك فيما أمرتنا من اعداد أسباب القوة لمن يريد بنا السوء ـ فابعث اللهم فينا سجايا الرجولة بالابتعاد عن مزالق اللهو والضعف والترف . لنكون أمة كفاح يهابها الأغيار . ويشتد بها ساعد اخوانها من العرب والمسلمين . وكما وجهتنا الى تجميل بلادنا . وتجديد شباب عمراننا . فوجهنا كذلك لتجميل نفوسنا . وتجديد شباب أخلاقنا وشريعتنا ومفاخر ديننا . انك على كل شئ قدير .

وبعد فان نهضتنا قد أخذ نطاقها يتسع فى مصر وفى غير مصر من أوطان العروبة والإسلام . وان كتائب الجهاد الأزهرى والاسلامى أخذت مكانها فى صفوف الكفاح . وهى ترى ذلك من العبادة . وتعتبر نفسها مسئولة عن تقدم الأمة فى أخلاقها وفضائلها وتجديد ايمانها باسلامها . وكل مسلم يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره قائلا لنفسه ولكل أخ من إخوانه : « أنت على ثغرة من ثغور الإسلام . فلا يؤتين من قبلك » والله الموفق .

الزمان يمضي . . .

وهـذه سنة أخرى من العمر لفظت أنفاسها في يومها الأخير ؛ فاستقبل الناس أختا لها ولدت بين ساعتين ؛ بل بين دقيقتين ؛ كانت إحداهما آخر دقيقة من شهر ذى الحجة الحرام ؛ والأخرى هي الدقيقة الأولى من شهرنا الجديد شهر الله المحرم .

إنه حادث من حوادث العمر ما زال يتكرر علينا منذ ولدنا ؛ وكانت أمثاله تتكرر على آبائنا من سنة الهجرة المحمدية ؛ حتى بلغ عمر الإسلام ثلاثة عشر قرنا ؛ وها نحن أولاء نستعد للاحتفال بالربع الأخير من القرن الرابع عشر !

ولما أخذت القلم لأتحدث مع قرائي عن هـذا الحادث من حوادث العمر ؛ وقفت أفكر : هل هو سعيد ياترى بحظه منا . ونحن سعداء بحظنا منه . فنتبادل فيـه التهانى . ونسميه عاما سعيدا ؟ و إذا سميناه كذلك وتبادلنا فيه التهانى فهل نحن صادقون بهذه التسمية وهل نشعر حقا بنسمات الهناء تعطر بأنفاسها نفوسنا ونحن نتبادل التهنئة ؟ أم أن حظ زماننا منا كان يمكن أن يكون أسعد مما هو واقع بالفعل . وكنا نكون أسعد به لو عملنا في عشرات السنين الماضية على أن نكون من أصحاب العزة والسعادة . ومن ذوى الاعتدال والاستقامة فى تاريخ الإسلام . فيتحدث المؤرخون غدا عن هذا الدور من عمر الإسلام حديثا يشهد لأهله بين يدى الله عز وجل بأنهم أدوا واجبهم كما ينبغى لهم أن يؤدوه . وأنهم كانوا حلقة نظيفة لامعة فى السلسلة التى كانت حلقتها الأولى بيد صاحب ذكرى الهجرة . وكان صلى الله عليه وسلم ينعتها بخير النعوت . ويشبهها بالنجوم التى يهتدى بها كل من اقتدى بها ؟

تعودنا جميعا أن نتنصل من المسئولية - من مسئولية الدنيا ؛ لا من مسئولية سورة « الصافات » عقب تلك الزجرة المذهلة فى يوم الدين - فيدعى الواحد منا لمن يتحدث معهم من أحبابه بأن ما يئن منه هذا المجتمع الإسلامى ويجعله فى مؤخرة الأمم الظاهرة ؛ إنما هو من صنع الآخرين . وأن هذا المتحدث برىء من تلك المسئولية . وأن قلبه يتقطع ألما وحسرة مما نحن فيه . حتى إذا صارت نوبة الحديث إلى أى رجل آخر منا - غير المتحدث الأول - كان تنصله من المسئولية أطول من تنصل أخيه وأعرض وأعمق . . .

كلنا معترفون بعيوب مجتمعنا ، وكلنا ــ على انفراد ــ نشكو هذه العيوب ونزعم لأنفسنا ولإخواننا البراءة من مسئوليتها . وإذا تلبس الواحد منا بعيب من تلك العيوب يعتذر عنه بمجاراة المجتمع . وأن تيار الشر جارف الناس جميعا . وأنه لا قبل له بمقاومة التيار الجارف !

أجل ؛ إن التيار جارف . ولكن ما الذى يحمل الواحد منا على التردى من منحدره الدافع . وما الذى يمنعنا أن نترفع عن طريقه الى أهضام الوادى ؟

ثم ماهو هذا التيار . بل ما هو المجتمع كله . ومن هم الناس ؟

أنا وأنت . وهم وهن ! هذا هو التيار . وذلك هو المجتمع . ونحن الناس . وإذا كان كل واحد منا يتنصل من عيب الزمان ــ ونحن الزمان ــ فلماذا لا يشفى هذا الزمان من عيوبه ؟

الحق معروف . فلماذا لا نكون معه ؟ وللخير وميضه الدال عليه . فما الذى يمنعنا أن نكون من أهله ؟ أليس هذا مادعت إليه الديانات . وهو الذى حامت حوله حكمة الحكماء جميعا ؟

الحق والخير والحسن والأحسن . عناصر موزعة بين الناس . وممتزجة بأضدادها فيهم وفى جماعاتهم وفى الأشياء كلها . والإنسان الواحد والفريق الواحد والشئ الواحد قد يكون فيه عناصر من الخير والحق وعناصر من أضدادهما . والمسلم يأمره إسلامه بأن يتعاون مع الناس وجماعاتهم فيما ينطوون عليه من عناصر الحق والخير . وأن يكف عن مشاركتهم فيما يخالف ذلك . ومن أدعية الإسلام الجميلة : اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وألهمنا اجتنابه . وإن دين الحق كان كلما ظهر فى الأيام الخالية ببعثة رسول من رسل الله . كان الناس مكلفين باتباعه ونصرته . باعتبار أنهم مكلفون دائما بأن يتحروا الحق ويتبعوه . وبأن يروا الباطل باطلا ويجتنبوه . والمجتمع الذى يتعاون أهله على الحق والخير يوشك أن يكون مجتمعا سعيدا . وكلما تكررت الأعوام على ذلك المجتمع كان أهله سعداء بأعوامهم وكانوا جديرين أن يتبادلوا التهانى ببلوغ تلك الأعوام . وبمحافظتهم على عناصر الحق والخير فى أيامها ولياليها .

لقد امتاز عصرنا بسهولة المواصلات وبتقارب الأمم بعضها من بعض . وفى الأمم الخير والشر . والحق والباطل . وإن الصحافة والطباعة التى انتشرت فى هذا العصر

وتقدمت أدواتها بما لم يسبق له نظير فى سالف العصور ، تطلع على الناس فى كل صباح وفى كل مساء ، وفيما بين الصباح والمساء . بكثير من الحق وصالح القول ، وبكثير من الباطل وقول الزور والدعوة إلى الإثم والشر . والناس معرضون للتأثر بذلك كله شاءوا أم أبوا . ويوشك أن يستدير الزمان بذلك مرة أخرى ، فنكون على أبواب تطور لاينكر عاقل أن فيه منافع للناس ، كما لا يستطيع عاقل أن يمارى فيما ينطوى عليه من شرور وآثام . وللخير النافع دعاة . وللشر والآثام دعاة كذلك . والمجتمع الإسلامى فى مصر وفى غير مصر حائر الآن بين دعاة للخير لكنهم يحتاجون الى نشاط أكثر . و إلى تجاوب ممن يشاركهم فى حب الخير . و بين دعاة للشر يخاطبون الناس بلغة أهوائهم ، و يغرونهم بالمتع العاجلة بأساليب من القصص ، و بعرض المفاتن فى تصوير الآثام . و بفنون من الحديث عن اللهو والتحلل من الأخلاق والرجولة والفضائل و يسلطون على دعاة الهدى من الرجال أنصاف المتعلمات من النساء ، بل يسلطون من يتعجل الشهرة والكسب الحرام من أهل المطامع أشباه الرجال ، فيحرضونهم على نقض عرى هذا الإسلام عروة عروة ، و يزعمون لهم أن فى الإقدام على ذلك جهادا وشجاعة أدبية وانتصارا لحرية الرأى !

هذا كله واقع ومشاهد . ولا أنكر أنه رد فعل لموقف قديم لأهل الجمود والخرافات كانوا يقفونه من دعاة الاصلاح الإسلامى ، حتى قال لورد كرومر فى أحد تقاريره السنوية عن مصر وهو يتحدث عن مدرسة الشيخ محمد عبده ونشاطها لتجديد شباب الإسلام : ان فشلها وانتصار أهل الجمود عليها سينشأ عنه ظهور ناشئة من المسلمين لاتعرف حرمة القديم . وقد يكون لورد كرومر وصنيعته المبشر دانلوب رأس العاملين على توجيه وزارة المعارف الدانلوبية وجهة التنكر للاسلام حتى صار أكثر حملة الأقلام والذين تقوم الصحافة والجامعات على عواتقهم من أولئك النشء الذى لايعرف حرمة القديم .

إن الأمة اليوم فى دور تكوين جديد ، وان الفرصة سانحة الآن لنشاط دعاة الإسلام واعدادهم للمساهمة فى هذا التكوين . وأنا أنتهز دائما كل فرصة لأسأل أهل الغيرة على الإسلام : هل سنبقى واقفين وقفة المتفرج أمام استدارة الزمان ، وانقياد الجماهير لدعوة الباطل والإثم ، وطغيان هذا التيار على المتأثرين به ، حتى يفلت الزمام من يد الاسلام فيستسلم أهله و ييأسوا ؟ وهل نبقى هكذا ، كل واحد منا يشكو الزمان ، و يدعى البراءة لنفسه متنصلا من المسئولية ؟

إن مثل هذا الدور مر على الغرب المسيحي ، فشمر رجال الدين فيه عن سواعدهم . وأخذوا من الحضارة العصرية أحاسنها فاعترفوا بها ، ومن العلوم الكونية حقائقها فسلموا بها . وتولوا الدعوة إلى الدين على كراسي التدريس ، وفي الصحافة العامة فضلا عن صحفهم الخاصة . واتخذوا ذلك رسالة لهم وهم يماشون القانون والنظام في كل بلد نزلوا فيه إلى أن تمكنوا من تربية عنصر في أممهم ينطوي على الوفاء للدين والمجاراة للنافع من عناصر الحضارة ، ومن يراقب أحوال الأمم يرى نجاح هؤلاء القوم في أداء رسالتهم إلى أقصى ما تمكنهم منه أدواتهم وظروفهم ، ولو أن لهم في الدين الذي يدعون إليه ويقومون على حراسته ما في الإسلام من مقاصد اجتماعية سامية ، وأهداف عامة بعيدة المدى لفتحوا بها قلوب الأمم كلها .

وكما أننا الآن في مطلع سنة جديدة من السنين التي تذكرنا بحادث الهجرة المحمدية ، وما ينبغي لعقلاء المسلمين — ولا سيما رجال التدريس — أن يتخذوه رسالة قدسية لهم لتكوين الجيل تكوينا إسلاميا صالحا ؛ فنحن كذلك على أبواب افتتاح المدارس والمعاهد والكليات في مصر وفي غير مصر من الوطن الإسلامي الأكبر ؛ والمؤمنون برسالة الإسلام من المدرسين غير الأزهريين لا يقل عددهم عن حملة رسالة الإسلام من المدرسين الأزهريين ، و إذا كان لنا هذا الجيش العرمرم من الموجهين وقادة الفكر ، ومن الآباء الروحيين للنشء الإسلامي . فمن الخزي أن لا يظهر أثر ذلك في عام كامل يؤدي فيه المدرسون الإسلاميون رسالتهم بعزيمة قوية من عزائم الإسلام وبحكمة حكيمة من توجيهات الإسلام ؛ وشر المدرسين من يقوم بعمله لأجل راتبه وحسب ، ولا يرى من واجبه أن يصنع للاسلام جنديا محمديا من كل طالب يضعه الوطن تحت أمانته ، ويطلق يده في توجيهه للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وعضوا عاملا ورجلا نافعا في المجتمع .

ان مصر محتاجة إلى الإسلام في إصلاح مجتمعها ، وكل أوطان المسلمين في مثل حاجة مصر إلى ذلك أو أشد . والإسلام إذا تربى عليه النشء من أبنائه كان ذلك قضاء مبرما على الاستعمار في كل مكان ، وعلى الرذيلة بجميع ألوانها ، وعلى العيوب التي نشكو منها في مجتمعنا . وفي أيدي المدرسين الإسلاميين — أزهريين وغير أزهريين — أن يقوموا للأوطان الإسلامية بهذه المهمة ، وأن يعترفوا بجمال الإسلام لتلاميذهم ، فيعرفه عامة الآباء والأمهات من طريق البنين والبنات ، ويكون لنا منهم في السنوات القليلة الآتية مجتمع سعيد تكون به الأمة سعيدة والأعوام سعيدة ، وما ذلك على الله بعزيز .

محب الدين الخطيب

الأدب والعلوم

سلاح التهذيب وسلاح الجيش

افتتح وزير التربية والتعليم حلقة الدراسات الصيفية لمفتشى المدارس الابتدائية ونظارها بمبنى كلية التجارة بجامعة الاسكندرية ، ومما قاله : إن مستقبل الوطن والثورة والأجيال المقبلة يتوقف على ما يقوم به المعلمون من تربية هذا الجيش من أبناء الشعب وتعليمه ، وإذا كان أخى اللواء عبد الحكيم عامر يبذل ما يستطيع من جهد لتدريب القوات المسلحة وتجهيزها بأحدث الوسائل ليكون جيش مصر مستعدا للغلبة والنصر ، فإن يدى فى أيديكم لنعمل باستمرار حتى نمد جيشنا لدعم هذا الوطن وثورته التى تهدف إلى تهيئة الحياة العزيزة الكريمة لشعب أبىّ باسل .

توحيد الأقسام فى الجامعات

قال الدكتور محمد كامل مرسى مدير جامعة القاهرة ورئيس المجلس الأعلى للجامعات المصرية : بحثت لجنة التعليم الجامعى موضوع توحيد الأقسام المماثلة فى الكليات المختلفة فرأت أن هذا التوحيد من الوسائل القوية لتقدم الدرس والبحث ، وأن التعاون بين الأقسام المتماثلة فى جامعتى القاهرة والاسكندرية أمر لا مناص منه . أما الجامعات التى لم تستكمل نموها كجامعة عين شمس والتى لا تزال فى طريقها إلى الإنشاء كجامعة أسيوط فمن الممكن توحيد الأقسام المماثلة فيها ، وذلك ما درجت عليه الجامعات الأوربية والأمريكية ، وقد نجحنا فى توحيد الدراسات فى جامعاتنا الثلاث حيث لا توجد فى كل منها الإمكانيات اللازمة لدراسة بعض المواد ، فركزنا دراسة الآثار والأرصاد فى جامعة القاهرة ، كما ركزت فى كلية العلوم بجامعة القاهرة دراسة علم الحشرات ، وترك فى الجامعتين الأخريين القدر اللازم منها لاستكمال دراسات المواد المتصلة بها ، وعنيت جامعة القاهرة بضم الدراسات المتماثلة بجعلها فى الكلية التى استكملت عناصرها ، فعهد بدراسة الإنكليزية والفرنسية والألمانية وغيرها إلى كلية الآداب ، وعهد إلى قسم الجغرافيا بكلية الآداب بالتدريس والإشراف على هذه المادة فى كليات التجارة والحقوق وغيرهما

ورؤى أن تركز دراسة اللغة العربية والدراسات الشرقية فى كلية دار العلوم وأن يطلق عليها اسم (كلية اللغة العربية والدراسات الشرقية) وسيكون بها قسم اللغة العربية ، وقسم العلوم الإسلامية ، وقسم الدراسات الشرقية .

العلم الذرى

يستخدم فى الآثار والتاريخ

ينتظر أن يستخدم العلم الذرى فى تحديد تاريخ لأصل الاشياء بعد أن تبين أن المادة الحية فى شتى صورها تمثل عن طريق الجرام من الكربون نفس الكمية من الكربون المشع ويبدأ تمثل الكربون المشع فى الاختفاء بمقدار ٥٠ فى المائة كل ٥٥٦٨ عاما ، فقطعة من شجرة أو كرسى قديم عمر كل منهما ٥٦٠ عام مثلا يكشفان عن نصف الإشعاع لمادة عضوية حية ، وبذلك سيمكن تحديد تاريخ ما يعثر عليه من آثار البشر بما يشبه اليقين .

المدارس السعودية

أمر جلالة الملك سعود بإنشاء ثلاثمائة مدرسة ابتدائية وثانوية فى منطقة جيزان من مقاطعة عسير فيما بين اليمن والحجاز ، وتبلغ نفقات إنشاء هـــذه المجموعة الضخمة من المدارس السعودية الجديدة نحو ثلاثة ملايين ريال عربى .

مكتبة سجن مصر

كانت لائحة السجون المصرية تحرم على المسجونين القراءة فى السجن إلا بإذن خاص ولما حكم على الصحفى الفرنسى ريشارد دى دييه والمليونير كليمان عبدالواحد فى قضية تهريب الاموال اليهودية من مصر إلى الخارج استأذن كليمان عبد الواحد باحضار سلسلة كتب اقرأ إلى السجن للتسلى بمطالعتها ، ثم خطر على باله - لكثرتها - أن يتبرع بها للسجن ليطالع فيها المسجونون ، وبلغ هذا الخبر القائمقام أنور السادات فتذكر أيامه فى سجن مصر فأهدى إلى السجن مجموعة من الكتب ، كما أهدت دور الكتب والنشر طائفة أخرى من مطبوعاتها ، وهكذا تكونت لسجن مصر مكتبة لا بأس بها ، احتفلوا بافتتاحها وأقاموا عليها من المسجونين المثقفين أمينا . وتطوع الصحفى الفرنسى بتعليم الفرنسية للمسجونين من الطلبة والموظفين ، وبلغ الخبر السفارة الفرنسية فأهدت لهذا الغرض طائفة من الكتب الفرنسية . وعلمت السفارة الامريكية بذلك فأبدت استعدادها هى الاخرى لتقديم مجموعة من الكتب الامريكية وأرسلت فعلا إلى سجن مصر عـــدداً ضخما من الكتب .

نفحات القرآن

- ٣١ -

مناجاة القرآن للعقل وللعاطفة

« واتقوا الله الذى تساءلون به ، والأرحام .
إن الله كان عليكم رقيبا »

تمهيد :

١ — ترى القرآن فى تبليغ دعوته يناجى العقول ، ويفتح أمامها مجال البحث مع الروية ، ويحضها على التأمل وحسن النظر ، ويترفق بنا فى المناجاة ، فلم يفرضنا تحت السيطرة المطلقة — وإن كنا كذلك بالنسبة لله تعالى — ولم يأخذنا بالعنف ، بل ينادينا بأكرم ما تتسم به الإنسانية : يابنى آدم .. يا أولى الألباب .. يا عبادى .. الخ . وفى هذا الترفق تكريم لنا واعتماد على عقولنا فى إدراك ما يوجه إلينا حتى يكون إصغاؤنا إليه عن طمأنينة وتصديقنا له عن بينة وأخذنا بما شرع لنا عن ثقة وارتياح .. وتلك هى الحكمة فى الدعوة التى يراد لها النجاح والخلود .. وهى السياسة التى رسمها لنا فيما أمرنا به : من الحكمة والموعظة الحسنة ، وأن نجادل خصومنا بالتى هى أحسن ، وألا يكون الداعى إلى الإصلاح فظا غليظ القلب ، لئلا ينفض الناس من حوله .

٢ — وترى القرآن كذلك يناجى العاطفة ، ويثير فيها الحنو ، ويستنهضها إلى الاستجابة ويعتمد عليها فى مؤازرة العقل : إذ العقل وحده لا يسهل دائما قياده ، فقد يجمد على التقليد أو يجنح إلى العصبية أو تغمره الجهالة أو يحيط به كل ذلك حتى ينحاز إلى غير ما يلائمه ويظل متخلفا ، وحينئذ تكون العاطفة عونا على إقناعه ووسيلة إلى استمالته واجتذابه .

كما أن العاطفة وحدها قد لا تتماسك : بل تلين وترق حتى تتأثر بكل ما يعرض لها دون روية أو موازنة بين ضار ونافع ، وقد تتحجر العاطفة التى لم يسعفها تهذيب أو لم

يصادفها توجيه ، فيكون للعقل موقفه من الرشد والترجيح والاختيار واجتذاب العاطفة نحوه .

وكثيرا ما نعيب نحن على إنسان أنه عاطفى لا يقدر الأمور قدرها ، أو أنه متحجر العاطفة لا يتأثر ولا يستجيب .

والقرآن نفسه يسلك ذلك المسلك حين يقول فى بنى إسرائيل : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة . . . الآية » .

٣ — فالعقل والعاطفة نافذتان يدخل منهما نور الهداية ويستقر فى الوعى وينقاد المرء لما يتجهان إليه ويبصرانه به .

وفى تكافلهما — لا شك — حفاظ من الزلل .

وفى مناجاتهما توفير لأسباب الرشد وحيطة فى التوجيه وفى حسن التربية .

٤ — وإذا نظرت فى الجملة التى اقتبسناها عنوانا لموضوعنا وجدت فيها خطابا يتجه إلى العقل والعاطفة معا .

فالله — سبحانه — يأمرنا بتقواه ثم يذكر مع الأمر شيئا يقتضى الاستجابة وهو وصف معترف به عند المخاطبين — الذى تساءلون به — ومفهوم أنهم يتساءلون بالله فيما يجرى دائما على ألسنتهم : ناشدتك الله . . أستحلفك بالله . . أقسم عليك بالله . . وفيما يتوسلون به من أدعية : اللهم رب كذا وكذا . . اللهم فاطر السموات والأرض . . وهكذا مما يتداول الأخذ فيه .

وذكر هذا الوصف — وهو التساؤل بالله — يعتبر دليلا ملزما لهم أن يتقوه ، إذ مقتضى التساؤل بالله : الإيمان به ، والخشية منه ، وتقواه فى السر والعلن ، وإنما يساق الكلام مقرونا بالاستدلال حينما يكون الخطاب للعقول المدركة الراشدة ، ولو على سبيل الفرض فى رشدها : فشأنها كذلك . فاذا لحظت هذا وجدت للأرحام ذكرا فى سياق الأمر بالتقوى « واتقوا الله الذى تساءلون به ، والأرحام » .

فتقوى الله ، وتقوى الأرحام : مقصد واحد .

٥ — وذكر الأرحام تهتز له العاطفة ، ويثور له الحنو الكامن فى دخيلة النفس ، وبه تتجاذب المودة النسبية أرواحا ربما كانت متنافرة ، وتتوارى أمام القرابة حزازات وأشجان

فشأن القرابة كذلك ، لأنها وشيجة فى الدم وفى الجسم والروح وانتماء إلى أمومة واحدة وأبوة واحدة ، وفى ظل الأمومة والأبوة تتعاطف الأرواح . وبذكر الأمومة والأبوة أو بذكر الأرحام بدلا منها إيقاظ للعاطفة من غفلتها ودفع بها إلى التراحم ونبذ ما هنالك من أسباب الفرقة ، وإن لم تكن عاطفة الإنسان على أقربائه يقظة حساسة فلا يرجى منها تراحم على غيرهم من الأجانب عنه .. وحينما تكون العاطفة الإنسانية كذلك : جفوة وزهادة وأنانية ، فأحرى بالإنسان ألا يكون إنسانا .

هذه المعانى التى تنفح بها الجملة ذات شأن فى حياة الناس ومنفعتهم ، وذكرها إجمالا أو تفصيلا ليس من الأمور الثانوية ، بل هى فيما شرع الله من المقاصد الأولية ، وهى من أعمال الناس تحت مراقبة الله وفى منهج عبادتهم له ، فليتقوه بفعل ما أمر وترك ما نهى ، وليتقوا الأرحام فلا يقطعوها ولا يسيئوا إليها من قرب ولا من بعد ولا يستهينوا بترك مودتها .. وقد حذر الله من التهاون فى ذلك بقوله : « إن الله كان عليكم رقيبا » وهذا هو الرقيب الذى لا يغفل ولا ينسى ولا يعجز عن تنفيذ وعيده .

واختيار التهديد بلفظ ـ الرقيب ـ تأكيد لما أمر به من تقوى الله وتقوى الأرحام .

إذ الرقابة ـ منا ـ دقة الملاحظة وقوة الوعى واليقظة .. فكيف بها إذا كانت مراقبة من الله تعالى ؟ .

ونظرة إلى السياق الذى ذكرت فيه الجملة التى نتحدث عنها تفتح أمامنا أفقا واسعا يطيب للقارىء أن يصاحبنا فى أرجائه ، وأن يقتطف ما ندرك من أزهاره .

فنحن فى مطلع سورة النساء ، وفى عجز الآية الأولى منها ، وقد استهلها المولى بنداء الناس أن يتقوا ربهم ، ثم ذكر من الأدلة ما يقتضى الاستجابة ـ على نحو ما أسلفنا فى جملة العنوان ـ وهو أنه : (١) خلقنا من نفس واحدة ، (٢) وخلق منها زوجها ، (٣) وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .

وإن تكن هذه الأمور الثلاثة مظاهر قدرة ، وآيات إعجاز ، ودلائل جبروت وعظمة ، وتوجيهات للعقل أن يتعقل ويطمئن ويؤمن ، فقد امتزج بذكرها خطاب العاطفة مع العقل ، إذ فيها تنبيه إلى الأخوة التى انحدرت بالناس جميعا من أبوة نفس واحدة ـ آدم ـ وامتدت بهم من معين واحد ـ حواء ـ وربطت بينهم جميعا .

وإن تشعبت الفروع واتسعت بهم الآفاق واختلفت الألوان والألسن فهم إلى أبيهم وأمهم كأغصان الشجرة الواحدة .

ثم يتكرر الأمر فى الجملة التى قدمنا الحديث عنها فجاءت تتميا لما بدأ وإجمالا لما فصل وتأكيدا لما قصد .

وعند الوصول إلى هذا التأسيس والفراغ من هذا التوجيه تسير بنا الآيات بعد ذلك فى خطاب العاطفة واستنهاضها إلى الرحمة باليتيم .

وإن كانت القرابة فى الآدمية والرحم البعيد ملحوظا فيما أوصت به الآية غير أن اليتيم ذو شأن أخص إذ اليتيم قطعة منهم والرحم بينهم وثيقة والإنسانية تقضى على بنيها أن يترفقوا به أكثر من سواه : إذ هو ناشئ يحتاج إلى من يحتضنه ويحنو عليه وحيث فقد أباه الأقرب فهو بينهم صغير يستظل بكبير وضعيف يحتمى بقوى وعاجز يعتمد على وصيه القادر وهو فى الجملة إنسان سيسد فراغه فى صفوف المجتمع فلا عجب أن تعنى به الآيات من كل وجه وأن ترسم سياسة خاصة فى شأنه .

بدأت بالحث على صيانة ماله والنهى عن أخذ الطيب منه بدل الخبيث من مال الوصى أو غيره ثم بالنهى عن خلطه بمال الوصى وأكله مع ماله : « وآتوا اليتامى أموالهم ــ بمعنى حافظوا عليها حتى تؤتوها لهم حين رشدهم ــ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم » .

وخلاصة هذا منع التصرف بكل ما يحيف بمال اليتيم .

وشئ من هذا الحيف يعتبر عند الله حوبا كبيرا : إثما عظيما . ثم تأتى آية ثانية فى شأن مال اليتيم ومعاملته . فتنهى عن تمكينه من ماله وهو صغير لا يحسن التصرف لأن تمكينه مضيعة للمال وهو عصب الحياة للجميع ، وتأمر بالإحسان فى معاملته وفى مخاطبته كما تنطوى على تنمية ماله حتى لا ينفد بالنفقة عليه « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » .

وتأتى آية ثالثة فى تمرين اليتيم على المعاملات قبيل بلوغه ، وتنهى ثانيا عن تبديد ماله بأكله ، وتأمر بالتعفف عن تناول الأجر منه إلا الوصى الفقير ، فله أن يأكل منه بالقدر المعروف بين الناس فى حدود الاستحقاق له وبقدر مجهوده فى الإشراف ، وتأمر بالإشهاد عليه حين تسليمه ماله ، وبعد أن يثبت رشده المالى بحسن تصرفه وتدبيره لمصالحه

« وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » .

ولعل ما فى هذه الآية الأخيرة لصالح الوصى كما هو لصالح اليتيم فان فى الإشهاد على دفع مال اليتيم إليه براءة للذمة ودفعا للشبهة ومحافظة على سلامة الروابط وحسن الظنون .

وتأتى آية رابعة فيها أروع خطاب يثير عاطفة الأوصياء على اليتامى وفيها تذكير لهم بأنهم كأبنائهم فاذا كانوا لا يطيقون على أبنائهم قسوة ولا يرضون لهم مهانة ويخشون أن يمسهم أدنى شظف فليفرضوا على أنفسهم مراعاة هذا فى اليتامى الذين يعيشون فى كنفهم .

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

أفبعد تذكير الوصى بأولاده واسترحامه لليتامى بما يستطيعه من البر بهم والحدب عليهم ومنعه أن يفعل بهم مالا يحب أن يفعل الغير بأولاده لو تركهم صغارا ضعافا .. أفبعد ذلك يكون بحاجة إلى توصية ؟ ؟ أو ينقصه تذكير برحمة وعطف ومواساة ؟ ؟ ليس بعد ذلك إلا تهديد بأقسى ما يخشاه من عذاب وهو بالعذاب جدير .

لذلك كان من الزجر اللائق به أن يتهدده الله بما يذيب الأكباد خوفا ورهبة وأن يواجهه بشناعة ما صنع فى اليتيم « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

نعم : فيما تقدم من التوجيه والإيضاح أطيب ما يتربى عليه الفرد والجماعة وأرشد ما يقام عليه النظام الجماعى وأحفظ ما يستقيم به شأن اليتيم حتى يبلغ أشده ؛ فمن لم يأخذ نفسه بما سمع ؛ ولم يع ما خوطب به ؛ فلتشبع بطنه من نار جهنم ؛ وليعش فى سعيرها ما شاء الله ما

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

السنة

صفحة من الجهاد النبوى

أعظم الغزوات بلاء وشدة ـ أحداث جسام ـ من آثار الجهر بالدعوة ـ فنون من الكيد والإيذاء ـ رحلة الطائف ـ ألأم من اللؤم ـ أروع الأمثال فى مقابلة السوءى بالحسنى .

* * *

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ ! فقال : لقد لقيت من قومك ! وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال . فلم يجبنى إلى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم على وجهى : فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فاذا فيها جبريل ، فنادانى فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فنادانى ملك الجبال وسلم على ، ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك ، فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيئا .

رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم .

* * *

العقبة : الطريق الوعر فى الجبل والمراد بها هنا عقبة الطائف حيث التقى النبي صلى الله عليه وسلم بابن عبد ياليل فى نفر من أكابر ثقيف يدعوهم إلى الإسلام . وابن عبد ياليل ـ بوزن هابيل ـ واحد رجال مكة والطائف وسادتهما الذين عناهم المشركون إذ قالوا فيما حكى الله عنهم « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .

والقرن : الجبيل المنقطع من الجبل ؛ وأضيف إلى الثعالب لأنها كانت تأوى إليه ؛ ويسمى قرن المنازل أيضا لنزول المسافرين عنده ؛ وهو ميقات أهل نجد ؛ على يوم وليلة من مكة .

والأخشب : الجبل الخشن العظيم ؛ والأخشبان : جبلا مكة المطيفان بها : أبوقبيس وقعيقعان الذى يقابله .

* * *

غزا النبي صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين غزوة ؛ كانت غزوة أحد أعظمها وقعا وأشدها بلاء ! ! ومما زاد فى شدتها وبلائها أن الدولة كانت للمسلمين فى أول الأمر لما استمسكوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبتوا فى مواقفهم .. ثم دارت الدائرة عليهم لما تركوا مواقفهم ونسوا أمر قائدهم ، وشغلوا بالغنائم يجمعونها ظانين أن الكفار قد ولوا الأدبار إلى غير رجعة ... ولكن أعداء الله اهتبلوا منهم هذه الفرصة ، فكروا عليهم على حين غفلة ، وأثخنوهم قتلا وجرحا ، وكادوا لهم كيدا دفينا ! !

فى هذه المعمعة خلص المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقذفوه بالحجارة حتى وقع لشقه ! وكسرت رباعيته ! وشج وجهه ! ووقع فى حفرة من الحفر التى كان أبو عامر الراهب قد حفرها وغطاها ليقع فيها المسلمون ! واضطروه بهذا الإيذاء المحيط إلى أن يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فأنزل الله عليه فى ذلك : « ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » .

* * *

هذه بعض الأحداث الجسام التى ابتلى بها النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد ؛ والتى ظنت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها أعظم المصائب التى أصابته فى ذات الله عز وجل ! !

بيد أنها أرادت أن تستوثق لما ظنت ، فأعلمها صلوات الله وسلامه عليه أنه لقى من قومها ما لقى مما لا يحيط به وصف ! وأن ما أصابه فى رحلته إلى الطائف أدهى وأمر !

* * *

قد علم الكافة أنه صلوات الله عليه لما جاهر بالدعوة إلى ربه ، أخذ قومه يؤذونه ويكيدون له ! حتى إذا فقد زوجه أم المؤمنين خديجة ، وعمه وأقرب الناس إليه أباطالب

ـ وكانا أكبر نصير له فى تبليغ رسالته وأعظم ظهير له من بين عشيرته ـ أمعنوا فى الإيذاء والكيد ! ونالوا منه ومن أصحابه ما لم ينالوه من قبل ... وبلغ من وقاحتهم أن نثروا التراب على رأسه الشريف وتجاذبوه وهم يقولون له : أنت الذى جعلت الآلهة إلها واحدا ؟!

* * *

وأشد من هذا ما حدثنا به ابن مسعود رضى الله عنه فيما رواه الشيخان قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل : أيكم يقوم الى سلا جزور بنى فلان (١) فيأخذه فيضعه فى كتفى محمد اذا سجد ؟! فانبعث أشقى القوم (عقبة بن أبى معيط) فأخذه ، فلما سجد النبى صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه . قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض وأنا قائم أنظر لو كانت منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ما يرفع رأسه ! فانطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهى جويرية فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم .

* * *

وأشد من ذلك وأفظع ما حدثنا به عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ـ فيما رواه البخارى ـ وقد سأله عروة بن الزبير عن أشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا ! فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » .

* * *

وكذلك أخذوا يتابعون الكيد والإيذاء حتى هموا بإخراجه والفتك به !! .

وكذلك أجمع أمره على الرحلة إلى الطائف ، ليس معه بعد الله إلا خادمه زيد بن حارثة رضى الله عنه .

كان له صلى الله عليه وسلم فى ثقيف بالطائف رحم وقرابة ، فرأى أن يدعوهم الى الإسلام عسى أن يستجيبوا له ، فان لم يفعلوا فلا أقل من أن يحموه من قريش ويستجيبوا للرحم والقربى ، فان لم يفعلوا فلا أدنى من أن يكتموا خبره لئلا يشمتوا به قريشا ويزيدوها طغيانا وكفرا . . .

---

(١) الجزور : الناقة ، والسلا : لفافة الجنين ، وتسمى فى الآدميات مشيمة .

لـكن ثقيفا كانت ألأم من اللؤم وأقبح من القبح وأشـــد من كفار قريش فجورا ونـكرا ، وكان مثلهم مع النبي صلى الله عليه وسلم كذل المستجير بعمرو عند كربته .. !

لم يستجيبوا له ، ولم يرقبوا فيه رحما ولا قربى ولم يكتموا خـبره وقـد استكتمهم ! بل ردوا عليه أقبح رد فى استهزاء وسخرية ! وشيعوه بالحجارة تدمى عقبيه حتى اختضبت نعلاه بالدم ! وكلما قعد إلى الأرض يستنشق نسيما من الروح أخذوا بعضديه فأقاموه ليمشى فيرضخوه بالحجارة تارة أخرى ؛ وهكذا دواليك بين صفين من هؤلاء الـكفرة الفجرة يتبعه عبيدهم وسفهاؤهم الذين أغروهم ليسبوه و يصيحوا به ؛ ولقـد شج رأس زيد شجا ؛ ونال من الأذى فى وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا يكافئه إلا رضوان الله عليه .

* * *

مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاه تسيلان دما ، ونفسه الـكريمة تفيض هما وغما والسفهاء خلفه يتبعونه حتى مر فى طريقـه ببستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وكانا فيه فاستظل فى ظل شجرة من أشجار عنبه . وهنالك رجعوا عنه .

« * »

فزع صلى الله عليه وسلم إلى ربه يدعوه ويشكو إليه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس ! ويضرع إليه ألا يكله الى أحد من خلقه ، فى دعاء مشهور ختمه بقوله : أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى (١) ولا حول ولا قوة إلا بك ! !

هنالك تحركت له رحم عتبة وشيبة لأنهما من عبد مناف ، فبعثا له بقطف من عنب مع غلامهما النصرانى عداس ، فسمى الله تعالى قبل أن يأكل . فأثارت هـذه التسمية عجب عداس فى قصة نعرض لها فى الحديث الآتى إن شاء الله .

* * *

انطلق صلوات الله عليه وسلامه حيران هائما لايدرى أين يتوجه من شدة ما أصابه ،

---

[١] العتبى : رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب ، والمعنى أنى لا أزال أطلب رضاك إلى أن ترضى .

حتى إذا أفاق مما هو فيه بشره الله على لسان ملائكته بأن أمر الانتقام من هؤلاء الأقوام فى يده فما عليه إلا أن يأمر، وما على الموكلين بأمر الله إلا أن يكونوا رهن اشارته. لكن الرءوف الرحيم الذى ما انتقم لنفسه قط صلوات الله وسلامه عليه أجاب بهذا الجواب الحكيم النبوى الخالد : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيئا .

لم يخف على قريش أمر هذه الرحلة وما لقى فيها صلوات الله وسلامه عليه من هول وكرب ! فلا مناص من أن يحولوا بينه و بين مكة إن لم يكونوا قد بيتوا له ما هو أشد ! لكن الله الذى يؤيد دينه بالرجل الفاجر، سخر له شريفا من أشرافهم ليدخل البلد الحرام فى جواره وليطوف بالبيت الحرام آمنا مطمئنا . . . ذلك هو المطعم بن عدى (١) .

أما بعد، فلا يزال فى الفؤاد كلام لا يخفى على ذى لب . . . وحسبنا أنا عرضنا صفحة من جهاد نبينا الكريم، ذى الخلق العظيم، عبرة وذكرى « فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

طه محمد الساكت



كما يرانا غيرنا

روى الأستاذ محمد وجدى مندوب الأهرام فى جنيف أن صحفيا ايطاليا زار البلاد العربية أكثر من مرة قال له :

« أنتم العرب من أحسن شعوب العرب كأفراد، ولكنكم — كمجموعة — تفقدون كل شئ : ليس بينكم نظام . الثقة بينكم معدومة . انكم لو عرفتم كيف تعيشون فى مجموعة متماسكة تصبحون قوة ضخمة . لأنكم — كأفراد — من أحسن الشعوب » .

(١) انظر « الجوار الأعظم » فى الجزء الأول من العام الماضى .

خطبة الأستاذ الأكبر

فى ذكرى ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢

أذيعت من محطة الإذاعة المصرية صباح يوم ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله ، له عظيم الحمد ، وجزيل الشكر ، منه وحده تستمد العزة والقوة ، فله سبحانه المنة الكبرى ، وله الثناء الحسن الجميل .

أما بعد ـ فان الأمة التى كتب لها البعث والنهوض والتى دبت فيها الروح الواعية الدافعة : تدفعها إلى التقدم فى مضمار الأمم الحية ، والشعوب القوية الفتية ، عليها دائما أن تستعرض ذكرياتها الكريمة ، وتحيى بالتكريم والتمجيد أيامها العظيمة ، وعليها دائما أن تذكر ما قام به قادتها المصلحون وما قدموا لها من خير كبير ، وعمل صالح مجيد .

واليوم الذى أثبتت فيه مصر أن لها وجودا رشيدا قويا وإباء شديدا وحمية دفعت بها إلى الثورة على البغى والظلم والفساد ، وعلى الطغيان والاستبداد والاستعباد ـ هذا اليوم الذى بدأ فيه التحول الكبير ، بانتشال الأمة من مواطن الضعف والضعة والمهانة ، إلى مدارج القوة والعزة والكرامة على أيدى أبناء بررة ، قادوها إلى النصر والفتح المبين ـ عليها أن تجعل منه موسما قوميا وعيدا وطنيا تحيى فيه قادتها الأبطال المجاهدين وتقوى فيه وعى المؤمنين المخلصين وتبث فى أبنائها روح الجد والكفاح فى سبيل السلام والخير العام وتسجل لأجيالها القادمة ما يوحى إليهم باتباع أحسن المثل وانتهاج أقوم السبل ، لتظل الأمة مرفوعة الرأس مهيبة الجانب مصونة الحمى مرهوبة القوى .

وهذا اليوم يوم ٢٣ يوليه ، هو عيد مصر الوطنى الذى تحتفى فيه بوثبتها القوية الجبارة على يد بطلها الثائر الحر (جمال عبد الناصر) وأيدى إخوانه الضباط الأحرار الذين قاموا فى مثل هذا اليوم من سنة ١٩٥٢ منقضين على هيا كل البغى والفساد والإذلال

والاستعباد : يحطمونها وينشئون للأمة على أنقاضها أركان العدل والإصلاح وينفثون من روحهم القوية فى نفوس أبنائها قوة الحق وعزة الوطن .

إن كل مصرى مدين بالاخلاص المطلق والتقدير العظيم لروح هــذه الثورة وأغراضها وأهدافها التى هى رفعة الوطن وإسعاد أهله، فالثورة هى التى خلصت البلاد تخليصا كاملا من أطماع الطامعين ، وسيطرة المستعمرين ، واستغلال المستبدين المترفين الذين كانت سياساتهم تدور على جمع المال ، وتمكين الجاه لأنفسهم وذويهم ، وعلى اقتناص المنافع بكل سبيل ، ومن كل طريق ، مسخرين فى ذلك كله جهود الفقراء وكدهم ونصبهم ، يسعدون بشقاء هؤلاء ، ويرتاحون لمتاعب هؤلاء ، غير مبالين بحنق المظلومين وغيظ المساكين الجائعين الذين أضناهم الفقر والمرض وغير آبهين لما يكون وراء ذلك من نتائج سيئة وعواقب وخيمة من شأنها أن تبذر فى البلاد بذور المذاهب الفوضوية والمبادئ الهدامة .

إن النهضة المباركة التى جاءت فى ظل هذه الثورة والتى سرت فى جميع المرافق بالتجديد والتعمير والإنشاء قد آتت وستؤتى دائما ــ بعون الله وبمشيئة الله ــ أطيب الثمرات وأعظم الإصلاحات فى شؤون البلاد الداخلية وقد نجحت وستنجح دائما إن شاء الله فيما تنتهجه من خطط السياسات القوية فى شؤونها الخارجية وسائر علاقاتها الدولية .

فليس عجيبا إذا ولا غــريبا ما لقيه بطل الثورة جمال عبد الناصر فى رحلته إلى بلاد الصعيد وما شاهده فى مختلف أقاليمــه وفى مديرية التحرير وفى كل بلد زاره أو مر به من بلاد القطر : جمــوع حاشدة ونداءات حارة وهتافات للثورة تطالب ببقاء هذه الثورة . بل ذلك دليل كمال الوعى وتمام الرشــد وآية بينة على حب الثورة والاخلاص لمبادئ النهضة والاطمئنان لأساليبها ومناهجها فى الإصلاح .

والحق أن الثورة ــ كما عهدناها وشاهدناها ولمسنا آثارها ــ هى عزة ونهضة وإصلاح وكرامة . ولا يتخلف عن مناصرة دعوة العزة والنهضة وعن مظاهرة نداء الكرامة والإصلاح رجل حر فى قلبه ذرة من إيمان أو إخلاص .

ان هــذه الوثبة الكريمة نحو المجــد تدفعنا أن نجدد الميثاق والعهد لهذا البطل العظيم

جمال عبد الناصر وصحبه الأخيار: أن نكون لهم أوفياء كمال الوفاء، نقابل إخلاصهم فى العمل والتفانى فيه بالولاء لهم والعمل على شد أزرهم وأن نرخص فى سبيل غايتهم السامية التى هى رفعة مصر وعزتها مثل ما أرخصوا فى هذا السبيل من أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم.

زادهم الله تأييدا وتثبيتا وأمدهم دائما بعونه وقوته انه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

أيها المواطنون:

إنى أذكركم بقول الله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» وأنصح لكم بما فيه خيركم ورشادكم: أن تعاونوا الثورة الساهرة على صوالحكم بأن يصلح كل منكم أمر نفسه ويبذل كل جهوده فى اجادة عمله ولا تلقوا بأحمالكم كلها على عاتق الحكومة، ولا تتوانوا فى واجباتكم تواكلا واعتمادا على أن الحكومة تصنع لكم كل شئ حتى ما هو فى مقدوركم واستطاعتكم وما هو مطلوب منكم. فان التواكل هو تكأة العاجز الخامل. فاعملوا وجدوا وثابروا وصابروا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الرحمن تاج

شيخ الجامع الأزهر

الهلال الحائر

قرأت للسيد الأستاذ حسين محمد فريد المفتش بمرصد حلوان مقالا فى جريدة الأهرام تحت عنوان (الهلال الحائر) وقبل ذلك قرأت لسيادته مقالا آخر بهـذا العنوان نفسه تحدث فيه ـ كما قال فى مقاله الثانى ـ عن حالات مولد القمر وأنه لا تمكن رؤيته إلا فى حالة من حالات ثلاث .

أما مقاله الثانى فخيل لى وأنا أقرؤه أن الأستاذ يكاد يتميز غيظا و يتألم ألما ممضا إشفاقا على الهلال وحيرته ـ فيما يظن سيادته ـ وطلب فى أدب من السادة العلماء أن يجدوا للناس مخرجا من هذه الضائقة فالحل فى أيديهم دون سواهم .

ثم بين أن دقة الحساب بمرصد حلوان الذى يقوم بعملية تحديد الزمن راجعا فى ذلك إلى قواعد الديناميكا الأستروفيزيكية السماوية بلغت مدى بعيدا ، حتى انه ليرصد النجوم ويحسب زمن عبورها لجزء من ألف من الثانية ثم تقرب لجزء من مائة من الثانية إلى أن قال : ولا شك أن من يدقق فى جزء من مائة من الثانية يصعب عليه أن يرى خطأ فى يوم كامل من أيام الشهر العربى ويقره . ثم ذكر مفخرة كبرى لمرصدنا بحلوان حيث تمكن ـ دون سواه ـ من تصوير وحساب موقع ومسار الكوكب الذى يؤثر فى حركة الكوكب بنتون الذى اكتشفه لافريبه الفرنسى وآرمز الانجليزى سنة ١٨٤٥ ، واقترح أخيرا أن تؤلف لجنة لتذهب عن الهلال حيرته ، وبالتالى ليطمئن الناس على معرفة أول شهرهم وبدء صيامهم .

وإنى أشكر للأستاذ غيرته الدينية كما أشكر له غيرته على علمه الذى نبغ فيه وأخذ يحاول تطبيقه والعمل به فى مسألة لها خطرها عند المسلمين كافة .

واسمح لى ـ يا سيدى الأستاذ ـ أن أقول لك : ان ما تذكره من حساب الكواكب والنجوم وحالات مولد القمر وكل ما يثبته مرصدنا العظيم لم يكن ليجهله معلم الإنسانية الأكرم صلى الله عليه وسلم ، فالله أنزل عليه قوله تعالى : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ـ رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ـ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ـ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ـ الشمس والقمر بحسبان » وتلك آيات بينات ناطقات بالحساب الفلكى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من شك

فى أنه صلوات الله عليه كان يفهم ما أنزله عليه ربه فهما دقيقا مفصلا لا تخفى عليه جزئية من جزئياته ، فلا بد أنه صلى الله عليه وسلم كان يفهم منازل القمر التى قدرها ربنا ، ويفهم سبحه وسبح الشمس فى الفلك وحسبانهما ، ويفهم مشارق الكواكب ومغاربها ويفهم كيف سخرت الشمس والقمر والنجوم، وكيف تمسك السموات والأرض أن تزولا وأسباب ذلك ، ويفهم نظام الجاذبية التى بين الكواكب ، وهل علم الفلك شىء أكثر من ذلك؟ . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن ربه والحكيم فى تعليمه لم يفصل ذلك لأمته تفصيلا لأنه ليس من شئون رسالته، فان هذه الآيات وما ماثلها سيقت مساق العبرة وجذب الناس إلى التأمل فى مصنوعات الله وما حوت من صنع بديع وتدبير حكيم يدل على قدرة الخالق وعظمته وجلاله فتكفى فيها الأشارات الوامضة والتنبيهات الخاطفة .

أما مايتعلق بشئون رسالته صلى الله عليه وسلم من بيان الأحكام وشرع الشرائع فلم يدع منها شيئا إلا بينه بيانا شافيا ووضحه توضيحا تطمئن له النفس ولا تجد فيه أدنى حيرة، فالله يقول : « ما فرطنا فى الكتاب من شئ » ويقول : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم » ومن الشرائع التى بينها عليه الصلاة والسلام بيانا يثلج الصدور ويشرح النفوس ولا يدع الحيرة والاضطراب يأخذان سبيلهما إلى القلوب ثبوت الهلال أول كل شهر وبخاصة فى أول شهر رمضان المعظم فقدقال صلى الله عليه وسلم كما رواه البخارى : « لاتصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه » وقال : « الشهر تسع وعشرون ليلة (أى قد يجئ كذلك) فلا تصوموا حتى تروه ، فأن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » وقال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فأن غبى عليكم — وفى رواية : فأن غم عليكم — فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » وهذه الأحاديث واضحة إلى حد البداهة أن الشارع الحكيم ربط ثبوت الشهر برؤية الهلال نفسه لا بوجوده وولادته . ويؤكد هذا المعنى ويجليه قوله : « فأن غم عليكم (أى حال بينكم وبين الهلال غيم كما قال العلماء) فأكملوا شعبان ثلاثين » ولا شك أن فى هذا احتمال وجود القمر فى السماء محجوبا عنا بالغيم ، ولا تثريب علينا فى ذلك فالمشرع الحكيم لم يرد أن يعنتنا ، ولكن ربط الحكم بالظواهر الطبيعية الواضحة الثابتة الموجبة لليقين والطمأنينة فقال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ولكن كثيرا من الناس سهوا — وجل من لا يسهو — فخلطوا بين الرؤية والوجود ، فحاولوا أن يربطوا ثبوت الشهر بمجرد وجود القمر وولادته ، لا برؤيته وابصاره . ولعل قول السيد الأستاذ « اننا نشعر بوجود الله جلت قدرته ولكننا لانراه رأى العين » وقوله : « ان المقصود من إثبات الرؤية هو التأكد التام من وجود الهلال فى السماء » يشهد لذلك .

فلما حاولوا هذه المحاولة وايست بمرادة للشارع أصلا احتاروا وحيروا معهم الهلال ، وما هو بمحتار وحاشا أن يحتار مع قول الناصح الحكيم : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فأن غم فأكملوا » .

وإذن فما علينا فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر إلا أن نرصد القمر ونحشر من الناس من تتطلب رؤيته فى الأفق بكل ما يمكن ، فان رأيناه ثبت الشهر ، وإلا أكملنا العدة ، ولا حيرة أبدا لا فى الأولى ولا فى الثانية . ونحن لا ننازع فى أن الحساب الفلكى برهان ملموس على قدرة الخالق فى توجيه هذه الأجرام السماوية وعلى دقة حركتها كما يقول السيد الأستاذ ، ولكنه حفظه الله يطلب منا ما لا يطلبه معلمنا ومرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يقول : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ولا خلاف فى الواقع بيننا وبين الحساب الفلكى ، ولكنه اتجه ناحية واتجه التشريع ناحية أخرى لا تطغى إحداهما على الأخرى ولا تناقضها . وقد يقول قائل : وماذا تصنع إذا ثبتت الرؤية فى قطر ولم تثبت عندنا كما وقع فى هذا العام ؟ ونقول : وضحها فقهاء الإسلام ولم يهملوها ، فالإمامان مالك وأبوحنيفة رضى الله عنهما يريان أنه لاعبرة باختلاف المطالع ، فاذا ثبتت الرؤية فى قطر من الأقطار وجب الصيام على أهل الأقطار الأخرى ولو تباعدت متى علموا بثبوت الهلال فى ذلك القطر ، والإمام الشافعى رضى الله عنه لا يلغى اختلاف المطالع ، بل يجعل لأهل الأقطار الأخرى أن لا يصوموا لرؤية غيرهم .

وهنا أقول : إذا أردنا أن نوحد يوم الصيام بحيث يكون متحدا فى جميع الأقطار الإسلامية فعلى الحكومات الإسلامية أن يتصل بعضها ببعض فى شهر شعبان من كل عام ، ونحمد الله سبحانه إذ أصبح الاتصال الآن بين الحكومات سهلا بواسطة اللاسلكى والتليفزيون والإذاعة ، وتطلب كل حكومة من الأخرى أن توافيها بثبوت الهلال إذا ثبت لديها ، وعلى الحكومة التى تتلقى ذلك أن تنشره فى ربوع بلادها فيصبح المسلمون فى جميع بقاع الأرض صائمين لربهم طائعين . وإن رأينا أن نمشى مع الإمام الشافعى رضى الله عنه فلا علينا ، فان هذا من يسر الدين وسماحته ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الدين يسر ، ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا » .

ولعلى بهذا أكون قد أذهبت عن الهلال حيرته وجليت وجهه وكشفت عن مكانه بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله الموفق والمسدد ما

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ والإرشاد

حول رحلة وزير الأوقاف

شهادة من الواقع

وإنها لشهادة ينشرح لها الصدر وتقر بها العين وإنها لحرية بالتسجيل وجديرة بالأشادة والتنويه لأنها شهادة من الواقع، لا تحتمل جدلا ولا تشكيكا تلك هي شهادة الأستاذ الباقوري وزير الأوقاف ـ بعد دراسة فاحصة ونظر عميق ـ بمكانة الأزهر في العالم الإسلامي ومكان مصر به في الشعوب الإسلامية .

يقول الأستاذ الباقوري في كلمة له بجريدة الأهرام عن آثار مصر في البلاد التي طوف بها بمناسبة حضوره مؤتمر باندونج : « وجدنا آثار مصر ظاهرة . . . كلمة مصر وأمانيها وآمالها هي كلمة الشرق وأمانيه وآماله . وهذه الألسن التي تنطق العربية في الشرق الأقصى إنما تنتسب إلى مصر وتدين لها بالفضل حيث كان الأزهر هو الذي أطاق لسانها بالفصحى وملأ قلبها بالدين وذلك فضل لا ينكر لهذه الجامعة الخالدة التي لا يقدرها قدرها إلا من طوف في آفاق الشرق والغرب والتقى بمن درسوا في الأزهر وتلقوا مبادئ اللغة والدين ثم عادوا الى بلادهم فكانوا كواكب سارية ونجوما ساطعة في مجتمعاتها وأئمة يهتدى بهم ويستمع إليهم في مجال النظر والرأي » .

الله أكبر .

هذا مكان مصر في العالم الإسلامي ، وهو مكان القيادة والتوجيه ومكانها لا بأهرامها وآثارها ولا بعمرانها وثروتها وإنما مكانها بأزهرها فحسب .

ان عهدنا بالأستاذ الباقوري الأنصاف في الحكم والشجاعة في الرأي . فاذا قال ذلك عن الأزهر فذلك قول الحق لايقرف فيه بالتعصب لمعهده الذي ينتسب إليه ويعتز به وليس من دأبه المداراة والمداهنة فتعزى هذه الشهادة منه إلى مداراة طائفة ومداهنتها فشهادته خالصة لله ولمصر ليس له وراءها غاية إلا تقرير الواقع تنبيها إلى مفاخر مصر وإلى مكانة مصر لتبالغ في صيانتها وتشد من أركانها .

ان رسالة الأزهر أن يقوم على الشريعة الإسلامية واللغة العربية تفهما وتفهيما وتعلما وتعليما .

وهـذه رابطة مصر بالعالم الإسلامى . وقد قام الأزهر بذلك مشكورا عشرة قرون متوالية لاينى ولايفتر فانبعث منه النور إلى أرجاء العالم ، فاستضاء به من شرح الله صدره وفتح للهداية قلبه واستقر فى نفوس المسلمين فضل الأزهر فقدروه وأجلوه وجعلوه منارهم وكعبتهم .

نعم ليس للأزهر رسالة غير القيام على الشريعة الإسلامية واللغة العربية وقـد كان أمينا عليهما حفيا بهما يقوم بنشرهما فى مصر وغـيرها ، وما زعم لنفسه رسالة غير هذه . والشريعة واللغة قـد استقرت قواعـدهما ووضحت معالمهما وليس للأزهر أن يبتدع غير تلك القواعد أو يعدل فيها . والذى فى استطاعته وهو مطالب به إنما هو طريق العرض مجاراة لروح العصر فقـط وما يدور على ألسنة الناس وتجرى به أقلامهم من عبارات جوفاء « بجـمود الأزهر وتخلفه عن ركب الحضارة وعدم مطاوعته لروح العصر » وما إلى ذلك من عبارات انشائية براقة فانما هو كلام الجاهلين لرسالة الأزهر أو الجاحدين فضله والناقمين عليه .

وماذا يطلبه هؤلاء المتحدثون والكاتبون من الأزهر ليساير ركب الحضارة فى زعمهم؟ أيطلبون أن يجعل الأزهريون صلوات المسلمين ثلاثا لا خمسا ؟ أو ينقصوا من مقادير الأموال فى الزكوات ؟ أو يطلبوا من المسلمين أن يحجوا إلى أوربا بدل أن يحجوا إلى الـكعبة وعرفات ؟ أو يجيزوا التعامل بالربا ؟ أو يترخصوا فى تبرج النساء ؟ أو يطلبوا من المسلمين أن يستبدلوا بالعربية الفصحى ــ وهى لغـة القرآن ــ اللغة العامية لغـة الشوارع والغيطان ؟ .

ان العجب ليبلغ منا مبلغه إذ نسمع هذه العبارات أو نقرأها فى الصحف والمجلات .

أيها اللائمون :

ليس للناس على الأزهر إلا أن يبين أحكام الشريعة الإسلامية ، أو يفسر كتاب الله أو يشرح حديث رسوله الـكريم . وما قصر الأزهر فى شئ من ذلك ، وما سمعنا مصريا أو مسلما عدم من يقوم بهذه المهمة ، بل لقد شكا الأزهريون وعاظهم وأئمتهم ومدرسوهم أنهم لايجدون من يستمع إليهم أو يأخذ عنهم إلا قليلا ممن أراد الله له الخير فى دينه ولغته . ان الأزهر غير مطالب بأن يشارك فى اختراع القنبلة الذرية أو يحاول الوصول إلى القمر

أو أن يجمع الطاقة الحرارية من الشمس فاذا ما قصر فى ذلك كان متخلفا عن رسالته ورمى بالجمود واتهم بالبطء والركود .

وليست رسالة الأزهر التى أشرنا إليها بالشئ الهين فى مصر أو غيرها . بل انها لأجل رسالة وأقدس واجب فهى صمام الأمن وسر الاستقرار ، والإنسان بلا دين حيوان شرير أشد خطرا من الحيوان المفترس بحيلته وذكائه وعقله ودهائه ، ولولا وازع الدين فى نفسه لانقلب حال العالم إلى شر مما يجرى فى الغابات والآجام ، ولأكل قويه ضعيفه واستباح بعضه حرمات بعض ، وما شكونا سوء الحال فى مصر إلا ممن أقفرت نفوسهم من سلطان الدين وتعاليم الشريعة ، ولو كانوا فى جمال الطواويس ؛ وعلى فلسفة أفلاطون وسقراط .

إن ما تنعم به مصر من استقرار ، ليس الفضل فيه للقوانين والشرطة والسجون ، وإنما الفضل للدين الذى يقوم عليه الأزهر ، وويل لمصر وويل للعالم وويل للحضارة إذا تخلى الأزهر وتخلت المؤسسات الدينية عن رسالتها وأجدبت النفوس من هداية الدين . على أن الأزهر قد قام إلى جانب رسالته الدينية بواجبه الوطنى ، وحمل لواء النهضة فى فجرها ، واعترفت له الأمة بالزعامة والقيادة والتوجيه ، وعلى منبره دعا الخطباء إلى التحرر والاستقلال ، وبين أعمدته كانت ترسم الخطط لبلوغ الأهداف ، وقد حاولت جماعات أن تزحزح الأزهر عن مكانه فما استقر فى يدها اللواء

وانا لننتظر بعد ما لمس الأستاذ الباقورى من قدر الأزهر فى الشعوب الإسلامية ، وبعد أن أشاد رئيس وزراء الباكستان فى حضرة الرئيس جمال عبد الناصر بفضل الأزهر وقدر الأزهر ، أن تضاعف حكومة الثورة من عنايتها به ليواصل القيام برسالته فى مصر وفى العالم ، ويقوم بواجبه الذى انتدبه الله له ، وكل توفيق يناله الأزهر فى هذه الرسالة ففضله لمصر وفخره لمصر قبل أن يكون للأزهر والأزهريين ما

أبو الوفا المراغى

كلمة الأزهر

فى افتتاح معهد الفيوم الدينى

ألقاها السيد صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش

بسم الله الرحمن الرحيم .

والصلاة والسلام على خير النبيين .

ثم باسم الله وفى ظل الدين والعلم يعلن الأزهر كله — على لسان شيخه الأكبر وعلمائه — عظيم ابتهاجهم باستقبال السيد الرئيس وصحبه وباستقبال حضراتكم جميعا فى حفله اليوم بافتتاح معهد الفيوم .

ويعلن الأزهر — فى غبطة شاملة — أنها مناسبة كريمة كان يتمناها ويرقب فرصتها وسيخلد ذكراها مقرونة بالشكر لكم ويرجو أن يظفر بأمثالها فى عهد طويل يرعى الله فيه رجال الحكم وأبطال الثورة بالتأييد والتوفيق .

سادتى :

فى كل يوم تطالعنا الثورة بمظهر جديد من مظاهر النشاط القومى . وفى كل شأن من شئون مصر نرى لونا طريفا من ألوان الإصلاح المبتكر وأثرا واضحا للحياة الفتية التى انبعثت من معاقل الجيش وسرت فى روح الشعب فهب فى ضوء الثورة ينشد آماله ويصحح أوضاعه ويستأنف عيشا كريما ويصل مجده الغابر بمجده الحديث .

ولقد تهيأ للشعب — فى سرعة من الزمن وفى رعاية الله وإرشاد قواده — أن يجتاز مرحلة فسيحة إلى أهدافه وأن يقطف أزهارا يانعة وثمارا ناضجة مما غرسته يد أبطاله وأن يلمس النجح قريبا فى كل ما يرجو ويبتغى .

وإذا كان الشعب فيما مضى قبل الثورة تعود أن يسمع أكثر مما يرى وأن يتمنى دون أن يظفر فقد عودته الثورة أن يرى قبل أن يسمع وأن يظفر بأكثر مما يتمنى .

وهذا دأب المصلحين فى إخلاص وشأن الصادقين فى جهودهم دون من ولا رياء .

سادتى :

نظرة فى منهج الثورة وما أخذت به تبدى لنا أنها متأسية بتاريخنا الإسلامى وتعيد إلى الأذهان تلك الذكريات الماجدة فى حياة الأمة العربية فقد نشطت ثورتنا إلى كل ناحية من نواحى المجتمع وبذلت جهودا مشكورة فى كل مرفق من مرافق الدولة وما أكثر ما كان فى نواحى المجتمع من ضعف وما كان فى مرافق الدولة من فساد ولكن عين الثورة يقظة لا تركن إلى الغفلة وجهود الثورة موصولة لا تجنح إلى الفتور ، وآثار ذلك بادية لكل ذى عينين .

فاذا جحد فضل الثورة إنسان

فليس يصح فى الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل

وإذا انتقصها حاسد أو قدح فيها سفيه أو غض من شأنها مكابر فلا حيلة لنا مع المبطلين للحق الصراح إلا أن نقول لهم مقالة الشاعر :

ماضر شمس الضحى فى الأفق طالعة ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

سادتى :

العلم والكمال من صفات الله الذاتية ، وقد جرت سنته فى عباده أن يدعوهم إلى التجمل بالعلم والتخلق بالكمال . بل جرت سنته ألا ينهض فرد أو مجتمع إلا من طريق العلم والكمال الخلق . وبقدر ما يأخذ الفرد أو المجتمع من العلم والخلق يكون حظه لنفسه ومقدار نفعه فى الحياة ومرتبته فى الوجود .

هذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وقد قامت ثورة مصر واعية لذلك فكان من همها الأول أن تأخذ بناصر العلم على اختلاف أنواعه وأن توفر أسباب النشاط فى كل ناحية من نواحيه فسلمت البيئة العلمية من عناصر الفساد التى كانت متغلغلة فيها وجاشت موجات العلم زاخرة فى معاهده المتنوعة ، واندفعت إلى المصانع والمزارع وسواها كما ترون أينما كنتم .

هذا — وإنه ليطيب لنا فى هذا الموقف أن نشيد برعاية الثورة للتعليم الدينى إيمانا منها بأن الثقافة الدينية وما يتصل بها هى الدعامة الأولى فى بناء المجتمع الصالح وهى السبيل المأمونة للوصول إلى تكوين الجيل الجديد وهى الوقاية الحديدية من المبادئ الهدامة والنزعات المنحرفة . وغير صحيح أن يتوفر السلام والطمأنينة بين قوم لم يتوفر بينهم دين وخلق وإن تراكم لديهم السلاح وكثرت فيهم الأيدى التى تحمله .

هكذا علم الناس رب الناس : « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين . كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز » .

سادتى :

كان من بوادر العناية المشهودة للثورة بالتعليم الدينى أن يحتضن الأزهر فى ظلها خمسة معاهد رسمية فى عام واحد : من بينها معهد الفيوم الذى نبتهج اليوم بافتتاحه .

والمعاهد الدينيـــة — لا شك — أداة وصل بين دول الشرق كله إذ هى مشارق هداية للعقول ومنافذ نور للشعوب الإسلامية تهتدى بهديها وترشـد بتوجيهها وتعرف من طريقها حق الله وحق الوطن والمواطنين .

ومن غير المعاهد الدينية تكون حياتنا مادية جافة ويسود بيننا التحلـل من الصفات الـكريمة وتغلب علينا الأنانية ويتسع محيطنا للدعوات المنحرفة والمبادئ المشئومة ولا تكون مصر فى وضعها بين الأمم الإسلامية الرائد الروحى والقدوة الحسنة كما شهد لها التاريخ بفضل الأزهر .

إذ بفضل الأزهر والمعاهد يتجه إليها المسلمون اتجاه اكبار ومحبة وتعاطف ومودة .

وإذا كانت الثورة صاحبة فضل فى تعزيز المعاهد الدينية والإكثار منها فان الذين أتاحوا لنـا هذه الفرصة من رجال الفيوم لجديرون بالشـكر وأطيب الثناء فهم نخبة تملكها شعور دينى قـوى وحفزتها غيرة صادقة على أن تخطو الخطوة الأولى فى خدمة الدين والوطن والوفاء بحق الأمة عليهم فبادروا الى انشاء جمعيتهم لتحفيظ القرآن . وهى جمعية مثالية فى نظامها ونشاطها وفى انتاجها .

وبفضل هـــذه النخبة اتسعت خطى الجمعية فـكان من نتائجها ذلك المعهد المبارك الذى يضطلع برسالة الإسلام فى هذا الإقليم والذى هيأ ويهيئ للأجيال من أبنـاء الفيوم أن يكونوا مجموعة خيرة فى صفوف الأمة .

لا أحاول أن أقدر هـــذا الصنيع لأهـله فهو فوق مقدورى. وشـكرهم فـوق طاقتى وفى مقدمتهم رجل الأعمال الحاج محمد سالم ذلك الرجل التقى الذى عرفته الحياة الاقتصادية من خيرة العاملين وله المـآثر المشهودة فى أبواب الـبر بوطنه ومواطنيه . جزى الله الجميع خير ما يجزى المحسنين .

وبهذا المعهد تجدد للفيوم ذكر مأثور فى العلم وخدمة الإسلام فقد كان من هذا الإقليم المرحوم الشيخ عبد الله الفيومى الذى وصل بفضله الى أن تبوأ مشيخة الأزهر كما ينتمى الى هذا الإقليم بصلة وثيقة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الحالى الشيخ عبد الرحمن تاج ، وهذا مجد فسيح يتسع لأهل الفيوم ولأهل أسيوط معا .

وكان من علماء هذا الإقليم المرحوم الشيخ عبد ربه مفتاح وهو أول مدير للوعظ وصاحب اليد المشكورة فى إيجاد هذا القسم بالأزهر والذى هو الصلة بين الأزهر والشعب فى قراه وفى مدنه ويؤدى رسالة الأزهر إلى الناس حيث يقيمون .

سادتى :

ان الدعوة الدينية رسالة الأزهر وهى رسالة كل مسلم يعتز بدينه ويحب الخير لوطنه وكان جميلا مشكورا من نائب الرئيس السيد جمال سالم فى حفلة نجع حمادى أن يدعو الناس الى التمسك بالدين والتأدب بآدابه لخيرهم وخير الوطن .

وهذه كلمات طيبات أرسلها قوية مدوية بطل من أبطال الثورة والأمل أن يكون لها أطيب أثر يرجى ولا أذكركم أنها مبدأ من مبادئ الثورة التى أرسى قواعدها ونفخ فيها من روحه السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

ولا تنسوا يا سادتى أن الدعوة الدينية الصحيحة دعوة الى القوة والى الدين والدنيا جميعا فان الإسلام لا يزهد فى الحياة الدنيا ولا يغض من قدرها وانما يحذر من الفتنة بها والانغماس فى شهواتها وهو فى الوقت نفسه يحثنا على اتخاذ القوة لصيانة الحياة وحماية المجتمع ويستنهضنا الى الكسب من طرقه المشروعة والتمتع بما خلق الله فى الدنيا من الحلال .

ونحن - اذ نرى للثورة يدا مشكورة وصوتا مسموعا فى التوجيه الى الدين وآدابه وفى اقامتها للمساجد فى ثكنات الجيش وفى المصانع وفيما نعلمه عن رجالها من المسالك الحميدة - نود ألا يكون من بين الكتاب من يخرج عن منهج الثورة وينزع الى الأباحية وينشر فى المجلات والصحف كثيرا من الصور الماجنة والأخبار المثيرة والدعوات المنكرة الى الخلاعة وامتداح الرقص ونحوه من الشائنات التى لا تعد دينا ولا خلقا ولا تقليدا يرتضيه طابعنا القومى الشرقى ولا يقام له وزن بين أسباب المدنية الجادة فان ذلك كله مما يقرؤه الفتيان والفتيات ويقرؤه التاجر والصانع وفيه فتنة وانحلال وفيه مقاومة للأهداف الكريمة التى تحرص عليها الثورة وتبتغيها للأمة فى حياتها الجديدة .

وعجيب أن تتسع دعوة الإباحية حتى يستبيح كتابها أن يقولوا فى كل موقف من مواقفهم : ان الإسلام لايمنع ذلك كأن الإسلام قد تنصل من طبيعته الأولى وتقمص نفسية هؤلاء الكتاب .

سادتى :

ان الشعب متدين فى جملته وهو يغار على دينه وخلقه ولا يرضى لهؤلاء الدعاة أن يفتنوه عن دينه أو يسمموا أخلاق بنيه بالترويج لهذه المجانة التى تحدث فى أنفس الشعب غضاضة وتستفز الألسن الى قالة السوء . فليتقوا الله فى أنفسهم وفى مواطنيهم وفى أبنائنا و بناتنا وليتجهوا مع الثورة فيما هى متجهة اليه من الخير للوطن وأهله .

سادتى :

لم تكن الثورة لخصومة شخصية ولا حركة نفعية وانما هى غيرة صادقة على الشعب وايمان بالوطنية وايثار لصالح الأمة وقد اقتضت هذه المعانى السامية أن يقدم رجالها الى ما أقدموا عليه مضحين بالأرواح والأهل والأولاد فكان الله نصيرا لهم وحفيظا عليهم وقد ساروا كما ترون فى طريق غير ملتوية و بعزيمة غير مترددة وأفكار غير رجعية وسرعان ما استردوا للأمة حريتها واستكملوا سيادتها وطهروا أرضها من الدخلاء وخلصوا حكمها من تجار السياسة ومن الطغاة المستبدين ورفهوا عن الطبقات المغلوبة وتقدموا بالأمة جميعها الى الأمام .

فصار من الأمانة الدينية ، ومن الوفاء للمروءة ، ومن حق الوطن على أبنائه جميعا ، أن يلتفوا حول قادة الثورة وقد لمسنا صدقهم وأن يؤازروهم بالتضامن وقد أيقنا باخلاصهم وأن يقاوموا كل شائعة يهمس بها الحانقون فما ضر مصر قديما الا افك الأفاكين وتصديق المخادعين ولنا فى الماضى عبرة والله يهدى الى سواء السبيل .

سادتى :

شرفتم الفيوم بافتتاحكم معهدها الدينى .

حفظ الله مصر من كل سوء وعصمها من المبادىء الهدامة وأيد الله رجال الثورة وأعز الوطن على أيديهم بالدين والأخلاق .

والسلام عليكم ورحمة الله »

من ذكريات الهجرة :

ذات النطاقين

سيدة من فضليات النساء العربيات أشجع نساء الإسلام وأثبتهن جأشا وأعظمهن تربية للولد على الشهامة وعزة النفس والإباء والتضحية فى سبيل العقيدة . نشأت فى بيت من أكرم بيوتات العرب وأشرفها فى الجاهلية . وما أن بزغ فجر الإسلام حتى كان أول بيت استظل بظل الإسلام واستضاء بنوره ، وما زال يستأثر بالفضائل والمكرمات حتى غدا أفضل بيت بعد بيت النبوة تلكم هى السيدة الفاضلة أسماء بنت سيد بنى تيم الصديق أبى بكر وشيخ الإسلام وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار والباذل نفسه وماله فى سبيل الله ورسوله والذى رشحته مآثره المتكاثرة أن يكون أحق المسلمين بالخلافة بعد رسول الله ، فأوثق عروة الاسلام بعد أن كادت تنفصم وأقام دعائم الإسلام بعد أن كادت تتقوض

وأمها السيدة قتلة وقيل قتيلة بنت عبد العزى قرشية من بنى عامر بن لؤى ، تزوجها السيد الجليل أبو بكر فأنجبت له عبد الله وأسماء . ومن اللطائف أن السيدة أسماء وأباها وجدها أبا عتيق وأختها عائشة رضى الله عنها وأخويها عبد الله وعبد الرحمن وزوجها الزبير وولدها عبد الله صحابيون رضوان الله عليهم

اسلامها ونشأتها :

كانت السيدة أسماء ممن أسلم قديما حتى قيل انها أسلمت بعد سبعة عشر انسانا . وقد سرد ابن اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة فعدها منهم وليس هذا بعجيب من ابنة أبى بكر الذى كان أول الناس اسلاما وقال فى شأنه الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله : « ما دعوت أحدا الى الإسلام الا كانت له كبوة وتردد غير أبى بكر » فما أسماء الا غصن من الشجرة الصديقية المباركة وقد كانت أكبر من أختها السيدة عائشة بعشر سنين ولما شبت عن الطوق وبلغت مبلغ النساء الكواعب تزوجت بسيد

من سادات المسلمين وشجعانهم وهو الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ولما هاجر المسلمون الى المدينة وهاجر أبوها الصديق بصحبة رسول الله هاجرت مع آل أبى بكر وهى متم فى ولدها عبد الله بن الزبير وما أن بلغت قباء حتى وضعته فكان أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة ثم ولدت للزبير بعد ذلك عروة والمنذر وكانت أسماء سيدة بيت ماكانت تتأبى — على شرفها ونشأتها فى بيت معروف بالثراء — عن أن ترعى شئون بيت زوجها روى ابن سعد بسنده عن عروة بن الزبير عن أمه أسماء قالت: « تزوجنى الزبير وماله فى الأرض مال ولا مملوك ولا شئ غير فرسه . قالت : فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وكنت أنقل النوى من أرض الزبير . . . الحديث . وفيه : حتى أرسل الى أبو بكر بعد ذلك خادما فكفتنى سياسة الفرس » .

وقد عمرت أسماء عمرا طويلا ومع هذا فلم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل وان كان قد كف بصرها فى آخر عمرها وقد شهدت مقتل ابنها عبد الله بن الزبير وأظهرت من الجلادة والصبر والشجاعة ما ينوء به الأبطال من الرجال كما سنذكر فيما بعد . ولم تلبث بعد قتله الا قليلا حتى لحقت به فى جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وكانت وفاتها فى آخر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين فرضى الله عنها وأرضاها .

المآثر الخالدة :

اذا ذكرت الهجرة وما لابسها من نداء وتضحية ذكر الصديق أبو بكر فى رأس سجل التضحية والفداء وذكر ابنه عبد الله وابنته أسماء ولست الآن بصدد التحدث عن مآثر البيت البكرى فذلك أمر يطول ولكنى سأتناول من هذه المآثر الباقية ما هو من صنيع السيدة أسماء . وأولى هذه المآثر ما يتعلق بتسميتها « ذات النطاقين »(١) ذلك أنه لما أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ذهب الى بيت الصديق ليخبره ففرح فرحا شديدا وقال: « الصحبة يارسول الله » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: « نعم » فلما عزم المهاجران الكريمان على الخروج لم يكن من أهل بيت أبى بكر الا أن جهزهما أحسن الجهاز

(١) النطاقين تثنية نطاق وهو ما تشد به المرأة وسطها . وقيل فيه غير ذلك .

وصنعن لها سفرة ووضعنها فى جراب ولم يكن للجراب وكاء يربط به ويحفظ فما كان من أسماء الا أن شقت نطاقها نصفين فربطت فم الجراب بأحدهما وانتطقت بالآخر فمن ثم سميت « ذات النطاقين » وقيل ان الذى سماها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه قال لها : « أبدلك الله عز وجل بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة » [١] وقيل انها سميت بذات النطاقين لأنها شقت نطاقها نصفين فربطت بأحدهما السفرة وبالآخر السقاء روى ابن سعد بسند صحيح عن أسماء قالت : صنعت سفرة للنبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى بكر حين أراد أن يهاجر الى المدينة فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به فقلت لأبى بكر : ما أجد الا نطاقى قال : شقيه اثنين فاربطى بواحد منهما السقاء وبالآخر السفرة .

والذى ذكره البخارى فى صحيحه فى حديث الهجرة أن قصة شق النطاق انما كانت قبل خروج رسول الله وصاحبه الى الغار والذى ذكره ابن اسحاق أن ذلك كان بعد أن سكن الطلب وخرجا من الغار . والذى يظهر أن رواية البخارى هى الراجحة وفى رواية ابن سعد المذكورة آنفا ما يؤيد ذلك .

ومهما يكن من شئ فقد اشتهرت السيدة أسماء بهذا اللقب الذى ينم عن مأثرة خالدة . وما كان يجول بخاطر انسان أن يأتى يوم يعير فيه ابنها عبد الله بهذا اللقب الكريم من الحجاج بن يوسف الثقفى . ولما نمى اليها ذلك قالت له بلسان المعتزة بفضائلها : « كيف تعيره بذات النطاقين — تعنى ابنها عبد الله — أجل قد كان لى نطاق أغطى به طعام رسول الله من النمل ونطاق لابد منه للنساء » .

ولم تقف مآثر السيدة أسماء عند تجهيز السفرة وشق النطاق بل تابعت المهاجرين الكريمين بالرعاية والعناية فكانت تأتيهما مدة مكثهما فى الغار بما يحتاجان اليه من الطعام . قال ابن اسحاق : « وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها تأتيهما من الطعام اذا أمست بما يصلحهما [٢] وانما يدرك هذا العمل الإنسانى المجيد الذى ينبئ عن الشجاعة والجرأة والاستهانة بالأخطار من يذهب الى غار ثور فى الليل الموحش ويرى ما يعانيه الصاعد

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ترجمة أسماء .
(٢) البداية والنهاية جزء ثالث ص ١٧٩ .

من مشقة وتعب . وأشهد الله لقد ذهبت اليه فى الضحى وكنت فى رفقة من الأصحاب فما بلغناه الا وقد حفيت أقدامنا ونال منا التعب والأعياء . فلله در السيدة أسماء فقد ضربت فى باب التضحية والإقدام مثلا عاليا لا تزال تذكره لها الأجيال بالإعظام والإكبار .

وما كانت حوادث الهجرة لتمر دون أن ينال السيدة أسماء منها أذى واعنات من طاغوت قريش أبى جهل . وسأدع السيدة أسماء تتحدث عن هـذا المشهد المؤلم الذى غاب فيه الرشد والحلم عن هـذا الخبيث فلطم سيدة كريمة من بيت كريم . قالت : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت اليهم فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟ . قالت : قلت لا أدرى والله أين أبى ، قالت فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشا خبيثا ـ فلطم خدى لطمة طار منها قرطى ثم انصرفوا » وقد ذهبت اللطمة وذهب ألمها وبقى الفخار لأسماء مسجلا فى صفحات الخلود .

عقلها وذكاؤها :

وقد كانت أسماء رضى الله عنها مثالا للعقل الراجح والذكاء النادر والقدرة على مواجهة المسائل المحرجة بالحلول التى تحتاج الى عارضة قوية وبداهة حاضرة ؛ روى ابن اسحاق عن السيدة أسماء قالت : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ؛ فانطلق بها معه قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال : والله أنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؛ قالت : كلا يا أبت ؛ أنه قد ترك لنا خيرا كثيرا ؛ قالت : وأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت كان أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت يده فقلت يا أبت ضع يدك على هذا المال ، قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس اذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ؛ وفى هذا بلاغ لكم ؛ ولا والله ما ترك لنا شيئا ؛ ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك » فأى عقل امرأة فى مثل عقل أسماء ؛ وأى تصرف أحسن من هذا التصرف فى مثل هـذا الموقف ثم انظر الى مبلغ علمها بالنفوس وطبائعها الذى ينم عنه قولها : « ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك » وقصة شق النطاق على بساطتها تدل هى الأخرى على سرعة الخاطر عند مواجهة المشكلات

شجاعتها وجهادها :

ولم يقف جهاد السيدة أسماء عند ما بذلته فى الهجرة من تضحية ومخاطرة فى سبيل

رسول الله وصاحبه أبي بكر ، بل امتد هـذا الجهاد الى ما بعد الهجرة بحضورها بعض الغزوات تسق العطشى وتداوى الجرحى وتثير الحمية فى نفوس المهزومين والفارين . وبحسبها فضلا أنها حضرت مع زوجها وابنها عبد الله واقعة من مواقع الإسلام الفاصلة وهى اليرموك وقد كان من سياسة القادة فى هذه الملحمة أن أحضروا بعض النساء المشهورات بالإقدام والشجاعة وجعلوهن من وراء الجيش ، وكان مما قاله لهن أبو سفيان رضى الله عنه وهو قاص الجيش الإسلامى ومذكره : « من رأيتنه فارا فاضربنه بهـذه الأحجار والعصى حتى يرجع » .

وقد كان لهذه السياسة الحكيمة أثرها ، فما فر أحد الا واستقبلنه ورددنه الى صفوف المقاتلين ، فلا عجب أن انتصر أربعون ألفا من المسلمين على مائتى ألف أو يزيدون من الروم .

أما شجاعتها الأدبية والنفسية فأمرها عجب ، والحديث عنها مستعذب ، ومواقفها فى هذا المضمار مواقف مشرفة ، ولو لم يكن من أمرها الا حثها ابنها عبد الله على الثبات والصبر والموت شريفا فى سبيل العقيدة والحـق الذى يدين به لكفى ، ذلك أنه لما حاصر الحجاج ابن الزبير بمكة وضيق عليه الخناق بدأ أتباعه ينصرفون عنه ويطلبون من الحجاج الأمان ، واستفحل الأمر حتى لم يبق مع ابن الزبير الا القليل ، فدخل عبد الله ابن الزبير — وهو الشجاع الذى يتطاير عنه الأبطال عند اللقاء — على أمه أسماء فشكا اليها خذلان الناس له وخروجهم الى الحجاج ، حتى أولاده وأهله ، وأنه لم يبق معه الا اليسير ، ولم يبق لهم صبر ساعة ، وقال لها : ان القوم يعطوننى ما شئت من الدنيا ، فما رأيك ؟؟ موقف محرج حقا يدعو الى اليأس من النصر والأشارة بالاستسلام وطلب الأمان ، والمساومة على أكبر قسط من المغانم ولا سيما من أم رؤوم ، ولـكن السيدة أسماء أخلفت ما كان يظن من مثلها فى هذا الموقف ، فقالت : « يا بنى ، أنت أعلم ان كنت تعلم أنك على حق وتدعو الى حق فاصبر عليه ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بنى أمية ، وان كنت تعلم أنك انما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت ، أهلـكت نفسك ، وأهلكت من قتل معك ، وان كنت على حق فما وهن الدين ، والى كم خلودك فى الدنيا ؟ » فدنا منها فقبل رأسها وقال : هذا — والله — رأيى ، ولـكنى أحببت أن أعلم رأيك ، فزدتنى بصيرة مع بصيرتى (١) » وبعد أن تحدث بنعمة الله عليه وطلب من أمه التجلد والتسلى خرج الى القتال فكان آخر عهده بالحياة ، فقد قتل شهيدا ثم صلب ، ولم

---

(١) البداية والنهاية جزء ثامن ص ٣٣٠

يزل مصلوبا حتى أمر عبد الملك بأنزاله من الخشبة . وتسمو السيدة أسماء فى شجاعتها فتواجه الحجاج بما يكره . روى أنها دخلت على الحجاج بعد أن صلب ابنها فقالت له : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ قال : المنافق ؟ قالت : لا والله ما كان منافقا بل كان صواما قواما قال : اذهبي فأنك عجوز قد خرفت فقالت : لا والله ماخرفت ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج فى ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه (١) وأما المبير فأنت هو » . وتسمو فى صبرها وتجلدها حينما دخل عليها عبد الله ابن عمر فقال معزيا : « ان هذا الجسد ليس بشئ ، وانما الأرواح عند الله فاتقى الله واصبرى فقالت : وما يمنعنى من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغى من بغايا بنى اسرائيل » .

روايتها الحديث :

وتجمع السيدة أسماء الى شرف الصحبة شرف الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روت عنه عدة أحاديث فى الصحيحين والسنن . قال الخزرجى فى الخلاصة : لها ستة وخمسون حديثا اتفق البخارى ومسلم على أربعة عشر منها وانفرد البخارى بأربعة ومسلم بمثلها وروى عنها ابناها عبد الله وعروة وأحفادها وعبد الله بن كيسان مولاها وابن عباس ووهب بن كيسان وغيرهم .

« وبعد » فهذه سيرة السيدة أسماء بنت الصديق أنموذج حى لما ينبغى أن تكون عليه المرأة المسلمة فى عقيدتها وشجاعتها ومجاهرتها بالحق وحسن تبعلها لزوجها والقيام على تربية أولادها ومحافظتها على شرفها وعفافها فهى نعم القدوة لكل امرأة مسلمة تنشد الكمال والحق والخير وان فى سيرتها وسيرة مثيلاتها لمتسعا للقول والكتابة والخطابة فما بال نسائنا المسلمات المتعلمات لا يعرفن الا شهيرات الغرب ولا يكدن يكتبن أو يتحدثن عن شهيرات النساء فى الإسلام الا قليلا مع أن فى الإسلام من النساء الكوامل ولا سيما فى الصدر الأول مالا يوجد فى أمة من الأمم . ولو أن موقفا من مواقف السيدة أسماء وقفته امرأة من نساء الغرب لحظيت بالثناء والأكبار من الكثيرين منا ولتحدث عنها المتحدثون والمتحدثات وأطنبوا فى الحديث .

فسلام الله عليك أيتها السيدة أسماء يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعثين فى عداد الكاملات من النساء ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

(١) تعنى المختار بن عبيد الثقفى .

الاجتهاد والتقليد

أفضنا الحديث فى مقالتنا السابقة بذكر شروط الاجتهاد التى هى مفتاح بابه واذن الدخول فى ساحته والتجول فى أطرافه ونواحيه الفسيحة المديدة الأرجاء المتشعبة الفجاج وهى الميزان الفاصل الذى يعرف به من ثقل علمه ورجحت كفته ونضج عقله واكتملت مؤهلاته كما يعرف به من خفت موازينه ونقصت مؤهلاته العلميــة فلا يطوح به الغرور ولا يتسلط عليه الوهم ولا يداعب خياله حب الشهرة والظهور فيسلك نفسه فى سلك المجتهدين ويضع قدمه على سلم الاجتهاد ويتسم بسيما أهل العلم الذين أراد الله بهم خيرا ففقههم فى الدين وأنار بصائرهم بضياء الحق والعرفان « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

ورغبة منا فى أن يأخذ البحث مداه وتبلغ الإحاطة به مبلغ ارواء الغلة وانثلاج صدور المحبين للحق المستشرفين للالمام بالقواعد الشرعية وخصوصا فى المسائل الدقيقة التى قل أن تطرق فى أنهر المجلات والصحف رأينا أن نخص مجلتنا هذه وهى المنبر العام الذى يفصح عن الآراء الإسلامية فى كل وقت وفى كل مناسبة بهذا البحث ، فمن المهم جدا أن نبين مدى الاجتهاد فى الأصول الدينية ومداه فى الفروع الفقهية وآراء العلماء فى تصويب المجتهدين فى المسائل الأصولية والفرعية وخير كتاب نفزع اليه فى هذا الموضوع كتاب : (الملل والنحل) للشهرستانى . وهاكم ما قاله فى هــذا الموضوع : « ثم اختلف أهــل الأصول فى تصويب المجتهدين فى الأصول والفروع فعامة أهل الأصول على أن الناظر فى المسائل الأصولية والأحكام العقلية اليقينية القطعية يجب أن يكون متعين الإصابة فالمصيب فيها واحد بعينه ولا يجوز أن يختلف المختلفان فى حكم عقلى حقيقة الاختلاف بالنفى والإثبات على شرط التقابل المذكور بحيث ينفى أحــدهما ما يثبته الآخر بعينه من الوجــه الذى يثبته فى الوقت الذى يثبته إلا وأن يقتسما الصدق والكذب والحق والباطل سواء كان الاختلاف بين أهــل الأصول فى الإسلام أو بين أهــل الإسلام و أهل الملل والنحل الخارجة عن الإسلام فان المختلف فيه لا يحتمل توارد الصدق والكذب والصواب والخطأ عليه فى حالة واحدة وهو مثل قول أحد المخبرين : زيد فى هذه الدار فى هذه الساعة وقول

الثانى : ليس زيد فى هذه الدار فى هذه الساعة فانا نعلم قطعا أن أحد المخبرين صادق والآخر كاذب لأن المخبر عنه لا يحتمل اجتماع الحـالتين فيه معا فيـكون زيد فى الدار ولا يكون فى الدار . . .

ثم قال : وقـد صار أبو الحسن العنبرى الى أن كل مجتهد ناظر فى الأصول مصيب لأنه أدى ما كلف به من المبالغة فى تسديد النظر فى المنظور فيه وان كان متعينا نفيا واثباتا الا أنه أصاب من وجه وانما ذكر هذا فى الإسلاميين من الفرق .

وأما الخارجون عن الملة فقد تضافرت النصوص والاجماع على كفرهم وخطأهم . وكان سياق مذهبه يقتضى تصويب كل مجتهد على الاطلاق الا أن النصوص والاجماع صدته عن تصويب كل مناظر وتصديق كل قائل . وللأصوليين خلاف فى تكفير أهل الأهواء مع قطعهم بأن المصيب واحد بعينه لأن التـكفير حكم شرعى والتصويب حكم عقلى . فمن مبالغ متعصب لمذهبه كفر وضال مخالفه ومن متساهل متألف لم يكفر، ومن كفر قرن كل مذهب ومقاله بمقالة واحد من أهل الأهـواء والملل كتقرين القدرية بالمجوس وتقرين المشبهة باليهود وتقرين الرافضة بالنصارى وأجرى حكم هؤلاء فيهم من المناكحـة وأكل الذبيحة . ومن تساهل ولم يكفر قضى بالتضليل وحكم بأنهم هلـكى فى الآخرة . واختلفوا فى اللعن على حسب اختلافهم فى التكفير والتضليل . وأما المجتهدون فى الفروع فاختلفوا فى الأحكام الشرعية من الحلال والحرام ومواقع الاختلاف مظان غلبات الظنون بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها .

وانمـا يبتنى ذلك على أصل . وهو أنا نبحث هل لله تعالى حكم فى كل حادثة أم لا؟

فمن الأصوليين من صار الى أن لا حكم لله تعـالى فى الوقائع المجتهد فيها حكما بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر وحلال وحرام وانما حكمه تعـالى ما أدى اليه اجتهاد المجتهد ، وأن هذا الحكم منوط بهذا السبب فما لم يوجد السبب لم يثبت الحكم خصوصا على مذهب من قال : « ان الجواز والحظر لا يرجعان الى صفات فى الذات وانمـا هى راجعة الى أقوال الشارع : افعل . لا تفعل » .

وعلى هذا المذهب كل مجتهد مصيب فى الحـكم ومن الأصوليين من صار الى أن لله تعالى فى كل حادثة حكما بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر بل وفى كل حركة يتحرك بهـا

الإنسان حكم تكليف من تحليل وتحريم وانما يرتاده المجتهد بالطلب والاجتهاد اذ الطلب لابد له من مطلوب والاجتهاد يجب أن يكون من شئ الى شئ فالطلب المرسل لا يعقل ولهذا يتردد المجتهد بين النصوص والظواهر والعمومات وبين المسائل المجمع عليها فيطلب الرابطة المعنوية أو التقريب من حيث الأحكام والصور حتى يثبت فى المجتهد فيه مثل ما يلفيه فى المتفق عليه ولو لم يكن له مطلوب معين كيف يصح منه الطلب على هذا الوجه . فعلى هذا المذهب المصيب واحد من المجتهدين فى الحكم المطلوب وان كان الثانى معذورا نوع عذر اذ لم يقصر فى الاجتهاد .

ثم هل يتعين المصيب أم لا ؟ .

أكثرهم على أنه لا يتعين فالمصيب واحد لا بعينه . ومن الأصوليين من فصل الأمر فيه فقال : ينظر فى المجتهد فيه فان كانت مخالفة النص ظاهرة فى واحد من المجتهدين فهو المخطئ بعينه خطأ لا يبلغ تضليلا ، والمتمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب بعينه وان لم تكن مخالفة النص ظاهرة فلم يكن مخطئا بعينه بل كل واحد منهما مصيب فى اجتهاده وأحدهما مصيب فى الحكم لا بعينه اهـ

عبد الله مصطفى المراغى

المفتش بالأزهر

بين الافراط والتفريط

زمان كله لحب وضوضا	وأهلوه بحب الذات مرضى
تمدن جاهل فأتى فريا	وأعرض جامد فانحط أرضا
فلا هـذا بعهد الله أوفى	ولا ذا شرعة الاسلام أرضى
تراوح أمرنا ما بين غال	ورجعى يرى فى البسط قبضا
فلا الافراط أجدانا فتيلا	ولا التفريط للخيرات أفضى

محمد حسن النجمى

الاشهر الحرم

غبر العرب دهرا يترسمون خطى نبيهم الأول اسماعيل عليه السلام ويتبعون سنته تؤلف بين قلوبهم شريعة سمحة وينير لهم الطريق دين قويم فيحرمون ماحرم الله عليهم ويحلون ما أحل لهم فلما لعبت بهم الأهواء وغلبت عليهم شقوتهم تفرقت بهم السبل وعميت عليهم معالم الهدى والرشاد وظلوا - الا قليلا منهم - سادرين فى غواياتهم عامهين فى ضلالاتهم حتى أشرقت عليهم شمس جديدة وجاءهم من الله هدى وشفاء فأخرجهم من الظلمات الى النور وطهر نفوسهم من أوضار وأقذار رانت عليها زمنا طويلا .

وكان مما خرجوا فيه عن دين ابراهيم وشريعة اسماعيل عليهما السلام أن عبدوا غير الله واتخذوا من الأوثان والأصنام وغيرها أربابا ثم حرموا حلالا وأحلوا حراما وبحروا البحيرة ووصلوا الوصيلة وسيبوا السائبة وحموا الحامى (١) وبدلوا فى الأشهر الحرم فجعلوا حرامها حلالا وحلالها حراما وكان الذى تولى كبر هذه الضلالات - على ما يذكر المؤرخون - عمرو بن لحى الخزاعى .

والأشهر الحرم أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثم رجب جعل الله فيها منافع لهم فى أمر دينهم ودنياهم يحجون فى ذى الحجة ويعتمرون فى رجب ويأمنون على أنفسهم وأموالهم حيث يلقون السلاح ويتركون الغزو والأخذ بالثأر حتى كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا تحدثه نفسه أن يثأر منه . وقد أوجز القرآن الكريم كل هذه المنافع فى كلمات قليلة وذلك قول الله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وقد جاء فى تفسير القرطبي عند شرح هذه الآية ما ملخصه : خلق الله الخلق على سليقة الآدمية من التحاسد والتنافس والتقاطع والتدابر والسلب والغارة والقتل والثأر فلم يكن بد فى الحكمة الإلهية والمشيئة الأزلية من كاف يدوم معه الحال فكان الخليفة ولما كان الخليفة لاتصل يده الى

(١) انظر كتاب بلوغ الأرب ج ٣ ص ٣٤ وكتب التفسير عند قوله تعالى : « ما جعل الله من بحيرة . . . الآية » .

كل موضع جعل لهم البيت الحرام وأوقع فى نفوسهم هيبته وعظم بينهم حرمته فكان من لجأ اليه معصوما وكان من اضطهد محميا بالسكون فيه ولما كان البيت الحرام موضعا مخصوصا لا يدركه كل مظلوم ولا يناله كل خائف شرع لهم تحريم أربعة أشهر فى العام .

وذو الحجة شهر الحج منذ عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام وذو القعدة وسيلة اليه . والمحرم منصرف الناس من الحج ، أما رجب فكانت فيه العمرة ـ كما سبق ـ ولرجب مكانة عظيمة عند العرب ، ولا سيما مضر حتى نسب اليها فقيل : (رجب مضر) وذلك أنهم كانوا يعظمونه أشد التعظيم ، فى حين كانت ربيعة تعظم رمضان وتسميه رجبا ولذلك جاء فى الحديث الشريف تحديد دقيق لرجب الأصيل فقال الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يعدد الأشهر الحرم : « ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » وكان بعض العرب يصومون شهر رجب وأكثرهم كانوا يعظمون ـ بخاصة ـ أول يوم فيه حتى لكانوا يصلحون فى هذا اليوم بين المتخاصمين .

وقد عظم الله هذه الأشهر ولله ـ سبحانه ـ أن يعظم من الأمكنة والأزمنة والناس ما يشاء وفى مثل ذلك يقول الشاعر :

هو الحظ حتى تفضل العين أختها وحتى يصير اليوم لليوم سيدا

ولعظم هذه الأشهر رأى بعض العلماء أن الذنب فيها أكبر من الذنب فى غيرها . قال قتادة : إن الظلم فى الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها . . . ورأى الشافعى والأوزاعى أن تغلظ الدية فيها على من قتل خطأ فتكون دية وثلثا وروى ذلك عن القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وابن شهاب وهم فى الفقه ماهم ومن رأى الشافعى أن تغلظ الدية فى النفس وفى الجراح فى الشهر الحرام والبيت الحرام وذوى الرحم .

ومن تعظيمها أن الله قد خصها بالذكر ونهى عن الظلم فيها والظلم منهى عنه فى كل زمان ، وحرم القتال فيها وحكم عليه حين وقع من المؤمنين بأنه كبير وجعل النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا وكذلك وردت هذه المعانى فى الحديث النبوى الكريم .

وقد التمس بعض الكاتبين لأسماء هذه الأشهر العربية مناسبات . كما ذكر بعض آخر

مناسبات أخر . ومن هذه المناسبات ـ على سبيل المثل ـ أن المحرم سمى بهذا الاسم لأنهم كانوا يغيرون فاتفق أن أغاروا فيه فلم يفلحوا فحرموا فيه القتال فسموه محرما وأن الربيعين سميا بذلك لأنه اتفق وقت التسمية أن جاءا فى زمن الخصب وكذلك رمضان اشتقوا له اسما من الرمضاء وهى شدة الحر وواضح أن التعليل فى تسمية المحرم غير مستقيم لأن تحريم القتال فيه شرع ورثوه عن اسماعيل عليه السلام واذا جرينا على أن هذه الأسماء وضعها كلاب بن مرة وكان ذلك قبل الإسلام بقرنين تقريبا فاننا نجد فى أسماء الأشهر التى كانت مستعملة قبل ذلك عللا مناسبة فذو الحجة سمى بذلك لأن فيه الحج وكان قديما يسمى بركا لأن الإبل تبرك فيه اذا حضرت المنحر ورجب سمى بذلك لأن الترجيب التعظيم وكان يسمى (الأصم) لأنه لم يكن يسمع فيه صوت سلاح ولا صوت مستغيث وكان يسمى أيضا (الفرد) لعزلته عن الأشهر الحرم ومن أسماء أشهرهم القديمة البائد وهو اسم لجمادى الثانية وكانوا يكثرون فيه من الغزو وأخذ الثارات فيبيد فيه عدد كبير ومن ذلك جاء المثل : (العجب كل العجب بين جمادى ورجب) .

أما النسئ فله فى اللغة تفسيران :

(١) نسأت الشئ أنسؤه فهو منسوء ونسىء ، ورجل ناسئ ، وقوم نسأة ، كل ذلك يعطى معنى التأخير ، ومن هنا جاء فى القاموس أن النسىء شهر كانت تؤخره العرب فى الجاهلية .

(٢) قال الطبرى : النسىء معناه الزيادة ، يقال نسأ ينسأ إذا زاد ، ومن ذلك نسأ الله فى أجلك ، كما تقول زاد فى أجلك .

وأصحاب القول الأول يقولون نسأ الله فى أجلك وأنسأ الله أجلك أى أخر الله أجلك ويذكرون قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من سره النساء فى الأجل والسعة فى الرزق فليصل رحمه » قال أبو على القالى : والنساء : التأخير ، يقال بعته بنساء وبنسيئة بتأخير وأنسأته البيع (١) .

وعلى كل من هذين المعنيين اللغويين ورد تفسير للنسىء عند العرب ، فقوم يقولون : إن معناه إحلال شهر وتحريم آخر مكانه ، وذكروا فى ذلك أن العرب كانوا إذا صدروا

---

(١) الأمالى : ج ١ ص ٤

ـن منى يقوم من بنى كنانة رجل يقال له القلمس فيقول : أنا الذى لا يرد لى (١) قضاء ، فيقولون : أنسئنا شهرا فيحل لهم المحرم .

ويذكر قتادة أنهم عمدوا إلى صفر فزادوه فى الأشهر الحرم ، وقرنوه بالمحرم فى التحريم فتكون الأشهر الحرم خمسة .

وقد فسر النسىء بالكبس الذى استعمله العبرانيون فى سنتهم القمرية ، يضيفون على رأس كل ثلاث سنين شهرا لتكون السنة قمرية شمسية بحيث لا يكون الشهر العربى إلا فى فصل معين ، وممن قال بالكبس أبو معشر الفلكى المتوفى سنة ٢٧٢ هـ وتابعه البيرونى والمسعودى فى مروج الذهب قال : « وقد كانت العرب فى الجاهلية تكبس فى كل ثلاث سنين شهرا ، وتسميه النسىء » وعبارة أبى معشر جامعة ولذلك أنقل جزءا منها « وأما العرب فى الجاهلية فكانوا يستعملون سنى القمر برؤية الأهلة كما يفعله أهل الإسلام ، وكانوا يحجون فى العاشر من ذى الحجة ، وكان لا يقع هذا الوقت فى فصل واحد من فصول السنة بل يختلف فمرة يقع فى زمان الصيف ومرة فى زمان الشتاء ومرة فى الفصلين الباقيين لما يقع بين سنى الشمس والقمر من التفاضل فأرادوا أن يكون وقت حجهم موافقا لأوقات تجاراتهم حيث يكون الهواء معتدلا فى الحر والبرد مع توريق الأشجار ونبات الكلأ ليسهل عليهم المسافرة إلى مكة ، ويتجروا بها مع قضاء مناسكهم ، فتعلموا عمل الكبيسة من اليهود ، وسموه النسىء أى التأخير ؛ إلا أنهم خالفوا اليهود فى بعض أعمالهم لأن اليهود كانوا يكبسون تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى تصير تسع عشرة شمسية ، والعرب تكبس أربعا وعشرين سنة قمرية باثنى عشر شهرا قمرية . . . » ثم يذكر كيف كان القلمس يقوم خطيبا فى الحج وينسئ المحرم ، ولا يعده فى الشهور الاثنى عشر ، ويجعل صفرا أول شهور السنة ، ويفعل مثل ذلك كل سنتين ، حتى يعود الحج فى ذى الحجة بعد خمس وعشرين سنة ، ويذكر أن الحج وقع فى سنة الهجرة فى رجب ، وفى عام الفتح فى ذى القعدة ، ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فى ذى الحجة فى السنة العاشرة من الهجرة ، وفى كلام البيرونى أن هذا النسىء كان قبل الإسلام بقريب من مائتى سنة .

وقد ناقش العالم المشهور محمود باشا الفلكى فى رسالة له صغيرة سماها (نتائج الأفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام) هذه المسائل مناقشة دقيقة و وصل إلى بعض النتائج الهامة

(١) يتمسك كثيرون بأن الصواب أن يقول (له) ولكن شواهد ذلك غير قليلة .

فيما يتعلق بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وهجرته[١] ووفاته ، وخالف مؤرخي العرب رأيهم في النسيء ، وأكد أن العرب لم يعرفوا في الحساب غير السنة القمرية المحضة .

ولكن كلامه في هذا لا يخلو من اضطراب ، فقد ذكر في أول الرسالة أن مؤرخي العرب أجمعوا على أن الوثنيين من العرب كانوا يحسبون أوقاتهم بالسنة القمرية الشمسية وأن ظواهر عبارات المفسرين وشراح الحديث الشريف وأئمة اللغة وكتاب السيرة تفيد أن العرب لم يستعملوا البتة سوى السنين القمرية المبهمة ، وهذا غير صحيح فإن من أئمة المفسرين من فسر النسيء بالكبس ، وذكر أن العرب كانوا يستعملونه ، وكذلك ذكره ابن حجر في فتح الباري ثم اضطرب أيضا في تحديد هؤلاء الذين كانوا يستعملون السنة القمرية وفي المدة التي استعملت فيها ، فذكر أولا أنهم أهل مكة ، ثم زاد عليهم في موضع آخر أهل المدينة ، ثم ذكر أخيرا أنهم العرب عامة ، وأما عن المدة فقد ذكر أن هذا الاستعمال كان قبل الهجرة بخمسين سنة ، ثم عاد ليقول إن ذلك كان قبل الهجرة بنحو قرن من الزمان وأخيرا يعمم فيقول : إن العرب لم يستعملوا غير التاريخ القمري قبل الإسلام و بعده .

وقد علل ذلك الشيخ محمد الخضري في كتابه (تاريخ الأمم الإسلامية) بأن النسيء بالتفسير المشهور — إحلال شهر وتحريم آخر مكانه — نتيجة هوى نفس وتلاعب بما كانوا يسمونه دينا وشريعة . وهذه الأهواء جديرة عندهم بمثل هذا الذم ، أما التفسير الآخر (الكبس) فلا يعدو أن يكون نظاما ثابتا انتهجوه لبقاء الأشهر العربية متفقة مع دورة الشمس ومثل هذا ليس فيه الإحلال عاما والتحريم عاما لمواطأة عدة ما حرم الله ، وإنما هو نظام ثابت لا يكون مجالا لتلاعب النسأة بدينهم .

وهذا كلام غير صحيح أيضا ، وذلك أن الكبس — أولا — زيادة في الشهور ، وقد ردت الآية عليهم ذلك ، فأكدت أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، فالزيادة عليها ضلال يستحق الذم ، وثانيا أن الزيادة في عدد الشهور ، أو زيادة أيام على السنة ، ينشأ عنه تغيير مواضع الشهور ، ومن ثم

---

(١) حقق أن دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان في يوم الاثنين ثامن ربيع الأول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م ؛ وأن مولده كان في ٩ من ربيع الأول الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ م .

يتغير زمن الحج ، وذلك واضح فى عبارات أبى معشر السابقة ، وفى قول إياس بن معاوية « كان المشركون يحسبون السنة اثنى عشر شهرا وخمسة عشر يوما فكان الحج يكون فى رمضان وفى ذى القعدة وفى كل شهر من السنة بحكم استدارة الشهر بزيادة الخمسة عشر يوما » .

أما النسأة فقد اختلفوا فيهم اختلافا كبيرا ، فمنهم من ذكر أن أول من نسأ الشهور عمرو بن لحى الخزاعى ، ومنهم من أسند ذلك إلى القلمس وهو رجل من كنانة وأكثر عبارات المؤلفين على ذلك ، وقد ورد اسمه مقرونا بالنسىء (ومنا ناسئ الشهر القلمس) ولا أرى تعارضا فى هذه الأقوال ، فقد يكون عمرو ابتدأ هذه البدعة ، ثم قام بعده ناسئون شهروا بذلك ، وقد كانت العرب تقر بالرياسة لمن ينسأ لهم الشهور وكان قوم الناسئ يفتخرون بهذا العمل ومن أشعارهم :

ألسنا الناسئين على معد شهورهم الحرام إلى الحليل

وقول عمير بن قيس بن جندل الطعان ، وتنسب للكميت :

لقد علمت معد أن قومى كرام الناس إن لهم كراما
ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما
فأى الناس لم ندرك بوتر وأى الناس لم نعلك لجاما

وبعد : فخير ما نختم به قول الله تبارك وتعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين ، إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين » .

على العمارى

مؤمنة جاهدت[1] ...

المنظر الأول

« حجرة فى بيت متواضع . قليلة الأثاث . يرفع الستار عن فتاة فى حوالى العشرين من عمرها . طويلة الشعر . متحجبة . تغزل شيئا فى يدها . يدخل عليها أخوها وعليه آثار الاهتمام والعزم » .

أميمة : مرحبا بالشقيق العزيز والأخ الغالى ، ما وراءك من أنباء الجهاد يا أعز الأشقاء ؟ ! .

عامر : لقد بدأت المعركة بين المسلمين والكافرين وهى الآن على أشدها وقد أخذ العلماء والوعاظ يحثون الشباب على الخروج إلى الجهاد فى سبيل الله والوطن .

أميمة : وماذا اعتزمت أنت وإخوتك ؟ ألا يكون لأسرتنا لواء صدق بين المجاهدين ؟ .

عامر : حياك الله يا أميمة ، لأنت نعم المؤمنة بالله الواثقة بنصر الله . سأخرج أنا وأشقائى الثلاثة حسام وناصر وعز الدين إلى ساحة الكفاح .

أميمة : (باضطراب) أنتم الأربعة وأبقى هنا وحدى ؟ ... فليكن فأنى صابرة . ولكن من الذى يرعى شئونى يا عامر ، وقد استأثرت رحمة الله بالأم والوالد ؟ .

(١) مستوحاة من روح حادثة تاريخية .

« يدخل إخوتها الثلاثة وقد سمعوا جملتها الأخيرة »

حسام : يرعى شئونك رب السموات العلى يا أميمة . فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

أميمة : آمنت بالله رب العالمين . صانكم الله فى مغداكم ومآبكم وأعز كلمة الإسلام والأوطان بشجاعتكم . وردكم إلى أختكم المحبة لكم سالمين .

عز الدين : أو كتب لنا الشهادة فى سبيله لنموت غانمين والله خير الوارثين .

ناصر : صدقت يا عز الدين ، فذلك منتهى الفوز المؤمنين : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

عامر : لا يشغلنكم الحديث عن الاستعداد للرحيل فان الوقت كالسيف إن لم نقطعه قطعنا .

عز الدين : (متحمسا) وبنا والله شوق إلى أن نريق دماء أولئك الطغاة الباغين الذين استحلوا بلادنا ، وأكثروا فيها الفساد .

حسام : سيصب ربك عليهم سوط العذاب عما قريب . فلا تكن من الآسفين .

أميمة : وأنا يا أشقائى أليس لى من نصيب فى هذا الجهاد؟ ألا أستطيع أن أؤدى قسطا من الواجب فى المعركة ؟ !

ناصر : إن الله قد وضع عن المرأة الجهاد ، وأمرها أن تلزم بيتها إلا عند الضرورة القصوى ؛ لأنها تنشأ فى الحلية وتضعف عن النضال . وأما نحن الرجال فلنا الحرب والطعان ، ومنازلة الأقران فى ساحة الميدان ؛ وصدق الشاعر حين قال :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

عامر : لا لا يا ناصر ، لا تقل هذا فأن النساء شقائق الرجال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف . ولقـــد جاهدت فتيات وسيدات فى الصـــدر الأول وكانت كتيبة النساء فى الغزوات تتبع كتيبة الرجال .

عز الدين : لـكن النساء لم يزدن فى هـذه الغزوات يا عامر على أن كن فى الخطوط الخلفية من المعركة بعيدا عن ساحـة الوغى وكان عملهن مقصورا على حراسة المتاع وتضميد الجرحى وتمريض المرضى وإمداد المقاتلين بالماء والغذاء . . على أن المؤرخين يذكرون أن تلك المعاونات من النساء كانت فى الغزوات الأولى التى قل فيها عـدد الرجال من المسلمين ، وكان البلاء فيها شديدا من الـكافرين على المؤمنين فلما أغنى الله عباده بعددهم وعدتهم لم يروا أنفسهم فى ضرورة تلجئهم إلى الاستعانة بالنساء فى ميدان محفوف بالمخـاطر والأهوال .

أميمة : أمعنى هذا أن تظل المرأة قطعـة من الأثاث فى البيت لا تحرك ساكنا ، ولا تؤدى واجبا ، بينما يحترق إخوتها بنار الجهاد فى سبيل العقيدة والوطن ؟! .

حسام : مهلا مهلا يا زينة الفتيات ودرة الحرائر ، ومن قال إن المرأة فى الإسلام تـكون كما تقولين ؟ . بل للمرأة فى الجهاد دور لا يقل شأنا أو خطرا عن دور الرجال .

أميمة : (متلهفة) وما هو يا أخى ؟ . .

حسام : لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلفه بخير فى أهله فقد غزا » . . . وتستطيع المرأة المسلمة إذا أرادت أن تقوم بنصيبها فى الجهاد أن تخيط للمجاهدين الثياب ، وتنسج الخيام ، وتعد الشراب والطعام ، وتجهز الأدوية والأدوات ، وترعى أسر الشهداء ، وتعنى بتربية أولاد المجاهدين ، وتتنافس مع أخواتها فى تقديم الهدايا التى يتنافس عليها المجاهدون وإليها يتسابقون . . .

أميمة : (متفـكرة) حقا إنه لمجهود عظيم ، يؤثر فى نتيجة المعركة تأثيرا بليغا ، ومن غيرنا لهؤلاء المشغولين فى المعركة ، يهيئ حاجاتهم ، ويرعى أولادهم وعائلاتهم ؟ ! .

عامر : وماذا يكون الحال إذا دهم العدو أرضنا ، وأصبحت المعركة عامة والنصر شاملا ؟ ! . . .

عز الدين : ذلك وضع شاذله حكمه الخاص ، يخرج فيه الجميع للدفاع عن الحمى ، رجالا ونساء شيبا وشبانا ، ونسأل الله أن يحفظ بلادنا وملتنا من التعرض له .

أميمة : أعاهدكم يا أشقائى أن أبذل فى سبيل الله جهدى . وأن أعمل ما فى طاقتى لمساعدة المجاهدين من المؤمنين .

حسام : رعاك الله يا أميمة . وكتب لنا النصر المبين .

عز الدين : لقد تأخرنا . والوقت يمر سريعا . هيا يا أميمة . أحضرى لنا متاعنا وزادنا . إلى اللقاء فى مهرجان النصر أو يوم يلتقى الشهداء فى ساحة العرض الأكبر . . .

« ستار »

المنظر الثانى : « أميمة فى حجرتها »

أميمة : (تناجى نفسها) يا إلهى ، ما أشد مرارة الفراق . لقد ذهب الأخوة الأعزاء الأربعة يجاهدون فى سبيل الله ، ومن قبلهم ذهب أبى وأمى إلى رحمة الله ، وبقيت هاهنا منفردة تقتلنى آلام الوحدة والوحشة ، وتعصرنى خطرات الوهم والارتياب ، ولقد مضت أسابيع دون نبأ يأتينى عما فعل الأشقاء ، فياهول ما ألاقى ! . . . ولكن . . . ما هذا الضعف يا أميمة ! . . . إن إخوتك قد مضوا إلى أكرم غرض وأشرف غاية ، إنهم رحلوا ليرفعوا لواء عقيدة عز بها الوجود ويرضوا ربا هو رحمن الدنيا والآخرة وليدفعوا عنا عار السبى وذل الأسر وقيد الهوان . . . إذن فلأحتمل فى سبيل الله ما ألاقى ، والله لا يضيع أجر العاملين .

« طارق يطرق عليها الباب »

أميمة : من الطارق ؟ .

الطارق : أنا جندى من جنود الإسلام فى المعركة الدائرة بين المؤمنين والفاسقين . أأنت الفتاة المؤمنة الصالحة أميمة ؟ ! .

أميمة : نعم يا سيدى . فكيف حال إخوتى ؟ .

الطارق : أكرمهم الله أكثر من سواهم ، فآثرهم برحمته ورضوانه ، فاختارهم إلى جواره شهداء وما عند الله خير وأبقى .

أميمة : (فزعة) إخوتى ؟ . . . الأربعة ؟ ! (تبكى)

الطارق : تذكرى ياأختاه قول الله عز فى علاه : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » فاسترجعى ، واحتسبيهم عند ربك واصبرى . . .

أميمة : إنا لله وإنا إليه راجعون . . . اللهم ألهمنى الصبر ولا تحرمنى الأجر . . . ولكن . . . أماتوا الأربعة معاً ؟ ... عز الدين وحسام وعامر وناصر ؟ ! .

الطارق : ومن قال إنهم ماتوا ؟ . . إنهم أحياء يا أختاه ، فى خير حياة ، فى جنة عرضها السموات والأرض ؛ وصدق العلى الكبير : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

أميمة : نعم . . نعم إنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، اللهم إنى جعلتهم عندك ذخرى يوم الحساب .

الطارق : هل من حاجة أقضيها لك يا أختاه قبل عودتى إلى الميدان ؟ ! .

أميمة : لا وشكر الله لك وجزاك خيراً ، وكتب لكم النصر على الأعداء .

« يذهب » .

أميمة (لنفسها) : وماذا أصنع الآن ؟ . . وأين قبور إخوتى منى لأروى أجداثهم بدموعى ؟ . . لا بل أين سلاحهم لأحمله مجاهدة فى سبيل ربى ودينى ؟ وما هو الآن مصيرى ؟ .

« تسمع طرقات على الباب »

أميمة : من الطارق ؟ .

صوت فتاة : افتحى يا أميمة . . إنى أسماء ، ومعى لمياء .

أميمة : مرحبا مرحبا بخيرة الأتراب وزينة العذارى . . مرحبا بالصديقتين العزيزتين ، والجارتين الوفيتين .

« تفتح لهما فتدخلان وهما فى غاية الاحتشام فتلاحظان أساها »

أسماء : ما بك اليوم يا أميمة ؟.

أميمة : لاشيء يا أختاه . .

أسماء : لاشيء !! (باستغراب) وكيف وهذا لونك الغض أصابه الشحوب ، وعيناك النجلاوان فيهما بقايا الدموع ، وهذا عودك الرطب تشمله الرجفة ؟ .

لمياء : خبرينا بربك يا أميمة ، ماذا هناك ؟ .

أميمة : إن إخوتى الأربعة قد استشهدوا جميعا فى سبيل الله .

أسماء : (بلهفة) ومن أنبأك ؟ وهل عاد المجاهدون ؟.

أميمة : جاءنى اليوم رسول من الميدان وأخبرنى بذلك .

لمياء : ياللفاجعة . . الأربعة جميعا ماتوا بلا استثناء ياهول الكارثة ! .

أسماء : أخطأت التعبير يالمياء ... ما هكذا يكون حديث المؤمنة ، بل قولى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله على ماقضى وقدر ، ونعمت الشهادة للأبرار . .

لمياء : وماذا ستصنعين يا أميمة وأنت وحيدة ؟ . .

أسماء : وكيف تبقى أميمة وحدها هنا ؟ . . يجب أن تنتقل مع واحدة منا لتخرج من هذه الوحدة القاسية ، ولتلق شيئا من الراحة والرعاية بين أهلينا .

أميمة : شكراً لك يا أسماء ، فكم من قليل كان خيراً من كثير ، وليس الفقر فى المال ولكن الفقر فى الإيمان والعزائم ، ورحم الله أختنا الأولى يوم قالت :

لبيت تخفق الأرواح فيه	أحب إلى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى	أحب إلى من لبس الشفوف
وأكل كسيرة فى جنب بيتى	أحب إلى من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج	أحب إلى من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دونى	أحب إلى من قط ألوف
خشونة عيشتى فى العز أشهى	إلى نفسى من العيش الظريف
فما أبغى سوى وطنى بديلا	فحسبى ذاك من وطن شريف

لمياء : إنا لنرجو لك يا أميمة جميل الصبر وحسن العوض وجزيل الثواب ، فاصبرى يا أختاه وصابرى ، فإن الله مع الصابرين ، وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

أميمة : لقد ساقكما الله إلى حين أردتكما ، ولو لم تحضرا لسعيت إليكما ، وما حاجتى إليكما للبكاء أو العزاء ، ولكن للبحث فيما نستطيع أن نقدمه للمعركة الدائرة بين المؤمنين والباغين .

أسماء : نعمت الفكرة ؛ أما أنا فعندى عقد ثمين من اللؤلؤ ، سأبيعه وأبعث بثمنه إلى المجاهدين ليزيدوا به فى السلاح . . .

لمياء : وأما أنا فلأبى من تجارته الواسعة ما يجعلنى أطمع فى تبرعه بجانب مما يحتاج إليه المجاهدون من زاد وثياب ...

أميمة : (بتفجع) أما أنا ... أما أنا فلا لؤلؤ عندى ، وليس لى أب يدير تجارة ؛ فماذا أصنع ؟ ماذا أصنع يا رباه ؟ ...

أسماء : لا تقولى هكذا يا أميمة ، فنحن كلنا أخوات ، ونستطيع أن نقدم هذه الأشياء بأسمائنا جميعا .

أميمة : لا لا ... لن أرتضى ذلك ... رباه ، ألا تهىء لى شيئا أشترك به فى المعركة ؟ (تفكر قليلا) ... اسمعن يا أخواتى ... (تمر بيدها على شعرها الطويل المسترسل) إن طائفة من الجبناء قد تخلفوا فى المدينة عن شهود المعركة ...

لمياء : نعم ، ولقد سمعت أن إمام المسجد الجامع قد خطب فيهم خطبة نارية ، وحثهم على الجهاد ، فاستجاب له القليل ...

أميمة : قد لاحت لى فكرة ... سأقص شعرى الطويل المسترسل ، وأضفر منه ضفيرة ، أقدمها إلى ذلك الإمام العظيم ، ليجعلها هدية لمن يسبق إلى الجهاد من هؤلاء المتخلفين ، فيتخذ منها لجاما لفرسه فى الميدان ...

أسماء : يا لها من فكرة رائعة ، فيها جمال وجلال وسمو معنى ...

أميمة : إذن فلأنفذها ... أين المقص ؟ ... (تفتش عنه حتى تعثر عليه وتبدأ فى قص شعرها) ... اللهم تقبل منى وارفع عملى القليل فى أعمال المخلصين ...

لميـاء : يا للخسارة ... ذهب بهاء الشعر حين قطع وأصبح بلا فائدة ...

أسماء : بل كل الفائدة يا لميـاء ... إن هذه الشعرات ستفعل فعل النار فى الهشيم حينما يراها الجنود ، ويعلمون أنها من فتاة مسلمة ، وسيتنافس عليها الجميع ، ولن يفوز بها إلا خيرة الأبطال منهم ...

لميـاء : (متفكرة) إذن لماذا لا نقتدى يا أسماء بما فعلت أميمة ، حتى يكون اشتراكنا فى المعاونة حقا وصدقا ؟ ... فلنقطع شعورنا كما فعلت أميمة ، ولنضفر منها الضفائر ، ولنرسلها إلى ذلك الإمام ...

أسماء : فلنفعل ... وفى سبيل الله يهون الفداء ...

(تجلسان لقطع شعرهما ، ويرخى الستار)

« المنظر الثـالث »

« جنديان مسلمان أمام خيمة حربية على مقربة من الميدان »

مسلمة : أرأيت يا عمار كيف أتم الله النصر على المؤمنين ، « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » ؟ ! . . .

عمار : أتذكر يا مسلمة السبب الذى أدى إلى ذلك النصر المبين ؟

مسلمة : نعم إحكام الخطة من القائد ، وإخلاص الجنود فى التنفيذ .

عمار : لا لا يا صاحبى . . . ليس هـذا هو السبب ، وإن تكن له قيمته وجلاله ؛ إن السبب هو ضفيرة فتاة ، وخطبة إمام فى مسجد .

مسلمة : وى يا عمار . . . لقـد ذكرتنى ما كنت ناسيا ، ذكرتنى ذلك الموقف المزلزل الذى وقفه إمامنا العظيم فى المسجد الجامع ، ولا زلت ـ والله ـ أذكر كلماته التى قالها ، وهو يندد بضعفنا وتخاذلنا ، ويعرض علينا صورا من بطولات أجدادنا ، ويدعونا إلى أن نعيش أعزاء أو نموت شهداء .

عمار : بل الأشـد من ذلك تأثيرا صعوده المنبر ، وفوق كتفيه الضفائر ، والهم العميق القاتل يبدو على وجهه ، والدموع تتحير فى عينيه ، والنـاس حائرون لا يدرون حقيقة ما هناك .

مسلمة : ثم قص علينا قصة الفتاة المؤمنة الصابرة أميمة ، وكيف استشهد إخوتها الأربعة وكيف جزت مع صديقتيها أسماء ولمياء شعورهن وقدمنها إليه ضفائر ليقدمها لجا إلى خيول الجنود والفرسان .

عمار : وأقسم لك يا صاحبي ، لقد أحسست حين ألقى هذه الضفائر فوق الجموع وهو غاضب ثائر أنها حراب مؤلمة تشك جنوب الحاضرين ، وتحيي فيهم نخوة الرجولية الراكدة ، وتذكرهم بأنهم رجال بلحى وشوارب ، وليسوا نساء بضفائر وذوائب ، فكيف قعدوا مع الخوالف ، وتقاعسوا عن الجهاد . أو كأنها سيوف بتارة تقطع رقاب الخائنين ، وتوقد الشجاعة فى صدور المتقهقرين . فإما أن يتقدموا وإما أن يكونوا نساء . . . فخرجنا فزعين مكبرين ، وسارعنا إلى المعركة مجاهدين . فأعز الله بنا كلمة الدين ، وكتب لنا النصر المبين .

مسلمة : بل الأعجب من هذا فى صنع الله أن إخوة أميمة الأربعة لم يموتوا كما قيل ، بل رأيناهم فى المعركة يجاهدون ، وكانوا كالأعلام بين الأبطال ، ما مال الجيش يمينا أو شمالا إلا وكانوا أسبق الناس إلى القتال ، وأحرصهم على الشهادة أو الانتصار .

عمار : إنها ستكون بلا شك فرحة كبرى لأميمة حين يبلغها خبر النصر ونجاة إخوتها معا .

« يدخل إخوة أميمة الأربعة »

حسام : السلام عليكما .

مسلمة : وعليكم السلام ورحمة الله ، مرحبا بأبطال النضال ، وفرسان الطعان .

عمار : أهلا أهلا بعمار وحسام وناصر وعز الدين . أهلا بمن أعز الله بهم وبأختهم الفاضلة المؤمنة شأن الإسلام والمسلمين .

عز الدين : شكرا لكما . . هيا هيا . . . إن مواكب المنتصرين بفضل الله تتأهب للعودة إلى الحى ، لتنال قسطها من الراحة ، بعد أن أدت واجبها فى ساح الكرامة والشرف .

مسلمة : الفضل فى ذلك لأختكم الصابرة وإمام المسجد العظيم .

عامر : بل الفضل لكرام المجاهدين الذين باعوا الدنيا بالدين .

ناصر : بل الفضل كله لله رب العالمين ...

حسام : نعم ، فقد قال وهو أصدق القائلين : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » ...

« ستار »

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

لا ... يا دكتور طه !

طويل إلى حد الاملال !

« وهـذا كلام ، وسيظل كلاما ما لم أتعرض له ، فإذا تعرضت له تغير وجهه ، لو كان وجه النهار لا سود » .

« الرافعى »

١ — عاد الدكتور الفاضل طه حسين إلى تأكيد حق الخطأ مرة أخرى وكأنه يشير بهذه المعاودة الملحة إلى تأكيد مشروعية خطئه هو فى الدفاع عن قضية غير رابحة ، فقد تفضل وأملى من باريس مقالا طويلا (١) تبلغ عدة كلماته ألفى كلمة تقريبا ، يشرح ويقرر به مقاله الأول الذى أثبتنا نقضه ، وقبل أن نشرع فى نقض هذا المقال الثانى ونكشف عن مآخذه نقدم للدكتور الفاضل شكراً خالصا على أنه أخذ بنصيحتنا السابقة له ، أن يلتزم الحدود العلمية ، ولا يتخطاها إلى موضوعات السياسة ، ولا يجعل الحكومة طرفا ثالثا فى نزاع علمى فقهى ، وكذلك فعل فى هذه المقالة الثانية .

فعلى قدر ما طوف فى أرجاء الكلام وأبدأ وأعاد ، وكرر وأفاض ، لم يمس موضوعات السياسة من قريب أو بعيد - كما فعل فى المرة الأولى - وهذه محمدة نشكرها له ، فكان - حفظه الله - من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولم يكن - عافاه الله - من الذين تأخذهم العزة بالإثم .

٢ — يلاحظ القارئ أولا على مقال الدكتور الكبير أنه طويل إلى حد الإملال حتى ليخيل لمن ينظرون الأمور نظرا عابرا أن الدكتور أرهق قلمه بغير ثمن ، ولكن الغرض البعيد الذى يرمى إليه كاتب ذكى متمرس بنضال القلم ، هو أن يصنع من هذا المقال المختلط الذى تحتشد فيه النصوص بالآراء بالمواعظ ، والمغالطات بالمغامز ، دوامة

---

[١] نشرته جريدة الجمهورية .

شديدة الدوران على نفسها ، ليغرق فيها ذهن القارىء ويشرده عن موضوع المناظرة ، فلا يخرج بعد قراءة المقال ، أو من دوامة المقال بشىء محدود ، ولا بفكرة مشخصة ، ويكون قد نسى موضع الحق من موضع الباطل . وإنما حسبه أن يكون قد حفظ أن الدكتور طه حسين قد كتب وأطنب فى مناقشة مناظريه ، وهذا ما يريده الدكتور ، لا يريد أكثر منه ، فإن تمحيص الحقائق ليس بذى بال عنده بالقياس إلى رواج اسمه فى نظر القارىء العادى ، وهذه خلة قديمة معروفة فى خلق الدكتور الأستاذ . ذكر رجل من زملائه — على عهد المجاورة بالجامع الأزهر — وهو لا يزال بحمد الله على قيد الحياة ومن أصدقائه ، قال : كان الدكتور طه ينقد أدب المنفلوطى ، فناقشته فى هذا النقد فى مسألة نحوية ، كان يخطىء المنفلوطى فيها بغير حق ، فلما تبين له خطؤه وأجابه المنفلوطى من خلال المناقشة ، لم يكترث وقال لى : « ومن يعرف مثل هذا الكلام الذى تقول ! ؟ » .

هذا هو مبدأ الدكتور ، لا يعنيه تمحيص المسائل العلمية أو هداية الناس إلى وجه الحق فيها ، وإنما يعنيه الرواج عند القارىء العادى بأى وسيلة ، حتى ولو بخداعه والتشويش على فكره ، وإغراقه فى دوامة من الكلام الكثير المختلط الأنواع المتشابك المسالك ، يضل فيه طريق الصواب . وإلا فقد كان يمكنه اختصار مقاله « الآنى » هذا إلى مقدار النصف .

ويلاحظ ثانيا أنه بدأ مقاله بوعظ طويل ، وتقسيمات عن موضوع الخطأ وأنواع المخطئين ، لا تمت للموضوع بصلة ، وأكثر من ذكر الآيات والشواهد المماثلة بما هو أليق بمقام الوعظ ، لا مقام الجدل الذى يعتمد الإيجاز والتركيز وإصابة الهدف قدر ما أمكن ، وهو إمعان منه فى المعنى الذى أشرنا إليه ، وأيضا ليشعر القارىء أنه عارف بالقرآن والسنة ومسائل الدين ، فيتمهد له بذلك أن يدعى لنفسه فيما بعد أنه أهل للاجتهاد ، وأنه ثقة فى الفقه كما لوح بذلك فى الثلث الأخير من مقاله « الآنى » . فقد قلنا له فى سابق ردنا عليه أن علم الشيخ بخيت فى الشريعة لا يزيد عن علم طه حسين ، وأن هذا المقدار لا يصحح لصاحبه حق الاجتهاد وهو أعلى مراتب الكفاية الفقهية ، فجاء الدكتور طه فى مقاله الثانى وقال : إن الشيخ بخيت أهل للاجتهاد ، وهى طريقة لطيفة فى إثبات الاجتهاد لنفسه ، فإذا كان علمهما بالشريعة على مقدار واحد ، وأحدهما وهو الأستاذ بخيت مجتهد ، فليكن صاحبه الدكتور طه حسين مجتهدا أيضا .

ويلاحظ ثالثا أن الدكتور الفاضل لم يأت فى مقاله الثانى بشىء جديد يختلف عما ورد

ذكره بمقاله الأول إلا فى ثلاث مسائل : مسألة النقل عن الزمخشرى وابن حزم فيما زعم أنه سابقة لفتوى الشيخ بخيت ، فهذه واحدة . ومسألة تحديد معنى الاجتهاد ، فهذه الثانية . والمسألة التى جعل موضوعها حاجة الناس للإطعام دون حاجة الله للصـــوم ، فهذه هى المسألة الثالثة .

وفيما عدا هذه المسائل الثلاث فقد كان مكررا لما سبق ذكره فى مقاله الأول ورددنا عليه ، فقد عاد - مثلا - إلى مسألة التيسير ورفع الحرج ، وكنا رددنا عليه بأن العمل بهذا المبدأ مشروط بعدم مصادمته للتكليف ، كما عاد إلى القول بعدم مؤاخذة المجتهد على الخطأ فى اجتهاده ، وكنا رددناه أيضا بأن ما وقع من صاحب الفتوى ابتداع لا اجتهاد ، والعهد بالسلف زجرهم لأهل البدع ومؤاخذتهم عليها ، إلى آخر ذلك مما لا نعود إليه . هذه ملاحظات عامة . ولنأخذ معك فى نقد المسائل الجديدة نقدا مباشرا .

٣ — (١) وما جزعت لشىء فى مقال الدكتور الكبير كجزعى على أن ينقل عن الزمخشرى وابن حزم نقلا تكذبه النصوص المثبتة فى كتبهما ، وما أحسب عالما فى الدنيا تواتيه الجرأة على أن ينسب لبعض الأئمة الظاهرين الذين تدرس كتبهم وتشتهر آراؤهم - وهى مطبوعة متداولة فى متناول كل يد وتحت نظر كل قارىء - آراء مبدلة ويطلع بها على الناس كأنما يفترض فيما يفعل أن جميع الناس جهلاء أو مخدرون .

وإليك كلام الدكتور بنصه ، ثم التعقيب عليه بالنصوص المكذبة له من كلام العلماء الذين يستشهد بهم ، قال الدكتور :

« قرأ - أى الشيخ بخيت - قول الله عز وجل : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » وفهم من هذه الآية ما فهمه بعض المفسرين القدماء ، ومنهم الزمخشرى : من أن الذين يجدون المشقة فى الصوم يستطيعون أن يفطروا وأن يفتدوا من ذلك بإطعام مسكين » وقال فى موضع آخر من مقاله : « وأغرب ما فى هذه القصة أن صاحب تلك المقالة فى الصوم لم يبتكر شيئا ولم يقل جديداً ، وإنما سبقه علماء من المسلمين إلى مثل هذا الرأى وقد سبقه إلى رأيه من الفقهاء القدماء - الذين لا يكفرهم الأزهريون - جماعة أذكر منهم ابن حزم ، ولست أعرف أن الزمخشرى حوكم على تفسيره ، لهذه الآية الكريمة ، ولا أن ابن حزم قد حوكم على إباحة الإفطار والفدية لمن وجد المشقة فى الصوم »

هذا ما ينقله الدكتور طه حسين عن الزمخشرى وابن حزم ، وقد صوره بلفظه بالصورة التى تطابق هواه وتشد رأيه ، متجاوزا كل حد للأمانة العلمية ، فاقرأ ما يقوله الزمخشرى ج ١ ص ٨٨ : « وعلى الذين يطيقونه فدية ، وعلى المطيقين للصوم الذين لا عذر بهم إن أفطروا فدية طعام مسكين . وكان ذلك فى بدء الإسلام ، فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم ، فرخص لهم فى الإفطار والفدية » . ولاحظ أن كلمة « فى بدء الإسلام » التى استعملها الزمخشرى اصطلاح أصولى معناه أن الحكم المتحدث عنه كان فى بدء التشريع ثم نسخ . فيكون مدلول كلام الزمخشرى أن الله رخص لمن يقدرون على الصوم الذين لا عذر بهم أن يفطروا - إذا شاءوا - بشرط فدية طعام مسكين ، وأن ذلك الحكم كان فى أول الإسلام ثم نسخ . ومدلول كلام الدكتور المثبت آنفا منسوبا للزمخشرى ، أن الله رخص لمن يجدون مشقة فى الصوم أن يفطروا بشرط الفدية ، وأن ذلك الحكم باق من بدء التشريع ، ولم ينسخ ، فوقع الغلط والتحريف بين كلام الزمخشرى وكلام الدكتور فى موضعين : أولهما أن كلام الزمخشرى لم يقيد إلا بطاقة بعذر « المطيقين للصوم الذين لا عذر بهم » وأن الدكتور قيد الإطاقة للصوم بعذر المشقة « الذين يجدون المشقة فى الصوم » وثانيهما أن الزمخشرى جعل هذا الحكم منسوخا ، فحرفه الدكتور عن موضعه فأسقط قيد النسخ ، وجعله محكما .

ويتضح تحريف الدكتور وغلطه أكثر عند عرض كلام ابن حزم ، فإنه يجىء مفصلا ، قال ابن حزم فى المحلى ج ٦ ص ٢٤٨ « ..... لأن نص الآية كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين . فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ، الآية ، وإنما نزلت هذه الآية فى حال الصوم المنسوخة ، وذلك أنه كان الحكم فى أول نزول صوم رمضان أن من شاء صامه ومن شاء أفطره وأطعم مكان كل يوم مسكينا ، وكان الصوم أفضل ، هذا نص الآية . وبهذا جاءت السنن . عن سلمة بن الأكوع قال : كنا فى رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى نزلت هذه الآية : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » يعنى

فنسختها . كما صرح بلفظة النسخ فى موضع آخر ، قال : كان من أراد أن يفطر ويفتدى حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها .

وبهذا التفصيل فى كلام ابن حزم ينكشف لك بعض الإجمال الذى سبق فى كلام الزمخشرى ، على أن ابن حزم قد ردد أمر هذا النسخ فى كتابه الإحكام فى أصول الأحكام ج ٤ ص ٨٠ .

« . . . وأحوال الصيام ثلاثة أحوال : فكان عاشوراء فرضا ، ثم نسخ فرضه بصيام رمضان بشرط أن من شاء صام ، ومن شاء أطعم مسكينا وأفطر هو ، ثم نسخ ذلك بإيجاب الصوم على الحاضر المطيق الصحيح البالغ العاقل .

فانظر إلى أى مدى يضيف الدكتور إلى العلماء ما لم يقولوه ، فبينما يتشخص رأى ابن حزم - بعد حكاية النسخ - بإيجاب الصوم على الحاضر المطيق الصحيح البالغ العاقل . وأن هذا هو الحكم المستمر فى الأمة ؛ نرى الدكتور يقول : « وقد سبقه إلى رأيه من الفقهاء القدماء الذين لا يكفرهم الأزهريون جماعة أذكر من بينهم ابن حزم » .

فهل ترون أيها الناس أن كلام ابن حزم وقد قرأتموه هو ماينسبه إليه الدكتور طه حسين حقا وصدقا ، أم أن الدكتور الذى بلغ أعلى قمة المجد الأدبى ، يتورط فيما لا يقبله على كرامته واحد من أوساط العلماء !

(ب) وقد أراد الدكتور الأستاذ أن يشكك فى تحديد مدلول الاجتهاد تشكيكا يدل على شدة عناده فى تعمد المغالطة وإرادة التشويش على ذهن القارىء الذى ليس له إلف بهذه المباحث . كأن أمر الاجتهاد الذى تناوله المسلمون عمليا منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكتب فيه علماء الأصول منذ أوائل القرن الثالث لليوم لايزال مجهلا على المسلمين ، لايعرفون الداخل فيه من الخارج منه ، فنزلة الاجتهاد هذه شىء غامض غير محدد ، ولا واضح الأعلام ، وليس يستطيع أحد من شيوخنا فى الأزهر أن يحدد لنا منزلة الاجتهاد هذه ، ولا أن يبين لنا متى يبلغها الناس ، ومتى يقصرون عن بلوغها » .

ونقول له : إننا لا نمنع أن يكون معنى الاجتهاد غامضا غير محدد فى ذهن الدكتور ، وكان الواجب عليه بناء على ذلك ، ألا يعترض على منع « صاحبه » عن بلوغ منزلة المجتهدين

« ولا يقال إن ذلك الأستاذ لم يبلغ منزلة الاجتهاد ، فإن الحكم ببلوغ إنسان منزلة الاجتهاد أو عدم بلوغه إياها ، يأتى متفرعاً على وضوح وتحديد معنى الاجتهاد فى ذهن الشخص المتصدى لمثل هذا الحكم . على أن الاجتهاد وهو مسألة أصولية تناولها بالكتابة والدرس آلاف العلماء ليست هى المسألة التى يمكن أن تظل غامضة غير محددة المعنى ولا واضحة الأعلام ، ونستطيع أن نلتفت إلى أى طالب من السنة الثالثة من كلية الحقوق حيث يدرسون هنالك مقررا فى أصول الفقه لنسأله فيما أشكل على الدكتور الكبير ، فسوف يجيبنا عن تعريف الاجتهاد ، وشروطه ، وأنواعه ، ومراتبه ، ومتى يصح أن يبلغ الفقيه منزلة الاجتهاد ومتى يقصر به الطالب عن ذلك ، عما يريح الدكتور طه من تعب المناقشة والجدل .

(ج) والدكتور الفاضل الذى لم تتحدد فى ذهنه منزلة الاجتهاد ، أو لم يستطع أن يراها محددة فى كلام الفقهاء ، يعلن علينا فقها جديدا وأصولا جديدة فى العبادات « والله ليس فى حاجة إلى صيام الصائمين . والمساكين من الناس فى حاجة أشد الحاجة إلى أن يطعمهم القادرون على إطعامهم ، مؤثرين للصدقة ، أو مفتدين بها من الصوم » .

قال الله تعالى : « فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون » ، والله يعلم أكثر مما يعلم الدكتور طه بحاجات عباده ، وقد فرض عليهم الصوم ولم يقبل من الصائمين إذا أفطروا الفدية وهم قادرون على الصوم . وليس للمعقول مدخل فى باب العبادات ، والصوم عبادة . والأصل فى مشروعية التكاليف كلها — كما قرر أبو إسحاق « فى الموافقات » — أن يدخل العبد فى مقام العبودية لله اختياراً ، كما دخل بحكم خلقه وتكوينه فى هذه العبودية اضطراراً ، فإدخال المكلفين بواسطة الأمر والنهى فى مقام العبودية مقصد عام من مقاصد الشريعة ، والنزاع فى هذه القضية نزاع فى الشريعة كلها ، لأن الكلام فى هذه القضايا يدور على أساس الاعتراف بأصل الشريعة والتصديق بها كما يجب أن يكون معلوما .

ولو تمشينا مع منطق الدكتور فى حاجة الفقراء إلى الصدقة دون حاجة الله إلى الصوم لوجب أن نبطل الصوم إبطالا عاما عن جميع القادرين على الفدية ، وقلما يعدم أحد قدرة على الفدية فينهدم ركن الصوم . ويمكن أن يقال - وفق منطق الدكتور الفقهى - أن الصلاة كالصوم ، تقع حاجة الفقراء إلى الاستبدال بها أشد من حاجة الله إليها لا سيما وقد ورد

فى الفقه فيمن مات وعليه صلوات ـ فى حال حياته ـ أن يكفر ورثته عن كل صلاة نصف صاع ، فهذا الحكم مرشح لجواز الفدية عن الصلاة قياساً لحال الحياة على حال الموت ، وقياساً لركن الصلاة على ركن الصوم ، فتزول الصلاة أيضاً ، ويمكن أيضاً قياس الحج على الصوم بل هو أقرب لأنه عبادة بدنية مالية والمعاوضات فى الجنس الواحد أشبه وأقرب قياساً فنستغنى عن الحج أيضاً ، ولم يبق من أركان الإسلام الخمسة إلا الزكاة والشهادتان . . أما الزكاة فهى مصروفة إلى الفقراء بحكم وضعها ، وأما الشهادتان فلا ندرى هل نخرجهما على الأصل الفقهى للدكتور طه حسين القائم على ترجيح حاجة الفقراء إلى بدل العبادة عن حاجة الله للعبادة نفسها ، فنبيعهما على الله بما يسد حاجة الفقراء ، أم نبقيهما لأنهما الأصل والأصل لا يجوز الاستبدال به .

هذا هو منطق الدكتور الفقهى ، ولو جاريناه عليه لأبطلنا الشريعة كلها ، والسبب فى هذا كله من الدكتور وكثير غيره هو تحكيم المعقول فيما لا سبيل فيه لغير النص والبلاغ عن صاحب الشرع .

٤ ـــ أما بعد ـ فقد تفضل علينا الدكتور فى آخر مقاله بتلاوة قول الله تعالى : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » وقوله : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ونقول لأستاذنا الدكتور : إن استعمال هذه الآيات ليس على إطلاقه ولا يصح من كل أحـــد ، بدليل ما رواه أحمد والطبرانى من قوله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتى اثنتان : القرآن ، واللبن . فأما القرآن فيتعلمه المنافقون ليجادلوا به المؤمنين ، وأما اللبن فيتبعون الريف ، يتبعون الشهوات ويتركون الصلوات » وما روى عن عمر بن الخطاب « ثلاث يهدمن الدين : زلة العالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون » . فهذه النصوص وكثير غيرها تخصص من صحة استعمال الآيات التى تفضل الدكتور علينا بتلاوتها فلعله يكون من المقتصدين ؟

محمد سعاد جلال

حاصل على العالمية من درجة أستاذ
فى الفقه والأصول ومدرس بالأزهر

قرار مجلس التأديب

لأعضاء هيئة التدريس بكليات الجامع الأزهر

في قضية التأديب رقم ١ سنة ١٩٥٥ - ضد الشيخ عبد الحميد بخيت

لمحاكمته تأديبيا على ما جاء فى مقاله « إباحة الفطر فى رمضان وشروطه »

نشرنا فى الجزء الماضى (ذى القعدة ١٣٧٤) القرار الصادر من السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بإحالة الشيخ عبد الحميد بخيت الذى كان مدرسا بكلية أصول الدين على مجلس التأديب المنصوص عنه فى المادة ٤٥ من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ لمحاكمته تأديبياً على ما جاء فى مقاله « إباحة الفطر فى رمضان وشروطه » الذى نشر له فى العدد ٨٩٥ من جريدة الأخبار الصادر فى ١٦ من رمضان لسنة ١٣٧٤ لما فيه من المخالفات الصريحة لأحكام الصوم التى تكاد تكون معلومة من الدين الإسلامى بالضرورة .

وفى ١٤ من شهر ذى القعدة انعقدت جلسة مجلس التأديب برئاسة فضيلة وكيل الجامع الأزهر ، وقامت بمهمتها ، وأصدرت قرار التأديب فى ٢١ صفحة كبيرة ، ونحن نقتصر منه على العنصر الموضوعى وهو الجانب العلمى من القرار وهذا نصه :

ان المدعى عليه لم يجادل فى أن هذا المقال قد صدر منه ، وأنه هو الذى طلب نشره بجريدة الأخبار . وبالرجوع إلى قرار إحالة الشيخ عبد الحميد بخيت إلى مجلس التأديب يتضح أن التهم الموجهة ضده هى :

أولا - قوله فى مقاله موضوع المحاكمة : ومن هنا رخص الله فى الإفطار لمن يؤذيهم الصوم ولو قليلا من الأذى .

ثانيا - وقوله : فمن يشق عليه الصوم أو يضايقه فإن له أن يفطر ويطعم كل يوم مسكينا فإن لم يجد فلا جناح عليه أن يفطر ولا يطعم .

ثالثاً — ومنها أنه يدعو المفطرين لعذر إلى المجاهرة بالإفطار ، مع أن الشريعة ندبت من كان له عذر فى الإفطار ألا يجاهر الناس بالفطر حرصا على حرمة الشهر واحتراما للتقاليد الدينية وشعور الصائمين .

رابعاً — ومنها تضليل عامة الناس بذكر الأحاديث التى ساقها ليوهم القراء أنها أدلة شرعية على ما ادعاه من إباحة الفطر لأدنى أذى مع أن الأحاديث التى ساقها كلها واردة فى السفر والجهاد فى سبيل الله . ولا شك فى إباحة الفطر للمسافرين مع وجوب القضاء عليهم .

خامساً — ومنها أنه أفتى المفطرين بعذر بأن الذى عليهم هو الفدية وسكت عما يجب عليهم من القضاء ليوهم أنه ليس عليهم قضاء . وهذه فتوى لم يقل بها أحد من المسلمين .

سادساً — ومنها أنه أمعن فى تضليل القراء بقوله : حكمة مشروعية الصوم هى كما قال الله فى القرآن الكريم « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . حقيقة ان هذه الآية الكريمة اشتملت على حكمة إباحة الفطر للمسافر والمريض وهى أن الله أراد بهم اليسر ولم يرد بهم العسر ، ولكن المتهم يأبى إلا أن يمعن فى التضليل فيستعمل الآية فى غير موضعها ليؤيد مدعاه .

سابعاً — ومنها قوله : « إن شريعة الصوم لم تفرض إلا على الشغوفين به القادرين عليه الذين يؤدونه بدون ما برم أو ضجر » .

وكل هذه الأمور مخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة ولما أجمع عليه علماء المسلمين من لدن عصر الصحابة إلى اليوم ، ولما يتدارسه علماء الأزهر وطلابه فى جميع فرق الدراسة . ويعتبر المخالف له غير قائم بأمانة العلم التى وضعتها مشيخة الأزهر فى عنقه . ولا مؤد لما التزم أداءه بمقتضى كونه موظفا ، ولا مؤتمن على القوامة على أبناء المسلمين يبصرهم أمر دينهم ويرشدهم إلى أحاسن الأخلاق ، ويوجههم إلى الاعتصام بحبل الله المتين .

أما عن الأمر الأول ـ وهو قوله : « ومن هنا رخص الله فى الإفطار . . . الخ » فإن كلامه يؤدى قطعا إلى هدم ركن الصيام وإلغاء فريضته . وبيانه أن الصوم لاينفك عن المشقة فى أدائه لأنه تكليف ، والتكليف هو إلزام ما فيه كلفة ومشقة ، ولأن حقيقة الصوم التى هى حبس النفس عن مألوف عاداتها تستلزم المشقة ، بل قد تستلزم المشقة التى تصل إلى أعلى درجات القدرة ، فما من صائم إلا وهو واجد مشقة وأذى ، فإذا كان الله تعالى قد رخص فى الإفطار لمن يؤذيهم الصوم ولو قليلا من الأذى ، كان كل صائم قد رخص الله تعالى له فى الإفطار ، وهذا فى بديهة العقل يساوى أن الصوم ليس فرضا يجب على كل مكلف أن يؤديه بل هو أمر جوازى يفعله من شاء ويتركه من شاء ، وقد فهم هذا الفهم جماعة من الهند وصحيفة هناك تصدر بالإنجليزية وقد نشرت مقالا عنوانه (صيام رمضان غير واجب ، رأى أستاذ فى القاهرة) وهذا كله منابذة لصريح القرآن وصحيح السنة ، فالله تعالى يقول : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، ويقول : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وقال رسول الله ﷺ كما فى صحيحى البخارى ومسلم : (بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) .

وأما عن الأمر الثانى ـ وهو قوله « فمن يشق عليه الصوم أو يضايقه فإن له أن يفطر ويطعم كل يوم مسكيناً فإن لم يجد فلا جناح عليه أن يفطر ولا يطعم) فهذا الاتهام يشتمل على أمرين : أولهما تقرير ما أفاده الاتهام الأول من أن كل من شق عليه الصوم أو ضايقه فليس عليه أن يصوم وقد بينا أنه هدم لفريضة الصوم . والثانى : أنه جعل الواجب على من أفطر لما اعتبره عذراً أن يطعم عن كل يوم مسكيناً ، وسكت عن وجوب القضاء ، ومعلوم أن السكوت فى معرض البيان يفيد الحصر ، ومعنى هذا أن قارىء هذا المقال يفهم من كلامه أنه إذا أفطر للمشقة أو للمضايقة لم يجب عليه شىء إلا طعام مسكين ، وأنه لا يجب عليه أن يقضى الأيام التى أفطرها ، وهذا مخالف لما أجمع عليه الفقهاء من وجوب القضاء على كل من أفطر لعذر طارىء يرجى زواله ، ومناف لصريح القرآن فالله تعالى قد أوجب القضاء على المريض والمسافر بقوله سبحانه : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، وكيف يعقل أن يوجب الله القضاء على المريض والمسافر مع وضوح عذرهما ولا يوجبه على من أفطر لعذر هو دون عذرهما من كل وجه ، أو هو عند التحقيق ليس بعذر أصلا ، فلا يخلو أمر المدعى عليه فى سكوته عن وجوب القضاء من إحدى حالتين

إما أن يكون عارفا بأن القضاء واجب فيكون سكوته حينئذ عن بيانه تدليساً وتلبيساً على الناس وإما أن يكون جاهلا هذا الحكم الذى كان قد تلقاه على أساتذته فى الدراسة الابتدائية . ومن كان بهذه المنزلة لا ينبغى له أن يتصدى لفتوى الملايين من المسلمين .

وأما عن الأمر الثالث وهو أنه يدعو المفطرين بعذر إلى المجاهرة بالإفطار ويعتبر هذه المجاهرة من شجاعة الإيمان وقوة الدين ، وأن من وجد هذه الشجاعة وهذه القوة يسن بمجاهرته سنة حسنة يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة . وهذا الكلام فى جملته وتفصيله مخالف لما أجمع عليه سلف هذه الامة ، فقد نص الفقهاء كما فى كتاب المجموع للنووى والمغنى لابن قدامة وسائر كتب الفقه الإسلامى من أنه ينبغى لمن كان ذا عذر يبيح له الفطر أن يستتر عن الناس حرصا على حرمة الشهر واحتراما للتقاليد الدينية ولشعور الصائمين وليبعد بنفسه عن مظان التهم التى طلب للمسلم أن ينأى بنفسه عنها وفى الحديث الصحيح (رحم الله امرءاً ذب الغيبة عن نفسه) وفيه (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) وفى كلام على رضى الله تعالى عنه (إياك وما يغلب على الظن إنكاره وإن كان عندك اعتذاره) فليس مايدعو إليه المدعى عليه سنة حسنة ، وإنما هو بدعة وضلالة ، على من ابتدعها وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وأما عن الأمر الرابع وهو تضليل عامة الناس بذكر الأحاديث التى ساقها ليوهم القراء أنها أدلة شرعية على ما ادعاه من إباحة الفطر لأدنى أذى ـ فإنه مامن شىء أدل على قصد التضليل من أن يعمد عالم إلى الإفتاء فى حكم من أحكام الشريعة ، ثم يلصق بهذا الحكم أدلة واردة فى غير موضوع الحكم من غير أمانة فى النقل ولا تحر للحقائق ومن أن يحرف فى الأدلة فيزيد فى بعضها ويحذف من بعضها الآخر زيادة وحذفا يغير بكل واحد منهما الحكم الذى يستفاد من الدليل .

وبيان هذا أن الأحاديث التى رواها فى مقاله ليجعلها دليلا على إباحة الفطر لأدنى أذى إنما وردت كلها فى إباحة الفطر للمسافر ، ورواها رواة الأحاديث فى باب عقدوه فى مصنفاتهم لذلك وعنونوا لها بإباحة الفطر للمسافر ، وقد تتبعنا صحاح كتب الحديث فلم نجد حديثا من أحاديث فطر الصائم أغفل رواية التعبير بما يفيد أن السفر هو علة إباحة الفطر (انظر صحيح البخارى بهامش فتح البارى ٤ صفحة ١٥٧ إلى ١٦٣ وصحيح مسلم ٧ / ٢٢٥

وتيسير الوصول ٢/ ٢٣٩ وما بعدها طبع المطبعة الجمالية سنة ١٣٣١ ه) ومعلوم أن فحواه كلها للمقيمين الذين يؤذيهم الصوم ولو قليلا من الأذى . وفى ذلك ما فيه من التلبيس على كثير من القراء .

١ — ذكر حديث أنس رضى الله عنه هكذا (وعن أنس رضى الله عنه قال : كنا مع النبى ﷺ فمنا الصائم ومنا المفطر فلا الصائم يعيب على المفطر ولا المفطر يعيب على الصائم — أخرجه الثلاثة وأبو داود) ومن قرأ هذا الحديث بهذا السياق يفهم منه أن المقيم فى بلده لو أفطر — ولو من غير عذر — لم يكن فى فعله هذا ما يعاب به . والحديث فى صحيح البخارى ٤ / ١٦٣ بهذا النص (عن أنس رضى الله عنه قال : كنا نسافر مع النبى ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم) وهو فى صحيح مسلم ٧ — ٢٣٥ بهذا النص (سئل أنس رضى الله عنه عن صوم رمضان فى السفر فقال : سافرنا مع رسول الله ﷺ فى رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم) وهو فى تيسير الوصول ٢ / ٢٣٩ بهذا النص (عن أنس رضى الله عنه قال : كنا نسافر مع النبى ﷺ فمنا الصائم ومنا المفطر . فلا الصائم يعيب على المفطر ولا المفطر يعيب على الصائم) فحذف هو كلمة (نسافر) وهى موطن الاستنباط من الحديث . فكان ذلك دليلا على قصد الإيهام والتلبيس ، وأى تضليل بتزيد ورغبة فى الترويج للباطل أكثر من أن يحذف من الحديث كلمة هى الجزء المهم من العبارة لا لشىء أكثر من أن يوهم أن الحديث يشهد له ويدل على ما ذهب إليه .

٢ — من تتبع عباراته التى ساق بها الأحاديث ورجع إلى مواطنها الأصلية من كتب الحديث علم أنه لم يتحر الدقة فى نقل نصوص الأحاديث ، ونذكر من ذلك حديث جابر الذى ساقه هكذا (يقول جابر رضى الله عنه : خرج رسول الله ﷺ وآله عام الفتح إلى مكة فى رمضان حتى بلغ كراع الغميم ، واد بين مكة والمدينة على ثمانية أميال منها ، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إلى آخره) ورواية هذا الحديث فى تيسير الوصول ٢ / ٢٣٩ (عن جابر رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح إلى مكة فى رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس ، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس الخ) .

وبين السياقين فرق من وجهين : الأول أن فى سياقه هو حذف كلمة « فصام » وكلمة « فصام الناس » : والثانى أن فى سياقه زيادة تحديد موضع كراع الغميم بقوله (واد بين مكة والمدينة على ثمـانية أميال منها) وهذه العبارة - فوق أنها ليست من الحديث - ليست صحيحة فإن بين كراع الغميم ومكة أكثر من خمسين ميلا وبينه وبين المدينـــة أكثر من ١٥٠ ميلا .

ثم يأتى بعد ذلك بكلام يتوهم أنه يفلت به من المؤاخذة ولا يفهمه أكثر الناس فيدعى أنه ساق هـذه الاحاديث ليدل على يسر الدين وسماحته .

وأما من الأمر الخـامس . وهو أنه أفتى المفطرين بعذر بأن الذى عليهم هو الفدية (طعام مسكين) وسكت عما يجب عليهم من القضاء — فقد بينا فى الـكلام على الاتهام الثانى ما يتعلق بهذا الاتهام من أنه مخالف لمـا أجمع عليه الفقهاء من وجوب القضاء على كل من أفطر لعذر طارىء يرجى زواله ، ومنابذ لصريح القرآن الكريم .

وأما عن الأمر السادس وهو المتضمن استنباط حكمة مشروعية الصوم من قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن . . . » الآية . فإن هذا يدل دلالة صريحة على أن كاتب هذا المقال لا يعرف مدلولات الالفاظ لغة ولا طرق استنباط الاحكام منها .

وبيانه - أن الآية تضمنت أمورا . الأول : الإخبار بأن القرآن نزل فى شهر رمضان . والثانى : إيجاب الصوم على من شهده . الثالث : إباحة الفطر لمن كان مريضاً أو على سفر مع إيجاب القضاء عليـه . الرابع : حكمة جواز الإفطار للمريض والمسافر بقوله تعـالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » فليس فى الآية الـكريمة بيان لحـكمة مشروعية الصوم لا من قريب ولا من بعيـد ، بينما هو يسوقها لبيان حكمة مشروعيـة الصوم . وماذا يقول علمـاء المسلمين فى أنحاء العالم وهم يقرؤون القرآن ويستنبطون منه الاحكام ، ولهم فى ذلك قدم راسخة . ما ذا يقولون عن علمـاء الأزهر حين يطلعون على هذا الاستنباط مذيلا بتوقيع دكتور أستاذ من كليـة أصول الدين ، أليس من حق الأزهر أن يغار على سمعته وكرامته ؟ .

وأما عن الأمر السابع وهو زعمه أن شريعة الصوم لم تفرض إلا على الشغوفين به القادرين

عليه الذين يؤدونه بدون ما برم أو ضجر ، فإن هذا الكلام يفيد أن الصوم لا يجب إلا على من استوفى شروطاً ثلاثة :

الأول : أن يكون شغوفا به ، شديد الحب له . الثانى . أن يكون قادراً عليه . الثالث : أن يؤديه بدون ما برم أو ضجر ، ومفهوم هذا أن من لم يستوف هذه الشروط بأن كان غير شغوف بالصوم ، أو كان يتبرم به أو يتضجر منه ، فإنه لا يجب عليه الصوم ، ولم يقل بذلك أحد من المسلمين ، فإن إجماع الفقهاء منعقد على أن الصوم واجب على المسلم المستطيع برم به أو لا ، ضجر منه أو لا ، شغف به أو لا ، لعموم قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ثم إن كلامه هذا يناقض ما قرره فى أول مقاله من أن الغرض من الصوم هو تعويد النفس الصبر على المكاره وقوة الاحتمال فى النوازل . فأين إذن الصبر على المكاره وتحمل المشاق الذى يتعوده الصائم بعد أن أباح له صاحب المقال أن يفطر إذا أحس قليلا من الأذى أو ضجر بالصوم أو تبرم منه ـ إن كان المدعى عليه قد أدرك قبل نشر مقاله ما اشتمل عليه من التناقض ، فقد دل بنشره على سوء نيته ، وأساء إلى علماء الدين وإلى المعهد الذى ينتمى إليه . وإن كانت الأخرى فقد أصر على الخطأ بعد أن نبهه عليه فضيلة الأستاذ مفتى الديار المصرية فيما نشر بجريدة الأهرام عدد يوم ١٩٥٥/٥/١٢ تحت عنوان : « بيان وإيضاح » .

وقد يكون المدعى عليه تمسك بقاعدة التيسير ورفع الحرج بدليل قوله : وإنما ذكرت هذا لبيان سماحة دين الإسلام ويسره ، وليس من شك فى أن دين الإسلام سمح سهل يسير بنص قوله تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » . « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ولكن فقهاء الإسلام بينوا الأمور التى تعتبر حرجا بيانا شافيا وحددوها تحديداً تاما لا يتطرق إليه الاحتمال ، إذ الحرج معناه أضيق الضيق أى أنه الأمر الذى فيه مشقة ظاهرة لا تحتمل عادة وعند أغلب الناس ، ولم يقل أحد من العلماء السابقين أو اللاحقين إن الحرج يتسع حتى يشمل قليل الأذى أو الضجر أو البرم ، فإن مثل هذا لا يسمى حرجا لا فى اللغة ولا عند الفقهاء . ألا ترى أن الوضوء بالماء البارد أيام الشتاء فيه مشقة وتعب ، ولكن لا يسميه العلماء حرجا يبيح التيمم وترك استعمال الماء ، وأن من بيده جراحة يضر بها استعمال الماء أو يؤخر البرء منها يعتبر عذره حرجا يبيح له التيمم وترك استعمال الماء . ولكن المدعى عليه توسع فى معنى الحرج حتى جعله يتسع لليسير من المشقة والقليل من

الأذى ، ولو أننا ذهبنا مذهب المدعى عليه لأبطلنا التكاليف جميعها ، فإن كل تكليف مهما ظن فيه السهولة لا يخلو من قليل الأذى ويسير المشقة .

على أن الشريعة الغراء بينت الحرج الذى يبيح للصائم الإفطار فالله يقول : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، فاعتبر المرض والسفر حرجاً مبيحاً للفطر ، وفى السنة النبوية الصحيحة عن أنس بن مالك أحد بنى عبد الله بن كعب بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : إن الله وضع شطر الصلاة عن المسافر وأرخص له فى الإفطار وأرخص فيه للمرضع والحبلى إذا خافتا على ولديهما . أخرجه أصحاب السنن ، وقد ألحق علماء الفقه الإسلامى بمن ذكر فى الكتاب والسنة الشيخ الكبير (الهرم) فأباحوا له الفطر وأوجبوا عليه الفدية . والمتبرع بدمه لإنقاذ جريح ، والمتقوى لإنقاذ غريق أو محصور فى حريق ، ومن غلبه الجوع والعطش حتى أشرف على الهلاك ، والصانع الذى لا يقدر على الصوم وليس له مرتزق إلا صنعته ، فهؤلاء جميعا يباح لهم الفطر لأن أعذارهم ظاهرة منضبطة كأعذار المريض والمسافر والحبلى والمرضع .

هذا وقد يظن الكثير من الناس أن قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » يفيد بظاهره إباحة الفطر للقادر مع إطعام مسكين بدلا عن الصوم . وهذا ظن خاطىء لا يستقيم بحال مع ما علم ضرورة من وجوب الصوم . وقبل أن نتكلم على هذه الآية ينبغى أن نلفت النظر إلى هذه المبادىء :

١ — القرآن الكريم كل لا يتجزأ . ٢ — لا يصح تأويل آية منه على معنى ينافر آية أخرى . ٣ — فى القرآن الكريم آيات واضحات الدلالة لا تحتمل إلا وجها واحدا ، وفيه آيات خفيت دلالتها واشتبه معناها لاحتمالها عدة وجوه من التأويل . ٤ — تعتبر الآيات الواضحة الدلالة أصولا محكمة ثابتة المعنى ، إليها يرد ما اشتبه معناه . قال الله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب » .

وورد فى القرآن فيما يختص بتشريع الصيام ثلاث آيات : هى قوله تعالى : « يأيها الذين

آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . وقوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . وقوله جل شأنه « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » . فأما الآيتان الأوليان فمعناهما واضح والحكم المستفاد منهما هو الأصل الثابت ، وهو أن الصيام فريضة مكتوبة وواجب محتم ، فإذا كان قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » محتملا لوجوه فمن الواجب ألا يخرج فى تأويله عن الأصل الثابت وهو وجوب الصيام ، ولا يصح أبداً أن يؤول على وجه ينقض أصل الوجوب ويهدم فريضة الصيام . ومن هنا نرى فقهاء الصحابة والتابعين وأئمة السلف الصالح قد ذهبوا فى تأويل قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » إلى مذاهب : أقواها وأكثرها قبولا مذهبان :

أولها : أن اللغة تفرق بين الطاقة والوسع ، فالطاقة فى عرف اللغويين هى أعلى درجات الوسع والقدرة . قال فى لسان العرب عند الكلام على قول عمرو بن أمامة : « كل امرىء مجاهد بطوقه » . والطوق : الطاقة أى أقصى غايته وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقة منه . وعلى ذلك يكون المراد بالذين يطيقونه الذين يستنفد الصوم جهدهم وتبلغ بهم مشقته آخر درجات الوسع . ويؤيد هذا الرأى قراءة ابن عباس (يطوقونه) بشد الواو أى يكون الصوم بالنسبة إليهم كالطوق فى العنق . وهذا المذهب مروى عن ابن عباس . قال عمرو بن دينار : أخبرنى عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ (وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين) أى يكلفونه ولا يطيقونه . قال : هذا الشيخ الكبير الهرم (أى الفانى) والمرأة الكبيرة ، لا يستطيع أحدهما الصوم ، يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا . ورواه كذلك مجاهد عن ابن عباس . وقال عبد الرحمن بن حرملة : سمعت سعيد بن المسيب يقول فى قول الله تعالى : (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) هو الكبير الذى عجز عن الصوم والحبلى يشق عليها الصوم . وعن الحسن البصرى وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير وكثير غيرهم مثل ذلك .

والمذهب الثانى : أن القرآن سلك فى تشريع الصيام طريقة التدرج ، ففرض على الناس صيام أيام معدودات ، ولم يكن العرب يعرفون الصوم وما كانوا قد تعودوه فاشتد عليهم فى أول الأمر فرخص الله لهم فى الإفطار والفدية بإطعام مسكين عن كل يوم . فلما ألفوا

الصوم وتعودته نفوسهم نزل قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وانتهى الحكم الوقتى السابق وصار الصيام واجبا محتما . روى مسلم بن الحجاج عن سلمة بن الأكوع قال : كنا فى رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى نزلت هذه الآية (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وذهب إلى هذا الرأى كثير من علماء السلف والخلف (راجع كتاب أحكام القرآن لأبى بكر الرازى المعروف بالجصاص) .

هذا ولم يقل أحد من الصحابة والتابعين وأئمة الفقه والتفسير فى قوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » إن هذه الآية تبيح الفطر الآن لمن يؤذيه الصوم ولو قليلا من الأذى كما زعم المدعى عليه .

وحيث انه بناء على ما تقدم جميعه يكون قد ثبت للمجلس ثبوتا قاطعا أن الأمور المدعى بها والواردة فى قرار الإحالة فى جملتها وتفصيلها تنطوى على إخلال خطير بكرامة العلم والدين وهو الأمر المعاقب عليه تأديبيا بالتطبيق للمادة ٢٥ من لائحة تأديب المدرسين والموظفين بالجامع الأزهر الصادر بها مرسوم ٨ من ابريل سنة ١٩٣١ كما أنها تنطوى على خروجه على مقتضى الواجب فى أعمال وظيفته بالتطبيق لنص المادة ٨٣ من القانون رقم ٢١٠ لسنة ٥١ بشأن نظام الموظفين ويكون قد وجب عليه الجزاء .

وحيث انه بعد إثبات ما تقدم - لا يفوت المجلس فى هذا المقام - أن يسجل أنه أول من يقدس حرية الرأى العلمى - إذ العلم ليس ملكا لأحد أو وقفا على فئة دون أخرى - ولكن هذا مشروط بأن يقف هذا الرأى عند حد البحث العلمى الصحيح .

فلو أن الشيخ بخيت قد سلك مسلك الباحث ونزل إلى ميدان المجتهدين وأدلى فيه بدلوه - أو لو أنه فى مقاله ترك قولا وأخذ بقول حتى ولو كان أخذ بالرأى المرجوح مما ينفسح معه المجال لاعتبار مقاله بحثا علميا جديرا بهذه التسمية لهان الأمر وكان له أجر المجتهدين - إلا أن الثابت مما سلف ذكره أن ماورد فى مقاله - جملة وتفصيلا - يجافى المصادر الصحيحة والأقوال المجمع عليها ولا يستند إلى أى دليل ولو كان مرجوحا - بل سار فيه على غير هدى حتى وقع فى كثير من الخلط والاضطراب ، فكانت النتيجة أن أسفر بحثه عن تشكيك المسلمين فى ركن هام منصوص عليه فى الكتاب والسنة وليس محل اجتهاد فزلزل عقائد العامة

وفتح أمامهم أبوابا من الشكوك فى ركن من أركان الإسلام ، وأذكى فتنة بين المسلمين كادت تختل معها موازين التقدير وتضيع فى ثناياها الثقة بأهل الاختصاص من علماء الدين .

ولو صح ما ادعاه الشيخ بخيت من أن قضيته هى قضية حرية الرأى فما كان عليه من حرج - بل كان يجب عليه أن ينزل عند رأى الجهة الإدارية التى يتبعها وينتمى إليها فيحضر أمام لجنة التحقيق التى شكلت لمناقشته فى مقاله - أو أمام هذا المجلس حينما طلب إليه الجواب عن موضوع الدعوى وذلك ليبسط وجهة نظره ويقرع الحجة بالحجة ويقدم دليله وسنده على صحة ماذهب إليه فى مقاله فى ذمة وأمانة وعلم ودراية ولكنه أبى كل ذلك واعتصم عند حد الدفوع الفرعية التى قدمت على لسان هيئة الدفاع عنه - فلما قرر المجلس فى مواجهته ضم الدفوع الفرعية للموضوع وطلب منه إبداء رأيه فى الموضوع ظل مصراً على هذا الموقف العجيب المعيب !.

وحيث ان طبيعة البحث العلمى - ولا سيما فى أمور الدين التى تقتضى بطبيعتها التحرج - توجب على الباحث أن يكون واثقا من صحة بحثه مستعداً دائماً لأن يبسط مختلف الآراء التى استقى منها بحثه - موقنا بأنه إنما كتب ما كتب بعد استظهاره استظهاراً صحيحاً سليما عن علم راسخ متين . ولكن الثابت للمجلس أن المدعى عليه إنما ألقى بمقاله إلقاء بنزوة خاطفة من نزوات فكره وقول مرتجل من سوانح فهمه ثم عجز أخيراً عن الدفاع عن رأيه ولو بكلمة .

وحيث انه فى مقام تقدير العقوبة فإن المجلس يرى أن ما ثبت فى حقه يستوجب أقصى عقوبة فى المادة ٤٨ من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ وهى الفصل - إلا أن المجلس يرى من ظروف المدعى عليه التى بينها الدفاع عنه ، ولأنه عاد وأعلن فى الصحف « جريدة الأخبار » بتاريخ ١٣ من يونيه سنة ١٩٥٥ ، ما يأتى : « ومهما يكن من شيء فإن المقال الذى أثار هذه الضجة ليس فيه سوى بعض كلمات وجمل ربما كانت من ثورة القلم » إلى أن قال : « فإن كنت وفقت فى البعض وجانبنى الصواب فى البعض فلست معصوما - وإن العالم مهما بلغ علمه لابد أن يخطىء حينا كما كان يصيب أحيانا ، وإنى ما قصدت مطلقا من قريب ولا من بعيد أن أقلل من شأن هذا الركن الذى هو واحد من أركان الإسلام الخمسة

التي بنى عليها الإسلام ، - أن يعامله بشيء من الرحمة مكتفيا بتوقيع عقوبة التنزيل من وظيفته بإقصائه عن وظائف التدريس وما يتعلق بها ونقله إلى وظيفة أخرى ، وذلك لأن ما ثبت فى حقه يؤدى إلى عدم الاطمئنان إليه ، وعدم الثقة به فى تعليم الطلاب وتوجيههم التوجيه الصحيح .

بناء عليه

قرر المجلس حضورياً :

أولا : رفض الدفوع الثلاثة المقدمة من المدعى عليه ببطلان تشكيل مجلس التأديب وبعدم جواز انعقاده ، وبعدم اختصاصه بنظر الدعوى .

ثانياً : مؤاخذة الشيخ عبد الحميد بخيت بتنزيله من وظيفة التدريس إلى وظيفة أخرى غير وظائف التدريس وما يتصل بها ؟



من أقوال شوقى

• الغلط إذا أدرك تبدّد ، وإذا ترك تعدّد .

• على كتب السماء تهجى الحكمة الحكماء .

• تحسن المرأة نصف عليمة ، ويقبح الرجل نصف جاهل .

• الفضائل حلائل ، والرذائل خلائل .

بعد قرار مجلس التأديب :

شهادة

فى الصحيفة التى أثارت فتنة الدعوة إلى إباحة الفطر فى رمضان والمجاهرة به ، وبقلم الأستاذ على أيوب وزير المعارف السابق الذى تطوع للدفاع عن الشيخ عبد الحميد بخيت ، كتب محاميه الشهادة الآتية :

منذ نيف وأربعين عاما تقدم الدكتور طه حسين لامتحان العالمية بالأزهر الشريف ولم يكتب له النجاح بعد أن عصره الممتحنون وأرهقوه ، فنشر فى جريدة اللواء وصفا لهذه التجربة التى مرت به بعنوان « ساعة بين اللحى والعمائم » . وقد تذكرت هذا العنوان عندما قدر على أن أحضر أمام مجلس التأديب بالأزهر مدافعا عن الأستاذ عبد الحميد بخيت وقد قضيت يومى الأحد والاثنين ٢٦ و ٢٧ من شهر يونيه ١٩٥٥ عدة ساعات إلا ساعة واحدة ، بين اللحى والعمائم ، وخرجت منها وقد انطوت نفسى على شعور يخالف ما كنت أكنه لهم من قبل .

ولن أتعرض لذكر تفصيلات المحاكمة إذ أنها كانت سرية ، وقد انتهت المحاكمة واستنفد مجلس التأديب مهمته ، فلا حرج من كلمات أقررها أو ملاحظات أبديها على هامش هذه المحاكمة .

لم أجد أنا وزملائى المحامون من الشيوخ الأجلاء وأعضاء مجلس التأديب تجهما أو انقباضاً ، وكانت ابتسامات التشجيع وإيماءات الرضاء تطالعنا منهم دائما . وكان حسن الاستماع مع الحلم والأناة يهون على الدفاع من دقة الموقف وثقل العبء .

وقد اشترك فى إدارة المناقشة الأستاذ زكى شرف وكيل وزارة العدل وأحد أعضاء المجلس ، فأعاد لنا ذكرى مجالسه فى القضاء حيث كان يتجلى ما يزدان به هذا القاضى من

نفاذ البصيرة ، وأصالة الرأى ، وصفاء الذهن ، واشترك الأعضاء الآخرون فى المناقشة فلم نجد فى أحد منهم تعنتا أو صلفا أو خشونة ، وتبدت منهم جميعهم رغبة صادقة فى إقامة العدل وإحقاق الحق .

وقد أسفت للسرية التى فرضها النظام على مثل هذه المحاكمات ، فليت الأستاذ عبد الحميد بخيت حوكم علنا وعلى مشهد من الناس ، إذن لتبين الجمهور أن أعضاء المجلس لم يكونوا قضاة تفتيش ، ولم يكونوا ممن يكرهون حرية الرأى ويضيقون بها ، أو ممن يزعجهم الرأى الطليق من كل قيد ، كما أن المجلس لم ينعقد ليصدر قرارا مبيتا أو حكما مفروضا صدرت به الأوامر من قبل .

قد يكون مجلس التأديب أخطأ أو أصاب ، فذلك أمر لم يقل فيه القضاء الإدارى كلمته بعد ، وحسب السادة أعضاء المجلس أنهم استهدفوا الحق ولا شىء غير الحق ، وبذلوا فى سبيله غاية الجهد . فلهم أجرهم عند الله وهو نعم الأجر .

وقد كشفت هذه المحاكمة عن ناحية لم أكن أعرفها فى شخصية وكيل الأزهر صاحب الفضيلة الشيخ الحسينى سلطان فقد كنا نعرف عنه أنه عالم جليل ، وفقيه راسخ القدم ، طويل الباع فى فقهه . ولكننا لم نكن نعرف عنه أنه ديبلوماسى من طراز رفيع ، فقد أراد الدفاع أن يورطه فى إقامة وليمة غداء بحجة أن فى إقامتها إحياء لسنة استنها المرحوم الإمام المراغى ، وهى سنة حسنة يؤجر من يعمل بها إلى يوم القيامة ، ولم يرفض فضيلة الرئيس طلب الدفاع ، كما أنه لم يستجب له . ولا أدرى كيف عرف الوقوف بين القبول والرفض ، ولكنه تخلص على كل حال حتى خلنا أنه من رجال السلك السياسى وأنه حضر إلى إدارة الأزهر متنكراً ، أو أنه قصد إلى وزارة الخارجية فاجتذبه حب العدل والحرص على خدمة الدين واقتاده إلى هذه الإدارة .

ومهما يختلف الرأى فى الحكم الذى أصدره مجلس التأديب وقضى فيه برفض الدفوع الشكلية والفرعية التى تمسك بها الدفاع ، فإن الإجماع منعقد على أن الحكمة التى عالج المجلس بها هذه المسألة الشائكة قد كانت خاتمة موفقة لضجة قامت ثم سكنت ، وزوبعة ثارت ثم هدأت ، ويحق لكل مسلم ولكل مصرى وعربى أن يحمد النهاية ، ويثنى على من أعانوا على بلوغها ويسأل الله لهم المزيد من الهدى « أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » .

واصل بن عطاء

٨٠ — ١٣١

عصر واصل وبيئته

نشأ واصل منذ منتصف العهد الأموى تقريبا فشهد أخريات عهد عبد الملك فما بعده إلى ما قبل زوال الدولة الأموية بعام . فأنت تستطيع أن تقول إنه عاصر هذه الدولة وقد استحكم فيها شأن الفرق الإسلامية التى اضطربت آراؤها بين متغالية تكفر مرتكب الذنب ولو فعله خطأ ، وهؤلاء هم الخوارج الذين كفروا عليا ومن تبعه لأنه حكم فى أمر يحكم الله فيه ، وكفروا غيره من كبار الصحابة وأئمة المسلمين .

إلى شيعة تقول بالنص على علىّ والوصاية له من السيد الرسول ، ولو صدقوا لما ساغ لعلى أن يبايع أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ، وهم فرق كثيرة لا مجال لدراستها الآن .

إلى مرجئة تتخلى عن الجميع وتقول إن المؤمن أمره مفوض إلى الله .

وكان كل ذلك مبنيا على اختلاف النزعات السياسية أولا ، ولكن الدين عند المسلمين هو الفيصل فى كل شأن من شئون الحياة لما وسع من أمور الناس ، ولأنه يحكم فى كل صغيرة وكبيرة من عمل الإنسان ولو بالإباحة التى هى معنى الحرية فى التصرف ، أو معناها الحرية فى التصرف ، وذلك إذا لم يكن فى الفعل الذى يقع من المرء ضرر راجح ولا مصلحة راجحة ، وإلا فإن الله سبحانه يحكم فيه بالإيجاب أو الندب أو التحريم أو الكراهة على مقدار ما فيه من نفع أو مضرة ، وما يقتضيه ما فيه من مصلحة أو مفسدة . وكانت مسألة الخلافة والخلاف عليها وعلى ما يتصل بها هى منشأ تلك المذاهب فيما نعلم .

وكان مما اقتضته تلك الملابسات وغيرها من مفاسد النحل المتخلفة من الأمم المختلفة التى دخلت فى الإسلام طوعا والتى دخلت فى الإسلام كرها ، فهى تصطبغ بأديانها وأفكارها

السابقة ، كما تصطبغ بآدابها ومنطقها وطرق تعبيرها طوعا أو كرها أيضاً ، بحكم السراية ومقتضى البيئات أو الوراثات .

كان مما اقتضته تلك الملابسات أن تنشأ طائفة تسمى (المعتزلة) وأن يكون إمامها وحامل لوائها صاحبنا اليوم (واصل بن عطاء الغزال) .

وكان مبدأ ذلك - كما حدث التاريخ - أن أستاذه إمام المسلمين الحسن البصرى سئل عن حكم مرتكب الكبيرة : أهو كافر كما يقول الخوارج ؟ فقال : لا ، ولكنه منافق . وأنكر ذلك الحكم واصل بن عطاء ، لأن أحكام المنافقين لاتنطبق عليه فى الكتاب والسنة ، وأنكر أيضاً قول المرجئة التى تقول بإيمانه لأن أحكام المؤمنين من حب الله وولايته لاتنطبق عليه أيضاً لا فى الكتاب ولا فى السنة ، كما أنكر حكم الخوارج أيضاً بكفره لأن أحكام الكفار لاتنطبق عليه فى الكتاب ولا فى السنة .

فلم يبق إلا أن يكون فاسقاً وعاصيا ، وأن يكون فى منزلة بين المنزلتين : الإيمان والكفر ، فأما المنافق فإنه لايخرج عن أن يكون إما مؤمناً تجرى عليه أحكام الإيمان وذلك إن أظهر الإيمان ، أو كافراً يعامل كما يعامل الكفار وذلك إن أظهر الكفر . قال ذلك واصل وأصر عليه لأنه يعتقده الحق .

فمن الناس من يقول إن إمام المسلمين (الحسن البصرى) طرده من مجلسه ، ومنهم من يقول : إنه اعتزل مجلس الإمام ، وتبعه عمرو بن عبيد العابد الزاهد المشهور ، فقال الحسن البصرى قوله الآسف الأليم لتفريق الكلمة « اعتزلنا واصل » .

والأشبه بمذاهب السلف فى التحرر أن واصلا هو الذى اعتزل ، ولو أنه استمر فى درس الإمام لوددنا أن يكون من هذا الاجتماع خير وتمحيص ينفع الناس . ولم يكن شأن الاعتزال من الغلواء وبعض التعسف بالقدر الذى رأيناه وسمعنا به ، ولكنها طبيعة الزمن ، وهى التى قضت أن يظهر بعد ذلك إمامان يرجحان ظواهر أدلة الكتاب والسنة ويقدمانها على العقل ، ويقصدان فى التأويل وهما الأشعرى والماتريدى .

ومهما يكن فقد كان مما قضى الله أن تقوم لواصل وصاحبه عمرو وأتباعه قائمة ، وأن يجد مذهبهما فى الكلام تأييدا حتى من بعض الحكام من بنى أمية وبنى العباس ، دعا أحيانا إلى اضطهاد أرباب الحديث من أمثال الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه الذين استشهدوا

فى الثبات على مبدأ الاتباع لظواهر الكتاب والسنة والصبر عليهما فى محنة خلق القرآن التى دعا إليها أصل من أصول الاعتزال وهو نفى صفات الله التى من بينها صفة الكلام.

ثم مهما يكن فقد كان هذا المذهب (الاعتزالى) يقوم على أساس تقديم العقل وتحكيمه، وعلى مبدأ تقديم العقل على النقل، وهو الذى أبعد الشقة بينهم وبين أهل الحديث، وهو الذى جعل الأشعرى يقوم حكما بين الطرفين فيأخذ مذهبا وسطا بينهما. على أنه فيما ترى قد جارى الاعتزال فى بعض تعسفه وجعل التوحيد فلسفة عميقة تجافى بعض الشىء بساطة هذا الدين وتجعل أرباب الحديث تنفر من هؤلاء وإن كان نفورها منهم أقل من نفورها من أولئك [1]. على أن ذلك كله عند الحق كان شيئا قضت به أيضا طبيعة الزمن وملابسات الدراسات وفلسفة العلم والتعمق فى البحث.

ويحسن أن نشير فى هذه المناسبة إلى ما اتخذه واصل وأتباعه من عقائد خالفوا بها الناس وهى تتلخص فيما يأتى:

١ — القول بالمنزلة بين المنزلتين، وقد علمت معنى ذلك والباعث عليه فيما قدمنا لك.

٢ — القول بأن العبد يخلق أفعال نفسه، وأن الله لا يقدر الشر ولا يريده، وبناء على ذلك صح التكليف، وكان هذا للرد على جهم بن صفوان وأتباعه القائلين بالجبر وأن الإنسان كالريشة المعلقة وكالجماد الذى تجرى عليه الحركات وهو لا يحس، وقد خالفوا الجماعة فى ذلك، وخالفهم الجماعة بعد ذلك واحتجوا عليهم بما هو مبسوط فى موضعه من علم الكلام.

وقد سلك بعض العلماء مسلك التوفيق ورفع الخلاف فى هذه المسألة وغيرها من مسائل الخلاف. وأظن أن فى المسلك شيئا من التعسف وأن الخلاف قائم والنزاع محتدم.

ثم إن هذا المعتقد هو الذى جعل المعتزلة يسمون أنفسهم أرباب (العدل) زعموا أن ظلما أن يقدر الله الشر ويعاقب عليه.

٣ — ينفى المعتزلة صفات الله من العلم والكلام والقدرة والحياة وما إلى ذلك،

---

(١) المجلة — وكان ذلك فى فترة إقامة الأشعرى بمدينة البصرة، فلما انتقل إلى بغداد أخذ بمذهب السلف وأهل الحديث صرفا، كما صرح فى كتابه (مقالات الاسلاميين) وكما بسط القول فى آخر مؤلفاته [الابانة].

زاعمين أن ذلك يقضى بتعدد القدماء ، والله واحد قديم لاشريك له ، وكانوا يريدون بذلك المبالغة فى الرد على من جعلوا لله صفات تشبه صفات الحوادث ومنهم مقاتل بن سليمان الذى كان معاصراً لواصل . وأظن أن من التعسف أن يكون الله قادراً بلا قدرة وعالماً بلا علم وما إلى ذلك . وقد دعا هذا أيضاً أرباب الكلام من أهل السنة إلى القول بأن صفات الذات ليست عين الذات كما أنها ليست غيرها . وفيه أيضاً تعسف . والبحث فى علم الكلام .

٤ — يقول المعتزلة بالتحسين والتقبيح العقليين على معنى أن فى الفعل جهات من الحسن أو القبح تدل على حكم الله من الحرمة أو الإباحة أو غيرهما . وفى هذا البحث مجال للنظر . والذى دعا إليه القول بأن جميع أفعال الله على مقتضى الحكمة وجوبا عقليا . وخالف فى ذلك أهل السنة زاعمين أن الله يفعل ما يشاء وإن لم يوافق المصلحة . والحق عندى ما يقول المعتزلة إن اقتصروا على ناحية تعليل الأحكام دون تعمق[1] .

٥ - وأخيرا ينقدون أعمال الصحابة ويفسقون بعضهم ويقولون بخطأ على وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة ، وإن كان واصل قد تورع فى هاته المسألة فقال : إن إحدى الطائفتين (فى حرب الجمل) مخطئة وتوقف عن التعيين .

ذلك مجمل مذهبهم فى عهد واصل ، وقد تجددت فى الاعتزال أقوال بعد ذلك دعت إليها طبيعة البحث وتجدد النظر . والحق أن هؤلاء القوم كانوا مخلصين لدعوة الإسلام فيما يظهر من تصرفاتهم وأحكامهم وعقائدهم ، وفيما عرف من صفات أئمتهم ومقدميهم وإن أخطأهم التوفيق فى بعض البحث وجنت عليهم الفلسفة التى تعلموها ليردوا شبه الخصوم عن يناهضون الإسلام أو يسيئون إليه بقصد أو غير قصد كما قدمت للقارىء الكريم .

ولادة واصل ومنشؤه

ثم نعود إلى النظر فى تصوير صاحبنا زعيم هؤلاء القوم والذى دعانا إلى الحديث عنهم .

فقد ولد سنة ٨٠ ﻫ بالمدينة المنورة ولكن التاريخ يحدث أنه إنما تعلم بالعراق ، ولم نعلم متى قدم إليه ، ولكن يظهر أن العراق هو الذى تولى تكوينه منذ نشأته تلميذاً للحسن البصرى يقرأ عليه العلوم والأخبار مع ما يستفيد من ثقافات العراق ، وهى يومئذ

[١] المجلة - لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق عظيم فى هذه المسائل بسطه فى كتابه [منهاج السنة] وانتقى لبابه الحافظ الذهبى فى [المنتقى من منهاج الاعتدال] الذى طبع فى الشهر الماضى .

مورد عذب ، ومهاجر لكل طالب علم . وكان واصل مولى بنى ضبة أو بنى مخزوم كما يقول ابن خلكان ، فهو من الموالى الذين نبتوا فى الإسلام فنبغوا فى كل ما يمت إليه بصلة على اختلاف جهات النبوغ وتفاوتها .

والموالى كما وصفنا فى عدة مناسبات هم قواد الحركة العلمية وأصحاب الجديد من النزعات والأفكار وفيهم الأمناء المخلصون والحراس الصادقون على هذه الشريعة وعلومها ، لأنهم كانوا يريدون أن يعوضوا نقص النسب الذى يفخر به العرب . وقد نفى الإسلام نخوة الجاهلية ورفع من رفع بالعلم والتقوى ، ولأنهم فرغوا من شواغل الحروب التى خاض غمارها أصحاب السابقة من العرب فواتهم الأقدار إحسانا إليهم ، وتربى أوائلهم فى أحضان الصحابة وكانوا يستكثرون من الموالى فيأخذون عنهم العلم . وتذكر فى هذا حكاية طريفة لعكرمة مولى ابن عباس ، فإن عليا ابنه أراد أن يبيعه بعد موت أبيه بأربعة آلاف لخالد بن يزيد بن معاوية ، فذهب عكرمة إلى على العباسى وقال له : لاخير لك فيما تصنع ، تبيع علم أبيك بأربعة آلاف ! فرجع على عما أراد . إلى نواح أخرى جعلت الموالى من خيرة من أخذوا هذا الدين بقوة وتولوا صناعة العلم والبحث والإنتاج فصدقت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم (لوكان العلم بالثريا لناله رجال من فارس) ثم تلا قوله سبحانه : « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » .

قضى واصل جل حياته فى العراق يأخذ عن الإمام الحسن ويخصه بمزيد إقبال ، ثم يستزيد من دراسة ثقافات العراق ، وهى خضم يموج بمختلف الثقافات ، فتكون له مزيج فياض كون له تلك الشخصية وصبغه بصفات تغلب عليه ، من بينها غزارة المادة وفلسفة العقائد وقوة الجدل والبيان المشرق الرصين وتقوى الله والقنوت له والزهد والكياسة ، والتجرد لدعوة الحق فيما يؤديه إليه اجتهاده وصدق نيته .

صفات واصل ومميزاته

١ ـ غزارة المادة والعلم بأحوال الفرق والآراء والمذاهب فى عهده ، وقد أخذ عن الحسن البصرى علوم الدين والأثر وفقه الكتاب والسنة ، إلا أنه خاض فى المعقولات خوضا جعله يؤثر العقل ويحسن التأويل عند التعارض ، وقد شغف بالدفاع عن الحق ومقاومة الإلحاد والزيغ ، فكان يعد العدة من سلاح العصر بدراسة الفلسفة التى ظهرت حينذاك وتحصيل الآراء والمقالات ومناقشتها والرد على المزيف منها . وقد وصفه عالم

الشيعة السيد المرتضى وكان به معجبا فقال إنه كان أعلم الناس بكلام غالية الشيعة ومارقة الخوارج وكلام الزنادقة والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين .

وقد بلغ من عنايته بتلك الناحية وتجرده لها أن زوجه وصفته فقالت : « كان واصل إذا جنه الليل صف قدميه يصلى ولوح ودواة بجانبه فإذا مر بآية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها ثم قام إلى صلاته » . وبلغ من غزارة مادته وعلمه أنه ألف كتابا فيه ألف مسألة للرد على المانوية كما نقلت الرواة .

وقال ابن خلكان : إن له من التصانيف كتاب أصناف المرجئة . وكتاب التوبة . وكتاب المنزلة بين المنزلتين . وكتاب خطبته التى أخرج منها الراء . وكتاب معانى القرآن . وكتاب الخطب فى التوحيد والعدل . وكتاب ماجرى بينه وبين عمرو بن عبيد . وكتاب السبيل إلى معرفة الحق . وكتاب الدعوة . وكتاب طبقات أهل العلم والجهل وغير ذلك .

٢ ـ فلسفة العقائد وقوة الجدل . ويعتبر واصل واضع علم الكلام على هذا النحو من النظر الاستدلالى والبحث المنطق والاعتماد على القضايا العقلية وإيثارها على النقل . سرى إليه ذلك من مقامه فى العراق التى كانت تتجاوب فيها أصداء المدنيات ومن نسبه غير العربى ومن سريان آراء الفلاسفة إليه وإلى أصحابه .

وقد كان القرآن هو المورد العذب ، والحديث أكبر المدد للعقائد كما هو أكبر المدد للفقه ، وكان فهم الكتاب والسنة على مقتضى أساليب العرب فى تخاطبها ، ولكن المعتزلة وعلى رأسهم واصل وصاحبه عمرو قد خالفوا فى ذلك وتحرروا من التزامه ، وغلا فى ذلك أتباعهم . وكان منهج السلف خيراً للإسلام لو كانوا يعلمون الغيب . وقد تورط من تلقبوا بعد ذلك بأهل السنة فى تلك الورطة . وكانت ناحية الخير فى ذلك خصوبة العقل وسعة الأفق ومجاراة الزمن ، فلو أنه كان فى حدود الدين بكل دقة لجمع الإسلام خيراً كثيراً . ولكن ذلك حلا للمتأخرين من المتكلمين فأوغلوا فيه حتى شغلوا عن صميم الدين وكان مصدر خلاف وسبباً لكثير من محن الثابتين من أهل الحديث والأثر .

ولعل واصلا كان قريباً من الأثر كثير الاعتماد عليه إلى جانب العقل لأن أستاذه إمام المسلمين الحسن البصرى قوى ذلك المعنى فى نفسه الصادقة ، ولكنه اعتزل إمامه وخاض فى الصحابة وأخذ ينقدهم ولم يأخذ بهذه القاعدة السليمة الرشيدة والحكمة الخالدة الحكيمة من أستاذه (تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نلوث بها ألسنتنا) .

ولقد تبرأ كثير من خيرة المسلمين من العابد الزاهد عمرو بن عبيد لخوضه فى تلك الأشياء وتفسيقه عليا وطلحة والزبير وغيرهم ، حتى قال بعض الناس بكفره ، ويغفر الله لهؤلاء الناس خطأهم بقدر ما أخلصوا وحسنت نياتهم .

وأما مقدرة واصل فى الجدل فإنها كانت تنبنى على أسس من العلم وغزارة المادة كما صورت لك ، إلى قوة فى اللسن والبيان وحضور البديهة كما سأصف لك ، مع فراسة صادقة وعرفان بأدب المناظرة من الأدب والحلم والحرص على ظهور الحق والولوع بجمع الأدلة كما علمت من أنه كان يقيد الأدلة من القرآن ليتخذ منها مادة فى هدأة الليل وصفاء النفس ، ويدلك هذا على مقدار بصره بالجدل ، وما يتقاضاه من أدب من هذه المأثورة .

قالوا إن سائلا سأل عمرو بن عبيد عن القدر بحضرة واصل ، فغضب عمرو على السائل وعنفه . فقال له واصل : « يا أبا عثمان إياك وأجوبة الغضب فإنها مندمة ، والشيطان يكون معها ، وله فى تضاعيفها همزة ، وقد أوجب الله على نبيه أن يستعيذ من همزات الشياطين وأن يكونوا معه بقوله : (أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقلما شاهدت أحداً تثبت فى جوابه وما ينطق به لسانه فيلحقه لوم » .

كل هذه المرشحات مع إخلاص هذا الإنسان وتقواه وشدة تعصبه للإسلام وامتلاء نفسه به واقتناعها بحقيته كان جديراً أن يكون منه أقوى مناظر فى عصره . وإن ما تروى كتب الأدب من مناظراته وجدله مع الخوارج وغير الخوارج من أرباب النحل والأهواء لخير دليل على ما كان عنده من قوة ومهارة وبصر ولباقة تصحح هذا الحكم وتشهد له .

وقد نقل لنا الأستاذ أبو زهرة فى كتاب تاريخ الجدل أولى مناظراته وهى أولى مناظرات الاعتزال ، وإن من الحق علينا للقارىء الكريم أن ننقلها له لمكانتها التاريخية وهى هذه بروايته قال[1]: لما فارق واصل مجلس الحسن البصرى أرسل إليه عمرو بن عبيد يناظره فقال واصل : لم قلتم من أتى كبيرة من أهل القبلة استحق اسم النفاق ؟

عمرو : لقوله تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » فكأن كل منافق فاسق إذ كان ألف المعرفة ولامها موجودين فى الفاسق .

[١] ص ٢٢٨ .

واصل : أليس قد وجدت الله تعالى يقول : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة من أهل القبلة استحق اسم ظالم كما استحق اسم فاسق فألا كفرتم صاحب الكبيرة من أهل القبلة بقوله سبحانه : (والكافرون هم الظالمون) بألف ولام التعريف فى قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » كما قال فى الفاسق « وأولئك هم الفاسقون » فسميته منافقا لقوله : « إن المنافقين هم الفاسقون » يا أبا عثمان أيهما أولى أن نستعمل فى المحدثين من أمتنا ؟ ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة أم ما اختلفوا فيه ؟ .

عمرو : بل ما اتفقوا عليه أولى .

واصل : ألست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه لأن الخوارج تسميه مشركا فاسقا ، والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقا ، والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا ، فالواجب أن يسمى بالاسم الذى اتفق المختلفون عليه وهو الفسق ، ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التى اختلفوا فيها فهذا أشبه بأهل الدين .

عمرو : ما بينى وبين الحق عداوة ، والقول قولك فليشهد علىّ من حضر أنى تارك المذهب الذى كنت أذهب إليه ، قائل بقول أبى حذيفة وإنى قد اعتزلت مذهب الحسن فى هذا الباب .

وهى مناظرة عظيمة تدل على قوة الرجل وعلى صفاء النفسين وإخلاصهما للحق .

٣ — كان فى نفسه تقيا زكيا معرضا عن الفضول لا ينافس فى دنيا ولا يحرص على منصب من مناصبها مع كونها معرضة له ميسورة إذا شاءها ، ولكنه آثر الله والدار الآخرة وليس بعجيب من تربية إمام الزاهدين وسيد المتقين من المعاصرين الحسن بن أبى الحسن البصرى أن يكون كذلك .

وقد وصفه الجاحظ فى جمل موجزة فى هذا المقام فقال : « لم يشك أصحابنا أن واصلا لم يقبل ديناراً ولا درهما » ووصفه بعض الشعراء فقال :

ولا مس ديناراً ولا مس درهما ولا عرف الثوب الذى هو قاطعه

يغلب جده هزله ، وحقه باطله ، مطرق مالم تنتهك حرمة الله أو يرى المنكر فى قول أو فعل . وقد كان يصمت حتى يظن به الخرس . قال المرتضى فى المنية والأمل :

وكان واصل يلازم مجلس الحسن ويظنون به الخرس من طول صمته ، فمر ذات يوم به عمرو بن عبيد وأقبل عليه بعض مستحبي واصل فقال لهم : هذا الذى تظنون به الخرس ليس أحد أعلم بكلام غالية الشيعة ومارقة الخوارج وكلام الزنادقة والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين والرد عليهم منه ، وقد علمت فى حديث جدله ما كان يؤثره من حلم وأناة ومجانبة للغضب الذى هو مفتاح الشر ورائد الظلم والبغى .

٤ — وكان واصل فى فصاحته ولسنه وقوة بيانه ومنطقه فى المحل الأول والموضع الذى لا يجهل ، فهو الخطيب المرتجل فى مجالس الملوك قبل السوقة ، وهو الذى يستطيع على البديهة أن ينافس فحول البيان ، ومضرب الأمثال فيه ، خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة أمام عمر بن عبد العزيز فيقول خطبة طويلة يسقط منها حرف الراء لأنه ألثغ ، ولكنه أخصب فنخير ، وغرس ثم غرس وأثمر ، وكان مما قال بعد ديباجة طويلة :

ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها وفواتن لذاتها وشهوات آمالها ، فإنها متاع قليل ومدة إلى حين ، وكل شىء منها يزول ، فكم عاينتم من أعاجيبها ، وكم نصبت لكم من حبائلها ، وأهلكت من جنح إليها واعتمد عليها وأذاقتهم حلوا ومزجت لهم سما . أين الملوك الذين بنوا المدائن وشيدوا المصانع وأوثقوا الأبواب ، وكاثفوا الحجاب ، وأعدوا الجياد ، وملكوا البلاد ، واستخدموا التلاد . قبضتهم بمخلبها ، وطحنتهم بكلكلها . وعضتهم بأنيابها ، وعاضتهم من السعة ضيقا ، ومن العزة ذلا ومن الحياة فناء ، فسكنوا اللحود . وأكلهم الدود ، وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم [١]

ولو أننا أخذنا نستقصى من صفات واصل ومزاياه ماوقع عليه النظر فى الكتب والدفاتر ودل عليه الأثر والنظر الصادق إذاً لامتد الشوط . ولكننا نشوق القارىء على طريقتنا فى هذه التراجم ونلهب فيه نشاطا للأسوة الصالحة .

أسأل الله سبحانه أن ينفعنا بما نعلم ويعلمنا مالا نعلم ، ورحم الله أبا حذيفة بقدر ما أخلص للدين والعلم وغفر له بقدر ما تجرد لدعوة الإسلام وجاهد فى الله ؟

محمود النواوى

---

[١] وجدنا الراء فى كلمة « ترى » فلعلهم أرادوا مالم ينقل من القرآن أدبا مع القرآن ، والجملة فى الكتاب الكريم سورة الاحقاف .

الغزو الثقافى الاجنبى

للبلاد العربية و الاسلامية

تلقينا هذا البحث الاجتماعى القيم من سماحة السيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربيـة العليا ، ونرجو أن يكون له الأثر النافع فى القلوب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى سائر الانبياء والمرسلين ، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ـ فقد تفضلت اللجنة الثقافية لرابطة موظفى الحكومـة المصرية العامة الموقرة ، فطلبت إلىّ إلقاء كلمة ، فلم يسعنى إلا تلبية طلبها رغم الظروف الحاضرة التى تشغل البال وتقض المضاجع فى الأقطار العربيـة . واخترت أن تكون كلمتى « الغزو الثقافى فى البلاد العربية » لعلاقته بهذا القلق والاضطراب الفكرى فى هذه البلاد .

أما السبب الذى حملنى على أن أذكر الغزو ، فإنه يعود إلى عوامل تاريخيـة ماضية ، وأخرى حالية ، فإن من أبرز الأوضاع التى لازمت بلادنا العربية خاصة ، والبلاد الشرقية عامة ، هو الغزو الذى جاءنا من الغرب منذ أقـــدم عصور التاريخ المعروف . منذ غزا الإسكندر المقدونى بلاد الشرق ، ثم ما تلاه من غزو الرومانيين واحتلالهم أقطاراً كثيرة من بلاد الشرق الاوسط ، وما حدث فى تلك القرون الخوالى من صراع دام وحروب متوالية كان بعضها سجالا بين الرومان وقرطاجنة ، وبينهم وبين فارس ، انتصف فيها الشرق تارة ، وتغلب الغرب تارة أخرى ، إلى أن ظهر العرب فى معترك الحياة فى صدر الإسلام ، فصدوا الغزو الرومانى البيزنطى وأعادوا الغزاة القهقرى ، ومضوا قدما فى سبيل تحرير الشرق من ربقة ذلك الاستعمار لفترة طويلة . ولكن ما انطبعت عليـه نفوس البشر من

روح العدوان والرغبة فى الغزو والاستعمار (والظلم من شيم النفوس) كان كفيلا باستمرار الصراع بين الشرق والغرب عامة ، وبين الشعوب المقيمة فى شرق البحر الأبيض والشعوب المقيمة فى غربيه ، واتخذ هذا الصراع أشكالا وأسماء مختلفة ، كالحروب الصليبية ، والغزوات العثمانية ، وأخيراً سمى « الغزو الاستعمارى » .

وتجلت هذه الغزوة الاستعمارية الأخيرة بصورة خاصة بعد احتلال بريطانيا لمضيق جبل طارق عام ١٧٠٤ ، وبذلك استولت على باب البحر الأبيض ووضعت مفتاحه فى جيبها وكان هذا البحر منذ أقدم الأزمنة حتى الآن ، عظيم الأهمية فى تجارته وثروات البلاد الواقعة على شواطئه ، وفى مواصلاته ومواقعه الجغرافية والاستراتيجية ، ومنذ احتلال جبل طارق حتى اليوم وكفة الغرب راجحة ساحقة فى عدوانها ، وغزواته متتالية متنوعة فى أغراضها ، فلم تقتصر على الغزو العسكرى بل تجاوزته إلى الغزو الاقتصادى ، والروحى ، والاجتماعى ، والثقافى .

ونحن الآن عن الغزو الثقافى لحسب لأهميته الكبرى ، ولأنه أعظم خطرا وأبعد أثرا فى مصير الأمم ، من الغزو العسكرى والاقتصادى ، لأن الغزو العسكرى والاحتلال الأجنبى مهما طال أمده لابد أن ينتهى بالجلاء كما وقع فى الهند وباكستان وبورما وسيلان واندونيسيا وغيرها من الأقطار الآسيوية ، وكما يرجى أن يتم فى الأقطار الإفريقية أيضا ، وقد ظهرت بشائر ذلك والحمد لله فى الجلاء الراهن عن قناة السويس . ونحمد الله أن نرى صرح الاستعمار قد انهار فى معظم البلاد الآسيوية كما أنه أصبح مزعزع الأركان فى كثير من البلاد الإفريقية ، وإنا لنرجو أن يتم انهياره واندحاره فى سائر بلاد الدنيا ولا سيما فى بلادنا العربية التى لا تزال تعانى من وطأته أكثر من غيرها لقربها من مراكز الاستعمار الرئيسية ، ولأسباب أخرى لا يتسع المجال لبسطها الآن .

ولكن الخلاص من الاحتلال العسكرى وحده لا يكفى ، بل أهم منه النجاة من الاحتلال الثقافى الذى يستعمر القلوب ، ويسيطر على العقول ، ولن يتم تحرر حقيقى لأية أمة بمجرد خروج قوات الاحتلال العسكرية من بلادها إذا ظلت القلوب والعقول رازحة تحت كابوس الاحتلال الثقافى .

وقد تسلل هذا الغزو الثقافى الأجنبي إلى القلوب والعقول تدريجيا حتى تغلغل فيها وتمكن منها بوسائل عديدة من أهمها :

١ — المدارس الاجنبية .

٢ — الأفلام الاجنبية .

٣ — المطبوعات الاجنبية من كتب وصحف ومجلات .

٤ — الاندية والجمعيات ، والمعاهد والمؤسسات الاجنبية .

٥ — الملاهى والموسيقى الأجنبية .

٦ — الإذاعات الأجنبية .

ونبدأ الآن بالمدارس الأجنبية :

لقد أنشئت هذه المدارس فى بلادنا بحجة نشر العلم وتحت ستار الثقافة والتهذيب والتربية والتعليم ، ولكنها فى الحقيقة لم تنشأ لهذه الأغراض الطيبة ، ولا كان القصد منها صالح البلاد ، بل أنشئت لغايات ومقاصد أخرى لم تعد خافية على أحد ، وكيف يعقل أن ينفق الاجانب كل هذه الاموال والجهود لسواد عيوننا ؟ . إن المقصد الاساسى من هذه المدارس هو تربية أبنائنا تربية ملائمة لصالح الاستعمار وتوطيد دعائمه ، وطبعهم بطابعه ، والسيطرة على قلوبهم وعقولهم ، وهدم عقائدهم ، وإضعاف نفوسهم ، وتشكيكهم فى قيمهم الأخلاقية وتقاليدهم الاجتماعية ، وبالنتيجة جعلهم أدوات طيعة خاضعة للمستعمر ، تصدع بأمره وتنفذ رغباته ، وينتهى بها الامر حتى تكون عناصر عاملة فى الطابور الخامس لخدمة مصالح الاستعمار وهدم كيان الأمة ؛ كما أن اختلاف الثقافات يسبب بلبلة الأفكار والآراء والمعتقدات ، واختلاف وجهات النظر ، كما يسبب الانقسام والخصام بين أبناء الوطن الواحد بل أفراد الاسرة الواحدة ، إذا تربوا فى مدارس أجنبية مختلفة . فالمدارس الأجنبية — فى حقيقة أمرها — معامل تصدر أفرادا متأثرين بالثقافة الأجنبية ، مطبوعين بطابعها الخاص ، وذوى استعداد من حيث لا يشعرون لتعضيد غايات الاستعمار ، وتنفيذ أهداف الطابور الخامس الذى هو أخطر ما يهدد الامة فى أمنها وسلامتها واستقرارها ومستقبلها .

وإنى لأعجب كيف نسلم أولادنا بأيدينا لخصومنا طائعين مختارين ، وهم أعز شىء علينا ، وقديماً قال شاعرنا :

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض

إن هذا هو البلاء المبين ، والضلال البعيد .

إن غفلتنا التى لم تصل إلى مثلها أية أمة ، قد أتاحت لرسل الاستعمار أن يمضوا فى إنشاء المدارس الأجنبية التى ترعرعت فى ظلال غفلتنا الوارفة ، واتسعت وازداد عدد طلابها حتى بلغت حداً خطيراً جداً يهدد كيان أمتنا العربية . ولكى تقدروا هذه الخطورة حق قدرها أسرد لكم بعض الأرقام المستخرجة من السجلات الرسمية فى أكثر الدول العربية لعام ١٩٥٠ - ١٩٥١

	من الأبناء		من البنات	المجموع
ففى مصر : ٢٩٢ مدرسة أجنبية فيها	٣٥ر٦٢١	و	٤٣ر٨٢٢	٧٩ر٠٤٣
وفى لبنان :	٢٧ر٦٤٥		١٦ر٦٥٤	٤٤ر٣٠١
وفى سورية :	٤ر٨٦٨		٤ر١٥٤	٩ر٠٢٢
وفى الأردن :	٤ر٩٨٤		٣ر٧٦٣	٨ر٧٦٣
وفى العراق :	٢ر٠٢٣		١٤٤	٢ر١٦٧
وفى فلسطين : آخر إحصاء قبل الكارثة أى عام ١٩٤٧ كان عدد الطلاب فى المدارس الأجنبية - رغم أن مدارس الحكومة كانت تحت إشراف أجنبى				٢٦ر٣٥١
				١٦٩ر٥٠٤

ولكى تحيطوا علماً بمقدار تغلغل الغزو الثقافى فى البلاد العربية أذكر لكم أن فى مدينة القدس التى كان عدد سكانها لا يزيد عن مائة وخمسين ألف نفس (٨٢) معهداً أجنبياً .
ولا شك أن هذه الأعداد الهائلة من الأبناء والبنات الذين تربيهم المدارس الأجنبية لتدعو إلى الدهشة والعجب ، بل تدعو إلى الخوف والذعر .

إن جميع الأمم الواعية لاتسمح بإنشاء مدرسة أجنبية واحدة فى بلادها حتى الأمم التى تربط بينها روابط كثيرة ، فلا تجد فى انجلترا مدارس أمريكية ، ولا فى فرنسا مدارس اسبانية ، وكذلك الأمم الأخرى ، حتى هـذه الدولة المصطنعة إسرائيل ، فإنها لم تسمح بإنشاء أية مدرسة أجنبية فيها ، وقد قامت قبل بضعة أعوام أزمة وزارية فى إسرائيل واستقال أربعة من الوزراء بسبب الإذن بإنشاء مدرسة واحدة علمانية لاتدرس الدين الإسرائيلى ، واستمرت الأزمة إلى أن ألغى الإذن بفتح هذه المدرسة . وإنكم لاتجدون فى أقطار العالم بلاداً مفتوحة وحمى مستباحا لكل طامع مثل بلادنا التى توسع صدرها لكل غزو ثقافى . وإنى أضرب لكم مثلا كدليل على مقدار اهتمام الأمم الواعية بشؤون الثقافة . أذكر أن الحكومة النمساوية حينما أرادت شن الغارة على مملكة الصرب فى بدء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ بسبب مقتل ولى عهد النمسا وأملت شروطها ، كان من ضمن الشروط أن تلغى الحكومة الصربية تعليم كتاب مدرسى معروف باعتبار أن مافيه يوغر صدور الطلاب الصربيين على النمسا .

وهناك مثل آخر فقد حدث منذ أربع سنوات أن طلب إخواننا سكان الجزائر فى المغرب العربى من الحكومة المصرية إنشاء معهد ثقافى فى بلادهم فاستجابت مصر لطلبهم وقررت إنشاء المعهد وعينت الدكتور يحي الخشاب من أساتذة جامعة القاهرة مديراً له ، ووافقت الحكومة الافرنسية على فتح المعهد . ولكن عندما أراد مديره الدكتور الخشاب أن يسافر إلى الجزائر لافتتاح المعهد رفضت السفارة الافرنسية بالقاهرة أن تؤشر على جواز سفره ، وهكذا أحبط المشروع ولم توافق السلطات الفرنسية على فتح معهد عربى فى بلاد عربية .

وقد بلغنى أن بعض الكتب التى تدرس فى بعض المدارس الأجنبية تحتوى على مايمس عقائد أهل البلاد وتقاليدهم ويشجب تاريخهم وأمجادهم . هـذا مع العلم أن أكثر الدول العربية تنفق مبالغ عظيمة فى سبيل التعليم وإنشاء المدارس . وأوضح برهان على ذلك أن ميزانية وزارة التربية والتعليم المصرية لاتقل عن ثلاثين مليون جنيه ، وهذا مبلغ ليس بالقليل ، فإنى أذكر أن كل موازنة الدولة العثمانية فى أواخر عهدها كانت نحو ثلاثين مليوناً .

إن بعض الناس يستخفون بأخطار الثقافة الأجنبيـة معتمدين على أن عدداً من الذين

تخرجوا من المدارس الاجنبية ظلوا محافظين على عقائدهم وتقاليدهم ولم يظهر فيهم أثر ذو بال من تأثير تلك الثقافة . ولكن هذا لا يصح القياس عليه لأن بعض الطلاب تكون لديهم بعض الحصانة بسبب تربيتهم البيئية أو نحوها من الاسباب ، مثلهم فى ذلك مثل الذين يتعرضون للاختلاط بالمصابين بالأمراض المعدية وينجو بعضهم من العدوى بسبب المناعة الصحية . ولكن هذا هو خلاف القاعدة الاساسية التى تحتم ضرورة الوقاية واجتناب العدوى .

٢ ـ الأفلام الاجنبية :

إن إقبال الناس على دور السينما يزداد باستمرار . وبما أن هذه الأفلام الأجنبية وضعت للاستغلال المادى ، أو لغايات سياسية أو ثقافية أخرى لاتلائم مصالح أمتنا فإنها لم تقم للأخلاق ولا للتهذيب أى وزن . وقد ظهر واضحاً للناس أجمعين مبلغ الضرر الذى أصاب الاخلاق ، بسبب السينما . كما كان له أثر عظيم على كثرة الجرائم ، والإخلال بالأمن ، وغير ذلك من النتائج السيئة .

وانى لأذكر أن الالمان فى عهدهم الماضى منعوا الأفلام الاجنبية منعا باتا من دخول بلادهم ، وأخرجوا أفلاما تلائم مصالحهم ووجهة نظرهم ، وليس فيها ما يسىء إلى الأخلاق .

وأذكر أن أهل باكستان واندونيسيا وبعض الأقطار الشرقية الأخرى أقبلوا على الافلام المصرية معتقدين أنها تلائم الاخلاق الكريمة كل الملاءمة ، ولكنهم لما عرضوها ورأوا ما فى بعضها من الاستهتار وعلموا أن أكثرها لم يكن صادرا من مصريين صميميين ، نبذوها وألفوا أفلاما من صميم حياتهم وملائمة لأخلاقهم وتقاليدهم .

ولا يتسع المجال لذكر جميع وسائل الغزو الثقافى الاجنبي من مطبوعات تبث بالكتب والصحف والمجلات الاجنبية ، كل ما ترمى إليه من أفكار وتوجيهات . ومن أندية وجمعيات ، ومعاهد ومؤسسات ، يلبس بعضها لباس الرياضة ، أو أعمال البر والخير والانسانية ، ويرتدى بعضها رداء الأدب والفنون والموسيقى وغير ذلك ، ولكنها كلها فى النتيجة تهدف الى غايات متماثلة .

ويهمنى أن أوضح أن أضرار الغزو الثقافى لا تقتصر على طائفة فى البلاد العربية دون

أخرى ، بل إن أضرارها تصيب المسلمين والمسيحيين جميعاً . وقد اطلعت على الشكاوى التى رددها كثير من الفضلاء فى هذا الموضوع . وأذكر بهذه المناسبة موقف الدكتور طه حسين فى لجنة الحريات والحقوق العامة بلجنة الدستور فى نوفمبر سنة ١٩٥٣ من المدارس الاجنبية فقد أوضح أضرارها الشديدة التى أصابت المواطنين الاقباط ، وأنها تثير التفرقة حتى بين أبناء الدين الواحد . إلى أن قال الدكتور طه حسين ما نصه : « إن الهدف المقصود من مدارس الإرساليات الأمريكية والإنكليزية والافرنسية هو هدم الكنيسة القبطية . مع أن هذه الكنيسة من تراث الدولة يجب المحافظة عليه .

* * *

المعالجة :

ولمعالجة الغزو الثقافى وأضراره العظيمة التى تهدد كيان البلاد العربية ، ينبغى استرعاء أنظار أولى الأمر وأهل الرأى ، ليقوموا بدراسة منظمة مستمرة ، تكون نتيجتها اتخاذ وسائل حازمة حكيمة ، وسن قوانين تحمى المجتمع العربى من جميع الغزوات الثقافية والدعايات الهدامة الأجنبية غربية كانت أو شرقية ، وكذلك ينبغى أن يكون هناك إشراف حازم على كل ما يعتبر غذاء للعقول والقلوب ، كالإشراف المحمود الذى تقوم به وزارة الصحة على غذاء الأجسام ، من شراب وطعام وغيره . فإن غذاء العقول والقلوب يحتاج إلى عناية أكبر واهتمام أعظم ، فلا يسمح بنشر أية مطبوعات أو صور أو إعلانات أو رواية تمثيلية أو فيلم سينمائى أو اذاعة أغنية إلا إذا كانت جميعها نظيفة طاهرة من الأوشاب والاقذار خالية من الجراثيم الضارة بالأخلاق .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ذكرى الهجرة النبوية الكريمة

صادق الفجر في محيا السماء — فاض منه الضياء في الأرجاء

لاح النور في مشارقه الغر — جليلا في بهجة ورواء

وحواشي الوجود رفت بهاء — تتحلى بعاطر الأنداء

أيها الناس قد بدا لكم النو — ر فسيروا في نهجه الوضاء

أيها الناس قد أظلكم السعـ — ـد فعيشوا في غبطة ورخاء

طلعة المصطفى على «طيبة» العـ — ـزة أبهى من سائر الأضواء

هاجر الدين هاجراً ظلمة الظلـ — ـم فأضحى بها سنى الضياء

زهق الباطل اللجوج وجاء الحـ — ـق يشفي من كل داء عياء

بين مجـ ـد وعزة وخلود — وتعاليم توجت بالبقاء

* * *

لم يتح للحيـ ـاة مثل نبي — غمر الكون بالسنا والسناء

كم رياض أثمرن داء دوياً — وقفار أنبتن برء الداء

ما ترون النبي أنبته القفـ — ـر فأحيا الوجود بعد فناء

واحد أنقذ الأنام من الكفـ — ـر وأنجاهمو من الضراء

واحد ألف القلوب على الحـ — ـق فسارت على صراط سواء

فمحا الشر من قلوب الألدا — ء وأعلى للمجد خير بناء

* * *

خضع الناس سيداً ومسوداً — للعرانين من بني الصحراء

قادهم للجهاد داع حثيث — بنداء أعظم به من نداء

بنداء الألباب تهتف بالنجوى — فتمضي الأجسام للأواء

عزمات بعزة الحق تمضى لا تبالى بشدة وعناء
لم يضاروا من قلة فى عديد نصرة الحق عدة الضعفاء
أطرما اسطعت لست تبلغ شأوا ذاك قدر سما على الإطراء
ليس بعد القرآن موضع مدح لرسول مؤيد بالسماء

* * *

يا رعاة الإسلام لا تتوانوا فالتوانى مطية الضعفاء
قد غزينا فى دورنا فلنجاهد ولنحقق وراثة الأنبياء
انظروا الناس عائلا وثريا لا تروا غير سادر فى عماء
ألحد الناس واستناموا إلى الشك وباتوا فى حيرة عمياء
افتدوا الدين بالنفوس الغوالى هو أحرى منكم بأغلى فداء
ارفعوا شأن دينكم ما قدرتم عزة الدين عزة العلماء

أحمد شفيع السيد
الأستاذ فى كلية اللغة العربية

سرطان

إن دولة إسرائيل سرطان أقحم ظلما وعدوانا وفى كثير من العنف ، الى الشرق الأوسط ، ولكنها ان لم تكن سرطانا لا تستطيع أن تحيا الى مالانهاية له على حساب جيرانها ، ولا بد لها من أن تموت آخر الأمر مادامت لا تملك فى ذاتها مقومات الحياة .

لورانس غريز وولد الأمريكى

كلمـــــة الأزهر

فى ذكرى الهجرة المحمدية

ألقاها بالرواق العباسى شيخ كلية أصول الدين

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على السايس

عضو جماعة كبار العلماء

نحمدك اللهم حمد الشاكرين . نحمدك ونستعينك ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، ونصلى ونسلم على سيد الأنبياء وصفوة الرسل والأولياء سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المصلحين ، المبعوث بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

أما بعد :

فإن مشيخة الأزهر يسعدها أن تنتهز هذه المناسبة الكريمة فتبعث إلى الأمة المصرية وإلى سائر الأمم الإسلامية بأجمل آيات التهانى بعيد الهجرة النبوية المجيد ، وتسأل الله العلى القدير أن يجعل هذا العام عام سعد ويمن وبركة على الإسلام والمسلمين ، عام رخاء وإخاء ورفاهية وسلام للأمم قاطبة والناس أجمعين .

أيها المستمعون الكرام . إذا كان الأزهر يحتفل اليوم بذكرى الهجرة النبوية ، فإنما يحتفل بأعظم حادث تاريخى لأعظم نبى حول مجرى التاريخ فسعد به البشر وظهر به فضل الله على خلقه وصدق الله العظيم إذ يقول : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

وإن نظرة إلى ما كان عليه الناس قبل مبعث الرسول الكريم ترينا مبلغ هذا الإصلاح المحمدى، كما ترينا عظم العبء الملقى على عاتق النبى صلى الله عليه وسلم، وأنه لتنوء به العصبة أولو القوة، لكن الله أعلم حيث يجعل رسالته، فاختار لها أكرم الناس نفساً، وأزكاهم خلقاً، وأمضاهم عزماً، وأوسعهم صدراً، وأقواهم على تحمل الأذى صبراً، وأيده بروح منه حتى بلغ ما أنزل إليه من ربه، وظهر الإسلام على الدين كله فسعدت به البرية بعد طول شقاء، واستنارت بنوره وقد كانت تتخبط فى دياجير الظلماء.

فصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله يوم ولدت، وصلاة الله وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله يوم بعثت، وصلاة الله وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله يوم هاجرت، وصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله يوم لحقت بالرفيق الأعلى، وصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله «يوم يبعثك ربك مقاماً محمودا» للشفاعة العظمى فى فصل القضاء.

سيدى رسول الله. بعثك الله عز وجل بالحق على فترة من الرسل فى قوم أميين: عقائدهم باطلة، وأخلاقهم فاسدة، وروابطهم ممزقة، وسياستهم فاشلة، يعبدون الأصنام، ويقطعون الأرحام، ويئدون البنات، ويشنون لأتفه الأسباب الحروب والغارات، وينكرون فيما ينكرون البعث والنشور وقيام الناس لرب العالمين، فأخذت تدعوهم إلى أن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، وأن الله سائلهم عما قدموا فى حياتهم الدنيا من عمل «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره».

دعوت قومك يارسول الله إلى الحق والخير، دعوتهم إلى البر وصالح العمل، على أساس من الإيمان بالله وحده، فلم يستجيبوا لك وأعرضوا عن هدى الله، وجاهروك بالعداوة. وبالغوا فى إيذائك وإيذاء من آمن بك، وضاقت صدورهم عن دعوتك، ولكنك وأنت الرءوف الرحيم الحليم الرشيد، قابلت الإساءة بالصبر الجميل، ولم تزد على أن تقول: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون».

تحديتهم بما أنزل الله إليك من الكتاب أن يأتوا بمثله فعجزوا. طاولتهم وطلبت منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات إن كان مفترى فعجزوا. أرخيت لهم العنان وقلت

فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين ، . ـ وذلك يصدق بأقصر سورة ـ فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا ، وهم يومئذ أساطين البلاغة وأعلام البيان .

هنالك قامت حجة الله البالغة عليهم فلم يستبينوا الرشد ، ولم يفيقوا من الغى ، بل لجوا فى طغيانهم يعمهون ، وأمعنوا فى العناد والمكابرة واستمروا على الكفر والتكذيب رجاء أن تكف عن دعوتك ، وتنصرف عن تبليغ رسالتك . فلما أعيتهم الحيل أمام إيمانك وصبرك عرضوا عليك الملك والمال ، فكان الحق أكرم عليك ، وهدايتهم أحب إليك ، وزخارف الدنيا وزينتها تحت قدميك ، حتى قلت كلمتك الخالدة : (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) فلما يئسوا لجأوا إلى حجة المبهوت ، وأخذوا يقترحون عليك الآيات كأنها إليك لا إلى الله .

وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا .

وهكذا لم يعتبروا القرآن الكريم آية وهو أكبر الآيات ، ولم يعدوه معجزة وهو أبلغ المعجزات .

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ، بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ، وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون .

أجهد القوم أنفسهم فى عنادك وتكذيبك يا رسول الله وأنت بهم رءوف رحيم ، وقد كنت فيهم قبل أن تبعث إليهم الصادق الأمين ، والوفى الكريم ، والعاقل الرشيد ، لما خصك الله به من الصدق والأمانة وما طبعك عليه من المروءة والشهامة ، شهد بذلك كبير القوم ورئيسهم أبو سفيان أمام ملك الروم هرقل ، حينما سأله وهو يتحرى عن صدق نبوتك إذ قال له

الملك فيما قال : (هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال) قال أبو سفيان : لا . قال هرقل : (ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله) .

دام هذا الصراع العنيف بين الحق والباطل عشر سنوات أو تزيد ، وفى النهاية اجتمع زعماء الكفار من قريش فى دار ندوتهم سراً ، واتفق رأيهم على أن يجمعوا من كل قبيلة شابا جلداً فيضربوا محمداً بسيوفهم ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل ، فلا تستطيع بنو هاشم أن تأخذ بثأره ، ولكن الله جلت حكمته وعلت كلمته أحبط هذه المؤامرة الدنيئة الفاشلة وقضى على ما دبروا وبيتوا فكانت هجرته ﷺ ومن معه إلى المدينة المنورة .

كانت الهجرة نقطة التحول فى تاريخ الدعوة المحمدية . كانت بداية لنهاية الباطل ودولته ، وقضاء على الطغيان وصولته ، أذن بها للحق أن يتنفس فى فضاء الحرية الرحب الفسيح ، وأن يقف للباطل بالمرصاد فيدفع العدوان مثلا بمثلين ويكيل له الصاع صاعين ، فأصبح الإسلام - وقد كان غريباً بمكة - له دار تؤويه وأنصار تحميه . وهكذا هيأ الله بالهجرة للدعوة المحمدية المباركة بيئة صالحة وتربة طيبة فتقبلتها نفوس كريمة برئت من الأضغان والأحقاد وتنزهت عن الجحود والعناد ، فأصبحوا بها أمة قوية مؤتلفة تدعو إلى الله على بصيرة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ثم جرى معين الدعوة المحمدية فى الأرض تحيي مواتها وتنبت أشجارها فتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، وبها بلغت الإنسانية رشدها وتحررت من قيودها وأغلالها .

أيها المستمعون الكرام . إن يوم الهجرة يوم عظيم من أيام الله يطالعنا فى كل عام فيذكرنا بالجهاد الحق فى سبيل الحق ، يذكرنا بافتداء العقيدة بالنفس والأهل والمال والولد ، يذكرنا برجال خرجوا عن ديارهم لله ، يبغون الحرية وينشدون فى أرض الله الواسعة العزة والكرامة ، يذكرنا كيف يقذف الله الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، وكيف ينتصر الصلاح على الفساد والحرية على الاستعباد ، يذكرنا رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه أو ذوا فى سبيل الله فصبروا ، فتنهم المشركون عن دينهم فما لانوا ، افتن أهل الجبت والطاغوت فى تعذيبهم وإيذائهم فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، يذكرنا

هذا اليوم الكريم بتلك المدنية الفاضلة التي أقامها المسلمون على أساس من دينهم وهدى نبيهم يوم أن كانوا قادة الأمم ، وفي جميع شئون الحياة مضرب المثل .

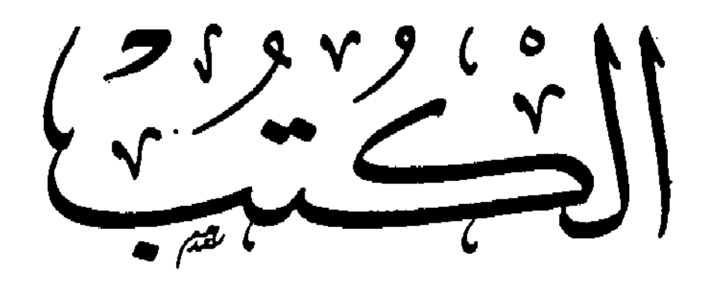
وفي الحق إن في الشريعة الإسلامية العلاج الناجع والدواء الشافي من مشاكل الحياة فيها تهذيب للنفوس وتأليف للقلوب وقضاء على الأمراض الاجتماعية . فيها ما يحقق الأمن والطمأنينة وينشر ألوية السلام في مشارق الأرض ومغاربها .

أيها المسلمون لنأخذ العبرة من حادث الهجرة ، فنتواصى بالحق ونتواصى بالصبر ونتفانى في نصرة المثل العليا والمبادىء القويمة ، ونتعاون على البر والتقوى ، وندعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولنتخذ من رسولنا الأعظم وسلفنا الصالح القدوة الطيبة والمثل الكريم في نصرة الحق وأهله وإعلاء كلمة الله . ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

والأمل في الله كبير أن يوفق قادتنا الأحرار أبطـــال ثورة مصر الذين ثاروا على الاستبداد وحطموا قيود الاستعباد وأتوا في زمن وجيز بما لم يأت به الأوائل ، في أجيال عديدة وآماد بعيدة ، وأن يكلل بالنجاح مسعاهم ، ويسدد خطاهم ، لجمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم ، والمساهمة في بناء السلم العالمي ، وإرساء قواعد الأمن الدولي . وها هي ذي أعمالهم المجيدة بادية للعيان متجددة في كل آن ، لسان صدق وشاهد عدل .

وهذا هو المؤتمر الإسلامي الذي تنظمه الثورة وتقوم بأعبائه ومؤتمر باندنج وإعلان قراراته وموقف السيد الرئيس (جمال عبد الناصر) من هذه القرارات وتيسيره مهمة ذلك المؤتمر مما كان موضع الإعجاب والتقدير من ذوي الرأي في أنحاء العالم . كل أولئك يبشر بتحقيق ما نرجوه للأمم الاسلامية وما يجاورها من الأمم الأخرى ، حتى ينعم العالم كله بسلام دائم ، وإخاء انساني كريم ، قوامه الإخلاص والتعاون والمحبة والوئام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟



(المقنع) لابن قدامة — والحاشية عليه

نشره سمو الأمير علي بن عبد الله بن ثاني أمير قطر — ١٨٣٠ صفحة — المطبعة السلفية

موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٥٤١ — ٦٢٠) من أعلام فقهاء مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وقد نفع الله الناس بكتابه (المغني) الذي يعتبر من أمهات كتب الفقه الإسلامي . وكان ابن قدامة قد ألف كتابه (العمدة) للمبتدئين مقتصراً فيه على المعتمد في المذهب ، ثم ألف (المقنع) فأطلق في كثير من مسائله روايتين ليتعود قارئه ترجيح الروايات ، وألف بعده (الكافي) في أربعة أجزاء وفيه من الأدلة ما يؤهل الطالب للعمل بالدليل ، وختم هذه السلسلة الذهبية بكتابه (المغني) في عشرة أجزاء ذكر فيه المذاهب والأدلة ليؤهل الطالب لطرق الاجتهاد .

وقد وفق الله حاكم قطر سمو الشيخ علي بن عبد الله بن ثاني لطبع (المقنع) طبعة أنيقة في ثلاثة مجلدات ، وعليه حاشية نفيسة منقولة من خط الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد شباب الإسلام في جزيرة العرب ، وهذه الحاشية غير منسوبة لأحد ، والظاهر أن الشيخ سليمان هو الذي جمعها ، وهي تمتاز ببيان مذاهب الصحابة والتابعين في مسائل الفروع عند ذكر كل مسألة للصحابة فيها قول معروف ، هذا فضلا عن الإشارة إلى مذاهب التابعين وأئمة الفقه المعروفين .

والمقنع مختصر اسمه (زاد المستقنع) للشيخ شرف الدين أبي النجا هو العمدة الآن في تدريس الفقه على مذهب الإمام أحمد ، مع الاستعانة بشرحه (الروض المربع) للشيخ منصور البهوتي . وإن طبع (المقنع) الآن مع هذه الحاشية مما يعين في تدريس مختصره (زاد المستقنع) . فنرجو الله أن يجزل ثواب حاكم قطر على هذه الخدمة العلمية للفقه والشريعة الإسلامية ، وأن يوفقه إلى إحياء أمثال هذه الكتب النافعة .

تاريخ حلب — لابن العديم

بتحقيق الدكتور سامي الدهان — جزءان ٨٥٠ ص — المعهد الفرنسي بدمشق

من متممات تاريخ العرب والإسلام الكتب العظيمة التي صنفها علماؤنا في التراجم، والكتب الأخرى الجليلة التي ألموا فيها بتواريخ المدن وعمرانها وأحداثها ومن أنجبتهم من رجالها. وكلما تمكن الناشرون من إحياء النصوص القديمة في التراجم وتواريخ البلدان استنار تاريخنا السياسي والاجتماعي والعلمي وبدت محاسنه للدارسين والباحثين.

وكمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم (٥٨٨ - ٦٦٠) مؤلف هذا الكتاب من أعلام رجال الأمة العربية في النصف الثاني من القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع، عاصر طبقة القاضي ابن خلكان والقفطي وياقوت وابن شداد، ونوهت به وبأسرته أمهات الكتب، ولا غرو فقد كان في الطبقة العليا من أعيان البيان ورجال الدولة وحملة العلم وأعلام الأدب. وكتابه هذا (زبدة الحلب من تاريخ حلب) ثاني اثنين في موضوعه للمؤلف، فالزبدة مرتب على أزمان الدول المتعاقبة، وله قبله كتاب آخر اسمه (بغية الطلب في تاريخ حلب) قال عنه ابن كثير انه في نحو أربعين مجلدا وهو كتاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي مرتب على الحروف.

وقد اتخذهما مرجعا أكثر الذين ألفوا في تاريخ الحروب الصليبية ولا سيما من المستشرقين كالمؤرخ برترو وتلميذه سلفستر دي ساثي وفيلكن وميشو وفريتاغ ومولر ودي مينار وبلوشه وكانار وهونيغمان وأخيراً الاستاذ جان سوفاجه.

ولما أراد أخيراً المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية أن ينشر كتاب زبدة الحلب لابن العديم عهد بتحقيقه إلى صديقنا الدكتور السيد سامي الدهان فبذل في ذلك جهداً عظيما ولم يدع شاردة فيما يتعلق بكل فقرة من فقرات الكتاب إلا ألم بها، والكتاب جدير بذلك لأنه كما قال عنه الناشر: لو أراد محدث أن يكتب منصفا في التاريخ الإسلامي لهذا البلد وحروبه ضد الروم والصليبيين لم يصنع إلا كما صنع ابن العديم.

وقد ازدان الكتاب بالفهارس المتقنة للأعلام والبلدان والكتب والمراجع وللخلفاء والدول وللسنين الهجرية مقارنة بالسنين الميلادية، هذا عدا فهرس أبواب الكتاب ومحتوياته والصور الجميلة لنماذج من مخطوطة باريس التي اعتمد عليها في النشر، ونموذج لخط ابن العديم منقولا عن تذكرته. وبذلك حل كتاب ابن العديم في الموضع الممتاز من المكتبة العربية.

ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى

بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلانى - ٨٨ ص - المعهد الفرنسى بدمشق

يقول ياقوت الحموى (فى معجم الأدباء) إن أبا حيان التوحيدى « فرد الدنيا الذى لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة » ، ويقول آمتز فى كتابه (الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) : « ربما كان التوحيدى أعظم كتاب النثر العربى على الإطلاق » .

وكان التوحيدى يرى فى نفسه أنه عاش مغموطا ، ولذلك أحرق فى أواخر أيام حياته كتبه فلم يسلم منها إلا الذى كتب عنه فى حياته وخرج قبل أن يحرق التوحيدى الأصول التى كانت تحت يده . ومن كتبه التى بقيت: الامتاع والمؤانسة ، والإشارات ، والهوامل والشوامل ، والصداقة والصديق ، والمقابسات ، ورسالة العلوم .

وبين يدينا الآن ثلاث رسائل أخرى له نشرها المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية بتحقيق الدكتور ابراهيم الكيلانى وهى (رسالة السقيفة) و (رسالة فى علم الكتابة) و (رسالة الحياة) ، وكل رسالة من هذه الرسائل تكشف ناحية من نواحى النشاط الفكرى والفنى لأبى حيان التوحيدى وتساعد على تفهم القضايا العقلية والتيارات الفكرية التى تأثر بها فى عصره أو شارك فيها ، والرسالة الأولى طبعت عن مخطوطة الاسكوريال رقم ٥٣٨ مكتوبة بخط مغربى سنة ٧٨٥ ، وعن مخطوطة دار الكتب الظاهرية رقم ٢٤٠ مجاميع وكانت من كتب أحد أعيان بيت القوتلى ، وعن مخطوطة السيد محمود حمزة مفتى دمشق وهى حديثة .

ورسالة الكتابة خاصة بمهنة الوراقة التى زاولها التوحيدى ، وقد طبعت عن مخطوطة مكتبة فينه ومنها نسخة مصورة فى مكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٩٠ وتعتبر هذه الرسالة من أقدم ما نشر عن الخطوط العربية وقواعدها وأنواعها .

أما الرسالة الثالثة (رسالة الحياة) فهى فى الفلسفة والتصوف على شاكلة البحوث التى طرقها المؤلف فى كتابه المقابسات ، وقدطبعت عن مخطوطة مكتبة شهيد على بالقسطنطينية رقم ١١٨٦ وهى مكتوبة بخط فارسى سنة ٩٧٣ .

وقد زينت هذه المجموعة بصور لنماذج من الأصول التى طبعت عنها ، وبآخرها فهرس للأعلام ، ولأسماء الكتب الواردة فى رسائل التوحيدى والتعليق عليها ، وبيان للمصادر التى استعان بها الدكتور إبراهيم الكيلانى فى تحقيق هذه الرسائل .

* * *

القواعد والتطبيقات

فى الإبدال ، والاعلال ، والادغام

علم الصرف يكاد يكون هو العنصر المغموط فى عالم التأليف بين عناصر اللغة العربية ، مع أنه الأساس الذى تنبنى عليه ، بل هو الهندسة التى تفننت بها سجايا العروبة فى بناء أجمل لغات الإنسان منذ خلقه الله ناطقا إلى أن تقوم الساعة .

وكتاب القواعد والتطبيقات فى الابدال والاعلال والادغام كتاب مدرسى منظم جامع ألفه الأستاذ عبد السميع شبانه من أسرة التعليم فى كلية اللغة العربية ، وقد عرف الطلبة قدره فأعاد طبعه فى هذا العام وضم إلى مزايا الطبعة الأولى تعليقات تهم الباحث المنقب ، تفصل مجملا أو توضح رأيا مخالفا ، وأكثر من التطبيقات عقب كل قاعدة تثبيتا لها وتمكيناً فى ذهن القارىء ، وشفع بعض الأسئلة بالإجابة كى يسار على ضوئها ، وأعاد ذكر الأمثلة فى القاعدة حتى لا يتشعب ذهن القارىء ولا يتشتت بصره ، وعنى بالإجمال والتلخيص بعد البسط والتفصيل إذ أردف كل موضوع بملخص موجز حتى يجد فيه المستقصى بغيته والمستوفز عجالته .

والكتاب فى ١٦٠ صفحة من قطع هذه المجلة ؛ فنحث الطلبة على الإفادة منه .

* * *

وزارة الشئون الاجتماعية

نشأتها . تطورها . خدماتها

أصدرت وزارة الشئون الاجتماعية المصرية كتاباً فى التعريف بها ، وبالاطوار التى

مرت عليها منذ أنشئت فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٣٩ ، والادارات العامة التى تتألف منها ، والخدمات التى تقدمها فى الرعاية العمالية ، وإقامة بنياننا التعاونى ، والخدمات الريفية ، والمساعدات الاجتماعية فى توجيه النشاط الأهلى ، ورعاية الشباب ، والاسكان الشعبى ، وعلاقة الوزارة بالأمم المتحدة وهيئاتها المتخصصة ، وعلاقتها بالهيئات الأجنبية ، وتطور ميزانية الوزارة ومقارنتها بميزانية الدولة .

وقد قام بإعداد هذا الكتاب الاستاذ حسين كامل مدير مكتب الوزير والأستاذ فؤاد كامل حسين بإدارة التتبع والتقييم والاستاذ مدحت حمدى بإدارة العلاقات العامة والاستاذ أحمد عبد العزيز داود ، بإدارة البحوث الفنية .

والكتاب فى ٢٣٥ صفحة من قطع صفحات هذه المجلة ، وهو عمل مفيد عسى أن يصدر مثله عن الوزارات الأخرى .



التفسير الواضح

أتم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمود حجازى من علماء الأزهر الشريف كتابه (التفسير الواضح) فاصدر الأجزاء الثلاثة الأخيرة على غرار الاجزاء السابقة فى الجمع والايجاز والتنقيح . فجاء التفسير فى ثلاثين جزءا كل جزء من أجزاء القرآن الحكيم مفسر بجزء من أجزاء هذا الكتاب وعسى أن يواصل المؤلف خدمته للقرآن وعلومه بهذا الاسلوب المبسط الذى يحبب كتاب الله إلى شباب الامة وجماهيرها ، عن لم يألفوا التوسع فى الكتب القديمة والله الموفق .

الذيل على طبقات الحنابلة — لابن رجب

بتحقيق هنرى لاوست وسامى الدهان — الجزء الاول — المعهد الفرنسى بدمشق .

تفرغ الاستاذ هنرى لاوست منذ أكثر من عشرين عاما لدراسة السلفية الاسلامية وحياة رجالها ، فأصدر بالفرنسية رسالة عن الحركة السلفية وكتابا عن حياة شيخ الاسلام ابن تيمية نشرهما المعهد الفرنسى فى الظاهرية . وهو يصدر الآن بالاشتراك مع الدكتور سامى الدهان الجزء الأول من الذيل الذى ألفه الحافظ ابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥ وأكمل به طبقات الحنابلة للقاضى أبى يعلى الفراء المتوفى سنة ٥٢٦ .

وطبقات أبى يعلى لم تنشر بعد ، غير أن المكتبة العربية فى دمشق كانت قد نشرت مختصرها للنابلسى .

والذيل الذى ألفه الحافظ ابن رجب يبتدىء بأصحاب القاضى أبى يعلى من سنة ٤٦٠ ، وقد رتبه على الوفيات فقدم من توفى قبلا على من توفى بعد واستقصى ما وجده فى المصادر المؤلفة إلى زمنه مع عزو كل خبر إلى المصدر الذى نقله عنه ، فجاء أوسع كتب التراجم لفقهاء الامام أحمد وعلمائه حتى سنة ٧٥١ .

وهذا الجزء الأول من تذييل ابن رجب على طبقات أبى يعلى يشتمل على تراجم علماء المذهب الذين توفوا فيما بين سنتى ٤٦٠ و ٥٤٠ ، وسيأتى فى الأجزاء الأخرى تراجم من توفى بعدهم إلى سنة ٧٥١ .

وقد اعتمد فى تحقيق هذه المطبوعة على مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٦١ تاريخ ، ومخطوطة مكتبة كوپريلى فى القسطنطينية رقم ١١١٥ ، ومخطوطة أخرى بدار الكتب الظاهرية رقم ٦٠ تاريخ وهى مكتوبة بخط أحد تلاميذ الحافظ ابن رجب أو نقلت عن نسخة كتبها أحد تلاميذه .

وزين هذا الجزء بصور شمسية لنماذج من هذه المخطوطات ، وألحق به تسع فهارس للأسماء والكنى والابناء والانساب والبلدان والكتب والمراجع والمترجمين ومحتويات الكتاب . وإن المكتبة العربية فى انتظار ظهور بقية هذا الكتاب النفيس .

أنباء العالم الإسلامي

الطاقة الذرية فى مصر

اهتمت الحكومة المصرية باستخدام الطاقة الذرية لما لها من أهمية علمية وصناعية كبرى فألفت لجنة فى رياسة مجلس الوزراء، واعتمد المجلس برنامج السنوات الخمس، وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الضافى الذى ألقاه مساء ٢٢ يوليه أن الوزارة اعتمدت فى ميزانية هذا العام مبلغ ربع مليون جنيه - من أصل مليون جنيه - لتنفيذ هذا البرنامج. وقد أنشىء مركز للنظائر المشعة. والعلاج الطبى، وأرسلت بعثات جيولوجية إلى الصحارى المصرية للبحث عن الخامات الذرية، وتم وضع مشروع لإنشاء معمل للطبيعة النووية. وأن مصر تحرص على المشاركة فى المجال الدولى للدعوة إلى التقدم العلمى السلمى فى الطاقة الذرية لاستخدامها فى توليد الكهرباء وإقامة أسباب العمران بالبلدان المختلفة، وهى تتعاون فى هذا الشأن مع الدول الصديقة المحبة للسلام.

قضية شمال إفريقيا

قال الرئيس جمال عبد الناصر لمندوب صحيفة (بارى بريس) لقد حان الوقت الذى يجدر فيه بمصر وفرنسا أن تفهم كل منهما الاخرى فيما يتعلق بمشكلات شمال إفريقيا. إن شمال إفريقيا جزء من العالم الإسلامى، وهو عالمنا. ومهما تكن أوجه الخلاف فإن علينا دورا لا مهرب منه فى إفريقيا. وقد حان الوقت كذلك لنقضى على الخوف الذى تستشعره شعوب شمال إفريقيا، ونحن نرغب فى أن نوجه إلى هذا الامر أكثر جهدنا. فمن وجهة التضامن الإسلامى نعتقد أن الاتفاقات التونسية ليست مرضية تماما، ولكنها تعد خطوة فى سبيل الاستقلال. ومن واجبنا أن تهيىء الوثائق فرصة لتحيا، إذ ينبغى أن تصبح نقطة تحول جديد فى العلاقات مع شمال إفريقيا.

ثم قال: لماذا لا تستوحون حلا مماثلا للحل الذى توصلت إليه بريطانيا لمشكلة الهند؟ إننى لاحظت أنها محبوبة من الهنود، ولمست هذا فى خلال رحلتى الاخيرة، ولم تكن بريطانيا تتمتع بتلك المنزلة من قبل.

إسرائيل وروسيا

عاد وفد مجلس النواب السورى من روسيا وتحدث أعضاؤه إلى مندوب جريدة (الجمهورية) عن موقف روسيا من إسرائيل ومما قالوه :

لما وصلنا إلى موسكو وضعنا نصب أعيننا قضية الاستعمار فى بلادنا ، والآن لا نستطيع أن نقول إننا أدينا مهمتنا كاملة ، فقد كنا نريد أن نسمع من رجال الاتحاد السوفيتى رأيهم فى إسرائيل ، فلم نستطع الظفر بأى وعد أو شبه وعد أو حتى بإيضاح . لقد سمعوا منا الكثير عن إسرائيل ، واكتفوا بالصمت ولسان حالهم يردد : تحدثوا بكل شىء عدا إسرائيل .

وقال لهم الدكتور عبد الوهاب - وهو أستاذ جامعى وعضو حزب الشعب ، وصاحب ميول اشتراكية معروفة - فقال : نريد أن نخاطبكم بصراحة لتعرفوا حقيقة مشاكلنا ، إننا نحارب الاستعمار فى بلادنا كما تحاربه الشعوب الحرة ، وقد أقام الاستعمار إسرائيل لتكون رأس الجسر له لضرب العالم العربى ، والعرب نكبوا بهذه الدولة الداهية التى أصبحت بمثابة السرطان فى قلبهم ، فهى قاعدة الاستعمار ، وقد أقيمت فى الشرق العربى خصيصا ، فكلما حاول هذا الشرق الوقوف بوجه الغرب تحركت إسرائيل ، وإذا وقف بوجه شركات البترول ونفوذها برزت اسرائيل ، وإذا اتبعوا سياسة الحياد اعتدت اسرائيل على الحدود ، وإذا طالبوا بتحرير المغرب العربى سلطوا إسرائيل .

وقال أحد الأعضاء ، مخاطبا رجال السوفيت : إن الشرق لن يهدأ وإسرائيل موجودة ، هذه حقيقة يجب أن يلمسها كل رجل فى العالم . إن اسرائيل هى الحيوان الذى يركبه الاستعمار ، وكلما شعر الراكب بالخطر همز الحيوان فى خواصره فتحرك .

قال النواب السوريون هـذا للمرشال بولجانيين ولرجال السوفيت ، وانتظروا الجواب ، فكان السكوت مخيبا لآمالهم . لم ينبس أحد منهم ببنت شفة وفضلوا الصمت ...

تطهير فى الصحافة

علمت جريدة الأهرام أن المجلس الأعلى لرعاية الشباب يدرس - جديا - موضوع التوسع الملحوظ فى الصحافة فيما تنشره من أنباء الفسق والفجور والأثر السيء لذلك فى محيط الشباب والأسر . وتقول الأهرام : ان النية تتجه إلى مطالبة الجهات المختصة بوضع (تشريع عاجل) للحد من هذه الظاهرة التى تفاقمت فى السنوات الاخيرة وكانت موضع نقد شديد من بعض ذوى الرأى .

مصر

فى حفلات تحرير اندونيسيا

احتفلت الجمهورية الإسلامية اندونيسيا يوم ١٧ أغسطس (٢٨ من ذى الحجة) بذكرى تحرير هذا الوطن الإسلامى العظيم وقد اشتركت مصر فى هذا الاحتفال بصفتيها الوطنية والإسلامية ، فندبت قائد الجناح جمال سالم نائب رئيس الوزراء ، والاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ليمثلا مصر فى هذه الذكرى العزيزة .

وفى الساعة السادسة من صباح يوم السبت ٢٤ من ذى الحجة (١٣ أغسطس) غادر هذا الوفد المصرى الإسلامى مطار القاهرة الدولى مودعاً من الرئيس جمال عبد الناصر وجماعات كثيرة من علية المصريين والأزهريين وفى منتصف الساعة الثانية عشرة وصلت الطائرة عاصمة العراق ، وبعد الظهر استأنفت البعثة سفرها بالطائرة ، وبعد ست ساعات هبطت الطائرة فى مطار كراتشى عاصمة باكستان ، وبعد ثمانى ساعات بلغت رانجون عاصمة بورما ، ومنها إلى بانجوك عاصمة سيام . وفى كل مطار كان الوفد المصرى يستقبل بحفاوة وإجلال من ممثلى الدول التى مرت الطائرة بمطاراتها ومن أعيان المسلمين فيها .

وفى بانجوك أقام رئيس وزارتها للوفد المصرى مأدبة عشاء وحفلة ساهرة كبرى ، وأهدى رئيس وزراء سيام إلى السيد نائب الرئيس ، وإلى الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر هديتين ثمينتين .

وفى مساء الاثنين ٢٦ ذى الحجة (١٥ أغسطس) وصل الوفد المصرى إلى جاكرتا وكان فى استقباله فى المطار رئيس مجلس الوزراء الاندونيسى وكبار موظفى الحكومة. وصرح قائد الجناح جمال سالم بأن صلات الصداقة بين مصر وإندونيسيا أصبحت موضع الحسد من جانب الدول الأخرى ، وقال إن مصر كانت أول أمة اعترفت باستقلال اندونيسيا .

وفى اليوم التالى زار الوفد المصرى البرلمان الأندونيسى فكان فى استقباله رئيس مجلس النواب ونائب الرئيس وكبار الشخصيات الاندونيسية ، ثم شهد الحفلة التى أقيمت إيذانا بانتهاء أعمال (مؤتمر جميع الاندونيسيين) .

وقد مثل هذا الجزء الطابع فى خلال مهرجانات أندونيسيا لذكرى تحريرها من الاستعمار الهولندى الذى كان أقدم استعمار جثم به الغرب على صدر الوطن الإسلامى الأكبر .

الجيش السعودى

قام الجيش السعودى بجدة يوم السبت ١٦ ذى الحجة بعرض عسكرى فى جدة شهده قائده الأعلى جلالة الملك سعود ونحو ١٥ ألف مدعو من كبار الحجاج ، واستغرق العرض ثلاث ساعات ، فكان محل إعجاب الجميع . وقد ألقى جلالته كلمة قال فيها :

« إن الجيش فى كل دولة معقد آمالها . ولقد أعلنا مرات عديدة عزمنا على تقوية الجيش وخصصنا له من ميزانية الدولة النصيب الأوفى ليستكمل قوته ويستوفى عدته حتى لا يبقى لطامع فى بلادنا مطمع . يا رجال الجيش إننا نعلن لكم عن اغتباطنا بما شاهدناه من تقدم محسوس فى تنظيمكم وتدريبكم ، وفى تسليحكم ومعداتكم ، وفى مدارسكم وقواتكم . وقد لمسنا فرقاً كبيراً واضحا عن العام الماضى فسيروا إلى الأمام وعلى بركة الله . وأوصيكم بالتمسك بدينكم ، فإن تمسكتم بالدين استحوذتم على جميع الفضائل . فتبينوا مواضع الخير ، وتجنبوا ما نهى الله عنه ، فالدين يدعوكم إلى التحلى بمكارم الأخلاق والبسالة والإخلاص والطاعة ، ويحثكم على أداء الواجب والتضحية فى سبيل الله ويهديكم سواء السبيل » .

الثورة الجزائرية

أعلنت القيادة السرية لجيش الثوار فى الجزائر أنها على اتصال وثيق الآن بقيادة الثوار فى المغرب الأقصى ، وأنهما تعملان معا لتحرير شمال إفريقيا كله ، ووصفت القيادة الفرنسية هجوم الجزائر بأنه كان منظما تنظيما عسكريا غريبا ، وقد اشتركت الطائرات والدبابات والسيارات المصفحة فى سحق أصحاب البلاد الشرعيين الذين ضاقوا ذرعا بهذا الضيف الأجنبى الثقيل .

وقد شن الثوار هجومهم على القوات الفرنسية فى ٢٥ مدينة وقرية فى شمال الجزائر وبلغت جرأة الثوار حدا جعلهم يهاجمون مراكز البوليس وثكنات الجيش ومحطات السكة الحديدية . وكان الشعب يعاونهم بالفئوس والسكاكين والبنادق القديمة . وثار الأهالى فى مدينة فيليب فيل ودارت رحى معارك عنيفة .

وقد مثل هذا الجزء للطبع والثورة مندلعة فى شمال إفريقية وحتى فى طنجة التى هى منطقة دولية . وإن الحماسة فى تطوان والمنطقة الأسبانية من المغرب لا تقل عن الحماسة فى المغرب الفرنسى والجزائر . ولعل وقوف أمريكا وأوربا وقفة المتفرج على الهمجية الاستعمارية فى هذه البقعة من العالم الإسلامى ناشئ عن كونها بلاداً إسلامية . فإلى الله المشتكى .

بربر المغرب الأقصى

كان الفرنسيون باستغلالهم حماقة الجلاوى وخيانته يوهمون الرأى العام العالمى أن البربر كلهم قد خانوا الله ورسوله بتأييد الاستعمار فى بلادهم . ولكن البربر فى المغرب الأقصى استطاعوا أن ينظفوا سمعتهم ويبرئوا ذمتهم من هذه السمعة السيئة التى كادت تطغى على الحقيقة ، فانضمت قبائل الزيانيين الى كتائب الوطنيين المغاربة فى الإعراب عن رغبة الشعب فى عودة سلطانه الشرعى محمد بن يوسف ، ونكتب هذا والقتال ناشب على أشده فى جبال الأطلس والمناطق البربرية ، وأن الفرنسيين يستخدمون طياراتهم ودباباتهم وأساطيلهم البحرية فى مقاومة فرسان البربر الذين أحرقوا بلدة وادى زم أثناء مذابح راح مئات الاوربيين ضحايا فيها ، ونزلت قوات جنود المظلات الفرنسية على الجبال عندما أعلن أن ألفين من فرسان البربر احتلوا خنيفرة وهاجموا مطارها وحاولوا تدمير الطائرات التى فيه .

سياسة مصر الاقتصادية

أشاد بنك «ناشونال سيتى أوف نيويورك» ـ وهو أكبر البنوك الأمريكية ـ بالنهضة الاقتصادية التى شهدتها مصر بعد الثورة ، فقال فى نشرته السنوية الرسمية : ان الحكومة المصرية واجهت مشكلة الانتاج الزراعى بتوفير المياه ، وتحسين الإنتاج ، وقانون الإصلاح الزراعى الذى سيستفيد منه نحو مائة ألف مزارع . وتعمل الحكومة على زيادة الإنتاج الصناعى ، وإيجاد الصناعات الجديدة . وقد نجحت فى موازنة ميزانها الحسابى ، وتحسين ميزانها التجارى .

فى السجون السعودية

نقل الصحفى العراقى المشهور السيد طه الفياض العانى فى كتاب أصدره أخيراً بعنوان « حقائق عن الوضع فى المملكة العربية السعودية » البيان الآتى الذى سمعه من لسان جلالة الملك سعود :

« عملت إحصاء للمسجونين فى المملكة السعودية فوجدتهم ١٤٢ سجيناً ، تبين أن منهم ٨٠ سجنوا لأنهم مدينون لأشخاص آخرين ، ولما تبين لنا عسرهم سدد عنهم ديونهم بيت المال وأخرجوا من السجن ، وبقى ٦٢ سجيناً هم إما من المتلاعبين بحقوق الناس وإما على بعضهم حد شرعى » .

ثم قال جلالته : نحن لا توجد عندنا سجون ، ولا توجد عندنا بطالة ومن يحاول الإفساد نقيم عليه الحد الشرعى ونتركه يذهب لحاله » .

فرنسا تنتحر

وافقت بداية العام الهجري الجديد الذكرى الثانية لإحدى حماقات الاستعمار الفرنسي في المغرب ، وهي حماقة اعتقال سلطان البلاد الشرعي ، فازداد لهيب الثورة القائمة في تلك البلاد الطيبة ، وكان المغاربة قد قرروا الإضراب العام عن العمل في يوم هذه الذكرى فنفذ قرار الاضراب في نطاق واسع في جميع مدن المغرب وفي طليعتها الرباط وفاس والدار البيضاء وسلا ومراكش ، وكان الفرنسيون المتوطنون في المغرب يتحرشون برجال المظاهرات ، وأطلق بعض الفرنسيين الرصاص على الاهالي من نوافذ المنازل ، فامتدت نيران الثورة التي تأججت في مناطق البربر أيضا ، وجاء من وادي زم أنه قتل ٥٠ أوربيا وأن عدد الجرحى كبير جداً ، وامتدت الثورة إلى جنيفرة والخريبقة وخرجان ، واعترفت فرنسا بأن الجنرال بيردوفال القائد العام للقوات الفرنسية في مراكش قد قتل بسقوط طائرته أثناء مراقبته سير الاعمال الحربية قرب وادي زم وعثر على ثلاث جثث من رجاله ويقول المسئولون إن خسائر المعارك بلغت رقما هائلا وتلقى القوات الفرنسية مقاومة شديدة من القبائل المتحصنة في الخنادق ، والفرنسيون يقاتلون بالطائرات والمدافع الرشاشة والصواريخ وقاذفات اللهب وقد قضي على ثلاث مدن كان يقيم فيها الاوربيون . وحاصر المراكشيون الحي الأوربي في كنترا ويحاول الكوماندو الفرنسي مقاومتهم واعترفت فرنسا بأن القتلى زاد عددهم على الألف ، والانسانية التي يزعم الامريكيون والاوربيون أنهم سدنتها في الأرض واقفة تتفرج .

بغي آخر من إسرائيل

دبرت إسرائيل يوم ٢٢ أغسطس اعتداء جديدا على قطاع غزة استخدمت فيه ٨ عربات مصفحة تعاونها نيران مدافع الهاون الثقيلة فقابلتهم القوات المصرية بالمثل واستمرت المعركة أكثر من ساعتين ، وضرب المجاهدون المصريون أروع الأمثلة في البطولة ، ففقد المعتدون خمسة قتلى ، واحترقت إحدى العربات المصفحة ولم يعرف عدد الجرحى . وخسر المجاهدون ثلاثة قتلى أحدهم ضابط وأصيب أربعة من الرتب الاخرى بجراح خفيفة ، وعادت القوة الإسرائيلية الباغية تجر أذيال الفشل وخيبة الأمل

وقد وصفت صحيفة (نيويورك تايمز) هذا الاعتداء من إسرائيل بأنه أحد الاحداث (الملعونة) التي لاداعي لها . وقالت : إن عناصر الاضطرابات لسنين كثيرة مقبلة توالدت بسبب (الأسس) التي بني عليها الموقف !

الفهرس

غرة صفر سنة ١٣٧٥

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

بسم الله الرحمن الرحيم

من شعب الى شعب

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

هذه كلمة طيبة أتوجه بها - بعد عودتى من رحلتى إلى بلاد أندونيسيا - إلى الشعبين الكريمين : الشعب المصرى، والشعب الأندونيسى .

أما إلى الشعب المصرى فإنها رسالة كريمة وأمانة عزيزة حملنى إياها أهل اندونيسيا ، وكلفونى أداءها إلى الشعب المصرى الذى يعتزون بأخوته ، ويفرحون لنهضته ، ويغتبطون للموافقات الطيبة التى جمعت الشعبين على الاحتفال بأعيادهما الوطنية : أعياد التحرير والاستقلال والقضاء على قوى الاستعمار والاحتلال التى كانت جاثمة فى أوطانهما ، عاملة على إذلالهما ، معوقة نهضتهما ، مبتزة كل ما فى البلاد من خيرات وثمرات .

قد وفق الله الشعبين فى القضاء على هذا الاستعمار وهذا الاحتلال بعد جهاد طويل وكفاح مرير ، وصبر وثبات ، وعزيز تضحيات ، فهما صنوان فى الجلاد والكفاح ، وهما جديران بما أحرزا فى ميدان البطولة والوطنية من نصر ونجاح ، وهما - قبل هذا وبعد هذا - إخوان فى الدين ، تجمعهما وحدة الإيمان ، ويعتزان بعزة الإسلام .

كلفنى أهل اندونيسيا أن أبلغ عنهم أهل مصر تحيات طيبة عطرة ، وتمنيات خير خالصة مخلصة ، وضراعة إلى الله أن يديم الألفة والمحبة والتعاون البار بين الأمتين العظيمتين ، وأن يقوى عزم الأمم المهضومة المظلومة التى تعمل للخلاص من سيطرة الأجنبى المتغلب ، حتى تدرك غايتها من العزة والكرامة والاستقلال .

إن أهل اندونيسيا جميعاً بلا فرق بين عامتهم وخاصتهم ، وساستهم وزعمائهم ، كانت تلهج دائماً ألسنتهم الرطبة - فى كل مجتمع وفى كل احتفال أقيم لاستقبال ضيوفهم ، فى مدرسة

أو كلية أو معهد أو قصر حاكم أو مقر ضيافة — بعبارات الثناء الفياض والشكر الخالص لمصر ، على أن كانت أول دولة اعترفت لاندونيسيا باستقلالها ، وعزة دولتها ، وشرعية حكومتها .

يعرفون ذلك لمصر عرفانا جميلا ، ويشكرونه شكراً قوياً مؤثراً ، يدل بقوته وبالغ تأثيره على مايحمله أصحابه من إيمان ويقين ، وإخلاص قلب ، وطهارة نفس ، وعظيم تأثر بالمعروف ، وكمال ارتياح إلى التعاون على الخير ، والاخذ بأسباب المودة الشاملة والإخاء الطاهر النبيل .

* * *

وأما أهل اندونيسيا فإنى أسوق إليهم وإلى إخوانهم وخلطائهم وأنسبائهم ومواطنيهم من أهل الجاليات العربية الكريمة ، أجمل عبارات الشكر ، على ما لقينا منهم جميعاً ، حكومة وشعباً ، من حفاوة وتكريم ، يعبران أصدق تعبير ، عن روح الإخلاص والمودة ، وعن العاطفة الأصيلة الطيبة نحو مصر ونحو الأزهر ، الذى يرونه الكعبة المقصودة التى تتجه إليها أنظار العالم الإسلامى جميعه ، فى كل ما يريد من المعارف الدينية والثقافات الإسلامية .

وأحيى فيهم الإيمان العميق ، والوطنية الصادقة ، والتدين المتين ، الذى تتجلى مظاهره الجميلة فى كل موطن وفى كل مرفق : فى المسجد والمدرسة ، والبيت والشارع ، والمصنع والمعهد

أحيى فيهم النشاط ، وحب النظام ، والجد فى العمل ، والتوثب نحو الكمال فى هدوء وفى غير جلبة ولا صخب ولا ضوضاء .

يأخـــذون بالصالح النافع فى مختلف شئونهم ومنشآتهم : فى ملابسهم ومساكنهم ومساجدهم ، وفى دور التعليم من مدارس ومعاهد وكليات ، لا يعنون كثيرا فى كل هذه الشئون والمنشآت - وراء مراعاة النظافة وحسن التنسيق - بمعقدات النقوش والزخارف . فالطابع الغالب على منشآتهم النظافة والبساطة ، حتى القصور الواسعة الفخمة تجدها مؤثثة أجمل أثاث وأوفاه ، بما يأتلف وفخامتها ومكانة أهلها ، ولكنه يسترعى نظرك فيها البساطة والجمال ، والذوق السليم ، والبراءة من حشد الزخرف ولغط النقوش .

من شعب إلى شعب

وإن الشعب الذى يراعى فى شئونه هذه البساطة الجميلة ، ويتوافر له حب النظافة والنظام ، والهدوء فى سير الحياة ، مع النشاط والجد فى العمل ، لهو شعب واع حق الوعى ، وهو جدير بكل رقى وتقدم ، وكل عزة وسعادة .

أيها الاندونيسيون :

إن ما لقيناه فى رحلتنا إلى بلادكم العـــزيزة من الحفاوة العظيمة والاستقبال الفرح الكريم ، الذى كان ينبعث عن روح طيبة ، صادقة مخلصة ، ليذكرنا بروح الإسلام الفتية ، فى نشأته القوية ، ويدلنا على مدى تمكن المبادىء النبيلة فى النفوس الطيبة ، تلك المبادىء التى تربطنا بكم ، وتربطكم بنا ، وهى التى أسسها الإسلام ، وطهر بها المسلمون كل ما حولهم من رجس الوثنية ، وخلصوا بها الناس من ربقة الذل ، وطغيان الاستغلال والاستعمار .

ولقد أعلنتم للعالم بهذه الحفاوة الكريمة ، وهذه الروح الطيبة ، أننا جميعا أخوة ، أمرنا واحد ، كما أن ديننا واحد ، وأن الاستعمار الذى حال بيننا وبينكم تلك القرون الطوال ، لم يستطع أن ينال من تلك الوحدة ، أو يضعف من هذه الروح الإسلامية القوية ، الصابرة المصابرة ، التى لا تعرف الوهن ولا الاستخذاء .

فأهنئكم بهذه الروح الإسلامية القوية ، وأرجو أن تظل دائما هذه الروح قوية صامدة أمام ما يهب على العالم فى الأوقات الحاضرة من الزوابع والتيارات المنحرفة عن جادة الحق والاستقامة .

وأضرع إلى الله العلى الكبير أن يحوط بلادكم العزيزة بعنايته وجميل رعايته ، وأن يجمع قلوب الشعوب الإسلامية على كلمة الحق ، ويوحد جهودهم لإعلاء شأن الإسلام ، ونشر راية الأمن والسلام ، إنه سميع مجيب . ؟

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر



رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثانى ـ القاهرة فى غرة صفر ١٣٧٥ ـ ١٨ سبتمبر ١٩٥٥ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سفراء التربية والتعليم

تستقبل بلاد العروبة وأقطار الوطن الإسلامى فى هذا الشهر سفراء من رجال التربية والتعليم فى وادى النيل فارقوا أهلهم وديارهم ، فحملت بعضهم الطائرات فى الجو ، واستقل آخرون منهم السفن فى البحار ، أو السيارات فى الأودية والقفار إلى أقوام نشاركهم ويشاركوننا فى العقيدة الإسلامية والعمل بالشريعة المحمدية إن لم نشاركهم ويشاركونا — مع ذلك — فى لغة الضاد وآدابها وثقافتها وأمجادها . واذا كان سفراء وزارات الخارجية يحملون معهم إلى ميادين عملهم رسالة دقيقة يحرصون على ألا يحيدوا عن حدودها قيد شعرة وإلا تعرضوا للمؤاخذة من مراجعهم التى يمثلونها ومن البلاد التى ندبوا للعمل فيها فأن الرسالة التى حملها فى هذا الشهر سفراء التربية والتعليم من أبناء وادى النيل إلى بلاد العروبة وأقطار الوطن الإسلامى لاشك أنها من أخطر ما يحمله الناس للناس ، ومن أعظمه أثراً .

إن الأقطار الشقيقة التى تستعين برجال التربية والتعليم من شبابنا لم تستعن بهم إلا لأنها فى دور التكوين ولأنها فى صدد إقامة الأسس لمعارفها ، أو هى أقامت الأساس منذ عهد قريب وتحاول أن تشيد عليه بناء ثقافتها وكفاءاتها ونهضتها . وهى لم تستعن على ذلك بشباب مصر إلا لأنها رأت مصر أهلا لحمل هذه الأمانة فاستعانت بهم فى وضع ذلك

الأساس أو فى إقامة صرح المستقبل عليه . وابن مصر الذى ندبته أمه لهـذه السفارة ، ينبغى له أن يكون عند حسن ظن مصر به فيحسن تمثيلها . ويعلم أن له فى البلد الذى ذهب إليه رسالة سامية شاءت له الأقدار أن يحملها ، وأن عليه أن يعمل بهذه الرسالة وأن يجعلها نصب عينيه فى جميع تصرفاته .

ستتحدث هذه الأقطار يوم تكتب تاريخها بأن الأساس الذى قامت عليه معارفها قد شارك فيه فلان ، وكان من أثره فى الخير – أو الشر – ما سيتحدث به التاريخ . فليعمل كل سفير من سفراء التربية والتعليم على أن يكون لعمله من الأثر ما يبيض به وجه مصر ، ويساعد على تكوين كيان العروبة والإسلام ، ليتحدث التاريخ غدا عن نتائجه المباركة فيطيب الثناء عليه من الله والناس .

العالم الإسلامى اليوم فى مرحلة انتقال ، وسيرى سفراء التربية والتعليم من شبابنا فى كل بقعة من العالم الإسلامى يعملون فيها ، أن المسلمين مغتبطون بإسلامهم ، ويريدون أن يعيشوا به ويلقوا الله عليه . ولأجل هـذا الإسلام كانوا – وما زالوا – يقاومون الاستعمار ، ولأجل تجديد شباب هـذا الإسلام أسسوا المدارس التى دعوا إليها سفراء التربية والتعليم من رجالنا ليتعاونوا معهم على إقامة صرح مجتمع جديد يكون إن شاء الله قويا بدينه ، قويا بأخـلاقه ، قويا بعقله وجودة تفـكيره ، قويا بعلومه التى يقيم بها الصناعات الضرورية له فى مرافقه وعمرانه وتنظيم أداته الحكومية وجيشها الفتى السليم .

المدرسة هى المصنع الذى يتخرج فيه الجيل الصالح لإنشاء مثل هذا المجتمع ، والمدرس هو صانع الجيل ، والرسالة التى يحملها المدرسون المصريون الذين سافرت بهم الطائرات والسفن والسيارات إلى الأقطار الشقيقة فى هذا الشهر هى العمل على تكوين هذا الجيل القوى ، ليضطلع بأعباء هذا الشرق الإسلامى فى عشرات السنين القريبة ، وتكون منه للإنسانية كتلة نشيطة بارعة خيرة شفاها الله من الخمول الشرقى القديم ، ونزهها عن أنانية الاستعمار الغربى المعاصر .

كانت أقطار الشرق الإسلامى منحلة متقاطعة ، غارقة فى حمأة الجهل والخرافات والضعف ، فلما آذن الله بزوال ظل الاستعمار الممقوت عن كثير من تلك الأقطار ، دبت فيها روح اليقظة ، وشرعت تجدد شبابها ، وأخذت تعرف للاسلام – دين الحيوية والقوة – قدره وأثره فى نهضتها وفى اتجاهها وجهة التعاون ، فمدت يدها إلى مصر تستعين

بمدرسيها ؛ وكانت بسبب ذلك هذه البعوث والانتدابات المدرسية والثقافية من كل لون، والغرض منها التعاون على إقامة المجتمع الصالح فى تلك الأوطان وتكوين الجيل الذى يتولى فى المستقبل القريب قيادة ذلك المجتمع ؛ وسيكون من أثر هذا الاتصال بعد التقاطع تعاون بين أمم الشرق الإسلامى فى كل ما تشترك فيه من ثقافة وتشريع وتبادل اقتصادى ودفاع متجاوب إن لم يكن مشتركا . وما لم تكن هذه المعانى السامية مما يؤمن به كل مدرس أرادت له الأقدار أن يكون فى عداد سفرائنا إلى تلك الأقطار ؛ فأنه لن يؤدى رسالته هناك كاملة، لأنه لم يذهب إلى هناك ليقتصر عمله على تعليم فرائض الصلاة ونواقض الوضوء وأن الفاعل مرفوع والمضاف إليه مجرور ؛ أو تعليم جدول الضرب ومساحة المثلث ؛ بل هو ذاهب – مع ذلك – ليساهم فى تكوين جيل قوى يصلح لإقامة المجتمع الصالح فى المستقبل القريب وأن يقوم ذلك المجتمع على أسس الإسلام وآدابه وأخلاقه التى يكون منها للانسانية العنصر الذى هى مفتقرة إليه .

إن المعدن الذى خلق الله منه أبناء العروبة والمتخلقين بأخلاق الإسلام من المعادن الناقلة سريعة الاستجابة ؛ وسيرى فيه المدرسون المصريون القابلية الكاملة لتلقى الحق والإيمان به والتطبع بالخير والاندفاع فى طريقه . وإذا كانت عصور الضعف التى مهدت لكارثة الاستعمار قد أبقت فى المجتمع الشرقى شيئا من جراثيمها فان فى المسلمين مواريث من عناصر الخير ستساعد كثيرا على استئصال تلك الجراثيم حتى يتجلى عن معدن المسلمين الطيب كل أثر لرواسب الضعف المتخلف عن عصور التأخر وحينئذ يعود للعملاق الإسلامى طبعه الخير وبأسه الرهيب وحيويته الأصيلة ولا يتوقف هذا إلا على الجهود الخالصة لله عز وجل التى سيبذلها المدرسون على قدر معرفتهم بمهمتهم واهتمامهم برسالتهم وإيمانهم بثمرات عملهم .

لقد كان المدرس المصرى فيما مضى يمثل وزارة المعارف فكانت مهمته أن يشحن أدمغة التلاميذ بألفاظ وجمل يسمى مجموعها معارف . وأما اليوم فانه يمثل صناعة التربية والتعليم ؛ وكما يجب أن يكون ممتازا فى المادة العلمية التى يتولى تعليمها كذلك يجب أن يكون بارعا حكيما فى صناعة التربية التى هى الشطر الأفضل من شطرى عمله . وأول ما يجب على المربى أن يكون قدوة للذين يربيهم بسيرته وتصرفاته . فالتلاميذ يتربون بالقدوة بمقدار ما ترى عيونهم من استقامة المربى والتزامه للفضائل التى يدعو إليها . وليعلم قبل كل شئ وبعد كل شئ أنه سفير بلده وممثلها وأن عليه رقيبا من الله والناس ٤٠

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٣٢ —

٢ — مناجاة القرآن للعقل وللعاطفة

«وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا»

١ — عاطفة الأبوة مشبوبة بالحب للبنين ، مغلوبة بالرحمة لهم فى كل حين ، ومهما غفلت عنهم الذاكرة ، ففى النفس حنو كامن عليهم ، وبين طيات القلب شغف دائم بهم وتطلع إليهم . وليس يقنع المرء أن يسعد بهم طول حياته أو يطمئن على هناءتهم فى الحياة قبل مماته ، بل هو يعنى بشأنهم فيما بعد ذلك ، يكاد يذوب خوفا عليهم من صروف الزمن وأحداث الأيام ، وليس يدفع هذا عن الخاطر أو يخفف جذوته بين الضلوع غير إيمان بالله واعتماد فى شأن الأبناء على الله .

٢ — ومن هذه الناحية العاطفية يناجينا القرآن أن نكون رحماء بأبناء الناس ؛ وبخاصة اليتامى ؛ فمن شاء لبنيه مرحمة الحياة فليرحم من فى عهدته من أبناء سواه ، وليعلم كل امرئ منا أن ما يزرعه اليوم فى أبناء الغير سيحصده أبناؤه فى غدهم : قولا كان أو عملا .

وشرعة الحياة وعدالة المجتمع وسنة الوجود لا تنكر أن يكون الجزاء من جنس العمل .

وهذا قول ربك فى تذكيره لنا ، وفى تأميننا على أبنائنا « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم — لخافوا عليهم — فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

٣ — وقديما فطن الناس إلى ذلك بتوجيه من الله ، كما جرى على لسان الخضر مع موسى — عليهما السلام — فى قصة الجدار المائل الذى تطوع الخضر بأقامته دون مقابل من أجر مادى ثم أجاب موسى عن تعجبه فى صنيع الخضر وتركه للأجرة :

« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما : رحمة من ربك . . » فتبين لموسى ما لم يكن يدريه من أن الله خلف عن الوالد فى ولده إذا كان الوالد حسن الصلة بالله .

وكذلك فطن الناس إلى هذا بعد أن جاء القرآن بتأييد هذه السنة السابقة ، وقد قال قائل: وددت ألا تكون لى ذرية ! فقال له مسلم فطن : إذا أردت أن تأمن على ذريتك بعد فاتق الله فى غيرهم .

ثم قرأ عليه الآية : « وليخش الذين الخ . . . »

٤ — وقد حدثناك أن القرآن يعتمد على العاطفة بجانب اعتماده على العقل ، وأنه من قبل ذلك أمرنا باتقاء الأرحام التى بيننا حتى لا نجحد شأنها ولا نكفر حقها .

وأنه اختص من بين الأرحام جانب اليتيم ، ونبه الأوصياء على أنهم إذا لم يكونوا تحت رقابة أحد . فأن الله رقيب عليهم وكفى .

٥ — وفى سياق الآيات ترى للعاطفة كبير شأن فى نظام الأسرة وشد أواصرها ، والترفق بين الجانبين حينما يأذن الحال بالتصدع .

فالقرآن يقول عن النساء : « وعاشروهن بالمعروف فأن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » فهذا ترغيب من طريق تحسين الظن بالمرأة ، وتجديد الأمل فيها ، وتقوية العطف عليها . . .

وليس فى هذا الأسلوب شئ من عنف ، أو تحامل على أحد الزوجين ، وإنما هو أسلوب ودى رقيق ، فيه استمالة للزوج وإغراء له بالزوجة قبل أن تتسع الفجوة بينهما .

٦ — ثم تدخل بنا الآيات — من طريق العاطفة — فى باب اللياقة .

ذلك أن الزوجين قد يتسع الخرق بينهما ، ويحاول الزوج أن يتنحى عن زوجه ويسترد ما كان أعطاها . وهنا يلجأ القرآن إلى استنهاض العاطفة ويوجهها الى ما ينبغى من وفاء فيقول :

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا »

فهو يصرف الزوج عن التطلع الى ما أعطاه للزوجة وإن بلغ قنطارا أو ماهو أكثر .

ثم يشوه المال المأخوذ ويقبحه لينفر الرجل من أخذه ويصف المال بما يزعج النفوس المطمئنة بالإيمان الكارهة للمأثم « أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا » ؟ والمفروض أن المسلم لا يرغب فى البهتان وهو الزور الباطل ولا يرغب فى الإثم فضلا عن أن يكون إثما مبينا .

٧ — ثم يرقى بالعاطفة إلى مقام الوفاء ، ويذكر المرء بما غفل عنه من ذكريات ومودة ، وينبهه إلى حياة سابقة كانت الزوجة فيها أثيرة على المال وأحب إلى زوجها مما سواها « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ، وأخذن منكم ميثاقا غليظا » ؟؟

فهذه كلمات فى طيها عتب رقيق لاذع ، وفيها حديث رطب يكفف النفس عن سورتها ويرجع بها إلى السماحة ، ويرضخها للمروءة وللكرامة فهذا المال كان مدفوعا الى الزوجة على أنه نحلة خالصة لا علاقة للرجل به بعد أن تملكته منه .

وكان مبذولا من جانب الرجل لأنه أقدر على البذل وهو وسيلة الى تحصيل رغبته ولتتمكن الزوجة أن تهيئ نفسها للزوج ثم هو صاحب اليد العليا فى الحياة الزوجية فأذا كان البذل من جانبه فى ساعة الرغبة فما ينبغى أن يرجع فيه بعد استيفاء الرغبة وطروء الزهادة .

وإذا كان الزهد عاملا عمله فعلى الرجل أن يتحمل غرمه بعد أن ظفر بغنمه حتى لا يكون الزواج مغرما على المرأة فى نفسها وفى مالها .

« وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » . أفتدرى ما هنا من روحانية الأسلوب ؟ .

أوتدرى ما هنا من سمو الخطاب والترفع بالإنسان عن درك الخصومة الى أوج لم يكن يقدره لنفسه ؟ .

نعم : أفضى كل من الزوجين إلى صاحبه بما ليس بعده سر يصان ؛ ولا مثله نفيس يضن به على الغير ! !

هو الحب ملء الفؤاد وهو النجوى بما انطوت عليه الضلوع وهو العرض والحياء فى ظل الثقة والأمان وفى ضوء العهد ومظنة الوفاء . . أليس هذا كله ميثاقا ؟؟ وأى

ميثاق أغلظ منه بين إنسان و إنسان كما شهد الله؟؟ . هذا مجال العاطفة وسياق المتجاذ د . وهى هنا خير وسيلة فى التأثير .

٨ — ولكن العاطفة ليست دائما وسيلة خير ورائد إصلاح وإنما هى تنفث ولغيرد ، غير أن القرآن — كما حدثناك — يتخذها دائما بجانب العقل منفذ هداية وأد اة إصلاح وكان مسلك القرآن جديرا بالتأسى والاتباع .

ولكن الناس تعاموا عن ذلك فجعلوها وسيلة غوايه وأداة لهو وسخروها فى متابعة الهوى ومسايرة اللذات ، وظنوها مروحة ينعشون بها ميولهم ويداعبون نفوسهم ويتناجون بها مع شياطينهم فى كل ما يقبح ويحرج وكل ما يضر و يفسد ، حتى كأن هذه وظيفتها ، وكأن ليس لها فى باب الإحسان أثر ولا فى مجال الرشأن ولا سبب .

لذلك أبان القرآن عن خطرها فى الجانب السلبى وعن سوء اتجاهها إذا لم يؤزرها عقل ولم يتعهدها ضمير وحينئذ يكون المرء سائبة يهيم بين ضلالات وموبقات .

و يكون أمره فرطا بين غوايات تطيب له اليوم ، ومرارات تنتظره فى الغد الطويل .

وشأن الجماعات فى هذا الصدد كشأن الفرد ، فأذا كانت العاطفة الجماعية غير مؤزرة بالتوجيه والأشراف الرشيد أو غير مستضيئة بهدى الدين ، فكذلك تكون الجماعة سائبة وأمرها فرطا .

وانظر إلى القرآن إذ يأمرنا بالقسط ولو على أنفسنا أو الوالدين والأقربين : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط — العدل — شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ففى هذا تنبيه إلى أن عاطفة القرابة قد تحرف بنا عن العدل تعصبا من الإنسان لنفسه ، أو تحيزا لوالديه وأقربائه : إذ تكون العاطفة مأخوذة بالعصبية غير ناظرة إلى التحرى ، فيميل الميزان و يضطرب العدل بين الناس .

وكذلك يقول القرآن : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا : اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

يعنى لا يكن بغضكم لقوم حاملا لكم على الجور بهم وعدم العدل معهم .

اعدلوا : فالعدل هو التقوى التى أمر بها الإسلام أو هو قريب إلى التقوى الكاملة التى تليق بالمسلم الكامل حتى لو كان العدل مع غير مسلم .

وهذا مما يشعرنا بوضوح أن للعاطفة مزلات؛ وأنها بحاجة إلى التحرى والتريث فيما يتصل بالناس، كما أنها كذلك فيما يخص الإنسان.

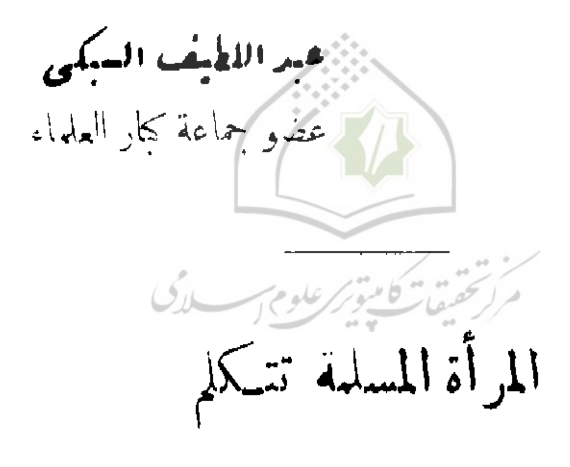
وعلى الجملة فالعاطفة ذات شأن فى نظر الإسلام وفى تربيته لأبنائه جماعة وأفرادا .

وفى توجيه النظام العام إلى نواحى الخير والإصلاح وقد حفلت آيات الله ببيان شأنها إيجابا وسلبا ودينا ودنيا .

والحياة الإسلامية فى تاريخها الماضى قد تلونت بألوان متباينة من آثار عمل العاطفة فيها و من جراء اهتداء العاطفة بهدى الدين أو عدم اهتدائها .

ولو أن الناس ظلوا ناصحين لأنفسهم وضابطين لعواطفهم بما أوحى إليهم القرآن لظلوا خير أمة أخرجت للناس . ولكن . . . . !

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



المرأة المسلمة تتكلم

من العجيب أن الطلاق الذى تطالب درية شفيق بتحريمه فى الشرق ، يطالب أهل الفكر فى أوربا – بل حتى فى أمريكا – بالسماح به . ولقد كتب الفيلسوف الارلندى برنارد شو يقول : « ستأخذ أوربا – إن عاجلا أو آجلا – بنظرية الإسلام فى تعدد الزوجات ، لما تسببه الحروب الفظيعة من استهلاك فى الرجال .

وحينما سئلت حرم الدكتور مشرفة عن رأيها فى مسألة تعدد الزوجات قالت : إن تعدد الزوجات أفضل عندى من أن يتخذ الرجل خليلة له . والداء الدفين ومشكلة الساعة هما فى اضراب الشباب عن الزواج ، وأى بيت ليس فيه فتيات سيطول انتظارهن بسبب استهتارهن واختلاطهن بشكل يندى له الجبين خجلا يخفى عليهن الطيش جنايته الكبرى .

(عن جريدة الجمهورية) زينب محمد أحمد حسين

السنة

من أدب النبوة

قبس من الأدب الأسمى ـ مكان عداس من الصحابة ـ صاحب الحوت عليه السلام ـ خطر الجدال في الأنبياء ـ مجادلة في العصر النبوي ـ سد الذرائع إلى الفتنة ـ عتاب الله لأنبيائه ـ أولى الناس بالنبيين خاتمهم .

* * *

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما ينبغي لعبد أن يقول : إني خير من يونس بن متى . ونسبه إلى أبيه .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال : أنا خير من يونس بن متى فقد كذب .

رواه البخاري

* * *

عرضنا في الجزء الماضي لرحلة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وما لقي فيها من فنون الإعنات والكيد والأذى ! !

ومن يعرض لهذه الرحلة الأليمة الجاهدة ، فلا بد له من أن يعرض لعداس رضي الله عنه وهو يؤنس رسول الله صلوات الله عليه بعض الإيناس ، ويسرى عنه بعض التسرية ، وإذا ذكر عداسا فلا بد له ـ بحكم تداعي المعاني ـ أن يذكر قصة نبي الله يونس ، وأدب

خاتم النبيين معه .. وإنه لقبس من الأدب الإلهى الذى أدب الله به نبيه فأحسن تأديبه وكمله به فأكمل تهذيبه ، ثم قال له وقوله الحق : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

* * *

قلنا فى الحديث الماضى إنه صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه الأذى عمد إلى بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ، فاستظل بظل شجرة من أشجار عنبه ، وهنالك تحركت له رحمهما فبعثا له مع عداس غلامهما بقطف من عنب . . فلما سمى الله تعالى قبل أن يأكل قال عداس : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أى البلاد أنت يا عداس؟وما دينك ؟ قال : نصرانى من أهل نينوى [١] فقال صلوات الله وسلامه عليه : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى . فأكب عداس على النبى صلى الله عليه وسلم يقبله .

فلما رجع إلى ابنى ربيعة قالا له ويلك يا عداس ! مالك تقبل هذا الرجل ؟ ! قال يا سيدى ما فى الأرض شيء خير من هذا ، لقد أعلمنى بأمر لا يعلمه إلا نبى ، قالا له : ويحك ياعداس ! لايصرفنك عن دينك . . .

لكن الله تعالى قد كتب له السعادة ، فجعله من المؤمنين السابقين والصحابة الأولين رضوان الله عليهم جميعا .

* * *

تلك قصة عداس مع النبى صلى الله عليه وسلم .

وأما قصة يونس عليه السلام مع قومه فقد جاءت فى سورة (الأنبياء ، والصافات ، ونون) . وقد روى الثقات فى تفسيرها أنه لما دعا قومه إلى الله تعالى أبوا عليه وتمادوا على كفرهم ، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ، ظانا أن الله لن يضيق عليه فى بطن الحوت ، أو أنه تعالى لن يقدر عليه ما قدر ، والغيب لايعلمه نبى مرسل ولاملك مقرب

---

(١) بأرض الموصل شمالى العراق . قال ابن الأنبارى : سميت بذلك لأنها وصلت بين الفرات ودجلة .

وكان قد أوعد قومه بالعذاب بعد ثلاث ؛ فلما تحققوا ذلك منه وهم يعلمون أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ، ثم تضرعوا إلى الله تعالى وجأروا إليه ! ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ،وثغت الغنم وسخالها ، فكشف الله عنهم العذاب ومتعهم الى أن فارقوا الدنيا راضين مرضيين .

وأما يونس عليه السلام فأنه ذهب بعد أن غاضب قومه فركب مع قوم في سفينة فلجت بهم وخافوا الغرق ، فاقترعوا مرارا على من يلقونه من بينهم يتخففون منه . فلم تقع القرعة إلا عليه ! فتجرد عليه السلام من ثيابه وألقى نفسه في البحر ! فالتقمه حوت عظيم أوحى الله إليه ألا تأكل له لحما ، ولا تهشم له عظما ، فأنه ليس لك رزقا ، وإنما بطنك له سجن . فمكث في بطنه ما شاء الله أن يمكث ثم أوحى الله إليه أن يلقيه بالعراء وهو سقيم « فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون [١] » ...

وقد عاتبه الله تعالى على تعجله ونهى خاتم أنبيائه ألا يتعجل كما تعجل صاحب الحوت ، فيستحق اللوم الذى أصابه ...

* * *

وليس يعنينا من قصة صاحب الحوت عليه السلام أن نستوفيها في هذا المقام ، وإنما يعنينا منها ذانكم الأمران : العتاب والنهى ؛ فأنهما مثار الحديث .

لقد أخبرنا الله تعالى أنه فضل بعض النبيين على بعض ورفع بعضهم درجات ،وأخبرنا خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنه سيد ولد آدم ولا فخر ، وأن الله أعطاه ما لم يعط أحدا من الأنبياء قبله ، وأن الله اصطفاه على العالمين وأبقى رسالته إلى يوم الدين .

حدثنا بهذا كله تحدثا بنعمة ربه عليه ؛ لكنه صلوات الله وسلامه عليه خاف علينا أن نفخر بهذه الفضائل ونباهى بها حتى نتخذها سبيلا الى المفاضلة بين إخوانه المرسلين والمجادلة فيهم ، وليس بعد المفاضلة والمجادلة الا الإهانة والتنقيص ، وهنالك الطامة والخسران المبين !! .

* * *

من أجل مخافته تلك ــ وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ــ نهانا أن نشتغل بهذا التفضيل

---

(١) اعتمدنا فيما سقناه من هذه القصة على تفسير الحافظ المؤرخ الإمام ابن كثير .

أو نجادل فيه جدالا يفضى بنا الى الانتقاص من مقام الرسالة أو الحط من قدر النبوة فسد بذلك منفذا من منافذ الشيطان إلى فتنة داهمة وشر مستطير !

ولقد وقع شيء من هذا الجدال فى العصر النبوى ، ولولا حكمة النبوة لكان الأمر خطيرا جد خطير ! .

عرض يهودى سلعة له فأعطى بها ثمنا كرهه فقال : لا أبيعها به والذى اصطفى موسى عليه السلام على البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال له : تقول هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ؟ ! فشكا اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا القاسم إن لى ذمة وعهدا . . . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب فى وجهه ثم قال : لا تفضلوا بين أنبياء الله . ثم أثنى على كليم الله بما هو أهله ، بعد أن نهاهم عن التفضيل بين أنبياء الله تعالى سدا لذرائع الفتنة وحرصا على مقامهم الكريم أن يمس .

* * *

ويشتد النهى وتعظم المخافة ، وتتفتح منافذ الشيطان إلى الفتنة ، إذا اعتمد الجدال فى التفضيل على الأمرين السابقين آنفا فى شأن يونس عليه السلام : عتاب الله له ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله ؛ ومن أجل هذا خصه النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر من بين سائر الأنبياء ، ونسب من يفضل أخاه عليه إلى الكذب والافتراء ؛ لأنه راع حول الحمى ، ومن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

* * *

والنبي صلى الله عليه وسلم يقرر بهذا النهى قاعدة من قواعد الشرع ، وركنا من أركان الدين الحنيف ، وهى قاعدة سد الذرائع المفضية إلى محرم ، وإن لم تكن هى فى ذاتها محرمة ، إذ أن تفضيل بعض الأنبياء على بعض من الأمور الجائزة فى نفسها : بل من الأمور الواجب اعتقادها موافقة للكتاب السنة ، ولكنها تمنع حينما تجر إلى الفتنة والحمية . وإذا كان سد الذرائع فى الفروع واجبا حقا فأنه فى الأصول أخلق وفى مقام النبوة أوجب وأحق [١] .

* * *

---

(١) لهذا الحديث صلة وثيقة بتمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على المسرح . . وقد نشرت فيه إدارة التفتيش بالأزهر مقالا ضافيا فى جزء رجب من العام الماضى .

الجريمة...والحدث

كثر فى هذه الأيام الكلام عن الأحداث بمناسبة قانون حمايتهم بحرمانهم من دخول السينما والمسرح وأماكن اللهو العامة. ولذا وجدت أن واجبا يدعونى أن أدلى بدلوى فى هذا الموضوع الخطير . . .

لأن الإهمال فى تقويم الحدث ، والتغاضى عن انحرافه اليسير فى صغره ، قد يؤدى فى الغد القريب الى مشاكل لا يمكن معالجتها عند ما يشتد عوده وتقوى سواعده وتألف روحه الجريمة ! ولذا أصبح هذا الموضوع من أمهات الموضوعات التى تهتم بها حكومات العالم أجمع ، لأن المجرم الصغير ما هو إلا النبت الأول للمجرم الكبير .

والأسباب التى تؤدى الى إجرام الحدث كثيرة يخطئها الحصر ، ولكن يمكننا أن أن نرجعها الى أسباب عامة، وأسباب خاصة ، من الأولى الحالة الاقتصادية والاجتماعية التى تحيط به ، وبالرغم من أن الشخص المجرم ينطوى على نفسية نبتت فيها بذور الشر فهو ليس شخصا عاديا . إلا أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية بالرغم من أنها لا تنشئ فى نفسه حب الإجرام الا أنها تقويه فقط .

وهو صلى الله عليه وسلم يبين فى هذا التعليم النبوى الكريم أن معاتبة الله لأنبيائه على بعض ما يصدر منهم لا تغض من أقدارهم ، ولا تنقص من رتبتهم ، وإنما يؤاخذهم الله بها ، لأنها خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامهم ، ورفيع مكانهم ؛ وإن لم يؤاخذ بها من سواهم من الذين أنعم الله عليهم ؛ وربما كان موضع العتب عليهم محمدة لغيرهم ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

* * *

أما بعد : فأن الأدب مع أنبياء الله ورسله ، هو من صميم الأدب مع الله عز وجل ، الذى اصطفاهم لتبليغ رسالته ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بأذنه ، وأولى الناس بهم والتعريف بحقوقهم هو خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم . وقد علمنا وسدد ، وبلغنا وأشهد ، فأدّبنا اللهم بأدبه ، واجزه عنا خير ما تجزى نبيا عن أمته ٦١

طه محمد الساكت

الجريمة . . . والحدث

كثر فى هذه الأيام الكلام عن الأحداث بمناسبة قانون حمايتهم بحرمانهم من دخول السينما والمسرح وأماكن اللهو العامة . ولذا وجدت أن واجبا يدعونى أن أدلى بدلوى فى هذا الموضوع الخطير . . .

لأن الإهمال فى تقويم الحدث ، والتغاضى عن انحرافه اليسير فى صغره ، قد يؤدى فى الغد القريب الى مشاكل لا يمكن معالجتها عند ما يشتد عوده وتقوى سواعده وتألف روحه الجريمة ! ولذا أصبح هذا الموضوع من أمهات الموضوعات التى تهتم بها حكومات العالم أجمع ، لأن المجرم الصغير ما هو إلا النبت الأول للمجرم الكبير .

والأسباب التى تؤدى الى إجرام الحدث كثيرة يخطئها الحصر ، ولكن يمكننا أن أن نرجعها الى أسباب عامة ، وأسباب خاصة ، من الأولى الحالة الاقتصادية والاجتماعية التى تحيط به ، وبالرغم من أن الشخص المجرم ينطوى على نفسية نبتت فيها بذور الشر فهو ليس شخصا عاديا ، إلا أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية بالرغم من أنها لا تنشئ فى نفسه حب الإجرام الا أنها تقويه فقط .

وهو صلى الله عليه وسلم يبين فى هذا التعليم النبوى الكريم أن معاتبة الله لأنبيائه على بعض ما يصدر منهم لا تغض من أقدارهم ، ولا تنقص من رتبتهم ، وإنما يؤاخذهم الله بها ، لأنها خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامهم ، ورفيع مكانهم ؛ وإن لم يؤاخذ بها من سواهم من الذين أنعم الله عليهم ؛ وربما كان موضع العتب عليهم محمدة لغيرهم ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

* * *

أما بعد : فأن الأدب مع أنبياء الله ورسله ، هو من صميم الأدب مع الله عز وجل ، الذى اصطفاهم لتبليغ رسالته ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بأذنه ، وأولى الناس بهم والتعريف بحقوقهم هو خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم . وقد علمنا وسدد ، وبلغنا وأشهد ، فأدِّ بنا اللهم بأدبه ؛ واجزه عنا خير ما تجزى نبيا عن أمته ما

طه محمد الساكت

ومن الأسباب العامة أيضا التى تساعد ـ بل تشجع ـ على إجرام الأحداث (دور السينما) فالمدمن على مشاهدة الأفلام ـ الأجنبية منها أو المحلية ـ يجدها مضيعة للأخلاق ، لأنه يندر أن يخلو فيلم واحد من قبلة ، حتى صار الكثيرون من المراهقين ـ شبانا كانوا أم شابات ـ لا يدخلون السينما الا ليشهدوا هذه القبلات ، حتى اذا ما انتهى الفيلم خرجوا سكارى ، فيحاول الشاب أن يطفىء شيطانه الذى حركته المناظر المتهتكة على أى أنثى تصادفه ، ويكون جزاؤه المحاكمة بتهمة فعل فاضح مع أنثى فى علانية أو غير علانية ! وهذا أخف جرم يرتكب ، وما خفى كان أعظم ! وتحاول الأنثى أن تعيش فى هذا الجو الحالم الذى شاهدته على الستار الفضى ، حتى ولو من باب العلم بالشيء ، وتكون النتيجة الغوص الى قاع الرذيلة .

هذا من جهة الأفلام العاطفية ، أما الأفلام البوليسية فما أكثر ضحاياها ، ولقد ثبت بالإحصاء أن جرائم السرقات التى يرتكبها الأحداث منشأها أنهم شاهدوا على الشاشة شخصا يتسلق المواسير بشجاعة نادرة ، فأرادوا أن يقلدوه ، وفعلا قلدوه ، فكانت النتيجة أن أرسلوا الى إصلاحية الأحداث ، وأصبحوا مجرمين فى نظر القانون وفى نظر المجتمع ، دون ذنب جنوه الا أنهم أرادوا تقليد ماشاهدوه فى السينما ، فحدث ما حدث !

لكل هذه الأسباب مجتمعة نرجو بل نلح على وزارة الشئون الاجتماعية وعلى رأسها اليوم بطل من أبطال تحرير الوادى أن تبادر بتنفيذ هذا القانون الذى يمنع الحدث من دخول السينما ومشاهدة هذه المهازل الى أن تتمكن الدولة من الخطوة الأخرى المباركة وهى أن لا يعرض على الشاشة شئ من هذه السموم التى تفتك بالأمة ، وتحول أبناء المستقبل وبناته الى طريق الإثم والجريمة ، مع تشديد العقاب على كل من يعمل على هدم العفة والفضيلة فى نفوس الشباب من أصحاب دور السينما .

محمد عطيه راغب

المحامى

الزمان يمضى

« إن الأمة اليوم فى دور تكوين جديد، وإن الفرصة سانحة الآن لنشاط دعاة الإسلام وإعدادهم للمساهمة فى هذا التكوين ، وأنا أنتهز دائماً كل فرصة لأسأل أهل الغيرة على الإسلام : هل سنبقى واقفين وقفة المتفرج أمام استدارة الزمان ، وانقياد الجماهير لدعوة الباطل والإثم ، حتى يفلت الزمام من يد الإسلام ، فيستسلم أهله وييأسوا ؟ » .

عن مجلة الأزهر الغراء . . بقلم رئيس التحرير . .

* * *

عام مضى فى سلام وأشرق اليوم ... عام
وسار فى موكب الليل ، والزمان الأنام
وفاض فى معبد الدهر ، والحياة ... الجام
والمسلمون حيارى والكائنات ظلام
فالأرض حولى خرائب تعوى بها ... الآكام
فأين فيها ، وفى الشرق والربوع السلام ؟
يطوف فى لا بتيها وفى البطاح الحمام
وينعق البوم فيها وترقص . . الأوهام

* * *

يمضى الزمان ، ونمضى وتنطوى الأعوام
عام يشيع . . . عاما والمسلمون . . نيام ! !
والأرض تندب فيها وفى الدجى الآجام

* * *

شاب الزمان وضلت فى سيرها . . الأيام
وطال فى غفلة الليل ، والفتاوى الكلام ! !
ومال فى الأرض صرح وعطلت . . أحكام ! !
لا يرفع الله شعبا يسود فيه اللئام . .

ذوت غصون ، وماتت — فى مهـدها الأفهـام
وفرق الخلف فى الشر — ق بيننـا . . والخصام ! !
وشيبتنـا . . سنون — وحطمتنـا . . كلام . . !

* * *

مضى الزمان ، وماتت — فى ليله . . . الأنغام
وصاح فى الأرض جبا — رها . . فأين المقام ؟
وغاب عن منبع الو — حى والهـدى الإلهـام !
وضاع فى مهمـه العمـ — ر ، والفتاوى العـام !
وزل فى النـاس شيخ — فزلت . . الأقـدام !
وثار فى فـزع الدهـ — ر ، والعقول « الصيام »
وقام يدعو إلى (الد — ين) فى الورى الأقزام !
فضل فى الأرض قوم — وآمنت . . أقـوام !

* * *

غابت كعاب المعانى — وكسرت . . أقلام !
واندك فى الدهر صرح — وواول (الإسـلام)
فأين فى الشرق « سادا — ته » ؟ وأين الوئام . . ؟
وأين فى مصر « أشيا — خنا » الهداة العظـام ؟

* * *

رف الزمان ، وثارت — شيوخه . . الأعلام .
تلك الشعوب تداعت — و « القباتـان » ضرام !
ومات فى الأرض شعب — وقطعت . . أرحام . .
وللشعـوب . . إذا ما — تت . . رجعة ، وقيـام

* * *

صحا الزمان ، وثارت — فى كهفه . . النوام
فأن صحونا . . نجونا — وصحت . . الأحـلام

صابر على رمضان
« الجوشنى »

من مآثر الأنصار

الأنصار هم قبيلتا الأوس والخزرج الذين سارعوا إلى الدخول فى الإسلام لما عرضه عليهم نبى الله صلوات الله وسلامه عليه . وكانوا ردء الإسلام وحصنه آووه فى غربته ونصروه على أعدائه ، وضحوا فى سبيله بالنفس والمال وواسوا إخوانهم المهاجرين خير المواساة ، وآثروهم على أنفسهم حتى غدا إيثارهم مثلا باقيا فى الآخرين .

وما أن أذن رسول الله لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة حتى تتابع المسلمون إليها زرافات ووحدانا ، فوجدوا من كرم الوفادة وحسن الصحبة ما أنساهم ألم الغربة ومرارة فراق الأهل والمال والوطن . وما أن بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مهاجرا حتى كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة متلهفين إلى لقاء الحبيب الموافى ومتشوقين إلى رؤيته فما يردهم إلا حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا الانتظار فأشرف يهودى على أطم من آطام المدينة لبعض حاجته فأبصر برسول الله ورفقته يزول بهم السراب ، فصاح بأعلى صوته : يا بنى قيلة ، هذا صاحبكم الذى تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح وطاروا شوقا للقاء المهاجر الكريم وصاحبه . ولا تسل عما تجلى فى هذا المشهد الكريم وفى هذا اليوم المشهود من إظهار المحبة والولاء والتضحية والفداء . فمال بهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إلى بنى عمرو بن عوف فأقام فيهم مدة من الزمن وفيها بنى المسجد الذى أسس على التقوى وهو مسجد قباء .

ثم قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فى موكب من مواكب الإيمان والحب السامى يحف به سادة الأنصار ولا سيما بنو النجار أخوال جده عبد المطلب وكانت دور الأنصار متناثرة ما بين قباء والمدينة فكان رسول الله كلما مر بدار من دورهم أمسكوا بزمام ناقته متوسلين اليه أن ينزل فيهم فى العدد والعدة والمنعة . فيقول لهم : « دعوها فأنها مأمورة » وما زالت الناقة تسير يحدوها جبريل الأمين حتى بركت فى المكان الذى بنى فيه المسجد النبوى فيما بعد . فقال النبى صلوات الله وسلامه عليه : «هنا المنزل ان شاء الله» ثم قال : أى دور أهلنا أقرب ؟ يريد أخوال جده عبد المطلب وهم بنو النجار . فقال

السيد الجليل أبو أيوب الأنصارى : أنا يا رسول الله ؛ فاحتمل رحل رسول الله وهو قرير العين بهذا الشرف الرفيع وأراد أناس من سادة الأنصار أن ينزل عندهم رسول الله ولكنه اعتذر اليهم اعتذارا كريما قائلا « المرء مع رحله » وبهذا التصرف المحمود كرم رسول الله بنى النجار فى شخص السيد أبى أيوب . وجاء أسعد بن زرارة وقد فاته شرف نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده فأمسك بزمام الناقة وأبى الا أن تكون عنده . ومكث رسول الله بمنزل أبى أيوب سبعة أشهر حتى بنى المسجد النبوى وبنيت حجرات نسائه فانتقل اليها وكانت دار أبى أيوب رضى الله عنه فى هذه المدة منتدى يجتمع فيها رسول الله وصحابته على الرحب والسعة . وقد آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل بسفلى دار أبى أيوب لأن ذلك أرفق وأيسر للزائرين . ولكن أبا أيوب لم يطب نفسا بذلك وعز عليه أن ينزل رسول الله بالسفل وهو وأهله بالعلو ولم يزل برسول الله يرجوه ويلح عليه فى الرجاء حتى قبل أن ينزل فى علو البيت . وأظهر أبو أيوب والأنصار من كرم الوفادة لرسول الله وصحابته ما هم أحق به وأهل له . فأبو أيوب رضى الله عنه لا يهنأ له أكل ولا يرتاح له ضمير حتى يقدم الطعام الى رسول الله فيأكل منه ثم يأكل من موضع أصابعه . وسادة الأنصار يبعثون بالجفان كل ليلة الى بيت أبى أيوب لمن يشاء أن يأكل من المهاجرين .

ولم يكن حظ بقية المهاجرين من الإكرام وسمو المعاملة بأقل من حظ رسول الله فقد فتح الأنصار رضوان الله عليهم بيوتهم — كما فتحوا قلوبهم — لإخوانهم المهاجرين وتسابقوا فى اكرامهم وايوائهم وتنافسوا فى هذا حتى لم يجدوا بدا فى بعض الأحيان من الاقتراع ترضية للنفوس وتطييبا للقلوب . وضربوا فى باب الإيثار وسخاء النفس وكرم الطبع مثلا عليا لا تزال تذكرها لهم الأجيال المتعاقبة بالإعظام والإكبار .

فهذا هو سعد بن الربيع الأنصارى يأتى الى أخيه المهاجرى عبد الرحمن بن عوف فيعرض عليه أن يتنازل له عن احدى زوجتيه ليتزوجها وأن يتنازل له عن شطر ماله ان أراد . ولكن ابن عوف أبى وشكر له صنيعه وقال له : دلنى على السوق فدله عليه وما زال يتاجر فى الأقط والسمن حتى ناله شئ من اليسار وتزوج امرأة من الأنصار وقد فتحت عليه الدنيا بعد فما توفى الا وهو من أثرى الأثرياء . وهكذا يتجلى السخاء وغاية الإيثار من سعد رضى الله عنه ويتجلى الأباء وعفة النفس من ابن عوف وهكذا ينبغى أن يكون المسلم .

وهؤلاء هم الأنصار يأتون إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه فيقولون له : اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين النخيل . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : لا . فقالوا لإخوانهم المهاجرين — وقد أبوا النحلة — تكفوننا المؤونة (أى السقى والعمل) ونشرككم فى الثمرة فرضى المهاجرون وقالوا : سمعنا وأطعنا .

وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين ، فقالوا : لا إلا أن تقطع لإخواننا المهاجرين مثلها .

ولما أفاء الله سبحانه على المسلمين من أموال بنى النضير قال للأنصار : إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة . فقال الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . فأنزل الله فيهم « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ومن المثل العالية التى فيها شئ من الطرافة والحيلة البارعة فى سبيل القيام بحق الضعيف ومواساة المحتاج ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصابنى الجهد . فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يضيف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا . فانطلق إلى امرأته فقال : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : ما عندنا إلا قوت صبيانى . فقال : هيئى طعامك وأصبحى سراجك ونومى صبيانك إذا أرادوا عشاء . فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته . فجعلا أى الأنصارى وزوجته يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين . فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « عجب الله من فعالكما » فأنزل الله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

هذا قليل من كثير مما واسى به الأنصار إخوانهم المهاجرين ، فلا عجب أن أثنى الله سبحانه عليهم الثناء المستطاب ، وأنزل فيهم قرآنا يتلى إلى يوم الدين ، وصدق الحق تبارك وتعالى « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » الآية .

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

ولا عجب أن يشيد الرسول الكريم بفضلهم ومآثرهم ، فيقول فيما رواه البخارى : « لولا الهجرة لكنت من الأنصار » وأن أوصى المسلمين من بعده بهم خيرا . روى البخارى فى صحيحه قال : مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون [١] فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد . قال فصعد المنبر ـ ولم يصعده بعد ذلك اليوم ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فأنهم كرشى وعيبتى [٢] ؛ وقد قضوا الذى عليهم ، وبقى الذى لهم . فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم . وهذا فى غير حد أو حق من حقوق الناس » وبحسبهم أن رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كفاء ما قدموا للاسلام من مؤازرة ومناصرة ؛ وللدنيا من حق وخير ومثل عليا فاضلة صاروا بها أهلا للقدوة والائتساء بها

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

(١) المجلة : وكان ذلك فى مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه .

(٢) كرشى : يعنى جماعتى وموضع قوتى . وعيبتى : أى موضع سرى ودخيلة نفسى . وأنه لمن الكلام الموجز البكر الذى لم يسبق إليه صلى الله عليه وسلم .

حديث الفتوة فى القرآن

« الفتوة » كلمة يختلف معناها باختلاف المستعملين لها ، فهى عند أصحاب التربية البدنية والرياضة الجسمية صلابة أعضاء وقوة أطراف ؛ وهى عند رجال « الكشافة » مروءة وإيثار ومعاونة للغير وخدمة للمجموع ؛ وهى عند أهل « الفروسية » طائفة من خصال البطولة والسماحة والرقة فى المعاملة ؛ وهى عند «الصوفية» مجموعة من خلال البر والخير مثل إسقاط الجاه والزهد والرضا ومحاربة النفس والعفو عن زلات الناس ... الخ وقد تحدث الأستاذ عمر الدسوقى فى كتابه «الفتوة عند العرب» حديثا مبسوطا فى الموضوع مما جعله مرجعا هاما فى هذا المجال .

ومن الخير ـ قبل التعرض لحديث الفتوة فى القرآن الكريم ـ أن نتعرف إلى المعنى اللغوى لكلمة الفتوة عن طريق المعاجم ، فنجد القاموس المحيط يقول : « الفتاء كسماء الشباب ، والفتى الشاب والسخى الكريم .. والفتوة الكرم »[١] . وفى مفردات القرآن للأصفهانى : «الفتى الطرى من الشباب ، والأنثى فتاة ، والمصدر فتاء »[٢] . وفى أساس البلاغة للزمخشرى : « هذا فتى بين الفتوة ، وهى الحرية والكرم . قال عبد الرحمن ابن حسان :

إن الفتى لفتى المكارم والعلى ليس الفتى بمغملج الفتيان [٣]

وقال آخر :

يا عز هل لك فى شيخ فتى أبدا وقد يكون شباب غير فتيان

وتقول العرب فتى من صفته كيت وكيت ، من غير تمييز بين الشيخ والشاب » [٤] .

---

(١) القاموس ، ج ٤ ص ٣٧٣ .
(٢) مفردات الراغب ، ص ٣٧٩ .
(٣) المغملج : الذى لا يثبت على حالة .
(٤) الأساس ج ٢ ص ١٨٥ .

ولدلالة مادة (الفتوة) على معنى القوة والثقة والمضاء اشتق العرب منها كلمة (الفتوى) ومن هنا جاءت هذه العبارة فى تفسير المنار : « والاستفتاء فى اللغة السؤال عن المشكل المجهول ، والفتوى جوابه سواء أكان نبأ أم حكما . وقد غلب فى الاستعمال الشرعى فى السؤال عن الأحكام الشرعية ، ومن الشواهد على عمومه (أفتونى فى رؤياى) وهى مشتقة من الفتوة الدالة على معنى القوة والمضاء والثقة » [١] .

ومن النصوص اللغوية السابقة وأمثالها ندرك أن الفتوة توحى بالقوة ، لأن الفتوة هى الشباب ، والشباب عنوان النشاط والاشتداد ، كما ندرك أن الفتوة فى أصلها تعنى قوة الجسم والبدن ، ثم انتقل معناها إلى بعض الصفات المعنوية كحب الخير والأريحية والسخاء ثم انتقل معناها عند أهل التصوف إلى حالة نفسية فيها مزاج من صفات سلبية وصفات إيجابية ، ولعل الصوفية هم أكثر الناس حديثا عن « الفتوة » وعناية بأمرها ، ما بين مقتصد منهم ومسرف ؛ وقد يكون من الاستئناس بجو البحث أن نعرف جانبا من آرائهم فى « الفتوة » وتصويرهم لها ، فابن عربى يحدد عمر «الفتى» ويصف أخلاقه فيقول : « الفتى ما بين الثامنة عشرة والأربعين من العمر ، ويتصف بالقوة والأخلاق الحميدة . ويستخدم قوته فى خدمة الله ونصرة الضعيف وليس له عدو ولكن له حساد ومنافسون » [٢] . ويتوسع فى تصويره شعرا فيقول من أبيات له :

إن الفتوة ما ينفك صاحبها ... مقدما عند رب الناس والناس
إن الفتى له الإيثار تحلية ... فحيث كان فمحمول على الراس
ما إن تزلزله الأهوا بقوتها ... لكونه ثابتا كالراسخ الراسى
لا حزن يحكمه ، لا خوف يشغله ... عن المكارم حال الحرب والباس

ويقول القشيرى : « أصل الفتوة أن يكون العبد ساعيا أبدا فى أمر غيره » . ويقول الكرخى : « للفتيان علامات ثلاث : وفاء بلا خلف ، ومدح بلا جود ، وعطاء بلا سؤال » . ويقول الوراق : « أصل الفتوة خمس خصال : أولها الحفاظ ، والثانى الوفاء

---

(١) تفسير المنار ، ج ١٢ ص ٣١٢ .
(٢) قطفنا هذه التعاريف من مواطن مختلفة من كتابى « طبقات الصوفية » لأبى عبد الرحمن السلمى ، بتحقيق الأستاذ نور الدين شريبة ، و «الفتوة عند العرب» .

والثالث الشكر، والرابع الصبر، والخامس الرضا » . وسئل أبو حفص النيسابورى : هل للفتى علامات ؟ فقال : نعم ، من يرى الفتيان ولايستحى منهم فى شمائله وأفعاله فهو فتى . وسئل البلخى : ما الفتوة ؟ فأجاب : حفظ السر مع الله على الموافقة ، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة ، واستعمال الخلق . ويقول الشبهى : الفتوة حسن الخلق وبذل المعروف . وسئل البوشنجى عن الفتوه فقال : حسن المراعاة ودوام المراقبة ، وأن لاترى من نفسك ظاهرا يخالفه باطنك . وقال البيرونى : «حدّت الفتوة بأنها بشر مقبول ، ونائل مبذول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف » . وقال المحاسبى : الفتوة أن تنصف ولا تنصف !! .

وسئل مشايخ بغداد أبا حفص النيسابورى عن الفتوة ، فقال : تكلموا أنتم فلكم العبارة واللسان . فقال الجنيد : الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة . فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة عندى أداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف . فقال الجنيد : قوموا يا أصحابنا ، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته ! ! ... وبين أيدينا من أمثال هذه التعريفات عشرات وعشرات جمعناها من هنا ومن هناك ، وهى مما يضيق به النطاق ...

والإسلام يحب الفتوة بمختلف معانيها المعقولة المقبولة ؛ فهو يحب الفتوة فى البدن ، لأنه دين القوة حسا ومعنى ، ويحبها فى الخلق ؛ لأنه دين مكارم الأخلاق . ويحبها فى معاونة الناس لأن خير الناس عنده أنفعهم للناس بل يحب أن تكون المعونة من ذى الفتوة معونة قوية موصلة . ومن هنا جاء الحديث فى الأضحية يقول : « جذعة أحب إلى الله من هرمة ؛ الله أحق بالفتاء والكرم » . والجذعة : الفتية . والهرمة : العجوز . والفتاء : الشباب ؛ والكرم : الحسن [١] .

وقد تتبعت المواطن التى وردت فيها مادة « الفتوة » فى القرآن الكريم . فوجدتها عشرة مواطن ولاحظت أن هذه المادة تذكر فى القرآن المجيد بالخير وفى مواضع الخير . وكأن القرآن يرمز بهذا إلى أن شأن الفتيان أن يكونوا دائما فى مواطن الحمد وأماكن الثناء وفى ذلك ما فيه من توجيه أو إيحاء .

يقول القرآن الكريم على لسان قوم إبراهيم عليه السلام : « قالوا سمعنا فتى يذكرهم

---

(١) انظر النهاية لابن الأثير ، ج ٣ ص ١٨٣

يقال له إبراهيم [١] » والفتى المراد هنا كما هو واضح هو خليل الرحمن وأبو الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام . وقد عقد صاحب « الفتوة عند العرب » فصلا بعنوان « سيد الفتيان » ثم قال معلقا على ذلك العنوان : « هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وليس فى وصفنا له عليه السلام بسيد الفتيان تطاول على مقام النبوة الكريم . فقد قال تعالى فى سيدنا إبراهيم : قالوا سمعنا [٢] فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) » .

ويقول التنزيل المجيد عن أهل الكهف : « إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا [٣] » . وأنت ترى أن الفتية هنا مؤمنون قد اعتزوا بربهم واتجهوا إليه واعتمدوا عليه . يقول عنهم القرطبي : « وكان بها ـ أى مدينة أفسوس ـ سبعة أحداث يعبدون الله سرا فرفع خبرهم إلى الملك وخافوه فهربوا ليلا » ويقول أيضا : « فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله [٤] » . ويوالى القرآن الحكيم قص أمرهم بما يزيده علوا وتكريما فيقول :

« نحن نقص عليك نبأهم بالحق . إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا [٥] » .

وحينما تعرض القرطبي لتفسير قوله تعالى : « إنهم فتية آمنوا بربهم ... » قال : « أى شباب أحداث حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة كذلك قال أهل اللسان : رأس الفتوة الإيمان . وقال الجنيد : الفتوة بذل الندى . وكف الأذى . وترك الشكوى . وقيل : الفتوة اجتناب المحارم واستعجال المكارم . وقيل غير هذا . وهذا القول حسن جدا لأنه يعم بالمعنى جميع ما قيل فى الفتوة » .

---

(١) سورة الأنبياء ؛ آية ٦٠

(٢) فى الكتاب (إنا) بدل (قالوا) وهو سهو أو خطأ مطبعى ؛ انظر ص ١٤٣

(٣) سورة الكهف آية ١٠ (٤) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٥٩

(٥) سورة الكهف آية ١٣ ـ ١٦

ولما بلغ قوله تعالى : « وزدناهم هدى » قال : (أى يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع إلى الله تعالى ومباعدة الناس والزهد فى الدنيا وهذه زيادة على الإيمان) ولما بلغ قوله : « إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض » قال : (هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكرا لما أولاهم من نعمه ونعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين الى ربهم خائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء ... [١]) وهذه عبارات ناطقة بفضل الفتوة ومجد الفتيان وشاهدة بتعطير ذكرهم فى خير البيان وهو القرآن .

ويقول الله تبارك وتعالى فى التنزيل الحميد : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات [٢] » . وفى هذه الآيات تكريم لهؤلاء الفتيات المؤمنات وترغيب فيهن وقد أشار إلى ذلك السيد رشيد رضا ـ عليه الرحمة والرضوان ـ حين تحدث عن وصف الإماء هنا بالفتيات فقال : « وفى التعبير عنهن بهذا اللقب إرشاد الى تكريمهن ؛ فأن الفتاة تطلق على الشابة وعلى الكريمة السخية كأنه يقول : لا تعبروا عن عبيدكم وإمائكم بالألفاظ الدالة على الملك بل بلفظ الفتى والفتاة المشعر بالتكريم ؛ ومن هنا أخذ مبلغ القرآن ومبينه صلى الله عليه وسلم قوله : (لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى ؛ ولا يقل المملوك : ربى . ليقل المالك فتاى وفتاتى ؛ وليقل المملوك سيدى وسيدتى ؛ فأنكم المملوكون ؛ والرب هو الله عز وجل) رواه الشيخان » [٣] .

ويقول القرآن : « وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا » [٤] . وقد قيل إن الفتى هو يوشع بن نون . وإنما قيل له فتى لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم [٥] وهما أمران يشرفان لأن خدمة النبى عمل كريم ولأن طلب العلم مقصد عظيم وقيل إن الفتى هو يوشع بن نون بن إفرائيم

---

(١) تفسير القرطبى . ج ١٠ ص ٣٦٤ – ٣٦٦

(٢) سورة النساء . آية ٢٥

(٣) تفسير المنار . ج ٥ ص ١٨

(٤) سورة الكهف . آية ٦٠

(٥) تفسير الكشاف . ج ٢ ص ٣٩٥

ابن يوسف عليهم الصلاة والسلام [١] فهو إذن من سلسلة النبوة وأكرم بالفتوة إذا تحدرت من هذا النبع الطهور ...

وإذا كان فتى موسى قد نسي الحوت وقال عن نفسه : « وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » فأن البيضاوى يعلل هذا النسيان تعليلا مشرفا فيقول : « ولعله نسي ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره [٢] الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وإنما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها » .

ومع هذا أدى نسيان يوشع الى خير مطلوب . ألم يقل القرآن عن موسى عليه السلام « قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا » [٣] ؟! .

ويقول القرآن : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فأن الله من بعد إكراههن غفور رحيم » [٤] . وقد نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى رأس النفاق لأنه أكره جوارى له على البغاء وضرب عليهن ضرائب فذهبت ثنتان منهن وشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] ولا شك أن هذا التحصن وتلك الشكوى مما يحمد عليه أهلوه ! ! .

يا فتية الإسلام هكذا كان حديث الفتية فى القرآن لا يرد الا فى مجال محمود فأين أنتم من مواطن الحمد والثناء ؟ ! م

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) تفسير البيضاوى . ص ٣٩٦

(٢) الشراشر : جمع شرشرة ؛ والشراشر الأثقال والنفس وجميع الجسد والمحبة (عن القاموس) .

(٣) سورة الكهف . آية ٦٤

(٤) سورة النور . آية ٣٣

(٥) انظر تفسير الكشاف . ج ٣ ص ٧٦ ؛ وتفسير البيضاوى ص ٤٦٨

الألغـــــــــاز

والآداب العربية والعامية المعاصرة

— ١ —

« الألغاز » ضرب من ضروب الأدب ولون من ألوانه ، يمتاز عن سائر الضروب والألوان بأنه يتخذ الحيلة أساسا له والمعرفة والثقافة سندا ، والامتحان والاختبار أسلوبا ، وبأن منحاه التركيز والغموض ، وصفته الإيجاز والإعجاز .

أما ان أساسه الحيلة ، فذلك لأنه فن من فنون التسلية يحتاج إلى البراعة فى الوضع ، والعناية فى الإخراج ، واللباقـة فى تقديمه إلى الراغبين فى قضاء الوقت ومتعـة السهر ، حتى يلاقى لديهم نجاحا ويلقى فى نفوسهم هوى ويجذب منهم الانتباه .

وأما عن المعرفة والثقافة باعتبارهما سندا لهذا اللون من ألوان الأدب ، فالمفهوم أن اللغز إنما يعنى اختبار المراد منه حله وتفسيره . ولن يتيسر هذا الاختبار على نطاق واسع إلا إذا كان الأديب الذى يلغز والشخص الذى يوجه إليه اللغز سواء أكان قارئا أم سامعا كلاهما على قدر من الثقافة والإلمام بالمعرفة يتناسب مع ما يقتضيه اللغز من اتساع فى الأفق وكثرة فى الاطلاع وسرعة فى البديهة — ولقد كان من شأن تباين الثقافات وتفاوت المعارف أن تنوعت الألغاز واتخذت قوالب وأشكالا تتناسب مع هذا التباين والتفاوت فى درجة الإلمام والاطلاع وقدر التفـكير والتعليم وطبيعة البيئة .

وواضح أن الأسلوب الذى تتبعه الألغاز هو أسلوب الاختبار ، اختبار القدرة على فهم اللغز ، وسمته الغموض والإبهام فى سرعة واختبار المقدرة على حصر شتى المعلومات والملموسات من الأشياء والحقائق ومعرفة أيهما ينطبق عليه نص اللغز وتظهر الفائدة واضحة من اللغز فى هذا الأسلوب ذلك لأن الاختبار يؤدى إلى تشغيل الذهن وتحريك الملـكات الفـكرية ويعوّد على السرعـة فى الفهم والشوق إلى الإفصاح والتعود على التفـكير وتقوية البديهة وحصر المعلومات كما يؤدى إلى التعود على تذوق الأدب اللغزى وسرعة الإحاطة بالاحتمالات العديدة المختلفة لـكل نقطة من نقاط الثقافة وكل بند من بنود المعرفة .

وليس من شك فى أن المنحى الذى يتخذه الملغزون فى وضع ألغازهم إنما هو التركيز والغموض والسبب فى التركيز هو أن اللغز يقصد فى العادة إلى الاختبار ومن شأن هذا الأخير أن يكون المعنى الدائر حوله النص مركزا بمعنى أن يكون مشتملا على الصفة الكلية التى يتصف بها الشئ الملغز فيه أو الصفة البارزة المميزة له عن سواه من الأشياء والعلة فى الغموض تبدو من تبيان الفرق بين الوصف والإلغاز فعلى الرغم من أن هذا الأخير هو فى حقيقته وصف موجز يصور صفة مميزة لشئ من الأشياء بصورة تمكن بعد تفكير وتمعن إلى استكناه هذا الشئ ومعرفة فحواه ؛ إلا أن الوصف يختلف عن ذلك فى اتسامه بطابع التوسع والتحليل والتنميق وفى اتسامه بالتبسط فى العرض حتى يتذوقه المتذوقون دون نصب ولا إرهاق ويستسيغه المستسيغون دون كد كثير للذهن أو التباس ملحوظ فى القصد والمعنى .

ويتصل بالتركيز أن يكون اللغز موجزا ، والإيجاز صفة يقتضيها المقام فى الألغاز ، وذلك يرجع إلى أن هدفها الامتحان والاختبار ، وهذا فضلا عن أن الإيجاز سبيل إلى الإبداع والإعجاز ، ومن مقتضى هذا الأخير أن يجعل للانتاج طابعا فريدا خاصا فيه الدفع إلى الفحص والاستكناه وفيه الدافع إلى التوصل إلى الحل والتفسير ، أما ما يتعلق بالغموض فليس يخفى أن صفة اللغز وطبيعته المميزة باعتباره انتاجا أدبيا إنما تقوم على أساس التعمية ، والتعمية هى السبيل للاختبار ، والمفهوم أن الغموض يكون فى وصف الشئ الملغز فيه : والمقصود بذلك أن يختار الملغز لهذا الشئ صفة أو طابعا أو وجهة بعيدة تعبر عنه من زاوية خاصة له تحتاج من الموجه إليه اللغز أن يقلب الفكر والذاكرة حتى يصل إلى اقترانها بهذا الشئ ، أما أن يجنح الملغز إلى الإبهام فى اللفظ ، فذلك فى رأينا لا يكون صحيحا إلا إذا كان الإلغاز لفظيا أى قائما على اللفظ كما سيجئ ؛ أما غير ذلك من ضروب الألغاز . فالغموض فى اللفظ فيه عقم واضطراب فى الفن اللغزى وعلى هذا الأساس يحكم على هذا الضرب من الألغاز أو ذاك بالصحة والإعجاز أو بالفشل والهدم .

والمعيار السليم فى الحكم على اللغز يتأتى بمعرفة الشئ الملغز فيه . ثم تطبيق النص اللغزى عليه فاذا وجدنا ــ والوضع هذا ــ أن هذا الشئ قد صار عنوانا سليما لذلك النص كان اللغز سليما وإذا ألفينا أن النص متعذر انطباقه على الشئ الملغز فيه كان اللغز غير سليم ، ويتفرع عن ذلك ملاحظة أن النص قد يحتوى على صفة للشئ يشترك فيها مع بعض آخر من الأشياء ؛ وبالرغم من هذا يكون اللغز صحيحا وسليما وهذا لا يكون إلا إذا

كان النص يشمل مجموعة من الصفات والأوصاف يكفى أن يكون واحد منها أساسيا فى الشئ بمعنى عدم اشتراك هذا الأخير فيه مع أشياء أخرى .

والألغاز مادة من مواد التسلية فى مجالس الأدب ومجالس التسلية ؛ فضلا عن المجالس الشعبية . ويقصد بالمجالس هنا اجتماع فئة من الناس تربطهم صلة الأدب أو الفكر أو صلة الصداقة أو القرابة لقضاء أوقات الفراغ . وأجمل أسلوب فى نظرنا لتسهيل هذه المادة وجعلها شيقة محببة مؤدية للغرض منها وهو التسلية وتشغيل الأذهان واختبار المقدرة وما إلى ذلك هو تحديد الزوايا المعينة أو القوالب الخاصة التى سيدور حولها محور الألغاز . بمعنى اختيار وجهة خاصة كعلم من العلوم مثلا أو فن من الفنون أو طبقة من الناس كطبقة الأدباء والمفكرين أو كطبقة السياسيين والاقتصاديين لتكون كل الألغاز التى تذكر فى المجلس محصورة فى جو يتسنى معه للحاضرين الحل والتفسير فى سرعة ويسر ؛ وذلك أن من شأن التحديد والحصر عدم تشتيت الذهن واقتصار دورانه وبحثه على دائرة معينة . ويؤدى هذا كما هو ظاهر إلى السرعة فى الوقوف على الحل والنتيجة وتظهر فائدة هذا المنحى فى أنه يساعد على استمرار المجلس والإقبال على مادته وبطء إحساس الحاضرين بالسأم أو الملل الذى يحدثه كد الذهن فى الحل والاختبار .

ولم تقتصر الألغاز على نوع دون آخر من أنواع الأدب . فنحن نجدها طرقت أبواب القصة والنثر الأدبى والأدب الشعبى كما طرقت باب الشعر العربى .

أما من ناحية القصة فليس يخفى أن عنصر التشويق الذى هو أساس الفن القصصى يتطلب وجود لغز فى القصة يسعى القارئ إلى معرفة كنهه والوقوف على ما يفسره بمتابعة فصولها والاهتمام بعرضها . ويتمثل هذا فى وضوح فى نوع القصص المعروف بالقصص البوليسية . فهذا النوع من القصص أساسه اللغز ومحوره الإلغاز ويلاقى رواجا كبيرا لدى القراء بالغرب ولكن رواجه بين قراء العربية يتأتى عن طريق القصص البوليسى المترجم عن الإفرنجية . ولقد كان فى قيام هذا النوع من القصص على اللغز خلق نوع خاص من الأبطال القصصيين مهمتهم فى القصة التوصل إلى حل اللغز وتفسيره وبطولتهم تتأتى عن طريق مقدرتهم على هذا الحل والتفسير ومن أشهر هؤلاء الأبطال البطل المعروف باسم شرلوك هولمز .

ونجد الألغاز منتشرة فى النثر الأدبى . وهنا نلاحظ فرقا بين اللغز والسؤال فلا شك

أن السؤال أعم من اللغز فضلا عن أن هذا الأخير يراد منه فى العادة - زيادة على الامتحان والاختبار - أن يكون مادة للتسلية وتلك صفة تتضح فى اللغز أكثر من وضوحها فى السؤال .

ومن أمثلة الألغاز فى النثر العربى ما نجده فى أقاصيص (ألف ليلة وليلة) إذ وردت بعض الألغاز فى إحداها . منها :

أخبرنى عن قبر مشى بصاحبه ! - المقصود حوت يونس حين ابتلعه .

أخبرنى عن شئ يتنفس بلا روح ! - المقصود قوله تعالى (والصبح إذا تنفس) .

أخبرنى عن شئ أوله عود وآخره روح ! - المقصود عصا موسى حين ألقاها فى الوادى فاذا هى حية تسعى باذن الله .

أخبرنى عن بقعة واحدة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ثم لم تطلع ولن تطلع إلى يوم القيامة ! - المقصود بهذه البقعة (البحر الأحمر) حين ضربه موسى بعصاه فانفلق اثنى عشر فرقا . وطلعت عليه الشمس ولم تعد له إلى يوم القيامة .

أخبرنى عن أنثى من ذكر وذكر من أنثى ! - المقصود بالأولى حواء من آدم ، والمقصود بالثانى عيسى بن مريم .

أخبرنى عن أربع نيران : نار تأكل وتشرب ونار تأكل ولا تشرب ونار تشرب ولا تأكل ونار لا تأكل ولا تشرب ! - المقصود بالأولى نار جهنم والثانية نار الدنيا والثالثة نار الشمس والرابعة نار القمر .

أخبرنى عن خمسة أشياء خلقها الله تعالى قبل خلق الخلق ! - المقصود بها : الماء والتراب والنور والظلمة والثمار .

أخبرنى عن أشياء خلقها الله تعالى بيد القدرة ! - هى : العرش وشجرة طوبى وآدم وجنة عدن ١

« له بقية »

أحمد طه السنوسى

من تاريخ مصر الحديث

مواقف خالدة لعلماء الازهر

واخشع مليا واقض حق أئمة
طلعوا به زهرا وماجوا أبحرا
شوقى

يدأب كثير من المغرضين على اتهام الأزهر ، واختلاق المثالب الشائنة لرجاله ، وهم اذ يلصقون التهم الآثمة بهم الصاقا يتجافى عن الحق والإنصاف ، انما يهاجمون الإسلام نفسه من وراء ستار ، ليحققوا مآرب خبيثة لا يقدرون على البوح بها علانية ، ولا جرم فقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر .

وأعظم تهمة يمهدون لها العلل والأسباب ، هى دعوى تزلف الأزهريين للرؤساء من ملوك ووزراء ، والسير فى ركاب أولى الأمر مهما اعتسفوا الجادة وتنكبوا السبيل ، والعجيب المدهش حقا أن الذين يلوكون بأقلامهم هذا الهراء فى صحفهم الماجنة هم أنفسهم الذين كانوا يدقون الطبول فى موكب الفساد ، وحين تغيرت الأوضاع بعد الثورة أخذوا يتنصلون من فضائحهم المخزية و يتصيدون الشوائب للبررة الأتقياء ، حتى ليصدق عليهم المثل القائل (رمتنى بدائها وانسلت) ! !

ونحن اذا تصفحنا مواقف تاريخنا الحديث نجد لأعلام الأزهر فى الذود عن الحق والوقوف فى وجه الباطل آيات رائعة يفوح منها الشذى العاطر وتؤكد وراثة الأنبياء فى قوم يخشون الله حق خشيته ، ومن المؤسف أن هذه المواقف الخالدة ـ على كثرتها المشرفة ـ لم تجد من أحصاها فى كتاب ، أو دونها فى تاريخ ، اذ أن الرهبة المرعبة من أصحاب النفوذ ، ساعدت على كتمان هذه المجابهات الصريحة ، الا ما تناثر على الأفواه من أحاديث تتخذ الحيطة الكاملة فى ترددها وتداولها بين الناس ، ومع هذا التكتم

الصريح فقد وعت ذاكرة التاريخ مثلا رائعـــة لجماعة مؤمنة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من العلماء الأفذاذ ! !

وها نحن أولاء نسطر فى مقالنا بعض هـذه الروائع الغالية ، ليعلم من لم يكن يعلم أن من علماء الأزهر من حملوا مشعل الحق فى الدعوة الى الله ، فأثبتوا لذوى الإنصاف أن الروح القرآنية التى ألهمت سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعمرو بن عبيد والأوزاعى وابن حنبل والعز بن عبد السلام فى القديم هى نفسها الروح القوية التى سرت فى نفوس علماء الأزهر فواجهوا الباطل بلسان صدق مبين ونحن نسجل بعض هـــذه المفاخر لا لنقول أولئك آبائى بل لنقذف بالحق على الباطل فاذا هو زاهق .

لقد حكم محمد على مصر فى فترة عصيبة من تاريخها القريب فمن الذى أحصى عليه أخطاءه وسجل نقائصه ، حتى تعرض لأقسى ضروب العسف والاضطهاد ؟! ! ان العالم الأزهرى عبد الرحمن الجبرتى قد كان أول من سجل على الوالى الغاشم نوائبه وأخذ يتنقل بين المدن والقرى فارا من عذاب أليم يتهدده من أولى الأمر ، وقد تعرضت أسرته للاغتيال والحبس والأهانة ، وظل المؤرخ الكبير يخط للأجيال المقبلة كلمة الحق سافرة حميدة ، دون أن يقعد به تحرش وارهاب . ولو أراد الرفعة والجاه لسار فى موكب النفاق يختلق المحامد ويطلق بخور الثناء . وقد اختلفت الآراء فى خاتمة حياته وأرجحها المؤكد أنه لقى مصرعه مستشهدا فى سبيل الرأى الصريح ـ مما نبسط الحديث عنه بالتفصيل فى مقال آخر ـ ومع أنه كان فى صدر شبابه صديقا لعلى بك الكبير ومحمد بك أبى الذهب فقد سجل عليهم فى تاريخه العظيم ما رآه من المظالم . وارتفع بالتاريخ الى مرتبة لا تجنح الى الأهواء والميول . فليذكر صعاليك الصحافة ما كتبوه بالأمس فى صحائفهم عن فاروق ليعرفوا من يسير مكبا على وجهه ومن يمشى سويا على صراط مستقيم .

هذا هو الجبرتى العالم الأزهرى ابن العالم الأزهرى ! ! وهناك معه عشرات من علماء الأزهر جابهوا الباطل علانية دون استخذاء فلم تأخذهم ملامة فى جنب الله ، وبقيت أحاديثهم العاطرة تعبق فى رحاب الأجيال ! .

هناك العالم الأزهرى الجرىء الأستاذ حسن العدوى وقد شهد له الزعيم أحمد عرابى فى مذكراته السياسية شهادة تزن ما على الأرض من ثروة ومتاع ! فقـــد كان وزملاؤه الأزهريون فى طليعة رجال المؤتمر الوطنى الذى أصدر قراره التاريخى بعزل توفيق وتكليف

الزعيم أحمد عرابى بالدفاع عن الوطن بعد أن قرئت على المجتمعين فتوى أزهرية إسلامية بمروق الخديوى وخيانته، فكان لها أكبر الأثر فى هيجان الشعور المصرى ضد الحاكم الخائن وحين انتهت الثورة إلى خاتمتها الأليمة تقدم الشيخ العدوى الى المحاكمة بجنان ثابت ووقار مهيب فسأله الرئيس : هل أفتيت بعزل الجناب الخديوى ؟ فأجاب من فوره : لم تصدر منى فتوى بذلك ومع هذا فأنا تقدمتم إلى بمنشور يتضمن هذه الفتوى فسأوقعه وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديوى يستحق العزل لمروقه عن الوطن والدين ! يقول هذا وقد شحذ الباطل أسنته وحرابه لينكل بالأحرار الباسلين ؛ فتتضاءل فى تقديره كل عقوبة ظالمة تتخيلها الأذهان ويرفع هامته فى ساحة المحاكمة عالية شماء ! .

هذا العالم الأزهرى الورع قد طلب منه أثناء زيارة السلطان عبد العزيز لمصر ضيفا على اسماعيل أن يقوم بتقليد رسمى كريه فينحنى الى الأرض ثلاث مرات يأخذ فيها السلام الى رأسه ثم الى فمه ثم الى صدره ويخرج موجها صدره الى الخليفة وظهره الى الباب ! وتوقع ذوو الأمر أن يفعل ذلك ولكنه اعتقد فى قرارة نفسه أن هذه تقاليد آثمة لا تنبع من روح الدين بل تعيد الوثنية ثانية فى أمة شرفها الإسلام بالتوحيد والمساواة فسخر بكل ماسمع ودخل الى الخليفة مرفوع الرأس قائلا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ثم ابتدره بالنصيحة ودعاه الى تقوى الله والخوف من عذابه ! وهاج الخديوى واضطرم الغيظ فى صدره ولكن السلطان يعجب بما يرى ويخلع على الرجل حلة ثمينة ويقول للحاضرين « ليس لديكم عالم سواه » [١] .

هذه الروح الكريمة التى نفثها القرآن فى النفوس لم تقتصر فى أحلك عهود الطغيان على فرد أو اثنين بل غمرت أناسا كثيرين عرفوا الله فعرفهم . وإذا كانت مواقفهم الخالدة قد فقدت المؤرخ الجرىء فقد تناقلتها الأفواه لسانا عن لسان وحملت الصدور ما خافت أن تعلنه الطروس ومن الذى لا يسمع بغضبة اسماعيل وقد توالت هزائم جيوشه فى الحبشة وأمر العلماء بقراءة البخارى فما غيرت شيئا من الموقف فصاح بالعلماء لستم من السلف الصالح فان الله لم يدفع بتلاوتكم شيئا ! فأجابه أحد العلماء : لقد قال

---

(١) من كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام للأستاذ سيد قطب ص ١٦٨ ؛ وقد ألم أيضا بموقف الشيخ حسن الطويل من مقابلة توفيق .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » فانكسر الخديوى وسأل : وماذا صنعنا حتى ينزل بنا البلاء ؟ فقال العالم : أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يحل الربا ؟! أليس شرب الخمر مباحا ؟ أليس الزنا برخصة ؟؟ أليس كيت وكيت ؟!! واندفع يذكر ما شاع بمصر من المنكرات ـ واسماعيل يسمع ويكظم ـ غير ما وجل ولا هياب [١] .

وهناك العالم الجليل الأستاذ حسن الطويل العالم الأزهرى فقد كان من عزة النفس والثقة بالله على جانب رفيع ممتاز ! دخل عليه رياض باشا وهو يدرس لطلابه بدار العلوم فما غير موقفه أو بدل جلسته وحين هم الزائر بالخروج قال له الأستاذ : لماذا لا أكون وزيرا معكم يا باشا ؟ فدهش الزائر وقال : أى وزارة تريد ؟ فقال : وزارة المالية لأستبيح من أموالها ما تستبيحون (٢) !! وكانت لطمة أليمة توجه الى حاكم أرستقراطى لم يألف التهكم والاستخفاف ! فخرج ثائرا مهتاجا واستدعى ناظر المعارف على مبارك ليعجل بفصله من وظيفته ولكن يدا أعلى من يد رياض باشا تقف فى وجهه فيتراجع ـ على غطرسته العاتية ـ مدحورا وقد آثر ألا يزور مدرسة أو معهدا بعد ذلك !!

هذا الرجل العظيم الشيخ حسن الطويل ، قد طلب منه أن يرتدى ملابس خاصة ليقابل بها الخديوى توفيق ، وحان الموعد المرتقب فجاء بملابسه المعتادة ، ومعه منديل يضم الملابس الرسمية . ثم قدمها للخديوى قائلا فى بساطة ! : إن كنت تريد الجبة والقفطان فهاهماذان ، وإن كنت تريد حسنا الطويل ، فهأنذا حسن الطويل ! ! ثم قال الشيخ لجلسائه : كيف أتجمل لتوفيق بلباس لا أتجمل به لربى فى الصلاة !؟ . وهذا لعمرى منطق اليقين الجازم ، والإيمان العجيب ! !

وهناك الأستاذ الإنبابى شيخ الجامع الأزهر ، دخل عليه اللورد كرومر محييا ، فصافحه الأستاذ من جلوس ، فاستعظم اللورد ما صنع ، وسأله : ألست تقوم للخديوى ؟

(١) من أخلاق العلماء للأستاذ محمد سليمان ص ١٠١
(٢) » » » » » » » ١٨١

فقال : نعم ، لأن الخديوى ولى الأمر ، وهـو منا ، ولست مثله لدينا فى شئ (١) ! ! ولم يقل الشيخ ذلك تزلفا للخديوى فهو العالم الجرئ الذى جابه توفيقا وأفتى بعزله ومروقه دون تحفظ أو اكتراث ، ولقد كان كرومر فى منعة عزيزة يتضاءل معها جاه خلفه الأخير « كلين » ومع الفارق البعيد بين الاثنين ، فقد رأينا رؤساء الحكومات ينكمشون ويتضاءلون جوار ما يلز لامبسون ، ثم لا يجدون من صحافة اليوم غير المديح والتنويه ! !

وهناك الأستاذ الشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر . فقد أرادت حكومة مصطفى فهمى أن تضعف القضاء الشرعى إجابة لرغبة المعتمد البريطانى ، فدعت لتعديل اللائحة الشرعية مستندة الى نفوذ المستعمر كعهدها فى حكمها الطويل البهيم ! ! ولكن الشيخ حسونة يحمل على المشروع بكلمة موجزة فتطير فى الأمة كل مطير ويتأهب الكتاب لنقده نقدا جارحا فتتخاذل الحكومة وتؤثر انسحاب مشروعها الخطير (٢) ولو كان هذا الموقف لزعيم سياسى لظلت صحفنا « المنصفة » ! ! تردده بين الحين والحين .

ومن المدهش العجيب أن الذين يكتبون عن الأستاذ الإمام محمد عبده يعز عليهم أن يعترفوا بمواقفه الخالدة من الحكام ويكسرون الحديث على علمه وجهاده فى التربية والإصلاح ونشاطه الاجتماعى ! ! بل ربما اتهموه آثمين بمحاباة الانجليز والدعوة الى الاحتلال ! ! أما موقفه الخالد فى الثورة العرابية ونفيه الى الخارج فلا يحتاج الى تسجيل ، وأما مواقفه المتكررة من عباس فيجب أن يسحب عليها ذيل العفاء ! !

لقد أراد الخديوى السابق أن يجعل أموال الأوقاف بقرة حلوبا تدر عليه الأرباح من أيسر طريق ، فوقف الإمام فى وجهه وقفة كشفت مطامعه للعيان ، ولعبت الشحناء دورها فى قلب عباس ، فتعقب الإمام فى كل طريق ناصبا مكايده الخاتلات ! !

لماذا عارض الخديوى إصلاح الأزهر ! ولماذا عارض إصلاح القضاء ! ! السبب واضح ، فالأستاذ الإمام قد رسم المنهج ، وأعد الخطة ، وأثار الرأى العام . فلا بد أن ترجع مشروعاته بالخيبة والإخفاق .

لقد كتب الأستاذ الإمام عن (محمد على رأس الأسرة الحاكمة) مقالا جريئا يبرزه على حقيقته أمام القراء ، فكان ثانى كاتب — بعد الجبرتى — فى مصر يصور

---

(١) من أخلاق العلماء للأستاذ محمد سليمان ص ١٨٢

(٢) مجلة الرسالة ص ١٦٣ السنة ١٥ نقلا عن فضيلة الأستاذ فرج السنهورى .

بالعربية حقيقة هـذا الحـاكم السفاح ؛ وفى الوقت الذى احتفل فيه أساتذه النفاق بالذكرى المئوية « لساكن الجنان » منذ قريب ! ! كان هناك أزهرى ثالث هو العالم الأزهرى الداعية محمد الغزالى ينقل كلام الشيخ محمد عبده عن محمد على فى كتابه « تأملات فى الدين والحياة » ثم يشفعه بالتفسير والتوضيح ! ! ونحن ندعو القراء الى مطالعة ما كتبه محمد عبده والغزالى عن محمد على . ثم ليقرءوا الأعـداد الخـاصة من الصحف والمؤلفات الضخمة من المكتب التى صدرت فى الذكرى المئوية (العزيزة !) تملقا لفاروق وإرضاء للباطل ! ! وحينئذ يعرف القارئون من المتزلف المتملق ، أنحن أم هؤلاء ! !

وأخيرا تعالوا بنا إلى العهد القريب لتعلموا ماصنع مفتى الديار المصرية السابق الشيخ محمد بخيت المطيعى رحمه الله فقد لطم الاستعمار لطمة قاسية حين أصدر فتوى دينية وطنية فى مقاطعة الانجليز فسرت مسرى النار فى الهشيم و بددت مانسج من الأحلام والأمنيات . ولقـد كان الشيخ بخيت أكبر مفت للاسلام فى عصره ، و رفض ثروة مغربية قدمت إليه حين أصدر فتوى اسلامية فى وقف من الأوقاف قائلا كلمته الجليلة (العلم فى الإسلام لا يباع) ولعمرى إن هـذه الجملة الصغيرة على إيجازها العجيب . قانون إسلامى خالد يجب أن يتردد ويذاع ليؤمن به المسلمون ويعملوا به .
تعالوا بنا لتسمعوا شيخ الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم يقول لمندوب فاروق الذى كنتم أيها الصحفيون تعبدونه من دون الله : إننى لا أخاف من شئ ما دمت أتردد من بيتى إلى المسجد ! ! يقول هذا وقد تضافرت الأقلام والألسنة على تعظيم الطاغية وإكباره ، ولا يكتفى الشيخ بمـا ذكر بل يندد بتبذيره الفاحش و إسرافه المقيت ، فيصيح صيحته المشهورة « تقتير هنا وتبذير هناك » ! !

هذه بعض المواقف الرائعة فى تاريخ الأزهر ، ومن المؤسف أن يتعاون المأجورون على طمسها وإخفائها ؛ ليحولوا دون شرف خالد للتاريخ المصرى يوشك أن ينـدثر بلاتسجيل ! ! واذا كان منهم من يريد أن يطفئ نور الله فالله متم نوره ! ! ولن يعدم الحق لسانا يقول : « هاؤم اقرءوا كتابيه » .

محمد رجب البيومى

الى الله . . .

عند ما تستشرى الأزمات ، وتختنق الأصوات، ويسرف فى العسف الطغاة ، ويفتن فى الظلم العتاة . تزوغ من المظلومين الأبصار والبصائر ، وتكاد تنشق منهم الأكباد والمرائر ، ويذهلون من سعير أهوال الحياة وما أشده من سعير ، ويتساءلون فى حيرة الفزع : إلى أين المصير ؟

وإذا صوت يصم الدنيا صداه ينادى الحائرين : افزعوا ـ إلى الله .

وكلما صر ناب المادية بعد أن يمزق من الإنسانية كيانها ، ولم يبق من الروحانيات حسنها أو إحسانها ، ولم يدع للأخلاق مظهرها أو سلطانها ـ تطلعت النفوس فى ألم الى هذا الانحلال ، ونقبت فى حسرة عن سر هذا الهزال ، فاذا الداء العياء وسر البلاء عدم الرضا بالقضاء . واذ ترجو كل نفس على الحياة طيب الظلال ، واذ تتمنى أن تنعم براحة البال ، لن تجد لها ما يهيئ تلك الحياة الا أن تفوض الأمر الى الله .

وكلما عبث الترف بالشعوب وبآمالها واستأسدت عوامله فى العمل على انحلالها فتاهت بين مباهج اللهو الرعية ورعاتها ، وضلت مسالك النجاة القافلة وهداتها ـ لم تجد تلك الشعوب ما يقيها العاديات ، وما يحميها من نيوب العثرات الا أصوات الصادقين تناديها ، وتصيح فى مترفيها : ليس من سبيل الى النجاة الا الرجوع الى الله .

وعند ما تختل على الدنيا المعايير ، وتتزعزع فى الحياة الموازين ، وتخلو للانتهاز بين الميادين ويمرغ النفاق على الأعتاب هامات الساقطين ـ تتطلع الحياة الكريمة الى الأخلاق تدمى جروحها والى المثل العليا تنهار صروحها ثم تتلفت من الأباة النفوس وتنتفض من حيرتها الرؤوس فاذا هتاف يهز الأباة : الجئوا الى الله .

ليست الحياة مالا حتى تتهالك النفوس على جمعه وإن أراقت فى سبيله ماء الوجوه ، فرب فقير تراه الدنيا هيكلا باليا كأنما هو ظل باهت يزحف على الأرض ، ولكن بين

جنبيه نفس عفيفة راضية تسطع فى حياته كأنما هى مرآة لم تغيرها زفرات الأحقاد ، أو يشعثها غبار الأهواء .

وليست الحياة جاها حتى يسرف الإنسان فى السعو إليه وإن اتخذ سلمه من جماجم المساكين وأشلاء المستضعفين ، فرب ضعيف وهت قوته ووهنت عزيمته ولكن برد الطمأنينة الذى يثلج صدره يحسده عليه الجبارون الذين يفزعون دائما من غضب الأرض والسماء .

وليست الحياة بعد هذا وذلك شهوة جسدية أو روحية حتى يتفانى المرء فى نيلها وإن فقد فى سبيلها كرامته ومروءته ، فرب إنسان تسوق إليه الدنيا أفانين الشهوات ، ولكن بين جوانحه ضمير حارس يحميه ويغضى عينه عن الزلات .

إن أشد الناس تمردا فى الحياة لا ينجو غدا من بأس الله .

وإن أكثر الناس بعدا عن الله لا بد أن يصيبه يوما غضب الله .

وإن العالم الذى ينزع الى التحالل من الدين ومن كل ماجاء به هذا الدين ليس بعزيز على الله أن يخسف به الأرض وأن يسقط عليه بروج السماء .

وإن الذين جمدت أحاسيسهم وضاع مكان العقيدة من قلوبهم فلا تأخذهم غيرة على دين الله ولا على تعاليم الله لا بد أن يحيق بهم سخط الله .

وإن التفريط فى واجبات هـذا الدين هو الذى جر على المسلمين اليوم كل ما يعانونه من وبال .

« توشك أن تتداعى عليـكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها » ولستم يومئذ قلة « ولـكنكم كثرة كغثاء السيل » كثرة ترغو وتطفو عن كثب وتفور وتصطخب فيخالها المتفائلون قوة ماحقة ثم تقذفها أمواج الابتلاء على صخور الحياة فـلا ترى العين منهـا إلا رذاذا يتطاير ثم يختفى من الوجود .

أيها المسلمون : إنكم مئات الملايين وقلوبكم كذلك مئات الملايين ، لكل قلب سبيل ولكل قلب أمل ولكل قلب هـدف ووراء كل قلب هوى يوجـه وكلما حاول المصلحون أن يجمعوا هـذه القلوب على قلب واحد وأمل واحد وهدف واحد أرسل الاستعمار أفاعيه تنفث سمومها حتى تقضى على ماجمع الإخلاص ووحد الإصلاح .

أيها المسلمون : إن عصا الاستعمار تفرق صفوفكم وتوشك أصابعه أن تعبث بكم وبمصايركم وكثرتكم تكاد تضيق بها رحاب الدنيا . فان اعتصمتم بحبل الله وربطت الأخوة الإسلامية بينكم فتألم المصرى لألم الصينى وثار الباكستانى لزئير الجزائرى أرهبتم العالم وانتصرتم « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

أيها المسلمون : حسبكم هذا التفكك وذلك التخاذل فأن ذؤبان البشرية توشك أن تلغ فى دمائكم إن لم تغيروا ما بأنفسكم وتنزحوا عن مظاهركم الكاذبة راجعين إلى الله .

أيها المسلمون : ارفعوا رؤوسكم دائما إلى السماء لتستلهموا من ربها القوة والسداد ولا تهولنكم أحابيل المستعمرين ، ومكايد أعوان المستعمرين ، فأنتم قوة اذا شحذت ونظمت واستعملت لا تبقى ولا تذر ولا يتم ذلك إلا إذا تعاهدتم على أن تهاجروا من دنيا الغش والخداع إلى الله .

أيها المسلمون :

إنكم لن تهنوا أبدا ، وإن الله لن يخذلكم أبدا ، إذا كنتم فى كل ما تأتون وما تذرون تبغون وجه الله وترجعون دائما إلى الله .

محمد محمد خليفة
المدرس بالأزهر

سؤال غير الله

سمع على رضى الله عنه رجلا يسأل الناس يوم عرفة ، فقال له :

أفى هذا اليوم ، وفى هذا المكان تسأل غير الله ! وخفقه بالدرة .

نظام نقد اسلامى بلا أرباح

«الدكتور محمد حميدالله ـ مؤلف هذا الفصل ـ يحمل شهادة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة بون (ألمانيا) والدكتوراه فى الآداب من جامعة باريس ، شاب مسلم من الهند كان أستاذ القانون الدولى سابقا فى الجامعة العثمانية فى «حيدر أباد الدكن» والأستاذ حاليا فى جامعة باريس ألف كتبا قيمة متعددة فى التاريخ الإسلامى . وآخر كتاب بديع أصدره بالإنكليزية (غزوات النبى محمد صلى الله عليه وسلم) وهو أدق كتاب بل لعله الكتاب الأول الوحيد من نوعه الذى تفرد بدراسة الغزوات النبوية من وجهة استراتيجية . زار الحجاز مرات عديدة لأخذ صور البقاع التى حدثت فيها تلك المعارك والآثار القائمة عليها ـ وهو الكتاب الذى ينقله بإذن من المؤلف كاتب هذه الكلمة والذى سيكون متمما لكتاب « النبى المثالى » الذى فرغ الكاتب من نقله للعربية والذى يعتبر أبلغ كتاب عرف فى أية لغة من لغات العالم عن خاتم النبيين ابن الإنسانية البكر « النبى محمد صلى الله عليه وسلم »
ع . م . س

* * *

لم يكن الإسلام الدين الوحيد الذى حرم الربا . ولكنه لدين الوحيد الذى أنار الطريق الى مجتمع لا يقوم نظامه المالى على الربا .

ومن تحصيل الحاصل أن الإنسان لا يدفع الأرباح عن النقود التى يقترضها عن طيبة خاطر وانما يفعل ذلك بحكم الاضطرار فان مجرد اعلان عدم شرعية هذه الأرباح أو حتى تحريمها يظل عديم الجدوى وخاصة حين تخالف جميع الحضارات وجميع القوانين وجهة النظر الإسلامية . أجل، ليس الإسلام الدين الوحيد الذى نفرد بنبذ شرعية الأرباح على القروض بأعنف العبارات كقوله تعالى [١] « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٥ ـ ٢٧٩ .

البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فأن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

ولكن الإسلام هو الدين الوحيد الذى مهد الطريق للخروج من هذه المعضلة التى ساعود إلى شرحها فى مكانها من هذا المقال . وما دامت الحكومات الإسلامية تعمل بروح القرآن الكريم فلا مجال لجيل من سلالة شيلوخ [١] أن يعيش فيها . ولقد حان الوقت لأحياء ذلك النظام الإسلامى والتوفيق بينه وبين ظروف الوقت الحاضر .

أن التعبيرين الإسلاميين « الزكاة » و « الصدقة » وإن دلا فى الآيات القرآنية الكريمة التى نزلت قبل الهجرة على مجردة الإحسان والمساهمة فى أعمال الخير فأن الآيات القرآنية الأخرى المنزله بعد الهجرة وأحاديث النبى الكريم جعلتهما يعنيان أشياء جديدة بعد تأسيس الدولة الإسلامية . ومنذ ذلك الوقت أخذت كلمة الزكاة (ومرادفاتها) تعنى واردات الدولة الإسلامية المجموعة من جيوب دافعى الضرائب من المسلمين الفئة التى تكونت منها الدولة الإسلامية على مدى الوقت والفئات الأخرى التى دخلت فى دين الله أفواجا بعد ذلك فى أوقات متنوعة ومن الواردات التى كانت تجبى على الزائد من الملكية الخاصة ومن الأراضى المزروعة والصادرات والواردات وغيرها .

وتشترط الآية القرآنية الكريمة المشهورة « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » التى توضع بموجبها الميزانية الإسلامية على الدولة الإسلامية أن تخصص جزءا من وارداتها (الصدقات) للغارمين (الذين ثقلت ديونهم) وهم طبقة ميزها القرآن الكريم فى الآية الكريمة السابقة عن الفقراء والمساكين (الفقراء من المسلمين وغير المسلمين فى الدولة الإسلامية) [٢] .

---

(١) شيلوخ : المرابى اليهودى المشهور فى رواية تاجر البندقية لشكسبير .

(٢) انظر وجهة نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى تفسير الطبرى وفى كتاب الخراج لأبى يوسف عن هذا الرأى .

ومن الأمور التى لاتقبل الجدل أن الحكومة وحدها هى الخليقة فى مجتمع منظم – وليس الأفراد – بالتنازل عن الأرباح عند منح القروض للناس .

إن القرآن ليأمر الحكومة الإسلامية بالاحتفاظ بجزء من وارداتها كل عام بما يقدر بثمن تلك الواردات فى رأى بعض مدارس الشرع الإسلامية – فى سبيل تقديم المساعدة للأغنياء الذين تضطرهم ظروف لا قبل لهم بدفعها الى اقتراض النقود . ولقد كان الاقتراض شائعا فى صدر الإسلام كما روى التاريخ وبصورة خاصة زمن حكم الخليفة الثانى عمر بن الخطاب مقابل تقديم الضمان من خزينة الدولة وأن تعاد دون أخذ الأرباح عليها . فهذا الخليفة عمر المتشدد فى حدود الله لم يتردد فى الالتجاء إلى هذا النوع من الاستفادة من بيت المال الذى كان شديد الحرص عليه والذى كان يطلق عليه اسم «مال اليتامى» وفى الواقع كان يعيد لبيت المال الدين المأخوذ بهذا الأسلوب حين يتناول راتبه نصف السنوى من قسم الديوان فى بيت المال .

ليس هناك أى سبب يمنع من احياء هذا النظام والتوفيق بينه وبين الحاجات التى يتطلبها العصر الحديث كمنح القروض على سبيل المثال لبناء المساكن وتحسين التجارة والصناعة والاشتغال بهما واعادة هذه القروض على أقساط ميسرة تمتد الى عدد من السنين . والذى لا مرية فيه أن الحكومات لا تخسر فى تعففها عن الأرباح على القروض التى تقدمها لرعاياها لأنها ستسترد عن طريق الرخاء المتزايد فى نهاية المطاف الربح فى صورة الدخل الوافر من الضرائب على العقار والصناعة والتجارة ومع كل ذلك فليس هذا هو الرأى الذى رميت الى شرحه فى هذا المقال .

إن الأفراد اليوم ليسوا وحدهم فى حاجة الى الاقتراض بل الحكومات كذلك فى حاجة مستمرة الى اقتراض النقود بالملايين والبلايين لتمويل برامج الإنشاء والتعمير . هنالك مؤسسة للنقد فى أمريكا الا أنها كما يتوقع من مؤسسة من نوعها تقوم على الأرباح . والضرورة الملحة تدعو الى قيام مؤسسة اسلامية للنقد على أسس متينة . وقبل اقتراح الطرق والوسائل لمؤسسة من هذا النوع أرجو من القارئ المعذرة فى الخروج عن الموضوع مرة أخرى .

تجربة شخصية فى القروض التى لا ربح فيها

حين انحطت الحكومات الإسلامية الى المستوى الذى أهملت فيه سنن الإسلام ونسيت عنده الواجب القرآنى الذى يتطلب منح قروض لا ربح فيها للغارمين قامت بعض

البلدان الإسلامية بتطبيق مشروع نجح نجاحا كبيرا ، وأعنى به المشروع الذى طبق فى حيدر أباد الدكن فى الهند قبل التغيرات الأخيرة فى شبه القارة الهندية حين تم تأسيس جمعيات لمنح القروض التى لا ربح فيها على أساس المصالح المتبادلة فى السنوات الـ ٨٠ الأخيرة من القرن الماضى التى استيقظ فيها الضمير الإسلامى، وقد ابتدأ التطبيق عام ١٩٤٨ .
ولنفرض على سبيل المثال أن مجموعة من الموظفين فى إحدى الإدارات قامت بتأسيس جمعية وابتاع كل عضو من أعضائها سهما أو أكثر بالنسبة لحالته المادية على أن يدفع قيمة الأسهم أقساطا تنتهى بعد مائة شهر فاذا افترضنا أن المساهمين (٥٠) شخصا وأن قيمة القسط الواحد جنيه واحد نجد أن مجموع ما يدفع فى الشهر الأول يساوى (٥٠) جنيها ويقع على عاتق اللجنة التنفيذية المنتخبة لتلك الجمعية تقرير المساهم الذى يستحق أن تقرضه هذا المبلغ قرضا حسنا بعد تقديمه التأمين اللازم وفى الشهر التالى يصبح المبلغ ليس ٥٠ جنيها فحسب وإنما يضاف إليه القسط الشهرى الذى يدفعه المساهم الذى اقترض الـ ٥٠ جنيها فى الشهر الأول، وعلى هذا المنوال يتزايد الوارد شهرا بعد شهر ويزداد تداوله بين المساهمين .
وبعد مضى سنوات معدودات يتوفر لدى الجمعية رأس مال كان يكفى لسد جميع حاجات المساهمين وزيادة على ذلك أخذ المساهمون يودعون لدى الجمعية ما يزيد عن حاجتهم من النقود على طريقة الحساب الجارى دون أخذ ربح عليه وقد ساعد ذلك الجمعية أيضا على القيام بواجبها بصورة واسعة ولم تسمح الجمعية بقبول مساهمين جدد فيها فحسب وإنما سمحت للمساهمين القدامى بسحب أسهمهم وحسابهم الجارى من الجمعية فى الوقت الذى يروق لهم وذلك بأعلام الجمعية عن رغبتهم قبل فترة معقولة من الزمن حسب أنظمتها .
أما ما يتعلق بنفقات أعمال الجمعية كالقرطاسية وأجور المحاسبات والخدمات الضرورية الأخرى فقد كان كل عضو يدفع شهريا دراهم قلائل لهذه الغاية أما فى الجمعيات الصغيرة فقد كان المتطوعون يقومون بالعمل دون تناول الأجور وتمكنت الجمعيات من توفير رصيد احتياطى من تبرعات الأعضاء تواجه به الخسائر غير المنتظرة .

لقد عرفت جمعيات كان عدد الأعضاء فيها يزيد على الـ (١٠٠٠) وقد أصبح رصيدها النقدى الاحتياطى بمرور الزمن كبيرا الى درجة أمكنها من استخدامه فى تأسيس مؤسسات تعاونية لبضائع لا تتلف كالحبوب والأقمشة وما شابهها ؛ والتى كان الأعضاء يأخذون حاجتهم منها بالنسيئة ، فتشترى تلك المخازن بحكم العادة البضائع بسعر الجملة وتبيعها بالتجزئة حسب الأسعار السائدة فى السوق المحلية، والربح الذى يتراكم يصرف قسم منه على أجور العاملين فى المؤسسة ويوزع قسم منه على أعضاء الجمعية ، وأما ما يتبقى فيحتفظ به كرصيد احتياطى .

الحكومات الاسلامية تستطيع إقامة مؤسسة نقدية للقروض بدون أرباح

والآن لو أن الحكومات الإسلامية أقامت بالتعاون مؤسسة نقدية على نفس المبدأ فأن رأس المال مهما كان متواضعا فى البداية سيصبح فى مدى أعوام قليلة رأس مال لا يستهان به ويؤدى الى نتائج مفيدة، فلو تيسر إقامة هذه المؤسسة فى مكة المكرمة مثلا وابتاعت كل حكومة اسلامية ـ من باكستان وأندونيسيا الى الكويت فتونس ـ أسهما من أسهم هذه المؤسسة تدفعها أقساطا سنوية بمئات الألوف من الجنيهات اذا لم يكن بالملايين، فأن ذلك لا يعادل غير جزء ضئيل من نفقاتها السنوية ؛ وقد تكون واردات المؤسسة فى السنة الأولى متواضعة والطلب على القروض عظيما ؛ غير أن اللجنة التنفيذية المنتخبة تستطيع بيسر وسهولة مدفوعة بروح العدالة وحسن النية والخير نحو الجميع أن تعرف القطر العضو أو الأقطار التى تستوجب الحالات الملحة فيها منح القروض غير ذات الأرباح والتى تعاد الى المؤسسة فى مدى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة . ومما لا شك فيه أن اللجنة التنفيذية ستنظر بعناية بالغة فى الأسباب الموجبة للقرض وكذلك الحصول على الضمانات التى تكفل عدم تبذير القرض فى مشاريع غير انتاجية . وسوف تتم عمليات الأقراض مرة واحدة فى السنة فى موسم الحج مثلا، وذلك يجعل نفقات الإدارة والتأسيس يسيرة، وفى اتخاذ النظام القمرى فائدة أخرى فى زيادة رأس مال المؤسسة ، لأن الأعضاء فى مدى ست وثلاثين سنة قمرية تكون مدفوعاتهم بالنسبة للنظام الشمسى سبعة وثلاثين قسطا .

ولو فرضنا جدلا أن ما يدفع فى السنة الأولى لا يزيد على عشرة ملايين فأن رأس مال المؤسسة فى عشر سنوات فقط سيصبح مائة مليون جنيه أو أعظم من ذلك بكثير بمرور الزمن . وليس هناك أى سبب يمنع حتى التركستان أو أذربيجان وقازان وغيرها من الانضمام إلى عضوية المؤسسة .

أى إنسان لا يرحب بالحصول على قرض لا يدفع ربحا عليه؟ إن هذه المساعدة الذاتية ستخفف الى حد ما الضغط الأجنبى على الاستقلال الاقتصادى للحكومات الإسلامية وستجلب الرخاء لا المسلمين فحسب وإنما سيظهر للدنيا بأسرها بصورة عملية كيف يستطيع الإسلام هدايتهم لحل مشاكلهم الاقتصادية كما هداهم لحل مشاكلهم الروحية .

بغداد

على محمد سرطاوى

نظرية الحرية فى الشريعة الاسلامية

من المبادئ الأساسية التى جاءت بها الشريعة الإسلامية مبدأ الحرية ، فقد أعلنت هذه الشريعة الحرية من يوم نزولها ، وقررتها فى أروع مظاهرها . فقررت حرية التفكير ، وحرية القول ، وحرية الاعتقاد ، وحرية التملك ، وحرية العمل؛ إلى غير ذلك من الأفعال المادية والمعنوية . وسنتكلم فى هذا الموضوع عن الحريات التى تعتبر من حق الفرد الطبيعى ، ألا وهى حرية التفكير ، وحرية القول ، وحرية الاعتقاد .

أولا : حرية التفكير

أعلنت الشريعة الإسلامية من يوم نزولها حرية التفكير . ولا شك أن هذا التفكير مرتبط أشد الارتباط بوظيفة العقل . فهى تدعو إلى التفكير فى كل شئ ، وذلك بحث الأفراد بشتى الوسائل والطرق على التفكير فى خلق السموات والأرض وفى خلق أنفسهم وفى غير ذلك من المخلوقات ، وتدعوهم إلى التفكير فيما تقع عليه أبصارهم وما تسمعه آذانهم ، ليصلوا من وراء ذلك كله الى معرفة الخالق الأحد وليستطيعوا على هداه التمييز بين الحق والباطل .

ولقد حث القرآن الكريم على استخدام العقل وتحرير الفكر . ونصوص القرآن حضت على ذلك . ففى قوله تعالى فى سورة البقرة الآية ١٦٤ : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . وفى قوله تعالى فى سورة الروم الآية ٨ : « أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى و إن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون » .

وقوله تعالى فى سورة يونس الآية ١٠١ « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » وقوله تعالى فى سورة سبأ الآية (٤٦) « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » واقرأ معى قوله تعالى فى سورة ق الآية (٣٧) «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » . وقوله تعالى : فى سورة الطارق الآية (٦) « فلينظر الإنسان

مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » وقوله تعالى فى سورة الغاشية الآية (١٧) « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، و إلى السماء كيف رفعت ، و إلى الجبال كيف نصبت ، و إلى الأرض كيف سطحت » . فمن هذه الآيات نجد أن القرآن الكريم دعا الأفراد إلى البحث والنظر والتفكير . ولا تكاد تخلو سورة من السور من هذه الآيات . واستيعاب ذلك مما يضيق عنه هذا المقام .

وفى هذا الصدد نحب أن نتعرض لمسألة تخبط فيها كثير من الباحثين . تلك هى : ما مصير من لم يقصر فى النظر والبحث ، ولكنه مع ذلك لم يستطع الوصول الى العقيدة الحقة فى الدين ؟

ولقد تناول هذه المسألة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش فى كتابه القيم (الإسلام دين الفطرة والحرية) وسأنقل هذا الموضوع الى القراء . تناول هذا الموضوع بقوله :

« للعلماء فى هذا المقام آراء مبسوطة فى الكتب المختصة بها ، ولا يعنينى هنا الا أن أعتمد على آيات القرآن دون ما قالوه فأستفتيها فى حكم ذلك الفريق من الناس ، إلا أننى قبل ذلك أسترعى ذهن القارئ الى المسلمات الأولية التالية :

١ — أنه ليس فى استطاعة العقل البشرى اذا قام عنده الدليل الصحيح على حكم أن يرتاب فيه .

٢ — أنه ليس فى مقدور العقل البشرى أن يقول بجواز صحة أمرين متناقضين معا .

٣ — اذا تعارض حكمان يعتمد أحدهما على الحجج القاطعة ، كان من المستحيل تكليف العقل أن يغلب على سواه .

لاحظ دين الفطرة جميع هذه القضايا الفطرية وجاء كتابه السماوى مصدقا لها . ثم جاء الخلف من العلماء يؤيدونها ولكنهم ان اختلفوا بعض الشىء فيما عن لهم من الآراء تجدهم أجمعوا على قاعدة أنه يجب أن يؤول الى حكم العقل من الشرعيات ماظاهره يخالف العقل . وهل هذا إلا وقوف عند حدود المسلمات العقلية ونزول على حكم الفطرة البشرية وهل كان للعقائد أن تكون بالجبر والإرغام ؟ أم هل كان لدين الفطرة دين البحث والنظر أن يكلف بالعقيدة من قصرت عقولهم عن إدراكها أو من تزاحمت عليهم الشكوك والشبهات حتى عجزوا عن صدها ومدافعتها ؟

وهل يقول بهذا القول ذلك الدين الذى قوض دعائم الإيمان بغير المعقولات وأقام على أنقاضها عقيدة الإيمان اليقين المتحصل من طريق العقل والنظر ؟

إن الله تعالى لأعدل وأحكم من أن يكلف الناس ما ليس فى طاقتهم أو أن يلزمهم الإيمان بما لم يهدهم الى حجته و برهانه . يفقه ذلك من يتدبر قوله تعالى : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

اذن فلنعد الآن الى سرد آى القرآن الكريم المناسبة لهذا المقام مكتفين منها بما يلى :

١ — « قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ؟ » .

٢ — « نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » .

٣ — « قد بينا الآيات لقوم يوقنون . انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » .

٤ — « إن عليك إلا البلاغ » .

٥ — « إنما أنت منذر » .

وخلاصة القول أن القرآن ــ الذى هو كتاب دين الفطرة ــ ما كان ليأتى بما ينافى الآراء القويمة أو تنغم حكمته على العقول السليمة ولم يكن ليكلف العقل الإيمان بما لا يعقل أو يحمل الجسم ما لا طاقة له به أو أن يفترض على الإنسان ما ليس من موسوعات فطرته . إذن فوظيفة البشر رسم أقرب الطرق الى الهداية وحفظ العباد عن مواطن الهلكة التى يغشاها طلاب الحق والحقيقة لا من طريق الوحى بل من طرائق التجارب ومصارعة شياطين الإنس من الحكام الجائرين وعصابات رجال الدين المضللين . ولنا على ذلك ما نشاء من الأدلة والشواهد لننظر كيف ومتى صحت عزيمة الأمم الغربية إزاء الطلاق وتحريم الخمر والقمار وكيف ومتى تحررت فيهم العقول البشرية وأبيحت حرية التفكير والنشر وتقررت بينهم حقوق الإنسان . سائلوا الثورات الدينية والسياسية تنبئكم مبلغ ما أريق فيها من الدماء وأزهق فى سبيلها من الأرواح . سلوها تصف لكم فواجعها وأهوالها وما أصاب الأمم من شرورها ونكباتها .

إقناع القرآن للمجادلين من أرباب الملل والنحل والمقلدين :

لقد جادل القرآن الكريم أرباب الملل والنحل المجادلين فما قارعهم الا بالبرهان ولا دعاهم الا الى البحث والنظر . من ذلك آية « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

ويعيب القرآن على الناس عدم تحكيم عقولهم وتقليدهم لغيرهم وتعطيلهم لفكرهم وايمانهم بالخرافات والأوهام فهو يصف من كانوا على هذه الشاكلة بأنهم كالأنعام بل أضل منهم سبيلا لأنهم يتبعون غيرهم بغير تفكير ولا يحكمون عقولهم فيما يعملون أو يقولون أو يسمعون ولأن العقل هو بغير جدال الميزة الوحيدة التى ميز الله بها الإنسان على غيره من المخلوقات ، فاذا شل تفكيره وألغاه تساوى بالأنعام بل كان فى مستوى أقل منها .

ونصوص القرآن صريحة فى تبيان هذه المعانى . قال تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » البقرة الآية ١٧٠

مما تقدم نجد أن القرآن اذا تحاكم فالى العقل ، واذا حاج فبحكم العقل ، واذا سخط فعلى معطل العقل واذا رضى فعن أولى العقل . ويحق لنا حينئذ أن نقول بكل ثقة : إن الدين الإسلامى دين العقل .

مدى التفكير الإنسانى :

وللانسان أن يفكر فيما شاء كما يشاء دون أن يتعرض للعقاب على هذا التفكير . والحكمة فى ذلك أن الشريعة لا تعاقب الإنسان على أحاديث نفسه وإنما تؤاخذه على ما أتاه من قول أو فعل محرم وذلك ما يتفق وقول الرسول الكريم عليه الصلاة وأزكى السلام « إن الله تجاوز لأمتى عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم » .

ثانيا : حرية القول

أباحت الشريعة الإسلامية حرية القول وجعلتها حقا لكل إنسان ، لأن الإنسان ميال بفطرته إلى أن يكون مطلق الحرية فى إبداء رأيه لا سلطان لأحد عليه فى التعبير عما يريد .

وحرية القول هذه ليست مطلقة من كل قيد بل هى أحيانا مطلقة فى حدود ، وأحيانا مقيدة بقيود . فالإســـلام من يوم مجيئه قرر للفرد حرية إبداء رأيه وجعله واجبا عليه فى كل ما يحقق الخير وينصر الحق ، وفى كل ما يمس الأخلاق والمصالح العامة والنظام العام ، وفى كل ما تعتبره الشريعة منــكرا . قال تعالى فى ســـورة آل عمران الآية ١٠٤ « ولتــكن منكم أمة يدعون الى الخـير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنــكر » . وقال فى سورة الحج الآية ٤١ « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنــكر » وفى الحديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منــكرا فليغيره بيده فأن لم يستطع فبلسانه فأن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمــان) وقوله (أفضل الجهاد كلمة حق عند سـلطان جائر) وقوله (الدين النصيحة . قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ورسوله ولــكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) وقوله (لا يحقرن أحدكم أن يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة ما منعك أن تكون قلت كذا وكذا ؟ فيقول مخافة الناس . فيقول الله : إياى أحق أن تخاف) وقوله (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) .

فمن هذا الحديث السابق نجد أن الإسلام قد رفع درجة من قتل فى سبيل الجهر برأيه والدفاع عن الحق الى مصاف أعظم الشهداء .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يبدون آراءهم فى كل ما يعرض من شئون لم ينزل فيها وحى والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع لهم ويناقشهم فى أقوالهم ثم يأخذ بمــا يترجح عنده . ونذكر من ذلك : اعتراض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبول شروط الأحزاب للجلاء عن المدينة بعد أن كاد النبي صلى الله عليه وسلم يمضيها إشفاقا على المسلمين .

وكان عمر فى خلافته مع شـــدته وخشية الناس له يتقبل النقد النزيه ويخضع لقوة الحق . قال له خالد بن الوليد حين عزله وصادر ماله : « لقد شكوتك يا عمر الى المسلمين ، وبالله إنك فى أمرى غير مجمل » فقال له عمر : والله إنك على لــكريم وإنك الى لحبيب » . ثم كتب الى الأمصار : « انى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولــكن الناس فتنوا به » .

وعلى هذا النهج سلك الصالحون الأولون من المسلمين وولاة الأمر فيهم من الجهر بمــا يعتقدون أنه الصواب وقبولهم لــكل نقد يكون الدافع اليه نصرة الحق والتبصير به .

وإذا كان لكل إنسان أن يقول ما يعتقد أنه الحق ويدافع بلسانه وقلمه عن عقيدته فأن حرية القول ليست مطلقة ، بل هى مقيدة بأن لا يكون ما يكتب أو يقال خارجا عن حدود الآداب العامة والأخلاق الفاضلة ، أو مخالفا لنصوص الشريعة . فقد قررت الشريعة حرية القول ولكنها فى الوقت نفسه قيدت هذه الحرية بالقيود التى تمنع من العدوان وإساءة الاستعمال ، وكان أول من قيدت حريته فى القول الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو رسول الله الذى جاء معلنا للحرية مبشرا بها - ليكون قوله وعمله مثلا يحتذى ، وليعلم الناس أنه لا يمكن أن يعفى أحد من هذه القيود إذا كان رسول الله أول من قيد بها مع ما وصفه به ربه من قوله « وإنك لعلى خلق عظيم » . فالإسلام شرط التزام الحكمة وحسن الموعظة فيمن حرص على اكتساب حق الحرية فى الجهر بالرأى والدعوة اليه ، ونقد آراء الغير . فقال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » . فلقد أمر الله رسوله أن يبلغ رسالته للناس وأن يدعو الناس جميعا الى الإيمان بالله وبالرسالة وأن يحاج الكفار والمكذبين ويخاطب عقولهم وقلوبهم ، ولكن الله جل شأنه لم يترك لرسوله حرية القول على اطلاقها فرسم له طريق الدعوة ، وبين له منهاج القول والحجاج ، وأوجب عليه أن يعتمد فى دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل بالتى هى أحسن ، وأن يعرض عن الجاهلين ، وأن لا يجهر بالسوء من القول ، وأن لا يسب الذين يدعون من دون الله . وإن شئت اقرأ قوله تعالى فى سورة الأعراف (١٩٩) «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وسورة الأعلى (٩) « فذكر إن نفعت الذكرى » وقوله تعالى : فى سورة النساء (١٤٨) « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » وقوله تعالى فى سورة الأنعام (١٠٨) «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » وقوله تعالى فى سورة العنكبوت (٤٦) « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ، الا الذين ظلموا منهم » . وهذه النصوص القرآنية تعتبر دستور القول فى الشريعة الإسلامية .

وكذلك فى الحديث قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء » . ومن الحكمة فى إبداء الرأى أن يكون عن معرفة وتفكير فليس من الحكمة أن يبدى المرء رأيا أو يروج له أو ينتقده دون معرفة أو تفكير ، أو يناصر رأيا يعلم ضعفه أو بطلانه ، أو ألا يخضع للحق بعد ظهوره إرضاء لشهوة نفسية أو ايثارا لمصلحة شخصية أوحزبية .

ففى القرآن « ولا تقف ما ليس لك به علم » سورة الإسراء (٣٦) « وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين » سورة الأنعام (١١٩) « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » سورة الحج (٨) « هأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم » آل عمران (٦٦) .

وحرية القول فى الحدود التى وضعتها الشريعة تعود دون شك على الأفراد والأمم بالنفع والتقدم وتؤدى الى نمو الإخاء والحب والاحترام بين الأفراد والهيئات ، وتجمع كلمة أولى الأمر على الحق دون غيره ، وتجعلهم فى حالة تعاون دائم ، وتقضى على النعرات الطائفية والشخصية . وهذا كله ينقص العالم اليوم ، أو يبحث عنه العالم فلا يهتدى اليه .

والمشرعون الوضعيون ينقسمون اليوم قسمين : قسم يرى حرية القول دون قيد الا فيما يمس النظام العام ، وهؤلاء لا يعيرون الأخلاق أى اهتمام ، وتطبيق رأيهم يؤدى الى التباغض والتحزب ثم القلاقل والثورات . وقسم آخر يرى تقييد حرية الرأى فى كل ما يخالف رأى الحاكمين ونظرتهم للحياة ، وتطبيق رأى هؤلاء يؤدى الى كبت الآراء الحرة وابعاد العناصر الصالحة عن الحكم ويؤدى فى النهاية الى الاستبداد ، وهذا الكبت والاستبداد ينتهى الى النشاط فى الظلام ونشر الأكاذيب والشائعات وقيام الفتن والثورات .

ونظرية الشريعة الإسلامية تجمع بين محاسن هاتين النظريتين اللتين تأخذ بهما دول العالم ذلك أن نظرية الشريعة تجمع بين الحرية والتقييد وهى لا تسلم بالحرية على اطلاقها ولا بالتقييد على اطلاقه فالقاعدة الأساسية فى الشريعة هى حرية القول ، والقيود على هذه الحرية ليست الا فيما يمس الأخلاق أو الآداب أو النظام . والواقع أن هذه القيود قصد منها حماية الأخلاق والآداب والنظام ولكن هذه الحماية لا تتيسر الا بتقييد حرية القول فإذا منع القائل من الخوض فيما يمس هذه الأشياء فقد منع من الاعتداء ولم يحرم من أى حق لأن الاعتداء لا يمكن أن يكون حقا .

والخلاصة من كل ذلك أن الشريعة الإسلامية تبيح لكل فرد أن يقول ما يشاء دون عدوان ، فلا يكون شتاما ولا عيابا ولا قاذفا ولا كاذبا ، وأن يدعو إلى رأيه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يجادل بالتى هى أحسن ، وأن لا يجهر بالسوء من القول ولا يبدأ به ، وأن يعرض عن الجاهلين . ولا جدال فى أن من يفعل هذا يحمل الناس ويشجعهم على أن يسمعوا قوله و يقدروا رأيه فضلا عن بقاء علاقاته بغيره سليمة ، ثم بقاء الجماعة يدا واحدة تعمل للمصلحة العامة .

ثالثا : حرية الاعتقاد

يعتبر من مفاخر الشريعة الإسلامية أنها أول شريعة أباحت ونادت بحرية الاعتقاد وعملت على صيانة هذه الحرية وحمايتها الى آخر الحدود . فلكل انسان طبقا للشريعة الإسلامية أن يعتنق من العقائد ما شاء وليس لأحد أن يحمله على ترك عقيدته أو اعتناق غيرها أو يمنعه من اقامة شعائرها والجهر بها أو يلحق به أذى بسببها وذلك أن الإسلام لا يرى صحة العقيدة الا اذا جاءت وليدة تفكير حر وثمرة اقتناع تام ولا يعد المكره على عقيدة ما مؤمنا بها مؤاخذا بأحكامها فيما بينه وبين الله تعالى : « وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » سورة البقرة ٢٨٤

واذا وجد صاحب أى عقيدة غير عقيدة الإسلام أنه لن يتمكن من اقامة شعائره أو سوف يلحقه أذى من جراء ذلك فأنه يجب عليه أن يهاجر الى بلد يتمتع فيه بحرية عقيدته .

والشريعة بتقريرها حرية العقيدة كانت عملية لأنها لم تقتصر على إعلان هذه الحرية ، وإنما اتخذت لحمايتها طريقين :

الأولى : ألزمت الشريعة الإسلامية الناس أن يحترموا حق الغير فى اعتقاد ما يشاء وفى تركه يعمل طبقا لعقيدته ، فليس لأحد أن يكره آخر على اعتناق عقيدة ما أو ترك أخرى ، ومن كان يعارض آخر فى اعتقاده فعليه أن يقنعه بالحسنى ، ويبين له وجه الخطأ فيما يعتقد . فأن قبل أن يغير عقيدته عن اقتناع فليس عليهما حرج ، وإن لم يقبل فلا يجوز إكراهه ولا الضغط عليه بما يحمله على تغيير عقيدته وهو غير راض ، ويكفى صاحب العقيدة المضادة أنه أدى واجبه فبين الخطأ وأرشد إلى الحق ، وترى هذه المعانى صريحة فى قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين » البقرة ٢٥٦ . وقوله « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟! » يونس ٩٩ . وقوله « فذكر ، إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » الغاشية ٢١ ، ٢٢ . وقول الله تعالى فى سورة النور الآية ٥٤ « وما على الرسول إلا البلاغ المبين » وقوله « ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء » سورة البقرة ٢٧٢ .

الثانية : إلزام صاحب العقيدة نفسه أن يعمل على حماية عقيدته ، وأن لا يقف موقفا سلبيا . فأذا عجز عن حماية نفسه تحتم عليه أن يهاجر من هذه البلدة التى لا تحترم فيها عقيدته الى بلد آخر يحترم أهله العقيدة ، ويمكن فيه من إعلان ما يعتقده ، فأن لم يهاجر وهو قادر على الهجرة فقد ظلم نفسه قبل أن يظلمه غيره، وارتكب إثما عظيما ، وحقت عليه كلمة العذاب ، أما إذا كان عاجزا عن الهجرة فلا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وهذا هو القرآن ينص صراحة على ذلك فى قوله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » النساء . الآيات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩

وقد بلغت الشريعة الإسلامية غاية السمو حينما منحت غير المسلمين حرية العقيدة ، وتركتهم لاختيارهم بعد مناقشتهم بالتى هى أحسن ، وبيان وجه الحق لهم ، وأمنتهم على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ومعابدهم وصلبانهم ، ومكنتهم من اقامة شعائرهم على الوجه الذى يريدون .

ففى الحديث : « من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة » ، « من ظلم معاهدا أو انتقضه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة » .

وأمضى عمر رضى الله عنه معاهدة مع رسل أسقف بيت المقدس جاء فيها :

« هذا ما أعطى عمر أهل إيلياء (بيت المقدس) من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم . ولكنائسهم وصلبانهم ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من غيرها ولا من صليبهم ، ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

وقد اكتفى الرسول عليه الصلاة والسلام من المشركين وأهل الكتاب فى حقن دمائهم واحترام حقوقهم بالجزية إذا أبوا الاسلام ، يدفعونها فى سبيل حماية أرواحهم وأموالهم واستمتاعهم بما للمسلمين ، فهم إذا ما دفعوها كان لهم ما للمسلمين من الحقوق ، وعليهم منها ما عليهم . واذا تصفحنا التاريخ الإسلامى وجدنا الأمثلة الكثيرة على هذا .

هـذه هى نظرية الحرية جاءت بها الشريعة الإسلامية فى وقت كان الناس فيه لايفكرون بعقولهم ، ولا يحفلون الا بما وجدوا عليه آباءهم ، وكان من الطبيعى فى نظرهم أن يكره الرجل على تغيير عقيدته ، ولم يكن لأحد حرية القول أو التفكير الا أصحاب السلطان والأقوياء . وقد لقى المسلمون الأوائل عنتا شديدا فى نشر الدعوة ، فعذبوا لتغيير عقيدتهم ، وأكرهوا على ذلك بشتى الوسائل ، وكان الكفار والمكذبون يترصدون لهم فلا يحاولون القول إلا منعوهم منه ، ولا التعبد الا آذوهم به .

خصائص هذه النظرية :

وظاهر مما سبق أن الشريعة حين جاءت بنظرية الحرية لم تكن تجارى تطور الجماعة أو تلبي رغباتها ، لأن العالم كله فى ذلك الوقت لم يكن مهيئا لنظرية الحرية ، وانما قررت الشريعة هـذه النظرية لترفع بهـا مستوى الجماعة ، وتدفعهم نحو التقدم والرقى ، وتسمو بهم عن الموطن الذى نزلت بهم فيه همجيتهم وأرضاهم به جهلهم -- كذلك كان تقرير النظرية لازما لتكميل الشريعة بمـا تستلزمه الشريعة الكاملة الدائمة .

وقد جاءت النصوص المقررة للحرية والمبينة لحدودها نصوصا عامة مرنة بحيث لا يمكن أن تحتاج الى تعديل أو تبديل . وهذا يتفق مع الأساس الذى قامت عليه الشريعة وهو عدم قابليتها للتعديل والتبديل ، ولاشك أن النصوص من العموم والمرونة بحيث لا يمكن أن تضيق بأى حالة مهما تغيرت الظروف والأمكنة وطال الزمن .

ولقـد سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية فى تقرير نظرية الحرية بأحد عشر قرنا على الأقل لأن القوانين الوضعية لم تبدأ بتقرير هذه النظرية الا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . أما قبل ذلك فلم تكن هذه القوانين تعترف بالحرية بل كانت أقسى العقوبات تخصص للمفكرين ودعاة الإصلاح ولمن يعتقد عقيدة تخالف العقيدة التى يدين بها أولو الأمر .

هذا هو الواقع ، وهذه حقائق التاريخ ، فمن شاء بعـد ذلك أن يعرف كيف نشأت (الأكذوبة الكبرى) التى تقول إن الأوربيين هم أول من دعا للحرية فليعلم أنها نشأت من الجهل بالشريعة الإسلامية ، واضطغان الأحنة والحقد لها ، وقد يعذر الجاهل اذا صفا قلبه ، ولكن ماعذر من يجهل هذه الحقائق الرائعة من المسلمين والعرب ؟ !

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنـا لنهتدى لولا أن هدانا الله ؟

محمد محيي الدين المسيري

لغويات

الفول المدمس

أنكر بعض الفضلاء كلمة (المدمس) بالسين ، ويرى أن عربيتها (المدمث) بالثاء ، ليكون من التدميث وهو التليين ، يقال : دمث الشيء إذا لينه . ومنه المثل : دمث لجنبك قبل الليل مضطجعا .

وعندى أن (المدمس) بالسين المهملة صحيح لاغبار عليه . وذلك أن من معانى التدميس فى اللغة إخفاء الشيء ، يقال : دمسه : دفنه وخبأه . وهذا الضرب من الفول يكون فى قدر توضع فى جذوة التنور وتدفن فيها ، فيستوى الفول ويطيب ، فتدميسه دفنه فى الملة . وقد يكون من الديماس ، ومن معانيه الحمام ، وهذا الفول قد يوضع فوق تنور الحمام ، وهو ما يعرف فى عرف أهل القاهرة بالمستوقد . فهذا التخريج أولى أن يذهب إليه لموافقته نطق الناس ، ولظهور معنى الاشتقاق فيه والاختصاص ، فما يلاحظ أن معنى التدميث يكون فيما يعرف بالفول النابت ، فأما التدميس فلا يكون فى هذا الضرب من الفول .

وقد جاء ذكر (الفول المدمس) فى كتاب (هز القحوف فى شرح قصيد أبى شادوف للشيخ يوسف بن محمد الشربينى من أدباء القرن الحادى عشر الهجرى ، وقد ضمنه عادات أهل الريف ومظاهر حياتهم . وذلك حيث يقول فى ص ١٥٣ من طبعة بولاق ، فى هذه القصيد باللغة العامية :

ولا شاقنى الا المدمس وريحتو   على من جتو جفنه بنص رغيف

ويقول فى شرحه : (إلا المدمس) مأخوذ من الدمس لكونه يدمس فى النار كما سيأتى . ومصدره دمّس يدمّس تدميسا ، ويقول فى كلام له بعد : (ويدمسونه فى نار قوية خالية عن الأدخنة والروائح الكريهة مثل جورة الفرن ونحوها ، والجورة يراد بها الوقود

المتقد الملتهب من الحطب وغيره ، وهذا لفظ غير معروف فى العربية ـ فيما أعلم ـ لهـذا المعنى ، وقد يكون أصله : الإرة ، وهى موقد النـار أو هى النار نفسها ، وقد يعبر عنها بالملة . وكأن هذا التحريف إن صح أن الجورة أصلها ماذكر جاء من أن أهل الريف قد ينطقون بالقاف أو الجيم فى مكان الهمزة عند أهل القاهرة كما فى قال وآل ، وقد يقولون لق فى لأ كما هو معروف ، وقد تبع التحريف فى الحرف التحريف فى الشكل ، فهـذا شىء عرض ، ولأعد لما كنت فيه .

ويجرنا الحديث فى الفول المدمس إلى أن الفول يعرف فى بلاد العراق بالباقلى ، وقد كان يتخذ منه طعام يطبخ فى القدور . ومن شواهد هذا ما جاء فى عيون الأخبار ٢ / ٢٠١ « أتى العريان بن الهيثم بشاب سكران ، فقال من أنت ؟ فقال :

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعـود

فظن أنه من بعض أشراف الـكوفة فخلاه . ثم ندم على ألا يكون سأله من هو ، فقال لبعض الشرط : سلوا عن هذا . فقالوا : هو ابن بياع الباقلى » وقد جاء هذا الخبر فى العقد الفريد ١ / ٢٩٠ من طبعة بولاق . فهنا قدر فيها فول يعتادها الناس للشراء منه ، وهو فول مطبوخ . ولكن هل هو الفول المدمس ، أو هو ما يشبه ما يعرف بالفول النابت ، أو هو ضرب غير هذا وذاك . والمعروف أن الفول المدمس فى هـذا العصر يعرف فى غير مصر بالفول المصرى .

فلان المتوفى رحمه الله

الجارى على الألسنة فى هذا كسر فاء المتوفى . وكثيرا ما يرمى هذا بالخطأ والانحراف عن السداد ، وذلك أن المتوفى هو الله سبحانه ، فهو الذى يتوفى الأنفس ويقبضها ؛ كما قال تعـالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » . والوجـه أن يقال للميت المتوفى بفتح الفـاء .

وهذه التخطئة قديمة . فيحكيها الزمخشرى ـ كما سيمر بك فى كلام الشهاب البيضاوى ـ عن أبى الأسـود الدؤلى . وجاء فى كتاب « التنبيه على التصحيف » لحمزة الأصبهانى

فى خلال كلام : « و إن الشيرجى ـ وكان إماما من أئمة الحنبلية ـ اجتاز بمسجد فيه معزى فخرج عليه منه نحوى بغيض ، فقال الشيرجى : من المتوفى ؟ فقال النحوى : الله . فلببه وقال : زنديق والله . ورفعه إلى صاحب الجسر » والشيرجى هو أبو إسحق ابراهيم بن إسحق ابن يعقوب ، روى عنه الدارقطنى ، وكانت وفاته سنة ٣٣٢ هـ كما فى تاريخ بغداد ، فقد كانت هذه الحادثة فى بغداد ، و يريد بالجسر جسر بغداد الذى يقول فيه الشاعر :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

و يريد بصاحب الجسر صاحب الشرطة فى خطة الجسر . فنرى أن الشيرجى استعمل المتوفى فى الميت وسأل عن عين الميت ، فصرف النحوى الكلمة إلى معناها المعروف فى اللغة وأجابه على وفاق هذا . ولم يعجب هـذا الشيرجى الفقيه ورأى فى عمل النحوى ما يدعو إلى تأديبه ، وذلك أنه أطلق على الله سبحانه ما يعرف عند الناس للميت ، فكان فيه إيهام لا يليق فى جانب ذى العزة والجبروت ، وقد كان هذا النحوى من جهة أخرى بغيضا اذ نحا نحو التقعر والخروج عن مألوف الناس فى محادثاتهم ومحاوراتهم ، ولولا هذ لأجاب الشيرجى بما عرف عندهم من إطلاق المتوفى على الميت . ومما يذكر فى هذا المقام أن الفراء لحن أمام المأمون فقيل له فى ذلك فقال : إنا اذا تكلمنا مع الناس جرينا على سليقتنا ومتعارفنا و اذا تكلمنا فى مجالس علمنا وافقنا الإعراب أو كلاما هذا معناه ، فاستحسن المأمون منه ذلك . ومما ورد فى هـذا الخبر كلمة المعزى ، ينطق الناس بها فى عصرنا معزى على مفعل من الثلاثى . والوارد عزى بالتضعيف ، فاسم المكان منه معزى . على أنه يقال من الثلاثى : عزى أى صبر ، فيصح أن يكون المعزى منه فهو مكان الصبر والسلوان بما يكون فيه من التعزية والتسلية والتأسى .

و بعد هـذا أذكر أن استعمال المتوفى فى الميت صحيح فى العربية ؛ إذ أنه يقال : توفى الميت أى استوفى أيامه وأجله . وقد جاء قوله تعالى فى الآية ٢٣٤ من سورة البقرة : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » فقرأ الجمهور : يتوفون بضم الياء على البناء للمفعول . وذكر ابن جنى فى المحتسب أن عليا رضى الله عنه قرأ بفتح الياء وقد نقل هـذه القراءة عن على أبو عبد الرحمن السلمى . ووجـه ابن جنى هذه القراءة بأن الكلام على حذف المفعول أى يتوفون أيامهم أو أعمارهم أو آجالهم ، ويذكر ابن جنى لتسويغ هذا أن حذف المفعول كثير فى القرآن وفصيح الكلام

وفى البيضاوى : « وقرئ : يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم » فكتب الشهاب عليه : « وهى قراءة على رضى الله عنه ، ورويت عن عاصم . ومعناها : يتوفون آجالهم أى يستوفون أعمارهم ، فعلى هذا يقال للميت متوف بمعنى مستوف لحياته . قال الزمخشرى : والذى يحكى أن أبا الأسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة ، فقال له رجل : من المتوفى بكسر الفاء ؟ فقال : الله تعالى — وكان هذا من الأسباب الباعثة لعلى كرم الله وجهه على أن أمره أن يضع كتابا فى النحو — تناقضه هذه القراءة ، وأجيب عنه — كما ذكره السكاكى — بأن سبب التخطئة أن السائل كان ممن لم يعرف وجه صحته ، فلم يصلح للخطاب » . ونرى أن جواب الشهاب غير سديد ؛ فأن أبا الأسود إذا كان يعتقد صحة المتوفى للميت عربية فما كان له أن ينكر على من استعملها فى هذا المعنى وفقا لعرف الناس فى عصره ، وليس الموطن موطن درس للاشتقاق و بيان وجهه . والذى يبدو أن أبا الأسود لم تبلغه قراءة على هذه و إن كان من شيعته وأخصائه ، وذلك أن رواية الفتح عن على وعن غيره تدخل فى قراءة الشواذ ، والمروى عن على فى المتواتر ضم الياء كالجمهور ، وذلك أن قراءة حفص عن عاصم هى قراءة على رضى الله عنه الثابتة بطريق التواتر ، وهى بضم الياء كما هو معروف والرواية عن عاصم صاحبها المفضل الضبى ، وهو مع ثقته فى الشعر لا يعتد القراء بروايته فى القراءة ، وأياما كان الأمر فالقراءة الشاذة يحتج بها فى اللغة والأحكام .

الملاك — الملك

يستعمل الناس الملاك فى الملك ، وقد كان بعض الباحثين يرى أن هذا تخفيف لملأك وهو أصل الملك فى بعض الأوجه ، وقد ورد هذا فى قول الشاعر :

فلست لإنسى ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب

وهذا الوجه منقود من ناحيتين : الأولى أن الشاعر شذ فى هذا اللفظ ولم يتابع عليه ، والثانية أن تخفيف ملأك ملك ، كما يقال فى تخفيف المسألة المسلة ، وفى تخفيف المرأة المرة ، فهذا هو القياس فى تخفيف مثله ، وقد ورد المراة والكماة فى المرأة والكمأة ، ولكن هذا ورد على سبيل الشذوذ ، ويقول سيبويه فى الكتاب ٢ / ١٦٥ : « ومثله قولك فى المرأة : المرة ، وفى الكمأة : الكمة ، وقد قالوا : الكماة والمراة ، ومثله قليل » وحمل النحويون القلة على الشذوذ ، على أنه لا بأس من تخريج الملاك عليه ، وإن كان المرضى العدول الى اللغة المعروفة : الملك .

وهذه الصيغة قديمة فى لغـــة القبط ، ففى آخر خطط المقريزى : « و بمصر كنيسة غبريال الملاك بخط قصر الشمع ... وكنيسة الملاك ميخائيل بجوار بربارة بمصر » .

العمولة والعملة

تستعمل العمولة فى الأجر يأخـذه العامل فى بعض المواطن . فيقال عمولة السمسار كذا . وعربية هذه الـكلمة العمالة بضم العين وحكى كسرها وهى أجر العمـل ، و يبدو أن إبدال الألف واوا جاء من تفخيم الألف كما ينطق الصلاة والزكاة فى بعض اللغات وقرئ بهـا ، والتفخيم قد يميل بالألف نحو الواو .

والعملة تستعمل فى النقد من المـال ، وأصلها أجرة العمل ، وأغلب ما تـكون الأجرة من النقد ، فأطلق هذا اللفظ على النقد لذلك . م



الأخلاق

بين الحجاج وعمران بن حطان

لـما ظفر الحجاج بعمران بن حطان قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة !

فقال عمران : لبئسما أدبك أهلك ياحجاج ، كيف أمنت أن أجيبك بمثل مالقيتنى به ؟ أبعد الموت منزلة أصانعك عليها !

فأطرق الحجاج استحياء من كلمته ، ثم قال : خلوا عنه !

فخرج عمران بن حطان الى أصحابه ، فقالوا له :

والله ما أطلقك إلا الله ، فارجع الى حربه معنا .

فقال : هيهات ، غل يدا مطلقها ، وأسر رقبة معتقها . وأنشد :

أأقاتل الحجاج عن سلطانه ... بيد تقـر بأنهـا مولاته

إنى إذن لأخو الدناءة والذى ... عفت على عرفانه جهلاته

أأقول جار على ؟ إنى فيـكم ... لأحق من جارت عليه ولاته

حلاوة الإيمان

عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار . رواه البخارى .

المعنى :

حلاوة الإيمان هي ماتجده القلوب السليمة، والعقول الصحيحة ، والصدور النقية، باعتقاد الإيمان والعمل به : من البشاشة والابتهاج ، والطمأنينة والارتياح ، والسرور والانشراح ؛ وقد شبه ذلك الأمر المعنوى بأمر حسى هو هذه الحلاوة التى يجدها ذائق المطعومات أو المشروبات الحلوة ، تقريبا للمعنى ، وتقريرا للغرض ، وتحقيقا للمراد ، فأن لذات العقول أعلى وأكمل ، ووجدانات القلوب أطيب وأجمل . وسيتبين لك كيف تمحو هذه الحلاوة مالا حدّ لمرارته من الألم والعذاب .

وقد بين الحديث أن هذه الحلاوة ثمرة لأمور ثلاثة : أولها حب الله ورسوله ، وثانيها حب المرء أخاه المؤمن حبا لا يبتغى به الا وجه الله . وقد حدّه بعض العلماء بأنه مالا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء ، وثالثها أن يكره العود أى المصير الى الكفر كما يكره أن يقذف ويرمى به فى النار ؛ ولعمرى إن هذا لميسر لمن يسره الله عليه من أهل الصدق والإخلاص واليقين ، فقد كره أصحاب الأخدود أن يعودوا الى الكفر أكثر مما كرهوا أن يقذفوا فى النار ، ونظيرهم فى الحفاظ على دينهم واستطابتهم دونه الهلاك سحرة فرعون اذ صلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . وهكذا كان سلفنا رضى الله عنهم فقد امتحنوا فى كل شيء من نفس وأهل ومال كآل ياسر وبلال وخبيب وسائر المهاجرين الذين لقوا من جبابرة مكة ما آتاهم الله به حلاوة الإيمان ثم أدخلهم به جنات النعيم ، وها هوذا خبيب رضى الله عنه يقول ـ حين أخذته قريش ليصلب فسأله أبو سفيان أتحب أنك مكان محمد حيث هو الآن وأنه مكانك ـ : والله ما أحب أن أكون مكانه وأنه تصيبه شوكة ، فيقول أبو سفيان : ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا حتى اذا ما رفع على الخشبة قال :

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع (١)

ويرى القاضى البيضاوى ، وتابعه العلماء : أن المراد بحب الله ورسوله هو الحب العقلى الذى هو ايثار ما يقتضى العقل رجحانه وان كان على خلاف هوى النفس ، وضرب لذلك مثلا بالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ، ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله ، وقال : فاذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح عاجل ، أو خلاص آجل ، والعقل يقتضى رجحان جانب ذلك تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ، ويلتذ بذلك التذاذا عقليا ، إذ الالتذاذ العقلى إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك ، وهذا لا يمنعنا من أن نعتقد أن لله عبادا يحبونه محبة قلبية لا تعلق لها الا بذاته تعالى من حيث هو أهل المحبة ، والحديث فى ذلك مما لا يستطاع على وجهه لكل أحد ، ولا من كل أحد . « والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » ؛ وشاهد الحديث من القرآن الكريم قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ـ الى قوله ـ أحب إليكم من الله ورسوله ـ ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله : فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » .

هذا وإنى لا أكاد ـ وايم الحق ـ أجد سببا لهذه المرارة المتغلغلة فى حياة المسلمين الا نضوب هذه المنابع الثلاثة التى كانت تفيض بحلاوتها على قلوب المؤمنين الأولين ، ولما كان الأصل فيها هو محبة الله حبا كما وصف فى قوله « والذين آمنوا أشد حبا لله » وكانت محبة الرسول والمؤمنين تبعا لها ، وكراهة العود الى الكفر من مقتضياتها ؛ فقد انصرف هم الشيطان ووكده ، ووسوسته وكيده الى محوها والعياذ بالله من القلوب ؛ وذلك بجعلها تبعا لأحوال العيش وحاجات النفس ، مما هو عرضة للتغير والزوال والفناء والاضمحلال « ومن الناس من يعبد الله على حرف فأن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » .

وإنى لأتساءل : كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد بدأنا بفضله بلا عمل سلف ، ولا سعى سبق ، ولا نية نويناها ، ولا خطرة من خطرات الخير خطرت بنا ، أو بالأحرى بطينتنا وترابنا ، بل بدأنا بإحسانه الأعظم ، وكرمه الأكرم ، وجوده الأتم الأكمل . فخلقنا

---

(١) الشلو : العضو . والممزع : الممزق ويريد به نفسه .

فى أحسن تقويم ، وأنزلنا ذرية فى ظهر آدم فى الجنـة دار النعيم ، وعلمنا كذلك الأسماء كلها ، وفطرنا على معرفة الخير من الشر والفجور من التقوى ، ثم أمر بالسجود لآدم أبينا أطهر خلقه ، ، وأصفى عباده : أهـل الذكر والتسبيح ، والطهر والتقديس ، ملائـكته المـكرمين ، وعباده الصادقين المخلصين ؛ ثم استخلفنا فى أرضـه ، وفضلنا على كثير من خلقه ؛ وسخر لنا ما فى السموات والأرض جميعا منه ؛ أفبعد ذلك يجـدر بمن يزعم لنفسه عقلا أو رأيا أو حكمة أو خلقا أن يكون كما وصف الله « خلق الإنسان من نطفة فأذا هو خصيم مبين » أو أن يبدل نعمة الله كفرا ، وما ينبغى له من الوفاء نـكثا وغدرا ؟ ! أفبعد ذلك يليق بهذه الإنسانية عامة أن تـكون كما ورد فى الحديث : شرها الى الله صاعد وخيره اليها نازل ، أو أن يغلب فجورها على تقواها ، و برها على شكرها «وقليل من عبادى الشكور » ؛ أو أن تتخـذ من بدأها بالعداوة والبغضاء وليا من دون الله الذى بدأها بالبر والنعماء ، والـكرامة والاصطفاء « واذ قلنا للملائـكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أوليـاء من دونى وهم لـكم عدو بئس للظالمين بدلا » ؟ !

كيف لا نـكون أشد حبا لله ، وقد تداركنا بعد فساد الفطرة وتحريف الدين ، بمـا أنزل من الـكتب ، وما أرسل من النبيين ، ليذكر غافلا ، ويهدى ضالا حائرا ، ويحيى قلبا ميتا ، ثم أتبع ذلك بمـا يلقيه فى القلوب من هـدى يخرج من الظلمات الى النور ، وما يجعل لهـا من وازع عن الآثام والشرور ، الى ما يبتلى الناس به من الخير والشر لعلهم يرجعون ، أو يتضرعون « ولولا فضل الله عليـكم ورحمته ما زكى منـكم من أحـد أبدا ولـكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم » .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وفى حبه السعادة الروحيـة التى لو ذاق حلاوتها هؤلاء المترفون الذين يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام ، لجالدوا عليها أهلها بالسيوف ، فكانت هى ـ لامتاع الدنيا ـ موضع المنافسة وموضوع الخصام ، لو أنها تحتمل الخصام ، فبهـذه السعادة يذهب عن المرء ما يجـد فى دنياه من الأوصاب والآلام ، ويزول ما يـلم به من الأكدار والأحزان ، لأن هذه المحبة كالمـاء الذى يغسل الأدران ، ويطهر من رجز الشيطان ويطفى لواعج النيران .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وهو الغنى عنا إلا أنه يدعونا ويتودد إلينا ، ولا يقطع

عن نعمه طرفة عين ولا ما دونها . ولو قطعها لانقطعت الأنفاس المترددة ، وانطمست العيون المبصرة ، وانسدت الآذان السميعة ، ولما استطاع قلب أن يخفق ، ولا عرق أن ينبض ، ولا حى أن يعيش . ونحن الفقراء اليه فى كل لحظة وحين ، وان كنا ملوكا مسلطين ، أو حكاما متمكنين ، فأن ذلك والله لا يغنى من أمر الله شيئا ، ولا يدفع من قضائه أمرا ولا حكما ، فبيده وحده الخير وهو على كل شئ قدير .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد استودعناه آباءنا وأبناءنا ، وانا لموشكون أن نستودعه أنفسنا وديننا وخواتيم أعمالنا ، حيث يتعهدنا حين ينقطع المتعهدون ، ويصل من حبالنا ما قطعه الواصلون ، ويعلم وحده ما تنقص الأرض منا وعنده كتاب حفيظ ، وهو المسئول وحده أن يجمعنا بمن فرط من أحبابنا وفلذات أكبادنا فى دار رحمته ، ومنزل كرامته . حيث نشفى بالأنس وحشات الفراق ، ونلأم بالود آثار الجراح ، ونستقبل معهم وبهم الحياة الأبدية التى تروى كل غلة ، وتشفى كل علة ، وتؤمن من كل فزع ، وتطمئن من كل هلع ، وإنى لأتساءل متعجبا كيف لايسعى الإنسان الى لقاء أهله الصالحين فى دار الكرامة والسلامة . فأن لم يكونوا صالحين فلن ينفعه أن يجتمع بهم فى الجحيم حيث يلعن بعضهم بعضا ، ويتبرأ بعضهم من بعض « ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون » . « قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين » .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد كتب على نفسه الرحمة ليجمعنا الى يوم القيامة ، وجعله وعدا عليه حقا حيث يجمع ما تفرق من رفاتنا ، ويصل ما انقطع من أوصالنا وأشلائنا ، ويمسح بيد رحمته ما صنع الموت بأجسادنا ، ويؤمننا بلقائه من أن نذوق الموت بعد الموتة الأولى . ويرينا من آيات قدرته وعدله واحسانه وفضله أنه هو القادر على أن يحيى الموتى ، وأن له الحمد فى الآخرة والأولى ، وأنه لن يدع الإنسان لظلمات النسيان ، ولن يقيم المؤمن بدار هوان « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » « ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، ولن نجد عن حبه عوضا ولا بدلا ، ولن نجد من دونه موئلا ولا وزرا ، ولن ننال من سواه عونا ولا مددا ، ثم لا مفر لنا منه ، إلا إليه ، فأليه

المرجع والمصير « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان » . « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » .

كيف لانكون أشد حبا لله ، وقد ندبنا الى لقائه وهو الملك الأعلى خفافا من أوزار الحياة وآثامها ، منزهين عن دناياها وأوضارها ، ليرد الينا بسابق رحمته ماسلبنا بغضبه ، ويعوضنا من شقاء دنيانا بسعادة جنته . وإنى لأسائل هؤلاء المعرضين عن الله الكريم لم تعرضون ؟ أتشكون فى جوده واحسانه والناس جميعا يتقلبون فى نعمته مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم ؟ ! أم تشكون فى كتبه ورسله ، وقد أتوا بالمعجزات الباهرة التى خضعت لها رقاب الجبابرة ، ولانت بها القلوب القاسية ، وآمن بها الكافرون ، وتعلم بها الجاهلون ، ومنها استمدت الحضارات الإنسانية ، وظهرت أنبل المبادئ والمقاصد البشرية ؟ ! أم تشكون فى وعده لعباده أن يعيدهم كما بدأهم . وهو كل يوم يرينا من آيات خلقه فى الإنسان والحيوان والجماد والنبات ما لاريب فيه لمريب ، ولا مجال فيه لتكذيب « ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » . أم يحسبون أن عدله يتسع لترك الظالم بظلمه وبغيه ، والمظلوم بمظلمته وشجوه ، فيبطل بذلك حكمته فى خلقه ، وإنزاله لآياته وإرساله لرسله ، ويجعل للفساد دولة فى ملكه ، ومستقرا فى أرضه ؟ ! وكيف يصح ذلك ، وقد أقام الله السموات والأرض على القوانين العادلة والنظم الكاملة ولو أوتى شئ منها أن يبغى على شئ لزالت السموات والأرض ومن فيهن ولكن الله « يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا » وإنما أطلق الله من أعنة اختيارنا ولم يكرهنا على ما هو الأولى بنا لأننا أضعف من أن يزول شئ من السموات والأرض بنا ، ولأن لنا معشر المكلفين معادا ليس كمثله لغيرنا ، وقديما رأى أهل الألباب أن فيما أوتى الظالمون من المهلة دليلا على أن للحساب يوما ، وللقصاص موعدا ، وصدقهم الله سبحانه إذ يقول « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون » وإذ يقول « أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون » أم يشكون فى وجود الخالق ويؤمنون بوجود المخلوق ، فيجعلون الفعل للطبيعة دون من طبعها ، ويغفلون عمن أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وإنى لأسائلهم

وقد أغرقوا فى الضلال . وأسرفوا فى الخيال : من الذى أنشأ أول موجود فى الطبيعة ثم نقله فى أطواره ، وأى شىء فيها هو الذى خلق هذا الإنسان الذى لا يرى فى الطبيعة مايشبهه فى علمه وإدراكه وعقله واختياره ، وتسخيره كل شىء لمآربه وأغراضه ، وهل يقع فى عقل أن يخلق مالا يسمع ولا يبصر ، ولا يعلم ولا يعقل ، ولا يختار ولا يقدر ، مثل هذا الإنسان العاقل المختار السميع البصير الكاتب الناطق العالم الحاسب الذى فيه من آيات العلم والخبرة ووجوه التصرف والحيلة ما ينبىء عن منزلته التى جعلها الله له إذ استخلفه فى أرضه ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه وإذ جعله فوق كل شىء فى هذه الطبيعة ، وجعل كل شىء فيها دونه . فسبحان الله كيف يفتتن بها قوم من دون الله إلى أن يجعلوها مبدأ الإنسان ومنتهاه ، ولكن لا عجب فالله سبحانه وتعالى يقول « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » . فاللهم حبب إلينا الإيمان بك ، والإقبال عليك ، وارزقنا الرجاء لرحمتك ، والخشية من عذابك ، والتوقير لدينك ، والمعرفة بحقوقك ، والشوق إلى لقائك ، والحنين إلى جنتك ، والاستجابة لدعوتك ، والمحبة لنبيك والمؤمنين بك ابتغاء وجهك . واجعل حبك وحب نبيك فى قلوبنا فوق كل شىء ؛ وبغّض إلينا الكفر والفسوق والعصيان كما تبغض إلينا العـــذاب بالنار أو أشد ؛ وأذقنا بذلك حلاوة الإيمان وبشاشته ، واخلطها بقلوبنا وأرواحنا ، وامزجها بلحومنا ودمائنا ، فإنك أنت الوهاب الكريم والمنعم العظيم ؟

محمود فرج العقدة

مدرس بكلية اللغة العربية

ضلال الظواهر

رأوك بالعين فاستغوتهم ظنن   ولم يروك بفكر صادق الخبر

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته   والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

أبو العلاء المعرى

التشاؤم مرض

يعنى الناس كل العناية بالأمراض البدنية ، فيلجأون إلى الأطباء ، أو إلى الدجالين والمشعوذين ويتناولون الأدوية التى يوصى بها الطبيب ، أو يستعملون العقاقير البلدية ، ومنهم من يلجأ إلى الرقى والتمائم ، وأياما كان فقلّ من الناس من يستكين للمرض ، ويركن إليه ، ولكننا لا نرى الناس يعطون أهمية للأمراض النفسية ، مع أننا لا نجد فرقا بينهما فى النتائج وربما كان المرض النفسى أخطر عاقبة ، وأبعد أثرا ، وهل هناك فارق يذكر بين رجل ابتلى بحمى فانزعج لها ، وخاف عاقبتها ، وقلق على نفسه ومستقبله ، ورجل ابتلاه الله بالتشاؤم فهو فى قلق دائم وخوف مستمر ، ذاك فقد لذة الحياة وهدوءها ، وهذا أيضا . . . . .

فترى المتشائم يضطرب لمنظر رآه لا يوافقه ، أو يقلق لكلمة يسمعها تنذره ـ فى زعمه ـ بشر مستطير ، وهو لا ينى ينظر ويسمع ، فهو لا ينقطع عن الاضطراب والقلق ، وبذلك يظل فى كدر وحزن وهم ، وربما ناله من الأمراض البدنية ـ بسبب ذلك ـ ما لا قبل له به ، وقد يعتزم أن يقوم بأمر خطير يعود عليه أو على أمته بالخير واليمن ، ولكن يصادفه فى أول الطريق نذير مبهم ، فتفتر همته ، وتضعف إرادته ، ويخلد إلى الأوهام .

والتشاؤم عاطفة قديمة ، شاعت فى كثير من الأمم القديمة ، ولكنها لا تزال ـ أيضا ـ تحتل مكانها فى الأمم الحديثة ، وقل أن تخلو منها أمة من الأمم أو فرد من الأفراد ، وعلى الرغم من تقدم الدراسات العلمية والنفسية ، وعلى الرغم من أن الناس قضوا مع الإسلام نحو أربعة عشر قرنا ، لا يزالون بعيدين عن النظر الصحيح ، والمنطق السليم فى هذا الأمر .

تشاءم العرب من بعض الحيوانات ، فتشاءموا من البوم والغربان ، والثور المكسور القرن ، كما تشاءموا من بعض الكلمات التى تدل على معان غير مرضية ، بل ربما بلغ إحساس المتشائمين منهم أن يتطيروا من كلمات خفيفة على السمع ، لطيفة فى المعنى ، فريح الصبا من أطيب الأرواح عند العرب وألطفها ، وقد أفاضوا القول فى امتداحها ، والتغنى بها ، والحنين إليها حين يغادرون أوطانهم ، ولكن ذلك لم يمنع بعض المتشائمين أن يعتبر لفظها

نذيرا بفراق الأحبة ، وبدوام الصبابة ، وقل مثل ذلك فى البان والغصن ، فالبان بين ، والغصن غصص . . . وهكذا .

وفى كل عصر ، وفى كل أمة ، يوجد أصحاب المدارك السليمة ، والنفوس المستبشرة ، وجد هؤلاء قديما وحديثا ، فرأينا من يأخذ من الألفاظ ما يريح به نفسه ، فالحمام بشير بأن لقاء محبوبته قد حم وقدر له ، فى حين يجعله شاعر آخر حماما وموتا ، والطلح بشير بأن المطى ستصل إليها وهى طليح ، والبان بيان بالنجاح والدم يعطى معنى دوام الود :

وقالوا حمامات فحم لقاؤها ... وطلح ، فزيرت والمطى طليح
وقال صحابى هدهد فوق بانة ... هدى وبيان بالنجاح يلوح
وقالوا دم ، دامت مواثيق بيننا ... ودام لنا حلو الصفاء صريح

ورأينا من الشعراء من ينكر فى سخرية لاذعة ، أن يكون غراب البين سببا فى تفريق الأحبة ، ويجعل الذنب كله للإبل التى حملتهم ، وسافرت بهم ، أما الغراب فما أهون شأنه .

ما فـــرق الأحباب بعـــد الله إلا الإبـــل
والناس يلحون غـــراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غـــراب البين تطوى الرحل
ولا إذا صاح غـــراب فى الديار احتملوا
وما غراب البين إلا ناقة أو جمـــل

وحين جاء الإسلام هاجم بقوة هذا المرض النفسى ، فسماه (شركا) ونفاه فى غير غموض ولا التواء ، ولكن النفوس التى لا تستمع إلى صوت العقل لا تستمع إلى صوت الدين ، وقد كان أبسط الأمور أن يدرك المتشائمون أن العلم لا يؤخذ إلا من العلماء ، فكيف يؤخذ علم الغيب عن طير يصيح ، أو عن يوم من الأيام ، أو شهر من الشهور ؟ وأى معنى علمى أو خيالى يأخذه الناس من يوم الأحد ، أو من أربعاء لا تدور - كما كان يقول الأوائل - أو من شهر صفر ، أو مما أشبه ذلك ؟ لا شىء إلا الانسياق وراء الوهم !

أما علاج التشاؤم ، فقد سبق الإسلام فوضع أساسا سليما متينا ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تطيرت فلا ترجع » . « وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » .

« من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك » . فالعلاج في نظر الإسلام يتلخص في أمرين :

(الأول) قوة الإرادة ، والإصرار على المضى إلى الغاية المنشودة ، ومتى عود الإنسان نفسه المضى بالرغم مما يلاحظه من التطير ، نمى إرادته ، وهذا - بنفسه - هو ما يدعو إليه علماء النفس المحدثون . فليس أمام الإنسان من سبيل إذا أراد أن يتخلص من عادة سيئة أو من بعض العواطف الضارة ، إلا الإرادة الحازمة الصارمة التي لا تعرف التقهقر .

(الثاني) سلامة العقيدة ، وتخليصها من الشوائب ، فلو أدرك الإنسان بحق أنه لا خير إلا من الله ، ولا شيء إلا ما أراده ، وأنه لا يعلم الغيب غيره ، لرأى أن هذه الأمور التي يرتكبها من يتشاءم ، هي حماقات وتوافه .

قوة الإرادة وسلامة العقيدة هما المنجيان من كل ما يخضع له الإنسان من خزعبلات ، ولن تجد متشائما إلا وهو يحمل قلبا عليه سحب كثيفة من الاعتماد على غير الله .

ولنتأمل كيف استطاع أحد كبار الرياضيين أن يتخلص من الخوف بقوة إرادته ، وبرجوعه إلى المنطق السليم ، يقول : « لقد كان الخوف ينتابني قبل موعد المباريات الكبيرة بأيام ، فأقضي شطراً كبيراً من الليل ساهراً ، تساورني الأفكار السود ، ولكنني كنت لا ألبث أن أغادر فراشي ، وأتوجه إلى المرآة بعد أن أوقد مصباح الغرفة ، وأقول لنفسي منفعلا : كم أنت غبي ؟ ! كيف تقلق لشيء لم يحدث بعد ، وربما لا يحدث أبداً ؟ إن الحياة قصيرة ، وعليّ أن أستمتع بكل لحظة فيها ، إنني الآن بخير ، وإذن فلأنعم بالوقت الحاضر ، وليس لي شأن بما يحدث بعد ذلك » .

وهذا ما نريد من كل متشائم أن يقوله : كيف يقلق لشيء لم يحدث بعد ، وربما لا يحدث أبدا ، وكيف يستسيغ عقله أن يصدق ما لا يقوم دليل على صدقه ؟ وما دام هو الآن بخير فلماذا يعذب نفسه بالخوف من مستقبل استأثر الله بعلمه ، وإذا كان لنا أن نضيف شيئا ، فهذا الذي يقوله الشاعر العربي :

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه ... إلا كواذب مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهم ... مضللون ودون الغيب أقفال

علي العماري

هل للمرأة حقوق سياسية؟

سؤال قبل أن نجيب عنه نرجو أن تطمئن المرأة إلى أننا لسنا من أعدائها ، ولا ممن يجهلون خطر رسالتها ، فهى بنتنا أو أختنا وكانت قبل ذلك أما لنا ، فإذا وقفنا منها موقف المعارضة ، فذلك لتكريم شأنها ، والإشفاق عليها مما تجره الدعاوى البراقة من ويلات وآلام .

للمرأة رسالة ولها هدف وغاية وقد بينها الإسلام فى قوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » فقد جمعت هذه الآية رسالة المرأة فى : —

١ — السكون النفسى والجنسى والاطمئنان القلبى .

٢ — المودة التى يظهر أثرها فى المصاهرات والأسر .

٣ — الرحمة التى تبدو فى الأمومة وما ينجب الزوجان من ذرية .

فهل للمرأة رسالة أعظم من تلك الرسالة التى لو أديت على وجهها الصحيح لما وجدت المرأة متسعاً من الوقت وفراغا من الزمن ! . ليس فى استطاعة المرأة أن تصبح رجلا ، وقد قسمت الطبيعة المخلوقات إلى ذكر وأنثى . وحددت لكل نوع مكانه فى المجتمع واتجاهه فى الحياة ورسالته التى يجاهد فى سبيلها . وليس من شك فى أن رسالة المرأة الأولى مملكتها المنزلية . تربى أطفالها ، وتهيىء عرشها ، وتنظم أسباب سعادتها . وإن الحماية الجسمية للرجل لن تنتقل إلى المرأة مهما سعت إليها . فلم تترجل فى سلوكها وتطلب ما لا يتفق وطبيعتها ؟ إن هذه المشكلة قديمة ، وقد عالجها الإسلام بما لا يدع مجالا للشك عند المنصفين . جاء فى كتاب الإصابة للحافظ ابن حجر العسقلانى أن أم كبشة القضاعية قالت : يا رسول الله ، ائذن لى أن أخرج فى جيش كذا ، قال ﷺ : لا ، فقالت : لا أريد أن أقاتل ، وإنما أريد أن أداوى الجرحى والمرضى وأسق الماء ، فقال ﷺ : لولا أن تكون سنة ويقال :

فلانة خرجت لأذنت لك ، ولكن اجلسى لا يتحدث الناس أن محمداً يغزو بامرأة !!
والإسلام الذى فرض الحجاب فى السنة الخامسة من الهجرة كان من آثاره منع المرأة من الجهاد والأعمال السياسية والتشريعية . يؤيد ذلك ما ورد من أن أبا سفيان بن حرب أتى السيدة فاطمة قبيل فتح مكة فقال لها : هل لك أن تأمرى ولدك هذا فيجير بين الناس ويكون سيد العرب ؟ فقالت : إنما أنا امرأة ، وذلك لرسول الله ﷺ . « إنما أنا امرأة » ليس من حقها ان تقتحم ميدان السياسة لأنها لا تتفق مع طبيعة رسالتها ، ولا تتلاءم مع واجب أمومتها .

ورسالة المرأة تظهر جلية فى حديث أسماء بنت يزيد حين قدمت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام نائبة عن زميلاتها فقالت : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك ، إنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله ، وإن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم ، أنشارككم فى هذا الأجر ، فاتجه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أصحابه وقال : « هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها ؟ فقالوا يارسول الله : ماظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « افهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك ، فذهبت أسماء إلى قريناتها وذكرت لهن ما حدثها به الرسول عليه الصلاة والسلام ، فسررن به والتزمن نهجه ، فاشتراك المرأة فى الحياة السياسية ومطالبتها بالتمثيل النيابى ينأى عن الإسلام وتعاليمه ، ولا يتفق مع الدين ومناهجه .

١ — لأنه يجعل التشريعات خاضعة للعاطفة ومنطق الجمال ، فتصبح القوانين متأثرة بالأهواء ، ممزوجة بالسحر والإغراء ، فالمرأة لها سلاح بتار لا ينجو منه إلا من رحمه الله فولى الأدبار . ولقد تنبه إلى خطر تأثيرها الشعراء منذ العصور الاولى ، وسأذكر لكم شاهدين على ما أقول : أما الشاهد الأول فهو يعجب من تأثير المرأة مع ضعفها وجاذبيتها مع قلة جهودها فيقول :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

أما الشاهد الثانى فهو لشاعر يفخر بشدته فى الحروب واستسلامه للمرأة فى السلم وتبعيته ، فيقول :

نحن قوم تذيبنا الأعين النجل على أننـا نذيب الحديدا
وترانا يوم الكريهة أبطا لا وفى السلم للغوانى عبيـدا

٢ ــ لأن البرلمان هيئة تشريعية وولاية عامة ، والمرأة ليس فى طبيعتها قدرة الولاية على الرجل ، قال تعالى : « الرجال قوامون على النساء » وقد حـذر الرسول ﷺ من ولايتها كما روى الترمذى فى سننه (إذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأمركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير من ظهرها) . وفى الجامع الصحيح للبخارى (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) .

٣ ــ لأنه يجعل المرأة بعيدة عن بيتها تنتقل فى كل واد وتجوب فى كل طريق لتعرف الآلام والآمال ، وذلك يعارض قوله تعالى « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » . فلتذكر المرأة المسلمة أى تشريف لها فى نسبة البيت إليها وجعله خاصا بها . ومن المؤلم أن بعض المربيات تزعم أن هذا الخطاب للنساء العابثات ! ، مع أنه لأمهات المؤمنين الصالحات الطاهرات ، وذلك يدل على الجهل ومبلغ الجرأة على الله ونساء رسوله والاعتداء على حرمات الدين وكتابه .

٤ ــ الإسلام خص الرجل بأشياء تتفق مع طبيعته وتكوينه ، منها الإمامة والرسالة والجهاد والأذان والخطبة والنكاح والطلاق وثبوت النسب والمهر والنفقة ، والبرلمان نوع من تبعات الإمامة .

٥ ــ لم يثبت فى تاريخ المسلمين أن امرأة وليت القضاء ، والبرلمان نوع من القضاء . وإنا لنرى الإسلام جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل قال تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » فإذا كانت الشهادة وهى أقل خطورة من البرلمان لا تتساوى

فيها المرأة بالرجل . أليس ذلك دليلا على منعها منه وأنه ليس لها حقوق سياسية حتى تطالب بها ؟ .

٦ — لم يتحدث التاريخ أن النساء فى أى عصر من عصور الإسلام الزاهرة بايعن الخليفة أو الحاكم ، ولا جلسن فى مجالس الشورى والتشريع ، مع أن فيهن من ذوات الحجى والألمعية ما لا عهد للتاريخ بأمثالهن .

ويقول دعاة المساواة إن الإسلام سوى بين المرأة والرجل فى الصلاة والصوم . وهو قول غير سديد لأن المرأة لا تجب عليها الجمعة والجماعة ، وصلاتها فى بيتها أفضل ، ولا تصح إمامتها للرجل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خير مساجد النساء قعر بيوتهن » ، « لا تؤمن امرأة رجلا » ، وأوجب عليها الإفطار فى الحيض والنفاس ، وبدهى أن الرجل ليس عليه شىء من ذلك .

ويقولون إن الإسلام أوجب أن يؤخذ رأى المرأة فى زواجها ، والحياة البرلمانية أولى من الحياة الزوجية ، فلم لا تشترك فيها ؟ ومن الهزل أن يزعموا أن الحياة البرلمانية أولى من الحياة الزوجية ، وأعتقد أنه لن يوافق على ما يقولون إلا من يرى أن الأرض فوقنا وأن السماء تحت أرجلنا .

ويقولون : إننا نريد أن يمثل العنصر النسائى فى البرلمان ليدافع عن المشكلات الخاصة بالمرأة كمشكلة الطفولة والطلاق وتعدد الزوجات ، وهذه مشكلات لا تحل فى البرلمان وإنما تحل فى ظلال الدين والقرآن . وإن أرقى البرلمانات فى العالم بها فئة قليلة من النساء ، وهم جميعا يعترفون بأن الرأى للأغلبية فما قيمة هذا التمثيل ؟ أفما كان الأولى بهم أن يدعوا المرأة إلى حسن تربية النشء وتهذيبه ليكون فى المستقبل دعامة من دعائم النهضة ، وبذلك يمثلن فى البرلمان برجال من أبنائهن ذوى خلق كريم ، وعقل مستقيم ، ونظام رتيب .

أما موقعة الجمل التى خرجت فيها السيدة عائشة للتعاون مع على كرم الله وجهه على إقامة الحد فى قتلة عثمان رضى الله عنهم جميعا ، فلم تكن فيها طالبة لولاية ولا قائدة لجيش .

وقد يقولون : إنا نحرم النائبة من الزواج ، ولكنهم لن يستطيعوا ذلك ، فإن علماء النفس يثبتون أن الفتاة إذا بلغت العشرين اتجهت إلى أن تكون زوجا ، فإذا بلغت الخامسة والعشرين تاقت إلى أن تصبح أما ، فكيف نظلمها فنمنعها حقها الطبيعى فى سبيل هذه المظاهر الخداعة ؟

وقد يقولون : لنقصر النيابة على المرأة فى الخمسين من عمرها بعد أن تؤدى رسالتها المنزلية وبذلك لا يشغلها عن البرلمان شاغل . والرد على ذلك أن المرأة فى هذه السن تحتاج إلى راحة من عناء العمل والشيخوخة ، فإذا أبحنا لها البرلمان كانت فى ميدان النيابة محتاجة إلى تجارب وأعباء ثقال لا تحتملها ولا تطيق القيام بتبعاتها .

ألا فليذكر دعاة المساواة فى النيابة أى خطر يحدق بالأمة إذا تركت الأم تربية الأبناء فى سبيل مجالس التشريع والقضاء ، وليخبرونا من الذى يشرف على شئون الناشئة ويعدهم لأعباء المستقبل ؟ أندعو الرجل إلى عمل المرأة ولم يخلق له ؟ أم نحمل الأطفال إلى المجالس النيابية فتصبح ملجأ للأطفال وموطنا للحوامل والمرضعات ؟ أم نترك الأولاد للخدم والمربيات فتفسد الأخلاق وتنهار روابط الأسرة والمجتمع كما ترون الآن .

إن مشكلة البيت اليوم أصبحت أدق المشكلات ، وإن الدروس التى يتلقاها الطفل فى حجر أمه سيكون لها أكبر الأثر فى مستقبل حياته ولن تعدو عليها عوامل النسيان والإهمال ، فلا تزيدوا أعباء المرأة وتبعاتها ، واسمعوا نبي الرحمة إذ يقول : « استوصوا بالنساء خيرا » .

ولا تكلفوا أمكم وأختكم وبنتكم ما لا تطيق ، وقدروا فيها أمومتها لا أنوثتها ، ورسالتها لا نيابتها . وطبيعتها لا غوايتها ، ومملكتها لا تملكها .

اذكروا أن المرأة قبس يضىء ، وزهر يبسم ، وأمل يلهم ، وهدى يشرق ، ما دامت فى عشها ، فحاذروا أن يضيع القبس ، ويذبل الزهر ، ويذوى الأمل ، ويهوى الإشراق . وتأملوا قول الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ؟

محمد صابر عاشور
مدرس بمعهد دمنهور

جبل ثور بالمدينة

(المدينة حرم ما بين عير إلى ثور) هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى : ٨٥ - كتاب الفرائض ٢١ - باب إثم من تبرأ من مواليه ، وأخرجه مسلم فى : ١٥ - كتاب الحج حديث ٤٦٧ . فهو من الأحاديث المتفق عليها بين الشيخين ، ورواته لا يمكن أن يتطرق الوهن أو الشك إلى روايتهم ، والحديث قاله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، وسمعه منه أهل المدينة ، ومنهم الإمام على ابن أبى طالب ، وقد حرص عليه أيما حرص ، فكتبه فى صحيفته المشهورة المعلقة فى قراب سيفه .

ومع كل هذا فقد ظهر بين المتقدمين من يدعى مصعبا الزبيرى ، فأتى بها كلمة طاعنة فى متن الحديث ، حيث قال : ليس فى المدينة عير ولا ثور .

وتبعه أبو عبيد فقال : ما بين عير وثور ، هذه رواية أهل العراق ، وأما أهل المدينة فلا يعرفون جبلا عندهم يقال له ثور ، وإنما ثور بمكة ، وأقول أنا : وجود جبل بمكة اسمه ثور لا ينفى وجود جبل بالمدينة بهذا الاسم .

ولقد روى الإمام البخارى فى صحيحه ، فى : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٣٨ سورة ص . ٣ - باب وما أنا من المتكلفين : عن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن مسعود . قال : يأيها الناس ! من علم شيئا فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فأن من العلم أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم .

وقد أخذ العلماء قول مصعب وأبى عبيد حجة بدون تمحيص ولا تحقيق :

يقولون أقوالا ولا يعلمونها ولو قيل : هاتوا حققوا لم يحققوا

ثم تناولوا الحديث بالتخريج والتأويل ، ووقع بسبب هذا القول فى الخطأ الشنيع ثلاثة من كبار المؤلفين :

أولهم أبو عبيد البكرى ، المتوفى عام ٤٨٧ هـ ، فى كتابه معجم ما استعجم .

والثانى ابن الأثير ، المتوفى عام ٦٠٦ هـ ، فى كتابه النهاية فى غريب الحديث والأثر .

والثالث ياقوت الحموى ، المتوفى عام ٦٢٦ ، فى كتابه معجم البلدان .

قال فى معجم ما استعجم :

وذكر أبو عبيد (هو القاسم بن سلام ، بتشديد اللام ، كما حرر ذلك ابن خلكان فى الوفيات ، وكما جاء فى نزهة الألبا فى طبقات الأدبا لابن الانبارى ، إذ قال : وقد رثاه عبد الله بن طاهر بقوله :

يا طالب العلم قد أودى ابن سلام وكان فارس علم غير محجام

لا بالتخفيف كما نص عليه صاحب التاج ، وتبعه الاستاذ مصطفى السقا فى تعليقه على هذا الحديث ، وقال : عير وثور جبلان بالمدينة . قال : وهذا حديث أهل العراق . وأهل المدينة لا يعرفون بالمدينة جبلا يقال له ثور . وإنما ثور بمكة . فيرى أن الحديث إنما أصله « ما بين عير إلى أحد » ! ! !

وقال ابن الاثير : وفيه أنه حرّم المدينة ما بين عير إلى ثور . هما جبلان . أما عير فجبل معروف بالمدينة . وأما ثور فالمعروف أنه بمكة ، وفيه الغار الذى بات به النبى ﷺ لما هاجر . وفى رواية قليلة : ما بين عير وأحد . وأحد بالمدينة ، فيكون ثور غلطاً من الراوى ، وإن كان هو الأشهر فى الرواية والأكثر . وقيل : إن عيراً جبل بمكة ، ويكون المراد أنه حرّم من المدينة قدر ما بين عير وثور فى مكة ، أو حرم المدينة تحريما مثل تحريم ما بين عير وثور بمكة ، على حذف المضاف ، ووصف المصدر بالمحذوف .

وقال ياقوت : وفى حديث المدينة أنه صلى الله عليه وسلم حرّم ما بين عير إلى ثور . . قال أبو عبيد : أهل المدينة لا يعرفون بالمدينة جبلا يقال له ثور . وإنما ثور بمكة . فيرى أهل الحديث أنه حرم ما بين عير إلى أحد . وقال غيره : إلى بمعنى مع . كأنه جعل المدينة مضافة إلى مكة فى التحريم ، وقد ترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ليبين الوهم . وضرب آخرون عليه . وقال بعض الرواة : من عير إلى كدى . وفى رواية ابن سلام : من عير إلى أحد . والاول أشهر وأشد .

ورضى الله سبحانه وتعالى عن أستاذ الدنيا فى علم الحديث : الحافظ ابن حجر العسقلانى حيث قال فى كتابه ، قاموس السنة المحيط (فتح البارى) فى : ٢٩ - كتاب فضائل المدينة ١ - باب حرم المدينة ، ما نصه : « وقال المحب الطبرى فى الأحكام : بعد حكاية كلام

أبي عبيد ومن تبعه : قد أخبرني الثقة العالم أبو محمد عبد السلام البصرى أن حذاء أحد عن يساره ، جانحا إلى ورائه ، جبلا صغيراً يقال له : ثور . وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين بتلك الارض وما فيها من الجبال ، فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور . وتواردوا على ذلك .

فعلمنا أن ذكر ثور فى الحديث صحيح ، وأن عدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته ، وعدم بحثهم عنه . قال : وهذه فائدة جليلة . انتهى .

ثم قال الحافظ : وقرأت بخط شيخ شيوخنا الحلبي فى شرحه : حكى لنا شيخنا أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصرى أنه خرج رسولا إلى العراق . فلما رجع إلى المدينة كان معه دليل ، وكان يذكر له الأماكن والجبال . قال : فلما وصلنا إلى أحد ، إذا بقربه جبل صغير ، فسألته عنه ؟ فقال : هذا يسمى ثوراً . قال : فعلمت صحة الرواية .

(قلت) وكان هذا مبدأ سؤاله عن ذلك .

وذكر شيخنا أبو بكر بن حسين المراغى نزيل المدينة ، فى مختصره لأخبار المدينة ، أن خلف أهل المدينة ينقلون عن سلفهم ؛ أن خلف أحد ، من جهة الشمال ، جبلا صغيرا إلى الحمرة بتدوير ، يسمى ثورا . قال : وقد تحققته بالمشاهدة . اهـ . من الفتح .

وقال الفيروز ابادى ، فى القاموس المحيط ، الذى هو أكثر كتب اللغة تداولا بين الأيدى : (ثور) جبل بالمدينة . ومنه الحديث الصحيح « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور » .

وأما قول أبى عبيد بن سلام ، وغيره من الاكابر الاعلام : إن هذا تصحيف . والصواب : إلى أحد ، لأن ثورا إنما هو بمكة - فغير جيد . لما أخبرنى الشجاع البعلى ، الشيخ الزاهد ، عن الحافظ أبى محمد عبد السلام البصرى أن حذاء أحد ، جانحا إلى ورائه ، جبلا صغيرا يقال له : ثور . وتكرر سؤالى عنه طوائف من العرب العارفين بتلك الأرض . فكل أخبرنى أن اسمه ثور .

ولما كتب إلىّ الشيخ عفيف الدين المطرى ، عن والده الحافظ الثقة ، قال : إن خلف أحد ، عن شماليه ، جبلا صغيراً مدورا يعرفه أهل المدينة ، خلفاً عن سلف .

وقد أيد العلماء المعاصرون ما أورده الحافظ فى الفتح والمجد فى القاموس ، وأكدوه تمام التأكيد .

فقد ذكر العلامة المؤرخ الدكتور محمد حسين هيكل ، فى كتابه « فى منزل الوحى » ص ٥٨١ عند ذكر الحديث « إنى أحرم ما بين جبليها مثل ماحرم إبراهيم مكة ، قال : وجبلا المدينة المقصودان هما عير وأحد . أو عير وثور الواقع وراء أحد ، ليدخل أحد فى الحرم . ولابتا المدينة هما الحرتان واقم والوبرة ، أولاهما فى شرق المدينة والثانية فى غربها ، والجبلان عير فى جنوبها ، وثور فى شمالها . وهذه هى حدود المدينة الاربعة .

ونشر أمام الصفحة ٥٩٢ خريطة أثرية تقريبية للمدينة المنورة . وهنا فى رأس الخريطة من جهة الشمال ، وراء جبل أحد ، يقع جبل ثور .

وقد أرشدنى الدكتور هيكل إلى كتاب « آثار المدينة المنورة » لمؤلفه الاستاذ عبد القدوس الانصارى الذى اتصل به منذ نزل المدينة ، وقد ذكر له فضله وشكره أجمل شكر على إرشاده ومعاونته ص ٤٤٠ .

وهذا الكتاب مطبوع عام ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥ م وقد نشر به الخريطة الاثرية التقريبية للمدينة المنورة ، وهى خريطة مطابقة تمام المطابقة للخريطة المنشورة فى كتاب « فى منزل الوحى » وكأن إحداهما صورة من الاخرى . وقد قال صاحب هذا الكتاب ص ١٢٩ تحت عنوان :

عير وثور

اسما جبلين من جبال المدينة ، أولها عظيم شامخ ، يقع بجنوب المدينة على مسافة ساعتين عنها تقريبا ، وثانيهما أحمر صغير يقع شمال أحد . ويحدان حرم المدينة جنوبا وشمالا .

فليرجع ما بالنهاية وما بمعجم البلدان ، وليوضع بدله هذا العلم النير الواضح .

أما معجم ما استعجم فقد تولى تصحيح ما ارتطم به صاحبه من الخطأ محققه الاستاذ مصطفى السقا ، فنقل ما جاء فى الزبيدى شارح القاموس . ولكنه لم يفصل بين قول المجد وقول الشارح .

وقد أمدنى حضرة صاحب (الاعلام) بكتاب اسمه (كتاب عمدة الاخبار فى مدينة المختار) للمحقق العلامة الشيخ أحمد عبدالحميد ، نشره السيد أسعد طرابزونى الحسينى جاء فيه ص ٢٤٩ ما يأتى .

« ثور جبل صغير جداً وراء أحد ، وقال بعض الحفاظ : إن خلف أحد من شماله جبلا صغيراً مدورا يسمى ثوراً ، يعرفه أهل المدينة .

قلت : وأنا منهم إن شاء الله . ورأيته وعاينته ، وليس الخبر كالعيان » .

ثم نقل ما قاله أبو عبيد ، وما تأوله المتأولون .

ثم قال : وقد قال العلامة مجد الدين الفيروزابادي : لا أدرى كيف وقعت المسارعة من هؤلاء الأعلام إلى إثبات وهم فى الحديث الصحيح المتفق على صحته ، بمجرد دعوى أن أهل المدينة لا يعرفون جبلا يسمى ثوراً » .

وللصديق المؤرخ المحقق السيد خير الدين الزركلى شكرى الجزيل على اهتمامه بهذا الموضوع وجليل عنايته به ، ثم إمدادى بهذا الكتاب وكتاب « آثار المدينة المنورة » .

وجاء فى كتاب : « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم » للعلامة السمهودى نزيل طيبة المشرفة بالجزء الاول ص ٦٦ :

« وثور جبل فى ناحية أحد ، وهو غير جبل ثور الذى بمكة » .

ثم قال : وقد صح بما قدمناه أن أحدا من الحرم . لأن ثوراً حده من جهة الشام ؟

محمد فؤاد عبد الباقى

مركب النقص

وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية رضى الله عنه ، فأذن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث ، فأسرع محمد بن الأشعث فى مشيته حتى دخل قبل الأحنف . فلما رآه معاوية قال له :

والله إنى ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله . إنا كما نلى أموركم كذلك نلى أدبكم . ما تزيد متزيد فى أمره إلا لنقص يجده فى نفسه .

كيف كان عمر بن الخطاب

ينتخب قضاته ؟

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ينتخب قضاته من بين أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام إذا توسم فيه الفطنة والذكاء وسداد الرأى ، وبعـــد امتحانه بطريقة خفية ، بأن ينتهز فرصة وجوده وقت عرض الخصومات فيطلب إليـه أن يحـكم فى قضية منها لعذر من الأعذار كقوله إنه متعب ، أو يتغابى فيتظاهر بعدم فهمه لأقوال المدعى دون أن يشعره بأنه يختبره فى فن القضاء والفصل فى المنازعات .

وقد اتفق أن جاءه صحابى جليل وقت جلوسـه للفصل فى خصومات المسلمين ، فأجلسه بجواره ، وجاءت امرأة تشـكو زوجها بقولها : إن زوجى رجل صالح يصوم النهار ويقوم الليل ولا شيء غير ذلك .

فسألهـا عمر : هل يقوم بنفقتك ؟ فقالت : نعم . وهل هو يسيء معاملتك ؟ قالت : كلا يا أمير المؤمنين فإنه يحسن معاشرتى .

ثم تظاهر عمر بأنه لم يفهم غرضها . ونهرها غاضبا بقوله : ولمـاذا إذن هذه الشـكوى منك ؟ فسكتت ، ولما شدد عليها فى السؤال التفت إليه صاحبه وأسر إليه بقوله : إنها تشـكو زوجها لحرمانها من حقها فى فراش الزوجية يا أمير المؤمنين .

فقال له عمر : بمـا أنك قد فهمت هذا فلتحكم أنت بينهما . والتفت الصحابى إلى المرأة قائلا : أحضرى زوجك هنا .

وهـذا مبدأ ثابت فى أصول القضاء بأن لا تسمع الدعوى إلا بعد إعلان الخصم أو حضوره . فذهبت المرأة وأحضرت زوجها أمام القاضى ، فقال لها القاضى : « أعيدى شكواك أمام زوجك » .

وهذا مبدأ آخر من مبادئ القضاء بأن يترك القاضى للمدعى الحرية التامة فى شرح دعواه أمام خصمه ، ولا يجوز للقاضى أن يشرح الدعوى بالنيابة عن المدعى ، وللخصمين الحق فى الدفاع بالطريقة التى يراها كل منهما موصلة إلى حقه ، ولذلك طلب القاضى من المدعية أن تعيد أقوالها أمام زوجها فأعادت المرأة أقوالها أمام زوجها .

ولما انتهت قال القاضى للزوج : ما قولك فى الدفاع عن نفسك ؟ فقال : يا حضرة القاضى، إن المؤمن إذا تمعن فى كلام الله تعالى عن السؤال يوم العرض عليه ، وأن الله يحاسبه عن كل درهم من أين أتاه وفى أى شىء صرفه وعن كل فعل صدر منه ، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتنسى كل ذى حمل حملها ، وأنا أخاف الله تعالى وأرجو النجاة من عذاب يوم عظيم ، وهذا دفاعى .

فقال له القاضى : اسمع الحكم يا رجل : اعبد ربك ثلاث ليال، والليلة الرابعة لزوجتك.

ولما انصرفا من مجلس القضاء أرسل عمر إلى القاضى وسأله من أين أتى بهذا الحكم . وهذا مبدأ آخر لصحة الأحكام ، فالأحكام غير المسببة باطلة .

فقال له القاضى : إن الله تعالى أجاز للزوج أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع ، فنفرض استعماله جميع حقه فى الزواج من غيرها ، فهى لا تحرم إلا من ثلاث ليال فقط ، والليلة الرابعة من حقها بغير نزاع ، ولذلك حكمت لها بها .

فقال له عمر : والله لا أدرى أأعجب من فهمك القضية أم من حكمك فيها ، اذهب فأنت قاضى البصرة .

فكان هذا امتحانا عمليا لهذا الصحابى الجليل ، وقد نجح فى الامتحان فعينه قاضيا للبصرة .؟

محمد شريف

المستشار السابق

من حق المرأة المسلمة

استشارتها قبل تزويجها

[عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
(لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن .
قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت)
رواه البخاري ومسلم] .

* * *

اللغة : الأيم هي من سبق لها زواج ، وفارقت زوجها بموت أو طلاق . تستأمر : أي يطلب أمرها هل ترضى بالزوج فينفذ العقد ، أو لا ترضى به فلا ينفذ . البكر : هي من لم يسبق لها زواج . تستأذن : أي يطلب إذنها بعد عرض الزوج عليها هل توافق عليه أو لا ، ويكفي في إذنها أن تسكت ، فاعتبر الشرع سكوتها رضى نظراً لشدة حيائها .

الشرح

هذا الحديث دليل قوي على حكمة الإسلام وسداد تعاليمه ، وأنه صالح لكل زمان ومكان ، وإذا كان الناس في الماضي لم يهتموا بسؤال بناتهم عند تزويجهم فلأن الأمور كانت تسير في سهولة ويسر ، فترضى الزوجة بزوجها وتصبر عليه ، ترجو على ذلك ثوابا لها عند الله ، وأما الآن فقد أصبح سؤالهن واجبا ورضاهن حتما ، وصار اهتمام أولياء الزوجات بتعرف رغباتهن والسير في الطريق الذي يرسمنه لزاما ، بعد أن انتشرت المدنية الأجنبية وعلمت كثيراً منهن ولا سيما المتعلمات التمرد على الأوضاع القديمة ، والثورة على أولياء أمورهن . لأنهم في زعم الزاعمين لا يراعون حقوقهن في اختيار شريك الحياة وأليف العمر . ولم تأت هذه المدنية بجديد ، بل هو الشرع الإسلامي الحكيم مقرر من يوم أن أرسل محمد ﷺ

إلى العالم بشيراً ونذيراً وهاديا ، وإذا تهاون بعض الناس فى اتباع سنته ، وامتثال أمره ، فلم يكن ينشأ عن تهاونهم ما يحدث اليوم من ويلات ومصائب بسبب عدم مراعاة حقوق الزوجات فى اختيار أزواجهن . أما اليوم فمآسى الانتحار والهرب من بيت الزوجية ، والاعتداء على نفس الزوج بالقتل وعلى ماله بالسلب والإضاعة ، وخيانته فى عرضه ، والالتجاء إلى المحاكم لطلب التفريق وغير ذلك . كل هـــذه المآسى أصبحت حقيقة واقعة فى بعض الأوساط ، وأصبح انهيار الحياة الزوجية وما يترتب عليه من مشكلات وفساد فى المجتمع الإسلامى شائعاً معروفا ، مما أوجب الرجوع إلى الشرع الحكيم وتنفيذ أوامره بحذافيرها .

أوجب الشرع الحكيم على ولى الزوجة إذا كانت أيما أى سبق لها الزواج ، ثم أراد تزويجها من جديد أن يستأمرها أى يطلب أمرها ، هل تأمر بإنفاذ العقد فيمتثل أمرها ، أو تأمر بعدم إنفاذه فيمتثل أمرها ولا ينفذه . وإذا كانت بكراً لم يسبق لها الزواج أن يستأذنها فيعرض عليها الزوج الذى تقدم لطلبها ، فإذا قبلته فبها ونعمت ، وإلا نظر الولى إذا كان من أصحاب النظر الصائب ، هل يصلح هذا الزوج لها وهى مخطئة فى عدم الرضا به ، فيزوجها منه ولا يلتفت إلى قولها ، أو يرى فيه نقصا فيتبع أمرها ولا يزوجها .

وهذه المسألة خلافية بين الأئمة ، فأبو حنيفة رضى الله عنه يرى أن البكر وغيرها سواء فى وجوب امتثال أمرها ، وعدم إنفاذ العقد إذا لم توافق عليه الزوجة ، مستدلا بالأحاديث الواردة فى ذلك فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن فتاة بكرا أتت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة ، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنى تخييرها أنها إما أن تقبل البقاء مع زوجها أو يفسخ العقد ، واستدل أبو حنيفة أيضاً بأنه إذا كان ولى الزوجة لا يستطيع التصرف فى مالها بدون إذنها ، فأولى من ذلك أنه لا يستطيع أن يزوجها بغير إذنها ، لأن الزواج أجل خطراً من المال وأعظم شأنا ، لأنه مسألة سعادة دائمة أو شقاء دائم ، فهو مسألة حياة أو موت .

ويرى باقى الأئمة أن البكر تخالف غيرها . فلولى البكر جبرها على الزواج ممن لا ترضى به ، واستدلوا على ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه ابن عباس أيضا « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأمر وإذنها السكوت » وفى رواية أخرى : « ليس للولى مع الثيب أمر ، واليتيمة تستأمر » والثيب هى غير البكر . قالوا خص الرسول صلى الله عليه

وسلم الثيب بأنها أولى بنفسها من وليها ، وبأن الولى ليس له معها أمر ، ولم يصرح بذلك مع البكر ، فدل ذلك على اختلافهما ، وقالوا إن سؤال البكر لتطييب خاطرها ، وليعلم - إذا رفضت - سبب رفضها ، فربما كان وجيها وغفل عنه الولى فتجب حينئذ موافقتها ، وقالوا أيضاً إن البكر لم تجرب الأمور ولم تدخل معترك الحياة ، فهى تقيس الأمور بمقاييس قد تكون غير صحيحة ، فتفوت على نفسها الزوج الصالح ، ووليها أدرى منها بما ينفعها ، فلذلك كان له جبرها ، أما الثيب فقد عاشرت الرجال وخاضت معترك الحياة ، وأصبحت قادرة على تمييز ما يضرها وما ينفعها أكثر من البكر ، ولذلك جعلها الشارع الحكيم أولى بنفسها ولم يجعل للولى معها أمراً .

وهذان الرأيان وإن كان لكل منهما حجته المقبولة ، إلا أن الرأى ينبغى أن يكون وسطا بينهما ، فلا يترك للبكر الحبل على الغارب تختار من تشاء وترفض من تشاء ، ولا تقيد حريتها كل التقييد فتجبر على الزواج بغير من تحب ، ولو كان وليها أباها ، فقد دلت التجارب على أن بعض الفتيات ينخدعن بالزوج فتغرهن مظاهر جماله ، أو ثرائه ، أو هدوئه ، أو مركزه الاجتماعى ، فإذا عاشرنه ظهر لهن منه ما لم يحسبن له حسابا ، فيجدن فيه الجفوة والغلظة وشراسة الخلق وحب استعباد زوجته واحتقارها وإهانتها ، وعند ذلك يصبحن شاكيات باكيات ، ويطلبن من أولياء أمورهن إنقاذهن من هذا الزوج البغيض المتوحش ، بعد أن كن متمسكات بالزواج منه كل التمسك ، ويهددن بالانتحار وغيره إذا رفض وليهن زواجهن منه ، ورأينا بعض أولياء البنات يسرن فى أمر زواج بناتهم أسوأ سيرة ، فيأتى لهن الزوج الصالح ذو الأخلاق الحميدة القادر على تكوين الأسرة ، فلا يوافقون على تزويج بناتهم منه ، لأنهم يرونه أقل منهم ثراء أوجاها ، أولا يوافق أمزجتهم لأنه محافظ من الطراز القديم ! وهم متمدينون يكرهون المحافظين ! فيفوتون بذلك مصلحة البنات ، ويسببون لهن العنس وعدم الزواج طول الحياة ، فيرمون بالبنات إلى أحضان الشر والرذيلة .وهذه جناية فظيعة تأباها الإنسانية ، ويأباها الله ورسوله .

والرأى الوسط الذى ينبغى العمل به — بعيدا عن الفتاة — أنه إذا تقدم للفتاة البكر زوج ، يجتمع مجلس الأسرة من الرجال والنساء ويتذاكرون أخلاق الزوج وقدرته على تكوين الأسرة ، فإذا وافق عليه ، عرض على الفتاة بواسطة أمها أو خالتها أو أية سيدة فى الأسرة تكون صلتها بها وثيقة ، وتكون صريحة معها إلى أبعد الحدود ، فإذا وافقت

عليه تم الزواج ، وإذا رفضته طلب منها سبب الرفض ، فإذا كان وجيها اتبعتها الأسرة ، وإذا كان غير وجيه راجعتها وبينت لها خطأها ، كما تبين لها الأسباب التي بنت عليها قبوله زوجا لها ، فربما ترجع إلى صوابها وتقبله ، فإذا تعصبت لرأيها ، ولم يظهر لرفضها سبب وجيه ، فمجلس الأسرة هو صاحب الكلمة ، وأغلبية الرأي فيه هي صاحبة الأمر : إما أن يمضي الزواج عملا بمصلحة الفتاة التي ستتبين ذلك فيما بعد ، أو ترفضه على مسئولية الفتاة فيما اختارته لنفسها . وبذلك تتجنب الأسرة كثيرا من المتاعب والمشاكل ، بل يتجنب المجتمع كثيرا من الويلات والمصائب التي تحدث بسبب زواج الفتاة ممن لا تحب ولا ترضى به زوجا لها . وليس من الأسباب المقبولة في رفض الزواج ما تدعيه بعض فتيات اليوم من حب في آخر لم يتقدم لزواجها ، وهي تنتظر أن يتقدم ، فكثيرا ما تعرض أسباب تحول دون تقدم الشاب الذي تنتظره الفتاة ، أو يكون هو غير جاد في الزواج منها ولا يفكر في طلب يدها ، فتفوت الفتاة على نفسها فرصة لا تعوض ، وقد تفقد بسبب رفضها سعادة الحياة وعز الدهر .

وينبغي لولي الزوجة أن يكون حكيما وناظراً إلى الأمور بعين بصيرة ، وعقل ذكي ، دارساً لأخلاق المجتمع الذي يعيش فيه ، حتى لا يرمي بفتاته بين أنياب السباع ، ويفوت عليها الأمل الذي ترجوه ويرجوه هو لها .

وإذا كان جبر البنات على الزواج ليس مستساغاً على إطلاقه ، فأولى بذلك جبر الشبان على الزواج من فتيات لا يحبونهن ولا يقبلونهن زوجات لهم ، فمن أولياء أمور الشبان من يدعي أنه أعلم بمصلحة ابنه من نفسه ، فيحتم عليه الزواج من فتاة لا يقبلها ، فإذا رفض منع عنه مساعدته وعونه وعاداه . وهذا مخالف للشرع ، فإن الشاب ليس عليه ولاية في زواجه ، وإذا كان الشرع أعطى للبنات حق الاختيار ، فأولى أن يكون للفتيان مثل ذلك الحق . نعم إذا كان الشاب صغيراً طائشاً وعلم أبوه أو ولي أمره أنه بزواجه سيقع في كارثة أو سيخسر ماله أو شرفه ، فإنه يجب عليه منعه بعد بيان أسباب المنع ، وهذا من قبيل رعاية مصالح الأبناء ، لا من باب جبر الشاب على الزواج ؟

طه الزيني
من علماء الأزهر

جرائم الشباب

لا حديث للناس اليوم إلا عن الجرائم البشعة التي يقترفها كثير من الشباب ، والتي تعددت صورها واختلفت مظاهرها واتخذت لها طابع الجراءة والاستهتار والعبث والفساد .

ولا شك أن هذه الجرائم ظاهرة اجتماعية خطيرة يجب أن يحسب لها كل حساب من أولئك الذين يهتمون بشئون الإصلاح ومشكلات الحياة حتى يتهيأ للأمة جو صالح وحياة سليمة .

والذين ينظرون إلى هذه الجرائم ويتناولونها بالنقد والتحليل يجدون أنها آفات تصيب نفوس الشبان فتختل موازينهم وتطيش سهامهم فيتحللون من كل قيد ويجاوزون كل حد ، كما تصيب الأمراض أبدانهم فتختل قواهم وتزلزل عافيتهم فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .

وليس بسبيل أن نكافح هذه الجرائم بالعقوبات والقوانين ، أو أن نكتفي في مقاومتها بجهود البوليس والنيابة والسجون دون أن نبحث عن أصل الداء فنستأصله ، وأساس الجريمة فنقضي عليه . كما لا يصح في الأذهان أن نقف بعلاج الأمراض عند حد وفرة المشافي ووجود الأطباء من غير أن نأخذ بأسباب الصحة ونتلافى أسباب المرض من قبل أن يستفحل أمره ويستشري ضرره فيستعصي على الطب والأطباء .

ويمكن أن يقال إن أساس الجرائم كامن في البيت الذي يدرج فيه الشباب ، والمدرسة التي يتعلمون فيها ، والمجتمع الذي يعيشون فيه . . . فجميعها عوامل رئيسية تحملها عبء هذه الجرائم ومسئوليتها ، لأنها تضافرت على تهيئة الجو المناسب لها ولم يجد الشباب في إحداها حصانة أو مناعة .

فالبيت هو تلك الخلية الأولى التي ينمو فيها الشباب ، والبيئة الأصيلة التي يتعلمون فيها أسلوب الحياة الذي سيتخذونه أيام الشباب في المجتمع الكبير : في المدرسة والسوق والمصلحة

والمصنع والمتجر . . فإذا كان البيت صالحاً يحوى الأب الفاضل والأم المهذبة وكان جوه عامراً بالتقوى والفضيلة حافلا بمعانى الإخلاص والصفاء والمودة والرحمة والحب والمودة أمكن للشباب أن يعيشوا فى الحياة العامة على أساس هذه المبادىء وعلى هدى تلك الخصال ، وصارت علاقتهم بالمجتمع خيرا وطهراً وشرفا .

وشر ما ينكب به الشباب فى حياتهم الاولى أنهم يعيشون فى جو فاسد وفى بيت مفعم بالرذائل والمنازعات والضغائن والاحقاد ، مثلما ينشأون فى كنف زوجات آبائهم أو تحت رحمة أزواج أمهاتهم . . وعندئذ يجدون عداء وبغضاً وخصاما وشقاقا وشقاء وحرمانا يحتاجون معه إلى أن يتعلموا المكر والخبث كى يحصلوا على حقوقهم إزاء إخوة امتازوا عليهم ، ثم تنمو فيهم تلك الصفات وتتربى معهم تلك الشرور وينشأون بها شباباً ويعاملون بها المجتمع وكلهم شر وفساد وإجرام .

ومن أجل ذلك يجب أن تحشد الجهود وتجند القوى لرفع مستوى البيت فى المجتمع ، وصيانته من التيارات التى تتقاذفه وتدفع به أمامها إلى هوة الحضيض والانتكاس ، وإحاطته بسياج منيع من التربية الدينية والوعى الخلقى والمثل الكريمة التى تجعل منه جنة ونعيما ، شعاره السلام وروحه الإخلاص وعنوانه الصفاء ، وبذلك نحصل على البيت الكريم الذى يكون اللبنة الصالحة فى جسم المجتمع والدعامة الحقة من دعائمه .

أما المدرسة فهى عامل هام فى حياة الشباب وتكوين اتجاهاتهم ، وهى التى ترشحهم للحياة إما رجالا نافعين يرفعون من شأن الأمة ويعلون صرحها ويدعمون حضارتها ونهضتها ، وإما قوما متواكلين متخاذلين يألفون الراحة ويأنفون مرارة الكفاح وأداء الواجب .

ومدارسنا اليوم - بالأسف - لا تزال تهتم بالتعليم ولا تعنى بالتربية . . وتنشر الثقافة ولا تحرص على الدين ! وتحاول أن تحارب فى نفوس الشباب الجهل ولكنها لا تحاول أن تزكيهم بالفضيلة . . حتى فقد شبابنا كل حصانة ، وتجردوا من كل سلاح ، فاستسلموا للمبادىء الهدامة ، والأفكار الضارة ، واتجهوا إلى المهازل والخرافات ، وجرفهم تيار الحياة إلى خضم الرذائل والآثام والجرائم والموبقات ، ولذلك يجب أن تكون المدرسة عاملا مكملا للبيت يتدارك ما فاته ويتعاون معه على التربية والتقويم .

وفى سبيل ذلك ينبغى أن تعدل المناهج التعليمية تعديلا يتفق وما يراد للشباب من تهذيب الأخلاق ، وتقويم السلوك ، وتكوين الشخصية النافعة ، بحيث تكون مادة الدين والتربية الدينية أهم عناصرها البارزة ، وإحدى أسسها المتينة . كما ينبغى أن يخلص المدرسون فى أداء الامانة ورعاية الواجب الذى ارتهنت به ذمتهم أمام الله والوطن ، وأن يمثلوا القدوة الطيبة والاسوة النافعة والمثل العليا التى يحتذيها النشء ، ويرون فيها الطريق الأقوم والصراط المستقيم ، فالقدوة الصالحة أبلغ موعظة وأهدى سبيل وأثمن كتاب .

أما ثالثة الأثافى فالمجتمع الذى يموج بألوان شتى من مظاهر الفساد والتى تثير غرائز الشباب ، وترضى نزعاتهم ، فالبارات والمراقص والملاهى والسفور والاختلاط والصحافة الماجنة والأغانى الخليعة والشواطىء الفاجرة ، كلها عوامل إغراء وفتنة ومعاول هدم وسقوط ، تترك الشباب فرائس للعادات المرذولة وضحايا للنزوات الطائشة والشهوات الرخيصة ، وتخلق فى نفوسهم نوعا من التخنث والميوعة يقتل فيهم كل طموح ويدفع بهم ركضا إلى التحلل والفساد .

وأسوأ ما يبعث على الجرائم هذه الأفلام المثيرة التى يقبل الشباب على مشاهدتها فى السينما إقبال المنهوم على الغذاء والظمآن على الماء . والسينما بمالها من هذا النفوذ الواسع والانتشار الكبير كان يمكنها أن تكون أداة تهذيبية تثقيفية ، وأن تكون مرآة للواقع وصورة للحياة عن طريق علاجها للمشكلات الحيوية والأحداث البارزة حتى تكون أداة فعالة فى بناء مجد الامة وعاملا هاما له خطره فى موكب الحياة . ولكن أين ذلك ؟ والمشرفون على السينما تجار أولا وقبل كل شىء ، لا تعنيهم المحافظة على الأخلاق والآداب بقدر ما يحرصون على جمع المال والثراء ، وقد خبروا اتجاهات الشباب فعرفوا أنهم يميلون كل الميل نحو التهريج المبتذل والضحك الساخر والهراء السخيف ، فأشبعوا غرائزهم وأرضوا نزعاتهم ، من غير أن يقيموا وزنا لدين أو يرفعوا رأسا بخلق أو يحسبوا حسابا لأدب . . وبذلك فتحوا مجال الشر والفساد أمام البنين والبنات والكهول والشباب ، وأنشأوهم خلقا آخر من الميوعة والتخنث ، بعد ما استنزفوا حيويتهم وابتزوا أموالهم وأضاعوا أوقاتهم وقضوا على كل رجولة فيهم .

لا تسل عن تلك الافلام والروايات التى تمجد الإجرام وتعظم الشهوات وتهيج الغرائز الجنسية وتصور الحياة وكأنها دنيا الهوى والمتعة فحسب ، وعالم النزق والإسفاف والمجون

فحسب . . مما يكون له أثره فى النفس ووقعه فى الوجدان وسحره فى الشعور . ثم تنتقل الرواية من السينما إلى الخارج ومن عالم الخيال إلى عالم الحقيقة ومن دنيا الأحلام إلى دنيا الواقع . فيمضى شبابنا فى محاولة وبيلة هى أن يحيوا نفس الحياة التى شاهدوها . ويمارسوا نفس الأساليب التى رأوها ، وينتهوا إلى نفس النهاية التى انتهوا عندها . الأمر الذى يحطم الأخلاق ويودى بكيان الأمة إلى الحضيض . . ! !

وأخيرا فطن المسئولون إلى ضرر الأفلام السينمائية وخاصة على النشء الذين يتأثرون بها تأثرا كبيرا . فاتجهوا إلى إصدار قانون يحرم على الأحداث مشاهدة بعض الأفلام لما لها من تأثير سيء على نفوسهم وأخلاقهم .

ولئن كنا نحمد للمسئولين مثل هذا الاتجاه الحميد ، فإننا نطالبهم بتطهير السينما عامة من الأفلام الداعرة والمناظر الفاجرة والروايات المثيرة . . وأن تقوم على فكرة اجتماعية أو مظاهر أدبية أو عرض لتاريخ حامى نبيل وجهاد حربى فى سبيل الوطن والحق أو ثقافة نافعة مفيدة ، وبذلك تكون أداة توجيهية للشباب يرون فيها آمالهم وآلامهم ، وتتجاوب مع مشاعرهم وإحساساتهم ، وتعينهم على بلوغ أهدافهم .

وبعد : فهذه هى العوامل الرئيسية التى هيأت للجرائم الجو الذى تعيش فيه ، وأتاحت الفرص المواتية للشباب أن يجرموا وأن يعيثوا فى الأرض الفساد ، وفيهم من شبابهم غرائز تجمح وحيوية تثور ، فإذا أردنا أن نبقى على شبابنا - وهم عصب الحياة وعدة الوطن وذخر الأمة - فلنصلح أولا ما أفسده البيت ، وما أهملت فيه المدرسة ، وما تدهور فيه المجتمع .

وبذلك تطهر حياتنا من الجرائم ، ونصبح أمة جديرة بالتقدير والاحترام ؟

حامد محمود اسماعيل
المدرس بمعهد قنا الدينى

من كلام الأحنف بن قيس

ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : شريف من دنىء ، وبر من فاجر ، وحليم من أحمق .

لا إخاء لملول ، ولا خلة لبخيل .

لأفعى تحكك فى جوانب بيتى أحب إلى من أيم قد رددت عنها كفؤا .

الاجتهـــــاد والتقليد

من المعلوم بداهة عند الفقهاء أن لله تعالى فى كل حادثة وكل فعل من أفعال العباد حكما شرعيا ، فإن لم يكن فى القرآن الكريم أو فى السنة الصحيحة أو فى الإجماع فلا بد وأن يكون فى اجتهاد المجتهدين ، لأنه لايخلو فعل من الأفعال من أن يتعلق به حكم من الأحكام الخمسة ، وإلا لاختلط الحلال بالحرام ، والمأمور به بالمنهى عنه ، وأصبح الناس فى حالة تشبه حالة الفترة التى انقطع فيها وجود رسول من الرسل يبين شرع الله لعباده ، وهذا قول لا يستسيغه مسلم ولا يستطيع فقيه أن يقول به ، خصوصاً فى شريعة هى خاتمة الشرائع ، ورسولها خاتم الرسل ، كتب الله لها البقاء والخلود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وذلك مما يوجب علينا ونحن بصدد الكلام على الاجتهاد والتقليد أن نبين فى وضوح - بمقدار مانستطيع - حكم الاجتهاد . وهذا أمر ضرورى يميط لنا اللثام عن هذه القضية حتى يسفر وجهها وضاء الجبين ، ليتبين لكل منصف الحد الذى يجب عليه أن يأخذ به إن أراد الفلاح ، أو ينكص عنه إن ألم به فزع من الشيطان أو طاف بخياله وهم من الاوهام ، فزلت قدمه عن سلوك محجة الأمان والاطمئنان ، « إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » .

وللعلماء فى حكم الاجتهاد تقسيم وحصر يجمل بنا أن نسوقه حتى لاتتشعب المسالك على القارىء . فتراهم تارة يجعلون الاجتهاد من فروض الكفايات . ومن الواضح فى تعريف فرض الكفاية أنه إذا توفر عليه وقام بتحصيله واحد أو أكثر ممن كان من أهله سقط الفرض عن الجميع ، وإن قصر فيه أهل عصر أثموا وعصوا بتركه ووقع الجميع فى خطر عظيم وإثم كبير ، لأنهم انحرفوا عن جادة الصواب وقصروا فيما تتطلبه الحياة ويقتضيه نظام المجتمع ، وتسببوا فى جعل حياتهم فوضى لاتستند إلى دعائم تقيم أركانها وتحفظ كيانها كأمة أو جماعة تريد تحقيق حكمة الله تعالى من خلافة البشر فى الأرض وبسط جناح الرحمة على الناس . فالأحكام الشرعية الاجتهادية ناشئة منه ومترتبة عليه ترتب المسبب على السبب فإذا لم يوجد السبب فقد المسبب ، فنى فقد الاجتهاد فقد للأحكام ، واختلاط

للحلال بالحرام ، وفى وجود المجتهد عصمة للأمة وملاذ للمكلفين وبيان لأحكام الله فى أفعال عباده المؤمنين .

ولخطورة هذا البحث وتطلع كل محب لمعرفة أحكام أفعاله قام فقهاؤنا بتلمس العلاج والوقوف على حقيقة الأمر فى هذه القضية ، لأنها تنادى وتلح فى أن تعرف منزلتها وترمق مكانتها عند العلماء - وقد رأيناهم ينظرون إليها نظرات مختلفة فيعرضها بعض المؤلفين على الوجه الآتى :

(اختلف العلماء فى جواز خلو العصر عن المجتهدين أو عدم خلوه ، فذهب جمع إلى أنه لايجوز خلو الزمان عن مجتهد قائم بحجج الله يبين للناس ما نزل إليهم ، وبه قالت الحنابلة ، ويدل على ذلك ماصح عنه عليه الصلاة والسلام من قوله « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ») .

وقد حكى الزركشى فى البحر عن الأكثرين أنه يجوز خلو العصر عن المجتهد ، وبه جزم الرازى والرافعى والغزالى . وقال بعض الأصوليين : « لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة فى كل وقت ودهر وزمان » ورجح ذلك ابن دقيق العيد .

والذى أراه وأظن أن القواعد العامة للشريعة الإسلامية وتجدد الحوادث ونشوء النوازل وتاريخ التشريع الإسلامى وما كان يجتهد فيه الخلفاء الراشدون ومن بعدهم وتاريخ التشريع فى القرون الأولى وفى أيام مجد الإسلام وعزته وقوته ، كل أولئك يقتضى ضرورة عدم خلو العصر من مجتهد . ووقوف العلماء مكتوفى الايدى ، خرس الألسن ، لا يستطيعون إجابة السائلين ولا بيان أحكام رب العالمين ، لا يرضاه منصف ولا يستسيغه مفكر .

وتارة أخرى يصبح الاجتهاد فرض عين على المجتهد وضربة لازب لا يستطيع الفكاك عنها ، ويكون توليه عن الإجابة وكفه عن الاجتهاد شبيها بتولى الجندى عن القتال عند لقاء العدو ، لأن كلا من المجتهد والمجاهد فى تلك الحالة قد أهمل استعمال ما أنعم الله به عليه وما أعده له ، فالجندى المجاهد أعد للطعن والنزال واستعمال قوته الجسمانية ، والفقيه قد قعد عن استعمال ما كرمه الله به من رجاحة العقل ، وفطانة اللب ، وكل واحد منهما قد خان الأمانة التى ائتمنه الله عليها ، فهو بعيد عن رحمة الله قريب من غضبه . والحالة التى تتعين على المجتهد أن يقوم ببذل جهده لاستنباط حكم الله فى الحادثة التى عرضت عليه هى : ما إذا لم يكن هناك إلا مجتهد واحد ويخاف السائل فوت الحادثة التى نزلت به وعدم وقوفه على حكمها .

وطورا آخر يصبح الاجتهاد مندوبا إذا قام به المجتهد قبل نزول الحادثة ووقوع النازلة تحصيلا لأحكام الحوادث قبل نزولها .

وقد تصدى كثير من الفقهاء مستعملين قرائحهم مفكرين فيما سيجد من الحوادث اعتقادا منهم أن الفلك دائر ، وأن الزمان متجدد ، وأن الليالى من الزمان حبالى تلدن وقائع وتنجبن حوادث لم ير الزمان الماضى مثلها ، فهم يعدون العدة ويتخذون للأمر ما يتطلبه ، فهم أشبه بالجنود الذين يتصورون معارك لم يسبق لهم مثلها ، ويفكرون فى حروب لم يركضوا فى ميدانها ، فيأخذون فى الأهبة والاستعداد لمواجهة العمل فى كل ميدان . وهؤلاء المجتهدون قد قاموا باستنباط كثير من أحكام الحوادث قبل وقوعها ودونوها فى كتبهم لجاء من بعدهم ووقف على تلك الذخيرة فأسعفته فى كثير من الأحيان وأراحته من عناء البحث ، وعناء التنقيب والاستقراء والتطلع إلى استنباط الأحكام .

وطورا آخر يصير الاجتهاد محرما إذا كان اجتهادا فى مقابلة دليل قاطع من نص أو إجماع .

وقد عرف المجتهدين منذ عرف الاجتهاد مدرستان متمايزتان ، لكل منها ميدان تعمل فيه وتجد وتجتهد فى تمكين دعائمه وتوضيح معالمه : فهناك مدرسة الحديث ، وهناك مدرسة الرأى ، فمالك رضى الله عنه فى المدينة يتزعم مدرسة الحديث ، يتمسك بالعمل به ولا يحيد عنه ، وينضم إلى تلك المدرسة وينخرط فى سلكها ويدور فى فلكها أصحاب الشافعى وأصحاب سفيان الثورى وأصحاب أحمد بن حنبل وغيرهم ممن ركن إلى استنباط الأحكام من الأحاديث .

ومنشأ وصف هذه المدرسة بالمدرسة الحديثية أن جل عنايتها وغاية قصدها تحصيل الأحاديث وجمع الأخبار ، وتتبع الآثار والتوفر على الإحاطة على قدر الطاقة بالسنة النبوية قولية كانت أو فعلية أو تقريرية . فلعمل أهل المدينة عندها مكانة ملحوظة ، ومنزلة رفيعة ، فلا سلوك للقياس فى هذه المدرسة عند وجود خبر أو أثر . حتى لقد روى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : « إذا وجدتم لى مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبى فاعلموا أن مذهبى الخبر ، وسلك تلاميذه ومن بعدهم ممن اتبعوا مذهبه ذلك النهج فهم قد حصروا اجتهادهم فيما نقل عنه توجيها واستنباطا دون خروج عن قواعده أو زيادة على أصوله التى بنى عليها مذهبه .

ولمدرسة الرأى بالعراق زعيمها أبو حنيفة النعمان بن ثابت وأصحابه الذين أخذوا طريقتهم عنه . وقد كان شعارهم الذى اشتهر عنهم وأصبح لازمة من لوازمهم قول أبي حنيفة : (علمنا هذا رأى ، وهذا أحسن ما قدرنا عليه ، فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى ولنا ما رأينا) .

وقد أخطأ بعض الناس فى فهم مدلول هذه العبارة وفهم منها أن أبا حنيفة يرفض الاحاديث كلها جملة وتفصيلا ، والمطلع على قواعد أبي حنيفة فى استنباط الاحكام يرى أن للسنة مكانتها السامية عنده ، بل يراه قد تمسك ببعض الأحاديث المرسلة لبعض المحدثين على حين أن غيره من مدرسة الحديث يرفضها ، فأبو حنيفة فى الواقع متمسك بالأحاديث حريص عليها حفيظ على معانيها وما دلت عليه ، لكنه كان بعيد النظر واسع الأفق ينظر إلى المستقبل وتجدد الحوادث ، فأعد لها العدة إذ كان لا يغيب عنه ولا يغرب عن فكره أن النصوص من الكتاب والسنة محدودة محصورة ، وما تأتى به الايام وما تلده الليالى من النازلات غير محصور ، فكيف توفى هذه النصوص المحصورة أحكام الحوادث التى لا تتناهى ولا تنحصر فى حد معين . وسميت هذه المدرسة بذلك الاسم لان أكثر همها وأعظم عنايتها واستفراغ جهدها كان فى تحصيل وجه القياس والمعنى المستنبط من الاحكام المنصوصة وبناء الحوادث عليها .

وقد كان للحرية الفكرية التى جعلها أبو حنيفة شعاراً لمذهبه أثر عظيم فى أصحابه وتلاميذه ، فزادت المذهب خصبا ونموا وقوة وربما كانت هى السبب فى أن أصبح هذا المذهب قوى العارضة مكين الحجة قادراً على مواجهة الحوادث وإخضاعها للأحكام الشرعية وللقواعد الاصولية ، وربما كانت هى السبب فى ظهور أصحاب أبي حنيفة وإلباسهم ثوب الاجتهاد المستقل فى بعض المسائل . وكتب الفقه الحنفى مليئة بأقوال ترجح فيها رأى الصاحبين لملاءمته للحياة ومناسبته لها .

وبعد أن بسطنا القول فى حكم الاجتهاد ، ووجوب قيام مجتهد فى كل عصر ، نذكر كل من ألقى على عاتقهم عبء هذه الشريعة ، بأن من الواجب ألا يغفل عن إعداد العدة وتهيئة الفرصة والأخذ بالوسائل القريبة والبعيدة وجمع شمل العلماء فى جميع البلاد الإسلامية وتوحيد كلمتهم حتى يبقى سلطان هذه الشريعة وحتى يوفى لهذه الأمانة حقها ، والله المستعان وهو على كل شيء قدير ؟

عبد الله المراغى

سـعيد بن المسيب

جلس فى نافذة فى قصره تطل على المروج الخضراء والجداول الرقراقة الجارية ، وسرح نظره فى الافق البعيد . ثم ارتد إلى السهول والوديان ، وارتفع إلى الجبال الشاهقة ، وقد اعتجرت بعمائم الثلج .

ورأى العربى جمالا متدفقاً ، وحسناً باهراً ، ورجع خياله إلى البادية ، إلى المفازة التى ليس فيها إلا خشونة العيش وجفوة الطبيعة وأصوات القطا . . . . . . إنه كان يسكنها من قبل !

ما أجمل دمشق ، وكيف لاتكون دمشق كذلك ؟! وهى إحدى منازه الدنيا ، وجنات الحياة !

وتولد من هذا المشهد عزم فى نفسه ، ودارت دورات الفكر فى ذهنه ، إنه كان قد أمر أن تهدم بيوت أزواج النبى ﷺ ، وتدخل فى ساحة المسجد فتتسع للمصلين بعد أن استفحل عمران المدينة وزاد عدد سكانها ، وأرسل إلى ملك الروم ، ليرسل إليه الذهب والفسيفساء والعمال ، لبناء مسجد رسول الله .

كان قد أمر بذلك كله . . . . فهل يا ترى تم ذلك أو لم يتم ؟!

إنه وهو فى غوطة دمشق يفكر فى مسجد خاتم النبيين محمد النبى العربى فى المدينة ، وفى استطاعته أن يرسل إلى عامل المدينة عمر بن عبد العزيز ليحيطه بأنباء ذلك كله . . .

ولكنه فتى عربى . . . . أبى إلا أن يضرب العيس ، ويجوب الموماة ، ليشهد ذلك بعينه ، وليسرح فيه بصره ، كما يسرحه الآن فى خمائل دمشق وغياضها .

ووقف فى ساحة قصره ، ونادى حاجبه .

وأقبل حاجبه مرتعشاً متلعثما . . . . ما الخبر يا أمير المؤمنين ؟!

قال الوليد بن عبد الملك :

لقد نويت أن أحج هذا العام ، فأعدوا العدة لذلك .

وخرج مع أمير المؤمنين الوليد رجالات قريش ، وعظماء الدولة ، وأمراء الشام ، ومصر ، وفارس ، والعراق ، وفرش الطريق أمامه بالورد والريحان ، وساروا على بسط آذربيجان ، والتحفوا بديباج كسرى أنو شروان .

وسار الموكب سيراً هادئاً رتيبا ، تحف به نسائم تهامة ، وتستقبله برودة الطائف ، وتسير الإبل يحدوها الحواد بأنغام فيها شجو البلابل ، وسجع الحمائم ، وأطل القمر من السماء وأرسل شعاعه الفضى على هـذه الكوكبة ، التى تريد الحرم والظاعنة إلى مكة ، والتى تبدو فى غمار الليـل ، وفى وسط صحراء العرب ، كمجموعة العصافير التى تحوم فى وسط السماء .

واقترب الركب من المدينة ، وعلم به عمر بن عبد العزيز ، فأرسل إلى عشرين رجلا من وجهاء قريش وأعلامها ، ليخرجوا معه فيستقبلوا ابن عمه أمـير المؤمنين الوليد ابن عبد الملك ، واهتزت المدينـة لقدومه ، وبدأ الرجال والفتيان والنساء كتائبهم لمشاهدة موكب أمير المؤمنين أعظم ملوك الأرض يومئذ .

وخرج عامل المدينة ، وأصحابه إلى « السويداء » [1] للقاء أمير المؤمنين وقد امتطوا دوابهم وخيلهم .

وأقبل الخليفة من بعيد راكبا . . . وأسرع إليهم حاجبه قائلا : انزلوا لأمير المؤمنين .

فلما نزلوا حيوه ، وتلقوه بالبشر والتسليم ، ثم أذن لهم فركبوا ، ودعا الوليد عمر ابن عبد العزيز وسايره حتى نزل بـ « ذى خشب » [2] وضربوا للوليد قبة واسعة الأطراف ، بعيدة الأكناف فلما ضربوها أذنوا للرجال ، رجلا رجلا فسلموا عليه بالإمرة مصافحين ، ثم دعا بالغداء . فتغدوا على مائدته ، وأتحفهم بفواكه الشام وطائف خراسان .

واتجه إلى المدينة وفى ذهنه صورة لمسجد الرسول وبنائه ، وعما تكون عليه حاله .

ودخل المسجد ، فرأى بهاء وفخامة وروعة تأخذ بمجامع النفس والقلب والبصر ، وتبسم ضاحكا . . . ما أعجب هؤلاء الرومان ، لقد بق فيهم عبقرية جن سليمان . وأخلى للخليفة المسجد إلا رجلا ضعيف الجسم ناحله ، لم يهتز للوليد ، ولم يسع إليه ، ولم يجترئ

(١) ، (٢) مكانان قريبان من المدينة .

أحد من الحرس أن يخرجه ، تراه العين فتزدريه ، فهو رجل فقير عليه ربطتان لا تساويان إلا بضعة قروش أو خمسة دراهم ، وهو فى مصلاه يسبح بحمد ربه ويقدس له .

وعامل الوليد بالمدينة يسايره فى المسجد ، وينظر إلى الرجل وقلبه يدق دقا عنيفا . . . ولكنه يصمت . . .

قالوا لسعيد : لو قمت إلى أمير المؤمنين !.

قال : والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه .

قالوا : فلو سلمت على أمير المؤمنين .

قال : والله لا أقوم إليه .

وجعل عمر بن عبد العزيز يعدل بالوليد فى ناحية المسجد حتى لا يرى سعيداً . وحانت من الوليد نظرة ... نظرة إلى القبلة . فقال : من ذلك الجالس !؟ .

قالوا : سعيد بن المسيب

قال : شيخ الناس ؟!

قال عمر : نعم يا أمير المؤمنين ، قائم الليل ، وصائم النهار ، وحافظ الكتاب ، ومحدث السنة ، وإمام الدين ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، ولكنه لم يرك لضعف بصره .

قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه .

ثم دار فى المسجد حتى وقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد .

فقال : كيف أنت أيها الشيخ !؟.

ولم يتحرك سعيد أو يقم .

قال سعيد : بخير والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين ، وكيف حاله ؟! .

قال الوليد : بخير والحمد لله .

وانصرف الوليد وهو يقول لعمر:

هذا بقية الناس .

قال عمر : أجل والله يا أمير المؤمنين ؟

عبد الله قاسم صقر
المدرس ببور سعيد الثانوية

مؤتمر اسلامى فى اندونيسيا

يقرر بأن الشيوعية دين يخالف دين الاسلام

عقد مجلس رجال الدين من الجمعية الإسلامية المنتسبة إلى حزب مسجومى فى اندونيسيا مؤتمرا فى مدينة باندونج ، قرر فيه العمل وفق « الفتوى » التى أصدرها زعماء الحزب الدينيون فى أندونيسيا والتى تقضى باعتبار العقيدة الشيوعية « حراما على كل مسلم ومسلمة » .

ولقد تناول البحث فى المؤتمر المذكور الذى ترأسه الأستاذ حسن بن أحمد موضوعات تركزت حول النقاط التالية :

ان نضال المسلمين فى أندونيسيا لتأسيس دولة إسلامية قد ناهضه آخرون تحت قيادة الحزب الشيوعى الأندونيسى .

ان الكثيرين من الذين يدعون بأنهم مسلمون قد أصبحوا أعضاء فى الحزب الشيوعى ، والأكثرية من المسلمين الذين أصبحوا أعضاء فى ذلك الحزب لا يفقهون - على ما يبدو - طبيعة العقيدة التى يدين بها الحزب .

ولقد ذكر المؤتمر أولئك الذين أخذوا بمبادىء مثل تلك العقيدة الشيوعية بأن القرآن الكريم قد تحدث كثيرا عن أولئك الذين يتنكرون لكتاب الله . واستشهد بما يلى من آيات الذكر الحكيم :

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فأن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيرا من الناس لفاسقون » . المائدة . آية ٤٩ .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » . المائدة : آية ٤٤ .

« أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » المائدة : آية ٥٠ .

« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » النور : آية ٥١ .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » الأحزاب : آية ٣٦ .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » النساء : آية ٦٥ .

« إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » . المائدة : آية ٥٥ .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » المجادلة : آية ٢٢ - « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » البقرة : آية ٨٥ - « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » - البقرة : آية ٨٦ - « ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » - النساء : آية ١٤٩ - ١٥٠ -

هذا وقد اتخذ المؤتمر القرارات التالية :

« إنه لواجب على كل مسلم أن يؤيد القانون الإسلامى فى نفسه وفى المجتمع وفى الدولة »

« لقد أفتى بأن الدين يحرم على المسلمين الانتماء إلى أى حزب أو أية منظمة تناهض عقيدتها تعاليم الإسلام وشريعته أو تعارض فى تنفيذ القانون الإسلامى » .

« إنه لواجب على المسلمين الاتصال بإخوانهم المسلمين الذين انتموا إلى أى حزب أو منظمة تناهض عقيدتها تعاليم الإسلام وشريعته وتقاوم تأسيس دولة إسلامية علهم يرجعون إلى الصراط المستقيم ، ويساهمون فى الجهود الرامية إلى تأسيس دولة إسلامية » .

أما إذا آثروا - رغم جميع الاتصالات والالتماسات - أن يبقوا منتمين إلى حزبهم أو منظمتهم ، مقتنعين بأن عقيدة الحزب إنما هى أفضل وأصح من العقيدة الإسلامية (التى هى من عند الله) فمعنى ذلك أنهم قد ارتدوا عن الإسلام .

هؤلاء المرتدون عن الإسلام لا يمكنهم فى حالة الوفاة أن تشيع جنائزهم ويدفنوا حسب الشريعة الإسلامية . كما أنه حرام على المسلمين أن يتزوجوا من هؤلاء المرتدين ؟

تعليقات

— ١ —

عبد الله جابر الصباح

من هو ؟

رجل تجذبك إليه روح طيبة ، وظل خفيف ، ويعجبك منه أدب جم ، وخلق إسلامي صادق .

وقد يغنيه ما أحرزه من تلك الصفات عن محامد أخرى ... ولكن الرجل يحمل معها لقب الإمارة ، وعنوان الوزارة ... فهو أمير عربي من أمراء الكويت ، وهو وزير معارفها .

ولكنه يدخل إلى نفسك من طريق التواضع والحياء ، لا على حساب الإمارة ، ولا من طريق الكبرياء ، وهو يشغل من قلبك مكانة الحب المكتسب لا الحب المصطنع .

وقل من يرقى في قلوب الناس إلى هذه المنزلة وإن يكن أميراً أو وزيراً .

تردد هذا الأمير على مصر ، ويتصل بوزرائها ، ويجالس إلى علمائها ... وكلهم يستريح إلى شخصه ومجلسه أكثر ما تكون الراحة إلى الأمراء ، وأكبر ما تكون الغبطة بمجالس العلماء .

ولقد عرف هذا الأمير العربي بأدبه وفضله أن يفتح قلوب المصريين لمحبة بلاده ، وأن يجدد لنا صلة مع إخواننا أهل الكويت ، صلة الأخوة التي حجبتها السياسات الآثمة ، وكادت تذهب بها القطيعة في ظلمة العهود الغاشمة .

فأصبحت مصر والكويت ـ بفضل ما يتعهده أمثال الأمير عبد الله جابر ـ على محبة الأخوة الصادقة ، ووفاء العروبة المشهود .

وقد كان من بوادر النبل في صنيع الأمير أن تبرع من خالص ماله بنحو من عشرين ألف جنيه لجهات الخير في مصر منها عشرة آلاف جنيه لطلاب الأزهر ، على أن توزع بين من يستحقون التشجيع من شباب هذه الجامعة الإسلامية .

وقد عشنا طويلا في جـــوار أمراء مصر ـ كانوا ـ فما أحسسنا منهم بود ، ولا شعرنا لهم بوجود ، وإنما ابتليت بهم البــلاد ، فكانوا عليها لا لها ، وكانوا

يستدرون خيرها ، ويكفرون فضلها ، ويحقدون عليها ، ويسيئون إليها ، فما سمعنا يوماً أن واحداً منهم حمل عنها رسالة محبة إلى شعب آخر ، ولا نقل إليها عاطفة مودة من أمة ثانية ، ولا فكر فى أن مصر عربية شرقية مسلمة لها وشائج تربطها بدول أخرى عربية شرقية مسلمة ، ولا عمل أحدهم ولا جماعة منهم على توثيق الصلة بين مصر وأخت من أخواتها فى العروبة والإسلام ، وكيف كان يخطر لواحد منهم شىء من ذلك ودمهم غير عربى ، ونشأوا فى رقعة غير شرقية ، وشبوا فى جو غربى ، فليست بيننا وبينهم وشيجة إلا وشيجة الدين ، وهذه كانت عندهم أوهى من خيوط العنكبوت ، وما حرصوا عليها إلا كما يحرص التاجر على أسباب ربحه وأدوات كسبه ، لقد أثرى منهم من أثرى حتى طفحت مصر بثرواتهم ، وطالت بهم الأيام حتى ضجرت مصر من طول مقامهم ، وهم مع ثرائهم وطول مقامهم لم تجنح بهم العاطفة نحو فقير ليقتات ، ولا نحو مؤسسة لتسد فراغا فى حياة المجتمع .

وكل ما تذكره لهم مصر فى حياتهم الطولى أنهم زرعوا فيها المفاسد ، وخلطوا قوميتها بعادات ليست لنا . وعاشوا فيها خصوما لها وحربا عليها .

ثم كان الله لمصر وهى وطن إسلامى ، ومعقل حصين للقرآن ، ومنارة شامخة للدعوة والهداية إلى شريعة الله ، فاستلب نعماءه من أمرائها ، وقوض عليهم سلطانهم ، وكسر شوكتهم ، وبدد جمعهم فى أودية مترامية عن بعضها .

تنفست مصر من كربها بعد اندحار مليكها الطاغية واستئصال هذه الأرومة الخبيثة .

واستطاعت مصر أن تنهض فى شموخ بعد طول صبرها على طغاة تجبروا عليها ، وكبلوها فى قيود الاستعمار أزمنة طوالا ، وعرفت مصر فى ضوء ثورتها أن تسترد كرامة مسلوبة ، وأن تتغنى صادقة ببطولة أبنائها ، واستعادة مجدها قشيبا كما كانت تود وتتمنى .

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر ، فأولئك كانوا أمراء فى وطن رحيب ودولة عريضة ، وضيف مصر أمير فى شعب محدود ووطن غير فضفاض ، ولكن أين أولئك الكثيرون فى مصر - كانوا - من هذه القلة فى الكويت ؟ . ومادام فى الكويت أمثال عبدالله الصباح وأسرته ، وماداموا على ما شهدنا وسمعنا ، فإن الله معهم ، وستأخذ الكويت حظها من التقدم والنهوض ، والملك لا يحميه أهله بالسلاح والكثرة مثل ما يحمونه بالعدل والأخلاق والدين .

— ٢ —

حول جامعة للفتيات

كثيرا ما سمعناك هازلا يا دكتور طه حسين .

فهل نسمعك — دائما — جادا ؟ ؟

لقد فاتك زمن العبث ، وخاضت بك الشيخوخة فى مسالك الجد ، ولكنك تتصابى وتأبى إلا المجون ، ويبدو من حرصك على قديم عادتك ، ودأبك على اللجاجة فيما أنت مفتون به ، أنك لم تعد ترجو لمصر أن تعيش مسلمة كما عاشت ، ولا أن تجنح إلى دينها مهما أحبت ، ولا أن تحتفظ بشرقيتها وإن كانت نقطة الارتكاز بين شعوب الشرق ، أو كانت ملتقى العروبة من كل واد .

وما نسى الناس مذ عرفوك أنك تبتغى مصر حاكية لأية جهة غربية ، وإن كانت تلك الجهة مدينة لهو ، وبؤرة فساد ، ومنشأ ضلالات ، حتى إذا وجدت القرآن يقف فى سبيل أمنيتك ، فالقرآن يكون غير حجة ملزمة ، والأخذ به عندك تردد فى المسير ، وسقوط فى الهاوية .

وشىء من تلك الرجعية يعض نفسك أسفا على مصر ، لتخلفها عن متابعتك .

وأنت تشهد الناس فيما تدعو إليه أنك تصلح من شأن مصر ما لم يصلحه الدين ، وتضفى عليها شعاراً ثقافياً لم تتوشح به مصر من قبل ، ولا يظفر به الشعب لو لم يقده طه حسين إلى حيث يريد . هكذا يقول الدكتور العميد !! فى مقاله الذى صرخ به فى وجه العاملين على إنشاء جامعة خاصة بالفتيات ، وهو مقال من تلك المسمومات التى ينفثها الدكتور طه كلما أحس من الناس غيرة دينية ، أو سمع بدعوة إلى غير ماينزع إليه . وهو الرشيد الذى أوصاه الله بهذه الأمة !! . . .

كان الدكتور طه أول المازجين بين الشباب فى دور العلم يوم كان مهيمناً على إحدى الكليات . ثم كان أول المتعثرين فى مزلات هذا الرأى : إذ فوجىء سريعاً بغير ما كان يظنه ، أو كان يظنه ويتوقعه ولكن كان يتوهم إخفاءه ، أو يحاول إرضاء الناس به ، ولما ثار الشباب الجامعى يوما لسوء ما يرونه بينهم ، وحاول هو أن يتنصل من العلم بذلك ، أخرسه الدكتور منصور فهمى بالحجة من واقع الأحداث فى كليته وتحت سلطانه ، غير أن استرسال السياسة

الموجاء فى مصر طغى على صيحات المتشائمين لهذا الاختلاط ، وشغل الناس عنه شاغل من ظروف المجتمع ، أو رضخ بهم إلى الاختلاط يأس من مقاومته وإصلاحه ، إذ كان يؤازر الاختلاط نفوذ الأدبيين فى تلك الآونة .

ولما أتيح لزعيم الاختلاط أن يتبوأ كرسي المعارف بعد ، راق له أن يعلن نزعته تلك بحفلة راقصة دعا إليها فتيات أسبانيات ، وجمع إليهن شباب الجامعة ومن تراكم حولهم من طبقات ، فكانت الفضيحة المخزية فى وضح النهار ، وطبعاً سمع بها فى ساعتها وفى مكانها دكتور الاختلاط طه حسين .

وأخيراً جنح المصلحون فى عهد الثورة إلى انتشال الكرامة ، واستئصال الميوعة من صفوف الشباب الجامعى ، وتركيز الحياء بين الناشئة فى الجيل الجديد ، بإنشاء جامعة خاصة بالفتيات .

وفى هذا ما فيه من السبق إلى أسمى هدف من أهداف الثورة ، وهو تنشئة المجتمع الصالح ، ومن التيسير على الأسر جميعها أن تأمن على بناتها خطر التعليم العالى المختلط الذى شرعه واستمات فيه عميد الأدب !!.

إذ لا يستطيع الدكتور طه ولا أضرابه أن ينكروا أن أسرا كثيرة تستحى إلى اليوم أن تزج ببناتها وسط الشباب ، أو ينكروا أن اختلاط الجنسين كان مشأمة تغلغل شرها فى الوسط العائلى ، بعد أن تسربت نزعة الاختلاط الجامعى إلى البيوتات بما فشا فيها من التقاليد الجامعية .

ولسنا وحدنا الذين نأسى لأن المرأة أصبحت عارية ، وأنها تسير إلى جانب الرجل وتزاحمه فى شكل أفضح مما لو كانت فى الخلوة الزوجية ، ولكن الناس مغلوبون على أمرهم .

يا دكتور طه !! صدقنى أن منظر المرأة والفتاة أصبح فى مصر مخزاة ، وأصبح سبباً فى بوار الصالحات للزيجة ، فتعطل مستقبل عزيز عليهن .

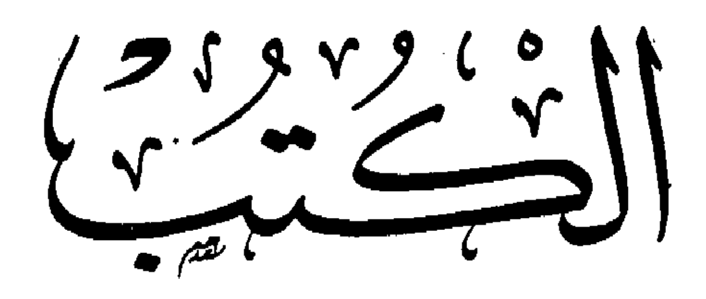
وما جنى على الفتيات وأكسدهن غير فتنة الفاتنين لهن من دعاة الاختلاط الذى زعمه الزاعمون حرية ونضوجاً .

يا دكتور طه !! عشت طويلا فى موجات حزبية مضطربة ، وانسجمت فى عهود متقلبة ، فكان لصوتك مجال ، ولقلمك صيال ، ولرأيك أنصار .

وأنت اليوم فى عهد ثورة إصلاحية قامت لتنقض الفساد من أساسه ، وتبنى صرح الأخلاق على دعائم قوية من التربية الحقة الصحيحة ، فدع زمن غيرك لغيرك ، وحسبك ما قدمت يداك؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء



قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة

لشيخ الإسلام ابن تيمية — ١٧٥ ص — المطبعة السلفية

الإسلام هو الذى كان عليه المسلمون فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل به الصحابة بعده وتلقاه عنهم التابعون لهم بإحسان ودعا إليه الأئمة المتبوعون ، فكل ما ينسب إلى الدين وكان مما ثبت العمل به فى صدر الإسلام والأجيال الثلاثة الأولى فهو الإسلام ، وما انحرف عن ذلك فالخير كل الخير بالعدول عنه والرجوع إلى فطرة الإسلام الأولى ونصوصه الثابتة التى حفظها الله فى كتابه وفى دواوين السنة الصحيحة .

والذى نشر إلى الآن من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية قد امتاز ببيان ما كان عليه الإسلام فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والأجيال الثلاثة الأولى مؤيداً بالنصوص الصحيحة معزوة إلى مصادرها الموجودة فى أيدى المسلمين والمعمول بها من أئمتهم فى أزمنة الخير . ومنها هذا الكتاب النفيس الذى يعلن أن وسيلة المسلم إلى ربه طاعة الله والعمل الصالح وحسن الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وأن شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لأهل الذنوب من أمته متفق عليها ، وأن من تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال ، وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهى بدعة سيئة وضلالة باتفاق المسلمين ، وحديث ابن مسعود . خط لنا النبى صلى الله عليه وسلم خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ، وقال (أى عن الخط الأول) : هذا سبيل الله . (ثم قال عن الخطوط الأخرى) : وهذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » . والكتاب يدور حول بيان الشرع الأعظم الذى دل عليه النبى صلى الله عليه وسلم بالخط الأول ، وبيان بنيات الطريق المنحرفة عن الخط الأول وهى سبل الشيطان .

وقد جرب المسلمون فى تاريخهم أن الخير كل الخير فيما كان عليه المسلمون فى الصدر الأول ، فالخير كل الخير فى الكتب التى تدل على ما كان عليه الإسلام فى ذلك الحين ، وهذا الكتاب فى طليعتها ، وقد طبع طبعا نفيسا على ورق جيد ، وصححت فيه أخطاء الطبعات السابقة ، فتلفت الأنظار إليه .

حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة

للأستاذ محمد ناصر الدين الألبانى — **١٠٤ ص** — المطبعة السلفية

الشيخ محمد ناصر الدين الساعاتى عالم ألبانى اختار الهجرة إلى دمشق والإقامة فيها وخدمة السنة المطهرة من ينابيعها الصحيحة ، وقد نشر له منذ عهد قريب رسالة فى (حجة النبى صلى الله عليه وسلم) وهى حجة الوداع كما رويت فى الأحاديث الصحيحة ، وهذا كتاب آخر له عن حجاب المرأة المسلمة استقصى فيه ما ورد عن ذلك فى كتاب الله ومتون الأحاديث ليكون المسلمات على بينة من الزى الإسلامى الذى ينبغى لهن توخى مرضاة الله بالرجوع اليه فيكون زينة لهن يوم يعرض الناس على الجنة أو النار ، وقد ذكر المؤلف للحجاب الإسلامى ثمانية شروط : أن يستوعب جميع البدن إلا ما استثنى ، وأن لا يكون الثوب زينة فى نفسه ، وأن يكون صفيقا لا يشف ، وأن يكون فضفاضا غير ضيق ، وأن لا يكون مطيبا ، وأن لا يشبه لباس الرجل ، وأن يبتعد به عن التشبه بالأغيار ، وأن لا يكون الثوب لباس شهرة يلفت الأنظار .

وإن المرأة المسلمة إذا وقفت من هذا الكتاب على نصوص الإسلام فيما ينبغى لها أن تكون عليه فى لباسها وصونها ستتبين لها المسافة البعيدة فيما بينها وبين ما يحبه الله لها ، وسيحملها ذلك على الاعتدال تقربا إلى الله وإلى الزى الذى يحبه لها الله ، وقد أحب الله لها ذلك ابتعاداً بها عما يؤذيها ، ودلالة لها على الطريق إلى السعادة البيتية والهناء فى حياة الأسرة ، وهى متعة نسيها الجمهور الأعظم من نساء المسلمين منذ انغمسن فى تيار الإغراء الأجنبى فصرن إلى ما هو مشاهد الآن من بذخ ولهو وتحلل وقلق لن ينقذهن منه ويعيدهن إلى السعادة والهناء إلا الرجوع إلى حظيرة الإسلام .

بشار بن برد

للدكتور طه الحاجرى — ١٠٤ ص — دار المعارف بمصر

هذه هى الحلقة الثامنة من سلسلة نوابغ الفكر العربى ، ألم فيها الدكتور طه الحاجرى بعصر بشار ، فتكلم على الحياة الاجتماعية والحياة السياسية فيه توطئة للكلام على الحركة الفكرية وما تنطوى عليه من الحياة العقلية والحياة الأدبية .

ثم انتقل إلى حياة بشار ، وشخصيته ، وصلته بسياسة عصره حتى كان فى خلافة المهدى من شعراء قصر الخلافة المبرزين برهة تغير حال الخليفة عليه بعدها لأسباب منها تشبيبه بالنساء ، فعاد إلى البصرة يطلق لسانه بالطيب والخبيث من نفثات شعره إلى أن أسندت إليه تهمة الزندقة فانتهت بذلك حياته التى تنم عن طبيعة الاستخفاف والسخرية ، وعن الشاعرية الهاجية الساخرة .

وفى فصل من الكتاب تناول الدكتور الحاجرى الكلام على آثار بشار ونواحى شعره ، وعقد بعده فصلا لمنتخبات من آثاره ، وبذلك جلا لهذا الشاعر النابغة الساخر صورة من حياته أبرزته للناس كما هو .

النحلة الأحمدية وخطرها على الاسلام

للأستاذ محمود الملاح — ٨٨ ص — مطبعة أسعد فى بغداد

من النحل المعاصرة التى غذاها الاستعمار وشجعها وبادلها وفاء بوفاء النحلة التى ابتدعها غلام أحمد القاديانى (١٢٥٢ - ١٣٢٦ هـ) وافترقت بعده فرقتين إحداهما بزعامة ابنه محمود بشير الدين وتسمى القاديانية ، وهى تصرح بما كان يصرح به أبوه من أنه نبى يوحى إليه ، لكنه بزعمهم نبى محمدى كما كان الأنبياء بين موسى وعيسى أنبياء موسويين . أما الفرقة الأخرى فهى التى بزعامة محمد على اللاهورى ، وقد تهربت من عنوان القاديانية بعد افتضاحه بين المسلمين فانتحلت اسم (الأحمدية) ، وهى أخطر من الفرقة الصريحة لأنها اصطنعت نافقاء تهزأ بها من ضعاف العقول فتزعم لهم أن غلام أحمد القاديانى كان مصلحا ولم يكن نبيا . لكن مؤلفات غلام أحمد القاديانى المطبوعة مراراً والموجودة فى الأيدى تصرح

بلا خوف من الله والناس بأنه نبي ، وبأن الإمامة الشرعية التي يدين بها هي للجالس على العرش البريطاني ، وبأن الجهاد الإسلامي قد نسخ بكتب القادياني ومنشورات دعوته .

هذا هو غلام أحمد القادياني . وهاتان الفرقتان هما اللتان لا تزالان تتشدقان بدعوته ، تحافظ إحداهما على شيء من صراحة المؤسس المأفون ، وتتستر الأخرى بنافقاء من عنوانها ودعوى الإصلاحية . وقد كتب المسلمون في الهند ومصر وغيرهما الشيء الكثير عن هذه النحلة ومؤسسها ، وأمامنا الآن رسالة جديدة عنها بقلم الأستاذ محمود الملاح تناولها بقلمه الرشيق وبيانه المتوثب . ومن الخير أن يكثر الكاتبون في هذا الموضوع لأن الأحمديين والقاديانيين لهم شبكة دعاية منظمة واسعة النطاق في الشرق والغرب لتصيد ضعاف العقول والدين من الرجال والنساء . فالتنبيه إلى حقيقتهم من الجهاد الذي هو فرض كفاية ما دامت الحاجة ماسة إليه .

البابية والبهائية

للأستاذ محمود الملاح — ١٠٠ ص — مطبعة أسعد ببغداد

وهذه رسالة أخرى للأستاذ الملاح كتبها بعد الفراغ من رسالته التي ذكرناها آنفا عن النحلة الأحمدية ، وقراء مجلتنا لا يزالون على ذكر من بحثنا المطول عن البهائية وتاريخها وإلحادها وقد نشر في جزءي رجب وشعبان من العام الماضي ، والأستاذ محمود الملاح يرجع بتاريخ البابية والبهائية إلى جذورهما العميقة في عبادة الأشخاص وتأليههم من عهد المعلم اليهودي ابن سبأ ، بل يرى أن بدعة الغلو في الأشخاص أقدم من المسيحية ، ولليهودية حصة من ذلك .

وأصل كتاب الأستاذ الملاح عن البابية والبهائية فصول نشرها في جريدة (السجل) البغدادية ، وكثير مما فيها تعليق على كتاب لداعية بهائي عنوانه (البيان والبرهان) ويذهب المؤلف إلى علاقة البهائية بالصهيونية والاستعمار وخدمة البهائيين لهما في ظروف مختلفة ، ويرى أن الاستعمار يحاصر الإسلام بأربع نحل : الماسونية وهي في درجة الصفر ، والبهائية وهي ماسونية مبرقعة بعقيدة مزيفة ، والأحمدية وهي إسلام مزيف بالمسيحية ، والقاديانية وهي مسيحية مزيفة بالإسلام .

ورسالة الأستاذ الملاح لطيفة رشيقة تتخللها ملاحظات وتنبيهات تلفت أنظار القراء المسلمين إلى حقائق قلما يجدونها في كتب أخرى .

بستان الاحبار ـ مختصر نيل الاطار

للشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك ـ جزءان ١٢٧٠ صفحة ـ المطبعة السلفية

(المنتقى من أحاديث الأحكام) لمجد الدين عبد السلام ابن تيمية (٥٩٠ ـ ٦٥٣) - وهو جد شيخ الإسلام تقي الدين - من أجمع الكتب للأحاديث المعتبرة التي هي مرجع جميع مذاهب الفقه الإسلامي في الأحكام، انتقاه من صحيحي البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد وجامع الترمذي وسنن النسائي وأبي داود وابن ماجه، ومن التعاون التشريعي السليم بين المذاهب الإسلامية قيام القاضي الشوكاني (١١٧٢ ـ ١٢٥٠) بشرحه على طريقة علماء الحديث معتمدا على أساليب الحافظ ابن حجر في فتح الباري وأمثاله، وشرحه معروف باسم نيل الأوطار وقد تكرر طبعه في مصر.

ولما كان نيل الأوطار مطولا في ثمانية أجزاء، فقد رأى فضيلة الأستاذ الشيخ فيصل ابن عبد العزيز آل مبارك قاضي الجوف في المملكة العربية السعودية أن يختصره مقتصراً فيه على الناحية الفقهية مع إضافة أحكام مذهب الإمام أحمد بن حنبل مقتطفة من اختيارات شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وغيرها، وسماه بستان الأحبار، وقد جاء في جزءين ضخمين، وهو مرتب - كأصله نيل الأوطار - على أبواب الفقه، فقه العبادات، وفقه المعاملات والقضاء، مبتدءا بكتاب الطهارة ومختتما بكتاب الأقضية والأحكام.

ومما يمتاز به هذا الشرح المختصر لكتاب المنتقى من أحاديث الأحكام ترقيم أحاديثه بأرقام متسلسلة من أوله إلى آخره وقد بلغ عدد أحاديثه المشروحة خمسة آلاف حديث وتسعة وعشرين حديثا.

وقد طبع على نفقة الأستاذ الشيخ عبد المحسن أبا بطين صاحب المكتبة الأهلية في الرياض عاصمة نجد بعناية المطبعة السلفية وتصحيحها، وهو يغني عن نيل الأوطار كل من يحب الاقتصار على الجانب الفقهي من الأحكام وأدلتها ولا يهمه اختلاف المذاهب الذي تصدى له الشوكاني فوسع به كتابه.

أما أصل الكتابين وهو (المنتقى من أحاديث الأحكام) فأجود كتب السنة في بابه وقد وصف الشيخ ابن مالك مؤلفه مجد الدين ابن تيمية فقال عنه « ألين للشيخ المجد الفقه كما ألين لداود الحديد ».

الأدب والعلوم

البعوث الأزهرية

بلغ عدد المدرسين الذين بعث بهم الأزهر فى هذا العام إلى مختلف الأقطار العربية والإسلامية ١٨٤ مبعوثا بزيادة أربعين على عددهم فى العام الماضى .

كما أوفد بعثتين إلى كل من انجلترا وفرنسا يبلغ عدد أعضائهما اثنى عشر عضوا أتم بعضهم دراسته وحصلوا على درجات علمية .

ويعمل الأزهر على تعزيز علاقاته الثقافية ببلاد أندونيسيا والباكستان والصومال وأوغنده وكينيا .

تعريب

المصطلحات الفنية والصحية

فرغ المكتب الاقليمى الصحى لدول الشرق الأوسط بالاسكندرية أخيرا من ترجمة جميع المصطلحات الفنية والصحية المتداولة فى أعمال المكتب إلى اللغة العربية ، وذلك استجابة لرغبة دول الإقليم فى استعمال اللغة العربية فى جميع الأعمال والمكاتبات المتبادلة بين المكتب ودول هذا الاقليم .

وقد علمت « وكالة مصر » أن الدكتور على شوشة مدير هذا المكتب سيحمل معه عند سفره إلى بيروت لحضور اجتماعات اللجنة الاقليمية الصحية - التى ستنعقد فى ٢٧ سبتمبر الحالى - تقريرا هاما يتكون من ٣١ صفحة فولسكاب ، عن جميع المصطلحات التى تم تعريبها .

كما ستسافر إلى بيروت فى الاسبوع الثالث من هذا الشهر بعثة من السكرتيرين الذين سيتولون تسجيل ماسيدور فى جلسات اللجنة الاقليمية الصحية باللغة العربية .

دراسة شئون المكتبات

تعقد وزارة التربية والتعليم المصرية دراسة فى شئون المكتبات فى شهرى نوفمبر وديسمبر من هذا العام يحضرها ستون من مدرسى القاهرة والجيزة الحاصلين على مؤهلات عالية ولهم إلمام باللغات الأجنبية .

مكتبة لمصر

عن بحوث الاستخدام السلمى للطاقة الذرية

أهدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لمصر مكتبة تجمع المؤلفات الخاصة بالاستخدام السلمى للطاقة الذرية ، وقد احتفل مجلس

البحوث القومى بتسليم السفير الامريكى فى مصر هذه الهدية إلى لجنة الطاقة الذرية المصرية ، وقال السفير عند تقديم المكتبة الذرية إلى وزير التربية والتعليم بوصفه رئيس لجنة الطاقة الذرية المصرية :

« إن هذه المكتبة أحدث وأهم المعارف الخاصة باستخدام الذرة فى سبيل عالم أسعد لنا جميعا . وسيتوق العلماء المصريون إلى أن تتاح لهم هذه المعلومات الهامة ، وسيجدون أن المعلومات التى حصل عليها غيرهم خلال سنوات من البحوث والتجارب معلومات نافعة قيمة » .

وتتكون المكتبة المهداة من ثلاث مجموعات : منها ٦٥٢٥ تقريرا فنيا ، و ٢٨ كتابا هى مجموعة الكتب التى تملكها لجنة الطاقة الذرية الأمريكية فى هذا الموضوع ، و ٩ كتب من مقتطفات العلوم الذرية تتضمن خمسين ألف تقرير فنى و ٤٥ ألف بطاقة ملخصة تفهرس لبعض المواد الخاصة بالطاقة الذرية .

وعاظ الأزهر

كما يقوم رجال الوعظ من علماء الأزهر بتذكير الجماهير - فى جميع أنحاء بلاد الجمهورية - بما يجب عليهم لله والأسرة والمجتمع ، فإنهم يقومون إلى جانب ذلك بالتوسط فى الصلح والتوفيق بين المختلفين من الأسر والأفراد .

وقد بلغ عدد المحاضرات الدينية التى ألقاها الوعاظ الأزهريون فى العام الماضى مائة ألف محاضرة دارت كلها حول تبصير الأهالى بشئون دينهم ودنياهم ، وعقدوا اثنين وأربعين ألف اجتماع للصلح بين الأهالى .

بدء الدراسة فى الأزهر

تبدأ الدراسة للعام الجديد فى كليات الأزهر ومعاهده يوم ١٥ اكتوبر المقبل .

وتبدأ الدراسة كذلك فى هذا الموعد بمعهد دراسة اللغات الشرقية والغربية الذى تقرر إنشاؤه هذا العام .

وينتظر افتتاح أربعة معاهد أهلية جديدة فى إسنا وقوص وأسوان وأولاد طوق ، وينتظر ضمها إلى الكيان الأزهرى فى العام المقبل .

سحب الطلبة السعوديين

من المدارس الأجنبية

صممت المملكة السعودية على سحب جميع الطلبة من رعاياها من المدارس الأجنبية ، والذين كانوا منهم فى المدارس الأجنبية بمصر قد اتصلت القنصليات السعودية بمناطق مصر التعليمية لتيسير قبولهم فى المدارس المصرية .

أنباء العالم الإسلامي

عودة الأستاذ الأكبر

عاد بسلامة الله من رحلة أندونيسيا والشرق حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر والبعثة الأزهرية التي كانت برئاسة فضيلته وتتألف من حضرات أصحاب الفضيلة الشيخ توفيق النحاس مراقب البحوث والثقافة المساعد ، والشيخ صادق عرجون شيخ معهد الإسكندرية ، والشيخ محمد سليمان البحيرى الأستاذ بكلية اللغة العربية ، والشيخ أحمد القط مفتش الوعظ بأسيوط ، والشيخ يوسف الهمذاني في قسم البحوث . وكانت هذه الرحلة مباركة وموفقة ، فحققت بالعمل الرابطة الإسلامية بين مصر والأزهر الشريف وبين البلاد التي حلت فيها ذهابا وإيابا ، ولا سيما جزائر أندونيسيا على اختلاف مقاطعاتها . وقد ابتهجت تلك البلاد كلها وفي طليعتها علماؤها وجمعياتها الإسلامية بلقاء فضيلة الأستاذ الأكبر الذي يعتبرونه رأس أعظم معهد علمي إسلامي في دنيا المسلمين ، وتبادلوا مع فضيلته الأماني راجين من الله عز وجل تحقيقها . وقد استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر في المطار يوم وصوله صباحا استقبالا شائقا دل على ما لفضيلته من عظيم الحرمة والإجلال في نفوس الجميع ، ثم عرج على منزله للاستجمام وتقبل تهاني المسلمين عليه ، وفي حوالي الساعة العاشرة استقبل في الأزهر استقبالا عظيما ، جعل الله هذه الرحلة مباركة عظيمة الأثر حميدة النتائج .

تمرد السلاح الجوي الفرنسي

وهتافه : مراكش للمراكشيين

تمرد أربعمائة جندي فرنسي من جنود سلاح الطيران في باريس ورفضوا ركوب القطار إلى مرسيليا للسفر إلى شمال افريقيا . وقد نشبت معارك بينهم وبين قوات البوليس في باريس ، وكان جنود السلاح الجوي المتمردون يهتفون : مراكش للمراكشيين . لا نريد الذهاب إلى شمال افريقيا .

وألغى المقيم العام الفرنسي سفره إلى فرنسا فجأة بعد أن كان قد استدعى لحضور الاجتماع الوزاري في باريس للبحث في قضية المغرب ، فاضطر إلى البقاء للاشراف بنفسه على جهاز الأمن .

الاتفاق الفرنسي

مع السلطان الشرعي للمغرب

مما اتفق عليه الجنرال الفرنسي كاترو مع السلطان الشرعي للمغرب مولاي بن يوسف أن تعترف فرنسا بأن مراكش دولة حرة ذات سيادة ، وأن ينتقل السلطان الشرعي من منفاه في مدغشقر إلى فرنسا ، وأن يترك الأمر للمراكشيين ليقرروا مستقبلهم كما يشاءون ، وينحى السلطان بن عرفة ، ويعين مجلس وصاية على العرش من ثلاثة أشخاص ، وهذا المجلس يعين حكومة اتحادية وطنية تضم ممثلي الحركات الرئيسية السياسية في مراكش ، وهذه الحكومة الجديدة تقوم بمفاوضة فرنسا لبحث العلاقات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية والثقافية على أن تحتفظ فرنسا بمركز لها في مراكش يمتاز على الدول الأخرى ، ويوجه مولاى محمد بن يوسف نداء إلى مواطنيه ليوقفوا جميع أعمال الثورة .

الاقتصاد السوري

تحررت سوريا في هذا الشهر من آخر قيد اقتصادي بقي فيها من عهد الفرنسيين وهو المصرف المالي الفرنسي الذي كان يسمى البنك السوري فاتفقت وزارة المالية السورية مع ممثلي هذا البنك على إنهاء امتيازه في سوريا في مقابل تعويض قدره ٣٠٠ ألف ليرة سورية (نحو ٣٢ ألف جنيه) عن كل سنة من السنوات الثمان التي بقيت له من مدة امتيازه

وإن إنهاء عمل البنك السوري في سوريا يعد خطوة لتأسيس بنك مركزي قومي يتولى مهمة الإصدار بعد انتهاء فترة الانتقال التي حددت بستة أشهر .

قتل المغاربة بأسلحة أمريكا

أعرب الرئيس جمال عبد الناصر للسفير الأمريكي عن قلق مصر لتطورات الموقف في المغرب العربي ، واستعمال فرنسا العنف والتقتيل في هذا الشعب الأعزل الذي يطالب بحريته وحقه في الحياة .

وقال الرئيس المصري للسفير الأمريكي : إن الحكومة المصرية تعتبر استخدام القوات الفرنسية المتخصصة لحلف الأطلنطي ، والأسلحة الحربية الخاصة بهذا الحلف ، في سحق المواطنين العرب في شمال إفريقية ، عملا عدائيا موجها إلى العرب جميعا لا من فرنسا وحدها ولكن من جميع الدول المشتركة في حلف الأطلنطي والتي سمحت لفرنسا بهذا البغي .

وطالب الرئيس المصري من السفير الأمريكي إبلاغ ذلك إلى الحكومة الأمريكية

صلاة الغائب

على أرواح شهداء الجزائر والمغرب

أقيمت صلاة الغائب فى جميع مساجد الجمهورية المصرية على أرواح شهداء الجزائر والمغرب ، وكان ذلك فى يوم الجمعة ١٥ المحرم

أما فى القاهرة فكانت صلاة الغائب فى الأزهر الشريف ذات روعة عظيمة وقد صلى بالناس الجمعة وأمهم فى صلاة الغائب وزير الأوقاف الشيخ أحمد حسن الباقورى بعد خطبة عظيمة فى الإسـلام والجهاد ، وما كان عليه المسلمون وما يجب أن يكونوا عليه . وكان عدد الذين سمعوا الخطبة وصلوا صلاة الغائب نحو مائتى ألف كما قدرته جريدة الجمهورية .

وقد أقيمت صلاة الغائب فى أقطار إسلامية أخرى كالأفغان وعاصمتها كابل .

تبرع لطلبة الأزهر

فى يوم الجمعة الذى أقيمت فيه صلاة الغائب بالجامع الأزهر عن أرواح شهداء الجزائر والمغرب ، وقد حضر الصلاة الأمير الجليل عبد الله الجابر الصباح وزير معارف الكويت ، تكرم فأعلن تبرعه لطلبة الأزهر بعشرة آلاف جنيه ، وكتب فى الحال شيكا بالقيمة على أحد المصارف المالية وسلمه إلى حضرة صاحب الفضيلة وكيل مشيخة الأزهر .

وقد اتجه التفكير إلى شراء عقار بهذه القيمة يصرف ريعه فى كل سنة على المتفوقين من نجباء الطلبة الأزهريين ، وبذلك ستكون هذه المكرمة خالدة الأثر دائمة الذكرى لهذا التجاوب القلبى بين الأمم الإسلامية والشعوب العربية .

الإصلاح الزراعى

فى عامه الثالث

احتفلت اللجنة المصرية للإصلاح الزراعى بالعيد الثالث لهذا العمل الاجتماعى العظيم ، فأقامت لذلك حفلا بهيجا فى حديقة قصر عابدين .

ومما يذكر لهذه المناسبة أن الإصلاح الزراعى استولى فى ثلاث سنوات على أكثر من ثلاثمائة ألف فدان وزع منها حوالى ربع مليون فدان ، ويضاف إلى ذلك ١٤٥ ألف فدان من مبيعات المادة الرابعة .

وسيتسلم الإصلاح الزراعى فى عامه الرابع ١٥٠ ألف فدان ، وسيقوم بتوزيع مساحة تعادل ذلك ، وبهذا يكون برنامج الإصلاح الزراعى قد سبق الأمد الذى كان محدداً له .

الفهرس

تعليقات

• • •

نصيحة طيبة خالصة

من فضيلة الأستاذ الأكبر

إلى أبنائه الطلاب

بسم الله الرحمن الرحيم .

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا .

أبنائى طلاب الأزهر معاهده وكلياته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ـ فأنى فى مفتتح العام الدراسى الماضى ـ كنت قد وجهت إليكم نصيحة طيبة خالصة ، أردت بها خيركم ، وتوجيهكم إلى ما فيه نفعكم ورشادكم .

ويسرنى الآن أن أحدثكم ـ إلى ما تشعرون به فى أعماق قلوبكم وما تحدثكم به حديث الحق أنفسكم ـ أن تلك النصيحة قد آتت ثمرتها ، ووفقت إلى نتيجتها ، لأنها ـ كما قلت ـ كانت طيبة خالصة ، وقد صادفت قلوبا طاهرة بارة ، استمعت لها ووعتها ، وأحسنت الانتفاع بها ، فكان من أثر ذلك الإقبال على الدرس ، واستقامة الأمر بين الطلاب وأساتذتهم ، والتسابق الخير الحميد بين الطلاب أنفسهم لإحراز ثمرات العلوم والمعارف ، ذلك التسابق الذى ظهرت آثاره فى العمل وفى نتائج الامتحانات .

هذا ـ إلى النشاط الرياضى والثقافى الكمالى ، الذى قام به الطلاب فى مختلف المعاهد والكليات ، إلى جانب مناهج الدراسة الأساسية ، والذى أخذوا أنفسهم به فى جد ونظام ، وقد وفقوا فيه بأرشاد بعض أساتذتهم ، و إشراف الخبراء منهم بأنواع ذلك النشاط .

أبنائى :

وهذا عام دراسى جديد أهل عليكم بعد فترة راحة واستجمام ، وهو يتطلب

منكم نشاطا أقوى ، تواجهون به ما يستقبلكم من واجبات ، وإنكم لتفتحون بهذا العام أبوابا فى العلم والمعرفة ، تزيد عقولكم قوة الى قوة ، وترفع بنيان حياتكم طبقة أعلى من طبقة .

وإذا كانت أحداث الدنيا وأقضية الحياة تتطلب من أبناء المجتمع تجديد الأهبة والاستعداد آنا بعد آن ، فأن واجبكم فى مستهل هذا العام ـ كأبناء تعدهم الأمة لحفظ كيان أخلاقها ودينها ولغتها ـ أن تجمعوا جهودكم فى الإقبال على العلم ، والانصراف عن كل ما يشغلكم عنه ، وأن تعملوا على استغلال كل لحظة تمر بكم فيما يعود عليكم وعلى أمتكم بالخير والصلاح ، وأن تتخذوا مما تدرسونه من أخلاق المصلحين أمثلة رفيعة تستوحون منها الفضائل ، وتأخذون أنفسكم بمناهجها الصالحة القويمة .

إن الأزهر الذى ظل طوال ألف من السنين قائما على حراسة لغة القرآن وصيانة تعاليمه ، وتوجيه العالم الإسلامى التوجيه السليم ، ونشر الثقافة الدينية والعربية فى أقطار الدنيا ، يواجه اليوم تيارات منحرفة عنيفة من الانحلال فى الدين والخلق ، قد دفع بها إلى ربوع الشرق أعداء الشرق ، ليصلوا بها الى تفتيت قواه والتفريق بين أهله ، ليسهل لهم التسلط عليه قطعة قطعة ، والتأثير الضار فى أهله طائفة طائفة وأمة أمة . وهذا هو ما يجب أن نحذره ونبذل كل جهودنا لصده والوقوف دونه .

إن الأزهر اليوم يدعو أبناءه أن يعدوا أنفسهم لمواجهة هذه الفتن والقضاء على هذه المحن ، وهذا يتطلب منكم أن تكونوا مؤمنين بواجبكم ، أقوياء على حمل أمانتكم ، جادين فى العمل على أن لا تكون بينكم فرقة ، صادقين فى الاستمساك بما يدعو إليه الدين من التناصح والتعاون فى بناء هذا المجتمع ، على أساس قوى من فضائل الإسلام وأخلاقه القوية الحميدة .

إن المهمة التى يعدكم لها الأزهر لهى مهمة عظيمة الشأن جليلة الخطر ، وقد زادت ظروف العالم المحيطة بنا من أعبائها وثقلها ، فعليكم أن تتخذوا من الإيمان الحق ، ومن الثبات عليه ، والمصابرة فى سبيل الذياد عنه ، مع التزود من العلم والمعرفة ، دريئة تدفع عنكم وعن الوطن سموم تلك الآفات ، وقوة تنشطون بها فى القيام بواجب الدعوة الى الخير ، وبث الروح الفاضلة فى الجماعة ، سالكين فى ذلك السبيل القويم الذى سنه القرآن الحكيم فى قول الله تعالى : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن» .



نصيحة طيبة

فلتشعروا أنفسكم دائما عظم هذه المهمة وسموها ، ولتعدوا عقولكم وقلوبكم لأداء هذه الأمانة التي وكلت إليكم ، ولتذكروا دائما قول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقوله عز وجل : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين » .

إن من واجبكم فى النهضة الحاضرة المشرقة التى يرجى منها للشرق وللاسلام العزة والقوة أن تعاونوا بكل قوتكم فى توجيه الأمة التوجيه السليم، وأن تعملوا على إحياء معانى العزة والكرامة القومية فى نفوس أبنائها ، فأنتم قوة من أعز قوى هذه النهضة، و إنها لتعلق عليكم آمالا كبارا لاستكمال بنيانها و بلوغ غاياتها السامية المجيدة .

و إن لكم فى قائد هذه النهضة الذى يدعو فى كل مواقفه إلى العزم القوى والحزم الشديد، للقضاء على أسباب الضعف والانحلال، وللأخذ بأسباب القوة والمنعة، ما يهيب بكم دائما أن تبثوا فى كل مكان دعوة الحق ، وأن تكونوا جندا من جنود الوطن، تذودون عنه وتدفعون به الى حياة العزة والكرامة .

وفقكم الله الى الخير ، وهداكم وهدى بكم إلى سبيل الرشاد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثالث ـ القاهرة في غرة ربيع أول ١٣٧٥ ـ ١٨ أكتوبر ١٩٥٥ ـ المجلد الثامن والعشرون
السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

بيئة الإسلام الأولى

التي اختارها الله لمولد خاتم رسله وظهور أكمل رسالاته

بلدة لا كالبلاد ، بجيل لا كالأجيال ، من أمة لا كالأمم .

بلدة اختارها الله ـ في الدهر الأول ـ لأول بيت قام في الأرض لتوحيد الله والعبادة الخالصة والنسك السليم : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين » . آل عمران ٩٦ ـ ٩٧

قال الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله : كان الرجل قبل الإسلام يقتل ، فيضع في عنقه صوفة ويدخل أرض الحرم ، فيلقاه ابن المقتول ، فلا يهيجه حتى يخرج من حدود الحرم .

وقد وصف الله فى سورة العنكبوت (الآية ٦٧) هـذه الميزة لبيت الله الحرام ، ومنَّ بها على أهله فقال :

« أو لم يروا أنا جعلناه حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ! » .

وفى سورة القصص (٥٧ - ٥٩) - وهى مكية - نعى الله على الحارث بن عامر بن نوفل ابن عبد مناف وأمثاله من رجالات قريش وشبابهم أنهم تخوفوا من إقامة الحق بالدخول فى الإسلام يوم كانت مكة هى بيئة الإسلام الأولى ومشرق دعوته « وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ، أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبي اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولـكن أكثرهم لايعلمون . وكم أهلـكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ، وكنا نحن الوارثين . وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا مهلـكى القرى إلا وأهلها ظالمون » .

ومما خاطب الله به قريشا - فيما أنزله من القـرآن بمكة - ومن به عليهم بهذه الميزة الـكبرى لبلدتهم دون بلاد الأرض كلها قوله جـل ثناؤه « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

إن حرم مكة الآمن لا ينحصر فى حرم الـكعبة ، ولا يقتصر على البلدة كلها ، بل يعم أرض الحرم الى مسافات بعيدة أقيمت لها أعلام فى كل ناحية من نواحيها ؛ فما كان خارج هذه الأعلام يسمى « الحل » وما هـو فى داخل نطاقها يسمى « الحرم » ، وفى الحرم تأمن الطير أيضا - كما يأمن الإنسان - فلا تنفر عن أوكارها ، ويأمن فيه حتى الوحش فلا يحل اصطياده . بل من جملة تحريمها تحريم قطع شجرها وقلع حشيشها . وقد خطب رسول الإنسانية الأعظم صلوات الله عليه يوم فتح الله عليه مكة ، فقام على باب الكعبة يقول لقريش ومن وراءها من جماهير الناس ، ولكتائب الفتح من المهاجرين والأنصار :

« إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل لى إلا فى ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة : لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرّفها ، ولا يختلى خلاه » فقال عمه العباس : يارسول الله إلا الإذخر (وهو نبات طيب الرائحة ينتفعون به) فقال صلى الله عليه وسلم : « إلا الإذخر » .

وقد حيل بين من يلجأ الى الحرم من المجرمين وبين حقوق الله والناس بما رواه سعيد ابن جبير عن عبد الله بن عباس أن القاتل إذا عاذ ببيت الله فى مكة أعاذه البيت ، ولكن ليس على أحد من ساكنى الحرم أن يؤويه ، أو يطعمه ويسقيه ، حتى يضطر الى الخروج من حدود الحرم ، فاذا خرج أخذ بذنبه .

ومن أعجب ما امتازت به مكة عن بلاد الله جميعا ، بين زمن مولد حامل أكمل رسالات الله وزمن هجرته صلى الله عليه وسلم ، أنها بلدة لم يشعر أهلها بحاجتهم الى حكومة ، ولم تمس حاجتهم الى إقامة شرطة تحمى أهل العافية فيهم من أهل البغى والشر ، لأنهم قلما عرفوا فيهم مواطنا من أهل مكة تنزع نفسه الى البغى والشر .

وأكثر ما كان يقع فيهم الباطل أن يمطل المدين دائنه فى وفاء ما فى ذمته له ، فكان يستعين عليه بأهل العافية فيحصل منه على حقه بلا حاجة الى قضية أو محكمة ، ولأجل هذا وأمثاله انعقد فى بيت وجيه من وجهاء مكة وشريف من أشرافها ، وهو عبد الله ابن جدعان التيمى – من أسرة أبى بكر الصديق – حلف اشترك فيه طائفة من أهل الفتوة والمروءة فى قريش ، وتعاقدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها – أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس – إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يومئذ فتى . روى طلحة الندى – وهو طلحة ابن عبد الله بن عوف الزهرى – قاضى مكة فى القرن الأول للاسلام – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت » .

إن الناس هم الناس ، وفيهم الطيب والوسط والخبيث ، تشترك فى ذلك الأمم كلها ، غير أنها تتفاضل بنسبة أهل هذه الأصناف الثلاثة بعضهم الى بعض : فمن الأمم من تطغى نسبة الخبيث من أهلها على من فيها من الطيبين والعنصر والوسط ، فهى من شر الأمم . ومنها من يكثر فيها العنصر الطيب وتكون له الكلمة النافذة والتوجيه المطاع فى المجتمع ، فهى من أكرم الأمم معدنا . ومنها من تعظم فيها نسبة الطبقة الوسطى فيعم فيها الخير ، ويستتب الاستقرار .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما قرره من حقائق : « الناس معادن كمعادن الذهب

والفضة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » . وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الحديث فى كتابه منهاج السنة (٢ : ٢٦٠ - ٢٦١) بقوله :

« فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة كان معدن الذهب خيرا ، لأنه مظنة وجود أفضل الأمرين فيه . فان قدر أنه تعطل ولم يخرج ذهبا كان ما يخرج الفضة أفضل منه ، فالعرب فى الأجناس - وقريش فيها ، ثم هاشم فى قريش - مظنة أن يكون فيهم الخير أعظم مما يوجد فى غيرهم . ولهـذا كان فى بنى هاشم النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا يماثله أحـد فى قريش ، فضلا عن وجوده فى سائر العرب وغير العرب . وكان فى قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجـد له نظير فى العرب وغير العرب . وكان فى العرب من السابقين الأولين من لا يوجـد له نظير فى سائر الأجناس . فلا بد أن يوجد فى الجنس الأفضل مالا يوجد مثله فى المفضول ، وقد يوجد فى المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجـد فى الفاضل ، كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء ، والمؤمنون المتقون من غير قريش أفضل من القرشيين الذين ليسوا مثلهم فى الإيمان والتقوى ، وكذلك المؤمنون المتقون من قريش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم فى الإيمان والتقوى من بنى هاشم . فهذا هو الأصل المعتبر فى هـذا الباب ، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقا ، ودون من ظن أن الله تعالى يفضـل الإنسان بنسبه على من هـو أعظم ايمانا وتقـوى منه ، فكلا القولين خطأ ، وهما متقابلان . بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة ، وفضيلة لأجل المظنة والسبب ، والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيـلة تعيين وتحقيق وغاية . فالأول يفضل به لأنه سبب وعلامة ، ولأن الجملة أفضل من جمـلة تساويها فى العدد . والثانى يفضل به لأنه الحقيقة والغاية ، ولأن كل من كان أتقى لله كان أكرم عند الله ، والثواب من الله يقع على هذا ، لأن الحقيقة قد وجدت فلم يعلق الحكم بالمظنة ، ولأن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هى عليه فلا يستدل بالأسباب والعلامات » .

بهذا فسر شيخ الإسلام ابن تيمية حديث معادن الناس ، وكان ينظر - وهو يعالج هذا الموضوع الدقيق - الى آية الحجرات ١٣ : « ان أكرمكم عنـد الله أتقاكم » ، كما كان ينظر الى حديث عبد الله بن عمر قال : انا لقعود بفناء رسـول الله صلى الله عليه وسلم اذ مرت امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنة محمد صلى الله عليه وسلم (والحقيقة أنها

كانت درة بنت أبى لهب ، وكانت زوجة للحارث بن نوفل ، ثم تزوجها دحية الكلبى) ، فقال رجل : ان مثل محمد صلى الله عليه وسلم فى بنى هاشم مثل الريحانة فى وسط النتن . فانطلقت المرأة فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء عليه السلام يعرف فى وجهه الغضب ، ثم قام على القوم فقال : « ما بال أقوام تبلغنى عن أقوام ! ان الله عز وجل خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشا ، واختار من قريش بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم » . قال الحافظ العراقى : وهو حديث حسن ، أخرجه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين ، ورواه من غير هذا الإسناد أيضا ، وروى نحوه من حديث أبى هريرة ، ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط وقال : حديث صحيح .

فالتفاضل بالتقوى هو الأصل ، وهو الحقيقة والغاية . وكرم المعدن فضيلة جملة ، ومظنة أن يوجد فيه الخير أكثر مما يوجد فى غيره .

إن البيئة التى ولد فيها خاتم رسل الله ، وهى قريش سكان شعاب مكة وبطاحها ، قد تفاوت رجالها ونساؤها فى سرعة الاستجابة لدعوة الإسلام . فهذا عمر بن الخطاب كان من مشركى قريش يوم كان أبو بكر أول رجل من قريش استجاب لهذه الدعوة ، وأخذ يحببها بحكمته ورجاحة عقله ودماثة خلقه الى طائفة من أعز شباب قريش فى بطحاء مكة من أمثال عثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيدالله وسعد بن أبى وقاص وغيرهم من مسلمى الرعيل الأول . فهل أزرى بعمر أن تأخر اسلامه عن اسلام هؤلاء وعن اسلام أخته وصهره ؟

وهذا خالد بن الوليد كان — فى وقعة أحد — قائد خيل المشركين ، وكان المفروض فيه لما عاد من غزوة أحد الى مكة أن يكون ثملا بخمرة ما اتفق له من فوز ، فيكون ذلك أبعد له عن الاستجابة لنداء الحق . لكننا رأيناه فى أوائل السنة الثامنة للهجرة يزهد فى عظيم الجاه الذى كان لأبيه وبيته فى أم القرى ، ويخرج متوجها الى المدينة ليلتحق بدعوة الحق ، فيلتقى فى الطريق بين مكة والمدينة بعمرو بن العاص السهمى ، وعثمان بن طلحة أحد بنى عبد الدار سدنة الكعبة . قال عمرو : فقلت لخالد : — إلى أين أبا سليمان ؟

قال خالد : — والله لقد استقام المنسم ، وان الرجل لنبي . انى أذهب والله لأسلم ، فحتى متى ؟ !

قال عمرو : — وأنا الله ما جئت الا لأسلم .

وقال صاحب مفتاح بيت الله الحرام مثل مقالتهما .

فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر اليهم من بعيد قال لأصحابه : « لقد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » .

قال عمرو : فتقدم خالد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله انى أبايعك على أن تغفر لى ما تقدم من ذنبى .

فقال صلى الله عليه وسلم : — يا عمرو بايع ، فأن الإسلام يجب ما قبله ، وان الهجرة تجب ما قبلها .

ونقل الحافظ ابن حجر فى الاصابة عن الزبير بن بكار أن رجلا سأل عمرو بن العاص :
— ما أبطأ بك عن الاسلام ، وأنت أنت فى عقلك ؟

فاجابه : إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم ، وكانوا ممن توازن حلومهم الجبال ؛ فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم فأنكروا عليه قلدناهم ، فلما ذهبوا وصار الأمر الينا نظرنا وتدبرنا ، فاذا حق بين ، فوقع فى قلبي الإسلام ، فعرفت قريش ذلك من ابطائى عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه ، فبعثوا إلىّ فتى منهم فناظرنى فى ذلك ، فقلت :
— أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك : أنحن أهدى أم فارس والروم ؟

قال : بل نحن أهدى (أى أعقل وأعظم بصيرة وادراكا لحقائق الأمور) .

قلت : فنحن أوسع عيشا أم هم ؟

قال : هم .

قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم فى الهدى ان لم تكن الا هذه الدنيا وهم أعظم منا فيها ؟ وقد وقع فى نفسى أن الذى يقوله محمد من أن البعث بعد الموت — ليجزى المحسن باحسانه والمسئ بأسائته — حق ، ولا خير فى التمادى فى الباطل .

هذا نموذج للذين أبطأوا فى إسلامهم ، وإن الذى حمله أمثال عمرو وخالد من أعباء الإسلام قد عجز التاريخ عن أن يحيط بحسناته ، وإن لهما ولأمثالهما من ثواب الذين دخلوا فى الإسلام بسببهما ، ومن نشأ على الإسلام من سلالتهم وذرياتهم ، ما لا تحصيه إلا ملائكة الرحمة .

ومما يدلك على كرم معدن البيئة المعاصرة لظهور الإسلام فى مكة أن الذين ماتوا على غير الإسلام من قريش كانوا قلة قليلة جدا ، يعرفهم علماء الأنساب بأسمائهم ، فان كل من ولدتهم قريش من معاصرى النبى صلى الله عليه وسلم مدونة أسماؤهم فى كتاب نسب قريش لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى ، وكلهم ولله الحمد قد تشرفوا بالإسلام قبل أن ينتقل النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، ما خلا ذلك النزر القليل جدا ممن غلبت عليهم الشقوة ، وهم بضآلة عددهم لا يستحقون الذكر ، ولا يعرف التاريخ نبيا من أنبياء الله ولا صاحب دعوة الى الحق والخير استجاب له من أمته رجال يستحقون أن يعدوا من أولياء الله الصادقين المجاهدين كما استجابت قريش والأنصار وسائر العرب للدعوة المحمدية ، وكان لكرم معدن هذه الأمة الأثر العظيم فى هذا الامتياز الذى كان لبيئة الاسلام الأولى التى رأيت أن أتحدث عنها فى هذه الكلمة ، وأن أعالج عرض الحقائق عن موقفها من الإسلام فيما بين بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وهجرته الى أن اختاره الله اليه .

ترى هل كانت دعوة الإسلام تحفظ بمبادئها وكتابها وسننها كما حفظت حتى الآن بلا افراط ولا تفريط ، وهل كانت تنتشر فى أقطار الأرض بالقوة والسرعة والحكمة والرحمة التى انتشرت بها فى القرن الأول الهجرى ، لو أن بيئة الإسلام الأولى لم تكن هى البيئة التى اختارها الله لها ؟ .

أنا أعتقد أنه كما اختار الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لأكمل رسالاته ، اختار لها كذلك اللغة التى أنزل بها كتابه ، والأمة التى حملت هذه الرسالة الى أمم الأرض ، والأرض التى تبلج هذا النور من آفاقها . والذى أشرت إليه فى هذه المقالة لمحات خاطفة تستحق من أهل العلم دراسات أخرى أعمق وأوسع وأشمل م ٤

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٢٣ —

هداية الله - وفتنة الناس

(ا) « والله يريد أن يتوب عليكم »
(ب) « و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

ليكن حديثنا حول هـــذه الآية حديث إمعان فيما تضمنته من معان واقعية ، ثم فيما لهـا من صلة بالحياة الجارية .

وليكن جانب العظة موكولا إلى الأذهان والفطر بعد : لا أمرا نمليه إملاء ، ولا قولا ندفع به إلى الآذان لنستميل به العاطفة وحدها . . ولعل القارئ فى النهاية واجد من عقله ومن عاطفته معا يقظـــة واعية ، وجنوحا إلى العظة ، وارتياحا إلى دعوة الله ، و زهادة فى متابعة الناس .

ونسق الآية واضح فى أن الناس يكتنفهم عاملان أحـدهما : أن الله يريد أن يتوب عليهم بمـا بين لهم وهـداهم إليه . ثانيهما : أن الذين يتبعون الشهوات يريدون لغيرهم أن يتابعوهم فى غواياتهم ، وأن يميلوا معهم ميلا عظيما .

فمـا سبيل الموازنة بين ما يريد الله ، وما يريد أتباع الشهوات ؟ ؟

(ا)

١ — نظرة أولى فيما شرع الله للناس : من أحكام تتصل بكل جانب من حياتهم ، و بنظام الحـكم والمحكومية بينهم ، و تبصرهم بكل ما وراء هـذه الأحكام من خير لهم ، وترغبهم فيما يناط بها من مثوبة ، وتحـذرهم ما فى مخالفتها من عقوبة . . نظرة إلى ذلك تـكفى للاقتناع بأن الله يريد من هذا كله توجيه عباده إلى الخير المحض ، حتى لا يفوتهم نصيب من فضله ، ولا يمسهم قليل من غضبه .

٢ — والمفروض طبعا أن الله غنى عنا لا تعوزه منا طاعة ، وقادر علينا قاهر لنا لا تضيره منا معصية .

فاذا ما دعا إلى أمر فدعوة متفضل يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر . . ودعوة كريم يحب أن يعطى الجزيل ، ويضاعف العطاء .

٣ — ومظهر عظمته ، وبوادر رحمته أنه يلح فى دعوتنا ، ويؤكد فى وعده ، ويكرر لنا الآيات نتلوها فى كتابه ، ونشهدها فى أحداث دنيانا ، وتحت أبصارنا ، وعلى مسامعنا ، وفى رقعة سمائه ، وعلى سطح أرضه ، ثم هو مع هذا يعلم من مخالفتنا لإرشاده ، ومن جنايتنا على أنفسنا أكثر مما نعلم .

ولكنه مع ذلك يطاولنا بحلمه ، ويمهلنا برحمته ليفسح أمد العبرة ، ويتيح لنا فرصة المعذرة والتوبة .

وذلك كله أمر نحسه ، ولا يكابر فيه منصف يتجرد من نزعات الانحراف .

٤ — وإذا كانت الآية للتوجيه وإيقاظ الوعى الغافل ففى سياقها وموقعها من الآيات قبلها تعزيز لهذا التوجيه ، إذ وردت فى سورة النساء بعد آيات سابقة فيها بيان الميراث ، وبيان العقوبات لمن يأتى بالفاحشة الجنسية ، وبيان التوبة المقبولة وغير المقبولة ، وبيان المحرمات فى الزواج من النساء المحارم إلخ .

وفى هذا القدر من البيان تذكرة بفضل الله ، وتوجيه الى شكره .

٥ — وفى متناول العقول والمدارك أن تستشف من هذا البيان ونحوه ما يريد الله لعباده من خير يبادرون إليه ، ومن تباعدهم عن مآثم الجهالة الأولى ، والتى تعتبر شائبة من شوائب الكفر يرتطم فيها الطغاة ومن لف لفهم من الأتباع الأغبياء .

وقد أردف هذا القدر من البيان بقوله ــ سبحانه ــ أولا « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم . . ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم » .

ثم أردف ذلك كله بالآية التى معنا : « والله يريد أن يتوب عليكم »

وواضح صدر الآية أن صريح اللفظ فى التوجيه كما أسلفنا ، وأن سياقها بعد الآيات التى تقدمتها يعزز ما فيها من التوجيه وهذا التوجيه المؤكد يتضمن ويستلزم حثا جديدا على الأخذ بهداية الله : طواعية لإرادته ــ سبحانه ــ واستجابة لترغيبه ، ومجافاة لمسالك المخالفين الذين بين لنا سننهم ، وأنه أخذهم بأنواع من عذابه ، ومن الحزم أن نطرح كل دعوة تخالف دعوته : ضرورة أن دعوته حق لا شبهة فيه ؛ وأن ما عداها باطل لا خير فيه . .

ومن يدعو إلى الحق « أحق أن يتبع » ذلك حكم العقل ، واختيار العاطفة إذا تجرد العقل من اللوثة ، وسلمت العاطفة من الطيش .

(ب)

١ — ثم نظرة ثانية فى عجز الآية نراه صريحا فيما عليه أتباع الشهوات ، وما يريدونه لسواهم من ضلالة ومجافاة لدعوة الله « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما »

٢ — وواضح لنا فيما نشهده من حياة الغواة المعاصرين أن نزعتهم شيطانية تتمثل فى أقوال مرذولة أو أعمال مستهجنة فى تقدير العقول وموازين الأخلاق ، فهى حياة مشئومة يتعدى أثرها ، ويستشرى فسادها حتى تبدو نقائصها ومساوئها فى حياة الجماعة التى يغلب عليها العبث ، وترجح عندها الشهوات والمتع ، أو تسود بينها الأنانية ، والتكالب على المال ، أو على الجاه ، حتى تنصرف أو ينصرف سوادها وسادتها عن القيم الأخلاقية ، ولا تلتفت إلى تشريع الله ، ولا تتأثر بوازع الدين فى أفق تفكيرها ، ومناهج أعمالها .

ولئن كانت هناك هناءة تكتنف المتحللين من الدين فانما هى بسمة من بسمات الدنيا ، وهى مداعبة من مداعبات الأيام ، وهى فى حقيقتها امتحان من الله ، ومهلة يختبر فيها عباده ، ثم لا تلبث الدنيا أن تعبس ، ولا تلبث الأيام أن تقسو ، ولا يلبث الامتحان أن ينتهى موسمه ، وتستقر الحياة بمن نفتنهم الحياة عند غايتها التى رسمها مبدع الحياة ، وشاءها صانع الوجود .

٣ — وكذلك إذا تجهمت الدنيا للمهتدين بهدى الله ، وكبتتهم ، أو كبتت بعضهم الأيام . واضطربت حظوظهم فانما هو تمحيص لعزائمهم ، واختبار ليقينهم ، وهى موجات من موجات الزمن لا تلبث أن تركن الى جانب . ومهما شطحت الخواطر هنا أو هناك فلن يفلت الأمر من يد الله ، ولكل نبأ مستقر ، والله صادق حقا فيما يقول .

٤ — ومع أن مسرح الحياة تمثلت عليه العبر فى شئون الناس ، وأن مآسى الطيش والمجون وآثار التحلل قد برزت فيما يصيب الأفراد ، وفيما يحيق بالجماعة المفتونة ، أو التى رضخت للفتنة ، ولم تقاومها حتى تغلغلت فى محيطها ، فلا يزال فى الخلق كثيرون يشيحون بوجوههم عن هداية الله ، ويسخرون بدعوته ، وينشطون فى الدعوة الى متابعتهم ، واستهواء الناس الى جانبهم فى مصاف الجندية للشيطان ليكونوا معهم فى حضيض واحد ولتكون الرذيلة شائعة مألوفة ، فلا يقال فيهم شواذ ، ولا يذكرون وحدهم بالسوء ، وقد بلغ من هؤلاء أن يصوروا أنفسهم فى صورة الراشدين ، ويزعموا لأنفسهم جهاد المصلحين

وشأنهم فى الحق شأن أولئك الذين حدثنا عنهم القرآن قديما بقوله : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »

وقديما كانت فتنة الناس بالناس كفتنتهم بالشيطان ، حتى وصف الله أولئك المفسدين بأنهم « شياطين الإنس » وليس أحد أصدق من الله حديثا .

فقصص الله عن أولئك الفاتنين لغيرهم ليس خبرا فات زمنه ، وإنما هو أمر واقع ومعاصر لنا فى البيئة الحاضرة ، وغير بعيد عن أعيننا وعن مواقع أقدامنا فى كل ناحية أن بيننا أناسا يتبعون الشهوات ويريدون أن يميل الناس معهم ميلا عظيما .

ومثال ذلك واضح فى أشخاص يحملون أقلاما آثمة وينشطون فى دعوة الناس إلى التحلل ، ويغالطونهم فى الدعوة زاعمين لهم أنها غيرة على المجتمع ، وإخلاص فى الإصلاح ، ونهوض بالأمة إلى مشارف الحضارة .

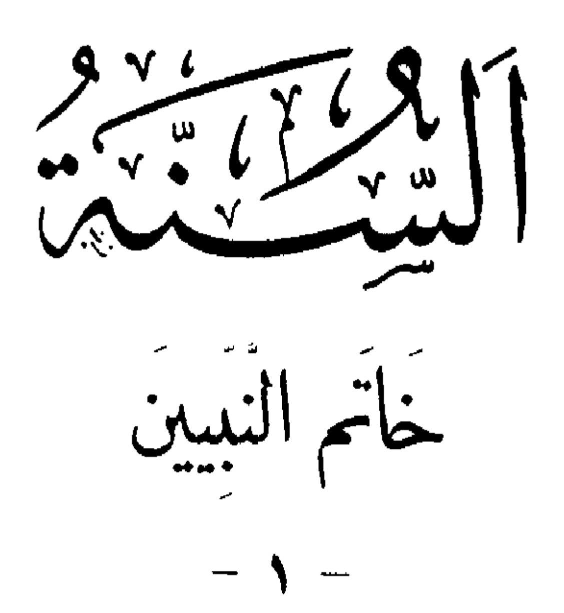
ولكنك لا تقرأ لهم فى الكثير غير مقاومة للدين ، وصد عن آدابه ، ومحاولات للغض من أتباعه .

ولا تقرأ لهم فى الكثير غير نفث الفتنة فى نفوس الشباب والبسطاء ، وانتزاع الحياء الفطرى من وجوه الفتيات والسيدات ، واستدراج الجيل الجديد إلى ساقط الرذيلة .

ثم هم الذين يطيب لهم أن يستفزوا بعض السلطات إلى مناهضة التعليم الدينى ، واستبدال غيره به ، وليس يعنيهم أن يهجر القرآن فى مصر أو تنحدر الأمة إلى اللادينية ، ولا أن تفقد مصر زعامتها المعترف بها قديما وحديثا فى الشرق العربى ، بل وفى الوطن الإسلامى كله . فكل ذلك لا يساوى عندهم أن ترضى عن عملهم جهات غير إسلامية عجزت طوال حياتها عن مقاومة الإسلام ، وعن مدافعة القرآن ، حتى وجدت فى نشاط بعض أقلامنا ما يمكن استخدامه فى سبيل غايتها .

ولكن جميع الهيئات المسئولة فى مصر أحرص على سمعة مصر ومجدها من مسايرة هؤلاء الذين يتبعون الشهوات ويريدون للناس أن يميلوا معهم ميلا عظيما ، وفق الله حكومة الثورة وحفظها من دعاة السوء .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



خاتم النبيين

— ١ —

الأسماء النبوية — خصوصها وعمومها — أمهاتها وأصولها — أشهرها — مكانها فى الكتب السماوية — جمعها للحامد — المقام المحمود .

عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لى خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد ؛ وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ؛ وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ؛ وأنا العاقب . (رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

* * *

لا يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحدده أسماء الشريفة بهذا العدد، تحديد أصابع اليد، وإلا لم يحدثنا بأن له أسماء غيرها كثيرة ، وإنما أراد أن لها من الفضائل والمزايا ما ليس لغيرها ، كما ينبىء عن ذلك تفسيرها ، أو أنه اختص أو اشتهر بها ، فى أمته والأمم التى قبلها .

ولا يريد صلى الله عليه وسلم بذكر أسمائه أن نعددها ونرددها ونتباهى بها ، وإنما أراد أن نتدبر ما احتوت عليه من معان سامية ، أو أشارت إليه من آداب عالية ، فنسمو بها ونتحلى بأخلاقها ، حتى نرفع رءوسنا ونكون جدراء بالانتساب إليه . . .

* * *

من أسمائه صلوات الله وسلامه عليه خاص وعام :

فأما الخاص فهو الذى لا يشركه فيه غيره من الرسل كهذه الأسماء الخمسة ؛ والمقفى ، وهو الذى قفى من قبله فكان آخرهم ، ونبى الملحمة وهو الذى بعث ليجاهد أعداء الله جهادا كبيرا .

وأما العام فهو الذى يشاركه فى معناه غيره من الرسل ، ولكن له منه ذروته وكماله ، فضلا من الله عظيما ، وذلك كرسول الله ونبيه وعبده ، والشاهد والبشير والنذير ، ونبى الرحمة ونبى التوبة .

فاذا جعل له من كل وصف من أوصافه اسم تجاوزت أسماؤه المائتين عدا ، كالصادق والمصدوق والرءوف والرحيم وأمثالها ، ومن هنا قال من قال من الصوفية إن لله تعالى ألف اسم وللنبى صلى الله عليه وسلم ألف اسم مثلها ! !

على أن من تدبر أسماءه صلوات الله وسلامه عليه لم يجدها أعلاما محضة لمجرد التعريف كما هو الشأن فى أسماء الناس ، بل يجدها مشتقة من صفات قائمة به توجب مدحه وتشير إلى كماله ، شأن أسماء الرب تعالى جده ، وأسماء كتابه ، وأسماء أنبيائه ، ليست أعلاما مجردة . ولكنها مع العلمية نعوت وصفات توجب لموصوفها السناء والثناء كما يليق به .

وكثرة الأسماء والصفات دليل على العناية بأصحابها ، ومن هنا قيل : إن كثرة الأسماء برهان على شرف المسمى .

* * *

وحسبنا فى حديثنا هـذا أن نلم بمعانى هذه الأسماء الخمسة ، فانها أمهات الأسماء النبوية وأصولها . ومن ابتغى زيادة فى البسط والتفصيل فليرجع إلى زاد المعاد . . وجلاء الأفهام . . وكلاهما لشمس الدين بن القيم ، ثم إلى المواهب اللدنية وشرحها . . وعلى هذه الثلاثة أكثر تعويلنا فى شرح هذه الأسماء .

* * *

فأما محمد : فقد استفاضت الأنباء بأنه لما حملت به صلى الله عليه وسلم السيدة آمنة ، بشرت فى منامها بأنها تحمل سيد هذه الأمة ونبيها ، وأمرت أن تسميه إذا وضعته محمدا ، وأنه لما كان سابع ولادته صلى الله عليه وسلم عق عنه بكبش جده عبد المطلب . . وألهمه الله تباركت أسماؤه أن يصدق رؤيا أمه فيسميه تسميتها . . فلما قيل له : يا أبا الحارث ما حملك على أن تسميه محمدا وليس من أسماء آبائك ولا قومك ؟ ! قال : أردت أن يحمده الله فى السماء ، ويحمده الناس فى الأرض .

فمحمد اسمه الأول الذى سماه الله به فى عالم الرؤيا ، على لسان البشير الذى بشر به أمه ، ثم سماه به فى عالم الرؤية على لسان جده وكافله عبد المطلب .

ومحمد اسمه الأشهر الذى سماه الله به فى غير آية من كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

ومحمد اسمه الأسبق الذى سماه الله به فى التوراة ، على ما حققه وارتضاه ابن القيم فى كتابيه السابقين ، خلافا لما ذهب إليه أبو القاسم السهيلى والقاضى عياض على ما نشير إليه

* * *

وأما أحمد ، فهو الذى يلى محمدا فى فضله وسبقه وشهرته حتى كأنه هو فى كل معنى يتصل به أو يرمز إليه[1] ، ولا عجب إذ كان كلاهما منقولا من الحمد فهو يتضمن الثناء على المحمود كما يتضمن محبته وإجلاله وتعظيمه واتباعه فى كل ما جاء به .

وإذا غلب على الأول أنه المحمود حمدا بعد حمد : عند الله وعند ملائكته ، وعند إخوانه المرسلين من قبله ، وعند أهل الأرض جميعا — بله الجاحدين والجاهلين منهم — وعند الأمم قاطبة فى موقف الحشر ، فقد غلب على الثانى أنه أحق الناس وأولاهم بأن يحمد هذا الحمد ، فالاسمان كلاهما واقعان — كما اختار ابن القيم — على صيغة المفعول ، والفرق بينهما أن محمدا كثير الخصال التى يحمد عليها ، وأحمد هو الذى يحمد بحق أكثر مما يحمد غيره ، فمرد الأول إلى الكثرة والكمية ، ومرد الثانى إلى الصفة والكيفية .

وأياما كان الأمر فقد أوتى صلى الله عليه وسلم من خصال الثناء والحمد ، ما لم يؤت أحد ، فكان أعظم من حمد ، وأجل من حمد ، وسبحان من لا ينتهى عطاؤه عند حد .

* * *

وأحمد هو الاسم الذى سماه الله به فى الإنجيل على لسان عيسى بن مريم عليهما السلام إذ قال « يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » تلك تسميته وبشارته فى الإنجيل بلا خلاف ولا ريب .

---

(١) فى الرواية التى اخترناها « أنا محمد وأحمد » نكتة لطيفة توكد هذا الاتصال ، حيث عطف الثانى على الأول من غير الضمير الفاصل .

وإنما الخلاف فيما سمى به فى التوراة : هل هو محمد أو أحمد ؟

قال أبو القاسم السهيلى والقاضى عياض وصاحب الفتح : كان عليه الصلاة والسلام أحمد قبل أن يكون محمدا كما وقع فى الوجود ، فان تسميته أحمد وقعت فى الكتب السالفة وتسميته محمدا وقعت فى القرآن الكريم . وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس ، وفى الآخرة يحمده ربه فيشفعه فيحمده أهل الموقف ، وقد خص بسورة محمد وبلواء الحمد وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل والشرب والدعاء وغيرها ، فجمعت له معانى الحمد وأنواعه .

* * *

وقال ابن القيم فى أثناء رده واختياره : إنه صلوات الله وسلامه عليه عرف عند كل أمة بأعرف الوصفين لديها . . فلما كانت أمة موسى أوسع علما ومعرفة وشرعة ومنهاجا من أمة المسيح ، عرف عندها بالاسم الجامع للمحامد التى يحمد عليها حمدا متكررا ، وهذا إنما يعرف بعد العلم بخصال الخير وأنواع العلوم والمعارف والأخلاق والصفات التى يستحق تكرار الحمد عليها . ولا ريب أن بنى إسرائيل هم أهل الكتاب الذى كتب الله فيه من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء .

ولما كان الإنجيل كأنه مكمل للتوراة ومتمم لها ، جاء فيها اسمه الدال على الفضل والكمال كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة .

ولما كان القرآن الكريم مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل وجامعا لمحاسنهما معا جاء كذلك بالوصفين جميعا .

* * *

وأما الماحى : فهو الذى محا الله بنوره ظلمات الكفر ، ولم تمح هذه الظلمات بأحد من الخلق كما محيت به صلوات الله عليه ، فانه بعث وقد أطبق الكفر على أهل الأرض قاطبة إلا بقايا من أهل الكتاب .

والكفار ما بين عباد أوثان ، وعباد كواكب ، وعباد نار ، ويهود ونصارى ، وصابئة دهرية ، لا يعرفون ربا ولا معادا ، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها ، فمحا الله بنبيه الماحى صلى الله عليه وسلم هذه الظلمات ، وأظهر دينه على كل دين غيره حتى بلغ مبلغ الليل والنهار ، وسار مسير الشمس فى الأقطار .

وأما الحاشر : فهو الذى يحشر الناس على قدمه ؛ لأنه أول من تنشق عنه الأرض ثم الناس على أثره يحشرون ، وإليه فى المحشر يلجئون ، وبه عند الفزع الأكبر إلى ربهم يتوسلون ، وهنالك يتجلى مقامه المحمود الذى يحمده له الأولون والآخرون .

* * *

وأما العاقب : فهو فى معنى المقفى والآخر ؛ لأنه تبع آثار من سبقه من الرسل فكان خاتمهم . . .

وهذا الاسم صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فلا نبى بعده ، وقد فسر بهذا عند مسلم ، ففى إحدى روايتيه لهذا الحديث نفسه « وأنا العاقب ، والعاقب الذى ليس بعده نبى » وفى الرواية الأخرى « وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد » وقد تظاهرت الدلائل القاطعة ، والبراهين الساطعة ، من صريح الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة على أنه أتى عقب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأن به انتهاء النبوة وحسن الختام .

وحسبنا من صريح الكتاب قوله عز وجل : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ومن صحيح السنة قوله صلوات الله عليه فيما رواه الشيخان « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة . قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

ونرجو أن نقفى على هذا بمزيد بيان فى الجزء الآتى إن شاء الله

طه محمد الساكت

من الهداية المحمدية

* ما كرهت أن تواجه به أخاك فهو غيبة
* ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت

رسول الله صلى الله عليه وسلم

عَطّر الدنيا بذكر (المصطفى) انه روضُ البرايا أجمعينْ
ربه أثنى عليه ... وكفى عصمة العالم فى دنيا ودين
يا رسول الله ـ يا عظيم الجاه ـ يا ابن عبد الله
رحمة أنت لكل العالمين

* * *

جئت والدنيا ظلام فى ظلام تشتكى لله ظلم الظالمين
فرآك الناس شمسا للأنام حينما لحت ، وخير العادلين

* * *

وتجلى الشرق عن صبح عجيب حار فى أضوائه كل لبيب
لاح من (مكة) من أرض الحبيب شمسه من نور ربى لا تغيب

* * *

وصحا الكون على النور الجديد وعلى أنغام (جبريل) الأمين
إنه (القرآن) والعهد السعيد إنه الحق وخير المرسلين

* * *

دعوة نحو الصراط المستقيم أبصرَ الناس بها الخير العميم
كلهم يجمعهم (طه) اليتيم أخوةً ؛ وهو الأب البر الرحيم

* * *

يا رسول الله يا نور الوجود يا منار المهتدين المصلحين
جئت والعالم يغشاه الرقود بصباحٍ دونه الصبح المبين

* * *

إن تكن حطمت أصنام الحجر فلقد حطمت أصنام البشر
وجلوت العدل فى أبهى الصور فاطمأن الناس بدو وحضر

* * *

كبروا لله لا رب سواه إنه أكبر من كل كبير
وتساوى الكل فى شرع الإله خيرهم من يتق الله القدير

* * *

ربنا يا مرسل الرسل الكرام والحبيب المصطفى مسك الختام
أصلح اللهم أحوال الأنام ليعيش الكل فى ظل السلام
وارحم اللهم كل العالمين

محمد الأسمر



محمد صلى الله عليه وسلم والذين معه

محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما

خاتمة سورة الفتح

من أدب النبي ﷺ

إن التحدث عن آداب الرسول صلوات الله وسلامه عليه مما لا يشبع منه العلماء ، ولا تمله النفوس المؤمنة على كثرة الترداد ، ولا يقضى منه العجب . ومهما كتب الكاتبون وتحدث المتحدثون فلن يوفوا هذا النبي الأمى العربى حقه من الشكر والثناء عليه بما هو أهله ، ولن يميطوا اللثام عن كل ماله من الفضائل والآداب السامية والجوانب النفسية المستورة . وكيف وقد جعله الحق تبارك وتعالى مثالا للكمالات الإنسانية فى عصره وفيما قبل عصره وفيما بعد عصره ، وستبقى السيرة النبوية الوضيئة مشغلة العقل البشرى حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق القائل :

وعلى تفنن مادحيه بوصفه   يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

ولن أستطيع - فى مقال - أن أتكلم عن الأدب المحمدى ، فذلك أمر يطول ، ولكنى سأتناول جانبا من الجوانب الأخلاقية العالية فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاملته لأصحابه ومن يعرف ومن لا يعرف من الناس ، وهو نوع من الآداب اصطلح الناس على تسميته « بالآداب الاجتماعية » مما يتعلق بأدب الحديث ، وأدب اللقاء ، وأدب المجالسة والمؤانسة ، وأدب الحفاظ على الود وعرفان الجميل والإثابة عليه ، إلى نحو ذلك من الآداب . وقد أوفى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى هذا المضمار على الغاية ، وحاز قصب السبق . ولم يكن هذا الأدب العالى عن تصنع وتكلف - كما يفعل كثير من الناس اليوم - ولكنه أدب الطبع الهادئ ، والنفس المطمئنة ، والفطرة السليمة ، والعاطفة الخيرة ، والعقل الكبير .

فمن ذلك أدبه صلى الله عليه وسلم فى إجابة الداعى ، وفى لقاء الأصحاب بالبشاشة والترحاب . قالت عائشة رضى الله عنها « ما كان أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك » . وها نحن اليوم فى القرن العشرين ، قرن الحضارة والرقى كما يقولون ، ولم نصل الى هذا الأدب فى إجابة النداء . وحدث جرير بن عبد الله قال : « ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قط منذ أسلمت ، ولا رآنى إلا تبسم .

ومع ما كان عليه رسول الله من الجد وترك الهزل فقد كان يمازح أصحابه مزاح الأدب والوقار ، ولا يقول حين يمزح إلا حقا . وكان يخالطهم ويحادثهم ويسأل عمن غاب منهم ويكنيهم ويدعوهم بأحب أسمائهم إليهم تكرمة لهم وإدخالا للسرور على أنفسهم ، ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، وربما تلقاه المرأة فى الطريق فتستوقفه فيصغى إليها حتى تنتهى من عرض حاجتها . ويأخذ العفو من أخلاق الناس وطبائعهم ، ويقبل عذر من اعتذر اليه ، ويعود المرضى مهما بعدت ديارهم ، ويدعو لهم بخير ، ويبصرهم طريق الهدى والفلاح .

ومن أدبه العالى ـ فى الحديث والمصافحة والسلام ـ أنه كان لا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام ، وإذا استمع إلى مسارة إنسان لا يعرض عنه حتى يكون المسار هو الذى يعرض . قال أنس رضى الله عنه : « ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ » . وكان يبدأ أصحابه بالمصافحة ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، ويسلم على من يعرف ومن لا يعرف . ومن إرشاداته السامية : « ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » ، ويسلم على الرجال والصبيان ، ولا يخفى ما فى هذا الأدب من تأليف القلوب وغرس المحبة فى النفوس وإشاعة الأمن والطمأنينة بين الناس .

ولم ير رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مقدما ركبتيه بين يدى جليس ولا مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد ، فأين من هذا الأدب السامى ما يفعله بعض الرجال والنساء اليوم فى المحافل والمركبات العامة من مد الرجلين ووضع الساق على الساق فى غير تأدب ولا احتشام مما يضيق على الجالسين والمارة ويؤذى الشعور الحى وتتقذذ منه النفوس السليمة .

ومن أدبه صلى الله عليه وسلم فى لقاء الوافد إليه أنه يكرم وفادته ويبالغ فى بره ويتلقاه بالبشر والترحيب ، وربما بسط له ثوبه ، وآثره بالوسادة التى تحته ، ويعزم عليه فى الجلوس عليها ، ولم نعلم أحدا أعرف للجميل وأحرص فى المكافأة عليه منه صلى الله عليه وسلم ، وكيف وهو القائل « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه عليه فان لم تقدروا فادعوا له بخير » .

ولما وفد عليه وفد النجاشي قام يخدمهم بنفسه ، فقال له الصحابة : نحن نكفيك يا رسول الله ، فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإني أحب أن أكافئهم . ولما جيء بأخته من الرضاع الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت عليه بسط لها رداءه وقال لها : « إن أحببت قمت عندي مكرمة محببة ، أو متعتك ورجعت الى قومك » فاختارت قومها ، فمتعها .

وحدث أبو الطفيل فقال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم – وأنا غلام – إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه ، فبسط لها رداءه فجلست عليه ، فقلت : من هذه ؟ قالوا أمه التي أرضعته » وعن عمرو بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه » .

ومن بره وعطفه وعرفان الجميل لكل من أسدى إليه معروفا أنه كان بعد وفاة السيدة الجليلة خديجة زوجه يذبح الشاة ثم يقول : أرسلوا منها الى صويحبات خديجة ، وكان يبعث الى ثويبة مولاة أبي لهب التي أرضعته بصلة وكسوة ، فلما ماتت سأل : من بقي من قرابتها ؟ فقيل : لا أحد .

هذه بعض الآداب المحمدية ، وهي أرقى ما يطمع فيه مجتمع راق متآلف ، وأفضل ما تصبو إليه النفوس والفطر السليمة ، لأنها صدرت عن آدب الناس وأعقلهم وأطهرهم فطرة وأعظمهم خلقا . فكونوا – يا بني الإسلام – مهديين في أخلاقكم وآدابكم ، وكونوا بها مجتمعا إسلاميا صحيحا ، ودعوا ما وفد إلينا من عادات وتقاليد لا تتفق هي وديننا ، فقد بلي المجتمع الإسلامي بعادات وأوضاع سقيمة ، ووجدت من بعض ضعاف النفوس هوى وقبولا ، فإياكم وإياها ، واتبعوا آداب من أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وخاطبه بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

عقوبة الاعدام

اطلعت فى الأهرام من فترة على اقتراح بألغاء عقوبة الإعدام تقدم به الدكتور ملاك جرجس السيكولوجى فى وزارة الشئون الاجتماعية وأستاذ علم الأجرام السابق بجامعة عين شمس إلى الجهات المختصة ، وقدم مع اقتراحه كما تقول الأهرام مذكرة تتضمن تأليف لجنة من ممثل أو أكثر من وزارة الشئون الاجتماعية والعدل والداخلية ومصلحة السجون ، وممثل أو أكثر من طوائف رجال الدين، للنظر فى امكانية إلغاء عقوبة الإعدام من قانون العقوبات المصرى ، ويذكر أن ارتقاء المجتمع له أثر فى تناقص حالات الاعدام وتنعدم هذه العقوبة اذا اكتمل المجتمع ارتقاءه ، ويستشهد لذلك بتطور هذه الظاهرة فى ألمانيا ، وسويسرا . هذا ما يقوله الدكتور كما نشر فى الأهرام .

ولا أريد أن أقول للدكتور أن هذه عقوبة يقررها دين عظيم محترم هو دين الإسلام نزل بها القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة وجرى عليها المسلمون أحقابا من الزمان الى يوم الناس هذا ، وهى حد من حدود الله يقول فيها « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » أفما كان ينبغى مراعاة شعور أهل هذا الدين ؟ !

وان تعجب فعجب أن بعض الجرائد من حقبة مضت عملت استفتاء فى هذا الموضوع ـ موضوع هذا الألغاء ـ فأجاب كثير من المسلمين بأنه يجب الألغاء ، وكان فى مقدمتهم محام كبير تقدمت به السن ووقفت به على شفا القبر ، ولم يتحرج وهو مسلم شرع دينه تلك العقوبة من أن يقول فى جرأة غريبة يجب الغاء هذه العقوبة لصرامتها وشدتها . ومع ذلك فلا أريد أن أتكلم مع الدكتور ولا مع غيره من الناحية الدينية فأنما هو باحث والباحث لا يتقيد بدين ولا كتاب كما يقال فى هذا الزمان ، وقد شاعت فى هذه الأيام نظرية خاطئة بأوسع ما تحتمله هذه الكلمة من معنى وهى : العلم شيء والدين شيء آخر ـ ولا أدرى كيف يسمى علما ما يخالف الدين ويثبت غير ما يثبته الدين وهو تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكن على كل حال هكذا أشيع وعلى ضوء هذه الإشاعة ـ ان كان للاشاعات الخاطئة ضوء ـ سأتكلم مع هؤلاء الناس .

ولا أنكر ولا ينكر أى انسان عاقل أن عقوبة كعقوبة الأعدام عقوبة صارمة شديدة ترتجف منها الأفئدة وتجف منها القلوب ، ولكن هل يعاقب بها الناس لأسباب تافهة وجرائم بسيطة خفيفة ــ لا ــ لا ــ لم تشرع تلك العقوبة لشيء من ذلك ، وانما شرعت لأسباب اذا فحصها العقل السليم وفكر فيها الفكر الخالص من شوائب الأغراض والميول الخاصة وتدبرتها النفس الصافية الناظرة للمصلحة ــ وللمصلحة فقط ــ فأنها لاتنتهى إلا بنتيجة واحدة حاسمة وهى أن كل سبب من هذه الأسباب يجب ــ بحسب الحكمة والمصلحة العامة للمجتمع ــ أن تكون عقوبته الأعدام، وأن تشريع عقوبة غير هذه العقوبة يكون خطلا فى التشريع ، ونقصا فيه يدل على جهل مشرعه وعدم بصره بالأمور وعواقبها .

أما هذه الأسباب فقد بينها معلم الانسانية الأكرم صلى الله عليه وسلم بقوله كما رواه البخارى ومسلم « لا يحل دم امرئ مسلم الا بأحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

هذه هى الأمور التى جعل كل واحد منها سببا لعقوبة الإعدام ، وهى من الظهور بحيث تقنع المتأمل أدنى تأمل بصدقها وكفايتها فيما رتب عليها من عقوبة الإعدام .

الأمر الأول (الثيب الزانى) والمراد الزانى من الثيب ، والثيب من سبق له اتصال جنسى بنكاح صحيح رجلا كان أو امرأة ، إذ الثيب يطلق على الرجل والمرأة جميعا ، قال فى القاموس : والثيب المرأة فارقت زوجها أو دخل بها ، والرجل دخل به . ولا يرتاب عاقل فى أن الزنا قبيح أشد ما يكون القبح ، فاحش أشد ما يكون الفحش ، وفاعله مقترف أكبر جرم وأصعبه وضيع النفس حقير مهين بين الناس ، فقد هتك الأعراض ، ودنس الشرف ، وفضح الحرائر ووصمهن بعار الأبد وخزيه ، وخان الآباء والأبناء والأزواج ، ونسب الأولاد لغير آبائهم فخلط الأنساب بعضها ببعض ، وورث الناس ما لم يكونوا يرثون ، فاذا كان الزانى الأثيم محصنا كان إجرامه أشد وخيانته أكبر ، فانه كالغنى الملىء يطمع فى مال الفقير المعوز وله عنه غنى ، وكالكلب يلغ فى الخبائث ، يترك الطيبات من الرزق الى أكل الخبيث الرجس ، أفبعد ذلك تكون له كرامة تصان أو حظ من الاحترام أو يستحق الحياة ، وقد هتك الأستار وكشف العورات ، والنفس مفطورة على صيانتها وحفظها ، ولقد بالغ العرب فى جاهليتهم فى حفظ الأعراض حتى كانوا يئدون بناتهم خشية العار والفضيحة وان كان هذا لا يقره الإسلام ولا ترضى به العقول الرشيدة ، ولكنه مع كل حال يدلنا على أن المحافظة على العروض تقضى بها الفطرة وتوحى بها

الرجولة الحقة والمروءة العظيمة . فيأيها العقل المجرد تأمل فى مضار الزنا واحكم على فاعله بما تراه ، هل تراك حاكما الا بأن تهدر كرامة هذا المجرم الأثيم وتسلب حياته كما هدر أعراض الناس وسلب شرفهم ودنسه . أعتقد أن انسانا لا يتمارى فى هذا الجزاء الا أن يكون طلق عقله وماتت مروءته وغيرته .

الأمر الثانى : (النفس بالنفس) ومعناه أن من قتل عمدا عدوانا نفسا معصومة حرم الله قتلها ، و بين النفسين تكافؤ وتماثل ، فانه يقتل به جزاء وفاقا ، وأرانى لست فى حاجة الى بيان أن جزاء من فعل هذا لا يكون عند أولى الرشد والعقل السليم إلا القتل والإعدام فقد أزهق ظلما نفسا مصونة من حقها أن تحيا وأن تتمتع بطيبات الحياة ، فقطع هذا الجانى عليها حياتها، ورمل نساءها ، و يتم أطفالها ، وأضاع حقوقها ، وخرب بيتها ، فهل بعد ذلك يقول قائل مهما كان : إن هذا لا يستحق الإعدام . ولماذا ؟ وليس يراد أن يفعل به إلا ما فعله بغيره ، والمفروض أن ذلك الغير كفء له ولم يرتكب جريمة يستحق عليها القتل، ولا عذر للقاتل فى قتله ، فان كانت العقوبة قاسية فقد قسا ، و إن كانت عادلة فقد جار وظلم ــ يارب الناس هل مثل هذا يجد فى الناس من يقول دعوه واحفظوا عليه حياته ، فان عقوبة الإعدام بالنسبة له قاسية ــ أظن أنه لا يرى هذا الرأى عاقل .

وزعم أن ارتقاء المجتمع يمنع وقوع جريمة القتل زعم فاسد، فما زلنا نسمع أن فى لندن وهى راقية حيا خطرا يطلقون عليه اسم (سوهو) مملوء باللصوص والقتلة من بريطانيا أو أصل أجنبى ، كما جاء بالجمهورية .

الأمر الثالث : (التارك لدينه المفارق للجماعة) والمقصود بهذا المرتد عن دين الإسلام (والعياذ بالله) الذى يترك جماعة المسلمين و يطرح دينهم ظهريا و يعتنق دينا غير دينهم ، ولا يغرب عن البال أن الدين عقيدة تحيا بها العقول وتسعد النفوس ، وتقضى الطباع السليمة أن المرء يفنى فى سبيل عقيدته والذود عنها والمحافظة على سعادته وصونها ، وقد حدثنا التاريخ أن كثيرا من العقلاء فنوا فى سبيل عقائدهم والمحافظة على دينهم ، ولست أذهب بعيدا ، فثورة الارجنتين التى شبت نارها واستعر لظاها وماتت فيها نفوس كثيرة لم تكن إلا فى سبيل العقيدة والدين ــ إذن فالإنسان يقدم نفسه للقتل اختيارا فى سبيل دينه ، وهكذا قد فعل الإسلام ، فاذا ترك هذا الدين إنسان استهانة به ، واعتنق غيره فقد لوث شرفه ودنس نفسه وأمات قلبه ، فتذهب حرمته وعصمته وتهون على الناس كرامته ، فمثله يجب نبذه من المجتمع الإنسانى لئلا يضره و يؤذيه و يشيع أكبر الكبائر فيه لا جزاء له إلا هذا . و ربما يقول أولئك الناس إن العقوبات إنما شرعت لإصلاح حال الذى أجرم وليس فى عقوبة الإعدام صلاح له بل هى له موت فيه لصلاحه فوت .

وأقول إن هذا من قصر النظر وعدم التبصر فى القواعد وسطحية التفكير مع زعمهم التعمق والبحث الدقيق ، لاحظوا فى بحثهم مصلحة الجانى فقط ونسوا أن هناك مصلحة أكبر وفائدة أعظم هى مصلحة المجتمع ونقاؤه من الفساد والتحلل الخلق ، ذلك أن مضار هذه الجنايات إنما تقع على المجتمع نفسه لا على الجانى ، وهل يرتاب ذو مسكة من عقل أن الزنا وقتل النفس المعصومة ظلما وعدوانا وتبديل دين الإسلام بدين آخر واقعة على المجتمع ، فكلها إشاعة للفاحشة بين الناس ، وداعية للفوضى فى الأخلاق والحرمات ، ورافعة الثقة بين الناس وجاعلتهم يخاف بعضهم بعضا ويخشاه ، وأى صلاح لمجتمع تشيع فيه الفاحشة وترتفع فيه الثقة ويملأ الخوف قلوب أهله .

لا بد أن نصون هذا المجتمع ونحافظ عليه ، وإذن فيجب أن نشرع من العقوبات ما يردع هؤلاء المجرمين عن إجرامهم لنضمن للمجتمع صلاحا وهدى ورشادا ، وأضمن شئ لذلك هو عقوبة الإعدام فوجب أن تشرع ، ولا يمكن أن تقوم عقوبة أخرى مقامها مهما عظمت ، فكم رأينا متهمين فى جنايات عقوبتها الإعدام إذا ثبتت يقفون هم وأهلوهم فى ساحة العدالة فى انتظار الحكم واجمين مضطربين خائفين لا تكاد تحملهم أرجلهم . فاذا حكم القاضى بعقوبة الإعدام أغمى على بعضهم وهذى بعضهم وجن جنون الآخرين . وإذا حكم القاضى بالسجن المؤبد وهو أكبر عقوبة بعد الإعدام انطلقت الزغاريد وفرح الناس وربما أقاموا الزينات وعملوا الاحتفالات ، وهذا وحده يشهد بأن عقوبة الإعدام لا يقوم مقامها شئ أبدا .

على أن هذه العقوبة قد أحاطها الشارع الحكيم بما قد يكون فى مصلحة الجانى فقال « ادرؤا الحدود بالشبهات » وإذن فلا يعاقب بهذه العقوبة إلا من كان معتديا صارخ العدوان فاحشا ظالما لا شبهة له فيما ارتكب ولا مبرر له أدنى مبرر فيما جنى ، وهذا أمر واضح غاية الوضوح .

فيا أيها الناس فكروا طويلا قبل أن تتكلموا ، واجعلوا ألسنتكم من وراء عقولكم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ، عسى ربكم أن يرحمكم ويهديكم صراطا مستقيما . أسأل الله لى ولكم التوفيق والهداية ؟

محمد الطنيخى

عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ والإرشاد

عبث جامعى

« نشرت مجلة (الحياة الجامعية) أن عددا كبيرا من طلبة إحدى الجامعات ينكرون وجود الله ؛ لأنهم وجوديون : ولأن كثيرا من أساتذتهم يؤمنون بالوجودية »

والوجودية ـ كما تصورتها من قراءاتى ـ مذهب فلسفى يقوم على العبث والتخريف والهزل أكثر مما يقوم على التعقل والجد ، وليس أدل على ذلك من أن أكبر دعاته (جان بول سارتر) يدعو دعوة صريحة الى الانتحار فمن أقواله « أليس من الحكمة أن يتخلص الإنسان من هذا العالم غير المعقول بالانتحار » . فاذا تحدث عن فكرة الألوهية تحدث حديث الهاذى المحموم الذى يرسل القول على عواهنه ، و يلقيه على رسيلاته ، دون تحقيق علمى ، أو برهان منطقى ، وفى هذا الصدد يقول : « هذا العالم وجد بلا داع ، و يمضى لغير غاية ، وجود الله افتراض ، وهو يكلفنا كثيرا ، فنحن نلغيه » .

ثم نلق نظرة على أتباعه فنجدهم أقرب الناس الى المجانين : شعور طويلة ؛ ولحى مرسلة وملابس مزركشة ، ومظهر غريب ، ولهم فى باريس أندية خاصة يجتمعون فيها ليخرجوا عن كل عرف ، وليتمتعوا كما شاء لهم التمتع دون رقيب أو حسيب ، وهم يدعون الى الإباحية والتحرر ، و يحرضون على ارتكاب الموبقات علنا وعلى قارعة الطريق .

وأنه ليؤلم النفس أشد الألم أن يكون من أبنائنا المسلمين ، ومن طلاب الجامعات من يجيب هذه الإجابة التى لاتتفق مع دين ولا خلق ولا إنسانية ولا رجولة ، فيقول حين يسأل عن مستقبل أبنائه و بناته ـ كما نشرت المجلة التى أشرت إليها ـ سأعلم أولادى احتراف اللصوصية ، و بناتى احتراف الدعارة !

والبشرية ليست فى حاجة الى من يدعوها الى انكار وجود الله ، و يرشدها الى الطريق السوى للتخلص من الحياة بالهجرة الاختيارية عنها ، ولكنها فى حاجة ماسة الى من يبعث الطمأنينة فى النفوس ، و يشيع الأمل والرضا فى القلوب ، والى من يأخذ بيدها

فيجنبها كوارث العلم ، وشطحات الفلسفة ، وانحرافات الوجدان . ولست أؤمن بأن هناك دواء أنجح ، ولا علاجا أحسم للداء من الدين ، والدين — لو أحسنا التدين — هو العاصم من زلل العقل وتهوس العاطفة ، وثورة الغريزة . الدين هو القوة الوحيدة التى تستطيع أن تنجو بسفينة الفكر الراقصة على بحر الحياة ، فتدفع عنها الموج العاتى ، وتذود العواصف الهوج .

وهذه المعانى التى تؤيدها التجربة وواقع الحياة ، لم يناد بها رجال الأديان ـ وحدهم ـ وإنما نادى بها الحكماء قديما وحديثا ، كما أيدها علماء النفس ، وكما اهتدى إليها الشعراء ، ومما يؤثر عن (فيكتور هوجو) قوله : « الجهل خير من العلم الفاسد ، فأنا أطلب بل أريد من صميم قلبى أن يكون التعليم دينيا » ، وقوله : «يجب أن يساق الى المحاكم من يرسل ولده الى مدرسة كتب على بابها : لا تعلم الديانة هنا » ، ومما يؤثر عن (روسو ـ وهو من هو ـ هذه الكلمة التالية : « شر الشرور فى أعمالك أن يكون الله مجهولا فيها ، فان فى ذهاب الديانة تقويضا لأركان الهيئة الاجتماعية » .

والشباب فى بعض مراحل الحياة تنتابهم موجات من القلق والاضطراب ، وتتسلط على نفوسهم أوهام اعتقادية هى أقسى عليهم وأشد من الأمراض الفتاكة ، والأوبئة المجتاحة ، ويذهبون يلتمسون علاجا لهذا القلق عند المذاهب الفلسفية ، أو المجادلات الكلامية ، فيزدادون حيرة وضلالا ، ولو أنهم هدوا السبيل ، وأرشدوا الى الطريق القويم لالتمسوا علم ذلك من منابع الدين الأولى ، تلك المنابع الصافية ، بل لعلهم لو تأملوا أنفسهم ، واستوحوا الفطرة البسيطة ، لوجدوا ضالتهم ، ولأراحوا نفوسهم من سفر طويل ، ليس وراءه إلا التعب والمشقة والاعتساف على غير هدى ، وهم حين تهديهم الفطرة ، أو يرشدهم التعقل يجدون الراحة والسكينة ، وينعمون بالهدوء والطمأنينة ، فان فى الدين البلسم الشافى ، والترياق مما يشكون منه ، وينوءون به .

يقول كارل يونج ـ أعظم الأطباء النفسيين فى هذا الجيل ـ : « استشارنى فى خلال الأعوام الثلاثين الماضية أشخاص من مختلف شعوب العالم المتحضرة ، وعالجت مئات من المرضى ، فلم أجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر ، ترجع فى أساسها الى افتقادهم الإيمان ، وخروجهم على تعاليم الدين ، ويصح القول بأن كل واحد من هؤلاء المرضى ، وقع فريسة المرض لأنه حرم سكينة النفس التى يجلبها الدين

ـ أى دين ـ ولم يبرأ واحد من هؤلاء المرضى إلا حين استعاد إيمانه ، واستعان بأوامر الدين ونواهيه على مواجهة الحياة » .

على أنى أعتقد أن المذهب الذى يعمل ـ أولا ـ على تقويض العقيدة ، والذى يعتبر أن البطولة الحقة فى انكار وجود الله ، هذا المذهب لايمكن أن ينجح ، وإن وجد له أتباعا ومريدين ، ذلك أن هؤلاء الأتباع إنما ينساقون فى تياره أول الأمر لأنه يوافق هوى فى نفوسهم ، ويشبع حاجات غرائزهم وشهواتهم بما يدعوهم اليه من التحالل والمتعة ، وتيسير أسباب الفجور لهم ، ونحن نعلم أن بعض العرب نفر من الدين الإسلامى ـ وكان يعتقده حقا ـ لأنهم وجدوا فيه مانعا يمنعهم عن التمتع بالملذات المحرمة ، والشهوات الفاجرة ، فطبعى أن تحب بعض النفوس هذه المذاهب التى لاتجعل حائلا بينها وبين شهواتها حتى اذا شبعت رجعت الى صوت العقل ، واستجابت للمنطق السليم فرفعت عنها الغشاوة ، وعادت الى الإيمان بالله ، وبالخلق الفاضل .

ولو أنى أعلم أن هؤلاء الملحدين من طلبة تلك الجامعة إنما ألحدوا عن علم بجادلتهم بالمنطق ، وقارعتهم بالحجة ، وذكرت لهم البراهين التى رسخت وأصبحت من المسلم بها على وجود الله ، وعلى أن أفضل ما يجلب السعادة لهذا العالم انما هو الرجوع الى الأخلاق الحميدة ، ولكنى ـ وقد استمعت الى بعض من ألحد من شبابنا تظاهرا بالتعقل ـ أعتقد أنها ثورة عاطفية عابرة يذكيها بعض المضللين ، ولم أقرأ ـ فيما قرأت ـ عن خروج طالب او أستاذ من معاصرينا ، عن معتقداتنا المقدسة ، رأيا ناضجا يستند الى حجة ولو مدخولة وانما كل ماقرأته هوس فى هوس يخجل منه كل من يحترم نفسه ، وهو الحاد وكفى ، فاذا طلبت الى أحدهم دليلا ، أو فتشت فى رأسه عن فكرة ، أوحتى شبهة قوية لم تجد ، ولست ترى الا رغبة فى حب الظهور ، والاعتقاد بأن المناداة بمثل هذه الآراء يجلب لهم الشهرة وبعد الصيت .

ومع ذلك فسأسوق هنا بعض ما يعيد الطمأنينة إلى النفوس التى تبحث عن الحق ، وتريد الهداية ، ولست أنقل عن علمائنا المسلمين ، فربما كان إيمان هؤلاء بهم ضعيفا ، وإنما أنقل عن بعض العلماء والفلاسفة الذين يدين لهم هؤلاء بكل تقدير وإجلال ، فمنذ أربعة وعشرين قرنا قال سقراط لتلميذه أفلاطون : « هذا العالم يظهر لنا على هذا النحو ، لم يترك فيه شئ للمصادفة ، بل كل جزء من أجزائه متجه نحو غاية ، وتلك الغاية متجهة نحو غاية أعلى منها ، وهكذا يتم الوصول إلى غاية نهائية متفردة متوحدة » وهكذا

كان أولئك الذين يعتبرون فلاسفة الغرب ـ من أمثال أرسطو وأفلاطون واكستوفان ـ كانوا بصرف النظر عن الفروع يعتقدون فى إله واحد ، ذاته وحقيقته فوق الإدراك [١] .

فالعالم الذى وجد بلا داع ، ويمضى لغير غاية ، وهو عالم غير معقول عند (سارتر) ، هو عالم متجه نحو غاية عند أولئك الذين يعتبرون فلاسفة الغرب .

ويجئ عالم يعتبر من أكابر الحكماء فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ويعد من شيوخ الرياضيين ، والفلكيين على الأخص ، فيسلط معوله على فكرة المصادفة ، ويهدمها هدما متعقلا واعيا ، ويقول بعد إيضاح مجموعة الشمس : إن النظام المحير للعقول المشاهد فى حركات الأجرام التى تتألف منها المجموعة الشمسية لا يمكن أن يحمل على التصادف ، بل التصادف كلمة لا يصح النطق بها فى لغة العلم ، إن التصادف معدوم ومحال فى هذا العالم الذى نرى فيه كل شئ خاضعا لقوانين الموازنة ، وقوانين الحساب التى عينتها إرادة غيبية ، وحكمة بالغة [٢] .

و (لغة العلم) هنا كلمة عظيمة ، فما لا شك فيه أن هؤلاء الأبناء ، وأساتذتهم الذين يلقنونهم هذه الترهات ، ومن على شاكلتهم وشاكلة أساتذتهم ، لا يتكلمون بهذه اللغة ، بل لا يحترمونها ، وإلا فان لغة العلم فى كل فرع من فروع العلوم تثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أن وراء هذه القوى ، وهذه الأعاجيب الكونية قوة مدبرة حكيمة حازمة . وأن الذى يقرأ ما يدونه علماء التشريح ، وما يذكرونه عن هذه الآلة العجيبة التى يسير بها الإنسان فى الحياة ، ليعجب أشد العجب أن يكون من بين من يقرءون هذه الأبحاث من ينكر وجود الله .

ولقد كان آخر ما قرأته مقال عن الكبد ، ووظائفه فى جسم الإنسان ، وكان مما ذكره الكاتب أن الوظائف المعروفة للكبد حتى الآن تبلغ الخمسمائة ، أفتكون مثل هذه الآلات العجيبة مما أوجدته المصادفة ؟

إننى لا أدعو هؤلاء الطلاب إلى أن يتبصروا ليؤمنوا ، ولكنى أدعوهم كما أدعو أساتذتهم الذين يروجون لهذه الخرافة الجديدة التى تسمى بالمذهب الوجودى ، أدعوهم إلى أن يكفوا عن العبث ، فليس هذا أوانه ، وسوف يعلمون ما

على العمارى

(١) العلم والدين تأليف أحمد عزت باشا ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١ .

حديث «الزلزال» فى القرآن

فى صباح يوم الإثنين الثانى عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٥ فوجئ سكان مصر بزلزال عنيف كاد — لولا رحمة الله بكنانته — أن يجر عليها ويلات لا يعلم مداها الا خالقها . وقد فزع الناس فزعا شديدا لهذه الهزة الأرضية التى لم يستكمل أمدها دقيقة ، وكان لفزعهم هذا بعض الضحايا ، وأخذ الناس عقب هذه الهزة يذهبون مذاهب شتى فى التعليق والتفسير ، وثارت فى الأذهان والقلوب معان وخواطر منها إما يتصل بقدرة الله وجبروته ، ومنها ما يتصل بلطفه فى قضائه ورحمته بعباده ، ومنها ما يتصل بهول الزلزلة الإلهية الكبرى التى تكون يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ومنها ما يتصل بأسرار الكون وخفايا الطبيعة التى نعرف من أمرها القليل ونجهل الكثير .

وقد دعانى هذا الى أن أعرض لحديث « الزلزلة » فى القرآن الكريم ، فهو حديث لايخلو من عظة واعتبار . وقد وردت مادة « الزلزلة » فى أربع آيات من آيات التنزيل المجيد ، ومن التمعن فى هذه الآيات نرى أن الله سبحانه افتتح سورتين من سور القرآن الحكيم بالحديث عن الزلزلة ، وهما سورتا الحج والزلزلة ، وقد سميت السورة الأخيرة بنفس المادة ، ونلاحظ أن القرآن قد ذكر الزلزلة بنوعيها : الزلزلة الحسية والزلزلة المعنوية ، الأولى فى آيتين ، والأخرى فى آيتين ، وجاءت الزلزلة المعنوية منسوبة الى المؤمنين الذين يبتليهم ربهم بالاختبار والامتحان ، وجاءت الزلزلة الحسية منسوبة الى يوم البعث والحساب . ونلاحظ أيضا أن ذكر الزلزلة فى القرآن يصحبه تصوير للهول والفزع ، والمخاوف والشدائد .

ويحسن أن نتعرف الى المعنى اللغوى لكلمة الزلزلة . جاء فى لسان العرب : والزلزلة والزلزال تحريك الشيء . . . والزلازل الشدائد ، والزلزال الأهوال (١) » . وجاء فيه : « وقال ابن الأنبارى فى قولهم أصابت القوم زلزلة . قال : الزلزلة التخويف والتحذير ، من قوله تعالى : وزلزلوا حتى يقول الرسول . أى خُوِّفوا وحُذِّروا (١) » . وفى أساس البلاغة للزمخشرى : « وجاء بالإبل يزلزلها : يسوقها بعنف . وأصابته زلازل الدهر : شدائده [٢] »

---

(١) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٣٢٧ .

(٢) أساس البلاغة ، ج ١ ص ٤٠٥

وقد وردت المادة فى مواضع من الحديث النبوى الشريف ، وفى كتاب النهاية لابن الأثير : « فيه : اللهم اهزم الأحزاب وزلزلهم الزلزلة فى الأصل الحركة العظيمة والإزعاج الشديد ، ومنه زلزلة الأرض ، وهو هنا كناية عن التخويف والتحذير ، أى اجعل أمرهم مضطربا متقلقلا غير ثابت . ومنه حديث عطاء : لا دق ولا زلزلة فى الكيل ، أى لا يحرك ما فيه ويهز لينضم ويسع أكثر ما فيه [١] » وجاء فى مفردات القرآن للأصفهانى : « والتزلزل الاضطراب ، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه [٢] » قال « إذا زلزلت الأرض زلزالها . وقال : إن زلزلة الساعة شيء عظيم . وزلزلوا زلزالا شديد ، أى زعزعوا من الرعب [٣] » .

ونلحظ فى المعنى العام لمادة الزلزلة حركة عنيفة ، واضطرابا شديدا ، وخوفا وفزعا ، وبلبلة وقلقلة ، ونستطيع بعد هذا أن نستعرض المواضع التى جاء فيها ذكر الزلزلة فى القرآن الكريم

يقول الله تعالى فى سورة البقرة : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » [٤] .

روى أنها نزلت فى غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من المشقة والشدة وسوء العيش ، والمعنى : أم ظننتم أن تدخلوا الجنة قبل ابتلائكم واختباركم ، و إلى الآن لم يصبكم ما أصاب الذين سبقوكم من الأمم الذين مستهم البأساء والضراء ، وهى الأمراض والآلام والنوائب ، وزلزلوا أى خوفوا وامتحنوا امتحانا عظيما ، وقد نال الصحابة من ذلك جانب عظيم يوم الأحزاب . . . والذين آمنوا يقولون مع رسولهم : متى نصر الله ؟

(١) النهاية ، جـ ٢ ص ١٣٨ ، طبعة المطبعة الخيرية .

(٢) هذا يشير إلى اشتقاق الزلزلة من الزلة ، وفى اللسان : « زل السهم عن الدرع والإنسان عن الصخرة . . . إذا زلت قدمه قيل زل ، و إذا زل فى مقال أو نحوه قيل زل زلة » ج ١٣ ص ٣٢٥ وفى مفردات الراغب : « الزلة فى الأصل استرسال الرجل من غير قصد . والزلة المكان الزلق ، وقيل للذنب من غير قصد زلة تشبيها بزلة الرجل » ص ٢١٣ طبعة طهران .

(٣) مفردات الراغب ، ص ٢١٣ ، طبعة طهران .

(٤) سورة البقرة ، آية ٢١٤ .

أى يستفتحون على أعدائهم ، ويدعون بقرب الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة .
قال تعالى : ألا إن نصر الله قريب . وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها . وفى حديث أبى رزين « عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثه ، فينظر إليهم قنطين ، فيظل يضحك ، يعلم أن فرجهم قريب » [١] . والمراد بالرسول فى الآية قيل شعيا وهو اليسع . وقال الكلبى : هذا فى كل رسول بعث الى أمته وأجهد فى ذلك حتى قال : متى نصر الله ؟ وهذا ما تميل اليه النفس والله أعلم بمراده ؛ وقد اشتبه على كثير قول المؤمنين مع الرسول : متى نصر الله ؛ وفى هذا يقول القرطبى : « وأكثر المتأولين على أن الكلام الى آخر الآية من قول الرسول والمؤمنين ، أى بلغ الجهد بهم حتى استبطئوا النصر ، فقال الله تعالى : « ألا ان نصر الله قريب » ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك وارتياب » [٢] .

ويقول الزمخشرى : « (حتى يقول الرسول) إلى الغاية التى قال الرسول ومن معه فيها (متى نصر الله) ؟ أى بلغ بهم الضجر ، ولم يبق لهم صبر ، حتى قالوا ذلك ، ومعناه طلب الصبر وتمنيه واستطالة زمان الشدة ، وفى هذه الغاية دليل على تناهى الأمر فى الشدة وتماديه فى العظم ، لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم ، فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية فى الشدة التى لا مطمح وراءها » [٣] .

وفى تفسير المنار : « أى حتى وصلوا إلى غاية من الشدائد والأهوال لم يروا فيها منفذا لسبب من أسباب الفوز ، لأن قوة أعداء الحق أحاطت بهم من كل جانب ، ودنت حتى أخذت بأكظامهم ، فاعتقدوا أن وقت العناية الإلهية والنصر الذى وعد الله به من ينصر الحق قد حان وقته أو أبطأ فاستعجلوه بقولهم : متى نصر الله ؟ فأجابهم تعالى : (ألا إن نصر الله قريب) بأن نصرهم وكف عنهم شر أهل البغى وأيد دعوتهم » [٤] .

ويقول الله تعالى فى سورة الحج : « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » [٥] .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٢٥١
(٢) تفسير القرطبى ، ج ٣ ص ٣٥ .
(٣) تفسير الكشاف ، ج ١ ص ١٢٩
(٤) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٠١
(٥) سورة الحج ، آية ١ و ٢ .

والله يخاطب بهذا المكلفين من عباده ، والتقوى هي الخشية والاحتراس من المكروه ، أي احترسوا بطاعته عن عقوبته ، والزلزلة هي المعروفة التي هي إحدى شرائط الساعة التي تكون في الدنيا قبل يوم القيامة ، وهذا رأى الجمهور [١] . وإضافة الزلزلة إلى الساعة على تقدير أن الساعة هي المزلزلة ، كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي ، فتكون الزلزلة مصدرا مضافا إلى فاعله ، أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به ، كقوله تعالى : « بل مكر الليل والنهار » [٢] .

والهاء في (ترونها) للزلزلة ، وعندها تذهل كل مرضعة عن الإرضاع ، ومن ماتت حاملا تبعث حاملا فيسقط حملها من شدة الهول ، وتشاهد الناس كأنهم سكارى من الخوف والفزع ، وليسوا بسكارى خمر ، ولكنهم سكارى من هول العذاب الشديد .

ويقول الله تعالى في سورة الأحزاب : « اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » [٣] ، والخطاب للمؤمنين عن الأحزاب الذين تألبوا ضد المسلمين ، فشخصت الأبصار من فرط الهول ، وزالت القلوب عن أماكنها من الصدور حتى بلغت الحلاقيم ، وعند ذلك اختبر المؤمنون ليتبين المخلص من المنافق ، وكان هذا الابتلاء بالخوف والجوع والحصار والنزال ، وحركوا بالخوف تحريكا شديدا .

ويقول الله تعالى في سورة الزلزلة : « اذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان مالها ، يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

أي اذا حركت الأرض من أصلها لتخرج موتاها وكنوزها ، وإنما قال (زلزالها) للتأكيد ، ولم يصرح بوصف الزلزلة بالشدة أو القوة ليكون مبهما فيكون أجل وأوقع ، ويقول الآلوسي : « أي الزلزال المخصوص بها الذى تقتضيه بحسب المشيئة الإلهية المبنية

(١) تفسير القرطبي ، ج ١٢ ص ٣ .
(٢) تفسير الكشاف ، ج ٣ ص ٢٤
(٣) سورة الأحزاب الآية ١٠ و ١١

على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده زلزال ، فكأن ما سواه ليس زلزالا بالنسبة اليه ، أو زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره » . [١]

وفى الكشاف : « زلزالها الذى تستوجبه فى الحكمة ومشيئة الله ، وهو الزلزال الذى ليس بعده ، ونحوه قولك : أكرم التقى اكرامه ، وأهن الفاسق اهانته ؛ تريد مايستوجبانه من الإكرام والإهانة ، أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه » [٢] .

وحين تقع هذه الزلزلة يدهش الإنسان ويتعجب ويتساءل : مالها زلزلت ؟ وما لها أخرجت أثقالها ؟ وأى شىء حدث لها ؟ (يومئذ تحدث أخبارها) أى تخبر بما وقع عليها من خير أو شر ، وتشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، كما فى الحديث الحسن الصحيح ...

(بأن ربك أوحى لها) أى أنها تحدث أخبارها بسبب إيحاء الله إليها (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) أى يبعثون ويخرجون من قبورهم ، ففريق فى الجنة وفريق فى السعير ، (ليروا أعمالهم) أى ثواب أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) أى لا يغفل الله من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة .

روى أن أعرابيا سمع النبي يقرأ هذه السورة فقال : يا رسول الله ، أمثقال ذرة ؟ قال : نعم . فقال الأعرابى : واسوأتاه (مرارا) ثم قام وهو يقولها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد دخل قلب الأعرابى الإيمان !! . وسمع صعصعة عم الفرزدق هذه السورة فقال : لا أبالى ألا أسمع من القرآن غيرها ، حسبى فقد انتهت الموعظة !! .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : لما نزلت : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ... » قلت : يا رسول الله ، إنى لراء عملى ؟ قال : نعم . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : نعم . قلت : الصغار الصغار ؟ قال : نعم . قلت : واثكل أمى . قال : أبشر يا أبا سعيد ، فأن الحسنة بعشر أمثالها [٣] .

جنبنا الله الزلزلة فى الدين والدنيا ، وختم لنا بخير العقبى ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) تفسير الآلوسى ج ٩ ص ٤٣٥
(٢) تفسير الكشاف ، ج ٤ ص ٢٢٧
(٣) تفسير الآلوسى ، ج ٩ ص ٤٣٤

ترجمان القرآن

١ — نشأته وحياته :

كان فخر بني عبد المطلب بن هاشم : علما ، وعقلا ، ودينا ، وفقها ، وحفظا . فهو عالم قريش ، وهو ترجمان القرآن ، وهو الحفيظ الراوية الذى بلغ قدر ما رواه فى زمن قصير ١٦٦٠ حديثا . وهو القائل عن نفسه :

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالليث مثبور

ومن شهد له خصمه فقال وهو يتمثل [١] :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل ... مصيب ولم يثن اللسان على هجر

ولد هذا الإمام العظيم — ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب — ولد بعد البعث النبوى بعشر سنين ، وقبل الهجرة بثلاث سنين . وكان بنو هاشم إذ ذاك بالشعب يرزحون تحت أرزاء قريش وما يحملونهم من حرمان من الطيبات ، وقطع لكل العلاقات . واستقبلت هذه المحنة عبد الله إذ هو جنين فى الرحم فكانت الظلمة الرابعة وقد انبجست عن نور الصفاء ، ولعلها كانت مما ادخر الله سبحانه به لهذا الجنين سعادة المستقبل ولمعان الاسم وتألق النجم ، فكان للمتقين إماما .

وعرف عبد الله — ولم تمط عنه التمائم — ابن عمه السيد محمدا صلى الله عليه وسلم ، يعلم الناس الخير ، ويدعوهم بدعاية الرشد والبر ، ويقوم فيهم برسالة الحق أمينا كريما ، وحليما عظيما . يضؤل أمام عظمته الموهوبة جبابرة قريش ومجرمودا ، ومن تشير إليهم العرب بالأصابع وتخشى سطوتهم الأكابر ، فتمتلئ نفسه إعجابا وفخرا به ويزج بنفسه فى أحضانه ويجعله مثله الأعلى ويتخذه قوة وعتادا على الأيام وقدوة لا يعرف غيرها من الأنام .

ولا يعرف على التحديد كيف كان إسلام ابن عباس ، ولا متى كان ، وإنما الذى يعرف أنه لزم السيد صاحب الدعوة ، وأن نفس أبيه العباس كانت تطيب بذلك وترضاه ،

---

(١) قال ذلك معاوية بن أبي سفيان يصف عبد الله بن عباس .

فالعباس ممن أجابوا سرا دعوة الحق ، ورأوا فيها ذكرهم وشرفهم . فهو لا يحول دون اتصال ابنه بصاحبها ، بل إنه يرى له خيرا أن يلزم غرز السيد الرسول وألا يدع فرصة تمر دون الانتفاع بما عنده من علم غزير وخلق عظيم ، ولا لحظة تمر دون تسجيل فضيلة من فضائل محمد صلى الله عليه وسلم والأخذ عنه على مختلف نواحى الأخذ .

كان السيد عبد الله بن عباس خصب المنبت ، كريم العنصر ، صافى الأديم . وكان ممن وهبوا حافظة خارقة وأوتوا ذكاء فذا . فما هو إلا أن اندمج فى البيت النبوى الكريم يسمع ما يتلى من آيات الله والحكمة ، ويحفظ ما يسمع وما يعى من أفعال السيد الرسول وتصرفاته واتجاهاته ، وكان رضيا عند السيد الرسول وكان صلى الله عليه وسلم حريصا عليه رءوفا رحيما به . ولقد كان يجد من لباقته ومظاهر ذكائه ما يزيده عليه حرصا ، ويطلق لسانه بالثناء عليه ، ثم بالضراعة إلى الله سبحانه أن يؤتيه الحكمة ، وأن يفقهه فى الدين ، ويعلمه التأويل ، وأن يحشو جوفه أدبا وحكمة . ولقد استجاب الله سبحانه دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم ، فكانت سنه ثلاث عشرة سنة يوم انتقل خاتم رسل الله الى الرفيق الأعلى ، ولكنه كان يقرن بأكابر الصحابة ويرجع إليه فى شئون الدين ويفتى بما يطابق الحق ويروى ما بينت لك من عدد الأحاديث ١٦٦٠ ـ ستين وستمائة وألفا . على أن بعض ما رواه ربما سمعه من بعض الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان حريصا على جمع السنة والعلم عن الأكابر من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان حريصا على أخذ ذلك من فم الرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل وفاته . ولقد سأله يوما بعض الناس بم نلت هذا العلم كله حتى سبقت الأكابر وصارت الناس تضرب أكباد الإبل إليك ؟ فقال حكمته الكريمة : ذللت طالبا ، فعززت مطلوبا .

ومن الصور المأثورة فى ذلك ما رواه أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه صفة الصفوة [١] عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهم اليوم كثير ، فقال : واعجبا لك يا ابن عباس ؟ أترى الناس يفتقرون إليك وفى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم ؟ قال : فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث ، فأن كان ليبلغنى الحديث من الرجل فآتى بابه وهو قائل (٢)

---

(١) ص ٣١٥ ج ١ (٢) نائم فى الظهيرة .

فأتوسد التراب فيخرج فيقول : يابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا بعثت إلى فآتيك ؟ فأقول : لا . أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث . فعاش ذلك الفتى الأنصارى حتى رآنى ، وقد اجتمع الناس حولى يسألونى فيقول : هذا الفتى كان أعقل منى .

لكل ذلك وأمثاله دلالته على ما كان لعبد الله من حرص وكدح على العلم ، وأنه خلق لذلك فيسر له ، حتى صار عالم قريش وترجمان القرآن ، وحتى كان منذ عهد أبى بكر فى أصحاب الشورى العلميـة مع عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وزيد بن ثابت . فلما كان عهـد عمر ابن الخطاب وبلغ عبد الله مبلغ الرجال ، إذا بالفضل يسارع الخطا الى ابن عباس ، فهو موضع ثقة الإمام العليم الناصح البصـير عمر بن الخطاب الذى كان ضنينا بالثناء ، معلنا للتشهـير بكل من أساء . على أنه كان يكيل المدح لذلك الفتى الموهوب ، ويشجعه بأصدق عبارات المدح وأحفلها بالتنويه والتمجيد ، فهو عنده : فتى الـكهول ، له لسان سئول ، وقلب عقول ، وهو نعم ترجمان القرآن ، لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد ، وهو الذى لم يسمع عمر فتيا أحسن من فتياه الا أن يقول قائل : قال رسول الله ، وهو الذى يمدحه عمر فى وجهه فيقول : والله انك لأصبح فتياننا وجها ، وأحسنهم عقـلا ، وأفقههم فى كتاب الله عز وجل .

بخ بخ لك يابن عباس ، لقد رأى لك هذا الإمام المحدث العليم مصادر السمو مجتمعة عليك ، فأنت الصبيح الوجه ، المتزن العقل ، الفقيه فى كتاب الله بما لم يبلغه أحد منهم ، وحسبك بها شهادة من عمر ، على أن ذلك عند الحق قد كان صدى لدعوات السيد الرسول ، وعلى أنه مصداق شهادته الكريمة حين يقول لابن عباس : نعم ترجمان القرآن أنت ياعبد الله .

فأما العباس بن عبـد المطلب فأنه قد شهد هذا الفخار لابنه عبـد الله ومجده وباركه وحرص عليه أشد الحرص فيما يوصى به ابنه حين يقول له :

« يا بنى . إنى أرى أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحفظ عنى ثلاث خصال : اتق الله . لايجربن عليك كذبا ، ولا تفش عنده سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا » قال الشعبى لابن عباس لما روى له ذلك الخـبر : كل واحدة خير من ألف ، فقال ابن عباس : ومن عشرة آلاف .

ولقـد بالغ عمر رضى الله عنه فى اكرام هذا الفتى وتقديره ، مما جعل كبار الصحابة ينفسون عليه ذلك الإكرام وذلك التقدير ، فيقنعهم عمر به .

روى أبو الفرج بن الجوزى[١] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر رضى الله عنه يأذن لأهل بدر و يأذن لى معهم ، فقال بعضهم : أتأذن لهذا الفتى ومن أبنائنا من هو مثله ؟ قال فأنه ممن قد علمتم . فأذن لهم يوما وأذن لى معهم فسألهم عن هذه السورة « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا » فقالوا : أمر الله سبحانه نبيه اذا فتح الله عليه أن يستغفره وأن يتوب اليه ، فقال لى : ما تقول يابن عباس ، فقلت : ليس كذلك ، ولكنه أخبره بحضور أجله . فقال : « اذا جاء نصر الله والفتح » فتح مكة « ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا » أى فعند ذلك علامة موتك « فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » فقال لهم : كيف تلومونى عليه بعد ما ترونه .

وأنت ترى فى هذا الأسلوب من ذلك الخبر ما يشبه أن يكون تشفيا أو انتقاما من هؤلاء الأكابر ، فهو يقول ليس كذلك . ولعله يكون كذلك ، وهو لا ينافى ما قال ابن عباس ، ولكن للصيغة خطرها فى تقدير المقال والاعتداد بالحكم . وليست هذه المرة هى الوحيدة فى المفاخرة بابن عباس وإظهار فضله فقد تكررت كثيرا من عمر كما دل على ذلك نصيحة العباس لابنه ، ثم قول عبد الله رضى الله عنه : كان عمر يسألنى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول لا تتكلم حتى يتكلموا . فاذا تكلمت قال : « غلبتمونى أن تأتونى بمثل هذا الغلام الذى لم تجتمع شئون رأسه » .

وكان عبد الله بن عمر يحمل لابن عباس ما يحمل أبوه من تقدير ، ويكرمه ، ويحيل عليه بعض السائلين إذا سأله .

ومن ذلك أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا . فقال : اذهب الى ذلك الشيخ فسله ثم تعال فأخبرنى . فقال ابن عباس : كانت السماء رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات . فلما بلغ ذلك ابن عمر قال : إن ابن عباس قد أوتى علما . صدق ، هكذا كانت . ثم قال ابن عمر : لقد كنت أقول : ما يعجبنى جراءة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن علمت أنه أوتى علما ، بل إن الرأى العام العربى كله كان صدى لابن الخطاب ، وكيف لا وقد جعل الله الحق على لسانه .

---

(١) صفة الصفوة ص ٣١٤ ج ١

وإن فى شعر الحطيئة مايدل على نظرة الرأى العام لعبد الله والرأى فيه ، والشعر الصادق مرآة صادقة لعصره ، وقد كان الحطيئة ضنينا بالمدح على مثل عبد الله بن عباس ، ولكنه دخل يوما على عمر فأذا شاب يقرع بحجته ، ويفرع ببلاغته ، فقال : من هـذا الذى نزل عن القوم بسنه وعلاهم فى قوله ؟ قالوا ابن عباس ، فأنشأ يقول :

إنى وجدت بيـان المرء نافلة يهدى له ووجدت العى كالصمم
المرء يبلى وتبقى الـكلم سـائرة وقد يلام الفتى يوما ولم يلم

وجاء عهد عثمان رضى الله عنه وعبد الله فى منزلته ، مورد عـذب ، وحلال كل مشكل فى الدين .

ولقد حفظ له الإمام عثمان منزلته ، ورفع مقداره ، وأشركه فى جيش عبد الله بن أبى سرح يوم غزا افريقية ، فأبلى بلاء كريمـا ، واشترك ــ ومعه الحسن والحسين والزبير وغيرهم ــ فى فتح طبرستان تحت قيادة سعيد بن العاص .

وأمره عثمان على الحج فبرهن على مهارة ورشد فى السياسة ، وكان يبادل ابن عفان ذلك الحب الشريف ، على أنه كان لايبالى أن يقول له كلمة الحق إذا رأى منه ما لا يقره . وقتل عثمان مظلوما فبكاه عبد الله ورثاه أجمل رثاء حين يقول :

لقد كان أكرم الجمعة (١) وأفضل البررة ، هجادا بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، سباقا عند كل منحة ، حييا أبيا وفيا ، صاحب جيش العسرة ، وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعقب الله من يلعنه لعنة الله ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين .

قال ابن سـيرين : لمـا قتل عثمان رضى الله عنه قال ابن عباس : (لو أمطرت السماء دما لقتل عثمان لكان ذلك قليلا) .

* * *

وصار الأمر الى على من بعـد عثمان ثم سفر الصراع بين الهـاشميين أصحاب على والأمويين أصحـاب معاوية . وكان لابد أن يقف ابن عباس الى جانب ابن عمه الامام الورع الزاهد الذى بايعه من بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان كما يقول ابن عباس .

---

(١) النـاس .

وفى الحق لقد كان على يحب ابن عمه ويعرف فضله ، وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه ، كان على ينظر الى ابن عمه نظرة إكبار ويقول فيه : إنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق من عقله وفطنته . إنه لغواص .

وفى يوم الجمل جعله على مقدمة الجيش ، وفى يوم صفين جعله على ميسرة الجيش .

ثم تولى ابن عباس البصرة بعد أن استتب الأمر لابن عمه على . فانتقل إليها الأدب الجم والعلم الغزير والدراسات العلمية فى المساجد من حبر قريش ، وكثرة الوفود لطلب العلم ، وحل المشاكل .

ولأمر وقدر وقع خلاف بين الإمامين أمير المؤمنين ووالى البصرة مما دعا عبد الله الى كتاب استقالة قبله منه على وسرحه فسار حتى نزل بمكة وألقى بها عصا التسيار ، ثم بقى كل منهما حافظا لصاحبه وده مقيما معه على عهده لا يغمط واحد منهما الآخر شيئا .

وانتهى أمر المسلمين الى معاوية فلم يقل تقديره عن سلفه لحبر الأمة وقال فيه متمثلا :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل ... مصيب ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان إذا انتحى ... وينظر فى أعطافه نظر الشزر

وكثيرا ما سمع معاوية القوارص من عبد الله فما رزأه شيئا ، وأصيب عبد الله ببصره فى آخر حياته فقال :

إن يأخذ الله من عينى نورهما ... ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل ... وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وتوفى عبد الله فى عهد عبد الملك سنة ٦٨ وصلى عليه محمد بن الحنفية ، فانقضى للعلم عهد خصيب وللعرب مجد يفخرون به . وفى مقال آخر سنتناول بقية الحديث عن هذا الإمام ، فنذكر ما هو متعة للقارئ من تحليل صفاته وشرح ما يتيسر من مزاياه . نسأل الله سبحانه أن ينفعنا بالعلم ، ويجعلنا من صالح أهله ؟

محمود النواوى

من أحكام المال

« جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه »

عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عمر رضى الله عنهما قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول : أعطه من هو أفقر اليه مني . فقال : خذه ، اذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل ، فخذه ، فتموله ، فأن شئت كله ، وان شئت تصدق ، وما لا ، فلا تتبعه نفسك ـ قال سالم : فكان عبد الله لا يسأل أحدا شيئا ، ولا يرد شيئا أعطيه) متفق عليه .

تقـديم :

يدل لفظ ـ يعطيني ـ فى حكاية عمر رضى الله عنـه على تكرر القصة ، وهو صريح بعض الروايات ، ففيها قبل قوله صلى الله عليه وسلم : ـ خذه فتموله ـ حتى أعطانى مرة مالا ، فقلت : أعطه أفقر اليه مني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خذه الخ ؛ ولكنا لا ندرى ما كان قوله صلى الله عليه وسلم له قبل هذه المرة ، ويمنع أن يكون مثل هذا أن عمر كان وقافا عند قول الله ورسوله ؛ فلعله صلى الله عليه وسلم أمره أولا بالأخذ فحسب ، فعاد عمر الى مقالته ليستبين له وجه العمل فيه حتى أرشده صلى الله عليه وسلم اليه ، أو أنه كان يعرض عنه كشأنه صلى الله عليه وسلم مع من يشتد على نفسه ، وكان عمر حريصا على أن يعلم الحكم فيـه ، فعاد الى مقالته ليصل الى مثل هـذا التيسير أو الإرشاد الحكيم .
والإشراف كالاستشراف ، وأصلهما من أشرف على الشيء واستشرفه ، اطلع عليه من فوقه .
وهذا المعنى هو أصل مافسر به الإشراف فى الحديث من التطلع والتمنى والحرص والطموح والشره والطمع ، قالوا : كأن المستشرف ينظر الى المال من مكان مرتفع ـ شرف ـ فيكون أكثر لإدراكه ، ومن المعنى قول ابن أذينة :

لقد علمت ، وما الإشراف من خلقى ... أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى إليـه فيعيينى [١] تطلبه ... ولو قعـدت أتانى لا يعنينى [٢]

---

(١) يعيينى : يعجزنى . (٢) يعنينى من العناء ، وهو التعب والمشقة .

على ما فى القعود من المؤاخذة ، ومعنى تموله : اجعله لك مالا . ومعنى : فأن شئت كله الخ : إن شئت أن تنتفع به فافعل ، و إن شئت أن تتصدق به فتصـدق . ومعنى : ومالا ، فلا تتبعه نفسك : ومالا يجيئك فلا تجعل نفسك فى تعلقها به ، وتمنيها له ، وانصرافها إليه كالذاهب فى آثار من يحب ، أو فلا تذهب نفسك بذهابه ، وتهالكها من أجله أسفا وحسرة ، وحزنا ولوعة ، على أسلوب قوله تعالى ـ و إن اختلف الغرض والمعنى ـ « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » وقوله : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهـذا الحديث أسفا » .

المعنى :

لئن استقر من قديم أن جمع المـال والحرص عليه فتنة ، فقـد جاء الإسلام محذرا مع هذه الفتنة من فتنة أخرى لا يعرف كنهها ولا يدرك حقيقتها وخطرها إلا كل ذى عقل سليم ورأى مستقيم ، ألا وهى فتنة التجرد والحرمان ، ذلك لأنها تشدد من أمر الدين ولا تؤلف عليـه ، وتعسره ولا تيسر منه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ويقول : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » ويقول : « هو اجتباكم [١] وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

وفى الحديث (ان الدين يسر) و (ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) [٢] و (القصد القصد تبلغوا) و (ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولا ينزع من شىء الا شانه) و (ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) . ومن حكمة أسلافنا :

من شـدد نفر ، ومن لان تألف . ذلك بأن النفوس ملول ، والقلوب متقلبة ، وأن لم تأخذ بحظها مما يطيب ويجمل لا تـكون لها همة فى خير ، ولا عزيمة فى بر ، ولا جلد على طاعة ، ولا قوة على صـلاح ، ولأنها تلحق الحلال الطيب بالحرام الخبيث فى حكم واحد من الحظر والمنع . بل لعلها تهيئ لغير الصالحين أن يجمعوا بين متروك المتجردين وما يجمعون من الحرام شر جمع ، فأذا المـال دولة بأيديهم وحـدهم ، واذا بالرغائب والطيبات ذلول لنزواتهم وشهواتهم ، و اذا بالقوة والسلطان ، والأمر والنهى

---

(١) اجتباكم : اصطفاكم .

(٢) المنبت : المنقطع عن السير فى السفر ، والمراد بالظهر الركاب . والـكلام على التمثيل للمتشدد على نفسه فى الدين ، وتروى هذه الجملة لمطرف بن عبد الله .

خالصة لهم ؛ وما ينبغى أن يشرع ذلك دين الحق الذى جعل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأمر المؤمنين بأعداد القوة والأخـــذ بأسباب النصرة ، وجعـل الأرض ميراثا لعباده الصالحين ، وطيباتها حلالا خالصا للمؤمنين ، وقرر أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . نعم . ولا ينبغى لدين الحق أن يشرع للناس التجرد والحرمان وهو يعلم من أمر النفوس فى فطرتها وخلقها ، ونشأتها وأطوارها ومشاربها ونزعاتها ، مالا يصلح على التشديد أو يستقيم على الحرمان ؛ وقـــد أنـكر الله سبحانه وتعالى على الغلاة غلواءهم وتشديدهم فى أمر التمتع بالطيبات ، والانتفاع بالمباحات . فقـال جــل شأنه : « يأيهـا الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحـل الله لـكم » ، وقال : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » .

هذا . وقد بين هذا الحديث الشريف ما ينبغى أن يكون عليه حال المسلم فى الأخذ والترك . فنظر إلى حال المأخوذ ، وإلى حال النفس فى أخـذه ، وإلى ما ينبغى لهـا من العمل فيه .

أما حال المأخوذ فهو أن يكون حلالا طيبا ، وهو فى القصة ظاهر ، ويروى أنه كان عطية على عمالة (العمل على الصدقات) .

وأما حال النفس فأن لا تـكون متشوقة إلى الشيء ، ولا سـائلة إياه . فأن المـال فى هـذه الحال يكون فتنة لهـا ، ووبالا عليها ، إذ أنه يستخفها إلى الفرح والمرح ، والخيلاء والفخر ، ثم الى الطغيان والفساد ، ثم يورثها الاطمئنان الى الحياة الدنيا ، والغفلة عن الله والدار الآخرة . والله سبحانه وتعالى يقول : « ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بمـا كانوا يكسبون » . على أنه فى هــذه الحال لا يسد لها نهمة ، ولا يشبع لها جوعة . ففى حديث حكيم بن حزام رضى الله عنه (يا حكيم ، ان هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخـــذه بأشراف نفس لم يبارك له فيـه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع) هذا عند ظفرها به .

أمّا عند حرمانها منه فأنها تذهب عليه حسرات ، وتشتغل بالتفجع عليه عن ذكر الله والباقيات الصالحات ، ولهذا شرع الإسلام لأهله أن يقبلوا من المـال ما أقبل غير فرحين

به ، ولا مقبلين عليه ، وأن يعرضوا عمـا أعرض غير محزونين على فراقه ، ولا سائلين له . فعن القعقاع بن حكيم أنّ عبد العزيز بن مروان كتب إلى عبد الله بن عمر أن ارفع إلى حاجتك . قال : فـكتب اليه عبد الله بن عمر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى ؛ وإنى لأحسب اليد العليا المعطية ، والسفلى السائلة ، وإنى غـير سائلك شيئا ، ولا رادّ رزقا ساقه الله إلى منك » .

وأمّا حال العمل فى المـال : فأن لا يحرم نفسه من الأخذ بحظها منه ، فليس ذلك فرضا عليه . بل هو مردود إلى مشيئته كما هو مغزى الأسلوب « فأن شئت كله ، وإن شئت تصدّق » أو أسلوب الحـديث الآخر « إذا أعطيت شيئا من غير مسألة فـكل وتصدّق » فأن الأمر فى مثله قائم على الإباحة فى الأمرين أو الندب فيهما ، والواو فى مثله بمعنى أو التى للاباحة أيضا مثلها فى جالس الحسن وابن سيرين ، ويروى الحديث بلفظ أو بدل الواو فتـكون أصرح فى المراد .

ويرى الإسلام أنّ الإنفاق على النفس وعلى العيال صدقة ، بل إنه ليقدّم النفس ثم العيال ، ثم يجعل الصدقات بعد ذلك فى العفو ، وهو ما زاد عن الحاجة . قال تعـالى «ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو» وفى الحديث «أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول » فمساواة الأمرين : الأكل منه ، والتصدّق به ، كما هو ظاهر الحديث ، نظر إلى حال عمر رضى الله عنه ، لأنه بدأ بالاعراض عن حقه ليأخذه من هو أفقر اليه منه . فهذا الخطاب له على قدر إيثاره ، ومسايرة له — والله أعلم — فيما يطلب لنفسه من المنزلة ، أو هو إجمال لمـا يحسن من وجوه التصرف فى المـال . أمّا بيان مراتبها على التفصيل ففى غيره ، كالذى علمت من حديث « وابدأ بمن تعول » .

أما بعد . فأنه ينبغى لنا أن نتعرض فى هذا المقام لبيان حقيقة الزهد فى الإسلام حتى ننفى عنه غلواء الغالين ، وتـكلف المتـكلفين ، وبدع المبتدعين ، وسنرى أنه لا يعدو أن يكون عزوفا فى النفس عن التعلق بالملذات ، وأخذا للمـال من وجهه ، وانفاقا له فى مثل ما عرفت من سبله . فعن الزهرى ، وقد سئل عنه : أما إنه ليس بشعث اللمة ،

ولا قشف الهيئة، ولكنه ظلف النفس عن كل شهوة [١]، وأجاب مرة أخرى بقوله : أن لا يغلب الحرام صبرك ، ولا الحلال شكرك ، وفى اللسان : أراد : أن لا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال ، ولا صبره عن ترك الحرام ؛ وليس هـــذا التفسير بظاهر ، بل الظاهر أنه يريد : أن لا يغلب الحرام صبرك ، فيقع فيه ، ولا الحلال شكرك ، فلا تؤديه ، فأن الزهد كما يقول سفيان بن عيينة انما هو فيما حرم الله . فأما ما أحل الله فقد أباحكه الله ، فأن النبيين قد نكحوا ، وركبوا ، وأكلوا ، ولكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه، وكانوا به زهادا . هذا وفى الحديث ـ كما يقول بعض العلماء ـ الدليل الواضح على أن لمن شغل بشيء من أعمال المسلمين أخذ الرزق على عمله ذلك كالولاة والقضاة والجباة وعمال الصدقة وشبههم ، وفيه أيضا اشارة الى أن مباشرة المتصدق للصدقة بنفسه أعظم لأجره لما فى النفوس من الشح بالمال بعد أخذه له

محمود فرج العقدة
المدرس بكلية اللغة العربية



طلاب الوظائف

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة :

« ياعبـــد الرحمن ، لاتسأل الإمارة ، فأنك ان أوتيتها عن مسألة وكلت اليها ، وان أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها . واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فائت الذى هـو خير وكفر عن يمينك » .

(١) الشعث كالتشعث الغبرة والتفرق . والمراد بالامة الشعر . والقشف كالتقشف الخشونة ورثاثة الهيئة . وظلف النفس كفها ومنعها .





ازرع القمح ولاَّ الشعير

يجرى هذا الأسلوب فى لسان العامة . والمراد التخيير بين زراعة القمح والشعير . والكلام العربى أن يقال : ازرع القمح أو الشعير .

وقد بدا لى أن أبحث تخريج هذا الأسلوب ومنشأه فى العامية ، وظهر لى أن الأصل ازرع القمح ، والا فالشعير ، أى ازرع القمح ، وإلا تشأ هذا فازرع الشعير . ومآل هذا الى التخيير بين الزراعتين، وقد صار هذا الأسلوب الصحيح فى العربية الى الأسلوب العامى بارتكاب أمرين يجافيان العربية :

١ — حذف همزة إلا ، وحذف همزة القطع لا يكون الا فى ضرورة الشعر ؛ كما فى قوله :

تضبّ لثات الخيل فى حجراتها وتسمع من تحت العجاج لها آزملا

فتراه حذف همزة « أزملا » والأزمل : الصوت المختلط . وهو يصف حربا وهيجاء . وقوله : تضب لثات الخيل أى تسيل من الحرص على إدراك ماتريد وإنما يعنى رجال الخيل ، وقوله : فى حجراتها أى فى نواحيها .

٢ — وحذف الفاء فى الجواب ، وهذا قد يقع فى الكلام قليلا ، وقد ورد منه قوله صلى الله عليه وسلم لأبى بن كعب فى اللقطة : فأن جاء صاحبها وإلا استمتع بها كما فى رواية البخارى ، وفى الأشمونى : « وعن المبرد اجازة حذفها فى الاختيار » .

ومن هذا الأسلوب مع اثبات همزة إلا قول تاج الملوك سعيد بن أيوب — على ما فى طبقات الشافعية ٦ / ١٣١

قالت : لقد أشمت بى حاسدى اذ بحت بالسر له معلنا
قلت : أنا ؟ قالت : نعم أنت هو قلت : أنا ؟ قالت : وإلا أنا ؟
قلت : نعم ، أنت التى ألبست جفونك المرضى لجسمى الضنا

فقوله : وإلا أنا أى إلا تكن أنت الذى بحت بالسر فهل أنا الذى باح به ، فالكلام على معنى الاستفهام وقد حذفت أداته .

رغبت التعلم . أعاقنى هذا الأمر

يجرى الناس فى استعمال هذين الفعلين على غير الصواب .

١ — فالواجب فى المثال الأول أن يقال : رغبت فى التعلم ، وذلك أن الرغبة معناها الميل والحرص ، والحرص على الشيء يكون بالعزوف عن ضده ، فاذا ذكر الشيء المهوى توصل الفعل اليه بالحرف فى ، فقيل : رغب فى كذا ، واذا ذكر ضده تعدى الفعل اليه بالحرف عن ، فقيل : رغبت عن الجهل . فهذا معناه أنه مال الى شيء وانصرف عن الجهل . والذى يقابل الجهل هو العلم ، فكأنه أخبر بميله الى العلم وانصرافه عن الجهل ، فالرغبة معناها واحد وهو الحرص والهوى ، وانما يفيد الانصراف بوساطة الحرف مع التضمين ، فكأنه يفيد المعنى الأصلى مع الانصراف عند التعدية بالحرف عن ، وليس مشتركا بين المعنيين كما قد يتوهم .

وقوله تعالى فى الآية ٥٩ من سورة التوبة « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون » فيه تضمين الرغبة معنى الالتجاء وهى تفيد المعنى الأصلى ، وهو الحرص ، أى إنا راغبون فيما عند الله مع التجائنا إليه ، ولا يصح تضمين الرغبة معنى الإرادة، فيتعدى بنفسه ، لأن وضع الفعل على التعدية بالحرف والتفريق فى المعنى بالحرفين المختلفين ، والعامة لما اقتصروا على معنى الإرادة ومات عندهم معنى الإعراض سهل عندهم التضمين فعدوه بنفسه ، ولكن هذا خلاف وضع الكلمة .

والخطأ فى تعدية الرغبة قديم ، فقد قال أبو عمرو الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ، فى خطبة كتابه التيسير : « فأجبتكم الى ما سألتموه ، وأعملت نفسى فى تصنيف مارغبتموه » .

٢ — والواجب فى المثال الثانى أن يقال : عاقنى هذا الأمر من الثلاثى أو عوقنى ، ولم يرد التعدية بالهمزة ، وعلى هذا فالوصف عائق لا معيق ، وهذا الوصف الأخير يكثر فى كتابات المثقفين فى هذا العصر ، ومما يذكر فى هذا المقام أنه ورد فى المنجد — وهو معجم عربى — هذا النص : « العائقة : مؤنث العائق ، وهو كل ما يعيق عن العمل ، والجمع عوائق » وضبط (يعيق) بضم الياء ، ولولا هذا لصح أن يقرأ يعيق بفتح الياء ، وقد ورد فى عاق يعوق عاق يعيق ، فهو واوى ويائى .

محمد على النجار

المخدرات
ومشكلاتها فى المجتمع

ما ان وضعت الحرب العالمية الثانية أو زارها حتى اجتاحت بلدان العالم المختلفة موجة شديدة من الإدمان على تعاطى المخدرات بمختلف أنواعها وضروبها ، استنزفت ملايين الجنيهات من دخول الشعوب فى تعاطيها ، ودخول الحكومات فى مكافحتها ، واجتاحت أبدان الأفراد وعصفت بحالتهم الصحية والنفسية ، فهدمت الأجسام وخلقت القلق والاضطراب والانهيار فى الأعصاب ، فكثرت حوادث الانتحار ، وشرد الأطفال ، وترملت النسوة ، وانهارت الأوضاع الاجتماعية والنفسية ، مما حدا بالحكومات فى الكثير من البلاد الى تجنيد جنودها وحشد مكناتها لمكافحة المخدرات .

وليست المخدرات صنفا واحدا ، بل إنها أنواع كثيرة ، منها (الأفيون) الذى يستخرج من ثمار الخشخاش الناضجة ، والذى يزرع فى الهند وآسيا الصغرى والعجم ، وقد عرف باعتباره مخدرا منذ زمن بعيد ، حتى إنه ليقال إن قدماء المصريين قد عرفوه ، فضلا عن بعض طوائف من رجال المذاهب الإسلامية التى كانت تعيش فى خراسان . وتقول المصادر التاريخية بأنه قد بدأ تسربه من بلاد الصين الى بقية بلاد العالم . ومنها (الحشيش) الذى يؤخذ من أنثى نبات القنب الهندى الذى يزرع فى بعض البلاد الأوربية كالنمسا والبلجيك واسبانيا فضلا عن بعض ممالك آسيا كالهند والصين ، وهو يجمع على شكل مسحوق فى كتل بنية اللون أو مشوبة بخضرة ذات نكهة مميزة ، وقد عرفه العرب ووصفوه فى أسفارهم وأشعارهم ، ولقد قيل بأن سكان بلاد النوبة والهنود كانوا يتعاطونه فيصنعون منه أقراصا يعتقدون أن فى تعاطيها ذهاب الهموم وتهيئة الأحلام اللذيذة .

والأفيون والحشيش هما أهم أنواع المخدرات فى العصر الحاضر ، وتوجد إلى جانبهما أنواع أخرى كالهيروين ، وهو عبارة عن مسحوق بللورى أبيض اللون يصعب ذوبانه فى الماء ويسهل فى الكحول . وكالمورفين ، وهو أهم الأصول الفعالة فى الأفيون وأقدمها كشفا ، ويمتاز بمرارة طعمه . وكالكوكايين ، وهو عبارة عن عصارة العنصر الفعال

من أوراق نبات (الكوكا) الذى تكثر زراعته فى البرازيل وكولمبيا وبوليفيا وأندونيسيا وجزر الهند الغربية .

ولقد كانت الغاية الوحيدة من إيجاد هذه المواد المخدرة فى مبدأ الأمر هى الاستعانة بها بصفة عامة فى الأغراض الطبية ، ولكنها ما لبثت أن أسيء استعمالها ، وأقبل عليها المدمنون يتخذون منها (كيفا) دائما لهم يتعاطونه كما يتعاطون المواد والمشروبات المنبهة كالقهوة والشاى أو كما يتعاطون الماء والغذاء ، فبعد أن كانت وظيفة المخدرات التخدير والتسكين فى العلاج عموما والعلاج من الإسهال ومن بعض آلام الرأس ، وبعد أن تعاطاها الناس بالفعل وفق إرشادات الأطباء لهذه الأغراض ، أقبلوا عليها متخذين منها مادة ضرورية لا يستطيعون بعد اعتيادها وإدمانها العيش بدونها . . .

ويتخيل الناس فى تعاطى هذه المخدرات كثيرا من المزايا ، واختلقوا لها كثيرا من الوظائف والآثار، وترجع هذه المزايا والوظائف والآثار فى مجموعها ـ كما يتخيلها المدمنون ـ إلى نغمة واحدة ، مقتضاها أن المخدرات تفتح الشهية للطعام ، وأنها خير معين على الحصول على المتعة الجنسية ، فضلا عن أنها تذهب الآلام والأشجان من النفوس، وتطرح البلبال من الأذهان ، وتهيئ للمرء جوا من الأحلام اللذيذة والخيال الواسع والتخيلات السعيدة ، فينسى بزعمه متاعب الدنيا وهموم الحياة ، وقد انكبت على تعاطيها الجموع الكثيرة من الناس طلبا لهذه المزايا ورغبة فى الحصول على تلك الوظائف والآثار، وكان تعاطيها فى أول الأمر مقصورا على الأغنياء والقادرين ، ثم انتقل إلى فئات كثيرة من الشعب ، حتى لقد أضحى أكثر الإدمان شيوعا بصفة خاصة بين ماسحى الأحذية وبائعى الجرائد وسائقى السيارات والمشردين والمتعطلين عن العمل ومن إليهم من الطبقات الفقيرة .

وإذا أردنا أن نلم بمساوئ المخدرات وتعاطيها ، وجدنا أن تلك المساوئ تكون مشكلة متشعبة الجوانب خطيرة الشأن متغلغلة الأطراف فى نواح شتى من الأوضاع العامة فى المجتمع ، إذ تنشب هذه المشكلة أظفارها فى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والجنائية والصحية والنفسية .

١ — فمن الناحية الاقتصادية ، لا شك أن ضعف المدمن وانحلال بدنه وقوته ـ نتيجة الإسراف فى تعاطى المخدرات ـ من شأنه أن يضعف الإنتاج ويحرمه من قوة العمال وحيويتهم وطاقتهم العملية ، ومتى ضعف الإنتاج انخفض مستوى العيش وعم الفقر

وانهار المجتمع تبعا لذلك ، هـذا فضلا عمـا يقترن بكل ذلك من انتشار البطالة والتعطل بين الأفراد ، فيؤدى ذلك إلى سرعة انهيار المجتمع الذى تنتشر فيه المخدرات .

٢ — ومن الناحية الاجتماعية ، يلاحظ أن الـكثيرين من المدمنين يصابون بالعقم فيحرمون ويحرم المجتمع معهم من فلذات أكبادهم ، كما أنه قد ثبت فى حالات كثيرة أن الإدمان مرتبط بالجنون وفقدان العقل ، وأن فئة كبيرة ممن تضمهم مستشفيات الأمراض العقلية يرجع جنونهم إلى الإدمان على المخدرات ، هـذا فضلا عمـا يسببه الإدمان من خراب البيوت وترمل النسوة وتشرد الأحداث .

٣ — ومن الناحية الجنائية ، ثبت أن الـكثيرين من المدمنين لما أسرفوا فى إدمانهم ضيعوا أموالهم ودخولهم فى شراء المخـدرات ، وباعوا فى سبيلها كل عزيز لديهم من عقار ومنقول ومتاع وحلى ، ثم لمـا لم يبق معهم شىء جنحوا الى الوسائل غير المشروعة للحصول على ثمن المخدر ، ومن هنـا كان التجاؤهم الى ارتكاب جرائم السرقة والنصب والاحتيال وما شاكلها من جرائم المحتاجين والمتعطلين ، يضاف الى ذلك ما يسببه فقد الوعى الذى هو نتيجة تعاطى المخدرات ، من إتيان أفعال تكون فى الغالب من الأحوال جرائم معاقبـا عليها تهدد أمن الدولة .

٤ — ومن الناحية الصحية ، تبين التأثير الخطير الذى تحدثه المخدرات فى صحة المدمنين إذ ثبتت إصابة المدمن إبان إدمانه بالأعراض المرضية والعصبية كفقر الدم وضعف النبض وارتجاج المخ ولغط القلب واحتقان الكلى وضيق التنفس وفقـد الشهية وحصول الأرق الشديد والنزلات المعوية والآلام فى المفاصل ، كما أن المخـدرات تؤثر فى مزاج المدمن فتخضعه لسيطرتها وتوجيهها ، فلا يستطيع الامتناع عنها ، وإن فعل أصيب بهبوط القوى وخفقان القلب والمغص الشديد والقىء الدائم والزيادة فى العرق والافرازات . ومما لا شك فيه أن الضعف الذى يحيق بجسم المدمن من شأنه أن يجعله أكثر تعرضا للعدوى بالأمراض وبخاصة مرض الســل ، فضلا عن أن بعض المخدرات يؤدى الى تعرض المدمن للاصابة بالملاريا والخراجات .

٥ — ومن الناحية النفسية ، يلاحظ أن المدمن يشعر عقب التعاطى بسرور وارتياح لا يسعد بهما إلا قليلا حتى يقع فى ضيق شديد وانهيار فى الأعصاب ، فيطلب المزيد من

المواد ، و إذا أفاق شعر بأنه فى حرج وأحس بتشعث ذهنه وفقدان السيطرة على أعصابه ، وصار سريع الغضب والهياج يتمنى التخلص من الحياة .

ولقد كان من شأن انتشار المخدرات وكثرة المدمنين عليها رواج تجارتها فى العالم تبعا لوفرة الربح المادى الذى يأتى من بيعها ، ومن المعروف أن لتجار المخدرات الكثير من الحيل لتهريب مخدراتهم الى البلدان التى تمنع دخولها وتعاطيها ، تلك الحيل التى تتجدد وتتطور بتطور الوسائل التى تتخذها الدول للمكافحة ، ومن المأثور من هذه الحيل استخدام النساء والأطفال فى التهريب ، وتظاهر بعض التجار بالاتجار فى أنواع من المنتجات كبيع الحلوى أو السجائر أو المسلى الصناعى ، واتخاذ بعضهم لباس بعض الطوائف التى لا يشك فيها كمشايخ الطرق والقسس والراهبات ، واستخدام الحقائب الديبلوماسية ، إلى غير ذلك من الوسائل والحيل .

وأعلنت الدول حربا شعواء على تجارة المخدرات وتهريبها وتعاطيها ، فأصدرت من الناحية التشريعية القوانين التى تحرم تعاطيها وتفرض أقسى العقوبات على التجارة والتهريب ، حتى ان المجرم العائد فى جرائم المخدرات فى بعض البلاد يتعرض لعقوبة الإعدام ، وفى انجلترا لا تختص بالضبط فى جرائم المخدرات سلطة معينة ، بل يقوم بها رجال البوليس فى اسكتلنديارد ، كما يقوم بها البوليس المحلى ومصلحة الهجرة والجمارك وخفر السواحل ، فضلا عن أن لأفراد الشعب هناك الحق فى الإبلاغ عن اشتباهاتهم دون أن يأخذوا أجرا ، وفى أمريكا حيث تكثر عصابات التهريب وتمتاز بقوتها من ناحية الأموال والانتشار والتنظيم ، يقوم (المكتب الاتحادى للمباحث الجنائية) ورجاله بمكافحة المخدرات والقضاء على رجال عصاباتها فى الداخل والخارج ، ويساعد هذا المكتب فى ذلك مصلحة خفر السواحل من ناحية البحر ومكتب المخدرات من ناحية البر ، فضلا عن الرقابة الجمركية ، ويعتمد رجال المكتب الاتحادى على دار تحقيق البصمات الشخصية فضلا عن معامل التحليل .

ويمكن القول بأن الواجب يقضى بتوحيد جهود مختلف الدول لمواجهة مشكلة المخدرات والتعاون فى سبيل مكافحتها ، إذ أن عصابات التهريب أضحت لا تقتصر على بلد دون آخر بل صارت تتميز بالطابع الدولى مما ينم عن خطورتها وفتحها ثغرة فى المجتمع الدولى لا تسد إلا بتوحيد الجهود وتعاون الدول وحشد القوى وتوجيه المكافحة .

ويهمنا أن نقرر أن من الأهمية بمكان فى سبيل مكافحة المخدرات ، أن تتوجه العناية فى كل دولة بوجه أخص إلى نشر الثقافة الشعبية بين الأفراد ، لتبين للناس خطورة المخدرات على حياتهم ومجتمعهم ، وأن تزودهم بالإحصاءات والبيانات العلمية التى تؤكد هذه الخطورة ، فأن تشديد العقاب ورفع العقوبة إنما مجاله تجار التهريب والترويج ، أما أغلبية الأفراد من المتعاطين ، فليس يكفى فى شأنهم أن يشدد العقاب عليهم ، وأغلبهم تسيرهم دعايات الترويج ، كما يسيرهم الوهم والجهل ، لذلك يجدر أن يعزز العقاب بالإرشاد ، وتقترن العقوبة بالتوجيه والتبيين ، وتشتمل المكافحة على الثقافة الشعبية بشتى وسائل النشر والإذاعة ، باعتبارها عنصرا من أهم عناصرها ؟

أحمد طه السنوسى

حجة الفلسفة الوجودية فى مصر يقول :

نقل الأستاذ أحمد قاسم جودة فى جريدة الجمهورية عن رسالة صدرت بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م ، بقلم الرجل الذى يعتبر حجة الفلسفة الوجودية فى مصر ، وهو الدكتور عبد الرحمن بدوى الأستاذ بجامعة عين شمس ما يأتى :

« إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك ، و إما أن تقول باللا أخلاق فتخاطر بوجودك ... لكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته .

« الوجودى الحق أعدى أعدائه القانون ... إنه الحرية نفسها ، فلا معنى للواجب فى عالمها ، ولا تقييد لمدى انطباقها وانطلاقها ! .

« إنه الفعل الدائم ، أيا كان نوعه ونتائجه : فأن معانى الإثم والصواب كلها لا مفهوم لها فى هذا الباب ! .

« إننا معاشر الوجوديين لا نريد أن ننساق فى أحلام البراءة ، والبكارة ، والطهارة ... بل نصيح ملء فينا : افعلوا ! افعلوا ! حتى لو أدى ذلك الى الخطأ » .

هذه هى الوجودية التى يتناول بعض أساتذة جامعاتنا رواتبهم من مال الأمة ليدعوا بها الى التحالل من البراءة ، والبكارة ، والطهارة ... فهل لمصر من ينقذها ؟ ! .

عطاء بن أبى رباح

ولد عام ٢٧ هـ - وتوفى عام ١١٥ هـ

هو أبو محمد عطاء بن أبى رباح ، فقيه الحرم ومفتيه ، المنفرد بالفتيا فى مكة بعد حبر الأمة ابن عباس . كان مشهودا له من جملة الصحابة بالعلم والفقة والزهد، حتى إن ابن عمر ليقول فيه حين قدم إلى مكة وقد جمع له الناس المسائل يستفتونه فيها ، قال : أتجمعون لى المسائل وفيكم عطاء بن أبى رباح ، وحتى ان أهل زمانه أجمعوا على تلك الشهادة : « إنه مابقى على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء » وإنه لثالث ثلاثة شهد لهم الصحابة ، إذ يقول أحد الصحابة : مارأيت أحدا يطلب بعلمه ماعند الله إلا ثلاثة : عطاء وطاوس ، ومجاهد .

كان عطاء يتعهد طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم فى التعليم والتهذيب فلا يأبه لأن يكون ذلك فى مسجد، أو مكان معهود ، أو تهيؤ خاص، فنراه وهو يطوف ينادى من معه : «أمسكوا عنى، واحفظوا ماأقول ، القدر خيره وشره ، وحلوه ومره من الله تعالى، ليس للعبد فيه مشيئة ولا تفويض ، وأهل قبلتنا حرام دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، وقتال الفئة الباغية بالأيدى والنعال لابالسلاح ، والشهادة على الخوارج بالضلالة » .

وكان يرى أن أى لحظة من العمر يجب ألا تخلو من عبادة، وأى عمل لايتجرد عن طاعة ، فأذا دخل المسجد نوى الاعتكاف حتى يكون دائما فى عبادة وطاعة، والإفراط فى الكلام عنده غفلة للقلب، وملهاة عن ذكر الله ، ومجال للمم، فيطيل الصمت ماوسعه السكوت . فأذا تكلم كان كأنما يؤيد بالوحى : يعظ ، ويذكر ، ويأخذ العهد على طاعة الله والإعراض عن اللغو .

يقول محمد بن سوقة لمن حضر لديه : إنى أحدثكم بحديث لعله ينفعكم فأنه نفعنى . قال لى عطاء بن أبى رباح : يابن أخى ، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، ويعدون من فضول الكلام ماعدا كتاب الله أن يقرأ، أو الأمر بمعروف أو النهى عن منكر أو أن تنطق بما فيه حاجتك لمعيشتك التى لا بد لك منها . أتنكرون « إن عليكم لحافظين كراما كاتبين » و « عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » أما يستحى أحدكم إذا نشرت صحيفته التى أملاها صدر نهاره، أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟ ؟

لقيه سريج المغني مرة فى الحرم فقال له : بحق رسول الله عليك الا ما سمعت منى ، فأن رأيت ما تنكر أمرتنى بالإمساك عنه ، ورب هذه البنية لئن أمرتنى بالإمساك بعد الاستماع لأفعلن . فأطمع ذلك عطاء فى ابن سريج أن يقلعه عما هو فيه ، واندفع سريج يغنى قول جرير الشاعر الأموى :

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فأعجب به عطاء ولم يرفثا ولا هجرا حتى يأمره بالكف عن الغناء ، ولكنه خشى على نفسه الفتنة وآثر لها السلامة بكبح جماحها والرغبة بها عما تريد لها طبيعتها من مرح وطرب ، ولا بد لمثل عطاء من أن يتعفف عما لا يشين غيره فأنه المفتى والقدوة ، وكما يقولون : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وإن كان يسمع الغناء بعد ذلك عن غير قصد ولا رغبة ، فلم يكن ليطلبه ولم يكن ليمنعه ، وإن له فى ذلك ذوق الأديب وإحساس الشاعر ، فيفاضل فى الأصوات ويحكم فى التنغيم والترنيم . . . ثم يسأل عطاء عن مجالس الذكر التى تكفر مجالس الباطل فيجيب : « مجلس الذكر مجلس تعرف فيه الحلال من الحرام ، وكيف تصلى وكيف تصوم وكيف تتزوج وكيف تطلق وكيف تبيع وكيف تشترى » . والإجماع عنده أقوى من الإسناد فقد كان يلق بالفتوى ويسأل عنها فيقول : ذلك رأى الأمة وإجماع الناس ، وما أجمعت عليه الأمة أقوى عندنا من الإسناد

لقد كان عطاء أحد خمسة هم متكأ العلم وسند الفقه ، وإليهم ينتهى الفضل فى التفقيه ، رووا عمن شافه الوحى ، وسمعوا من كتبته صحابة رسول الله وسندنا فى ديننا إلى يوم الناس هذا بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهم عطاء ، وطاوس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهم أجمعين .

وإذا كان التصوف - كما يقولون - التحصيل للأصول ، والتنبيه للعقول ، والتعليم للجهول ، فأن عطاء كان حقا صوفيا ، أخذ العلم من أصل أصوله ، وتفقه على خيرة الصحابة ، فاستسق من أصفى المنابع وأنقاها ، ونبه العقول بحكمه البالغة ، وعظاته النافعة ، وفقهه العميق .

بلغه يوما أن الحسن البصرى قال فى مجلس علمه : « اعتبروا من المنافق بثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان . فقال عطاء : لقد كانت هذه الصفات الثلاث فى ولد يعقوب : حدثوه فكذبوه ، وائتمنهم فخانوه ، ووعدوه فأخلفوه ،

ومع هذا أعقبهم الله النبوة . وبلغ الحسن قول عطاء فما زاد على أن قال : « وفوق كل ذى علم عليم » .

وحق اذن لبنى أمية ، بل ووجب عليهم ، أن يصيح مؤذنهم فى موسم الحج «لا يفتى الناس الا عطاء بن أبى رباح » ولم لا ؟ وهو امام الفقهاء ، من أفضل التابعين ان لم يكن أفضلهم تقوى وزهدا ، فقد غبر عشرين عاما فراشه المسجد ، لا هم له الا أن يفقه فى الدين حق الفقه ، ويوجه إلى العبادة الصحيحة أكمل توجيه ، وينبه إلى تقوى الله أصح تنبيه .

وأكثر ما روى عطاء عن حبر الأمة ابن عباس ، وأم المؤمنين عائشة ، وحفاظ الصحابة : أبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى ، وابن عمر ، وروى عنه عمرو بن دينار ، وقتادة ، والزهرى ، ومالك بن دينار .

يقول أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب : أخطأت فى خمس مسائل من المناسك فعلمنيها حجام ، وذلك أنى أردت أن أحلق رأسى فقلت للحجام : بكم تحلق رأسى ؟ فقال : النسك لا يشارط فيه . اجلس ، فجلست منحرفا عن القبلة ، فأومأ إلى باستقبالها ، وأردت أن أحلق الجانب الأيسر فقال : أدر شقك الأيمن فأدرته ، وجعل يحلق رأسى وأنا ساكت . فقال لى : كبر فجعلت أكبر حتى انتهيت ، فقمت لأذهب . فقال : إلى أين تريد ؟ قلت إلى رحلى ، فقال : صل ركعتين ثم امض . يقول أبو حنيفة فقلت : ما ينبغى أن يكون هذا من مثل حجام إلا ومعه علم ، وقلت له : من أين لك ما أمرتنى به ؟ فقال الحجام : « رأيت عطاء بن أبى رباح يفعل ذلك » .

وان تعجب فعجب مسلك عطاء مع الخلفاء ، لا هو بالأمعة الخامل المنزوى ، ولا هو بالمفتات المتبجح السليط ، ضم الى ذلك أنه كان أزهد الناس فيما فى أيدى هؤلاء ، فوعظهم وذكرهم حتى أبكاهم ، وزجرهم وأنبهم حتى غشاهم من الهم ما غشاهم ، وليس المجال للتقصى والحصر ، وحسبك – يا صاحبى – من القلادة ما أحاط بالعنق ، ومن السوار ما أحاط بالمعصم .

يروى لنا التاريخ أنه دخل على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فى احدى حجاته وهو فى خلافته وسلطانه ، فهش له الخليفة ، وتلقاه فى اكبار وخشية ، وأجلسه معه على سرير الخلافة ، ثم جلس بين يديه متوقرا رزينا ، وحوله أشراف مكة من كل بطن ، ثم قال له : ما حاجتك يا أبا محمد ؟ فقال عطاء : «اتق الله يا أمير المؤمنين فى حرم الله ورسوله ،

وتعهده بالعمارة ، واتق الله فى أبناء المهاجرين والأنصار ، فأنك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله فى أهل الثغور فأنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فأنك وحدك المسئول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك ، ولا تغفل عنهم ، ولا تغلق دونهم بابك . كل ذلك وعبد الملك يقول : أفعل ان شاء الله ، ثم نهض عطاء ، فأخذ عبدالملك بيده وشد عليها وقال : يا أبا محمد ، سألتنا حوائج غيرك ، فقد قضيناها ، فما حاجتك ؟ فقال : « مالى إلى مخلوق حاجة » ويقول عبد الملك : هذا وأبيك الشرف ، هذا وأبيك السؤدد .

ويقول مقالته تلك أو قريبا منها لهشام بن عبد الملك فى خلافته يسأل حاجات الناس من الجند ، والفقراء ، ومن أصابتهم مسغبة ، ولأهل الذمة وتكليفهم من العمل مالا يطيقون . وعطاء يقول ، وهشام يأمر بأنفاذ أمره ، وينهى مجلسه هذا بقوله : « يا أمير المؤمنين ، اتق الله فى نفسك ، فأنك خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك ، وتحاسب وحدك ، والله ما معك ممن ترى أحد . فأكب هشام على البكاء ، فتركه عطاء وانصرف ، حتى إذا كان بالباب حملت إليه صرة فيها دنانير ، فقال : ما أصنع بهذا ؟ « قل ما سألتكم عليه من أجر إن أجرى الا على رب العالمين » .

وحتى على عطاء يفترى الناس ، وينطلى الزور ويروج ، ومثله لا يخلو من حاسد يفترى ، وحاقد يتقول ، وقد دس عليه بعض المجان بيتين ونسبهما اليه ، هما :

سألت الفتى المكى هل فى تزاور	وضمة مشتاق الفؤاد جناح
فقال معاذ الله أن يذهب التقى	تلاصق أكباد بهن جراح

وسئل عطاء فى هذا ، فقال : والله ما قلت شيئا من هذا ولا أحسنه ، وانما نحلنى الشاعر هذا ، ونفثه الشيطان على لسانه . وليس من اليسير على الأذهان أن تتقبل هذا فى رجل تأثم فى غير مأثم ، وتحرج من غير ماحرج ، وزهد الخلفاء حتى أبكاهم ، وزهد فيما عندهم فغبطوه على شرفه .

مات رضى الله عنه وهو أرضى أهل الأرض عن الدنيا ، وأشدهم خشية لله وأحبهم للقاء ربه ، وأدناهم من طاعة ، وأنآهم عن معصية م؟

محمد حافظ
المدرس بمعهد الإسكندرية الثانوى

من التاريخ الاسلامى :

فارس عين جالوت . . !

واإســـلاماه !

نعتقد صادقين أن للاسلام الغلبة والبقاء مهما تألبت عليه قوى الشر وعناصر الفساد، وتلك الحقيقة السافرة هى التى تضطرم لها أوربا غيظا وحنقا ، فقد جاهد دهاتها فى محاربة الإسلام جهادا لا هوادة فيه ، ولم يجدوا بعد الكفاح المرير والإعياء القاتل غير الهزيمة والخذلان ! ! ولهذه الحقيقة السافرة شواهد من التاريخ وبراهين من الواقع ، وحديثنا عن معركة عين جالوت ، وبطلها الملك المظفر قطز ، دليل مؤكد يبرز معدن هذا الدين الحى ، دين العزة والرجولة والاستبسال ! !

لقد تعرض الإسلام فى القرن السابع الهجرى لإعصار مدمر رهيب ، فقد جهد الغزو التترى الماحق فى بلاد فارس مع العدوان الصليبي الآثم فى شواطئ النيل على استئصال شأفة الإسلام وتقويض معالمه ، وظن المرجفون أن ساعة الإسلام آتية ، ولكن مصر الإسلامية الظافرة تسجل فى صحائف التاريخ نصر الإسلام ونجاحه ، وتقف أمام الغزاة من الجانبين وقفات رهيبة قاسية ، ثم تنجلى المعركتان عن فوز ساحق يكلل جيش مصر ويضىء قسمات الإسلام .

لقد تدفقت جيوش التتار من هضاب الصين، فاكتسحت خراسان وهمدان وقزوين، ثم اجتاحت مرو ونيسابور وهراة ، فقوضت عروشا وأبادت مدنا ، وشبت شبوب النار الجائحة لا تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، وقد جرفت فيما جرفت من العروش سلطان ملوك خوارزم فتفرقوا أيدى سبأ ، وتمزقت أشلاؤهم تحت سنابك الخيل وشواجر الرماح ، وبيع من بقى من الأطفال والصبية بيع الرقيق ! ! وقد كان الملك المظفر « قطز » فى طفولته أحد هؤلاء الضحايا الذين جىء بهم من بلاد الأكراد، ليباع فى أسواق دمشق ، غير أنه كان يحمل فى نفسه همة عالية ، وعزيمة وثابة ، فنشأ مجاهدا مكافحا ، وحرص على الثقافة والفروسية معا ، وقد كان العز بن عبد السلام بدمشق ـ آنئذ ـ يشن

الحملات القاسية فى تعبئة الشعور العام ضد التتار ، ويدعو المسلمين إلى مؤازرة جلال الدين - خال الملك المظفر - فى جلاده الرهيب مع الأعداء، ويرى أن يتجمع المسلمون تحت راية واحدة ، ليتمكنوا من الوقوف صفا واحدا أمام الخطر المشترك ، وكلما جاءت الأنباء بانتصار جلال الدين ، طرب له العز واهتز ، ودعا فأخلص ، فلما حانت خاتمته الأليمة بعد أن أغرق زوجته ونساءه فى نهر السند ، واضطر إلى محاربة إخوانه فى العقيدة ممن نكلوا عن مؤازرته فى دفع الخطر المتوثب ، تحسر العز وأسف ! ! وسمع قطز بما يكنه الشيخ الكبير لأسرته من حب وإعظام فسعى إلى مجلسه وتتلمذ عليه وعلى أقرانه من أئمة العلماء ، كما أتقن الصيال والوثوب فى ميادين الفروسية والبطولة ، وقد كان اقترابه من العز نفحة مباركة ميمونة ، ألهبت مشاعره الوجدانية نحو الإسلام ، وجعلته يعد نفسه بطلا من حماته ، فحذق لذلك أساليب القتال وضروب الشجاعة ، وما زال يقيم الدليل بأفعاله المعجزة على جرأته الثابتة ، وحنكته الماهرة ، وعواطفه نحو الإسلام تشب وتلتهب ، فلم يكن بين الجنود جنديا يأتمر بأمر قائده متى أمر ، وحيث أراد ، ولكنه - بتأثير العز بن عبد السلام - وضع الفكرة الإسلامية بين عينيه ، وسار على منارها أنى تألق وأضاء ، وآية ذلك أن الصالح اسماعيل صاحب دمشق قد هادن أعداء الإسلام من الصليبيين واستعان بهم فى حروبه الكافرة مع صاحب مصر الصالح أيوب ! ! ونظر الملك المظفر فوجد أعداء الإسلام يقفون معه تحت لواء واحد أمام مصر التى ردت سهام الفرنجة إلى نحورهم ، وقدمت أفلاذها العزيزة قربانا للعقيدة ! ! وذيادا عن العروبة ! وهنا يضطرم الغيظ فى صدر البطل الباسل فيصيح فى إخوانه صيحات مؤنبة منددة ، ويحمل الراية مع من معه فى دمشق لينضم إلى جيوش النيل الباسلة ، تاركا ملكه الخائن يتفتت غيظا وكمدا حين يرى أعظم كتيبة فى جيشه تنخلع من ظلام الباطل إلى ضياء الحق ، فيتم على يدها النصر الحاسم لمصر ، ويعرف الصالح أيوب صاحب مصر جهاد البطل الأبى فيضمه إلى مماليكه ، ثم يجتبيه نائبه وظهيره عز الدين أيبك فيجعله من أخلص خلصائه ، وأصدق أعوانه ، وحين خرجت الجيوش المصرية إلى مقاتلة الصليبيين فى أرباض دمياط كان قطز يقوم بجهده الموفق فيجمع الكتائب ، ويخترق الصعاب ! حتى إذا وجد الفرنجة يقتحمون السدة السلطانية بالمنصورة تدفق الدم الإسلامى الأبى فى عروقه ، وصرخت أمجاده العريقة ، فاشتعلت النخوة الإسلامية فى رأسه ، واندفع إلى السدة يضرب ذات اليمين وذات الشمال حتى درأ عنها الخطر الفاغر ، ثم تعقب الهاربين فى

السواحل المترامية والمروج الفسيحة نقتل ومزق، إلى أن انجلت المعركة بنصر الله ، فأسر لويس التاسع وتبدد جنده الفاشل ما بين قتيل وشريد : فتمت بذلك الكلمة العليا للاسلام

كان النصر الحاسم الذى بلغه الجيش المصرى فى نضاله الحميد مذكيا للهمم ، ومحييا ما اندثر من الآمال ، فقد ارتفع بالروح الوطنية الى أوج سامق ألاق ، فشعر المصريون أنهم ذادة الإسلام وحماته ، ولمسوا مواضع القوة فى أرواحهم العالية ومعادنهم النفيسة ، ونظموا أهازيج البطولة يرددونها فى غدواتهم وروحاتهم نخورين متفائلين، ولكن مالبثت الأنباء تفد بعد قليل من بغداد أليمة قاسية ، فقد داهم هولاكو مدينة السلام بخيانة ابن العلقمى وأعوانه الظاهرين والمستترين ، واستأصل ما فيها من الذخائر والأعلاق ، وأجرى الدماء أنهارا مائجة ، وأسقط الخلافة سقوطا أليما ، وجلب الدمار والتخريب على قصبة الإسلام وحاضرة العربية ، ثم زحف بجنوده الى الغرب مدمرا حاصدا فعبر الفرات واستولى على بلاد الجزيرة وما وليها من ديار بكر وحران ونصيبين والرها ! ثم وصل الى حلب ! وقد اتخذ من الطغيان الآثم منطقا يبرر به وحشيته المتبربرة ، فهو يعمد الى التهديد والوعيد ، ثم يثنى بالتنفيذ الوحشى الرهيب ! فلا يرحم طفلا أو كهلا ، بل كانت آهات الضحايا وزفرات الصرعى نغمات حلوة تصل الى أسماع جنوده فيترنحون ثملين ، وقد تجردوا من إنسانيتهم الرحيمة وإحساسهم الشفيق ، وصاروا يعتقدون أنهم زلزال الأرض لا يقف أمامهم جبل شامخ أو حصن منيع ! وقد اضطربت بلاد الشام اضطرابا عنيفا لهجوم الطاغية وتعرضت لبركان مدمر ، بينما انطلق الجواسيس ودعاة الهزيمة يبعثون الرعب فى النفوس ، ويصورون الغزاة المتوحشين فى أبشع صورهم الحمراء ، وقد ترامت الأنباء الفاجعة الى القاهرة فبات المصريون منها على شر مستطير ! .

كان الملك المظفر - حينئذ - نائبا للسلطنة المصرية ، حيث يجلس على العرش شاب جاهل هو على بن معز الدين أيبك ، ولم تكن له دراية بغير اللهو والعبث ، فمثله لا يستطيع أن يواجه الموقف الرهيب فى أحلك ظلماته وأخطر مواقفه ، فاتجهت الأنظار الى قطز ، ذلك العملاق الجبار الذى يحمل فى أعماقه أحر الأحقاد على التتار ! هؤلاء الذين شردوا أهله وفرقوا سلطانهم فى خوارزم، وتركوا البؤس ينعب فى بلاد التركستان وهضاب فارس ! فالتقت الحمية الأبية فى نفسه ، بالروح الإسلامية التى أجج نارها سلطان العلماء العز بن عبد السلام فى عروقه ، وخلق ذلك منه بطلا إسلاميا فدائيا لا يستنيم الى ضيم ، أو يركن لخنوع ، فملك زمام الأمر ، وأصبح سلطان البلاد فى خطبها الجليل ! .

جمع الملك المظفر أعوانه وجنوده ، وأطلعهم على حقيقة الأمر فى بغداد وأعلمهم أن مصر مطامح الأنفس ، ومراد العيون ، ولا بد أن الوحش التترى سينقض عليها بجموعه ما بين ساعة وساعة ! وقد شاءت الأقدار أن تضع أمامهم وثيقة لا تقبل النقض ، إذ بعث الطاغية رساله بأنذار متعجرف أحمق ، يقول فيه :

« من ملك الملوك شرقا وغربا القائد الأعظم ، باسمك اللهم باسط الأرض ، ورافع السماء ، يعلم الملك قطز وسائر أمراء دولته ، وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ ، فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكا ، وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم البلاد ، فعليكم بالهرب ، وعلينا الطلب ، فأى أرض تأويكم ، وأى طريق تحميكم ، وأى بلاد تحميكم ! فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ، فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال ، فأنكم أكلتم الحرام ، وخنتم العهود والأيمان ، وفشا بينكم العقوق والعصيان ، فأبشروا بالمذلة والهوان ، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ، وليعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يسمع ، فأسرعوا برد الجواب قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترمى نحوكم شرارها ، فلا تجدون منا جاها ولا عزا ، ولا كافيا ولا حرزا ، وتصبح بلادكم منكم خالية ، فقد أنصفناكم إذ راسلناكم ، وما بقى لنا مقصد سواكم ، والسلام علينا وعليكم وعلى من أطاع الهدى وخشى عواقب الردى ، فأطاع الملك الأعلى » .

هذا منطق الطغاة ! لا يتغير ولا يتبدل فى كل زمان ومكان ، فهم المدافعون عن الحقوق دائما ! ومع أنهم وثنيون يستشهدون بالقرآن ، ويدعون أنهم جند الله فى أرضه ، يفتتحون البلاد ! ويطهرونها من الفساد ! ويعصفون بمن يأكل الحرام ، ويخون العهود وينقض الأيمان ! أجل ، هذه هى رسالة التتار الذين أفنوا فى بغداد مليونى نفس ، وأبادوا شتى الحضارات الزاهرة فى الشرق التليد ، ولولا موقف مصر الخالد لعبروا الطريق الى الأندلس وأوربا يحملون الدمار والوبال ! ولن تجد فاسقا فى الناس يعترف

بفسقه وجوره ، بل يجد من الضرورة أن يتشح برداء مموه من الغيرة والحفاظ ، كما حاول التتار أن يظهروا مظهرا خادعا فى إنذارهم العجيب .

جمع الملك المظفر جنوده ورجال مملكته ليلهب فيهم جذوات الحمية والإباء، وقد احتشد العلماء والأمراء وأعيان الدولة فى يوم مشهود حافل ، ووقف العز بن عبد السلام رحمه الله يذكر فضائل الجهاد، ويعد بمثوبة الله فى الآخرة ، وشرف الحياة فى الدنيا ، وكان الشباب المصرى الأبى من التجار والزراع والصناع يقدرون الموقف مع الجنود حق قدره ، ويقدمون أنفسهم كتائب غازية تؤازر الجيش الرسمى وتسانده ، ذيادا عن الكرامة والوطنية والإسلام ! ! وقد رأى بعض المماليك أن تفرض الضرائب ، وتجمع الأموال لتكون رصيدا مدخرا يرجع إليه المحاربون حين يعوزهم العتاد فى ساحة الجهاد ، ولكن سلطان العلماء رضى الله عنه يصيح صيحة تخفض لها الرءوس وتنعقد الشفاه ، فيأمر جميع المماليك بأن ينزلوا أولا عما عندهم من النفائس والجواهر والحلى ! ! حتى إذا ما تم ذلك وبقيت للجيش حاجته للمال تبرع الشعب بما يملك عن رضاء وسخاء ! ! وذلك موقف منصف عادل ! إذ أن الجواهر الثمينة التى تموربها خزائن الأمراء ، والحلى الذهبية التى تكتنز لدى المماليك ، قد أخذت حراما من الشعب ، ويجب أن ترد إليه فى ساعة العسرة دون اعتراض ، لا سيما وقد قاسمهم الشعب جهادهم المرير فوقف معهم فى شواطئ دمياط وشعاب فارسكور يرد الصليبيين ، وها هو ذا ينهض ثانية من خلفهم ليقاتل التتر فى أرباض الشام غير مدخر وسعا أو طاقة ، وكانت النتيجة مرضية ، فقد بذل الأمراء ما عندهم ، وبذل الشعب ما عنده ، وتعاون الفريقان على النضال متربصين إحدى الحسنيين : النصر أو الاستشهاد .

سار الجيش الباسل وقائده قطز فى طليعته أسوة حسنة للمجاهد الغيور ، وقد لمس بعض التردد من الأمراء فصاح صيحة جهيرة : « يا أمراء المسلمين ، تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون ! ! من أراد الجهاد فليتبعنى ! ومن تأخر فأن الله مطلع عليه ! وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين ! » .

وقد أخذ الرجل لجيشه كل حيطة وتدبير ، فافترض الفروض البعيدة ، ورأى من المحتمل أن يهتبل الصليبيون انشغاله بالتتار ، فيروعوا دمياط من جديد ! ! لذلك بادر بردم مصب النيل هناك ، كيلا تعبر منه السفن غازية كما سبق أن عبرت فى الحملة المنهزمة ، وأقام

حامية قوية من جيشه على الإسكندرية تحفظ الأمن وتدفع الغير ، ثم انتقل إلى « عكا » وكانت بأيدى الصليبيين ، فأنذر أهلها وتهددهم بما لا طاقة لهم به ، كيلا يكونوا يدا مع التتار عليه ، فانكمشوا فى جحورهم وقدموا إليه الهدايا والتحف تزلفا ومحاباة ، مع أنهم قد عاهدوا التتار من قبل على التحرش بالجيش المصرى ، ومباغتته من الخلف ، ولكن تهديد البطل ووعيده قد أثار فى نفوسهم ريحا من الخور فشلت الأقدام عن الحركة وجمدت السيوف فى الأكف ، وباءوا بخذلان من الله كبير .

وفى رحاب الأردن ، بين التلال الناهضة ، والوديان الهابطة ، لدى عين تعرف بعين جالوت ، تقابل المسلمون والتتار فى أحرج موقف تعرض له الباغون منذ اندلعوا كاللهيب العاصف فى بلاد الشرق ! وقد رأوا أوسمة المماليك الذهبية ، وحلاهم الغالية ، وخيولهم الصافنة ، ورماحهم المحلاة ، فحسبوا جميع ذلك لقمة سائغة ، وغنيمة باردة ، ونسجوا الأحلام الساحرة لأنفسهم إذ يمتلكون وادى النيل بجنانه الخضر وسهوله اليانعة ، ثم اندفع الفريقان كالأتى المزبد فى معركة دامية ، وحمل التتار على كتائب مصر حملات عاصفة ، فردوا الحرس السلطانى إلى الوراء ، واختل توازن الجيش الإسلامى لحظات ، ولكن القائد المظفر قصد إلى القلب بجميع قوته ، وقد حشد عزيمته العاتية ، وأطلق حنجرته العالية يصيح « وا إسلاماه ! وا إسلاماه ! ! » صيحات استجاشت همم المجاهدين البواسل ، فغمر تيارها الكهربى أرواحهم الظامئة للشهادة ، واندفعوا إلى أعدائهم غير مبالين ، وتوالى الطعان والضراب فى زلزلة مرعبة راجفة ! ! والتتار مذهولون لما يشاهدون ، فجنودهم يتساقطون وصوت القائد المظفر يدوى ــ وا إسلاماه ــ فتنخلع القلوب من الرعب ، ويمد جنوده بمدد سماوى متلاحق ، ثم تجلى المعركة العنيفة وقد فضحت التتار فضيحة نكراء ، فهاموا على وجوههم مشردين فى الآفاق ، وذاقوا مرارة الهزيمة الماحقة لأول مرة فى تاريخهم الدموى الرهيب ، وقد سقط القائد العظيم إبان المعركة من فوق فرسه ، ولكن عناية السماء أدركته فوثب وثبة طائرة على فرس آخر تنحى عنه صاحبه فى لحظة بارقة ، وحمل الراية مستميتا مستبسلا ، ثم تتبع الفلول الهاربة بجنوده ، فأباد منها خلقا كثيرا وقتل القائد التترى « كتبغا » وبعث برأسه إلى القاهرة فضج المصريون بالفرح والهتاف ، وأقيمت الرايات والأعلام ، وشعر كل مصرى يعيش على ضفاف النيل أنه صاحب هذا النصر العظيم .

أما بلاد الشام فقد احتفلت بالملك المظفر احتفالا بهيجا ، ودخل دمشق فى موكب هز به الإسلام أعطافه ، واختال فى جنباته السعد والإقبال ، ولكنه لم يشمخ بما تم على

يديه . بل سجد شكرا لله وعفر وجهه فى التراب مرات ومرات ! ! وكأنى به وقد شعر فى أعماقه بارتياح منعش حيث أقر عيون المسلمين بالنصر ، وانتقم لأسرته الشريدة فى خوارزم ، وخلد فى صفحات التاريخ ذكرا لا تمحوه الأيام ! !

وهنا تقف طويلا معى لتسمع خاتمة هذا البطل الفدائى العجيب بعد أن تم نصر الله على يديه ، وترى كيف تجمع السحب القاتمة لتطمس نورا يشع وتمحو كوكبا يتألق ! ! ! لقد ذهب هذا الفدائى الباسل ضحية مؤامرة دنيئة . فقد ائتمر عليه منافسه الظاهر بيبرس مع فريق من أعوانه المغرضين ، بعد أن وعدهم بالمناصب والأوسمة ، فانهالوا بحرابهم المسمومة عليه فى لحظات صفائه ، وخر مضرجا بدمائه وكأنه لم يكسب نصرا حمى به الإسلام من وحوش كواسر ذات مخالب وأنياب ! ! وكان الأولى بالظاهر أن يذكر أن مليكه الشهيد قد أسلف إليه يدا خالدة ، إذ أنقذه من مخالب الموت حين خاف من الملك الناصر وكتب إليه يسأله الأمان ، فتمادته النخوة العالية وتقبل رسالته بقبول حسن ، ودعاه الى مصر ثم توجه إلى لقائه وأنزله بدار الوزارة ، وجعله قائد جيشه ثم أقطعه (قليوب) ، وتلك المنن العجيبة فى تسلسلها الرائع لم تجد مكانها من قلب بيبرس ! ! مع أن الإنسان عبد الإحسان .

لقد نسى الظاهر منة قطز عليه ! وكان فى مقدوره أن ينبذه نبذ النواة فيهيم على وجهه فى الفلوات ، وأعجب شيء أنه وجد من المؤرخين من يبرر غدره الشنيع ، فيقول : إن الملك المظفر قد وعده بولاية حلب أثناء المعركة ليشد أزره ، ثم أخلف وعده متشككا فى طويته ! ! فلاقى جزاء خلفه ! ! أفيكون ذلك تبريرا سائغا يجيز الغدر والاغتيال ! ! لقد أنعم السلطان عليه بعد المعركة ببعض الغنائم ليستل سخائمه ، فتظاهر برغبته اللئيمة فى تقبيل راحته ، ثم اندفع الى الرجل المسالم الأعزل بخنجره المسموم يمزق أديما حشوه همم وعزائم ، وأقبل أعوانه من خلفه يحطمون أشلاء تحمل أطيب العناصر وأكرم الخلال ، وهكذا يكون المصير .

لقد قضى السلطان المظفر أقل من عام فى حكمه ، ولكنه دخل التاريخ من أوسع أبوابه حين حمى الإسلام فى عين جالوت ، وكان موفقا كل التوفيق إذ كسب بصيحته الخالدة « وا إسلاماه » نصرا تعذر على الجبابرة والعتاة ! ! ولعمرى لولا الإلهام الربانى يدوى صارخا على لسانه ، فيهدى القوة الى الضعيف ، والشجاعة الى الجبان ، والإقدام الى المحجم ، ما كسب السلطان هذا النصر المؤزر فى حومة الجهاد ، فما أجدرنا أن نصيح فى أزمات الخطوب ، وحوالك النذر : وا إسلاماه ! ! ٥

محمد رجب البيومى
المدرس بالمنصورة الثانوية

بشرى
فقد رفع الصباح عمودا

احتفلت مشيخة الأزهر بتكريم الأمير الجليل (عبد الله جابر الصباح) وزير معارف الكويت بمناسبة تبرعه السخي لتشجيع الطلبة المتفوقين بالأزهر . وقد ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان بدير الأستاذ بكلية أصول الدين قصيدة قيمة نقتطف منها ما يلي :

* * *

نسقت من درر الكلام نضيدا ... ونظمته لابن الصباح قصيدا
ووقفت فى حفل الأمير مرددا ... آى الثناء على الندى ترديدا
حفل من المعمور ضم شيوخه ... وشبابه ومدرسا وعميدا
والبشر قد غمر الوجوه كأنها ... جاءت لتشهد فى لقائك عيدا
أو ما ترى الأعلام من أهل النهى ... يتوافدون الى لقاك وفودا
ورئيسهم فخر الشيوخ وتاجهم ... قد عاد يكرمكم فكان سعيدا
من بعدما أدى رسالة دينه ... فى (اندونيسيا) هاديا ومفيدا
لما أحس بحفل شرفتنا ... بحضوره ركب الفضا ليعودا
فكأنما حب المروءة هزه ... شوقا إليك فما استطاع قعودا

* * *

العلم يا مولاى أدى واجبا ... نحو الكريم أبوة وجدودا
والشعر فى حفل الأمير يردد الشـ ... ـكر الجزيل مكررا ومعيدا
وأنا الوفى لمن يكرم معهدى ... أوفى المديح قصائدا ونشيدا
لم أمتلك إلا ثناء عاطرا ... أزجيه فى تكريمه تغريدا
ولو ان فى كفى جمان بلاده ... لنظمت من در (الكويت) عقودا
وعقدت حبات النفيس برأسه ... تاجا يشع بهامة معقودا
لكن تاج الفخر فوق جبينه ... قد فاق قدرا لؤلؤا وفريدا
والشعر فى ذكر المفاخر يزدهى ... عطف الكرام ويستميل قدودا

فكأنما فيه رنين مزاهر يحكى صداه الطائر الغريدا
إما ترنم فى مديح سميذع أعطاه فى سمع الزمان خلودا
خذ من قريضى فى الأمير مدائحا تبقى وتبقى فضله مشهودا
قد سار مسرى النور فى آفاقه وطوى البقاع سهولها والبيدا
من توج الدين الحنيف وأهله أبقى الثناء مجددا تجديدا
هذا أمير العرب غيدق عصره رحب اليدين جرى نداه سعودا
أعطى الجزيل وما أراد دعاية كالمزن سح وما سمعت رعودا
ودعاية البخلاء تقرع سمعنا كم يذكرون سخاءهم والجودا
فأذا دعوتهم لخير عاجل . . أعطوك من جود اللسان وعودا
والمال حينا قد يذل لمالك فتراه عبدا للكريم مسودا
فأذا تحكم كان شر مسيطر يذر الشحاح أذلة وعبيدا

* * *

من مثل (عبد الله) صفوة (جابر) بالفضل نعماه تزين الجيدا
قد طوق المعمور من آلائه نعمى سيعقبها نداه مزيدا
نزلت كما الغيث العميم بمعهد هزت به من قد أطال رقودا
نشطت بها للدرس طلاب إذا نالوا الجوائز ضاعفوا المجهودا
وتحفزوا للسبق فى ميدانه مثل السوابق إذ حللن قيودا
ستراهم مثل العباقرة الأولى هجروا المنام وحالفوا التسهيدا
وجوائز الأموال تحفز خاملا ماكان لولاها يرى موجودا
وتشد من أهل النشاط عزائما تحكى المهند والحسام حديدا
الله أكبر تلك أكبر منة بعثت بأزهرنا الشباب جديدا
أرضت شريعة (أحمد) وكتابها وحديثها والفقه والتوحيدا
وسمت بركن الضاد حتى بوأت لغة الكتاب مقامها المحمودا

* * *

قل للحنيفة فى جميع بقاعها بشرى فقد رفع الصباح عمودا
فى نهضة المعمور ترجى نهضة الإسلام فى درج الرقى صعودا
هو معقل للمسلمين ومنهل يروى صداه بيضهم والسودا

وهو الحفيظ على مجادة أمة أخذت على حفظ التراث عهودا
كم هب فى الأزمات يرفع راية التـــحرير لا يخشى عليه وعيدا
فى الثورة الأولى لمصر تحملت أبناؤه عبء الجهاد شديدا
سجنوا وأوذوا فى الإله وقدموا يوم النضال ضحية وشهيدا
حتى بدا النصر المبين بثورة كانت لثورة جيشنا تمهيدا
فأتم للنيل الجلاء عن الحمى وأزال أغلالا وخلص جيدا
هذا مجال البذل فابذل مغدقا حتى تهيئ للظماء ورودا
وتحرر الإسلام من أعدائه لينال عيشا فى الحياة رغيدا

* * *

ياناشرا علم المعارف عاليا بالله فانشر للحنيف بنودا
وامدد يدا بالمكرمات قوية وارفع به صرح العلوم مشيدا
آباؤك الغر الكرام غطارف ربوك فى البيت الكريم وليدا
فدرجت فى بيت السماحة معرقا وتبعت بسلا فى الشجاعة صيدا
آل الصباح من الخضارم أثلوا مجدا يدوم على العصور وطيدا
نقبت فى التاريخ عن آبائهم فوجدتهم شم الأنوف نجودا
مترفعين عن المذلة ما حنوا رأسا لظلم أو أمالوا عودا
كانوا نماذج نجدة ومروءة وبحار جود ما عرفن حدودا
إن حل ضيف فى رحاب بيوتهم ألفى السماح وظلهم ممدودا
واذا استجارهم اللهيف لنصرة طاروا اليه فوارسا وجنودا
فتراهم رحماء يوم سلامهم وتراهم يوم الحروب أسودا
وأراك (عبد الله) تنحو نحوهم فى الحالتين فتدرك المقصودا
سمح حليم فى السلام فأن دعوا للحرب كنت المسعر الصنديدا
أصبحت فى وطن العروبة للندى مثلا يردده الجميع فريدا

محمد سليمان بدير
الأستاذ فى كلية أصول الدين

السيدة عائشة أم المؤمنين

لست أرانى حين أكتب عن السيدة عائشة رضى الله عنها إلا متكلما عن سيدة من خيرة نساء المسلمين ، بل لا أخال تاريخ الإسلام يضم بين صفحاته تاريخا أمجد من تاريخها ، فأننا اذا نظرنا الى الرواية فى الحديث وجدناها نسيج وحدها ، واذا نظرنا الى الفقه والفتيا وجدناها ذات رأى أخذ به الفقهاء والمشرعون ، واذا نظرنا الى الأدب وجدناها ممن ملكوا زمام الكلام ورواية الشعر ، أما السياسة فأنا إذا درسنا الحياة الأولى لصدر الإسلام وجدناها ذات رأى يخضع له الولاة والخلفاء ، أما الناحية الخلقية فقد كانت المثل الأعلى للمرأة فى الإسلام من ناحية الكرم والتقوى والزهد والورع والعفاف وما الى ذلك ، وهى بعد كل هذا عالمة بالتاريخ والأنساب والطب والنجوم . وسنتولى الكلام عن كل ناحية من هذه النواحى ان شاء الله فى سلسلة أحاديثنا القادمة عنها .

وسنتكلم عن السيدة عائشة قبل زواجها من الرسول عليه الصلاة والسلام و بعد زواجها منه .

نسبها : هى السيدة عائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب .

وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع ابن دهمان بن الحرث بن غنم بن مالك بن كنانة .

فنرى من ذلك أن نسبها يلتقى من جهة أبيها مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب ومن جهة أمها فى كنانة .

مولدها : ولدت السيدة عائشة بمكة فى أول السنة الرابعة من النبوة أى فى العام التاسع قبل الهجرة كما فى رواية ابن سعد .

البيئة التى نشأت فيها : نشأت السيدة عائشة رضى الله عنها فى مكة المكرمة التى قال الله فيها على لسان ابراهيم عليه السلام : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم » .

تكتنفها الصحراء الواسعة والجبال الشاهقة ، قد عريت أرضها من المزروعات الواسعة والأشجار الباسقة ، تطلع الشمس فلا يحول دون رؤيتها حائل ، و يشرق القمر فيرسل

أنواره فى ذلك الفضاء المنبسط ، فيملأ النفس روعة والقلب بهجة ، تهب عليها الرياح ، وتتألق فى سمائها النجوم، يقل فيها الماء ، ويجف فيها الهواء .

كما نشأت فى وسط أبناء قريش سيدة العرب ومالكة زمام الأدب ، ودرجت فى بيت أبى بكر الذى حاز شرف الجاهلية والإسلام ، وفى كنف أمها وأخوتها .

أثر هذه البيئة فى حياتها : يعمل فى تكوين الإنسان عاملان قويان :

الأول : البيئة الطبيعية ونعنى بها ما يحيط بالمرء من العالم المادى وهى مجموعة الظواهر والقوانين الطبيعية التى عملت على ابلاغ الإنسان الى ما وصل اليه من النمو والارتقاء والتى أثرت فى تطور عقله عن طريق تطور جسمه كالجبال والأنهار والصحراء والسهول والوديان والقفار ونحو ذلك .

الثانى : البيئة الاجتماعية ونعنى بها المحيط المعنوى الذى ينشأ الإنسان فيه ، وفيه يؤثر وبه يتأثر : كالحكومة والدين والأسرة وما الى ذلك .

وقد تأثرت نفس السيدة عائشة بالبيئة الطبيعية إلى حد ما ، فامتلأت نفسها صفاء وروعة من ذلك السكون المخيم على الصحراء التى تحيط بمكة من نواحيها، تنظر فلا تجد فيها شيئا من صنع الإنسان بل كله من صنع الله، فهى ترى شمسا تسطع، ونجوما تناغى، وقمرا يتحدث ، ورياحا تلعب فى جو فسيح ، وكان لهذا أثره فى صفاء نفسها ، ورقة شعورها وعواطفها .

أما البيئة الاجتماعية فقد أثرت فى حياتها تأثيرا عظيما حيث عاشت فى وسط أبناء قريش وتأثرت بكثير من أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم ، كما كان لبيت أبى بكر الأثر الكبير فى حياتها ، فنشأت على لين الخلق ، واعتدال الطباع ، ورقة الشعور والإحساس .

ولا يفوتنا أن نذكر ما لقانون الوراثة من الأثر فى حياة الشخص ، فقد ورثت عن أبيها الكثير من الأخلاق والعادات ، وسنرى فى الحديث عنها التشابه الكثير بينها وبين أبيها فى الأدب وعلم الأنساب والزهد والخوف من الله ، نلمح هذا فى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم حين انتصرت لنفسها من زينب بنت جحش حيث يقول: (إنها بنت أبى بكر)

أثر التعاليم الإسلامية فى نفسها :

برزت الى الوجود وقد شع نور الإسلام وملأ أرجاء مكة ، واختص بيت أبى بكر منه بقسط كبير ، فمن الطبيعى أن تتأثر السيدة عائشة بتعاليم الإسلام .

ولما عقلت معنى الإسلام دعاها أبوها فأجابت . يقول ابن هشام : «وقد أسلمت عائشة وهى صغيرة بدعاء أبى بكر لها » وكان هذا منها طبيعيا فهى التى تقول : « ما عقلت أبوى الا وهما يدينان الإسلام ، وما مر علينا يوم قط الا و رسول الله يأتينا بكرة وعشية » . هكذا نشأت السيدة عائشة رضى الله عنها فى تلك الحياة البدوية الناعمة مع العناية التى أخذها بها أبواها والتى قلما يجدها من يعيش فى تلك الصحراء الجرداء حيث الخشونة والجدب ، نشأت طلقة اللسان فصيحة القول شديدة التمسك بأهداب الفضيلة .

تربيتها : لم نعثر فى الكتب التى بين أيدينا على شىء خاص بتربية بنات العرب فى بدء ظهور الإسلام ، فلم تكن هناك مدارس خاصة بالتعليم اللهم الا المدرسة المنزلية ، وقد كانت حياة السيدة عائشة فى بيت أبيها حياة سواها من بنات أشراف العرب ، يرعاها أبواها بعنايتهما و يؤدبانها بأدب الدين و يتعهدانها بالأخلاق . أما ما روى من أنها كانت تقرأ ولا تكتب فهذا لا يعدو ما كان من أمر الشفاء العدوية مع حفصة بنت عمر رضى الله عنها ، فقد روى البلاذرى فى فتوح البلدان [١] تحت عنوان (أمر الخط) ما ملخصه : كانت الشفاء العدوية كاتبة فى الجاهلية ، ومنها تعلمت الكتابة حفصة بنت عمر ، ولما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم طلب الى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه ، كما علمتها أصل الكتابة . ثم يقول : و إن عائشة وأم سلمة كانتا تقرآن ولا تكتبان .

وفى الموضوع القادم سنتكلم ان شاء الله تعالى عن زواج السيدة عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

« يتبع »

محمد عبد الحميد البوشى

المدرس بمعهد سوهاج

---

(١) فتوح البلدان ج ١ ص ٤٧٧

فى ذكرى مولد الرسول :

صفحات مشرقات

يعنى الكاتبون فى شهر ربيع الأول من كل عام بتسطير صفحات من سيرة النبي الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ومنذ عرف الوجود هذه الشخصية المختارة من الله ، البالغة شأوها فى الجلال والمجد، والناس بأسرهم يستروحون بجمال خصاله التى تتكشف عن مثل عليا فى كل نواحى الحياة . . فى السلم والحرب ، وفى البيت والمسجد ، فى العبادات والمعاملات ، فى الشدة التى تضيق بها رحبات الصدور ، وفى الرخاء الذى يغمر ببشره ويمنه ، فى نصره على الأعداء وأخذهم بالحزم والشدة عدلا ، وبالصفح والغفران رحمة وفضلا ، فى هذا وفى غير هذا يقف الناس جميعا من حياته صلى الله عليه وسلم موقف المتعلم المعتبر بما فيها من مجالات للعبرة ، وألوان من الحكمة ، فى بلاغ من قول ، وجلال من عمل ، وسمو من أخلاق .

* * *

برم به أعداؤه فى بدء بعثته ، ولم ينجحوا فى صده عن دعوته . واستمعت الدنيا لرده الحاسم : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه » فجمعوا جموعهم ، واختاروا من شبابهم أبطالا ، ومن سيوفهم نصالا ، لتقف شبابهم ، ولتصلت سيوفهم حول بيته ، فإذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل ، وعلم محمد صلى الله عليه وسلم بوحى من الله ما أبرموه وما أعدوه ، فكانت ثقته البالغة بربه ، وكانت شجاعته الغالبة فى أمره ، فخرج على هذه السيوف ، وهزأ بتلك العصبة المفتونة ، ووجم القوم بعد إفلاته ، وتتبعوا أثره، ورصدوا مكافأة ضخمة (مائة من الإبل) لمن يأتى به .

وعرف سراقة بن مالك بمسيره ، وطمع فى المكافأة ، فألجم فرسه ، ولج فى السير خلفه حتى أدركه أو كاد ، فساخت قوائم فرسه فاستغاث بالنبى فأغاثه ، وهو صلى الله عليه وسلم يعلم طمعه وغدره ، وفى هذا يقول سراقة لأبى جهل بعد أن رجع من ملاحقته :

أبا حكم والله لو كنت شاهدا لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم ترتب بأن محمدا رسول ببرهان فمن ذا يقاومه ؟

ويفتح لنا التاريخ صفحة مشرقة من جهاده صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع من غزوة أحد، وقد بلغه أن أبا سفيان يريد أن يواصل سيره بقريش الى المدينة ليستأصلوا من بقى من أصحاب رسول الله ، لأن المشركين لم يقنعوا بما حصل ، بل قالوا لأبى سفيان : لا محمدا قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، بأس ما صنعتم ، ارجعوا .

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح ندب الناس ، وأمر بلالا أن ينادى أن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ، وألا يخرج الا من حضر (أحدا) ليشعر قريشا أن المسلمين بعد (أحد) لم يهنوا ولم يضعفوا حتى المحاربين منهم . ودفع النبى صلى الله عليه وسلم باللواء وهو معقود لم يحل بعد الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وأمر على المدينة ابن أم مكتوم ، وركب فرسه وعليه الدرع والمغفر ، وخرج جميع من كانوا معه فى أحد . (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) . . خرجوا وبهم الجراحات ولم يتخلف أحد منهم ليداوى جرحه ، وقدوتهم فى ذلك رسول الله ، الذى خرج وفى وجهه جروح ، مشجوج فى وجهه ، وبه أثر الحلقتين ، ومكسورة رباعيته ، وشفته السفلى قد جرحت من باطنها ، وركبتاه مجروحتان من وقعته فى الحفيرة . ويلقاه طلحة بن عبيد الله فيقول له الرسول : ياطلحة ، أين سلاحك ؟ فيقول : هو قريب ، ويذهب من فوره ويأتى بسلاحه ، وبه بضعة وسبعون جرحا ، فى صدره منها تسع جراحات . يقول طلحة : وأنا أهم بجراح رسول الله منى بجراحى ، فقال لى رسول الله : ياطلحة ، أين ترى القوم ؟ فقلت : بالسفالة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك الذى ظننت ، أما أنهم ياطلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا » . وظلوا سائرين حتى وصلوا الى مكان يسمى (حمراء الأسد) بينه وبين مكة ثمانية أميال ، فعسكروا به ثلاث ليال يوقدون فى كل ليلة خمسمائة نار ، حتى ترى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم وكثرتهم فى كل وجه ، فكبت الله تعالى عدوهم وعادوا فارين للحاق بمكة ، وأرسل أبو سفيان مع نفر يريدون المدينة أن يخبروا محمدا بأن أبا سفيان وقومه أجمعوا على العودة الى مكة ، فلما أبلغوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حسبنا الله ونعم الوكيل »

ذلك مثل سام ، وجهاد مبين ، ما كان أجدر بالمسلمين أن يترسموه ، وأن يوحدوا الجبهة ، ويجمعوا الصف ، لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة المستعبد المستعمر هى السفلى ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

أما جمال توجيهه صلى الله عليه وسلم ببالغ حكمه ، وجوامع كلمه ، فى إيجازها وجزالتها وعذوبتها ، فذلك هو النور الذى لا يحتاج إلى وضوح .

روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس : (إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم ، والأناة) أى تقدير هذا ؟ وأى تكريم لمن اتصف بهذين الوصفين . وأى توجيه لمن لم يتصف بهما ، وأى جمال وجلال وحسن غاية وبلوغ مقصد ، تضم هاتان الخلتان الكريمتان ؟ .

وروى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، فأن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى » .

أفرأيت أيها الإنسان الجامح فى عنفه ، البالغ فى غيه ، الوالغ فى الدماء والأعراض والأموال ، كيف قال الرسول ، وقاد الرسول ، ووجه الرسول ؟ ؟

يا سيدى يا رسول الله ، يا من اصطفاك ربك وصافاك ، ولبيته ولباك ، هذا تاريخك الناصع ، نور يشع ، ونفحة تستروح ، وشذا يطيب « إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » :

يا خير من عطر الأرجاء مولده	وخير من شرف الأنساب محتده
وخير من أشرقت فى الكون حجته	وصال فى جبهة الدنيا مهنده
جاهدت فى الحق أعداء الهدى فسما	بك الجهاد ونال المجد سيده
وكنت للناس فى بدو وفى حضر	شمسا ، اذا شارفوا ليلا تبدده
بالرأى والحزم والأخلاق طالعهم	فيض من الفضل لا زلنا نردده
باليمن ذكراك يا مختار نذكرها	والعهد للدين ـ مسئولا ـ نجدده
فاشهد بأن بنى الإسلام ما نكصوا	ونحن للحق نرعاه وننشده
ونحن فى مسمع الدنيا ويقظتها	مجد يدوى وعين الدهر تشهده

محمد عبد التواب
المفتش العام للوعظ بالأزهر

عظمة الرسول ﷺ

منذ أن بزغت شمس الرسول فى هذا الوجود والناس يتلمسون نواحى العظمة فيه ، ويطلبون ما أودع الله فى هذه العظمة من أسرار ، ولكنهم لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا . ومهما خطب الواعظون وكتب الكاتبون وصور المصورون فلن يمثلوا للناس من معالم هذه العظمة إلا أطرافا يسيرة ، ثم لن يعدوا فى ذلك قول الإمام البوصيرى :

انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

ذلك لأن النفس الإنسانية لاتملك أن تصف الا ما يماثلها أو يدانيها . . أما هذه النفس العظيمة التى صورها ربها لتكون أكبر نفس فى هذا الوجود ، ورفع ذكرها فى أعلى مقام ، وبوأها أسمى مكان ، فليس هناك سبيل إلى الاحاطة بأسرارها أو الإلمام بجوانب عظمتها :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

حقا : ان عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم أروع ما عرف الناس من سيرة ، وأكمل ما وعى التاريخ من خلق ، وأعلى ما روت الأيام من عظمة . . لم يكسبها بماله لأنه نشأ فقيرا . . ولم يستفدها من أبويه لأنه شب يتيما . . ولم يتلقها من معلم لأنه عاش أميا . . ولم تمنحها له بيئته لأنها كانت فى ضلال ووثنية . .

وإنما هى مستمدة من صميم قلبه ، مشتقة من علو نفسه التى صاغها الله بيده ، واصطفاها لنفسه .

وآية ذلك أن عظمته عليه الصلاة والسلام كان لا يزيدها الرخاء ، كما لا تنقصها الشدة ، ولا يظهرها الغنى ، كما لا يخفيها الفقر ، ولا يكبرها سلطان ، كما لا يصغرها عدوان ، ولا يقويها نصر ، كما لا تضعفها هزيمة . وصدق الله العظيم القائل : « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » والقائل : « وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

لقد كانت عظمة النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوتى من جمال الطلعة ووفرة الهيبة ، وإشراق الوجه وسماحة النفس ، كما كانت عظمته فيما أتيح له من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ونبيل الخصال .

وبذلك يحدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه فيقول : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ويؤكد القرآن هذا المعنى فيقول : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

أجل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس كفا ، وأوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه .

وكان يحيا حياة نموذجية ملؤها الطهر والعفاف والنزاهة والاستقامة والشرف والأمانة ، حتى لقب عند قومه بالأمين ، وما عرف أعداؤه له حادثة تمس شرفه أو تخدش كرامته ، حتى قال بعض المستشرقين فى وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن جميع المراجع التى بأيدينا متفقة فى وصف محمد بأنه كان محتشما فى سلوكه طاهرا فى آدابه النادرة بين أهل عصره » .

وقد كان لتلك الأخلاق العالية أثرها الفعال فى هداية الناس ، وهل كان يتصور إنسان أن ذلك العربى اليتيم صلى الله عليه وسلم تتطامن له الرءوس الطاغية ، وتخضع لكلمته النفوس العاتية ، وتتضاءل أمامه القوة العارمة ، ويكون من القبائل المتفرقة أمة تفيض طهرا ونورا وكرما وعلما ورحمة وعدلا حتى كان فى طليعتهم السادة : أبو بكر : الرفيق من غير ضعف ، وعمر : الشديد فى غير عنف ، وعثمان : ذو الصراحة والبذل ، وعلى : باب العلم والحلم ، ومعاوية : أهل الدهاء والسياسة ، وخالد : صاحب الشجاعة والكياسة . . .

هل كان يتصور إنسان كل هذا وأعظم من هذا وأكبر ثم لا يهتدى الى أن الرسول العظيم الذى حول العالم أجمع من الركود الى الحركة ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن الظلام الى النور ، ومن القسوة الى الرحمة ، ومن الطغيان الى الإيمان ، قد ملك القلوب والمشاعر واستولى على العقول والأفئدة بأخلاقه العالية التى استمدها من آيات الهدى والفرقان . أدبه ربه وكمله ، وصاغه على أكمل وضع وأتم خلق . وكما كانت عظمة النبى

صلى الله عليه وسلم فى شخصيته الحسية والمعنوية ، كذلك كانت عظمته فى سمو هذه الرسالة وعظمة هذا التراث الخالد ، وضخامة الأحداث العميقة التى خلفها الرسول من بعده .

لقد ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوم أهل ضلال وشرك ، استبدت بهم التقاليد الفاسدة ، واستحوذت عليهم العقائد الضارة ، ولم يعرفوا إلا تقليدهم الأعمى لآبائهم وأجدادهم فيما كانوا عليه من ضلال وعمه .. ولكن الرسول العظيم قد حمل بيده مشعل الحق ونور الهدى وفرقان الرسالة ، ولا مال يسنده ولا جيش يؤيده ولا قرابة تحميه .. ولكنه تدرع بالصبر واستلهم معالم الإيمان ، واعتصم بربه حتى استجابوا له ودخل الناس فى دينه بعد حياة طويلة بلغ فيها رسالة الله وأدى فيها أمانته ، وجاهد فيها حق جهاده .

هذه الدعوة العظيمة التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مضى عليها قرون طوال من يوم أن ظهر رسول الله فى التاريخ ، ولكن آثارها البعيدة المدى وأحداثها الكبرى التى أحاطت بها لا تزال قائمة كذلك .. !!

فالأمة التى صنعها الله له بيديه ، والرسالة التى أوحيت إليه ، هى أشرف مواريث الإنسانية جمعاء ، وسيموج العالم بعضه فى بعض ، وتصطرع مذاهب وآراء ، وتتفانى شعوب وأجيال ، ويبقى بعد ذلك دين محمد العظيم الربوة العاصمة من الغرق فى هذا الطوفان ، وسيبحث العالم كله عن الحق والسلام والعدل ، ومهما أجهد نفسه فلن يجد إلى ذلك سبيلا إلا إذا عرف الطريق إلى الرسول العظيم فمشى على سنته واستقام على هديه وانضوى تحت لوائه .

وقد صدق النبى صلى الله عليه وسلم إذ قال فى آخر حياته مخاطبا الأمة كلها سلفها وخلفها : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا .. كتاب الله وسنتى) .

هذا هو رسول الله العظيم فى خلقه وخُلقه ، العظيم فى سمو منهاجه وعظم تعاليمه وقوة مبادئه ، تتهادى إلينا ذكراه العظيمة بعد ما أظلنا شهر ربيع الحافل بذكريات الرسول العظيم صلوات الله عليه .

ألا وإن حق الذكرى علينا أن نتذاكر هذه السيرة العظيمة ، وأن نفتح أعيننا على آياتها ، ونملأ قلوبنا بعبرها ، وأن نحييها فى أنفسنا وفى أقوالنا وفى أعمالنا وسائر شئوننا .

ولنذكر فضل الله علينا بهذا النبي العظيم لا فى شهر ربيع فحسب ، فله فى كل لحظة ذكرى ، وفى كل صفحة من صفحات الحياة تاريخ . .

وليس يغنى فى الاحتفال بهذه الذكرى والانتفاع بهذه العظمة خطابة تقال أو قصيدة تنظم أو مقال يكتب أو مصالح تعطل أو مواكب تسير أو أعلام تنصب ، لأن صاحب الذكرى ونبي العظمة قد كرمه ربه فشرح صدره ورفع ذكره ، وأعلى قدره حتى كان ومازال ملء السمع والبصر ، لاتدانيه الشمس ولا القمر ، ولايغيب عن الوجود نوره ، ولا يعزب عن الكون جماله .

ألم تر أن الله خلد ذكره إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

إنما التكريم الحق ، والاحتفال الصادق ، هو أن نكون - كما أراد لنا - أمة واحدة ، شعارها السلام ، وطابعها الإخاء ، وأن نعمل بوصاته الشريفة ، ونتخلق بأخلاقه الكريمة ، ونحافظ على أمانته التى استودعنا إياها واستحفظنا عليها .

وبذلك يكون التكريم ، وهكذا يكون الانتفاع بعظمة الذكرى . . «وذكر فأن الذكرى تنفع المؤمنين» .

ماهر محمود ... [illegible]

أستاذ جامعى !

روت جريدة الجمهورية يوم ٢٧ صفر أن أستاذا جامعيا كان يمزح مع طلابه على حساب إيمانهم ودينهم فيقول لهم (إنه سيعطى) درجات إضافية فى الامتحان للذين يفطرون رمضان . . .

قال الأستاذ أحمد قاسم جودة : « لقد سمعت هذه الرواية بأذنى من بعض الطلاب ، ولا أستبعد صحتها قياسا على (تهوس) الذين يفخرون بانتسابهم للوجودية »

نظن أن تكوين الكيان الفكرى فى مصر على أساس سليم يحتاج الى عملية تطهير وكنس واسعة النطاق ، لتطمئن مصر حكومة وشعبا على مستقبل هذا الوطن كما ينبغى له فى حياته العقلية والوطنية والدينية والخلقية

المبادىء الاسلامية
والأخلاق الفاضلة

نحاول فى هذه المجلة أن نعرض — ولو بقدر — لبسط آراء جمهرة من فلاسفة الإسلام وغيرهم الذين عالجوا قضايا علم النفس فى مختلف مناحيها وما يعرض لها من تفاعل ، وما يلابسها من غاشيات الطبيعة ، ثم اشتغلوا بعد ذلك بالدعوة الواضحة الى تركيز الخلق وإنشاء صروحه فى النفوس .

نوّع الفلاسفة علم النفس الى نوعين : أولها نظرى ، وثانيهما عملى ، فإذا كمل الإنسان بهما كمالا يسمو به الى مرتبة النبوغ الأخلاقى ، استأهل لأعلى الأجناس من السعادة ، وهو الظفر بالحياتين : حياة الابتلاء ، وحياة الجزاء ، ولكماله الأول لا بد هو محتاج فى فاتحة أمره الى قوتين متقابلتين ، إحداهما العالمة ، والأخرى العاملة . فالقوة العالمة هى الشيقة النزاعة الى العلوم والمعارف، وأن حصلها كان فى أمن من الغلط فى الحس والخطأ فى النظر ، فيصدق نظره وتصح رويته وتستقيم بصيرته ، ثم ينتهى فى العلم بحقائق الموجودات مرتبة ترتيبا نظريا الى العلوم الإلهية التى هى أقصى مراتب العلوم ، فيثق بهذا الحد الذى بلغه ، ويسكن إليه قلبه ، وتطمئن إليه عزيمته .

قال العلامة الشيخ ابن سينا فى كتاب « الحياتين » ما نصه : « إذا كمل الإنسان هذا الكمال المرموق فأتمه بفعله المنظم له ورتب القوى والملكات الكامنة فيه ترتيبا علميا ، كان خليقا أن يسمى عالما صغيرا ، ضرورة أن صور الموجودات كلها قد كمنت فى ذاته ، فصار ممثلا لها على نحو من الأنحاء » .

ومن العجب العاجب أن يذهب فريق من الناس الى أن كمال الإنسان وغايته هما فى اللذات الحسية ، وأنها هى الخير المرجو والسعادة العليا ، ثم ظنوا أن جميع قواه الأخرى إنما ركبت فيه لتكون موصلة الى هذه اللذات ، وأن النفس الناطقة إنما وهبت له ليرتب بها الأفعال ويميزها على نحو خاص ، ثم يوجهها نحو هذه اللذات لتكون تلك اللذائذ بالقياس الى الاستمتاع بها هى غاية الغايات ، ثم تدرجوا من ذلك الى القول بأن قوى

النفس الناطقة ، وهى الذكر والحفظ والروية ، إنما تراد لتلك الغايات ، وعللوا تلك النظرية بأن الإنسان حين يتذكر اللذات ويتجه إليها بتلك القوى الثلاث بواسطة مايحصل فيه من المآكل والمشارب وما إليها ، اشتاق إليها وأحب معاودتها ، وإذا تكون منفعة الحفظ والذكر هى اللذات وتحصيلها ليس غير ، ولأجل هذه الظنون جعلوا النفس الخيرة كالعبد المهين، وكالأجير المستعمل فى خدمة النفس الشهوية لتخدمها تحت سلطان المآكل والمشارب وما اليها .

وبدهى أن اللذات كلها إنما تحصل لمن قامت به بعد آلام تلحقه ، لأن اللذة هى هى راحة من ألم ، وأن كل لذة حسية إنما هى خلاص من ألم أو أذى ، وإذن يكون كل من قنع بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته راضيا بأحسن أنواع العبودية لأخس الموالى ، لأنه حينئذ يصير نفسه الكريمة التى يضارع بها الملائكة عبدا للنفس الدنيئة التى يحاكى بها الحشرات والهوام المشاركة له فى هذا القدر من الإسفاف . وقد عجب غاية العجب جالينوس من هذا الرأى الفطير ، وكثر تبرمه بأصحابه ، غير أنه حكى بشأن هؤلاء أن سيرتهم فى الورى أسوأ السير وأحطها ، فكلما وجدوا إنسانا هذا رأيه نصروه ونوهوا بشأنه واشتغلوا بالدعوة إليه ، ليوهموا الناس بأنهم غير متفردين بهذه الطريقة ، وهؤلاء يفسدون الأحداث وأغرار الناس بأيهامهم أن الفضيلة هى ماتدعوهم إليه طبيعة البدن من الملاذ ، إذا قامت عليهم الحجة الدامغة بأن تلك الفضائل الملكية إما أن تكون باطلة ليست بشىء البتة ، وإما أن تكون غير ممكنة لأحد من الناس ، والناس مأخوذون بالطبع الجسمانى بالميل الى الشهوات ، فتكثر أتباعهم ويقل النبلاء فيهم ، وأن هذه اللذات إنما هى لضرورة الجسد ، وأن بدنه مركب من الطبائع المتضادة ، أعنى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ، وأنه إنما يعالج بالمآكل والمشرب أمراضا تحدث به عند الانحلال ، لحفظ تركيبه على حالة واحدة أبدا ، وأن علاج المرض ليس بسعادة تامة ، والراحة من الألم ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض ، وأن السعيد المثالى هو من لا يعرض له مرض نفسانى البتة . وقد عرف مع ذلك أيضا أن الملائكة الأبرار لا تلحقهم هذه الآلام فلا يحتاجون الى مداواتها بالأكل والشرب ، عارضوه بأن بعض خواص البشر أشرف من الملائكة ، وأن الله تعالى أجل من أن يذكر مع الخلق ، وشاغبوه وسفهوا رأيه وأوقعوا له شبهات باطلة حتى يشك فى صحة ماتنبه لإدراكه وهداه عقله إليه .

والعجب الذى لا ينقضى هو أنهم مع رأيهم هذا إذا وجدوا واحدا من الناس قد احتوى طريقهم التى يميلون إليها ، واستهان باللذة والتمتع وصام وطوى واقتصر على

ما أنبتت الأرض ، عظموه وأحلوه المراتب العلية ، ثم يذلون له غاية الذل ويعدون أنفسهم أشقياء بالإضافة إليه . والسبب فى ذلك هو أنهم وإن كانوا من أفن الرأى وسفهه على ماترى ، فإن فيهم من كرائم القوى الشريفة المميزة - وإن كانت ضعيفة - مايريهم فضيلة ذوى الفضائل ، فيضطرون إلى إكرامهم وتعظيمهم ، وهذا موضع الحيرة فى تفهم آرائهم المتناقضة .

ثم إن النفس من حيث هى كذلك تعرض لها قوى ثلاث : القوة البهيمية وهى أدناها ، والقوة السبعية وهى أوسطها ، والقوة الملكية وهى النفس الناطقة التى ليس وراءها مطلب . والإنسان إنما استحال إنسانا بأفضل هذه القوى وهى النفس الناطقة . فإن أنبل الناس من كان حظه من هذه القوة أوفر ، وإن أخس الناس لهو من كان قليل العقل قريباً من البهيمية ، كالذين يقيمون فى بعض أقاصى المعمورة ، وكسكان البوادى الذين ظلوا فى جهالة عمياء لايمتازون عن القردة إلا بصورهم ، وبهذا القدر الضئيل يستحقون أن يخلع عليهم لقب الإنسانية ، فإذا أمسكوا بأسباب الإنسانية المهذبة ، واختلطوا بالناس فشهدوا منهم عبير الثقافات المختلفة ، استطاعوا أن يوجدوا فيهم العالم والذكر المهذب ، ثم هم بعد يتفاضلون بتفاضل بداءاتهم حتى يبلغوا غاية ما يبلغه أولو النبل والفضل ، وليس ثمة حالة للإنسان أعلى من تلك الحالة ما دام إنساناً ؟

عباس طه
المحامى

مبشرون فى جامعاتنا

نبهت جريدة الجمهورية إلى خطر الوجودية الذى « أصبح (حرفة) لبعض أساتذة الجامعات ، وقد خرج هؤلاء الأساتذة على معانى (الأستاذية) الجامعية ، إلى فعال الدعاة و (المبشرين) فكل شاب تغويه هـــذه الفئة من الأساتذة وتغرر به وتدفعه فى طريق الانحلال هو (خسارة) محققة لمصر » .

ترى أليس فى وزارة التربية والتعليم من يصغى إلى هذه النذر ، ترى أليس فى هذه النذر ما يعنى القائمين على شئون جامعاتنا ؟ !

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

عن التعليم الديني والمدني

تحدث فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر الى الاستاذ أحمد العسكري محرر الشئون الدينية في « الاهرام » حديثاً هاماً حول إعداد رجل الدين من الناحية الثقافية ، إعداداً يلائم التطورات العلمية التي تجد في مختلف شئون الحياة ، بحيث لا يقف منها موقف المتردد في صلاحيتها ، أو المتشكك في حلها أو حرمتها . وهل يقتضى هذا الإعداد توحيد التعليم في مراحله الاولى ، بحيث يصبح كله في الدولة وحدة تنتظم جميع الطلاب في برامج الدراسة ، لا فرق بين مدني وديني ؟ أم أن إعداد رجل الدين يجب أن يبدأ أول مراحل التعليم في مناهج خاصة ومعاهد مستقلة ؟

لقد اعترض فضيلة الاستاذ الاكبر على هذا الرأى القائل بتوحيد مراحل التعليم اعتراضاً شديداً ، وقال إني لا أستطيع أن أوافق عليه ولا أن أقول به .

وإليك ما كتبه محرر الشئون الدينية في « الاهرام » :

قلت للشيخ الاكبر : إن الجماهير قد ضاقت ذرعاً بالحياة التي تحف بها الشكوك من كل جانب ، أو يصاحبها التردد ، وترى أن هذا ليس من شأنه إلا التعويق عن التقدم في فهم شئون الحياة فهماً صحيحاً سليماً ، فهل ترون فضيلتكم أن من الخير أن يعاد النظر في نظام التعليم في الدولة ؟ ولمَ يكون فيها نظم متعددة مع أن الغاية واحدة ، هي إعداد مواطن مكافح شريف ؟ وهل ترون فضيلتكم أن من الخير لتحقيق هذه الغاية أن توحد نظم التعليم في الدولة في المراحل الإعدادية والثانوية بحيث يسير الطلاب جميعاً في مختلف المعاهد والمدارس على برامج دراسية واحدة ، لا فرق في ذلك بين من يعد نفسه للدراسات الدينية أو المدنية .

رأى فضيلة شيخ الأزهر

وهنا اعتدل فضيلة الاستاذ الاكبر في جلسته وقال :

أنا لا أوافق على الرأى القائل بتوحيد التعليم في المرحلتين الاولى والثانية توحيداً

كاملا يضم طلبة المعاهد الدينية الذين يعدون أنفسهم للتعليم العالى فى كليات الجامعة الازهرية ، فإن هذا التوحيد من شأنه أن توحد البرامج فى مواد الدراسة ، وأن تحدد سن القبول فى أولى مراحل التعليم ، فلا تتجاوز سن الطالب ثمانى سنوات ، وهذه سن لا يمكن أن يحفظ فيها الطالب القرآن الكريم الذى يشترط حفظه للقبول فى الأزهر بالمرحلة الاولى . ولهذا كانت سن القبول فى تلك المرحلة بالأزهر اثنتى عشرة سنة ، وقد روعى فى هذا التقدير أن تهيأ الفرصة ويفسح فى الوقت لطالب العلوم الدينية كى يحفظ القرآن الذى يعد المصدر الأول للدراسات الدينية .

ومن جهة أخرى فإن توحيد التعليم فى المرحلتين الاوليين يحرم طالب العلوم الدينية من تلك الدراسات الأولية فى الدين واللغة التى يتلقاها فى هاتين المرحلتين ، والتى تمكنه من أن يتصل اتصالا وثيقا بالمناهج الدراسية العالية فى كليات الأزهر ، وفهمها فهما صحيحا كى يصبح جديراً بأن يكون من رجال الدين . وذلك ما لا يمكن أن يتحقق للطالب الحاصل على الشهادة التوجيهية فى التعليم العام إذا ما التحق بكليات الأزهر ، فإن الدراسات الدينية والعربية فى هذه الكليات تعتبر دراسات تخصص لا بد أن يسبقها دراسات علمية واسعة فى علوم الدين واللغة ، يتنقل فيها الطالب من سنة إلى سنة ومن مرحلة إلى أخرى ، حتى يستطيع أن يلم بقدر صالح من هذه الدراسات يصل عقله بما ينتظره من دراسات عالية فى الكليات الازهرية .

الدراسات المدنية لا تعد للأزهر

قلت لفضيلته : إن الحاصل على الشهادة التوجيهية يلتحق بمختلف الكليات الجامعية : كالهندسة والطب والزراعة والعلوم ، وهو فى هذه الكليات يعتبر مبتدئا لا صلة له بعلومها ، فهلا يمكن أن يكون ذلك فى التعليم العالى فى الأزهر ؟

فقال فضيلته : إن الأمر هنا جد مختلف ، فالعلوم المتنوعة التى يتلقاها التلميذ فى المرحلتين الابتدائية والثانوية لها صلة وثيقة بجميع أنواع التعليم فى الكليات المختلفة فى الجامعة ، فالرياضة من حساب وجبر وهندسة ، والعلوم الطبيعية والكيمياء والإحياء والجغرافيا والرسم ، كل هذه العلوم تعد أساسا فى الدراسات الجامعية ، والقدر الذى يحصله الطالب منها يجده قوة له تعينه فى تحصيل هذه الدراسات مهما تنوعت واختلفت . وهذه العلوم

لا شك أن لها أثرها بالنسبة للطالب الأزهرى فى تقوية مداركه وتوسعة معلوماته ، ولكنها لا تعد أساسا صالحا يبنى عليه الطالب الأزهرى دراسته العالية فى علوم الدين واللغة ، ولا يمكن أن يجد فيها مستنداً قويا يعينه على تلك الدراسات .

الإعداد الخاص ضرورى لطالب الدين

إن طالب الدين الذى يعد نفسه ليكون من أهل الثقة والمعرفة فيه لابد أن يعد إعداداً خاصاً ، وأن يتجه من أول خطواته اتجاها مستقيما إلى هذه الغاية دون أن يعوقه عنها عائق ، أو يصرفه عنها صارف . ولو أننا عمدنا إلى التجربة لنتخذ منها نتيجة واقعية مقررة ، فجئنا بطالب التوجيهية إلى إحدى كليات الأزهر ، ليدرس ما يدرس فيها من علوم الدين واللغة ـ لوجدناه قد عجز عجزاً تاماً عن السير مع زملائه ، ولأغلق عليه فهم ما يلقى اليه من علوم ، ولخرج من دراسته تلك بعد سنوات شيئاً آخر غير رجل الدين ـ فلا هو من المدنيين ولا من الدينيين . ذلك ما يمكن أن تسفر عنه التجربة . ولعله من الخير ألا تقع هذه التجربة وألا تعرض نتائجها .

دراسات إضافية للغات الأجنبية

فقلت : إن اللغات الاجنبية تدرس فى المرحلتين الإعدادية والثانوية فى التعليم ، وهى من غير شك تعين طالب الازهر على أن يفهم الكثير من أسرار العلوم الحديثة .

أفلا يكون من المعيب على الطالب الأزهرى ورجل الدين أن يتخلف عن دراسة اللغات الأجنبية فى هذا العصر ؟ .

قال فضيلته . لا أنكر ما للغات الأجنبية من قيمة كبيرة فى رسالة رجل الدين ، وخاصة أن الأزهر جامعة المسلمين فى كل أقطار العالم على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم ، وأن رسالة الأزهر لاتقف عند أدائها باللغة العربية وحدها ، فهناك شعوب إسلامية كثيرة لاتتحدث بالعربية ، ولا سبيل إلى وصلها بالدين إلا عن طريق التفاهم بلغاتها ، وإذا كان الأزهر قد عنى بهذه الناحية فى دراسات التخصص بين المبعوثين ، فإنه لايجد ذلك مجزيا عن تعليم اللغات الاجنبية فى مراحل التعليم بالأزهر ، حتى يكون من رجال الدين من يحذقون هذه اللغات حذقا كاملا .

ولهذا قررنا إنشاء دراسات إضافية مسائية لتعليم اللغات الانجليزية والفرنسية والأندونيسية والأوردية فى معاهد القاهرة والإسكندرية وطنطا والمنصورة فى هذا العام الدراسى ، وأرجو أن تعمم قريباً فى جميع المعاهد الدينية .

معاهد دينية للبنات

قلت : لماذا لا يعنى الأزهر بتربية الفتاة وتنشئتها تنشئة دينية ؟ أفلا يكون إهمال الأزهر لهذه الناحية إهمالا لعنصر مهم فى بناء الأمة ؟

فقال فضيلته : إن الأزهر يعلم حق العلم ما لتعليم الفتاة من أثر فى بناء الأسرة ، وإعداد الأبناء الصالحين فى الأمة ، وليس هذا التقصير من جانبه فى تعليم الفتاة نكرانا لحقها فى التعليم ، فهذا حق لها يقرره الدين ويفرضه واقع الحياة . ولكن الظروف الاجتماعية ، وربما الاقتصادية هى التى كانت سبباً مباشراً فى حرمان الفتاة من جميع ألوان التعليم فى الماضى . أما وقد هيأت فرص الحياة الاجتماعية والاقتصادية للفتاة أن تنال حظها من التعليم ، وأن تبلغ من ذلك غاية كريمة فى معاهد العلم العالية . فإن الأزهر يرى من الواجب عليه أن يقدم اليها من التعليم الدينى ما يلائم طبيعتها واستعدادها ، وما يمكن أن تنتفع به فى دينها ودنياها جميعاً . ولقد تكون الفرصة قد هيئت الآن بعد أن تم الاتفاق بين الأزهر ووزارة التربية والتعليم على ضم مراكز تحفيظ القرآن الكريم للأزهر ، وفى هذه المراكز مراكز خاصة للبنات يمكن أن تحول إلى معاهد دينية خاصة لهن . وذلك ما أرجو أن يتحقق فى أقرب وقت مستطاع ؟

حالة العـــــــالم

قبل الميلاد المحمدى (صلوات الله عليه) وبعده

كان جو العالم فى فورة من الظلم والاضطهاد ، وحيرة من التقلقل والاستبداد . تسوده موجة من الاضطراب والمنازعات ، ويغشاه ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، وتقطعت الأسباب بين الأرض والسماء وبين الله والناس .

فالنصرانية فى روما ، والمجوسية فى فارس ، والإباحية فى الهند ، والوثنية فى العرب . وكلها معول هدم فى جسم البشرية ، وذل العالم وخضع لمن هو أشد صيحة وأكبر فتكا فى شن الحروب والغارات .

وبالأحرى كان العالم يتنازعه دولتان ، ويغالبه أمبراطوريتان : دولة الفرس فى الجنوب ، ودولة الرومان فى الشمال .

وكان اعتمادهما على وسائل الشر أكثر من اعتمادهما على وسائل الخير ، كما كان اعتمادهم فى مقومات حياتهم وتأمين أنفسهم على مجهود الناس بطريق الغلبة والقهر والعسف والجور .

لايعرفون للإنسانية حقاً ولا للعدالة رسماً ، فلم يبق فى نفوسهم إلا ماتمليه التقاليد الموروثة من إغراق فى الشهوات ، وإسراف فى الملذات ، وتناحر فى المآثم وشتى الثارات .

وكانت الجزيرة العربية بمعزل عن هاتين الدولتين . كانت بمعزل عن هذه التموجات الوحشية والمجازر البشرية .

ولموقعها الجغرافى البعيد عن شغب الامم التى يقال عنها إنها متمدينة عاشت جزيرة العرب (مستقلة) لاسلطان لأجنبى عليها ، ولكنها مع استقلالها لم تسلم من الاحن والفتن فى داخليتها ، فهى قبائل مبعثرة هنا وهناك .

نعم لم تسلم من حروب تدور رحاها ويعلو فى أجواز الفضاء مداها ، فلا تضع الحرب أوزارها إلا إذا شارف الحيان على الفناء ، فإن أسعفهم الصواب عادوا للمهادنة ولكن إلى أمد وحين .

ولأتفه الأسباب يعودون الكرة ، وهكذا دواليك .

وقد كان العرب من القسوة والجفوة بحيث لا يتحرجون عن وأد البنات وشن الغارات (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) وغير هذا كثير .

ومع هذا يمتازون بخلال كريمة ، وجرثومة صالحة رفيعة ، فهم يقدسون الحرية ، ويحبونها حباً جماً . هذا والكرم والإيثار والوفاء لهم عادة وشيمة ، والشجاعة والنجدة فيهم غريزة وطبيعة .

من تصوير هذا الانحلال العام لحالة البشرية قبل الإسلام نستطيع أن نحكم فى سهولة ويسر أن بقاء البشرية على تلك الحالة يهوى بها إلى الفناء العاجل والعاجل المريع .

إذاً لا بد : من صاخة عظمى تدك حصون الشرك ، وتزلزل الوثنية والمجوسية ، فتنزل على الأدمغة الجامدة والقلوب الصلدة القاسية ، فتردعها عن غيها ، وتكبحها عن جماحها ، فتذلل من خطامها ، وتسلس من قيادتها ، وهذا ما تقضى به الحكمة والرحمة . وذلك ما حصل على يد المولود الجديد .

فى غضون هذه النوازل والتئامها أشرقت سماء الرحمات ، إيذاناً بميلاد سيد الكائنات . ففى اليوم التاسع على الراجح ، أو فى اليوم الثانى عشر على رأى الجمهور من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وسبعين وخمسمائة من ميلاد المسيح عليه السلام فى عام الفيل ، ضاءت الأكوان بميلاد سيد ولد عدنان . هذا وعناية ربانية ونفحة صمدانية أحاطت بالمولود الجديد حتى بعث رسولا ونبياً . فلم يصبه شىء من هنات الجاهلية ، كما عصمه الله منها بعدها قال ﷺ : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

وما كان اندحار جيش أبرهة وصيانة بيت الله عن العبث به إلا إرهاصاً للمولود

المنتظر ، وترقباً للدعوة الخالدة الشاملة الغالبة الصامدة التى مكنت للقلة المؤمنة المجاهدة من كثرة متحضرة ذات عدة وسلاح ، وجعلت أبناء البادية الخشنة يصمدون أمام جيوش الإمبراطوريات الضخمة ، فإذا بها تنهار واحدة بعد أخرى ، ذاهلة مترنحة لا تجديها الكثرة ، ولا يغنى عنها السلاح أمام فئة عزلاء إلا من سلاح الإيمان ، يزين لها الاستشهاد فترى فيه مجداً وعزاً وانتصاراً .

ومن أظهر مشاعل الدعوة المحمدية إبدال الوثنية والمجوسية بالتوحيد الخالص فى الأمة العربية ، وربطها برباط الإخاء حتى برزت موحدة القوى وثيقة العرى .

جاءت الدعوة الإسلامية بربط الشعوب والأمم من العرب والعجم .

دين الناس كافة لا تنفرد به طائفة دون أخرى أو جنس دون آخر .

وإنما هو عقيدة راسخة تهدر فوارق السلالات والدماء والأجناس والألوان . فلا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

جاءت الدعوة بأن العالم كله أسرة واحدة متكثرة الأفراد ، فى أقطار شاسعة وأصقاع متناهية الأبعاد ، إلا أنها من أصل واحد وناموس واحد ، ولكل إنسان من الحقوق والواجبات ما للحر على الحر ، وأن التفاضل بين البشرية لا يكون فى الرأسمالية ولا بقوة التعصب والعصبية ، وإنما يكون فى الخلق الفاضل والإيمان الكامل من مثل الإسلام العليا ، حينما سمع الرسول ـ صلوات الله عليه ـ أبا ذر رضى الله عنه يقول لرجل من الموالى : يابن السوداء ، فقال الرسول : ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء إلا بعمل صالح .

وهذا ملك غسان يلطم أعرابيا ، فيأبى ابن الخطاب إلا أن يلطمه الأعرابى مثلها .

هذه مشاعل الدعوة التى تساوى بين الصعلوك والملوك ، كما تساوى بين ابن أكبر قواد المسلمين وبين ابن رجل من عامة الناس .

وهذا على بن أبى طالب سيف الله الغالب ، وهو رابع الخلفاء ، لا يرى غضاضة ولا أسفا حينما وقف أمام القضاء من أجل يهودى .

رسمت الدعوة حقوق الإنسان باعتباره فردا وباعتباره لبنة فى بناء المجتمع .

بهذا قضت على الأسلاب والتناهب بمشروعية البيع والشراء والرهن والإجارة ، واستلت الأحقاد والضغائن بإخراج الزكاة ؛ وحضت على التراحم بدل التزاحم ، كما نهت عن الانحراف والخداع ، وموارد التلف والابتداع وتمضى الدعوة عامة فى مدارج الرقى والكمال

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . تجاوزت هذه الرحمة الإنسان فكان الإحسان إلى عالم الحيوان « إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

وإجمال القول أن الدعوة جاءت بشرعة ودستور ، وجعلت أمة الإسلام أمة متضامنة متكاتفة يسعى بذمتهم أدناهم وهم - باسم الله - يد على من سواهم .

لم يشهد التاريخ أن مصلحا من المصلحين أحدث نظاما أصاب نجاحا وأحرز فلاحا فى مدة قصيرة فى قبائل بدوية لا تربطها صلة دينية ، هم من التفكك والانفصال بدرجة تصطلى بجحيم الحروب والنيران من جراء هفوات لسان ، فينفخ فيها من روحه فتتلألأ حياة ونورا وسموا وشعورا ، وبين عشية أو ضحاها نراها أمة الأمم خفاقة العلم .

يدخلها الفرس والديلم والتتار وهم عنها غرباء ، ويدخلها العبيد والأرقاء . وهذا إن دل فإنما يدل على الحرية والمساواة والعدل وعدم المحاباة ، وإلغاء فوارق الطبقات وكبت الحريات ، كل هذه المعانى السامية وتلك الأمثال العالية والانتصارات الخالدة لم يظفر بمثلها التاريخ ، ولم يشهد الزمان ما يضارعها لا من قبل ولا من بعد ، اللهم إلا لصاحب الميلاد الرسول الكامل صلوات الله عليه ؟

عبد العظيم الطويل
مدرس بالأزهر

تعليقات

– ١ –

الاختلاط فى المدارس

موضوع الاختلاط بين طلاب المدارس وطالباتها موضوع ذو بال ، شغل الأوساط والأسر ، وخاضت فيه أقلام كثيرة ، وكان من السياسة المشكورة لوزير التربية والتعليم فى علاج هذه البدعة أنه – أولا – اتجه إلى إنشاء جامعة خاصة بالفتيات . ووزير التربية فى ذلك يحس إحساسا صادقا بامتعاض الأمة لهذا التقليد الغريب عليها ، منذ ابتدعه الدكتور طه حسين زاعما – فى غير حق – أن الاختلاط يدفع الشره الجنسى ، ويبدد الخواطر العاطفية ، وما إلى ذلك مما يخالف الواقع والفطرة ، ويخرج بالأمة عن كثير من المعانى الكريمة . . . وكذلك من السياسة المشكورة لوزير التربية أنه رأى عدم إبقاء غير المتزوجين من رجال التعليم بمدارس البنات ، وليس معنى هذا أن الوزير يتهم غير المتزوجين جميعا ، ولا أنه يخشى من المدرسات جميعا .

وإنما هى حيطة ، وتوفير للطمأنينة ، ودرء للشبه ، ووقوف فى وجه الشيطان بالقدر المستطاع ، وفى هذا أخذ بسنة الله وبحكمته فيما شرع ، فقد حرم الله النظرة الخائنة ، وحرم اختلاط رجل بنساء ، وامرأة برجال ، ورجال بنساء ، إذا خشيت الفتنة أو امتهنت الآداب ، ولم يكن هذا التشريع لاتهام جميع الرجال أو جميع النساء ، فإن الله يعلم فى الجنسين أخيارا لا تتسرب إليهم الظنون ، ولكنها الحكمة العالية فى سد منافذ السوء ، والترفع بسمعة المرء عن الشبه التى تثير الأباطيل والأرجاف ، والنبى ﷺ يقول : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ونحن نقول : الوقاية خير من العلاج ...

فوزير التربية – بصنيعه وبما يصنعه فى هذا الجانب – يرضى ضميره ، ويستجيب لدينه ، ويخدم وطنه ، وينهض بأخلاق يحاول أن ينزل بها أناس مفتونون ، أو دعاة للإباحية مغرضون . شكر الله للوزير عنايته ، ووفقه لتأدية الأمانة فى شبيبة استرعاه الله حمايتها من الفتن وتربيتها على مكارم الخلق .

– ٢ –

شبابنا

بين الإيمان والزندقة

على من تقع التبعة فى جنوح بعض الشباب الجامعى إلى نزعة اللادينية ؟؟

كنا نلقى التبعة على الاستعمار يوم كان للإنجليز تدخل فى توجيه التعليم توجيها يلائم الاحتلال . واليوم — وقد انقشعت غيومه ، وركزت راية العلم على شرفات الجامعات المصرية بعد أن لم يكن غير الأزهر . . وأصبحت مقاليد التربية والتعليم المدنى بخاصة فى أيدى المواطنين : ما بالنا نسمع من الشباب الجامعى صيحة الإباحية ، ونرى فى صفوفهم موجة الإلحاد تهزهم هزا ، وهم الذين زأروا فى وجه الدكتور طه حسين يوم كان عميداً للآداب ، ورأوه يجرهم جرا إلى ما تأباه الفطرة والتعاليم الإسلامية ؟؟

نرى بعض الشباب الجامعى يجهر باللادينية ، ويذود عن دعوتهم أناس فى أيديهم أقلام ولهم صحافة تؤازرهم ، وخير للشباب الجامعة ولمن يقومون إلى جانبهم أن يذكروا ويتذكروا ما تعلموه من أن الزندقة لم تمكن فى بقعة من بقاع الأرض ، ولا فى زمن من الأزمنة إلا مهزلة من مهازل الفكر المضطرب ، ومثار قلق فى المجتمع ، وسبب تصدع فى وحدته وكيانه .

نحاول أن نلتمس السبب الذى استفز بعض الشباب الجامعى إلى إنكار الديانات ، أو نلتمس مصلحة ولو وهمية حببت إليهم أن يجهروا بنزعتهم سافرة فى مجالسهم ، فلم نجد لذلك - أولا - إلا ما يبدو فى مسلك بعض أساتذتهم الذين استقوا من ثقافات الغرب شيئاً غير مصفى ، ونقلوه إلى تلاميذهم هنا من غير تمحيص .

وشبابنا الجامعى غير محصنين بشىء من الثقافة الإسلامية يعصمهم من الدخل .

وهم مفتونون بأساتذتهم الذين اغتربوا وعادوا ، ثم لم يجد الشباب فى محيطهم ردءا يعصمهم من الزلة خلف من استدرجوهم ، فكان طبيعيا أن تتعثر أفكار الشباب فى زخرف الباطل ،

وأن يستهين الشبان بدعوتهم الجريئة على الله وعلى الدين وعلى المجتمع ، فى وقت يحاول المجتمع أن يصحح من أوضاعه ، ويدرك مافاته من الرشد الدينى أيام الاحتلال .

ووجدنا - ثانياً - أن بعض من تزعموا الجامعة : كالدكتورطه حسين والدكتورأحمدزكى سبقوا إلى غرس البذور فى المحيط الجامعى فلم يكن منهم قدوة إلى دين أو خلق .

ووجدنا - ثالثاً - أن أقلاماً استحوذت الصحافة عليها ، أو استحوذت هى على الصحافة ، قد دأبت على التعرض لأهل الدين ، وأسرفت فى إغراء القراء ومن بينهم الشباب الجامعى بالتحلل وتجاوز الحدود وامتهان الآدب الدينى ، ولم تشغل تلك الصحافة نفسها يوماً ما بنصح الشباب ، ونهيهم عن التهافت .

فكانت هذه العوامل فى نهايتها ظاهرة خطيرة وانحرافا مشئوما يقدره من يقدر صالح الوطن والمواطنين . والناس يشهدون أن الأزهر حاول طويلا أن يقاوم هذه النزعة الشيطانية ، فكان يلاقى تحاملا عليه ومجابهة زائفة من أنصار الإباحية ، ومن الأمثلة الجديدة التى يصيحون بها دعوتهم إلى توحيد التعليم وجعله مدنياً فى الأزهر كما هو فى المدارس ، زاعمين فى تبجح أن مصلحة الأمة فى ذلك ، وأن شباب الأزهر طموح إلى هذا .

ويشهد الله ويشهد أولو الفهم أن هذه صيحة فى وجه القرآن . ومحاولة لذود المسلمين عن دينهم ، وهذه خدمة يقومون بها ترضية لأعداء الدين الذين أفنوا حياتهم فى مقاومة الأزهر ، فلم ينالوا إلا الفضائح والهزيمة .

ولعل فى نهضة بعض الكتاب الغيورين على الشباب ما يذودهم عن هذه الزلة ، ويردهم إلى رشدهم ، وإقناعهم بأن المجاهرة بل مجرد التفكير فى هذه النزعة ليس من صالحهم ولا من صالح الوطن ولا المواطنين . وشىء من الثقافة الدينية كفيل بتصحيح الفكرة ، واطمئنان الضمير ، وسلامة العقيدة . وإقفار الذهن من تلك الثقافة يجعله كالأرض الماحلة ، ينبت فيها الشوك ويترعرع حتى لا تأتى بشىء مما ينفع الناس .

- ٣ -

صدق القاضى الانجليزى

صحف أخبار اليوم معروفة بمناوءتها للهيئات الدينية ، كما عرفت بألوانها السياسية من قبل .

وهى ذات نشاط خاص فى الدعاية إلى التجديد المضفاض ، وعدم الوقوف عند حدود الله ، بل هى تدعو دعوة سافرة فى بعض مجلاتها إلى انتهاك الحرمات الدينية ما دامت النفس لا تتحرج .

وهى دائماً تناصر المتمردين على الأحكام الشرعية ، وعلى رجال الدين حينما يأمرون بمعروف أو ينهون عن منكر ، ولكن ذلك لا يمنع من الشهادة لها بالخير حينما نراها داعية إلى الخير وإن قل .

وكان من ذلك أن أحد فرسانها حدثنا قريباً عن قاض إنجليزى أبدى رأيه فى أن تعدد الزوجات مبدأ سليم فى ذاته ، لا يجافى العقل ولا ينطوى على الشر بطبيعته ، بل رأى القاضى الإنجليزى أن الحياة الكاملة لبعض الأشخاص قد لا تتوفر إلا من طريق تعدد الزوجات ، حتى تقوم كل زوجة من الأربع بناحية خاصة فى الحياة الزوجية .

وأخيراً قال فارس الأخبار : « ومن العجيب أن السيدة درية شفيق تنكر تعدد الزوجات وتراه تأخراً . فهل انجلترا بدأت تتأخر ؟! » .

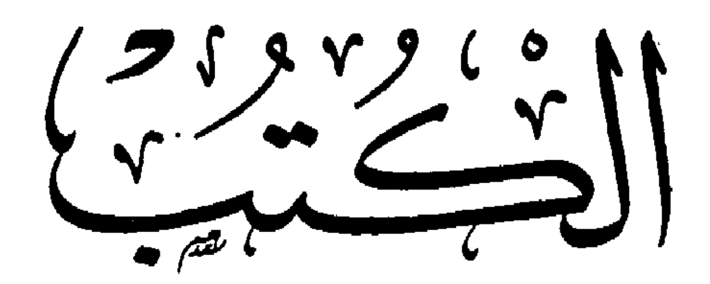
وتلك تعليقة منصفة ولاذعة بالنسبة لدرية شفيق ومن يؤازرها ، فهل ما يقوله القاضى الإنجليزى يكون حقاً وصواباً ولم يكن حقاً ولا صواباً إذا تلقيناه من جانب القرآن ؟ ؟

صحف أخبار اليوم صحف إسلامية فيما نعرف ويعرف الناس !! .

وكتابها فى الأغلب مسلمون كما نعرف ويعرف الناس !! .

فلم لا نراهم دائماً يتأثرون بدينهم ويستمدون من تعاليمه ، ويطمئنون إلى توجيهاته ، ولو بقدر اطمئنانهم إلى ما قاله القاضى الإنجليزى ؟ . لعل نفحة من هداية الله تملأ تلك القلوب ، وتسيطر على تلك الأقلام ، لتتحد الجهود فى بناء المجتمع دون مغالطة أو انحراف ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



الجزء الثالث من تفسير الطبرى

بتحقيق وتعليق الأستاذ محمود محمد شاكر - ٦٣٥ ص - طبع دار المعارف بمصر

أهدى إلى مجلة الأزهر الجزء الثالث من هذه الطبعة القيمة لكتاب جامع البيان عن تأويل آى القرآن لأبى جعفر الطبرى ، وقد سبق لنا التعريف بالكتاب وما يبذل فيه من جهد علمى عند تنويهنا بصدور الجزءين الأول والثانى . ونحب الآن أن نضرب الأمثال لألوان من التحقيق الذى يقوم به مراجعه ومخرج أحاديثه العلامة الشيخ أحمد شاكر ، فضلا عن تحقيق الأصل والحواشى التى يكتبها الأستاذ محمود تعليقاً على ما يستحق التعليق عليه من فنون العربية وعلوم القرآن وتخليص متن الكتاب مما طرأ عليه من تصحيف النساخ فى مختلف القرون .

من ذلك تصحيح اسم أحد شيوخ الطبرى فى الخبر رقم ١٩٥١ وهو مشرف بن أبان أبو ثابت الخطاب فقد تحرف فى المطبوعة السابقة برسم « مسروق » فى هذا الموضع ، وبرسم « بشر » فى رقم ١٣٨٣ ثم ورد فى المطبوعة السابقة على الصواب فى رقم ٢٣٨٢ . و « الحطاب » ورد بالحاء المعجمة فى تاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٤ ، وقد صحح ذلك كله فى ص ٢١ من الجزء الثالث من تفسير الطبرى فى هذه الطبعة .

ووقع فى آخر ص ٧٤ ما يحتمل أن يكون خرماً ، فأكمل فى الحاشية نقلا عن تفسير ابن كثير (١ : ٣٣٢) الذى عزاه لابن جرير .

وفى ص ١٠٤ (رقم ٢٠٩٤) رواية الطبرى عن شيخه محمد بن عبادة الأسدى ، وقد تحرف « عبادة » فى الخبرين ٦٤٥ و ١٥١١ برسم « عمارة » ، وفى رقم ١٩٧١ برسم « عمار » والراجح أنه فى كل تلك المواضع « محمد بن عبادة الأسدى » من شيوخ الطبرى والبخارى

وأبي حاتم وأبي داود . ومحمد بن عبادة يروى هذا الخبر فى تفسير الطبرى عن شيخه « عبيد الله بن موسى » ، أى العبسى الحافظ الثقة ، وقد تحرف اسمه فى المطبوعة السابقة برسم « عبد الله » ، فصحح الآن .

وفى ص ١٤٧ (رقم ٢١٨٢) ورد اسم « المغيرة بن عتيبة بن النهاس » ، وهو من قضاة الكوفة وكان من تلاميذ سعيد بن جبير - محرفاً برسم « عيينة » بدل « عتيبة » فصحح من كتاب ابن أبي حاتم ، مع التنبيه على تحقيق العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيي اليمانى . وورد فى التعليق على هذا الخبر تحقيقات أخرى تدل على بصيرة وسعة اطلاع .

وفى ص ٢٥٢ (رقم ٢٣٧٧) ورد اسم « أبي زرعة وهب الله بن راشد » ، مؤذن الفسطاط ، وهو من نادر الأسماء ، فتصحف فى المطبوعة السابقة برسم « أبي زرعة وعبد الله ابن راشد » ، فصحح الآن بتحقيق دقيق استناداً إلى مختلف المصادر .

وفى ص ٢٥٨ زيادة على التصحيح المطبعى لإحدى غلطات المطبوعة الأولى نبه الأستاذ محمود شاكر على نهج الطبرى وطريقته فى رد الأخبار التى رواها عن التابعين فى كل ما يحتاج إلى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاطع بالبيان عما ذكروه ، واستشهد لنهج الطبرى هذا بما بينه فى رسالة التفسير ثم فى تفسيره بعد .

وفى ص ٢٧٧ تنبيه على سقوط كلام من إحدى الجمل فاختلت واضطربت ، فبين وجه الصواب فيها بما أثبته فى الهامش ليستقيم به الكلام .

وفى هامش ص ٣١٤ تنبيه على موضع مشكل من كلام الطبرى وتفسير له وبيان لوجه الصواب فيه .

وفى ص ٣٢٥ تصحيح مهم لنقص وتحريف فى نسخة الأصل .

وفى ص ٣٨٦ قول المغيرة فى أبي العالية ، أعتقته امرأة من بنى رياح ، وأوصى بماله لبنى هاشم ، فقال الشعبي « لم يكن له موال ، ولا كرامة » ، أى أن أبا العالية لا موالى له ،

ولا كرامة لأحد ، فتحرفت الجملة فى المطبوعة الأولى برسم « لم يكن له حال ولا كرامة » ورد هذا الخطأ فى المطبوعة الجديدة إلى الصواب .

وفى ص ٤٩٨ (رقم ٢٩٤٣) سقط من المطبوعة السابقة حديث أثبته السيوطى ونسبه للطبرى ، وذكره ابن كثير ، فأثبت الآن فى هامش المطبوعة الجديدة تماما للفائدة وحفظا لما ينسب لهذا التفسير العظيم .

هذه نماذج قليلة لتحقيقات لا آخر لها تدل على الجهود التى تبذل لإخراج تفسير ابن جرير إخراجا يليق به من التصحيح والتحقيق العلمى الذى لو وقع لهذا التفسير فى حياة ابن جرير لملأ قلبه ابتهاجا . وقد اجتزأنا بالقليل عن الكثير لضيق نطاق هذه المجلة .

تيسير الكريم الرحمن — فى تفسير كلام المنان

للشيخ عبد الرحمن السعدى — الجزء الخامس — ٣٠٦ ص — المطبعة السلفية

علامة القصيم الأستاذ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى قد بارك الله له فى وقته فكتب المؤلفات الكثيرة المحررة فى مختلف علوم الشريعة والتوحيد . وقد طبع له الآن الجزء الخامس من تفسيره (تيسير الكريم الرحمن — فى تفسير كلام المنان) وهو يمتاز باستحضار أكثر ما ورد فى كتاب الله من الآيات التى لها مناسبة بالآية التى يتصدى لتفسيرها ، مع سلاسة فى الأسلوب ، ودقة فى الإشارة إلى حكم القرآن الحكيم .

واختار نشر هذا الجزء الخامس الآن توطئة لنشر ما قبله وما بعده إن شاء الله فى وقت قريب ، ويقول المؤلف إن من خاصة علم القرآن أن فهم بعضه وطائفة منه يعين على فهم جميعه ، لأن القرآن من أوله إلى آخره يدور على تقرير الأصول النافعة والحقائق والشرائع الكبار والأحكام الحسنة والعقائد الصحيحة ، ويوجه إلى كل خير ويحذر من كل شر ، ويعيد تقرير هذه الأمور ويبديها بأساليب متنوعة وتصاريف مناسبة فى غاية اليسر والسهولة والإحكام والحسن الذى لا مزيد عليه .

وهذا الجزء الخامس من تفسير ابن سعدى يتناول تفسير سورة الكهف وسورة مريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنين والنور والفرقان والشعراء إلى آخر سورة النمل .

وقد ذيله ببيان أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته ، يليه فصل فى معانى أسماء الله الحسنى . فنرجو الله أن يوفقه إلى نشر بقية أجزاء هذا التفسير النافع .

محمد صلى الله عليه وسلم فى بشارات الأنبياء

الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى — ١٥٢ ص — مطبعة الشرق بالقاهرة

الذين ألفوا فى موضوع بشارات الأنبياء بالرسالة المحمدية اقتصر أكثرهم على ما ورد منها فى التوراة والإنجيل ويمتاز كتاب الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى الافغانستانى بإيراد البشارات المحمدية التى فى كتب المشرق ككتاب زردشت وساسان الاول ومزدك . وأتبع ذلك بما فى التوراة ، وكتب العهد الجديد ، وانجيل برنابا . وختم الكتاب بذكر الإرهاصات النبوية فجاء كتاباً مفيداً فى بابه .

لمحات فى العقيدة والاسلام

الأستاذ خير الدين محمد عيسى — ١٢٦ ص — دار نشر الثقافة بالإسكندرية

من مزايا الاسلام التى كان بها دينا عالميا ختم الله به رسالاته ، أنه جاء مصدقا لجميع معانى الحق التى بعث الله بها الأنبياء السابقين ، وأعلن فى الانسانية أن من أركان الإيمان الاسلامى الإيمان بجميع رسل الله : إبراهيم ، والذين سبقوه ، والذين أتوا بعده ، إلى رسوله وكلمته المسيح عيسى بن مريم سلام الله عليهم جميعا . فكانت هذه المزية السمحة للإسلام إحدى مزاياه التى حببته إلى الناس . والذين أبطأت بهم ظروفهم عن أن يسيروا فى قافلة الاسلام كان حسن رأى الاسلام فى أنبياء الله من أسباب إنصافهم لهذا الدين وإضمار الحرمة له . ولو شئنا أن نسمى غير المسلمين الذين حببت الاسلام إليهم مزاياه الممتازة ومنها سماحته لضاق بنا المقام .

والأستاذ خير الدين عيسى — مؤلف هذا الكتاب — من أسرة لبنانية تدين بالمسيحية وقد ولد فى الاسكندرية ثم انتقل إلى بيروت فاتصل سنين طويلة بالمطران جراسيموس مسرة العالم المحقق صاحب التآليف الكثيرة ، ثم تنقل فى مختلف الأقطار شرقا وغربا ، واعتبر نفسه باحثا اجتماعيا ينظر إلى الحقائق بمنظار الفطرة ، فأداه ذلك إلى الحكم السليم على ما فى الاسلام مما يوافق الحق ويهدى إلى الخير ، ولذلك استحسن أن يدخل على اسمه

تعديلا جديدا فاختار لنفسه اسم « خير الدين محمد عيسى » ، وقد دون خواطره التى أدى به إليها بحثه الاجتماعى فكان منها هذا الكتاب الذى سماه « لمحات فى العقيدة والاسلام » ، وهى خواطر شخصية قـــد لا يتقيد فيها إلا بما لاح له فى تفكيره ، إلا أنها تتسم بروح الانصاف فى نواح كثيرة من نواحيها ، كقوله فى ص ٦٧ :

« من الممكن بسهولة أن يعتبر الاسلام مكملا للمسيحية ، كما كانت المسيحية مكملة لليهودية ، وفى هذه المنطقة العربية الروحية المادية ما كان أحرى الناس أن يتفقوا بدل أن يختلفوا ، وأن يتقاربوا بدل أن يتباعدوا ، وصدق الشاعر أبو الوفا حين يتساءل فيقول :

عيسى أخـــوك محمد وكلاكما بانٍ وشائد
لم لا يكون الحب وهو الأصـــــل رائد كل رائد ؟

وقد زار المؤلف بنفسه إدارة مجلة الأزهر مع فضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى وأهدى إلينا نسخة من كتابه ، فنرجو له من الله المثوبة والتوفيق .

تصويب

صواب التلاوة فى الآية الواردة فى السطر الثالث من الصفحة ٢٢٦ « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » فالمرجو من القارئ زيادة الواو فى « ويتخطف » وحذف الضمير من « جعلنا » .

الأدب والعلوم

تنظيم التعليم الديني

نص القانون الجديد للتعليم الحر على أن تقوم كل مدرسة بتدريس الدين لتلاميذها، كل بحسب دينه . ولا يجوز أن تعلم تلاميذها دينا غير دينهم ، ولو قبل ذلك ولى أمر التلميذ .

ولا يجوز أن يستعمل مكان المدرسة لغير أغراض التربية والتعليم .

اللغات الاجنبية في الازهر

أعدت الإدارة العامة للأزهر النظم الخاصة بتدريس اللغات الفرنسية والإنجليزية والاندونيسية والاوردية في كليات الأزهر ابتداء من العام الدراسي الجديد ، وستكون هذه الدراسات اختيارية في غير أوقات الدراسة ، على أن يدرس الطالب لغة واحدة منها ، وسيفضل في اختيار البعثات الخارجية الناجحون في امتحان هذه الدراسات .

مكتبة الدولة

تقرر تأسيس دار كتب عظمى في عاصمة الجمهورية المصرية تسمى (مكتبة الدولة) وتكون أعظم من دار الكتب المصرية . وسينشأ لها مبنى خاص بها ويتناسب مع ضخامتها ، وقد اختير له مكان الارض الفضاء في ميدان التحرير بين المبنى المجمع ومبنى وزارة الخارجية ، وستشرف على (مكتبة الدولة) وزارة التربية والتعليم وتسهر على نمائها واستكمالها .

جامعة في الرياض
ومجلس أعلى سعودي للتعليم

وافق جلالة الملك سعود على اقتراح وزير المعارف تأليف مجلس أعلى للتعليم ، وتوجيه سياسته بما يتمشى مع النهضة المنشودة ، وقد تألف المجلس برياسة وزير المعارف وبحث في تقرير الخبير المصري الدكتور محمد مرسى بشأن إنشاء (الجامعة السعودية) وسيعرض على مجلس الوزراء للموافقة ، وينتظر أن يكون مقر الجامعة السعودية في الرياض ، وقد منح جلالة الملك سعود وزارة المعارف قطعة أرض لإقامة مباني الجامعة عليها .

فرع فى الخرطوم
لجامعة القاهرة

وافق مجلس الوزراء على أن يضم فرع جامعة القاهرة الذى سينشأ فى الخرطوم ثلاث كليات : للآداب ، والحقوق ، والتجارة . على أن يفتتح مجلس جامعة القاهرة كليات أخرى هناك إذا دعت الحال .

كلية للآداب والتربية
فى بنى غازى

قرر مجلس الوزراء المصرى فتح اعتماد إضافى قدره ستة آلاف جنيه فى ميزانيـــة وزارة التربية والتعليم للسنة المالية ١٩٥٥ - ١٩٥٦ للمساهمة فى إنشاء كلية للآداب والتربية فى بنى غازى .

الجامعيون الجدد

بلغ عدد المقبولين هذا العام فى الجامعات المصرية الثلاث أكثر من أحد عشر ألف طالب وطالبة ، وذلك بعد أن استقر الرأى بشأن الذين تقدموا منهم إلى إحدى الكليات ولم تسمح مجاميعهم بالقبول فيها فقضت سياسة التيسير أن يقبلوا فى كليات أخرى تؤهلهم مجاميعهم للقبول فيها .

نشر العربية فى الخارج

قرر مجلس الجامعة العربية فى ختام دورته الرابعة والعشرين الاتصال بالحكومات العربية الاتفاق على مشروع يرمى إلى تعليم أبناء الجاليات العربية فى أمريكا الجنوبية وبعض بلاد الشرق الأقصى اللغة العربية ، والعمل على إنشاء كراس لتعليم هذه اللغة بالجامعات الأجنبية ودراسة آدابها ، وإيفاد بعثة فنية من الطلبة العرب المتخرجين من الجامعات والمعاهد العليا إلى الخارج لتكون نواة للتدريس فى المعهد العالى للخدمة الاجتماعية المزمع إنشاؤه بالاتفاق مع بعض المؤسسات الاجتماعية الثقافية .

معجم المصطلحات الزراعية

تقوم مراقبة الصحافة فى الإصلاح الزراعى بإعداد معجم بالاصطلاحات الجديدة التى استحدثت فى مصر ، وسيكون هذا المعجم بالعربية والإنجليزية والفرنسية .

كشافة الأزهر

لبت الجامعة الأزهرية دعوة جمعية فتيان الكشافة لنشر حركة الكشف بين طلبة المعاهد الدينية وكليات الجامعة الأزهرية بتدريبهم على أساليب الجوالة والقيادة حتى تتكون منهم طبقة من قادة الكشف الدينية ، وقد بدأت الدراسة النهائية لستين من مفتشى المعاهد وهيئة التدريس بجمعية فتيان الكشافة المصرية وأعقبها معسكر تدريبى فى معسكر الكشافة الدائم .

أنباء العالم الإسلامي

الحرم النبوي

الاحتفال بإتمام توسيعه

وجه جلالة الملك سعود الدعوة إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية وإلى مفتى كل دولة من دول الجامعة العربية لحضور الاحتفال الذى يرأسه جلالته فى يوم السبت ٦ ربيع الأول بمناسبة إتمام أضخم مشروع لتوسيع الحرم النبوى الشريف . كما وجه جلالته الدعوة إلى رؤساء رجال السلكين السياسى والقنصلى للدول الاسلامية والعربية بالمملكة السعودية لمشاهدة هذا الاحتفال الكبير .

وقد سافر صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ومفتى الديار المصرية صباح يوم الخميس ٤ ربيع الأول متوجهين من القاهرة إلى المدينة المنورة كتب الله لهما السلامة والتوفيق .

تسليح الجيش المصرى

أقامت القوات المصرية المسلحة معرضا لتبين به مبلغ التطور ومدى التقدم الذى وصل إليه الجيش . وقد خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى هذا المعرض فسرد قصة تسليح الجيش المصرى والصعاب التى قامت فى سبيل تحقيق هذا الهدف الخطير من أهداف الثورة . وفى مقدمة هذه الصعاب ما أبدته الدول الغربية المختلفة من شروط ومساومات ومماطلات . ففى الوقت الذى حصلت فيه إسرائيل بسهولة على أسلحة من انجلترا وفرنسا وبلجيكا وكندا وغيرها أبت فرنسا إلا أن تساومنا على شمال إفريقيا والتخلى عن عروبتنا ، واشترطت أمريكا أن نوقع على ميثاق أمن متبادل أو حلف من أحلافها ، ولم نظفر من انجلترا - بعد الوعود المتكررة - إلا بمقادير من السلاح لا تحقق الهدف الذى قامت الثورة من أجله .

إن مصر رفضت كل تلك الشروط ، ذلك لأن الثورة لا يمكن أن تتخلى عن مبادئها .

وأخيراً أجابت تشيكوسلوفاكيا طلب مصر فأبدت استعدادها لتموينها بما يحتاج إليه الجيش ، على أساس تجارى بحت . فقبلت مصر شاكرة ، ووقعت مع تشيكوسلوفاكيا اتفاقاً تجاريا يسمح بدفع ثمن الأسلحة المطلوبة منتجات مصرية كالقطن والأرز .

وأكد الرئيس أن مصر ستمضى فى طريقها قدما ، مواصلة كفاحها للقضاء على التحكم والنفوذ الأجنبى ، ولإقامة جيش وطنى قوى كفيل بأن يحقق لمصر السلام والعزة والكرامة .

وثائق تسليح اسرائيل

فى حفل تخريج فوج جديد من الضباط أزاح الرئيس جمال عبد الناصر الستار عن وثائق سرية خطيرة فضحت أسطورة السلام وخرافة التوازن اللتين يتشدق بهما الاستعمار ويستر أهدافه الحقيقية وهى فرض التحكم والسيطرة والنفوذ ، وقال : إن حادث العدوان الإسرائيلى الوحشى المدبر فى ٢٨ فبراير الماضى (وقد وصفناه فى ص ٨٣٠ من السنة الماضية) كان الذى نبه مصر إلى ما يدبره لها الاستعمار ، فكان بذلك نقطة تحول فى حياة مصر ، فبدأت تبحث عن السلاح فى كل مكان ، وخرجت من ذلك بحقيقة ثابتة هى التحيز الصارخ لإسرائيل على حساب مصر والعرب . وأثبت الرئيس بالوثائق الرسمية أن اسرائيل حصلت من بريطانيا على ٩٧ طائرة من مختلف الأنواع و ٢١٥ عربة مصفحة ، و ١٠٠ مدفع عربة هاون ، و ٧٠ مدفع ميدان ، وأن هناك صفقات أخرى من الطائرات والدبابات ، كما سلمتها أمريكا ١٢ طائرة . وتعاقدت معها فرنسا على تسليمها مائة دبابة وعدداً من الطائرات ، كما أثبت بالوثائق الرسمية أن وزارة الحرب البريطانية كانت تعلم فى شهر مايو الماضى أن اسرائيل كانت على وشك العدوان على الجبهة المصرية فى الوقت الذى لا تضمر مصر فيه أى نية للعدوان . وقد استطاعت المخابرات المصرية أن تحصل على وثيقة رسمية فرنسية تقول إن أهم معدات القوات العسكرية الإسرائيلية الثقيلة مصدرها أمريكى بريطانى ، وأن هناك صفقات تعقد بين بريطانيا وبين اسرائيل لبيعها طائرات ميتيور ودبابات سنتوريون .

واستطاعت المخابرات المصرية أيضا أن تحصل على وثيقة خارجة من وزارة الحرب البريطانية وهى تقرير مخابرات فى شهر مايو وجاء فيه بعد الكلام عن الحوادث التى وقعت على الحدود بين مصر وإسرائيل : من المنتظر أن تعمل الحكومة المصرية من جانبها لتجنب الحرب مع إسرائيل ، وجميع الظواهر تدل على أنه ليست لمصر أية نية للعدوان ، وإنا لقليلو الثقة فى أن الحكومة الإسرائيلية سوف تنتهج سياسة سلمية . وتوجد صورة هذا التقرير الرسمى البريطانى فى مكتبى ومستعد أن أريها لسفير بريطانيا فى مصر . وقد طالبنا بالسلاح بعد مايو فماذا كانت النتيجة ؟ كانت استمرارا فى السيطرة واستمرارا فى فرض الشروط .

هذه يا إخوانى هى أسطورة السلام فى الشرق الأوسط ، وهذه هى خرافة توازن القـــوى ...

الإخاء العربى

نوه السيد أنور السادات فى الجمهورية بأن وثيقة المخابرات البريطانية التى هتك الرئيس جمال عبد الناصر سترها ، وفضح سرها ، قد تضمنت فيما تضمنته أن الشقيقة سوريا ألقت على العالم درساً خالداً فى الوعى العربى والإخاء العربى وروعة الإيمان بوحدة العرب وسيادتهم ، وذلك أن اسرائيل كانت فعلا على وشك العدوان على الجبهة المصرية لولا أنها علمت أن الأوامر صدرت إلى الجيش السورى بأن يكون مستعداً للهجوم على اسرائيل فى الحال إذا قامت القوات الاسرائيلية بالهجوم على مصر . فعلق السيد أنور السادات على ذلك بقوله : « سلام على سوريا الحبيبة ، وروح وريحان يا أحفاد أمية الأمجاد . سلام عليك ياسوريا الحبيبة شعباً وجيشاً ، سلام على الغوطة من ربى النيل ، سلام على اليبرين من أهرامنا والنخيل » .

وهكذا ترى تعصب الغرب علينا أخذ يحقق المعجزة ، معجزة الاتحاد الذى سيكون بداية التحول إن شاء الله فى مجرى التاريخ .

وهذه الوثيقة البريطانية السرية التى حصلت عليها الاستخبارات المصرية اضطرت وزارة الخارجية البريطانية إلى الاعتراف بصحتها ، ولكنها ماتزال تجهل كيف وصلت إلى اليد المصرية وافتضحت فى الوقت المناسب .

قانون الخدمة العسكرية

صدر القانون المصرى الجديد للخدمة العسكرية ، وهو يفرض هذه الخدمة على كل مصرى من الذكور أتم الثامنة عشرة من عمره ، ومدة الخدمة ثلاث سنوات تخفض إلى النصف للحاصلين على الشهادات النهائية من كليات الجامعات المصرية والأزهرية أو ما يعادلها أو من المعاهد والمدارس العليا أو من المدارس الثانوية ، ويجوز تأجيل الخدمة الالزامية وقت السلم لطلبة الكليات والمعاهد والمدارس المذكورة إلى أن يحصلوا على شهاداتهم . ويعفى من الخدمة العسكرية من لا تتوافر فيه شروط اللياقة ، والابن الوحيد لابويه أو أحدهما والعائل لوحيد لابويه أو أحدهما بشرط أن يكون الاب عاجزاً عن الكسب والام أرملة أو مطلقة .

منع الأسلحة عن مصر

تعطيل لواجب دينى

أعلن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن أى تدخل لمنع تسليح جيش مصر وحبس الأسلحة عنه إنما هو تعطيل لواجب دينى لا يسكت عنه مؤمن ولا يرتضيه شعب متحضر ، وقد أبلغ ذلك إلى سفراء روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا بالبرقية الآتية

التي بعث بها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، واللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة :

بسم الله الرحمن الرحيم

حياة الأمم وسلامة أوطانها رهن بما لها من سلاح وعدة ، وهذا ما يرشد إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم » .

ونحن في هذا السبيل نؤيد حكومة الثورة ، ونهيب بالشعب المصري أن يهب لتأييدها في الكفاح لتقوية جيشنا وتسليحه بأقوى وأكمل عدة . وننكر أشد الانكار على من يحاولون إضعافنا وإنهاض عدونا ، ونعتبر ذلك أشد أنواع الظلم والعدوان ، ثم هو تدخل صارخ في أخص شئون البلاد ، وتعطيل لواجب ديني لا يسكت عنه مؤمن ، ولا يرتضيه شعب متحضر .

علماء الأزهر والتسليح

بعث علماء الأزهر برقية إلى الرئيس جمال عبدالناصر يؤيدون فيها موقفه الوطني القومي في مسألة التسليح ويؤكدون فيها حرصهم على نماء جيش مصر وتسليحه من أية جهة .

وبعثوا برقية إلى مستر جورج ألن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية عند وجوده في مصر وصفوا فيها تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في شئون مصر بأنه تحيز سافر يفضح حقيقة نيات أمريكا وحلفائها نحو العرب والمسلمين .

مجلس الجامعة العربية

يعلن تقديره لموقف مصر

عقد مجلس الجامعة العربية دورته الرابعة والعشرين بالقاهرة في منتصف شهر صفر ، وقرر إرسال البرقية التالية إلى الرئيس جمال عبد الناصر :

« في مطلع الدورة الرابعة والعشرين العادية لمجلس جامعة الدول العربية قرر المجلس بالإجماع أن يعرب لسيادتكم عن تقديره لموقف الحكومة المصرية ، وعن تضامنه مع السياسة الحازمة التي تنتهجها مصر والرامية إلى دعم أسباب عزتها وقوتها التي هي عزة العرب وقوتهم ، وإنه ليسرني أن أعرب لسيادتكم عما تقدم باسم مجلس جامعة الدول العربية » .

(رئيس المجلس)

ميزانية الجامعة العربية

وافق مجلس جامعة الدول العربية في دورته الرابعة والعشرين على ميزانية الجامعة للسنة المالية القادمة ، وتبلغ ٥٠٠ ألف جنيه ،

يخصص منها ١١٥ ألف جنيه لمكتب الدعاية فى نيويورك ، و ١٠٠ ألف جنيه للبدء فى إقامة مبنى الجامعة الجديد ، والمساهمة بمبلغ ٢٥ ألف جنيه لمعهد الدراسات العربية ، و ٢٥ ألف جنيه للدورة الرياضية التى تعقد فى بيروت ، و ٢٠ ألف جنيه للحلقات الدراسية والمعسكرات الكشفية والمراكز النموذجية والاجتماعية . أما رواتب الموظفين فقدرت بما يتراوح بين ٧٥ ألف جنيه و ٨٠ ألف جنيه .

مؤتمر الخريجين الدائم

لقضايا الوطن العربى

عقدت فى بيت المقدس فى أوائل شهر صفر الماضى الدورة الثانية لمؤتمر الخريجين الدائم لقضايا الوطن العربى . وافتتحه جلالة الملك حسين ملك الاردن بخطبة قال فيها : « قبل سبع سنين أو يزيد كان فى هذا الجزء من الوطن العربى الكبير شعب شقيق : المروءة والإباء ملء إهابه ، والنخوة والفداء ملء شبابه . واليوم - وبعد سبع سنين أو تزيد - تمزق هذا الشعب الشقيق أيدى سبا ، وتشرد تحت كل كوكب ، وأثخنته يد الأهواء بالجراح ، فلا يكاد يندمل منه جرح حتى تسيل جراح .. وها أنتم شاهدون على أننا نبنى ماوسعنا البناء ، وعدتنا فى كل ذلك إيمان بعدالة قضيتنا ، واستهانة بكل ماتصدمنا به الأيام من تعب وحرمان ... ومؤتمركم الذى يجتمع فوق هذا الجزء المقدس من الوطن العربى يتدارس - فى جو الكارثة الكبرى - قضايا الوطن العربى ، وهو عمل مجيد فى ذاته ، على أن عبرة الدرس القاسى قد ملأت القلوب واستقرت فى ضمير الفئة الواعية من العرب أجمعين الذين لم يعد ترجيع الماضى يودعهم الاستكانة ، بل الحافز المثير يدفعهم إلى المضى فى سبيل الخدمة النافعة من طريق خلق (وحدة فى التفكير) بين المثقفين العرب ، ودراسة القضايا القومية دراسة علمية منطقية ، وتحديد الأهداف والغايات ، واستنباط أقوى وسائل الكفاح من أجل تحقيقها . فباسم الله القدير ، والوطن الغالى ، وباسم هذه المدينة المقدسة مسرى الرسول ومهد الأنبياء أفتتح هذا المؤتمر مرحبا بكم متمنيا لكم التوفيق .. وحى على العمل ، والله ولى التوفيق » .

وخطب بعده رئيس المؤتمر فى دورته الاولى السيد عادل عسيران ومما قاله إن رسالة مؤتمركم لاتتحقق إلا بالعمل بجرأة وإقدام فى المحافظة على بقاء الوطن العربى ، واسترداد ما غصب منه .

وفى جلسة المساء انتخب الاستاذ محمد فؤاد جلال السكرتير العام لمجلس الخدمات المصرى رئيسا للمؤتمر فى هذه الدورة وانتخب ثلاثة نواب للرئيس أحدهم من الاردن والثانى

من العراق والثالث من سوريا . ثم خطب الرئيس الجديد والأستاذ الباقورى .

وفى اليوم التالى زار أعضاء المؤتمر الخطوط الأمامية فى منطقة القدس ثم عادوا لتقرير جدول الأعمال ، وكان فى طليعة قراراتهم تأييد مصر فى كل إجراء تتخذه لتأديب اليهود

ثم ألفوا تسع لجان : للعلاقات العربيـة ، والثقافيـــة ، والمغرب العربى ، ومكافحة الاستعمار ، والدستور الاتحادى ، والادارة الاتحادية ، والاجتماعية ، وحقوق الإنسان ، وتنمية الاقتصاد العربى ، ولجنـة فلسطين التى تفرعت إلى : لجنة اللاجئين ، ولجنة قضية فلسـطين السياسـية ، ومشروعى دالاس وجونستون . ولجنة خطر إسرائيل .

وبعد نشاط استمر قريبا من أسبوع اختتم المؤتمر أعماله مقرراً شكر الحكومة المصرية على إنشاء فرقة فلسطينية تساهم فى الدفاع عن وطنها وتعمل على إنقاذه . وطالب المؤتمر الدول العربية بإنشاء فرق مماثلة وبتدريب الفلسطينيين وتسليحهم .

وعاد أعضـاء المؤتمر فزاروا الخطوط الأمامية فى الأردن ، ثم تناولوا الغـداء على موائد الجيش العربى .

وقد أقر المؤتمر التوصيات التى قدمتها لجانه التسع ، والتى من أهمها رفض مشروع جونستون لاستثمار مياه الأردن ، ورفض مشروع دالاس لحل القضية الفلسطينية ، ومقاومة مشروعات توطين اللاجئين خارج فلسطين .

وألقى رئيس المؤتمر الأستاذ محمد فؤاد جلال كلمة ختامية شكر فيها للأردن ملكا وحكومة وشعبا رعايته للمؤتمر .

كلمة مصر والعرب

فى اجتماع هيئة الأمم المتحدة

خطب الدكتور محمود فوزى وزير خارجية مصر ورئيس وفدها فى هيئة الأمم المتحدة فهاجم الدول الاستعمارية وقال : إن على الاستعمار أن يدرك أن عجلة الزمان قد فاتته ، وأن عليه أن يخرج طواعية من هذا العالم وإلا فسيخرج منه بالقوة . وندد بحلف الأطلنطى لتأييده الاستعمار فى شمال إفريقية ومحاربة الأحرار الذين يكافحون لاسترداد حريتهم . وأكد أن الصهيونية لا تعيش إلا على العدوان وقال : إن عرب فلسـطين لن يبيعوا أرواحهم من أجل نقود الأمم المتحدة ، وأن مصر لن يقف أمامها شىء يمنعها من السعى لاسترداد الحقوق القانونية لعرب فلسطين .

وإن الشعوب الصغيرة لا تريد أن يحدث الاتفاق بين الكتلتين الشرقية والغربية على حساب الدول الأخرى فى العـالم . وإن قرارات باندونغ أيدت كل جهد لحماية حقوق الإنسان ، وتقرير المصير ، والتحرر

من الاستعمار . وإن مصر تتطلع إلى عهد يسود فيه التعاون بين أمم العالم على أسس الحرية والكرامة والقيم الإنسانية للقضاء على استخدام القوة المسلحة فى أى نزاع دولى . وإن مصر تبذل كل جهد لتتيح للشعب السودانى أن يعبر عن أمانيه فى الحرية ، ولن تتسامح مطلقا فى أى محاولة تبذل للحد من هذه الحرية .

وبعد أن ألقى الوزير المصرى خطابه أمام الجمعية العامة أعرب الرئيس عن أسفه للهجة الخطاب وشدته ، وأنه لم يرغب فى مقاطعته أثناء إلقائه لكى يوفر له حرية الكلام . وحينما أراد الدكتور محمود فوزى أن يرد على الرئيس اعتذر هذا قائلا : إن الملاحظات التى أبداها ستحذف من محضر الجلسة .

رائحة نتن إسرائيل

فى سياسة الغرب

وصف جورج براون الوزير العمالى السابق بوزارة اتلى قرار مصر الخاص بشراء أسلحة من تشيكوسلوفاكيا بأنه « هزيمة كبرى للدبلوماسية الانجليزية ، ولمشاريع الدفاع الغربية » . وهو يعزو هذه الهزيمة إلى نفوذ إسرائيل وأثره فى سياسة لندن .

وأكد جورج براون أن الخطأ نشأ عن « تكييف سياسة بريطانيا حسب رغبات إسرائيل ، وقد فاتها أن مصر دولة مستقلة ، وأن دفاعها عن نفسها من شئونها الخاصة . فيجب أن نصمم على أن تكون السياسة الانجليزية مبنية على أساس المصالح الانجليزية لا أن تكون مسيرة من قبل أنصار إسرائيل الموجودين فى انجلترا .

هذا ما يقوله وزير عمالى سابق فى الدولة البريطانية ، وليس هذا من أساليب المعارضة المألوفة ، فإن الوزير العمالى السابق يذكر عيبا فى دولته تستوى فيه الوزارات ، سواء كانت من المحافظين أو الأحرار أو العمال ، فكلهم ارتضوا أن يكونوا مسيرين باتجاه وتوجيه أنصار إسرائيل الموجودين فى انجلترا من قبل أن توجد إسرائيل ، وبعد استكمال كيانها الزائل إن شاء الله .

أمريكا والتنويم الصهيونى

قال الرئيس جمال عبد الناصر للمستر پول سان رئيس تحرير مجلة (نيويورك پوست) : « إن جميع العرب يشعرون بأن أمريكا واقعة تحت تأثير نفوذ وسيطرة المنظمات الصهيونية القوية التى توجهها لمساعدة إسرائيل ضد العرب . والنفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة بمثابة عقبة بين العرب والأمريكيين . وشعور كل امرىء فى الدول العربية هو أن

جميع الجهود التى نبذلها فى الولايات المتحدة ستضيع هباء منثورا بسبب الصهيونيين » .

وعلق رئيس تحرير (نيويورك بوست) على حديث الرئيس قائلا : إن جمال عبد الناصر يعتقد أنه لا يحارب إسرائيل وحدها ، بل يحارب الصهيونية العالمية وثروة الصهيونيين ، وأن رسالته ومهمته أن ينقذ العالم العربى من السيطرة والدمار النازلين بالعرب ، بسبب « المؤامرة الصهيونية » التى تدبر فى الولايات المتحدة ، وتلقى بعض التأييد من بريطانيا وفرنسا . ويقول جمال عبد الناصر : من العبث أن يلتمس العرب المعونة من أمريكا ، لأن المسئولين عن الانتخابات فيها لا يفكرون إلا فى اليهود وفى خمسة ملايين من أصواتهم فى الانتخابات .

ادراج قضية الجزائر

فى جدول أعمال الأمم المتحدة

قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة إدراج « مناقشة كاملة » للحالة فى الجزائر فى جدول أعمالها ، رغم توصية « اللجنة التوجيهية » بغير ذلك فى آخر جلسة لها ، ورغم تكاتف فرنسا وبريطانيا وأمريكا وحلفائهن جميعاً على عدم ادراج هذه المسألة فى جدول الأعمال

وقد اقترع مع الدول العربية والاسلامية لصالح العرب دول الكتلة السوفيتية وبعض دول أمريكا اللاتينية .

ولما تم الاقتراع وظهرت نتيجته فى جانب الدول العربية والاسلامية انسحب وفد فرنسا من الجلسة احتجاجا ، وقال رئيس الوفد الفرنسى : إن فرنسا تعتبر أى قرار تتخذه الأمم المتحدة فى هذا الشأن باطلا .

وكانت قائمة الشرف التى تحدت الاستعمار ممثلا فى فرنسا وأنصارها تضم مصر والمملكة العربية السعودية ، وسوريا ، والعراق ، ولبنان ، واليمن ، وباكستان ، واندونيسيا ، والافغان ، وإيران ، والهند ، وبورما ، والفلبين ، وسيام ، والاتحاد السوفيتى ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا ، ويوغوسلافيا والارجنتين ، وبوليفيا ، وكوستاريكا ، وجواتيمالا ، والمكسيك ، وأورجواى وليبريا ، وبيلوروسيا ، واليونان . والمجموع ٢٨ دولة منها ١٥ دولة آسيوية وإفريقية ، و ٥ دول شيوعية ، و ٦ دول من أمريكا اللاتينية ، ودولتان بلقانيتان .

وعلى رأس الدول الموالية للاستعمار والمعادية لاستقلال الجزائر وحريتها : الولايات المتحدة الامريكية ، وانجلترا ، وفرنسا ، وهولندا ، وتركيا ، وكانت تركيا تخادع الدول الاسيوية الافريقية إلى درجة تشمئز منها النفس ، فلما كانت اللحظة الأخيرة الحاسمة نزع ممثلو تركيا البرقع عن وجوههم واقترعوا مع فرنسا وأوليائها ضد حرية الجزائر التى يرجع تاريخ استعبادها

سنة ١٨٣٠ إلى حماقة وخذلان كان الأمير عبد القادر الجزائرى ومواطنوه يعرفون مصدرهما .

الجزائر فى البرلمان الفرنسى

خطب بيير فاييه النائب الفرنسى فى الجمعية الوطنية الفرنسية فقال : إن الحكومة الفرنسية تستخدم وسائل شديدة القسوة وهى تحاول قمع ثورة الجزائر ، وقد نشرت الصحف أنباء فظائع ارتكبت فى فيليب فيل بالجزائر فزادت هذه الفظائع الموقف خطورة .

ولم يحضر رئيس الوزارة المناقشة فى هذه الجلسة بل حضر عنه وزير الداخلية لأن فرنسا مازالت تعتبر الجزائر جزءاً من أرضها ! وقد حضر ١٥٠ عضواً من ٦٢٧ عضواً لأن أحزاب اليمين والوسط تغيبت لئلا تشاطر اليساريين حملتهم على الحكومة ومناصرتهم للمغرب العربى .

ابن عرفة

فى طريقه إلى طنجة

تخلى ابن عرفة عن سلطنته وعرشه ، وغادر القصر الملكى فى الرباط يوم ١٤ صفر فى ساعة مبكرة من الصباح قاصداً المطار ورافقته ٤٠ من سيارات الجيب وغيرها ، وفى المطار قرأ عليه المقيم الفرنسى رسالة من رئيس الجمهورية الفرنسية يشيد فيها بخدماته ، ويعده بإسداء الضمانات لتأمين مستقبله . وبعد ساعتين من قيام الطائرة به وصل إلى طنجة - المنطقة الدولية - حيث تقرر أن تكون إقامته فى قصر زهرة الجبل الذى كان يملكه السلطان عبد العزيز واشتراه ابن عرفة قبل بضعة أشهر .

وقبل رحيله وقع وثيقة التخلى عن سلطنة المغرب ، وهى الوثيقة التى أعدتها الاقامة الفرنسية العامة وظلت محل الأخذ والرد مدة غير قليلة .

وعند سفره أذاع رسالة بالراديو قال فيها إنه قرر مغادرة عاصمة المغرب لأجل غير محدود وفوض برسالته هذه لابن عمه مولاى عبد الله ابن مولاى عبد الحفيظ تصريف شئون التاج وفقاً لتقاليد الأسرة وتعاليم الشرع الشريف .

جلاء فرنسا عن فزان

كانت الاتفاقية المعقودة بين ليبيا وفرنسا تقضى بأن يبدأ جلاء القوات الفرنسية عن فزان فى أول أكتوبر من هذه السنة ، ولما مضت الأيام العشرة الأولى من شهر أكتوبر ولم تحرك فرنسا ساكناً كتبت إليها حكومة ليبيا تلفت نظرها إلى ذلك ، فأجابت فرنسا بأن ذلك نتيجة « سهو » !

نفاق

قال مستر جارلند إيفانز هوبكنز الوكيل التنفيذى لرئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية :

« إن أمريكا كانت أحب أمة إلى شعوب البلاد العربية ، ثم أصبحت الآن أبغض الأمم إليها . إننى لا أجد صفة أقل من صفة (النفاق) أطلقها على كل من ينادى الآن مطالباً بمنع بدء سباق التسليح فى الشرق الأوسط ، وبضرورة إبقاء توازن عسكرى ، فإن الطريق الوحيد للوصول إلى التوازن العسكرى إنما يكون بتقديم معدات إلى الدول العربية مساوية لما قدم إلى إسرائيل » .

القضاء الشرعى والملى

صدر فى الشهر الماضى قانون بنقل اختصاصات القضاء الشرعى للمسلمين والقضاء الملى لغير المسلمين فى كافة أنحاء الجمهورية المصرية إلى المحاكم الوطنية على أن تتولى النظر فى قضايا الأحوال الشخصية والوقف والولاية عليه طبقاً لأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة عدا الأحوال التى وردت بشأنها قواعد خاصة فإنه يجب اتباع هذه القواعد .

وبالنسبة للمنازعات المتعلقة بالمصريين غير المسلمين والمتحدى الطائفة والملة فإن الأحكام تصدر فيها طبقاً لشريعتهم . وفى حالة تغيير الطائفة أو الملة بما يخرج أحد الخصوم من وحدة طائفية إلى أخرى أثناء سير الدعوى فإن ذلك لا يؤثر فى تطبيق المادة المتقدمة إلا إذا كان التغيير إلى الإسلام فإنه فى هذه الحالة تطبق أحكام الشريعة الإسلامية .

وقد نص القانون الجديد على أن رجال القضاء الشرعى تحفظ حقوقهم بنقلهم على اختلاف درجاتهم إلى القضاء الوطنى . والمحامون أمام المحاكم الشرعية سيكون لهم حق المرافعة فى المحاكم الوطنية فى الدعاوى التى كانت تدخل فى اختصاص المحاكم الشرعية .

معهد الشريعة الإسلامية
والتوسع فى دراسة الفقه بكلية الحقوق

وافق مجلس الوزراء فى جلسته المنعقدة يوم ٢٥ صفر (١٢ أكتوبر) على مشروع قانون باللائحة الأساسية لكلية الحقوق بجامعة القاهرة بشأن الدرجات العلمية والدبلومات .

وقد استتبع إلغاء المحاكم الشرعية والمجالس الملية وإحالة اختصاصاتها إلى المحاكم المدنية إعادة النظر فى (تدريس الشريعة الإسلامية) بالكلية ، فرؤى التوسع فى دراستها بقسم الليسانس وتعميم تعليمها فى سنوات الدراسة الأربع ، وأن يستعاض عن دبلوم الشريعة الإسلامية الذى كانت مدته سنة بإنشاء معهد للشريعة الإسلامية مدة الدراسة فيه سنتان ويمنح الطالب بعدهما الدبلوم ويحصل على الدكتوراه فى الحقوق فى الشريعة الإسلامية إذا ما أعد رسالة بعد حصوله على الدبلوم

أبواب الحرم المدنى

يحتفل فى دار المؤتمر الإسلامى بالزمالك بحضور صاحب السمو الملكى الأمير فيصل آل سعود ولى عهد المملكة العربية السعودية بعرض بابين من أبواب الحــرم النبوى الشريف التسعة التى تم صنعها فى مصر ، وهما (باب السلام) و (باب الرحمة) ، ويستمر عرضهما ثلاثة أيام ابتداء من يوم الخميس الرابع من ربيع الاول سنة ١٣٧٥ . وقد صنعت هذه الأبواب فى مصر بأيدى عمالها ، وتحت رعاية مهندسيها ، ومن أنسق خاماتها ومعادنها .

طلبة الازهر

يتبرعون للجيش بالمال والنفس

عند افتتاح الدراسة صباح يوم السبت ٢٨ صفر قرر طلبة كليات الأزهر والمعاهد الدينية التنازل لتسليح الجيش عن نصف المكافآت المخصصة لهم .

وأعلنوا عن رغبتهم فى التطوع فى صفوف الجيش ليكون لهم شرف الجهاد المقدس ، وأرسلوا برقية بذلك إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

الازهر وتسليح الجيش

دعا صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر إلى مكتبه أصحاب الفضيلة وكيل الأزهر والسكرتير العام ومدير التفتيش والوعظ وشيوخ الكليات والمعاهد الدينية ورؤساء الإدارات . وتحدث إليهم فيما يجب على الأزهر من الاشتراك فى شرف العمل على تعزيز سلاح الجيش .

وقد استقر الرأى على أن يتبرع كل موظف فى الأزهر الآن بمقدار ٤ ٪ من راتبه .

وكلف فضيلته جميع الوعاظ فى أنحاء الجمهورية أن يقوم كل منهم فى دائرة عمله بالدعوة إلى هذا الواجب الذى يحفظ للأمة كيانها ويصون لها عزتها وحريتها .

ورجال الأزهر جميعاً يؤيدون موقف الحكومة المشرف فى هذا السبيل .

سائلين الله لجيش مصر الباسل وللبطل العظيم الرئيس جمال عبد الناصر النصر والتوفيق .

وأرسل السادة أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد ومدرسوها وموظفوها وطلابها برقيات التهانى إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمناسبة ابتداء العام الدراسى الجــديد مؤيدين فيها السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى موقفه الحازم بشأن تسليح الجيش المصرى ، ومعلنين تبرعهم بـ ٤ ٪ من مرتبات المــدرسين والموظفين ، و ٥ ٪ من مخصصات الطلاب .

الفهرس

التعليقـــات

• • •



ربيع الآخر سنة ١٣٧٥

طلاب الأزهر في درس الكيمياء

(علم وعبادة)

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الرابع ـ القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٥ ـ ١٦ نوفمبر ١٩٥٥ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

فتنة حول الأزهر

يا معهداً أفنى القرون جداره ... وطوى الليالي ركنه والأعصرا
ومشى على يبس المشارق نوره ... وأضاء أبيض لجها والأحمرا
وأتى الزمان عليه يحمي سنة ... ويذود عن نسك ويمنع مشعرا
عين من الفرقان فاض نميرها ... وحيا من الفصحى جرى وتحدرا
إن الذي جعل (العتيق) مثابة ... جعل (الكناني) المبارك كوثرا
العلم فيه مناهلا ومجانيا ... يأتي لها النزاع يبغون القرى

شوقي

بلى ، إنها فتنة ، وصد عن سبيل الله ، والفتنة أكبر من القتل .

إنها فتنة ، وما كان أغنى صاحبها عن أن يتولى كبرها ، بعد أن أراد الناس أن يتناسوا من فتن الماضي مايود كل من له مثل ذلك الماضي أن يرى الناس قد أخذوا يتناسونه . . .

ولقد أخطأه التوفيق في تخير الوقت الذي توخاه لإثارة هـذه الفتنة ، فالناس اليوم في

شغل عن ذلك بما يستعدون له من تسليح أبنائهم ورجالهم ليدفعوا عن كيانهم ما يبيته لهم أبالسة الأرض من شر ومكر وكيد عظيم .

وأى مصلحة للملة والأمة والوطن فى أن تثار فتنة سخيفة كهذه الفتنة فى ظرف كالظرف الذى نحن فيه ، فيكون منها لأذهان الناس وقلوبهم صارف — ولو فى بعض الوقت — عما لا ينبغى لها أن تشتغل إلا به حتى فى أحلامها . فكيف وقد طلع بذلك عليها فى الساعات الأولى من يقظتها ، فأثلج بذلك قلوب الذين أسسوا له دار الكاتب المصرى وكل من يمت إليهم و يمتون إليه بسبب .

إنه يبكى ويستبكى على شبابنا الأزهريين ، زاعما أنهم لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، وكما ينبغى أن يتعلم الناس ، فهلا عرض على الناس المناهج التى يتعلم بها هؤلاء الشباب الأزهريون ، وقارنها بما يتعلمه الناس ،ثم وضع لهم إصبعه على مواطن الضعف والخلف وقال لهم : هنا أيها الناس يكمن شذوذ الأزهر والتواؤه ، فتعالوا لنتعاونوا على معالجتهما وتقويمهما و إصلاحهما ؟ ! .

وأنا أعترف له بأن فى مناهج الأزهر ما تختلف به — من بعض النواحى — عن المناهج التى اقتبسناها لمدارسنا العامة من مناهج أوربا وأمريكا ، فاذا فرغت من ذلك سأقوده الى هذه المناهج الأزهرية ، وأدله — إن كان لم يدله أحد بعد — على ما تتفق به مع المناهج العامة من سائر النواحى .

وأحب — قبل المضى فى الحديث عن المناهج — أن أشير الى ما يتلمظ به الملتفون من حوله ، ويقولون انه يكتب فيه مقالا آخر يزعم فيه أنه انما أشار بهدم القسمين الابتدائى والثانوى من صرح الأزهر ، ولم يشر بهدم الأزهر ! ويريدون بذلك أن يقيموا الدليل على حسن نيته ، وأنه لم يرد بخطوته الثانية أن يحارب الله ورسوله ورسالة الإسلام . وهذا كله فى نظر المسلمين غش ومغالطة : فالابتدائى والثانوى من بنيان الأزهر فى موضع الأساس من صرحه الشامخ وكيانه الخالد ، وما بقاء الطابق الأعلى فى بنيان يهدم أساسه و يزال ! ؟

ان مناهج الأزهر قد اتسعت — فى الابتدائى ، والثانوى ، والكليات — للتعليم العصرى بجميع نواحيه ، لا مجاملة للناس ونزولا على أهواء أهل الأهواء ، بل لأن الأزهر يعتبر حقائق العلم الكونى والمدنى من وسائل التيسير للنظر فى ملكوت السماوات والأرض ، والتعاون مع المجتمع الإنسانى على ما فيه الخير والتقدم . وفيما عدا ذلك فان فى الابتدائى

والثانوى من كيان الأزهر مواد لا توجد فى مناهج التعليم العام ، وفى طليعتها حفظ كتاب الله كاملا ، والإلمام بالفقه الإسلامى الماما تدريجيا ، والأنس بتفسير كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم قبل الانتقال الى الكليات ، لأن دخول هذه الكليات بلا حفظ لكتاب الله . وبلا المام بالعلوم الأولية الشرعية ، يجعل الأزهر كالأقسام الشرقية فى جامعات أوربا وأمريكا ، وهل هذا الا مهزلة ، ويعتبر تحقيقه هدما لا للأزهر وحده بل لرسالة الإسلام من أساسها ؟!

فالمناهج الأزهرية تمتاز عن المناهج الأجنبية التى اصطنعناها فى مدارسنا العامة باشتراط حفظ القرآن فى الأزهر ، واذا كان هذا هو موطن الضعف والخلف عنده فى مناهج الأزهر ومنه جاء الشذوذ والالتواء ، فاستحق الأزهر أن يهدم من أساسه بسبب هذا الاثم العظيم ، فلينزع البرقع عن وجهه وليناد على ملأ الأشهاد بأن اشتراط حفظ كتاب الله الحكيم فى المعاهد الأزهرية هو العقبة التى تقوم بين شبابنا الأزهريين وتعليمهم كما يتعلم الناس ، وكما ينبغى أن يتعلم الناس ! .

وللسيرة النبوية ـ منضما إليها سيرة كبار الصحابة وحماة الإسلام ـ حصة واحدة فى الأسبوع بالقسم الابتدائى فى الأزهر ، ثم لا يعود إليها الطالب الأزهرى بعد ذلك لا فى القسم الثانوى ولا فيما وراءه ، فان كانت هذه الحصة الواحدة فى الأسبوع للسيرة النبوية هى التى يضيق بها صدر مثير هذه الفتنة ، لأن هذه المادة ليس لها حظ فى المدارس التى تقوم فى دنيا الناس ، فليعدل عن أساليب الإبهام والإيهام ، والجهل والتجهيل ، وليقل للناس : لقد كان خيرا من ذلك للأزهر أن يجعل هذه الحصة فى الأسبوع لسيرة جان جاك روسو وأمثاله .

ويبدأ الأزهر بتدريس تفسير كتاب الله من السنة الثالثة فى قسمه الثانوى ، وله أربع حصص فى الأسبوع ، وهو من قبيل الإعداد للكليات ، كالمتبع فى الإعداد التوجيهى بالمدارس العامة بين أدبى وعلمى والعناية بالمواد التى تعين على التخصص فى هذا أو ذاك . فاذا كان تدريس تفسير كتاب الله للشبان الأزهريين من السنة الثالثة الثانوية يعد فى نظر صاحب الخطوة الثانية مما يستحق أن يهدم أساس الأزهر من أجله لأنه مما يجافى دنيا الناس ـ ولا ندرى أى الناس ـ فليكن صريحا ، وليقترح الاستعاضة عنه بكتابه (فى الشعر الجاهلى) ، لينشأ الأزهرى فى الأزهر كما نشأ صاحب الخطوة الثانية فى باريس

مؤمنا بأن « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى ، فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن ابراهيم الى مكة، ونشأة العرب المستعربة فيها . ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من (الحيلة) فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى » (ص ٢٦) . « وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه (الأسطورة) فى القرن السابع للمسيح » (ص ٢٧) .

وللحديث ـ متنا ومصطلحا ـ حصتان فى الأسبوع بالقسم الثانوى للأزهر، والحديث المحمدى يعلم فى الأزهر خلافا لما يتعلم الناس عند صاحب الخطوة الثانية ، فهو غير داخل فى مناهج الدراسة العامة فى مدارسنا، فضلا عن مدارس (الناس) من لا ييك وفرير وجزويت وروم أرثوذكس وإيطاليين وإنجليز وأمريكان وإسرائيليين . فان كان ذلك من مواطن الضعف والخلف ، ومن أسباب الشذوذ والالتواء فى خطة الدراسة الأزهرية ومناهجها ، ويستحق الأزهر أن يهدم أساسه لأجلها ، فليصدر لنا صاحب الخطوة الثانية (فتوى) بأن نحل محل حصتى الحديث المحمدى متنا ومصطلحا فى ثانويات الأزهر كتابا كحديث الأربعاء مثلا ، أليس ذلك حديثا وهذا حديث كذلك ؟ !

وللفقه خمس حصص فى الأسبوع فى كل من التعليم الابتدائى والثانوى فى الأزهر، فهل من الحتم ـ ليساير الأزهر دنيا الناس ـ أن يعدل عن تدريس نظام الفقه الإسلامى فى ابتدائيات الأزهر وثانوياته الى تدريس نظام الأثينيين لأرسطو ، أو التشريع الرومانى لأركارياس أو اللورد ماكنزى !

هذا كل ما يفارق به المنهج الأزهرى مناهج الغرب التى اصطنعناها فى مدارسنا العامة ولا شىء غير ذلك . فان كان الذى لا يصلح للبقاء فى ثانويات الأزهر وابتدائياته هو القرآن وتفسيره، والحديث ومصطلحه ، والسيرة النبوية، والفقه الإسلامى ، فليصرح بذلك مؤلف (فى الشعر الجاهلى) تصريحا لا أحاجى فيه ولا ألغاز، وليقل إن هذا هو الذى يضيق به قوم وصفهم فى مقدمة كتابه (على هامش السيرة) بأنهم يكبرون العقل، ولا يثقون إلا به، ولا يطمئنون إلا إليه . وهم لذلك « يضيقون بكثير من الأخبار والأحاديث ـ أى التى فى سيرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ـ التى لا يسيغها العقل (عندهم وعنده) ولا يرضاها ، وهم يشكون ويلحون فى الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار ،

وجده فى طلبها ، وحرصه على قراءتها ، والاستماع لها . وهم يجاهدون فى صرف الشعب عن هذه الأخبار والأحاديث ، و (استنقاذه) من سلطانها الخطر ، المفسد للعقول ! » .
وقد اعتذر لهم هناك بأن العقل ليس كل شيء «وأن هذه الأخبار والأحاديث إذا لم يطمئن إليها العقل ، ولم يرضها المنطق ، ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمى ، فان فى قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وخيالهم وميلهم إلى السذاجة واستراحتهم إليها من جهد الحياة وأعبائها ، ما يحبب إليهم هذه الأخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم إلى أن يلتمسوا عندها الترفيه عن النفس حين تشق عليهم الحياة . وفرق عظيم بين من يتحدث بهذه الأخبار إلى العقل على أنها حقائق يقرها العلم ، وتستقيم لها مناهج البحث ، ومن يقدمها إلى القلب والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على إنفاق الوقت ، واحتمال أثقال الحياة ، وتكاليف العيش » .

هذه هى نظرة صاحب الخطوة الثانية إلى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم والحديث ، ولعلها أهون من نظرته إلى التفسير والفقه . أما القرآن فقد علمنا رأيه فيه من كتابه (فى الشعر الجاهلى) ونقلنا ذلك بنصه آنفا عن الصحيفتين ٢٦ و ٢٧ . والذين قال عنهم فى مقدمة كتابه (على هامش السيرة) : إنهم يجاهدون فى صرف الشعب عن هذه الهداية ، هم — عنده — الذين يكبرون العقل ، ولا يثقون إلا به ، ولا يطمئنون إلا اليه . فهل هذه الدعوة إلى الخطوة الثانية يراد بها تحقيق شهوة الذين يجاهدون فى صرف الشعب عن أخبار السيرة المحمدية والحديث ، ويعملون على استنقاذه من سلطانهما الخطر المفسد للعقول ، كما جاء فى مقدمة على هامش السيرة ؟ ذلك ما يسأله الناس عنه ، ويحبون أن يسمعوا جوابه عليه .

ومن العجيب أن صاحب الخطوة الثانية لم يشفع للأزهر عنده أن منهج دراسته المقرر رسميا يشتمل حتى فى كلياته على تدريس علم الاجتماع وعلم النفس بأنواعه والفلسفة بمختلف ألوانها ، ويشتمل — فى قسميه الابتدائى والثانوى — على تدريس التاريخ ، ومنه تاريخ الفراعنة ، وعلى دراسة الجغرافيا والحساب والهندسة وتدبير الصحة والرسم والطبيعة والكيمياء وعلم الحياة والمنطق والتربية الوطنية ، الى غير ذلك مما يتعلمه أبناء الناس فى مدارس الناس ، فان المبدأ الذى قرره فى كتابه عن الثقافة فى مصر يقضى علينا جميعا بأن نعتبر ثقافة الغرب كلا لا يتجزأ ، وأن نأخذ بها وبكل ما فيها من شر وخير ، كأننا أمة مفلسة ليس لها من مواريث الدين والأخلاق والثقافة ما يجب علينا أن نتمسك به ، بل يجب أن نمنع أطفالنا وشبابنا الذين سيكون منهم علماء الإسلام من أن يحفظوا

كتاب الله فى الصغر ، ومن أن يتثقفوا بتفسيره وبحديث الرسول الأعظم وسيرته وفقه شريعته ، وبذلك يتحـول الأزهر الى مثـــل القسم الشرقى فى جامعة بريستول وكامبريدج و باريس وليدن .

أما لو كان المراد بالخطوة الثانية أن يكون للأزهر نصيب من تدريس هـذه العلوم الـكونية والمدنية فان ذلك من تحصيل الحاصل ، لأن الأزهر قائم بذلك من عشرات السنين . فلم يبق إذن ممـا يفارق به الأزهر دنيا الناس إلا ما زاد على ما فى دنيا الناس وهو هذا القرآن وتفسيره ، والحديث ومصطلحه ، وسيرة النبى صلى الله عليـه وسلم وكبار الصحابة وحماة الإسلام، ثم هذا الفقه الإسلامى . فهل أثار الرجل عجاج هذه الفتنة لأجل الخلاص من هذه المواد ؟ إنه أبهم ولم يصرح، والقراء لم يغوصوا على قلبه فيعلموا ما فيه ، فلم يبق إلا مقارنة المنهجين، و بيان الفرق الجوهرى بينهما ، وهذا ما حاولت أن أضعه أمام أنظار أهل البصيرة والنظر بكل أمانة وتحقيق .

ولقد سمعت بعض الذين قرأوا مقالة (الخطوة الثانية) يقولون : إن الخطوة الأولى كانت تشمل أيضا المجالس الملية لغير المسلمين ، فهل صاحب الخطوة الثانية يريدها أن تشمل كذلك معاهد العـلم الاكليركى لغير المسلمين من مختلف الطوائف ، وما أكثرها فى بلاد الجمهورية المصرية ؟ فان كان يريد ذلك فلماذا سكت عنه ولم يتعرض له بحرف واحد ؟ !

وسمعتهم يتساءلون عن هذه البذور التى زرعت فى تربتنا الجامعية منذ نحو ثلاثين سنة بمشهد من صاحب الخطوة الثانية كما يشهد له بذلك كتابه (فى الشعر الجاهلى) وأعمـدة الصحف ومحاضر مجلس النواب و بعض قرارات النيابة ، إلى أن أنبتت تلك البذور رجالا صار منهم الآن مدرسون وأساتذة كالذى « كان يمزح مع طلابه على حساب إيمانهم فيقول لهم إنه (سيعطى) درجات إضافية فى الامتحان للذين يفطرون رمضان » ، وكالذى يعتبر الآن حجة الفلسفة الوجودية فى مصر ويقول - فى رسالة له صدرت فى القاهرة سـنة ١٩٥٣ - : « إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك ، وإما أن تقـول باللا أخلاق فتخاطر بوجودك . . . لـكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته » . ويقول : « الوجودى الحق أعدى أعدائه القانون ، إنه الحرية نفسها ، فلا معنى للواجب فى عالمها ، ولا تقييد لمدى انطباقها وانطـلاقها ، فان معانى الإثم والصواب كلها لا مفهوم لهـا فى هذا الباب . اننا معاشر الوجوديين لا نريد أن نتساق فى أحلام البراءة ، والبكارة ، والطهارة . . . » . هذه هى الوجودية ، وهذا هو خطرها

الذى وصفته جريدة الجمهورية بأنه « أصبح حرفة لبعض أساتذة الجامعات ، وقد خرج هؤلاء الأساتذة على معانى الأستاذية الجامعية ، الى فعال الدعاة والمبشرين ، فكل شاب تغويه هذه الفئة من الأساتذة وتغرر به وتدفعه فى طريق الانحلال هو خسارة محققة لمصر »

إن صاحب الخطوة الثانية يعمى عن رؤية هـذا الخطر على مصر ، لأن هواه يصرفه عن اعتبار أن الخطوة الثانية يجب أن تتجه نحو تطهير الجامعة من هـذا التيار العدوانى للقانون والأخلاق والواجب والطهارة والبراءة ، وحماية الجامعيين من هذا الوباء الجارف الذى يدعو الى الإثم ويهدد مستقبل مصر وكيانها ، فرأيناه يسكت عن ذلك لأنه كان من شهود زرعه وغرسه ، كما تسكت انجلترا وأمريكا عن آثام اسرائيل لأنها وليدتهما ، ويرفع عقيرته مناديا بالقضاء على ما يختلف به الأزهر فى مناهج تعليمه عن مناهج من يسميهم (الناس) فى مدارسهم . وليس بين مناهج الأزهر والمناهج الأخرى فرق إلا بتعليم القرآن وتفسيره ، والحـديث ومصطلحه ، والسيرة النبوية ، والفقه الإسلامى . فالقرآن وهـذه العلوم المفسرة له والمستظلة بهدايته هى الخطر كل الخطر على مصر ، ويجب أن تـكون الخطوة الثانية متجهة نحو تحطيمها وإبادتها بتوحيد التعليم فى طور الصبا والشباب على حد تعبير هـذا الرجل ، أما الفضائح الجامعية حيث تبث الدعاية للاثم ، والـكراهة للقـانون والواجب ، والتسفيه للأخـلاق ، وذم الطهـارة والـبراءة ، وحيث يطرق آذان الطلبة الوعد بدرجات إضافية فى الامتحان اذا أفطروا رمضان ، وحيث تتحول معانى الأستاذية الجـامعية الى مثل فعال الدعاة والمبشرين لأغواء الشبان والتغرير بهم ودفعهم فى طريق الانحلال ، فكل هـذا مما يقف منه صاحب الخطوة الثانية موقف الجمود والصمم والبله والتجاهل . . .

أيها الرجل ، إن الأزهر مواصل تجديد شبابه فى كل ما يحفظ للاسلام حيويته ، وإن الأزهر هو حاجة مصر ــ الأولى والأخيرة ــ وموئلها فى سلمها وحربها ، وفى دنياها وآخرتها ، و إن الأزهر هو :

عين من الفرقان فاض نميرها ... وحيا من الفصحى جرى وتحدرا
العـلم فيه مناهلا ومجـانيا ... يأتى لهـا النزاع يبغون القرى
إن الذى جعل (العتيق) مثابة ... جعل (الـكنانى) المبارك كوثرا

وكما أن جدار الأزهر قد أفنى القرون فى قـديمه وهو لا يزال باقيا ، فان أساسه الراسخ ، وصرحه الشامخ فى جديده ، تتكسر عليه قرون ناطحيه وهو لايزال يعلو . والله أكبر ، والحمد لله رب العـالمين م ؟

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٣٤ —

٢ - هداية الله . . . وفتنة الناس

(أ) « والله يريد أن يتوب عليكم »
(ب) « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

١ — حدثناك فيما سبق أن دعوة الخير من جانب الله . . وأن دعوة الشر من جانب الناس . . وذلك منطق الآية .

وتكملة للحديث نذكر أن الشيطان زاحف على الناس بوساوسه التي تجرى من نفوسهم مجرى الدم من اللحم ، وأنه ناصب شراكه للايقاع بهم في صحبة الأشرار ، وفي القدوة السيئة بالمنحرفين : فيما يبتدعون من غواية . . ولكثرة ما ذكر الله عن الشيطان وعداوته للانسان غاب عن بعض الأذهان أن فتنة الناس للناس من قبيل العداوة الشيطانية ، إذ أن للشيطان جنودا من الأنس يعملون عمله ، ويدعون بدعوته ، ويزينون للبسطاء والجهلة من الشر والباطل ما يدفع بهم إلى المهالك .

وهؤلاء هم دعاة السوء الذين يطيب لهم أن يتبعوا الضلالة ، وأن تتسع الهوة لهم ولمن يحاكيهم .

٢ — والقرآن لا يغفل الحديث عن أولئك . . بل كما أشاد بالقدوة الحسنة ، وضرب الأمثال بالأخيار والصالحين من عباده المهديين ، ووجهنا توجيها أكيدا إلى

الأخذ عنهم والسير على منهجهم ، حدثنا كثيرا عن خطر الفاسدين المفسدين ، وعلمنا أن فى صحبتهم مهلكة وشؤما .

وقد بلغ من تنديد القرآن بدعاة السوء، وتحذيرنا منهم، أن سماهم شياطين الإنس، وصب عليهم من السخط ما صبه على شياطين الجن ، لأنهم سواء فى الفتنة ، وأعوان فى الغواية .

وقديما كان الغواة يناوئون الرسل ، ويصدون الناس عن متابعتهم ، ويستهجنون دعوة الله ، ويزينون للناس كل باطل . وفى ذلك يقول سبحانه :

٣ — « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا : شياطين الإنس والجن . . يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » .

فهنا مساواة بين الشياطين والمفسدين من الناس ، بل ذكر الإنس قبل ذكر الجن فى عداوتهم للأنبياء ، وفيما ينهض به الشياطين والمفسدون من مناوأة للدعوة ، وترغيب الناس عن مطاوعة الرسل فيما يبلغونهم .

وللشياطين فيما بينهم تدبير للباطل ، وتآمر على الإفساد ، وللشياطين إيحاء للمفسدين، ونزغات ووسوسة ، فمحاولات المفسدين وأعمالهم تنفيذ لوحى الشياطين ، وانزلاق فى غوايتهم ، فكلهم أعوان سوء ، وأبواق فتنة ، وخصوم لدعوة الله، وهذه المساواة فى الشر جمعتهم تحت اسم الشياطين . وكذلك جمعتهم الآية مرة ثانية فى قوله تعالى عن الكفار :

٤ — « وقيضنا لهم قرناء ، فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ، وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ، إنهم كانوا خاسرين » .

فهنا حديث عن المخالفين لدعوة الله ، وتنبيه على أنهم لما صرفوا أنفسهم عن جانب الله ولم يوجهوها إلى دعوته ، تركهم لغوايتهم ، وقيض لهم قرناء ، يعنى سلط عليهم شياطين يقترنون بهم ، وسلط عليهم أصحابا من دعاة السوء يجتذبونهم إلى الشهوات والمفاسد ، ويزينون لهم كل باطل من شئون الدنيا الحاضرة بين أيديهم ، ومن شئون الآخرة التى هى غائبة عنهم ، وليست مكشوفة لأعينهم ، كما يغيب عن أعينهم الشىء الواقع خلفهم ، وظلوا على غفلتهم حتى جرى عليهم ما جرى على أمم سابقة من الجن والإنس « إنهم كانوا خاسرين » .

وهذا السياق يضع الشياطين والمفسدين فى حيز واحد ، ويقضى عليهم بحكم واحد ، وجزاء واحد .

٥ — وجمعتهم الآيات مرة ثالثة فى قوله سبحانه : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس : الخناس : الذى يوسوس فى صدور الناس : من الجنة والناس » .

فالله — سبحانه — يأمر نبيه — صلى الله عليه وسلم — ويأمرنا بالتبع له أن نستعيذ به من شر الوسواس .

وما هو الوسواس ؟؟ . . هو الخناس . . هو الذى يوسوس فى صدور الناس : يعنى ينفث وساوسه فى صدورهم حتى تنشرح للمعصية . وذلك الخناس الذى يفتنهم بوساوسه ونزغاته يكون من الجنة ويكون من الناس المفسدين .

وهذه مساواة بين الشياطين والمفسدين فى أن المرء يستعيذ منهم بالله رب الناس .

وهكذا تجد لدعاة السوء الذين يتبعون الشهوات ، ويدعون غيرهم لمتابعتهم ، ويريدون لهم الضلالة معهم — تجد لهم مذمة فى القرآن ، كما تجد للشيطان العدو المبين للانسان .

٦ — وهذه قضية تردد ذكرها فى آيات عدة ، حينما يتحدث القرآن عن المستكبرين من الطغاة ، وعن أتباعهم من الضعفاء ، يوم يعرضون على ربهم ، ويبصرون الحق الذى كانوا فى غفلة عن مطاوعته ، ويوم يستقبلون حسابهم وجزاءهم فيتنكر بعضهم لبعض ، ويحاول كل منهم أن يلقى التبعة على صاحبه ، ويعتذر عن نفسه . . حتى الشيطان نفسه ، وهو الذى تبجح أمام ربه ، وأقسم بعزته تعالى أن يغوى الناس أجمعين ، فأنه — فى ساعة المذلة — يتنصل ممن اتبعوه واغتروا بوسوسته ، ويقول لهم : « وما كان لى عليكم من سلطان ، إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ، ولوموا أنفسكم » .

وبعد — فاستيعاب هذا المقام يحتاج إلى توسع . . وحسبنا تلك الإلمامة العاجلة التى تساعدنا على فهم قول الله تعالى : « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

هذا — ولم يكن الحديث عن متابعة الغواة بعضهم لبعض قصصاً لشىء سالف ، ولا حديثا عن السالف ، بل هو تجديد للعبرة ، وإيقاظ للوعى ، وإشعار لنا بأن الإنسان

ــ وإن ارتقت عقليته ، واتسعت فكرته ، وتحضرت معيشته ــ مغلوب لشهوته إن لم يقاومها ، ومهزوم لشيطانه إن لم يجانبه ، ومغرور بنفسه على ضعفه وقلة حيلته .

فمن لم يظفر بنصيب من التواضع ، وحسب أنه بلغ من الشأن مبلغ القدوة المثلى ، ومن العقل مبلغ التوجيه المطلق ، وفرض نفسه أو يحاول فرضها على الناس ليملى عليهم كل ما يجيش بخاطره ، ولو كان افتراء على الله ، أو كذبا وبهتانا فيما يزعمه إصلاحا وغيرة ومعاونة لأولى الأمر على تدبير أمر الدولة ، فإنما هو إنسان مفتون بنزعته ، مخدوع في نفسه ، وخادع لسواه .

وأفحش الفحش أن تكون هذه نزعة إنسان مسلم، فضلا عن أن يكون إنسانا اتصل بالدراسة الدينية ردحا طويلا من زمنه ، ثم قام يتجهم لتعاليم الإسلام ، ويقف منها أخيرا موقف المناوئ لها ، والزارى عليها ، في إلحاح وإسراف ، وأن ينصب نفسه لخصومة دينية لم يقفها مبشر مخاصم للاسلام ! !

أليست هذه غواية يراد منها فتنة الناس عن دينهم ، وصدهم عن استمداد ثقافتهم من الكتاب الكريم ، وصرفهم الى ناحية أخرى لا تغنيهم في الدين ، ولا تجديهم أكثر من حياة عمالية كحياة الصناع والمحترفين الذين يعملون ليقتاتوا : لا ليكونوا أناسا من خيار الناس ؟ ؟

أليس الدعاة الى هذه الفكرة دعاة إلى فتنة وأتباع شهوات، يريدون أن يميل الناس معهم ميلا عظيما ؟ ؟

وأفحش الفحش ــ ثانيا ــ أن يصيح الصائحون بهذه المأثمة أنها استنهاض الى خير ، وتعجيل للبر ، ورغبة في اصلاح ، وهي ــ كما بدا ــ ضلالة تمكنت ، وأحقاد تأصلت ، وخصومة أزمنت ، فكانت دعوة جهيرة ، ومشأمة خطيرة .

وصاحبها رجل مسلم أزهرى في أوله ، ولكن لا أدرى ما هو في آخره ، وعلم ذلك عند الدكتور طه حسين ١٠

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

السُّنَّةُ

الرحلة فى طلب العلم

الوفود فى العهد النبوى ـ مفتاح السعادتين ـ أعظم الجهاد ـ الأزهر : رسالته وأياديه ـ مصرهى الأزهر ـ « . . . والله متم نوره » .

عن أبى سليمان مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال : أتينا النبى صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن أنا اشتقنا أهلنا ، وسألنا عمن تركنا فى أهلنا ، فأخبرناه ـ وكان رقيقا (١) رحيما ـ فقال : ارجعوا الى أهليكم فعلموهم ومروهم ، وصلوا كما رأيتمونى أصلى ؛ وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، ثم ليؤمكم أكبركم . رواه الشيخان واللفظ للبخارى .

* * *

هذه رحلة من الرحلات القديمة فى طلب العلم . . .

انتدب لها طائفة من بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . . . وعلى رأسهم مالك ابن الحويرث رضى الله عنه . . . قدموا فى السنة التاسعة على خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

وكان العرب من أنحاء الجزيرة فى السنتين : التاسعة والعاشرة يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواجا ؛ ليبايعوه على الإسلام و يتفقهوا فيه ؛ وكان صلوات الله عليه

---

(١) هكذا رواية البخارى بالقاف فى كتاب الأدب ، من الرقة ؛ و بالفاء فى كتاب [illegible] . وأما رواية مسلم فهى بالفاء فقط . وتقاربهما معنى كتقاربهما لفظا .

كما وصفه ربه « بالمؤمنين رءوف رحيم » وكما قال : « يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

* * *

كان صلوات الله وسلامه عليه يكرم كل وفد عامة ، ويكرم كريمهم خاصة ، فيوليه عليهم ، ويوصيه بهم ، وكان يحسن استقبالهم جميعا ، ويسألهم عمن خلفوا من أولادهم وأهليهم ، ثم يشيعهم بأكرم وداع وأجمله ، كما استقبلهم بأحسن ترحيب وأحفله .

* * *

وامتدت مكرمته صلى الله عليه وسلم الى البعوث والوفود من بعده فأوصى بهم ، وأمر بأكرامهم ، ولا تزال تمتد وصاته ومكرمته ما اهتدت أمته بهديه ، واستمسكت بسنته ورشده ؛ لأنهم رسل من خلفهم ، وقادة من وراءهم ، ولأنهم ـ ما داموا مخلصين فى العلم وطلبه ـ وفد الله ورسوله ، ومرحبا ثم مرحبا بوفد الله ورسوله . . . روى الترمذى وابن ماجه عن أبى هرون العبدى قال : كنا نأتى أبا سعيد رضى الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الناس لكم تبع ، وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرضين يتفقهون فى الدين ، فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا .

* * *

لبث وفد مالك رضى الله عنهم فى ضيافة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين يوما وليلة ، يزودهم ويفقههم ويهديهم ، حتى طال عليهم المدى ، واشتهوا أهليهم واشتد الشوق إليهم ، وليست اقامتهم عشرين ليلة ـ ما عدا ليالى الظعن جيئة وأوبة ـ بالأمر الهين على معشر من الشباب يفيض قوة وفتوة . . . وما ان قرأ صلوات الله وسلامه عليه ذلك فى وجوههم ، حتى استنبأهم واستبان صدق فراسته فى شغفهم بالعودة .

هنالك أذن لهم بالسفر الى أهليهم ، ووصاهم وهو يودعهم بهذه الوصية الجامعة . . أمرهم فيما أمر أن يؤدوا زكاة علمهم كاملة ، فيعلموا أهليهم كما علمهم الله ورسوله ، ويأمروهم بالهدى والخير ، ويفقهوهم فى دين الله كما فقههم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده .

واختص الصلاة ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ بمزيد من الوصاة والعناية ، فأمرهم أن يصلوا هم وقومهم كما رأوه يصلى ، خشوعا وقنوتا وقياما وقراءة ، وسمتا وأناة وضراعة . وليعلموا أن أحب الأعمال الى الله الصلاة لوقتها ، فاذا حضرت الصلاة فليؤذن لهم واحد منهم فى سفر أو حضر ، كبيرا كان أو صغيرا ، ما دام للآذان محسنا وللابلاغ مستطيعا . وليحافظوا على الجماعة ، لفضلها وعظيم ثوابها وجليل آثارها فى جمع قلوبهم وتأليفها وتعاونهم على البر والتقوى .

وليؤمهم فى الصلاة أكبرهم سنا .

* * *

وانما قدم السن هنا وملاك الإمامة هو الفضل فى الفقه والقراءة ، لأنهم استووا فى الإسلام والهجرة والصحبة ، والأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدة الإقامة عنده ، فلم يبق من خصال الفضل الا قدم السن وان كانوا شببة متقاربين فيها .

قال صاحب الفتح : « ولما كانت نيتهم صادقة ـ يعنى فى طلب العلم وتعليمه ـ صادف شوقهم الى أهليهم الحظ الكامل فى الدين ، وهو أهلية التعليم ، كما قال الإمام أحمد فى الحرص على طلب الحديث : حظ وافق حقا » .

والسعادة كل السعادة فى الدين والدنيا أن يكون حظ العبد وفقا لمن لا ينطق عن الهوى صلوات الله عليه وسلامه ، وأن يكون هواه تبعا لما جاء به .

* * *

ومفتاح هذه السعادة الشاملة الكاملة ، بل سبيلها الذى لا سبيل غيره ، هى المحافظة على صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمر بها ، فانها قوام الدين وعماده ، من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، وهذا هو سر الاعتناء بها ، والتشديد فى طلبها « وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون » .

* * *

أما بعد ، فهذا حديث من أحاديث الجماعة : الصحيحين وباقى الكتب الستة ، فى

طلب العلم والرحلة إليه ، وهذه مجلة الأزهر المعمور ، أكبر جامعة إسلامية وأقدمها ، وأعظمها نشرا للعلم والدعوة إلى الله فى أرجاء المعمورة .

وإذا كان أكثر أحاديثها متصلا بالأزهر ولو من بعض نواحيه العامة ، فان هذا الحديث وثيق الصلة بالأزهر من أخص نواحيه وأعظمها شأنا وأجلها مكانا .

ذلك بأن الأزهر موئل العلوم الإسلامية الأول، ينفر إليه طلابها من كل فج فى مشارق الأرض ومغاربها ؛ ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . . وليس عليهم جناح أن يبتغوا فضلا من ربهم ، ويشهدوا منافع لهم فى هذه الرحلات الدائبة المتعاقبة ، كما كان يصنع وفد مالك بن الحويرث وغيره من الوفود فى العهد النبوى ، مشرق النور ومبعث الهدى والعلم . . .

* * *

والرحلة فى طلب العلم والفقه فى الدين شعبة من شعب الجهاد فى سبيل الله ، لا تقل شأنا عن قتال العدو لإعلاء كلمة الله وحمايتها ، بل إنها – مع صدق النية، وحسن الطوية ، والعمل بالعلم ، والدعوة الى الخير – لأجل قدرا ، وأرفع مكانا « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين » .

ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك – وقد أنزل الله تعالى فى شأن المتخلفين عنها من الآيات الشداد ما أنزل – كانوا ينتدبون جميعا الى الغزو ويتسابقون فيه حتى لا يكاد أحد منهم يبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » فاطمأنوا وأيقنوا أن التفقه فى دين الله ، ونشر دعوته، وإقامة حجته، وتعميم هدايته – وهذا هو الغرض كل الغرض منه – جهاد من أعظم الجهاد ، وتبينوا أن مداد العلماء أفضل عند الله من دم الشهداء « وكلا وعد الله الحسنى » بيد أن العلماء ورثة الأنبياء ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء .

قال صاحب المنار فى تفسيره لهذه الآية : كنت أطلب العلم فى طرابلس . . وكان حاكمها الإدارى من أهل العلم والفقه ، فقال لى مرة : لماذا تستثنى الدولة العلماء

وطلاب العلوم الدينية ، من خدمة العسكرية . . وهم أولى الناس بها ؟ ! يعرض بى . .
فقلت له على البداهة : بل لهذا أصل فى نص القرآن الكريم ، وتلوت الآية . فاستكثر
الجواب على مبتدئ مثلى لم يقرأ التفسير ، وأثنى ودعا .

* * *

أما بعد — مرة أخرى — فهذا هو الأزهر ، وتلك رسالته . . .

فاذا رأيت شرذمة من أشباه المسلمين أو أدعياء العلم والإصلاح يقومون فى وجه
الأزهر : من عدو حاقد ، أو طريد حاسد ، أو ملحد كائد ، أو ابن جاحد لأبيه عاق ،
أو كاتب مداده النفاق والشقاق ، فلا يهولنك أمره ، فما هو إلا :

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إن رسالة الأزهر خالدة باقية ، ما بقيت مساجد الله الثلاثة فى البلاد المقدسة ، ثم
ما بقيت أمة الإسلام قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله .

* * *

أما يد الأزهر على العالم الإسلامى عامة ، وعلى مصر خاصة ، فأنها يد مذكورة
مشكورة ، وحسب مصر أنها لم تتبوأ زعامة الشرق — وما كان لها أن تتبوأها — إلا بالأزهر ،
ولو لا الأزهر ما كانت مصر شيئا مذكورا .

ولو كان الأزهر فى مصر أيام الرشيد لما احتقرها وقال مقالته المأثورة حين قرأ
قوله تعالى : حكاية عن فرعون : « أليس لى ملك مصر » الآية — لأولينها أخس عبيدى .
فولاها الخصيب ، وكان على وضوئه . وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فلما شارفها
قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون ؟ ! والله لهى أقل عندى من أن أدخلها ! وثنى عنانه !

إن الشرذمة التى تكيد للأزهر لا تكيد لمصر وللعروبة خاصة ، بل تكيد للعالم
الإسلامى كافة ، بل « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون » .

طه الساكت

الأزهر ... والاستعمار

قد يبدو هذا العنوان غريبا ، ولكنه غريب عند أولئك الذين ينظرون الى الأمور نظرة عابرة ، أما الذين يتعمقون الحقائق ، و يكتنهون بواطن الأمور ، فيرون أن هذا العنوان غير موف على الغاية ، وأنه لكى يعبر أدق تعبير ينبغى أن يكون مثلا : (الأزهر هو العدو الأصيل للاستعمار) أو (الأزهر قاهر الاستعمار) وما أشبه هذا من العناوين التى تعطى القارئ - بادئ ذى بدء - فكرة واضحة دقيقة عن الدور الخطير الذى قام به الأزهر فى محاربة الاستعمار ، وتشير الى السر الذى من أجله يعمل الاستعمار جاهدا على تقويض دعائم هذا المعهد العتيد !

والحق الذى لا سبيل الى الشك فيه أن الأزهر قام بأخطر دور فى تاريخ الاستعمار ، وكان - ولا يزال - المعقل الأول فى مصر ، بل فى الشرق كله ، للحركات الوطنية ، لا نعنى - فقط - أيام أن كان الجامعة الوحيدة فى الشرق ، بل وفى هذه الأيام التى انتشرت فيها المدارس وكثرت الجامعات .

وليس جهاد الأزهر ضد الاستعمار محصورا فى هذه البلاد : مصر ، بل إن جهاده ظهر فى كل بلد إسلامى سعد بعض أبنائه بالانتساب الى الأزهر ، ثم رجعوا الى قومهم يحملون نور المعرفة ، ويحملون العزة والكرامة ، فبثوا روح الكفاح فى بنى وطنهم ، و بصروهم بما يدبره الاستعمار من مكايد ، وما يضمره من نيات خبيثة ، لهدم الإسلام ، و إذلال المسلمين ، فكان لهؤلاء الرواد الأزهريين مكان الصدارة فى إيقاظ الروح الوطنية ، وكان لهم أثرهم الواضح والعميق فى نهضات بلادهم ، وتقدمها ، وخلاصها من نير الاستعمار .

والأزهر ظل - ولا يزال - يدرس الشريعة الإسلامية وعلومها ، دراسة لا يقاربه فيها معهد آخر ، وقد يكون من المكابرة انكار هذه الحقيقة . وأول مبادئ الإسلام الدعوة

الى الحرية ، والتنفير من الذل والاستعباد ، والحث على مكافحة الظلم والطغيان ، ومن مبادئه الخالدة حث المسلمين على أن تكون لهم قوة ، وأن تكون لهم شوكة ومنعة حتى يستطيعوا أن يعيشوا أعزة كراما ، وقد تغلغلت هذه العقائد فى نفوس المسلمين ، وفى نفوس الأزهريين بصفة خاصة ، لطول دراستهم لها ، وكثرة ترددها على أسماعهم ، وقد ظل رجال الأزهر فى تاريخهم الطويل يبشرون بدين ، وينشرون دعوته ، و يجادلون بالتى هى أحسن ، ويدعون الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى إذا جدت الأحداث تلقوها ، رحبة صدورهم ، باسمة ثغورهم ، وواجهوها بعزائم ماضية ، ونفوس قوية ، فانتصروا عليها . كان ذلك إبان كارثة الحملة الفرنسية ، وكان ذلك فى الثورة العرابية ، وكان ذلك فى ثورة سنة ١٩١٩ ، التى لا يزال كثير من الأحياء يذكرون جهاد الأزهر فيها ، وسيكون ذلك غدا كلما هتف الإسلام ببنيه : حى على الجهاد .

ولم يعد هناك شك فى أن المستعمرين يعملون جاهدين على محاربة الإسلام ، ويرون أنه أكبر عائق عن تحقيق مآربهم الاستعمارية الخبيثة ، وقد صرح بذلك كبار رجالهم ، ومن ذلك ما أعلنه اللورد النبرو ، وهو يتحدث عن موقف بريطانيا فى الهند ، قال : « لا يسعنى أن أغمض نظرى عن حقيقة لا شك فيها ، وهى أن العنصر الإسلامى عدو أصيل العداوة لنا ، وأن سياستنا الحقة ينبغى أن تتجه الى تقريب الهنديين » وإذا كان مثل هذا القول يكشف خبايا نفوسهم ، ويعلن عن خبيث نياتهم ، فإن فى أعمالهم أكبر الأدلة على ما يضمرونه للاسلام من عداوة و بغضاء ، وما يخالجهم من شكوك ومخاوف من المسلمين ، حتى أن كثيرين منهم يعتبرون المعارك التى تدور رحاها بين المسلمين و بينهم امتدادا للحروب الصليبية ، ويعتقدون أن من مات فى هذه الحروب لا ينبغى أن يحزن عليه ، لأنه مات شهيدا فى قتال الإسلام ، وقد كان (غوردون) الانجليزى المشهور ، يعتبر رسالته فى الحياة تنصير جميع المسلمين .

أما أساليبهم فى محاربة الإسلام فقد ظهرت لكل ذى عينين . ومن هذه الأساليب المفضوحة تشجيعهم الجمعيات التبشيرية ، و إغداقهم المال على مدارس الارساليات ، وإزالة كل عقبة قد تعترض طريقها فى أداء مهمتها الدينية ، ويكفى أن أذكر هنا أن حكومة السودان الانجليزية قدرت ميزانية مدارس الارساليات فى سنة ١٩٤٩ م بمبلغ عشرة ومائتى ألف من الجنيهات ، فى حين لم تزد ميزانية المعهد العلمى الدينى بأم درمان عن واحد وعشرين ألفا .

وفى كل بلد إسلامى دخله الاستعمار نجد الشواهد الكثيرة على محاربة الاستعمار للاسلام، ولا يمكن أن يقف أمام هذه السياسات الماكرة المدروسة إلا تثقيف دينى واع، ولا مصدر لهذه الثقافة المستنيرة إلا الأزهر الشريف، فكان طبيعيا أن يوجه المستعمرون أنظارهم اليه، وأن يحاولوا القضاء عليه، بكل الوسائل التى يستطيعون أن يتذرعوا بها فى هذه السبيل. ولم يكتفوا فى محاربتهم للأزهر والأزهريين، وإعلانهم أنه لا تتوطد أقدامهم فى هذه البلاد إلا بالقضاء على الأزهر، لم يكتفوا بما لهم من قوة وبطش وحيل ومكائد، حتى راحوا يوحون الى شياطينهم من أبناء البلاد الإسلامية: أن يعاونوهم فى القضاء على هذا الحصن الركين. فقد كان الأزهر هدفا لحملات عنيفة من المصريين الذين ينزعون - ذاكرين أو غافلين - عن قوس الاستعمار، وقد حرصوا على أن يصوروا الأزهر بصورة الشيخ الهرم الذى لم يعد لبقائه فائدة لنفسه، ولا للأمة التى يعلم أبناءها، بل اعتبروه عقبة فى سبيل تقدم مصر، وبالغوا فى ذلك وهزلوا، حتى قال واحد منهم - عفا الله عنه - : إن مصر لن تنهض حتى يقام المرقص فى صحن الأزهر، أو كلاما يشبه هذا الهراء. وهؤلاء المارقون أكبر خطرا على الإسلام من المبشرين، ذلك أن المسلمين تنبهوا للبشرين، وأدركوا مقاصدهم وأهدافهم، وتحصنوا ضد دعواتهم، أما هؤلاء الذين يلبسون مسوح المصلحين، ويظهرون فى ثياب الحريصين على تقدم الأمة ونهوضها، فقد يخدع بهم الأغرار، بل ربما انخدع بهرجهم كثير من الناس، وعقيدتى أن المستعمرين لا يفرحون بشىء فرحهم بهذه الحملات التى تشن على الأزهر من قادة الرأى فى البلاد الإسلامية.

وللذين يجول بخواطرهم أننا ربما كنا مبالغين فى نظرة الغربيين للجامعة الأزهرية أسوق هذه الكلمة: كتب الأستاذ (مينولف كوسترس) فى مجلة (دائش رندشو) السويسرية فى عام ١٩٣٨ م يقول: «انه من مائة وثلاثين مليونا من الإفريقيين أصبح سبعون مليونا تحت لواء النبى محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد أصبح جميع شمال أفريقيا إسلاميا، وقد كان عدد المسلمين فى مستعمرة (دائش أوست أفريقيا) مائتين وخمسين ألفا قبل الحرب الماضية، فأصبحوا الآن ثلاثة ملايين، وتأثير الإسلام يمتد حتى جنوب أفريقيا، والسبب فى ذلك أن الجامعة الأزهرية بالقاهرة - وهى مركز الدعوة الى الإسلام - ترسل مندوبين غيورين الى جميع الأقطار الأفريقية، وتصدر جرائد كثيرة فى البلدان الكبيرة،

وترسل إلى تلك البقاع حاملة رسالة الكفاح ضد المسيحية والثقافة النصرانية الى وسط تلك القارة الكبيرة » .

ويعمل المستعمرون جاهدين على أن يحولوا بين أبناء البلاد المستعمرة والالتحاق بالأزهر ، وقد يكون من الشاق جدا على حكومات تلك البلاد أن يهاجر منها شخص ـ سيما إذا كان ذا مكانة فى بلده ـ إلى الأزهر ، وإنى أقول ذلك عن خبرة ، فأن لى صديقا من السنغال ، وقد تأكد عندى أنه من الشخصيات البارزة هناك ، عرفت من خبره أنه حين أراد الحضور إلى مصر خرج من بلده موهما أنه يريد الحج ، وقد لقى متاعب ومشاق فى طريقه لا يتحملها إلا المخلصون ، وهو الآن فى إحدى كليات الأزهر ، وقد منعت حكومة الاستعمار الاتصال بينه وبين أهله ، وبذلك منعت عنه كل مساعدة كان يمكن أن تأتيه من هناك ، ثم خطت خطوة أخرى فأرادت أن تحتضنه ، ولكنه أبى ، ودست إليه من رغب له الرجوع ، فأبى أيضا .

وقد كنا فى السودان يوم هاجر أول فوج من طلاب المعهد العلمى بأم درمان إلى الأزهر ، وشهدنا مدى القلق الذى شاع فى نفوس المستعمرين وأذنابهم من أبناء البلاد ، كما شهدنا المحاولات والاقتراحات التى كانت تدرس للتغلب على هذه الكارثة ! ! ـ كما سماها بعضهم ـ .

أما دور الأزهر فى محاربة الاستعمار فهو أمر ليس بالمجهول ولا المنكر ، والذين اطلعوا على مبادئ فى التاريخ القومى يعرفون المآسى التى تعرض لها الأزهر والأزهريون فى سبيل الدفاع عن حوزة البلاد ، ومكافحة أعدائها ، ومع ذلك ما وهنوا وما استكانوا . ويطول بنا الحديث لو ذهبنا نفصل ، فنكتفى بالإيجاز الدال ، ويكفينا فى هذه الغاية أن ننقل الفقرات الموجزة المعبرة من بعض خطاب الرئيس جمال عبد الناصر ، حيث يقول :

« وفى هذه المناسبة لا يسعنى إلا أن أذكر لهذا الأزهر جهاده على مر السنين ، فقد

حمل الأزهر دائما الرسالة ، ولم يتخل مطلقا عن الأمانة ، وكافح كفاحا مريرا فى سبيل الحصول على أهداف الوطن . وكفاح الأزهر أيام الحملة الفرنسية معروف ، وكم قاسى رجاله ، وعذبوا وقتلوا وشردوا . واقتحم المحتلون الأزهر،فلم يتوان عن المطالبة بحقوق الوطن ، واستمر الأزهر يحمل الرسالة حتى سلمها الى الجيش ، والى عرابى الذى قام متسلحا بروح الأزهر المعنوية الى جانب القوات المادية، يطالب بحقوق البلاد، وعندما وطئت أقدام المستعمر أرض مصر حاول بكل قواته أن يقضى على رسالة الأزهر ، كما حاولوا القضاء على الجيش وقوته ورسالته . ورغم هذا ، استمر الأزهر على مر السنين يكافح ، ففى ثورة سنه ١٩١٩ حمل الأزهر العلم ، وقام بأداء الرسالة والأمانة مرة أخرى ، وعمل المستعمر على تفريق الشعب شيعا وأحزابا ، وتحطيم الجيش وفصله وفصل الأزهر عن الوطن .

واليوم — وبعد أن قامت الثورة أقول لكم : عليكم حمل الرسالة والأمانة مرة أخرى، فأن أمامنا عملا شاقا طويلا ، وهذا العمل يطالبكم بأن تجاهدوا من أجل الأهداف الكبرى التى كافح من أجلها السابقون ، ورجال الأزهر على طول السنين » .

وفى هذه الفقرات الأخيرة القوية ، من قائد الثورة ، رد مفحم على من يتوهمون أن دور الأزهر قد انتهى ، فأن أمامنا — كما يقول الرئيس — عملا شاقا طويلا ، وهو يتطلب الجهاد من أجل أهداف الوطن،والروح الأزهرية هى التى تعين على هذا الجهاد. ولا يدورن بخلد أحد أنه مادام ظل الاستعمار بدأ يتقلص ، ووطأته بدأت تخف، فلا ضرورة للروح الأزهرية ، فأن هؤلاء يفوتهم أن العدو اذا ضعف فى ناحية يكون أشد عداوة فى النواحى الأخرى . فأذا كان الاستعمار منى بالاخفاق فى الناحية السياسية، فأن ذلك يجعله يضاعف نشاطه لتحطيم مقومات الأمم الأسلامية : المقومات الدينية والخلقية والاجتماعية ، وكل ذلك يحتاج الى جهاد عنيف من الأزهر .

وسيقوم الأزهر — كعهدنا به — بحمل الرسالة، وأداء الأمانة ، وسيظل شجى فى حلوق المستعمرين،ومن ينسج على منوالهم ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

علی العماری

بين الماضي والحاضر :

الأزهر والمجتمع

من نافلة القول أن نشيد بمكانة الأزهر وجهوده فى سبيل الإسلام والعروبة قديماً وحديثاً ، فالقول فى ذلك مستفيض من قبل ومن بعد ، ولقد وقف شوقى العظيم فى فم الدنيا ومجد الأزهر وحياه ، ونثر على سمع الزمان جوهره وحلاه ، وخشع ملياً أمام جلاله ، وقضى حق الأئمة من رجاله الذين « طلعوا به زهراً وماجوا أبحراً » .

وشوقى ــ فى تمجيده ــ محايد ليس بأزهرى ، حتى يقال إنه يمدح نفسه ، بل هو القائل يخاطب الأزهر المعمور :

ما ضرنى أن ليس أفقك مطلعى ... وعلى كواكبه تعلمت السرى !

واعجب ما شاء العجب لأناس كان للأزهر الشريف عليهم فضل أى فضل ، ومع ذلك هم يسلقونه بألسنة حداد ، ويحملون عليه حملة الأضداد ، بينما يتغنى بمجد الأزهر من لم يكن من أبنائه ! ! . .

ورحم الله أمير الشعراء يوم أجاد تصوير فضل الأزهر فى عهود الظلمات ، فقال :

ظلمات لا ترى فى جنحها ... غير هذا الأزهر السمح شهابا

زيدت الأخلاق فيه حائطاً ... فاحتمى فيه رواقاً وقبابا

وترى الأعزال [١] من أشياخه ... صيروه بسلاح الحق غابا

قسما لولاه لم يبق بها ... رجل يقرأ ، أو يدرى الكتابا

---

(١) الأعزال : الذين لا سلاح لهم .

حفظ الدين مليئـاً ، ومضى ينقذ الدنيـا فلم يملك [١] ذهابا

وجهات الحديث عن الأزهر كثيرة متعددة ، كل منها تستهوى اللب ، وتستثير الخاطر ، فمن القصد أن نـكتفى هنا بالحديث عن الأزهر ومدى صلته بالمجتمع . . .

* * *

إن الأزهر يأخـذ أبناءه من صميم الشعب ، ومن وسط الطبقة الـكادحة المجاهدة التى تمثل شعب مصر أصدق تمثيل ؛ فمن جوف الريف ، ومن أعماق القرى والدساكر والـكفور ، يفزع إلى رحاب الأزهر ألوف بعد ألوف من الفتيان والشبان ، ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، ولينالوا قسطهم الوفير من الثقافتين الإسلامية والعربية ، وفى هذا الجمع الـكبير تتبدى جوانب كثيرة من خصائص المجتمع ، وتتفاعل هذه الجوانب مع ما يتلقاه الطالب فى الأزهر من مسائل العلم والثقافة .

وتظل هذه الجموع ترتشف رحيق الفقه والعلم من مناهل المسجد الـكنانى الخالد [٢] ؛ وهى تـتردد بين معاهده وقـراها ؛ فرحلة الشتاء من مساقط رءوسهم إليـه ، ورحلة الصيف منـه الى رحاب أسرهم وعائلاتهم ؛ فيزيد هذا التردد المتكرر المتتابع فى التقريب بين الثقافة الأزهرية والبيئة الاجتماعية التى ينشأ فيها هؤلاء الطلاب .

ويتخرج الطلاب فى الأزهر ويصيرون علماء ، فلا تنقطع صلاتهم بالمجتمع ولا تضعف ، بل لعلها تقوى وتشتد ، فأذا هم بحق أعصاب البلاد والقرى فى ناحيـة الدين ، وناحية الأخلاق ، وناحية التأثير الروحى ، وإذا هم الذين يهزون القرى من كهفها لرقيمها ؛ فأمام المسجد يؤم قومه فى الصلاة ، ويخاطبهم فى الصلاة الجامعة وهى صلاة الجمعة ، ويوجههم عن طريق دروسه الدينية اليومية بين العصر والمغرب ، أو بين المغرب والعشاء ، ويفتيهم فى مشكلاتهم الخاصة والعـامة ، ويحتل بينهم مكانة روحية مرموقة يستطيع عن طريقها

---

(١) لم يملك ذهابا : أى لم يستطع .

(٢) من قول شوقى فى الأزهر :

إن الذى جعل العتيق مثابة جعل الـكنانى المبارك كوثرا

ويقصد بالعتيق المسجد الحرام ، والمثابة هى مجتمع الزمر .

وبحسن استخدامها وبالإخلاص فيها أن يوجههم الوجهة التي يؤمن بها ويعمل من أجلها . . .

والواعظ الأزهري ينزل القرية أو البلدة ، فتهوى إليه أفئدة الجموع ، وتميل إليه أسماع الجمهور ، وتتأثر به عواطفهم ومشاعرهم ، وفي خلال ساعات معدودة يستطيع هذا الواعظ أن يوجد وعيا ، وأن يوقظ من غفوة ، وأن يشغل العقول والقلوب بمسائل الدين وأمور الأخلاق . . .

والمدرس الأزهري الذي يلقن التلاميذ والطلاب دروس الدين واللغة والأدب في المدارس والمعاهد ، يستطيل تأثيره الى مدى بعيد ، حيث يتمكن عن طريق القرآن والسنة واللغة والأدب ودروس المطالعة والمحادثة والإنشاء وغيرها أن ينفذ الى أفئدة الطلاب والتلاميذ ، فيهز أوتارها ، ويأخذ بمجامعها الى حيث يشاء .

وقل مثل هذا عن العالم الأزهري الذي يحتل وظيفة أخرى من وظائف الدولة ، أو يباشر عملا آخر من أعمال المجتمع ، سواء أكان هذا العمل مهنيا أم صحفيا أم اجتماعيا . . . ستجد التأثير هو التأثير ، وستجد النفوذ الى باطن المجتمع هو النفوذ .

وتعليل ذلك سهل ميسور ، لعله استبان مما قدمناه من حديث ، فالأزهري ابن بيئته أولا ، وهو الذي يمثل الشعب تمثيلا صحيحا ثانيا ، وهو الذي يدوم على صلته بهذا الشعب ثالثا ، وهو الذي يتحدث الى الجمهور عن ناحيتين فعالتين مؤثرتين أعظم التأثير ، وهما : الإسلام والعروبة ، والإسلام هو الدين والعقيدة واليقين ، والعروبة هي مواريث الفخار والاعتزاز من تاريخ وسير أجداد ، ومن أدب جذاب جميل ، ومن تراث ثقافي يتطلع إليه كل من أراد أن يكون شيئا مذكورا في هذه الحياة ، فكيف لا تتوثق صلة الأزهري بالمجتمع مع وجود هذه الأسباب ؟! .

* * *

ولو اعتدلت السبل ، واستقامت الأوضاع ، خلال القرون المتتابعة ، لرأينا أبناء الأزهر في كل جيل يتغلغلون في أوساط الشعب ، وينفذون الى دخائل المجتمع ، ويعودون على أمتهم ولغتهم وملتهم من ذلك التغلغل والنفاذ بأينع الثمرات وأعظم الخيرات ، ولكن

أفاعى الاحتلال والإلحاد والتبشير والتحلل نفثت سمومها ونشرت بلاءها ، وحرصت على أن تعزل الأزهر جانبا ، وأن تقطع الأسباب والروابط بينـه وبين المجتمع ، وأن تحصره فى أضيق دائرة وأصغر نطاق ، ، وأن تباعد بينه و بين ركب الحياة حتى يتخلف وتضيع عليه المشاركة الاجتماعية والأدبية والفنية والقومية مع الحياة والأحياء .

وأتى على الأزهر الشريف حين من الدهر كان يقال عنه إنه « متحف » للدراسات الأثرية فى الميدانين العربى والإسلامى [1] وخيل لأعداء الإسلام والعرب ومصر والأزهر أن الـكيد الذى كادوه بإيل اللؤم والتضليل قد بلغ غايته وحقق رسالته ؛ ولـكن العملاق الذى أريد له أن ينام نومة أهـل الـكهف أو أطول منها ، أحس بسم الأفاعى ، فهب من رقدته ، وأخذ يستقيم على طريقته ، وألح فى طرق الأبواب الموصدة فى وجهه ، ليدخل على المجتمع مؤثرا ومتأثرا ، ومعطيا وآخذا ، ومتجاوبا مع الحياة والأحياء . . .

ولقد جاء على الأزهرى أحيان وأحيان ـ ولعل ذيولها لا تزال ! ـ كان الناس يعتقدون فيه من أول أمره أنه غير صالح لحياة المجتمع الآخذة المعطية ، المؤثرة المتأثرة ، حتى يقيم الأزهرى عشرات الأدلة على أنه صالح لذلك ، وصالح له أكثر من صـلاحية سواه له ، فيقر له المجتمع ويعترف راغما أو شبه الراغم ، بينما غير الأزهرى يفوز بحسن الظن من الناس حتى يقيم عشرات الأدلة على أنه غير أهل لذلك الظن الجميل ؛ ومعنى هذا أن الأزهرى الى عهد غير بعيد كان يعيش بين قومه غريبا منكورا مساء فيه الظن ، حتى يستطيع بجهده وجهاده أن يقتلع تلك الفـكرة الخاطئة عنه من الأعماق ، وإنما كانت هذه الفـكرة السيئة نبتا لذلك الـكيد اللئيم من أفاعى الاحتلال والإلحـاد .

ومعنى هذا أيضا أن الأزهرى كان يحال بينه وبين أكثر الميادين الاجتماعية ، وبذلك لم يكن هنالك مجال يظهر فيه جهده أو طاقته ، ولكنه جاهد وناضل حتى حطم من الحواجز الـكثير ، وحتى وصل الى الـكثير ، ونحن لا نتنـكر للحق حين نقرر هذا الأمر ، بل نتذكر أن هذه الفترة الطويلة التى قضاها الأزهر معزولا محروما محالا بينه و بين المجتمع قد عادت

(١) ولا يزال بعض الأغرار يقول مثل هـذا على الرغم مما دخل الأزهر من علوم حديثة ، ومواد اجتماعية ، وفنون مختلفة .

عليه بكثير من العلل والآفات والعوارض المؤسفة ، ونحن نعتقد فى الوقت نفسه أنه لو لم يكن هذا الكيد الدائم ضد الأزهر لسلم من هذه الأمراض .

* * *

ولأضرب مثالا على مدى الحرمان الذى كان يصطليه الأزهر ، وبذلك كان لا يظهر تأثيره فى المجتمع كما يجب أن يظهر ، فمنذ خمسة عشر عاما تقريبا كانت وزارة المعارف « التربية والتعليم الآن » لا تأخذ من خريجى الأزهر للتدريس فى مدارسها إلا « الأول » فقط من كلية اللغة العربية [١] ، وسارت الأيام ، وطالب الأزهريون بحقوقهم ، وفتحت الأبواب ، ووصل الأمر الى حد استقصاء المتخرجين الأزهريين فى مدارس الحكومة ، وإذا هؤلاء المتخرجون يقومون بواجبهم خير قيام : فى المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد المختلفة ، وإذا الأعمال والتقارير والشواهد والنتائج تنطق بجهودهم وكفايتهم وامتيازهم ؛ ولا يزالون فى الطريق يسيرون ، وحين يمر عليهم من الوقت ما مر على سواهم ، وحين تتهيأ الفرص لهم كما تتهيأ لسواهم ، سنرى منهم بإذن الله ما هو أعظم وما هو أجمل .

وهناك ميادين اجتماعية فتحت أمام الأزهريين فولجوها وقاموا بدورهم فيها ، ففى الجمعيات الدينية والثقافية والقومية والاجتماعية نرى العشرات من الدعاة الأزهريين الذين يخطبون ويوجهون ويرشدون ، وفى ميدان التوجيه الدينى والاجتماعى نرى أمثال الأساتذة : عبد اللطيف السبكى ، ومحمود شلتوت ، ومحمد الغزالى ، ومحمود خليفة ، وسيد سابق ، ومحمود على أحمد ، وطه الساكت ، وغيرهم وغيرهم .

وفى ميدان التأليف والكتابة والنشر - وهو ميدان وثيق الصلة بالمجتمع أيضا - نرى أمثال الأساتذة : محمد النجار ومحمد ماضى ومحمد الطنطاوى ومنصور رجب والسيد صقر ونور الدين شريبة وفتح الله بدران ورجب البيومى وعلى العمارى ومحمد البهى وعبد المنعم خفاجى ومحمد عرفة ومحمد يوسف موسى وعبد المنعم النمر وكامل شاهين ومحمد سعاد جلال وكامل الفقى ومحمد أبو شهبة وغيرهم وغيرهم .

وفى ميدان الصحافة نرى أمثال الأساتذة : فهمى عبد اللطيف وأحمد البهى

---

(١) ولم تسمح الوزارة فى بدء القضية بأخذ هذا الأول إلا بعد جهود ! ! .

وعبد الرحيم فودة وعبد المجيد وافى وزكريا نبيل وكامل عجلان ومحمود السكولى ومحمود عبد العزيز حسين وعلى الغرابى ، وغيرهم وغيرهم .

وفى ميدان الشعر نرى أمثال الأساتذة : محمد الأسمر وأحمد شفيع وابراهيم نجا وحسن جاد وعبد العليم عيسى وكيلانى سند وعبد الحميد ربيع ، وغيرهم وغيرهم .

وأنا لا أستقصى هنا ولا أتتبع ، وإنما أسطر الأسماء التى تسعفنى بها الذاكرة فى سرعة وعجلة ؛ وهناك عشرات وعشرات من المؤثرين فى المجتمع من رجال الأزهر وأبنائه لا يقلون فضلا أو أثرا عمن ذكرنا ، وفيمن ذكرنا أفراد يحسنون العمل فى أكثر من ميدان ، ولكننا كما قلنا قد سردنا بعض الأسماء بلا ترتيب أو تنسيق ، لتدل القطرات على ماء البحر الغزير ، ومن الواجب أن يتهيأ مجال لذلك الاستقصاء حتى لا نجحف بحق من تخوننا الذاكرة فى تذكره .

ويستطيع المطالع لكتاب « الأزهر فى ألف عام » للأستاذ خفاجى أن يزداد علما بهذا الموضوع ، كما يشتغل الأستاذ أبو الوفا المراغى الآن بإخراج كتاب يترجم فيه لكل أزهرى أسهم فى حركة التأليف ، ولا شك أنه سيضم المئات بعد المئات من الأسماء ! ! .

* * *

الذى نستطيع أن نقرره فى ثقة وتأكيد أن الأزهر المعمور هو القوام الأول على تراث الإسلام والعروبة ، وأن أبناءه أكثر الناس اتصالا بالمجتمع ؛ وأوضحهم تمثيلا لخصائصه ، وأبعدهم تأثيرا فيه ، وأنهم إذا هيئت لهم السبل ساروا وجاهدوا وأفلحوا ، وأن مكايد كثيرة أرادت للأزهر العزلة أو الوأد ، ولكنه استعصى عليها وهزئ بها ، واستمر على الطريق يناضل ويجاهد ، وأن الأزهر إذا تخلص من أعراض التخلف ، وأمراض العزلة ، وشوائب التقاعس ، استطاع أن يفعل الكثير الجيد . .

وقد كان من المستطاع أن نتحدث عن الأزهر والمجتمعين العربى والإسلامى بعد حديثنا عن الأزهر والمجتمع المصرى ، ولكن هذا حديث يجب أن ينفرد بمجال ومقال . . . ٠

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

رسالة الأزهر باقية
والأزهر باق على وجه الزمن

لست أدرى ولا المنجم يدرى كيف وقف من الأزهر وتعاليمه وتاريخه الناصع رجل كان منه بالأمس ، ولبث فيه أكثر من خمسة عشر عاما ، يحضر على أجلاء الشيوخ فيه ، وينهل العلوم من معينها ، حتى رحل منه الى جهة أخرى بعد أن التوى فيه عليه مقصده، واستعصى عليه غرضه .

كتب ذلك الرجل بالأمس فى إحدى الصحف الصباحية كلاما ينعى فيه على حكومة الثورة جمودها عن اتخاذ إحدى الوسائل للقضاء على الأزهر ، ويكتب - فيما كتب - أن حكومة الثورة قد انتهت من الخطوة الأولى ، وليس عليها إلا خطوة ثانية، وهى ضم الأزهر بتعاليمه العتيدة وتقاليده الدينية الراسخة وتبرزه وانقطاع نظيره فى الإلمام إلماما مقنعا بأساليب اللغة العربية وأفانين البلاغة وعلوم القرآن والسنة وعلوم الوضع وما إلى ذلك ونظائره وتفاريعه مما يربو على ثلاثين علما الى وزارة التربية والتعليم .

ما هذا الهراء والافتراء فى قضية تعاقبت البحوث المستفيضة من خصوم الأزهر والواجدين عليه والموتورين فيه على ابتداع طريقة ينفذون منها الى شفاء صدورهم . لقد تعاقبت خصوم منذ نصف قرن من الزمن ، وتنادوا بهذه الفكرة المضللة ، وكان مثارهم فى زعمهم هو الاحتلال وأنصار الاحتلال باسم الاصلاح المنشود . قال بعض الحانقين - وهم خاتمة بالتحسر والرثاء - : « لا بد من إصلاح الأزهر حتى يساير الجامعات فى أوربا وحتى تعم رسالته سكان هـذه الرقعة السوداء » فأية مسايرة تلك التى يريدها أولئك الواجدون عليه والموتورون فيه ، أيريدون أن يخرج الأزهر - وقد سلخ عشرة قرون من الزمن - عن نظامه الدينى يعلم الناس فلسفة اللغـة العربية ، وفلسفة فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأعظم ومن اهتـدوا بهديه وانتهاج طـرائقه الى يوم يبعثون . ثم ما هى الطـريقة العملية لضم الأزهر الى وزارة التربية والتعليم ، قولوا لنا ما هى الطريقة المثلى فى تحقيق عملية الضم ، أيريد الـكاتب - وليس له فى الدنيا نصير إلا فئة من الموتورين الحانقين على

بقاء الأزهر يؤدى رسالته ، وينشر بين الناس أمانته - ضم الأزهر بعلومه وتقاليده ومظهره الديني بقسميه الابتدائي والثانوى وبكلياته الثلاث الى وزارة التربية والتعليم .
ومناهج الدراسة فيها تختلف أبلغ الاختلاف عن مناهج الدراسة فى الأزهر ، فللأزهر علومه الدينية والعربية والعقلية مما يستحيل معه مسايرة أنظمة وزارة التربية لها وتلاقيها معها على صعيد واحد وفى أمل واحد .
يمينا غير حانث فيه لو أن المصلحين فى الأرض اجتمعوا على قلب رجل واحد ، وهموا بضم الأزهر إلى وزارة التربية ، لتغير الوضع فى تعاليم الوزارة ، وبقى الأزهر طودا راسخا وحصنا أشم لا تنال منه الأيام ، ولا تعبث به العقول والأفهام .

* * *

يا قومنا ، ثقوا بأن الأزهر باق على الزمن ، لا تعبث به يد الأهواء ، ولا تنال منه نزوات الأدعياء ، ثقوا بأن هذا الأزهر قد انفرد - ولله الحمد - بحماية العقائد من الزيغ ومن المبادئ الهدامة التى انتشرت فى الجامعات ، وكان لحكومة الثورة فضل السبق فى مناهضتها .
لقد اتهم مئات من الطلاب فى غير الأزهر بالجموح إلى المبادئ الهدامة ، بل اتهم بعض الأساتذة باعتناق هذه المبادئ ولا يزالون رهن السجون . لكن هل اتهم أزهرى واحد بأنه يدعو إلى تلك المبادئ الهدامة ؟ بل على النقيض من ذلك أفتى شيخ العلماء شيخ الجامع الأزهر - وقد ثقف ثقافة أوربية نادرة أعلى من الثقافة التى نهل منها الكاتب المناهض للأزهر - بضرورة محاربة المبادئ الهدامة ، وليس هناك وسيلة لمناهضتها واستئصال شأفتها سوى تفهم المبادئ الدينية والوقوف على أسرارها ، وهذا لا وجود إلا فى حصن الدين المكين وحرزه المتين ومنارته الواضحة ومحجته اللائحة وهو «الأزهر»

* * *

وهل عزب عن الكاتب الذى وقف بالأمس مناهضا الأزهر أن الأمم العربية والأمم الإسلامية فى القارة الآسيوية تطوى أضالعها على محبة واحترام لتلك الجامعة الإسلامية المنقطعة المثيل فى عالم الأديان ، فأن كان فى شك من ذلك فليخط إلى الوراء قليلا ليسمع بأذنيه ما قاله الدكتور أحمد سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا يوم كان ضيفا على مصر ، وكيف أشاد إشادة بالغة المدى بالزعماء الدينيين فى الأزهر أمثال محمد عبده والسيد عمر مكرم والأفغانى ومن اليهم من زعماء المسلمين فى مصر .
وهل عزب عنه كذلك أن كل أمة ترى أن لها الحق المطلق فى الاستمساك بمظاهر

دينها وشعائرها الدينية فيها ، حتى لقد عز على دول تحيط بها النصرانية من كل مكان أن تطمس معالم دينها ، فأبت عليها تقاليدها العتيدة إلا أن تبقى على منصب الإفتاء فيها ، وبها أقلية من المسلمين، تقديرا لمشاعر تلك الأقلية : كبولندا، وكذلك الحال فى جمهوريتى أزبكستان وقزاقستان ، وهما جمهوريتان إسلاميتان عرشا وفرشا يندمجان ضمن النظام الفدرالى السوفيتى .

وهل عزب عنه أيضا أن ألمانيا النازية حين وطئت بجحافل جيشها أرض يوغوسلافيا لم يقض مضاجعها ولم يعل من صبرها وثباتها إلا قلة من المسلمين فى ولايات ثلاث هى البوسنة والهرسك والصرب ، فطمس معالم دينها، وهدم معابدها ومساجدها، وأطاح بمقدساتها ، وذبح أبناءها واستحيى نساءها ، ثم أطلق يده فى الجامعات الإسلامية فأحالها ركاما ، وفى المدارس الإسلامية الصغيرة فجعلها حطاما ـ وما كان أسرع أن قام المسلمون يعتزون بدينهم ، فوقفوا وقفة رجل واحد، وصمدوا لهذا العدوان السافر ، ثم انجلت تلك المعركة الدينية عن اندحار النازية وبقاء الأقليات الإسلامية فى تلك الولايات الثلاث، تؤدى رسالتها على أتم وجه وأكمله ، وظلت مقدساتها فى الخالدين .

*

لقد كان رئيس الحكومة المصرية ينظر إليه بميزان التقدير البالغ من زعماء المسلمين يوم كان فى باندونج ، وكيف أن زعماء الطوائف الإسلامية فى الصين الشعبية رجوه ـ فى ضراعة ـ أن يرسل وفدا على رأسه شيخ من شيوخ الأزهر والناهلين من سلسبيل مائه . وليته استمع إلى هـذا الشيخ بعد أوبته إلى مصر كيف مثل الأزهر فى الصين والبلاد الآسيوية الإسلامية الأخرى ، وكيف كان للأزهر مقام لا يدانيه مقام ، وليسمع بعد ذلك كله بأخبار تلك الرحلة التى رحلها شيخ الأزهر إلى أندونيسيا والبلاد الإسلامية العزيزة، وكيف كانوا يمجدون الأزهر فى شخص شيخه والقائم على شئونه العلمية والدينية .

لقد كان أجدر بهذا الكاتب قبل أن يكتب ما كتب أن يقرأ ما كتبه المؤرخ الكبير أحمد تيمور فى كتاب « أعيان القرن الرابع عشر » حتى يلمس كيف كان هؤلاء العلماء أقوى عضد لأحمد عرابى إبان الثورة العرابية ، وكيف أعانوه على بلوغ مأمنه ، وكيف كانوا قذى فى العيون وشجى فى الحلوق لأعوان المستعمرين وأنصار الظالمين ، وما لنا نذهب بعيدا وقد أشاد هذا الكاتب نفسه ـ فى كتابه « الأيام » الذى وضعه كأول مظهر

من مظاهر حياته ـ بالشيخ الأزهرى سيد المرصفى اللغوى المعروف وكيف أثر فيه تأثيرا كبيرا بعلمه وفضله .

يا عجبا لأولئك الكاتبين المناهضين للأزهر ، وقد غاب عنهم أن الإنجليز فى بلادهم يبقون على القديم الذى لا روح فيه استمساكا بأنه قديم موروث عن الأجداد ، فلا بد أن يكون ماثلا لعيون الأحفاد ، فمثلا مجلس اللوردات جسم بلا روح ، ومع ذلك فالإنجليز قد أبقوا عليه ، لأنه فى قديم الأزمنة قد أدى رسالته ونشر أمانته ، فما ظنك بالأزهر ولا تزال روحه فتية ، وعزمته قوية ، وأنوف رجاله أبية ، ينشر دين الله بين بلاد الله ، وينتزع منها الضلالة انتزاعا .

وكان خليقا بهذا الكاتب ـ وقد كان وزيرا للمعارف فى عهد من العهود الحزبية البائدة ـ أن يكون من دعاة هذه الفكرة ، و إذن لماذا أحجم عن الدعوة إليها .

وقد وقف خطيبا فى حفل من الأحفال يخلع على الملك السابق أرفع أنواع الخلع ، ويسمه بأسمى النعوت وأعلاها ، حتى لقد قال وما أعجب ما قال : « ان مولانا الملك حامى الأزهر وحامى الدين فلا بد أن يكون حاميا لوزارة المعارف » .

وأخيرا ـ ياشيخ طه ـ أرجو أن تذكر أن برامجك التعليمية التى جعلتها مثالا يحتذى وقبسا يستضاء به فى الظلمات الحوالك مالها قد ذهبت مع الريح ، بل ما للحكومة الثورة الرشيدة قد كشفت عن مثالبها وعيوبها ، ولم ترتضها مناهج تسير عليها الأجيال الحاضرة والمستقبلة ، بل وضعت لها برامج أخرى غير برامجك التى أصبحت بين أظهرنا عقيدة لغير معتنق ، وتركة لغير وارث . إذن فليس الأزهر ـ فيما سلخه من أكثر من الف عام ـ مدارس ابتدائية أو ثانوية أو دراسة جامعية دينية ، ينفع فيه الضم و يفيد فيه الاندماج كما تقول .

ثم ما هى النظرية التى أبديتها فى قولك : « ليس بعجيب أن يكون الدكتور أو الصيدلى أو المهندس أو الزراعى متخصصا فى الديانة » ما هذا وما معناه وما مرماه ، لا أكذبك أنها نظريات أفلاطونية . ابحث لك عن مادة أخرى تجلب إليك رزقا ، أو تسوق إليك حقا ضائعا واكتب فيها ، وصدق أبو العلاء يوم قال :

مالك لم تنتفع بعقل هل عصفت بالعقول ريح

عباس طه

المحامى

ما هكذا يا سعد... ؟

« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »
(قرآن كريم)

ولست أريد بسعد صاحب الإبل الذى أوردها وهو مشتمل ، ولكنى أريد الدكتور طه حسين الذى كتب مقالا « بجريدة الجمهورية » يدعو فيه إلى توحيد التعليم ، و الاكتفاء بالتعليم المدنى عن الدينى ، وقد أورد فيه الأمور على غير مواردها ، وصدر فيما قال عن هوى وتعصب ، وتجنى فيه على الأزهريين ما شاءت له حزازات نفسه أن يتجنى . وجعلهم طائفة على هامش الحياة

وليس هذا التجنى بشىء جديد ، فتلك شنشنة نعرفها من أخزم ، وجعجعة ولا نرى طحنا .

وكنا نحب من الدكتور ألا ينساق وراء هواه وحقده الدفين ، فيتناول ـ ببساطة ـ هذه المسألة التى هى فى الصميم من مقومات الأمة المصرية — بل الأسلامية — أذ هى متعلقة بدينها ولغتها . وان هؤلاء الذين يدعون الى القضاء على التعليم الدينى الذى يعنى أول ما يعنى بالتعمق فى الدراسات الدينية والعربية ، أنما يريدون ـ فى الواقع ونفس الأمر ـ أن يقضوا على مصر الاسلامية وزعامتها للعالم الأسلامى ، وأن يسدلوا الستار على أنصع صفحة من صفحات مصر فى تاريخها الطويل . ومصر ـ على رغم أنف هؤلاء ـ إسلامية لحما ودما ، وستظل حاملة لواء الأسلام ، ومعقله الحصين ، مادامت معتزة بالقرآن وبلغة القرآن . والشعب المصرى شعب متدين بفطرته ، وحريص على دينه وعقيدته . وليس أدل على هذا من أنه قد تعرض فى كثير من الأحيان لأراجيف المرجفين وتضليلات المبطلين من أمثال

---

(١) بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥٥

الدكتور طه ، فما كانت إلا كسحابة صيف تقشعت ، وثورة قدر خمدت ، وبقى الشعب ــ إلا شراذم منه ــ كما هو ، سليما فى عقيدته ، معافى فى دينه .

* * *

١ — ولا أدرى كيف يتهيأ لتلميذ قضى المرحلتين الابتدائية والثانوية فى التعليم المدنى ، ولم يتعلم من الدين الا قشورا ومن اللغة العربية الا جزءا يسيرا ــ كيف يتهيأ لهذا وأمثاله أن يتخصص فى علوم الدين واللغة العربية على نحو مايتخصص الأزهريون بعد مرحلتيهم الابتدائية والثانوية اللتين أخذوا فيهما بحظ غير قليل من علوم الدين واللغة العربية ؟ هذا فضلا عن إحاطتهم بالعلوم المدنية على نحو احاطة زملائهم فى التعليم المدنى ان لم تكن أوفى وأدق ، بل كيف يتهيأ لتلميذ قضى الشطر الأكبر من حياته فى التعليم المدنى أن يكون عالما ضليعا يفتى المسلمين فيما يستشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم ؟ ؟ وهو لا يكاد يحسن الوضوء والصلاة ! ! !

ولو أن المناهج فى التعليمين كانت متقاربة بالنسبة لعلوم الدين واللغة لهان الأمر ، أما والحال على ما ذكرنا من التباعد والاختلاف فى التكوين ، فأن التوحيد يكون ضربا من العبث والفساد ، وقضاء على الثروة الإسلامية التى خلفها لنا الأسلاف على توالى العصور والأجيال .

والأزهريون ــ حينما يعنون بهذا النوع من التعليم الدينى المدنى ــ لم يقطعوا صلتهم بالحياة كما زعم الدكتور المتجنى . وكيف ؟ وما العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد إلا بسبب وثيق من حياة الناس . إذ بها يعرفون ما يحتاجون إليه فى عقيدتهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم ، و يعرفون حقوق الله عليهم وحقوق بعضهم على بعض . وليس أدل على ذلك من أن علماء الدين الإسلامى كانوا ولا يزالون يشاركون فى حياة الأمة العلمية والعملية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، وفى كل مجال منها لهم اليد الطولى وقصب السبق ، ولا يزال المسلمون فى مصر وفى غير مصر يرجعون اليهم فيما أشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم ، ويرون فيهم ورثة الأنبياء .

* * *

٢ — ومما لا يقضى منه العجب قول الدكتور « الطلعة » : « ولم يعرف المسلمون

فى عصورهم الأولى هذه الحياة التى نعرفها الآن ، والتى تأخذ الصبى من حياته العاملة لتضطره شطرا طويلا من عمره الى نشاط خاص لا يشاركه فيه غيره من المواطنين ، يفرغ فيه منذ صباه لعلوم اللغة والدين ، حتى إذا ما تجاوز الصبا وأضاع زهرة الشباب أصبح رجلا من رجال الدين لا يحسن غير القول فى شئون الدين ، ولا يستطيع أن يتصرف فى غيرها من الشئون ، الى آخر ما نضحت به نفسه من افتراء وكلام ممجوج .

وقد قلب الدكتور الحقائق، وجعل المعروف منكرا، والمنكر معروفا، وافترى على التاريخ .

إن المدارس فى العصور الإسلامية الأولى التى كانت تتمثل فى حلقات الدروس بالمساجد وبيوت العلماء كانت مدارس إسلامية بكل ما تحتمله الكلمة من معان ، تدرس فيها علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعقائد وعلوم اللغة، وإلا فقل لى بربك - أيها الدكتور - بأى العلوم كانت تعنى مدارس مكة والمدينة والكوفة وبغداد والشام ومصر وغيرها من المدارس المنتشرة فى الأمصار الإسلامية، أكانت تشتغل بدراسة علوم التفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة ؟ أم كانت تشتغل بدراسة الطبيعة والكيمياء والهندسة والطب وما إليها ؟ .

وهل كان ابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن عمرو بن العاص - رضى الله عنهم - ومن جاء بعدهم : كمالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد والأوزاعى والليث بن سعد وغيرهم كثير - علماء بالطبيعة والكيمياء والطب والهندسة ؟ .

أعتقد أن الجواب فى غاية البداهة والظهور .

وكيف غاب عن ذهنك يا دكتور أن المسلمين كانوا يأخذون أولادهم من الصغر بهذا النوع من التعليم الدينى - الذى تنكره وتحاربه - وتسلك فى سبيل ذلك كل صعب ووعر ؟ لقد كان الرجل من المسلمين فى العصور الأولى يأتى بابنه وهو صبى لم يبلغ الخامسة من عمره فيجلسه فى حلقات أئمة الحديث والفقه، كى يناله شرف الأخذ عنهم والاستماع إليهم، ثم يتركه للأشياخ يلازمهم ويأخذ عنهم حتى يرى فى نفسه الأهلية للتصدر للعلم والفتوى ، وما كانوا يطلبون بهذا دنيا، وإنما كانوا يرونه فرضا من فروض الدين، وقربى من رب العالمين .

والمسلمون الأولون - حينما كانوا يبذلون قصارى جهدهم فى تعلم علوم الدين وما يتصل به من علوم اللغة - ما كانوا يرون أنهم فى معزل عن الحياة الدنيا، وإنما كانوا يعملون على خدمة الحياة الدنيا ، إذ ما من قضية من قضايا الناس الا ويلتمس حكمها فى كتاب الله سبحانه أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو فى القياس عليهما والاجتهاد فيهما .

والشريعة الإسلامية لا تعرف الفصل بين الدين والدنيا ، فقد جاءت بما يسعد الناس

فى دينهم ودنياهم ، فمن ثم لم يكن فى الإسلام علماء دين وعلماء دنيا ، فقد كان العالم يفتى الناس ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم .

وعالم الأزهر حينما يتفرغ لدراسة الدين واللغة لم يكن متنكبا عن طريق الصواب ، وانما فعل ما أوجبه عليه دينه ، ولم يقطع صلته بالحياة ، بل بالعكس ربط صلته بأسباب قوية بالحياة . ثم كيف استقام لك أن تقول : إن من تفرغ لدراسة العلوم الدينية والعربية قد أضاع زهرة شبابه ؟ ؟ وما رأيك فيمن تفرغ لدراسة الأدب أو الفلسفة أو غيرهما من العلوم النظرية ، أيكون هو الآخر قد أضاع شبابه فيما لا يجدى ؟ أم أن الأمر عندك مقصور على المتخصصين فى علوم الدين فحسب ؟ ؟ فيالله لهؤلاء المساكين الذين تفرغوا لدراسة دينهم علما وفقها ، والتزموه عملا وخلقا من لدن صدع نبينا محمد بن عبد الله بوحى الله إلى يومنا هذا . فقد حكم عليهم « علامة العصر فى مصر » الدكتور طه حسين بأنهم أضاعوا أعمارهم فيما لا يفيد ! ! !

لقد كان التعليم الإسلامى فى العصور الأولى إسلاميا لحما ودما ، حتى كان عصر المأمون العباسى فترجمت الفلسفة وغيرها من العلوم إلى اللغة العربية ، فبدأت تنبت فى البيئة الإسلامية مدارس مدنية تدرس الفلسفة وغيرها من العلوم المنقولة ، ومع هذا فلم تزل الحظوة الأولى والمنزلة السامية للمدارس التى تعنى بدراسة علوم الدين واللغة العربية ، ولم يزل الأمر على هذا الى قبيل عصرنا الذى نعيش فيه .

* * *

٣ — ثم ينعى الدكتور على علماء الأزهر أنهم لم يأخذوا أنفسهم بما أخذ به العلماء السابقون أنفسهم « من طلب التعيش بطريق من طرق السعى كتجارة أو صناعة أو غير ذلك » ، ولا أدرى كيف غاب عن الدكتور الحصيف أن حياة العلماء فى العصور الأولى كانت حياة رتيبة هادئة ، ولم يكونوا فى حاجة إلى كثير إنفاق ، لأن مطالب العيش كانت قليلة ، وكانت الدراسات طليقة من قيد الزمان والمكان ، فكان من الممكن جدا الجمع بين التدريس والسعى على الرزق ، وإلى عهد قريب كان بعض علماء الأزهر يتعيشون مما يكسبون ، أما فى عصورنا هذه فقد كثرت مطالب العيش والحياة الكريمة ، وأصبح

العالم كغيره فى حاجة إلى مسكن نظيف ومأكل هنىء وملبس جميـل ، ولو فعل غير هذا لتناوله الناس بألسنة حداد ، وكان أول من يناله الدكتور وأمثاله . فالحياة أضحت غير الحياة ، والناس أصبحوا غير الناس ، وهل من الممكن اذا اشتغل علماء الأزهر بصناعة أو تجارة أن يقوموا بالتدريس والتعليم كما ينبغي أن يكون ؟ ولا سيما وقد أصبحت النظم الدراسية تقتضى من المدرس أن يحضر فى وقت محدد ، ليس له أن يتخلف عنه و الا عرض نفسه للعقاب .

ولمـاذا ينعى الدكتور على الأزهريين ما لا ينعاه على غيرهم من بقية طوائف الأمة من المعلمين والمهندسين والأطباء وغيرهم الذين يتقاضون أجورا من الدولة نظير ما يقومون به من عمل ؟ ؟ ولمـاذا يحرم على العلماء ما يحله لنفسه ؟ ! ! .

ينعى الدكتور على علماء الأزهر أنهم لم يشتغلوا بصناعـة أو تجارة على حين نجد أمم الغرب توفر لفريق من علمائها الوقت الـكافى والمـال الوفير وتدعهم يفرغون الى البحث والدرس والتمحيص ، وفى أى شىء يكون البحث والدرس ؟ ان كثيرين منهم يفرغون للدرس والبحث فى علوم الإسـلام ، وفى الثروة الطائلة التى تركها علماء المسلمين القدامى منهم والمحدثون ! ! .

ولمـاذا نسى الدكتور فى هذا الصدد سنة التطور وسنة التقدم والرقى فى الحياة التى يلهج بها دائمـا ، فأراد أن يرجع بعلماء الأزهر الى ما قبل ذلك بعشرة قرون ؟ ؟

* * *

٤ — وبعد أن أتعب الدكتور نفسه فى مقدمات غالط بها التاريخ ، ودلس على الناس ، قال : « واذن فقد آن لمصر من جهة أن تلائم بين حياتها الجديدة المتطورة وبين تنشىء هذه الأجيال التى تفرغ لدراسة الدين من أبنائها ، بحيث لا يقتطع هؤلاء الأبناء عن الحياة العامة وعن الظروف التى تحيط بهم ، ويكونون فريقا لا هو بالقديم ولا بالجديد . . فاذا تحدثت إليه فى شأن من شئون الحياة العامة لم يفهم عنك ولم تفهم عنه ، لأن بينك وبينه أستارا كثافا . . . وقد فرض على عقله أن يعيش غريبا فى وطنه وبين معاصريه ، لا لشىء إلا لأنه اقتطع من بيئته ، وزج به فى هذه الحياة الخاصة التى يحياها رجال الدين ، فانقطعت الصلة بينه وبين حياة الأمة كلها ، وأصبح قريبا منها غريبا فيها » .

كلام غريب حقا . كرر فيه وأعاد وزاد، حتى أصبح كلاما ممجوجا من ذوى العقول الصحيحة والفطر السليمة ، ولا أكاد أفهم – ولا غيرى يكاد يفهم – كيف يعتبر المتفرغ لدراسة الدين مقتطعا من الحياة ومن البيئة التى تحيط به ، والحياة كما قلت متصلة بسبب قوى بدراسة الدين، والظروف والبيئة تحتمان هذه الدراسة ، فما زالت الأمة المصرية بخير من جهة الحرص على دينها، وما زالت البيئة فى حاجة ملحة إلى من يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم ، ولا يزال جمهور الأمة والمسلمين يرون فى علماء الأزهر مصابيح الهداية ونجوم العرفان، ولا يزال العلماء أقرب إلى قلوب الناس – فى مصر وفى غير مصر – . وقد شاء الله لى أن أشهد موسم الحج مرارا ، والتقيت بكثير من المسلمين ، فتكشف لى عن يقين ما يكنه المسلمون للأزهر ولعلماء الأزهر، وليس هذا الحب والتقدير لذواتهم ، بل لما يرونه فيهم من أنهم ورثة نبينا محمد بن عبد الله فى حمل رسالة الإسلام وتبليغها الى الناس كافة .

ثم ما هذه الحياة الخاصة التى يحياها رجال الدين وينكرها الدكتور عليهم ؟ أهى حياة الرهبنة ؟ . كلا، فالإسلام لا رهبانية فيه، أم هى حياة التقشف والانزواء عن الناس؟. كلا ، فقد أصبح الطالب الأزهرى فى رغد من العيش، وعلى صلة وثيقة بالناس والمجتمع، وليس قريبا من الأمة غريبا فيها . والأزهريون فى جميع عصورهم لم يكونوا من أبناء أصحاب الإقطاع ولا من أبناء الدخلاء على مصر ، فلهم من شعبيتهم ما جعلهم أقرب الطوائف المتعلمة الى قلوب الأمة .

وهذه القوة الكامنة فى الأزهر – علمائه وطلابه ومدرسيه ووعاظه وأئمته وخطبائه وأبنائه المنبثين فى كل وزارات الدولة ومصالحها – لتؤدى الى الأمة المصرية أفضل ما تؤديه فئة فى هذا الوادى ، والكثيرون من الأزهريين يعملون فى صمت ولا يحبون أن يعلنوا عن أنفسهم كما يفعل غيرهم ، وفيهم جنود مجهولون لا يعنيهم المراءاة بأعمالهم ، وإنما يعنيهم نفع الناس ، والقرب من الله المجازى كل نفس بما كسبت .

إن أفضال الأزهر على مصر وعلى العالم العربى والإسلامى لعظيمة ، نقولها لا للمن ، وإنما للحقيقة والتاريخ . وليس أدل على ذلك من أن أغلب زعماء النهضات الدينية

والعلمية والأدبية والسياسية هم من أبنائه الذين نهلوا من منهله ، وارتشفوا من رضابه ، وان الكثيرين من رجال الفكر والعلم فى عصرنا هذا مدينون له معترفون بفضله عليهم ولم يجحد الفضل الا قلة من أمثال الدكتور .

ويعيب الدكتور طـه على الأزهرى « أنه ليس بالقديم ولا بالحديث ، لأنه يفكر كما يفكر الناس من قرون ، ويعيش فى حياته المادية كما يعيش المعاصرون له ، فيركب السيارة والقطار والطائرة » وما ذا يريد بالناس ؟ أغلب الظن أنه يريد سلف الأمة وعلماءها الأجلاء ! ! !

وما الذى يعنيه بانكاره ؟ أيريد أن نتخلى عن كتاب الله وسنة رسوله الموحى إليه بهما من ربه ، ونشتغل بفلسفة اليونان وسفسطاتهم وثقافة الفرنسيين الذين يحبهم ويحبونه حتى ننفى عن أنفسنا أننا محافظون ؟ ؟ أم يريد أن نقطع صلتنا بالسلف الصالح من هذه الأمة الإسلامية وما خلفوا لنا من كنوز وذخائر ، ونصل حبالنا بأبناء السين والتايمز حتى يرضى عنا ويضعنا فى قائمة المجددين؟؟ أم يريد منا اذا ماقال الله ورسوله : « الربا حرام » و « التبرج حرام » و « اختلاط الجنسين حرام » و « الرقص مجانة واثم » و « الملاهى والتمثيل الخليع والفسق والفجور منكر ويقضى على معنويات الأمة ويقتل رجولتها ويسارع بها الى الهاوية » أن نجىء نحن فنقول ـ ارضاء للدكتور ولأمثال الدكتور ـ : إن كل ذلك حلال ، ولا ضرر على الأمة منه ؟ ؟ ! ! !

ألا فليعلم الدكتور ومن على شاكلته أنه لن يكون شىء من ذلك ، ودون ما يريد خرط القتاد وصعود السماء ، فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ .

ومن أكذب الكذب ما زعمه الدكتور « أنك اذا تحدثت الى رجل الدين فى شأن من شئون الحياة لم يفهم منك ولم تفهم منه » . سبحان الله يا دكتور! إن كثيرين من الأزهريين يحاضرون ويتكلمون فى شئون الحياة فيفهم الناس عنهم ، ويتكلم الناس فيفهم عنهم الأزهريون ، ولا أدرى اذا كنت تعيش فى دركات من الأرض فلا تدرى شيئا عما وصل إليه الأزهر وما يدرس فيه من علوم ومعارف ، أم أنها سخيمة نفس أبت إلا أن تستعلن ، بجرى لسانك بهذا الزور والبهتان ؟ على أى حال قد جانبك الحق والصواب .

* * *

ولتعلم يا دكتور ـ إن كنت لا تعلم ، أو تتجاهل ما تعلم ـ أن فى أبناء الأزهر اليوم من

تخصصوا في تاريخ الملل والنحل وفي الفلسفة وعلم النفس وأجادوها أيما أجادة ، وفيهم من تخصص في بعض اللغات الشرقية والغربية وثقفها كما ثقفها أبناؤها ، وفيهم من تخصص في الأدب العربي ويحاضر فيه أجود مما تحاضر ، وفيهم من تخصص في التاريخ قديمه وحديثه الإسلامي وغير الإسلامي .

هذا فضلا عن الكثرة من العلماء المتخصصين في علوم الدين واللغة العربية ، ولم يعيشوا في عزلة عن العالم كما زعمت ، ولكنهم على علم أيضا بما يجري في الحياة ، وما جد ويجد في العالم من نظريات علمية ومذاهب فكرية واقتصادية وسياسية ، ويتحدثون الى الناس فيما تخصصوا وفيما لم يتخصصوا فيه من العلوم الحديثة التي يعرفون منها مثل ما تعرف ، فيفهم عنهم الناس ويفهمون عن الناس .

* * *

٥ — ولم يشف نفس الدكتور كل هذا التجني والبهتان ، بل جعل من نفسه داعية لرجال الدين المسيحي ، فوصفهم بالقدرة والنشاط والتصرف في كل شئون الحياة ، ووصف شيوخ الدين الإسلامي بالعجز والجمود والقصور . وأحب أن أقول للدكتور الداعية : ليس هذا بأمر جديد عليك ، ففي مطالع حياتك التي كنت نزاعا فيها الى الشهرة ولو بالباطل نصبت من نفسك داعية للمبشرين وأضرابهم من المستشرقين ، وحاولت أن تشكك الناس في عقائدهم وقرآنهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فعثرت على ذيل مقالة (١) لمبشر تستر تحت اسم «هاشم العربي» فنسبت ما جاء فيه لنفسك ، وادعيت أنه من بنات أفكارك ، كي تظهر أمام الطلبة المخدوعين بك أنك باحث مجدد حر الرأي ، فأنت اليوم في شيبك تعيد شيئا من سيرتك الأولى في شبابك ، وما ذنب علماء الأزهر وأبنائه في أنهم لم يكن منهم أطباء ولا صيادلة ولا مهندسون ، ما دامت القوانين المصرية لا تفتح لهم هذا النوع من التعليم ، ولو أن الفرصة واتتهم ، والدولة أنشأت في الأزهر كليات للطب والصيدلة والعلوم والهندسة ، لكان منهم النطاسي والصيدلي والكيمائي والمهندس ، والعقلية الأزهرية عقلية خصبة اذا ساعدتها الظروف أنتجت أيما انتاج ،

---

(١) « مقالة في الإسلام » لجرجيس صال الانكليزي ، ومعربها المتستر تحت هذا الاسم له ذيل على المقالة ، ضمنه طعونا على القرآن الكريم من نواح متعددة ، وكل هذه الطعون أباطيل وافتراءات .

وفى مبدأ النهضة المصرية فى القرن الماضى اختيرت معظم البعوث التى أرسلت الى أوروبا من أبناء الأزهر، فضربوا بسهم راجح فى المعرفة ، ورجعوا فى جعبتهم بكثير من علوم الغرب ومعارفه ، فأفادوا أنفسهم وأفادوا أمتهم ، ولا تزال بعض آثارهم باقية الى اليوم .

* * *

لقد كان الأولى بالدكتور لو كان منصفا وجادا أن يقترح على المسئولين - اذا ما أرادوا أن يقربوا بين طوائف الأمة - أن يباح للحاصلين على الشهادات الثانوية الأزهرية أن يدخلوا كليات الجامعات المدنية ، وحينذاك سيكون عندنا علماء جمعوا بين التأسس فى علوم الدين والتخصص فى العلوم الدنيوية ، ويكون طالب الأزهر بعد أن ينتهى من المرحلتين الابتدائية والثانوية حرا بين أن يدخل الكليات الأزهرية ، وبين أن يدخل الكليات الجامعية . وهذا الاقتراح جدير أن ينظر اليه بعين التنفيذ والانصاف ، ولم يعد ثمة مجال للتعلل والاعتذار ، بعد أن قرر الأزهر ادخال تعليم اللغات فى جميع مراحله . والأزهر حينما اختار لنفسه التخصص فى الدراسات الدينية واللغوية لم يكن عاجزا ولا مقصرا ولا خامدا ، وانما اختار هذا النوع من التعليم لأنه آثر خدمة دينه وخدمة مواطنيه وخدمة العالم الإسلامى على زخارف الدنيا ومباهجها ومناصبها ، وكان الأجدر به أن يكرم على هذا الإيثار فى هذا العصر الذى غلبت فيه المادية الجائحة ، لا أن يتهجم عليه ويرمى بكل منكر من القول كما صنع الدكتور .

وقد ضرب لنا الدكتور الداعية الأمثال برهبان تخرجوا فى مدارس الهندسة والصيدلة ثم تخصصوا فى علوم الدين ، ولقد كان الأولى به أن يوجه اللوم الى هؤلاء الذين تخرجوا فى الكليات المدنية ولم يخطر لهم على بال أن يتخصصوا فى علوم الدين كما فعل أمثالهم من رجال الدين المسيحى ، ولو فعلوا لكان عندنا أطباء وصيادلة ومهندسون قد تخصصوا فى علوم الدين والدنيا .

* * *

٦ - أما ما رمى به الدكتور - فى جواب تساؤل له - من أن الشباب الأزهرى « لا يتعلم كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس ، وأنهم فرغوا الفنون من النشاط لا تغنى عنهم ولا عن مواطنيهم ولا عن الدين نفسه شيئا » فزور وكلام مكرر معاد ، فهم يتعلمون كما يتعلم غيرهم وأكثر مما يتعلم غيرهم ، وهم حينما يتفرغون لهذا النوع من الدروس ، فأنما يستجيبون للبيئة المصرية والإسلامية التى هى فى أشد الحاجة الى هذا النوع من العلوم ، ويفيدون أنفسهم ومواطنيهم ، ويخدمون من قبل ذلك كله دينهم أجل خدمة وأخلدها .

وأزيد على ذلك اقتراحا عمليا ، وهو أن تعقد مسابقات بين شبابنا فى التعليم الأزهرى وشبابنا فى التعليم المدنى و بين خريجى الكليات الأزهرية وخريجى الكليات الجامعية، فيما يشتركون فيه من علوم ومعارف، مع مراعاة عدم التحيف والجور ، وسيعلم الناس قاطبة من المجلى فى مضمار المعرفة ومن المتخلف ؟ وقد جربت هذه التجربة مرارا فكان الغالب فيها للأزهريين . وما مسابقة البعثة الفهمية وغيرها عنا ببعيدة . وأنا أعرف كثيرين من الشباب الأزهرى كانوا الأوائل فى مسابقات ديوان الموظفين . ولعل هذا الاقتراح المنصف يقطع الدكتور عن الجدال واللجاجة فى الخصومة .

* * *

هذا ولا يسعنى وقد انتهيت من الرد على مقال الدكتور طه إلا أن أذكره بأن فضل الأزهر كان عظيما عليه ،ولولا الأزهر لما كان ، ولما وصل الى ما وصل إليه من ثقافة لغوية وأدبية . وبحسب الأزهر فضلا أنه المعهد الوحيد الذى فتح أبوابه له ولأمثاله وقبلهم فى تعداد طلابه يرتشفون من معينه الثر ، وهو أدرى بمستقبله لو لم تكن هذه الجامعة العتيدة التى آوته وغذته ونشأته . فلم هذا العقوق ؟ ولم كل هذا التجنى ؟ . بعضا من الانصاف والحياء يا دكتور ! ! .

وانى أهمس فى أذنه بأن شباب الأزهر علماء وطلابا لا يتمنون هذه الخطوة ولا يحبونها وغير مقتنعين بها ،ولا يغرنك ما تسمعه من شرذمة قليلة تعيش عالة على الأزهر . ليس لهم شخصية ولا ضمير ولا خلق . ويسيرون وراء كل ناعق ،ويسخرهم أى اغراء، والأزهر منهم ومن سيرتهم برىء .

وأخيرا أذكرك بمقالة الفاروق رضى الله عنه فى كتابه القضاء الى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : « ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه الى رشدك أن ترجع عنه ، فأن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل » . والسلام على من اتبع الهدى . ٥٠

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

ياليت قومى يعلمون

« رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين » . « وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم »

أحسب الناس أن يتركوا أن ينالوا من كنانة الله فى الأرض ، ومعقل خلافته فى الشرق والغرب ، وهم لا يصابون بأشد البلاء ، ولا يرميهم الله بأخطر الأدواء ، الا أن يأذن الله بمحو هذا الدين ، و يتأذن بازالة مجد المسلمين . اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

ما للناس يحاولون أن يتعجلوا ذلك الخسران المبين ، وما لهم يستعجلون بذلك العذاب الأليم ، وقد عافاهم الله برحمته ، وآمنهم من الخوف بنعمته . ولكنهم كما يقول الله سبحانه : « و يدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا » .

والذى نفسى بيده لأن أخر من السماء فتخطفنى الطير ، أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق ، أحب الى وأهون عندى من دعوة تهز عرش الرحمن ، ودعاية تقوض من هذا الدين أعز بنيان ، وتقضى على نخر الإسلام ومجده ، ومعلم الدين وعلومه : الأزهر الذى قضى على كل ظلم وظلام ، و بلغ رسالة الله الى جميع الأنام « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

أو حسبتم أيها المصريون ، أو توهمتم أيها الشرقيون ، أن مصر تبق فى موضع الزعامة ، ومعقد القدوة والأمامة — تلك التى أسلست قياد العالمين ، وأخضعت رقاب المسلمين وغير المسلمين — الا بهذا الأزهر الذى توهمتموه شيئا بورا ، وظننتم محوه أمرا ميسورا . « ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ، اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم »

ان الأزهر الذى تخوضون فيه منذ الآن شىء غنى عن التعريف به ، أو لفت الأنظار الى حقيقته . انه تلك الجامعة الكبيرة الخطيرة التى ذرت بها الشمس للقاصى وللدانى ، حتى أبصره الأعمى ، وأسمعت آياته الصم ، وهزت رسالته أركان المعمورة فى كل قطر ، فكان — ولا سيما منذ عهد المماليك — كعبة يحج اليها الطالبون للعلم من مشارق الأرض ومغاربها ،

يتوفرون على دراسة الدين وعلومه ، فيتنقلون فى معارج الكمال والسمو ، ويرتفعون الى حيث النبوغ والفوق . وفرقانا وضياء للمتقين ، الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون .

فلولا هذا الأزهر الذى تنكرون تاريخه ، وتجحدون فضله وأمجاده ، لم يكن فى مصر نفسها علم ولا ثقافة باله الدين ، و إن تاريخكم الحديث ليشهد بأن الأحداث قد استطاعت أن تنال من كل مظاهر العلم والمعرفة فى كل مكان سوى الأزهر ، يوم سلط عليكم الأتراك العثمانيون يسومونكم سوء العذاب ، ويتصرفون بالفساد فى كل خير مسعد للبلاد ولا سيما العلم والتعليم ، فأغلقوا جميع المدارس ، وقطعوا صلة الناس بالمعارف من كل شيء إلا من الأزهر ، فلما أرادت مصر أن تبدأ نهضتها وجدت من الأزهر من ينشئ المدارس ، ومن يقوم بالبعوث الى الخارج ، ومن يكون الجامعة المصرية ، ومن ومن .. حتى استقام الأمر لمن يريد بالبلاد الخير ، وجاءت هذه النهضة الكبرى : نهضة الجيش المباركة ، فوجدت الرصيد الثمين من دعاة الخير ، ومن هم طوع يد الله فى كل ما تدعو إليه من تقدم ، وهم رجال الأزهر الذين يقولون بلسان حالهم للسيد رئيس البلاد وصحبه : « والله لو خضتم بنا هذا البحر ، فى أى مجد لمصر ، لخضنا معكم ، ما نبالى أسقطنا على الموت أو علينا سقط » ذلك لأنهم يلبون فى الحق والخير أمر الدين ، وينفذون تعليمه القوى المتين ، فما بال قوم ممن يزعمون أنهم مصريون ، ويدعون أنهم مسلمون ، يريدون أن تخلو مصر من كل ذلك السؤدد والمجد ، كأنهم يحسبون ذلك مما تقضى فيه كلمة طائشة ، أو ينفذ فيه رأى قائل . ويريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

أيتها العصابة الجائرة ، من أصحاب المحاولة الخاسرة : ليس هذا بعشك فادرجى ، وما هذا بمرامك فارجعى ، إنه لمرام صعب ، و إنه لمنال عزيز وعر ، إن الأزهر فى حراسة الله ما دام الله يريد دين الحق ، وانتصار المنصف والعدل ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله) .

إن الأزهر حق الله ، لأنه يبلغ رسالة الله ورسالة الأنبياء من قبل : اصلاح عالمى ، وسلام اسلامى ، ولأنه يعاون الحكم الصالح الذى يتمثل اليوم فى حكومة الثورة ، وما هى الا تحقيق لأغراض الدين من الحق والقوة ، والإخاء والألفة ، والعدل والمساواة ،

والقضاء على المباهاة ، كما يأمر الله « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للتقين » .

ان فى الأزهر رجالا من أهل الإرشاد يدعون بدعاية الإسلام الى مايعجز عن تحقيقه كل قانون ، لأنهم يستطيعون بروح الدين أن يصلوا الى مدب السرائر ، وأن يناجوا القلوب والضمائر ، حتى يقتاد عصيها ، ويطيع أبيها « أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا » .

إن الأزهر حق الله ، لأنه يحمل الكتاب والميزان خلافة عن الله فى الأرض ، ليقوم الناس بالقسط ، ألا وإن من تعرض لحق الله القوى فقد آذنه بالحرب ، ومن حارب الله حربه الله « ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » .

وإن فى الأزهر حق الشرق ، فأنه ينفر من كل أمة منه الى الأزهر طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .

وان أمم الشرق لتتطلع الى بعوثها كما تترقب القمر فى الظلام الدامس ، وينتظرونهم انتظار الأرض الهامدة الماء الغيث الهاطل « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

فياليت شعرى ، أين يكون المستقر ، لذلك الطير الذى يطير الى مصر ، لينهل من حياض الأزهر ، ويملأ جوفه من ذلك الكوثر ، اذا حققتم ذلك الغرض الاستعمارى ، فأخليتم مصر من ذلك المعهد الإسلامى العالمى .

اللهم لا تحقق ذلك الحلم المزعج فى أمتنا ، بل باركها وزد فى خصوبتها و« اجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ان الأزهر عند الانصاف حق للعالم كله لمن تجرد من العصبية الفاجرة ، وخلا من تقديس المادية الملحدة الجائرة « وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم» « وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » .

ان الأزهر رسالة الحق الذى هو ضالة كل موجود ، وأمل فى بقاع الأرض منشود .

ان طبيعة الوجود الصالح ، لا تقوم الا على الخلق الفاضل ، والدين الخالص الذى

يوفق بالقسطاس المستقيم بين مطالب الروح ومطالب الجسد وغذاء العقل ، والإسلام هو المعيار الصادق لتلك الحقائق ، والأزهر معيار الإسلام .

أنسى الناس أن أهل كل دين يحاولون أن لا تمس شعرة منه بأذى ، وأنهم يرصدون أكبر قسط من أموالهم للتبشير والدعاية ، ويحقرون له أكبر مجهود ، حتى انهم يحاربون الإسلام ويندون بتعاليمه ، ويغمزونه فى زعيمه صلى الله عليه وسلم . فمالكم تناصرون عدوكم المستعمر، فتنضمون الى الصفوف ضد الإسلام؟ . ذلك هو الحمق فى حاقه ، وعبث الأطفال فى صميمه . وصدق الذى يقول :

ما يبلغ الأعـداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ما بالكم تحاولون جاهدين فى اغلاق الأزهر وهو محور سعادتكم ، وموضع الألم فى نفوس أعدائكم ؟ فهل تظنون أنهم يبغضون شيئا وهو شر لكم ؟ لقد ساء اذا ظنكم ، وجهلتم البدهيات من الحقائق :

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

يا قومنا ، ان العدو ليود بجدع الأنف لو رأى الأزهر وأهله حصيدا خامدين ، فهو يعلم أنه لا يستطيع أن ينال من مصر والأزهر كما يريد ما دام هذا القرآن قائما ، وما دام هذا الدين فى الأزهر جاثما « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة » .

يا لشماتة العدو ، ويا لفرحة الصهيونية ، اذا تحققت أغراضها فى هاته الجامعة الكريمة ، وفى هذا الأسد الرابض فى العرين ، والليث الذائد فى الزبية عن هذه الأمة .

أيها الناس ، ان هذا التراث مجد مصر ، ومجد الشرق ، فلا تعجلوا بازالته ، ولا تقولوا اننا نريد اصلاحه ، فان اصلاحه ليس فى ضمه الى المدارس ، بل ان اصلاح المدارس فى ضمها اليه ، ليأخذوا من مناهل هـذا المجد الشامخ ، والعلم النافع ، والأدب المهذب المصالح .

ويا ليت شعرى من لحل المشاكل ، واجابة كل سائل ، واغاثة كل لهفان حائر ، اذا فرطتم فى هذا الدين ورجاله ؟ ومن يدعو الى الخير ، ومن يأمر بالمعروف وينهى عن

المنكر ، وهى سعادة البشر وفلاح الأمم ؟ « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

ما لكم لا تصغون الى رأى الأمة فى هذه الجزئية ، بل الى شعوب العالم الإسلامى ، وما لكم لا تتعرفون رغبتها ؟ . انكم تعلمون أنهم يفتقدون الأزهر بأعز ما لديهم ، لأنه غذاء أرواحهم ومعقد آمالهم .

ان الأزهر لا يستعصى على الإصلاح ، لأنه ـ فى الواقع ـ يتجدد كل يوم فى حدود امكانياته و بما يحفظ هذا الدين ، ولا يستطيع أحد أن يقول انه اليوم كما كان فى عهود الباجورى والامبابى والمهدى وغيرهم من الشيوخ السابقين ، بل انه كل يوم يتجدد بما يساير العصر ، مع المحافظة على تقاليد الدين والمجد ، والدين شىء لا يتخلف أبدا ، ولكنه يساير كل تقدم .

ان الأزهر ليتجدد فى كل مظاهره : فى أماكنه ، وفى كتبه ، وفى مناهجه ، وفى معارفه ، وفى عدده . ولعل فيه من معامل الطبيعة ، ومن أدوات الرسم ، ومن خرط الجغرافيا والتاريخ ، ومن النفيس والتافه مما تتطلبه حاجة العصر ، ما لا يوجد فى كثير غيره من معاهد التعليم ، ناهيك بالمكتبات وما تحويه من جميع الفنون فى كل قديم وحديث .

ان المناهج لتتجدد فيه ، وترحب بالنقد والمناقشة . وتستقبل كل جديد من الآراء . ولعلك أيها القارئ الكريم ترى مجلة الأزهر ، فتوازن بينها و بين كل أمثالها فى الأقطار ، وتستشرف الى بحوثها الممتعة الماجدة المهذبة القيمة .

أيها الناس ، لا تتهموا الأزهر بأنه يدعى لنفسه عصمة دينية أو غير دينية تجعله فوق الإصلاح كما تزعمون ، ولكنه يخشى أن تضحوا بأشمط عنوان السجود به ، فيضطرب حبل التماسك الإنسانى ، و ينفرط عقد الإخاء الإسلامى ، و يعود الناس كما كانوا على شفا حفرة من النار ، لا ينقذهم منها الا الدين وما يأمر به ، والأزهر وما يضم من كنوزه . اللهم اغفر لقومى فأنهم لا يعلمون ما

محمود النواوى

توحيد التعليم

بيان من جبهة علماء الأزهر

نشرت بعض المجلات والصحف أنباء مثيرة حول توحيد التعليم ، وكلمات لبعض الكتاب مؤيدة وأخرى رافضة . وجبهة العلماء ترى أن التفكير فى هذا الموضوع مدعاة للشر، وعامل من عوامل الفساد والإثم . وأى إثم أكبر من هدم الأزهر والقضاء على علوم الدين ، وروح الإسلام فى مصر والبلاد الإسلامية . قال الله تعالى مخاطبا الأمة المحمدية :

«فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» .

فقد فرض سبحانه وتعالى على الأمة أن تكون منها طائفة تتعلم شرع الله من علمائه والمختصين به ، لتبلغه للعامة إصلاحا للمجتمع ، وتطهيرا له من الفواحش والمنكرات .

وقد كان الأزهر فى مصر - ولا يزال - مضطلعا بهذه الفريضة ، به صفوة علماء الإسلام ، وأفئدة الناس تهوى إليه من كل مصر وقطر ، يتفقهون فى دين الله ويتعلمون لغة كتابه وسنة رسوله ، ثم يعودون الى بلادهم نجوما هادين ، ورسلا إلى الخير داعين ، فدام للاسلام نوره المنشود ورواقه الممدود ، ووقف عليه من أجل ذلك أهل الغنى والتقى النفيس من الضياع والرباع ، ورصدت له الحكومات المتعاقبة الأموال فى الميزانيات المتتابعة ، وجاء فى القانون المنظم له سنة ١٩٣٦ فى مادته الأولى : أن الغرض من الجامع الأزهر هو تعليم الدين أصوله وفروعه وتعليم اللغة العربية . وإنما يراد بالدين الإسلامى عقائده وأخلاقه وعباداته ومعاملاته المالية والشخصية والعقوبات على الجنايات الخ ، ويراد بعلومه مايؤهل لمعرفة هذه الأحكام من التفسير والحديث وعلومه وأصول التشريع وفلسفته والفلسفة الكونية والتاريخ الاسلامى الخ . فمهمة الأزهر دراسة هذا كله وتدريسه فى إتقان وتفرغ ، ضاما إليه ما لا بد منه من العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية . ومهمته كذلك تخريج علماء قادرين على البحث والاستنباط فى الشرع الإسلامى واللغة العربية .

دعا كل هذا إلى تنظيم الجامع الأزهر بوضعه القائم عليه الآن ، فكان لابد لمن يقبل فى معاهده أن يكون حافظا لكتاب الله ، ليتيسر فهمه وأداؤه وتقويم الألسنة بأسلوبه ، وليتحقق التواتر فى روايته الذى هو ركن أساسى فيه ، إذ لو انقطع التواتر — والعياذ بالله — لدخل على القرآن التحريف والتبديل . وكان لابد كذلك من إنشاء المعاهد الدينية بوضعها الحالى : ليتيسر فيها دراسة علوم الدين واللغة والتاريخ الإسلامى دراسة شاملة تكون الثقافة الضرورية للشخص المسلم ، وتؤهله للدراسات العالية فى كليات الأزهر ، ولا يستطيع عاقل أن يقول : إن الثقافة المدرسية فى مدارس وزارة التربية والتعليم تؤدى عشر معشار ما تؤديه المعاهد الدينية واللغوية .

فمن الخطأ الشنيع بل الفساد الكبير الإقدام على المساس بأى حلقة من هذا النظام ، لأنه وليد ضرورة إسلامية ملحة ، وتجربة طويلة مبصرة ، ومجهود أفكار مخلصة ، عملت للاسلام وجاهدت فى سبيله . ونحن الآن — فى هذا العهد المبارك — نتطلع لأن يجعل قادته الأزهر مفخرة من مفاخر مصر التى تسدى الخير للعالم الإسلامى كله . نريد أن ينظر اليه على أنه الحصن العالى الذى يأرز اليه الإسلام ، فيصونه من عبث العابثين وإبطال المبطلين .

وإن نفوسنا لتذوب أسفا من هذه الأفكار الهدامة المنادية بإلغاء المعاهد الدينية ، وتوحيد التعليم ، إنهم يعتلون لذلك بتوحيد الثقافة فى مصر ، وإنها لسفسطة لا يراد بها وجه الله ، فليست ثقافة الأزهر ثقافة شيوعية أو يهودية ، إنما هى ثقافة إسلامية عصرية متحدة تماما مع الثقافة العامة فى الدين والاجتماع واللغة وعلوم الطبيعة والرياضة . وكل ماهنالك أن علوم الدين واللغة حظيت بالمزيد فى المعاهد الدينية للضرورة التى أسلفناها ، ولو كان هناك إنصاف لوجب أن تتوسع الثقافة المدرسية فى العلوم الدينية واللغوية حتى نقضى على الإلحاد المنتشر بين طلاب الجامعة وحتى نمحو العجمة اللسانية التى عمت أكثر خريجى الجامعات .

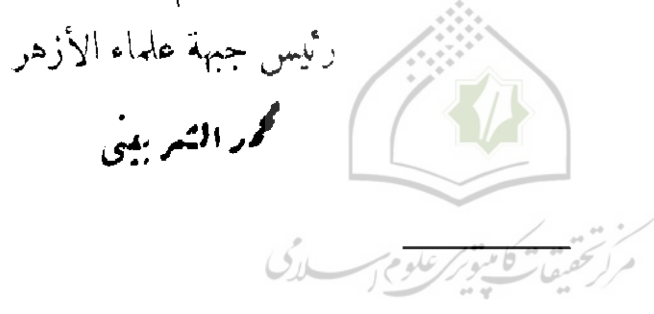
إن طلاب المدارس بعد خمس سنوات من دخولهم القسم الإعدادى يوزعون على الشعبة العلمية والشعبة الأدبية ، ثم فى الجامعة يذهب الطلاب من كل شعبة الى كليات مختلفة ، فهل تسمى وزارة التربية والتعليم مثل هذا تعددا فى الثقافة ، أم هو التخصص الذى لا بد منه لتمكن إيجاد المهندس البارع والطبيب النطاسى ... الخ .

إن التعليم فى الأزهر لا يمكن أن يقال عنه إنه تعدد فى الثقافة ، بل هو وحدة بأوله ، واختصاص بعلوم الإسلام واللغة العربية بآخره . ثم إن إشراف الجامع الأزهر على هذا التعليم الدينى ضرورى لا معدى عنه ، لأنه أتقنه وتفرغ له وأخلص فيه وعرف حدوده وواجباته ، ولو قدر الإشراف عليه لوزارة التربية أو الجامعات لأصبح هذا التعليم الدينى فى مهب الأفكار ومعترك الاقتراحات ، ولانماع ثم فنى ، ولكان أول خطورة فى سبيل هذا التوحيد ضياع القرآن الكريم !!.

أيها الرئيس . أيها القادة :

نحن نقدر إخلاصكم للأزهر ، وحرصكم على علوم الإسلام ، ونعرف — مع ذلك — أن فى البلاد قوما يتربصون الدوائر بهذا الصرح الإسلامى الشامخ ، وهذا المجهود الإسلامى الضخم ، وهذه المنارة العالية ، فنناشدكم الله ألا تسمعوا لهذه الآراء المنحرفة ، وأن تمكنوا الأزهر من المضى فى أداء مهمته ، فأن فى بقائه بقاء الإسلام ومجد مصر ما

رئيس جبهة علماء الأزهر



محمد الشربينى

العصابة المفتونة

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا	وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واخشع مليا ، واقض حق أئمة	طلعوا به زهرا ، وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالة	وأعز سلطانا ، وأفخم مظهرا
من كل بحر فى الشريعة زاخر	ويريكه الخلق العظيم غضنفرا
لا تحذ حذو عصابة مفتونة	يجدون كل قديم شىء منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا	من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ماض فى القديم وهدمه	وإذا تقدم للبناية قصرا

شوقى

انه مجد مصر والمسلمين

فماذا تريد به يا دكتور ؟ ؟

لقد كان لتحريض الدكتور طه حسين للحكومة على اتخاذ ماسماه « الخطوة الثانية » وذلك بأدماج التعليم الأزهرى فى وزارة التربية والتعليم والقضاء على الدراسة الإسلامية العربية التى يمتاز بها الأزهر، أقول : كان لهذا التحريض أثره السيئ فى النفوس فى مصر وفى خارج مصر ، فأن دعوة الدكتور هذه إنما هى دعوة للقضاء على الأزهر وعلى أمجاد مصر والعالم الإسلامى، فما الأزهر إلا قطعة حية من تاريخ مصر والعالم الإسلامى، أوهو على الأصح صانع هذا التاريخ ، ظل ينبثق منه نور العلم بعد أن خفتت كل مصادره ، وعاصر قيام كل حركة دينية أو وطنية ، أو كان على الأصح باعثها وموقظها .

و إذا أراد أحد أن يعرف ذلك عن يقين فليبحث عن مصدر العلم فى مصر قبل إنشاء الجامعة ، وليبحث عن مصدره كذلك فى العالم الإسلامى قبل أن تنشأ دور العلم الحديثة فيه ، لقد كان كل خيط فى أية رقعة من العالم الإسلامى يمتد حتى يتصل بمصر و بالأزهر الخالد ، حتى كسبت مصر به مكان الزعامة فى العالم الإسلامى ، وأصبح كثير من البلدان الإسلامية لا يعرف مصر إلا إذا قلت له : هى التى فيها الأزهر .. فينفتح قلبه لها و يحن إليها ، وفى كتابة الأستاذ على أمين عن زيارته للمسلمين فى روسيا ما يعطيك فكرة عن هذه الروح ... فقد سأل المسلمين هناك عما يريدونه من مصر ، فقالوا له : سلم لنا على الشيخ تاج شيخ الأزهر والشيخ الباقورى .. وقد قرأت للشيخ التفتازانى ـ وهو يكتب « بالأهرام » عن رحلته فى شرق أوربا ـ أن بعض المسلمين سأله عن وطنه : فقال لهم : مصر : فلم يعرفوا مصر .. فقال لهم : مصر التى فيها الأزهر .. ففرحوا ، واحتفوا به ، لأنهم يعرفون الأزهر و يحبونه ولا يعرفون مصر ...

فهذه القمة من المجد التى يقف عليها الأزهر بعد مئات من السنين قضاها فى المحافظة على الإسلام ولغة القرآن تمتد الآن محاولة عابثة لهدمها ، وهذه الزعامة التى تبوأتها مصر بفضله يراد القضاء عليها . فماذا يبقى لمصر فى العالم الإسلامى ؟ وهل يتفق هذا مع وثبتها

الجديدة ورغبة قوادها الأبطال فى تمكين الروابط بينهم و بين العالم الإسلامى، بعد أن ظهرت لهم نيات الغرب الخبيثة فى التهام وطنهم والوطن الإسلامى كله ؟ .

إذا كنا نريد القضاء على المعاهد ونجعل التعليم كله على نسق وزارة التربية والتعليم ، فهل نجد حينئذ من يحفظ القرآن و يقبل على دراسته ودراسة شريعته الخالدة ؟ .

و إذا كان العلماء الذين أنفقوا حياتهم فى تعلم اللغة وفهم أسرار القرآن لم يصلوا بعد الى بغيتهم فى خدمة القرآن والكشف عن أسراره ، فهل يظن أن سنتين أو أربعا يقضيها الإنسان فى دراسة القرآن ولغته وشريعته كافية لأن يصل الى ذلك ؟ .

إنها إذن الحملة المدبرة تحت اسم توحيد التعليم للقضاء على الدراسات الإسلامية الأصيلة التى امتاز بها الأزهر ، وامتازت بها مصر فى العالم الإسلامى ... ومع ذلك فأنى لا أفهم معنى توحيد التعليم الذى يقصدونه ؟ ؟ ان فى وزارة التربية أنواعا مختلفة من التعليم بعد المرحلة الابتدائية ، فعندها التعليم التجارى والصناعى والزراعى المتوسط فوق التعليم العلمى البحت فى المدارس الثانوية . فلماذا لا يلغون كل هذا و يوحدون التعليم ؟ ؟ . أو أن العيب فقط أن يكون هناك تعليم دينى يبدأ مع الطالب بحفظ كتاب الله من صغره . . . ؟ على أنى أحب أن يكون مفهوما أن الطالب حين يدخل الأزهر يكون فوق مستوى حامل الشهادة الابتدائية من المدارس مع امتيازه بحفظ القرآن، فلا مجال اذن للقول بتوحيد المرحلة الابتدائية لأنها فعلا شبه موحدة . . فأى شىء اذن يأخذونه على الأزهر اذا اختص بالتوسع فى دراسة الدين واللغة، كما تتوسع أنواع التعليم الفنى : الزراعى أو الصناعى أو التجارى : كل فى ناحيته ؟ ؟

ومن عجب أن الدكتور طه حسين نفسه أقام الدنيا وأقعدها حينما علم وهو فى أوربا أن هناك نية فى الوزارة لإلغاء قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وهو قسم حديث لم يبلغ عمره ربع قرن . . . ودافع عنه الدكتور دفاع المستميت ، وأخذ يرسل المقالات من أوربا يحمل حملة عنيفة على الذين فكروا فى ذلك . . متلمسا الأعذار المختلفة لعدم إلغاء هذا القسم ، فكيف يستساغ منه إذن أن يحمل هو نفسه معول الهدم لأقدم جامعة علمية فى العالم ؟ ولمصلحة من يحمل الدكتور معوله ؟ إنه ليس فى مصلحة مصر مطلقا . . فالمصريون ـ وقادة الثورة فى مقدمتهم ـ يعلمون مقدار ما تحتله مصر فى قلوب المسلمين لأنها موطن الأزهر ، وليس من مصلحة مصر أن تبدد هذه الثروة من حب المسلمين لها فى هذا الوقت بالذات الذى يتحفز فيه الغرب لأضعاف مصر والقضاء على نفوذها

ومكانتها فى الشرق والغرب، كما تحدثت بذلك صحفهم دون حياء . . نعم إن مصر الآن فى مفترق الطرق ، وقادتها يخطون لها سياسة جديدة تقوم على التعاون والتكافل مع الشرق والمسلمين جميعا ، حتى تتحرر من نفوذ الغرب وسيطرته ، ومن أجل هذا حنق الغرب وثار ساسته وهاجت صحفه ، تدعو إلى القضاء على هذه الخطوة الجريئة، والسياسة الجديدة التى تنتهجها مصر . . . لتعيد فرض وصايتها عليها . . . فهل كان من اللياقة واللباقة - يا دكتور - أن تثير هذه الزوبعة الآن ، وتدخل فى روع المسلمين أن جامعتهم الكبرى مهددة بالفناء فى هذا العهد المبارك الذى يعمل على تكتيل القوى الإسلامية وجمع القلوب المؤمنة حول مصر وسياستها الرشيدة .

إن مجرد إثارة هذا الموضوع فى هذه الفترة الحساسة من تاريخ مصر الثورة خطيئة فى حق مصر لا تغتفر ، وخطيئة فى حق الركب الإسلامى الآخذ فى التكتل والتجمع ، وتفريق للجهود المبذولة فى هذا السبيل، ومحاولة لإثارة الظنون السيئة حول القائمين بالأمر، وهم أبعد الناس عن مثل هذه الظنون، ولا أدرى كيف سمح له بهذا كله ، ولمصلحة من ؟ !

إن الذى سيستفيد من هذه الخطوة الهدامة التى دعا إليها الدكتور ، والتى بلبلت الأفكار وسممتها، إنما هم المستعمرون وطليعتهم من المبشرين ، ولا أريد أن أسيء الظن بالدكتور فأقول : بلغنا من سوء النية والتدبير - إلى الحد الذى نقدم فيه هذه المأثرة الجليلة للمستعمرين والمبشرين ! ! !

إن جهودهم فى الشرق - من يوم أن وطئت أقدامهم الملعونة أرض هذا الشرق الطيبة - تركزت كلها حول هدف واحد، هو القضاء على معنوياتنا ومصادر قوتنا الروحية حتى يتمكنوا من رقابنا بكل سهولة .

ولقد جاءوا إلى الشرق بروحهم الصليبية ، لينتقموا من هزيمتهم واندحارهم أمام صلاح الدين وغيره من قواد المسلمين ، حتى أنهم لم يستطيعوا - برغم لباقتهم - أن يخفوا هذه الروح السيئة الانتقامية ، فوقف قائدهم « اللنبى » يوم أن انتصر على الأتراك ودخل القدس يقول : الآن انتهت الحروب الصليبية ، وأرسل رئيس الوزارة البريطانية « لويد چورج » برقية إليه يهنئه بانتصار الحروب الصليبية، ويذهب قائد آخر إلى قبر البطل « صلاح الدين » بعد أن دخل الشام يقول : نحن هنا يا صلاح الدين ! ! فما معنى هذا كله عندك يا دكتور ، وأنت سيد العارفين الفاهمين ؟ ؟ ! !

لقد لمس المستعمرون وطلائعهم من المبشرين أن الأزهر ـ وهو القائم على حفظ القرآن ولغته وشريعته الخالدة ـ يبعثر جهودهم ، ويبدد آمالهم ، ويقف أمام أهدافهم أينما يذهبون ، فكانوا يعلنون مضطرين بعد أن يبلغ الإفلاس منهم مبلغه : أنه ما دام القرآن والأزهر القائم عليه فلن يبلغوا ما يريدون من تمكين أقدامهم فى الشرق .

ولعل الدكتور يعلم أمر هذا المؤتمر الذى عقده المبشرون فى أول هذا القرن ، والذى تمخض فولد الجامعة الأمريكية فى مصر . . لقد قرر المؤتمرون أن الأزهر يعتبر أهم عائق فى وجه التبشير ، وبالتالى فى وجه الاستعمار فى مصر والعالم الإسلامى . وإذن فلا بد من مؤسسة علمية ثابتة يبثون فيها أفكارهم ، ويطبعون جيلا من المسلمين بطابعهم ، حتى يقف هذا الجيل أمام الثقافة الإسلامية ويشكك فيها ، وحينئذ يبلغون ما يريدون .

ولعل الدكتور يذكر بجانب هـذا أن مؤتمر المبشرين الذى عقد بالقدس حوالى سنة ١٩٢٧ ، تحدث عن أثر التبشير فى المسلمين ، وحينما وقف أحدهم وأعلن إفلاسهم نظرا لضآلة الذين تنصروا من المسلمين هب « زويمر » يدافع عن جهودهم ، ويعلن لهم أنهم ـ وإن لم يبلغوا ما يريدون من تنصير عدد كبير من المسلمين ـ قد بلغوا ما يريدون من تشكيك كثير منهم فى دينهم وشريعتهم . وهـذا عندهم يوازى النفقات الضخمة التى بذلت للتبشير .

فهى حملة إذن على الإسلام وعلى المسلمين يعرفها كل مسلم بصير ويدركها ، ولا بد للمسلمين من أن يتسلحوا ويستعدوا لها . فهل من حسن التسلح والاستعداد لمقابلة هؤلاء الباغين أن نقضى على الأزهر وعلى الدراسات الإسلامية التى امتاز بها . . . وكيف ، وهذه أمنيتهم ؟؟ .

* * *

إنى لا زلت أذكر ما قاله السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى إحدى المناسبات من أن الاستعمار كان يركز هجومه على ناحيتين : الأزهر ، والجيش ، حتى يقضى على القوة الروحية والقوة المادية فى البلاد ، ويقطع الصلة بين مصر والعالم الإسلامى عن طريق القضاء على الأزهر ، فما بال الدكتور يسارع فى الخيرات يقدمها ، لا لمصر ولا للعالم الإسلامى ، ولكن للمستعمرين وطلائعهم من المبشرين ! .

و إلا فهل يغيب عنك ـ وأنت واسع الاطلاع والتفكير ـ أنك بدعوتك هذه تسبقهم الى ما يريدون من شر وكيد بمصر والشرق .

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

* * *

إننا لا نلق القول جزافا حين نقول : إن الكيد للأزهر هو كيد للمسلمين فى جميع بقاع الأرض ، اذ أن الأزهر معقد آمالهم ، ومن منبعه يستقون التوجيه الروحى ، والوعى العلمى . ونظرة واحدة الى الطلاب الوافدين عليه من جميع أنحاء العالم الإسلامى تجعلك مؤمنا بما نقول .

وهذه هى احصائية شبه رسمية عن الطلاب الوافدين على الأزهر من خارج مصر .

٣٥٠٠ طالب من السودان .

٥٤٨ طالبا من سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن .

٣٣٦ « من الحبشة وأريتريا والصومال .

٣٢٢ « من تونس والجزائر ومراكش وليبيا .

٨٣ « من ساحل الذهب وساحل العاج والسودان الفرنسى والسنغال ونيجريا .

٥٢ « من تركيا ويوغسلافيا وألبانيا وتركستان وروسيا . وواحد من هولندا .

٦٧ « من أندونيسيا وسومطرة والفلبين وبورما .

٢٣ « من جنوب أفريقيا وأوغندا ومدغشقر .

٢٠ « من العراق والأكراد والكويت .

٩ طلاب من الحجاز والبحرين والرياض .

٢٩ طالبا من اليمن والمحميات وعدن .

٣٧ « من الأفغان والهند وباكستان وسيلان .

٤ طلاب من الصين .

٢٤ طالبا من أواسط افريقيا (بحيرة تشاد) .

ومجموع هؤلاء الطلاب أكثر من خمسة آلاف طالب من مختلف البلاد كما رأيت ، يتعلمون فى الأزهر ويعودون الى بلادهم رسلا صادقة يدينون للأزهر ولمصر بالفضل ، ويظلون متعلقين بمنبع ثقافتهم وريهم العلمى ، فأية جامعة فى مصر والعالم الإسلامى كله كالأزهر يتخذ مركز الصدارة والإشعاع العلمى هكذا منذ أكثر من ألف عام .

* * *

وهناك ناحية هامة أخرى تدل على ما يؤمله المسلمون فى الأزهر ، فأدارته تتلقى من جميع أنحاء العالم الإسلامى كثيرا من الرسائل التى يطلب فيها مرسلوها إيفاد علماء لهم لتعليمهم الدين واللغة العربية ، وقد استطاع الأزهر أن يلبى كثيرا من هذه الرجاوات فأرسل رجاله للمملكة السعودية والكويت والعراق وسوريا ولبنان وليبيا والسودان والملايو والصومال وأريتريا عدا المركزين الثقافيين فى لندن وواشنطن، وتعد الآن بعثات إلى الهند والفلبين وأندونسيا ونيجريا والسنغال والفلبين وجنوب أفريقيا .

فأى مجد لمصر كهذا المجد ، وأى فخار تكسبه دولة كهذا الفخار الذى كسبته وتكسبه مصر عن طريق الأزهر ؟؟ ومع ذلك تسلط عليه معولك - يادكتور - لتقضى عليه ! ؟ ياللهول ! ! ويا لخسارة ! .

وإن الأزهر الذى أمد مصر موطنه بالعلم مئات السنين لهو الذى يمدها الآن بالآلاف من أبنائه فى كل وزارة ومصلحة ومدينة وقرية ، ومنهم يستمد كل انسان فى مصر ثقافته ومعلوماته الدينية ، ولهم الفضل فى الوقوف أمام تيار الغرب الأباحى الإلحادى ، يحدون منه ، ويكسرون من شرته ، ولولاهم لما بقى لمصر هذه البقية من الدين والتقاليد الصالحة . ولعل هذا هو سر الحملة على الأزهر كما قدمنا ، ولكن فليلقوا . فهو فى حراسة الله والصالحين من المسلمين .

ومن عجب أن الدكتور طه يعلن فى غير مواربة أن الأزهريين لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، وينتقص بذلك من مكانتهم العلمية أمام العالم الإسلامى كله ، وقد نسى أنه - وهو وزير - قد عين الآلاف من علماء الأزهر فى وزارة المعارف ، وشهد لهم بالجدارة العلمية والتفوق ، فهل استعان بهم الدكتور فى التعليم الابتدائى والثانوى ، وشهد لهم بذلك وهم ناقصو الثقافة لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ولا يعلمون كما يعلم الناس ؟ ! ! إنهم فى كل مدرسة ومعهد فى أنحاء مصر مثل صادقة فى الجد والتفوق العلمى والخلق . فهل وصلوا إلى ذلك فى أوساطهم العلمية وهم لم يتعلموا كما يتعلم الناس ؟ ! .

إنى أعرف أزهريين فى وزارات الداخلية والأشغال والزراعة والشئون والدفاع والإرشاد ، يتمتعون بثقة رؤسائهم وتقديرهم لكفاياتهم ، فهل احتلوا هذه المكانة بين زملائهم الجامعيين عفوا وهم لم يتعلموا كما يتعلم الناس ؟ ! .

إنى - والله - لفى غاية الأسى أن يلقى الجهد والعرق الذى يبذله الأزهريون من شبابهم

وتلق ثقافتهم الدينيـــة العربية الممتـازة ـ وهى الثقافة القومية الأصيلة بحق ـ هذا الجحود والنـكران ! .

إننى والله لفى غاية الأسى ـ ويشاركنى فى ذلك الملايين من المسلمين فى مصر وخارج مصر ـ أن يضطر الأزهر للدفاع عن وجوده ـ وهو العملاق الحى الذى أبقى لمصر حيويتها عبر القرون المـاضية ـ فى الوقت الذى ينتظر فيه أن يمكن له فى أداء رسالته فى سبيل مصر والعروبة والإسلام .

وماذا أقول ـ وقد طال القول ـ ألم يكن هناك فى المجتمع المصرى ما يستحق أن يوجه الدكتور طه اليه جهوده الاصلاحية . . أين موقفه من الإباحية والإلحـاد فى الجامعة ؟ ولمـاذا سكت عن ذلك كله مع أنه طولب بالكلام ؟ ولمـاذا لم يحمل على الميوعة والخلاعة والتخنث فى مجتمعاتنا حتى نطهرها من عوامل الانحلال ونعدها لدور القوة والعزة ، لنبلغ ما نريد كأمة حية . . أو أن ذلك شىء لا يتفق وفـكرة الدكتور من أن مصر يجب أن تساير الغرب فى كل شىء . . حتى فى مجونها وخلاعتها ورقصاتها ! ! وإلا كانت متأخرة كالأزهريين ؟ ؟ وماذا أقول ، أأقول كما يقول بعض الناس :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولـكنه ضحـــك كالبكا ؟

لا ! . إننى أريد أن أقول : إذا كان أبو الطيب قد دمغ مصر بهذا البيت من الشعر ، وظل المتألمون يرددونه كلما نزفت نفوسهم بالآلام ، فأنى أعتقد أن فجر عهد جديد قد طلع ، وأن المقاييس التى كانت تتغلب علينا سابقا يجب أن نتغلب عليها الآن وننشئ بدلها مقاييس أخرى من التفاؤل والجد والعزم . وفى مصر الآن رجال يحاولون ما وسعهم الجهد أن يخلقوا مصر خلقا جديدا ، وأن يمكنوا لها فى الأرض ، ويقووا ما بينها وبين الأمم الإسلامية من روابط ، وهم مدركون ما كان يدبره الاستعمار للقضاء على الجيش وعلى الأزهر ، والجيش الآن يأخذ مكانه فى الميدان قويا عتيدا ، يعتز به كل مصرى وعربى ومسلم ، ولا بد أن الأزهر سيأخـذ من عناية هؤلاء الرجال المخلصين العاملين ما أخذه الجيش . . حتى تقف مصر بقوتها الروحيـة والمـادية أمام سطوات الغرب ونزوات إسرائيل ، تستعيد مجدها وترد للعالم الإسلامى اعتباره .

تلك هى آمالى برغم هذه الفقاعات . . والله هو الحافظ والمعين ؟

عبد المنعم النمر

خصوم الأزهر

لو لم يكن الأزهر فى مصر قبل اليوم لوجب عليها فى مطلع نهضتها الحاضرة ، ووجب على أولى الرأى فيها « ومنهم الدكتور طه حسين » أن ينادوا جميعا بضرورة وجود الأزهر لنا وللمسلمين .

فإذا كانت مصر سبقت إلى أنشاء هذا المعهد واحتضانه منذ القدم ، وسبقت بفضله الى مكان الزعامة بين شعوب الشرق ، وأصبح الأزهر فيها شريانا رئيسيا تنبض فيه الحياة الروحية ، وتنبعث منه فى الأقطار الإسلامية ، حتى صارت كتلة متجانسة ، وتعاطفت بالأخاء فى العروبة وبالصلة الثقافيـة ، وبالتعارف والتودد من طريق الأزهر وفى ظله ورحابه ، وفى ضوئه هنا واشعاعه هناك . أذا كانت مصر ـ بفضل أزهرها ـ بالغة مابلغت من المجد غير مزاحمة فيه ، ومن اليقظة والنهوض والمعرفـة غير منكور عليها ذلك ، فمنذا الذى يضيق بالأزهر الآن أو يخاصمه فى جهرة من العداء ، والحاح فى العدوان عليه . واسراف فى الغض من رسالته ، والتهوين من شأنه على غرة ، ولغير مناسبة !؟ .

لم يكن الأزهر بحاجة الى التعريف ، ولم تكن رسالة الأزهر غائبة عن مدارك المنصفين وغير المنصفين ، ولكن الخصومة الشخصية تذهب بالروية ، وتدفع الى التحيف ، وتستبيح ما لا يبـاح .

* * *

كانت مكة والمدينة مبعث الدعوة الاسلاميـة ، والمشرق الأول للحضارة التى هتف بها القرآن ، ثم كان الأزهر بعدهما مذياعا جهيرا لدعوة الإسلام ، تصاعدت فوق مآذنه صيحات الهداية الى الدين والخلق ، وانبثقت من منافذه اشراقـة الإصلاح على مارسم الله لعباده ، فكان للأزهر نصيب راجح فى التوجيه ، حتى أصبح الشرق وضاء بمعارفه ورشده : فى السياسة ، والحكم ، والتعمير ، يوم كان الغرب قاتم الجنبات ، عابس الأفق .

والازهر القديم سبق النظم الحديثة ، ففتح أبوابه لكل قاصد ، واتسع لمن ينطق بالعربية أو بالعجمى ، وهرع اليه من أبناء البيوتات من عرفوا أن المجد لايقوم على غير العلم ولا يتم الا بالثقافة ، وآوى اليه من الفقراء من قست عليهم الأيام ، وجنح اليه كثير من ذوى العاهات المؤفين

الذين لولا الازهر لظلوا رابضين فى قراهم، والذين لا يتسع لهم التعليم المدنى حتى اليوم، ومع كثرة أنصاره والدعاة اليه .

والأزهر القديم لم يغفل عن مجاراة النهضات ، بل كان مثار الدعوة الوطنية طوال حياته ، وكان آخذا بنصيبه من الثقافات الحديثة، ومع أن الاستعمار حاربه فى غير هوادة، وضيق عليه السبل ، ووقف فى وجه أبنائه ، وصورهم فى صورة المتخلفين عن الركب المنقطعين عن مجاراة الثقافة فى تطورها ، وعن مواصلة النشاط الأدبى فى آفاقه ، فقد برهن الأزهر فى كل مواقفه العلمية على براءته من شوائبهم المختلقة ، وزاحم فى المجتمع الجديد بنشاطه وتفوقه .

* * *

ولو أن الأزهر عكف على الدراسات الدينية والعربية وحدهما ، ولم يأخذ بالعلوم المدنية التى أخذ بها، لكان تخصصه فى الدين واللغة كافيا له فى المضمار العلمى، وكان حسبه أن يتكفل بالتهذيب الدينى ، وحراسته للآداب والعقيدة ، ومقاومته للنزعات المنحرفة والمبادئ الهدامة ، والتحلل من التقاليد التى تحفظ لمصر كيانها الأدبى ، ولم يكن الأزهر يعاب فى هذا عند من يقدرون رسالته ، و يقدرون مصلحة الأمة فى التوجيه إلى دينها ، دون أن يشغل الأزهر نفسه بالدراسة المدنية .

ولكن الأزهر لم يعكف على دراسته الأولى ، بل أفسح صدره للكثير من المواد ولكثير من النشاط العلمى والرياضى وسواهما مما تقوم عليه المدارس ، وهو مع ذلك جاد فى دعوته الدينية غاية الجد ، لم يشغله عنها شاغل ، ولكن أناسا ما يغالطون فى الواقع ، وينسون أن الأزهر دخل يوما فى مسابقة أدبية مع الجامعة ودار العلوم ، فأخفقت الجامعة ، ونجحت دار العلوم ، وتفوق الأزهر إلى مرتبة الأولية بامتياز .

يعلمون هذا كله ، و يتناسونه ، و يصيحون بالأزهر أن يحاكى القساوسة فى أوربا ، ليكون عالمه طبيبا ، أو مهندسا ، أو نحوهما . وهذه شهوة خيالية يراد من ذكرها مجرد الخدش والانتقاص، فليس هناك طبيب حاذق يمكنه أن يكون عالما إسلاميا متخصصا ، وليس هناك عالم يمكنه أن يهضم الهندسة أو غيرها مع الإلمام بالدراسة الإسلامية على النحو المطلوب منه ، وأصحاب هذا الرأى يشذون عن سياسة التعليم العالى وما يقضى به من التفرغ لما يستطيعونه .

فضلا عن أن مصر والمسلمين بحاجة إلى علم العالم ، وهندسة المهندس ، وطب

الطبيب ، وليس هناك من يعيب المهندس أو الطبيب إذا لم يكن عالما إسلاميا ، فكيف يعيب أولئك الدعاة على عالم الأزهر ألا يكون طبيبا أو مهندسا ؟ ! .

أليست هذه الدعوة فكرة فجة ، أو هي مغالطة مقصودة ، وخصومة جامحة ؟

صاحب هذه الدعوة أديب كبير ووزير سابق ، وله مواقف عدة يشهد الناس ببعضها ، ويشهدون على بعضها . ومن سوابقه الحميدة أنه ابتدع مجانية التعليم المدنى ليقاوم الجهل فى محيط الأمة .

فهل يتفق مع تعميم التعليم أن ينادى بأغلاق الأزهر وطمس التعليم الدينى ؟ ؟

وهل هو حفيظ على مجد مصر إذا سعى فى إغلاق الأزهر ، وقطع هذا العصب الذى يكبح الامة عن الجموح وعن مطاوعة الغواية ؟ ؟

وهل يغيب عن دكتورنا أن هـذه دعاية إلى هجـر القـرآن والرجوع بالأمة الى الوراء ، وصرفها الى الحياة المادية التى تذهب بكل معنى من المعانى الروحية ، وتدفع بنا الى مواقف يأباها الطابع المصرى ، ولا تتفق اطلاقا مع أهداف الثورة فى خلق جيل جديد وتكوين مجتمع صالح ؟ ؟

* * *

فى الجامعة نزعة خطيرة يجهر بها بعض الشباب تقليدا للملاحدة الغربيين الذين يطيب لهم أن يغمزوا فى الدين ويتحللوا من تعاليمه وآدابه .

فهل لا يرى دكتورنا أن يصرف عنايته ويسخر قلمه فى كلمة ناصحة لأولئك الفتيان المقلدين ؟ ؟

معقول أن يخاصم الأزهر ويحاربه متعصبون من غير المسلمين ، ومعقول أن يخاصم الأزهر سياسيون مستعمرون ، ومعقول أن يخاصم الأزهر بعض المحسوبين عليه ممن لفظهم الأزهر أو عاقبهم على سوء سلوكهم ! ! !

لأن أولئك وهؤلاء يرون هذا المعهد عقبة شامخة فى سبيلهم ، ويرونه كاشفا لتدبيرهم ، ومقاوما لخداعهم . ولكن غير المعقول وغير المستساغ أن يخاصمه مسلم من المسلمين ، فضلا عن أن يكون مسلما أزهريا فى نشأته وفى معظم ثقافته .

الحق الصراح – يا دكتور طه حسين – أنك خسارة فى هذا العناد . والله يهدينا ويهديك ١٠

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

الأزهر وثورة سنة ١٩١٩

الأزهر الشريف أول مسجد أسس بمدينة القاهرة بعد فتح الدولة الفاطمية لمصر سنة ٣٥٨ هـ — ٩٦٦ م ، و بنائها القاهرة واتخاذها عاصمة لها ، وقد ظل الأزهر طوال أيام حياته معين علم ونور وعرفان ، يشع منه نور الشريعة المطهرة على اختلاف المذاهب فيها ، وتدرس فيه لغة يعرب وقحطان وآدابها ، لحافظ عليها ، و بلغها للأمة جيلا بعد جيل ، وأمد العالم الإسلامى كله بحاجاته الدينية واللغوية ، وهو فى كل ذلك راسخ القواعد شامخ البنيان ، يؤمه الطلاب من كل فج ، ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . وقد لعب فى سياسة العالم الإسلامى أدوارا كثيرة من أخطر الأدوار التى عرفها التاريخ ، سواء كانت الخلافة الإسلامية فى مصر أو فى غيرها ، ولقد كان لأهله الكلمة المسموعة ، والنفوذ التام ، حتى أن بعض علمائه باع أمير زمانه لأنه من المماليك .

وقد كان الأزهر دائما فى الطليعة ، يحمى حمى الأمة ، ويدفع عنها الخطوب ، و يقف دائما فى الصف الأول ذيادا عن كيان الأمة ودفاعا عنها وعن دينها ، حتى كانت تحسب الملوك حسابه . وقد زار الخليفة العثمانى مصر فى زمن الخديوى اسماعيل وحضر مجالسه علماء الأزهر ، فتقدم إليه واحد منهم — فى جرأة الأتقياء وعزة العلماء — ووعظه ونصحه بنصيحة الإسلام ، وتكلم معه كثيرا فى سياسة الأمم والمحافظه عليها وعمل الخير لها ، حتى ظن الخديوى اسماعيل أن الخليفة سيعزله لجرأة العلماء عليه ، ولكن الخليفة كان أحصف رأيا ، وأعز مقاما ، فشكر هذا العالم وشكر العلماء معه . وهكذا كان الأزهر وعلماؤه فى أدوار حياتهم . وقد قام الأزهر بدور سياسى خطير فى زمن الحملة الفرنسية بزعامة شيخ المشايخ إذ ذاك الشيخ عبد الله الشرقاوى رضى الله عنه .

أما ثورة سنة ١٩١٩ فلم تكد تبزغ شمسها على يد رجالات مصر المخلصين حتى خب فيها الأزهر ووضع ، وأغار وأنجد فى سبيل قضية البلاد ورفعة شأنها ودفع كابوس الاستعمار عنها ، لتخلص البلاد لأهلها ، ينتفعون بخيرها ، و يتمتعون بمتعها الجميلة الحسنة ، فكان علماؤه وطلابه يخطبون فى كل واد ، و ينتشرون فى جميع البلاد لينشروا على الناس فضائح

المستعمرين وأكلهم تراث الأمة أكلا لما ، وحبهم لمال البلاد حبا جما ، فكانوا يبتزونه ويحرمون منه أهل الوطن وأصحابه ، ويفرضون على الناس قيودا لا قبل لهم بها ، ويقفون فى وجه كل مصلح ، وكانت المظاهرات تخرج من الأزهر منظمة لتذهب إلى السفارات وتنادى بسقوط المستعمرين ، وتناشد سفراء الدول أن يشرحوا لدولهم مخازى الإنجليز التى كانوا يرتكبونها فى مصر ، وكانوا يقمعون المظاهرات بالقوة الغاشمة ، ويقتلون المتظاهرين البرءاء الذين ينادون برفعة بلادهم وتركها لهم ، وكان تلاميذ المدارس وطلاب المدارس العليا ينضمون إلى أهل الأزهر فى المظاهرات ، وقد قامت الأمة عن بكرة أبيها ــ بفضل الأزهر وإرشاده ــ تتابع زعماءها تحمى ظهورهم ، ليدافعوا عن حقوقها ، أو يستخلصوها من يدى غاصبيها وأنوفهم فى الرغام ، وقد عمل السادة العلماء حفظهم الله منشورا أرسلوا به إلى السفارة الإنكليزية وإلى جميع السفارات ، ونشروه على الأمة فى الصحف والمجلات جاء فيه ما معناه : ان الاستقلال حق من حقوق الأمم لا يصح لأى أمة أن تنتزعه من أمة أخرى ، مهما قل عددها وضعفت مواردها ، وقد خلق الله الأمم أحرارا ، وملكها شأن نفسها ، وجعل التعاهد بينها تعاهد الأنداد الأحرار الذين يعملون لمصلحة بلادهم ورفع مستواها فى الداخل والخارج ، ثم أهاب بالإنجليز أن يعرفوا تلك الحقيقة ، وأن يتركوا البلاد لأربابها يشربون ماءها ويستظلون بسمائها ويستثمرون خيراتها الخ ما جاء فى البيان .

وقد كان لهذا البيان صدى كبير فى جميع دول العالم ، فأقاق بال الإنجليز وأضل أعمالهم ، إذ كان الأزهر وأهلوه حملة مشاعل الوطنية يمشون بها أمام الزعماء وخلفهم ، وكان للأزهر المقام المرموق فى الدول الذى يجعل بيانه فوق كل اعتبار ويحسب له ألف حساب .

وكان الأزهر المعقل الوحيد لخطباء الثورة من الزعماء وغيرهم من جميع النواحى والبلاد ، فكانوا يجتمعون فيه كل ليلة ، ويؤمه الناس من كل صوب ، يستمعون للخطباء وينصتون إليهم فى حرص ، وهم يشرحون مساوئ الانكليز ومخازيهم ، ويبثون كرههم إذ ذاك فى قلوب أبناء الأمة ، إذ كانوا يتحكمون فيهم ويحرمونهم خير بلادهم ، حتى ضاقت الأنجليز ذرعا بالأزهر ، وحاولت بشتى الحيل أن تمنع الاجتماع فى الأزهر ، فخاب أملها وطاش سهمها ، ولم تستطع ذلك رغم ما بذلته فى هذا السبيل من سد أفواه الطرق الموصلة للأزهر والشوارع التى تنتهى إليه ، ولما لم يجدهم ذلك نفعا قصدوا الى نفس الأبواب فأغلقوا بعضها وأبقوا بعضها مفتوحا ، وجعلوا على جميع الأبواب حراسا منهم يمنعون الداخل من الدخول ويتركون الخارج ليخرج ، ولكنهم مع ذلك كانوا يرون الناس منصرفين من

الأزهر بعد سماعهم الخطابة أفواجا أفواجا ، فكان ذلك يغيظهم ويحرق قلوبهم، فأغلقوا جميع الأبواب إلا بابا واحدا وهو الباب الكبير المسمى (باب المزينين) وأجلسوا الحراس منهم أمامه يمنعون الناس من الدخول، ولكنهم نسوا بابا صغيرا لم يكونوا يعرفونه ولا يعرفه أذنابهم، لأنه كان بعيدا عن الأنظار ، إذ كان صغيرا و يوصل إليه من أزقة ضيقة يتصل بعضها ببعض، و يسمى «باب زاوية العميان» أو «باب الجوهرية» لأن به قبر جوهر القنبقانى الذى أنشأ مدرسة رواق الجوهرية فى أوائل القرن التاسع الهجرى ودفن بها سنة ٨٤٤هـ، فسمى الباب باب الجوهرية لذلك ، ولما كان بجوار زاوية كانت للعميان اشتهر بباب زاوية العميان ، فكان الطلبة الأزهريون يقفون عند أبواب الأزهر الأخرى المغلقة و يرشدون الذين يؤمون الأزهر الى باب زاوية العميان ، وكانوا فى بعض الأحيان يضعون أمارات لهذا الباب من تبن أو جير يتبعها الماشى حتى يصل الى هـذا الباب فيدخل .

وأنه لمن المضحك أن الجنود الانكليز الذين كانوا يحرسون الأبواب علقت بأذهانهم كلمة العميان، وكانوا يظنون أن الطلاب يقولونها لصرف الناس عن دخول الأزهر، فكانوا هم كذلك يقولون لمن جاء ليدخل الأزهر: إميان إميان، يعنون زاوية العميان ظنا منهم أن ذلك يصرف الناس عن الأزهر، وظل الحال هكذا حقبة طويلة، وهم مع منعهم الناس من الدخول يرونهم عند الخروج كثيرين جدا ، فقلقوا لذلك قلقا شديدا ، حتى أرشدهم أذنابهم من السماسرة الى باب زاوية العميان فأغلقوه وأحكموا رتاجه وأجلسوا الحراس أمامه ، وما كان هذا ليصد المصريين عن أزهرهم أو يفت فى عضدهم، فذهبوا الى شارع ضيق شرق الأزهر ، ومكانه الآن شرق كلية الشريعة : يسمى (درب الحلفة) و بينه و بين الأزهر بيوت كثيرة فى مسافة غير قصيرة ، فاستأذنوا أصحابها أن يدخل الناس من أبواب تلك البيوت و يمروا على السقوف حتى يصلوا الى سطح الأزهر ، وهناك ينزلون الى استماع الخطابة ، فأجاب أصحاب البيوت فورا ، إذ كان المصريون كلهم يدا واحدة فى حرب المستعمر ، ولما كانت السقوف بعضها مرتفع و بعضها منخفض وقف الطلاب عند السطوح المرتفعة ليرفعوا إليها من الناس من يكون على السطوح المنخفضة، ووقف طلاب آخرون عند السطوح المنخفضة ليتلقوا من يكونون على السطوح المرتفعة .

وهكذا ظل الأزهر علماؤه وطلابه يخدمون الحركة الوطنية بكل ما أوتوا من قوة وأعطوا من مهارة ، وكان الزعماء يفدون إلى الأزهر ليخطبوا فيه ، فخطب سعد باشا زغلول وأبو شادى وعبد اللطيف الصوفانى، وغيرهم كثير ، وكان يخطب فيه شباب الجامعة

المصرية وكثير من الموظفين الكبار ، وكانت الخطابة لا تنقطع منه لا ليلا ولا نهارا ، وكان الأزهر ينظم المظاهرات من حين إلى آخر لتجوب الشوارع وبخاصة شوارع السفارات تهتف لمصر وباسم مصر ، حتى أن حكمدار العاصمة ، وكان انكليزيا مشى فى بعض المظاهرات ، وكانت تضم طلاب الأزهر وطلاب الجامعة والمدارس وكثيرا من الأهالى ، واخترقت المظاهرة شوارع كثيرة حتى وصلت إلى شارع العباسية ، فأراد المتظاهرون أن يمشوا من جهة تسمى جهة الحسينية ، فسأل الحكمدار عن الشارع الذى يريدون المرور فيه ، فلما أخبر بأنه « الحسينية » أبى كل الإباء أن يمر من هذا الشارع رغم الحاجة الكثيرة عليه والضمان له أن تمر المظاهرة سليمة لاشية فيها ، فزاده ذلك إصرارا ، وتبين بعد أن سبب ذلك يرجع إلى أن هذا الشارع كان قد أذاق بعض الفرنسيين فى حملة نابليون العذاب الأليم ، فمنعه ذلك من عبوره .

ومن المظاهرات الأزهرية التى كان لها بين الناس دوى مشكور مظاهرة يسميها الأزهريون « مظاهرة المحكمة العليا الشرعية » إذ خرج الأزهريون من الأزهر الشريف إلى المحكمة العليا الشرعية بالحلمية ، وكان يحمل العلم فى هذه المظاهرة شاب جلد محب لوطنه مخلص فى حبه ، فقاد المظاهرة حتى وصلوا إلى المحكمة الشرعية فأخرجوا من كان فيها من القضاة والمتقاضين ، ثم خرجوا يقصدون إلى السفارات ، وبينما هم يتأهبون لذلك إذا بالجنود يحدقون بهم من كل جانب ، ففر من فر وبقى من بقى ، وظل حامل العلم واقفا فى مكانه لا يريم عنه ، حتى قصده الجنود ليأخذوا منه العلم ، فأبى عليهم ذلك ، وقال : لا أسلمه ما دام فى عرق ينبض ، فأن شئتم أخذه فاقتلونى ، ولكن الجنود ـ وكانوا مصريين ـ ضنوا بأخيهم المصرى أن يقتلوه فساقوه بعلمه هو ومن أمسكوهم من المتظاهرين إلى المحافظة ، فدخلوها جميعا ومعهم صاحب العلم رافعا إياه حتى دخل به المحافظة وهو هكذا مرفوع ينادى بظلم الظالمين ، ثم مكثوا فى المحافظة أياما نقلوا بعدها إلى قسم الأزبكية ليحاكموا هناك أمام محكمة مؤلفة من إنكليز ومصريين فحكمت عليهم بغرامة .

وما أن علم بعض الأزهريين بذلك حتى جاءوا فدفعوا الغرامة عن كثير ، منهم صاحب العلم ، وبقى قليل من اخوانهم الأزهريين لم يدفعوا لهم ولم يدفعوا هم عن أنفسهم لضيق ذات يدهم ، فقصد صاحب العلم الى الأزهر فقوبل هناك مقابلة الفاتحين لصيانة العلم فى يده ، ولكنه قال لهم : كيف تهدأ نفوسنا ولنا اخوان فى السجن ضاقت مواردهم عن دفع الغرامة عنهم ، وفى الحال أخذ الأزهريون يكتتبون لإطلاق سراح اخوانهم .

وإنه لمما يملأ النفس غبطة وسرورا أن بعض الأزهريين دفع كل ما معه ، ثم أخذته

الحماسة والغيرة على اخوان له يجاهدون فى سبيل بلادهم ودينهم، فخلع جلبابه وألقى به الى صاحب العلم الذى كان يجمع التبرعات وقال له : بعه ، فنادى فى الحاضرين من يشترى هذا فاشتراه بعض الأزهريين بأول عطاء ، وأخذه ورده الى صاحبه ، فكان منظرا مؤثرا ، وفعلا جميلا حقا .

ثم ذهب الطلاب مع صاحب العلم بما جمعوه الى منزل المرحوم الشيخ مصطفى القاياتى ، وكان علما من أعلام الثورة ، فعدوه أمامه فوجدوه ناقصا عما يجب أن يدفع لهؤلاء المواطنين المحبوسين لوطنيتهم ، فدفعه رحمه الله ولم يبت الإخوان الاوهم مثل اخوانهم أحرار لا سلطة لأحد عليهم .

هذا مما فعله الأزهر فى ثورة سنة ١٩١٩ ، وهكذا الأزهر طول حياته يتصدر الحركات الإصلاحية ويبنيها ، ويلعب الأدوار التى تذكيها ، إذ أن علماءه وطلابه ينتشرون فى طول البلاد وعرضها ، ولهم قدرة عجيبة على إقناع الناس وإفهامهم .

والأزهر ـ شيخه وعلماؤه وطلابه فى ثورتنا الحاضرة وقاها الله وحفظ رجالها الأحرار المخلصين ـ كسابق عهده ، ينشر فى الناس فضائل الثورة وما عملته للبلاد مما حفظ كرامتها وأعز مكانتها ، وها هى تلك البلاد مازالت فى حماستها لتسليح جيشنا المظفر وقاه الله وأهلك عدوه .

وها هم هؤلاء الوعاظ بالأزهر منتشرون فى البلاد كلها يحفزون الناس لتسليح الجيش ، وينمون فى نفوسهم ذلك الشعور الحى بما يجب أن يقدم للجيش ويبذل فى سبيل تسليحه وإتمام عدته وعتاده .

وقد عمل لذلك مدير الوعظ منشورا بأمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أرسله لجميع الوعاظ ـ جاء فيه :

انكم تعلمون ما قام به السيد الرئيس جمال عبد الناصر من عمل رائع قوى أثار إعجاب الشرق والغرب بشأن تسليح الجيش المصرى ، إيمانا منه بأن عزة الأمة وكرامتها فى قوة جيشها واستعداده » الى أن قال : «لذلك نهيب بكم وبالسادة الوعاظ بمنطقتكم أن تسهموا بأموالكم وتعملوا دائبين لحفز الامة على المساهمة فى هذا المشروع الحيوى العظيم ، وقد عودتنا الأمة الكريمة المسارعة الى الاستجابة لكل عمل نافع يعود على الوطن بالخير والقوة والعزة » الى آخر ماجاء فى هذا المنشور ، فاستجابت الأمة والحمد لله ، وبرهنت للعالم أجمع أنها أمة عزيزة قوية .

نسأل الله تعالى أن يصون لها رجالها الأكرمين رجال الثورة العاملين المخلصين ، ويحفظ لها أزهرها الشريف معقل دينها ومحط آمالها وينبوع الشريعة المطهرة ، انه ولى التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

محمد الطنيخى

عضو جماعة كبار العلماء

بيـــــان

يصدره معهد الاسكندرية الدينى

لمصلحة من تثار هذه الزوبعة ؟

يحلو لبعض الكاتبين فى مصر أن يثيروا فى الحين بعد الحين حول التعليم الدينى فى الأزهر زوبعة يخونهم التوفيق فى تخير المناسبات التى يحسن أن يتناولوا فيها بأقلامهم هذا النوع من التعليم الذى يقوم على الاضطلاع به ونشره الأزهر الشريف ، معهد الإسلام الأكبر منذ أكثر من ألف سنة ، وهو يراوح الأحداث ويغاديها ، فما فلت له قناة ، ولا ألانت له صفـــاة .

والأزهر يعلم أنه لا يعيش فى حياته الطويلة عيشة مفروشة بالورود والرياحين ، ويعلم أنه لا يحيا حياة ممهدة خالية من البلايا والمحن والارصاد التى ترصد له ، بل هو يعلم أنه يعيش فى ميدان الجهاد والجلاد أبدا ما بقى فى الأرض إسلام ومسلمون ، وما بقى لهذا الإسلام وأولئك المسلمين أعداء يتربصون به وبهم الدوائر، ويبغونه ويبغونهم الغوائل، وهو يعلم أن هذه الصهيونية الفاجرة التى أتاح لها ملاحدة السياسيين وجهلاؤهم بالإسلام فرصة الحياة فى أولى القبلتين ، إن هى إلا لون من ألوان الصليبية الغربية ، تحركها العصبية البغيضة ضد الإسلام والمسلمين من وراء البحار ، ويلعب فى مسرحيتها الدولار الأمريكى والمكر السكسونى الخبيث الدور الأول والأخير ، وهو يعلم أن هذا الفجور الإجرامى الذى ترتكبه فرنسا فى المغرب الإسلامى إن هو إلا حلقة فى سلسلة التعصب الصليبى ضد الإسلام والمسلمين .

والأزهر يعلم بعد ذلك أن فى قلب بلاد الإسلام أقلاما عربية تكتب بمداد عبرى ووحى صهيونى ضد العرب والإسلام ، لتمهد الطريق أمام الاستعمار الفكرى والروحى والخلقى ، عوضا عن الاستعمار السياسى والاقتصادى الذى أصبح مفضوح السريرة مكشوف العورات .

الأزهر يعلم كل ذلك ، ويعلم أنه هو المعهد الإسلامى المفرد فى شرق الأرض وغربها الذى أراده الله وأرادته الحياة الإسلامية أن يتخصص فى دراسة الإسلام ويكون الحفيظ على تراثه فى صورته الحقيقية التى نزل عليها من السماء ، والتى ربت الأمة العربية على العزة ، ونفخت فيها روح التجمع لحمل راية هذا الدين ، والانسياح بها فى أرض الله ، داعية إلى التوحيد والوحدة ، وإلى العدل والرحمة ، وإلى المساواة بين الأفراد والجماعات والأمم ، حتى لا تكون أمة هى أربى من أمة ، تتعالى عليها وتتحكم فى مصيرها ، وحتى يعيش الناس كما ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

ولقد قامت الأمة العربية بتبليغ هذه الرسالة ، وأدتها إلى الإنسانية خير قيام وأحسن أداء ، يوم أن كانت كلمتها مجتمعة ورايتها واحدة ، تعتز بالإسلام وتتعصب للحق ، لا تأخذها فى نصرته لومة لائم ، فلما تحولت عن سنن العزة الإسلامية ، وجهلت شريعة الإسلام ، واطرحت آدابه وتعاليمه ، وهان عليها أمره ، نفذت إلى قلبها سهام الفرقة ، فتفرقت إلى دويلات هزيلة ، وأمم ضعيفة مستضعفة ، وطمع فيها من لا يدفع عن نفسه .

والأزهر لا ينسى أنه مقصود بالكيد من الصليبية الغربية منذ أن اندحرت مغلوبة على أمرها مهزومة شر هزيمة حربية أمام القوة المسلحة التى كانت تقودها مصر ، إلى أن نفث (غلادستون) داهية بريطانيا ورئيس وزرائها عن حقده الدفين ضد الإسلام يوم وقف وفى يده المصحف وهو يقول : ما دام هذا القرآن بين المسلمين فلن يفلح استعمارنا فى الشرق ، إلى أن قال ذلك القائد المغرور اللورد اللنبي كلمته فى احتلال بيت المقدس .

عرف الأزهر كل هذا وعرفته معه مصر والعالم الإسلامى ، وعرفت مصر أن زعامتها الإسلامية معقود لواؤها بناصية الأزهر الذى انفرد برسالة لا يسد مسده فيها معهد فى أرض الله ، ولا يغنى غناءه فيها جامعة من الجامعات ، لا هذه المدارس والجامعات المدنية التى يوجد لها أمثال وأمثال فى جميع أرض الله تغنى عن الرحلة إليها والتلمذ عليها ، فإذا اتجه العالم الإسلامى إلى مصر فهو يتجه إليها لأنها حاضنة الأزهر معهد الإسلام الأعظم ، لا يمارى فى ذلك إلا أصم لا يسمع ، أو جاهل لا يعلم ، أو حاقد لا يسلم .

ومن المسلم به أنه لا توجد أمة من أمم الإسلام اليوم يحفظ فيها القرآن حفظاً كاملا سوى مصر ، ومن المسلم به أن حفظ القرآن لا يريده الإسلام لمجرد حفظ آياته وسوره ، ليقرأ فى الأفراح والمآتم ، وإنما يريد الإسلام من حفظ القرآن الكريم أن يدرس باعتباره دستور الحياة الإسلامية : فى عقائدها وعباداتها ومعاملاتها وشئونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحياتها الخلقية والتربوية والفكرية والروحية ، فى الأسرة والمدرسة والمجتمع بين الأفراد والجماعات ، وإلى جانب ذلك السنة النبوية تفصل ما أجمل ، وتبين ما أبهم ، وتقيد ما أطلق ، وتشرح ما غمض على العقول والأفهام ، وهذا هو الفقه الاسلامى الذى استنبطته أئمة الإسلام من الأحكام .

ومن المسلم به أن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان قائما على أساس من النظام الدراسى فى حلقات متتابعة ، تبدأ بحفظ القرآن واستظهاره والإحاطة بعلومه وقراءاته ، ثم بدراسة الفقه الإسلامى دراسة متدرجة تدرجا تصاعديا يتبع سن الطالب ونمو قواه الفكرية والروحية ، ثم دراسة التفسير والحديث دراسة تفصيلية يعرفها الاسلام فى تاريخ الأزهر ومدارس الاسلام من قبله ، ثم دراسة علم العقيدة ، وتشييد حججها التى تدفع عن قلوب المؤمنين شبه الملحدين ، ثم دراسة التاريخ الاسلامى والعالمى ، لمعرفة مامر على الحياة من أطوار ومظاهر ، ومن وراء ذلك كله دراسة اللغة العربية : نحوا وصرفا وبلاغة وأدبا فى مصادرها الواسعة ، ثم ما يعين على ذلك ويوسع مدارك المتعلم من شتى الفنون : من طبيعة ، وكيمياء وحياة ، وحساب ، وجبر ، وهندسة ، وجغرافيا .

هذا تصوير مجمل لمناهج الأزهر التى يدرسها والتى تقوم حياة أبنائه على إجادتها ، وقد شعر الأزهر أنه فى حاجة إلى دراسة لغات غير لغته العربية ، فأدخل فى برامج كلياته دراسة لغات شرقية وغربية ، ثم ألحت عليه الحاجة فبدأ يفكر فى إدخالها فى برامج المعاهد الابتدائية والثانوية ، ولم يشأ الأزهر الحديث أن يقصر تعليمه على الشبان والفتيان بل رأى أن يشرك الفتاة المسلمة فى هذه الثقافة الاسلامية ، فعزم على افتتاح دراسات يتيح فيها للفتاة المسلمة ما يتاح لأخيها وزميلها الفتى المسلم ، فماذا يراد من الأزهر وراء ذلك ؟! .

يقول بعض الكاتبين : إن قساوسة الدين المسيحى فيهم أطباء ومهندسون وموسيقيون الخ ، ونحن لولا أننا نعلم أن هؤلاء الكتاب يغلب عليهم المزاح الساخر ساعة الجد الصارم لرددنا عليهم بأنفسهم واتخذناهم مثلا مضروبا ، فهم ليسوا أطباء ولا مهندسين ، ولا نعرف لهم صنعة يعيشون من ورائها سوى هذا الكلام يكتبونه فى الصحف ، فإذا تجمع صنعوا منه كتبا ، ولو اصطنع هؤلاء الجد فيما يكتبون لصوروا للناس حقيقة دراسة الاسلام وعلومه وصلتها بالحياة العملية الواقعية ، ثم إذا شاءوا — إن كانت لهم شجاعة — وازنوا بين هذه الدراسة وما يختارون .

ولو أراد هؤلاء الجد فيما يكتبون لما أقام كاتبهم الدنيا وأقعدها حينما ترامى إلى سمعه أن النية متجهة إلى توحيد معاهد تخريج مدرسى اللغة العربية فى المدارس ، وكان هذا بالطبع سيقضى على شعبة اللغة العربية فى كلية الآداب ، فقام يدافع عن هذه الشعبة ويذكر لها تاريخها الطويل العريض !! ، وطلب إلى ولاة الأمور أن يحتفظوا بهذا التاريخ .

سبحان الله ! شعبة فى كلية قريبة العهد من جميع المعاصرين يكون لها فى أنفسكم هذا المكان ، والأزهر بتاريخه الحفيل لا يساوى عندكم إلا أن تحرضوا عليه ، وتغروا به ، ليهدم فى عزم صارم . ما هذا ؟ أكل هذا الجد الحازم والعمل القوى القاهر الذى يأخذ به قادة الثورة أنفسهم فى سبيل رفع شأن أمتهم وتطهيرها من الفساد والمفسدين لم يوقظ قلوبكم ولم يجعلكم تفيقون من سكرات الماضى — ألا يقول لنا هؤلاء الكاتبون لمصلحة من يكتب هذا الكلام فى هذا الوقت الذى تتداعى فيه الأمة إلى جمع الكلمة وإعداد العدة والقوة للعدو الذى يوشك أن يشتبك مع جيشنا الباسل ؟! إننا نشك ونشك ، لأن هذا النغم كان يطرب منه رجال الأحزاب الفاسدة المفسدة التى كانت حياتها قائمة على تفريق كلمة الأمة ، وتسخير بعض الطوائف ، وإغراء الحكومة على بعض الطوائف التى لم تعرف النفاق والمشى وراء العربات .

إن العبث ساعة الجد حماقة ، والضحك وقت البكى بلاهة ، ولم يعد للبلاد سيد يتملق بهذا الكلام ، فأريحوا أنفسكم ، فالحكومة القائمة فى مصر اليوم حكومة ثورة ، لا تحتاج إلى هذا الملق الرخيص ، فهى أعرف بطرق الإصلاح ، وهى ليست فى حاجة إلى مشيرين ،

فقد أقنعتها التجارب بعقليات القدامى ممن عملوا مع الأحزاب البائدة ، وهي أعرف بمكانة الأزهر فى العالم الإسلامى ، والأزهر والأزهريون يربأون بها - وعلى رأسها بطل العروبة ومعقد آمال الإسلام الرئيس جمال عبد الناصر - أن تصغى إلى هذه النغمة المفرقة .

وليس الأزهر أشخاصاً يذهبون ويجيئون ، إنما الأزهر فكرة فى ضمير الإسلام ، فهو حى لن يموت مادام الإسلام حيا خالداً .

ولو اتسع الوقت لابتسامة ساخرة لقلنا لهؤلاء الكاتبين : إننا ندعوكم إلى استفتاء شعبي لتقرير مصير الازهر ومصيركم ، ونحن على استعداد أن نقول للأمة فى صراحة إنها إما أن تكون فى حاجة إلى أزهرها يؤدى لها وللعالم الإسلامى رسالة الإسلام ، فلتمده بما يعينه على القيام بواجبه ، ولتطلب اليه فى صراحة ما تريد من إصلاح فى مناهجه وبرامجه فى حدود رسالته وتاريخه - وإما أن تكون قد أصبحت فى غنية عنه ولا تريد الإسلام الذى يدرسه كما تلقاه عن المسلمين الاولين ، بل تريد إسلاما عصرياً (أمريكيا) أو (فرنسيا) فلتقرر مصيره إلى الفناء . وفى منتأى الأرض أمم كثيرة تريده وتريد دراسته وتتمنى لو تعفر جباهها من أديمه ، وعندئذ يتلو قول الله تعالى : (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً وسعة) وإن الله غيور على دينه ، فاحذروا نقمات الله وبطشه . والسلام على من اتبع الهدى ؟

صادق عرجون
عن هيئة التدريس
بمعهد الإسكندرية الدينى

المتقلب فى الاحزاب

ومن تقلب فى الأحزاب منتجعا   إن أقفر الشام ألفيناه فى اليمن

محمد الأسمر

توحيد التعليم

يقصد بتوحيد التعليم إلغاء التعليمين الابتدائي والثانوي بالأزهر وإدماجهما في التعليمين الابتدائي والثانوي العامين بالدولة . وهذه فكرة قديمة يثيرها بعض الناس في مناسبات خاصة ، والله أعلم بنياتهم فيها ، غير أن المناسبات التي تظهر فيها والملابسات التي تحيط بها تدعو إلى الريبة والشك ، وتومىء إلى شيء هو أبعد ما يكون عن الرغبة في الإصلاح العام . فمن القائمين بهذه الدعوة من عرف بالشذوذ في أفكاره ، وقامت شهرته على هذا الشذوذ ، كما عرف بأنه يطلق شراعه لكل ريح ، ويصطاد في كل ماء ، عسى أن يصل إلى الهدف ويبلغ الغاية .

وأهم الأسباب التي تبنى عليها هذه الفكرة في زعمهم — كما عرفنا من مقالاتهم — الرغبة في توحيد الثقافة بالدولة ، لأنه السبيل إلى توحيد أفكار أبنائها وشعورهم وعواطفهم ، فإن اختلاف معاهد العلم يجعل من الأمة طوائف متنافرة متباغضة تنظر إلى الشيء الواحد نظرات مختلفة ، حتى زعم أحد أنصار الفكرة أن مذاقهم للطعام يختلف باختلاف المعاهد التي يتخرجون منها .

ونحن - مع تقدير حسن الظن بنيات هؤلاء - نناقشهم في الأسباب التي بنوا عليها فكرتهم ، عسى أن نقنعهم بالخطأ فيها فيعدلوا عنها لتنام الفكرة فتنام الفتنة . وما أشد فتنة الناس بما يتصل بالتعليم الديني أيا كانت مصادره .

وإنا لا نحاول أن ندعو هؤلاء إلى الإقلاع عن فكرتهم باسم الدين حتى لا نتهم بالتعصب ، فما أهون هذا الاتهام في هذه الأيام . وإنما نناقشهم في الفكرة من الناحية التعليمية والاجتماعية والاقتصادية ، لنبين لهم أنه ليس هناك ناحية من هذه النواحي تدعو إلى تنفيذ هذه الفكرة ، بل إن هناك ضرورة من الناحية التعليمية للإبقاء على المرحلتين الابتدائية والثانوية بالأزهر .

لا شك أن هذا العصر قد امتاز بأنه عصر التخصص فى فروع المعرفة . فللطب تخصص ، والهندسة تخصص ، ولغيرهما من العلوم تخصص . بل إن للفرع الواحد من فروع المعرفة جملة تخصصات كما فى علم الطب : فهناك تخصص لطب العيون ولطب الآذان وما إلى ذلك مما هو معروف . ذلك أن التخصص يعين على استيعاب المعارف واتقانها وهضمها ، ويعد الانسان إعدادا كاملا لرسالته . ووجود المعاهد الثانوية والابتدائية الخاصة بالأزهر نوع من التخصص المبكر نظرا لطبيعة المواد التى سيدرسها الطالب الأزهرى فى التعليم العالى ، فإن طبيعة هذه العلوم وأسلوب التأليف فيها وتشابكها توجب أن تكون مراحل التعليم على النحو الموجود بالأزهر من وجود تعليمين ابتدائى وثانوى خاصين به تمهيدا للتعليم العالى ، لتكون ثقافة الطالب متسلسلة مترابطة . وإن هذا النوع من التخصص المبكر تعترف به الدولة فى مدارسها الثانوية العامة ، فهناك شعبة للرياضة ، وشعبة للعلوم ، وشعبة للآداب ، هذا عدا عشرات من المعاهد الخاصة للتعليم الخاص .

* * *

إن وجود التعليمين الابتدائى والثانوى الخاصين بالأزهر ضرورة لابد منها لإعداد الطالب الأزهرى للدراسة العالية ، ولا يغنى التعليم العام بالدولة عنهما ، ولا يهيئ الطالب لها ولا يعده لأداء رسالته الدينية ، لأن المواد الدراسية الشرعية واللغوية والعقلية التى يدرسها الطالب الأزهرى إنما يدرسها موزعة على مراحل التعليم الثلاث توزيعا مناسبا لمداركه ، فيدرس فى التعليم الابتدائى المواد التى تناسبه ، ثم ينتقل إلى الثانوى ثم إلى العالى ، ولا يمكن ضغط المواد الدراسية الأزهرية فى أربع سنوات فقط هى مرحلة التعليم العالى كما يرى أصحاب الفكرة ، لأن هذه المواد تدرس الآن فى الأزهر فى اثنى عشر عاماً ويحتاج المتخصص فيها إلى عدد آخر من السنين ، وليس ذلك ببدع فى الأزهر فهذا شأن كثير من الجامعات التى ينتظم برنامجها بعض المواد العويصة كالفلسفة والطب ، كما أنه ليس ببدع أن ينفرد الأزهر بتعليم خاص فى مراحله كلها ، ففى فرنسا نوع من التعليم الابتدائى الدينى الخاص والثانوى الخاص لإعداد الطلاب للدراسة الدينية العليا ، كما حدثنى بذلك أحد أساتذة الجامعات الفرنسية ، وقد يعرف ذلك من خبر نظم التعليم بفرنسا ممن يقوم بالدعوة إلى توحيد التعليم فى الأزهر .

* * *

إن التعليم العام للدولة لايعد الطالب للدراسة الدينية العليا ، لأن صلته بالتعليم الديني العالي ضعيفة جداً كما هو واضح من مناهج الدراسة فيه ، فلابد إذن من دراسة دينية ابتدائية وثانوية خاصة ، ترتكز عليها الدراسة العالية . والدراسة الدينية العالية دون هاتين الدراستين بناء على غير أساس ، وإن أمكن ذلك كانت دراسة رسمية سطحية لاتؤدي إلى الغاية المطلوبة منها ، وهي تكوين رجل الأزهر تكويناً كاملا يمكنه من أداء رسالته في نشر الدين بعد فهمه فهما صحيحاً من مصادره المختلفة . والمصادر الدينية لا يمكن فهمها فهما صحيحاً إلا بدراسة جملة من العلوم دراسة دقيقة يسميها العلماء وسائل : كالنحو والصرف واللغة والأدب والبيان وغيرها ، ونظم التعليم بالأزهر توزع هذه العلوم على مراحله الثلاث . وإنا لانلقي هذا القول جزافا ، ويكفينا في الدلالة عليه شهادة منصفة خالصة من بعض الدعاة إلى توحيد التعليم ، ومنهم من خبر طبيعة العلوم الإسلامية وأساليب تأليفها كما خبر غيرها من العلوم والثقافات الأجنبية .

* * *

هذا من الناحية التعليمية أما من الناحية الاجتماعية التي يتذرع بها أصحاب الفكرة إلى تحقيق فكرتهم ، فإنا نرى أن حديثهم فيها نوع من العبث أو السخرية أو الاستهانة بعقول القارئين ، فإنهم يقولون إن انفراد الأزهر بتعليمه الخاص في المرحلتين الابتدائية والثانوية يدعو إلى خلق طوائف من الامة : لكل منها مزاج خاص ، وتفكير خاص ، وأسلوب معاش خاص ، فتصبح الأمة جماعات متنافرة متناكرة ، لاألفة بينها ولا انسجام ، وإنانقول لهؤلاء العابثين : إن صحت مقدمتكم هذه وجب بمقتضاها إلغاء المعاهد المختلفة ، وإلغاء تدريس العلوم المختلفة ، ووجب الاكتفاء بمعهد واحد ، يدرس لونا واحدا من المعرفة ، فيكون متعلمو الامة على نسق واحد ، ويكونون إما أطباء وإما مهندسين وإما قضاة ، ولا يصح أن تنوع المعاهد ولا تختلف المواد الدراسية صونا لوحدة الأمة واحتفاظاً بفضيلة الانسجام بين أبنائها ، ويجب أن تكون دور العلم كدور ضرب النقود لا اختلاف بين مسكوكاتها ولا تفاوت . ألا ما أحوجهم إلى شيء من الإنصاف بل إلى شيء من الحياء !!.

* * *

بقيت هناك الناحية الاقتصادية ، ولم يتعرض لها أصحاب الفكرة ، ولعل ذلك عن نسيان

وقد يقولون — إن تذكروها — : إن فى اختلاف التعليم بالأزهر وغيره إسرافا فى أموال الدولة دون ضرورة إليه . وإنا نقول لهم : إن التعليم بالأزهر لا يكلف الدولة أكثر مما يكلفها التعليم العام ، فضلا عن أن للأزهر موارد خاصة من أوقافه لو أحسن القيام عليها لسدت كثيراً من نفقات التعليم به . ولنفرض أن نفقات التعليم بالأزهر وغيره متساوية فما الضرورة إلى إلغائه ؟

* * *

هذه أسس الفكرة ، وقد تبين مما ذكرناه أنها أسس واهية لا يقوم عليها بناء ، وإنما هى أوهام أوحى بها الغرض أو الجهل بحقائق العلوم وطرق التعليم فى الأزهر ، ولعل فيما قدمناه ما يقنع أصحاب الفكرة بالعدول عنها إن كان المجال مجال مناقشة وإقناع .

وبعد - فإن الأزهر بنظمه الحاضرة بل بنظمه القديمة قد أنجب لمصر وللعالم الإسلامى أعلاماً فى الدين وفى السياسة وفى الاجتماع وفى الأدب ، قامت على أكتافهم النهضات العلمية والاجتماعية والسياسية بمصر وغيرها من الأمم الإسلامية ، وكانوا الأئمة والقادة ، وظلت أعمالهم شاهدة بخصوبة تعليمه وصلاحيته لإعداد القادة والزعماء .

ألا وإن الأزهر ليس لمصر فقط ، وإنما هو للمسلمين كافة ، وقد عرفه المسلمون بهذه النظم ، وأولوه الثقة بهذه النظم ، وفاخرت به مصر بهذه النظم ، فكل تغيير فيها لابد أن يراعى فيه رغبات المسلمين وشعور المسلمين ، ولا بد من تقدير ما سيعود على مكانة مصر فى العالم الإسلامى إذا تعرض الأزهر للهزات التعليمية ، وانحرف عن الصفة العلمية التى عرف بها ؟

أبو الوفا المراغى

مدارس الناس

أرى شعبا تحير ناشئوه ... فما يجدون من عمل قواما

فلا أسس التجارة فيه قرت ... ولا ركن الصناعة فيه قاما

مدارس لم تهيئهم لكسب ... ولم تبن الحياة ولا النظاما

شوقى

التجني على الازهر

أحب أن أنبه فى صدر هذا المقال إلى أن النداء بتوحيد التعليم الدينى والمدنى لا يسىء إلى الأزهريين أنفسهم فى كثير ولا قليل ، ولا يعنيهم من أمر هذا التوحيد أكثر مما يعنى كل غيور على بقاء الأزهر رمزا لهـــذا التعليم الدينى الذى آتى أكله قرونا عديدة ، مما لا يجحده إلا مكابر لا يستند من الحجة على شىء .

فالأزهريون أنفسهم ليسوا إلا أساتذة يشغلون الوظائف فى الوزارات والمصالح ، وحقوق هؤلاء مكفولة بما يقدمونه للدولة من عمل ، وبما ينهضون به من رسالة فى التعليم أو فى غيره . بل إن الأزهريين الذين يعملون فى غير الأزهر أحسن حظا من أقرانهم فى الأزهر نفسه ، بل الأعجب من ذلك أن من الأزهريين الذين يعملون خارج الأزهر تلامذة يجدون من المكان المادى ما لا يجده أساتذتهم فى كليات الأزهر ومعاهده ، أما الأزهريون الأساتذة فى الأزهر نفسه فيوم أن تنكب مصر ـ وحاش لله أن يكون ـ بتوحيد التعليم أو بما هو مطلوب ويهربون من الجهر به وهو إلغاء هذه الجامعة ، فسينقل أساتذة الكليات إلى كليات الجامعة ، وفى ذلك نهوض بمستواهم المادى ، وإغداق عليهم بما هو حلم لهم ، وأما أساتذة المعاهد فسيوضعون مع أقرانهم فى المعارف فى مكان أو مكانة .

فأبناء الأزهر ـ حين يدافعون عن هذه الجامعة ، وحين يقفون صفا يذود عن حمى هذا المعهد العتيد ـ لا يصدرون فى جهدهم الكريم إلا عن عقيدة بريئة ترى أن التنكر للأزهر صاحب هذه الصفحة المشرقة فى التاريخ إنما هو استهتار بمقدسات لا يجرؤ عليها إلا دعاة الهدم الذين لا يرعون لكل كريم حرمة ولا حقا .

هذه لفتة يجدر بالقارىء أن يفطن إليها ويطيل الوقوف عندها . وهناك لفتة أخرى لها شأنها وخطرها ، تلك هى أن النداء بتوحيد التعليم ليس إلا حلقات متتابعة فى الكيد للأزهر ، ولسنا بصدد مناقشة البواعث ، ولكننا نعرض الآثار لتكون الحقائق أمام العيون ترى ولا تجحد ، فقسم تخصص الدعوة والارشاد فى كلية أصول الدين لم يبق منه

إلا رسم وأثر ، وإلغاء القضاء الشرعى طوح بتخصص القضاء الشرعى ، ونقل إلى مكان آخر باسم آخر فى كلية الحقوق . وهذا الإلغاء صرف الطلاب عن التوجه إلى كلية الشريعة صرفا عنيفا ، ولم يلحق بها من أبناء الأزهر إلا من أكره عليها . وقسم تخصص التدريس كان يلتحق به حملة الشهادة العالية من الكليات الثلاث ، فمنع من دخوله طلاب كلية اللغة العربية ، بحجة أن لهم مكانا آخر يتلقاهم وهو معهد التربية . والذين يتخرجون من تخصص التدريس من أبناء الشريعة وأصول الدين لا يكادون يجدون عملا بعد جهدهم الجهيد .

وكثير من أساتذة الأزهر يرون بينهم وبين منصفتهم أمدا بعيداً . كل ذلك احتشد فى صدور الأزهريين ، والتقت هذه الخيوط والتأمت ، فبدأ القلق يساور الأزهر ، وطفق أبناؤه يتساءلون عما يراد بهم ، وجاءت الصيحة المنادية بتوحيد التعليم ، فدخلت إلى النفوس وهى حافلة بأفكار ومعان ، واندفع خصوم الأزهر اللد من هذا الباب باسم توحيد التعليم ، فرموا الأزهر بكل منقصة ، وأغضوا عن خدمته للشريعة واللغة والعلم والوطنية ، وتمثلنا فى هذه الحملة الجاهدة الساهرة كل معانى الفوضى والهمجية .

ولو قلنا لهؤلاء الذين يهجمون على الأزهر : إن هذه الجامعة تراث المسلمين الخالد ، ففى ربوعها نهضت الفكرة الدينية ، ووجدت حماة أفذاذا أقوياء أخرجوا للدنيا أفكارا قوية ناهضة لا تزال هى فخر الإسلام والمسلمين ، وفى ظلال هذه الجامعة وجدت اللغة العربية أمنها وصونها ، ومن صدور زعمائها تفجرت الوطنية ومعانى الكرامة والتضحية والفداء - لو قلنا ذلك لهؤلاء الذين يجحدون فضله لقالوا : إن هذا ماضيه فأين حاضره ؟ ؟ ؟ كأنهم يرون الأزهر اليوم فراغا من العلم وعطلا من الرسالة . . . إننا نفاخر بأن الأزهر لا يزال فى مستوى علمى تتقاصر دونه الأعناق ، والأزهر لا يزال يجرى فى امتحانه على مثال رفيع ، والأزهر أمس واليوم هو المورد الذى ينهل منه أبناء الأقطار العربية ، وهو الذى يرسل مبعوثين إلى بلاد العالم ليهدوا من ضلال ، ولينشروا العلم والدين بين أمم لا تعرف مثل ما تعرفون من المكابرة واللجاج .

إننى لا أعرف فى أمة من أمم العالم دعوة من جماعة أو فرد إلى القضاء على جامعة أربت فى الوجود على ألف عام . ولا أتصور ما تقابل به دعوة هؤلاء الهدامين من إخواننا أبناء الأقطار العربية التى تجعل زعامة مصر أول ما تجعلها للأزهر وفضله على هذه الأمم كافة .

يقولون : تعالوا نوحد التعليم الدينى والمدنى ، وأخضعوا التعليم فى المرحلتين الابتدائية والثانوية لنظام واحد وتحت رعاية وزارة التربية والتعليم . ولقد قلت لنفسى إن كان المراد من التوحيد فى هاتين المرحلتين هو العناية بالتعليم الدينى والتوافر على التفقه فيه فلا يمكن أن يتحقق ذلك بمنهاج وزارة التربية فى هاتين المرحلتين ، وجميع الناس يشهد أن الدين والقرآن خاصة نصيبهما فى هؤلاء ضئيل هزيل ، فالأولى إذن أن تباركوا الأزهر وتقروا بقاءه ، وإن شهدتم وجوها من النقد فى نهج الدراسة فدلوا عليه مشكورين . وإن كانت الثانية فرارا من هذا اللون من التعليم وانصرافا إلى تعليم مدنى خفيف على الجيل الجديد ، فالعيب إذن ليس فى الأزهر ، وإنما العيب فيمن يرون رسالته رجعية أو تعويقا للركب .

وهل يمكن أن يقال إن الفرصة سانحة للتخصص فى الدين بعد التخرج من الكليات ؟ أبعد أن تتجه النفوس الناشئة اتجاها خاصا ليس فيه عكوف على الدين وجماله واللغة وسرها ، وتنصرف إلى شئون الحياة من طب أو هندسة أو غيرهما ، أيمكن بعد ذلك أن يوجد مجال للتخصص فى الدين وللعكوف على التملأ منه والغوص فى مكنونه ؟

جميل حقا أن تفزع الدعوة لهذا التوحيد فى الوقت الذى تضج فيه الأحاديث عن الإلحاد والوجودية والتحلل بين أبناء التعليم المدنى ، كأن المراد إذن توحيد الانحلال لا توحيد التعليم .

إنكم - يأيها الدعاة - تعلمون أن القرآن لايجد له صدورا إلا فى الأزهر ، حيث يشترط حفظه للطلاب قبل التحاقهم ، فكأنكم تريدون أن تحولوا بين هؤلاء وبين كتاب الله ، كما حيل بين غيرهم وبينه .

إن التعليم فى الأزهر ليس قاصراً على الدين والعربية . بل هو يجمع إلى ذلك طائفة جمة من العلوم الحديثة بقدر ما يتسع له وقت المتوافر على الدين والعربية . ولا نقول إن فيه تبحراً فى هذه المواد أو تخصصاً فيها ، فموطن ذلك كليات الجامعة ، وكل ميسر لما خلق له . وفيه مع ذلك دراسة للغات الانجليزية والفارسية والعبرية ، وفيه نهضة شاملة للآداب والفنون ، وبين شبابه أفذاذ لهم مواهب فى الكتابة والخطابة والشعر ، وبين تلامذته من يجيدون الرياضة المختلفة والموسيقى والتمثيل ، ولم يعد من شباب الأزهر من يجهل أفقاً من آفاق الحياة ، فهم اجتماعيون بصراء بما يجرى فى المجتمع مشاركون فيه ، غير أن فيهم

عيباً ذاتياً متأصلا ، ذلك أنهم مصرون على الدعوة لله ، لم تدخل عقولهم أوهام العقائد الفاسدة ، ولم ينزلقوا إلى الميوعة والتحلل الذى أصبح طابعاً للكثيرين من الشبان ، الناجحين فى الحياة ، .

ولو أن الدعاة إلى الخلاص من الأزهر جرؤوا على النيل من فضله ، والتجهم لعظيم أثره وخطره قروناً متصلة لابتت ـ وأفحمت ـ بالحجة والدليل أن الأزهر وحده هو الذى حمل لواء الوطنية والعلم والأدب يوم أن كان غير أبنائه يرعى فى أرض الجبن والجهل والخمول .

وقد تفضل الأستاذ الدكتور طه حسين فكتب مقدمة لكتابى « أثر الأزهر فى النهضة الأدبية الحديثة »[1] فأكد أن الكتاب ، يظهر فى أوضح الوضوح وأجلى الجلاء أن الأزهر لم يكن مشرق النور فى عصورنا القديمة وحدها ، وإنما هو مشرق النور فى العصر الحديث ، وأن المؤلف ، قد استطاع أن يجلى هذه الحقائق وأن ينبه المصريين إلى أنهم يظلمون الأزهر ويظلمون أنفسهم حين يظنون أن رجال هذا المعهد العظيم يعيشون على هامش الحياة الحديثة ، وأن عمل المؤلف ، دليل واضح حى على أن فى الأزهر كنزا من خصب العقول وذكاء القلوب وحسن الاستعداد لجلائل الأعمال يجدر بعصر الحديثة ألا تهمله وتنساه » .

فالأستاذ الدكتور طه لا يجحد فضل الأزهر على الحياة الكريمة ، بل هو نفسه من أوضح هذه الأدلة ، ومن ثم لا أفهم أنه داعية لهدم الأزهر ، وإن دعا للتوحيد فلعله يراه غير مؤد لتلك الغاية ، وأيا ما كان فنحن نجاهد التوحيد ونهلك دونه ، ونرى أن فيه قضاء على أمجاد لا تفرط فيها أمة كريمة .

على أنى أسائل نفسى لماذا لم تكن هذه الدعوة سافرة فى طلب الإصلاح ؟ إننا لا ننكره الإصلاح ولا ندع سبيلا من سبله إلا سلكناها ، ولكم نادينا به وجاهدنا من أجله ، والأزهريون لا يرون عيباً فى مناهضة النقص ، بل العيب فى الرضاء به والإغضاء عنه ، ولم يعب وزارة التربية والتعليم أنها تبدىء وتعيد فى مناهجها ، وتحل وتنقض فى تشريعها ، فإن ذلك نشدان للكمال وأخذ بأسبابه ـ وأخيراً نحن واثقون من أن الله سيرعى الأزهر وينصفه ، وإن فرط المصرى فيه ، فسيحرص المسلم والشرق عليه ؟

[١] الكتاب تحت الطبع

محمد كامل الفقى
المدرس فى كلية اللغة العربية

القومية العربية
ودور الأزهر فى إنهاضها

.... ثم عاود الدكتور طه حسين داؤه القديم ، وأصابته نكسة كان بعض الناس يظن أنها أمست بعيدة عنه ، بعد أن أظهر توبته ، وقصد إلى بيت الله حاجا ومكفرا عن ماضيه فى خدمة المبشرين والمستشرقين ، وتعريب كتبهم وأفكارهم .

ثم أظهرت الأيام ما خفى من أمره ، وعلم الناس أن هجرته إلى بيت الله لم تكن إلا لدنيا يصيبها .

عاد الدكتور طه إلى حقده القديم على الأزهر ، والتهجم عليه فى شطط وإسراف ، محاولا أن يثأر لنفسه من العلامة الشيخ دسوقى العربى فى شخص الأزهر .

ورحم الله أستاذنا الدسوقى ، فقد كان على بصيرة ربانية يوم أبعده عن الأزهر ، وضن عليه ببراءته وعالميته ، وحرمه شرف الانتساب إلى صفوف العلماء ، مما جعله واقعا تحت تأثير مركب نقص ينغص عليه حياته ، ويعاوده بين حين وحين .

وما يحاوله اليوم - من صد عن القرآن ومعهده ، والحديث ومدرسته ، واللغة العربية وحصنها - هو ما حاوله يوم عمم المجانية فى التعليم ، اصرف الناس عن الأزهر ، لا حبا فى عامة الشعب ، ورغبة فى تثقيف أبنائه ، وإتاحة الفرص المتكافئة لهم - كما كان يزعم ، فهذا آخر ما يفكر فيه هذا « الارستقراطى » الذى لايعرف إلا فرنسا مصيفا ، يتلقى فيه من أساتذته هناك دروس الاستعمار الثقافى ، ثم يعود إلينا شتاء « سفيرا لفرنسا فوق العادة » يدعو إلى ما وقف حياته عليه .

* * *

لست بصدد الرد على هذا وأمثاله من المفارقين لجماعتهم ، فقد وضح أمرهم ، وانكشف سرهم ، وتمزق سترهم ، وعرفت الأمة أن الهدف الذى يجرون وراءه هو القضاء على كتاب الله أن يدرس ، وعلى سنته أن تجد لها من يخدمها ويرعاها .

لست بصدد الرد على هؤلاء ، فقد تولى الله فى كتابه الرد عليهم حيث يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وإنما أريد أن أبين ناحية لها خطرها ، وجانبا مهما فى رسالة الأزهر التى قام ويقوم بها

على خير ما يبتغي المصلحون ، رغم ما صادفه ويصادفه من تيارات منحرفة ، وأعاصير هوجاء ، يغذيها الاستعمار وأعوانه ، والإلحاد وشياطينه ، والوجودية وحيواناتها .

نعم : فقد أظهرت البحوث التاريخية والدراسات الاجتماعية أن اللغة هي روح الأمة وحياتها ، وأنها العمود الفقري والعنصر الأساسي من عناصر تكوين القوميات ، وأن الأمم تقوم - أولا وقبل كل شيء - على وحدة اللغة التي توجد الوحدة في التفكير والشعور ، وتربط بين الأفراد والجماعات برباط وثيق تتقارب به الأفكار والعواطف ، وتتحد الآمال والآلام .

وقد علمنا تاريخ الأمة العربية أن الاستعمار - وإن أفقدها استقلالها السياسي في بعض أوطانها حينا من الزمان - فأنه لم يستطع أن يمس كيانها ، أو يذيب قوميتها في بوتقته ، لأنها استمرت محافظة على لغتها الخاصة بها .

وقد تنبه إلى هذا أحد المفكرين فقال : - « إن الأمة المغلوبة التي تحافظ على لغتها تشبه السجين الذي يمسك بيده مفتاح سجنه » .

إنها تستطيع أن تفلت من سجنها ، وتسترد استقلالها في يوم من الأيام ، لأنها تبقى حية بحياة لغتها ، وتظل محافظة على كيانها كأمة ، برغم أنها تكون قد فقدت شخصيتها السياسية إلى حين . أما إذا فقدت الأمة لغتها ، وأعربت عن مشاعرها بلغة الدولة المستولية عليها ، فتكون قد فقدت الحياة تماما ، واندمجت في كيان الأمة صاحبة اللغة الجديدة .

وقد كان الأزهر المفتاح الذي أخرج الأمة العربية من سجن الاستعمار وأسره ، إذ حفظ لها هذا التراث الخالد ، وقام بحراسة لغتها التي حملت إلى الناس أعز ما حملته لغة من اللغات ، فقام على دراستها : نحوا وصرفا ، وبلاغة ووضعا ، وعروضا وفقها ، وشعراً ونثرا ، وربط بين خير أمة أخرجت للناس وبين مدرسة الرسول العربي الأولى .

الأزهر هو الذي حفظ هذه اللغة حية نابضة ، فقاوم بذلك الاستعمار الثقافي الذي حاول القضاء عليها ، بفرض لغته في جميع نواحي الحياة ، وفي مختلف مراحل التعليم ، بل في السنة الأولى منها ، قبل أن يتقوم لسان الطفل بلغته ، ويستقيم نطقه بها ، مستعينا بصنائعه من وزراء المعارف السابقين .

إن مصر رائدة العالم الاسلامي ، وزعيمة البلاد العربية ، يترسم الجميع خطاها ، ويهتدي بهداها ، ويقتفي أثرها ، فبأي شيء كانت لمصر هذه الزعامة والصدارة ؟

إنه الأزهر جامع الجامعات ، وأبو اللغة ، وحصن الدين ، وهو بهذا الوضع ليس ملكا لمصر وحدها ، ولا لجيل من أجيالها ، بل هو ملك الملايين من العرب والمسلمين فى القرون الماضية واللاحقة . وما وجوده بمصر إلا كوجود مجلس جامعة الدول العربية بالقاهرة ، لمصر شرف وجوده بها ، واحتضانها له ، ورعايتها لرجاله ، جزاء وفاقا على ما أكسبها من زعامة وجدارة .

* * *

فى كل عام يحج إلى الأزهر آلاف من أبناء البلاد العربية ، فيعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ويوحد بين قلوبهم وتقاليدهم وعاداتهم ، وينظم أهدافهم ، ويسلحهم بالدين والخلق واللغة ، ويثير فيهم ذكريات الأسلاف الأماجد ، حتى أصبح فى كل قرية أو دسكرة ، وكل قصبة أو كورة ، وكل عاصمة أو مدينة ، أزهر متنقل يتمثل فى شخص ابن من أبنائه يبلغ قومه وينذرهم .

ومثال واحد أذكره لأنه ابن ساعته ووليد وقته ، فإنه لما صدر قانون توحيد القضاء بمصر ، ظن الخادعون والمخدوعون أن ساعة الأزهر آتية ، وأن كلية الشريعة فى طريقها إلى الزوال ، وأن تخصص القضاء الشرعى قد أغلق أبوابه .

ومع هذا فإن الحقائق صدمتهم وأفحمتهم ، إذ ظل أبناء البلاد العربية والإسلامية يتلقون فى تخصص القضاء الشرعى بالأزهر دروس القضاء الإسلامى ، ليطبقوا مبادئه وأحكامه فى أوطانهم إذا رجعوا إليها .

وبعد - فإذا كنا اليوم على قلب رجل واحد ، دفاعا عن جزء مبارك من أجزاء البلاد العربية ، فإننا يجب أن نذكر جهود الأزهر فى إنهاض القومية العربية التى جعلت جميع أبنائها ينشدون :

بلاد العرب أوطانى من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن إلى مصر فتطوان

ومما يزيدنا سروراً أن يشترك الأزهر فى هذه المعركة المقدسة بكثير من أبنائه : ضباطا فى جيش العروبة ، وجنودا فى الحرس الوطنى .

وأخيرا فإن الله — سبحانه — الذى طهر مصر من (الاستعمار العسكرى) وأعوانه من الزعماء السياسيين ، على يد أبنائه البررة الذين قضى بفضلهم على (الاستعمار الاقتصادى) ودعاته من الاقطاعيين ، سيتم علينا نعمته بالقضاء على (الاستعمار الثقافى) ورواده .

وإن ربك لبالمرصاد ؟

زكريا البرى

الدكتور طه حسين
والأزهر الشريف

أحب أن أقرر أني - مع الأسف - لم يكن لي حظ التعلم في الأزهر الشريف، فأتهم بالتحيز المعهدي أو التعصب المهني، وكل ما يربطني بالأزهر إنما هو رباط كل مسلم مؤمن بربه مخلص لعقيدته، يعلم تمام العلم أن مرد كل فضل فيما يعلم من أمور دينه إلى هذا المعهد العظيم وأساتذته الأجلاء القدماء منهم والمحدثين على السواء. ومن ينكر ذلك فهو جاحد لأصحاب أكبر فضل عليه، غير صادق فيما يدعيه، وينبغي أن لا يسمع له كلام، ولا يحفل منه بمقال.

وكل مسلم يعلم كما يعلم الدكتور طه أن الأزهر وحده هو الذي قام ويقوم على حراسة هذا الدين الحنيف وعلومه إلى هذا الوقت الذي نعيش فيه، وهو الذي أسهم بالنصيب الأوفر بالقول والعمل في كل أطوار تاريخه وفي جميع الأحداث الوطنية وأزمات الحرية المصرية بلا استثناء، وكان الأزهريون في مقدمة الصفوف المدافعة في سبيل الحرية والاستقلال. لا يستريب في ذلك أو يشكك فيه إلا ظالم أو جاهل أو صاحب هوى رخيص.

قد يكون هذا كلاما معلوما ومعانيه راسخة في الأذهان، ولكن لابد من ذكره، ففيه نفع لتدعيم الحق، وهو تقدمة لازمة لما نقصد اليه في هذا الموضوع الخطير.

الدكتور طه حسين مصري مسلم، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله في وقت كان له فيه مع الدين - أو مع القرآن على التحديد - موقف لم يشرفه، بل كاد يعصف به ويخرجه من محيط المسلمين إخراجا عنيفاً. والناس لا يزالون يذكرون إنكاره لبعض قصص القرآن الكريم الذي هو أساس هذا الدين، ولهذا، ورغم شهادته تلك، فلن يرضى الناس أن يتحدث لهم عن الدين ولا ما يتصل به من قريب أو بعيد، فهو عندهم مهما بلغ من شأنه في الأدب فلن يوثق به في شئون الدين.

وأرجو أن لا يتهمني الدكتور طه بأني أقول غير الحق، وأني أنحرف عما يأمرني به الدين من الصدق في القول، ومن اجتناب التحدث عن الناس بما لم يقولوا وبما لم يدعوا

إليه سراً ولا جهراً ، فإن هذا الأمر مدون فى تحقيقات النيابة المشهورة فى موضوع كتابه (فى الشعر الجاهلى) كما أنه ثابت فى أذهان المعاصرين ثبوتاً لم يتطرق اليه النسيان .

ويظهر أن دوافع ذلك الموقف الشائن القديم لاتزال أصولها راسخة فى نفسه ، فلا تفتأ تظهر آثارها فى مقالاته بين الحين والحين . وهـــذا الداء الذى يعاوده ليس خصومة بينه وبين الأزهر والأزهريين بصفة أصلية ، وإنما هى خصومة بينه وبين الدين والقرآن ، ثم تتصل هـذه الخصومة بعد ذلك بالأزهر والأزهريين بالتبعية الحتمية ، كما يتضح ذلك من الوقائع المتلاحقة التى يبتدعها الدكتور ، ويشاغب بها الدين أو الأزهر والأزهريين .

فلقد أثار الدكتور طه من أشهر قليلة مسألة ترجمة القرآن ، وأطال فى اللجاج على عادته بكلام مرسل إرسالا غير مدروس ، وحشا مقالاته بمعلومات ملتوية مليئة بالمغالطات ، وبنقول زائفة تدل على سوء القصد بتغيير معانى المنقول بحذف بعض النصوص وعدم التزام الأمانة العلمية المرعية عند أهل العلم والخلق السليم .

وإنا لنسأل أنفسنا ــ ونحن نستعرض حال الدكتور ومواضيع مقالاته ــ : هل القرآن (الذى يحاول الدكتور طه أن يتسلل إليـه لينال منه) أزهرى من وضع الأزهريين ، ولذلك فهو يسعى لتضييعه بالدعوة الملحة إلى ترجمتـه ؟ أو أنه أصل هذا الدين ، ولابد للدكتور من محاولة تمزيق هذا القرآن عدوه القديم فى زمان يعتقد الدكتور أنه ملائم للنيل من الإسلام ، فقد رق دين الناس ، وتعددت فيه الدعوات إلى التحلل والضلال .

نعم . إن القرآن كلام الله ، ولكن الأزهر والأزهريين قد هبوا للذود عنه ، وصانوا القرآن من العبث المنشود والترجمة المقصود بها الإساءة إلى الدين ، فحق عليهم غضب الدكتور طه ومن لف لفه ، وإذن فلابد من ضعضعة الأزهر نفسه ، والنيل من الأزهريين ، وتمزيق هيبتهم ، ومحو مكانتهم فى الشعب ، واستعداء الحكام عليهم بكل سبيل .

ثم أثار الدكتور ــ ومن ورائه المخدوعون به الغافلون عن مقاصده ــ مسألة توحيد التعليم ، ولج فى ذلك وأطال ، ولكنه لم يكتب كعادته إلا كلاما فارغا لا معنى له ، كله تجاهل ، ولا أقول : جهل ، لما يدرس من العلوم المدنية فى الأزهر الشريف : وتناس ،

ولا أقول : نسيان ، كيف تدرس العلوم العربية والدينية بجميع فروعها دراسة مستفيضة تستعصى على الطلبة المدنيين كل الاستعصاء . وهلا سأل الدكتور نفسه : هل فى طاقة طالب الثانوى إذا تخصص فى علوم الدين أن يدرسها ويتفقه فيها تفقه الأزهرى ؟ وهل هناك علم من العلوم المدنية – التى يجب أن يتعلمها كل مصرى كما يقول – مضيع فى الأزهر ؟

لا ، لم يسأل الدكتور نفسه عن هذا كله ، ولم يتعرض لشىء منه ببحث أو عرض وتوضيح ، ليبين للناس وجه الحق فيما يدعو إليه ، وإنما أخذ يبديء ويعيد فى كلام على عادته فى غير تحديد ، كله محشو بالمغالطات المفضوحة التى لا يثبت منها إلا سوء قصده ، وعدم درايته الكافية بالتعليم وتوجيهه إلى الحق والسداد .

وإذن فالمقصود من هذه الحملة الجديدة أن يلغى تعليم الدين بهذه السعة وبهذه الدقة ، وأن ينصرف المسلمون عن حفظ القرآن أساس هذا الدين الذى يحاول الدكتور أن ينال من الأزهريين بسببه ومن أجله .

وبعد – فليسأل القراء أنفسهم متى كان الدكتور طه ممن يطمأن إليهم إذا تحدثوا فى شأن يتصل بالدين وعلومه ، وتاريخه معروف للجميع ؟

وهل الدكتور طه – لأنه تولى وزارة المعارف فى النظام الحزبى – أصبح من رجالات التعليم الذين يستطيعون أن يدرسوا مناهج التعليم ، ويكون لهم رأى صائب علمى محترم فيها بمعنى الكلمة ؟ كلا ، وألف مرة كلا .

ألا فليطمئن الدكتور طه ولا يتعب نفسه فيما لا يحسن وفيما لا يؤتمن عليه ، وفيما لا طائل تحته ، فإن المسلمين جميعاً لامثاله ولآرائه المسمومة المدخولة لبالمرصاد ، وإن ذلك الذى يقيم الزوابع من أجله لن يحدث ولن يكون ، لأن الله كفيل بتأييد الصادقين المخلصين ، وهو لا يصلح عمل المفسدين ؟

أحمد نصار القوصى

لحساب من هذه الخطوة الثانية

يا دكتور طه ؟

ما كنت أظن أن الدكتور طه حسين وقد بلغ من الكبر عتيا ، واشتعل منه الرأس شيبا ، أن يتمادى فى التهكم بالأزهر والأزهريين ، ويدأب على التهوين من شأنهم فى هذا الوقت الذى تمر به مصر الآن ، فيكتب عنهم (بأنهم لا يتعلمون كما يتعلم الناس) ويصفهم بأنهم (لا يعرفون من العلوم إلا أسماءها وظاهراً من أطرافها) ويرد على بعض كتاب الأزهر بقوله : (إنما عاش وما زال يعيش فى العصور الوسطى) وهو يعلم حق العلم بأن الرئيس جمال عبد الناصر وصحبه من رجال الثورة أغير الناس على الأزهر ، وأشدهم حرصا على كرامته ، لأنهم يقدرون الأزهر قدره ، ويعرفون خطره عند الممالك الإسلامية : تلك الممالك التى تعتز بمصر وتحيط بها إحاطة السوار بالمعصم ، وتشرئب لها أعناقهم ، وتتعلق بها نفوسهم ، فتسمع هذه الأمم من الدكتور هذا الزور من القول سخرية بالأزهر وتصغيرا من شأنه . ولا أدرى لماذا اختار الدكتور هذا الوقت متعللا بإصلاح الأزهر .

وما أغنى رجال الثورة ورجال العروبة فى هذا الوقت العصيب عن سماع هذا اللغو من الدكتور ، وهم يعملون ليل نهار على إسعاد مصر وبلاد العروبة ودفع الضر عنها .

وما كان الأزهر فى يوم من الأيام فى حاجة إلى الإصلاح من الدكتور طه ، فهو موتور من الأزهر لأنه رسب فى امتحان الشهادة العالمية ، ولأن علماءه قد ردوه إلى الصواب أمام النيابة ، حينما ألف كتاب الشعر الجاهلى فى قصة سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل . فبين الدكتور وبين الأزهر ثأر قديم .

وإنى أرجو المعذرة يا دكتور إذا ذكرت ذلك عنك ، ليعلم الناس لماذا تكتب عن الأزهر اليوم ، ولماذا تصبحه وتمسيه بالهجوم عليه .

وكان بودى - يا دكتور - أن أكشف القناع عنك ، ليعرف الناس ويعرف الشباب الجديد موقفك من ثورة سنة ١٩١٩ وما نال سعد باشا زغلول منك ، ثم انضمامك للدستوريين ،

وأبين لهم ما كتبته فى الوفد والوفديين ، ثم لم تلبث طويلا حتى نزعت عنك لباس الدستوريين وتقمصت الوفدية ، وأدرت ظهرك للدستوريين وقلبت لهم ظهر المجن متناسيا دفاع عدلى باشا وثروت باشا عنك فى مجلس النواب ، وشرعت ترسل عليهم من شواظ قلمك ما شاء به أدبك .

كنت أود يا دكتور أن أذكر هذه المواقف ولو موجزة . ولكنى أشفقت عليك الآن .

كررت يا دكتور (أن الأزهريين لا يتعلمون كما يتعلم الناس) فكيف تعلمت أنت ؟

يعلم الناس أنك تعلمت فى الأزهر حتى حصلت على الشهادة الأهلية ، ثم التحقت بالجامعة المصرية ، ثم سافرت إلى فرنسا . هذه مراحل تعليمك . فالأزهر صاحب الفضل عليك إذ غذاك بعلومه، وهيأ لك طريق الثقافة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه . فعلماؤه أساتذتك ، فلماذا تقابلهم بهذا العقوق ؟ ألا ترى معى أن فى علماء الأزهر من يحمل شهادة السوربون وأمثالها من جامعات الغرب علاوة على شهادة العالمية من الأزهر وهى الشهادة التى عجزت عن الحصول عليها ، وهى سبب موجدتك على الأزهريين ، وخرجت من لجنة الامتحان معلنا أدبك فى الجرائد تحت عنوان (ساعة فى الضحى بين العمائم واللحى) .

وفرق بينك وبين علمائنا أنهم يذهبون إلى عواصم الغرب ويتلقون علومهم بها ويعودون إلى مصر وهم أوفياء لدينهم ، مخلصون لأزهرهم ، ثابتون على مبادئهم ، ولا يلبسون لكل عهد لبوساً ، ولا يتجهون إلى كل جهة بوجه .

هل تريد إصلاح الأزهر يا دكتور ؟ لقد فاتك القطار ، وشمل الإصلاح الأزهر ومعاهده . وهل ما تنعت به الأزهريين بأنهم (لايتعلمون كما يتعلم الناس) وأنهم (لايعرفون من العلوم إلا أسماءها ، وأنهم يعيشون فى العصور الوسطى) هل هذا كلام الصادقين وأسلوب المصلحين .

إن كلام المصلحين يخرج من قلوبهم مضيئاً بضياء الحق ، مشرقا بنور الصدق ، وتسطره أقلامهم خالياً من الغمز واللمز شريفاً عفيفاً .

والإصلاح الذى تريده للأزهر هو توحيد التعليم فيه وفى المدارس الابتدائية والثانوية ، هذا ما تريده وتلح فيه .

يا دكتور : إن التعليم الآن فى وزارة التربية والتعليم ثلاث مراحل : المرحلة الابتدائية ،

والمرحلة الإعدادية ، والمرحلة الثانوية . فهل تطالب توحيد التعليم للأزهر وللمدارس الابتدائية وللمدارس الثانوية دون المدارس الإعدادية .

ولماذا لا تطلب توحيد التعليم بين مدارس المعلمين ، ومدارس الزراعة ، ومدارس الصنايع ، وبين المدارس الابتدائية والثانوية ، وتطلب هذا الأزهر وحده ؟

ولماذا تطلب من الأزهريين أن يكونوا أطباء ومهندسين ، ولا تطالب من مدرسة الطب وكلية الهندسة أن يتخرج فيهما علماء فى الشريعة ، وفى اللغة العربية ؟

فى الحق يا دكتور ، أن لكل معهد مناهجه الخاصة التى يتخرج بها طائفة من الإخصائيين على ما رسمته لهم البرامج واللوائح .

إنى أذكر لك يا دكتور رأى الأستاذ عباس محمود العقاد فى توحيد التعليم ، وقد نشرته له جريدة الأخبار ، قال : (ولا يوجد فى أمة من الأمم عالم دينى لا يتخرج من معهد خاص يخالف المعاهد الأخرى فى نظامه وعلومه وموضوعاته . ولا فرق بين المذاهب فى هذا التخصص حتى ما كان منها منسوباً إلى دين واحد كالمذهب الأرثوذكسى ، أو المذهب الكاثوليكى ، أو المذاهب البرتستنتى وغيرها من المذاهب المسيحية . فإن المتخصصين فى دراسة كل مذهب يتخرجون من معهد مستقل غير المعاهد التى يتخرج منها أتباع المذاهب الأخرى . ومن طريف ما يذكر فى هذا الموضوع أن كهان المذهب البوذى (الجينى) فى أحمد أباد بلغوا من التطور العصرى مبلغا يدل عليه أنهم يؤلفون لهم نقابة للمحافظة على حقوقهم والدفاع عن مطالبهم وبرامجهم . ولكنهم مع ذلك يتعلمون فى معاهدهم التى تأسست منذ مئات السنين ، ولا يرون فى ذلك ما يمنعهم أن يأخذوا من ثقافة العصر بنصيب) .

هذا هو رأى رجل لا تتهمه بالعصبية للأزهر ، أذكره لك بجملته ، لتعلم أنك كنت مسرفا فى رأيك فى توحيد التعليم ، ومتجنياً على الأزهر ، معتمداً على كلماتك المعسولة ، وألفاظك الرنانة ، فى المغالطة والتهكم كعهدك فى جريدة السياسة وفى أيام وفديتك ، وما هذا بسبيل المصلحين .

وكان الأجدر بك فى مثل هذا الموضوع الخطير أن تختار الوقت المناسب وتبحث : هل الأزهر يهون هدمه على مصر والعالم الإسلامى ، حتى لا تظهر بهذا المظهر الذى إن دل

على شيء فإنما يدل على المغامرة التي لا تستند إلى حجة أو برهان ، حتى إن ما قرأته لك عن الأزهر دل على اتساع الهوة بينك وبين أهله . وكأنك لا تعيش في مصر ، وكأنك لا تعرف شيئاً عن الإسلام والأزهر وقد كنت ربيبه ، مما أثار الظنون والشكوك حول ما تكتب عن الأزهر .

واعلم - يا دكتور إن كنت لا تعلم - أن الأزهر في هذا العصر ، قد سار في ركب الحضارة الحديثة ، وساير النهضة الجديدة في عهد الثورة المباركة ، بل فتح أبوابه لتعليم الفتيات ، ويدرس أبناؤه القديم والحديث . وقد عرفوا كثيراً من اللغات الأجنبية وبرعوا فيها . ولذلك قاموا بنشر العلوم والمعارف في مصر وفي الأقطار الشقيقة . وعرفت هذه الأقطار أقدارهم فاعتزت بهم وألحت في طلب المزيد منهم .

إن الأزهر يا دكتور قد حافظ على الشريعة الإسلامية ، وحرص على اللغة العربية ، حتى إن شبه الجزيرة العربية التي ولد فيها رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله ، وبعث فيها ونزل عليه الوحي بين بطاحها وربوعها ، ونزل القرآن بلغتها ، أصبحت الآن تتعلم اللغة العربية من الأزهر . وتأخذ الشريعة من أفواه علمائه ، فهل بعد ذلك تقول عن الأزهر ما تقول ؟

وماذا تريد من الأزهر بعد أن أصبح مورداً عذباً يحج إليه الطلاب من جميع الأصقاع ، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ؟

إنه لمنظر رائع ، منظر أبناء خمس وأربعين دولة يجمعهم العلم في صعيد واحد من معاهد العلم الأزهرى في مصر ، فيصقلهم ويهذبهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويوحد كلمتهم ، ويربطهم برباط الإخاء المتين . فهل الدعوة إلى هدم الأساس الذي يقوم عليه هذا الصرح من ألف سنة ، يمكن أن تصدر عن رجل يفكر في مصلحة بلده ؟ هذا ما كان يتساءل عنه الناس وهم يقرأون مقالة « الخطوة الثانية » ؟

علي محمد عامر
مدرس بقسم البعوث بالأزهر

كلمة موجزة :

رسالة الجامع الازهر

هى رسالة القرآن والسنة

(الجامع الأزهر) أقدم مدرسة دينية فى العالم بعد مدرسة (بولونيا) بإيطاليا ، فقد تقدمت عليه بأربعة قرون تقريباً .

بناه (جوهر الصقلى) قائد (المعز لدين الله) الفاطمى بعد فتحه لمصر ، شرع جوهر فى بنائه سنة (٣٥٩) هـ وكمل بناؤه سنة (٣٦١) وعمر بقراءة العلم سنة (٣٨٠) هـ .

وقد مرت على الأزهر أحداث كثيرة ، ففى أول عهده كانت تنافسه مدرسة (دار الحكمة) منافسة شديدة ، وهى من بناء الفاطميين أيضاً ! وجاء (صلاح الدين الايوبى) فأقفله وبقى مقفلا إلى أيام الملك (الظاهر بيبرس) فظل بذلك معطلا نحو (٢٦٠) سنة . وفى عهد الملك الظاهر جدد بناءه الأمير (عز الدين أيدمر الحلى) ورد له حقوقه وتبرع له بمال جزيل . وتعهدت الأزهر بعد ذلك أيد كثيرة فى أزمنة مختلفة زادت فى بنائه ، أو رممته وجددته .

لم ينشأ (الجامع الأزهر) فى أول الأمر ليكون جامعة أو معهداً للدرس ، وإنما أنشىء ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية فى عاصمتها الجديدة ومنبراً لدعوتها الدينية ... شأنه فى ذلك شأن المساجد الجامعة فى العواصم الإسلامية أول أمرها ، ولم تزل تطور فكرة الدراسة به حتى غلبت عليه ، وأصبح الآن المنار الساطع والمنهل العلى للمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، يفدون إليه من هنا وها هنا طلابا ثم يعودون إلى بلادهم علماء ، ينشرون دعوته بين المسلمين ينيرونهم بما قبسوه من نور الأزهر ، ويروون ظمأهم للعلم والدين بما ارتووا منه . وبهذا أصبح الأزهر وهو ليس فى مصر وحدها بل فى كل البلاد الإسلامية على اختلاف أجناسها ، تهتدى بنوره ، وتنهل من منهله ، وأصبحت له عصبية فى كل هذه الجهات ، يكونون جميعاً أسرة واحدة ، تعمل ما استطاعت لحفظ التراث الإسلامى ، ولرفعة الإسلام والمسلمين .

وقد شاء ربك للأزهر الذى بناه (جوهر) ليكون مسجدا رسمياً للدولة الفاطمية ومنبرا لدعوتها الدينية ، أن يكون مسجداً لكل الإسلام والمسلمين ، ومنبراً عاما لهم على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وتعدد ممالكهم ودولهم .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى للأزهر خيراً أكثر مما كان يريده له الفاطميون ، فلم يبق الأزهر وقفاً على دراسة مذهب فقهى خاص ، أو دعوة طائفية خاصة ، بل اتسع لأكثر من مذهب ، وأصبحت دعوته عامة للإسلام وحده لا لهذه الدولة ولا لتلك ، وهو الآن تدرس به المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة لدى خاصة المسلمين وعامتهم ، تدرس فيه هذه المذاهب غير مصبوغة بصبغة سياسية ، أو تعصب طائفى ، بل تدرس لذات العلم والمعرفة ولوجه الله .

والأزهر بعد ذلك قابل لأن يدرس ويمحص كل رأى اجتهادى إن وجد صاحب هذا الرأى ، ولا حرج على فضل الله .

وإذا كان الأزهر قد اتسع لدراسة الفقه الإسلامى ، فأنه قد اتسع أيضا للكثير من العلوم الدينية واللغوية والعقلية ، حتى رأينا أن النواة التى غرسها (جوهر) فى التربة المصرية لتكون شجرة خاصة تتحول إلى روضة مزدهرة ذات أشجار كثيرة مختلفة الثمار ، لا شجرة واحدة ذات ثمرة واحدة !!

* * *

تطورت إذاً رسالة الأزهر وأصبحت رسالة عامة خالصة من كل الشوائب ، تستمد وجودها من أصلين ثابتين (كتاب الله) و (سنة رسول الله) .

وتفرع عن كل من هذين الأصلين الثابتين ثلاثة أفرع عظيمة هى :

١ — نشر الشريعة الإسلامية ليعلمها الناس وليعملوا بها .

٢ — المحافظة على اللغة العربية والنهوض بها وبآدابها .

٣ — الدعوة إلى مكارم الأخلاق .

وفى اعتقادنا أن هذه الرسالة الأزهرية لاتتغير ولا تتبدل ، فهى فى القرن العشرين هى أيضاً ذاتها فيما بعد القرن العشرين ، لأنهـا قائمة على أصلين ثابتين لايتغيران ولا يتبدلان هما (كتاب الله وسنة رسول الله) ، وإنمـا الذى يتغير ويتبدل هو كيفية أداء هذه الرسالة ، فهذه الكيفية تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وهى أمانة تاريخية كبرى تخضع المحافظة على كنوزها لمـا يراه الأمناء المصلحون .

• • •

(وبعد) فأننى أرى أن أختتم هذه الوجازة عن الأزهر بمـا يأتى :

١ — إذا كانت مصر خالدة بأهرامها فإنها أيضاً خالدة بأزهرها ، فكلاهما عنوان رائع لمصر يجب المحافظة عليه والعناية به ، وكلاهما مجد انفردت به مصر .

٢ — ليست علوم الأزهر ثمرة عقول أمة واحدة ، ولكنها ثمرة عقول أمم كثيرة عربية ، وفارسية ، ورومية ، وهندية ، ومصرية ، وغير ذلك من خير قرائح عقول الأمم التى لهـا قدم راسخة فى العلوم والآداب ، والتى هى عصارة أجيال متعاقبة للمسلمين أيام ازدهار ملكهم وسلطانهم على العالم .

٣ — إذا كان هناك عدو للأزهر فذلك العدو هم أعداء الإسلام والمستعمرون والأذناب المأجورون للمستعمرين ، أو بعض هؤلاء الذين لايعرفون عن دينهم الحنيف ولا عن لغة هذا الدين شيئاً .

٤ — لاندعى للأزهر الكمال التام فى كيفية أداء رسالته فى كل عصر من العصور ، فمن رأى يوماً من الأيام نقصاً فى كيفية أداء هذه الرسالة ، فالأزهر يرحب بالاستماع لكل متكلم ومناقشته ، للوصول إلى الحق ، إذا كان هذا المتكلم من الأمناء المخلصين الفاهمين لرسالة الأزهر ، والبعيدين عن الريب والأغراض الخاصة .

• • •

هذا - والله هو المرجو أن يكون فى عون العاملين المخلصين ، وأن يغفر للمتجنين على الأزهر ويهديهم الصراط المستقيم ... اللهم آمين . ؟

محمد الأسمر

العلوم الحديثة فى الازهر

لا يزال الكثيرون من أبناء هذا الوطن وغيره لا يعلمون أن الدراسة فى الازهر ليست قاصرة على تدريس المواد الشرعية والعربية ، وأن هناك عددا غير قليل من مواد التربية والعلوم والرياضة والآداب تدرس فى معاهده الابتدائية والثانوية وكلياته . ونظرا لان تدريس هذه المواد فى الازهر جاء متأخرا على تدريس العلوم الشرعية والعربية فيه ، فقد غلبت تسميتها بالعلوم الحديثة . ففى أقسام التخصص تدرس مواد التربية ، وعلم النفس ، والفلسفة ، وتدبير الصحة . وفى الاقسام الثانوية تدرس مادة الطبيعة بمختلف أقسامها وهى : خواص المادة ، والحرارة ، والكهرباء الاحتكاكية ، والديناميكية ، والمغناطيسية ، والصوت ، والضوء ، ومادة الكيميا ، بما يقرب من المنهاج المقرر فى المدارس الثانوية ، والتاريخ الطبيعى بقسميه النبات والحيوان ، ومواد التاريخ والجغرافيا ، والتربية الوطنية . وتوجد لدراسة هذه المواد على صورة عملية منتجة معامل مزودة بأحدث الآلات والاجهزة والخرائط ، وأصبح مألوفا أن تجد الطالب الازهرى يقوم بنفسه فى معمل معهده بإجراء التجارب المختلفة ، وبعمليات التشريح ، وبالبحث بوساطة المجهر وبالفانوس السحرى ، مما جعل من اليسير عليه مجاراة التطور العلمى وفهم أسراره .

وفى الأقسام الابتدائية تدرس مواد الحساب ، والهندسة العملية والنظرية ، والجبر ، وتدبير الصحة ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والسيرة ، والرسم ، فى توسع وفى اتفاق كبير مع وزارة التربية والتعليم من حيث المناهج ، بل إن طلبة القسم الابتدائى بالأزهر يدرسون مناهج هذه المواد فى توسع يفوق المناهج المناظرة فى وزارة التربية والتعليم ، حتى إنهم يدرسون بأقسامهم الابتدائية بعض ما يدرسه طلبة الأقسام الثانوية بالوزارة ، وذلك ليتسع المجال أمام الأزهريين فى أقسامهم الثانوية لدراسة العلوم الأزهرية الأصيلة وهى المواد الشرعية والعربية .

ودراسة الازهريين لهذه العلوم الحديثة بجوار علومهم الشرعية والعربية تزيد من فهمهم لأسرار الحياة عن طريق عملى محسوس ، بل إن كثيراً من هذه

العلوم تعتبر وسيلة أخرى من وسائل تدعيم الإيمان وتثبيت العقائد ، فما أجمل دراسة تجعل العلم فى خدمة الدين ، وتجعل الدين فى خدمة العلم . وما أجمل أن يزدان تطور العلم وتقدمه بآداب الدين وتعاليمه . فعندئذ فقط يصبح التطور العلمى خادماً للإنسانية غير هدام لها .

والأزهريون بدراسة هذه العلوم الحديثة يعيدون تاريخ أسلافنا من علماء العرب الذين سبقوا علماء الغرب فى الاشتغال بهذه العلوم ، بل إن التاريخ المنصف المحايد البعيد عن التمويه والغرض ليشهد بأن علماء العرب ساهموا إما بوضع أسس هذه العلوم أو بالأخذ بيدها ، وجعلها تسير بخطوات أوسع فى سبيل الحضارة العالمية والمدنية التى أساسها السلام والقيم الإنسانية ، وليس أساسها الدمار والحط من قيم الإنسان ، كما هو الحال فى عصرنا هذا الذى يسير فى طريق العلم المدمر ، لأنه طريق لا تحدوه الديانة ولا الإنسانية ولا السلام .

وإلى القارىء - على سبيل المثال لا الحصر - بعض العلوم التى ابتدعها العرب أو ساهموا فى تقدمها وتصحيح أخطائها ، وبالتالى فى النهوض بها . ففى القرن العاشر الميلادى أنشأ العرب المختبرات الكيماوية ، وكان من بينهم الكيمائيون : الطغرائى ، ومحمد بن زكريا الرازى ، وأبو منصور الهروى ، والسماوى ، وكان منهم متخصصون فى فروع كيمياء التغذية وتركيب الأدوية وصناعة السكر والزجاج والورق والصابون .

وكان من علماء العرب فى الطبيعة الحسن بن الهيثم خصوصاً فى علم الضوء والبصريات ، وقد عرفت وقتئذ المرايا الكرية والمرايا المحرقة والعدسة وكيفية الرؤية بالعين .

وفى علم الطب كتب العرب أقدم التصانيف عن الجدرى وحصى الكليتين والمثانة والوباء الأصفر والجرب ، ومن مؤلفاتهم فى الطب كتاب علاج الأمراض الطفيلية ، تأليف أحمد الطبرى وابن زهر ، وكتاب العلم بكيفيات الحياة تأليف ابن بطلان وابن الحسن ، وكتاب تداوى الأمراض النفسية . تأليف أبى هند البغدادى ، وكتاب علم تداوى الحبالى والجنين تأليف القرطبى .

ومن العلماء الذين درسوا علم الحيوان : الأصمعى ، والجاحظ ، والدميرى ، والبيطار .

ومن علماء النبات أبو حنيفة الدينورى ، وابن الرومية ، وابن البيطار الكبير ، وابن ابراهيم الوزير فى القرن السادس عشر حيث كتب فى دور الزهرة فى التناسل .

وفى الميكانيكا والهندسة استعمل علم الدين قيصر سنة ١٢٥١ قوة مجارى المياه وأنشأ النواعير والطواحين .

وفى علم الجغرافيا رسم الشريف الادريسى خارطة أوربا لملك صقلية ، ورسم أبو الحسن خارطة البحر الابيض المتوسط ، وصحح أبو سعيد الأندلسى أغلاط خرط بطليموس .

والعرب أول من صنعوا البوصلة وسميت بيت الأبرة سنة ١٢٨٢م ، وأول من اخترعوا الدقة ذات المفصل والإبرة الممغنطة حيث تسنى لهم خوض غمار البحار . وكان ابن يونس سنة ١٠٠٩ م أول من استعمل الرقاص لقياس الوقت .

وفى القرن الخامس عشر اخترع الفلكى الفارس بن غياث الدين طريقة الكسور العشرية فى الحساب ، واستخرج العرب الجذور التربيعية والتكعيبية والتناسب ومعظم العمليات الحسابية .

ومن علماء الجبر الماهانى فى القرن العاشر ، والكوهى فى القرن الحادى عشر ، وابن الجود ، وابن بدر ، وعالج ابن البناء المسائل الحسابية وقسم المواريث ، وكان محمد بن موسى الخوارزمى فى عصر المأمون من أول علماء علم الجبر .

إن من واجب الاساتذة توجيه أنظار طلبتهم إلى سبق العرب علماء الغرب فى كشف كثير من العلوم ، ومن واجبهم أيضاً كشف هذا الزيف فى التاريخ الذى جعل السابق لاحقا ، واللاحق سابقا .

ومن واجب دور العلم أن تسجل هذا الفضل لعلماء العرب بصورة ولو بسيطة : كأن تطلق الجامعات والمعاهد على معمل الطبيعة مثلا معمل (الحسن بن الهيثم) وعلى معمل الكيمياء (معمل جابر بن حيان) وهكذا .

وفى هذه التسمية تخليد لفضل هؤلاء الذين اجتهدوا والذين سبقوا ، وتصحيح للتاريخ الذى طرأ عليه الغرض ، وغلبت عليه التعمية ، والله الموفق إلى كل ما فيه الخير ؟

عبد العظيم أبو غنيمه
مراقب العلوم المساعد بالأزهر

حملة ظالمة

يتعرض الأزهر هذه الأيام لحملة ظالمة... يقال عن الأزهر اليوم : إنه لا يؤدى رسالته الدينية ، ولا ينشر فكرة الدين فى كل مكان من العالم ، وأن مستوى التعليم فيه منخفض ، وأنه يتعين على من يريد أن يدرس فى الأزهر أن يلتحق بالمدارس الابتدائية العامة والثانوية ثم الجامعة ، فإن بقى له متسع من الزمن والعمر ، فليلتحق بعد ذلك بالأزهر الشريف ، ليتعلم الدين ، بعد أن يكون قد فرغ من دراسة اللغات والطبيعة والكيمياء وذلك الحشد من العلوم التى يضيق بها طلبتنا فى المدارس العامة .

والفكرة التى يرمى إليها الكتاب - وإن لم يعبروا عنها صراحة - هى أن الأزهر لم يعدله مكان ، فهم يريدون شيوخا «مودرن» ، وينسى الجميع أن الأزهر قد خرج محمد عبده ، وسعد زغلول ، والهلباوى ، وحسونة النواوى ، وذلك الرعيل الاول من الشيوخ الذين وقفوا فى وجه الفرنسيين وغيرهم ، وكانت حياتهم هى الصفحة المضيئة المشرقة فى تاريخ مصر ، وكان عمائهم — والأمثلة كثيرة — صفحة بطولة لن تنساها الأجيال .

إن هناك نحو عشرين ألف طالب يدرسون بالأزهر ، ولا تتسع لهم الجامعات ، ونحن لا نريد أن ينبغوا جميعا فى الجغرافيا والطبيعة ، وإنما نريدهم أن يبقوا فى محيطهم ، ينشرون الدين بعد تخرجهم ، ويحفظون اللغة العربية كما حفظها أسلافهم من قبل . ولولا الأزهر لكانت لغتنا نسياً منسيا ، أما أولئك العباقرة الذين استطاعوا أن يتقنوا اللغات مع علوم الدين ، وتفقهوا فى علوم أخرى كثيرة ، فهؤلاء يجود بهم الدهر كل حين ، ولا يمكن — لأى معهد كان — أن يخرج منهم عشرات أو مئات أو ألوفا ، بل حسبنا أن ينبغ فى الأزهر عدد قليل ، بل حسبنا واحد فى كل جيل يحقق لبلاده ولمعهده مجداً كبيرا ، والتاريخ يحفظ لنا فى مصر والخارج أسماء أفراد استطاعوا أن يغيروا التاريخ ويحولوه عن مجراه .

هناك أموال أوقفت على الأزهر ، وهناك رسالة واحدة للأزهر : هى نشر اللغة والدين ، فإن كان هناك تقصير ، فالتقصير فى كل نواحى الحياة قائم ، وهو فى التعليم قائم كذلك ، والعلاج لا يكون بالإلغاء ، وإنما بالتدعيم ، وله صوره وأشكاله ومظاهره ، يعرفها الذين يدرسون فى الجامعات أو الذين تخرجوا منها .. وأعود فأقول : إنها حملة ظالمة ، وإن عدتم عـدنا ؟

دكتور محمد محفوظ

الوكيل السابق لجامعة الإسكندرية

هذه هى الخطوة الثانية

فما هى الخطوة الثالثة ؟ ؟

ليس بغريب على طه حسين أن ينشر مقالا طويلا تتسع له أعمدة كثيرة من جريدة الجمهورية ، يطالب فيه بإلغاء الأزهر ، فإن طه حسين قد وقف حياته على محاربة الأزهر ، ولم يصل إلى متاع الحياة الدنيا الذى وصل إليه إلا بالطعن فى علومه ؛ والنيل من علمائه ، ومناصرة الملاحدة الخارجين عليه ، وتأييد المناوئين له ، فهل تهيئ له ذلك جهات حانقة على الإسلام ، كارهة لمبادئه ، ساخطة على نظمه ، معتقدة أنه لن يقر لها قرار فى استعباد الشرق الإسلامى مادام فيه هذا الأزهر المعمور ؟ !

ولكن ياترى ! هل هذه هى الخطوة الثانية وتقف عندها الخطى ؟ أم تكون الخطوة الثالثة لطه حسين هى المطالبة الملحة المسرفة فى الإلحاح بإلغاء الإسلام أيضاً وتوحيد الأديان ؟ ؟

إن طه حسين لن يعدم علة يعتل بها حينذاك ؛ ولن يعجزه أن يزعم أن الأديان تقف حجر عثرة فى سبيل نهضة الأمم ، وأنها تفرق بين أبناء الوطن الواحد ؛ وطه حسين قرأ طبعاً قصة الذئب والحمل .

هل صحيح - يامن زعموه زعيما للأدب العربى - أن طلاب الأزهر يتعلمون لا كما يتعلم الناس ، ولا كما ينبغى أن يتعلم الناس ؟

ماذا يتعلم طلاب الأزهر ؟ أليسوا يتعلمون علوم القرآن العظيم واللغة العربية ؟ إن كانت هذه العلوم لايتعلمها الناس فقد وجب على المسلمين أن يتعلموها . فعلمها واجب ، وجهلها ضلال مبين .

وإن زعم طه حسين أنه لا ينبغى أن يتعلمها الناس فماذا ينبغى لهم أن يتعلموه حينذاك ؟ أيتعلمون التمثيل والرقص ، ويتخرجون من مدارس الفن ، ويتفننون فى الإباحية والإلحاد ، ويسبحون بحمد فرنسا ولغتها وثقافتها وأدبها وأدبائها ، ويعرفون مالا يعرفه الأمريكان عن أمريكا ، ليرضى عنهم طه حسين ، ويصرخ بملء شدقيه : أنهم يتعلمون كما يتعلم الناس ، وكما ينبغى أن يتعلم الناس ؟

إذا كانت علوم الأزهر لاتدخل فى حياة الناس يادكتور فلا نقول لك : كبر على نفسك أربعا وأنت حى ، لانا نعلم أنك لاتحب التكبير ، ولا من يعلم الناس التكبير والصلاة ، وإنما نقول لك : اذهب إلى الحى اللاتينى فى باريس المستولية على مشاعرك والحد نفسك هناك ، فإن الشىء الوحيد الذى زعموا أنك تحسنه هو الأدب ، والادب شىء كذلك ليس هندسة ولا صيدلة ولا تجارة رائجة يازعيم الأدباء !!

أمابعد : فقد ارتكبت يادكتور الاساءة إلى وطنك ، وبلبلت الأفكار حول مصر زعيمة العروبة والإسلام ، فالله حسيبك . . . ؟

عبد القادر شيبة الحمد

من خريجى الأزهر

نشيد طلبة الأزهر

نحن شبان البلاد نحن رمز الأمل
للعلا . للجهاد عدة المستقبل

نعبد الله كما شاء الإله نرتضى من كل شىء ما ارتضاه
جل رب الخلق لا رب سواه لا نرى هديا لنا غير هداه

نحن طلاب المثال الأكمل وبنو أهل المقام الاول
حسبنا هدى الكتاب المنزل وتعاليم النبي المرسل

إنما الأزهر نور يهتدى بهداه الناس فى دنيا ودين
وهو للأوطان طول الأبد نبعها الفياض ، والحصن الحصين

ربنا نعطيك عهد المخلصين أن نكون العالمين العاملين
فأعنا إنما أنت المعين واهد يارب جميع العالمين
واهد يارب جميع العالمين

محمد الأسمر

الأزهر للدين أولا

نبتت فى هذه الأيام دعوة إلى توحيد التعليم ، ونادى بهذه الدعوة المنحرفة أناس غير مسئولين . وهدفهم من ذلك محو التعليم الدينى الذى قام عليه الأزهر منذ مئات السنين ، ويتخذون من إدماج التعليم الدينى بمرحلتيه الابتدائية والثانوية فى مثلهما من التعليم المدنى وسيلة إلى ذلك .

ولا يعلم إلا الله مآل المرحلة الأخيرة فى الأزهر . فقد لا يرون ثمة حاجة إلى كلية للشريعة ولا إلى كلية للغة العربية . ولا ندرى أيضنون على كلية أصول الدين بالبقاء أم يتعطفون عليها ويحمونها من معول الهدم الذى يستخدمونه .

* * *

ألا إن الأمر جد وليس بالهزل ! إن مصر قبلة المسلمين فى العلوم الدينية ، وامتازت منذ عصور الإسلام الأولى إلى اليوم بكثرة حفاظها للقرآن ، وأولئك الذين يدعون إلى هذا الادماج الغريب ، بل إلى هذا الهدم العجيب ، يريدون أن يهدموا الأزهر لكى تزول عن مصر مكانتها الدينية ، فلا تكون فيها تلك المنارة التى يتجه إلى ضوئها المسلمون فى كل بقاع الأرض .

إن أولئك لا يريدون للإسلام وقاراً ؛ لأنه ما بقى الأزهر قائماً فهو الجامع للمسلمين ، وهو نواة وحدتهم ، ولقد اكتسبت به مصر فخاراً فى الماضى ، عند ما استولى التتار على بغداد ثم بلاد الشام ، لجاء إليه علماء الشرق يجدون فيه المأوى والمورد العذب والمستضاف الكريم .

وكذلك كان أمره عند ما أغار الصليبيون فى المغرب على الأندلس ، فقد أوى إليه علماء المغرب ، ووجدوا فيه الضيافة الكريمة التى وجدها علماء المشرق .

فكان ملتقى علماء المسلمين أجمعين .

* * *

وقد كان للأزهر مواقف وطنية خالدة ، سجلها له التاريخ ، وما زالت صورها ماثلة فى الأذهان .

يريد أولئك أن يذهبوا بهذا التراث الخالد ، والمعقل الوطنى التالد .

ثم إذا هدم الأزهر ذلك الهدم فما الذى يحمى القرآن الكريم ، وينشر تعاليم الدين ؟ لعل منع حفظ القرآن غاية من غايات أولئك الدعاة ، ومقصد من مقاصدهم ، هم ومن يكتبون لحسابهم من أعداء الإسلام .

إن يريدون بتوحيد التعليم إلا هدم الأزهر ، ومنع حفظ القرآن الكريم ، وسد الطريق على الوحدة الاسلامية ، ويأبى الله إلا ما يريد .

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

أحمد حمزة

وزير التموين الاسبق

الأزهر

أفضل جامعات الدنيا

أنشىء الأزهر فى مصر ، فكان خلفاً من جامعها الأعظم ، ومعهدها العلمى الأول ، جامع عمرو ثم جامع ابن طولون ، وبذلك كان الأزهر لمصر كنيلها العذب ، على كل منهما حياتها ورخاؤها ، ولا بد من كل منهما لبقائها ، وإلا فنيت ، وصارت صحراء جرداء لا حيوان بها ولا نبات ، فعلى النيل حياتها المادية ، ينبت به الزرع ويدر الضرع ، ويعيش عليهما الإنسان ، وعلى الأزهر حياتها المعنوية ، فيه قوام الدين وتثقيف العقل ، وتهذيب الفكر ، ورفع مستوى الإنسان من الحيوانية المجردة من الروح ، إلى الحيوانية ذات الروح العالية ، والنفس الزكية الطيبة .

والناظر فى ملكوت السموات والأرض ، إما أن يهديه تفكيره إلى وجود الله الذى خلق هذا الكون ودبره ، وإما أن يكون ملحداً دهرياً لا يعتقد بوجود الصانع ، ولا يقر بوجود الإله ، وللأزهر عند الفريقين مكانته ، يوقن بها الفريق الأول بقلبه ويعترف بها بلسانه ، ويحسها الفريق الثانى إحساساً يصل إلى أعماق نفسه ، ولكنه يجحدها ويحاول إخفاءها بلسانه .

وليس ذلك بمجديه شيئاً ، فالحقائق الثابتة ، لا تطمسها الألسنة ، كما لا تطمس الجبال الرياح ، مهما اشتدت ومهما عصفت ، وإنى أثبت هنا أثر الأزهر فى النواحى الآتية :

١ – العقيدة الدينية :

الدين الإسلامى جاء بتوحيد الله وبالصلاة والصيام والزكاة والحج ، وحث على التراحم والتعاطف والتسامح والصدق فى القول والإخلاص فى العمل ، وحرم الفواحش ، ومنع الغش ، وضرب على أيدى المرتشين ، وأنشأ للناس دنيا جديدة يسودها الحب والإخاء ، وتزينها الأمانة والعفة والنزاهة ، وتسمو بها قوة النفس وقوة البدن والنشاط

وعدم الخمول ، فدراسة هذه التعليمات سواء كانت عقيدة أو غير عقيدة ، هى أرقى أنواع الدراسة ، وأفضل أنواع التعليم ، وكيف يحيد العاقل عن اعتقادها ، وفيها كل الخير للأفراد والمجتمعات ، وإذا كانت هذه التعليمات خيراً كلها ، فواجب على الناس معرفة جملتها وتفصيلها ، أما جملتها فقد ذكرناها ، وأما تفصيلها فمثل عدد ركعات الصلاة ، ومقدار الزكاة ، وشروط الصيام وواجباته ، وكذلك الحج ، وحد الربا والغش ، ودرجة النزاهة والعفة ، إلى غير ذلك مما تقتضيه المحافظة على تنفيذ أى قانون سماوى أو دنيوى ، وقد قام الأزهر بهذا النوع من التعليم قديماً وحديثاً على أتم وجه ، وأقوم سبيل .

٢ — اللغة العربية :

اللغة وسيلة التخاطب ، وفهم مراد الخلق بينهم وبين أهل وطنهم ، وبينهم وبين أهل الأوطان الأخرى . وإذا كان الإسلام جاء بالخير كما مر آنفاً ، وجاء كتابه باللغة العربية ، وجاء رسوله بها أيضاً وشرح كتابه بها ، فواجب على الناس ليصلوا إلى معين الخير من الكتاب والسنة أن يعرفوا لغتهما حتى يفقهوا ما فيهما من خير وبر ، وحتى يستطيعوا العمل به طلباً لمنفعتهم وحرصاً على صالحهم ، ولو أن القرآن لم ينزل من عند الله ، والحديث لم يصدر عن الرسول ، لكان لزاماً على العقلاء أن يتعلموا لغتهما ليصلوا إلى ما فيهما من تعليمات هى الغاية العظمى لقيام دولة قوية عادلة ، يصل كل فرد فيها إلى حقه ، ويحظى بنصيبه من غير جور ولا عنت ولا استخذاء ، والأزهر باعتراف جاحدى فضله ، أول جامعة وأفضل مدرسة ، تقوم بدراسة اللغة العربية على أقوم طريق ، وأوسع مجال . ولولا فضل الأزهر على اللغة العربية لما بقى لها كيان إلى الآن ، فلا توجد دولة تتكلم العربية على خير وجوهها كما تتكلمها مصر ، والفضل فى ذلك للأزهر .

وإذا كان الناس يتعلمون الفرنسية والروسية لدراسة الأدبين الفرنسى والروسى والتمتع بما فيهما من خيالات راقية ، وآفاق واسعة ، وتجارب فى الحياة نافعة ، أفلا يكون الأجدر بالمسلمين والعرب تعلم العربية للوصول إلى ما فى القرآن والحديث من أحكام ومواعظ يترتب عليها سعادة المجتمع ؟

٣ ـ علوم الكلام والفلسفة والمنطق :

إن ما جاء به القرآن ، وأتت به السنة من الخير ، كان وما يزال عرضة لهجوم المتحللين والملحدين ، الذين لا يريدون أن يقيدوا أنفسهم بأى قيد ، بل يريدون أن يكونوا فى الدنيا كالسائمة ترعى حيث شاءت ، فكانوا وما زالوا يرمون الدين بكل قاصمة ، ودراسة علم الكلام والفلسفة والمنطق فيها عرض لآرائهم ورد عليهم ، ومقابلة حججهم الواهية بالحجة الدامغة ، وإلقامهم الاحجار فى أفواههم ، حتى لا يتعدوا قدرهم ، ولا يبرحوا مكانهم ، وبعد ذلك فى دراسة هذه العلوم توسيع المدارك ، والوصول إلى القضايا العلمية دنيوية وأخروية من طريق صحيح لا تعكر عليه السفسطة ، ولا تؤثر فيه الشعوذة ، لأن معرفة أسلحة الخصم سبيل إلى معرفة أفضل أساليب الدفاع ، وسعة المدارك وقوة الحجة رفعة شأن وارتفاع بمستوى الانسان إلى حيث ينبغى أن يكون .

٤ ـ الرياضة : الحساب والجبر والهندسة :

يدرس الأزهر هذه العلوم لحاجته إليها فى علوم الدين كالميراث ومواقيت الصلوات وغير ذلك ، ولحاجته إليها دنيوياً ، لأن العالم الدينى ينبغى ألا يكون جاهلا بأمور الدنيا ، حتى يستطيع أن يفتى على علم إذا أفتى فى أمر دينى يتعلق بأمر دنيوى ، والأزهر يدرس هذه العلوم كما تدرسها المدارس المدنية ، بل إن طلاب الأزهر يفوقون إخوانهم طلاب مدارس وزارة التربية والتعليم ، وقد شهد بذلك أساتذة تخرجوا من وزارة التربية والتعليم ، ودرسوا للأزهريين ، فوجدوا تفوقا فى العقول وتفوقا فى القدرة على العمل المتواصل وعدم الملل . وتفوقا فى احترام التلميذ لأستاذه وتوقيره له .

٥ ـ الجغرافيا والتاريخ والفلك :

يدرس الأزهر الجغرافيا والتاريخ كما تدرسها وزارة التربية ، ويزيد الأزهر توسعا فى التاريخ ، فيدرس سيرة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ وسيرة أصحابه ، وهذه الدراسة ولا شك من أنفع أنواع الدراسات ، لأنها تغرس صفات الخير والشجاعة والرجولة فى نفوس التلاميذ الصغار ، وهذه أفضل أنواع التربية الوطنية التى يحرص عظماء العالم على دراستها لشعوبهم ، والفلك لا يدرس فى مدارس الوزارة بل يفضل الأزهر به الوزارة ،

والأزهرى إذا درس الجغرافيا أصبح أقدر من غيره على تفسير آيات القرآن ، وبعض الأحاديث المشتملة على مظاهر كونية قد يفهمها بعض الناس على غير حقيقتها ، ويستطيع الأزهرى أن يوفق بين العلم الحديث والعلم القديم ، ويقف الناس على ما كانوا يختلفون فى فهمه وتحدث بينهم المعارك والمشاحنات بسببه .

٦ — فضل الأزهر على مصر :

لم ينبغ فى مصر عالم ، ولم يظهر فيها وطنى منذ أنشىء الأزهر إلى الآن إلا وهو أزهرى أو فى عروقه دم أزهرى ، فالأزهر هو الذى قاوم الفرنسيين والإنجليز والمماليك والأتراك وغيرهم ، وهو الذى حفظ لهذا الشعب كيانه ومعالمه ، وجعله على طول ما حاق به من إهانات وما سدد إليه من سهام شعباً كريماً قائماً على قدميه ، ولولا تعليم الأزهر ما أنشئت الجامعات ، فقد كان أساتذتها كرفاعة رافع الطهطاوى وزملائه وتلاميذه من الأزهر أو ممن تلقوا تعليمهم أول أمرهم فى الأزهر ، ولا تكاد تجد متعلماً ذا شخصية وقوة حجة إلا وهو أزهرى أو تأثر بفرس أزهرى ، فسعد زغلول ، ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ، ولطفى السيد ، وغيرهم ، لولا الأزهر ما كانوا كذلك ، ولظهر فيهم ضعف المدنية الحديثة ، وميوعة الاستعمار .

٧ — فضل الأزهر على المسلمين :

لقد حافظ الأزهر على القرآن الكريم ، يدعو إلى تعلمه وتعليمه ، واشترط فيمن يريد دخول معاهده أن يكون حافظا للقرآن ، فإذا دخل الأزهر درس تجويد القرآن وأحكامه وتفسيره ، ولقد عنى الأزهر بالحديث النبوى الشريف ، وفيه شرح القرآن وأحكام الدين ، فأوجب على طلابه حفظ كثير منه . وفهم معانى أكثره ، وحافظ على العقيدة الإسلامية بدراسة أصولها والدفاع عنها ، ورعى حقوق المجتهدين فى الأحكام الشرعية فدرس مذاهبهم ، وقارن بينها ، وبين الأقوى منها والأضعف ، ولولا الأزهر لضاعت لغة القرآن ، فقد شملها الأزهر بكل رعاية ، وحاطها بكل ضمان ، فأمهات كتب النحو والصرف والبلاغة والأدب لا تدرس درسا متقنا إلا فيه ، ولا يستطيع متعلم مهما ادعى من التبحر والتحقيق أن يصل فى علوم العربية إلى ما يصل إليه الأزهرى ، وأمامنا الدلائل القاطعة ،

فغير الأزهري لا يستطيع تقويم لسانه وحمله على مراعاة قواعد اللغة ، وإذا تكلم بضع كلمات صحيحات تعثر لسانه بعد ذلك وأكدى بيانه ، وهذه الدول العربية تستعين بالأزهر وترجو رفده ، وستكون النهضة العربية الحديثة قائمة على أكتاف الازهر ، وقد وهب الأزهر مصر شرفا عاليا ، وجاها عظيما ، ظهر أثره فى رحلة الاستاذ الباقورى إلى الصين ، ورحلة نائب رئيس الحكومة إلى أندونيسيا ، ولا يجحد فضل الأزهر على مصر والعرب إلا ملحد أو منافق أو مأجور أو ذو هوى ، لقد جعل الله الأزهر حصنا للدين واللغة والأخلاق الكريمة ، ولكن الاستعمار وأذنابه والملحدين والمنافقين يريدون إطفاء نوره بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

٨ — الأزهر يتعلم أفضل مما يتعلم الناس :

لقد قال طه حسين . إن الازهريين لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ولقد ظهر مما قدمته أن الازهريين يتعلمون أفضل مما يتعلم الناس ، فقد جمعوا فى تعليمهم بين القديم والحديث ، وفاقوا فى الحديث من تخصصوا فيه ولم يفقهوا شيئا من القديم .

الازهرى يتعلم القرآن حفظا وتفسيرا وتجويدا ، والحديث حفظا وفهما ، والفقه وأصوله ، والتوحيد والمنطق والفلسفة ، والنحو والصرف والبلاغة ، والتاريخ والجغرافيا والفلك ، والحساب والهندسة والجبر ، والعروض والقوافى ،وطرق التدريس (التربية العلمية والعملية) وعلم النفس ، والرياضة البدنية ، وكل ما يسمو بالنفس البشرية ويقربها من درجات الكمال ؟

طه الزينى
أستاذية فى النحو والصرف

الأزهـــــر

« والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »

فى القرن الرابع من الهجرة استمرت الدولة العباسية على الانقسام ، وقامت دول مستقلة فى كثير من ولاياتها ، وخسرت بغداد ما للعواصم من المزايا ، وصارت القاهرة قاعدة الإسلام الحقيقية [1] ومرجع هذه الزعامة بلا ريب إلى الجامع الأزهر . وهو أول جامع أسس بالقاهرة المعزية التى أنشأتها الدولة الفاطمية سنة ٣٥٩ هـ ; وأول من حاول جعله جامعة علمية هو الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمى ، وأول ما عمله فى هذا الشأن أن بنى بجواره دارا لجماعة من الفقهاء ، وعدتهم خمسة وثلاثون فقيهاً ، فكانوا يجتمعون بالمسجد كل يوم جمعة عقب صلاة الجمعة ، فيقرءون القرآن إلى صلاة العصر ، ثم ألقيت فيه الدروس الدينية واللغوية فى سنة ٣٧٥ هـ ; وقد تقلبت على الأزهر أحوال سياسية باختلاف الدول والملوك ، كانت تقتضى أحياناً تحويل الدراسة عنه إلى غيره من المساجد والمدارس لكن على أساس الاستعانة بطلابه وبعض علمائه .

ومنذ افتتح صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ بعد أن استولى الإفرنج عليه إحدى وتسعين سنة ثم فتح الشام كلها واستنقذها من أيديهم ، صارت مصر والشام دولة واحدة وشعباً واحداً ، وصارت المدارس والمساجد تبعاً لذلك طرازاً واحداً يستمد من علم الأزهر وعلمائه . ومن أبرز هؤلاء العلماء العز بن عبد السلام ، ومحيى الدين النووى ، وغيرهما من الأئمة الأعلام . فمن حق الأزهر أن يذكر بهم ، ومن حقهم أن يذكروا به .

ولما كانت الغاية من العلم هى تبيينه للناس وأمرهم بالعمل به كما قال الله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ، وإذ يقول : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »

---

[١] حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ١٦٠ .

وكان حاصل ذلك هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فسننظر على ضوء ما سمحت به أنباء التاريخ الذى ما دون للعلماء بل الملوك والأمراء كيف وقف هؤلاء العلماء الربانيون ، والأولياء الصادقون ، فى وجوه الطغاة ، مواقف من لا يخشى أحداً إلا الله .

روى السبكى فى طبقات الشافعية له [١] أن قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة لما تولى القضاء فى الديار المصرية الملك العادل [الأيوبى] ... بد عنده [العادل] وهو فى دست ملكه مراراً ، والقاضى يسوف فى قبولها ، ففطن العادل لذلك ، فقال له : هل تقبلنى أم لا ؟ [٢] فقال : لا أقبلك ، وكيف أقبلك ، وفلانة تطلع إليك بجنكها [٣] كل ليلة وتنزل ثانى يوم سكرى على أيدى الجوارى ، وتنزل فلانة من عندك أنحس مما نزلت الأولى . فتناوله الملك العادل بكلمة شتم ، فردها عليه فى وجهه ، ثم عزله . ونزل إلى بيته معزولا ، فخشى العادل من رد شهادته ، وخشى أن يذكر ذلك عند الملوك ووجوه الناس ، فنزل بنفسه إلى منزل القاضى ، وترضاه ، وأعاده إلى القضاء .

وفى كتاب النصيحة مما أبدته القريحة للشيخ أحمد المنوفى [٤] أن عبد الصمد الدمشقى لما تولى قضاء دمشق تداعى إليه خصمان ، فجاء أحدهما بكتاب العادل بالوصية عليه فلم يفتحه ، وظهر الحق لخصم حامل الكتاب فقضى له ، ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به إلى حامله ، وقال : كتاب الله قد حكم على حامل الكتاب ، فبلغ العادل ذلك . فقال : صدق . كتاب الله أولى من كتابى .

ولقد كان لمثل هذين الموقفين أثره على سلطان العادل ، فلم يبق فى الملك إلا سنتين وثلاثة أشهر حيث خلع فى سنة ٦٣٧ هـ ثم قتل بعد ذلك وتولى مكانه أخوه الصالح نجم الدين أيوب .

ومواقف العز بن عبد السلام من ملوك بنى أيوب ومن بعدهم من المماليك الأتراك مما لا يستطيعه إلا ورثة الأنبياء الذين باعوا أنفسهم لله بيع السماح ، فحينما تنازع الملك الصالح إسماعيل ونجم الدين أيوب ، واستولى الصالح على دمشق ، ونجم الدين على مصر ، اصطلح الملك الصالح مع الإفرنج على أن ينجدوه على نجم الدين ، وسلم إليهم صيدا وبعض

---

[١] وتاريخ الاسحاق ص ١٢٦ النسخة المهمشة .

[٢] أى هل تقبل شهادتى أم لا ؟

[٣] آلة من آلات الطرب .

[٤] نقلا عن المرجع السابق .

القلاع والحصون، ودخلوا دمشق لشراء السلاح. وقد كان جعل خطابتها للعز. فما كان منه إلا أن أفتى بتحريم بيع السلاح لهؤلاء لأنهم سيقاتلون به المسلمين، وقطع خطبة الصالح، وزاد فى آخر خطبته قبل أن ينزل من المنبر « اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً تعز فيه وليك، وتذل فيه عدوك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك [١] » والناس يبتهلون بالدعاء والتأمين، فاعتقل الشيخ ثم أطلق، فنزح إلى بيت المقدس، فأسره صاحب نابلس. ولما طلب منه ليعود إلى مناصبه وأكثر مما كان عليه أن ينكسر للسلطان، ويقبل يده، قال لمن ساومه على ذلك: ولكن يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدى فضلا أن أقبل يده. يا قوم: أنتم فى واد وأنا فى واد، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به.

ولما تحول إلى مصر وأقبل عليه السلطان نجم الدين أيوب، وفوض إليه كثيرا من الأمور، وولاه الخطابة والقضاء ثم التدريس بالمدرسة الصالحية لم يمنعه ذلك أن يأمره وينهاه على رءوس الأشهاد. قال الباجى: طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان نجم الدين أيوب فى يوم عيد بالقلعة، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه، وقد خرج على قومه فى زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يديه، فالتفت الشيخ إليه وناداه: يا أيوب. ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوىء لك ملك مصر، ثم تبيح الخمور؟ فقال: هل جرى ذلك؟ قال: نعم. الحانة الفلانية تباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة، يناديه كذلك بأعلى صوته، والعساكر واقفون. فقال: يا سيدى. هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبى. فقال: أنت من الذين يقولون: « وجدنا آباءنا على أمة ». فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة. قال الباجى: سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان، وقد شاع هذا الخبر: يا سيدى. كيف الحال؟ فقال: يا بنى رأيته فى تلك العظمة، فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه، فقلت: ياسيدى، أما خفته؟ فقال: والله يا بنى، استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامى كالقط [٢].
وقصة فتواه بأن المماليك أرقاء وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت المال إلى أن ذهب إليه كبيرهم (نائب السلطنة) شاهرا سيفه مقسما أن لابد أن يقتله إلى أن طرق عليه بابه وقوله

---

[١] اقتبسه من دعاء سفيان الثورى فى صدر الدولة العباسية. انظره فى الحلية لابن نعيم جـ ٧ صـ ٨١
[٢] من أخلاق العلماء صـ ١٧٤ ببعض اختصار.

لولده حين خوفه به : يا ولدى ، أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله . وخروجه إليه كالقضاء النازل حتى أيبس يده وأسقط السيف منها وأرعد فرائصه وأبكاه وأخضعه لحكمه فيه وفى سائر المماليك من المعروف المأثور ، وتفصيل هذه القصة فى طبقات الشافعيـــة [1] .

ولما خرج الظاهر بيبرس صاحب الوقائع المشهورة مع التتار ثم الصليبيين استفتى العلماء فى أخذ أموال من الرعية فأفتوه ، إلا النووى فإنه امتنع ، وكلمه كلاما شديداً ، فغضب منه ، وأمره بالخروج من الشام . فخرج إلى بلده نوى ، ثم رسم برجوعه فامتنع ، وقال : لا أدخلها والظاهر بها . فمات الظاهر بعد شهر سنة ٦٧٦هـ بدمشق [2]. ومن تتمة القصة أنه سأله عن سبب امتناعه ؟ فقال : أنا أعرف أنك كنت فى الرق للأمير بندقدار وليس لك مال ، ثم من الله عليك ، وجعلك ملكا ، وسمعت أن عندك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من الذهب ، وعندك مائتا جارية ، لكل جارية حق من الحلى . فإذا أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلا من الحوائص ؛ وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى ، أفتيتك بأخذ المال من الرعية [3] ويروى نحو هذه القصة مع الشيخ عز الدين فى مثل هذا المقام لكن مع الأمير قطز [4] .

وكثير من المثقفين فى هذا العصر الذين غذتهم المدارس والجامعات المدنية بكل شىء إلا مبادىء الإسلام ومآثر الاسلاف ، يجهلون أن قادة الشعب وزعماءه الذين كانوا يواجهون الطغاة بالنصيحة والزجر ، ثم بالنفوس والارواح ، لم يكونوا إلا من هؤلاء العلماء .

روى الجبرتى أنه لما حضر حسن باشا الجزائرلى إلى مصر ، وخرج الأمراء المصريون إلى الجهة القبلية ، واستباح أموالهم ، وقبض على نسائهم وأولادهم ، وأمر بإنزالهم سوق المزاد وبيعهم ، زاعماً أنهم أرقاء لبيت المال ، اجتمع الأشياخ ، وذهبوا إليه ، فكان المخاطب له الشيخ محمد أبو الانوار قائلا له : أنت أتيت إلى هذه البلدة ، وأرسلك السلطان

---

[1] وقد أوردها صاحب أخلاق العلماء بطولها ص ١٧٥ و ص ١٧٦ عن الطبقات ج ٥ ص ٨٤ .
[2] من تاريخ الشرقاوى على هامش الاسحاقى ص ١٢٨ .
[3] أخلاق العلماء ص ١٧٩ . [4] الشرقاوى ص ١٢٥ .

إلى إقامة العدل، ورفع الظلم كما تقول. أو لبيع الأحرار، وأمهات الأولاد، وهتك الحريم؟ فقال: هؤلاء أرقاء لبيت المال. فقال له: هذا الأمر لا يجوز، ولم يقل به أحد. فاغتاظ غيظاً شديداً، وطلب كاتب ديوانه، وقال له: اكتب أسماء هؤلاء، وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره. فقال له أحدهم: اكتب ما تريد. بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا، فأفحم، وانكف عن إتمام قصده، وتتبع أموال الأمراء وودائعهم. وكان إبراهيم بك الكبير قد أودع عند أبي الأنوار وديعة، فأرسل يطلبها، فامتنع عن دفعها قائلا: إن صاحبها لم يمت، وقد كتبت على نفسي وثيقة، فلا أسلم ذلك ما دام صاحبها في قيد الحياة، فاشتد غيظ الباشا منه، وقصد البطش به، فحماه الله منه ببركة الانتصار للحق. فكان يقول: لم أر في جميع الممالك التي وليتها من اجترأ على مخالفتي مثل هذا الرجل. فإنه أحرق قلبي [1].

ومن الذي يعرف أن الشيخ الدردير رضي الله عنه كان قائد ثورة يخشى بأسه الظالمون، ويخضع لأمره الغاصبون.

روى الجبرتي أنه في عام ١٢٠٠ هـ نهب حسين بك شفت وجنوده داراً لشخص يدعى سالما الجزار ونهبوه حتى حلى النساء والفرش، فثار أهل الحسينية واتجهوا إلى الجامع الأزهر، ومعهم طبول، وانضم إليهم كثير من العامة، وبأيديهم نبابيت ومساوق، وذهبوا إلى الشيخ الدردير باعتباره شيخ العلماء، فساعدهم بالكلام، وقال لهم: أنا معكم، فخرجوا من نواحي الجامع، وأقفلوا أبوابه، وانتشروا بالأسواق وغلقوا الحوانيت، وأخذوا يصيحون ويدقون الطبول، وقال لهم الشيخ الدردير: في غد نجمع أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة، ونركب معهم فننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم. فما كان من الأمراء إلا أن حضروا إليه، راغبين في الصلح، خائفين من تضاعف الحال [2].

وبعد ذلك بتسع سنوات تزعم شيخ الأزهر الشيخ الشرقاوي ثورة أخرى على هؤلاء الأمراء، كان سببها أنه حضر إليه أهل قرية بشرقية بلبيس. وذكروا أن أتباع محمد بك الألفي ظلموهم، وطلبوا منهم مالا قدرة لهم عليه، فاغتاظ الشيخ من ذلك، وجمع المشايخ، وقفلوا

---

[١] الجبرتي حـ ٣ ص ٢٠١ وانظر أخلاق العلماء ص ١٧٩.

[٢] الازهر في ألف عام: الخفاجي بتصرف واختصار حـ ١.

أبواب الجامع ، وذلك بعد أن خاطب مراد بك وإبراهيم بك ، ولم يبديا شيئاً ، وأمر الشيخ الناس بإغلاق الأسواق والحوانيت ، ثم ركبوا ثاني يوم إلى بيت السادات ، وتبعهم كثير من العامة ، وازدحموا أمام الباب والبركة بحيث يراهم إبرهيم بك . فأرسل إليهم يسألهم عن مرادهم . فقالوا : نريد العدل ، وإبطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها . فقال : لاتمكن الإجابة إلى هذا كله ، فإنا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش . فقالوا : ليس هذا بعذر عند الله ، وما الباعث على الإكثار من النفقات والمماليك ، والأمير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ .

ثم انفض المجلس ، وركب المشايخ إلى الجامع الازهر ، واجتمع أهل الأطراف ، وباتوا فيه . فما كان من مراد بك إلا أن عاد فخطب ودهم وطلب منهم الصلح [1] .

والحديث عن سائر مواقف علماء الازهر فى وجوه الظالمين والغاصبين ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، مجاهدين فى سبيل الله ، مما لايتسع له المقام . وفى عدد صفر من هذه المجلة نبذ صالحة من مواقف خالدة للشيخ حسن العدوى ، وشيخ الإسلام الإنبابى ، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ محمد بخيت ، وشيخ الأزهر الشيخ حسونة النواوى ، والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وشيخ الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم . وإنه لايزال يرن فى الآذان صوت شيخنا الشيخ محمود أبو العيون رحمه الله وهو يجلجل على صفحات الأهرام آمرا بالصون والعفاف ناهياً عن المجون والاستهتار ، إلى أن يواجه فوزية أخت فاروق وبنت فؤاد فيما أعلنت عنه من إقامة حفلة ساهرة لجمع التبرعات لعمل من أعمال البر على طريقة ذلك الأوان بقوله :

إحدى لياليك فهيسى هيسى لاتنعمى الليلة بالتعريس

وبعد - فإنا لنرد غرب القول أن يفيض فى وصف أثر الأزهر فى بناء الأمة الإسلامية عامة والمصرية خاصة بناء استطاعت به أن تواجه جحافل التتار ، وجيوش الصليبيين ، وأن تزلزل به أقدام الفرنسيين ، وتقض به مضاجع الانجليز الغاصبين . وهو حديث لاينكره ولا يغض منه إلا كل من يجادل فى الحق بعد ماتبين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ؟

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

---

[١] المرجع السابق ببعض اختصار ج ١ ص ٨٥ .

تمثيل مصر والأزهر

فى افتتاح المسجد النبوى الشريف

بعـــد توسعته وتجديده

إجابة للدعوة الكريمة الموجهة من حضرة صاحب الجلالة الملك سعود عاهل المملكة العربية السعودية لحضور الاحتفال بافتتاح المسجد النبوى الشريف بعد توسعته وتهيئته لاستقبال وفود المسلمين من أقطار الدنيا ، سافر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر على رأس وفد دينى مؤلف من صاحبى الفضيلة الشيخ حسن مأمون مفتى الديار المصرية ، والشيخ محمد توفيق النحاس مراقب البحوث والثقافة الإسلامية المساعد ، لتمثيل مصر والأزهر فى هذه المناسبة الجليلة ... وقد أقيم الاحتفال فى جو من الروعة والفخامة يليق بهذه المناسبة الكريمة ، وذلك فى يوم السبت ٥ من ربيع الأول سنة ١٣٧٥ ، فى سرادق عظيم بجوار المسجد النبوى الشريف برئاسة حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ، وبحضور الأمراء والوزراء وكبار العلماء من شبه الجزيرة العربية ومن الأقطار الإسلامية الأخرى وكبار الشخصيات بالمملكة والسفراء ورجال التمثيل السياسى .

وفيما يلى نص كلمة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر التى ألقيت فى هـــذا الاحتفال العظيم :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمـــد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وأما بعد ، فهذه أيام عظيمة مباركة ، تحمل لنا ذكرى مجيدة طيبة ، هى من أعز ذكريات الإسلام : ذكرى مولد خاتم الانبياء محمد عليه الصلاة والسلام .

وهذه هى المدينة المطهرة ، مهاجر النبى الكريم ﷺ ، قد كانت مركزاً لدعوة الحق ، ومناراً للهدى والرشاد ، ومبعثاً للقوة الخارقة الرائعة ، التى قضت على البغى والجهل والفساد ، وأشرت على العالم لواء العدل والعلم والامن والسلام .

وهذا هو المسجد النبوى الشريف ، الذى أنشأه الرسول بنفسه ، وعمل فيه بيده ، كان يحمل فيه مع العمال الطوب والأحجار ، وينشد ، وينشد معه أولئك المؤمنون الأخيار :

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

فى هذا اليوم المجيد ، وفى هذه البقعة الطيبة من المدينة النبوية المباركة ، يشرفنى ، ويشرف هذه البعوث الوافدة من مختلف بلاد الإسلام ، أن نشهد هذا الحفل الميمون ، تلبية لدعوة كريمة ، من ملك كريم ، وابتهاجاً بعمارة هذا المسجد العظيم ، الذى هو أحد المساجد الثلاثة ، التى لا تشد الرحال إلا إليها .

هذه العمارة الجديدة ، قد أرسى جلالة الملك سعود قواعدها ، وأحكم بنيانها ، ووسع رحابها وأرجاءها ، فجاء بها هذا المسجد العظيم ، آية من آيات العزة الدينية ، وعلما على القوة الإسلامية ، وشاهداً رائعاً قوياً ، على ما امتاز به هذا الملك المؤمن الغيور ، من عزيمة قوية نفاذة . فى العمل لرفعة شأن الإسلام ، وعزة المسلمين .

إن عمارة المساجد وإصلاحها وتجديدها ، لشرف عظيم ، كان يتنافس فيه السابقون الاولون ، وكان يسير على نهجهم فيه من تبعهم بإحسان من ولاة المسلمين ، يرون فى هذا العمل المجيد إعلاء لكلمة الله ، وإبقاء لذكره ، ونشرا لدعوة الحق ، وجمعا لعباده المؤمنين على البر والتقوى ، والهدى والصلاح .

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

أما هذا المسجد النبوى الشريف ، فإن الإقبال عليه والعناية بأمره ، وإصلاحه وتجديده وعمارته ، لمن أعظم مايرجوه المسلمون ويتطلعون إليه : شعوبهم وقادتهم وحكامهم ، وهو من أقوى الدلائل على الاعتزاز بالمبادىء الاسلامية السامية ، وبحامل لوائها ، وهادى الناس إلى صراطها ، والقدوة العظمى ، فى قوة النفس ، وكمال الخلق ، والإيمان ، والثبات على الحق ، والمضى فيه ، والجهاد فى سبيله .

فبمثل هذا العمل المجيد الذى قام به هذا الملك العربى العظيم ، وبالجهود التى تبذل دائما لنشر الدعوة الاسلامية ، وتجلية حقائقها ، والدفاع عنها ، وعن مراكزها ومواطنها ، تتجدد عزائم المسلمين ، وتسمو هممهم ، وينتبه غافلهم ، وتقوى جماعتهم ، وتحيا فى نفوسهم سيرة النبي

الأكرم ، الذي هو مثلنا الأعلى، وقدوتنا العظمى، وتتجلى مآثره وفضائله ، وما حققه للمسلمين من خير وعزة وكرامة .

لهذا المعنى الجليل ، عنى المسلمون بأمر هذا المسجد منذ الصدر الاول ، فجدد بناءه وزاد فيه عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، رضى الله عنهما ، واقتدى بهما فى هذا الفضل والشرف عمر بن عبد العزيز ، فى عهد الوليد بن عبد الملك ، فقام فيه بعمارة عظيمة ، وأدخل فيه زيادات كبيرة . واستمر يتنافس فى تجديده المتنافسون ، ويتسابق فى تعهده ورعايته ، المصلحون من ملوك المسلمين ، إلى أن جاء هذا الملك الكريم ، فواصل ما بدأ فى عهد جلالة والده الراحل العظيم ، حتى أتم هذه المأثرة الجليلة ، التى أضفت على هذا المسجد الشريف ، من البهاء والروعة ، ما يليق بمكانته ، ويتناسب مع ما حبا الله به الملك من همة فى جلائل الامور ، وقوة فى الحق ، ونفاذ فى البصيرة ، وحب لأعمال الخير والبر ، وغيرة على الإسلام .

« وبعد ، فإنها لسعادة كبرى ، أن نحظى فى هذه المناسبة المجيدة ، بزيارة هذه الارض المقدسة خير بقاع الدنيا ، فنشهد بها مطالع هذا النور الإلهى الذى انبثق من « أم القرى » يشق طريقه إلى العالم ، يبدد ما فيه من ظلمات ، وينقذ الناس مما ارتكسوا فيه من فتن ومحن ، وآثام وشهوات .

وقد ربط الله بهذه الأرض الطاهرة المقدسة جميع أقطار الدنيا ، وجعلها مركز العالم الإسلامى كله ، تهوى إليها الأفئدة ، وتصبو النفوس ، وتتجه الأبصار والبصائر ، وناط بها ركنين عظيمين من أركان الإسلام ، هما الصلاة والحج ، فالمسلمون مهما تباعدت ديارهم ، واختلفت ألسنتهم وألوانهم ، يولون وجوههم كل يوم فى صلاتهم شطر الكعبة : والمسلمون مهما شط مزارهم ، وشقت أسفارهم ، يقطعون المسافات ، ويجوبون المخاوف ، آمين البيت الحرام ، وفوداً فى كل عام ، ليتعارفوا فى حماه ، ويتواصو بالحق والخير فى رحابه ، ثم ليقضوا تفثهم ، ويوفوا نذورهم ، ويطوفوا بالبيت العتيق .

أسأل الله العلى القدير الذى وفق هذا الملك العظيم إلى هذا العمل الجليل فى المسجد النبوى الشريف أن يوفقه إلى تنفيذ ما انتواه فى المسجد الحرام ، وأن يديم على هذه البلاد أمنها ورخاءها ، ويجمع قلوب المسلمين على ما فيه خيرهم وصلاحهم ورشادهم ، وأن يعز الإسلام ويعلى كلمته ، ويحفظ لشبه الجزيرة العربية راعيها وقائدها ، ويجعل عهده عهد يمن وسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

تقـــرير

ترى هيئة التدريس فى كلية اللغة العربية أن تتقدم بهذا التقرير

إلى السيد الرئيس قائد نهضة مصر

ليدرأوا عن الأزهر بعض ما يثار فى وجهه من غبار ، وليرسموا له صورة صادقة بمناسبة ما يدور حوله من آراء تنشرها الصحف ، ويتناقلها الناس .

وما كان أغنى الازهر عن أن يدفع عنه المدافعون ، لولا أن بعض ذوى الخطر القديم يخوضون فى حديثه خوض متحامل ، فظلموه بهذا الخوض ظلما فادحا لا ينبغى أن يجازى به معهد له مثل حاضره وماضيه .

وأى ظلم للأزهر أفدح من أن ينادي المنادون بإفنائه فى سواه ، والتعفية على آثاره ؟ فيطوى بذلك كتاب ضخم ، كم سجل بسببه التاريخ لمصر ، وما زال يسجل ، روائع من آيات المجـــد الأثيل ؟ !

أيها السيد الرئيس :

إن إنصاف الحقيقة يقتضينا أن نضع ماضى الأزهر وحاضره فى الميزان لعلنا نهتدى فيهما إلى ما يشفع له بالبقاء ، أو ما يستحق بسببه الفناء .

أما الماضى فهو عريق عراقة التاريخ النبيل ، وإن جذوره لتتعمق فى الأصالة والعتق أكثر من ألف عام ، ولا غرو فالأزهر أقدم جامعات العالم بإطلاق ، وهو أصل معهد قام على خدمة الإسلام ومعارفه بروح علمية صادقة ، لا تعرف الضيق ولا الجمود ولا تتخلف عن ركب الحياة ، وهو الذى ثبت من دون معاهد الأقطار الإسلامية لأعاصير الزمن ، حتى استحال فى نظر المسلمين إلى فكرة ، معناها القيام والحفاظ على العلوم الدينية والعربية ، فاكتسب لمصر بذلك منزلة الصدارة ، وأحلها المقام المحمود فى العالم الإسلامى ، إذ ربطت شعوبه هواها بالأزهر ، واتجهت بأفئدتها إليه ، وأولت وطنه مصر زعامتها منذ قديم .

أيها السيد الرئيس :

لو أن هذا الذى تحدثنا به عن الأزهر كان عارضا فى تاريخه مضى وانقضى ، ما كان لنا أن نعتد به ، ولا أن ندخله لنا فى حساب ، فما نحن ممن يتعوضون عن فراغ الحاضر وفقره بامتلاء الماضى وغناه ، ولكنه والحمد لله ماض موصول بحاضر ، وحاضر ممتد إلى ما شاء الله من مستقبل زاهر بفضل الرئيس الحريص على مجد مصر أن يتولاه الدثور . فما قعد الأزهر يوما ما ولا تخلى عن أداء مهمته الأولى ، ولقد تطورت مناهجه مرة بعد مرة متابعة تطور الحياة وما يجد فيها من مظاهر تطلب التجدد ، ولكنه كان دائما حريصا على صبغته التى فطره الله عليها ، وهى العناية كل العناية بعلوم اللغة والدين ، وبذلك لم يقصر فى الوفاء بواجبه الأصيل ، ولم يتخلف عن تحقيق رغبة المسلمين وما ناطوه به من آمال ، فلم تتغير نظرتهم إليه ، ولم تتزعزع عقيدتهم فيه .

وآية ذلك تلك البعوث التى تتوافد إليه فى كل عام من كل أرجاء الأرض ومن كل أجناس الخلق ، حيث تنثال عليه تلك الوفود أفواجا أفواجا تتزود من ثقافته ، وترتوى من مناهل علمه .

ثم هذه الدول التى تستمد مددها دائما منه ، وتلتمس العون الثقافى من المتخرجين فيه ، وتتزايد حاجتها إليهم عاما بعد عام . ثم هذه المنزلة التى لا تضارعها منزلة ، فإنه يحتل وتحتل به مصر أسمى المنازل من قلوب المسلمين فى كل رجا وقطر .

وما نحتاج فى إثبات ذلك إلى شىء أصدق من شهادة السيد الرئيس وصحبه الأبرار . فقد أتاح لهم اشتراكهم فى المؤتمـــرات الدولية ، وارتحالهم فى مشارق الأرض ، واتصالهم بالوافدين من أهل الأقطار القريبة والبعيدة ، أتاح لهم ذلك أن يلمسوا عن قرب صدق ما نقول وأكثر مما نقول .

أيها السيد الرئيس :

هذا طرف يعرفه الناس من ماضى الأزهر وحاضره فى الميدان الخارجى ، وسندع لسيادتكم تقديره ، فأولو الأمر فى الأمم والقائمون على سياسة الدول ، هم أعرف الناس بقيمة هذه الأمور ، ندع ذلك ونبحث : فلعلنا أن نجد فى ماضى الأزهر وحاضره بالميدان الداخلى فى البلاد أشباها لهذه المفاخر .

ولن نذهب إلى الماضى البعيد ، فحسبنا أن نشير إلى ما لم ينسه الناس ، وما لن يستطيعوا نسيانه ما دام للتاريخ رواة .

وهل يخفى على أحد أن عهد النهضة المصرية فى كل ناحية من نواحيها ، إنما استمدت أول ما استمدت من الأزهر ؟ .

إننا لا نتمثل بالنجوم اللامعة من أبنائه الذين أجرى الله على أيديهم لمصر كثيراً من الخير ، من أمثال عمر مكرم ، ومحمد عبده ، وسعد زغلول ، ولكننا نشير إلى الرعيل الأول من أقران رفاعة الطهطاوى ومن جاءوا على أعقابهم من شباب الأزهر الذين بعثتهم مصر إلى أوربا ليقبسوا لها أقباساً من العلم الجديد ، ثم عادوا ليمهدوا الطريق ويضعوا على جوانبه المناور والأعلام .

وما لنا ولذلك ، إننا فى حاضرنا هذا نمد جهاز الدولة بأعضاء عاملين ، يتغلغلون فى كل ناحية ويؤدون أعمالا لا غنى للمجتمع عنها ، ولن نزوق فى العبارة ، وإنما نتبع طريق العد والإحصاء ، وندع للحقائق السافرة النطق والبيان .

١ — فالأزهر أهم مورد تستمد منه مدرسة المحصلين والصيارف حاجتها من الطلاب الذين لا يتخصصون فيها أكثر من عام ، وتشهد بذلك وزارة المالية .

٢ — والأزهر دون سواه هو الذى يمد الدولة بحاجتها من الموثقين وقضاة الأحوال الشخصية كما تعرف ذلك وزارة العدل .

٣ — والأزهر هو المورد الأوحد لسد حاجة الدولة من الأئمة والخطباء والوعاظ والمرشدين كما تعلم وزارتا الأوقاف والداخلية .

٤ — والأزهر يسهم بسهم وافر فى إعداد معلم المرحلة الأولى .

٥ — والأزهر هو أغزر منبع يتكون فيه معلم اللغة العربية والدين فى المرحلتين الإعدادية والثانوية ، وسواء تولى أمره الأزهر من مبدئه إلى منتهاه ، أو حملت عنه بعض العبء كلية دار العلوم ، فإنها تستمد طلابها من الأزهر .

أيها السيد الرئيس :

لعل من حقنا الآن أن نجاهر مطمئنين بأن الأزهر ضرورة لا بد منها لمصر :

فهو ضرورة تاريخية يحتمها امتداد تاريخ مجيد كتب الله له أن يمتد ما بقى دينه ، وقرآنه ، ولغة قرآنه .

وضرورة سياسية تقضى بها وتؤكدها وشائج القربى والأسباب القوية التى تربط مصر بسائر الشعوب الإسلامية ، وتنزلها منها منازل حبات القلوب .

وضرورة اجتماعية تتطلبها الحياة الحاضرة ، حيث يقدم لها الأزهر كثيراً من الأيدى القوية النظيفة ، التى تعمل فى دءوب وسكون مع غيرها من أيدى العاملين المخلصين .

إن لنا أن نجاهر بذلك ، لعله يعيد إلى الصواب أولئك المتجنين على الأزهر ، أولئك الذين لا يخشون فى تجنيهم عليه لومة الحق ، فيظلمونه فى ماضيه وحاضره ، ويهتفون بالقضاء عليه وطى صحيفته من سجل المجد والخلود .

وأى حجة لهؤلاء المتحاملين على الأزهر فى ترويج ما يروجون ؟ .

أهى اعتزال الأزهر ، ونأيه بعيداً عن الحياة ، مضروبا بينه وبينها بالحجب الصفاق من ثقافته كما يدعون ؟ .

لقد يصدقون فى ذلك لو كان فى مواد هذه الثقافة ما يكون من طبيعته الجمود وتسوير الحياة بالحجب الصفاق ، ولا فيصل فى ذلك إلا اطلاع الناس على برامج هذه الثقافة ، وهى من المطبوعات العامة للدولة ، ويستطيع أن يراجعها كل من أراد .

وحينئذ سيجد الناس انها حيوية لسبب معقول ، وهو أن مثلها فى غير الأزهر لم يرم بالجمود من أحد من الناس ، وسيعلم من كان لا يعلم أن طالب الأزهر لا يفوته شىء مما تأخذ به وزارة التربية والتعليم تلاميذها إلا شدة الاحتفال باللغات الأجنبية ، وأن الأزهر يهيئ لطلابه بديلا من ذلك مزيداً من العناية باللغة العربية والدراسات الإسلامية ، وذلك أمر تقتضيه طبيعة التوجيه وإعداد الطلاب للتخصص العلمى .

واللغة العربية هى اللغة القومية ، والإسلام هو دين أهل البلاد ، ولغة أى قوم ودينهم هما من صميم حياة هؤلاء القوم ، فكيف يكون جامداً معتزل الحياة من يعنى بهما إلا أن يكون الاشتغال بجانب من الحياة حجابا صفيقا يفصل المرء عن الحياة ؟! .

ونقولها مرة أخرى : قد يصدقون لو لم يكن ما قدمناه فى قائمة حساب الأزهر ناطقاً بالحق منادياً بأعلى الصوت أنه قطعة من الحياة ، وهى قائمة تتألف تفاريقها وجملها من حقائق الواقع ، وإلا فكيف يستطيع أبناؤه بعد خروجهم من كهف العزلة أن يدلفوا إلى المجتمع وأن يزاولوا ما يزاولون فيه من أعمال ، ما لم تؤهلهم ثقافتهم لها ، وتسلحهم بأسلحة النجاح فيها ؟ .

أم أنها هى فكرة التوحيد بين أبناء الأمة فيما يأتى إليهم من برامج التربية والتعليم ؟ .

إنها فكرة جميلة ، ولكنها فى مقامنا هذا رواء لا مخبر له ، بل هى حق يراد به الباطل .

وتوضيح ذلك سهل قريب ، ففى قانون الأزهر مادة تشترط فيمن يريد اللحاق بالسنة الأولى من قسمه الابتدائى ألا تقل سنه عن اثنتى عشرة سنة ، ومعنى ذلك أن الأزهر لا يتلقى الطالب إلا بعد أن يتخطى حدود المرحلة الأولى وشطرا كبيراً من عمر المرحلة الاعدادية ، لسبب اقتضى ذلك ، وهو اشتراطه للالتحاق به حفظ القرآن الكريم ، وما يقول أحد بأن توحيد البرامج والمناهج العلمية توحيداً كاملا بعد هذه الفترة أمر تحتمه الحياة العاملة المتنوعة المطالب والغايات ، بل إنها تحتم التنويع والتفريع وفقاً لنظرية التخصص وهى أعرق وأصدق قاعدة فى قواعد الاجتماع .

وهذه وزارة التربية تنوع برامجها مرة بعد المرحلة الأولى ومرة أخرى بعد المرحلة الاعدادية ، وتفتن التعليم إلى مدارس معلمين أولية ، وصناعية ، وزراعية ، وتجارية ، وثانوية ، وما ذاك إلا توجيه إلى التخصص المهنى أو العلمى ، حسب ما تقتضى الحياة .

ومعاهد الأزهر - قياسا على ذلك - طريق من طرق التوجيه تعد طلابها إعداداً يتسق مع ما ينتظرهم فى الكليات من مناهج خاصة بتخريج المعلم الكامل للعلوم الدينية والعربية .

وما ننتظر أن يخالفنا أحد فى أن مثل هذا المعلم ينبغى أن يعد إعداداً خاصاً يؤهله تأهيلا كاملا لعمله ، ولا فى أن المنهج العام فى التعليم الثانوى لا يصلح أن يكون توجيها وتمهيداً لنوع الثقافة اللغوية والدينية الشاملة التى ينبغى أن يؤخذ بها مثل هذا المعلم ، وإلا فإننا نحتكم إلى السيد الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربى بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٠ وما قبلها فنسأله : فيم كان عناؤه ومحاولته أن يجذب إلى قسم اللغة العربية هناك شبابا من شباب الأزهر ؟ وأى معنى كان يقصده من ذلك غير ما كان يراه ويصرح به من أن هذا القسم لا يؤتى ثمره ولا يصل إلى ما يريده له من آمال حسان إلا بشباب ثقفوا بثقاف أزهرى ؟ .

ثم نسأله - وقد تتلمذ له فريقان أزهرى ومدنى - أيهما كان أهلا لأن يصل به إلى أمله من هذا القسم بعد أن ينحى عن حكمه النادين الأفذاذ ؟ !

ولكن أين نحن الآن من السيد الدكتور الذى كان أستاذا للأدب فى سنة ١٩٣٠ وماقبلها ؟ وأين نجده لنطالب حكومته فيما نتنازع عليه نحن والمعاندون ، ونسأله فيعطينا الجواب الصواب ؟

لقد جنى على الرجل اشتغاله بالسياسة فتغير ، ولم يبق من ماضيه إلا طائفة من الذكريات وهى فيما نعتقد طائفة تصلح للفصل فيما بيننا وبينه ، وتستطيع أن تدفع فى وجه مغالطاته بهذا المقام . وبعض هـــذه الذكريات ما زال ماثلا على التحقيق فى أذهان تلاميذه من الأزهريين الذين اقتحم بهم أسوار الجامعة المصرية فيما مضى ، سعيا منه فى سبيل النهوض بقسم اللغة العربية ، ودعما لهذا القسم بأصلح العناصر فى رأيه آنذاك .

ولعل بعض هـذه الذكريات أن يكون مسجلا فى سجل مجلس الجامعة منذ استصدر الدكتور منه ترخيصا يفتح لهؤلاء الأزهريين ما كان مغلقا دونهم من أبواب .

وقد يكون بعضها باقيا غافيا فى نفس الدكتور طه حسين الذى يسعى الآن بين الناس ، وينقض من رأيه ما أبرم ، ويحاول القضاء على الثقافة الأزهرية بدعوى الإصلاح .

وما كان لهـذه الذكريات أن تغفو فى نفسه أو تنام ، لو أنه بقى إلى الآن فى مقامه الأول يزاول من شئون الطلاب ما كان يزاول عن قرب ، ويعنيه من أمر قسم اللغة العربية ما كان يعنيه .

ولكنه الآن رجل آخر غير الذى كان ، إنه رجل ينازل فى ميادين الإصلاح بأساليب السياسيين المتحزبين ، فقد أساء إليه اندماجه فيهم وأعدته طباعهم ، حتى نسى أن الوصول إلى الحق غاية ما يبتغى المتجادلون ، وامتهن سلطان ضميره العلمى فآثر أن تكون المغالبة هدفه ومقصده ، واتخذ من المغالطة سلما يرتقى فيه إلى الغلبة على أنقاض الحق ، وصار بحيث لا يحجزه من خلق العلماء حجاز عن تسفيه الناس جزافا ، وثلبهم طوائف وجماعات .

وهل أثم شيوخ الأزهر عنده ، حتى لا يجـد فى نفسه حرجا من أن يتهمهم جملة بسوء التعلم ، وأن يرميهم بالتواء الفهم ، وشذوذ التفكير ؟ ! .

إنهم لم يصنعوا شيئا أكثر من أن رأوا رجلا يموه بالباطل ويلبس على الناس ، فنفر له نفر قليل منهم يجادلونه بالتى هى أحسن ، ويطلعون الناس من رأيه على مواطن الضعف ،

ويبصرونهم فى أمرهم طريق الرشد ، دون أن تنطوى نفوسهم على نية السوء له أو النيل منه اللهم إلا أن يحسب فى ذلك ما يكون من هفوة الرجل يخونه التوفيق ، ويخطئه حسن التعبير .

لقد كان جديرا بصاحبنا ألا يحفظه ويثير ثائره نيل يناله فى ذاته — إن صح أنه نيل بمكروه — فذلك أولى له ولأمثاله ممن يدعون الإصلاح ، ويتخيلون لأنفسهم موقف البطولة فى ساحته فيتخذون سمت المصلحين ، وإلا فكيف يصدق الناس رجلا تعرى من أناة صاحب الحق ، لأن يده صفر من الحق ، أو كيف يقبلون الرأى ممن يثور لنفسه فينأى عن الهدى ، وينأى عن العدل ، ويجمح به هواه ، فيسفه على قوم لم يسوءه بسوء ، ويفتئت عليهم ما شاءت له المفتريات ، وما أكثرها من مفتريات ، وما أفضحها ! !

وإنها لفرية صارخة ما يزعمه الدكتور طه حسين من أن الأزهريين لا يفرقون بين ذواتهم وبين الدين ، ولا بين الأزهر الشريف نفسه وبين الدين كما يقول ، فما ادعوا لأنفسهم ولا لمعهدهم عصمة دينية ولا الدين الذى يدينون به يرضى لأحد أن يدعى لنفسه العصمة .

ولكنهم يؤكدون ، وحق ما يؤكدون ، أنهم أوفى طوائف المثقفين من المسلمين نصيبا من الثقافة الدينية .

ويؤكدون وحق ما يؤكدون أن معهدهم أعرق معاهد الدين عند المسلمين ، وأعلاها مقاما فى نفوسهم ، وأشدها ربطا بين قلوبهم ، وألزمها للقدر المشترك من حياتهم ، وأوسعها إحاطة بمعارفهم الدينية واللسانية وأسرعها تجاوبا مع الحياة وقبولا للمفيد من كل جديد .

وإذا قال قائل من الأزهريين إن معهدهم يدرس لطلابه كذا وكذا من العلوم ، فإنه لا يجازف بذلك ، ولا يدعى أن كل طالب أزهرى يستوعب كل هذه العلوم كما يزعم الدكتور طه حسين ، ولكنه بصدد أن ينفى عن الأزهر فرية البعد ببرامجه عن الحياة ، فسبيله إذن سبيل من يسرد ويعد جملة العلوم التى تقوم عليها برامج الأزهر ، والتى يدرسها جملة الطلاب ، ومقام الجدل وحده كاف لأن يفهم المتتبعون لسير المناقشة أن البرامج توزع هذه العلوم أنواعا ومقادير على مراحل التعليم وشعبه المختلفة ، كما توزع جملة العلوم التى تتولى أمرها وزارة التربيـة على أنواع وفروع مختلفة من التعليم ، وعلى طبقات

متفاوتة من المتعلمين ، وذلك ماتصنعه كل جهة تعليمية فى العالم ، وهو لايغيب عن فطنة وزير المعارف الأسبق .

هذا هو الوضع إذا قيل هذا القول ، ولكن كيف يفترس الذئب الحمل إذا لم تلصق به تهمة تعكير الماء وإن كان ينزل من دونه ناحية المصب ؟ ! وكيف يستقيم الأمر للدكتور طه حسين فيما يبتغى من إيذاء الأزهريين ؟ ! . لابد أن يتقول عليهم ما لم يقولوه ، ولابد أن يلفق لهم كما يلفق أهل الريف فيضع فى نفوسهم معانى لم يقصدوها ، ولا يحتملها مقام الجدل ، حتى يستطيع أدبه العظيم أن يسخر منهم ، ويتهكم بهم ، ويجعلهم دوائر معارف تتحرك ، فتغدو وتروح ، وتذهب وتجىء .

وإذا قال قائل منهم ذلك ، فإنه لايقصد أن طلاب الأزهر يتلقون هذه العلوم المختلفة تلقى المتخصصين كما يحاول اختلاقه عليهم الدكتور طه حسين ، ولكنهم يتلقون منها بقدر ، لايحيف على أساس الطابع الأزهرى ، ويصل الطالب بباقى جوانب الحياة .

وإذن ، فلا وجه لنكتة الصيف التى استروح بها الدكتور طه حسين عندما اقترح ساخراً أن تلغى الحكومة جامعاتها ومدارسها ومعاهدها على اختلافها مستغنية عن ذلك كله بالأزهر ، لا وجه للنكتة ، ولا طاقة للناس بحرها ، وذلك لأن ما فى الأزهر منهج تعليمى خاص ، يتطلبه جانب مهم من جوانب الحياة المصرية وهو جانب اللغة والعقيدة ، ويتطلبه كذلك مقام مصر بين جاراتها وشقيقاتها من الدول العربية والإسلامية ، وهو منهج لا يغنى عنه سواه فى معناه ، كما لا يغنى هو عن غيره من مناهج أخرى تطلبها بقية جوانب الحياة ، اللهم إلا أن يستطيع وزير المعارف الأسبق أن يستغنى بالتعليم الصيدلى مثلا عن التعليم الطبى ، أو الهندسى ، أو الزراعى ، أو القانونى ، أو التجارى ، أو الصناعى إلى آخر ما يعرف سيادته من ألوان التعليم .

* * *

وليس صحيحاً كذلك أن الدولة لا تشرف على الأزهر كما يزعم الدكتور طه حسين ، وذلك لأمر تعلمه الدولة نفسها ، ويعلمه كل من تقله أرض الدولة ، وتظله سماؤها ، فالحكومة هى التى تعين من توليهم شئون الأزهر ، وهى التى تمنحهم سلطان إدارته ، وتعيين من يساعدهم فى تلك الإدارة ، تماما كالذى يعمله كل وزير ، وكل من يشرف على

عمل من أعمال هذا البلد ، وإذا كانت الصبغة الغالبة على القائمين بأمر الازهر هي الصبغة الأزهرية الخاصة ، فما ذاك إلا لما تقتضيه طبيعة البرامج والمناهج الثقافية فيه ، كما يقضى الوضع الصحيح أن يكثر ويغلب الزراعيون في محيط التعليم الزراعي ، والأطباء في كلية الطب ، والمهندسون في الهندسة ، والقانونيون في الحقوق .

وفوق هذا فإن الدولة تمد الازهر بمدرسي وأساتذة العلوم والآداب ، وهي بعد ذلك تقر تعيين جماعة من كبار هؤلاء للإشراف على أعمالهم وتقدير ما يؤدون .

ومع ذلك فالأزهريون مصريون وليسوا جالية أجنبية تزحم أبناء الوطن وتضيق عليهم جوانب الحياة حتى يستصرخ الدكتور طه حسين الحكومة ويستعديها عليهم ، ويطالبها باجلائهم عن مراكزهم .

* * *

وصحيح أن في الأرض بلادا إسلامية أخرى ليس فيها الأزهر ، ولكنها فيما يتعلق بحفظ القرآن وما يتصل بعلوم الدين ليست على ما يتوهم الدكتور طه حسين أو ما يحاول عامداً أن يوقعه في أوهام الناس ، ومصداق ذلك هذه البعوث التي تجيء من الطلاب والبعوث التي تذهب من العلماء .

وقد يكون الصواب أن نترك الفصل بيننا وبين الدكتور في ذلك لأبناء هذه البلاد ، فإنهم من غير شك أعرف منا ومنه بما يكون بين مصر وبلادهم من تقارب أو تباعد فيما يتصل بشئون القرآن وعلوم الدين .

ولكن ذلك لا يعفينا من أن نعطفه على ظاهرة ينساها أو يتناساها ، ولعلها كانت أولى الظواهر بأن يشغل باله وهو عميد الأدب العربي في مصر وسائر الأقطار .

تلك هي ما يتفق عليه النقاد من أن مصر أثبت أخواتها قدما في العلوم العربية وأرفعها مقاما في الفنون الأدبية ، نعطف الدكتور على هذه الظاهرة ونسأله : هل كان ذلك لمصر إلا لأن من يعلمون ناشئة البلاد ولغتهم وأدبهم أتم استعدادا من نظرائهم في غير مصر ؟ .

وهل تم استعدادهم وفاق إلا بفضل الثقافة الواسعة التي تتاح في الأزهر لهؤلاء المعلمين ؟.

هذه مقدمات ونتائجها ، ولا يستطيع الدكتور نكرانها إلا إذا صدق ما أشاعته الصحف عنه منذ قريب ، من أنه حكم بانتقال الزعامة الأدبية من القاهرة إلى بيروت ، ومن مصر إلى لبنان .

بمثل هذه المفتريات يهجم الدكتور طه حسين على شيوخ الأزهر ، ويقذفهم بأنهم لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ألا إنهم يتعلمون كما يتعلم الناس ، بل إنهم ليتعلمون كما ينبغي أن يتعلم الناس ، بل إنهم ليعلمون الناس ، يعلمون أكثر من عشرين مليونا في مصر وما لا ندري إحصاءه في غير مصر ، يعلمونهم ما لا تقوم الحياة إلا به من أمور اللغة والدين .

* * *

وبمثل هذه الأباطيل يريد الدكتور طه حسين أن ينتقم لضغن قديم ، ويحاول أن يهدم بنياناً بناه التاريخ المجيد ، بما يموه على الناس من خدع .

ويالها من خدع سوافر تمشي بلا استحياء .

* * *

والله الذي أنقذ آمال مصر وأمانيها من ثرثرة السياسيين ومغالبتهم بالضلال ، قادر على أن يحمي مجد مصر وتراثها الخالد من غرور الأدباء وتغالبهم على الناس بسحر البيان .

والله أكبر والعزة لمصر .

عن هيئة التدريس
في كلية اللغة العربية
شيخ الكلية
محمد محيي الدين

صيحة الشعر :

حـــــديث السماء

« إن القرآن الكريم يدعو إلى الوحدة لا إلى التعدد ، وإن إبقاء القرآن على التعدد »
« لم يكن إلا خضوعاً لظروف اجتماعية تتطلبها البيئة العربية فى ذلك الحين » .

« من مقال للدكتور محمد خلف الله »

« سأعلم أولادى احتراف اللصوصية ، وبناتى احتراف الدعارة » .

« عن مجلة الحياة الجامعية »

« ولست أدرى كيف لم يقتل المسلمون الأول أئمة الإسلام ولكل منهم »
« مذهب يخالف من القاع سائر المـــذاهب والآراء ... الخ » .

« من مقال للدكتور إبراهيم عبده »

« إن الأزهر اليوم يدعو أبناءه أن يعدوا أنفسهم لمواجهة هذه »
« الفتن والقضاء على هذه المحن » .

« من حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر إلى أبنائه الطلاب »

* * *

« حـديث السماء » ... وآياتها وفيض من النور والحـكمة
« حـديث الليـالى » وأصداؤها وهمس من الشرق والقبـــلة

* * *

نهيم على وجهنا فى الحياة ونمشى مع الدهر فى ظلمة !!
فما هى فى الدهـر .. آثارنا وماذا على الشط من ضجة ؟
وما فى « الجزائر » و « القبلتين » وما فى « فلسطين » من نكبة ؟
وما المسلمون .. إذا خالفوا وعاشوا على الضعف والرهبة ؟

فألف بحقـــــــك آراءهم … فإن السلامة فى الألفـة
وحطم بدنياك تلك العقول . . … فإنا نعيش مع (الثورة)
وهشم بمعـــولك الخارجين … على (الدين) والرأى (والملة)
فللناس حق على (شيخهم) … و (للشيخ) حق على الدولة

* * *

لقد نشر الليل من همسه … رواقاً على الشط والربوة
فما بعث الدهر من نومـــه … وما أيقظ الفجر من ضجعة
فما الفلسفات ؟ وما شأنهـا … وماذا وراء « الوجـودية » [1]
وماذا وراءك يا « سارتر » … من الشر والهـزل والخيبة ؟
فـكم حملت فوقها « سارتراً » … وكم فى حياتك من دعـوة
فما خدعتهم « وجـــودية » … وما أخـــذتهم على غرة

* * *

أطلـت على الدهر فى الغابرين … رءوس الضــــلالة والفتنة
وعاد « أبو خطـوة » للحياة … وجاء الوجود على غفلة ! !
فثارت فـلاسـفة المسلمين … ونحن عن (الدين) فى عزلة
ومن خلفهم زمرة ثائرون … فهل جاءكم نبأ « الزمرة » ؟
سكبنـا الدموع على قبرهم … وكم سكب الدهر من دمعة
فما « قصة الدين » عند « العميد » … فقد دارت الأرض « بالقصة »
(فشدوا يديكم على « دينكم ») … فقد شـدهـا الدهر بالقوة [2]
وخافوا على (الدين) من « خطوة » … فإنى أخاف من « الخطوة » [3]
فهذا هـو الليـل فى لهوه … … وهـذا هـو الشرق فى غفوة ! !
تطـوف بمحـرابه الحـادثات … وتجـرى على الأرض فى خفـة

[١] الوجودية : مذهب إباحى يقوم على العبث والهزل والفساد ، ومن أكبر دعاته [جان بول سارتر] .
[٢] من كلمة نائب الرئيس جمال عبد الناصر فى احتفال هيئة التحرير العليا بذكرى المولد النبوى الشريف .
[٣] « الخطوة الثانية » عنوان مقال للدكتور طه حسين . . يدعو فيه إلى توحيد التعليم وإلغاء التعليم الدينى وإلغاء تلك الجامعة الاسلامية التى يعتز بها المسلمون فى أقطار الارض جميعها . .

أخاف على (الدين) من شانئيه ... وأخشى عليه من الصبية ...
فقاتل بأمتك الخارجين ... وأطفئ بها لهب الفتنة ...
فماضر لو رجع المسلمون ... إلى الرشد والحق والشرعة
وقامت لهم فى الورى دولة ... على (الدين) والعدل والرحمة

* * *

تموج « الفتاوى » على الشاطئين ... ويجرى المروق على الضفة !!
نخذهم بما أخذ الاولون ... فقد ضاقت الأرض بالفتية
وضل سبيل الهدى « سارتر » ... وعاد إلى اللهو والفرقة !!
فمالت عن الشرق تلك الشموس ... وسارت هواديه فى اللجة
فذاق على يد جلاده ... كئوس الندامة واللوعة !!
وشابت من الهول [مراكش] ... ونام الزمان على جفوة
فما عاش شعب يريد الحياة ... إذا نام فيها على الذلة ؟

* * *

لقد هجر (الدار) أبناؤها ... وعاشوا هنالك فى الغربة
فهل رجعوا بعد هذا النوى ... وعادوا إليها من (الهجرة)
لقد فرقتهم يد الغاصبين ... فهل لأولئك من رجعة ؟
أقمت على (الدين) صرح الحياة ... وعلمت دهرك بالحكمة . .
فعلم بمحرابك المشرقين ... فكم لك فى العلم من آية
وأيقظ زمانك من نومه ... فإنا نسير إلى . . الهوة
إذا ذهب (الدين) فى أمة ... فقد ذهب الموت بالأمة
وعادت إلى نوحها النائحات ... وشيعها الليل باللعنة . .
طوينا مع الدهر أحلامنا ... وعدناه إلى اللهو والحسرة
وصاح الزمان على الضفتين ... فهب الوليد على الصيحة
فصافح على الشط (رئباله) ... وحى به (علم النهضة)
وهيء (بأزهرك) الناشئين ... وقوم زمانك بالحجة . .
نريد الحياة . . كما صاغها ... لنا صاحب الحول والقوة

صابر على رمضان الجوشنى

ركن الطلبة :

الأزهر المفترى عليه

إذا كان من حق أى أمة من الأمم أن تفخر بدعوة من دعوات الاصلاح فيها، فما أعظم شأن الأمة الإسلامية برسالتها، تلك الرسالة التى جاءت لتهيئه الحياة الكريمة للإنسان، وتحريره من رق الطغيان، فى ظل العدالة الاجتماعية والفضل الإنسانى، وقد مرت على هذه الشريعة قرون وأجيال وهى مشرقة بنورها فى نفوس المسلمين، ومنتشرة بتعاليمها بين العالمين، مع ما اعتراها من تيارات الإلحاد والزندقة فى عصور الضعف والانحلال. وظلت الشريعة تغالب الأعاصير بقوة روحها وسمو تعاليمها، حتى ترحلت عن دار الخلافة فى الشام والعراق وتركيا، وأخذت تعاليمها تتلاصق وتتجمع تبحث عن سكن لها يقيها الهزات والأراجيف، إلى أن قيض الله لها حصنها المكين فى الأزهر، فأخذت تشع منه على الدنيا أنوارها الوضاءة، لتهدى المستهدين وتنير مسالك الحياة للطالبين.

فعرفت الأمم الإسلامية قدر الأزهر كجامعة علمية، تحافظ على تعاليم الدين، وتخلد التراث العربى فى اللغة، وعرفوا له قدره كحصن مكين يرد عن الدين الإسلامى عوادى الإلحاد والطغيان الفكرى، وعرفوا له قدره كمعقل للوطنية الاسلامية التى تخرج الأبطال المجاهدين فى سبيل الله، لإعلاء كلمة الحق ورفع منار الحرية، فأرسلوا إليه وفودهم لينهلوا من مناهله العذبة ما يقوى العزيمة على الجلد للكفاح، وكانت مصر موطنه ومعقله فى مكانة سامية وزعامة قوية لمحافظتها عليه وإمداداتها له بمقومات الحياة، لنشر رسالته مع مسايرته للتطور الفكرى على أساس المحافظة على طابعه العلمى فى البحث والمعرفة.

ولقد كان لهذا الطابع الذى تميز به الأزهر عن غيره من المعاهد العلمية الاخرى أثر قوى فى قلق المستعمر وخوفه على نفوذه فى الشرق العربى عامة وفى مصر خاصة، بل أثره فى الأوطان الاسلامية التى ترسل بعثاتها إلى الأزهر، فإن الدول المستعمرة تحارب الأمم الخاضعة لها فى رغباتها إذا ما حاولت إرسال بعثات علمية إلى الأزهر، بينما هى تشجع توجيه تلك البعثات إلى الجامعات الأوربية، ولقد قال زعيم المستعمرين كلمته التى وضعها فى قاموس الاستعمار: لا بقاء للاستعمار فى الشرق ما دام يوجد فيه ثلاثة أمور (الأزهر،

ومجتمع الجمعة الاسبوعية ، والقرآن) ولم تنس حكومة الثورة وهى فى جهادها الوطنى مكانة الازهر فى مركزها السياسى كزعيمة للدول الشرقية ، فأخذت تهيء له أسباب رقيه وعظمته ، بينما نجد فريقا من الكتاب قد أطمعهم سعة الصدر فى الثوار الاحرار فقاموا بدعوتهم الآثمة للقضاء على الأزهر ، لينفسح لهم المجال لبث آرائهم المسمومة ومذاهبهم الإلحادية التى سمعنا عنها فى الجامعات الاخرى ، وكان الأزهر منها فى عافية . وهم فى عبثهم ومناظراتهم بعيدون عن حقيقة ما يقولون ، لانهم لا يدركون نتيجة ما يقولون .

ولست محاولا فى كلمتى هذه أن أفند حججهم وآراءهم لابطالها ، فهى من التفاهة والضعف بحيث يستطيع ذو البصر بالدين والعلم أن يهدمها وينقضها ، وإنما أريد أن أقول إن الازهريين يتعلمون ما يحققون به معنى الإيمان فى نفوسهم ، ويفهمون على ضوء الدراسة العلمية فى أزهرهم حقيقة دينهم ، فيجلونها للناس مشرقة كالشمس ، ترسل الحياة للنفوس التى عاشت فى الظلام . فليطمئن هؤلاء الدعاة إلى أن حكومة الثورة أوسع منهم إدراكا لمعانى الإصلاح ، ويعلمون أن فى بقاء الأزهر بقاء للوحدة الإسلامية فى أمم الشرق ، بل بقاء الروح الدينية فى نفوس المسلمين فى أقطار العالم ، فليست فلسفة الإصلاح التى ينادى بها داعية الخطوة الثانية سوى ترجمة لمعانى الهدم والباطل ، إذ كيف يكون الاصلاح من رجل اجتمع فى قلبه كراهية الدين بهدم معقله ، وبغض الازهر فى حقيقة رجاله ، وهل يتناسى حملة الرافعى عليه تحت راية القرآن حتى أودت به إلى المحاكمة التى ردت الحياة إلى عقله المجدب من الحق .

أين حملتكم يا هؤلاء على دعاة الوجودية فى الجامعات التى تعلمتم فيها ، وهل استنفدتم وسائل الجهاد فى جميع ميادين الحياة فلم يبق إلا الازهر أتيتم تنادون بالقضاء عليه ؟ فلتسكن قلوبكم سكون الموت ، فإن الأزهر سيبقى فى الحياة ، لأن فى بقائه حياة للدين الإسلامى الذى يعتز به الثوار الاحرار ، وستبقى نظمه المستقلة لأن فى بقائها قوة للحياة العلمية فيه ، وإن الأزهريين فى ثقتهم بحكومتهم الحرة ليؤمنون إيمانا قويا فى عدالتهم بإحقاق الحق وإبطال الباطل ؟

فتحى محمد عطية طنطاوى
كلية اللغة العربية — شعبة التاريخ

الفهرس



١٤٨

جمادى الأولى سنة ١٣٧٥

فى بيت الله

نصير الأزهر — ورجل مصر والعروبة والاسلام



جمادى الأولى سنة ١٣٧٥

فى بيت الله

نصير الأزهر — ورجل مصر والعروبة والاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام دين ودنيا

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعـــد .

فأنه يسعدنا اليوم أن نستقبل بطلا عظيما من أبطال الثورة ، وركنا قويا من أركان النهضة ، هو السيد حسين الشافعي وزير العمل والشئون الاجتماعية ، فهـو يشرف هذا الاجتماع الـكريم الذى تفتتح به الدورة الثانية للدراسات الاجتماعية .

ونحن نقـــدم لسيادته عظيم الشكر ، كما نشكر للذين تفضلوا بتلبية الدعوة لحضور هذا الاجتماع .

ان هذه الدراسات الاجتماعية قد ظهرت ــ بحمد الله ــ بشائر نجاحها ، وذلك بفضل اخلاص القائمين بها والمقبلين عليها ، وجدهم ونشاطهم . وانها ستؤتى قريبا ــ بمشيئة الله ــ خير نتائجها وأطيب ثمراتها ، بتخريج طائفة من أبناء الأزهر ، علماء متفقهين فى الدين ، بصيرين بأحكام الإسلام ، خبيرين بأحوال المجتمع ، واختلاف علله وأدوائه ، وبما ينبغى أن تعالج به كل حالة من حالاته ، بالحـكمة والتعقل والرزانة ، وبالنفس المخلصة المطمئنة التى كل همها الإصلاح وحسن التوجيه والارشاد .

ان الإسلام فيه العلاج الـكافى الشافى لـكل أدواء المجتمعات ، وفيه الهدى الرشيد الوافى بـكل ما يصلح الأفراد والجماعات ، فمتى كان يعمل بجد وحزم واخـلاص على الانتفاع بهذا العلاج ، وعلى الوصول الى الغاية المرجوة منه ، فلا بد ــ أولا ــ من الـكشف عن تلك العلل والأمراض ، وتعرف الأدواء المتفشية فى مختلف البيئات والجماعات ، ثم يلتمس علاج ذلك وشفاؤه فى حكمة الإسلام ومباديه وهدى تعاليمه .

ان الإسلام محيط عظيم : هو دين وشريعة،أصول وفروع ، عقائد وقوانين أعمال . فى تعليماته الرشيدة وقايات وعلاجات ، وفى تشريعاته الحكيمة مبادئ وقوانين رصينة : قوانين مدنية ، وقوانين جنائية ، وقوانين للأحوال الشخصية ، وتشريع قويم للعلاقات الدولية ، تحكم به الروابط بين مختلف الأمم والشعوب ، وتفصل فيه قواعد الحفظ والأمن ، وقواعد الوقاية والصيانة للأمة الإسلامية فى أوقات السلم وأوقات الحرب .

الإسلام دين ودنيا : هو تقوى وعبادة ، وتدبير شئون ، وتثقيف عقول ، وتقويم أخلاق ، وتنظيم أعمال : ينظم أعمال الفرد ، وأعمال الجماعة ، كما ينظم أحوال الأمم والشعوب .

وأحكام الشريعة الإسلامية فى جميع هذه الشئون هى من وضع الإله الرءوف الرحيم، العليم بحاجات الناس ، وما يصلح لهم فى معاشهم ومعادهم ، فلا يمكن أن تطاول هذه الأحكام وهذه الشريعة ، أحكام أخرى أو قوانين ، مهما اجتهد فيها البشر ، ومهما تعاونوا على إخراجها ، وبذلوا الجهود فى جعلها ملائمة لحاجاتهم ، مستقيمة مع أغراضهم .

لكن الانتفاع بهدى الدين وإرشاده فى العلاج والإصلاح لا يكون إلا بثلاثة أمور :

الأول : الإيمان به وبتعاليمه إيمانا قويا يملأ العقل والقلب ، ينهض بالنفوس ، ويسمو بالمعنويات . فمن لا يؤمن بتعاليم الإسلام وأحكامه ، وأن ماشرعه القرآن وصحت فيه سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، شريعة ثابتة دائمة صالحة لكل زمان ومكان ، فقلما ينتفع بهدى السنة أو القرآن .

إنه ليس فى القرآن آية أو آيات يصح أن يقال فيها ما يهرف به بعض الجهلاء العابثين من أنها آيات معطلة ، أو أنه قد بطل العمل بها ، وأنها إنما كانت تصلح للزمان الذى نزلت فيه « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » .

الثانى : فهم الشريعة حق فهمها ، وصحة أخذها من منابعها ، ومعرفة مجملها ومفصلها ، مطلقها ومقيدها ، والوقوف على أسرارها وحكمها ، والربط بين أصولها وفروعها

وهذا شىء يجب أن يعطى حقه من الدراسة الفاهمة الواعية ، المستوعبة التى تكسب العلم الصحيح ، والفقه الحقيقى فى الدين .

هذه الدراسة هي التي يحمل عبئها الأزهر ، فهو الذى تفرغ لها وتخصص فيها ، وعنى بها علماء الشريعة الاسلامية ، منذ انشاء هذا المعهد العظيم .

ان مبدأ التخصص فى الدراسات هـو المبدأ الحق الذى يجب أن يطمأن اليه ، وأن تبذل الجهود فى سبيله . وهو الذى أخذت به الجماعات والأمم الناهضة . بل هـو المبدأ الطبيعى الذى سارت عليه الإنسانية منذ أن درج على وجه الأرض الإنسان . فلا يمكن إحكام أمر ، أو اتقان بحث الا بالتفرغ له ، والتخصص فيه . فأما الدعاوى الجريئة . التى تجر بأصحابها الى التنكر لنظام التخصص فى الدراسات الدينية ، وتذهب بهم الى حدود التورط فى الجدال ، والإسراف فى العناد ، حتى يقول قائلهم : « ليس فى الإسلام رجل دين ورجل دنيا ، وانما كل الناس رجل دين ودنيا معا » مثل هذه الدعاوى ليس لها وصف الا أنها جاهلة مخادعة ظالمة : يظلم بها أصحابها أنفسهم ، ويخادعون بها الناس .

نعم . انه ليس فى الإسلام رجل دين يزعم أن الدين وقف عليه أو على طائفة معينة من الناس ، أو أن نصوصه رموز مبهمة مغلقة ، ليس لهـا مفاتيح الا فى أيدى رجال الدين ، كما يعرض بذلك بعض المجادلين المشاغبين .

كما أنه ليس فى الإسلام رجل دنيا ينكر عليه أن يتصل بالدين ، أو يتعرف ما يريد من أحكام الشريعة بأية وسيلة من الوسائل التى توصله الى هذه المعرفة ، سواء بالقراءة الفاهمة الواعية ، أو بالتلقى ممن يطمأن الى صحة علومهم ومعارفهم فيها .

وليس فى الإسلام ما يمنع أحدا يريد أن يحفظ شـيئا من كتاب الله أو سنة رسوله ، و يقف على شرح ذلك وتفسيره ، ومعرفة ما يحمل من أحكام وأخلاق ، ليس فى الإسلام ما يمنعه أن يدرك غايته من ذلك .

نعم . ليس فى الإسلام شىء من هذا ولا ذاك ، ولم يقل بشىء من هذا أو ذاك أحد من المسلمين ، حتى يصح تعريض المعرضين المتهورين .

إنما الذى فى الإسـلام والذى يقول به أو يجب أن يقول به جميع المسلمين هو أنه لا يجوز الخبط والخلط فى الدين ، وأنه لا يسوغ لأحد أن يجادل فى أصوله أو فروعه ،

عن جهل وتهور ، ومن غير أن يكون ملما بما يلزم من الأدوات والوسائل التي لا بد منها لفهم تلك الأصول والفروع .

إن الدين الإسلامى حق عام ، وواجب عام ، ليس لكائن من كان أن يدعى احتكار تعاليمه ، أو يحجر على غيره أن ينتفع بهذه التعاليم . لكنه ليس لأحد أيضا كائنا من كان أن ينكر على المتخصصين ، فى الدراسات الدينية ، أنهم متخصصون فيها ، وأن شأنهم فى هذا التخصص شأن كل طائفة من العلماء ، تخصصت فى دراسات فرع من العلوم الكونية ، والثقافات المدنية .

إن فرقا عظيما بين أن يقال : إن شأن الدين الإسلامى عظيم فيجب أن يتفرغ له ويتخصص فيه رجال يتقنون فهمه ، ويحمونه من التخليط فيه ، وبين أن يقال – وهو ما يصيح به المغرضون – : إن الدين حكر ووقف على أفراد معدودين ، وليس لغيرهم أن يتعرفوا منه إلا ما يسمح به رجال الدين .

إن الفرق بين الأمرين عظيم وهائل . وإنه لولا الخلط بين الأمور المتميزة بطبيعتها ، ولولا الغلط أو المغالطة التى كثيرا ما يلجأ بعض الناس إليها ، حبا فى الغلب والانتصار ولو بغير الحق ، لما كثر الجدال الذى امتلأت به الصحف اليومية منذ عهد قريب .

إن التخصص فى علوم الشريعة ، والعناية بحفظ كتابها ودراسته ، ورعاية ما يلزم نحو سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أمر يجب أن يكون فى الأمة الإسلامية ، وأن يفرغ له رجال ، يكون همهم أن يتثقفوا ويتفقهوا فى دين الله ، لينتصحوا به وينذروا به أقوامهم .

وهذا من أهم الوسائل لحفظ شريعة الله ، وصيانة كتاب الله من التغيير والتحريف اللذين منى بهما كثير من الكتب السابقة .

ولولا أن الله سبحانه وتعالى قد وعد بحفظ كتابه ، وأنه جاءت قدرته قد سخر لهذا الحفظ رجالا وعوه عن ظهر قلب ، منذ نزوله على الرسول الأمين – صلى الله عليه وسلم – إلى يومنا هذا ، لدخل عليه التغيير والتبديل منذ القرن الأول .

ولولا أن للشريعة رجالا يحفظونها، ويعرفون مواطن أحكامها، وموارد نصوصها، لمرت على الناس طائفة كبيرة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة من غير أن يدروا أمرها، ولمرت على الناس كذلك من غير تصحيح ولا تعقيب، تلك الادعاءات التى يعزو بها أصحابها إلى علماء من أهل التفسير وأهل الفقه أقوالا باطلة لم يذهب أحد منهم الى شىء منها. هذا - مع أن كتب هؤلاء المفسرين والفقهاء مطبوعة ومتداولة، وفى متناول كل من له اتصال بالثقافة الدينية الإسلامية، وليس فيها ذلك الذى يدعى على أصحابها. بل هى على نقيض ذلك ناطقة بخلاف ما ينسب اليها والى مؤلفيها.

الأمر الثالث - وهو مهمة الدراسات الاجتماعية التى تحتفل بها الليلة - هو ختام الأمور التى تلزم للاصلاح والانتفاع بهدى الإسلام فى علاج المجتمع من علله وأدوائه. ذلك هو دراسة حالات هذا المجتمع فى شدته ورخائه، وعسره ويسره، فى أفراحه وأتراحه، فى بيعه وشرائه وسائر معاملاته، وفى كل أسلوب من أساليب معيشته، وكل شأن من شئون حياته.

يجب أن يوقف على عرف المجتمع وعاداته وأخلاقه، وما ابتدعه أهله من ذلك أو ورثوه عن آبائهم وأسلافهم، فأن علم ذلك كله والوقوف عليه بصحيح المعرفة والخبرة، يمهد السبيل لمعرفة نوع العلاج النافع، وييسر الأمر على من يتولى الاصلاح والتوجيه والإرشاد، كى يصل الى غايته من أقرب الطرق وأقومها، من غير تعقيد ولا اضطراب، ولا تفويت فرصة، أو إضاعة وقت.

إن من ينصب نفسه أو ينصب للهداية والإرشاد والإصلاح، على ضوء الشريعة وتعاليمها، لا يكفيه أن يكون عالما بأحكام هذه الشريعة، وقادرا على أن يعين لكل حكم موطنه الذى يليق له ويحسن موقعه فيه، فأن ذلك علم نظرى بحت لا يكفى فى مهمة العمل الإيجابى للعلاج والاصلاح الاجتماعى.

فلا بد لمن يتولى هذا الأمر أن يعرف معرفة جيدة أحوال المجتمع الذى يعمل فيه من النواحى التى أشرنا اليها، وأن يقف بخبرته وبحثه على ما يريد علاجه من الأدواء، فعلاج الأدواء الاجتماعية كعلاج الأمراض البدنية: فكما أنه لا يستقيم طب الأبدان، ولا يصل

الى غايته من الشفاء ، إلا إذا فحص المريض فحصا جيدا ، واهتـدى الطبيب بذلك الى تشخيص علته ومرضه . كذلك علاج المجتمعات لا يثمر ثمرته ، ولا يبلغ التوجيه والإرشاد فيه غايته ، إلا بعد البحث الجيد والفحص الكامل ، لتعرف حقيقة العلل والانحرافات التي تشكو منها الجماعة ، والتي يجب أن تكون الهـدف الذى تصوب اليـه عوامل التهذيب والاصلاح .

غير أنه ينبغى ألا يغيب عن البال أن الاصلاح الاجتماعى لا يمـكن أن يكون طفرة ؛ بل لا بد فيه من التدرج والتمهيد والاعداد ، وتمكين كل خطوة لتؤدى الى ما بعـدها ؛ فان ذلك أدعى الى قبول الاصلاح وتمكينه فى النفوس . ولنـا فى صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم خير قدوة ، وفى تشريعات القرآن وتدرجاته أحسن أسوة .

يجب أن يبدأ بالأهم الميسرة أسباب علاجه وإصلاحه ، ثم يتـدرج الى ما هو أدنى منه فى الأهمية الاجتماعية ، وهكذا تعد وجوه الاصلاح بعضها لبعض ، ويعين السابق منها على الوصول الى اللاحق ، فيعم الاصلاح ويستقيم البنـاء . والله المستعان يهدى المخلصين الى صراط مستقيم .

والسلام عليـكم ورحمة الله وبركاته


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأرياف
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الخامس ـ القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٥ ـ ١٥ ديسمبر ١٩٥٥ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الثقافات الأجنبية

استعمار عقلي

والدعاة إليها طابور خامس

إذا منّ الله على أمة بالتحرر من الاحتلال السياسي والعسكري ، فأن من تمام نعمته عليها أن تعرف خطواتها بعد ذلك لاجتياز مفترق الطرق ، فتميز بين الطريق الذي يبتعد بها عن بلاء أنقذها الله منه ، والطريق الذي يلتوي أمامها ليعود بها ـ ولو بألوان أخرى ـ الى نتائج ما كانت فيه .

التحرر من الاحتلال السياسي والعسكري يجب أن يدعم حالا بأسباب القوة : القوة الصناعية والعمرانية والحربية ، وقوامها العلم . والقوة النفسية والخلقية والقومية ، وقوامها الثقافة . والعلم غير الثقافة : هذا شيء ، وهذا شيء آخر . والذي يخلط بين هذين الشيئين المختلفين ويزعم للأمة التي حررها الله من الاحتلال السياسي والعسكري أنهما شيء واحد ، فهو إما رجل يجهل سنن الله في نهوض الأمم وقيام الدول ، أو رجل غشاش يريد أن يدفع

بالأمة فى الطريق الذى يلتوى أمامها ثم يعود بها — ولو بألوان أخرى — الى نتائج ما كانت فيه .

إن مفترق الطرق الذى بلغناه الآن بعد أن تحررنا من الاحتلال السياسى والعسكرى ينادينا بأن نكون أيقاظا والمعيين فى تخير الطريق الذى يبعدنا عن البلاء الأعظم بعد أن أنقذنا الله منه ، وأن لا نخدع بالطريق الآخر الذى يلتوى بنا ليسلبنا مقومات كياننا التى لا معنى للاستقلال السياسى والعسكرى بدونها .

العلم الذى نحتاج إليه فى تنمية قوتنا الصناعية والعمرانية والحربية لا يختلف عليه أحد فى مصر ولا فى العالم العربى ولا فى دنيا المسلمين . كلنا متفقون على وجوب تعميم تعليم العلوم الكيماوية والطبيعية والهندسية والطبية والزراعية والعسكرية ، وعلى أن نحول نظرياتها فى الكتب والكليات الى نشاط عملى فى المصانع والمعامل ودور الاختبار والتجربة والدراسة الفنية والانتاج ، لنكون كغيرنا من الأمم أقوياء بصناعاتنا ، أغنياء بمهندسينا ، وعاملين على أن يكون حماة حدودنا من أبنائنا مسلحين بأسلحة من صنع أوطاننا . ولو أنك تحدثت فى هذه الحقائق مع أى قروى أو أعرابى فى الصعيد أو فى ليبيا أو فى أعماق نجد أو فى جبال الأطلس أو قرى كشمير لرأيت الجميع على عقيدة واحدة فى ذلك ، فهل من المعقول أن يشذ عن هذا الإجماع علماء الأزهر أو طلبته وهم يعلمون ويتعلمون مبادئ هذه العلوم ويعرفون ما تجنى البلاد من ثمراتها إذا بلغنا فيها الأوج ، وصار عندنا من رجالنا أعلام من علمائها يضارعون أمثالهم فى البلاد التى بلغت نهاية الشوط فى هذا المضمار ؟

إذن فالعلم الذى ندعم به القوة الصناعية والعمرانية والحربية فى مصرنا وأوطاننا العربية وبلادنا الإسلامية لا يختلف على ضرورته أحد ، والأمة تقدم بنيها الى الكليات والمعاهد التى تعلم هذه العلوم ليكونوا جنودا فى إنهاض البلاد بها ، وعاملين على رفع مستوى مصر وبلاد العروبة والعالم الإسلامى حتى تلحق بركب الحضارة ، بعد أن حال بينها وبين ذلك فى السنين الماضية تيار الاستعمار ، وسوء أنظمة الحكم السابق على زمن الاستعمار .

وهنالك شىء آخر غير هذه العلوم اصطلح الناس على أن يسموه « ثقافة » وهى ذات ألوان تختلف باختلاف الأمم ، فالثقافة اللاتينية — مثلا — لها ذوق ولون ومنحى تختلف به عن الثقافة السكسونية أو الجرمانية أو الصقلبية ، بل إن الثقافة اللاتينية تختلف فى البلاد

اللاتينية ، فنراها فى ايطاليا ذات ملامح تفترق بها عن ملامح الثقافة الفرنسية أو البلجيكية أو السويسرية أو الاسبانية ، وأمريكا وانجلترا مع أن لهما لغة واحدة وآدابا متقاربة فأن ثقافة هذه بجملتها تفترق عن ثقافة الأخرى بجملتها ، و إذا ذهبت الى روسيا أو يوغوسلافيا أو بلغاريا وسائر البلاد الصقلبية تجد لثقافتها لونا يختلف عن لون الثقافة السكسونية أو اللاتينية ، بل أن البلاد الصقلبية تشعر بفروق فيما بينها تكاد تكون ملموسة ، والثقافة فى اسرائيل لها ينابيع واتجاهات ومناهج تختلف بالمرة عن ثقافات الأمم التى استعرضنا أسماءها ، واليابان مع أنها أخذت كل العلوم الكونية واستعملتها فى مصانعها ودور أعمالها فأن لها ثقافة خاصة بها تختلف عن غيرها ، وهذا أمر طبيعى لا يتجاهله أو يمارى فيه إلا ذو هوى ، بل إننا فى وزارتنا التى كانت تسمى فى أيام الأحزاب وزارة المعارف طالما راقبنا التيارات والاصطدامات بين أنصار الثقافة والتربية الفرنسية ، وأنصار الثقافة والتربية الانجليزية ، ولما ازداد عدد المتعلمين منا فى أمريكا صرنا نرى فى تلك الوزارة لونا ثالثا غير اللونين والذوقين والثقافتين الفرنسية والانجليزية .

وقد لاحظ مثل هذه الفروق قبل نحو ثلاثين سنة نابغة لبنان جبران خليل جبران فقال فى جواب استفتاء وجه إليه من مجلة الهلال ، ونقلته مجلة الهلال بعد ذلك الى كتاب عنوانه (فتاوى كبار الكتاب والأدباء فى مستقبل اللغة العربية ، ونهضة الشرق العربى ، وموقفه إزاء المدنية الغربية) ص ٣٦ — ٣٧ :

« فى سوريا — مثلا — كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة ، وكنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون ، ولقد أحيانا ذلك الخبز ، ولما أحيانا أماتنا . أحيانا لأنه أيقظ بعض مداركنا ونبه عقولنا قليلا ، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا وقطع روابطنا ، وأبعد ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة مختلفة الأذواق متضاربة المشارب كل مستعمرة منها تشد فى حبل إحدى الأمم الغربية وترفع لواءها وتترنم بمحاسنها وأمجادها : فالشاب الذى تناول لقمة من العلم فى مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع الى معتمد أمريكى ، والشاب الذى تجرع رشفة من العلم فى مدرسة يسوعية صار سفيرا افرنسيا ، والشاب الذى لبس قميصا من نسج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا . . الى آخر ما هنالك من المدارس وما تخرجه فى كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء . . وقد يكون ميلنا الى الأمة التى نتعلم عندها دليلا على عاطفة عرفان الجميل فى نفوس الشرقيين ، ولكن ما هذه العاطفة التى تبنى حجرا من جهة واحدة وتهدم جدارا

من الجهة الأخرى ؟ ما هذه العاطفة التى تستنبت زهرة وتقتلع غابة ؟ ماهذه العاطفة التى تحيينا يوما وتميتنا دهرا ؟ » .

وأنت ترى من هـذا أن الثقافات والأساليب الفكرية ومناهج التعليم تختلف ألوانها ومقاصدها وتوجيهاتها باختلاف الأمم الصادرة عنها ، ولا كذلك العلم، فالعلم له لون واحد ووجه واحد فى كل أمة وفى كل بلد: تأخذ أى قسم من أقسام الطبيعة أو الكيمياء أو الهندسة بأى لغة شئت ـ اليابانية أو العبرية أو الروسية ـ فلا تجده عند أمة مخالفا لما عند الأمة الأخرى فى قليل ولا كثير، وأما الثقافة فهى ذات الوجوه، وهى كالحرباء متنوعة الألوان، وكلما احترمت الأمة نفسها وتمسكت باستقلالها كانت أشد بعدا عن الثقافات الأجنبية ، وأكثر حرصا على أن تكون ذات ثقافـة مستقلة تستمدها من كيانها ومن مواريثها ومن إيمانها واقتناعاتها ومن أمجادها واتجاهاتها . اقرأ تاريخ الثورة الفرنسية فى كتب الفرنسيين والانجليز تجد اختلافا كبيرا لا فى الوقائع بل فى تفسيرها وتعليلها وتوجيه أغراضها ، اقرأ ترجمة حياة چان دارك فى كتب هؤلاء وهؤلاء تلق العجب العجاب .

فى سنة ١٩٢٨ زار مصر الأستاذ المستشرق الإيطالى ميكائيل أنجلو جويدى الأستاذ بجامعة روما ـ وكان قبل ذلك أستاذا فى جامعة القاهرة أيضا ـ فألقى فى قاعـة الجمعية الجغرافية أربع محاضرات عن عـلم الشرق وتاريخ العمران حاول فيها درس مسألة خطيرة من مسائل التاريخ وهى تاريخ العمران وهل كان أصله شرقيا أم غربيا، وأراد أن ينتهى الى نتيجة فى أصل العلوم اليونانية، وهل هى ـ أو بعضها ـ منتقلة من الشرق الى الغرب، أم أن اليونانيين ارتجلوا طرائقهم العلمية ارتجالا دون أن يكون لها أو لبعضها أصل ترجع إليـه فى الشرق ، فذهب الأستاذ جويدى الى أن النصوص الخاصة بسفر بعض أعلام اليونان الى الشرق لارتشاف عـلومه منتحلة ، كما ذهب الدكتور طه حسين الى أن الشعر الجاهلى منتحل ، والى أن مجنون ليلى شخصية لا وجود لها، حتى أن الأستاذ المـازنى كتب فصلا على لسان مستشرق جاء بعد مائة سنة ودرس حيـاة الدكتور طه حسين فتبين له أن اسم طه حسين وصف تارة بأنه شيخ وتارة بأنه دكتور وتارة كذا وتارة كذا ، واستـدل ذلك المستشرق من هذا الاختلاف وهذه الألوان على أن طه حسين شخصية وهمية لم توجد، كما استدل طه حسين على أن مجنون ليلى شخصية وهميـة لم توجد ، وكما زعم هو وأمثاله أن عبد الله بن سبأ شخصية وهمية لم توجد، وكما زعم بعض العلماء الأوربيين أن المسيح شخصية وهمية لم توجد ، وهكذا زعم السنيور جويدى أن النصوص الخاصة بسفر بعض أعـلام

اليونان الى الشرق لارتشاف علومه منتحلة ، وأن مصر وسائر بلاد الشرق القديم لم يكن لها فضل على العلوم والآداب والثقافات التى تنسب الى اليونان ، وكانت الأساس الذى يزعم الغرب أن علمه وثقافته قام عليه وحده . وقد كنت أنا وقتئذ أحد مستمعى صديقنا الأستاذ ميكائيل أنجلوجويدى فى هذه المحاضرات ، وصارحته بأن مثل هذه البحوث مما تتفاوت فيه الأنظار والأحكام ، وقديما قيل فى عين الرضا وعين السخط ما يصدق على كل ما يدخل فى موضوع الثقافة ، بينما العلم لا يختلف فى الحكم على حقائقه اثنان . وقد نشرت محاضرات الأستاذ جويدى وقتئذ فى رسالة ، وكتبت أنا مقدمتها وأشرت فى المقدمة الى هذا الاعتراض .

إذن لا بد لكل أمة تحررت من الاستعمار السياسى والعسكرى أن تتحرر من الاستعمار العقلى والثقافى بحزم واجتهاد عظيم ولو بالتدريج ، الى أن تكون لها ثقافة قومية مستقلة تستمدها من آدابها وتراثها العقلى والفكرى ، ولا أنكر أن هذا يحتاج الى زمن طويل ، ولكن يجب أن ترسم له الخطط من هذه الساعة ، وأن تعين له الاتجاهات ، وأن تبذل فى سبيله الجهود - بالتعاون مع الأقطار الشقيقة - لإحياء كل ما يساعد على ذلك من تركتنا الثقافية والأدبية ، واتخاذها أساسا نقيم عليه كيان تربيتنا العقلية والفكرية ، فيكون لنا لون خاص بنا نصبغ به ثقافتنا العصرية شيئا بعد شىء ، كما صنعت الهند وكما تصنع اسرائيل الآن فى الجامعة العبرية بالقدس مع فرق ما بين ثروتنا الثقافية الهائلة ، وتفاهة تراث اسرائيل الثقافى واللغوى والأدبى . فاذا ثابرنا على ذلك كمثابرتهم وصبرنا عليه كصبرهم أنقذنا أبناء الجيل من هذه العبودية العقلية للغرب ، ووضعنا حدا لما توهمه مناهجنا الحاضرة ، وثقافتنا التى رسمها لنا الاستعمار وأعانه عليها طابوره الخامس ، من أننا أمة مفلسة ليس لها ثقافة قومية موروثة ، وليس لها أساس تقيم عليه كيانها الأدبى الجديد ، وان الاستمرار على هذا الاتجاه الذى رسمه لنا الاستعمار من أيام دانلوب ولا نزال نرقع فيه بأساليب فرنسية تارة وانجليزية تارة وأمريكية تارة أخرى ، فكان من ذلك ما وصفه جبران خليل جبران من التأثير على عقول المتعلمين ونفوسهم وقلوبهم ، فصاروا غير مؤمنين بكيانهم ومقوماتهم الخاصة التى يفترقون بها عن بقية الأمم كما تفترق بها الأمم بعضها عن بعض من شتى النواحى ، بل لعل هذا الاضطراب فى اتجاهاتنا الثقافية هو الذى ساعد على ظهور سخافات الوجودية وكفرها بالقانون والأخلاق وسائر ما وصفته لنا جريدة الجمهورية وأشرت اليه فى افتتاحية الجزء الماضى من مجلة الأزهر .

وقد آن لى بعد هذه المقدمات أن أصارح كل من يقع نظره على هــذه الصفحات ، بأننا محتاجون إلى خطوة ثانية بعد الخطوة الأولى ، وأعنى بالخطوة الأولى الخلاص من الاحتلال السياسى والعسكرى ، أما الخطوة الثانية بعده فهى تعيين طريقنا الى ثقافة قومية عربية إسلامية نتعاون على بعثها ـ من الآن وفى عشرات السنين القادمة ـ مع كل من يشاركنا فيها من الشعوب العربية والأمم الإسلامية ، وأعود فأؤكد أن هذا لايتم إلا بعمل تدريجى متواصل ، وتعاون وثيق متبادل ، وهذا هو الأساس الذى تقوم عليه وحــدة التعليم ، ومن الظلم تجاهل الخطوة التى خطاها الأزهر فى عشرات السنين الأخــيرة للتقرب نحــو وحدة التعليم بمــا أدخله فى مناهجه من مختلف العلوم ، فبقى أن تخطو المدارس العــامة والجامعات مثل هــذه الخطوة نحو الثقافة العربية والتراث الإسلامى ، وتربى فى طلبة الجمهورية جميعا ـ أزهريين وجامعيين ـ فــكرة تعلم العلم لأجل العلم لا لأجــل ثمرته من الوظائف ، فتــكون نية الاشتغال بالعلم من المهد إلى اللحد هى الغرض الأول من دخول الجامعات وكليات الأزهر ، ويمرن هؤلاء جميعا على الدراسات العربية والإسلامية السليمة تحقيقا لأمنية بعث الثقافة القومية اللائقة بالشرق العربى والإسلامى .

وقد تبين ممــا تقدم أن الضجة التى أثارها مؤلف « مستقبل الثقافة فى مصر » لم يثرها لنقص فى مناهج الأزهر من ناحية العلوم ، بل هو يريد من مصر ومن الأزهر ومن كل من ينتسب إلى العلم من الناطقين بالضاد أن يؤمنــوا بثقافة الغرب كإيمــانه هو بهــا منذ قال فى ص ٤١ من كتابه طبعة ســنة ١٩٤٤ : ان السبيل إلى ذلك « واحــدة فذة ليس لها تعدد ، وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء فى الحضارة : خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب ، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع » .

وأنا أنادى بملء فمى معترفا بأنى أزعم لأمتى غير ذلك ، وأنصح لهــا بأن تأخــذ العلم كله ، لأنه تراث إنسانى شاركت فى تقدمه وتنميته أكثر أمم الأرض فى العصور القديمة ، ومنها مصر القديمة ، وان كره ذلك صديق الأستاذ جويدى وغــيره من المتعصبين الذين يريد مؤلف « مستقبل الثقافة فى مصر » أن نضحى بكياننا المعنوى لنذوب فى كيانهم . وشارك فى تقدم هذه العلوم وتنميتها فى العصور المتوسطة أمة واحدة هى أمتنا العربية والإسلامية ، ولولا أن الإسلام استعجم بغلبة غير العرب على قيادة دفة الشرق الإسلامى ،

بل لولا انتصار شارل مارتل على عبد الرحمن الغافقى فى وقعة تور Tours ، وأسباب أخرى غير ذلك ، لبقى زمام الحضارة الإنسانية فى أيدينا ، ولتقدم سيرها ثمانية قرون بإرشادنا و إشرافنا ؛ كما يعترف بذلك كلود فارير وهنرى دى شامبون ، بل يقول جبون فى ص ٧ من الجزء الثانى من تاريخه : لو لم يصد شارل مارتل هجوم عبد الرحمن لكانت العربية هى لغة التدريس اليوم فى جامعات انجلترا وألمانيا . وقال درابر : لقد وصل الطرف الواحد من الهلال العربى الى البوسفور، ووصل الطرف الثانى الى إسبانيا، وامتد إلى فرنسا، وكان يهدد أوربا ببلوغ البدر التام فيمحو التمدن اللاتيني من الوجود ويغمر أوربا » .

إن أسلافنا مابلغوا هذه المنزلة إلا بعد أن تركوا وراءهم تراثا من الثقافة نهلت منه أوربا المتعصبة خلسة وهي تتجاهله وتنكره، وها قد استيقظنا الآن فأصبح من واجبنا وأسباب بعثنا وتجديد حياتنا أن نصل ما انقطع من تراثنا الثقافى ونبنى عليه ، وأن نشارك أمم الأرض فى كل ما وصلوا اليه من حقائق العلم واستثمارها فى الإنتاج الصناعى والتقدم العمرانى . ولن نصل ما انقطع من تراثنا الثقافى الا برسم خطة حازمة لأحيائه ودراسته وتوجيه مناهجنا به وتحبيبه الى أجيالنا الآتية من رجال المستقبل . و يومئذ يتخصص رجال منا لدراسة ثقافات الأمم الأخرى ومراقبة نشاطها والافادة من كل خير عندها رافضين بإباء وشمم كل مافيها من شر ومكروه . ومعنى هذا أن تشمل الخطوة الثانية معاهد العلم جميعا من الأولى و الثانوى الى الجامعات ، ومنها الأزهر ومعاهده ، فيكون اتجاهنا الثقافى كله نحو هذا البعث العربى والاسلامى ولو كره ذلك دعاة حضارة الغرب «خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد فيها وما يعاب » .

وبعد فأن مصر لو فقدت عقلها وسارت وراء مؤلف « مستقبل الثقافة فى مصر » لخسرت جميع أبنائها المثقفين ، كما خسرت و يالأسف المسيو كلود طه حسين ناظم ديوان " e. le matin clair " الذى يتغنى فيه لأمينة بموسيقى نواقيس الكنيسة ، وذلك فى القصيدة التى عنوانها " La Cathedrale Engloutie " وأظن أن مؤلف كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » يتمنى لجميع أبناء مصر أن يكون كل واحد منهم «كلود طه حسين » . أما القائمون بالولاية على مصر فأن أبناء مصر أكرم عليهم من ذلك وأعز ، وهم يعلمون أن حياة مصر بالإسلام ، وقوتها بالتعاون مع العرب والمسلمين

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٣٥ —

من أساليب التربيـــــة

فسحة الوعد ، وتخفيف الوعيد

« إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » .

قبل هذه الآية آيات أخرى نهى الله فيها عن أمور كثيرة ، منها : أكل المال بالباطل ، ثم جاء الوعيد فيها قاسيا ، والتهديد مزعجا ، إذ قال سبحانه : « ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا » ثم اقترنت بهذه الآيات آية الموضوع ، وفيها وعد كريم بأن الله تعالى قد ألزم نفسه لعباده أن يكفر عنهم سيئاتهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات ، وفى اقتران الوعد بالوعيد وسيلة ثقافية مجدية فى التربية الخلقية .

وبديهى أن الله ذو رحمة وعذاب ، وله عفو وعنده عقاب ، ومن حكمته فى تربية خلقه أن يطمعهم فى رحمته ، ويخيفهم من عذابه ، وأن يفتح أمامهم باب الأمل فى عفوه ، ويحذرهم شديد عقابه .

ليكون المرء دائما بين الرجاء والخوف ، فيظل ذاكرا ربه ذكر الطامع فى فضله وعطائه ، وذكر الخائف من غضبه وحسابه .

وذكر الله — على أى حال — أصل من أصول العبادة ، ووسيلة من وسائل القربى إليه .

وليس بعد الذكر بالرجاء أو الخوف إلا الغفلة والإعراض والجحود والتمرد ، وهذه منزلة غير تلك ، والذاكرون فريق ، والمعرضون فريق .

ولـكل وجهة هو موليها ـ سبحانه ـ ليكون فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

والقرآن غالبا يجمع بين الوعد والوعيد على وجه التعاقب أو التقارب ، لأن الجمع بينهما أو التقارب فى الذكر يستنهض الوعى الى التنبه ، ويذكى الفطنة الى اغتنام النصح ، ويصرف النفس عن مداعبة الهوى ، وينقذها من غمرة اللهو : ضرورة أن ذكر شىء مع ضده يكشف للذهن ما خفى عليه ، ويبرز له ما يجب وما لا يجب ، ثم يكون للمرء خيار .

ومن قبيل ذلك ، أن يقول قائل لمن دونه : إذا أطعتنى فيما أمرتك فلك تقديرى ، ولك كذا وكذا . . . وإذا أهملت دعوتى الى ما دعوتك فلست فى شىء من ثقتى ، وسأنزل بك من الهوان ما يسوءك ، ولا تحتمله .

ومعلوم أن للعبد ذنوبا تتفاوت صعوبة وهوانا بتفاوتها ضررا ومفسدة .

ومعلوم كذلك أن أحكام الله بينة فى شريعته ، لا إبهام فيما أمر ، ولا غموض فيما نهى ، بل بين المعروف والمنكر حدود ومعالم من كلام الله أو رسوله

والله ـ سبحانه ـ يكره من عباده أن يستخفوا بسلطانه ، ويتعدوا حدوده ، وينتهكوا محارمه ، فشـدد فى الوعيد . . وهدد بقسوة العـذاب الأليم لمن يشاقونه فى حـكمه ، ويتعدون حدوده

ومع غيرته على حماه ، وزجره عن مقاربة حدوده ، فتح باب التوبة لمن زلت به القدم ، وعلمنا أن رحمته سبقت غضبه ، وأن عفوه أقرب من عقوبته ، بالنسبة لمن بادر الى رحابه ، واستغفره من ذنبه ، وأقلع عن المعاودة ، وهـذا من دلائل العظمة الذاتية ، فأن العظمة لتبدو فى عفو ذى السلطان وهو صاحب القدرة

بل كان من تمـام العظمة أن يلتزم لعباده تـكفير سيئاتهم إذا اجتنبوا كبائر الإثم ، وذلك فى قوله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نـكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلـكم مدخلا كريمـا »

وهل هناك أمل أزكى من تـكريم الله لمن كان مسيئا فى دنياه ؟ ؟

وهل هناك مطمع فوق دخوله الجنة ؟ ؟

ذلك وعد ربك ، وقد أكده وهو الصـادق فيما يعد ، حين قال فى آية أخرى :

« ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللم ـ الصغائر ـ إن ربك واسع المغفرة » .

ولكن . . هل اجتناب الكبائر ـ كالقتل ، والزنى، والسرقة ، وإيقاظ الفتن حول الدين ، أو الوطن أو العرض ، وأكل الأموال بالباطل ـ يمحو جميع السيئات الصغيرة كالنظرة المحرمة ، والغيبة الخفيفة ، والطمع فى شىء تافه من حقوق الغير ؟ ؟

ظاهر الإطلاق فى الآية قد يفيد ذلك .

غير أن ابن عباس رضى الله عنهما يقول : . . . ولا صغيرة مع الأصرار ـ ومعنى هذا أن الصغيرة إذا كانت مع المداومة فهى كبيرة ، ولا تكون من المعفوات ، لأن المداومة على الصغيرة تعتبر استخفافا بنهى الله عنها ، واجتراء على دينه ، ولا تكون صغيرة إلا لمن أتاها غير مستهتر بالدين ، ولا مداوم عليها ، وإلا كان متجاوزا لحدود الله .

ويرى بعض المفسرين أن اجتناب الكبائر يمحو الصغائر على وجه التوزيع . . بمعنى أن ترك كبيرة الزنى يمحو صغيرتها كالقبلة ، وترك القتل يمحو التعذيب وهكذا، ولكن هذا الفهم تضييق ، ولا حرج على الله أن يعفو عن جميع السيئات لمن تجنب الكبائر كلها ، ولم يدأب على الصغائر

وبعد :

فقد يظن ظان أن اجتناب الكبائر كلها غير ميسور للناس ، فمن سلم من الفواحش قد لا يسلم من المظالم المالية، ومن لم يقع فى مظلمة قد لا يبرأ من مفسدة اجتماعية أخرى، ومن تعفف عن هذه المهازل قد يمالئ غيره على حرام ارتكبه فلم يمنعه ، ولم ينكر عليه، ثم كذلك صغائر السيئات : منذا الذى يحصيها ويحاول التخلى عنها : ونحن لا نسلم من غيبة للغير، ولا من اللمز فى آخرين ، وكثيرا ما نأتى أمورا لا نعرفها من الصغائر كالنقد لسوانا، والتعرض للموازنة بين الرجال فى غير تحرج من ذكر المساوئ ، وكالأخذ فى أحاديث البيوت ، والنيل من هذا وذاك ، وهذه وتلك ، فمن أين يكون للمرء خلاص من هذا كله حتى يكون مجتنبا للكبائر ، وغير مصر على الصغائر . . إن ذلك ليأس . . ومن خالجته تلك الشبهة فخليق به أن يثوب الى رشده، فأن الله لم يضيق واسعا

وقد طلب منا تحاشي الكبائر ، وهذا شأن مقدور لمن خشي ربه ، فأن أبواب الحلال ممهدة ، وسبيل الطاعة مسلوكة ، وليس على المرء غير شيء من الخشية لله ، والترفع عن الدنس ، وقد سلكها كثيرون ولا يزالون جادين فى عمل مشكور وحياة بريئة . ومن سقط سقطة فليعالجها بالتوبة . أما الصغائر - وكثير ما هى - فعلاجها فى عدم الدأب عليها ، وبكثرة الاستغفار مما وقع منها ، والاستغفار يجعل الذنوب تتساقط كما يتساقط ورق الشجر فى عصف الرياح ، والله تعالى لا يحب من عبده أن ييأس من رحمته ، فأن اليأس ذريعة الكفر.

وكل ما ينبغي : عدم الإسراف فى حسن الظن حتى لا تهون المعصية .

وعدم التساهل فى مجاوزة حدود الله ، فأن الله يقول : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء



أربع كلمات

فيهن صلاح الملك ، واستقامة الرعية

خرج الزهرى يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال :

ما رأيت كاليوم ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند أمير المؤمنين هشام ، دخل عليه فقال :

يا أمير المؤمنين ، احفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك .

قال : ما هن ؟ .

قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بانجازها . ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا ، إذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأمور بغتات فكن على حذر .

قال الأديب الكبير عيسى بن دأب راوى هذا الحديث ، فحدثت بهذا الحديث أمير المؤمنين المهدى ، وفى يده لقمة قد رفعها إلى فيه ، فأمسكها وقال :

— ويحك ، أعد على !

فقلت يا أمير المؤمنين أسغ لقمتك

فقال : حديثك أحب إلى .

وقد طلب منا تحاشي الكبائر ، وهذا شأن مقدور لمن خشي ربه ، فأن أبواب الحلال ممهدة ، وسبيل الطاعة مسلوكة ، وليس على المرء غير شيء من الخشية لله ، والترفع عن الدنس ، وقد سلكها كثيرون ولا يزالون جادين فى عمل مشكور وحياة بريئة . ومن سقط سقطة فليعالجها بالتوبة . أما الصغائر – وكثير ما هي – فعلاجها فى عدم الدأب عليها ، وبكثرة الاستغفار مما وقع منها ، والاستغفار يجعل الذنوب تتساقط كما يتساقط ورق الشجر فى عصف الرياح ، والله تعالى لايحب من عبده أن ييأس من رحمته ، فأن اليأس ذريعة الكفر .

وكل ما ينبغي : عدم الإسراف فى حسن الظن حتى لا تهون المعصية .

وعدم التساهل فى مجاوزة حدود الله ، فأن الله يقول : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء



أربع كلمات

فيهن صلاح الملك ، واستقامة الرعية

خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال :

ما رأيت كاليوم ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند أمير المؤمنين هشام ، دخل عليه فقـال :

يا أمير المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك .
قال : ما هن ؟ .

قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بانجازها . ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا ، إذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمـال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأمور بغتات فكن على حذر .

قال الأديب الكبير عيسى بن دأب راوى هـذا الحديث ، فحدثت بهذا الحـديث أمير المؤمنين المهدى ، وفى يده لقمة قد رفعها إلى فيه ، فأمسكها وقال :

– ويحك ، أعـد على !
فقلت يا أمير المؤمنين أسغ لقمتك
فقال : حديثك أحب إلى .

السنة

خاتم النبيين

– ٢ –

الإسلام دين عام خالد ـ اتحاد الشرائع واختلافها ـ تطلع الإنسانية إلى النجاة ـ منقذها هو الخاتم ـ وفاة أبنائه فى حياته معجزة ورحمة ـ آيات بينات .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مَثَلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ؛ فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وُضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتَم النبيين . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

فى جزء ربيع الأول ختمنا بهذا الحديث مقال السنة ، فى بيان أشهر أسمائه صلوات الله وسلامه عليه : محمد ، وأحمد ، والماحى ، والحاشر ، والعاقب . . وبينا على سبيل الإجمال أنه ـ بلا ريب ـ خاتم النبيين ، وآخر رسل الله أجمعين ، ثم وعدنا بأن نقفى على هذا الإجمال بمزيد من البيان والتفصيل :

* * *

الإسلام دين عام خالد :

قول حق ، لا يمترى فيه إلا من سفه نفسه ، وألغى رشده وحسه ، ودخل مختارا

فى غمار الحمق والمجانين ، أو سقط مختارا فى شرك الأفاكين المارقين ، ولو أنه نظر قليلا بعين فطرته التى فطره الله عليها ، وآدميته التى كرمه الله بها ، فى هذا الدين القيم ، وما جاء به ومن جاء به — لازداد به إيمانا وهدى ، ثم كان به من الهداة الراشدين .

* * *

أرسله الله تعالى على فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وعبادة عمياء للأصنام والأشجار ، وجهالة جهلاء عمرت جميع القرى والأمصار ، برسالة عامة باقية ، وشريعة خالدة هادية ، قائمة على الآيات البينات ، ما قامت الأرض والسموات ؛ فكان — ولا يزال — رحمة للعالمين ، كما كانت شريعته — ولا تزال — هى النور المبين ، والمعتصم والملجأ إلى يوم الدين ، وليس بينها وبين الإيمان بها ، وبأنها لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، إلا نظرة صادقة فى تاريخ هذا النبي الكريم .

* * *

لقد بعث الله فى كل أمة رسولا بشريعة تلائمها وتصلح لها ، إلى أن ينتهى أجلها الذى قدره الله لها ، ولكل أمة أجل ، ولكل أجل كتاب .

تتحد هذه الشرائع فى أسسها وأصولها ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء ؛ وتختلف فى فروعها وأشكالها ، على حسب ما يلائمها من رشد وكمال . ولا مراء فى أن كل شريعة من شرائع النبيين السابقين كاملة بالنسبة إليه وإلى أمته ، وإن لم تكن كاملة كمالا مطلقا يلائم كل زمان ومكان الى يوم البعث والنشور ، فذلك الذى ختم الله به الشرائع ، وأتم به الرسالات ، واختص به من بعثه متمما لمكارم الأخلاق .

* * *

ولقد أشار الى هذه الشرائع فى اتحاد أصولها ، ذلك المثل البديع الرائع الذى ضربه صلوات الله وسلامه عليه ، اذ مثلها جميعها بقصر واحد منيف مونق ، يبنيه رجل واحد . فتوحيد القصر وبانيه إشارة الى اجتماع الرسل وشرائعهم على أصول واحدة . . كما أشار الى الفروع فى اختلاف أشكالها ، باللبنة التى بها تم للقصر بهاؤه ، وكمل حسنه ورواؤه .

والى اتحاد الأصول فى الشرائع ، يشير قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . والى اختلافها فى الفروع يشير قوله جل ثناؤه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (١) .

* * *

هكذا أرسل الله رسله تترى ، حتى اذا برمت الإنسانية بفسادها ، وضاقت ذرعا بغيها وسفهها ، وآن لذوى الفطر السليمة أن يبلغوا كمال رشدهم ، ويتسنموا ذروة مجدهم ، بعث الله صفوة أوليائه ، وخاتم أنبيائه ، بأكمل شرائعه ، وأوفى مناهجه ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ، ولينادى فيهم بلسان عربى مبين ، بأمر رب السموات ورب الأرض رب العالمين « قل يأيها الناس انى رسول الله إليكم جميعا . . . » ، « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

* * *

شهادة من الله تعالى — وهو أكبر شيء شهادة — لعبده النبى الأمى ، محمد بن عبدالله ، عليه صلوات الله — بأن شريعته أزكى الشرائع وأوفاها ، وأصلحها لكل زمان ومكان ، وبأن دينه ناسخ لما سبقه من الأديان ، تصديقا لقوله عز سلطانه : « إن الدين عند الله الإسلام » « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

وشهادة بأنه صلوات الله عليه ، ليس أبا لأحد من رجال أمته ، ولكن رسول الله ، وخاتم أنبياء الله ، بنص قاطع ، وبيان صادع ساطع ، لا يدع ريبة لمرتاب ، ولا حيلة لمسرف كذاب . . فمن ادعى النبوة بعد هذا — ومن باب أولى الرسالة — فهو أفاك دجال ، ضال مضل ، عليه وعلى الظالمين لعنة الله « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » .

* * *

وفى الشهادة الثانية يرد الله تعالى على من ينسب زيد بن حارثة اليه ، صلوات الله

---

(١) انظر حديث الصحيحين : الأنبياء اخوة لعلات . . . وقد شرحناه فى ج ٥ م ١٥

عليه ، و يبين لهم أنه ليس أباه ، وان كان قد تبناه ، وكان رضى الله عنه يدعى على عادة العرب فى المتبنى : زيد بن محمد ، حتى نزلت الآية الكريمة : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » فدعى زيد بن حارثة . . . فى قصة طريفة ألممنا بها فى « حقوق الأكفياء »[١].

* * *

والملم بالقدر الضرورى من سيرته صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن من أمته ، يعلم أنه لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم ، فقد ولد له صلوات الله عليه ثلاثة بنين : القاسم والطيب والطاهر ، من أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها ، وماتوا كلهم صغارا ! و ولد له ابراهيم من مارية القبطية رضى الله عنها ، ومات رضيعا .

وكان له من خديجة أربع بنات كلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه : زينب ، وزوجها ابن خالتها أبا العاص بن الربيع ، ورقية وأم كلثوم ، وزوجهما ذا النورين عثمان بن عفان ، أخراهما بعد وفاة أختها . وكلهن توفين فى حياته ما عدا فاطمة الزهراء ، فأنها أصيبت به ثم ماتت بعده لستة أشهر !

* * *

ونفى أبوته الصلبية الحسية ، لا ينافى أبوته الروحية المعنوية صلوات الله عليه ، فأن الثانية أجل من الأولى . وهى ثابتة له على أحسن ما ينبغى لمقامه الكريم ، من المحبة والتكريم ، كما يشير الى ذلك حديث الصحيحين : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده و ولده والناس أجمعين .

* * *

وكأنه تعالى أراد — وهو الحكيم الخبير — أن يقبض أولاد نبيه فى حياته ، ليعلم أمته كيف يكون صبر الآباء فى موت الأبناء ، ثم ليعلموا أنه تعالى هو الذى رفع ذكر نبيه فى العالمين ، دون مساعدة من الآباء والبنين ، ولهذا شاء — جلت مشيئته — أن يكون يتيما ، ليكون لكل يتيم أبا رحيما ، وليكون فضل الله عليه عظيما .

---

(١) جزء ربيع الآخر ، مجلد ٢٤ عام ٧٢

وأخرى بينه وبين أمته ، وهى ألا يمسهم أحد بسوء أو أذى ، أو يزعم أحد أن أبناءه من بعده هم ورثته فى نبوته أو رسالته ، أو أحق الناس - على الأقل - بخلافته ، فيكون فساد كبير ! وشر مستطير ! وانظر الى غلاة الشيعة وما زعموا لابن عمه على كرم الله وجهه ! ! فكيف لو عاش ابن له من صلبه صلوات الله عليه وسلامه ! ؟

ألا ان موت أبنائه قبل وفاته ، معجزة من معجزاته فى حياته ، ورحمة من الله على أمته بعد مماته .

* * *

أما بعد ، فأنه لو لم يدل الذكر الحكيم على أن محمدا صلوات الله عليه خاتم النبيين لدل على ذلك خلقه العظيم، وهديه الكريم ، وما آتاه الله من آيات بينات لم يؤتها أحدا من العالمين ، فكيف وقد أنزل الله ذلك الختام نصا قاطعا، يقطع دابر الدجاجلة الأفاكين ، ثم وكد هذا البيان صلوات الله وسلامه عليه بنصوص صريحة لا تقبل جدلا ولا تأويلا بأنه لا نبى بعده .. ولولا مخافة السآمة لسقنا بعض هذه الأحاديث الصريحة الصحيحة .. واذا فموعدنا الجزء التالى ان شاء الله ما

طه محمود الساكت

عفة مجاهد

روى الحافظ ابن عساكر أن حبيب بن مسلمة الفهرى (فاتح القفقاس) قدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى موسم الحج ، وكان حبيب تام القامة ، فسلم على عمر ، فقال له عمر :

إنك لفى قناة رجل !

فقال : اى والله ، وفى سنانها

فقال عمر : افتحوا له الخزائن ، فليأخذ ما شاء

ففتحوها له ، فعدا عن الأموال ، وأخذ السلاح

وحبيب بن مسلمة هو الذى أرسله معاوية على رأس كتيبة من أبطال الجيش إلى المدينة ليفك حصار البغاة عن دار أمير المؤمنين عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، فلما كان فى فى نصف الطريق بين الشام والمدينة جاءته الأخبار بأن الخليفة صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حقق الله له ما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهادة والجنة ، فعاد حبيب بكتيبته الى دمشق حزينا آسفا

صور خالدة من صدر الاسلام

في السنة التاسعة من الهجرة بلغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن الروم تتجهز وتعد العدة لغزوه فى بلاده ، لما نمى إليهم أن المسلمين يعانون ضيقا وشدة ، وأن أصلح الأوقات لغزوهم فى عقر دارهم هو هذا الوقت ، فلم يرع النبي وصحابته هذا النبأ ، وأجمعوا أمرهم على أن يغزوا الروم فى بلادهم ليعلموهم أن القلوب المؤمنة لاينفذ إليها الخور والجبن عن لقاء الأعداء ، وأن سلطان الله فى الأرض لايرهب أحدا ، وأن من تسول له نفسه النيل من الإسلام فسيلق جزاءه .

فندب الرسول أصحابه الى الخروج الى تبوك ، فأجابوا ، وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الخروج فى الحال من الزمان الذى هم عليه .

* * *

وكان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج فى غزوة أن يورّى بغيرها ، ولا يعلم الا الخاصة من أصحابه ، حتى لاتتسرب الأخبار الى الأعداء ، إلا فى هذه الغزوة ، فقد أعلمهم الرسول بقصده لبعد الشقة وشدة الزمان والاستعداد لعدو يفوقهم عددا وعدة ومالا ، واستنفر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين الذين حول المدينة من أحياء العرب فنفروا حتى اجتمع من ذلك قريب من ثلاثين ألفا ، وتخلف آخرون بغير عذر من المنافقين ومن على شاكلتهم ، فلامهم الله سبحانه أشد اللوم ، ووبخهم وقرعهم أشد التقريع ، وفضحهم أشد الفضيحة ، وأنزل فى شأنهم آيات كثيرة من سورة « براءة » مثل قوله سبحانه : « لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ، ولكن بعدت عليهم

الشقة، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون» الآية ٤٢ . وقوله : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا » الآية ٤٩ . وقوله سبحانه : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون» الآية ٨١ .

لقد استجاب لنداء رسول الله هذه الألوف الكثيرة ، ولكن ما العمل ؟ .

المسير طويل، والحر شديد، والحال رقيق، والظهر قليل، والجيش على ما ترى من الكثرة، فلم يكن بد إذن من أن يقف البشير النذير خطيبا فيعظ الناس ، ويحث القادرين والموسرين على تجهيز هذا الجيش الذى عرف بجيش العسرة ، وما كان الكلام النبوى إلا برقا سرى فى النفوس المؤمنة المطمئنة ، فاهتزت القلوب وتحركت الأريحيات ، وسرعان ما جادت الأكف الندية بالخير الكثير : فهذا هو السيد الحي عثمان بن عفان رضى الله عنه يجود بثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها [١] ومائة فرس ، ولا يقف جوده عند هذا الحد بل يأتى بألف دينار من حر ماله ويضعها أمام النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فيقلبها النبي بيديه وهو ممتلئ غبطة وسرورا ويقول : « اللهم ارض عن عثمان ، فأنى راض عنه ، وما على عثمان ما عمل بعد اليوم » . روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن سمرة قال : « جاء عثمان ابن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار فى ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة ، فصبها فى حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل النبي يقلبها بيده ويقول : « ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم » . وروى البيهقى بسنده عن عبد الرحمن السلمى قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة ، فقال عثمان : « على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، ثم نزل صلى الله عليه وسلم مرقاة من المنبر ثم حث ، فقال عثمان على مائة أخرى ، ثم حث مرة ثالثة ، فقال عثمان : على مائة ثالثة » .

* * *

وهذا هو الصديق أبو بكر ، يأتى بأربعة آلاف درهم هى كل ما تبقى له بعد أن أنفق جل ماله فى عتق الأرقاء ونصرة دعوة الإسلام ، فيقول الرسول : وماذا أبقيت لأولادك

---

(١) الحلس : كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله ، والقتب : الرحل الذى يركب عليه .

يا أبا بكر ؟ فيجيب أبو بكر رضى الله عنه جواب المؤمن الواثق بالله : « أبقيت لهم الله ورسوله » .

وجاء الفاروق عمر بنصف ماله ، وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتى أوقية (أى من الفضة) ، وجاء العباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله بمال كثير ، وجادت نفس عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر[1] ، وهكذا ينبغى أن يتسابق المتسابقون الى الإنفاق فى سبيل الله .

ولم تكن النساء المسلمات بأقل أريحية من الرجال ، فتصدقن بأقراطهن ، وما يملكن من حليهن ، وضربن بذلك مثلا عاليا فى البذل والسخاء ، يستهدى به من يأتى بعدهن من النساء .

ثم ماذا ؟ لقد ضاق الظهر بالمسلمين فجاء سبعة نفر من الصحابة وهم حريصون على أن لا يفوتهم شرف الجهاد مع رسول الله وفى سبيل نصرة الإسلام ، ورغبوا إليه أن يوفر لهم الظهر الذى يركبون عليه فى هذه الغزوة التى بعدت فيها الشقة ، فيعتذر لهم الرسول ويقول : لا أجد ما أحملكم عليه ، فما كان منهم إلا أن تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما يركبون ، وقد أعذرهم الله سبحانه وسجل لهم هذا الموقف الخالد فى قرآن يتلى الى يوم الدين ، فقال : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » [2] .

وهناك تتحرك الأريحية الإسلامية مرة أخرى لهذا المشهد الرائع ، مشهد الدموع الغزيرة الصادقة التى تعبر عن القلوب الحزينة الآسفة، أن فاتها الخروج مع المجاهدين فى سبيل الله ، فيجهز السيد الجليل عثمان اثنين، والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله اثنين، وعمرو بن يامين اثنين . قال ابن اسحق : بلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقى أبا ليلى وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله

---

(1) الوسق : ستون صاعا ، وهو ما يقرب من أردب مصرى .
(2) سورة التوبة الآية ٩١ ، ٩٢

صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه ، وزودهما شيئا من تمر ، فخرجا مع النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

ثم خرج الرسول بهذا الجيش الجرار الذى ضرب المثل الأعلى فى الإخاء والإيثار والتحمل والصبر على لأواء الصحراء وفيحها ومرارة الجوع وحرارة العطش ، وإنك لتتمثل عظم نفوس هؤلاء القوم وسمو أخلاقهم وشدة تحملهم إذا ما حدثتك عما لقيه هذا الجيش من مشقة ووصب ، قال الحسن : « كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه ، يركب الرجل ساعة وينزل ثم يركب صاحبه كذلك ، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير ، وكان النفر منهم يخرجون ما معهم إلا التمرات ، فاذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة ، فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم » . وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، وحتى أن كان الرجل ليذهب فيلتمس الماء فلا يرجع يظن أن رقبته ستنقطع ، وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده . فقال الصديق أبو بكر : يارسول الله، إن الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيرا ، فادع لنا . فقال : تحب ذلك ؟ قال نعم . فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فأهطلت ، ثم سكنت ، فملئوا ما معهم . ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر (١) » وهكذا تتدارك رحمة الله المجاهدين فى سبيله إذا ما أخلصوا النية وصدقوا ماعاهدوا الله عليه .

ولم يزل الجيش يغذ السير بين الفيح والجوع والعطش والجهد الجهيد حتى وصل الى تبوك ، فلم يجد للروم أثرا ، ولكن ثبت هيبة الإسلام فى الأرض ، فلم يلبث الأمراء المتاخمون للحدود الشمالية أن جاءوا للرسول معاهدين ومذعنين لدفع الجزية ، وبذلك أمن

---

(١) تفسير ابن كثير والبغوى جزء رابع ص ٢٥٧ ط المنار .

المسلمون حدود الجزيرة الشمالية ، وأرهبوا من تسول له نفسه الانتقاض على دولة الإسلام الناشئة الفتية .

* * *

وإن الإنسان ليمتلئ قلبه غبطة ونفسه إعجابا حينما يستمع الى الحديث عن هؤلاء السادة الذين بنوا أمة مثالية فى عقيدتها وعلمها وعملها وفى أخلاقها ، ولا يزال يتلمس الأسباب لهذه النهضة المباركة السريعة حتى يهتدى الى السر وهو الإيمان ، الإيمان بالله الحق ، والإيمان بدعوة الإسلام الحقة ، والإيمان بما أعده الله لعباده المصلحين من نعيم مقيم فى الآخرة ، وبهذا الإيمان يسمو المؤمن الحق حتى يرى أن السعادة فى رضاء الله ورسوله والدفاع عن دعوة الحق والخير والعدل .

* * *

أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، بهذه العقيدة انتصر سلفكم المسلمون ، وأذلوا الأكاسرة والقياصرة ، وثبتوا سلطان الله فى الأرض ، وعلى هذه الأخلاق العالية أقاموا أمة الإسلام ، فهل لنا أن نقتدى بهم فى البذل والإنفاق فى سبيل الله وإرهاب أعداء الله أعداء الإسلام .

إن الإسلام لا يشتكى من قلة المال ، فالمال ـ والحمد لله ـ كثير ، وإنما يشتكى من فقر النفوس المجدبة من المعانى الإسلامية السامية

إن فى المسلمين اليوم كثيرين ممن يقدرون على إعداد كتائب على نفقتهم الخاصة تدافع عن حوزة الإسلام والمسلمين ، وما ثروة السيد الحيي عثمان بجانب الثروات الموجودة اليوم إلا شيء ضئيل ، ولكن عثمان كان يحمل قلبا مؤمنا ونفسا كبيرة عزا على كثير من الأثرياء الآن .

إن أهل الغرب قد سبقونا فى هذا المضمار ، مضمار البذل فى سبيل عز الدولة ، وأتوا بأمثال لا نجحدها حقها من التقدير ، وذلك بدافع من وطنيتهم ، فلماذا لا نكون نحن أولى بذلك بدافع من ديننا ووطنيتنا واقتداء بسلفنا الصالح ؟ ؟ ذلك ما نرجو ، والله الموفق والمعين ٥٠

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

حديث «الغرور» فى القرآن

الغرور داء مهلك ، كم قصم من ظهور ، وكم أردى من رقاب ، وكم حفر من قبور ـ وهو أنواع وألوان ، فهناك الغرور بالعلم ، وهناك الغرور بالمال ، وهناك الغرور بالصحة والشباب ، وهناك الغرور بالمنصب والجاه ، وهناك الغرور بالأولاد والعشيرة . . .

ونحن بحاجة إلى تحذير أنفسنا وغيرنا من التعرض لمواطن الاغترار فضلا عن الإغراق فيه ، وإذا كانت الحياة تحتاج منا إلى أن نشجع الناشئين ، وأن نحرض القادرين ، وأن ندفع بالصالحين إلى خير الميادين ، فهذه الحياة تحتاج أيضا ـ لتكون طاهرة شريفة ـ إلى التحذير من بلوى الغرور ، والى ملطفات الاعتزاز بالنفس والاعتزاز بالذات ، ولابد لكل منا من ساعات تذكار للتدبر والاعتبار ، يعرف فيها قيمة نفسه ، ويعرف فيها قيمة غيره ، ويسلك الطريق المعتدل المستقيم .

وقبل أن نعرض لحديث القرآن الكريم عن الغرور نعرض لحديث اللغة عنه ، فنرى القاموس المحيط يقول : « غرّه خدعه وأطمعه بالباطل فاغترهو ، والغرور الدنيا وما يتغرغر به من الأدوية وما غرك ، أو يخص الشيطان ، وبالضم الأباطيل . . . وغرّر بنفسه عرضها للهلكة ، والغرير والغر الشاب لا تجربة له ، والغار الغافل ، واغتر غفل [١] » ، وفى لسان العرب : « والغرور ما غرك من إنسان وشيطان وغيرهما . . والغرور ما اغتر به من متاع الدنيا [٢] » ، وفى أساس البلاغة : « وصبحهم الجيش وهم غارون أى غافلون ، ويقال : أغر من ظبي مقمر ، لأنه يخرج فى الليلة المقمرة يرى أنه النهار فتأكله السباع ، واغتره الأمر أتاه على غرة [٣] » . وفى مفردات القرآن : « يقال غررت فلانا إذا أصبت غرته ونلت منه ما أريده ، والغرة غفلة فى اليقظة ، والغرار غفلة مع غفوة . فالغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان ، وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين ، وبالدنيا لما قيل : الدنيا تغر وتضر وتمر . . . [٤] » .

---

(١) القاموس المحيط ، ج٢ ص ١٠١ — (٢) لسان العرب ، ج ٦ ص ٣١٥

(٣) أساس البلاغة ، ج ٢ ص ١٦٠ — (٤) مفردات القرآن ، ص ٣٦٤

ونلاحظ أن اللغة تريد بالغرور فى كثير من المواطن الغفلة ، وقد عنى الصوفية بمحاربة الغرور والغفلة والتنبيه على خطرهما ، فنرى أحمد بن أبى الحوارى يقول : « من لم يعرف نفسه فهو من دينه فى غرور » ، ويقول أبو سليمان الدارانى : «اذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوات وطرد الغفلة من القلب » ، ويقول أبو على الثقفى : « الغفلة وسعت على الخلق الطرق فى معايشهم وأفعالهم ، والورع واليقظة ضيقت عليهم ذلك» ، ويقول ابن أبى الحوارى : « ما ابتلى الله عبدا بشىء أشد من الغفلة والقسوة » ، ويقول : « لا نوم أثقل من الغفلة ، ولا رق أملك من الشهوة ، ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة » ! .

وحينما نستعرض حديث القرآن المجيد عن الغرور نلاحظ بعض السمات العامة ، أولها أن الغرور ليس من شيمة المسلمين ولا من خلق المؤمنين ، بل هو شيمة المنافقين والكافرين ، وشيمة الضالين من اليهود والنصارى ، ومنها أن الاغترار عمل الشيطان الرجيم ومن هنالك سمى القرآن الشيطان « غرورا » كما سيجىء ، ومنها أن هذه الحياة الدنيا بلذاتها وشهواتها وآفاتها هى التى تسبب الغرور ، وتثير فى نفس الأغرار عنصر الاغترار ، فيضلون ويضلون . وما هذه الحياة إلا متاع قليل ضئيل زائل ، ولذلك وصفها التنزيل المجيد بأنها « متاع الغرور » وما الغرور إلا غفوة غافلة أو مكابرة ، لا يلبث صاحبها إلا قليلا ثم يستفيق فاذا اللواذع والفواجع ، واذا الغصة بعد فوات الفرصة ، واذا ألم الفكرة بعد عاجل السكرة .

ومن السمات فى حديث القرآن الكريم عن الغرور النعى على الإنسان المغتر بكرم الله وحلمه ، أو المغتر بدنياه ، مع النهى عن الاغترار بسلطان الغير ، إذ كل سلطان — مهما كان جليلا — لاثبات له ولا كيان أمام سلطان القاهر الديان .

يقول الله تبارك وتعالى : « فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين [١] » ، والحديث عن آدم وحواء اذ جاءهما الشيطان اللعين فدلهما الى الأكل من الشجرة ، وخدعهما بأن أقسم لهما بالله انه من الناصحين ،

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٢

فأوقعهما فى الهلاك . قيل : وقد يخدع المؤمن بالله ، ولذلك كان بعض العلماء يقول : من خادعنا بالله خدعنا [١] ، وهنا نرى كيف قام الشيطان بدور الخداع والتغرير فبرع فى التضليل والتخسير .

ويقول عز من قائل : «يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا»(٢) . أى ان الشيطان يعد أولياءه بأنهم هم الفائزون فى الدنيا والآخرة ، وقد كذب وافترى فى ذلك ، إذ هو يعدهم بأباطيله وترهاته من المال والجاه والرياسة ، وأن لا بعث ولا عقاب . قال ابن عرفة : الغرور ما رأيت له ظاهرا تحبه وفيه باطن مكروه أو مجهول . والشيطان غرور لأنه يحمل على محاب النفس ووراء ذلك ما يسوء . ومن هذا بيع الغرر ، وهو ما كان له ظاهر بيع يغر وباطن مجهول [٣] .

ويقول تبارك وتعالى : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا » [٤] . والخطاب للشيطان ، أى استزلهم واستخفهم بصوتك ـ وصوته كل داع الى المعصية ـ واجمع عليهم كل ما تستطيع من مكايدك ، واجعل لنفسك شركة فى أموالهم وأولادهم ، واخدعهم بالأمانى الكاذبة ، فأنت لا تعدهم الا باطلا وزورا .

وقال سبحانه : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور » [٥] .

أى فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصى والشهوات ، وتربصتم بالحق وأهله ، أو أخرتم التوبة من وقت الى وقت ، وارتبتم بالبعث وشككتم فيه ، وغرتكم الأمانى أى قلتم

---

(١) تفسير القرطبي ، ج ٧ ص ١٨٠ (٢) سورة النساء ، آية ١٢٠ و ١٢١

(٣) القرطبي ، ج ٤ ص ٣٠٢ (٤) سورة الإسراء آية ٦٤

(٥) سورة الحديد ، آية ١٣ و ١٤

سيغفر لنا ، أو غرتكم الدنيا حتى جاءكم الموت ، وغركم بالله الغرور وهو الشيطان حتى قذفكم فى النار [١] .

قال بعض العلماء : ان للباقى بالماضى معتبرا ، وللآخر بالأول مزدجرا ، والسعيد من لا يغتر بالطمع ، ولا يركن الى الخدع ، ومن ذكر المنية نسى الأمنية ، ومن أطال الأمل نسى العمل ، وغفل عن الأجل .

وقريب مما سبق قوله سبحانه : « أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور » [٢] . أى ما الكافرون الا فى غرور من الشياطين، تغرهم وتخدعهم حين توهمهم بأنه لا بعث ولا حساب ، وأنه لا ثواب ولا عقاب

وقد رأينا فى الآيات السابقة أن الغرور قد نسب الى الشيطان ، فهو صفة له ، وهو يحاول بثه فى سواه ، وهو بخبثه يعمل على التغرير بطوائف من الخلق فيهلكهم ويرديهم ، ويسوقهم الى شر المعاطب ، ولذلك حذر الله عباده من ذلك الغرور فقال فى سورة فاطر : « يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » [٣]

ويقول الله تعالى : « قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه ، بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا » أى انما اتبعوا فى ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التى يمنونها لأنفسهم ، وهى غرور وباطل وزور ، والغرور هنا مطلق على المشركين الظالمين . وقريب من هذا قوله تعالى : « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » [٤] ، قيل ان هذا الخطاب يكون يوم الحشر ، والمعنى أن هؤلاء الكفار قد خدعتهم هذه الحياة العاجلة ، وظنوا أنها تدوم ، فاغتروا ثم اعترفوا بكفرهم ، قال مقاتل : هذا حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك [٥]

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٩
(٢) سورة الملك ، آيه ٢٠
(٣) سورة فاطر ، آية ٥
(٤) سورة الأنعام ، آية ١٣٠
(٥) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٨٧

وقال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » [١] وهذا الزخرف عبارة عما يوسوس به شياطين الجن الى شياطين الإنس ، وسمى وحيا لأنه انما يكون خفية . وقد ورد أن شيطان الإنس شر من شيطان الجن ، وقال مالك بن دينار : إن شيطان الإنس أشد على من شيطان الجن ، ذلك أنى اذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن ، وشيطان الإنس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا [٢]

وهنا تشترك شياطين الجن وشياطين الإنس — وهم الضالون المضلون منهم — فى الغرور والاغترار والتغرير

وقال تعالى : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون » [٣] ، هذا عن اليهود والنصارى الذين يتظاهرون بالتمسك بالتوراة والإنجيل . ومع ذلك لا يقبلون التحاكم اليهما ، وقد غرهم فى دينهم وخدعهم ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم الا أياما قليلة معدودة ، وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم ، ولم ينزل الله به سلطانا

و بعد أن رأينا نسبة الغرور الى الشيطان والى المنافقين والمشركين ، والى شياطين الإنس الملاعين ، والى الفاسقين من اليهود والنصارى ، نرى نسبته الى الحياة الخادعة الزائفة ، فيقول القرآن عن الكافرين : « الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون » [٤] ، وفى سورة الأنعام يقول : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا » ويعود فى سورة الحديد فيقول : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور [٥] »

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١١٢ (٢) تفسير القرطبى ، ج ٧ ص ٦٧ و ٦٨

(٣) سورة آل عمران ، آية ٢٣ و ٢٤ (٤) سورة الأعراف ، آية ٥١

(٥) سورة الحديد ، آية ٢٠ .

أى هى متاع حقير صغير فان ، يغر من يركن اليه مع أنها حقيرة قليلة بالنسبة الى الدار الآخرة ، وفى الحديث : « لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها »، وفى التنزيل : « بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى » ، ويقول قتادة : هى متاع متروكة أوشكت والله الذى لا اله الا هو أن تضمحل عن أهلها ، فخذوا من هـذا المتاع طاعة الله ان استطعتم، ولا قوة الا بالله. وعن سعيد بن جبير : انما هذا لمن آثرها على الآخرة، فأما من طلب الآخرة بها فأنها متاع بلا غرور

ويقول تبارك وتعالى فى سورة الانفطار : « يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ». قال ابن عمر وغيره : غره والله جهله . وقال قتادة : ماغر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال بعض أهل الإشارة : إنما قال (بربك الكريم) دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الإجابة، وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل، لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغى أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور (١) ». وفى هذا توبيخ وتبكيت للعبد الذى يأمن مكر الله ولا يخافه .

ويخاطب الله نبيه بقوله فى آل عمران : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد » . أى لا تتطلع إلى ما يتقلب فيه هؤلاء الكافرون من النعمة والغبطة ، فعما قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون بلاشىء، ثم يؤخذون بأعمالهم السيئة ، ونحن نمهلهم ولا نهملهم ، وما هذا الذى فى أيديهم إلاشىء حقير قليل ، ولهم من ورائه جهنم ، وهى أسوأ مستقر ومصير . وفى الحديث : « ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع » .

وقريب من هـذا قوله فى سورة المؤمن : «مايجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد » .

هذا ماتيسر من استعراض لحديث القرآن الكريم عن الغرور والمغترين ، وهو حديث ـ كما ترى ـ يوحى بالاحتياط والحذر، ويوصى بالابتعاد عن مواطن الغرور وأسباب الاغترار ، ويحذر من صحبة الغارين الخادعين، جنبنا الله آفة الغرور ، وجملنا بفضيلة التواضع والذكرى، وباعد بيننا وبين المغترين والغافلين، إنه نعم المعين .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ص ٤٨١

من نوادر المخطوطات

توجيه اللمع لابن الخباز

من أئمة المتقدمين فى علوم اللغة والنحو والصرف العلامة ابن جنى . ويكفى أن يقال : إنه صاحب الخصائص ، فيستحضر العلماء شخصيته العلمية الباحثة الذواقة النافذة الى أعماق البحث الفلسفى فى قواعد النحو والصرف وشخصيته الأدبية التى ألمت بأطراف الأدب المصفى ، فكانت كتبه العلمية أشبه بالدواوين فى غرائب الشعر العربى .

ولابن جنى جملة من الكتب فى اللغة والنحو والصرف عرف أكثرها واشتهر بعضها ، ومما اشتهر من كتبه (الخصائص) ، ومما عرف له (اللمع) فى النحو ، وقد جمعه من كلام شيخه أبى على الفارسى واختصر فيه قواعد النحو اختصارا شديدا كما يؤخذ من اسم الكتاب ، فاسم الكتاب (اللمع) وهى جمع لمعة ، ومن معانى اللمعة الإشارة باليد ، فكلام ابن جنى فى اللمع عن قواعد النحو إشارات موجزة ذات احتمالات كثيرة ، لذا اضطر العلماء من بعده الى توضيحها والكشف عنها وتحديد المراد منها ، فشرحها بعضهم شرحا مطولا ، وشرحها بعضهم شرحا موجزا . وممن تصدى لذلك العلامة ابن الخباز فشرحه شرحا متوسطا لاهو بالكبير الممل ولاهو بالقصير المخل كما قال : «فضمنت لهم إملاء مختصرا أقتصر به على توجيه مسائله وتبليغ وسائله ، وقد سميته (توجيه اللمع) ، وعللت فيه المسائل جمع »

فشرح ابن الخباز أو إملاؤه على اللمع ليس كما يفهم العلماء من معنى كلمة الشرح الذى يحاول فيه الشارح الجمع والاستطراد ، وإنما هو الشرح الذى يكتفى فيه بالتوجيه والكشف عن عبارات اللمع .

ولهذا الشرح مزايا ؛ أولها اختصار العبارة والاقتصار على المطلوب ، ثانيها وضوح أسلوبه العلمى وضوحا لايوجد فى كثير من أساليب المتقدمين فى علم النحو ، ثالثها كثرة الاستشهاد بالشعر العربى حتى لا تكاد تخلو قاعدة منه من الاستشهاد به ، رابعها إعراب الغامض من الشواهد والكشف عن غريب اللغة فيها

ومن الغريب أن ابن الخباز أملى هـذا الشرح ولم يأخذ فيـه عن كتاب كما يقول : « ولم أستعن فى مدة إملائه عليه بمطالعة كتاب ، وقد أودعته نبذا ممـا رويته عن شيخي مجد الدين بن أبى حفص عمران بن أحمد بن أبى بكر بن مهران »

وابن الخباز لا يذكر عبارة اللمع كلها ، وإنمـا يقتصر على ما يريد بيانه وتوجيهه منها ، وإنا لنقتبس من الـكتاب ما يوضح ما ذكرنا ، قال فى خطبته :

« أحمد الله على توفيقه وتسديده ومنه علينا بأن جعلنا من أهل توحيـده ، وأسأله من فضله الجزيل أبلغ مزيده ، وأصلى على نبيه محمد الصادق فى وعوده ، والناطق بجامع الكلم وسـديده . . . صلاة دائمـة ما تلفع عارض ببروده ، واختال بين بروقه ورعوده ، أما بعد : فأن جماعة من حفظة كتاب اللمع لابن جنى أطمعهم فيه صغر حجمه ، وآيسهم منه عدم فهمه . . . لأن الـكتب المصنوعة لتفسيره ، منها الـكبير الممل ، ومنها الصغير المخل ، فضمنت لهم إملاء مختصرا . . . وكلما مررت ببيت ذكرت إعرابه ، أو بلفظ لغوى حليته تحلية تزيل استغرابه .

وقال فى باب المعرفة والنكرة : « المعرفة والنكرة فى الأصل مصدران يقال : عرفت الشيء أعرفه معرفة وعرفانا ، وأنكرت الشيء إنكارا ، قال الأعشى :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت   من الحوادث إلا الشيب والصلعا

ويقال : إن أبا عمرو وضع هـذا البيت ، وعلى كل حال يستشهد به لأن أبا عمرو لا يتقاعد عن الحسين بن مطير الأسـدى الذى كان فى زمان المهدى . فنقل النحويون المعرفة والنـكرة وسموا بهما نوعى الأسماء ، والأصـــل النـكرة ولذلك بدأ بها ، وكانت الأصل لوجهين :

أحدهما : أنك لا تجد معرفة إلا وله اسم نكرة ، وتجد كثيرا من النكرات لا معرفة له ، والمستقل أولى أن يكون أصلا من المحتاج

الثانى : أن الشيء منذ اول وجوده تلزمه الأسماء العامة ثم تعرض له بعد ذلك الأسماء الخاصة . ألا ترى أن الآدمى اذا ولد سمى ذكرا أو أنثى وانسانا ومولودا ورضيعا وشيئا وموجودا ، وهـذه الأسمـاء مشتركة المعـانى ، ثم يعرض بعد ذلك اللقب والـكنية ، والاسم كعبد الله وأبى عمرو وبطة . وقد اختلفت عبارات النحويين فى حـد النـكرة ،

وهى راجعة الى معنى واحد ، قال أبو الفتح : « النكرة ما لم يخص الواحد من جنسه » وقال غيره : « النكرة ما دل على شىء لا بعينه »

واعلم أنه لا يشترط فى النكرة كثرة المعانى الموجودة تحتها بل العبرة أن يكون وضعها على الاشتراك ، ألا ترى أن شمسا وقمرا نكرتان وان لم يكن الا شمس واحدة وقمر واحد . ويدلك على أنهما نكرتان دخول اللام عليهما ، فإن قلت : فقد جمعت الشمس والقمر ، قال الأشتر النخعى :

حمى الحديد عليهم فكأنه ومضات برق أو شعاع شموس

وقال الراجز :

وجوههم كأنها أقمار

ففى ذلك جوابان : أحدهما أن الشمس والقمر يتجددان ، فالشمس فى كل يوم ، والقمر فى كل شهر ، فجمعهما نظرا الى هذا ، ألا ترى أنك تقول شمس اليوم أحر من شمس أمس ، والثانى أن الجمع على تسمية الضوءين باسم النيرين وأضواؤهما كثيرة الخ »

هذا ، ومن الغريب أن السيوطى فى بغية الوعاة لم يشر فى ترجمته لابن الخباز الى هذا الكتاب ، كما أن حاجى خليفة صاحب كشف الظنون أشار اليه اشارة موجزة فقال : توجيه اللمع فى النحو ولم يزد على ذلك . وابن الخباز هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالى ابن منصور بن على الشيخ شمس الدين بن الخباز الأربلى النحوى الضرير . كان علامة زمانه فى النحو واللغة والفقه والعروض ، وله مصنفات مفيدة منها شرح ألفية ابن معطى والنهاية فى النحو ، مات بالموصل سنة ٦٣٧ ، وبالمكتبة الأزهرية نسخة من كتاب توجيه اللمع من أقدم النسخ ، فقد فرغ من نسخها سنة ٧٨٦ ، وخطها حسن بالنسبة لخطوط عصرها ، وأكثر كلماتها مشكول ، وببعض أوراقها رطوبة وتقطيع ذهب ببعض كلماتها ، وتقع فى ٢٠٨ ورقة ، وسطورها بين ٢٢ و ٢٣ سطرا ، وان هذا الكتاب جدير بالنشر ، ويسد فراغا بين كتب النحو ، واحياؤه احياء لكتب السلف التى خلت من الحشو والتطويل ، وهدفت الى المقصود من غير تزيد ولا استطراد ، وعسى أن يجد بين المهتمين باحياء تراثنا القديم من يعنى بنشره ما

أبو الوفا المراغى

وجوب التصحيح

فى متن حديث صحيح

أخرجه الشيخان فى صحيحيهما والإمام أحمد فى مسنده

أخرج الإمام البخارى فى صحيحه فى : ٨٥ ـ كتاب الفرائض ، ٢١ ـ باب إثم من تبرأ من مواليه :

حـدثنا قتيبة بن سعيد . حدثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : قال على رضى الله عنه : ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله ، غير هـذه الصحيفة . قال : فأخرجها فإذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل . قال وفيها « المـدينة حرم ما بين عير إلى ثور : فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل » الخ .

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه فى : ١٥ ـ كتاب الحج ، ٨٥ ـ باب فضل المدينة الحديث ٤٦٧ :

وحـدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب وأبو كريب جميعا عن أبى معاوية . قال أبو كريب : حـدثنا أبو معاوية . حدثنا الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : خطبنا على بن أبى طالب فقال : من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة (قال وصحيفة معلقة فى قراب سيفه) فقد كذب . فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات ، وفيها قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور : فمن أحـدث فيها حدثا أو آوى محدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » الخ

وفى : ٢٠ ـ كتاب العتق ، ٤ ـ باب تحريم تولى العتيق غير مواليه ، حديث ٢٠ :

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن أبراهيم التيمى عن أبيه

قال : خطبنا على بن أبى طالب فقال : من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة (قال وصحيفة معلقة فى قراب سيفه) فقد كذب . فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات ، وفيها : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور : فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا الخ .

وأخرج أبو داود فى سننه فى : ١١ - كتاب المناسك ، ٩٦ - باب فى تحريم المدينة حديث ٢٠٣٤ :

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه ، عن على رضى الله عنه قال : ما كتبنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا القرآن ، وما فى هذه الصحيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة حرام ما بين عائر إلى ثور ، فمن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه عدل ولا صرف » الخ .

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده جزء أول ص ٨١ (طبعة الحلبى) الحديث رقم ٦١٥ طبعة المعارف :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : خطبنا على فقال : من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة - صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب ، قال وفيها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عير الى ثور ، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلا ولا صرفا » الخ .

وفيه جزء أول ص ١٢٦ (طبعة الحلبى) حديث رقم ١٠٣٧ طبعة المعارف :

حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن على قال : ماعندنا شىء إلا كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عائر الى ثور ، من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه عدل ولا صرف » الخ

وفيه جزء أول ص ١٥١ (طبعة الحلبى) حديث رقم ١٢٩٧ طبعة المعارف :

حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن سليمان عن ابراهيم التيمى عن الحارث بن سويد قال : قيل لعلى : إن رسولكم كان يخصكم بشىء دون الناس عامة ؟ قال : ما خصنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم بشيء لم يخص به الناس، إلا بشيء في قراب سيفي هذا ، فأخرج صحيفة فيها شيء من أسنان الإبل ، وفيها « ان المدينة حرم ما بين ثور الى عائر ، من أحدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا فأن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل » الخ .

هذه هي المتون الصحيحة لهذا الحديث الصحيح ، وقد بينا في مقالنا السابق (١) صحة وجود جبلي عير وثور بالمدينة بما نقلناه عن أئمتنا القدماء وعن مؤرخينا المعاصرين .

ومن اليقين أن هذا اللفظ هو اللفظ النبوي الذي حافظ عليه الصحابي ثم التابعي ثم من رواه عنه الى البخاري ومسلم وأبي داود والإمام أحمد .

ولكن يظهر أن بعض الرواة شككه في متن الحديث ما تقحمه من الخطأ الشنيع مصعب بن الزبير ومن قلده بغير روية .

وتوهم وقوع الخطأ في المتن ، دون أن يبحث هو أيضا ويدقق ، فتحاشى في روايته ذكر ثور أو ذكر عير وثور معا ، كما جاء في هذه الأحاديث التي ينبغي تصحيح الخطأ فيها ورواياتها على الصواب حسبما تقدم ، وهذه هي :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه في : ٢٩ — كتاب فضائل المدينة ، ١ — باب حرم المدينة :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال : ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عائر الى كذا الخ » .

وفي ٥٨ — كتاب الجزية ١٠ — باب ذمة المسلمين واحدة وجوارهم واحدة يسعى بها أدناهم : حدثني محمد ، أخبرنا وكيع عن الأعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال : خطبنا علي فقال : ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة ، فقال : فيها الجراحات وأسنان الإبل ، والمدينة حرم ما بين عير الى كذا » الخ

وفيه ١٧ — باب إثم من عاهد ثم غدر

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن علي

---

(١) جزء صفر ١٣٧٥ ص ١٨٦ — ١٩٠

رضي الله عنه قال : ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرام ما بين عائر الى كذا الخ » .

وفى : ٩٦ - كتاب الاعتصام ، ٥ - باب ما يكره من التعمق والتنازع فى العلم والغلو فى الدين والبدع :

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبى ، حدثنا الأعمش ، حدثنى إبرهيم التيمى ، حدثنى أبى قال : خطبنا على رضى الله عنه على منبر من آجر ، وعليه سيف فيه صحيفة معلقة ، فقال : والله ، ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله ، وما فى هذه الصحيفة . فنشرها فاذا فيها : أسنان الإبل ، و إذا فيها : المدينة حرم من عير إلى كذا الخ .

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه فى : ١٥ - كتاب الحج ، ٨٥ - باب حرم المدينة ، الحديث ٤٣٦ .

وحدثناه حامد بن عمر ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا عاصم . قال : قلت لأنس ابن مالك : أحرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؟ قال : نعم ، ما بين كذا إلى كذا . . .

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده جزء ثالث ص ٢٣٨ (طبعة الحلبى)

حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المدينة حرام من لدن كذا إلى كذا الخ .

وفيه ص ٢٤٢ :

حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد عن حميد ، وعاصم الأحول عن أنس ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المدينة حرام من كذا إلى كذا . . . الخ .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسول الله وخاتم النبيين م

محمد فؤاد عبد الباقى

نماذج يقدمها الاسلام :

نظام الملك الطوسى

الوزير العالم المصلح الشهير

اكتملت فى الوزير نظام الملك الطوسى مواهب عديدة، فهو ـ أولا ـ عالم بارع تفقه فى الشريعة الإسلامية ، والحديث النبوى ، ودرس اللغة والأدب ، ولم يكن اطلاعه محدودا يقتصر على المطارحة والمشاركة ، بل عمد إلى اللباب الدسم من مختلف العلوم فاكتنه سره ، وكشف غامضه ، وحسبك أنه تصدر للتدريس فى حلقاته العامرة، فنوقش وجودل ، وأظهره الحوار على حقيقته عالما أصيلا يحمل برهانه ، ويملك إقناع معارضيه ، وهو ـ ثانيا ـ إدارى حازم نظم شئون الملك ، وجهز الجيوش الغازية ، ورسم الخطط الموفقة ، وأعد المؤن والذخائر ، وجعل لسلطانه هيبة مرهوبة ، فأمره نافذ مسموع ، وأعداؤه ينكمشون ويتضاءلون مشفقين من صرامته وسعة حيلته ، مع ما لديه من عتاد ماحق ، وبأس رهيب ، وهو ـ ثالثا ـ مصلح كبير قضى على الاختلافات المذهبية بين الطوائف الإسلامية ، وأكثر من المدارس النظامية ، ودعا إلى الوحـــدة المتماسكة بين المسلمين فى عصر تنوعت فيه الفرق ، وتعددت الخلافة من عباسية وعبيدية وأندلسية !! وبجهوده الممتازة رجعت للدين مكانته فى القلوب ، وللسلطان هيبته فى النفوس !!

كان أبو الحسن بن إسحاق بن العباس الطوسى من أبناء الدهاقين ، وقد توفيت أمه وهو رضيع ، فلاقى والده مشقة فى تربيتـه وحضانته إذ كان يطوف به على المرضعات ، ويسهر طيلة ليله فى قضاء حوائجه ، وما ان شب عن الطوق حتى دفع به إلى معلم مخلص يثقفه ويهذبه ، فحفظ القرآن الكريم ، وتفقه فى الحديث الشريف ، وشارك فى علوم عصره ، وكانت المعرفة لعهده مختلفة الينابيع متنوعة الجداول ، فأخذ من كل فن بطرف ، وأخلص إخلاصا حميدا فى التحصيل حتى تألق نجمه ، وذاع صيته ، فاتصل بخدمة على بن شاذان ،

وأظهر لديه كفاية تامة وخبرة واعية وخلقا كريما ، فقدمه إلى الملك السلجوقى ألب أرسلان ، ولم يلبث أن صار صاحبه الأثير ، فتسنم الوزارة ، وبلغ بها مرتبة سامية أتاحت له أن ينفذ آراءه الإصلاحية ، ويقوم بجهود ممتاز فى شتى الميادين .

كانت عصامية نظام الملك مفتاح تفوقه ونبوغه ، فقد قرأ تواريخ الوزراء وذوى المكانات المرموقة فى الدولة الإسلامية ، فوجد الخطوة السابقة قد واتتهم عن طريق الدرس والتحصيل ، فأكب على العلم يقتطف ثماره اليوانع ، ولم يحصر أفقه فى فرع خاص منه يتفرغ إلى التعمق فى مسائله والتبحر فى أصوله ، حتى يصبح أستاذه الملحوظ ، ولكنه جعل من اطلاعاته المتنوعة نبراسا يهديه إلى حل مشكلات عصره ، وتفهم حوادث زمنه ، ومعالجة ما قد يعضل من الأدواء ، ومن هنا ربط علمه بالحياة ربطا ساعد على فهمها ودراسة مجتمعها ، وعناصر التأثير فيها ، وتكوين صورة خاصة لكل عظيم يتصدر ناحية من نواحيها الكثيرة ، وكانت أخلاق الرجل سلما آخر لمجده ، فيها تدرج فى معارج الرقى ، وانجذبت إليه الأفئدة والأهواء ، وقد ورث عن عائلته صوفية شفافة ، فمال إلى الفقراء ، وصاحب أهل الزهد والورع ، ونأى فى وزارته عن الترف والملاذ ، ووجد فى مطارحة العقول ومجالسة الفحول لذائذ مغرية ، فحرص على التبصر والتأمل ، وأبدى رأيه فيما يسمع ويقرأ ، ولذلك عمر مجالسه بأئمة العلم وصدور الشريعة من أعلام الإسلام ، وكان يبدى من تعظيمهم وتجليلهم ما يدفعهم إلى زيارته والتردد عليه ، بل إنه كان يزن كل عالم بميزان دقيق ، فيعرف له مكانه الذى يجب أن يوضع فيه .

كان مجلس الوزير دائرة ثقافية متنوعة الأفانين ، وحسبك أن تعلم أن إمام الحرمين أبا المعالى الجوينى ، وأبا القاسم القشيرى ، وحجة الإسلام الغزالى ، وعبد السلام القزوينى ، وأبا على الفارمذى ، وغيرهم من أئمة الفضل ، كانوا شموس مجالسه وبدور آفاقه ، وكانت صوفيته السليمة النبيلة تدفعه الى المفاضلة بينهم على أساس من الورع والتقوى ، فهو يستشف أسرار النفوس ، ويصل الى الأغوار الكامنة من معادن الناس ونياتهم ، فليست سعة العلم وحدها أساس المفاضلة فى رأيه ، ولكنه يجمع إليها ما توحى به الدلائل المختلفة من عظمة الخلق وقوة الإخلاص ، وكأنى به وقد أدرك أن العلم لا يبلغ قمته العالية إلا إذا امتزج بدماء صاحبه ، فأورثه ترفعا كريما عن الرغبات الزائلة ، وتساميا رفيعا عن مجاملة

الناس ومحاسنتهم لعلة ذاتية أو نفع مادى . قال بعض جلسائه : كان نظام الملك إذا دخل عليه إمام الحرمين وأبو القاسم يقوم لهما ولا يفارق مكانه ، وإذا دخل عليه واعظ خراسان أبو على الفارمذى قام إليه ، وأجلسه مكانه ، وقعد بين يديه ، فسألناه عن مبالغته فى الاحتفاء بالواعظ وحده احتفاء لم ينله سواه ، فقال : إن الجوينى والقشيرى وأمثالهما إذا دخلوا على يقولون لى : أنت كذا وكذا ، ويبالغون فى الثناء بما يبطرنى من المديح ، أما أبو على فيذكر لى عيوب نفسى ، وما أقع فيه من الظلم فأنكسر وأتراجع وأستشعر الهيبة والخشوع !

فهذا الرجل الذى يهمل الثناء ، ويحتشد للنقد ، ويكترث لصاحبه ، إنسان عميق الإدراك ، واسع النظرة ، ولا ريب أنه جاهد نفسه جهادا شاقا حتى سما بها فوق النزوات الأنانية التى تتعشق الإطراء العريض ، وذلك وحده فضل عجيب يقترن بالحب والإجلال ! !

ونحن ـ وقد عرفنا حقيقة نظام الملك ـ لا نعجب إذا وجدناه يحمل بين جنبيه قلبا رقيقا ، فيأتى من الأعمال ما ينبئ عن رحمة وحنان ، كان يأكل ذات يوم على مائدته ، ومعه لفيف من أعيان الدولة ، وجماعة من الفقراء والمعوزين ـ كدأبه فى الجمع بين الطائفتين ـ فشاهد والى خراسان يجلس جوار فقير مقطوع اليد ، والوالى متأفف من جواره ضائق بمكانه ، فقام النظام من فوره وجلس بجوار الفقير يحادثه ويمد يده فى طبقه ! وبذلك ألقى على الوالى المتعاظم درسا فى المروءة يفوق كل زجر وتأنيب ! ! .

وكانت حوادث عصره وملابسات زمنه تساعده على أداء رسالته فى السياسة والتعليم ، فقد تسنم الوزارة فى خلافة المقتدى بالله العباسى ، وسلطنة ألب أرسلان وملكشاه السلجوقيين ، والخليفة العباسى والسلطان السلجوقى معا يهدفان الى الخير ، ويساعدان على الإصلاح ، فاذا نهض الوزير آنئذ بسياسته الإصلاحية لم ير معارضا يقف فى طريقه ، وبذلك يسير فى نهج سهل تلاشت عقباته ، وتجافت عنه العراقيل ! .

كان المقتدى بالله خليفة قوى النفس عظيم الهمة ، أصلح كثيرا من الأحوال الاجتماعية ببغداد ، فحطم دور الفساد ، وطرد المغنيات ، ومنع الملاحين أن يحملوا الرجال مع النساء ، واستأصل الأبراج العالية كيلا تكون مباءة لكشف الأسرار ، والاطلاع على المحصنات فى الخدور ، ولذلك صادفت إصلاحات نظام الملك ارتياحا من نفسه ، فخلع عليه خلعة سنية ! وقدر الوزير الكفء تقديرا كان مدعاة العمل والنشاط ، وكذلك كان سلطانه

السلجوقى ألب أرسلان – فيما يقول ابن الأثير – نبيلا عالى الهمة ، بارا بالرعية ، صديقا للفقراء والمعوزين ، وقد ورث عنه ابنه ملكشاه من بعده ما يزينه من النبل والشجاعة والهمة والطموح ، ونظام الملك وزيرهما المختار يتصرف فى الأمور كما يشاء ، وقد تعاون معهما تعاونا صادقا فى الغزو الإسلامى المظفر ، فقد أغار الروم على أملاك الدولة العباسية ، وأفزعوا المسلمين بما فعلوا من إجرام ونهب ، ثم زحفوا على آسيا الصغرى ، وامتدت أطماعهم الى بغداد ، و بعث ملك الروم الى السلطان رسالة تنبئ عن الاستخفاف به ، فأخذ الأهبة الشديدة ، وسار بجنوده الى لقائه ، ونظام الملك من خلفه يرسم الخطة ، ويعد الذخيرة ، وقد قسم السلطان جيشه الى أربع فرق ، تقدم بأحداهن وترك ما بقى كمينا أطبق من الخلف والجانبين ، فوقعت الهزيمة الماحقة بالروم ، وتركوا مغانم كثيرة من مال وذخائر ، ورجعت للاسلام مكانته الشماء .

وبادارة نظام الملك وحسن تدبيره الحصيف ، اتسع نفوذ ملك شاه ، فخطب له من حدود الصين شرقا ، الى آخر بلاد الشام غربا ، وعم البلاد الرخاء ، فشقت القنوات ، ونشطت الزراعة والتجارة ، وقد سار «ملكشاه» بجنوده حتى بلغ حدود القسطنطينية ، وقرر ألف دينار على ملوكها ، ووضع فى الجهات التى فتحها من بلاد الروم خمسين منبرا إسلاميا ! ! وجلجل الأذان الإسلامى فى الآفاق يحمل الرسالة المحمدية ، ويدوى بعظمة الإسلام ! !

لم يكن هذا النصر ليتاح فى عهد وزير خامل يفكر فى نزواته وأهوائه ، ولكن قوة نظام الملك الخارقة ، قد جعلت من الدولة السلجوقية دولة مغاز وفتوح ، ولن يتم لدولة عظمة بغير ذخيرتها الحربية ، وقوتها المجاهدة ، وهذا ما فطن إليه الوزير العظيم ، فأعد الجيش القوى ، وهيأ السلاح الماحق ، وكسب النصر الوضاء ، ولو تأخر عهد الوزير العظيم حتى ظهرت قوات التتار المتوحشة لألقى عليها بشكيمته الخارقة درسا قاسيا ، ولما استطاعت أن تمزق الدولة السلجوقية تمزيقا تفتت له الأكباد ! ! ولكن القدر الذى شاء لنظام الملك أن يمثل دوره قبل اندلاع هذه النار المشتعلة ! ! قد هيأ للتتار ظروفا مواتية ، أدوا بها رسالتهم المروعة فى الاستئصال والتدمير ! ! ولو سلك الخلف سبيل السلف ما استشرى الخطب وطم الفساد ! !

هذا فى ميدان الحروب ! ! أما فى ميدان الثقافة فقد رأى النظام مايغمر العامة من جهل بقواعد الدين ، وحز فى نفسه أن يتلاعب بعض الناس من ذوى الأطماع السياسية

بعقائد باطلة ينسبونها الى الإسلام ، ويدعون العامة إليها ليتخذوا منهم قوة مظاهرة تساعدهم على الاستقرار السياسى ! ! حز ذلك فى نفس الوزير فأنشأ المدارس المتعددة فى العراق و إيران وأفغانستان ، وقد حشد لها أئمة الفقه وأعلام الشريعة ، فكان من أساتذتها إمام الشافعية أبو اسحق الشيرازى ، وحجة الإسلام الغزالى ، وأبو نصر بن الصباغ ، وأبو بكر الشاسى ، وعرفت فيما بعد بالمدارس النظامية ، وكان للطلبة بيوت يأوون إليها ، وخزائن واقية تحفظ ملابسهم وكتبهم ورواتب تجرى عليهم كيلا يقطعهم طلب الرزق عن التحصيل ! ! وقد أباح للجمهور أن يسهم مع الطلاب فى النقاش والاستماع ، وأخذت أضواء المعارف تشع وتتكاثر ! ! حتى نشأ جيل جديد ممتاز يدرس الشريعة الصافية و يرد الى الإسلام فى منابعه النقية ، ومهما يكن من شيء فقد كانت هذه المدارس المباركة أساسا للنهضة العلمية التى ازدهرت فى القرن الخامس الهجرى وما وليه من قرون ، و إليها يرجع الفضل فى القضاء على البدع والخرافات التى عششت فى العقول المظلمة ، ورجعت على الإسلام بأوخم العواقب ! ! وقد ألقى فيها نظام الملك بنفسه بعض الدروس فى الحديث والتفسير ، ولم يدع لنفسه رسوخا فى العلم وتمكنا فى الرواية بل تواضع فقال : إنه لم يبلغ درجة العلماء والمحدثين ! ! ولكنه رغب فى أن يحسب فى عداد رواة الحديث ، لينال بذلك تشريفا عند الله والناس .

وقد كان إكثاره من المدارس النظامية مدعاة لخطأ وقع فيه الحافظ الذهبى حين قرر أن نظام الملك أول من أنشأ المدارس فى الإسلام ! ! وقد تدارك العلامتان السبكى والسيوطى هذا الخطأ فذكرا أن المدارس الخاصة بالتعليم قد أنشئت فى الإسلام قبل أن يولد نظام الملك بعشرات الأعوام كالمدرسة البيهقية بنيسابور وغيرها ، ولكن النظام أكثر من المدارس إكثارا حميدا . وكان ــ وحده ــ أول من أجرى بها المعاليم للطلاب والمدرسين ، ومع هذا التصحيح المقنع فقد تلقف جورجى زيدان رواية الذهبى وتبعه جمع من المستشرقين يعز عليهم أن يسبق تاريخ الإسلام فى إنشاء المدارس ، فهم يرجعون بها دائما فى أبحاثهم المختلطة عن التربية الإسلامية إلى نظام الملك الطوسى ، عن هوى واضح ، وغرض مريب ! !

كانت المدارس النظامية تدعو دعوة صريحة إلى القضاء على الخلاف بين أصحاب الدين الواحد ، فقد كان بعض المعتزلة والأشاعرة والرافضة يحتربون فى حومة خاسرة ، وكل فريق يكيل للآخر تهما تصل إلى الكفر والمروق ، كما أن بعض رجال الفقه من

شافعية وأحناف وحنابلة ومالكية وشيعة قد طاف بهم طائف التعصب، فأصبح الفقيه المتعصب يبحث عن أوجه الخلاف البعيدة ، فاذا قرأ فتوى لزميل يخالف مذهبه بذل جهده فى تزييفها ، حتى لتتعدد الفتوى الواحدة بتعدد الفقهاء ، وهناك ــ مع ذلك كله ــ جماعة المتصوفة الذين يقفون مع الفقهاء فى عراك ترجع خسارته إلى الدين ، وتلك ويلات أئمة أرقت نظام الملك، فعمل على تبديدها باثارة العقول و إضاءة الأذهان، فصافى أهل الانصاف من كل الفرق ، وصاحب المخلصين من رجالها وحشدهم فى مجالسه ، ودعاهم إلى الوحدة لصيانة الإسلام فى عصر يتجمع فيه الفرنج و يتحرشون بالمسلمين ، وقد تنازع ساسة الإسلام وتعددت مذاهبهم المغرضة ، فلا أقل من أن يتحد العلماء فيرأبوا صدعا واسعا يوشك أن يعصف بالبناء، قال عبد السلام بن يوسف القزوينى شيخ المعتزلة فى عصره : دخلت على الوزير الخطير نظام الملك ، وكان عنده أبو محمد التميمى ، وعالم أشعرى ، فقلت له : يأيها الصدر ، لقد اجتمع عندك رءوس أهل النار ، فقال النظام : وكيف ؟ فقلت : أنا معتزلى ، والتميمى مشبه ، وذاك أشعرى ، و بعضنا يكفر بعضا ، فضحك النظام . واذا كان القزوينى قد ساق حديثه مساق الفكاهة ، فهو بلا شك ينبئ عن حقيقة أليمة تضطرم لها الصدور ، إذ يصور ما تنفجر به مجالس العلم من قذائف ملتهبة تتناثر شظاياها المحرقة فى الوطن الإسلامى، فتصيبه بالتصدع والانهيار ، ولولا ما بذله النظام من الجهود فى سبيل الوحدة المخلصة باقامة المدارس للعلم الإسلامى الحق لتفاقم الشرر وامتد اللهيب فى كل مكان .

وقد زار النظام بغداد ــ عاصمة الخلافة ــ فأراد أن يضرب المثل بنفسه فى الدعوة الى الوحدة الدينية ، ونبذ الخلاف المذهبى ، فزار مشهد الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ودعا له بالخير ، وأتبعه بزيارة قبرى الإمامين أبى حنيفة وابن حنبل ودعا لهما، ثم زار قبر معروف الكرخى، وهو من أئمة التصوف، ودخل المدرسة النظامية وسمع الناس به منه قسطا من الحديث ، وأملى قسطا آخر .

وقد خطا الرجل خطوة ثانية فى سبيل الوحدة المرموقة ، فأبطل لعن الرافضة والأشاعرة من فوق المنابر ، وقد كان الوزير عميد الدين الكندرى قد حسن للسلطان طغرلبك لعن الرافضة فأمره بذلك فأضاف اليه لعن الأشاعرة ! ! ورأى نظام الملك فى ذلك خطأ بالغا فأبطله مقتديا بعمر بن عبد العزيز ومن سار على طريقته من أعلام السنة

المعتدلين، و بهذه الأعمال الجليلة ساعد النظام مساعدة فعالة على تقريب وجهات النظر ، وسار فى طريق الوحدة الدينية سيرا حميدا ، إذ أطفأ الأحقاد وأثلج الصدور ، وقد كان المذهب الشافعي يدرس وحده بالمدارس النظامية لكثرة من بها من فقهاء الشافعية ، وليس فى هذا تعصب لمذهب خاص ، ولكن اجتماع الطلاب على مذهب معين أدعى الى سد أبواب الخلاف فى عصر تفاقمت فيه حدة الجدل المذهبي، بدليل أن الوزير العالم قد بنى ضريحا للامام أبى حنيفة ، وأقام مدرسة خاصة لتدريس مذهبه الجليل ، فلو أن مذهب الشافعي قد قصد لذاته دون تقدير لغيره ، ما أنشأ النظام مدرسة حنفية ، ولكن الجو الذى سمح للخلاف السياسى أن يتسربل بالمذهب الدينى قد دعا إلى سلوك منهج واحد لتلاميذ مخلصين يؤمل فيهم أن يكونوا رسل الوحدة الدينية عن قريب .

وقد قدر للرجل أن يلقى مصرعه شهيدا على يد أحد الإسماعيليين بتحريض زعيمهم الحسن بن الصباح ، اذ كان هؤلاء يدعون الى الانتقاض على الدولة العباسية ، وقد انتشروا فى هضاب فارس انتشارا مروعا يهدد الأمن و يعصف بالاستقرار ، ولقيت دعوتهم آذانا صاغية فى بلاد تألف الفتن المذهبية من قديم، ورآها الحسن بن الصباح حقلا خصيبا يجنى به آماله ورغائبه . ومع أن الحسن كان زميل النظام فى دراسته التعليمية بطوس ، ومع مابذله النظام له من مساعدة كبيرة حين قدم عليه فى وزارته يلتمس المعونة و يستجدى النفع ! ! ومع الصداقة التى كانت بينه وبين صهر نظام الملك حاكم قلعة «الموت» وانتفاع الحسن بها انتفاعا وجيها وجهة شخصية مريبة ! ! مع ذلك كله فقد دبت عقاربه نحو الوزير ، وعزم على أن يغتاله خفية اذ كانت عين النظام بصيرة تراقب مايقوم به صاحبه من التدمير والافساد ، وقد عزم على قص أجنحته وانهيار طغيانه عزما لا يقبل المفاوضة والتراجع ، ولكن القدر قد سبقه فى طعنة ماكرة من يد ديلمى مأفون سخره الحسن لتنفيذ رغبته الآثمة ! وقد ساط عليه أشعته الأخاذة بجذبه الى الجريمة منقادا لتأثيره السحرى الرهيب !

هذا هو سر الاغتيال الآثم كما سجلته الروايات الصحيحة ، وكما يتفق ومنطق الحوادث المتتابعة ، ولن نلتفت إلى مارواه ابن الأثير فى الكامل ونقله عنه الأستاذ محمد الخضرى بك من أن مصرع الوزير كان بتحريض ملكشاه وتدبيره ، إذ رأى وزيره يقبض على ناصية الأمر بيده، و يستطيل عليه، فيقول فى معرض الإجابة عن تهديد صدر اليه من السلطان : إن دواتى مقترنة بتاجك فتى رفعتها رفع ، ومتى سلبتها سلب ! ! لن نلتفت الى ذلك ، لأن نظام

الملك كان فى حياته السياسية ناعم الملمس حصيف التدبير ، ومن كانت له حنكته البالغة ، وتعمقه النافذ ، وحلمه الواسع ، لا يجيب هذه الإجابة الرعناء !! تلك التى لا تصدر إلا من شاب مغرور لم تعركه حوادث الدهر وتصقله تجارب الأيام ، بل ان أساوب النظام الهادئ اللين كان يقتلع الجبال بقوته ، فكيف ينقلب الرزين الحصيف فى شبابه الى أرعن أحمق فى شيخوخته ! وقد استفاد من عمره الطويل ما شد أزره ، وامتد بآفاقه !! وان من يقرأ كتابه العظيم « سياسة نامة » يجد من الخبرات والمعارف ، ويطالع من الحيل والتدبير ، ما يدل على مرونة سهلة ، ولباقة أريبة . ومؤلف الكتاب ـ بعد ـ سياسى من أليق طراز ، وقد أتيح له أن يكتب فى أصول السياسة ، كما يمثل أدوارها المتناقضة ، ليجمع بين التجربة العملية والأصول النظرية فى آن واحد !! ونحن لا ندرى أنعجب بالكاتب السياسى أم بالوزير السياسى !! على أن التوفيق بعد القول والعمل أمر يتعسر فى أكثر الأحيان ، ولكن كان ذلولا سمحا عند النظام ، فقضى حياته مبارك الغدوات مأمون العثار !!

ومهما يكن من شىء فقد فقد التاريخ بمصرعه بطلا حديد العزيمة ، قوى الإيمان ، يستشعر خشية الله دون سواه ، وكان إذا سمع الأذان أمسك عما هو فيه ، ولا يبدأ بشىء قبل الصلاة . ومع ما كان فيه من الجاه المديد والنفوذ الطائل فقد كان يذكر الآخرة دائما ، ويستعين على تحقيق آماله بالعبادة والتقرب الى الله .

يقول نظام الملك : « كنت فى مطلع حياتى أتمنى أن تكون لى قرية ، ومسجد أعبد الله فيه ، ثم تمنيت أن تكون لى قطعة أرض أنتفع بريعها ومسجد أعبد الله فيه ، ثم تمنيت أن يكون لى رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه » وهكذا تتضاءل آماله من قرية الى قطعة أرض الى رغيف ، ويجنح الى التصوف فى إحدى فترات شبابه ، ثم تنبعث همته العالية فيقدر رسالة المسلم فى الحياة ، ويعلم أنها رسالة البعث والقوة والإنقاذ . وإذ ذاك يخطو خطواته الثابتة فى دنيا المجد فيصبح وزير دولة ، ورجل عقيدة ، وبطل تاريخ ما

محمد رجب البيومى
المدرس بالمنصورة الثانوية

شريعتنا

مما لامرية فيه أن الشريعة المحمدية الغراء كانت – ولا تزال – مصدرا لسعادة البشر، التي هي الهدف منذ تواضع الناس على أن تكون لهم شرائع، وما من أمة خلت من الأمم الا كانت لها شريعة تربط أفرادها برباط وثيق، وتحكم صلة الفرد بالمجموع وصلة المجموع بالفرد، لتكون ملاك الفضائل كلها اذا تفاعلت فيها المصالح وتآخت عليها المرافق.

فأحكام الدنيا التي تؤلف « معاملات المجتمع » من بيع وشراء ووصية وهبة ووقف وما الى ذلك من التصرفات هي التي تسلك المجتمع في حياة سرمدية باقية، وتجعله متفاعلا بعضه مع بعض، حتى اذا ند هذا المجتمع عن قسطه المرموق له في الحياة، فعكس الآية في تصرفاته، وأحالها مجرد نقائض لتلك التصرفات، كان أحرى بهذا المجتمع أن يتخلف عن مواكب الطبيعة التي أودعها الله في خلقه منذ القدم.

من أجل ذلك بعث الرسل والأنبياء، فرسموا لأممهم الحدود والمعالم، وعبدوا للفضائل السامية طرقها حتى بلغوا بها القمة، ثم قالوا للناس هذا حلال وهذا حرام، هذا واجب الترك وهذا واجب الفعل. هذا يخطو بالبشرية الى دنيا فاضلة، ويخط لبني الإنسان سبيلا الى السعادة المثلى والطريقة التي لا عوج فيها ولا أمتا، فشريعة آدم البدائية الى شريعة ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد – عليهم الصلاة والسلام – تهدف كلها الى هدف واحد ومرمى واحد: هو العمل لخير الإنسانية والتواصي بالعدل والمرحمة، وتجنب الظلم والمأثمة، ومجافاة الشرور في أقل صورها حتى لا تكبر فتتفاقم ولا تنمو فتتعاظم.

قالوا للناس: أيها الناس، عليكم أن تطرحوا الكذب في معاملة بعضكم لبعض، وتطفيف المكاييل، وبخس الموازين، في تقدير السلع التي ينفي الغبن عنها، فينال كل ذي حق حقه، وتطهير القلوب من أرجاس الغش والملق والرياء والأثرة والعدوان والطغيان والأفك والبهتان، والسير بالفضائل قدما الى المستوى الذي يضفي على الإنسانية المثل الخيرة، وينهض الى ما أعد لها من سؤدد ومجد.

بهذا كله وأكثر منه تواصت الرسل والأنبياء، ثم جاء من بعدهم القادة والزعماء، فساروا على هدى سابقيهم، وأمعنوا في الدعوة الى الرفق بروابط المجتمع أن تتفكك أوصاله، وتنحل عراه، وتنهار قوائمه، ولبثوا آلاف السنين يطالبون أبناء البشرية بالعمل لخير البشرية.

لـكن ما كان أسرع هؤلاء وأولئك ممن ذهبوا فى أحقاب التاريخ الغابر أن تنـكروا لهـذه المبـادئ الصالحة ، بل ما أسرعهم أن أحالوها الى نقائضها ، وجعلوا منها مرتعا لقضاء شهواتهم فى سائر أنحائهـا .

من أجـل ذلك قام المجتهدون بأوفى نصيب فى حضارة العلم يتلمسون سبيلا معبدا ، يهتدى الناس بضيائه ، اذا شع على البشرية قبس من نوره ، فجمعوا الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ثم استنبطوا منها طريقة مثلى للمسلمين الذين يريدون أن يحيوا فى هـذه الدنيا حياة طيبة ، وأن تخلد أسماؤهم فى الخالدين لتـكون مصدر يمن واشراق .

حدث بعد ذلك أن تطورت تلك النظريات لا الى الخير المطلق بل الى طور أكثره شرور وآثام ، فعدا القوى على الضعيف يسلبه حقه ويغلبه على أمره فى كل ما يصدر عنه ، فالتصرفات الصادرة عن الإنسان من بيع وشراء وهبة ووصية ووقف وما اليها عرض لهـا الانتكاس ، فانقلبت أوضاعها رأسا على عقب ، وتفاعلت عوامل الشر بين أطراف الخصومة ، والأحوال الشخصية المتعلقة بذات الإنسان قـد اتسمت بسمة الضراوة والاستشراء ، ولبست ثوب التمرد على حياة مثالية تضع لـكل فرد حدوده اللائقة به ، حتى لا يجمح الى حدود شاذة تنساب به فى جو من التهلـكة فتهوى به الى قرار سحيق .

لذلك قامت المحاكم القضائية نائبة عن ولى الأمر فى البلاد الإسلامية : ترسم الحدود ، وتوضح المعالم ، وتدعو الناس الى التحول عن الحـكم بالسياط الى شرعة عادلة وحق مبين ، فجاءت المحاكم بأوضاعها وقوانينها ولوائحها تحدد الطريق لـكل فرد ، وتبين له سبيل الهدى ، وتجنبه طريق الردى ، فاذا ما كشفت التطورات فى مستقبل الأزمان أن ما جرى به التعامل فى جيل سابق لا يصلح للعمل به فى جيل لاحق كشف أولياء الـكلمة عن الدواء فاستأصلوا به الداء ، لـكن يبقى بعـد ذلك أن كل هـذا لم يغن عن منازعات طاحنة ، ومشاكسات بعيدة الغور ، وهـذا بطبيعته ضرورى البقاء ما فتئت المصالح فى تشابك وتفاعل ، وما ظلت المنافع فى طغيان بعضها على بعض .

على أن علماء الفروع ـ وقد استنفدوا الجهد وكدوا قرائحهم فى استنباط أمثل الوسائل لخير البشرية ـ لا يزالون فى افتقار الى مزيد فى سد مرافق الناس وكفايتهم ١٤

عباس طه
المحامى

موقف الاسلام
من السلم والحرب

عن موسى بن عقبة قال: حدثنى سالم أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله ـ كنت كاتبا له ـ قال: كتب إليه عبد الله بن أبى أوفى حين خرج الى الحرورية، فقرأته فاذا فيه: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو ـ انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام فى الناس فقال: يأيها الناس لا تمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحب، وهازم الأحزاب. اهزمهم، وانصرنا عليهم.

رواه البخارى وغيره واللفظ له

تقديم: الحرورية بفتح فضم نسبة الى حروراء، وهى بلدة بجوار الكوفة لجأ إليها الخوارج، تمنوا: أصلها تتمنوا بتاءين، فحذفت احداهما تخفيفا، والتمنى: طلب المحبوب. والمراد لا تحبوا لقاء العدو فتتمنوه، وميل الشمس: انحرافها نحو المغرب، والعافية: السلامة من البلاء والسوء.

المعنى:

أرسل الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين. بل لم يرسله الا لذلك كما يقول: «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين»، وما أذن الله للمؤمنين فى القتال الا لأنهم ظلموا، وأخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله، والا ليبقى الله عليهم ليكونوا للناس مبشرين ومنذرين. ولهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجنح الى السلم كلما جنح اليها أعداؤه اذ يقول: «وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم» ولقد كان يدفع المؤمنين الى تمنى لقاء أعدائهم ومناجزتهم بعد ما وعد الله المستشهدين من الجنة والرزق والحياة مالقوه على أيديهم من بغى وظلم وعدوان، أو مالقيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرون من ذلك مما يثير الحمية والغيرة والحفيظة فى قلوب سائر المؤمنين، فكان من مقتضى رسالته صلى الله عليه وسلم ـ وهو نبى الرحمة، ومنقذ الأمة، أن ينهى هؤلاء المجاهدين الصادقين عن أن يتمنوا لقاء عدوهم، ايثارا لما يرجى من هداهم واسلامهم أو مهادنتهم وسلمهم، وهو القائل لعلى كرم الله وجهه حين وجهه الى خيبر:

« والله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم [١] » وقد علل العلماء هذا النهى بأن المرء لا يعلم ما يئول اليه الأمر .

وهو نظير سؤال العافية من الفتن ، وقد قال الصديق : لأن أعافى فأشكر أحب الى من أن أبتلى فأصبر ، وهذا نظر صائب فأن الله سبحانه قد يبتلى عباده بأعدائه ببعض ما كسبت أيديهم ، كما وقع فى أحد ، وان كانت العاقبة لهم على الكافرين . وقد ورد مرسلا « لا تمنوا لقاء العدو فانكم لا تدرون عسى أن تبتلوا بهم » . وعلل بعض العلماء هذا النهى بما فيه من صورة الإعجاب ، والاتكال على النفوس ، والوثوق بالقوة ، وقلة الاهتمام بالعدو . وكل ذلك يباين الاحتياط والأخذ بالحزم .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فاذا لقيتموهم فاصبروا » معناه أنه إذا لم يكن من اللقاء بد فاصبروا على مواجهة الباغين كما يصبر على البلاء ، ولا تجبنوا عن منازلة الأعداء ، وقد تبين بهذا أن لا تنافى بين هذا النهى وبين ما يجب على المؤمن من تمنى الاستشهاد كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » وإذ دعا به لبعض ذوات الهمم من الصحابيات إذ حدث عن أناس من أمته عرضوا عليه يركبون هذا البحر الأخضر [٢] كالملوك على الأسرة ، فقالت : فادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها ، فنالت الشهادة كما سألت حينما خرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضى الله عنه أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية — رضى الله عن الجميع — وكان ذلك عند قفولهم من الغزو ، وكما سيأتى من فعل السلف ودعائهم لأنفسهم به ، إذ قد تبين أن لكل من السلم والحرب موضعا كما علمت ، وما أحكم قول بعض الإسلاميين فى مثل ذلك :

ولا أتمنى الشر ، والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب

والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم : « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » كما بينه

---

(١) حمر النعم : الإبل الحمر وهى أحسن أموالهم .

(٢) هو المعروف الآن بالبحر الأبيض المتوسط ، وكان ركوبهم فى عهد معاوية رضى الله عنه ففتحوا جزيرة قبرص ثم غيرها الى أن غزوا جنوبى ايطاليا بعدئذ .

صاحب المجازات النبوية أنّ الصبر تحت السيوف لجهاد الكافرين، ودفاع أعداء الدين، يفضي بالصابر الى دخول الجنة، ونزول دار الأمنة. فلما كان ذلك سببا لدخولها، والوصول الى نعيمها، جاز أن يسمى باسمها، وأوضح من ذلك وأقرب الى القلوب أنّ الكلام على وصف مايجده الشهيد نفسه و يدركه عند وقوعه في مصرعه، فأنه لن يجد في ضيق الميدان الا سعة الجنان و روح الرضوان، وانّ منهم من وجد ريحها من دون أحد فسعى اليها، ومنهم من هتف حين صرع بالفوز بها وسيأتيك قصصهما.

ولقد كان لمثل هذا الوعد الصادق من النبي صلى الله عليه وسلم من الأثر في قلوب المؤمنين الأولين ما لا يخطر ببال، ولا يبلغ حقيقته خيال. أولم تر اليهم وهم أقل الفئتين عددا وعدّة كيف افتتحوا مواسم النصر في بدر، فلم تكد تنتهي أعيادها حتى أخذت بأطراف الأرض، وفي تاريخ الإسلام من ذلك الروائع التي ارتاعت لها قلوب المشركين، واندكت لهيبتها معاقل الباغين. فمن ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم حين قال يوم بدر: « لا يقاتلنهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة » قال عمير بن الحمام وفي يده تمرات يأكلها: اما بيني و بين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء! ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول:

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

وعن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين. لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة، ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع [١]. قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم.

(١) أي لم أستطع مثله.

وحين حمى وطيس الحرب بين العرب والروم فى غزوة مؤتة ، والروم أضعاف أضعاف العرب ، اقتحم أحد أمراء الجيش ، وهو جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه — اقتحم عن فرسه ثم عقرها [١] وقاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

ومن هؤلاء الجند المؤمنين من طعنه عدوه طعنة نافذة برقت لها عظام صدره فسمعه يقول : فزت والله . فعجب من أمره إلى أن علم أنه الفوز بالجنة فآمن على أثره .

وإن الناظر إلى ما انتاب المسلمين فى عصورهم المتأخرة من ضعف وخذلان وذلة وهوان ، ليرى أن ذلك ليس الا مظهرا من مظاهر ضعف الإيمان ، وعدم الرغبة فيما أعد الله للمجاهدين من منازل الرضوان ، الى ما وعدهم به من النصر والتأييد والعزة والتمكين . وفى الحديث عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتمكين فى الأرض» وقد تبين أن ذلك مشروط بالجهاد من قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر : «يوشك أن تداعى [٢] عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها . قالوا : من قلة بنا يومئذ ؟ قال : أنتم ذلك اليوم كثير ، ولكن غثاء كغثاء السيل [٣] تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت» . وصدق على كرم الله وجهه اذ يقول : ان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وديث بالصغار [٤] .

وقد أخذ بعض العلماء من العبارة التى شرحناها الحض على مقاربة العدو ، والاجتماع حين الزحف حتى تصير السيوف تظل المتقاتلين . وهذه الصورة وإن كانت قد تغيرت بتغير آلات الحرب إلا أن مغزاها من الإقدام والسبق فى العمل لا يزال قائما .

وقوله صلى الله عليه وسلم «اللهم منزل الكتاب الخ» إشارة إلى التوسل بالنعمة السابقة وهى هزيمة الأحزاب بما أرسل عليهم من ريح وجنود ، وإلى تجريد التوكل من شبهة

---

(١) أى حتى يقطع على نفسه سبيل الفرار عليها .

(٢) تداعى : تتداعى أى تتابع عليكم بعضهم فى اثر بعض .

(٣) غثاء السيل زبده ورغوته .

(٤) أى ذلل بالحقار .

الاعتداد بقوة أو نفس، والى اعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل. وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث الواردة فى الدعاء: وهى إنزال الكتاب، وإجراء السحاب، وهزيمة الأحزاب، فبإنزال الكتاب حصلت النعمة الأخروية، وهى الإسلام. وباجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية، وهى الرزق. وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين. وكأنه قال: اللهم كما أنعمت بعظيم النعمتين: الأخروية والدنيوية، وحفظتهما فأبقهما؛ ولا عجب أن تكون النعمة مقتضية لمثلها. فقد سئل بعض ذوى الأريحية والاهتزاز للمعروف من سلفنا: أى الناس أحق باحسانك؟ فقال: من أحسن الى. فقيل له: ثم من؟ فقال: من أحسنت إليه. فقيل له: لم؟ فقال: لأنى رأيته للاحسان موضعا. المراد هذا الثانى. وافتتح بعض سلفنا كتابا له بقوله: «رب أنعمت فزد».

أما بعد. فقد كان سلفنا الصالحون — رضى الله عنهم — يؤمنون بأن النصر إنما هو من عند الله العزيز الحكيم بعد أن يطيعوا الله ورسوله بأعداد العدة، وأخذ الأهبة، والكف عن العدوان، والصبر على اللقاء، والإخلاص لله، والاستعانة بالتضرع والدعاء. وقد كان ذلك دأبهم فلم يخلفهم الله وعده، ولم يحرمهم نصره. والعجب من أمرهم أن كانوا يلزمون أدب السنة ولو لقوا به ألوان العناء وصنوف الشدة. والعجب من أمرنا أنا لا نصبر على سنة ولا فريضة. ولو أوتينا بها الرخاء والنعمة.

روى الطبرى وغيره أن النعمان بن مقرن رضى الله عنه لقيته فى حرب نهاوند(١) سنة ٢١ هـ فى عهد عمر رضى الله عنه جموع كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفروا من العرب، وأخذوا يرمون المسلمين، حتى أفشوا فيهم الجراح وهم كامنون، فأخذوا يشكون إليه ما يلقون. وهو يقول: رويدا رويدا، وكلما عادوا اليه قال لهم مثل ذلك، وجعل ينتظر بالقتال أكمل ساعات كانت أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى فيها العدو. وذلك عند الزوال، وتفيؤ الأفياء، ومهب الرياح. فقال له المغيرة: يرحمك الله، انه قد أسرع فى الناس (يعنى ما يصيبهم) فاحمل فقال: والله انك لذو مناقب، لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال. فكان اذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر. ثم قال رضى الله عنه بعد أن أرشدهم الى ما يفعلون: اللهم أعط اليوم النعمان (يعنى نفسه) الشهادة فى نصر المسلمين، وافتح عليهم، ثم حمل فكان أول شهيد ونصر الله المسلمين. وفى بعض الأحاديث زيادة عن الأصل، وما ذكره النعمان «وتحضر الصلوات» وحكمته أن يدعو المسلمون للمجاهدين فى صلواتهم، وقد كان نزول النصر على الأحزاب حين زوال الشمس وهبوب الرياح.

محمود فرج العقدة

---

(١) من بلاد فارس.

لغويات

الحيوانات . المستشفيات . المحلات

تجرى هذه الجموع فى ألسنة الناس ، وقد أنكرت على الناطقين بها ، وذلك أن الواحد فيها مذكر ، وهو الحيوان والمستشفى والمحل ، والمعروف فى الجمع بالألف والتاء أن يكون واحده مؤنثا بالتاء كفاطمة وطاحة ، أو أن يكون مدلوله مؤنثا وهو مجرد من التاء كزينب .

وإذا رجعنا الى كتب النحو نستفتيها فى هذا الأمر نجد أن سيبويه أفرد فى كتابه بابا لما يجمع بالألف والتاء من المذكر ، فهو يقول فى ١٩٨/٢ : « هذا باب ما يجمع من المذكر بالتاء لأنه يصير الى تأنيث إذا جمع ، فمنه شىء لم يكسر على بناء من أبنية الجمع ، فجمع بالتاء إذ منع ذلك ، وذلك قولهم : سرادقات وحمامات وإوانات ، ومنه قولهم : جمل سبحل وجمال سبحلات ورجلات وجمال سبطرات ، وقالوا : جوالق وجواليق ، فلم يقولوا جوالقات حين قالوا جواليق . . . وربما جمعوه بالتاء وهم يكسرونه على بناء الجمع لأنه يصير الى بناء التأنيث ، فشبهوه بالمؤنث الذى ليس فيه هاء التأنيث ، وذلك قولهم : بوانات وبوان للواحد وبون للجميع » وحاصل كلامه أن العرب جمعت بعض المذكر بالألف والتاء ، وأغلب ما ورد من ذلك عنهم مالم يجمعوه جمع تكسير كالسرادقات فى السرادق ، ولو شاءوا لقالوا : سرادق جمع تكسير ، فلما لم يقولوا ذلك لجئوا الى السرادقات ، وكالإوانات فى جمع الإوان — وهو البهو العظيم من البناء — ومنه إوان كسرى ، ويقال أيضا : إيون ، وكالحمامات فى جمع الحمام ، وقد ورد عنهم فى جمع البوان — وهو من أعمدة الخيمة — البون والبوانات ، فقد جمعوه بالتاء مع جمعهم إياه جمع تكسير على فعل ، إذ أصل بون بوُن ، وقد ختم سيبويه هذا الباب بأن الأمر فيه سماعى وليس بابا من أبواب القياس إذ يقول : « فهذه حروف تحفظ ثم يجاء بالنظائر » أى إن هذه الحروف خارجة عن نظائرها وقياسها فيقتصر عليها ، ويجاء بالقياس والنظائر فيما وراءها ، وقد أورد الزمخشرى فى المفصل ما أورده سيبويه ، وقال ابن يعيش فى شرحه ٥ / ٨٥ : « وما كان من هـذا الجمع فسبيله أن يحفظ ولا يقاس عليه » فهذا رأى سيبويه ومن تبعه .

وظاهر كلام الرضى فى شرح الكافية أن الفرّاء يقيس هذا فيما لا يعقل ، فقد قال فى هذا الشرح ٢ / ١١٧ : « ويجمع هذا الجمع غالبا غير مطرد نوعان من الأسماء ، أحدهما اسم جنس مذكر لا يعقل إذا لم يأت له تكسـير ، كحمامات وسرادقات ، وكذا كل خماسى أصلى الحروف كسفرجلات ، لأن تكسيره مستكره كما يجىء ، وعند الفرّاء هذا القسم أيضا مطرد . . . وثانيهما الجموع التى لا تكسر » فقوله : « وعند الفرّاء هذا القسم أيضا مطرد » يريد النوع الأول بشـقيه ، وهما ما لم يكسر ، والخماسى الأصول . ويقصر الشيخ يس فى كتابته على شرح القطر للفاكهى ١ / ٩٠ رأى الفرّاء على الشق الثـانى ، والوجـه التعميم فأن الشقين من قبيل واحد ، والفكرة فيهما عدم التكسـير ، فأن خماسى الأصول يستكره تكسيره ، وأصرح من هذا ما نقله صاحب المصباح عن ابن الأنبارى ، وهو من متقدمى الكوفيين ومن تابعى الفرّاء ، فقد قال فى حرف الباء (الابن) : «قال ابن الأنبارى : واعلم أن جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من النـاس ، تقول فيه : منزل ومـنزلات ، ومصلى ومصليات » وتراه لا يقيـد الحـكم بعدم التـكسير ، إذ مثل بالمنزل وهو يجمع على المنـازل .

ونرى من البصريين إماما جليلا يذهب مذهب الفرّاء وابن الأنبارى فى جمع مالا يعقل من المذكر بالتاء ، وهو أبو الفتح بن جنى ، فقد جاء فى كتابه المحتسب فى توجيه القراءات الشاذة عند قوله تعـالى فى الآية ٥٧ من سورة التوبة : « لو يجدون ملجأ أو مغـارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون » « قراءة النـاس مغارات ، وقرأ سعد بن عبد الرحمن ابن عوف مُغارات ، قال أبو الفتح : أما مغارات على قراءة الناس فجمع مغارة أو مغار ، وجاز أن يجمع مغار بالتاء وان كان مذكرا لأنه لا يعقل ، ومثله اوان واوانات ، وجمل سبطر وجمال سبطرات وحمام وحمامات ، وقد ذكرنا هذا ونحوه فى تفسـير ديوان المتنبي عند قوله : ففى الناس بوقات لها وطبول »

ولم أقف على شرح ديوان المتنبى لابن جنى ، وفى شرح العكبرى : « قال أبو الفتح : عاب عليه من لا مخبرة له بكلام العرب جمع بوق ، والقياس يعضده ، اذ له نظائر كثيرة مثل حمـام وحمـامات ، وسرادق وسرادقات ، وجواب وجوابات . وهو كثير فى جمع ما لا يعقل من المذكر » وتراه لا يقيد بألا يجمع جمع تـكسير كما قيـد سيبويه ومن تبعه .

وقد اعتمد فى الحكم بالقياس فى هذا الضرب على كثرة النظائر ، وأورد بعضها . ويزاد عليه الخورانات فى جمع الخوران وهو الدبر أو مجرى الروث من البهائم ، قال فى اللسان بعد أن ذكر الخوران بمعانيه : « والجمع من كل ذلك خورانات وخوارين . قال فى جمعه على خورانات : وكذلك كل اسم كان مذكرا لغير الناس جمعه على لفظ تاءات الجمع جائز ، نحو حمامات وسرادقات وما أشبههما » . وهذا نص لغوى يضاف الى ما تقدم عن الفراء وابن الأنبارى وابن جنى .

وفى خطبة فقه اللغة للثعالبى فى وصفه أياما قضاها عند الأمير الذى ألف باسمه الكتاب وطيبها : « فأنها كانت بطلعته البدرية وعشرته العطرية ... أنموذجات من الجنة التى وعد المتقون » والانموذجات جمع الأنموذج ، وهو مثال الشىء الذى يعمل عليه ، وفى المصباح . « وهو تعريب نموذه » ويبدو أن كلمة « المودة » مختزلة من هذه الكلمة الفارسية ، فأصلها الصورة أو المثال يحتذى وغلب فى العرف الحديث فى المبتدع من الأزياء واللباس ، وقد أخذها المصريون اليوم عن أصل فرنسى ، ويذكر معجم لاروس أنها عن أصل لاتينى ، ولا يبعد أن يكون الأصل فى ذلك هو الفارسى ، ومن النظائر قولهم المرحلات فى جمع المرحّل ، وهو ضرب من برود اليمن عليه تصاوير الرحل . وفى الحديث : وكان يصلى وعليه من هذه المرحلات ، كما فى اللسان .

ويخلص القارئ من هذا البحث الى جواز ما سطر فى صدر البحث : الحيوانات والمستشفيات والمحلات .

وأذكر هنا أن الحيوان فى الأصل مصدر بمعنى الحياة ، وجاء من هذا قوله تعالى فى الآية ٦٤ من سورة العنكبوت : « وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » وأطلق الحيوان على ما به الحياة أو على كل ذى روح ناطقا كان أو غير ناطق ، واشتهر فى غير الناطق . ولكون الحيوان فى الأصل مصدرا لم يجمعه العرب ، وجمعه جائز لنا ؛ ألا ترى أن المصدر نفسه يجمع اذا تعددت أنواعه .

ومن ذلك العلوم والفهوم والبيوع والتجارب . وجاء منه قوله تعالى فى الآية ١٠ من سورة الأحزاب « وتظنون بالله الظنونا » فالحيوانات لا بأس بها من الناحية اللغوية . وفى اللسان (زمن) : الزمانة آفة فى الحيوانات » وأذكر هذا على سبيل الاستئناس .

لا الاحتجاج لحسبنا فيه ما أسلفت . وأذكر أن حديقة الحيوان فى الجـيزة كانت تسمى من قبل حـديقة الحيوانات ـ فيما أذكر ـ فغيرت الى حديقة الحيوان . ويلقن المعلمون التلاميذ أن جمع المستشفى المشافى ، وهذا خير ، ومقام التعليم غير مقام الحكم على الكلمات الشائعة ، فإن هـذه يتساهل فى أمرها إذا كان لهـا وجه من الصحة . وكذلك المحلات فى جمع المحل ينبغى أن يقتصر فى التعليم على المحـال ، ولـكل مقام مقال .

استعراض الجيش

أنـكر بعض النقاد هذه العبارة ، وأوجب ان يقـال : عرض الجيش ، إذ ان هـذا هو الوارد فى اللغة . ففى الأساس : «وعرضت الجيش عرض عين إذا أمررته على بصرك لتعرف من غاب ومن حضر » وفى اللسان والقـاموس نحوه .

على أنه ورد فى اللسان : « استعرضه : سأله أن يعرض عليه ما عنده . . واستعرضته أى قلت له : اعرض على ما عندك » فالاستعراض للمرء أن يطلب اليه معرفة ما عنده ، وهذا المعنى فى عرض الجيش . فالقـائد بعرضه الجيش يتعرف حالته ، فيصح أن يقـال فيه الاستعراض من غير عسر . وفى تفسير الطبرى ١ / ٢١ فى حـديث زيد بن ثابت : « فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد » يريد آية من آى القرآن افتقدها فيما كتب من القرآن فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فسأل المهاجرين عنها ، فقوله : « فاستعرضت المهاجرين أى سألتهم أن يعرضوا على ما عندهم فى شأن هذه الآية وحاولت تعرف رأيهم . ولا يبعد من هذا المعنى استعراض الجند . وفى المـادة استعراض الخوارج لمن لم يدخـل فى مذهبهم . وفسر فى اللسان بقتلهم كل من لقوه وظفروا به مسلما كان أو كافرا ، وفى الفصل لابن حزم ٤ ١٨٩ فى حديثه عنهم : « وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهـل عسكرهم ، ويقتلونه إذا قال : أنا مسلم » فاستعراض الخـوارج عند ابن حزم أن يتعرفوا حال من يلقـونه . فإن قال : إنه مسلم قتلوه ، وإن قال : إنه ذمى تركوه ، فإن من فى بلاد الإسلام حين ذاك مسلم أو ذمى . وكان الخـوارج لا يعرضون للذمى ولا لمـاله. وفى تاريخ الطبرى فى حوادث سنة ٣٧ أن الخـوارج قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أحدهم ضرب بسيفه خنزيرا لأهل الذمة ، فأنـكر عليه إخوانه وقالوا : هذا فساد فى الأرض ، وألزموه أن يرضى صاحب الخنزير .

فيه عندى كتاب

هـذا تعبير يجرى فى لسان العـامة ، يريدون : يوجد عندى كتاب . وترى الضمير فى « فيه » لا مرجع له ، و يبدو أن الأصل : فى العـالم أو فى الـكون بمعنى الـكائنات أو الوجود بمعنى الموجودات ثم أضمر هذا كما فى قوله تعالى : « ما ترك على ظهرها من دابة » أى على ظهر الأرض . وقد ذكرت بهـذا عبارة وردت فى المهذب لأبى اسحق الشيرازى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٤٧٦ إذ يقول : « و إن قال : اشترلى عبدا لم يصح ؛ لأن فيه ما يكون بمائة وفيه ما يكون بألف فيكثر الغرر » فقوله « فيه » أى يوجد كما يقـول العامة ، ومن البعيد أن يقال : لأن فيه أى فى العبد أى فى جنسه فهذا غير ظاهر الكلام . وعلى هذا فقوله : « لأن » يريد : لأنه ، فاسم أن ضمير الشأن وقد حذف . ١هـ

محمد على النجار

طه حسين وابنه « كاود »

تساءل الدكتور طه حسين فى مقاله الأخـير بصحيفة الجمهورية عمن أنبأ شيوخ الأزهر أنه « سفير فوق العادة لفرنسا » وهو التعبير الصادق الذى أطلقته عليه فى مقالى بالعدد السابق .

و إنى أحيله فى ذلك الى جوه الفرنسى الذى يعيش فيه ، و إلى ما نشر عن أولاده فى كتاب (أصدقاء الثقافة الفرنسية فى مصر من سـنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٤٥) . ودعوته الملحة فى الأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها ! ! . وتهجمه على كل ما هـو اسلامى أو عربى أو شرقى ! !

ثم أحيله الى ما كتبه الـكاتب الاسـلامى الحر (السيد محب الدين الخطيب) فى افتتاحية العدد المـاضى وهذا العدد من المجلة ، ثم الى ابنه كاود صاحب الاسم الفرنسى وهو يتغنى بموسيقى الـكنيسة ! ! . ولـكن هل يقتنع الدكتور ؟ ؟ !

لقد عودنا دائمـا أنه لا يؤمن بمـا يؤمن به الناس هنا ، لأنه آمن بمـا آمن به الناس هناك ، وعرف أن ذيوع اسمه يدين للخروج على كل ما هو مقدس فى بنى ملته ، ومخالفة كل معروف . . . ١هـ

زكريا البرى

فيه عندى كتاب

هـذا تعبير يجرى فى لسان العـامة ، يريدون : يوجد عندى كتاب . وترى الضمير فى « فيه » لا مرجع له ، و يبدو أن الأصل : فى العـالم أو فى الـكون بمعنى الـكائنات أو الوجود بمعنى الموجودات ثم أضمر هذا كما فى قوله تعالى : « ما ترك على ظهرها من دابة » أى على ظهر الأرض . وقد ذكرت بهـذا عبارة وردت فى المهذب لأبى إسحق الشيرازى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٤٧٦ إذ يقول : « وإن قال : اشترلى عبدا لم يصح ؛ لأن فيه ما يكون بمائة وفيه ما يكون بألف فيكثر الغرر » فقوله « فيه » أى يوجد كما يقـول العامة ، ومن البعيد أن يقال : لأن فيه أى فى العبد أى فى جنسه فهذا غير ظاهر الكلام . وعلى هذا فقوله : « لأن » يريد : لأنه ، فاسم أن ضمير الشأن وقد حذف . ا ه

محمد على النجار

طه حسين وابنه « كلود »

تساءل الدكتور طه حسين فى مقاله الأخير بصحيفة الجمهورية عمن أنبأ شيوخ الأزهر أنه « سفير فوق العادة لفرنسا » وهو التعبير الصادق الذى أطلقته عليه فى مقالى بالعدد السابق .

وإنى أحيله فى ذلك الى جوه الفرنسى الذى يعيش فيه ، وإلى ما نشر عن أولاده فى كتاب (أصدقاء الثقافة الفرنسية فى مصر من سـنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٤٥) . ودعوته الملحة فى الأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها ! ! . وتهجمه على كل ما هـو اسلامى أو عربى أو شرقى ! !

ثم أحيله الى ما كتبه الـكاتب الاسـلامى الحر (السيد محب الدين الخطيب) فى افتتاحية العدد المـاضى وهذا العدد من المجلة ، ثم الى ابنه كلود صاحب الاسم الفرنسى وهو يتغنى بموسيقى الـكنيسة ! ! . ولـكن هل يقتنع الدكتور ؟ ؟ !

لقد عودنا دائمـا أنه لا يؤمن بمـا يؤمن به الناس هنا ، لأنه آمن بمـا آمن به الناس هناك ، وعرف أن ذيوع اسمه يدين للخروج على كل ما هو مقدس فى بنى ملته ، ومخالفة كل معروف . . . ا ه

زكريا البرى

أسرار الشريعة الاسلامية

فى بدء الشهر الشرعى

بالوضع الهلالى لا بالوضع الاقترانى

سئلت ممن يعنيهم الوصول إلى توحيد كلمة الحكومات الإسلامية فى مبدأ الصيام والفطر عما يبدو لى من النقد الفلكى الشرعى نحو فكرتين تردان دائما على ذهن الباحث فى هذا الموضوع ـ أرجو التفضل بنشر ما أمكن إبداؤه فى مجلة الأزهر تنويرا لطريق البحث فى هذه المسئلة الفلكية الشرعية .

الأولى : اعتبار مبدأ الشهر القمرى الشرعى بالاقتران الحقيقى .

الثانية : اعتباره باثبات الحساب لإمكان الرؤية فى آخر بلد من بلاد الإسلام نحو الغرب كمراكش .

وجوابى عن الفكرة الأولى — أن الوضع الاقترانى سواء أكان حقيقيا أم وسطيا وإن أمكن اعتباره مبدأ للشهر القمرى المدنى فى جميع البلاد إلا أنه ليس أليق علميا من الوضع الهلالى فى هذه المبدئية من وجوه . . .

« الوجه الأول » أن (الوضع الاقترانى) أى اجتماع القمر بالشمس فى نقطة واحدة من دائرة البروج لا يدرك بالحس إذ يستحيل رصده لحصوله وقت « المحاق » ولا يمكن معرفته إلا (بالحساب) بخلاف (الوضع الهلالى) إذ يعرف بالحس والرؤية كما يعرف بالحساب لها فيستوى فى معرفته (الأمى) و (الكاتب الحاسب) .

« الوجه الثانى » أن نفس الفلكيين قديما وحديثا قالوا : إن القمر فى الوضع الهلالى بمنزلة الموجود بعد العدم والمولود الخارج من الظلم فهو أليق بمدئية الشهر من الوضع الاقترانى . . .

«الوجه الثالث» : أن مبدأ الشهر المعتبر بالوضع الاقترانى الحقيقى أو الوسطى يختلف مع المبدأ المعتبر بالوضع الهلالى فى يوم أو يومين .

« الوجه الرابع » : أن قول البعض إن الوضع الاقترانى لا يختلف باختلاف المطالع لا يصدق بهذا الإطلاق فأنه وإن كان حدثا سماويا لا يختلف باختلاف المطالع البلدية باعتبار ذاته إلا أن وقته الذى لابد من معرفته عند الحساب له يختلف باختلافها كالوضع الهلالى فأن وقت الاجتماع إذا كان فى القاهرة (الساعة ٣) مثلا ففى بغداد (الساعة ٤) وفى دلهى (الساعة ٥) وفى باندونج (الساعة ٦) وفى لندن (الساعة ١) وفى تونس (الساعة ٢) وهكذا فلا ميزة له من هذه الجهة .

« الوجه الخامس » : أن الاقتران الحقيقى يتساوى مع الهلال فى أن الحساب لكل منهما لا يدخل تحت قاعدة عامة لعدم تساوى زمن الدورة الاقترانية والهلالية فى كل مرة إذ يحتاج كل شهر فيهما الى حساب خاص .

الأمر الذى جعل جمهور الحساب للشهر القمرى المدنى من قبل الإسلام يعمدون الى اعتبار مبدئه من الاقتران الوسطى لا الحقيقى ليمكنهم إدخاله تحت قاعدة عامة فى كل شهر . ثم اصطلحوا على جعل أيام كل شهر من الشهور الأفراد فى السنة (٣٠ يوما) والأزواج (٢٩ يوما) إلا ذى الحجة فى السنة الكبيسة فجعلوه (٣٠ يوما) وذلك ليتلاشى الكسر اليومى فى مدة (٣٠ سنة) الخ . ولا زال هذا الاعتبار الوسطى متبعا فى تكوين جداول التقاويم والتواريخ القمرية ومقارنة التاريخ الهجرى بسائر التواريخ الشمسية والقمرية . .

هذا من جهة العلم والعقل ، وأما من جهة الشرع فالشارع إنما عين الوضع الهلالى لمبدأ الشهر القمرى الدينى أى الذى تتعلق به أمور دينية كالصيام ، والفطر ، والحج ، فمن أين هذا التخيير الذى يدل عليه هذا السؤال وظواهر النصوص الشرعية كلها تناقضه ؟ وكيف نجرؤ على جعل (الوضع الاقترانى) مبدأ للشهر الشرعى ، وفى هذا الجعل نقل الحج والصيام والفطر وسائر الأعياد والمواسم الدينية عن أزمانها المؤقتة بها وأمر الشارع بحدودها . . « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » .

والخلاصة أن الوضع الاقترانى الحقيقى أو الوسطى لا يصلح مبدأ للشهور الشرعية اصلا ، لأنه مفوت لمعنى الهلالية المأخوذة من النصوص الشرعية ، كقوله صلى الله عليه وسلم :

« صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » إذ لا بد فى تحقق هذا المعنى من (اتجاه نور القمر نحو سطح الأرض بعد محاقه بحيث تمكن رؤيته بعد غروب الشمس دون خفاء والسماء صحو) ومخالفة هذه النصوص دون معارضة حقيقية إحداث لشرع لم يأذن به الله .

والجواب عن الفكرة الثانية — لا كلام فى أنه إذا ثبت أول الشهر «بالرؤية نفسها» فى أبعد بلد الى الغرب من العالم الإسلامى «كمراكش» مثلا فأنه على رأى الإمام أبى حنيفة ومن تبعه من محققى المذاهب يثبت الشهر أيضا فى جميع العالم الإسلامى حتى فى أبعد بلد منه الى الشرق «كاندونسيا» .

وبيانه أن مساكن الحكومات الإسلامية تنحصر فى (١٣٥) درجة من سطح الأرض المقدر كله بـ (٣٦٠) اذ تبدأ هذه المساكن من الشاطئ الشرقى لآسيا وتنتهى بالشاطئ الغربى لأفريقيا أعنى من الدرجة (١٢٠) شرق جرينتش الى الدرجة (١٥) غربيها .

وأوضح من ذلك اعتبار التوقيت العام بقسمة $\frac{١٣٥}{١٥}$ = ٩ تسع ساعات منها ٨ ساعات قبل جرينتش وساعة واحدة بعدها ، وحينئذ يمكننا القول بأن أندونسيا تسبق مراكش بتسع ساعات بحيث اذا ثبت الهلال عند غروب الشمس بمراكش تكون الساعة بالتوقيت العام فى أندونسيا (التاسعة) بعد غروب الشمس عنهم — أعنى الثالثة بعد نصف الليل ، مع ملاحظة أن الليل عندهم لا يقل عن (١٢) ساعة دائما ضرورة وجود بلادهم على خط الاستواء تقريبا فيبقى على الفجر عندهم أكثر من ساعة وهو زمن يتسع للتهيؤ لصيام النهار بدون حرج .

هذا اذا ثبت هلال الشهر بالرؤية بالفعل ، وفرضنا إعادة الثقة والصلة بين الحكومات الإسلامية بحيث تقوم حكومة مراكش بتبليغ هذا الاثبات الى جميع الحكومات الاسلامية بوسطة الإذاعات اللاسلكية مثلا ، ويكون الأمر أتقن وأوكد اذا كان الإثبات بالرؤية والحساب لها معا . أما اذا دل الحساب فقط على امكان رؤية الهلال ولم تحصل الرؤية بالفعل كما هو المفهوم من روح السؤال ، فهل يثبت الشهر . . . ؟ وهل اذا ثبت فى هذا البلد يصح أن يثبت فى جميع العالم الإسلامى كما قدمنا فى الرؤية بالفعل . ؟ هذا محل الكلام .

والكلام هنا ذو حلقتين « الأولى » فيمن يعتمد الحساب لبدء الشهر الشرعى ، وفى دليله ، وماهية هذا الحساب . « الثانية » فى شروط هذا الحساب المهيئة لقبوله .

«الحلقة الأولى» : ليعلم أولا أن ظواهر النصوص الشرعية التي لم تعارض تدل على أن بدء الشهر الشرعي يثبت إما بالرؤية بالفعل أو بالإكمال ثلاثين يوما ، فالرؤية شرط أو سبب لوجوب الشهر ، وأجمع على ذلك السلف الصالح من صحابة وتابعين وأئمة مجتهدين ولم يلتفت أحد منهم إلى اعتماد الحساب سببا لوجوب أو جواز بدء الشهر الشرعي إلا ابن سريج الشافعي من المتقدمين نقلا عن ابن مقاتل ومن تبعهما من المتأخرين ، إذ يقولون باعتماد الحساب سببا كالرؤية إذا دل على اتجاه نور القمر بعد المحاق نحو سطح الأرض ومكثه مدة كافية لرؤيته مع البيان ، وكان هذا الحساب من موثوق بحسابهم ، كأن يكونوا جمعا يؤمن تواطؤهم على الخطأ . وأما الحساب للاجتماع تحقيقا أو تقريبا فقد أجمع الكل على رده إذ يتقدم على الهلال بيوم أو يومين ، وفيه إحداث شرع لم يأذن به الله . انتهى ملخص كلامهم .

هذا مع العلم بأن هؤلاء الذين يعتمدون الحساب المستوفى لشروطهم لم يسلم لهم دليل من الهدم غير الاستحسان لموافقة روح العصر كما يقولون .

وأين هذا الجمع من الفلكيين الحاسبين يا ترى . . . ؟ حتى تتحقق هذه الثقة . . . إنى أعلن على رءوس الأشهاد أنه لا وجود له في أي حكومة إسلامية الآن . ومن يدعي الحساب فيها ولو كان من موظفي المراصد كرصد حلوان مثلا فإنما ينقله عن جداول أجنبية بريطانية أو غيرها .

على أن الحساب لإمكان الرؤية قد دل على أن هذا الإمكان له ثلاث حالات : (١) إمكان مع الخفاء (٢) إمكان مع البيان (٣) امكان متوسط بين الخفاء والبيان .

وقد اشترط المعتمدون للحساب (حالة الإمكان مع البيان) في أن يكون الحساب سببا لوجوب الشهر الشرعي عند عدم الرؤية لوجود نحو غيم . وأما في حالتي الخفاء والتوسط فيجوزون وقوع الرؤية فيهما بحيث لا ترد شهودها .

ونحن إذا سلمنا بإثبات الشهر الشرعي (بالحساب لإمكان الرؤية) في أبعد بلاد في الغرب كمراكش ، ولا يكون ذلك إلا للضرورة كعند عدم تحقق الرؤية في جميع بلاد الإسلام لوجود غيم أو أي مانع آخر مع التماسها لابد أن نتمسك بأوكد حالة وهي (الامكان مع التبين) وقد قالوا : إن شرطها ألا يقل قوس السبق عن (١٢ درجة) وأن لا يقل قوس المكث عن (١٠ درجات) بألا يقل زمن مكث القمر على الأفق بعد غروب الشمس عن ثلثي ساعة .

ثم قالوا باستحالة الرؤية إذا قل المكث عن (١٦ دقيقة) في مثل عرض القاهرة و (٢٦ دقيقة) في مثل عرض مراكش الذى هو (٣٦ درجة) وكلما زاد العرض زاد زمن المكث المشروط ، وينبغى أن ترد شهود الرؤية في حالة الاستحالة ، وأما إذا بين الحساب أن قوس المكث يقل عن (١٠ درجات) الى (٤ درجات) فلا ترد الشهادة ، ويجوز إثبات الشهر بالرؤية لا بالحساب .

والخلاصة : أنه لا بد من إيجاد (جهاز حسابى فلكى) أعنى عددا من الحساب يؤمن تواطؤهم على الخطأ في كل حكومة إسلامية أو (جمع واحد) تحت إدارة المؤتمر الإسلامى مثلا تكون وظيفتهم إنشاء جداول حسابيـة لكل ما يتعلق بتقويم الشمس والقمر من حسابات أوائل الشهور الشرعية والمدنية وأوقات الصلوات الخمس لجميع عروض البلاد الإسلامية وجالياتها ، بحيث تنشر هذه الجداول في مبدأ كل سنة ليمكن التماس الرؤية في خصوص البلاد التى وضح من الحساب أن فيها مكثا صالحا للرؤية .

وبعد ذلك لا يبقى إلا عناية الحكومة التى يتحقق المكث بها من هذا الحساب بأن تأمر بالتماس الرؤية ببلادها ، ثم تعلن النتيجة على سائر الدول الإسلامية شهرا بشهر ، خصوصا في شهرى رجب وشعبان حتى يضيق الأمر على شهرى رمضان وشوال . . . وبذا ترتفع الحيرة وتوحد الكلمة والله الموفق ؟

محمد أبو العلا البنا

مدرس الفلك في الأزهر وتخصص القضاء الشرعى

الأزهر وثورة سنة ١٩١٩

جاء في العدد السابق من هذه المجلة مقال بهذا العنوان ، وذكر فضيلة كاتبه أنه لما قامت المظاهرة الكبرى المسماة ـ بمظاهرة المحكمة العليا الشرعية ـ كان يحمل العلم شاب جلد محب لوطنه . . .

ولما أراد الجنود أن ينتزعوا منه العلم قال : لا أسلم العلم وفىّ عرق ينبض . .

والمعاصرون من الأزهريين يعرفون أن حامل العلم هذا هو كاتب المقال نفسه ، وهو فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد الطنيخى مدير الوعظ والإرشاد بالأزهر . ولم يشأ أن يصرح فضيلته بذلك ، إيثارا لإنكار الذات وتواضعا منه . وتلك شيمة المجاهدين الصادقين .

ونحن نكبر فيه هذا الخلق الكريم ، ونسجل هذا إنصافا للتاريخ ؟

محمد أبو المكارم — الواعظ العام

الاسلام والمجتمع

ألقيت هـذه المحاضرة فى سلسلة محاضرات « المؤتمر الاسلامى » بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر يوم الأربعاء ١٥ ربيع الثانى ١٣٧٥ – ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم .

* * *

كثير من المعاصرين بحاجة إلى تعرف رسالة الإسلام وعلاقته بالمجتمع ، وهى حاجة مستمرة تتجدد بتجدد الأجيال وتعاقب الزمن ، فأن ناشئة كل جيل يعوزهم أن يتلقوا عن كبارهم مالا يستغنون عنه ، وبخاصة ما يتصل بالناحية الدينية .

ولا شك أن تعـرف أحـكام الإسلام وعلاقته بالمجتمع خير حجـة فى الإقناع ، وفى الاجتذاب إلى التدين ، وإلى التعلق بالأهداف التى رسمها الله فى تشريعه ، ليكون المسلمون بهـ خير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان التوجيه إلى علاقة الإسلام بالمجتمع بهذه المثابة ، فلا عجب أن تبادر الثورة المصرية الرشيدة الى تنظيم المؤتمر الإسـلامى ، كوسيلة من وسائل التوجيـه الى الغايات النبيلة التى رنت اليها عيون الثورة منذ نهض أبطالها فى استعداد للبذل والتضحية .

المنهج الاسلامى

سادتى :

يمكن أن ننظر فى إجمال الى التشريع الإسلامى ، وكيف وجه الى الناس ، وكيف وضع لهم منهج السير على ذلك التشريع .

كانت الدعوة الإسلامية جديدة على القوم ، والجديد تستريح اليه نفوس ، وتتردد فى قبوله نفوس .

لذلك سار التشريع سير تدرج ونمو ، فكانت توجه الأحكام الى الناس شيئا فشيئا . وكانت الأحكام غالبا تأتى عند مناسبات تقتضيها ، وأسئلة ترد بشأنها . ولم تمض ثلاث وعشرون سنة حتى اكتمل التشريع الإسلامى بما فيه من تفصيل وإجمال ، ثم ختم ذلك التشريع بقول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

وكان المسلمون يوم ذاك ألوفا وألوفا بعد أن لم يكونوا ، وبعد أن كانوا آحادا وعشرات .

والمنهج الاسلامى — بوجه عام — يتألف من جانبين : الجانب الأول ايجابى وهو ما نسميه بالأوامر ، والثانى سلبي وهو ما نسميه بالنواهى ، فالايجابى طلب الفعل ، والسلبي نهى عن الفعل .

وقد اشتمل المنهج الاسلامى على جانب آخر من النظام التشريعى صيانة لهذه الأحكام كلها ، وتنبيها للغافلين عنها ، ورجوعا بهم الى حظيرة التدين إذا صرفهم عنه صارف من التهاون أو شواغل الحياة ، ذلك النظام الأخير ما نسميه بالزواجر .

والزواجر منها أدبى لين : وهو الترغيب بالوعود من جانب الله تعالى ، والترهيب بالوعيد والتخويف من عذاب الله تعالى ، والمفروض أن الطباع المرنة والنفوس الخيرة تستجيب للوعد ، وتخشى الوعيد ، فى غير تلكأ ولا معاندة . والمفروض كذلك أن نفوسا أخرى لا يلويها عن غيها إلا إيلام وقسوة ، ولهذا كان من الزواجر جانب مادى هو ما نسميه بالحدود والتعزيرات .

ففى الحدود والتعزيرات كبح للنفوس الشاردة ، والعبد يقرع بالعصا ، والحر تكفيه المقالة .

سادتى :

ونظرة الى المنهج الإسلامى الذى احتواه الكتاب والسنة بما اشتمل عليه من إيجاب وسلب ، ومن الزواجر بنوعيها — تدل تلك النظرة على أن هذا المنهج سياج يحفظ المرء من التدهور وراء الغايات ، ومن التعثر فى ظلمة الجهل بالخير والشر ، ويرقى بالمرء فى مدارج الإنسانية ، حتى ينهض الى المثالية التى تجعله بحق سيد دنياه ، والتى فرضت فيه ليكون خليفة فى الأرض كما حدث الله بذلك ملائكته : إنى جاعل فى الأرض خليفة .

وكان المحدث عنه هو الإنسان الأول الذى رفع الله من قدره بالعلم ، ونبه ملائكته الى المنزلة التى سيستقبلها بعد تسليحه بالعلم « وعلم آدم الأسماء كلها » .

وبالعلم أصبحت لآدم قدسية سجدت له من أجلها الملائكة أجمعون . والعلم السماوى هو قبل غيره ذخيرة الدنيا ، أمد الله أنبياءه بشىء منها ، وادخر لنا أوفر نصيب حملته إلينا رسالة الإسلام ، وانطوى عليه إجمالا وتفصيلا القرآن ، وبينه لنا وعلمنا ما فيه صادق أمين ، ورسول كريم : هو محمد بن عبد الله ، صلوات الله عليه وعلى جميع النبيين .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

سادتى :

تتبينون من هذا أن المنهج الإسلامى كان تكميلا لما سبق ، وكان علاجا جديدا لنقائص الإنسانية ، فهو مشعل يضىء لها السبيل ، و يرافقها فيما بقى من أجل الدنيا ، لتكون على بينة من هداها وغيها ، ولئلا يكون للناس على الله حجة .

قصد المنهج الإسلامى إلى بناء مجتمع صالح ، فتعهد الناس بالتربية من أول اتصالهم بالحياة ، لتكون لبنات المجتمع قوية التكوين ، قوية التماسك . ثم صقل هذا المجتمع كله بصقال الحكمة ، وحاطه بنظم تحفظ تماسكه ، وتكفل سلامته ، وتجعل المسلمين يدا واحدة على من عاداهم ، بل تجعلهم جسدا واحدا ، إذا اشتكى عضو منه تألمت له واشتكت معه بقية الأعضاء .

والوسائل التى رسمها الله فى تربية الفرد والمجتمع ماثلة فى العبادات كلها ، والمعاملات بأنواعها ، وفى التعويضات وفى الجنايات والحدود ، وفى الشهادات والأقضية ، وفى الحروب والمعاهدات ، وفى علاقة الحاكم بالمحكوم ، وفى كل ما ينطوى تحت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وكما لا شك فى أن الغذاء الصالح ينشئ أجساما قوية ، تقاوم العلة ، وتدفع العدوى ، لا شك فى أن التربية الدينية والإسلامية بخاصة أقوم للأفراد ، وأضمن لإصلاح المجتمع .

فهى تربية وضع الله منهجها ، ورسم خططها ، وأكمل أبوابها ، فلا يمكن أن تغنى عنها أو تدانيها ثقافة وضعية مهما بلغت من كمال ، فأن الثقافات الوضعية من عمل الناس ، والثقافة الإسلامية تشريع رب الناس ، وتلك تمليها الحاجة الطارئة ، وتخضع للتجربة ، والحاجة تتغير ، فتكشف التجربة عن عدم ملاءمة هذه الثقافة ، وأنها لم تعد صالحة للبقاء .

أما الثقافة الإسلامية ، فلأنها من تقدير العزيز العليم ، تلائم كل زمن ، وتتسع لكل جيل ، وعليها يقوم النظام الكامل للفرد وللجماعة .

« لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ـ صنع الله الذى أتقن كل شىء » .

وإن ظن أن الحوادث وتطور الزمن لا يتسع لها المنهج الإسلامى، فذلك وهم تنقصه الروية ، فأن فى نصوص الشريعة نصوصا تفصيلية ، ونصوصا مجملة . وفى الشريعة قواعد مدخرة للاهتداء بها والانتفاع بتطبيقها على الجزئيات العارضة ، وهذا يطرد فى حياة الإنسان إلى أن يفارق دنياه ، فأن غاب عن الأفهام حكم لحادث جديد ، ففى النصوص المجملة ، وفى القواعد العامة ، ما يكشف عن هذا الحكم للمجتهدين من أهل الذكر .

ومثل هذا واضح فى القانون الوضعى ، وهو من عمل الإنسان لنفسه ، فأن القضاة كثيرا ما تضيق بهم المواد التفصيلية ، فيرجعون إلى قواعد عامة ، ويستنبطون منها ما يحتاجون .

والاجتهاد وظيفة العقول الناضجة ، والإسلام يترك للعقل مجاله ، ويحترم اجتهاده ، إذا تجرد من الهوى .

ومن أجل هذا ترى المنهج الإسلامى كفيلا بكل ما يتصل بالفرد : فى خلوته ، وفى أسرته ، وفى رفاقه ، ومع جيرانه ، وفى سفره و إقامته ، وفى شغله وفراغه ، ومع من يعرف ومن لا يعرف ، ومع مواطنيه وغير مواطنيه .

وكذلك الشأن فى حياة الجماعة ، وضع لها التشريع الإسلامى إطارا من النظام العام ، رسم فيه الحقوق والواجبات ، وصلة الحكام بالمحكومين ، وصلة الأغنياء بالفقراء ، وصلة الدولة بالدولة ، وركز فى الجماعة روح الإخاء والمساواة ، والتعاون والتعاطف ، ونصب لها أهدافا ، وأذكى فيها الغيرة على الكرامة ، ودفعها الى التضحية ، واستنهضها الى حماية الذمار ، والى الرباط على الحدود ، فى يقظة واستعداد : لإرهاب الطامعين ، وصد المغيرين .

والقرآن والحديث يتسعان غاية الاتساع لبيان ذلك كله . والإسلام فى تشريعه لم يقف عند التهذيب الروحى وحده ، بل لم ينقص من النظام المادى شيئا ، فتناول الحياة من جانبيها ، وعلمنا أن الدنيا مطلوبة لنفسها ، وأنها سبيل الى الآخرة ونعيمها المقيم ، وما ذم لنا الدنيا إلا تحذيرا من ناحيتها المخيفة ، وهى إغراؤها للانسان بلهوها ، وشغلها

إياه بهزلها عن جدها ، وفيما عدا هذا فهى متاع ونعمة ، والله يمتن علينا بها ، ويطلب أن نتمتع بحلالها ، وننصرف عن حرامها ، وأن نشكره على نعمائه فيها ، ليكون متاعنا بها موصولا بمتاع الآخرة .

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

وبهذا يتبين أن الإسلام دين الحياة والخلود، لا دين الانكماش والجمود كما زعم زاعمون ! !

وإذ كان من مميزات هذا الدين أنه يحتكم الى العقول البريئة من الدخل، فهو يحثنا على التفقه والنظر ، مطمئنا الى أن التفقه الرشيد والنظر السديد، ينزلان بالمرء على حكم الإسلام، فأن حجة الإسلام قائمة ، وإن الحق أغلب ، وان الطاعة للحق أحب للعقول وأقرب، إلا من حالت بينه وبين الحق جهالة متأصلة، أو ضلالة متغلغلة ، فحينذاك تعمى البصيرة، وتستحيل الهداية « وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » .

وقد عاب الإسلام على أناس إهمال مواهبهم الإنسانية ، فهم لا يتفقهون ولا يسمعون ، وإذا تفقهوا أو سمعوا فهم لا يطيعون ، وهذه مكابرة تنزل بالمرء عن مرتبة الإنسان ، فلم يكن كثيرا عليهم أن يعتبرهم القرآن كالأنعام أوهم أضل ، وأن يعتبرهم كشر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون .

وفى هذا التنديد والتشنيع على مهملى العقول فى تفهم دعوة الإسلام ، توجيه أكيد لنا أن نتحاشى الجمود ، وأن ننتفع بأفهامنا ومواهبنا ، فى غير اسراف ولا تزيد « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

سادتى :

نرى للاسلام غاية فوق تلك الغايات الثقافية، وأراها ملاك الغايات للكمال الإنسانى، تلك هى تربية الضمير فى النفوس على زاد من التقوى ، فالضمير هيمنة يقظة تتصل بالإنسان فى كل آونته ، تدفع من نفسه هواجس الشر ، وتقاوم النزعات الغوية ، وتوجه الى الخير ، ويكون به الانسان انسانا موضوعيا لا انسانا شكليا .

والقرآن حينما يخاطب الانسان بوعده أو وعيده ، وحينما يمتدح الخيرين ، و يقدح فى الأشرار، فانه يقصد – أولا – توجيه المرء الى الاعتدال ، و يقصد فوق هذا اقتلاع بواعث الشر من نفسه . وتأصيل روح الخير فى طباعه ، وأن يكون الانسان على نفسه بصيرة ، فلا يأخذه نفاق ، ولا يجنح الى رياء ، ولا يكون أنانيا ولا جبارا عصيا .

وانظر اليه حينما يقول : «واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى» ، ففى هذا دفع الى التجرد من عصبية القرابة ، وتوجيه الى العدل فى ذاته ، ولو كان ضد القريب من اللحم والدم ، وهذه وظيفة الضمير .

وانظر كذلك الى قوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

ففى هذا كذلك توجيه الى السمو وعدم التأثر بالخصومات ، والى الترفع عن الحزازات ، والحكم بالعدل ولو كان فى جانب العدو .

ولا شك أن العدل على هذا النحو من وظيفة الضمير . ومن قول الرسول صلوات الله عليه فى هذا الباب : «استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك» ، وكثيرا ما يكل الاسلام أبناءه الى ضمائرهم فى شئون هامة ، فقد حدث أن رجلا من أعداء الاسلام وقع أثناء حرب مع المسلمين فى يد بعضهم ، فلاذ بشجرة وأعلن الشهادة ، ولكن المسلمين عاجلوه بالقتل ، ظنا منهم أنه يخادعهم باسلامه ، وقد تأثر لذلك النبى صلى الله عليه وسلم وعاب على من قتله ، وعتب عليه فى شدة ، وقال له : « هلا شققت عن قلبه » ففى هذا اكتفاء من الرجل بما أظهره ، واعتماد على ضميره فى صدق ما قال .

وفى باب الدعاوى بالأموال إذا لم يجد المدعى بينة نرجع الى يمين المدعى عليه ، فإذا حلف على الإنكار فلا قضاء عليه ، ونكتفى بتصديقه ظاهرا ، ونعتمد على ضميره فى صدق ما قال .

ومما يوضح أهمية الضمير أن توبة المذنب من ذنوبه مفتوح أمامها الباب فى كل ساعاته . وكان من رحمة الله تعالى – حينما توعد ابليس بنى آدم بأنه سيغويهم أجمعين – أن الله وعد بعزته وجلاله ألا يغلق عن ابن آدم باب التوبة مادامت فيه روح ، فهذا توسع فى قبول التوبة ، وبها تسقط الذنوب .

ومع هذا التوسع فى الفضل فقد اشترط الله على عبده أن تكون توبته

عن ضمير ، وذلك أن أركان التوبة التى تغفر الذنوب جميعا هى : ندم على مافات ، و إقلاع عن الذنب ، وعزم على عدم العود .

فاشتراط الندم على مافات يعتبر مطالبة بأن تكون التوبة عن ضمير ليخرج الإنسان من مآثمه ظاهرا وباطنا ، وليدخل نظيفا فى المجتمع الصالح . إذا توفر الضمير سقطت مآثمه ، ولو كان فيها قتل أو شرك « إن الله يغفر الذنوب جميعا » . « إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » .

و اذا كثر أصحاب الضمير الحى فى أمة من الأمم قلت الجرائم فى محيطها ، وظهرت روح الخير فى صفوفها . وأصحاب الضمير هم الصالحون لقيادة الأمة ، وهم المطلوبون فى دعوات الصالحين : « اللهم ول أمورنا خيارنا ، ولا تول أمورنا شرارنا » .

وخير تصوير لصاحب الضمير قول الرسول ـ صلوات الله عليه ـ لمن سأله عن معنى الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فأن لم تكن تراه فأنه يراك » .

ولست أقصد من هذا كله أن الضمير دائما وليد الثقافة الإسلامية فحسب ، وانما أقول : ان الثقافة الإسلامية كما تربى ضميرا موجودا ، تنشئ ضميرا كان مفقودا .

ورب ضمير حى فى قلب رجل أمى . وهذا فلاحنا الذى يعيش على الفطرة ، ولم تخالطه تقاليد المدن ، تراه يحتشم مما يعيبه ، ويتحرج من الشبهة فى دينه ، و يغدو ويروح بين حقله و بيته مصليا وصائما ، غير مسىء الى أحد ، لا بلسانه ولا بيده ، وهو لا يعرف من الثقافة غير كلمات يسمعها من خطيب المسجد ، أو ما يتطاير اليه من ذكر الحرام والحلال ، والعقاب والثواب ، فهل لذلك من سلطان سوى سلطان الضمير ؟ ؟

وهناك صاحب ثقافة واسعة دينية أو مدنية أو كليهما ، وهو أشد خروجا على الدين ، واستهانة بآدابه ، ولا تعليل لهــذا الا أنها فطرة خبيثة ، ونفس متمردة ، غاب عنها الضمير ، فنزعت الى الانحراف ، وذهبت ثقافتها أدراج الرياح ، « والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا » .

وتباين الناس ثقافة وضميرا ، وهداية وشقاء ، ليس لقصور فى أحكام الإسلام ، ولا لسبب عائد اليه . ولكن هناك توجيه الى الإسلام ممن يملكون التوجيه . فعلى الموجهين أن يضاعفوا نشاطهم ، و يواصلوا دعوتهم ، وألا يكترثوا بالمقاومات من أصحاب الأغراض ، فدعوة الله الى الخير تكلف الدعاة متاعب ، وتحملهم جهودا ، ولا يضيرهم أن يند عن دعوتهم من ينزع الى التمرد والتشكيك ، وقديما قال الله لرسوله : « ان عليك إلا البلاغ » .

وهناك اتجاه مطلوب من الناس الى دعوة الله ، ولكن هذا الاتجاه أمر يحتاج الى ذوى السلطان وأصحاب الحكم فى الشعوب ، فعليهم فى كل بلد اسلامى أن يتعاونوا فى التوجيه ، وأن يأخذوا المتوانين فى السمع والطاعة بما خولهم الله من سلطان ، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

واذا كان من عمل الحكام ردع العابثين بالأمن ، وتنفيذ العقوبات فيهم ، حماية للمجتمع مما يهدد نظامه ، فمن عملهم كذلك حماية الأمن الدينى ، وصيانة العقائد والأحكام والآداب ، فهذا من ذاك أو أشد « وان الله سائل كل راع عن رعيته » .

وحكومة الثورة فى مصر ـ والحمد لله ـ واعية لواجبها الدينى أكثر من وعيها للواجب الاجتماعى ، وهى جادة فى التوجيه الى ما تقوم عليه الأخلاق وتكوين المجتمع الصالح .

سادتى :

الإسلام لا يأبى الثقافة المدنية ، بل هى من صميمه ، ومن أهم غاياته ، فهو يحض على التزود من كل علم ينفع ، وعلى طلب المعرفة والعلم ولو من الصين ، لنعرف ما فى الدنيا من فنون وحضارة ، وليأخذ المسلمون عن غيرهم ما ليس عندهم « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » . « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » . « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها » . « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا » .

ومن هذا ونحوه يبدو أن الإسلام يدعو الى كل ثقافة مدنية وأخذها عن أهلها ، على ألا تعارض الإسلام فى عقيدته ، ولا فى أحكامه .

ويبدو كذلك أن الإسلام دين ودنيا معا ، دين سليم من الدخل ومن المتاجرة باسمه ، والتضليل على حسابه ، لإثارة الفتن بين صفوف الأمة .

والإسلام دنيا فسيحة مهذبة متخلقة بالآداب الكريمة ، ومستجيبة لحكم الضمير ، والدين من الدنيا بمنزلة الروح من الجسد ، فأن تكن المدنية بمختلف ثقافاتها لترقية الحياة المادية ، فأن الدين روح لهذه الحياة ، وإذا قامت الدنيا على غير دين ، فهى بناء منهار ، والله تعالى يقول : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

فليس لزاعم أن يزعم أن الثقافة الإسلامية شيء ثانوى إلى جانب الثقافة المدنية ، فلو صح

ذلك لأوحى الله الى محمد نظريات الهندسة ونماذجها ، وقواعد الحساب وتمريناته ، ومبادئ الكيمياء وتجاربها ، ومذاهب الفلسفة وتكهناتها ، وهكذا . ولكن الله لم يفعل ، بل أوحى الى رسوله خير نماذج يتربى عليها الضمير ، وهو روح المجتمع ، أوحى اليه - قرآنا عربيا غير ذى عوج - .

سادتى :

شاء الله أن تكون الثقافة الإسلامية شرقية ، باعتبار مصدرها الأول : مكة والمدينة . وإن كان الإسلام للدنيا جميعا ، وقد ذكر الله فى كتابه مكة باسم البلد الأمين ، ومجدها بذكر الكعبة ، وبذكر البيت العتيق ، والبيت الحرام ، والمسجد الحرام ، وبذكر عرفات ومقام ابراهيم .

وذكر الله فى كتابه المدينة باسم يثرب ، ومجدها بذكر أهلها الأنصار ومواقفهم وتضحياتهم بالأرواح والأموال فى نصرة الإسلام ، وبذكر مسجدها الذى بنى على التقوى من أول يوم ، وبذكر رجالها الذين يحبون أن يتطهروا . وستظل مكة والمدينة كما شاء الله لهما مجدا وقداسة وخلودا .

وقد ذكر الله فى كتابه مصر فى حديث يوسف لأبويه : « ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » وشاء الله لمصر أن تكون بأزهرها مشرقا ضاحيا للدعوة الإسلامية بعد مكة والمدينة ، حتى تبوأت مكان الزعامة بين شعوب الشرق عامة .

أفلا يحق لمصر أن تعتز بذكر القرآن لها ، وأن تفخر بأزهرها الذى سبقت به إلى صدارة التاريخ .

الأزهر - فى تواضعه - حمل راية الإسلام خفاقة ، وشق بها طريقا إلى مجاهل الدنيا ، ودعا بدعوة القرآن فى دأب وجلادة أكثر من عشرة قرون .

فمن ذا الذى يجحد على الأزهر سابقته فى الإسلام ونشر ثقافته ، إلا واحد من اثنين : متعصب غير مسلم ولا حيلة لنا فيه ، أو مسلم فى قلبه مرض ، وهذا إلى الله ، إن شاء شفاه من علته ، وإن شاء زاده مرضا على مرض .

من يظن أن الأزهر فى عهد الثورة موضع القيل والقال ، فهو مرجف يوقظ الفتنة ، ويفرق الصفوف .

فليعلم هؤلاء المرجفون أن الأزهر فى عهد الثورة أعز مما كان ، وليعلموا أن الثورة قامت لاعلاء مجد مصر وتربية النفوس والضمائر فى شعبها ، فلا يرضيها أن تخدش فى الأزهر جانبا شامخا من مجد مصر ، وهى عارفة أن الأزهر وحده هو الأداة الأولى فى التربية الخلقية وانشاء المجتمع الصالح الذى قامت الثورة لإيجاده .

وليعلم هؤلاء المرجفون أن الثورة بصيرة بأهدافها ، فليست بحاجة إلى من يقودها خطوة ثانية ولا ثالثة !! .

وليعلم هؤلاء المرجفون ـ أخيرا ـ أن الثورة ترفع الراية ، فى هذا المؤتمر الإسلامى ، لتجمع حولها الصفوف والشعوب ، وتوثق الإخاء ، وتقضى على التفريق والمفرقين ، فليريحوا وليستريحوا .

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا » .

وأخيرا أشكركم . والسلام عليكم ورحمة الله ،،

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

السياسة

يقول غاندى الزعيم الهندى :

ليست السياسة ذلك اللهو كما يفهمها الناس ، وإنما هى توسيع دائرة الفضائل المنزلية حتى تشمل الوطن . وهى ـ فى الوقت نفسه ـ وسيلة لتجديد الروح فى المواطنين .

كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر
فى جمعية المحافظة على القرآن الكريم بدمنهور

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ،

السيد نائب حاكم الإقليم ـ السادة الأفاضل ـ إخوانى وأبنائى :

السلام عليكم ورحمة الله ـ أما بعد ، فأنى أشكر لكم جميل ترحيبكم ، وكريم حفاوتكم ، وهـذا الاستقبال الرائع الذى هو من أقوى المثل التى يغتبط بها و يغبط عليها فى مجـالات الـكرامة والتـكريم ، هذا الاستقبال الذى هو بحق من أسمى وجوه التعبير عن الشعور الحى ، والإخلاص المتين ، والتقدير العظيم للأزهر ورجاله والقائمين عليه .

حقا ان هذا الاستقبال الـكريم ليدل أصدق دلالة على ما تنطوى عليه قلوبكم الطاهرة المؤمنة من الحب الخالص لتعاليم الأزهر وثقافته ، التى هى تخليد وتمجيد للثقافة الإسلامية ، والتى هى محافظة وكمال عناية بالصالح النافع و بكل ما هو ضرورى لا بد منه للطالب الأزهرى ، من العلوم الـكونية وأنواع الثقافات المدنية .

أيها السادة :

وأحيى فيكم هـذه العاطفة الدينية الطيبة ، وهـذه الغيرة الحميدة الخيرة ، وهـذا الحرص الجميل على الاحتفاظ لمدينة دمنهور بمعهد من المعاهد الدينية الإسلامية .

دمنهور هذه المدينة الطيبة الواعية النابهة ، عاصمة مديرية البحيرة العظيمة ، هى التى ـ الى جانب قوتها ونشاطها فى مجال العمل والتعمير ، ومجال الإنشاء والانتاج فى جميع نواحى الحياة الاقتصادية تجارية كانت أوصناعية ـ قد أنبتت ، وأنبتت قراها وسائر البلدان التابعة لها ـ لخير مصر ، وخير الأقطار الإسلامية التى ترنو إلى مصر ـ علماء دينيين فطاحل ، تخرجوا فى الأزهر فى عصوره القديمة وعصره الحديث .

و إنه لا تزال أسمـاء سليم البشرى ، ومحمد عبده ، وراضى ، والبجراوى ، ومن إليهم من العلماء الأعلام ، لا تزال هـــذه الأسماء تبعث النهضة ، وتحفز الهمة فى نفوس العلماء

والمتعلمين ، ولا تزال أصوات معارفهم — فى دروسهم وتقريراتهم وبياناتهم — يرن صداها فى أذن الأزهر والأزهريين .

ولولا أن حركة التوسع فى إنشاء المعاهد الدينية الإسلامية كانت ضعيفة فى العهود الماضية ، ولولا أن كثيرا من بلاد مديرية البحيرة كان قريبا من مدينة الإسكندرية التى أنشئ فيها أول معهد أزهرى نظامى قد سد حاجتها وحاجة البلاد القريبة منها فى التعليم الدينى القوى — لولا هذا كله لكانت مدينة دمنهور من أسبق العواصم التى تمتع بمعاهد أزهرية عظيمة .

على أن مدينة دمنهور قد كتب الله لها الحظ السعيد ، فجاء معهدها وليدا للنهضة المباركة : نهضة الثورة الحاضرة ، التى عملت وتعمل وستعمل دائما — بمشيئة الله وبعناية الله — على نشر معاهد الأزهر فى كل مكان ، وعلى التمكين لها فى مختلف البلاد ، وعلى تثبيت دعائمها ، وتقوية أركانها ، لتكون دائما منارا للهدى والإرشاد ، وعصاما من دعوة الزيغ والالحاد ، وقضاء مبرما على ميول الأباحية المقوتة والتحلل الخلق المرذول .

نعم ، ولتكون دائما كعبة يقصد إليها كل من يريد تقويم أخلاق النشء وتهذيبه بالمبادئ الكريمة ، وتربيته بأصول التربية الدينية الصحيحة .

أيها السادة : أيها الإخوان : أيها الأبناء :

إن الأزهر اليوم يعمل مخلصا على أن يجدد نفسه ، وهو جاد كل الجد فى أن يجمع قوته ، وينهض نهضته ، ليساير النهضات الحديثة ، لا ، بل ليسابق هذه النهضات الحديثة ، وهو لذلك يبذل كل جهوده لينفض عن نفسه ذلك الغبار الذى أثارته عليه وعلى البلاد زوابع تيارات سياسية عاتية ، وليزيح عن جوه ذلك القتام الذى خيم فى أفقه من آثار عهود ظالمة مظلمة ، وليسفر بصبحه الوضاح ، فينير ما بين المشرقين ، ويهدى للسعادتين ، بما يحيى من آثار السلف ، وبما يستعيد من أسباب المجد الحق : مجد الإسلام فى عهده الأول ، وفيما تلا ذلك العهد من عهود خصبة زاهرة .

اخوانى ، أبنائى :

إن الأزهر له أعداء فى داخل البلاد وخارجها ، هم فى الحقيقة ليسوا أعداء له فحسب ، وإنما هم أعداء الدين الإسلامى قبل كل شيء ، إنهم يصوبون سهامهم المسمومة — ولكنها مدحورة باذن الله — يصوبونها الى الأزهر ، لأنهم يعلمون حق العلم أن الأزهر هو الراعى ، وهو الحامى لهذا الدين الإسلامى الحنيف .

إن ناسا من أهل جلدتنا ، ومن المنتسبين الى ديننا ، يدعون الى آراء وأفكار يزعمونها تقدمية ، وأنها من مقتضيات المدنية العصرية ، ويجدون ناسا حفافا يتبعونهم ، ممن يطيرون مع كل طائر ، ويجرون وراء كل ناعق ، والله يعلم أن ما يدعون اليه وما يجرى وراءهم فيه خفاف الأحلام ليس من التمدن ولا من التقدم فى قليل أو كثير .

ان أوربا الناهضة ـ أوربا المتحضرة المتحررة ، أوربا هذه التى يريد بعض الناس أن تأخذ عنها كل شيء ، وأن يتبع سيرها فى كل خطوة ، لم تكن نهضتها ولا تحررها ولا تقدمها بدعوات الزيغ والتحلل والإلحاد ، ولم تكن نهضتها ولا تحررها ولا تقدمها بسبب أن أهلها يلبسون القبعة ، أو أنهم يرتدون البنطلون والسترة ، أو أن كثيرا منهم ومن أهل أمريكا ـ الذين كانوا فى بلادنا أيام الحرب وفى أوقات القيظ ـ كانوا يقتصرون فى لباسهم على القميص فاقد الذراعين ، وعلى البنطلون القصير الذى يكشف عن الساقين وما فوق الركبتين . لم يكن تقدم أوربا بهذا ، وإنما كان بالجد والنشاط فى مجال الصناعة ، وانما كان بالتفكير الدائم المتواصل فى تسخير القوى الطبيعية التى خلقها الله فى الأرض واستخدامها فى أعمال الإنشاء والكشف والإنتاج ، فاذا كنا نريد التقدم والرقى كما تقدمت وارتقت أوربا ، فانما هو الجد والحزم والنشاط ونبذ المظاهر الفارغة ، والصور الجوفاء ، والعناية كل العناية باللباب والجوهر فى جميع الأعمال التى يقوم بها صلاح الأمة وسعادة الوطن .

هذا كان شأن سلفنا الصالح الماجد فى عصور الاسلام الأولى ـ عصور الهدى وعصور النور ، وهذا هو الذى نبه اليه وحث بقوة عليه ديننا الاسلامى الحنيف ، نبه اليه وأوجبه وحتمه قبل أن تعرفه أو تتنبه اليه أوربا بقرون وقرون « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » م ٤

نصيحة أبوية

لفضيلة الأستاذ الأكبر

في احتفال معهد دمنهور الديني باستقبال فضيلته

أبنائي :

السلام عليكم ورحمة الله .

أما بعد . فأن الله تبارك وتعالى قد أنعم عليكم في هذه الحياة بأكرم نعمة ، ووجهكم فيها أحسن وجهة ، وهيأ لكم السبيل لتكونوا أهل دينه ، وحفاظ شريعته ، التي فيها ضمان سعادة الدنيا والآخرة ، فعليكم أن ترعوا هذه النعمة وتحفظوها ، وتحوطوها بالشكر والضراعة الى الله أن يشملكم بخيرها ، وأن يزيدكم فيها تثبيتا وتمكينا .

عليكم أن تتجملوا بمحاسن هذه الشريعة وأخلاقها الكريمة ، وأن تبصروا بأحكامها السمحة السهلة أهليكم وذويكم وسائر المواطنين ، بالرفق واللين ، والحكمة والموعظة الحسنة ، واحذروا في جميع أعمالكم ومعاملاتكم التعسف والقسوة ، وتجنبوا الكبرياء والغطرسة ، ثم احذروا أن يدخل الشيطان الى نفوسكم من مداخل الغرور أو النفاق أو الرياء . واعملوا على أن يكون جدكم وجهودكم — التي تبذلونها في سبيل التعلم والتعليم — جهادا في الله ، ولإعلاء كلمة الله ، تأتكم الدنيا صاغرة ، وتنالوا بذلك سعادة الآخرة .

أسأل الله العلي الكبير أن يهديكم ويوفقكم ، ويرد عنكم حسد الحاسدين ، وكيد الكائدين ، وزيغ الملحدين . انه سميع الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟



كعبة المسلمين الثانية

نعم هو الأزهر حصن الثقافة الإسلامية، وحارس اللغة العربية، وأعرق الجامعات العلمية وأقدمها، له تاريخ مجيد عرفت مصر وبلاد الشرق فضله فيما مر بها من أحداث سياسية واجتماعية كان له فيها نصيب التوجيه والبناء، وقدرته الأمم الإسلامية حين أوفدت إليه أبناءها ليتعلموا أصول الدين وأحكام الشريعة ولغة القرآن، كي يعودوا الى بلادهم وقد ارتووا من منهله العذب، فيحيوا النفوس الميتة، وينيروا العقول المظلمة، ويعلموا الناس دينهم القويم، ويدعوهم الى الخلق الكريم.

ولن ننسى فضل الأزهر في اعداد الجهابذة أمثال رفاعة الطهطاوي، والشيخ الإمام … وسعد زغلول، وأسلافهم من أفاضل العلماء.

هذا هو الأزهر كعبة المسلمين الثانية، ومفخرة المصريين الباقية، وحامي حمى الإسلام، وحافظ ما أتى به من أحكام، وهمزة الوصل بين البلاد الإسلامية، ومنارة مصر … الأقطار الشرقية، فعلينا أن نحفظ كيانه، وندعم بنيانه، ونصون أركانه، ونبقي على …ه، ونعين على أداء مهمته.

… هذا المناسبة ما سمعنا وقرأنا من اقتراحات ترمي الى تفكيك الجامعة الأزهرية، … هذا التراث في النهاية.

…ن بتوحيد جهات التعليم فاتهم أنه قد تربى في المدارس أجيال كثيرة، …اية أو عرف حديثا أو فهم حكما. وما لدى بعضهم من معلومات … أولئك الذين نبغوا في الأزهر ودرسوا علومه. وحذقوا فنونه. …لأمة جميعا الى هذه المدارس المدنية ما وجدنا حافظا لكتاب …لا ملما بأحكامه.

…و الى الإساءة للأزهر، ولتعالج هذا الفساد …

ما زال منتشرا فى أنحاء البلاد ، ولتقاوم الرذيلة التى أنشبت أظفارها فى البيت والشارع ، والمدرسة والنادى ، وسائر الأماكن عامة أو خاصـــة ، ولتحارب الوجودية والشيوعية والمبادئ الهدامة ، ولتضرب فى معاقل الفساد بدل أن تهدم هذا الصرح الشامخ : الأزهر ، موطن الصلاح والاصلاح .

نعم أصلحوا الجامعـة الأزهرية ودعموها ، وأبقوا على هـــذه المفخرة الاسلامية ولا تمسوها ، ووجهوا جهودكم لاصلاح نواحى الفساد وما أكثرها ، واحذروا أن تقدموا للصهيونية مادة تتعيش منها ، وتقيم عليها صرح دعايتها المسمومة ، وتتخـذ منها سلاحا تقطع به علاقتنا بالعالم الاسلامى .

أقول هذا وأنا مطمئن الى أن رجال الثورة الذين بدءوا ثورتهم باسم الله ، وتعاهدوا على كتاب الله ، ووضعوه على صدورهم فى مستهل حركتهم ، لن يستجيبوا لهذه الأقلام ، ولن يمسوا هذا الصرح الشامخ الا بالتدعيم والتقوية .

والله أسأل أن يمدنا بقوته ، ويعزنا بعزته ، ويدفع عنا الشرور والبلاء ، وينصرنا على جميع الأعداء .

محمد على عبد العزيز الشنشفيرى

المحامى ونائب منوف السابق

الشرق والغرب

قال الشاعر الهندى رابندرانات تاغور للصحفى الإيطالى أولدو سورانى :

« أعتقد دائما أن المدنيتين ـ الشرقية والغربية ـ تستطيعان أن تبقيا متميزتين الواحدة عن الأخرى ، ويجب أن تبقيا كذلك ، وبالوقت نفسه يجب أن تكمل كل واحدة منهما ما فى الأخرى من نقص ، وأن تتلاءم معها » .

خطوة ثانية

فى اتجاه عكسى لاتجاه الدكتور طه

الأزهر الشريف حصن اللغة العربية ، لأن العلوم تدرس فى الأزهر باللغة العربية ، وقواعد اللغة تدرس بتوسع ، لأنها لغة القرآن ، ومصر تشكو من الشكوى من ضعف طلبة معاهد وزارة التربية والتعليم وخريجيها فى اللغة العربية . ولغة العلوم الإسلامية فى الأزهر لغة عربية فصيحة عنى بها المؤلفون القدامى ، لكى تتمشى مع لغة القرآن القرشية ؛ وقد تكون من مجموع ذلك مدرسة فى اللهجة العربية القرشية الخالصة التى نزل بها القرآن ، والأزهر مازال عاملا بهذا على تقارب اللهجات العربية وتوحيدها والسير بها نحو لهجة واحدة ، هى التى تسير عليها مدرسة علماء الأزهر وتدرس بها العلوم الأزهرية .

يقول الدكتور طه حسين : إن الأزهر وسيلة للتباين واختلاف المشارب وصعوبة التفاهم بين طبقات الأمة . وهذا غير صحيح ، وهو ترديد لما كان يقال قبل تطور الأزهر ، وقبل أن يشمله المصلحون من أمثال الشيخ محمد عبده بإصلاحاتهم ، وقبل أن تدخله العلوم الحديثة . وبالرغم من ضعف حجة الدكتور طه حسين فى هذا ، فأننا نراه ينظر الى الأزهر الشريف نظرة ضيقة إقليمية ، تحط من قدر الأزهر وتنزل به الى غير مستواه ، حتى يضعف شأنه ، ويسهل عليه وعلى باقى أعداء الأزهر ما يريدون . والواقع أن الأزهر من أكبر الدعائم فى توطيد عرى الأخوة حتى بين الشعوب ، فهو يعمل جاهدا على جمع شمل الأمة الإسلامية العظيمة الانتشار فى بقاع الأرض حول لغة واحدة قوية متينة هى اللغة العربية ، وحول دين واحد له مبادئه التى تدعو الى الوحدة الإنسانية ، وهو الدين الإسلامى الحنيف .

فالأزهر حصن العلوم الإسلامية ، ومرجع مشهود له لدى جميع البلاد الإسلامية وغير الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وحوله تتوحد المشارب ، وتتقابل النفوس ، وهو يقوم بتعليم مبادئ الإسلام فى صمت وفى صبر وجلد من قديم الدهور .

وكانت المساجد قبل الأزهر بيوت العلم ، ولما انشغل الناس بأمور الدنيا فى العصور المتأخرة انحصر التعليم فى الأزهر الشريف الذى أصبح الآن له معاهده وكلياته وفروعه ، وإذا اشتاق المرء الآن الى الموعظة ، وتعطشت نفسه الى الإرشاد ، وجد ذلك على أيدى رجال الأزهر من وعاظ المساجد ، وهم يقدمون للناس العلم والوعظ فى شتى المسائل والأمور بما يشفى الصدور ، ويزيل الكرب ، ويجدد الإيمان .

إن الحكمة من قيام الأزهر الشريف هى اضطلاعه بعلوم القرآن وتدريسها . والحاجة الى ذلك ما زالت قائمة بل زادت الآن عن ذى قبل ، فما أحوجنا بل ما أحوج الإنسانية الى هذه العلوم الإسلامية التى يحمل رايتها الأزهر وحده فى العالم الإسلامى ، والأزهر إنما ينشر مبادئ قويمة وجديرة بمزاحمة تلك المبادئ المنتشرة فى العالم فى هذه الآونة ، ولو قدر للأزهر الشريف ، وهيئت له وسائل النشر والإذاعة العصرية لنشر مبادئه الإنسانية ، لأدى الى العالم خدمات جليلة ، ولاختفت المبادئ الأخرى ، خاصة وهذا العصر عصر البحث والفكر والعلم ، ورجال الأزهر هم أقوى الناس على نشر وتدريس وتعليم مبادئ الإسلام الحنيف التى تبناها الأزهر وحافظ عليها من الضياع زمنا طويلا ، فمرحبا بالدراسات الإسلامية الأصيلة السليمة الواسعة على أيدى رجال الأزهر الشريف .

والدكتور طه حسين يصطاد فى الماء العكر ، إذ هو يدعو الى هدم الأساس الذى يقوم عليه الأزهر ، و يعتمد على خريجى معاهد أخرى غير الأزهر فى تلبية دعوته والاستجابة إليه ، وكل من ذاق حلاوة العلوم الاسلامية وعلوم اللغة التى تدرس فى الأزهر لا يجد فى كلام الدكتور طه ما يستأهل أن يفكر فيه يوما واحدا .

وعلى طلاب الأزهر وتلاميذه ألا يخلبهم الدكتور طه بدعوته البراقة ، فأنها ليست دعوة اصلاح لحال الأزهر أو رقى بأبنائه وحملة مشاعله ، و إنما هى دعوة الى هدم الأزهر و إزالته من الوجود ، ولا يستطيع أحد أن يتصور مصير العلوم الإسلامية الكثيرة وعلوم اللغة العربية المختلفة التى تدرس فى الأزهر اذا ألغى الأزهر استجابة للدعوة المجنونة التى ينادى بها الدكتور طه حسين .

إذا كنا أمة جادة تفهم معنى الحياة يجب علينا أن نخطو الخطوة التالية فى اتجاه عكسى تماما لما يدعو إليه الدكتور طه حسين ، فعلوم الإسلام علوم نافعة للانسانية كلها فضلا عن المسلمين ، وفيها تربية للنفوس على الخير ، وهى تجنب الأمم الزلل والخطأ . فيجب أن

نتدرج فى إدخال علوم الإسلام وعلوم اللغة التى تدرس فى الأزهر الشريف إلى مدارس وزارة التربية والتعليم، فهى علوم أجدادنا، وتراث آبائنا المجيد، ومصدر ثقافتنا ، و يحق لنا أن نحافظ عليها ونعلمها لأولادنا . فنكون بذلك قد وصلنا الماضى بالحاضر ، ووحدنا الثقافة القومية أيضا . وهكذا يكون التفكير الصحيح نحو توحيد الثقافة ، وبذلك ومن هنا ترى أن دعوة الدكتور طه حسين هى كلمة حق أريد بها باطل .

وليست دعوة الدكتور طه حسين بالشىء المستغرب منه ومن أمثاله ، فهو من رجال ما قبل الثورة ، وله فى عالم الأحزاب مبادئه الشاذة وسياسته المعروفة ، وهى تلك السياسة التى كان يسير عليها زملاء الدكتور طه حسين من الوزراء والمستوزرين من رجال ما قبل ثورة مصر المباركة . وهى السياسة الارتجالية فى كل شىء ، وهى سياسة تخبط وتقليد للغرب ، ولو على حساب القومية ، ولو أدى ذلك إلى التنكر لماضينا وحاضرنا على السواء . والدكتور طه حسين دائما يهرب من الماضى ، و يود أن يقطع الصلة بينه و بينه ، وعلة ذلك تظهر من مقارنة خفيفة بين الدكتور طه حسين فى القديم والدكتور طه حسين الآن وآماله فى المستقبل ، فهو فى الماضى ذلك الشخص الذى صور لنا نفسه فى كتابه « الأيام » ثم رأى نفسه فى ظلال الحزبيات شيئا آخر ، وشجعه الأوربيون الذين تعلم لغتهم وتزوج منهم ويرجو على أيدى الإفرنج لنفسه ولذريته مستقبلا أحسن .

ولكن على رسلك يادكتور طه ! ! ، فليس ماضى أمتك كله شرا ، وليس التجديد كله خيرا ، وما هكذا يكون التطور والرقى فى الشعوب ، والذى يجوز على الأفراد لا يجوز على المجموعات والشعوب .

وقد كان قبلك رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وغيرهم ، كانوا مخلصين للأزهر ، ومنهم من جاب بقاع الأرض وطوف فى الآفاق . فذهبوا اليها علماء مسلمين وعادوا منها علماء مسلمين ، وأنت يادكتور طه تريد أن تهدم المعهد الذى جعلك ترى النور ، وتعرف ما لم تكن تعرف . ان حال الأزهر معك مثل حال مالك ابن فهم مع سليمة بن مالك الذى رماه بالرمح بعد أن علمه فن الصيد والقنص والقتال صغيرا ، فلما كبر وتغيرت الأحوال رماه برمحه ليلا ، فلما علم بذلك قال :

جزانى لا جزاه الله خيرا سليمة انه شرا جزانى
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

والأزهر لا يلغيه فرد ، ولا يلغيه شعب مصر ، وانما يلزم لالغائه استفتاء الشعوب

الاسلامية جمعاء، لأن الأزهر جامعة لها من الاسلام معنى العموم، ولم يكن انشاء الأزهر لأجل مصر وحدها، ولكن كان وما زال منارة تهدى الشعوب الاسلامية، وبحرا للعلوم ترتاده كل الشعوب وجميع المسلمين ، وان كان مقره فى مصر فما ذلك إلا لأن مصر تتوسط العالم الاسلامى مثل الدرة التى تتوسط العقد الثمين .

والأزهر بعد فكرة قبل أن يكون بناء من المؤنة والحجارة . فاذا ألغى فسوف يتشتت أبناء المسلمين من مصريين وغيرهم ، وسوف يرحلون يجوبون بقاع الأرض الاسلامية باحثين عن مورد آخر للاسلام وعلومه ، وسوف تتبنى الأزهر دول اسلامية أخرى، وتنشئ أزهرا يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم كما أرادها الاسلام الحنيف ، ولكن لن يبلغ مجد الأزهر الموجود فى القاهرة فى العلو والارتفاع أى معهد آخر ، لأن علماء الأزهر ورثوا التقاليد والعلوم التى تدرس فى الأزهر ذلك المعهد القديم ، ولن يعوضنا الله فيهم بدلا منهم أبدا .

وكنا نفرح وتثلج صدورنا لو أن الدكتور طه دعا الى إدخال علوم الإسلام فى مدارس وزارة التربية والتعليم ، بحيث ينتهى التلاميذ من حفظ القرآن الكريم فى المرحلة الأولى مثلا ، وتوزع علوم الأزهر على مراحل التعليم المختلفة . . .

وأنا أحب لكل مسلم أن يدعو الى هذا بقوة ، ولو دعا طه حسين الى ذلك فسوف يجد الحجج السليمة القوية التى يفتقدها الآن فى دعوته الحالية .

ولا أجد بدا من الإشارة الى فضل الأزهر على المسلمين فى أنه يخرج لهم رجال الدين، فهل يتصور الدكتور طه حسين أن يوجد رجل من بين رجال الغرب يقف مثل موقفه من المؤسسات التى تخرج رجال الدين المسيحى ويطالب بهدمها وإلغائها . ألم يسمع الدكتور طه حسين أن الفاتيكان لدى الغرب قد جعله الغربيون دولة دينية، وترسل له الدول السفراء والمندوبين . فهل لو ألغت إيطاليا دولة الفاتيكان وأزالتها من أرضها هل يضير ذلك إلا ايطاليا نفسها . وان غيرها من الدول الكاثوليكية سترحب بوجود دولة الفاتيكان بأرضها ، وسوف تفقد إيطاليا خيرا كثيرا .

يجب أن تتألف جمعية من كل الشعوب تنادى بحماية الأزهر من عبث العابثين، على أساس استقلال الأزهر ، وعلى أن ترسل كل دولة من الدول الإسلامية مبعوثين لدى شيخ الأزهر ، ويستمر الأزهر فى أداء رسالته ، وتكون له محطة إذاعة قوية ، يصغى إليها المسلمون من جميع أنحاء الأرض »

اسماعيل فتحى الحو
المحامى

برقية تقول
سيصل إليكم مسلمون من بلاد الأزهر

تقوم الآن ضجة فى مصر يصطنعها بعض الكتاب، ليحاولوا الغض من شأن الأزهر، مع أن للأزهر مكانا ملحوظا ومقاما محمودا، لا فى مصر وحدها، ولكن فى الأقطار الإسلامية كلها. فالمسلمون فى كافة الأنحاء يرون فى الأزهر منار الحائرين وكعبة القاصدين، ويرونه المنهل العذب لأصول الدين الصحيح، والمركز الوطيد للثقافات الإسلامية المجردة عن الزيف، الخالصة من الزيغ. وحسبى هنا أن أذكر أننى فى سنة ١٩٤١ أثناء عودتى من فرنسا عن طريق جنوب إفريقيا نزلت مع بعض اخوانى فى (لورنسو مركيز) عاصمة أفريقيا الشرقية البرتغالية، وفى هذه البلدة جامع واحد، ما إن علم إمامه المسلم الهندى بقدومنا حتى خف الينا ودعانا لزيارته بمنزله فى نفس الجامع، وأكرم وفادتنا وحدثنا كثيرا عن أمور المسلمين فى هذه البلاد، واستفتانا فى كثير من الأمور الدينية معتقدا أن كل مصرى لابد أن يكون عالما بالدين، وأنه قد درس هذا الدين بالأزهر دراسة مستفيضة، وقد كنا نرد على استفتاءاته بما نعلم مما نثق فى صحته. أما الاستفتاءات الأخرى التى كانت تحتاج لإفتاء العالم المطلع، فقد جمعتها وأحضرتها معى الى مصر وعرضتها على معارفى من العلماء الأزهريين، وأرسلت له بما أفتونى به، فبعث يشكرنى ويطلب بعض الكتب الدينية التى تدرس فى الأزهر.

وحين غادرنا هذه البلاد الى مدينة الكاب أبرق هذا الإمام الى مسلمى مدينة الكاب يحثهم على حسن استقبالنا والاحتفال بنا، ومع أن برقيته لم تتجاوز الكلمات الآتية: «سيصل اليكم مسلمون من بلاد الأزهر» فقد وجدنا أمامنا مئات كثيرة من مسلمى الكاب يحفون لاستقبالنا ويبالغون فى تحيتنا، وكانت أولى تحياتهم تلك الأصوات العالية التى ارتفعت تردد صيغة (الأذان الشرعى). وما شاهدناه فى (لورنسو مركيز ومدينة الكاب) من حب عميق مكين للأزهر، وتقدير عظيم لرسالته السامية، شاهدناه أيضا فى ممباسا عاصمة كينيا.

وقد شاهدت شخصياً فى سوريا العربية إيماناً بالأزهر وفضله على المسلمين ، ورأيت الشعب والحكومة فى ذلك القطر الشقيق يحتفلون بعلماء الأزهر ويقربونهم منهم ، ويقفون إمامة المساجد الكبرى عليهم (كالجامع الأموى) . وقد طفت ببعض هذه المساجد فوجدت حلقات الدروس يقوم عليها جماعة من العلماء الأزهريين ، يعلمون الناس ويعظونهم .

ومما لاحظته أن الناس هناك لا يستفتون فى دينهم بل وفى دنياهم إلا العلماء الأزهريين ، والمشاهد أن الأزهر أكسب مصر فى العالم الإسلامى كله مركزاً ممتازاً وسمعة طيبة ، بل كان الأزهر أهم الأسباب الرئيسية التى مكنت لمصر فى زعامة العالم العربى .

وما أشك فى أن هؤلاء الكتاب الذين يحاولون أن تتخلى مصر عن الأزهر ، إنما يحاولون أن تتخلى عن هذه الزعامة !

فعلى هؤلاء الذين يتجنون على الأزهر هذا التجنى ، ويكيدون له هذا الكيد ، أن يلبسوا العمائم ، ويطوفوا بالبلاد العربية والإسلامية على أنهم من علماء الأزهر ، ليعرفوا كيف يستقبلهم الناس ، وكيف تحتفل بهم الشعوب ، وليروا أن هذه الجامعة المصرية الأصيلة تحتل فى هذه البلاد مكان الحب والقداسة !!

دكتور محمد أحمد الشامى

طنطا — من جامعة ومستشفيات ليون

الخطوة الثانية

ألم تر للضربة القاضية	يسمونها الخطوة الثانية
يروم المضلون أن يقذفوا	بصرح « المعز » الى الهاوية
وأى مكان يرى بعده	لدرس شريعتنا الغالية
فقل للذى قد تربى به	وأضحى الى هدمه داعية
رويدك لا تمش فى فتنة	فتكوى بنيرانها الحامية

كفر مجاهد ــ بحيرة — **محمد محروس عبد الله**

عقدة نفسية

« وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »

يحلو لبعض الناس أن يخالفوا ليعرفوا، وخاصة من يشعرون بمركب النقص فيهم، ومن هؤلاء الدكتور « طه حسين »، فإنه لا يفتأ - الفينة بعد الفينة - يذكر الناس بوجوده، متصديا لهم في أمر أجمع العقلاء على تقديسه. وقديما خرج علينا بكتابه « في الشعر الجاهلي » منكرا الحقائق الثابتة عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، ومتحديا كتب الله المنزلة على رسله من توراة وانجيل وقرآن.

وما كان يهم الدكتور أن يقف جانبا والأمة علماء ونوابا وشيوخا في جانب آخر، حتى حوكم يومئذ وحكم عليه بابعاده عن دور التعليم، لكيلا يلقن النشء البريء ما أملاه عليه سادته المبشرون من أمثال « زويمر » ومؤلف كتاب (مقالة في الاسلام) وصاحب الذيل عليها.

ألم يخرج الدكتور على إجماع الأمة في ثورتها الأولى عام ١٩١٩ منددا بزعيمها « سعد زغلول » خدمة للأحرار الدستوريين متقاضيا أجرا شهريا من جريدة السياسة. فلا عجب أن يخرج علينا اليوم ببدعة جديدة « هي إدماج معاهد الجامعة الأزهرية في وزارة التربية والتعليم » مبتغيا بذلك توحيد التعليم على زعمه، معتبرا أنها الخطوة الثانية، بعد إدماج القضاء الشرعي في القضاء الوطني، ولماذا لا يوحد التعليم الديني والمدني، مادامت الأمة واحدة ؟.

ولو تليت عليه الصفحة الأخيرة من صحيفة الجمهورية، التي كتب فيها ما كتب، لما له أمر الجامعة المصرية، فتدهور معلومات خريجيها وخريجاتها وقولهم في امتحان عام للالتحاق بوظائف مصلحة السياحة « إن المسيح عليه السلام ولد من خمسمائة عام. وإن القناطر الخيرية بأسوان، وإن بينها وبين القاهرة مائة كيلو متر، وإن قلعة القاهرة بناها

فابليون ، وإن تعداد القطر المصرى مائة وخمسون مليونا ، وإن الزكاة نظام اقتصادى وضعه أبو حنيفة ، وإن عاصمة لبنان « يافا » إلى آخر هذا الهراء الذى لو تليت عليه واحدة منه لكان حقا عليه أن يطالب بضم الجامعات المصرية إلى الجامعة الأزهرية .

ومن عجب أن يطالب الدكتور بافناء الجامعة الأزهرية فى غيرها مع علمه بأنها ليست ملكا لمصر وحدها ، وإنما هى ملك للعالم الإسلامى كله من مشارق الأرض إلى مغاربها ، يستوى فى ذلك المسلم الصينى واليابانى والروسى والأندونيسى والهندى والمصرى والمغربى والمراكشى — ومع علمه كذلك أنها الجامعة الوحيدة التى تقبل بين طلابها ذوى العاهات من مكفوفين ومقعدين . ولولاها ماسمعنا عن الدكتور طه وأمثاله . فهى التى نشأته وعلمته وقومت لسانه حتى صار إلى ما صار إليه .

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

وما علة ذلك إلا العقدة النفسية المتأصلة فى الدكتور ، والتى يتبينها كل من قرأ له فى مجلة «آخر ساعة» عن تاريخ حياته ، وأنه طرد من الامتحان لسوء أدبه وتجنيه على العلماء ، فلم يظفر بشهادة العالمية .

وأخيرا : لحساب من يكتب الدكتور ولاسيما فى موسم التسليح ، وهو لا يكتب حسبة لله والوطن ؟ .

ترى هل هو يكتب لحساب دار الكاتب المصرى ؟ . فليعلم أن مايهدف إليه لايسىء الى مصر وحدها وهى الحريصة حكومة وشعبا على الوحدة العربية ، وانما يسىء الى العالم الإسلامى والجامعة العربية ورئيس الحكومة المصرية المسلم الغيور ، كما يسىء الى الذين يرون فى الأزهر ورجاله قادة للرأى والفكر وهداة للاسلام .

وهل هذا يشفى الدكتور من مركب النقص الذى يضيق به ويبرئه من عقدته النفسيه ؟! اللهم ان كان هذا دواءه فزده داء ، وأنزل عليه بلاء ، وباعد بينه وبين الشفاء . انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . والسلام على من اتبع الهدى »

دمنهور

ابراهيم زكى
عضو الشيوخ السابق

اتقوا الله فى الأزهر
أيها المفتونون

غضبان ممتلئا على إهابه   إنى وحقك سخطه يرضينى

اتقوا الله أيها الناس ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة .

أيها المفتونون : اذا كان للمسلمين قبلة واحدة ، وكعبة واحدة ، ورب واحد ، ونبى واحد ، وقرآن واحد ، فاعلموا أن ليس للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلا أزهر واحد ، هو للشعوب الإسلامية قاطبة مصدر ثقافتها الدينية ، ومصدر لغتها العربية ، ومصدر دينها الحنيف ، ومثابة الناس فى الأرض ، وأمنهم فى الحفاظ على معجزة نبيهم الكبرى . كل من حوم حوله بسوء قصمه الله قبل أن يرد ، ذلكم لأن غيرة الله على دينه الذى ارتضاه لعباده ، وغيرة القائمين فيه على لغة كتاب الله الكريم ، وعلى فهم كل مايتصل بفهم هذا الكتاب من شتى العلوم والمعارف ، قديمها وحديثها ، فى صبر وجلد وفى رضا واطمئنان . كل ذلك لن يدع ظالما يفلت ، ولن يدع مدخولا فى نفسه أو فى دينه ، لينفذ اليه بشر من بين أقطار السموات والأرض ، ليصيب كتاب الله بشىء فى مكان قدسيته من قلوب المسلمين .

هذا يا قوم هو منطق العقيدة السليمة ، وهو منطق الإيمان الصادق بالدين وبالوطن ، وهو منطق رجال ثورتنا يوم أن انتصروا — فى ثورتهم البيضاء — على الشر والفساد ، وعلى الطغيان والاستبداد ، وعلى عبادة الشيطان والانسان ، فحرروا البلاد من الاستعمار ، والوطن من الأشرار .

وهذا يا قوم هو سلاح الذائدين — حقا — عن الدين والوطن . نعم « عن الدين والوطن » . ومن شب على غيرهما استوت عنده ظلمات مهده ، وظلمات لحده .

لهذا أحذركم أيها المفتونون بشىء غيركم أن تخيلوها فرصا سانحة فى « خطوة ثانية أو ثالثة » لعلها أخذ بثأر قديم ، أو شفاء لغيظ محنق ، أو اشباع لنفس شغوفة بشىء غيرها

وكم مالئ عينيه من شىء غيره   إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

انا نسائلكم يا قوم عن واحدة ، ثم نعظكم بواحدة .

ماذا تريدون وراء توحيد التعليم الدينى والمدنى بعد أن اقترحتم فى كل يسر وسهولة لوسائل هذا التوحيد عندكم ما نصه : ثانيا « يوضع منهج مطابق لمنهج التعليم العام فى

وزارة التربية والتعليم ويفرض على المعاهد الابتدائية والثانوية الأزهرية » هـذا هو توحيدكم ! فما قيمة قولـكم فى البند (أولا) مع البند (ثانيا) « يظل التعليم الابتدائى والثانوى جزءا من الأزهر كما هو »

هــذا كلام له خبىء معناه ليست لنا عقول

أليس معنى هذا هو هدم المعاهد الدينية الاسلامية الابتدائية والثانوية فى الجمهورية المصرية وما جرى على غرارها أو سيجرى فى سائر العواصم والبلاد الاسـلامية الشرقية والغربية ؟ وأنت الذى يحز فى قلبك يا دكتور ما لم تستطع أن تحبس عنه لسانك فتقول : « تنشئ الدولة معاهد للتعليم ، فينشئ الأزهر معاهد على نحو ما تنشئ الدولة ، وتنشئ الدرجات الجامعية ، فينشئ الأزهر الدرجات الجامعية » وتريد أن تلغى كتب البلاغة فى الأزهر بل تلغى دروس البلاغة كلها ، تلك التى بها يعرف الايجاز والاعجاز فى القرآن ، ثم تقول : (ليدرس مكان ذلك النقد العربى ومذاهب النقد الحديثة فى الغرب) هذا هو اصلاح الأزهر فى نظر الدكتور ، وهذه هى ثقافته «الثنائية» لاهى شرقية ولاهى غربية ، لعله يريد أن يفرض نفسه فرضا على الأزهر ليدرس لطلابه مذاهب النقد الحـديثة فى الغرب ، اذا تم له ما يريد لهذا المعهد التاريخى الخالد القائم على لغة الضاد ! !

أم تريد ـ يامعرى زمانك ـ بعد هذا التوحيد أن يفتى عالم الغد ، كما أفتى بعض خريجى التعليم المدنى اليوم بالاباحية المطلقة والتحلل الأخلاقى ، فتنقل من عبء الوطن الى مايعانيه من تفكك الأسر ، وانقلاب موازين العدالة ، الى اضطراب فى العقائد ، وميوعة فى الأخلاق ، وتدهور روحى بالغ أقصى غايات التحلل والانحلال ؟؟ .

وان لم ترد هــذين الأمرين معا أو أحد هذين الأمرين ، أفتريد أن يفتى عالم الغـد المصنوع من توحيدك المدخول ، أن يفتى هذا العالم فى دينه ، وفى كتاب الله ، وفى حديث رسول الله ، وفى أحوال الناس ، ومعاملات الناس ، وعبادات الناس ، وفى جميع الصلات بين العبد والعبد ، أو بين العبد والرب ، بمثل ما يفتى به بعض خريجى التعليم العام فى الدولة الدارس جغرافية مصر بأن بانى قلعة القاهرة هونابليون ؟ أوكما أفتى بعض هؤلاء من دارسى التاريخ المصرى ، أن السيد المسيح ولد ومضى عليه من الزمن خمسمائة عام منذ الميلاد ، وهو فى سنة ١٩٥٥ من الميلاد ؟ أو كما أفتى بعض هؤلاء من دارسى جغرافية القاهرة وهو مقيم فى مدينة القاهرة ، أن القناطر الخيرية مقرها أسوان ! ! وأخيرا وليس آخرا كما أفتى بعض هؤلاء من دارسى النظام الاقتصادى فى التعليم العام للدولة ، أن الزكاة انما هى نظام اقتصادى

اخترعه أبو حنيفة ؟! . الخ الخ . اقرأ صفحة ١٢ من جريدة الجمهورية بعددها رقم ٧١١ في ٢٧ / ١١ / ١٩٥٥

أيها المفتونون بشيء غيركم : لا أقسم عليكم بالله ، ولا بآيات الله ، ولا بشرف هـذا الوطن البريء النزيه ، وانما أستحلفكم بضمائركم ، ولـكن حين تهجعون اليهـا أو حين تثوب هي اليكم ساعة من ليل أو من نهـار ، أن تثوبوا الى رشدكم وأن تتأملوا ـ اذا لم تتألموا ـ عظتي لـكم حين تأوون الى مضاجعكم .

وأنت أيهذا الدكتور يا من يقولون عنه : إنه عميد الأدبين ! ! ، وربيب المعهدين ! ! ، ومخضرم الثقافتين ، أراضية نفسك عما كتبت ؟ أو حقا أخذك الفرح ونشوة النصر بهرا مما كتبت ؟ أو حقا أنك تعتمد أكثر ما تعتمد على حواريك فيما كتبت ؟ لقد أغمضت عينيك مرارا حينما كتبت ما كتبت ، وأغمضتهما مرارا حينما استمعت الى قراءة ما كتبت ، وأغمضتهما مرارا أيضا حينما استعدت على سمعك قراءة ما أمليت وما كتبت ! ! ولعلك حبست نفسك وحبست نفسك أكثر من مرة حينما أعجبت بما كتبت ، فالك هالك أن ينهش مخزون رأيك وعقلك (نمر) من نمور الأزهر أو شبل من أشبال الأزهر ، أو أسـد من أسود الأزهر ، وحتى خيل لك آخر الأمر أنها تعبئة عامة « ضد خطوتك الثانية » فيها قذائف مدمرة مرة ، وفيها حقائق حرة ، وكنت أول هذا الأمر قد فرضت نفسك على الناس فرضا ، وأنك الفارس المغوار ، فلك القنا الصلاب والأفراس الحسان .

فأنشدت :

ومن ربط الجحاش فأن فينا   قنا صـلابا وأفراسا حسانا

وليس ممـا ينبغي أن تنسى في هذا الميدان :

وإذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الطعن وحـده والنزالا

وظننت أن حماسك هذا لا يعرفه الا الآفلون ، لأنه لا يقرؤه الا الآفلون ، فتعرضت وظننت قومك لا يعرضون (بالفتح يا دكتور) وحومت وظننت القوم لا يردون .

ولقد صدقت اذ صدقت ، ولا أكذبك في الأولى ، ولـكن أصدقك اذ أنشدك :

أتاني أن جحش بني كليب   تعرض حول دجـلة ثم هابا

فأولى أن يظـل البحر يطفو   بحيث ينـازع المـاء السحابا .

عن هيئة التدريس بمعهد قنا

عياض سيار
شيخ المعهد

الأزهر يجب أن يبقى

أمران لا ثالث لهما : إما أن نكون فى حاجة الى الدين فيبقى الأزهر ، وإما أن نكون فى غنى عنه فنلغيه ونستريح منه .

والشيء المحقق أن الناس لا يستغنون عن رسالة السماء ، ولا يستطيعون العيش إلا فى ظلال الدين، ولا يمكنهم أن يحيوا حياة طيبة إلا إذا اتبعوا وصاياه ، واهتدوا بهداه، وما أظن أحدا يجحد ما للاسلام من أثر فى تحرير النفس ، وتنمية العقل ، وتقوية الخلق ، وإصلاح الفرد والأمة ، وتوثيق الروابط بين الناس بعضهم مع بعض، وبينهم وبين الله جل وعلا .

وإذن فلا غنى عن الأزهر ، لأنه هو الحارس الوحيد لتعاليم الإسلام ، والقائم على نشرها وتعليمها ، والذائد عن بيضته ، والمدافع عن حوزته . فله فى عنق كل مسلم دين يتقاضاه منه ، ويسأله عنه . فهو صاحب الفضل علينا فيما تعلمناه من دين ، وما استفدناه من فقه ، وما عرفناه من أحكام الصلاة ، والصوم والزكاة ، وبقية الأحكام التى شرعها الله .

ولا ننسى فضل الأزهر فى الحركات الوطنية ، فالزعيم أحمد عرابى قائد الثورة الأولى، والزعيم سعد زغلول قائد الثورة الثانية، كلاهما نبت من الأزهر ، وتغذى بعلومه، وأثرت فيه تعاليمه الدينية ، وروحه الحماسية ، فقام كل منهما يدافع بحرارة عن أمته ، ويناضل بإخلاص فى سبيل وطنه ، ويسعى جاهدا ليخلصه من ربقة الذل والعبودية ، وليفك عنه القيود والأغلال .

وإذا كانت هذه الثورة الميمونة ثورة ٢٣ يوليو استمرارا وامتدادا لما سبقها من ثورات باعتراف قادتها أنفسهم، فأنه من السهل علينا أن ندرك فضل الأزهر على مصر فى كل ما أصابها من خير ، وما بلغته من مجد وسؤدد .

إننا فى حاجة قصوى الى رسالة الأزهر، فلا يمكن أن نستغنى عنه الا اذا استغنينا عن الدين، ومعاذ الله أن نرى ذلك اليوم الذى نفرط فيه فى ديننا، ونجهز فيه على أزهرنا، ونتنكر فيه لتراثنا . لهذا يجب أن نبقى على الأزهر، وأن نعينه على أداء وظيفته، ولا نعوقه عنها؛ واذا كنا نلحظ عليه نقصا فى التعليم فليس وحده الذى أصابه الضعف ،واعتراه الوهن، فكل نواحى الحياة عندنا فى حاجة الى الإصلاح والتدعيم ، والأزهر كغيره يجب أن نكمله

مع الاحتفاظ بالغاية التي نهدف اليها من بقائه ، وهى حماية الدين ، واستظهار كتابه ، وحفظ لغته ، ونشر تعاليمه .

وهذه مهمة شاقة تحتاج الى أن يتوفر لها نفر من الأمة ، ويتخصص لها فريق منها ، خصوصا فى هذا الوقت الذى أطلت فيه الوجودية بعنقها ، وطغت فيه المادة على كل شيء ، وظهرت فيه بوادر الكفر والالحاد ، وانتشرت فيه المبادئ الهدامة . ولا يعاب على الأزهريين أن يتخصصوا فيما تخصص فيه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، لا يعاب عليهم أن يكونوا ورثة الأنبياء فى العلم وهداية الخلق ، فهذه هى مهمتهم الأولى والأخيرة .

اننا اليوم أحوج الى رسالة الأزهر من كل وقت مضى ، فعلينا أن نعبد الطريق أمام الأزهريين ، ونعينهم على أداء واجبهم ، ونصون هذا المعقل لذى حفظ الدين واللغة أكثر من ألف عام .

إن فينا من يهتم بأحياء تراثنا الفرعونى الذى يتصل بجنسنا . فلا يصح لنا - كأمة مسلمة - أن نغفل تراثنا الدينى الذى يتصل بديننا ؟!

دكتور

عبد الفتاح عبد الحميد

الأزهر والثورة

يا ثورة أيقظت فى مصر وسنانا ... وتوجت هامها علما وعرفانا

أرست دعائمها فى كل ناحية ... وبدلت مصر جنات وعمرانا

كل الطوائف تشدو اليوم تالية ... آيات حمد وتزجى المدح شكرانا

والأزهريون مذ كانوا ومذ وجدوا ... لا يبخلون ببذل النفس قربانا

فلا ترى ثورة تبدو طلائعها ... إلا وجدتهمو شيبا وشبانا

وهذه الثورة الكبرى مذ اندلعت ... كانو فداء لمذكيها وأعوانا

قام الشيوخ إلى التدريب فى لهف ... كانت كتيبتهم للفخر عنوانا

وما توانى شباب عن مفاخرها ... وكلهم حرس قد خاض ميدانا

للأزهريين صولات مدوية ... كم حررت من قيود الذل أوطانا

السباعى الشناوى

المراقب بكلية الشريعة

تحرير الأزهر

إذا كان لرجل التحرير ما يجب أن يقوله فى الضجة الصاخبة التى أثيرت حول الأزهر ونظامه القائم، فإن خير ما يعرض له هو مكانة مصر بين أمم العالم الاسلامى، تلك المكانة التى اقتعدتها مصر بفضل الرسالة الإسلامية التى حققها رجال الأزهر فى عصوره المختلفة، فكان لها هذا الفيض الغامر من التقديس والإكبار . . .

نعم ان مصر الناهضة التى حررت الآراء من الرجعيـة ، والأفكار من الإباحية ، جديرة بأن تحرر المجد الذى تسنمته ، والدين الذى ارتضته ، من دعاة الهدم والتعويق ، والرجوع بسمعة أكـبر جامعة اسـلامية فى العـالم الى الانهيار والفناء ، لا سيما فى عهد (جمال عبد الناصر) واخوانه المؤمنين .

لقد ارتفعت أصوات جاحدة لمصر، قبل جحودها لرسالة الإسلام، تنادى بتقويض دعائم ارتفعت عليهـا صروح الزعامة الدينية للعالم الإسـلامى ، وما من صوت من تلك الأصوات التى ارتفعت الا وفى قلب صاحبـه جرح لا يندمل من رجال الأزهر وحماة الأزهر ، ففى الوقت الذى يتوسع فيـه الغرب فى اقامة الإرساليات، وبعث البعوث لنشر المسيحية والتبشير بها فى أرجاء العـالم، يفزع نفر عرفوا بنزعتهم الإلحادية لتقويض بنـاء قائم ، ونظام شامخ لعزة مصر والأمم الاسلامية !!.

ماذا يبقى لنـا اذا فقـدنا أثمن درة حرصت عليها الأجيال المتعاقبة ، وورثنا اياها رجال مؤمنون صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؟.

ماذا يبقى لنـا اذا جارينا طريد الأزهر ومن لف لفه، فطمسنا هذه المعالم التى أوضحها دين محمد وأنصار دين محمد، وقنعنا بالقشور دون اللباب قناعة تطمس القلوب وتظلم العقول؟!

ماذا يبقى لنـا إذا اندفعنا وراء هذه الآراء الجـاحدة ، وشغلنا بالعاجلة عن الآجلة، فمحونا المعاهد الدينية ، وأدمجناها فى مراحل التعليم ، أو اخترنا لها أعلى مرحلة منها ؟!

الله الله يا سادة . . ! فلن يكون إيمان بوطن، ولا تقديس لعقيدة، ما لم نحرر الإسلام من زيف المحدثات والبدع ، وما لم نضرب على الأيدى التى تعمل فى الظـلام ليعود الإسلام غريبا !!!

لم يقف فى وجه الطغيان والاستعمار إلا هـذا البناء الذى أسس على تقوى من الله ورضوان، ولم يزلزل عروش الملوك الطغاة فى مصر والشرق الإسلامى، و يرجعهم الى حظيرة الاعتدال والقصد إلا شيوخ الأزهر ، ولم تشتعل الثورات المؤمنة لإصلاح الأمة والملة إلا بوحى و إشعاع من اخلاص جماعة تفرغت لدراسة هذا الدين الحنيف فى مبانيها القائمة الخالصة من شوائب المضللين والمرجفين وأصحاب الآراء الباطلة .

لقد لفظ الأزهر من أعمى الله بصيرتهم ، وطهر نفسه وسمعته ممن أضلهم الله على علم ، وأعطاهم درسا أبقى له كيانه ، وحفظ عليه كرامته ، بخرفتهم فتنة الدنيا ، واستهواهم بهرج زينتها ، ومع ما هم فيه من النعمة أو النقمة لم ينسوا حقدهم الدفين وداءهم الدوى ، فأشعلوها حربا تنقص من دينهم « و يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

الله الله يا سادة . . . فما (جمال الدين الأفغانى) ، ولا (محمد عبده) ، ولا (سعد زغلول) ولا غيرهم من حملة ألوية الاصلاح دينا ودنيا بمقرة أرواحهم لدعوة تذهب بجوهر الاصلاح الذى أرادوه ، والوطن الذى أقاموه، بصرف المسلمين والمواطنين عن ملاذهم الذى اعتصموا به ، ومنارهم الذى التفت قلوبهم حوله .

وأنتم يا قادة الثورة . . يا من عرفتم بضوء البصيرة وصفاء السريرة ، وقامت ثورتكم بتأييد من الله ونصره، فحطمت رأس الطغيان، وأزهقت الزور والبهتان، لن تتخلى عنكم رعاية الرحمن ، ولن تخطئكم دوافع الإيمان، عندما تستمعون القول فتتبعون أحسنه، وتؤدون زكاة التمكين لكم فى الأرض، والإعزاز لكم فى مصر والشرق، باعزاز أهل الدين و إعلاء كلمة الله .

ان مصر والعالم الاسلامى ينظران اليكم نظرة الاكبار والاعظام ، وان أمل الأجيال المتعاقبة فى الأزهر المعمور ليزداد بكم تطلعا الى آفاق فساح، تزيد الإسلام عزا على يديكم، بأن تبنوا له فروعا على غراره ونظامه ، فى كل بلد إسلامى وغير إسلامى ، لا أن تهدموا دوره ومعاهده، وتنقضوا أسسه وقواعده، وتبقى الفاتيكان مزدهرة بالبابوية، والإرساليات هاتفة بالنصرانية .

والله المسئول - حمدانه وسعدانه - أن يزيدكم هدى و بصيرة، وأن يجنبكم مزالق الضلال والفتنة ، وأن يرد عن وطننا وديننا كيد تلك الشرذمة التى يبتلى بها الاسلام فى كل زمن .

انه سميع الدعاء ، ومحقق الرجاء ، والسلام على من اتبع الهدى ما **عبد الغنى سلامة**
سكرتير هيئة تحرير شبرا النملة

بين الآونة والأخرى

بين الآونة والأخرى تطلع علينا بعض الصحف بمقالات وآراء لمن غرتهم زخارف المدنية الغربية ، فبعضهم يزدرى الثقافة الشرقية ، وبعضهم يريد أن يتدرج لإلغاء الأزهر تحت ستار توحيد التعليم . وليست هذه الفكرة وليدة اليوم ، ولا هى بالرأى المبتكر ، وإنما هى فكرة المستعمرين ، ورأى قديم كثيرا ما رددته ألسنة المبشرين ، فسرت العدوى الى هؤلاء المخدوعين ، فتغنوا به بين الحين والحين ، فنراهم كلما أحسوا من الأمة غفوة يجهرون بمثل هذه الآراء ، ظنا منهم أن الوقت قد حان لتنفيذ مكيدتهم وإحكام ضرباتهم .

وفاتهم أن الأزهر — وهو مفخرة الشرق ، وكعبة العلم فى العالم الإسلامى كله — قد قام بحفظ تراث عزيز على كل مسلم ، نصان للأمة الإسلامية دينها ولغتها وكتابها من أن تمتد إليها عوامل الإهمال ومعاول الهدم والطغيان .

فيا حضرات الدكاترة والفلاسفة : ما كانت منزلة الأزهر لتهون على الأمة المصرية والعالم الاسلامى ، حتى يقضى فيه بهذه الآراء المغرضة والأفكار الخاطئة .

وانا لنرجو الله أن يحفظ الأزهر للاسلام والمسلمين ، وأن يهيئ له من يعينه على أداء رسالته فى نشر تعاليم الإسلام وحفظ لغة القرآن .

وكم كنا نود من حضرات الكتاب الذين يبتغون الاصلاح أن يوجهوا أقلامهم الى العناية بأمر الدين ، والعمل على تعليمه وتعميمه فى مدارس الحكومة وجامعاتها ، حتى نأمن على أبنائنا — الذين هم عدة المستقبل — من المبادئ الهدامة والمذاهب (الوجودية) التى يهدد انتشارها نظام المجتمع ويقوض دعائمه .

وأملنا كبير فى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يقف لهؤلاء المغرضين بالمرصاد ، والله معه وصالحو المؤمنين « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز » .

أحمد محمد الوكيل

رئيس الغرفة التجارية بدمنهور — ورئيس جمعية المواساة الإسلامية

تراث آبائنا ذخر لنا

المتشرف بكتابة هذا المقال الصغير من الذين انطبعت قلوبهم على حب كل شيء عربي، لعقيدته أن العرب كانوا مصدرا لمدنية عظيمة، في الوقت الذي كان العالم فيه يعيش في الظلمات، فكان منهم المحاربون كالفاتح الخالد: خالد بن الوليد، وطارق بن زياد، وقد وصلوا في فتوحاتهم حتى الهند واسبانيا، ودانت لهم الدنيا شرقا وغربا، وانتشر الإسلام، في حقبة قليلة من الزمن.

ولم تقف مدنية العرب عند فتوحاتهم وغزواتهم، بل كان منهم علماء الفلك والكيمياء والطب والمؤرخون، وكل هؤلاء وأولاء قد تركوا لنا ثروة علمية وأدبية تزخر بها مؤلفاتهم وكتبهم. فاذا رجعنا مثلا إلى كتب الشريعة وجدنا أنها تحوى من المذاهب والآراء سواء في المعاملات أو العبادات ما لم يصل إليه عقل البشر في العصر الحديث.

والأثر الخالد البارز لمدنية العرب والذى سيبقى ما بقى الزمن هو الأزهر الشريف، ترنو إليه الأبصار وتتجه إليه القلوب، فهو رمز أمانينا، وقبلة آمالنا، ومعقد رجائنا. منه نشأ آباؤنا وأجدادنا رضوان الله عليهم، وفيه اعتلى خطباؤنا المنابر منادين باستقلال بلادنا، بل هو وحى الحرية ومهبطها لا للمصريين فحسب بل لكل أمة تنشد الاستقلال والحرية.

منذ ألف عام أنشئ الأزهر، فسطع بنور العلم والمعرفة، واتجهت أنظار العالم إلى قبلته، ووفدت إليه الوفود، وأمه الطلاب من مشرق الأرض ومغربها. وانك لتجوس خلال أروقته فتجدها قد جمعت من كل الأجناس، أتت ساعية آخذة بأسباب العلم والمعرفة. فاذا كان العالم يتيه اليوم بهيئة الأمم، فلنا أن نزهو ونفخر بالأزهر الشريف الذى ضم بين جوانبه مختلف الأجناس، وقد جمعت بينهم وحدة الغرض ونبل القصد.

منذ ألف عام كان أزهرنا مشيدا، وكانت أوربا وغيرها غارقة في الدياجير والجهل، محرومة من نور العلم والعرفان. فاذا كان الأزهر هو تراث أجدادنا، وخير ذخر لنا، فعجبى تلك الصيحة التى تنادى بأن نمسخه ونخرجه عن رسالته السامية.

وأولئك الذين ينادون بذلك ، ويجاهرون به ، ويسخرون أقلامهم فى هذا السبيل ، ويدبجون المقالات لينشروها على الناس ، إنما يهدمون خير ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا وأسلافنا ، ولم يراعوا فيما يكتبون إلا ولا ذمة ، ولا حفظا لتراث الآباء والأقدمين .

على أن وجه الخطأ ليس فيما تقدم فحسب ، بل إن طلاب الأزهر والمعاهد الدينية يشترط فيهم حفظ القرآن وتجويده قبل الالتحاق به ، وقد يصل السن بالصغير حتى يحفظ كتاب الله الكريم إلى الثانية عشرة من عمره ، فإذا طبقنا على هؤلاء الطلاب قوانين وزارة التربية والتعليم فيما يتعلق بالسن مثلا ، لألزمنا هؤلاء أن يلتحقوا بالأزهر فيما بين السادسة والسابعة حيث يكون النشء طفلا لا يعرف القراءة والكتابة ، ونتيجة لذلك لا تمضى إلا سنوات قليلة حتى يكون كتاب الله أثرا بعد عين ، وهو أمر لا يرضاه صاحب الكتاب جل جلاله وعظم شأنه .

على أن الأزهر والمعاهد الدينية لم تقف جامدة فى هذا السبيل ، بل سايرت الزمن ، وتطورت مع المدنية ، ففيها تدرس العلوم المدنية جنبا إلى جنب مع العلوم الدينية والشريعة الإسلامية واللغة العربية .

فيا قوم ، اتقوا الله فيما تفعلون ، واعلموا أن الله عليم بما تظهرون وما تبطنون . والله الهادى الموفق لنا أجمعين ؟

حسين أبو شليب
المحامى بطنطا
أمام محاكم الاستئناف العليا ومجلس الدولة

بل الأزهريون

يؤمنون بالكتاب كله

قرأت بالجمهورية الصادرة يوم ٢٧ / ١١ / ١٩٥٥ مقالا للدكتور طه حسين بعنوان : « الخطوة الثانية وإن غضب الغاضبون » .

وسأحصر كلامى مع الدكتور فى نقطتين اثنتين ، وإن كنت قرأت الكتاب كله ، وآمنت به كما آمن به الأزهريون .

(الأولى) يقول الدكتور : قد كتبت مقالين عن هذه الخطوة الثانية لم أذكر فيهما صريحا ولا تلميحا اغلاق الأزهر ولا إلغاء التعليم الدينى فيه ، ولا إلغاء التعليم الدينى فى غيره من المعاهد والمدارس على اختلافها .

ونحن نقول معك يادكتور : إنك لم تقل ذلك صريحا ولا تلميحا ، ولا يستطيع غيرك حتى الكافر الصريح أن يقول : أغلقوا الأزهر وألغوا التعليم الدينى فيه وفى غيره ، ولكنه يعمل لذلك من بعيد ، يعمل لذلك بطرق قد تخفى على الأحداث الصغار ، ولكنها لا تخفى على الممارسين المتدربين ، وهل نادى دنلوب بالغاء التعليم وإغلاق المدارس حين أفسدها وجعلها لا تخرج إلا طائفة محدودة ضعيفة التعليم تكفى لصغار الوظائف ، كما يعرف ذلك المثقفون الكبار فى بلدنا ، وكما يعرفه الدكتور طه نفسه .

قل لى يا دكتور: ما رأيك فيمن حفر بئرا فى طريق يسلكه أعمى لا طريق له سواه فتردى ذلك الأعمى فى البئر ومات ؟ ما رأيك ؟ هل تقول إن هذا الحافر لم يقتل ذلك الأعمى بيمينه ولا بشماله فلا عقاب عليه ؟ . لست أعرف ما تقول ، ولكنى أعرف ما يقوله علماء الإسلام من أن هذا الرجل الذى حفر البئر فتردى فيها الأعمى قاتل بلا ريب ، فأن كان قد حفر البئر بقصد أن يتردى فيها ذلك الأعمى فيموت ، فأنه يكون قاتلا عمدا يقتص منه كما يقتص من القاتل المتعمد بالرصاص أو غيره .

أنت ـ يادكتور فى فكرتك ـ كحافر تلك البئر ، لم تطلب إغلاق الأزهر ولا إلغاء التعليم الدينى فيه ، ولكن تطلب ما يحقق ذلك بأجلى معانيه ، فتطلب توحيد التعليم فى المرحلتين الأولى

والثانية ، أى أن الطالب يبتدئ فى سن الخامسة، ومتى يحفظ القرآن الكريم إذن؟ وهو أصل الإسلام ومنبعه الصافى ؟

ظاهر جدا أنه لا يحفظه ، ثم يتعلم ذلك التعليم البسيط القاصر على أوليات العلوم ومباديها ، وهل يرجى من الطالب — وقد قطع المرحلتين الأوليين على هذه البساطة — أن يلم بعد ذلك بفروع الشريعة و يكون على بينة منها ، و يحسن تفسير القرآن الكريم وهو غاية فى الدقة ، و يتفهمه على وجهه الصحيح ، وهو محتاج الى التضلع فى علوم اللغة العربية والتوسع فيها وفى متن اللغة وفى علوم البلاغة ؟

إنه عند ذلك بلا ريب يخرج الأزهر قوما كأولئك الذين يذكر عنهم السيد عميد الإمام — فى عدد الجمهورية الذى به مقالك — أنهم سئلوا عن ميلاد السيد المسيح ، فقالوا : ولد منذ خمسمائة عام ، وسئلوا عن بانى القلعة ، فقالوا : بانيها هو نابليون بونابرت ، وسئلوا عن الزكاة ، فقالوا : إنها نظام اقتصادى اخترعه أبو حنيفة ، وهم — كما يقول السيد عميد الإمام — مجموعة من حملة الشهادات العليا الذين أتموا تعليمهم وتخرجوا فى الجامعات ، والمفروض أنهم حصلوا على قدر كبير من التعليم ، أتريد يا دكتور أن يخرج الأزهر أمثال هؤلاء ؟ وهل عند ذلك يبقى الأزهر مفتوحا والتعليم الدينى قائما فيه ، أو أن هذا اغلاق للأزهر لا يرجى فتحه بعده ، و إلغاء للتعليم الدينى إلغاء تاما ؟ !

قل لى بربك يا دكتور ، إذا وصل التعليم الى هذا الحد بسبب توحيد التعليم الذى تطلبه هل يبقى للأزهر أثر أو للتعليم الدينى من باقية ؟ . ولعلك — عند ذلك يادكتور — تقول : الآن يتعلم الأزهريون كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس .

(الثانية) يقول الدكتور : إنما طبيعة الإصلاح أن يمتاز الأزهر أولا بتعليمه الدينى ، وأن يمتاز بهذا التعليم الدينى من الناحيتين العملية والعلمية ، فيهيئ شبابه للنهوض بالأعباء الدينية التى تحتاج اليها الحياة العامة من جهة ، وللتفرغ للبحث العلمى الخالص فى شئون الدين من جهة أخرى ، هذا النحو من الامتياز بالتعليم الدينى والاستئثار بالمناصب الدينية فى الحياة العامة لا غبار عليه ولا جدال فيه . و إنى — وأنا فى سمتى وأدبى — أسائل الدكتور وأرجو أن يتنازل مؤقتا عن تعصبه لرأيه وعن لجاجته فى العناد ، حتى يجيب بما يحسه فى نفسه ويشعر به فى ضميره ، إنى أسائله : **هل يبقى للأزهر هذا الامتياز اذا اتحد التعليم**

فى المرحلتين الأولى والثانية ؟ هل يبقى له هذا التفوق وتلك البراعة فى الدين وعلومه ، ويستحق بجدارة أن يلى المناصب الدينية ؟

الله يشهد ، والمنصفون يشهدون ، أن الطالب الذى ينشأ على سطحية التفكير وعدم التعمق فيه لا يمكن - وقد نشئ هذه التنشئة - أن يكون عميقا فى فهمه ، دقيقا فى تفكيره وادراكه .

ثم استمع الى الدكتور وهو يقول : أما اذا أراد الأزهر أن يشارك شبابه فى غير هذه المناصب الدينية من الحياة العامة فحقه فى ذلك واضح لا جدال فيه . . . ولكن ينبغى أن يسلكوا طرقها الطبيعية ، وأن يدخلوها من أبوابها المألوفة ، أى ينبغى أن يتعلموا فى معاهد الدولة (المدنية)، وهنا أقول للدكتور - وأنا فى سمتى أيضا - : لقد عثرت يادكتور عثرة لا لعالك منها .

أفكل ما يهمك - يادكتور - أن يتعلم الأزهريون العلوم غير الدينية من طبيعة وكيمياء وجغرافيا بأقسامها والتاريخ بأقسامه والحساب والهندسة والجبر فى معاهد الدولة المدنية ، وعند ذلك يكون الأزهريون فى نظرك يتعلمون كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس ، فإذا تعلموا هذه العلوم نفسها ، وأخذوها بقسط أوفر من غيرهم فى أزهرهم الشريف على نفس الأساتذة الذين يعلمونها فى المعاهد المدنية لم يكونوا فى نظرك يتعلمون كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس .

ألا تعجبون أيها القراء أن يحدث الدكتور وهو الرجل الذكى الأريب ضجة بل فتنة من أجل أن يتعلم الأزهريون فى معاهد الحكومة المدنية العلوم التى يتعلمونها فى أزهرهم ؟! .

ما هذا يا دكتور ؟ ما دخل المكان فى التعليم ؟ اللهم إلا من جهة الصحة وما تبعها ، أما فى العلوم فما دخله وما ميزته ؟ كنت أحسبك يا دكتور تطالب أن تقارن بين طلاب المرحلتين الأولى والثانية فى الأزهر وبين أمثالهم من طلاب المعاهد المدنية ، وعند ذلك كنت أقول - وأنا مطمئن لما أقول - : سيظهر للدكتور التفوق الأزهرى والتوسع فى العلوم التى تدرس فى المعاهد المدنية ، ولكن الدكتور لا يعنيه المعنى العلمى ، وإنما يعنيه أن يتلقى طلاب الأزهر تلك العلوم فى المعاهد المدنية ، ليكونوا فى نظره يتعلمون كما يتعلم الناس . إنى أستميحك عذرا يادكتور - وأنا فى سمتى - أن أقول لك فى استحياء : إنك غير موفق فى تفكيرك ، وأحسبك لا تدرك ما تقول .

وبعد ، فقد زعم الدكتور أن الأزهريين لا يخيفون ولا يقلقون . لا . يادكتور ، الازهريون يخيفون ويقلقون ، بل ويقصمون الظهور ، وقد قصموا ظهرك يوم أن دخلت امتحان العالمية أمامهم ، فلم ينطق لسانك هذا الطويل المكثار بكلمة واحدة ، وأخذوا يلقنونك إشفاقا عليك ، فما كنت تستطيع أن تعيد ما يلقنونه لك ، حتى إذا انتهيت من العلم الاول وقت لتستريح وتسترد أنفاسك التى غابت عنك ، وريقك الذى غار أمامهم ، طلبوك للدرس الثانى ، فأبيت كل الإباء ، ولم تستطع رجلاك أن تحملاك إليهم مرة ثانية ، ولكنهما حملتاك إلى بعض الجرائد فكتبت فيها مقالا بعنوان (ساعة بين اللحى والعمائم) صلت فيه وجلت ، وقلت وقلت ، وكأنك حينذاك كنت تردد قول الشاعر :

عدس ما لعباد عليك إمارة أمنت وهـــذا تحملين طليق

ونسيت قول الشاعر :

وإذا ما خـــلا ... بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

وكان أولى بك ألا تنساه .

ألا تذكر ماضيك يا دكتور ، ألا تذكر أنك كنت من طلاب الأزهر ، فلفظك الأزهر ، أو لعلك أنت الذى لفظته ، لأن ذهنك غير مستعد لفهم علومه .

ثم أنشدت البيت الأخير فى مقالك :

ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا صلبا وأفراسا حسانا

وكان الأولى بك أن تنشده :

ومن ربط الأسود فأن فينا قنا ضخما وأفكارا عجافا

أسأل الله لى ولك التوفيق والهداية ؟

محمد الطنيخى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

[٧]

أبطال التحرير يمجدون الازهر

كان من تجاوب رجال الثورة مع الأزهر فى الدعوة الى تكوين مجتمع صالح : على أساس من الخلق الإسلامى ، والتربية الوطنية ـ أن تحدث أبطال التحرير : السيد ابراهيم الطحاوى السكرتير العام المساعد لهيئة التحرير ، والسيد أحمد عبد الله طعيمة السكرتير العام للنقابات والاتحادات ، والسيد حسين عبد القادر الأمين العام للصندوق بهيئة التحرير ، عن تقدير هذه الثورة للأزهر فى ماضيه وحاضره ، وعن عظيم أملهم فى مستقبله ، والتعويل عليه فى الوصول الى الأهداف التى قامت الثورة من أجلها ، والتى ستظل متجهة إليها فى عزم وجد ونشاط .

وقد أكدوا ـ فى أحاديثهم ـ أنهم انما يعبرون فى ذلك عما يكنه السيد الرئيس « جمال عبد الناصر » للأزهر ، مما هو معروف عنه ، ولا نزال نسمعه ونلمس آثاره فى كل مناسبة .

ونحن ننشر هذه الكلمات القيمة التى ألقيت فى اجتماع أساتذة الكليات والمعاهد بقاعة « مصطفى كامل » بهيئة التحرير العليا .

كلمة السيد ابراهيم الطحاوى

إخوانى .

السلام عليكم ورحمة الله .

أشكر لكم تفضلكم بالحضور فى هذه الندوة الطيبة ، كما أشكر لإخوانى الذين سبقونى فى الحديث ، واستفدنا من نصائحهم وخبرتهم الكثيرة .

وأرجو الله أن يوفقنا دائما فى سبيل الإسلام ، وفى سبيل مصر ، وفى سبيل الثورة ، وفى سبيل الأزهر .

يا إخوانى :

إن خصوم مصر يريدون أن ينالوا من كل ما هو مصرى ، يريدون أن ينالوا من كل ما هو على أرض مصر .

وإن الاستعمار وخصوم مصر يريدون تحطيم هذا البلد ، ولن يتم تحطيمه إلا بتحطيم أركانه ، والأزهر هو الركن الروحى لهذه الأمة ، فإذا هدم هدمت روحانية مصر ، وهدمت مصر بعده .

وإذا فليس بعجيب أن يجنى أعداؤنا على الأزهر ، ولكن العجيب أن نتخاذل نحن ، وأن نضعف نحن ، وأن نفقد نحن الثقة .

ثم استطرد فقال :

واليوم ونحن نريد أن نبنى مجتمعا قويا كريما ، فيه رجولة وفيه خلق ، نعلم عن يقين أن هذا المجتمع لا يقوم إلا على أساس روحى متين .

قد تقيم المادة دولة ، ولكن الروح هى التى تضمن النصر والخلود . إن الدول التى تبنى حياتها على المادية ستنهار ، ولن تعمر إلا الأمة التى احتفظت بروحانياتها . والمستقبل لمصر بلد الأزهر . نحن نؤمن بأن الروح باقية ، ولن يقوم بناء المجتمع إلا بروحانيات . وستسود مصر العالم عندما تتمسك بدينها وروحانياتها وكتابها .

أيها الإخوان :

يوم يتحطم الأزهر تتحطم مصر ويتحطم الإسلام . إن مصر لا تعرف فى البلاد الإسلامية إلا بالأزهر ، ويجب على الأزهر أن يعد نفسه لمعركة مريرة رهيبة ، وأن يسعى بنفسه لحماية نفسه وبلده ودينه ، ويجب على أبنائه أن يتكتلوا ويتدارسوا حتى يستطيعوا أن يجابهوا الأحداث الجديدة فى أساليبها وتفكيرها .

أنتم عقل هذا البلد . وأبناء الأزهر يستطيعون أن يقوموا بخدمة الإسلام فى جميع البلاد .

ويوم يقوم الأزهر برسالته سيقضى على كل دعوة مجنونة تريد أن تنال منه ومن الإسلام .

إن هناك أخطارا تحيط بكم ، تريد أن تنال منكم كمصر لا كأزهر .

ان العالم كله يخشى قيام الأمة العربية ، والأزهر هو الذى يقيمها ، لذلك يريدون أن يحطموا هذا العلم ، وهو الأزهر .

فاحرصوا على أزهركم حرصكم على حياتكم ، واحرصوا عليه بالعمل ، فأن واجبكم من أضخم الواجبات

أيها الإخوان :

نريد أن نطهر نفوسنا . وأن نتلاقى على صفاء يغمر النفوس ، حتى نحقق لمصر وللاسلام ما نريد .

وأرجو أن نتواصى بالعمل ، لا من أجل ذواتنا ، بل من أجل مصر ، ومن أجل الثورة ، ومن أجل الأزهر .

وفقنا الله جميعا على الحق والخير ، والله أكبر والعزة لمصر ، والسلام »

كلمة السيد احمد طعيمة

في هذه الليلة المباركة لا أعرف هل أهنئ نفسي أم أهنئكم بافتتاح نادي الجامع الأزهر ، إذ أنه تربطنا بالأزهر روابط الدم والروح ، ففي نفوسنا تسري كلمة الأزهر مسرى الروح ، لأننا كمسلمين — أولا وأخيرا — نهتم به كأول معهد قام على خدمة الشريعة الإسلامية .

ولهذا فأني أتساءل : كيف يراد توحيد التعليم وإلغاء التعليم الديني ؟ ! ! فهل وحدت الدول الأخرى التعليم وألغت التعليم الديني ؟

نريد أن نسائل أصحاب هذه الدعوة عن ذلك ، لأننا نعلم أن أكثر الدول تنفق على التعليم الديني أضعافا مضاعفة تزيد عما تنفقه في التعليم المدني ، بل إن التعليم المدني في أمريكا في مسئولية الأفراد ، أما التعليم الديني فتتولاه الدولة بجميع إمكانياتها .

كيف يطالبون بأنهاء حصن الدين في مصر وفي الشرق .

إن المعركة معركة واضحة ، يراد بها القضاء على التعليم الديني ، وعلى هذا المركز الذي يشع نور التوحيد ، حتى يخلو الجو للدعوات المنحرفة الأخرى .

كيف يريدون منا أن نحطم هذه الكعبة التي ظلت محتفظة بكيانها ، حتى في الأوقات التي وقعت فيها مصر نفسها ، وظلت تربط مصر بجميع البلاد الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

إننا لن نسلم بهذا الحصن ، لأن التسليم به تسليم بحياتنا ، ومصريتنا ، وقوميتنا ، وقومية العرب والمسلمين . وإني — كرجل من رجال التحرير — أومن بأن الدعامة الأولى هي دعامة الدين ، وأن سدنة الدين هم رجال الأزهر . وإني — كرجل خرج من الريف ، ومن عائلة ريفية — تعلمت على يد علماء تخرجوا في الأزهر .

ولا أدري كيف يتنكر بعض الناس لمعهد خدم الدين في وقت كانت فيه الظلمات تجتاح كل مكان في الشرق والغرب .

وأدعو الله — سبحانه وتعالى — أن يوفق الرئيس (جمال عبد الناصر) لتحقيق آمالكم ، ورفع شأن الأزهر ، والسلام عليكم ورحمة الله »

كلمة السيد حسين عبد القادر

ان الثورة تؤمن ببقاء الأزهر لأن بقاءه بقاء لمصر، وللعروبة، وللاسلام، وقد كان الأزهر الشريف هو الجامعة العربية التي تربط العرب جميعا قبل أن تنشأ الجامعة العربية الرسمية، كما كان المؤتمر الإسلامي الذي يضم شتات المسلمين قبل أن ينشأ المؤتمر الإسلامي. ويخطئ أولئك الذين يعتبرون مصر بلدا فرعونية، فلم يكن الفراعنة إلا عربا نشئوا على أرض عربية هي مصر التي تعتز بالأزهر، وتدين له بنشر الرسالة الروحية، وجمع المسلمين حول هدف واحد، ولئلا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

ومن هنا كان الأزهر هو كعبة مصر، وكعبة العروبة، وكعبة الإسلام، ولن تسمح مصر وثورتها الشعبية أن ينال أحد من الأزهر أو ينتقص من شأنه. والله أكبر والعزة لمصر »

مجلة معهد الاسكندرية الديني

هي مجلة سنوية. ولكن جزء هذه السنة الذي أصدره معهد الاسكندرية الديني يغني ـ باتقانه، وغزارة مادته، وسمو أهدافه ـ عما لو كانت المجلة شهرية، وقد تعودنا من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون شيخ المعهد أن يملأ محيطه نشاطا وفضلا وحسن توجيه حيثما يكون.

وقد افتتح جزء هذه السنة الأولى من مجلة معهد الاسكندرية الديني بكلمة تحية من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ثم بكلمة لفضيلة وكيل الأزهر، وأخرى لفضيلة السكرتير العام. وبعد افتتاحية التقديم بقلم فضيلة شيخ المعهد عرضت المجلة لتاريخ مشيخة علماء الاسكندرية منذ أنشئت سنة ١٣٢١ أي قبل أكثر من نصف قرن، وختمته بقائمة لأسماء شيوخ هذا المعهد من أيام العلامة الشيخ محمد شاكر الى شيخه الحالي. يتلو ذلك بضع وأربعون مقالة بأقلام علماء هذا المعهد وطلابه. وهذا الجزء من المجلة جاء في قريب من مائتي صفحة. فشكرا لمعهد الاسكندرية على مجهوده العظيم.

الخطوة الثانية

وإن غضب الغاضبون

« يفعلون ذلك وهم يعلمون حق العلم أنهم يخالفون عن الحق ، ويخالفون عن أمر الدين ، ولا يعنيهم إلا أن يشفوا صدورهم من صديق للأزهر يرونه له خصما ... » .

« وشيوخ الأزهر لا يقفون عند هذا الحد ، ولكنهم وشيخهم الثمر خاصة يورطون أنفسهم فى إثم آخر لا يحبه الله ، وقد عاب به قوما لا أذكرهم هنا لأنى لا أريد أن أسوء الشيوخ ، ولكنهم يعرفونهم حق معرفتهم لأن الله يقول لهؤلاء القوم : أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ... » .

وكم أحب أن يذكر الشيوخ ذلك البيت الذى يقرءونه فى كتب البلاغة :

جاء شقيق عارضا رمحه   إن بنى عمك فيهم رماح

وأن يقرءوا كذلك بيتا آخر لا يقرؤه منهم إلا الأقلون :

ومن ربط الجحاش فأن فينا   قنا صلبا وأفراسا حسانا

عن الجمهورية فى ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٥ « من الخطوة الثانية للدكتور طه حسين »

سلوا «العميد» المرجى ، وابن بجدتها   هل عاد يبعثها فى مصر نيرانا ؟!

ويملأ النيل من تهطاله جدلا   ويبعث «الخطوة العمياء» برهانا !!

هذا « الصديق » الذى طابت مودته   قد عاد يوقظ أحقادا وأضغانا !!

تجرى « بخطوته » الآثام هالعة   فى موكب الإفك ، أوتنساب خلجانا

يئيها « الكاتب » الثاوى ببلقعة   لا تبك فى مصر أديانا وأوطانا ..

مشى على « الدار » إعصار فروعها   فابك هنالك فى « السربون » أديانا

هل خضت فى لجج الأيام «معركة»   أم خضت فى غسق الأحداث طوفانا ؟

أثرت لجتها ، والأرض تملؤها   تلك الغياهب أرزاء وأحزانا !!

يأيها الـكاتب المفتون قد ذهبت　　تلك الليالى ، وسال الدمع هتانا

أغراك (بالدين) فى «السربون» طاغية　　جثئت تغرى هنا فى مصر فتيانا

تلك الحلوم « أضلتها أبالسة »　　كما أضل « عميد » الدار صبيانا

خططت (للدين) فى أوطاننا جدثا　　وخاط «صهيون» (للاسلام) أكفانا

فهل قضى «الشيخ» من أربابه وطرا　　وهـل أقام له الأرباب ميزانا

سر بخاطر هـذا الليـل يكتمه　　وإن لليـل أسرارا وقيعانا

* * *

ماذا وراءك (للاسلام) من نوب　　وقـد هدمت له فى الأرض أركانا ؟

تلك الطواغيت فى «السربون» روعها　　هذا النوى . . فإبك فى «السربون» أوثانا

أذكيت جذوتها فى مصر ، فاندلعت　　أضغانها . . ومشت فى مصر نيرانا . .

وما صنعت لنا فى الشرق معجزة　　فاصنع بحقك (إنجيلا) و (قرآنا)

واعتب على الدهر ، واحذر من مقادره　　واحذر مع الدهر أصحابا وإخوانا

ظننت أن سكوت الدهر مغفرة　　وإن للدهر ، لو آمنت غفرانا . .

* * *

تلك المشارع لا تصفو مشاربها　　فهل صفت لك فى الأيام أحيانا ؟

وهل ضللت سبيل الرشد ، فاحتدمت　　تلك الحلوم . فبات « الشيخ » ولهانا ؟

* * *

« الصرح » رد الى الفصحى بشاشتها　　وصان من لجج الإلحاد (فرقانا) . .

و « الصرح » أعجزت الآباد آيته　　وشيبت حوله فى الأرض أزمانا

« صرح » أقيمت على التقوى دعائمه　　ففاض نورا على الدنيا وعرفانا

« صرح » بناه يد لله . . . قاهرة　　فهز فى الدهر أركانا وبنيانا . . .

تلك المواكب . تحدوها ملائكة . .　　فيسمع الليل نجواها ونجوانا . . .

تمضى ، ومن خلفها الأجيال ماضية　　تدعو الى (الدين) سادات ورعيانا

فأين من « دعوة التوحيد » دعوته　　وقد دعا الله « للتوحيد » أكوانا ؟؟

يأيها الـكاتب المفتون .. ما صنعت   بك الليالى ، وماذا صار ، أو كانا ؟!

هل طفت (بالبيت) فى خوف فما ملأت   فؤادك « الـكعبة العذراء » إيمانا ؟

عداوة .. لم تزل فى الدهر باقية   ولم تزل لصروف « الشيخ » عنوانا ..

فارجع الى « جنة » فى الأرض لاهية   واسمع بها من فنون اللهو ألحانا ..

فأين « فتاتك الكبرى » فقد عصفت   بك الشكوك ، وهذا الحين قدحانا ؟!

فافتح « بخطوتك الحسناء » أفئدة   وافتح بها فى ربوع الشرق وديانا

* * *

تلك «الثقافات» هل جفت نضارتها   فأصبحت بعد طول الهجر سلوانا !؟

فقمت تدعو الى «التوحيد» فى أدب ..   فهل دعوت له صما .. وعميانا ؟

بعثتها « فتنة عمياء » فى (بلد)   لم تدع فيه الى (الأخلاق) شبانا !!

«يتيمة» من بنى قحطان .. قد ولدت   فهز مولدها البسام « قحطانا » ..

كل امرئ فى الورى رهن بما صنعت   يداه ... فاسكب دموع الليل أشجانا

رميت « بالخطوة العرجاء » أفئدة   وما اتقيت بها فى «الدار» إنسانا !!

فأن (للدين) فى الوادى جحاجحة ..   وإن (للدين) و (الإسلام) فرسانا

فالـكون أذن لهذا (الدين) واعية   وإن للـكون أسماعا وآذانا ...

يأيها « الشيخ » هل ضاقت مذاهبكم   فـلم تدع فى ربوع الأرض بلدانا

عهد النبوات .. يا «دكتور» قد ذهبت   أيامه ، وطـوى السلاف أزمانا

ضاع الشباب ، وما ودّعت نضرته   فودع اليوم ... أحـلاما وأضغانا

هـذا هو (الصرح) فى أعلى مراتبه   فأن فيه لصوت الحـق (قرآنا)

لا يبعث الله شعبا .. ليس يجمعه   (دين) يقيم له فى الأرض أركانا

صابر على رمضان الجوشى

صدى الخطوة العاشرة

ما كاد الدكتور طه حسين ينشر مقاله الأول عما سماه « الخطوة الثانية » وأتبعه بثان وثالث ، حتى انبرت الأقلام تدفع هذا الشر عن مصر ، وعن العروبة والإسلام ، فاضطررنا فى الشهر الماضى إلى إرجاء المواد العلمية التى كانت معدة له ، وأخذنا فى نشر ما كان يحمله إلينا البريد من عشرات المقالات فى تسفيه الخطوة الثانية والدعوة إليها ، فضاق نطاق الجزء الماضى عن كل موضوع آخر ، حتى أبواب المجلة فى وصف الكتب وأنباء العلوم والآداب وأحداث العالم الإسلامى .

ثم كان الأمر فى هذا الشهر أشد مما كان فى الشهر الماضى ، فنشرنا فى موضوع الخطوة العاشرة ما استطعنا نشره ، ونشير هنا إلى طائفة أخرى كبيرة من مقالات حضرات العلماء وقادة الرأى والكتاب . فمن ذلك مقالة لفضيلة الأستاذ الشيخ عياض سباق شيخ معهد قنا بعنوان « قلها حرة صريحة نشهد لك بها يا دكتور طه » .

ومقالة للأستاذ محمود منتصر القاضى بمحكمة القاهرة بعنوان « الدفاع عن الأزهر هو دفاع عن مصر ومصلحة العروبة والإسلام » .

ومقالة للدكتور عباس فتحى الهلالى الأستاذ بجامعة الاسكندرية عنوانها « الجامع الأزهر » تكلم فيها على تاريخه ومكانته العلمية وأنه كان قدوة الجامعات الغربية ، فى دراساته وأروقته وملابسه أيضاً .

ومقالة للأستاذ على على الدين المفتش بوزارة الشئون الاجتماعية عنوانها « ما هـــذا العقوق للأزهر يا دكتور طه » ؟

ومقالة لفضيلة الأستاذ محمد عادل الشريف أمين الفتوى فى القدس والمدرس بالمسجد الأقصى عنوانها « أنقذوا الأزهر يا حماة الإسلام » .

ومقالة للأستاذ سالم أحمد الشيتى بكالوريوس إدارة أعمال من جامعة القاهرة وعضو مجلس طنطا البلدى عنوانها « فكرة هدامة » .

ومقالة للأستاذ مصطفى حسن المحلاوى عضو مجلس مديرية الغربية ورئيس الاتحاد الاقليمى للأندية الريفية عنوانها « حول توحيد التعليم » .

ومقالة لفضيلة الأستاذ على محمـــد عامر المدرس بقسم البعوث عنوانها « الدكتور طه لا ينتهى » .

ومقالة للأستاذ محمود أحمد عمر الغرداوى عنوانها « تحسس العصا ، واسأل قائدك » .

ومقالة للأستاذ محمد مصطفى الغمرى دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين موجهة إلى الرئيس جمال عبد الناصر عنوانها « سيدى قائد الثورة » .

ومقالة لفضيلة الأستاذ معوض عوض إبراهيم واعظ بور سعيد عنوانها « الخطوة الثانية إحدى الخطايا » .

ومقالة للأستاذ محمود محمد بكر هلال رئيس اتحاد خريجى الأزهر ونقابة المهن التعليمية الفرعية بمديرية سوهاج عنوانها « الأزهر مظلوم » .

وقصيدة للأستاذ على سيد عاشور المدرس بوزارة التربية والتعليم عنوانها « الأزهر فوق الجميع » .

ومقالة للأستاذ فؤاد عبد الغنى المدرس بمدرسة سوهاج الثانوية عنوانها « رفقا بأنفسكم أيها الهدامون » .

ومقالة ثانية للأستاذ أحمد نصار القوصى عنوانها « الدكتور طه يتملص » .

ومقالة لفضيلة الأستاذ عبد المنعم حجاب المدرس بمعهد دسوق عنوانها « إلى الباطل دعوت » .

ومقالة لفضيلة الأستاذ أحمد محمد أبو ظلام المدرس بمعهد منوف الدينى عنوانها « الأزهر فى ماضيه وحاضره ومستقبله » .

ومقالة للأستاذ محمد محيي الدين مدير الجامعة الشعبية بطنطا عنوانها « الرجوع إلى الحق فضيلة » .

ومقالة للأستاذ ابراهيم الأمير سليمان المدرس بالمعلمين العامة بسوهاج عنوانها « على هامش الخطوة المزعومة » .

ومقالة للأستاذ محمد الضمرانى الباسكى المدرس بمدرسة شندويل الإعدادية عنوانها « الأزهر ذلك التراث الضخم الخالد » .

ومقالة للأستاذ هاشم عبد الحى صاحب جريدة (الفيوم) عنوانها « لحساب من تثار هذه العاصفة ؟ » .

ومضبطة استنكار من مواطنى مركز منوف عنوانها « الأزهر ملك العالم الإسلامى » . موجهة إلى ولاة أمور مصر وموقع عليها بنحو مائة توقيع بين مدرسين وأعيان وشيوخ البلاد وتجار ونظار زراعات وهم مجموع ممثلى منوف والبلاد التابعة لها .

ومضبطة أخرى من عرب الجوازى بمديرية المنيا وعليها توقيعات العمد والشيوخ والأعيان ومضبطة ثالثة من أهالى طوة تبع مركز المنيا عليها عشرات التوقيعات ، وهى تفيض عطفاً وحباً للأزهر وتعلقاً برجاله واعترافاً بجميله على مصر والإسلام من ألف سنة إلى الآن .

ورسالة من الأستاذ أحمد محمد عطوه أمين توريدات مدرسة محمد على الإعدادية بالسيدة زينب تمثل عواطف المصريين جميعاً نحو أقدم جامعة إسلامية باقية على الدهر .

أما المقالات والقصائد من طلبة كليات الأزهر ومعاهده فى القاهرة والاسكندرية وسائر المديريات المصرية فإنها أكثر من أن يحاط بها .

وإذا اتسع نطاق المجلة فى أجزائها الآتية ، قد نتخير بعض ذلك للنشر . وهو بمجموعه يعد صدى لتلك الخطوة العاشرة ، ولكل ما يراد بالإسلام من كيد وشر .

حول توحيد التعليم

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل مدير مجلة الأزهر الغراء

السلام عليكم ورحمة الله — وبعد .

فقد قرأنا مقالات الدكتور طه حسين عن توحيد التعليم ، وقد جاء فيها أن الأزهريين لا يتعلمون كما يتعلم النـاس ، وكما ينبغى أن يتعلم الناس ، ولو كان الأمر كذلك لانصرفنا بأبنائنا عن تعليمهم فى الأزهر ، ولمـا انتظرنا مقالة السيد الدكتور

لـكن تعليم الأزهر هو التعليم المحبب إلى نفوسنا ، لأنه يقوم على دعائم الدين ، ولا اصلاح لأمــة إسلامية لا يتعلم أبناؤها الدين .

وإنا نطالب أن يدخـل التعليم الدينى كل مدرسة وكل كلية ، وأن يغزو كل قلب . وما كان أحب إلى قلوبنا من أن يكتب الدكتور وأمثاله فى الدعوة إلى ذلك ، حتى لا نرى هذا التحلل المنذر بأشد الأخطار فى الجامعات المصرية ، إذ بدت فى بعض أبنائها أفكار خطرة على الدين والدنيـا .

وإنا لنأمل — فى هذا العهد السعيد الذى هو ثورة على الباطل — أن يؤيد الأزهر كل التأييد فى رسالته ، إذ رسالته هى رسالة الدين ، ونعتقد أن رسالة الثورة مستمدة من تعاليم الدين ، ولذلك أيدها رب العالمين »

محمد على أبو الوفا

التاجر ورئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم بمدينة دمنهور

التبرع الحجازى

لنشر الثقافة الاسلامية

هل حوّله طه حسين لنشر روايات شكسبير ؟

لمناسبة الموقف الأخير الذى وقفه الدكتور طه حسين من الأزهر ومناهج التعليم الإسلامى ، لفت نظرنا فضيلة الأستاذ محمد فكرى عثمان إلى مسألة غريبة كل الغرابة ، وهى أن مبلغ عشرة الآلاف من الجنيهات التى كان قد تبرع بها فى العام الماضى الوجيه الحجازى السيد حسن الشربتلى لينشر بها تاريخ البلاذرى وغيره من كتب الثقافة العربية والإسلامية وقدم بهذه القيمة حوالة على أحد المصارف المالية باسم الدكتور طه حسين ، ما زال الناس يتساءلون : لماذا تأخر تنفيذ ذلك إلى الآن ؟ وهل صحيح ما نشرته مجلة آخر ساعة فى العدد ١٠٦٨ ص ١١ مما يشعر بأن الدكتور طه حسين رصد هذا المبلغ لنشر اثنتى عشرة رواية من روايات شكسبير ؟ مع أن هذه الروايات سبق لآخرين ترجمتها ونشرها ، فضلا عن أن هذا المال لم يرصد لذلك ، بل رصد لنشر كتب فى الثقافة العربية الإسلامية .

وفى زيارة الأديب السعودى الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار لقلم تحرير مجلة الأزهر سألناه عن هذه الواقعة ، فقال : إن هذا التبرع من السيد حسن الشربتلى صحيح ، وهو لتاريخ البلاذرى وغيره من كتب الثقافة الإسلامية دون غيرها ، وقد تسلم الدكتور طه حسين عشرة الآلاف من الجنيهات لهذا الغرض ، بل اشترط المحسن الكبير أن أكون أنا المشرف مع الدكتور طه حسين على تنفيذ ذلك . إلا أننى لما حضرت إلى مصر لأشرف على العمل وجدت الدكتور طه حسين قد سافر إلى أوربا . وقد اشترط المتبرع أن يبدأ بطبع تاريخ البلاذرى ، وإن لم يكف المبلغ للطبع أدفع من عندى بقية النفقات ، وما يفيض بعد الطبع أتسلمه لأنفق منه على طبع كتب إسلامية أخرى ، وما يجتمع بعد بيع النسخ المطبوعة تطبع به كتب إسلامية جديدة ، وهكذا . أما أن تطبع بهذا المبلغ روايات شكسبير أو غيرها من الكتب غير الإسلامية فنحن لا نوافق عليه ، ولا نسمح بأن يصرف مليم واحد من هذا التبرع على أى كتاب غير إسلامى ، مهما كان ذا قيمة أو نفاسة عند الدكتور

أو غيره ، فالمبلغ تبرع به لطبع كتب إسلامية ، وأعتقد أن كتاب (فتوح البلدان) للبلاذرى لا يكلف طبعه وتحقيقه أكثر من ألفى جنيه ، وفى وسعنا أن ننفق بقية المبلغ على طبع تفسير للقرآن يكون المسلمون فى حاجة إلى إحيائه أو غير ذلك من الكتب الإسلامية الجيدة .

هذا ما أفضى به إلينا الزائر الفاضل السيد أحمد عبد الغفور عطار ، وبما أن ذلك يتعلق بأمر إسلامى عام رأينا أن نشير إليه على صفحات مجلة الأزهر ، لتتبين حقيقة الأمر فيكون المسلمون على علم بمصير تبرع خرج من ذمة أخ لهم من سراة المسلمين ليوضع فيما ينفع عامة المسلمين فى ثقافتهم التى تنكر لها دعاة الثقافات الأجنبية ، ووقفوا منها مواقف يؤسفنا أن يكون هذا مثلا من أمثالها ، لو صح كل ما روى لنا .

جامعيون !

روى الأستاذ محمد حسنين هيكل على لسان الأستاذ حسين عزيز الوكيل الدائم لوزارة الخارجية المصرية ، أن الوزارة أرادت تعيين ٨٩ ملحقا شابا فى وزارة الخارجية ليكونوا دفعة جديدة من سفراء المستقبل ، وفى الموعد المحدد للامتحان تقدم ما يقرب من مائتى شاب ، فسئل أحدهم وهو متخرج فى الجامعة وقضى بعدها سنتين فى معهد عال : ما هى عاصمة سوريا ؟

فأجاب : عمان !

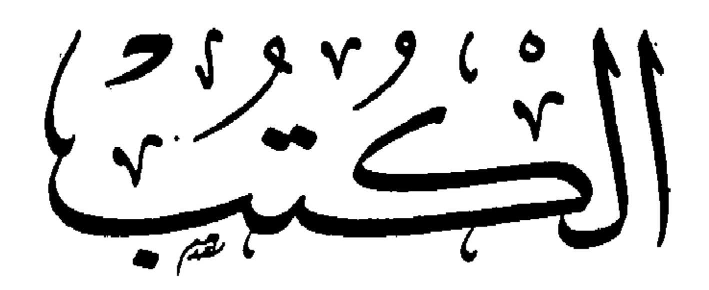
وسئل متخرج آخر : ما هى دول الجامعة العربية ؟

فأجاب الشاب الجامعى الذى يريد أن يعمل دبلوماسيا : — تركيا وإيران .

وسئل جامعى ثالث عن عاصمة البرازيل ، فأجاب على الفور : الأرجنتين .

وسئل جامعى رابع عن عاصمة مديرية البحيرة ، فلم يعرف ، واعتذر بأنه لا يسافر كثيرا إلى الريف .

ومع ذلك أراد طه حسين أن تكون الخطوة الثانية فى الأزهر ، لا فى الجامعات !



التعزير فى الشريعة الاسلامية

للدكتور عبد العزيز عامر - ٤٨٢ ص - مطابع دار الكتاب العربى

هذا وعاء ملىء علماً ، بمجهود عظيم بذله الدكتور عبد العزيز موسى عامر رئيس الدائرة العسكرية بمحكمة الجيزة الوطنية ، فألم فى سبيل ذلك بكل ما وصلت اليه يده من المراجع القديمة والحديثة ، العربية منها والاجنبية ، وأحسن الغوص على دررها ، وأبدع فى تنظيمها وتصنيفها ، فجاء من ذلك كتاب فى هذا الفرع من فقه الشريعة الإسلامية يستحق عليه المؤلف كل ثناء . ولو أن كل عالم فى هذه الامة أحيا من وقته سنة أو سنوات لتنظيم فرع من فروع هذه الشريعة الخالدة كما فعل الدكتور عبد العزيز عامر فى فرع التعزير من الفقه الإسلامى لما بقيت لجاهل أو مغرض حجة فى صد الامة الإسلامية عن الرجوع إلى تشريعها الاصيل الذى أحياها العمل به فى الأجيال الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام وأماتها موته وإهماله من ألف سنة إلى الآن .

ويقول المؤلف فى فاتحة كتابه : « لما كنت أعتقد أن الطريق القويم إلى بعث هذا التراث الغالى ، وإلى طلوع نجمه من جديد على الكون . حتى يأخذ بأسباب التطور ، ويسير مع الزمن ، ليصير مصدراً لكل تشريع ، هو البحث والدرس والاستقصاء ، بغية إظهار مكنون نفائس هذه الشريعة فى ثوب قشيب ، وترتيب حديث ، يقرب كلياتها وجزئياتها إلى العقلية القانونية الحديثة ، فقد صح عزمى على أن أكون من هؤلاء الجنود الذين يعملون جاهدين فى سبيل هذا البعث : رغم ما يكتنف الطريق اليه من عقبات لا يحيط بها الوصف ، واخترت موضوع هذه الرسالة فى الشريعة الإسلامية مستهلا بها عملى فى سبيل هذه الشريعة .

ونحن نسجل على القاضى الفاضل هذا الوعد بأن يكون هذا الكتاب براعة استهلال لما بعده ، ونرجو الله أن يبارك له فى وقته حتى يمضى فى خدمة مصر بتعريفها بشريعتها الاصيلة التى عملت بها عصوراً . بل إن عدالة هذه الشريعة وثمرتها فى المجتمع هى التى حببتها

إلى مصر منذ عرفت الإسلام بسيرة الصحابة الذين نزلوا الفسطاط ، فنعمت بهذه الشريعة التي يقول عنها المؤلف إنها « خالدة أبدية ، من الله تعالى بها على الناس رحمة منه وفضلا ، وهو العالم بدقائقهم ، الخبير بما يصلحهم وما يضرهم ، وقد كانت من بدء الإسلام على ظهر الأرض النور الذي يضيء سبيل المسلمين » .

وقد ختم المؤلف كتابه بخاتمة مسك أعلن فيها « أن الشريعة الإسلامية في الناحية الجنائية لا تقل عن غيرها من الشرائع ، بل هي في كثير من المواضع تمتاز بالسمو والتفوق ، ومن مبادئها العامة ما يساعد على حل كثير من مسائل الإجرام التي تحير فيها العلماء . . . وليس ذلك فقط ، بل إنها تعرضت لغير ذلك من المعاصي بغية الوصول بالمجتمع الإسلامي إلى مجتمع مثالي بعيد عن الإجرام والمنكرات » .

ولمناسبة ما عزمت عليه الدولة من التوسع في دراسة الشريعة الإسلامية بقسم الليسانس وتعميم تعليمها في سنوات الدراسة الأربع بكلية الحقوق ، نقترح أن يستفاد من الدكتور عبد العزيز عامر في مثل هذه الدراسات الجامعية ليشبع رغبته من تعليم طلاب التشريع ، وليتاح له من الوقت ما يساعده على التوسع في هذه الدراسات والتأليف فيها ، نقول هذا عن غير سابق تعارف معه ، ولكن مجهوده العلمي في هذا الكتاب ومصلحة مصر القومية هما الحامل على ذلك ، وفي طليعة أسباب النجاح لأي دولة توسيد الأمور إلى أهلها . والله الموفق .

القياس في الشرع الاسلامي

لابن تيمية وابن القيم — ١٣٢ ص — المطبعة السلفية ومكتبتها

أقام شيخ الإسلام ابن تيمية البراهين في مؤلفاته على أن نصوص الشرع الإسلامي كلها - ما يتعلق منها بأصول الدين ، وما يتعلق منها بفروعه - جاءت على وفق العقول السليمة والفطر المستقيمة ، وأن القياس الصحيح دائر مع أوامر الشريعة ونواهيها ، فليس في الشريعة شيء يخالف القياس ولا في المنقول عن الصحابة ، فلم يشرع الله ما يناقض الميزان والعدل ، كما أنه لم يخبر الله ولا رسوله بما يناقض صريح العقل .

ولما كان بعض الفقهاء قد ادعوا أن بعض النصوص ثبتت على خلاف القياس ،

فقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة بين فيها وجه الحق فى ذلك كقولهم فى « المزارعة » إنها ثبتت فى النص على خلاف القياس لأنهم عدوها من جنس الإجارة التى يشترط فيها العلم بالعوضين ، فبين ابن تيمية أنهـا ليست من جنس الإجارة بل هى أكثر انطباقا على المشاركات منها على المعاوضات ، والعلم بالعوضين غير مشترط فى المشاركات . وهكذا تتبع أكثر ما قالوا انه على خلاف القياس فبين أنه قياسى .

ثم تعرض لهذا الموضوع تلميذه ابن القيم فى اعلام الموقعين فزاده بيانا وتوضيحاً . وكان رئيس تحرير هذه المجلة قد جمع ذلك فى كتاب نشره قبل نحو ثلاثين عاماً ، ثم أعاد طبعه الآن فتلفت اليه الأنظار .

مع المجتمع

للأستاذ محمد الأسمر – ١٩١ ص – مكتبة دار إحياء الكتب العربية

هى مجموعة وصفها كاتبها الشاعر المبدع بأنه لم يحلق فيها بين سماء الشعر ، ولم يغص فيها بين أعماق الفلسفة ، ولم يتعلق فيها بأدب يشرحه أو ينقده ، ولكنها كلمات تتضمن أشياء شاهدها فصورها ، فهى لوحات فى صفحات . وهذه الكلمات أوحى بها ما يحيط بنا من شئون : بعضها من وحى الحياة ، وبعضها من وحى الحرب ، وبعضها من وحى النيل ، وبعضها من وحى الأغانى ، والبعض الآخر من وحى الدعابة .

وقلم الأستاذ الأسمر ناثراً كقلمه شاعراً : بلاغة ، وغوص فى عمق ، ونقد لا سيما إذا تأمل فى المجتمع واستوحى سرائره ومواطن ضعفه .

إن كتابه مع المجتمع ديوان من شعر الحياة ، سيحل فى مكتبات الأدباء والمثقفين الى جانب ديوانه الممتع البليغ .

تاريخ العراق بين احتلالين

للعلامة الأستاذ عباس العزاوى – الجزء السابع ٣٣٢ ص – طبع بغداد

سبق لنا فى المجلد الخامس والعشرين من هذه المجلة التنويه ببعض مؤلفات الأستاذ العلامة عباس العزاوى صاحب المؤلفات الكثيرة الممتعة ولا سيما فيما يتعلق بالعراق ، وقد تلقينا فى هذا الشهر الجزء السابع من كتابه تاريخ العراق بين احتلالين ، وهو يلم بتاريخ العهد العثمانى الثالث (من سنة ١٢٤٧ إلى سنة ١٢٨٩ هـ) أى من بدء وزارة على رضا باشا

اللاز فى العراق إلى آخر أيام مدحت باشا ، وهو دور كان من هم الدولة العثمانية فيه أن تقطع دابر حكم المماليك فى العراق ، وأن تجعل إدارتها فى العراق إدارة مركزية مباشرة كسائر ولاياتها فى الأناضول والروم ايلى ، لكنها لم تفلح فى هذه المحاولة ولم تحسن الإدارة ، فتولدت مشاكل واستعصى الأمر وشمس الأهلون . على أن هذا العهد كان عهد انتقال متعثر ، وحتى مدحت باشا كاد يخفق لولا همته ومواهبه وتساهله .

وصديقنا الأستاذ العزاوى واسع الاطلاع ، عميق الدراسة ، غنية مكتبته بالمراجع والمستندات ، وكتابه (تاريخ العراق بين احتلالين) من أنفس مؤلفاتنا العربية فى هذا العصر ، وقد بلغ إلى الآن سبعة مجلدات ولما يتم ، وهو مزين بالصور وبعضها صور أثرية مهمة ، وألحق به فهارس عديدة وتعليقات ومستدركات . فرجو له من الله دوام التوفيق فى خدمة الثقافة العربية الإسلامية .

عشائر العراق

للأستاذ المحقق عباس العزاوى ـ الجزء الثالث ٣٣٨ ص ـ طبع بغداد

وهذا مؤلف آخر نفيس للمؤلف الكبير الأستاذ عباس العزاوى المحامى ، وقد صدر منه الجزء الثالث عن عشائر أهل الأرياف فى العراق وهى العشائر الزبيدية والطائية وأحوالها وأنسابها والعشائر الملحقة بها أو التى تساكنها . أما الجزءان الأولان من الكتاب فأحدهما عن عشائر العراق البدوية ، والآخر عن عشائر الأكراد فى الشمال .

وكان موضوع القبائل العربية وأنسابها وبيان نظامها الاجتماعى من أهم ما عنى به أسلافنا وألفوا فيه الكتب الممتعة ، فلما جاءت عصور الانحطاط زهدنا فى مواصلة هذه الدراسة ، بل زهدنا فى الكتب القديمة التى ألفت فيها ، فضاع كثير منها وانتقلت بقيته إلى مكاتب الغرب ، إلى أن دبت فينا روح النهضة بين الحربين العالميتين ، فأخذ بعض علمائنا وأفاضلنا فى سد هذه الثغرة ، وفى طليعتهم الأستاذ العزاوى فأصدر حتى الآن عن عشائر العراق هذا الكتاب فى ثلاثة مجلدات ووعد بإصدار مجلد رابع ، وقد خدم بكتابه التاريخ ، والمجتمع المعاصر ، وساعد على وصل الحاضر بالماضى . وهذا الجزء كسائر كتب الأستاذ العزاوى مزين بالصور وملحق به فهارس متقنة . جزاه الله خيراً .

الأدب والعلوم

مكتبة المدينة المنورة

فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عدة مكتبات أهمها مكتبة عارف حكمة الشهيرة . ولما تم بناء المسجد النبوى وتجديده رأى جلالة الملك سعود أن من تمام هذا العمل وكماله أن تجمع الكتب التى كانت موزعة فى مكتبات المدينة وينشأ منها مكتبة عامة جديدة على الطراز الحديث ، وتقام لها عمارة فى الجهة الجنوبية من المسجد النبوى ، وستكون فيها قاعات مطالعة وتنظم على أحدث النظم المتبعة فى دور الكتب .

منظار فلكى عالمى

فى (أم الريحات) بصحراء السويس

كانت جامعة القاهرة قد تعاقدت مع إحدى الشركات العالمية على صنع منظار فلكى عالمى كبير وقبة معدنية خاصة به . وقد تم الآن صنع هذا المنظار وإعداده ، فقرر مجلس الوزراء إقامته فى منطقة (أم الريحات) بصحراء السويس . واتصل وزير التربية والتعليم بوزير الشئون البلدية والقروية للتنبيه على مصلحة المبانى بانشاء المبانى اللازمة لإقامة هذا المنظار وقبته .

أزهريون

لقيادة الفرق الكشفية

دربت جمعية الكشافة المصرية ٥٥ مدرساً من مدرسى الأزهر لإعدادهم قادة للفرق الكشفية التى أنشئت فى كليات الأزهر والمعاهد الدينية الإسلامية .

وعادت فدربت ٦٠ من قادة الكشف وهى تعد لهم معسكراً تدريبيا .

الثقافة الاسلامية

فى نيجريا والصومال

اعتمدت السكرتيرية العامة للمؤتمر الإسلامى النفقات اللازمة لإنشاء ثلاثة مراكز للثقافة الإسلامية فى نيجريا ، وستة مراكز فى الصومال . ويبرح القاهرة إلى الصومال ثلاثون معلما لبدء نشاط هذه المراكز ، وسيكون فى كل مركز مكتبة وقاعة للمحاضرات والسينما والموسيقى ، على غرار المراكز التى أنشأها المؤتمر الإسلامى فى أندونيسيا والملايو ، ويتبع كل مركز مدارس ابتدائية وثانوية ، وكلية للمعلمين .

المعهد الأزهرى للبنات

تألفت لجنة من صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى مدير التفتيش رئيسا ومن السيد صالح الربدى المشرف العام على جمعيات المحافظة على القرآن الكريم ، والسيدة كريمة السعيد ، وأحد مفتشى وزارة التربية والتعليم أعضاء ، لوضع مناهج الدراسة فى معهد الفتيات الدينى الجديد ، وقد زودت هذه اللجنة بالأسس التى تقوم عليها هذه المناهج ، وينتظر أن تنتهى اللجنة من عملها ورفعه إلى مشيخة الأزهر .

طبع القرآن للمكفوفين

بطريقة بريل

بدأت الآن فى مصر تجارب لطبع القرآن للمكفوفين بطريقة بريل ، ويشرف على الطبع الخبير العالمى الكندى وهو رئيس معهد المكفوفين فى كندا ، وهو نفسه من المكفوفين ويتولى الاهتمام بمصالح المكفوفين فى جميع أنحاء العالم . وسيتم طبع القرآن الحكيم بطريقة بريل فى معهد تأهيل العميان فى الزيتون .

النقطة الرابعة

إلغاء مشروعاتها للتربية الأساسية بمصر

تقرر إلغاء مشروعات التربية الأساسية للنقطة الرابعة فى مصر ، وحدد لخبراء النقطة الرابعة موعد أقصاه يوم ٢٧ ديسمبر لإنهاء أعمالهم فى بلاد الجمهورية المصرية ، وستتولى إدارة التربية الأساسية فى وزارة التربية والتعليم القيام بهذه المشروعات وحدها .

مركز الثقافة المصرى

فى طرابلس الغرب

طار الصاغ كمال الدين حسين - وزير التربية والتعليم - إلى طرابلس الغرب فافتتح مركز الثقافة المصرى فيها ، وقد استقبل هناك بحفاوة تليق بالروابط الوثيقة بين البلدين العربيين المتجاورين . وقد حضر افتتاح مركز الثقافة المصرى عدد كبير من رجال الدولة والأعيان والسفراء ، وألقى الوزير المصرى كلمة نوه فيها بالعلاقات الأخوية بين لوبيا ومصر منذ أقدم العصور وأهمية دعم التعاون الثقافى بينهما بعد نيل حريتهما .

وقد زار وزير التربية والتعليم بعض المدارس فى طرابلس ، وزار الآثار فى غرب البلد ، ثم عاد إلى مصر موفقاً من هذه الرحلة الثقافية الميمونة .

مكتبات الفصول

كتبت إدارة المكتبات المدرسية بوزارة التربية والتعليم إلى المدارس تطلب إليها تنفيذ قرار لجنة وكلاء الوزارة الخاصة بأن يقتصر فى المدارس الابتدائية على مكتبات الفصل

فى جميع الفرق . أما فى المدارس الإعدادية والثانوية فتكون بكل منها مكتبة المدرسة إلى جانب مكتبة الفصل .

وقد وضعت إدارة المكتبات تصميما لدولاب مكتبة الفصل روعى فيه الاقتصاد والوفاء بالحاجة ، على أن يعمم فى مكتبات الفصول .

ولوحظ أن فى مخازن وزارة التربية والتعليم كتباً من مخلفات مقررات السنين الماضية ، وهى مجموعات من كتاب (كليلة ودمنة) و (المنتخب من أدب العرب) وقصص انجليزية وفرنسية وغير ذلك ، فاقترح السيد الوزير الاستفادة من هذه الكتب بتوزيعها على مكاتب الفصول .

معهد إسلامى فى الصين

احتفل فى بكين بافتتاح أول معهد دينى إسلامى فى الصين ، ويستغرق برنامج الدراسة أربع سنوات ، وتلقى فيه المحاضرات باللغة العربية . وقد التحق فيه هذا العام ١٠٩ من الطلبة .

مركز ثقافى مصرى

فى بيت المقدس

عند زيارة القائمقام السيد أنور السادات مقر الهيئة العلمية الإسلامية فى القدس صرح بأن المؤتمر الإسلامى بالقاهرة قرر إنشاء مركز ثقافى فى مدينة القدس يضاهى أكبر المراكز الثقافية التى أنشئت حتى الآن ، وقد خصص لذلك ربع مليون جنيه .

مذكرات

عن الحروب الصليبية

تبحث اللجنة الثقافية للدول العربية مشروعا بترجمة المذكرات التى كتبها مؤلفون أجانب شاهدوا الحروب الصليبية وكتبوا مذكراتهم باللغات اللاتينية والفرنسية والسريانية واليونانية ، والرسائل التى كتبها الذين اشتركوا فى هذه الحروب إلى ذويهم .

وظاهر من هذا البيان الذى نشرته إحدى صحف الصباح اليومية أن الذين كتبوا هذه المذكرات كلهم من الجانب الآخر أى الجانب الصليبى ، وقد كانوا جميعا فى عصر الحروب الصليبية متشبعين بالروح الصليبية ، وكان ينبغى للذين تقدموا بهذا الاقتراح أن يوازنوا بين مصلحة العرب والمسلمين من هذا العمل وبين ما يلحقهما منه من ضرر ، وإن الأموال العربية التى فى أمانة جامعة الدول العربية يجب أن تصرف فى خير من ذلك . وعسى أن لا يكون لهذا المشروع غير المشروع علاقة بتبرع السيد الشربتلى المحسن الحجازى .

أنباء العالم الإسلامي

الجيش السوري

كما رآه اللواء عبد الحكيم عامر

زار سوريا أخيراً اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المصرية والسورية المشتركة ، وقام بتنظيم القيادة المشتركة التي نص عليها الاتفاق الثنائي بين الجمهوريتين الشقيقتين مصر وسوريا .

وعقد اللواء عبد الحكيم عامر مؤتمراً صحفياً بدمشق تحدث فيه عن زيارته لمختلف وحدات الجيش السوري ، والمهمة الوطنية الكبرى التي اضطلع بها الجيش المصري السوري الموحد للدفاع عن كيان الامة العربية .

ونوه القائد العام في حديثه بالصفات التي يتمتع بها الجيش السوري ، وهي صفات لا يضاهيها في قوتها إلا روحه المعنوية العالية .

وأعرب عن إعجابه الشديد بالفدائيين السوريين ، وروح التضحية التي يمتازون بها .

ومما قاله : إن القيادة الامامية للقوات المصرية السورية المشتركة ستكون في دمشق وفي وسع الجيشين الحصول على ما يلزمهما من السلاح والعتاد . ومن دواعي السرور أن أبلغكم وصول الاسلحة التشيكوسلوفاكية إلى مصر . ومصانع الاسلحة المصرية تنتج الآن طائرات للتدريب وذخائر ثقيلة .

العرب يحذرون أمريكا

لأول مرة في تاريخ الدبلوماسية العربية توجه وفد من ثمانية سفراء من العرب إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وعقدوا مع مستر دالاس اجتماعاً هاماً حذروه فيه من تقديم أية شحنة من الاسلحة لإسرائيل ، أو عقد ميثاق ضمان معها ، وأن هذا العمل يسيء إلى العلاقات بين الأوطان العربية وأمريكا ، ويقضي على كل أمل في إقرار السلام في الشرق الأوسط ، وأن إسرائيل كلما شعرت بقوة تأييد أمريكا لها يزداد عدوانها ، وهذا مما يحتمل أن تفقد به أمريكا كل احترام لها في العالم العربي .

قضية اللاجئين العرب

نوقشت مشكلة اللاجئين العرب في اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، فأعلنت مصر بلسان رئيس وفدها

فى الامم المتحدة أنها لن تخضع للعدوان ، وحذرت أمريكا مغبة تقديمها أية معونة للصهيونيين ، وأكدت أن تأييد الصهيونيين المعتدين يهدد السلام ، ويجب أن تكون القوة فى خدمة الحق ، ثم ناشد رئيس الوفد المصرى الضمير العالمى أن يعمل لوقف عدوان الصهيونية على العرب ، ولانقاذ اللاجئين الفلسطينيين مما حاق بهم من بؤس وشقاء نتيجة للجريمة التى ارتكبت ضدهم ، بل ضد حقوق الإنسان ومبادىء العدالة .

ورفضت الوفود العربية مشروع القرار الأمريكى البريطانى التركى بمناشدة الجمعيات الدينية والخيرية مساعدة اللاجئين ، وطالبت بتوكيد حقهم فى العودة إلى ديارهم . واقترح مندوب سوريا استفتاءهم . وأيدت الكتلة السوفيتية مطالب العرب .

ومما قاله رئيس الوفد المصرى : إننا نواجه أقلية شريرة أعماها التعصب وتسندها عناصر ذات نفوذ فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ببعض الدول الكبرى ، وقد نجحت هذه الأقلية فى مؤامرتها الخبيثة التى ستظل سبة لهذا القرن .

عودة سلطان المغرب
مولاى محمد بن يوسف إلى عرشه

كان يوم غرة ربيع الآخر (١٦ نوفمبر) موعد وصول مولاى محمد بن يوسف ملك المغرب الشرعى إلى عاصمة ملكه ، بعد أن فشل الاستعمار فيما نصبه له ولبلاده من كيد . وان نحو نصف مليون من قبائل البربر اتجهوا نحو مدينة (رباط الفتح) ليشتركوا فى شرف استقباله ، فنزلوا بخيامهم حول المدينة ، واستقبلوا سلطانهم استقبال الفاتحين . وقد مر السلطان بين صفوف خيامهم مسافة طولها ١٢ كيلو متراً من المطار القريب من رباط الفتح إلى القصر الملكى فيها ، وبذلك أثبت العنصر البربرى من رعايا السلطان محمد بن يوسف أنهم ليسوا أتباع أحد سوى السلطان الشرعى للبلاد .

وقد زاد عدد الشعب المحتشد فى شوارع مدينة رباط الفتح على مليون نسمة من المحتفلين بعودة السلطان ، وكان الفرسان على صهوات جيادهم يطلقون الرصاص من بنادقهم فى الهواء تحية للسلطان العائد من منفاه . وما كادت سيارة السلطان تخرج من المطار إلى الطريق حتى قوبلت بمزيج من الهتافات والتصفيق وطلقات الرصاص من البنادق . وكان جلالته يحيى الشعب المحتشد على يمين الطريق ويساره بيديه والتأثر باد بوضوح على وجهه . وكان موكب السيارات والموتسكلات والفرسان يضطر مراراً إلى التوقف بسبب ازدحام الشعب فى استقبال مليكه .

وكان الناس يبكون فرحاً بهزيمة الباطل ورجوع الحق، مستبشرين بأن الله سيتم نعمته بزوال الاستعمار عن هذا الوطن الإسلامي العريق بأصالته ومجده وما ذلك على الله بعزيز.

٢٠٠٠ جنيه
من الأزهر لتسليح الجيش

تبرع الأزهر مرة ثانية بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه مصري لتسليح جيش الجمهورية المصرية، وكتب بذلك حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر شيكا سلمه للأستاذ صلاح الشاهد تشريفاتي الرياسة.

سوريا والمملكة السعودية

وقع وزير المالية والاقتصاد الوطني السعودي ووزير الاقتصاد الوطني السوري اتفاق قرض بمبلغ عشرة ملايين دولار، وتسلمت سوريا القسط الأول من هذا القرض وقيمته أربعة ملايين دولار.

كما وقع الوزيران اتفاقاً تجارياً يتضمن تبادل حاصلات البلدين الزراعية والحيوانية معفاة من الرسوم الجمركية. وتبادل بعض المنتجات الصناعية معفاة من الرسوم الجمركية أيضاً.

السلاح الفرنسي لمصر

قال ناطق بلسان وزارة الخارجية الفرنسية إن الحكومة الفرنسية قررت تنفيذ اتفاقيات شحن الأسلحة إلى مصر. وتبلغ قيمة هذه العقود حوالى عشرة ملايين من الدولارات مدفوعة تماما من مصر لفرنسا. وتشمل مدافع الهاون وبعض الدبابات الخفيفة والطائرات النفاثة من طراز ميستير.

أكبر خطأ ارتكبته بريطانيا

بعثت الدكتورة مود رايدن من كبار زعيمات الحركة الدينية في بريطانيا ومؤلفة كتاب (مشكلة فلسطين) رسالة إلى جريدة ديلي تلغراف قالت فيها «إن الخطأ الجوهري في مسألة فلسطين هو قيام دولة إسرائيلية. إننا عند ما سمحنا لأنفسنا بإنشاء وطن قومي لليهود بمقتضى وعد بلفور أعطينا لغيرنا ما لا نملكه».

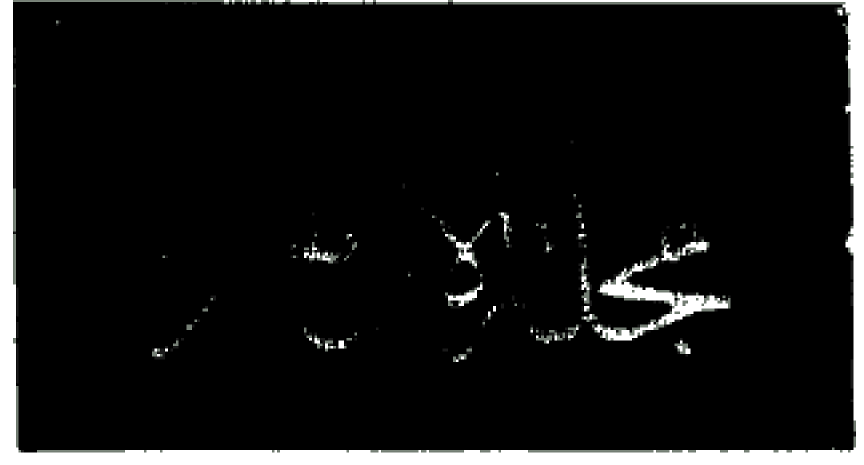
مساجد يافا وعكا

من المساجد الإسلامية التي انتهكت إسرائيل حرمتها مسجد الجزار في عكا فحولته إلى ثكنة عسكرية، وإن جنود إسرائيل تدنس الآن هذا البيت من بيوت الله على مرأى ومسمع من سدنة حضارة القرن العشرين.

وفي يافا مدت إسرائيل يدها الأثيمة إلى مسجد حسن بك وهو من أحدث وأجمل مساجد ذلك الثغر الفلسطيني، فتحول هذا المسجد إلى ملهى، وسدنة الحضارة الغربية في واشنطون ولندن يتعامون عن ذلك ولا ينبسون ببنت شفة.

ترى بماذا يقابل المسلمون هذا البغي عملا بقاعدة «المعاملة بالمثل»؟

الفهرس



١٤٩

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥

● طلبة الأزهر

في درس عملي من دروس [illegible]

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء السادس ـ القاهرة فى غرة جمادى الآخرة ١٣٧٥ ـ ١٤ يناير ١٩٥٦ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليم فى مصر

موصل ردىء لروح الثورة

هكذا يقول الثائر الشاب الصالح كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم فى مصر .

وقد أصدر حكمه هذا على التعليم فى مصر بعد تجربة باشرها وراقب أعراضها ، وبعد زيارات مفاجئة كان يقوم بها لمختلف المناطق والمدارس ، لا ليقف على مدى الأخطاء والإهمال ، فهذا من عمل المفتشين ، بل ليعلم كيف تنفذ السياسة التعليمية التى ترسمها الوزارة ، وإلى أى حد تستجيب المدارس للتوجيهات التى تتلقاها من حين الى آخر .

ولما قال وزير التربية والتعليم إن التعليم فى مصر موصل ردىء لروح الثورة ، أعلن الحقيقة التى توصل هو اليها ، كما يصف الطبيب أعراض المرض فى المريض الذى يتصدى لمعالجته . لكنه لم يذكر الأسباب التى نشأت عنها هذه الأعراض ، ولعله ترك ذلك للمفكرين والباحثين ، ليدلى كل واحد منهم برأيه من الزاوية التى ينظر منها .

وفى رأيى أن هذه المسألة يجب أن تعالج بوسائل أعمق من التوجيهات التى يشكو الوزير من ضعف الاستجابة لها ، وبسياسة أعم وأوسع من السياسة التعليمية التى ترسمها الوزارة للمدارس والقائمين عليها بين الحين والحين وقلما يظهر أثرها فى مجال التنفيذ .

وأول ما يجب أن تعالج به طريقة التعليم فى مصر ، أن يعلم المعلمون لماذا يعلمون والمتعلمون لماذا يتعلمون ، بعد أن اقتنعوا — أبا عن جد — منذ رسم دانلوب لوزارة المعارف خططها ، أن مدارس وزارة المعارف فتحت للذين يتعلمون فيها ليتخرجوا موظفين فى حكومة يشرف عليها الاستعمار . وكما كانت الحكومة تقتنى فى دواوينها ومصالحها آلات كاتبة توصى عليها من المصانع التى تصنعها ، فإنها كانت تقتنى موظفين كالآلات الكاتبة تتلقاهم من مصانع وزارة المعارف التى كانوا يسمونها مدارس . فهذه الأفواج من التلاميذ والطلبة الذين تموج بهم فصول المدارس المصرية والجامعات المصرية لم يتعودوا دخول المدارس والجامعات لتكون لهم معارف ومدارك وعقول تتجاوب مع الحق والخير ، وتستجيب لدعوة الحق والخير ، بل تعودوا أن يدخلوا هذه المعاهد ليحصلوا منها — بأية وسيلة من الوسائل — على شهادات تؤهلهم لطلب العيش من خزانة الدولة ، وعلى الدولة أن ترسم لنفسها خططها ، مهما كانت هذه الخطط ، والموظفون الحاصلون على تلك المؤهلات يقومون بنصيبهم من تنفيذ تلك الخطط ، كما تقوم الآلات الكاتبة بعملها إذا حركها محرك ، ثم تصمت وتسكن ما تركت على مكاتبها غير متصلة الأزرار بالأصابع التى تحركها .

كانت وظيفة معاهد التعليم فيما مضى تخريج هذا النوع من حملة الشهادات ، وكان طلاب التعليم يتعلمون على هذه النية ولهذه الغاية ، ولا يعرفون سببا لطلب العلم إلا هذا السبب . وهذه الطريقة — كما ترى — تقود المتعلمين والمتخرجين وأصحاب المؤهلات إلى أن يعيشوا لأنفسهم أولا وآخرا ، ولذلك تعلموا . وإن لهم كل العذر فى ذلك ، لأن سياسة التعليم فى مصر كانت قائمة على هذا الأساس .

ومن غير المعقول أن يكون ألوف المتعلمين والمتخرجين كلهم هكذا ، بل لا بد أن يكون فيهم من هم فى مستوى أعلى من ذلك ، غير أن الحكم يكون دائما على الأعم الأغلب ، والأعم الأغلب هو الذى نعرفه جميعا .

ولكن الحالة اليوم فى مصر غير الحالة التى كانت يوم رسم دانلوب تلك السياسة لمدارس الدولة . فقد كانت مصر أيام دانلوب أمة محتلة بالاستعمار ، وهى اليوم أمة تتكون لتستعمل معارفها ومواهبها وإمكانياتها فى النهوض إلى مستوى العزة والقوة . وفى مصر الآن من مدارس المرحلة الابتدائية أكثر من عدد التلاميذ الذين كانوا ينجحون فى امتحان الشهادة

الابتدائية أيام دانلوب، أى أن عندنا الآن مدرسة فى مقابل كل تلميذ كان يتم التعليم الابتدائى . وفى مصر الآن من مدارس المرحلة الثانوية ما يعادل عدد ما كان يومئذ من مدارس المرحلة الابتدائية . وصارت نسبة عدد الطلبة الجامعيين عندنا أعلى من نسبتهم فى أية أمة من أمم الأرض. فهل زدنا عدد المدارس ، وارتفعت عندنا نسبة الطلبة الجامعيين إلى هذا الحد ، لنحشر كل من يحمل شهادة فى وظيفة من وظائف الدولة ؟ وهل يتعلم المتعلمون ليكونوا كلهم موظفين ؟

كان فى مدينة السويس - مثلا - مدرسة ابتدائية واحدة أيام دانلوب ، وكان كل من يحصل منها على الشهادة الابتدائية يوظف فورا بوظيفة كتابية فى محافظة السويس . فهل بعد أن أصبح فى كل حى من أحياء السويس مدرسة ابتدائية ، تستطيع محافظة السويس أن تضمن فيها وظيفة كتابية لكل من يكمل دراسة المرحلة الابتدائية هناك ؟

إن ميزانية الجمهورية المصرية لن يكون فى طاقتها أن تعول هذا الجيش المظيم من الذين دخلوا المدارس والجامعات بالنية التى كان يدخل بها أسلافهم تلك المدارس ، وهى أن يحصلوا على المؤهل الذى يضمن لهم العيش فى الوظائف الحكومية . ولا أقول هذا لأصد الشباب عن أن يتعلموا ، ولكنى أقوله لتتساءل حكومتنا ، وليتساءل هؤلاء الشباب عند إقبالهم على المدارس والجامعات : لماذا يتعلمون ؟

نحن الآن فى ثورة ، والثورة تتناول الإصلاح فى جميع الميادين : الميادين الرسمية فى نطاقها الضيق ، والميادين الشعبية من اقتصادية وعمرانية وصناعية فى نطاقها الواسع . فالشباب يجب أن يتعلموا ليؤهلوا أنفسهم للاضطلاع بميادين النشاط الشعبى ، فتتولاه أيدى المتعلمين تعلما ملائما لميادين هذا النشاط ، بعد أن كان غير المتعلمين يتعثرون فى مجاراة الأغيار الذين أهلتهم مؤهلاتهم للفوز فى هذه الميادين .

يجب أن نتعلم العلم للعلم ، لا للوظائف . ويجب أن تتحول مدارسنا وجامعاتنا من معاهد لإعداد موظفين ، إلى معاهد لتخريج علماء يعيشون للعلم ومواصلة التزود منه والسهر عليه، ليعيشوا بمعارفهم وكفاءتهم عيشة أكرم وأنفع . والذى يتعلم العلم للعلم يصبح العلم متعته ولذته الدائمة من المهد إلى اللحد . وهذا سبيل التخصص ، وسبيل التعمق ، وسبيل النبوغ . فيكون صاحبه مرجعا فى فنه لكل من يحتاج إلى ذلك الفن فى توسيع

دائرة التقدم العلمى للحصول على ثمراته العملية فى النهضة التى نحن مقبلون عليها فى ثورتنا ، وفى تجددنا ، وفى الإصلاح الذى نتعاون عليه . وهذا الذى تعلم العلم للعلم حتى صار ذلك الرجل المتخصص المتعمق ، سيضن بعلمه عن أن يجعله سلعة تباع لغيره ، فيقوم هو باستغلال هذا العلم وتحويله إلى عمل منتج . وحتى لو أراد أن يجعل علمه فى خدمة غيره فأن أصحاب المصالح سيتزاحمون على الاتصال به ، وعلى إغرائه بالتعاون معهم ، فيعتبر فى وطنه رأسا مفكرا، بينما يكون غيره من المتعلمين للوظيفة أشبه بالآلة الكاتبة التى لا تتحرك إلا بأصابع من يحركها . وهذا النوع من متعلمى العلم للعلم هم الذين فيهم قابلية التجاوب، فاذا تولوا الأعمال لوزارة التربية والتعليم أو لغيرها تجاوبوا معها وسابقوها فى تحقيق وسائل التقدم والإصلاح .

فالتعليم فى مصر يجب أن يتحول عن الطريق الذى رسمه دانلوب للمدارس المصرية من أدناها إلى أعلاها ، وأن نرسم لجميع معاهد العلم طريقا يساير روح الثورة ، فيعلم المقبلون على المدارس والجامعات لماذا يقبلون عليها ، ولماذا يتعلمون . بل يعلم المقبلون على المدارس والجامعات أن وظائف الحكومة لا تتسع لهم بعد اليوم ، وأن الذين تتسع الوظائف لهم هم الأسوأ حظا من الذين تعلموا للعلم حتى صاروا فيه من أهل التخصص والتعمق وساروا فى طريق النبوغ .

الثورة تهدف إلى تكوين مصر تكوينا جديدا قويا فى جميع ميادين النشاط . وهذه الميادين تحتاج إلى أيدى شباب حاذقين فيما يلزم لها من عمل منتج ، فالمدارس يجب أن توفر الكفاءة لذلك فى تلاميذها وطلابها، والحصول على الكفاءة والحذق فى ذلك لا يكون إلا بأن يكون تعلم العلم للعلم ، وأن يكون طلب العلم والتزود منه والتوسع فيه من المهد إلى اللحد . فالعلاج يجب أن يكون من هذه الناحية، وهو علاج أساسى إذا اضطلعت به الثورة حصل من ورائه التجاوب معها . وكان ذلك رأس الاصلاح وعموده وله ما بعده .

ويوم نعقد عزائمنا — حكومة وشعبا — على أن يكون تعلم العلم فى مصر لأجل العلم لا لأجل الوظائف ، سيكون تعديل مناهج التعليم فى مصر على هذا الأساس ، فننظم التعليم ومناهجه بدلالة حاجتنا إليه فى نهضتنا ومرافقنا ، وبدلالة ما نريده لمجتمعنا من اتجاه وتكوين ، وأسرع ما ينبغى لنا الالتفات إليه فى هذه الناحية إفهام الجامعات والقائمين

عليها حقيقة رسالتنا العلمية لتلتزمها فى تكوين الشباب ، ولتعد لهم المعارف اللازمة لهم فى هذا التكوين .

لقد كان من المخجل ما نقلناه فى الجزء الماضى (ص ٥٧٣) من إجابات بعض خريجى الجامعة فى الامتحان الذى عقدته وزارة الخارجية لمائتين منهم عند ما أرادت تعيين ٨٩ ملحقا شابا ليكونوا دفعة جديدة من سفراء المستقبل ، فكان فيهم من أجاب عن دول الجامعة العربية أنها تركيا وإيران ، وكان فيهم من أجاب عن عاصمة سوريا أنها عمان ، وكان فيهم من أجاب عن عاصمة مديرية البحيرة أنه لا يعرفها معتذرا بأنه لا يسافر كثيرا إلى الريف ، وأصحاب هذه الإجابات كلهم يحملون الشهادات الجامعية ، وفيهم من قضى بعد الجامعة سنتين فى معهد عال . وقد تعددت الشكوى من أن مستوى التعليم الجامعى عندنا قد انحط إلى مستوى التعليم الثانوى ، لكننا بعد أن وقفنا على هذه الحقيقة المحزنة فى الامتحان الذى عقدته وزارة الخارجية للحصول من الجامعيين على دفعة جديدة من سفراء المستقبل ، صرنا نرى من الظلم لمستوى التعليم الثانوى أن يوصم بما عليه خريج جامعة مصرية لا يعرف عاصمة مديرية البحيرة لأنه لا يسافر كثيرا إلى الريف ، والخريج الآخر لجامعة مصرية يقول إن دول الجامعة العربية تركيا وإيران .

إن هؤلاء نموذج للمتعلمين الذين يتعلمون لأجل الوظيفة لا لأجل العلم ، وأعترف أنا مع مراقبتى للصحف والمجلات يوميا بما ينشر فيها بأنى لم أشعر بأن وزارة الخارجية دعت الجامعيين لهذا الامتحان . أما إخواننا الذين تعلموا لأجل الوظائف فكانوا أعلم منى بما يلزم لها ، وأكثر انتباها لما ينشر عنها ، ولذلك كانوا على استعداد للاشتراك فى الامتحان فى الوقت المحدد له . أما العلم نفسه بأبسط ما يلزم منه — لا لسفراء الجمهورية المصرية بل لأى تلميذ فى الابتدائى — فهذا ما لم يكن له عندهم كبير أهمية ، ولذلك تمكنوا من الحصول على أعلى الشهادات وهم فى الحالة التى وصفها الأستاذ حسين عزيز الوكيل الدائم لوزارة الخارجية عندما تحدث إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل فى هذا الخطب الممض .

وإذا كانت الصناعة تدل على صانعها فنحن نجل أساتذة جامعاتنا عن أن نقول فيهم إن علم تلاميذهم رشفات من علمهم ، لكننا نغالط أنفسنا إذا تجاهلنا أن جامعاتنا والقائمين عليها لم يتفقوا بعد على تعيين الرسالة الجامعية التى تليق بالطبقة المتعلمة فى مصر ، وفيهم من إذا تعارض خبر فى صحيح البخارى عن حادث تاريخى فى صدر الإسلام مع رأى

آفـن لمستشرق سخيف ، لا يتردد فى نبذ ما صح فى صحيح البخارى من حقائق الوقائع التاريخية فى صدر الإسلام، لأن ذلك المستشرق السخيف سجل فى أحد كتبه رأيا يخالف ما صح عند الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى . ولا ريب أن مثل هذا الموقف العلمى المخزى هو نتيجة من نتائج الاستعمار العقلى الذى لا نزال نعانى آثاره وعواقبه بسبب الثقافات الأجنبية التى آمن بها بعض أساتذة جامعاتنا لبعدهم عن الثقافة العربية الإسلامية التى لا يليق غيرها بجامعات البلاد العربية الإسلامية . ولو أن هؤلاء الإخوان الجامعيين الذين تقدموا لامتحان وزارة الخارجية تثقفوا ثقافة عربية إسلامية فى جامعاتهم ، وفى مدارسهم الثانوية قبلها ، وفى مدارسهم الابتدائية قبل ذلك ، لعرفوا جغرافية أوطانهم العربية والإسلامية وتاريخها ومآثرها وأوضاعها الحاضرة معرفة تبيض بها وجوههم ووجوه بلادهم فى كل موقف .

إن فى أساتذة جامعاتنا من يظنون أن رسالة الجامعة منحصرة فى تشكيك طلبتهم فى كل ما يتصل بالعروبة والإسلام . وفيهم من يظنون أن معنى التعليم الجامعى أن يتجرد المعلم والمتعلم من كل عاطفة حب للقومية التى هو منها ، وللملة التى ينتسب إليها . وفيهم من يظن أن الجهاد كل الجهاد فى أن يهدم ما أبقته الدراسة الثانوية فى قلوب الطلبة الجامعيين من بقايا إيمان بالحقائق القديمة الخالدة ، وحسن ظن بالثقافة التى تستمد حيويتها من كياننا العربى وتراثنا الإسلامى .

هذه النزعات قد توجد فى مدرسى سنتى التوجيه من المرحلة الثانوية ، لكنها فاشية ـ وياللأسف ـ باسراف وطغيان فى بعض الكليات النظرية من جامعاتنا ، ولا سيما الجامعة الأم القائمة فى الجيزة . ويوم كانت الدولة المصرية لا رسالة لها من الماضى إلى المستقبل لم تكن الشكوى من ذلك لتلق آذانا تصغى لها ، أما اليوم ، وبعد أن حددنا طريقنا ، وآمنا بأن هذا الطريق لا بد له من رسالة منتزعة من صميم قوميتنا ، فقد آن لنا أن نعالج هذا الداء الدوى .

إن ما نحن فيه نتيجة لأننا لا نتعلم العلم لأجل العلم، وأن مدارسنا وجامعاتنا ليس لها رسالة قومية تؤمن بها .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٣٦ —

(ا) امساك البخيل
(ب) وانفاق المرائى

(ا) « الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل ، و يكتمون ما آتاهم الله من فضله ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » . (ب) والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » .

تمهيد :

بين الكمال والنقص تباين . فكلاهما على طرف من الآخر .

وقد اتصف الله بالكمال المطلق ، وتنزه عن النقص كيفما كان ، وكان من كماله — سبحانه — دعوته لعباده أن يتخلقوا بأخلاقه — كما ورد — وأن يتأسوا برسوله ، وأن تشريعه لنا قائم على التهذيب ، والتربية ، والإصلاح .

وفى كل ذلك صرف لنا عن النقائص وإن هانت ، لأنها تناقض صفته الكريمة ، وتنأى بنا عن الكمال الإنسانى الذى ارتضاه لنا . . . . فما بالك إذا كانت نقيصة مبعثها التواء فى الغريزة ، أو هوان فى الكرامة ، وكان أثرها زراية للمرء بين قومه ، ووهنا فى بناء المجتمع ؟ ؟

١ — والبخل والرياء من أبغض ما سخط الله : وهما مما يجافى المروءة فى عرف الناس ، وينزل بالأنفس عن قدرها فى حساب الفطرة ، ويباعد بين القلوب ، ويقذف

بالمرء بعيدا عن التخلق بأخلاق الله . . . فالبخيل والمرائي : وجودهما عدم في المجتمع ، بل العدم خير للمجتمع من هذا الوجود .

إذ البخيل ببخله ، يحرض الناس على متابعته ، وقد يكون آمرا لغيره أن يحذو حذوه ، ليكونوا على صبغته ولونه ، فهو — بفعله وبقوله — مصدر العدوى ، وهو كاتم لفضل الله عليه ، ومتظاهر بالحرمان من عطائه ، ومحجم عن شكر ربه ، ومتخلف عن تقدير فضله ، فلم يهنأ بما أسبغ الله عليه ، ولم يسد معروفا مما توفر لديه . . فهل يكون هذا من سمات الإيمان ، أو من مظاهر الإسلام ؟؟ . جواب ذلك في آخر الآية « الذين يبخلون . . ويأمرون الناس بالبخل . . ويكتمون ما آتاهم الله من فضله . . . وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » إذ المعنى : الفاعلون لهذه القبائح ، المتخلقون بتلك النقائص ، يسلكون بعملهم هذا مسالك الكافرين بنعمة الله عليهم ، الناكصين عن دعوته إليهم ، وقد أعد الله لهؤلاء الكافرين عذابا مهينا : فيه إيلام موجع ، ومهانة فاضحة . . . وإذا كانوا في دنياهم يرخصون أنفسهم بما رضوا لها من بخل وحرمان ، وكانوا يسرفون عليها في الوزر ، بدعوتهم للناس أن يأخذوا بأخذهم ، ويحاكوهم في رذيلتهم ، فجزاؤهم حرمان من المثوبة ، وتشديد في العقوبة .

ثم : ما هو البخل المذكور في الآية ؟؟ أهو البخل بالمال وحده كما يشاع ؟؟ . الآية لم تقيده ، بل أطلقت لفظ البخل وكفى ، وفي هذا الإطلاق متسع للبخل بالمال ، وبالعلم وبالإرشاد ، والبخل بالقول الحسن ، وبالعشرة الرحيمة ، وبالمؤازرة في الخير العام ، وبالمعاونة في النفع الخاص ، وبالتضامن في دفع المكروه . فكل ذلك يسمى بخلا . وكل ذلك مذموم . ويشمله التهديد لاعتباره كفرا ، أو مقاربا للكفر .

قالوا : كان في القوم الأولين أناس يبخلون ويمنعون الناس من الإحسان ، وأناس يعلمون الحق ويكتمونه ، كما صنع اليهود في كتمانهم لما عرفوا من التوراة عن الرسول العربي « محمد صلوات الله عليه » فنزلت فيهم هذه الآية . . . ومعلوم أنها لا تكون خاصة بهم ، وإنما هي فيهم وفيمن على شاكلتهم ، فإنها نقائص لا تقف عند أصحابها الأولين ، ولا يقتصر شرها على من يحاكيهم من اللاحقين ، بل هي أمراض زمنية تتعدى الموبوئين بها إلى غيرهم من أهل الجيل ، وفي كل جيل ، فكان الزجر عنها حقا ، والوعيد عليها شديدا .

(ب) وفى مقابلة البخلاء أناس ينفقون المال ، أو ينشرون العلم ، أو يصنعون الجميل : لا سخاء بالمال أو مروءة ، ولا حبا فى فضل العلم ، ولا شكرا لله على نعمة آتاهم إياها ، بل رياء ، وتظاهرا ، واجتلابا للثناء من الناس ، واستنهاضا إلى الإعجاب بهم والإكبار لهم . وإن كانت الآية ذكرت رياء المال وحده فلأنه أكثر ما يبدو به الرياء وأشد فتنة للناس ، والرياء كله تطاول على الله فى كبريائه الحق ، ومزاحمة لسلطانه فى استحقاق الثناء والحمد ، وهذا ينافى الإيمان بالله وباليوم الآخر ، ولا يتفق مع الرغبة فى مرضاته ، أو الشعور بالجزاء الحسن على الفعل الحسن ، وبالعذاب الأليم على الفعل القبيح . . . وهذا غرور ينفثه الشيطان فى أتباعه ، ويذكيه فى نفوسهم إخوان السوء ، فهم دعاة فتنة ، وأنصار للشيطان وجنوده ، والمرائى ينسلخ بريائه عن تواضع المتواضعين وخشية الخاشعين .

لذلك كان الوعيد على الرياء كالوعيد للبخلاء . . فكلتا النقيصتين مما يوحى به الشيطان « ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » وهذا تسفيه لعقولهم جميعا ، ضرورة أن الفريقين من قبيل المتمردين على النعمة ، فهم ما بين شحيح يحبسها عن وجود الخير ، ومراء يبذلها غير مبتغ للخير .

وإذا كانت الآيات جمعت بينهما فى قرن واحد ، وسياق متشابه ، فوجه ذلك أن كلا منهما مشغول بنفسه ، غير ناظر إلى ما يربطه بقومه ، والمحيط الذى يعيش فيه . فالبخيل يمسك لديه من مال ، أو علم ، أو مروءة : كأنه يقتطع نفسه من البيئة ليعيش فى عزلة عنها ، وهو مع هذا يستلب لنفسه منافع الاتصال بالناس ، والحياة بينهم ، والاستئناس بهم ، والاستظلال فى ظل المجتمع ، ثم يكتنز ما لديه من وسائل النفع العام ، ولا يقابل فضلا بفضل ، وإنما يقابل معروفا بنكر ، ومن لم يشكر الناس على صنع ولم يتقدم إليهم بجميل لم يشكر الله فى شىء ، وإن ظن وخال .

وكذلك المرائى : ينفق ماله ، أو ينشر علمه ، أو يبذل فضله ، لغرض خاص من أغراضه ، وشهوة من شهواته : هى أن يكون فى مكانة من الإجلال والظهور يشذ بها عن مستواه ، ويشغل بها الناس لحسابه . وهذه نزعة من الأنانية لا تساعد على تمام الاتصال بالمجتمع ، ولا تدفع إلى واجب نحو دين أو وطن .

والإسلام يطلب إلى أهله أن يتضافروا فى تكوين مجتمعهم ، وأن يبذلوا جهودهم ومعوناتهم فى تنظيم صفوفهم ، وتقوية جيشهم ، لبناء دولتهم وإعزاز دينهم .

والمرائى غير متجاوب مع دعوة الإسلام ، فهو والبخيل فى الشر سواء .

لهذا : جاءت الآية الثالثة تنكر عليهما إسلامهما المدخول ، وتحث الفريقين على الإيمان الحق . « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وأنفقوا مما رزقهم الله ، وكان الله بهم عليما » .

يعنى : أن ما عليه البخلاء والمراءون ليس إيمانا حقا ، فأى ضرر يمسهم ، وأى خطر عليهم ، لو محصوا إيمانهم من الشوائب ، وأعمالهم من الزيف ، واتصلوا بالمجتمع من طريق رسمها لهم دينهم ، وارتجوا عند الله جزاء يرضيهم فى اليوم الآخر ؟ .

هل حسبوا أن الله لا يحيط بأعمالهم ، أو لا يجزيهم على صنيعهم ؟ لا ، فإن الله عليم بهم ، وهو حتما مجزئهم على الخير خيرا ، وعلى السوء سوءا ، لا ينقصهم حقا ، ولا يزيدهم شرا . سيحاسبهم حساب من لا ينسى ، ويجزيهم جزاء من لا يظلم .

« إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجرا عظيما » وحسبك بالذرة مثلا يضرب فى تقدير شىء ، وهى أقل مايعرف من أشياء نحسها ، والمقصد : تصوير الله للناس أن عدله فى حسابهم ، ومثوبتهم ، أو عذابهم ، لا يفلت منه أدنى عمل نتصوره « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

ومع هذا العدل الكامل فقد اقتضت رحمة الله بعباده إذا عذبهم ألا يزيدهم عما اكتسبوا ، وإذا أثابهم أن يضاعف لهم جزاء حسناتهم إلى عشر أمثالها أو إلى أكثر من ذلك مما لا يقدر قدره إلا هو « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » « والله يضاعف لمن يشاء » « وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » « والله ذو الفضل العظيم » « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها » « إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

وليس هذا الوعد الكريم بعظيم فضله مدعاة الاتكال ، وإغراء بالعفو : لا وإنما هو لبيان جوده وعطائه إذا شاء أن يجود على من يستحق عطاءه .

فله عذاب مهين ، وعقاب شديد ، وحساب عسير . . فاللهم لا تنسنا عذابك ، ولا تشدد علينا حسابك ، وألهمنا رشدك ، وافتح لنا مع المتقين الصالحين بابك ، وأسبغ علينا فضلك وثوابك ، وعاملنا دائما بما أنت أهله ١٠

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

السنة

خاتم النبيين

— ٣ —

المتنبئون — شر الدواب عند الله — مسيلمة الكذاب — الأسود العنسى — المختار الثقفى — الحارث بن سعيد — اسحاق الأخرس — أذناب تتلوى بعد قطع أرؤسها .

* * *

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ؛ فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين . (رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

* * *

قدمنا فى الجزأين السابقين من الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، على أن الله تعالى ختم النبوة فضلا عن الرسالة ، بنبيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ـ ما يقطع دابر الدجاجلة الأفاكين ـ من أولئك المتنبئين ؛ ثم وعدنا أن نمد هذا الجزء بمزيد من البيان والتفصيل .

ونرجو مع الوفاء بالوعد ، أن نكشف عن جانب من فضائح هؤلاء الكفرة الفجرة مدعى النبوة والرسالة ، ليأخذ الضعفاء حذرهم وأسلحتهم ، أن يقعوا فى شركهم ، وليزداد الأقوياء المؤمنون قوة وإيمانا .

لا جرم أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، ولا جرم أن شر هؤلاء إجراما هم المتنبئون . « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » .

ولو كان عند هؤلاء مُسكة من عقل ، أو ذرة من نور ، لعلموا أن دعوى النبوة أو تصديقها بعد خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، هو الخبال كل الخبال ، والنكال الذى ليس وراءه نكال ! ! وكفى به جرما وخبالا أنه اتهام لأحكم الحاكمين فى اختياره واصطفائه من يشاء من عباده « ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون »

* * *

ومن حكمة الحكيم العليم ، ورحمته بأمة خاتم النبيين ، أن أنبأه نبأ هؤلاء الدجاجلة قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، لتحذر فتنتهم ، وتتق ضلالتهم ، وتعوذ به سبحانه من همزات الشياطين . روى الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ؛ وروى الترمذى وأبو داود عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبدوا الأوثان ، وإنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبى بعدى .

* * *

ولم يفارق النبى صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا حتى صدق الله رسوله ما أوحى إليه ، فظهر نفر من هؤلاء الدجالين الذين ادعوا النبوة ، واتقت وساوسهم فى أثناء مرضه الأخير صلوات الله وسلامه عليه : منهم مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ؛ والأسود العنسى صاحب صنعاء اليمن .

ومن خبر مسيلمة كما فى الصحيحين وغيرهما أنه قدم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ، وجعل يقول : إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته . قدمها فى بشر كثير من قومه بنى حنيفة ، فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس ، وفى يده صلوات الله عليه قطعة جريد ، حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال : لو سألتنى هذه

القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريت فيه ما رأيت ، وهذا ثابت يجيبك عنى ، ثم انصرف عنه . قال ابن عباس فسألت أبا هريرة عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإنى لأراك الذى أريت فيه ما رأيت، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا نائم رأيت فى يدىّ سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما ، فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى : أحدهما العنسى ، والآخر مسيلمة .

ولم تظهر شوكة مسيلمة إلا فى عهد الصديق رضى الله عنه ، إذ جمع جموعا كثيرة ارتدوا على أعقابهم وتأهبوا لقتال الصحابة ! فجهز لهم الخليفة الأول جيشا بأمرة سيف الله خالد ، فقتل أصحاب الكذاب . . ثم كان الفتح بفصل هامة الكفر والضلال .

وممن أبلى فى فصل هذه الهامة وحشى قاتل أسد الله حمزة سيد الشهداء ! قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مسيلمة الكذاب ، قلت لأخرجن إلى مسيلمة لعلى أقتله فأكافئ به حمزة ، قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان ، فاذا رجل قائم فى ثلمة جدار كأنه جمل أورق(١) ثائر الرأس ، فرميته بحربتى فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه . قال ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته .

وكان وحشى — غفر الله له — بعد إسلامه ، والإسلام يجب ما قبله ، يرهب قتله حمزة على غرة فى غزوة أحد ! ويزيد فى رهبته وخوفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحب أن يراه ؛ لأن رؤيته كانت تثير فى نفسه الرحيمة مأساة عمه ، وحزنه على أحب الناس إليه ! ! لكن الله الذى يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، وفق قاتل سيد الشهداء ، لأن يقاتل ألد الأعداء . .

* * *

وأما الأسود العنسى فقد خرج بصنعاء وادعى النبوة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وغلب على عامله هناك : المهاجر بن أبى أمية ، وعظمت شوكته وحارب المسلمين وفتك

---

(١) الأورق من الإبل ما فى لونه بياض إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل لحما لا سيرا .

بهم ! ولم يزل يعثى فى الأرض مفسدا حتى أخذه الله قبيل وفاة نبيه صلى الله عليه وسلم أو يومها ، وأراح العالم من شره . .

* * *

ثم ظهر بعد العهد النبوى كذابون دجالون متنبئون ، منهم المختار بن أبى عبيد الثقفى ، وقد شهد عليه بدعوى النبوة والكذب الصريح جماعة من أهل البيت . بل شهد عليه حديث مسلم فى صحيحه عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فى قصتها مع الحجاج وهى تقول له : « أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيرا ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه » فقام عنها ولم يراجعها . . والمبير : الجبار المهلك ، والمراد به هنا الحجاج بن يوسف الثقفى ، والمراد بالكذاب : المختار ابن أبى عبيد الثقفى ، وذلك باجماع العلماء كما قال الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم !

* * *

ومن أقبح أكاذيبه دعواه أن جبريل عليه السلام كان يأتيه بالوحى ! ومما ورد فى ذلك ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن رفاعة الغسانى قال : دخلت على المختار فألقى إلىّ وسادة وقال لولا أن أخى جبراءيل ، قام عن هذه — وأشار إلى أخرى عنده — لألقيتها لك . . .

وقد يكون من العجب أن أباه أبا عبيد الثقفى كان رجلا صالحا ، واستشهد أيام عمر فى حرب المجوس ، وكذلك أخته صفية بنت أبى عبيد امرأة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، كانت امرأة صالحة ، وترجم لها ابن حبان فى الصادقين الثقات . . وأما المختار فأجمعوا على أنه رأس من رءوس الكذب والضلال . . وقد أخذه الله على يد مصعب ابن الزبير بالكوفة سنة سبع وستين [١]

---

(١) انظر طرفا من أخباره فى شرح مسلم (باب فضل الصحابة وتحريم سبهم) وفى الإصابة لابن حجر ، وفى المنتقى من منهاج الاعتدال . بتحقيق السيد محب الدين الخطيب ، ثم فى كتاب « الدعاة » من المتألهين والمتنبئين والمتمهدين ، لصاحبه وجيه فارس الكيلانى

ثم ظهر من بعد المختار دجالون متنبئون من هؤلاء الذين حدثنا عنهم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم مثل الحارث بن سعيد الدمشقي ، الذي ظهر في أيام عبد الملك بن مروان ، واغتر به خلق كثير إلى أن وقع في قبضة عبد الملك فسجنه وقتله . . ومثل إسحق الأخرس الذي ظهر في خلافة أبي العباس السفاح . . ومن أخباره أنه نشأ بالمغرب وتعلم القرآن ، ولم يترك علما حتى أتقنه ، ثم ادعى أنه أخرس تمهيدا لدعواه النبوة ، ثم رحل إلى أصفهان ونزل بها عشر سنين ، ثم زعم أن ملكين جاءاه بعد خلوة أربعين يوما فأيقظاه وغسلاه وسلما عليه بالنبوة . . في نبأ ثقيل نقله كتاب « الدعاة » .

* * *

وآخر هؤلاء الأفاكين كأولهم ، وكلهم أعرق الناس ضلالا ، وأسخفهم أقوالا ، وأبعدهم عن العقل والفضل مجالا . . وقد قطع الله دابرهم ، ووقى العالم شرورهم ، ولم يبق من أخبارهم — عليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين — إلا نوادر وأحاديث تتفكه بها كتب الأدب والتاريخ ، قصدا إلى الترويح والتسلية . . .

* * *

لكن الحكيم العليم الذي يبلو عباده بالشر والخير فتنة ، والذي جعل لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا — لا يزال يبتلي هذا الدين الحنيف وأهله بأرؤس من هؤلاء المخبلين ، تتحرك ثم تقطع ، ثم تبقى أذنابها تتلوى حينا على عمى وتخبط ، إلى أن يتبعها الله أرؤسها بأيدي أولي بأس من عباده .

وميقات حديثنا الختامي عن هؤلاء الأذناب هو الجزء القادم بمشيئة الله تعالى وعونه وتوفيقه .

طه محمد الساكت

الاستعمار ، والاستعمار الثقافى

« الاستعمار » : كلمة بغيضة جارحة لنفس كل من يفقه معناها ، ويلمس سوء أثرها فى الأقطار العربية ، وليس لها أية صلة « بالعمران » و « الإعمار » إلا أن تكون من قبيل تسمية الأضداد . وهى تسمية معروفة قديما عند العرب . وكان الأصح والأجدر أن تستبدل بها كلمة « التخريب » أو التدمار .

ولا حاجة بنا للبحث عن أصل هذه الكلمة اللغوى أو تاريخ استعمالها فى اللغة العربية ، فهى كلمة عصرية موضوعة تلازم معنى الغزو والقرصنة والظلم والعدوان ، ولعل بعض الكتاب الذين اشترى الأجانب أقلامهم وضمائرهم ، هم الذين أطلقوا صفة « الاستعمار » على هذا الغزو الأجنبى الخطير المدمر للأقطار العربية والإسلامية والشرقية .

* * *

لقد بدأ الغزو الاستعمارى على الشرق من قبل دولتى إسبانيا والبرتغال فى القرن الخامس عشر الميلادى ، بعد إخراج العرب والمسلمين من الأندلس ، واكتشاف أمريكا وشواطئ إفريقية الغربية ثم الهند وجنوب آسية . وفى ذلك الحين كانت جمهوريتا البندقية وجنوا وغيرهما من جمهوريات إيطالية ، تسيطر على التجارة فى البحر الأبيض المتوسط بين البلاد العربية وأوربة ، ويعم نفوذها الاقتصادى جميع البلاد العربية والإسلامية التى هى على شواطئ البحر المذكور . ولما تدفقت خيرات هذه البلاد فى آسية وإفريقية على إسبانية والبرتغال وإيطالية وقع التنافس والخصام بينها ، فخشى البابا حينذاك أن تقع الحرب بين هذه الدول المتنافسة ، فتجر الخراب والكوارث على الممالك الكاثوليكية بعد أن تمكنت من إجلاء العرب من إسبانية ، وأمنت خطر زحفهم من جديد عليها ، فأصدر مرسوما بابويا يقسم مناطق الاستعمار بين هذه الدول ، ويجعل أمريكا الشمالية والجنوبية نصيب إسبانيا ، ويخص البرتغال بغرب إفريقية وجنوب آسية ، ويجعل البلاد الواقعة على شواطئ البحر الأبيض من نصيب الجمهوريات الصغيرة الايطالية . وقد أدت سيطرة الاستعمار البرتغالى على جنوب آسية ، الى قطع التجارة بين البلاد العربية من جهة وبين الهند والصين والهند الصينية وأندونيسية وغيرها ، وحلت بالبلاد العربية نكبة اقتصادية يمكن تقدير مداها مما كتبه المؤرخ المصرى ابن إياس . وقد كان مما ذكره فى حوادث شهر ذى الحجة

سنة ٩٢٠ هجرية ما خلاصته : ان استيلاء البرتغاليين على الهند ومنعهم مراكب التجار من السير عبر البحر الأحمر قد أدى الى خلو الاسكندرية وميناء دمياط من السكان والتجار فأصبحتا خرابا ، كما أن ميناء جدة لم يصلها مركب تجارى واحد خلال ست سنوات .

وقد بقى هذا التقسيم البابوى مدة طويلة ، نهضت فى أثنائها دول بريطانية وفرنسة وهولندة، فزاحمت إسبانية والبرتغال وتغلبت على بعض مستعمراتهما، كما زاحمت الجمهوريات الإيطالية فى البلاد الواقعة على شواطئ البحر المتوسط وسيطرت على المراكز الاقتصادية فيها.

* * *

وأجدر الأمم بمعرفة معنى الاستعمار وحقيقة أمره ، هى شعوب آسيا وإفريقية ، والمسلمون بصورة خاصة، والعرب بصورة أخص، فقد ناء عليهم بلاء الاستعمار بكلكله ، وجثم على صدورهم بقضه وقضيضه ، وغزاهم بخيله ورجله ، وأذاقهم العذاب الأليم، فتحكم فى بلادهم ، وسلب أموالهم ، وأذل رقابهم ، بل هو فى بعض الأقطار دمر البلاد ، وقوض الكيان ، واستأصل الشأفة ، ومحق العنصر . والشاهد على ذلك ما أصاب الهنود الحمر فى أمريكا من غزوة المستعمرين الأوربيين ، وما أصاب كثيرا من الشعوب الافريقية والأسيوية . بل لدينا شاهد أقرب وأعجب ، هو ما أصاب الشعب العربى الفلسطينى خاصة من المؤامرة الاستعمارية اليهودية .

ولا يتسع المجال لسرد كثير من الشواهد والوقائع والفظائع التى اقترفها الاستعمار فى تلك الشعوب ، فإنها مسجلة فى صفحات التاريخ ، ولكننا نضرب المثل على النزعة الاستعمارية العدوانية التى سيطرت على عقول أولئك الغزاة الظالمين ، بما كتبه مونتسكيو الكاتب الفرنسى الشهير، إذ أورد فى الفصل الخامس من كتابه المعروف (روح القوانين) الجملة الآتية محاولا تبرير اتخاذ الزنوج عبيدا . قال : « إن شعوب أوربا بعد ما أبادت سكان أمريكا الأصليين ، وهم الهنود الحمر، لم تر بدا من استعباد شعوب افريقية لكى تستخدمها فى استغلال هذه الأقطار الشاسعة، فأن هذه الشعوب سود البشرة من أقدامهم إلى رءوسهم ، ولا يمكن أن يتصور أحد أن الله ــ وهو ذو الحكمة البالغة ــ قد خلق روحا ، وعلى الأخص روحا طيبا ، فى أجسام حالكة السواد . . . » .

ولم يكن مونتسكيو وحده هو الذى يرى أن الشعوب السود أو الحمر ليست لها أرواح، وأنها جديرة بالاستعباد ، بل إن غزاة أمريكا الشمالية الأولين ، حتى رجال الدين منهم كانوا ينعتون سكان البلاد الأصليين بأنهم من سلالة الشيطان ، ويحضون على القضاء عليهم

بكل الوسائل ، ومن ذلك نشر الأمراض السارية بينهم ! وما زال غزاة أمريكا ممعنين فى محق السكان الأصليين حتى استأصلوهم تقريبا ، وهم اليوم يعاملون الزنوج الذين جاءوا بهم من إفريقية أسوأ معاملة ، ويشنقونهم على جذوع الأشجار دون محاكمة ، ويزعمون مع ذلك أنهم ديمقراطيون عادلون ! ولا يقل عن هذه الفظاعة ما يقترفه المستعمرون اليوم فى أقطار المغرب العربى فى شمال إفريقية ، وفى قبائل الماو ماو فى كينيا وغيرها من البلاد التى يحتلونها ويستعمرونها . ورحم الله (شوقى) الذى أصاب كبد الحقيقة عندما وصف المستعمرين بقوله :

وللمستعمرين ، وإن ألانوا قلوب كالحجارة لا ترق

وفى ذلك تصديق لقوله تعالى فى وصف اليهود : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » .

* * *

ولا ريب فى أن الخطة الخطيرة التى رسمها المستعمرون للأمة العربية ، وقد رأينا بوادرها فى فلسطين التى نعرف جميعا ما وقع عليها من ظلم ، وما نزل بها من كارثة لم يعرف التاريخ نظيرا ، فأن الانجليز لم يكتفوا باستعمارها ، بل زادوا عليه إجلاء شعبها عن بلاده بالحديد والنار ، وأحلوا فيها شعبا دخيلا أجنبيا .

لا ريب فى أن هذه الخطة الخطيرة ، بل المؤامرة الأنجلوأمريكية اليهودية ، لو قيض لها النجاح فى فلسطين ، فأنها ستنفذ حتما فى سائر الأقطار العربية الداخلة ضمن نطاق المطامع اليهودية وبرنامجهم المعروف « من النيل إلى الفرات » . فليتنبه العرب لما يراد بهم ، وليأخذوا حذرهم من كيد المستعمرين ومؤامراتهم التى يبيتونها لهم .

* * *

لقد زال الاستعمار بموجته الطاغية العاتية من أكثر أقطار العالم ، وخلصت أكثر شعوبه من رجس الاستعمار ، وقد انطوى بساطه من آسيا ، منذ وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها ، فخرج مذموما مدحورا من الهند ، وباكستان ، وأندونيسيا ، وبورما ، وسيلان ، والهند الصينية ، وسيام ، وغيرها من معظم الأقطار الآسيوية ، إلا من الأقطار العربية فى آسيا وافريقية حيث لا يزال يرزح بعضها تحت كلكله ، أو يسيطر بنفوذه على بعض آخر ، كفلسطين والأردن وجنوب اليمن والمحميات وإمارات الخليج العربى وغيرها ، ومما يمض ويؤلم ان هذا الاستعمار الذى اضطر إلى الانكماش والتقلص فى الأقطار الآسيوية بعد الحرب الأخيرة ، انتعش واشتد ساعده ، واتسعت دائرته فى الأقطار

العربية ، كما حدث فى حضرموت ولحج وما حولها ، وفى الكويت والبحرين وقطر ومسقط وغيرها من المناطق التى ظهر فيها البترول أو التى اشتم فيها رائحة البترول، كما تشتم الهرة رائحة اللحم : كعمان والبريمى . وقد حسر الاستعمار البريطانى القناع عن وجهه أخيرا فى اقتحامه المناطق التابعة لإمامة عمان المستقلة ، التى لم يسبق له دخولها ، وفى هجومه أخيرا على واحة البريمى العربية السعودية .

لا شك أن هذا دليل على مبلغ استخفاف الاستعمار البريطانى الغاشم بالأمة العربية ، وامتهانه لكرامتها ، وكأنى ببريطانيا تريد أن تستعيض بالأقطار العربية فى آسيا وإفريقية ما فقدته من مستعمراتها العديدة وامبراطوريتها المنهارة فى آسيا ، ومن ناحية أخرى فأنا نرى الاستعمار الفرنسى يقترف من الفظائع فى أقطار المغرب العربى ما يدمى القلوب ، ويثير كوامن النفوس ، ولكننا إذ نستنزل اللعنات الإلهية والغضبات الربانية على جميع المستعمرين الظالمين ، لا نستطيع أن نخلى أنفسنا وشعوبنا - معاشر العرب والمسلمين المظلومين - من اللوم والتثريب والتقريع والتأنيب، لأن الأمة التى تنام على الضيم وتقبل الظلم ، وتستكين للظالمين ، إنما تشجع بذلك ظالميها على ظلمهم ، وتستحق على خنوعها واستخذائها لوما أشد من لومهم . وإن من عرف تاريخ الأمة العربية المجيد ، من الأجانب أنفسهم، ليعجب أشد العجب ، كيف قبلت هذه الأمة العريقة - فى المجد والحضارة، والقوة والشجاعة - لنفسها هذا الذل والصغار ، وكيف أصبحت هدفا لمطامع أذل الأمم من اليهود وغيرهم .

هنالك نيف وعشرون قطرا عربيا ترزح تحت أثقال الاستعمار : كفلسطين ، والأردن ، والكويت ، والبحرين ، وقطر ، وأبو ظبى ، ودبى ، والشارقة ، ومسقط ، وعدن ، وحضرموت ، ولحج، وبقية ما يسمى المحميات التسع ، وزيادة على ذلك تونس والجزائر، ومراكش ، والريف وغيرها من البلاد العربية فى إفريقية وآسيا .

* * *

وإن الإنسان ليعجب كيف يصبر العرب على كل هذا الأذى ، وإنه لعار أى عار على الأمة العربية أن تعد أقطارها الرازحة تحت نير الاستعمار بالعشرات ، بينما تخاصم الأمم الأخرى ألد الخصومة على منطقة واحدة أو بلد واحد ، كما تفعل إسبانيا اليوم لأجل استرداد جبل طارق من انكلترة ، أو قد تشن حربا طاحنة كما فعلت ألمانيا لاسترداد ميناء « دانزيغ » .

كيف يعقل أن هذه الأقطار العربية التي تمتد من المحيط الأطلسي إلى حدود إيران، وتربطها أقوى الروابط برقعة الأقطار الإسلامية الشاسعة الممتدة من مراكش إلى أندونيسية، والتي لا ينقصها وفرة العدد، ولا وفرة الثروة، ولا سعة الأرض، ولا المواقع الجغرافية والاستراتيجية، ولا الذكاء والنباهة، ولا البسالة والشجاعة، ولا غير ذلك من مكونات الأمم الحية. كيف يعقل أن هذه الأقطار تظل دون غيرها من أمم الأرض ذليلة خاضعة لنير الاستعمار، مسلسة قيادها للظالمين، يمزقون أوطانها، ويلغون في دمائها، ويسومونها سوء العذاب، ويتخذون من أبنائها وقودا لنار الحرب.

ألا إن الاستعمار - أيها العرب - قد تصدع كيانه، وأخذ بالانهيار بنيانه، وآذنت شمسه بمغيب، وإن الأمم المظلومة التي ظهرت بوادر يقظتها منذ مستهل هذا القرن أو قبله قد تجلت نهضتها، واشتدت ثوراتها في أعقاب الحرب العالمية الأخيرة، ولا سيما بعد انعقاد مؤتمر نيودلهي الذي جمع معظم الدول الاسيوية عام ١٩٤٨، وكان له أثر كبير في استقلال أندونيسيا، وفيما تلا ذلك من الجهود التي انتهت بعقد مؤتمر باندونغ، الذي تجلت فيه غضبة شعوب الشرق ودوله في كل من آسيا وإفريقية على الاستعمار، وتمردها على الدول الاستعمارية الكبرى المسيطرة على منظمة الأمم المتحدة، وقد سجلت على نفسها في ميثاقها مكافحة الظلم والاستعمار، وتحرير شعوب آسيا وإفريقية كلها، ومساعدتها على نيل استقلالها.

لقد كان مؤتمر باندونغ، والحوادث التي وقعت قبله، والتي توالت بعده، بشيرا لشعوب الشرق، ونذيرا للاستعمار بتصرم أيامه، وانتهاء عهده إلى غير رجعة، فهو اليوم في تقهقر واندحار، وستعقبه الهزيمة النكراء. فعلى الشرقيين عامة، والمسلمين والعرب خاصة، وهم الذين يعانون من ظلم دول الاستعمار أكثر مما يعانيه غيرهم، أن يجمعوا أمرهم، ويشحذوا عزائمهم، لطرد الاستعمار من بلادهم، وتقويض بنيانه من القواعد.

إن الأحداث الأخيرة العظيمة في العالم العربي، ولا سيما تلك الخطوات المباركات نحو التسلح، والتكتل، وتوحيد القيادة العسكرية، التي تمت - بفضل الله - بين مصر والمملكة العربية السعودية وسورية، وما امتازت به من جد وشجاعة وتصميم، لجديرة بأن تفتح أمام الأمة العربية بابا واسعا من الأمل بالفوز والنجاح، وبأن تكون نقطة تحول في تاريخ العرب أجمعين. ولا ريب في أن ما تم حتى الآن وما نرجو أن يتم في الأيام

المقبلة من أعمال ومساع موفقة بشير بمستقبل سعيد للعرب يتمتعون فيه بالعزة والمنعة ، والاستقلال والحرية ، ولا شك أن عزة العرب هى أساس لعزة الإسلام . وفى الحديث النبوى الشريف : « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » .

وإنى لأذكر خطابا ألقاه شاعر الإسلام ، وفيلسوف باكستان ، المرحوم محمد إقبال ، فى المؤتمر الإسلامى العام الذى عقد فى القدس سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) ، جاء فيه قوله : « إن الإسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب : أولهما الإلحاد ، وثانيهما الاستعمار ، وإن مستقبل الإسلام رهن بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهن بوحدة العرب ، فإذا تمت الوحدة العربية علا شأن المسلمين فى كل أنحاء الأرض » .

اللهم إن هذا هو الحق ، والحمد لله حمدا كثيرا إذ أرانا اليوم بوادر هذه الوحدة ، وهى تتحقق فيما ذكرت من تكتل هذه الدول العربية الثلاث ، وتسليحها ، وتوحيد قيادتها .

* * *

يا إخوانى : لا ينبغى أن نكتفى بالأمانى والآمال وحدها ، وحتى بالتكتل والتسلح وحدهما ، بل علينا أن نتعرف أساليب هذا الاستعمار الغاشم وخططه ، ونقف على مؤامراته ودسائسه وشباكه ، لنأخذ حذرنا منها ، ونعمل على إحباطها ، ونجاهد بإخلاص وتصميم لتحطيم أغلال الاستعمار ، والقضاء عليه فى بلادنا . فالاستعمار لا يعتمد على الغزو العسكرى فحسب ، بل جل اعتماده على وسائل أخرى أعظم أثرا وأشد خطرا من القوة العسكرية ، كدوائر المخابرات ، ومنظمات الطابور الخامس ، والدعاية والارجاف ، والدس والتفريق الذى اتخذه المستعمرون أساسا للحكم إذ يقولون : (فرق ثم احكم) ، ثم هنالك الغزو الاقتصادى ، والثقافى ، والاجتماعى ، والتبشيرى ، وهنالك إثارة الفتن ، وبلبلة الآراء ، وبث الشكوك والريب فى نفوس الشعب ، وإزالة الثقة بالمخلصين من الزعماء والقادة .

* * *

فلنعمل على مناوأة الاستعمار فى كافة هذه الوسائل التى يستعملها ضدنا ، ولنحذر دوائر المخابرات الأجنبية ، التى هى منظمات عظيمة قوامها عدد كبير ممن تستأجرهم وتوظفهم وتدسهم فى كل ثغرة من ثغرات البلاد ، وفى كل مكان خطير من جسم الأمة ، فيقعدون لها كل مرصد ، ويتربصون بها الدوائر ، وتستعين بأفراد الطابور الخامس من أتباع المستعمرين ومن دعاة الهزيمة والمرجفين . ومن وسائلهم الخطيرة أن يعملوا جاهدين على التفريق بين

عناصر الأمة وأفرادها وطوائفها وأحزابها ، لإثارة الفتن ونشر الفوضى و بلبلة الآراء ، وتمزيق الأمة شر ممزق .

أما الاستعمار الاقتصادى فعلينا أن نكافحه بمقاطعة المصنوعات والنواتج الأجنبية حسب الاستطاعة ، و بالاقبال على المصنوعات والنواتج الوطنية وتعضيد المشروعات الأهلية .

وأما الاستعمار الثقافى ، فهو غزو مدمر شديد الخطر ، عميق الأثر ، وحسبى أن أذكر نقلا عن السجلات الرسمية لعام ١٩٥١ أن فى مصر (٧٩) تسعة وسبعين ألف طالب يدرسون فى المدارس الأجنبية ، وفى لبنان على صغره (٤٤) ألف طالب ، وفى فلسطين حسب آخر إحصاء لها قبل الكارثة (٢٦) ألفا ، وفى سورية (٩) آلاف ، وفى الأردن (٨) آلاف طالب ، وما يقارب هذه النسبة فى بعض الأقطار العربية . و جميع هؤلاء يتلقون الثقافة الأجنبية المدمرة للوطنية والعقيدة والتقاليد .

وقد سمعت من شخصية دبلوماسية إسلامية غير عربية بأن فى جامعة اكسفورد كرسيا خاصا لدراسة الوسائل المؤدية الى هدم الإسلام . . وأن هذا الكرسى أسس فى هذه الجامعة منذ عشرات السنين ولا يزال .

فلماذا تسمح الأمة العربية فى مختلف أقطارها للمؤسسات والمدارس الأجنبية أن تسمم ناشئتها وشعوبها ، وتقضى على مستقبلها ، على حين لا تسمح دولة أجنبية لأية دولة أخرى بفتح مدرسة أو مؤسسة واحدة فى بلادها ؟

ولهذه المناسبة أذكر لكم أن السلطات اليهودية فى فلسطين المحتلة لا تسمح بفتح أية مدرسة أجنبية ، ولا تسمح أيضا بفتح مدرسة علمانية ولو كانت يهودية ، ولقد قامت منذ عامين أزمة وزارية شديدة هناك لأن الوزارة اليهودية سمحت بفتح مدرسة علمانية يهودية واحدة لا تعلم الدين اليهودى ، واستمرت الأزمة إلى أن ألغيت رخصتها .

واسمحوا لى أن أسترعى أنظاركم إلى أن من وسائل (الاستعمار الثقافى) فى بلادنا تلك الدعوة الوقحة الأثيمة ، لاستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وهى شنشنة عرفناها من أخزم ، وقد روج لها المستعمرون وأذنابهم فى الأقطار العربية وفى الأقطار الإسلامية كتركيا التى نجحوا فى حملها على نبذ الحروف العربية نتيجة لإرغامها على قبول شروط الصلح الذى عقده الحلفاء معها فى مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ والمعروفة بشروط كيرزون الأربعة وهى : (١) قطع كل صلة بالإسلام . (٢) إلغاء الخلافة . (٣) إخراج أنصار

الخلافة والفكرة الإسلامية من البلاد . (٤) اتخاذ دستور مدنى بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام . وقد اضطر الأتراك إلى استعمال الحروف الافرنجية وفقا للشرط الأول القائل بقطع كل صلة مع الاسلام .

وإن أتباع الاستعمار فى البلاد العربية يحاولون حملنا على ترك حروفنا واستعمال الحروف الافرنجية ، ليبعدونا عن القرآن والإسلام ، ويقوضوا ثقافتنا العربية التى يرتبط بها عشرات الملايين من العرب ومئات الملايين من المسلمين .

وحسبى أن أذكر أن اليهود بعد تشردهم أكثر من ألفى عام وضياع لغتهم ، قاموا يعملون على إحيائها ، وشرعوا يعلمون بها ، ولم يستبدلوا حرفا من حروفها ، مع اعترافهم بضعفها وعيشتهم العصور الطويلة فى أوربا وأمريكا حيث تستعمل الحروف اللاتينية . لقد استطاع اليهود أن يحيوا حروفهم ولغتهم الميتة ، ويجعلوها لغة التعليم فى جامعاتهم ومدارسهم ، فى الحين الذى نسمح فيه معشر العرب والمسلمين فى بلادنا بقيام دعوة أثيمة كهذه ، لإضاعة لغة القرآن ، ومحو الحضارة العربية والإسلامية ، باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية . إن هذا لشىء عجاب !

وهذا (الاستعمار الثقافى) أخطر أنواع الاستعمار لأنه يستولى على القلب والعقل .

* * *

أما الغزو التبشيرى ، فإنه يتعاون مع الغزو الاستعمارى الى أبعد مدى .

وبرهانا على ذلك أورد كلمة قالها اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا الاسبق وصاحب الوعد المشئوم لليهود باستعمار فلسطين وإنشاء الوطن القومى اليهودى فيها وهى : «إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة ، وعضدها فى كثير من الأمور المهمة ، ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيرا من العقبات ، ولذلك فأنا فى حاجة الى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح المبشرين » . هذا وقد كان اللورد بلفور نفسه رئيس شرف للجنة تبشيرية .

وقد ألف الدكتور مصطفى خالدى أستاذ التوليد فى جامعة بيروت الأميركية سابقا والدكتور عمر فروخ كتابا قيما ، اسمه (التبشير والاستعمار فى البلاد العربية) أوردا فيه براهين كثيرة قاطعة على جهود المبشرين التى ترمى إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربى . ومن أراد أن يعرف مبلغ خدمة التبشير للاستعمار ، فليقرأ كتاب البحاثة الفاضل الدكتور مصطفى الحفناوى عن (قناة السويس) وما كان لرجل التبشير من جهود ومساع فى سبيل حض المستعمرين على فتح قناة السويس والاستيلاء عليها .

هذا وإن من وسائل الاستعمار الخطيرة ، استغلال بعض الشخصيات فى البلاد العربية من المشهورين بالذكاء والبراعة ، وبالخضوع للمستعمرين ، والشره الى المال والمنصب ، فأولئك أجدر الناس بالنبذ واللوم والاحتقار .

وقد عرف فريق من هؤلاء واشتهر بما لأة المستعمرين ، على حين أخذ فريق منهم يعمل لصالح الاستعمار من وراء ستار ويقبع فى المراكز الخطيرة الحساسة فى بعض الأقطار ، ولا ريب فى أن يقظة الأمة العربية ، ووعيها القومى ، جدير بهما أن يحبطا كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، ولا يحيق المكر السيء الا بأهله .

* * *

وبعد ، فعلى العرب فى كافة أقطارهم وأمصارهم أن يكافحوا الاستعمار بجميع صوره وأشكاله ، وأساليبه ووسائله ، وأن يحبطوا كيده ، ويخمدوا فتنته ، وأن يطردوه من قلوبهم قبل كل شيء ، فإذا طرد الاستعمار من القلوب ، لم يكن له بقاء فى أرض الوطن ، وليكن الكفاح حازما حكيما ، منظما مستمرا ، حتى يعتقد المستعمر أن بقاءه فى البلاد مستحيل عليه ، وأنه يعود عليه بالخسران المبين والضرر العظيم .

لقد كتب لورنس الذى اشتهر اسمه ، ولمع نجمه خلال الحرب العالمية الأولى ، مقالا فى عام ١٩٢١ جاء فيه ان المستعمرين لا يستقرون فى الأقطار التى يتمرد أهلها عليهم باستمرار ، أو التى يفوق غرمهم فيها غنمهم منها . وهذا قول صحيح صريح .

وفى الختام أسأل الله تعالى أن ينقذ الأقطار العربية والإسلامية والشرقية وكل قطر مستعبد ، من آفة الاستعمار ومن ذل الخضوع والخنوع للمستعمرين ، وأن يهدى أولئك الذين سخروا أنفسهم مطايا وأنصارا للاستعمار ، فتسربلوا بالخزى والعار ، أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ، والله لا يصلح عمل المفسدين .

محمد أمين الحسينى

التقليد فى الزندقة

قال أبو عثمان الجاحظ فى رسالة (أخلاق الكتاب) :

« وقد قال أهل الفطن : إن محض العمى التقليد فى الزندقة ، لأنها اذا رسخت فى قلب امرئ تقليدا أطالت جرأته ، واستغلق على أهل الجدل إفهامه » .

الأدب العربي فى أمريكا

فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى وما بعده هاجر بعض أبناء سوريا ولبنان من بلادهم الى أمريكا الشمالية والجنوبية « والهجرة من سوريا ولبنان الى أمريكا لم تكن فى مجموعها إلا فرارا من سوء الحالة فى الأوطان ، أو بعدا عن الضيق والتماسا للرزق فى أفق فسيح ، أو التجاء الى كنف الحرية الأمين فى بلد تقدس الحرية » يضاف الى ذلك تلك الصلات التى ربطت هذين القطرين بأمريكا بواسطة مدارس الأرساليات الأمريكية التى انتشرت فى ربوعهما .

وقد تفرق هؤلاء المهاجرون فى أنحاء كثيرة من أمريكا إلا أن أكثرهم استقر فى الولايات المتحدة ، والبرازيل ، والمكسيك ، ولهم الآن فى هذه البلاد جوال ذات طابع خاص ، ولها تقديرها من الشعب الأمريكى ومن حكوماته . وقد عرف أهل سوريا ولبنان بالنشاط الاقتصادى وحب الهجرة ، فهم سلالة الفينيقيين الذين جابوا البحار والأقطار بأساطيلهم البحرية ، ولهم شهرتهم فى تاريخ الحرب والتجارة .

ولما استقر بهم المقام فى أمريكا بدا نشاطهم فى الميدان الاقتصادى ، وما لبثوا أن أثبتوا نجاحهم فى كفاحهم ، فأصبح لبعضهم مؤسسات تنافس بعض المؤسسات الأمريكية فى أشهر المدن .

وقد ساير نشاطهم الأدبى نشاطهم الاقتصادى ، فأنشئوا صحفا عربية تنشر أخبارهم ، وتعبر عن شعورهم فى منازحهم ، وتسجل شعر شعرائهم ونثر أدبائهم ، وأنشئوا جمعيات أدبية مختلفة لها نظم وقواعد ، وابتدأ نتاجهم الأدبى يظهر ثم ينمو ويكثر حتى كان لهم بعد فترة قليلة جملة من الدواوين وفدت على الشرق تعلن عن نشاطهم فى الميدان الأدبى ، وتكون مادة للدارسين وعشاق الأدب ، يتدارسونها ويستبينون خصائصها ، ويستنبطون — بالمقارنة بين أدبهم هذا الجديد بأمريكا وأدبهم القديم فى الشرق — الفروق والمميزات التى يتميز بها أدبهم .

وقد كان لهؤلاء الفضل فى أن يكون للغة العربية وطن جديد ، وهو وإن كان وطنا ضيقا إلا أنه وطن ذو شخصية وكيان خاص ، وليس هذا بالعمل اليسير الهين ، اذ كيف تجد لغة غريبة مثل اللغة العربية مكانا لها فى قارة ما عرفتها فى تاريخها من قبل .

ومن أشهر الجمعيات الأدبية التى أنشئت هناك : الرابطة القلمية التى أنشئت بنيويورك ، وكانت مكونة من : جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، ورشيد أيوب ، وإيليا أبو ماضى ، وغيرهم .

وقد ظهر أثر الحياة الأمريكية فى توجيه أدب هؤلاء وجهة جديدة ، فالتقت رغباتهم على الثورة على الشعر القديم ليتحرروا من الجمود والتقاليد ، وحاولوا الخروج على مقوماته فى الألفاظ والموضوعات والأوزان ، وقد يكون الخروج فى الموضوعات طبيعيا ومقبولا نتيجة لما وقعت عليه أنظارهم فى المهاجر ، ولاختلاف التقاليد والأفكار والعواطف والعادات ، واختلاف المستوى الثقافى فى الغرب والشرق ، ولا بأس عليهم فى ذلك .

أما الذى كان جديرا بالعناية به والحفاظ عليه فهو سلامة اللغة وسلامة الأوزان ، وقرب الأخيلة والتشبيهات والاستعارات ، فلا يكون الشعر عربيا وهو لا يجرى على قواعد اللغة والأوزان الشعرية ، لهذا يجد الدارس لأشعارهم مجالا للمؤاخذة اللغوية والعروضية .

وقد تشيع لأدب هؤلاء وشعرهم خاصة بعض الأدباء من بنى جلدتهم ، فدعوا إليه وعجبوا منه وسموا أصحابه « مدرسة الشعر الحديث » وزعموا أنهم طوروا الشعر وطفروا به الى الكمال طفرات قوية ، وأخذوا يدرسون خصائص شعر هذه المدرسة وقالوا : « إن من خصائصها الحنين الى الأوطان ، والتغنى بمحاسن الطبيعة ، والدعوة الى المعانى الإنسانية السامية : من الزهد فى الدنيا والبر بالفقراء ، والتسامح مع المخالفين فى العقيدة والرأى ، ومن خصائصها استحداث أوزان شعرية لم ينسج على منوالها من قبل » .

وقد فتن بشعر المدرسة الحديثة بعض الناشئين فى الأدب ممن قصر باعهم فى الأدب القديم ، وكان حظهم من الثقافة الأدبية محدودا ، ولم يرتكز على أساس من دراسة الأدب العربى القديم ذى المميزات الخاصة فى الألفاظ والأساليب والأخيلة والأوزان والقوافى .

إلا أن النقاد من ذوى الثقافة العربية الأصيلة يرون فى أكثر شعرهم وجوها للنقد والمؤاخذة فى الألفاظ والأساليب والأوزان وفى الموضوعات أحيانا ، فقد تسللت ألفاظ

من العامية الى أدبهم، ولم تسلم أساليبهم من الغموض والإبهام ، واضطروا الى ارتكاب الضرورات اللغوية ، كما أنهم أغرقوا في الأخيلة مما تأثروا به فعزت مراميها على قارئيها . أما في الموضوعات فقد حاولوا أن يكون لهم في شعرهم تأملات فلسفية، أو نزعات صوفية، فكانت، ولكنها كانت فلسفة سطحية، أو تقليدا لنزعات صوفية قديمة ملؤها الشك والحيرة .

« والشعراء المهجر صناعة بيانية ربما ازورت قليلا عن الذوق العربي السليم ، فأسلوبهم في الشعر - إلا نفرا منهم - لاشية فيه من البلاغة وحسن السبك ، ويعللون ذلك بأن لغة الشعر يجب أن تنسلخ عن لغة الخطابة ، وأن التأمل في الحقائق الكونية تعجز الألفاظ الموشاة عن تأديته أصدق أداء . ورأينا أن الشعر الخالد لا تكفي المعاني وحدها لخلوده ، وإنما لابد من مصاحبة القيم التعبيرية له حتى يظفر بالبقاء ويكتب له الخلود » [١] .

أما في الأوزان فما استحدثوه منها ونسجوا على منواله قد خرج بالشعر عن طبعه ، وخلط بينه وبين النثر ، ومن هنا أصبحنا نسمع كلمات « شعر منثور ونثر شعري » ونحو ذلك مما يدل على الفوضى بين نوعي الأدب .

وخلاصة ما يرى هؤلاء الناقدون أن مدرسة الشعر هذه قد جددت في الشعر ، ولكنها خرجت بأكثره عما عرف الناس من طريق الشعر العربي الى كلام لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ، ولعل أصدق تصوير لتجديد هؤلاء وما فيه من مؤاخذة هو ما نذكره عن أحدهم وهو الشاعر الياس فرحات حيث يقول :

أصحابنا المتمردون خيالهم ... تقضي قريش به وتحيا حمير
لغة مشوهة ومعنى حائر ... خلف المجاز ومنطق متعثر
وزعيمهم في زعمهم متفنن ... عجبا أكان الفن فيما يضمر
لا الأرض تفهم ما يصوره لها ... ذاك الزعيم ولا السماء تفسر

---

(١) للشاعر عزيز أباظة في تصديره لكتاب الشعر العربي في المهجر للأستاذ عبد الغني حسن .

ولعل من الإنصاف أن يقال : إن لهؤلاء المهاجرين فضلا فى الرحلة باللغة العربية من الشرق الى الغرب والتعريف بها وبأدبائها الى بعض أقطاره وأبنائه : دراسة فى المعاهد ونشرا فى الصحف والمجلات ، كما أن لهم تجديدا فى بعض الموضوعات كأثر لاختلاف البيئة فى الشرق والغرب حضارة وعمرانا ، ولبعضهم شعر جزل يستطيع متذوقه أن يضعه بين الأشعار القديمة والحديثة المعجبة المصطفاة، وكثير من أشعارهم مجموعات من الألفاظ الموصوفة التى يعوزها التناسب والانسجام ، ولا يستسيغ الذوق العربى أكثر أخيلتها ، ويتكلف الذهن عناء كبيرا فى الوصول الى مقاصدها ومراميها .

أما التشيع لشعرهم ووصفهم بأنهم مدرسة شعرية ذات خصائص فنية فعلت بالشعر مالم يفعله أحد من قبل ، فذلك من الدعاوى التى تحتاج إلى بينات وبينات .

على أن أبرز خصائص هذه المدرسة هو – مع الأسف – تناولها للمسائل الدينية دون حيطة أو حذر ، ودون مراعاة لما ينبغى لها من توقير وإجلال . وإنهم ليتناولونها فى شبه التندر والفكاهة ، ومما يقول بعضهم :

أصلى لموسى وأعبد عيسى وأتلو السلام على أحمد

ومن عجب أن يجعل بعض الناس ذلك فضيلة لبعض الشعراء هى فضيلة « التخلص من التعصب واتساع النظرة الدينية » ويقول بعض هؤلاء الأدباء : « إن الدين ما أنار القلب ، ومتى كان ضميرجارى كنور الشمس حيا نقيا ، وقلبه كوردة تتفتح فى الفجر لتستقبل ندى السماء ، فلا فرق إذ ذاك عندى ان ذكر بين الدراويش أو سجد مع اليسوعيين أو اغتسل فى نهر الكنج مع البوذيين » .

«فالبحث فى الحقائق الكونية والدقائق النفسية قذف بشعراء المهجر فى تيه من الشكوك والريب ، وأغرقهم فى لجة عميقة من الأوهام والظنون . وقد يكون الشك عند الفلاسفة ذريعة من الذرائع التى يتسلقون عليها لهتك حجاب الحقيقة أو إزالة النقاب عن وجه اليقين ، أما فى شعر المهجر فلا نجد إلا الشك – والشك المجرد – » .

« ولعل انتفاع أدباء المهجر بالأدب الغربى أورثهم هذه النزعة فشكوا فى كل شىء ولم يهتدوا إلى شىء » . وكما أن كثيرا من أدباء الغرب لا ينظرون إلى الأديان نظرة ملؤها

القدسية والاحترام ، فكذلك شعراء المهجر لا يأبهون بتعاليم الدين، ولا يحفلون بمراسيم العبادة، حتى ان « إيليا أبو ماضى » يزعم أن جهنم ليست غير فكرة تاجر، وأن الله أمر الناس بأن يرحم بعضهم بعضا ، فكيف يرضى بأن يعذبهم فقال :

كم روعوا بجهنم أرواحنا فتألمت من قبل أن تتألما
زعموا الإله أعدها لعذابنا حاشا ورحمة ربك ان يظلما
ما كان من أمّر الورى أن يرحموا أعداءهم إلا أرق وأرحما
ليست جهنم غير فكرة تاجر الله لم يخلق لنا إلا السما (١)

هذه كلمة موجزة عن الأدب العربى فى المهجر بأمريكا ، أما عرض ما هو موضع الإعجاب أو النقد من شعرهم فله حديث طويل مكانه الكتب الخاصة به ؟

أبو الوفا المراغى



(١) للأستاذ عزيز أباظة من المصدر السابق .

الشكوكيون

ليس شىء من أمور الدنيا إلا وهو معرض للشك ، حتى قال بعض الفلاسفة : إن كل شىء يقبل الشك ، حتى قولى هذا « إن كل شىء يقبل الشك » . ومن بين الفلاسفة طائفة يعرفون بأهل الشكوك ، يشكون فى كل شىء حتى فى وجود ذواتهم !

محمد المويلحى

المرأة المثاليـــــة

فى تقدير الاسـلام

يحسنون صنعا ويقولون فصلا أولئك الذين يرون ــ ورأيهم الناجز السديد ــ أن المرأة فى تقدير الإسلام ينبغى أن تكون لها السيطرة على نزعاتها ونزواتها ، وأن تكون عقائدها النامية متصلة أوثق اتصال بأوضاع العلم وطرائق الهدى ، علم يبصرها بالحياتين : حياة الابتلاء وحياة الجزاء . والمرأة كثيرة الاضطراب فى الآراء ، سريعة السير مع الأهواء ، فلا بد لها من رباط وثيق يمى بها نوازع الخير ومطالع التربية على أفضل وجه من المبادئ التربوية ، لأن المرأة شريكة الرجل فى حياته تقاسمه الأوصاب والأسباب ، وتقرع معه أقوم الأبواب ، وتسلك به أفضل طرائق الركاب .

لكن ذلك فى حدود غاياتها قوانين الأسر والجماعات والأفراد والأمم الناهضة فى قصب الكمال ، فهى منبت صالح للولد ، ومخط قويم للأسرة ، تبنى البيت ، وتبنى الخلق فى الطفل ، وتشرع للأسرة أقوم الشرائع وأهداها وأجداها على المجتمع وأولاها ، وذلك ما قصد إليه الإسلام فى أولى مراحله ، وذلك أيضا ما حفز شيخ العلماء شيخ الجامع الأزهر ، إلى إنشاء مؤسسة تربوية دينية يشرف عليها الأزهر فى كنفه ويسلكها فى رعايته .

لا نريد نحن العلماء أن تكون المرأة قاضية ، ولا محققة نيابة ، ولا مهندسة ، ولا زارعة ، ولا سباقة إلى ميدان الحروب تزاحم فيها الرجل وتكاتف فيها الجنود ، فذلك شىء لم تخلق له ولم تطبع على الاتسام به ، إنما نريد لها امرأة تحمى ذمار بيتها ، فتحل العقد والمشاكل بين أسرتها ، وتؤاخى بين أفرادها ، وتعلمهم نوازع الدين والخلق والفضيلة ، وتقتل فى نفوسهم حب الأثرة ودواعى الشر ومفاتن الحياة ومباهجها الأخاذة بالنهى والعقول .

ليس للمرأة أن تمارس أكثر من تلك العوامل والبواعث التى تبنى مستقبل الأجيال فى الأمم والشعوب ، وتخط للأحياء فى هذه الدنيا أبلغ الخطط وأجداها على الإنسانية المعذبة ، وليس معنى ذلك أن نحتبسها فلا نروضها على الخلق والدين ، ولا نضع يدها على ملاك

الفضائل فنقول لها : هذا حلال وهذا حرام ، هذا ضار وهذا نافع ، هذا يسلك بالإنسانية إلى خير مداها ، وهذا يسلك بالإنسانية إلى الشرور والاثام .

ومن العجب العاجب أن تنبت نزعة أو فكرة فى بعض الرءوس فيقوم دعاة التضليل والشغب فى الحق الصريح ببث تلك الفكرة الراميـة إلى تحلل المرأة من قيودها المتأصلة فيها ، وأن تقتحم على الرجل تصرفاته العقلية واليدوية ، وأن تواكب فى الحياة كل عمل يمتاز به الرجل فى قصب السبق ، ولا ندرى فى أى شىء تساوى المرأة الرجل وتسايره ، تلك مسألة تتعلق بتشكيل المجتمع وأوضاعـه و بيان ما هو أفضله ، وما هو الوضع المطـابق للفطرة التى فطر الله الناس عليها ممـا يقضى به الواقع من تاريخ الإنسان وحاضره .

وقبل أن نفيض فى هذا البحث لابد من شرح طبيعة المرأة و بيـان حقيقتها لنسترشد بذلك فى تعيين الوضع الذى يجب أن تـكون عليـه فى تشكيل المجتمع تشكيلا طبيعيا ، نريد ذلك على أن يكون المنطق الذى نستهدى به هو منطق الطبيعة والعقـل ، مؤيدا بالتجربة والواقع والمصلحة ، لا منطق التقليد وحب الشهوات ونزعـات الفوضى والإباحة المتمردة .

أيها الناس : استفتوا الطبيعة فهى تفتيكم ، هذا ذكر ، وهذه أنثى ، تلدهما امرأة واحدة ، وينحدران من صلب رجل واحد ، وربمـا كانا توءمين اتحدا فى جميع أسباب التكوين ما عدا سر الذكورة والأنوثة ، فيجىء أحدهما عظيم الخلقة صلب العظام ناشزها ، قوى العضلات ، ذكى الفؤاد ، قوى العقل ، شجاعا ، مقداما ، خشنا ، ذا شعر شائك يملأ وجهه وصدره وذراعيه ورجليه كأنمـا هو الأسد خشونة وافتراسا ، وتجىء الأخرى مخلوقا لطيف ظريفا ذا سذاجة وغرارة ، رخيم الصوت ، حلو الحديث ، رقيق الـكلام ، لين الأعضاء ، ناعم الملمس ، جميل المحيا ، وسيم الطلعة ، بهيج المنظر ، كأنمـا هو الزهرة تفتحت عنها الأكمام ، ثم يختلفان فوق ذلك فى مميزات الذكورة والأنوثة اختلافا عظيما ، ينبئك بأنهما خلقان متباينان تباينا عظيما ، ويطرد أمرهما على ذلك اطرادا ، أليس لهذا معنى ؟ ألا يرشد هذا إلى شىء وهلا يشير إلى شىء ؟ ! !

إنه بلا شك يرشد إلى أن المرأة مخلوق متمم للرجـل ، على معنى ألا تستقيم حيـاة أحدهما بدون الآخر ، لـكن المرأة من ناحية تكملتها لحياة الرجل تحمل من الأعباء ما تستطيع به فرض هذه التكملة على الرجل ، فهى مطالبة بأن تتفقه فى دينها وخلقها وصوالحهـا الخاصة ومرافق حياتها . فالدين هو الرباط القوى الذى يسمو بها إلى أرقى أنواع الكمال ، فقد فرضت فيها الأمومة قبل أن يفرض فيها شىء آخر .

فرض فيها أن تكون بصيرة بحياتها التى تعيش فيها ، حياتها الزوجية ، وحياتها الشخصية ، فاذا انتهت حياتها الشخصية بفضائلها وقوانينها المثالية ، واقتحمت حياة الزوجية فنعما هى ، لأنها تبنى للرجل أسرة رشيدة قيمة قائمة على حياطتها التى اكتسبتها قبل أن تكون أم ولد وصاحبة أسرة . والأزهر حين دعا - وعلى رأسه شيخ علمائه ومدبر أمره شيخ الجامع الأزهر - إلى إنشاء معهد للبنات ، فهو إنما دعا إلى تركيز الدين والخلق والفضيلة بين الفتيات اللائى سيعرفن حين ينخرطن فى سلك طالبات الأزهر ، كيف طغت المادة على المرأة بعد الحرب الثانية فجعلت منها مخلوقا تحلل من كل فضيلة ، بل تمحض لكل رذيلة ، وما أعظم الفرق بين فتاة أتت إلى الأزهر لا تخالط فيه الرجل ولا تسامره ولا تحاكيه ، إنما أتت لتنهل منه مبادئ الدين القويم ونظريات الشرع الحكيم ، فتخلق جيلا قائما على الورع والتقى والهداية ، وقد تأصلت فيها حوافز الخير ودواعى الرشاد . وبين فتاة ذهبت إلى بيئات أخرى فخالطت الرجل فى كل مرافقه ، وواكبته حتى فى أعماله الذاتية .

منذ خمسة عشر عاما نادى قوم من علماء الأزهر الأقدمين بضرورة العزلة بين الشباب والفتيات فى الجامعة وقالوا لهم فى صراحة وجلاء : إن الاختلاط مخاطرة غير حميدة ، فأحرى بالقائمين على حراسة المبادئ التربوية والدينية والخلقية أن يبصروا بعاقبة هذا العمل الخطير ، ولكن ما أسرع أن قام فى وجههم « صاحب الخطوة الثانية الفاشلة » وكان يومئذ بكلية الآداب ، فناجز الشيوخ على عادته ، وتصدى لهم على طريقته ، وقال فى غير لبس ولا إبهام : لا مانع أن يختلط الجنسان فى سبيل العلم ، وكل جنس يستطيع أن يحمى نفسه من الجنس الآخر ، مما لا تزال آثاره عالقة بأذهان دعاة الإصلاح علوق الدرن بالرئة .

ولماذا نذهب بعيدا وقد أرشدت الإحصاءات الأخيرة الى أن ثلاثة آلاف من الطالبات انتسبن الى الجامعات الثلاث منذ سنة ١٩٥٠ فتزوج منهن بشباب تلك الجامعات ألفان وستمائة فتاة بألفين وستمائة فتى : وكلاهما من الجامعات الثلاث .

أليس ذلك أقطع دليل على أن الاختلاط فى صعيد واحد من أكبر الصوارف عن العلم . ورحم الله شوقى إذ يقول :

قم ابن الأمهات على أساس	ولا تبن الحصون ولا القلاعا
فهن يلدن للقصب المذاكى	وهن يلدن للغاب السباعا

عباس طه
المحامى

ابدءوا بأنفسكم

لا تكاد تجلس إلى صديق - أو يضمك مجلس خاص أو عام، حتى تسمع النقد اللاذع، والشكوى المريرة، وأنات التألم والتأوه على الفضيلة الموءودة، وصيحات التحسر والجزع على الأخلاق التى فسدت، والتقاليد الكريمة التى ماتت، ثم على الفساد الذى ساد، والبلوى التى عمت.

ويستطرد محدثك، فيجعل من نفسه طبيبا حاذقا عارفا بأدواء المجتمع ودوائه، ويشخص الداء، ويصف له الدواء، فى الرجوع إلى أحكام الدين، وآداب الاسلام، وتقاليد الشرق، وأخلاق العروبه: فى البيت والشارع، والمدرسة والنادى، وفى الأسرة الصغيرة، والمجتمع الكبير، وفى كل مظاهر حياتنا وأساليب عيشنا.

فاذا ما انفض مجلسك، وانتهى حديثه معك، وقام كل إلى ما قدر له، وخرج إلى زحمة الدنيا وميدان العمل، وجدته مرتكبا لما كان ينقده، آتيا من الرذائل ما كان يشكو منه، ويتألم من أجله، ويتباكى لحصوله، حتى صارت أقوالنا وأعمالنا نقيضين، واتسعت الهوة بينهما اتساعا كبيرا، وأصبحنا نتكلم بلسان الملائكة، ونعمل بروح الشياطين.

نشكو من تبرج المرأة وخلاعتها وخروجها على كل مألوف فى الأديان والتقاليد، وتبجحها ومحاولتها الخروج عن طبيعتها ورسالتها.

فهل هذه المرأة الا أمنا أو أختنا أو بنتنا التى يستطيع كل منا بحكم قوامته الاسلامية عليها أن يصلح من شأنها، ويردها عن غوايتها، وينصح لها فى دينها ودنياها، ويردعها عن اتباع الشياطين الذين يغرونها بمعسول القول، وخادع الكلام.

ثم نشكو من الجيل الجديد الذى خرج على كريم التقاليد، واتبع كل شيطان مريد، وراح يسير وراء شهواته وأهوائه، وأصبح يهتم بأغنيات الماجنين والماجنات أكثر من اهتمامه بمعرفة أحكام الاسلام، والاستماع لحديث الدين.

فمن هم هؤلاء الذين يكونون هذا الجيل ؟ ! !

أليسوا هم أولادنا من بنات وبنين ، جعلهم الله أمانة فى أيدينا ، واسترعانا عليهم . وكل راع مسئول .

ثم نشكو ونشكو . . . . حتى أصبحنا نشكو فى كل مجلس ، ومن كل جانب ، وحتى صارت الشكوى نشيدا حزينا نردده فى بدء كل حديث وغايته ، وفى مطلع كل نهار ونهايته .

يا هؤلاء . . . رويدكم رويدكم ! ! ومهلا مهلا ! ! . . .

ممن تشكون ؟ ! أتشكون أنفسكم إلى غيركم ؟ ! .

ليشك كل نفسه إلى نفسه ، وليحتكم إلى ضميره الدينى ، وليحاسب نفسه على ما قدم وأخر ، وليبدأ بها فى معركة الإصلاح . فإذا ما أصلحها كان له أن يسهم فى إصلاح غيره ، بل إنه إذا أصلح نفسه فقد أصلح غيره : بالأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة المصلحة ، والسيرة العطرة ، والتأثير النفسى ، والايحاء الصادق .

ليجفف كل منكم دمعه الكاذب ، وليغلق فمه ، وليفتح قلبه ، وليحسن عمله ، وليعلم أنه لبنة فى هذا المجتمع الضخم : إذا حسن معدنها أدت واجبها ، وحفظت البناء وزادته تماسكا ، وإذا كانت هشة لينة اضطرب البناء وسقط .

يها الشاكون المتباكون ! !

لقد أتخمنا بكثرة الكلام ، وطال انتظارنا لدور العمل ، فاجعلوا من أنفسكم وأعمالكم صورة حية لما تنادون به من مبادئ ، وما تهدفون إليه من أغراض ونتائج ، وحدثوا الناس بأفعالكم قبل أقوالكم ، واعلموا أن الدعوة التى لا يؤمن بها صاحبها ، ولا يعمل بها فى ذات نفسه ، مردودة عليه ، وغير مقبولة منه ، ولن يبلغ كلام صاحبها من سامعه أو قارئه أكثر من أن يدخل فى أذن ليخرج من الأخرى .

روضوا أنفسكم على الأخلاق الفاضلة ، وخذوها بالآداب الاسلامية ، وعودوها الطاعة ، حتى تكونوا نموذجا ناطقا ، وضوءا هاديا ، لمن يقتدى بكم من أبناء وأتباع ، ولا تجعلوا من حياتكم معرضا للمتناقضات : لسان يقول ، وعمل يكذّب . يدعو بعضهم

إلى حماية الفضيلة، وهو الجانى عليها ، و يطالب بإصلاح أبواب الناس وقد انخلع بابه ، ورتق أثوابهم وقد تمزق جلبابه .

هذا رسولنا و إمامنا : محمد بن عبد الله ، قد وصل إلى غايته ، و بلغ هدفه ، وحقق معجزته الكبرى فى إخراج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، بالقدوة العملية ، والعمل الصالح فى السر والعلن ، والمنشط والمكره ، والرضا والغضب . كان — عليه الصلاة والسلام — يبلغ رسالة ربه ، و يتلو من آيات الله والحكمة ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق التى بعث ليتممها ، ثم هو — قبل ذلك و بعد ذلك — قدوة صالحة ، ومثل أعلى : فى سيرته المثلى ، وعمله الكريم ، فى جهاده وتضحيته ، وعدله ورحمته ، وأمانته وصدقه ، وعطفه و بره ، ونصرته للحق ، وعدائه للباطل، وشدته على المنافقين والمرائين الذين إذا لقوكم قالوا آمنا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

لنقرأ جميعا قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » ولنتدبر قوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ثم قوله جل وعلا : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام، و إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » .

ثم لنستمع إلى الأحنف بن قيس إذ يقول : « لا خير فى قول إلا بفعل ، ولا فى مال إلا بجود، ولا فى صديق إلا بوفاء، ولا فى فقه إلا بورع، ولا فى صدق إلا بنية ... » .

أيها المتباكون :

كلنا حواريون فمن يهوذا ؟!! ، وكلكم يبكى فمن سرق المصحف ؟! .

ليبدأ كل منكم بنفسه ، ليبدأ كل بنفسه ، ولأبدأ بنفسى .

زكريا البرى

الجامع الأزهر

كثر الحديث عن الأزهر الشريف فى هذه الأيام ، وطالب بعض أصحاب الفكر بأدخال ما تفرضه الحضارة الحديثة، بنظامها ، وعلومها، وفنونها ، ولغاتها ،على دراساته ومناهجه، حتى يرقى ويساير فى رقيه مطالب العصر، ويندمج فى حياة تفرضها العلوم الحديثة والابحاث المبتكرة ، فيساير جامعات العالم .

وانبرى البعض الآخر يدافع عن الأزهر ، ويؤكد أن أى تطور أو تغيير إنما سيأتى على حساب الدين واللغة ، وسينقل الأزهر من مكانته كجامعة شرقية دينية مفردة ، الى جامعة عادية كباقى الجامعات .

ولما كنت على يقين بأن الحديث عن الأزهر لا يخص فئة دون أخرى ،لما له من مكانة رفيعة ، فى نفوس الشرقيين عامة ، وفى نفوس المصريين خاصة ، طاب لى أن أذكر ما أعلمه ويعلمه أغلب الناس عن تاريخ الأزهر ، ومنه يستبين أن الأزهر لم يكن حصناً للدين واللغة فحسب ، بل كان رائدا ومعلما لجامعات العالم .

بنى الجامع الأزهر فى العام الأول من الحكم الفاطمى ، بناه القائد جوهر الصقلى قائد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، بعد إنشاء مدينة القاهرة ، كعاصمة جديدة للبلاد ، وافتتح للعبادة فى عام (٣٥٨ هـ ٩٧٢ م) ، واتخذ مركزا للثقافة الشيعية ، التى كان يدين بها الفاطميون . وقد ذكر المقريزى أن الخليفة العزيز هو أول من حول الأزهر من مسجد تقام فيه الصلاة الى جامعة تدرس فيها العلوم ـ ثم تطور سريعا وأصبح الجامع الأزهر ودار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر الله ، مركزا علميا أكاديميا لدراسة الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والجغرافيا والفلسفة والأدب بجانب علوم الدين .

وفى عام ٩٨٩ ميلادية أنشأ فيه العز ... تضم خمسة وثلاثين طالبا ، كما منحه هو والحاكم بأمرالله ومن تبعهما من الفاط... ويين والمماليك الهبات والعطايا وأوقفوا عليه الأوقاف .

ثم تتابعت على الأزهر عهود وع... فيها ويعلو ، ويعتبر عصر المماليك

العصر الذهبي للأزهر، حيث انضم إليه كثيرون من العلماء الذين وفدوا مهاجرين من الاندلس لأفولها وترك المسلمين والعرب لها ، و بغداد بعد هجوم المغول عليها .

وعلى نمط نظام الدراسة في الجامع الأزهر كانت تدرس العلوم في بغداد وفي الأندلس ، حيث ازدهرت العلوم فيهما، وبلغت أوجها في بغداد في عهد الرشيد والمأمون ومن تبعهما بعد ذلك من الخلفاء العباسيين، وفي قرطبة عاصمة الأندلس في عهد الخليفة الأموى الحكم ابن الناصر ومن تبعه بعد ذلك من الخلفاء الأمويين وملوك الطوائف . وكانت المدارس في عهدهم عامرة بالتلاميذ ، والمعاهد العلمية مكتظة بالطلبة من سائر الأقطار .

ولقد برز من علماء العرب الذين يدين لهم عصرنا الحديث بكثير من علمه وتقدمه ورقيه كثير ، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، خالد بن يزيد ، وجابر بن حيان ، في الكيمياء ، ومنهم أبو بكر محمد زكريا المعروف بالرازى في الطب والكيمياء ، وابن سينا في العلوم والطب . وفي مصر : ابن الهيثم في الرياضيات والبصريات ، وفي الأندلس : ابن باجه وابن رشد في الطب والفلسفة، وابن جابر في الرياضيات ، وينسب إليه ابتكار علم الجبر ، وابن زهر في الطب ، وابن فرناس في الرياضيات ، وابن زيدون في الأدب ، وابن حزم في الفقه ، وابن خلدون في التاريخ والأدب ، والشاطبي في القراءات ، وغيرهم الكثير من العلماء الأعلام .

وكان يحضر حلقات الدرس كثير من الطلاب الفرنجة ، كما كان البابا سلفستر الثانى والملك ليون الثمين أحد ملوك الإسبان من خريجي جامعة قرطبة، وقد نقل الطلاب الفرنجة هذه الأنظمة التعليمية وفكرة الجامعة إلى بلادهم ، كما جاء في رسالة « كيتانى » الكاتب الطليانى الشهير عن نصيب الإسلام في تدرج المدنية، حيث ذكر أنهم وضعوا بمعاونة العلماء العرب أول جامعة نشأت في أوروبا ، وهي جامعة سالرمو بايطاليا في أوائل القرن الحادى عشر ، ثم بولونيا بايطاليا في القرن الحادى عشر ، ثم تتابع بعد ذلك إنشاء الجامعات في مختلف الدول ، نذكر منها مونبلييه بفرنسا في أوائل القرن الثانى عشر، وباريس في منتصف القرن الثانى عشر ، وجامعة اكسفورد في أواخر القرن الثانى عشر ، وجامعة كمبردج في أوائل القرن الثالث عشر ، وجامعة سالامانكو بأسبانيا في منتصف القرن الثالث عشر ، وهايدلبرج بألمانيا في القرن الرابع عشر ، وأپسالا بالسويد في القرن الخامس عشر .

وعن هذه جميعا أخذت بقية جامعات العالم .

فالجامع الأزهر — إذن — من أوائل الجامعات المعروفة حاليا فى العالم ، فهو رائد المعرفة الأول ، عنه أخذت بقية الجامعات الحديثة ، وعلى نمطه أقيمت وأسست . بل لا تزال بعض نظم الأزهر وطريقة تدريسه معمولا بها فى أرقى الجامعات الأجنبية .

ففى بعض الجامعات الأمريكية يدرس أكثر من أستاذ نفس المادة الواحدة فى وقت واحد ، وللطالب أن يحضرها على من يشاء من هؤلاء الأساتذة ، وهو نظام التدريس فى الأزهر قديما .

وفى بعض الجامعات ، ومنها جامعة اكسفورد بانجلترا ، يتفرغ بعض الأساتذة للبحث طوال حياتهم ، وقد أعدت لهم الجامعات كليات سكنية تضمهم ، وهو نظام كان معروفا فى الأزهر إلى عهد قريب .

ونظام التحضير للماجستير والدكتوراه ، المعمول به فى الجامعات الحديثة ، منقول عن نظام التعيين فى الأزهر ، حيث يختار الطالب — أو يختار له أساتذته — موضوعا ويعطى الوقت الكافى لدراسته ، ثم يقوم بشرحه فى حضور جميع الأساتذة المختصين الذين يناقشونه فيه .

ومن نظام حلقات الطلاب الذين كانوا يلتفون بأستاذهم وهو جالس على كرسيه ، فى صحن الأزهر ، يصيخون السمع ويتناقشون فيما ألقى إليهم ، ويستفسرون عما أغلق عليهم فهمه ، أخذ لقب أستاذ ذى كرسى طريقه إلى الجامعات جميعا .

ومن نظم الأزهر البارزة فى بعض هذه الجامعات نظم الكليات فى جامعتى كمبردج وأكسفورد ونظم الأندية فى جامعة أوبسالا ، فهى عبارة عن مساكن مهيأة مخصصة لسكن الطلبة مع تزويدها بمكتبات خاصة ، تماما كما فى أروقة الأزهر .

هذه بعض نظم الأزهر التى لا يزال معمولا بها فى عصرنا الحديث ، وهذا دليل بالغ على أن الأزهر هو الشعلة الأولى التى أنارت ظلام العصور ، بل لقد بلغ إعجاب الغربيين بالأزهر أن نقلوا عنه حتى هندسته المعمارية ، فبنى جامعتى اكسفورد وكمبردج يشابه إلى حد كبير مبنى الجامع الأزهر بصحنه الفسيح المتسع ، حيث يرى الداخل إلى إحدى كلياتهما الصحن المتسع تحيط به الكنيسة والمبانى .

ومن الطريف أن الغربيين لم ينقلوا عن الأزهر الشريف دراساته وطريقة التدريس والتعيين ونظام الأروقة وكرسى الأستاذية فقط ، بل نقلوا فيما نقلوا الملابس أيضـا ، وما « الروب والـكاب » وهو الزى الجامعى التقليدى إلا «الفرجية والعمامة» مع بعض التغيير الطفيف .

من ذلك نرى أن الجامعات أخذت عن الأزهر تعاليمه وتقاليده ونظامه ، ونقلت عنه جده وتقـدمه . فالذين ينادون بأن يساير الأزهر الزمن ويتابع العصور فى تطورها ، لا شك أن دافعهم إلى ذلك ، ذلك التاريخ المجيد .

ومن حق الأزهر أن يستعيد ماضيه ويأخـذ مكانه الرفيع الشامخ ، فيبقى أبدا منارا للشرق ولجامعات العالم ، فدراسة الأزهر للعلوم الحديثة لم تتوقف إلا بعد الغزو التركى بسبب ما لحق البلاد من شدائد وإذلال ، فبدأ عصره الزاهر فى الذبول ، شأنه كـكل مقومات الحياة التى تعرضت لجبروت الغاصب وسطوة المحتل .

ولا أنـكر أن الأزهر ـ فى العشرين السنة الماضية ـ أدخل الـكثير على مناهجه ونظم التدريس فيه ، وأنه خطا فى تطوره الحديث خطوات ، لا أقول قليلة ولـكنها وئيدة ، فيها الـكثير من وقار الشيوخ وحكمتهم ، وحبذا لو اتسعت الخطى وبعـد المدى ، حتى نرى الأزهر الشريف قريبا كما يحب أن يراه كل شرقى ومصرى ، متصـدرا الجامعات الحديثة ، فى دراسات الدين واللغات والفلسفة والأدب وغيرها من العلوم المرتبطة بهـا ، والواجب توفرها لتحقيق الهدف الأسمى من دراساته .»

دكتور عباس فهمى الهلالى
أستاذ بجامعة الإسكندرية

جبابرة الأرض

لينظر جبابرة الأرض إلى مواطئ أقدامهم ، لينظروا إلى الشعوب التى يقهرونهـا ، والمبادئ التى يزدرونها ، فأن من ثمة سوف تخرج القوة التى تصرعهم .

أنا تول فرانس

ابراهيم والوحدانية

(وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ، انى أراك وقومك فى ضلال مبين ، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين) .

كان الملأ من قوم ابراهيم عليه السلام يعبدون الكواكب ، لأنهم وجدوا علاقة ظاهرة بين حركات سيرها وتقابها فى بروجها وبين اختلاف الفصول وما يترتب عليه من تأثير مشهود فى سنة الحياة والأحياء .

ولما كانت هذه الكواكب محيرة فى السماء بين الظهور والاختفاء فقد عز على نفوسهم ، أو نبا عن عقولهم ، أن تغيب عن أبصارهم آلهتهم المعبودة ، فرمزوا إليها بإقامة أصنام لهم على الأرض يعكفون على عبادتها هى أيضا .

نظر ابراهيم لهذه الأصنام ــ وهى حجارة بليدة لا تعى ولا تنطق ــ فلم يجد من الحجة فى الاقناع بسخفها وبطلانها ، إلا أن يبطش بها صنما صنما ، (فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ، مالكم لا تنطقون ، فراغ عليهم ضربا باليمين) حتى جعلهم قطعا متناثرة وجذاذا مفرقا ، وكان أبوه آزر ممن يشارك فى عبادة هذه الأصنام ، فناداه بأندى صوت وأشمله على اقناع : أتتخذ أصناما آلهة (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ، يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا) فأعرض أبوه عن دعوته (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، ان ابراهيم لأواه حليم) . ونتريث هنا لنلتفت إلى هذه الظاهرة المتكررة فى قدر الله : وهى ظهور الكفر من آزر أبى ابراهيم عليه السلام ومن ابن نوح عليه السلام ، وخيانة امرأة لوط ، وامرأة نوح ، وكانتا تحت عبدين صالحين ، وإيمان

امرأة فرعون ، وكانت تحت طاغية يدعى الألوهية ، فلماذا تؤكد فى قدر الله وسنته فى خلقه ، هذه المفارقات المحركة للفكر والشعور ؟. ونرى أن ذلك آية على أن كل إنسان مسئول عن عمله ، مستقل بحسابه ، لم يجعل الله للنسبة الشريفة ولا للتبعية الخسيسة فى ذلك عملا ولا تأثيرا (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) .

ونظر ثانيا إلى الكواكب هذه النيرات التى تدهش العقل باشراقها ونظام سيرها ، فلم يهاجمها بنفس البطش الذى هاجم به الأصنام ـ وهى كما قلنا أحجار بليدة يتحدى بداهة الفطرة الظن بألهيتها ـ بل سلك فى إبطال عبادة الكواكب مسلك المناظرة القاطعة الحكيمة .

فمضى يستدرج خصومه فى المناظرة من مقام الى مقام، حتى انتهى بهم الى مقام يتعين فيه التسليم أو يثبت فيه الأفحام .

«وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء» وكان الله قد تعهد إبراهيم من قبل فأراه ملكوت السموات والأرض فوجد فيها من مظاهر الإبداع ، وروعة المشاهد ، وإحكام النظام ، ما يقطع بوجود الإله الواحد ، الذى أبدع صنعها ، وأحسن خلقها ، ودمغ كل موجود فيها بطابع الوحدانية والإرادة المستقلة . أظلم عليه الليل فرأى كوكبا ـ قيل هو الزهرة ـ فقال ـ استدراجا لقومه ، وحكاية لمعتقدهم ـ : هذا ربى ـ فلما أفل وغاب قال : لا أحب الآفلين ، لأن أخص صفات الله ألا تغلبه أحداث الكون فتغيره أو تغيبه ، وإلا كان واحدا من جنسها ، فلا يعقل أن يكون لها إلها ، ثم رأى القمر بازغا ـ طالعا ـ فى ليلة ثانية ، فقال أيضا ـ على سبيل الاستدراج والحكاية ـ : هذا ربى ـ فلما أفل هو الآخر ، وكان أظهر مكانا من الكوكب السابق ها له ـ فيما يبدى لقومه ـ هذا الأفول ، فلوح لهم بأن عبادة هذا الكوكب ضلال لا ينجى من التورط فى مباشرتها إلا هداية رب العالمين .

فلما أراهم أن آلهة الليل سقطت فى الاختبار توجه معهم إلى الشمس فقال : « هذا ربى هذا أكبر » فلما أفلت مع كبر جرمها وتعاظم شعاعها صارحهم بالحقيقة التى أرادها من قبل والتى قد حان وقت التصريح بها ، فوصفهم بالشرك ، وجابههم بأنه برىء مما يشركون ، وبأنه قد صرف عبادته وطاعته للاله القادر الذى خلق السموات والأرض متجافيا عن كل معبود سواه ، متبرئا من كل شريك له فى وهم الجاهلين وضلالة الضالين . إذا سقطت

هذه الآلهة فى الاختبار واحدا أثر واحد وقام الدليل المحسوس على أنها مقهورة لا قاهرة ، ومسخرة خاضعة لا مدبرة مستقلة ، فقد وجب على عبادها فى شرعة المنطق والعقل أن يتخلوا عن عبادتها ، ويلتمسوا لهم إلها غيرها : إلها تكون قدرته وتدبيره من وراء الشمس والقمر والأفلاك جميعا ، إلها ينطق ملكوت السموات والأرض بوحدانية ذاته وصفاته ، وله الخلق والأمر ، وهو الإله الحق الذى أراده إبراهيم عليه السلام ، واتخذ تلك المحاورة سبيلا لتوجيه قومه - عقولهم وألبابهم - إليه بالحجة المقنعة والدليل القاطع .

* * *

أساس سعادة البشر ووقاية نفوسهم من عوامل الخوف والقلق والتوجس ، وهى الأمراض التى استشرى فتكها بنفوس الناس تحت وطأة المسئوليات الكثيرة التى فرضتها أوضاع المدنية المعاصرة أمران : الإيمان بالله ، وتوحيد ذاته وصفاته والتوجه له ، فالإيمان بالله ، هو الضمان الأقوى الذى تركن إليه النفس المؤمنة وهى تصارع الحياة بصبر لا ينفد ، وتفاؤل ممدود الضياء ، لا تخشى فى معاركها الكبرى هزيمة ، ولا تتوقع عجزا « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » . « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا » ، « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور »

وتوحيد ذات الله وإفراد التوجه له دون سائر الكائنات ، هو أعظم عوامل الثقة بالنفس وبالحياة ، من حيث هو أعظم الأسباب لتحرير النفس البشرية من مأساة الضراعة لأى مخلوق فى موضع رغبة أو رهبة ، وصيانة العقل من سلطان الخرافات والأباطيل التى تعتبر لغير الواحد القهار تدخلا فى أحداث الكون ووقائع الحياة ، لأن شيئا من ذلك يعتبر منابذا لكمال التوحيد وصدق المعرفة بمقام الربوبية « قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه » . « أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد » . « وإن من شىء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم » .

كذلك كانت العبرة من حوار إبراهيم مع قومه وما يمتد إليه أثرها العميق فى الحياة وفى الأنفس ، وما أجلها من عبرة تزيد نفوسنا إيقانا وتثبيتا . . . ؟

محمد سعاد جلال

خصائص الأدب

معناها وإقليميتها

يتسم الأدب فى كل عصر بسمات وخصائص ، تميزه عما عداه من آداب العصور الأخرى . ويكتسب هذه السمات والخصائص من روح العصر الذى يعيش فيه ويصوره. والأدب يتأثر - كما هى طبيعته - ببيئته وبنزعات العصر واتجاهه فى كافة نواحى الحياة .

هذه النزعات والاتجاهات : اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو لغوية أو لفظية أو غير ذلك ، تتفاعل معا تفاعلا مركبا فيه تحلل فامتزاج فتكوين جديد ، له أثره فى نفوس الأدباء ، فيلهمون أدبهم على نسق هذا التكوين وغراره ، ومن هنا ترى لكل أدب سمات وخصائص تميزه عما عداه ، ونتيجة مباشرة لاختلاف عوامل البيئة وعاداتها وأمزجتها وأمزجة الأدباء فى كل عصر .

وهــذه السمات والخصائص مجتمعة ، هى التى تميز أدب عصر عما عداه ، وتكسبه أقليميته .

وقد قلنا « مجتمعة » لأننا نعتقد أنه ما من خصوصية بتفردها لأدب عصر - مهما بدت مقصورة عليه - إلا لها نظير فى أدب عصر غيره ، نتيجة لتشابه بعض مظاهر العيش واستمرار مقومات الشخصية القومية .

ولكن الذى لا يستطاع لأدب أى عصر أن يماثل فيه أدب عصر آخر ، هو مجموع خصائصه وسماته ، والأدب بهذا المجموع يكتسب « شخصيته » بين الآداب الأخرى .

ويطرد تناسب شخصية الأدب مع اطراد تعدد خصائصه وتنوعها وتحولها وقوة بروزها وفنيتها وسمو هذه النزعة ، كما تطرد قيمتها باطراد تجاوب مجموع هذه الخصائص مع ظروف حياة هذا الأدب وبيئاته ، وباطراد دلالتها على مزاج الأدباء وأذواقهم .

والخصائص هى القواعد الفنية والصفات الأسلوبية التى تروق أذواق أدباء أحد العصور وتستطيبها أمزجتهم ، فيلتزمونها حينما يقصدون لصوغ أساليبهم فكرة وتصويرا .

وهذه الأذواق والأمزجة هى التى كونتها لهم وهذبتها ووجهتها ألوان بيئتهم التى عاشوا فيها . ومن هنا نشعر بمقدار أثر هذه البيئات فى وجود تلك الخصائص ونشأتها و بروزها ، وفى إكسابها ما تتمتع به من قوة و إشراق .

فسجع الكهان فى الجاهلية نشأ بسبب انتشار الوثنية وسيادة الكهان والرغبة فى إيهام العامة أن هنالك معميات تخفى على فطنتها وتغيب عن ذكائها وتلطف عن حسها . وكان بالعامة استعداد لقبول هذا الوضع لاتساقه مع عقائدها . ومن هنا نشأ السجع المتكلف المبهم ذو الرجم بالغيب ، وفيه تأثير بالغ ، تخضع له النفوس ، وتستكين الأفئدة ، وتستسلم الأحلام .

والبادية بغلظتها وقسوتها وخشونتها نضحت على ألفاظ أدبائها غرابة وعنجهية . ولكنها من ناحية أخرى طبعتهم بطابع الشهامة والمروءة وحب الإلف وتذكره ـ لقلة لألاف وتحول المنازل ـ . ومن هنا ظهرت المدائح والفخريات والغزليات فى أدب الجاهلية .

وقد ذاعت الثقافة الدينية القومية فى عصر النبوة والراشدين ، وسمقت دعائمها على أساس من القرآن الكريم والحديث ، فرقت الأساليب برقة النفوس ، وصفا القول بصفاء الأرواح ، وتهذبت العبارات بتهذيب العقول ، وأخذ الخطباء يدعون الناس إلى الجهاد فى سبيل الله وسبيل دينه ، ويحثونهم على التمسك بالفضيلة فى وضوح لا يشوهه لبس ، وفى قوة لا يعتريها وهن ، لهذا هجر سجع الكهان الزائف ، ولم يبق منه إلا ما يكمل المعنى ، ويزيد موسيقا اللفظ تأثيرا فى النفوس .

ولما دونت الدواوين ، أخذت طبقات من الكتاب فى الظهور ، ونهضت كتابة الرسائل التى كانت فى أول أمرها مقصورة على لباب المعنى وجوهره ، ثم لما اتسعت رقعة الدولة فى عصر بنى أمية أخذت الرسائل تطول تناسبا مع سعة الدولة ونهوضها إلى ضبط أمورها ، وتنوعت فى الكتابة صور بدئها وختمها ، تبعا لتنوع أغراضها . وهكذا . .

ولما امتزجت الثقافات فى العصر العباسى ، وأقبل الناس عليها ، وقوى اختلاط العرب بالفرس وغيرهم ، وأخذت الدولة زخرفها وازينت ، وأقبل الناس على تلمس الجمال ، وطلبوا الأناقة فى كل مظهر من مظاهر الحياة ، وبدأ الترف بأعلامه على مجالس العباسيين ومحافلهم ، برزت الألوان البديعية إلى الصفوف الأولى بين دعائم الأساليب ، يصاحبها عمق الفكر وشمول النظرة وسلامة النطق وقوة التعليل . وعلا نجم المجاز بأنواعه ، والتشبيه بشتى ضروبه ، وعاونا معا على تسجيل صور جديدة مبتكرة مما جاد به الخيال المهذب .

ولما فتح العرب الأندلس ووجد شعراؤهم فيها ما لم يجدوه فى جزيرتهم من الخمائل الجميلة ، والأدواح الظليلة ، والأنهار الروية ، والسهول الممرعة ، والمروج المطرزة بألوان الزهر ، صفت أذهانهم ، وسما وجدانهم ، وعذب بيانهم ، ووسعوا دائرة الأدب ، وهذبوا الشعر فتأنقوا فى ألفاظه ، وتنوقوا فى معانيه ودبجوه تدبيج الزهر ، وسلسلوه سلسلة النهر ، ونوعوا قوافيه وتفننوا فى خياله .

ولما نهضت مصر نهضتها الحديثة وتلاقت فيها الثقافات المختلفة القديمة والجديدة ، والشرقية والغربية ، تزاحمت المعانى على أبواب العقول ، فاسترسلت الأقلام ، وانطلقت العبارات ، ولم يعد هناك فتون بالموسيقية اللفظية التى قوامها السجع والجناس ، ولا جنون بالطباق أو المقابلة أو التضمين أو الاقتباس ، أو حنين إلى التورية والاستخدام . فقد أخذت الحياة الجادة بنفوس الأدباء ، فلم تدع لهم فرصة يزوقون فيها التراكيب ، ويمنقون الأساليب ، ويبثون الدعابة ، ويثيرون النكتة . ولا سيما أنهم يرون أن عهد المظاهر والبهارج قد زال وانقضى . وإن كنا نعتقد أنهم بذلك قد باعدوا بينهم وبين أذواق العامة ، ولو إلى حد ما .

* * *

هذه جملة من المؤثرات الأدبية ونتائجها من خصائص الأدب فى بعض العصور .

وهذه الخصائص تتغير فى كل عصر تبعا لتغير مؤثراته ، وكثيرا ما ترى عصرين — مثلا — يتشابهان فى بعض خصائصهما الأدبية ، بسبب تشابه بعض مؤثراتهما وتماثلهما فى القدرة على إحداث نتيجة معينة . غير أنه من العسير أن يتشابه عصران تشابها تاما فى أدبهما ، وفى خصائص هذين الأدبين . وتلك نتيجة حتمية لاختلاف كل منهما فى مجموع بيئاته ومجموع مؤثراته .

ويكتسب الأدب – ولو كان طارئا – صفة الإقليمية بتوطنه فى المصر . ولكن لا يكفى هذا التوطن وحده ، بل لا بد للأدب مع تغير بيئته الطبيعية الأولى من تغير بقية أنواع البيئات ذات الأثر فيه : كالبيئات الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وما إلى ذلك .

وكلما تشابه أدبا عصرين فى ألوان بيئاتهما ، كان ذلك عائقا دون بروز الإقليمية فيهما بروزا فيه قوة واستقلال . أو بمعنى آخر فيه « شخصية » .

* * *

هذا إلى أنه ليس من الضرورى أن تتضح كل خصائص الأدب فى عصر ما فى أدب كل أديب فيه ، بل ولا فى أدب كل أديب من أدباء حلبة واحدة من حلباته ، لأن الأدباء يختلف بعضهم عن بعض باختلاف حياتهم الخاصة وباختلاف أذواقهم وطبائعهم . وهذه الاختلافات ذات أثر بين فى تنوع خصائص كل أديب عن غيره ، وإلا أصبحوا جميعا نسخا مكررة لأصل واحد .

ولكنك ترى – على الرغم من هذه الاختلافات – أن هناك خصائص أدبية تنتظم أدبهم جميعا ، أو على الأقل تغلب على أدبهم ، وتلون أدب أكثرهم ، فهذه الخصائص الغالبة هى أهم ما نعتبره فى أحد العصور خصائص لأدبه .

فنحن حينما نتحدث عن خصائص الأدب فى عصر ما لا ننظر نظرة فردية بل نظرة شاملة عامة ، بمعنى أننا لا ننظر فى خصائص كل أديب على حدة ، بل نستقرئ الخصائص المشتركة بين أدبائه جميعا ، وإن كنا لا نغفل قط عن خصائص الأدباء الأخرى .

وبدهى أن يكون لكل أديب فى عصر ما خصائص قد يفارق بها أديبا آخر معاصرا له ، ولا يصعب تعليل هذا باختلاف الطبائع والثقافة والدوافع الاخرى .

فمثلا كان منشئو ديوان الانشاء فى مصر فى عهد المماليك ومن لف لفهم من كتاب الرسائل ، يلتزمون – أو كادوا يلتزمون – السجع واطالة الفقرات ، وكان هذا الالتزام أحد التقاليد الأسلوبية المرعية فى الديوان ، وبينما ترى رسائلهم تفيض بذلك وتموج بالاخيلة الشعرية والمبالغات وإجادة التصوير ، اذ ترى نصائح الفقهاء المعاصرين ومواعظهم لم تعبأ

بهذه الالتزامات، وذلك لأنها غلبت عليها الفكرة والدقة فى إبراز الرأى قبل العناية بموسيقية الألفاظ، وتوافق القرائن، وازدواج التراكيب.

وكانت التورية - مثلا - إحدى دعائم الأسلوب عند جمال الدين بن نباتة المصرى فى شعره وفى نثره، بل هو الذى تزعم طريقتها، وحمل رايتها بعد القاضى الفاضل. ومرجع ذلك - فيما نعتقد - عكوفه على قراءة آثار الفاضل وتشبع مزاجه منها، كما كان شعبى النشأة والثقافة، لذلك كان شعبى الشعور، ومن هنا نهضت خصائص أساليب العامة فى شعره ونثره من فكاهة ونكتة وتورية.

وقد نبا به مزاجه عن الاغراق فى الجناس، لأنه «نوع ردىء أو محسن لفظى لا يتصل بتحسين المعنى» كما يقول ابن حجة، فكان يقال منه أو يخرجه مخرج التورية. وبينما كان يفعل ذلك اذ كان معاصره صلاح الدين الصفدى مغرقا فى الجناس، فتكلفه تكلفا شديدا فى شعره ونثره.

لكل أديب إذن خصائص قد يفارق بها سواه من أدباء عصره، ولكننا حينما نؤرخ أدب أحد العصور ينبغى لنا - كما أشرنا - أن نعمم النظرة، حتى تبدو لأعيننا الخصائص العامة التى تنتظم جميع الأدباء فى ذلك العصر، وهى التى تكسب أدبه «أقليميته» وان كنا لا نغفل الخصائص الفردية ما

محمود رزق سليم
أستاذ الأدب المساعد فى كلية اللغة العربية

شعر الاشراف

قال معاوية رضى الله عنه لشاعر بنى أمية عبد الرحمن بن الحكم:

إنك قد لهجت بالشعر، فاياك والتشبيب بالنساء فتعرّ شريفة، والهجاء فتهجن كريما أو تثير لئيما. وإياك والمدح فهو كسب الأنذال. ولكن افخر بمآثر قومك، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك، وتؤدب به غيرك. وإن لم تجد من المدح بدا فكن كالملك المرادى حين مدح فجمع بين نفسه والممدوح فقال:

احللت رحلى فى بنى ثعل إن الكريم للكريم محل

ما ذا يراد بالاسلام ؟!

من حين لحين تطالعنا الصحف بكلمات تتصل بالإسلام ومقدساته ، ولهذه الكلمات طابع واحد وإن اختلفت ميول أصحابها ، وبيئاتهم ، وثقافاتهم ، ذلك الطابع هو الجرأة البالغة على المقدسات الإسلامية ، والزراية الهازلة بأحكام هذا الدين ، والاستهانة المتعمدة بشعور المسلمين . وطبيعى أنى لا أريد أن أحجر على حرية الرأى ، أو أستعدى على صاحب فكرة ، أو أرمى أحدا بما كان ينبغى أن يرمى به حين يعالج من الأمر مالا يحسن ، وإنما أريد أن أتساءل : ما ذا يقصد هؤلاء بما يعمدون إليه من الإساءة إلى دين عجزت العقول الكبيرة أن تجد فيه منفذا لطعن صائب ، أو سبيلا إلى نقد صحيح ؟! .

وليس يمكن أن يقبل الراصد لهذه الأمور بسهولة أن تكون هذه القذائف الخوف التى تلق دون روية أو تعقل ، وليدة المصادفة ، أو نتيجة البحث عن الحقيقة ، أو ناشئة عن رغبة فى إصلاح ، أو عمل لخير المجتمع . وكيف نفسر موقف رجل نشأ فى بيئة دينية ، وظل فيها إلى أن أصبح كهلا ، وقد كان — على ما يبدو من سلوكه وأحاديثه — من المتعمقين فى دراسة الدين ، الحريصين على نشر تعاليمه ، وحث الناس على اتباعها ، كيف نفسر موقفه حين ينساق به الحديث فيسطر فى كتاب يقرؤه الآلاف من الناس ، ما يتعارض مع صريح الآيات القرآنية ، ثم لا يحاول أن يعرج على الآية التى ناقضها بتأويل أو تفسير أو فهم جديد لمعناها ومغزاها ؛ وإنما يلقى حكمه ، وكأن القرآن لم يعرض له ، ولم يصرح فى آية من آياته المحكمة بما يخالفه .

يقول هذا الكاتب معلقا على قضية رجل ضرب زوجته تأديبا لها : « ان ضرب الزوجة وحشية » ويذهب يتحدث عن هذه الوحشية ، وعن حقوق الزوجة وكرامتها وتقدمها ، وأن ذلك كله يتنافى مع ضربها ، فليس من حق الرجل أن يمد يده إلى زوجته ، وإلا كان وحشا . ونقرأ هذه العبارات ونذهب نتلمس فى ثنايا الكتاب تأويلا جديدا لهذه الآية المحكمة التى ورد فيها إباحة أن يضرب الرجل زوجته فلا نجد لذلك أثرا ، ونحن نعرف الكاتب ، ونعرف أنه ممن يحفظون كتاب الله ، ونعرف أن الأصول الأولى للبحث العلمى السليم ، أن لا يسطر الباحث كلمة يرفض فيها بعض الأصول المعروفة التى

اتفق عليها جماعة من العلماء ، حتى يلتمس لنفسه مخرجا من هـذا المتعارف المسلم به ، وحتى يكر على أقوال السابقين فيبطلها ، فما بالنا به يكتب ما يناقض صريح قوله تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن . واهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » ثم يمضى ، وكأن الله لم ينزل هذه الآية على نبيه ، وكأنها ليست فى القرآن الـكريم ! ! .

ثم نرى آخرين من الذين لهم سابقـة فى دراسـة الشريعة الإسلامية ، يتطاولون على أحكامها ، ويتمسكون ببعض الشبه التى يوقنون كل اليقين بأن العلماء قد فرغوا من بحثهـا وتزييفها ، ويذهبون يوهمون الناس أنهم أصحاب آراء جديدة ، كهذا الذى يكتب مقالا عنوانه : « الإسلام يحرم تعدد الزوجات » فيرتكب بهذا العنوان وحده أكبر مخالفة لأصول البحث العلمى ، ويمضى فى طريقه فلا يذكر دليلا واحدا صحيحا ، ولا يبدى رأيا سليما ، ولا يتعلق بشبهة إلا وهو يعرف أن العلماء ناقشوها وبهرجوها . وكهذا الذى يثير فتنة حول وجوب الصوم ، فاذا طلب إليه أن يؤيد قوله ولو بحجة شـبه مقبولة عجز كل العجز ، ثم يمضى فى غيه حتى يحط من شأنه ومن شأن معهده الذى نشأ فيه ، ولا يزال ينتسب إليه .

* * *

اننا لا نستطيع أن نفسر هذه السقطات بأنهـا ناشئة عن حرية الرأى ، أو عن حب البحث ، فأول ما يتطالب من يحترم عقله ورأيه وخلقه — إن طلع على الناس بجديد — أن يكون له من الحجة ، والبرهان ، ما يشهد بأنه يبغى الحقيقة : ولـكننا — بالنسبة إلى هؤلاء إن أحسنا الظن — نرجح أنهم رأوا طه حسين فى مبدأ حياته ينكر على القرآن أن يتحدث عن ابراهيم واسماعيل ، ويرى أنه ما دام التاريخ لم يثبت وجودهما ، فليس يكفى للايمان بوجودهما أن يتحدث القرآن عنه ، قال هذا طه حسين ، فأحدث حـول اسمه دويا . ثم جاء بعده من تلامذته من يقول بأن قصص القرآن ما هى إلا أساطير ، عمل فيها الخيال عمله الواضح القوى . فأثار — كذلك — ضجة حول اسمه . . . رأوا ذلك فتمكن فى نفوسهم أن هذه هى السبيل للصيت والشهرة ، وأنها طريق معبدة سهلة ، ما دامت لا تتطلب ممن يريد إلا أن يتنكر لعقله ، ودينه ، وخلقه ، وليس هناك ما يردعه ولا ما يخشاه ، فالرأى العام لا يقلقه ، والقانون لا يتعرض له . بل ان هؤلاء يجدون من بعض الناس صـدورا رحبة ، وتشجيعا وتأييدا ، واشادة بعبقرياتهم وشجاعتهم .

فاذا تجاوزنا هؤلاء ، رأينا من لا يحسن النطق بآية من القرآن يتحدث عن أحـكام الدين ، ورأينا تجنيا وزراية بقوانين إسلامية ، أقل ما يجب لهـا من الاحترام أن يتحدث

عنها بعبارة مهذبة ، وأسلوب خال من الطعن والتجريح . ونحن ـ مع أننا لا نقر أن يتعرض أحد لأحكام التوراة والانجيل بغير العبارة العلمية الهادئة ـ لا نرى من هؤلاء الكتاب أى تعرض ـ ولو من بعد ـ لشيء من هذه الأحكام . فكيف ساغ لهم أن يصفوا بعض الأحكام التى بذل الفقهاء الأولون ـ رحمهم الله ـ غاية وسعهم فى استنباطها من الأصول الأولى للاسلام .

* * *

وإنى أسوق هنا مثلا واحدا على هذه التهجمات غير الواعية : طالعتنا الصحف بأن جماعة من سيدات مصر رفعن طلبا إلى وزير العدل لاعادة النظر فى قوانين الزواج ، والطلاق ، والحضانة ، والطاعة ، وإلى هنا لا نجد غبارا على هذا الصنيع ، فمن حق كل إنسان أن يطلب ما يشاء ، والأمر بعد ذلك لأهل الاختصاص ، وأولى الأمر ، ينظرون فيما يصلح وما لا يصلح ، ولكن العيب فى الطريقة التى عرض بها هذا الطلب ، وفى التعليقات التى علقها الكتاب عليه . فهذا كاتب يصف الأحكام المعمول بها الآن ، وهى مأخوذة من مذهب السادة الأحناف ، وبعض المذاهب الأخرى ، وهى أحكام تستند إلى أدلة صحيحة من الدين ، ولكن الكاتب يقول : « ونحن نعتقد أنه آن الأوان للنظر فى تعديل القوانين العتيقة بحيث تنسجم مع روح العدالة ، والانسانية ، والتقدم ، التى تجعل المرأة ـ متى كانت فاضلة ـ جديرة بحضانة أطفالها ، وبالاتساق على يد البوليس كالمجرمة الأثيمة إلى رجل قد لا يستحق أن يكون زوجا ، أو أن يكون أبا ، أو أن يكون رجلا » .

* * *

ونحن نعلم أن الأدلة الشرعية التى أجمع عليها العلماء أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ولكننا نظفر فى هذه الأيام بدليل خامس ، يجب أن نغتبط به ، ونصفق له ، ونضيفه إلى أدلتنا المعروفة فى الشريعة الإسلامية ، ذلك هو (اجماع النساء) . اى وربى ، فقد أصبح اجماع النساء من الأدلة التى يترتب عليها العمل بحكم من أحكام الدين . ومن كان فى شك مما أقول فليقرأ هذه العبارات التى نشرتها إحداهن فى بعض الصحف المحترمة فى هذا البلد ، قالت ـ لا فض الله فاها ـ : « إن هذه المطالب لا تمثل اتجاها فرديا بين نساء مصر ، بل إن سيدات البلاد العربية قد نادين بها ، فى مؤتمر الاتحاد النسائى ، الذى عقد فى القاهرة سنة ١٩٤٤ ، إذ قرر جعل الحضانة للأم إلى وقت المراهقة فى الجنسين ، ما دامت أهلا لها ، وبعد حد المراهقة تكون الحضانة للاصلح من الوالدين » .

بخ .. بخ .. وعلى الرأس والعين ، وسمعا وطاعة ، وكيف يمكننا أن نخالف ، وقد

قرر المؤتمر والمؤتمرات . وهذه أمور من شئون المرأة فيجب على المشرعين أن يرجعوا لها ، وأن يخضعوا لقولها ! ولا تحرمنا الكاتبة الفاضلة من تعليل لهذا الذى اتخذه المؤتمر ، والذى يجب أن نعمل به فتقول : « ثم ان هذه المطالب هى النتيجة المنطقية لتقدم وتطور المرأة فى بلادنا ، بعد أن تعلمت وأصبحت تلعب دورا هاما فى حياة البلاد الانتاجية والعامة ، فلا بد من تطور القوانين حتى تتمشى مع تطور المرأة والتغييرات التى طرأت على حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية » .

صحيح ، صحيح . فتلك القوانين وضعت للمرأة فى صدر الإسلام ، وشتان بينها و بين المرأة فى القرن العشرين !

* * *

(و بعد) فلنا أن نتساءل : ماذا يراد بالإسلام ؟

وكيف أمكن لهذه الدعوات أن تجد لها جوا صالحا فى مصر زعيمة العالم الإسلامى ؟ وفى عهد الثورة المؤمنة ، التى تستمد أعمالها من روح الإسلام ، وتعمل جاهدة لإنجاح المؤتمر الإسلامى ؟ .

إن أخشى ما أخشاه أن يكون وراء ذلك أولئك الذين تحار بهم الثورة فى الميدان السياسى ، فيلجأون إلى بلبلة الأفكار فى الميدان الدينى ، بل أخشى أن يكون وراء ذلك الانجليز والأمريكان .

على العمارى

مقادير الامم بأخلاقها

قال الدكتور غوستاف لو بون فى كتابه (روح الاشتراكية) :

« تشتمل العوامل السياسية على القوانين والنظم . ويعزو النظريون من جميع الأحزاب — ولا سيما الاشتراكيون — أهمية كبيرة إلى هذين العاملين لاعتقادهم أن سعادة الأمة بأنظمتها ، وأن مقاديرها تتغير بتغييرها ، وهم بذلك على غير رأى بعض المفكرين الذين يعتقدون أن تأثير الأنظمة ضئيل جدا ، وأن مقادير الأمم بأخلاقها ، أى بروح أفرادها » .

وفى جامعاتنا المصرية أساتذة يلقنون قادة الفكر المصرى فى المستقبل أن كلا المذهبين كذب ، فمقادير الأمم ليست بالقوانين ولا بالأخلاق ، بل بالتحلل من القوانين والأخلاق . هذه هى الوجودية فيما زعموا .

الحديث عن السيرة

السيرة النبوية بمعناها الواسع تشمل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان فيها من أقوال وأعمال وإقرار ، وتشمل حياة صحابته الأكرمين رضوان الله عليهم أجمعين ، وما كان لهم من جهاد ونضال فى سبيل القرآن والملة الغراء ، وتشمل حياة التابعين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين ؛ فهذا كله تشمله كلمة « السيرة النبوية » بمعناها العام الواسع ، لأن الإمام فيها والقائد لها والعلم المبرز من بين أعلامها هو محمد رسول الله عليه صلوات الله ، وكلهم من رسول الله ملتمس طريق الهدى وسبيل الرشاد ، فلا غرابة إذا نسبت السيرة إليه ، وإن امتدت فى الزمان عهودا بعد عهود ، وعصورا فى إثر عصور . . .

وإنه لمن الخير لنا فى ديننا وفى أنفسنا وفى مجتمعاتنا أن نتحدث عن السيرة النبوية فى ظروفها الملائمة ومناسباتها المواتمة . بل من الخير أن نصطنع هذه المناسبات إذا وجدنا فى اصطناعها خيرا وفائدة ؛ وذلك لأن السيرة قدوة وتاريخ وتفسير وتطبيق .

نعم إن السيرة قدوة ، إذ أن صاحب هذه السيرة الأعظم محمدا صلى الله عليه وسلم يبدو فى طليعة رجالها بأخلاقه العالية ونفسه الصافية وجهاده العظيم وبلائه الحسن فى سبيل القرآن والدين ؛ وفى حياته من أضرب القدوة ونماذج الأسوة ما يعد خير مهذب ومؤدب للأجيال بعد الأجيال .

وكذلك نرى فى سيرة صحابته وأتباعه هذه القدوة وتلك الأسوة ، فلم تكن حيواتهم أياما متتابعة ولا حوادث متلاحقة ولا حركات جوفاء ، بل كانت دروسا تفيض بالعبر والعظات مما يفيد الناس فى دينهم ودنياهم ، وفى شئونهم الفردية وأمورهم الجماعية .

ولست أدرى لماذا أحس فى نفسى فرقا كبيرا بين « السيرة » و « التاريخ » فأنا أحس بالسيرة تأديبا وتهذيبا ، وتعليما وتقويما ، فيها ضرب المثل الصالح الذى يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . ولكن التاريخ سلسلة أحداث وحوادث ، تسردها الألسنة أو الصحف ، يأخذ بعضها بخناق بعض ، دون أن يعنى السارد باستلهام الحادث عظة أو عبرة .

والسيرة يجب أن نتحدث عنها ونطيل الحديث، لأنها تاريخ فوق أنها قدوة ، وهى كما أسلفنا نمط من التاريخ الجامع بين الحادث والقدوة . وما من أمة تستطيع أن تعيش بغير تاريخ ؛ وأمير الشعر والشعراء شوقى يقول فى قيمة التاريخ :

غال بالتاريخ واجعل صحفه   من كتاب الله فى الإجلال قابا
رب من سافر فى أسفاره   بليالى الدهر والأيام آبا
واطلب الخلد ورمه منزلا   تجد الخلد من التاريخ بابا
مثل القوم نسوا تاريخهم   كلقيط عىّ فى الناس انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة   يشتكى من صلة الماضى انقضابا

ويقول فيه أيضا :

ذاك كتاب الناس والأيام   من آدم الجد إلى القيام
تأنق الدهر به ما شاء   وأتقن التأليف والإنشاء

والأمة الإسلامية أشد حاجة من غيرها إلى الإقبال على تاريخها ، والاعتزاز به والتمعن فيه ، لأن التاريخ الإسلامى شديد الارتباط بتعاليم هذه الشريعة السمحة، إذ هو ليس تاريخا قوميا وطنيا ، وليس تاريخ أسرة أو دولة إقليمية ، ولكنه تاريخ دعوة استجاب لها كرام سابقون حملوها على أكفهم إلى المشرق والمغرب ، فكانوا يسالمون ويحاربون ويهاجرون ويستوطنون ويبنون ويعمرون، وهم مستظلون بلواء هذه العقيدة الإلهية السامية . ومن هنا امتزج تاريخ نشر الدعوة الإسلامية بتاريخ الذين نشروها ومكنوا لقواعدها بين العالمين .

ونحن — حين نطالع تاريخ أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية وخالد وسعد وطارق وقتيبة وابن عبد العزيز وصلاح الدين وغيرهم — لا نطالع تراجم لأناس عاشوا كما يعيش الناس ، يأكلون ويشربون ويتمتعون ، ويعلون فى الأرض بالسلطان والبناء ، بل نطالع تاريخ أناس فنوا فى دعوتهم ، والتزموا حدود يعتهم، وأخلصوا لله جهادهم فى حياتهم، فكانوا مبادئ عملية حية تسعى بين الناس

والسيرة يجب أن نتحدث عنها لأنها تفسير لمبادئ هذا الدين الكريم ، وبخاصة أقوال الرسول وأعماله لأنه الإمام والقائد . والذين أخذوا عنه من صحابته وأتباعهم إنما يستضيئون بنوره ويهتدون بهداه ، فهو الينبوع وهم خير الناهلين . ونحن نلاحظ أن من الفئات الضالة المضلة ما يجم بين صفوف المسلمين من حين لحين ليقول للناس كذبا وزورا وبهتانا : إننا يجب أن نأخذ ديننا من القرآن وحده ، ويجب ألا نعتمد على شيء إلا على نصوص القرآن ، مع أن القرآن الكريم جاء مبادئ كلية ونصوصا عامة ، ولم يتعرض للتفاصيل والجزئيات ، إذ لا يتسع الدستور الأصيل العام لكل هذه التفاصيل والتفاسير ، وتكفلت السنة النبوية صلوات الله على صاحبها بالشرح والتفسير والتوضيح .

ولقد أمرنا الله فى كتابه الكريم بالصلاة والصيام والزكاة والحج ، وشرع لنا كثيرا من المعاملات ، ولكنه لم يعرض لتفاصيل هذه الفروض ، ولم يطل بتعداد هيئاتها وجزئياتها ، وتكفلت السنة النبوية بالشرح والتفصيل ، فالذين يهونون من شأن السنة والاستدلال بها والرجوع إليها جاهلون جهلا فظيعا ، أوهم يكيدون للاسلام كيدا لئيما ، ومهما كانوا فهم بحاجة إلى المجاهدة العقلية والأدبية حتى يستقيموا على الطريق . . .

والسيرة يجب أن نتحدث عنها لأنها تطبيق لذلك الدين ، وتنفيذ لذلك القرآن الكريم . وإن هناك من الضالين من يزعمون أن مبادئ القرآن الكريم مبادئ نظرية لا يمكن تنفيذها ولا يستطاع تطبيقها ، ولكن السيرة تلقمهم الأحجار الكافية لردعهم وإقناعهم فى هذا المجال ، فقد استحال القرآن الكلامى الى قرآن عملى على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أيدى أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين . ولقد التزم الأولون مبادئ القرآن الكريم وعملوا بها ، فسعدوا وفازوا ، وشهد العالم على أيديهم أجمل فترة فى تاريخ الإنسانية ، وليس ببعيد أبدا أن يحقق الله للمسلمين مثل هذه السعادة إذا ما أخلصوا نياتهم وصدقوا فى عزيمتهم وأقبلوا على الله يعبدونه ، ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء .

فعلى المسلمين أن يقبلوا على سيرة رسولهم صلى الله عليه وسلم وعلى سيرة صحابته الأكرمين ، ليأخذوا منها القدوة والتاريخ [illegible]فسير والتطبيق ، وهذا يستدعى أن يجمعوا هذه السيرة جمعا شاملا ، وأن ينفوا عنها الد[illegible] المفترى ، وأن يجيدوا عرضها على أنفسهم وعلى الناس ، ويومئذ يستفيدون منها أ[illegible] ، ويجنون من رياضها أطيب الثمرات .

وصدق العلى الكبير إذ يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا، ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم، إن الله كان غفورا رحيما » .

وليت المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يعطون السيرة النبوية حقها الوافى من العناية والاهتمام بدل أن تظل مجالا فسيحا للتزيد والتحريف بأيدى غلاة الأعداء والأصدقاء الجهلاء على السواء . . . ١٥

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف



حفظ المعرى

روى السمعانى فى كتاب الانساب عن التبريزى أنه كان قاعدا فى المسجد بمعرة النعمان بين يدى أبى العلاء يقرأ عليه شيئا من تصانيفه ، قال : وكنت أقمت عنده سنتين ولم أر أحدا من أهل بلدى . فدخل المسجد — مغافصة — بعض جيراننا للصلاة ، فرأيته وعرفته وتغيرت من الفرح . فقال أبو العلاء . ما أصابك ؟ فحكيت له أنى رأيت جارا لى بعد أن لم ألق أحدا من اهل بلدى سنين . فقال لى : قم وكلمه . فقلت له : حتى أتم السبق (أى الدرس) . قال : قم وأنا أنتظرك . فقمت وكلمته بالأذربية شيئا كثيرا إلى أن سألت عن كل ما أردت . فلما عدت وقعدت بين يديه قال لى : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان . فقال لى . ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أنى حفظت ما قلتما. ثم أعاد لفظا بلفظ ما قلنا من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه . فجعل جارى يتعجب غاية العجب ويقول : كيف حفظ شيئا لم يفهمه ؟ !

وصدق العلى الكبير إذ يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا، ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم، إن الله كان غفورا رحيما » .

وليت المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يعطون السيرة النبوية حقها الوافى من العناية والاهتمام بدل أن تظل مجالا فسيحا للتزيد والتحريف بأيدى غلاة الأعداء والأصدقاء الجهلاء على السواء ... »

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف



حفظ المعرى

روى السمعانى فى كتاب الانساب عن التبريزى أنه كان قاعدا فى المسجد بمعرة النعمان بين يدى أبى العلاء يقرأ عليه شيئا من تصانيفه ، قال : وكنت أقمت عنده سنتين ولم أر أحدا من أهل بلدى . فدخل المسجد — مغافصة — بعض جيراننا للصلاة ، فرأيته وعرفته وتغيرت من الفرح . فقال أبو العلاء . ما أصابك ؟ فحكيت له أنى رأيت جارا لى بعد أن لم ألق أحدا من اهل بلدى سنين . فقال لى : قم وكلمه . فقلت له : حتى أتمم السبق (أى الدرس) . قال : قم وأنا أنتظرك . فقمت وكلمته بالأذربية شيئا كثيرا إلى أن سألت عن كل ما أردت . فلما عدت وقعدت بين يديه قال لى : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان . فقال لى . ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أنى حفظت ما قلتما . ثم أعاد لفظا بلفظ ما قلنا من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه . فجعل جارى يتعجب غاية العجب ويقول : كيف حفظ شيئا لم يفهمه ؟ !

لغويات

جاء صالحو القوم ، نظرت إلى ناجحى المدرسة

يجرى كثير من المثقفين الآخذين بقسط كبير من العربية فى قراءة نحو ما أثبت هنا على إثبات الواو أو الياء . وهم لا يبالون فى هذا بالجمع بين الساكنين المرفوض فى العربية . وإذا ناقشت بعض هؤلاء فقد يقول : إن ما أفعله يدعو إليه تجنب اللبس للجمع بالمفرد . وهذا أمر لم يعبأ به العرب ، فهم لم يستجيبوا له فيقعوا فى أمر كرهوه ونبا عنه لسانهم ، وذلك هو التقاء الساكنين الذى يفزون منه ولا يطورون [١] حراته . وهم يعتمدون فى فهم المراد على مقام الحديث والقرائن . فالوصف يكشف عن المقصود فى قولك : جاء صالحو القوم النجباء ، والضمير فى قولك : جاء صالحو القوم فأكرمتهم ، ونظرت إلى طالبى العلم فسررت بهم . وترى هؤلاء المتنكبين لسنن العربية يثبتون الحرف حيث لا لبس ، وذلك فى المثنى المرفوع نحو قولك : جاء طالبا العلم ، فالمفرد لا مكان له هنا لفتح آخره وعدم ضمه . وجاء فى الكتاب العزيز قوله تعالى فى الآية (١٦) من سورة المطففين : « ثم إنهم لصالو الجحيم » ولم يقرأ أحد بإثبات الواو فيما نعلم . فأما قوله تعالى فى الآية (٤) من سورة التحريم : « وإن تظاهرا عليه فأن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » فقد رسمت (صالح) فى المصاحف بصورة المفرد ، ويقول البيضاوى : « والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالإضافة » . ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ٨ / ٢٩١ : « وصالح يحتمل أن يراد به الجمع وإن كان مفردا ، فيكون كالسامر فى قوله : (مستكبرين به سامرا) أى سمارا ، ويحتمل أن يكون جمعا حذفت منه الواو خطا لحذفها لفظا ، كقوله : « سندع الزبانية » .

وبعد هذا أذكر أنه جاء الجمع بين الساكنين فى مثل ما تحدث عنه فى موارد معدودة ، ومحملها عند جمهور النحويين الشذوذ ، فلا يقاس عليها ولا ينبغى أن نحتذيها فى نطقنا .

---

(١) يقال : لا يطور حراه وحراته أى لا يدنو منه .

فمن ذلك قولهم : التقت حلقتا البطان ، فهم يثبتون الألف فى « حلقتا » فتلتق ساكنة مع لام « البطان » . وهذا مثل يضرب لتفاقم الشر . وذلك أن البطان حزام يجعل تحت بطن البعير لشـد الرحل عليه ، وفيه حلقتان ، فاذا التقتا كان ذلك من الهزال فيعي البعير ويكل عن السير . ويقول ابن يعيش فى شرح المفصل ١٢٣/٩ : « وأما حلقتا البطـان فالقياس حذف الألف لالتقاء السـاكنين ، كما حذفوها فى قولك : غلاما الرجل . وكأن الذى سوغ ذلك إرادة تفظيع الحـادثة بتحقيق التثنية فى اللفظ . والبطان للقتب ، وهو الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير، وفيه حلقتان ، فاذا التقتا دل على نهاية الهزال . وهو مثل يضرب فى الأمر إذا بلغ النهاية » . وقد ورد هذا المثل فى قول أوس بن حجر :

وازدحمت حلقتا البطـان بأقـ ـــوام وجاشت نفوسهم جزعا

ويقرأ فى البيت « حلقتا البطـان » بحذف الألف ، كما يوجبه القياس ؛ لأن الشعر لا يلتقى فيه ساكنان البتة .

ومما ورد فيه إثبات حرف المد عند التقائه بساكن ما رواه عصمة عن أبى عمرو ابن العلاء فى الآية ٣٨ من سورة الأعراف : (حتى إذا اداركوا فيها جميعا) أنه قرأ باثبات ألف « إذا » فتلتقى ساكنة مع الدال الأولى من « اداركوا » . وهـذه قراءة شاذة ، وعصمة ليس ممـا يعتد بروايته ، والمعروف عن أبى عمرو كغيره حذف الألف على القياس .

ويذكر القرطبى فى تفسيره ج ٧ ص ٢٠٤ بعـد حكايته رواية عصمة أنه حـكى عن العرب : هذان عبدا الله، وله ثلثا المـال باثبات الألف . ويقـول الفراء فى كتابه معانى القرآن ١ / ٤٣٨ : « والعرب تقول : حتى إذا اداركوا ، تجمع بين ساكنين بين التـاء من تداركوا وبين الألف من إذا ، وبذلك كان يأخذ أبو عمرو بن العلاء » وهـو يريد بالتاء من « تداركوا » الدال التى أصلها التاء فأبدلت إليها تحقيقا للادغام . وظاهر كلام الفراء أن هذا سنة لبعض العرب ، فهـو قياس عنـده . وتراه قد اعتمد ما ينسب إلى أبى عمرو فى قراءته الآية السـابقة . وقد علـمت أن المرجع فى هـذه الرواية إلى عصـمة . وعصمة يقول فيه أبو حاتم - كما فى طبقات ابن الجزرى - : إنه مجهول .

وخلاصـة البحث أنه يجب اجتناب الجمع بين الساكنين فى مثل : له ثلثا المـال

وكوفئ ناجحو الطلبة وسررت من آخذي الجائزة . ولا يتعود القارئ الترخص فى هـذا فهو مناف لمزاج العربية منافر لطبعها .

المسلى = السمن . الاذرة = الذرة . الملق = الملا .

ترى كثيرا من الناس يستعمل « المسلى » بدل السمن ، وقـد يظن بعضهم أن كلمة « المسلى » أفصح وأعرب ، وأن كلمـة « السمن » عامية مبتذلة . و « كلمة المسلى » تحتاج فى العربية إلى تخريج وشىء من الصنعة ليس باليسير .

فالأصل فى « المسلى » المسلوء ، وهو وصف للسمن . يقال : سلأ السمن : عالجه بالنار حتى أذاب زبده . و يقول فى المصباح : « سلأت السمن سلأ ـ مهموز من باب نفع ـ : طبخته حتى خلص ما فيـه من اللبن » . وقد تحولت كلمـة « المسلوء » إلى « المسلى » بتخفيف الهمز فى الفعل فيتبعه الوصف . فالفعل سلأت يقال فيه سليت بابدال الهمزة ياء ، وهذا التخفيف ليس قياسيا ، وإنما القياس إبدال الهمزة ألفا ؛ كما يقال فى رأس : راس . وفى فأس : فاس . وفى بأس : باس . ولـكن بعض علماء العربية يجيز هذا الضرب من التخفيف . وترى فى خاتمة المصباح النص الآتى : « وحكى سيبويه قال : سمعت أبا زيد يقول : ومن العرب من يخفف الهمزة فيقول : قريت وتشيت وبديت ومليت الإناء وخبيت المتاع وما أشبه ذلك » وساق صاحب المصباح بعد هذا أن سيبويه لم يرض ما ذكره أبو زيد الأنصارى ، وما يرمى إليه من أن يكون هذا التخفيف منهجا ملحوبا وطريقا مسلوكا . وأيا ما كان الأمر فقـد درج العامة على سلوك مذهب أبى زيد فيقولون : قريت وتوضيت ، ولا ينطقون بالهمز البتة فى مثل هـذا . فسليت فى سلأت جارية على منهاجهم . فجـاء الوصف منه على مسلى كما يجىء الوصف من رمى على مرمى . وقد جاء من هـذا الضرب عن العرب مشنى أى مبغض . وهو وصف من شنأ ، فترى أنهم خففوه على شناه يشنيه ، ثم جاءوا باسم المفعول : مشنى . ومن هـذا قول الشاعر ــ أورده فى اللسان فى كلأ ــ :

ما خاصم الأقوام من ذى خصومة   كورهاء مشنى إليهـا حليلها

ومن هـذا الباب أن قوما من العرب يقولون : كليت الشىء أى حرسته وحفظته ، والوصف منه مكلى والأصل : كلأت والوصف مكلوء ، كما قال تعالى : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن » .

واستعمال المسلى فى المسلوء قديم . ففى عيون الأخبـار ٣ / ٢٠٠ : « الأصمعى قال : قال أبو صوّارة أو ابن دقة : الأرز الأبيض بالسمن المسلى بالسكر الطبرزذ ليس من طعام أهل الدنيا » يريد أن هذا الطعام لنفاسته ينبغى أن يكون من طعام أهل الجنة لا من طعام أهل الدنيا ، والطبرزذ : السكر الأبيض الصلب . وهو لفظ فارسى .

ونرى أن « المسلى » فى الأصل وصف للسمن غلب عليه ، فاستعمل فى مكانه ككثير من الصفات الغالبة ، كالسابغات الدروع ، والأبيض للسيف ، والأسمر للرمح . وأن هجر السمن إليه من التفاصح الذى لا مسوغ له .

ومن قبيل هذا التفاصح استعمال الأذرة بدل الذرة ، وهذا لا وجه له البتة ، فينبغى اجتنابه .

ومن هذا التفاصح قول أهـل الريف للمتسع من الأرض : المـلق ، ينطقونه بالقاف المعقودة بلغتهم ، وإنما هو الملا . وفى اللسان . « وأما الملا المتسع من الأرض فغير مهموز يكتب بالألف والياء والبصريون يكتبونه بالألف . وأنشد :

ألا غنيانى وارفعا الصوت بالملا   فأن الملا عندى يزيد المدى بعدا

وأورد فى اللسان بعده البيت الآتى لقيس بن ذريح :

تبكى على لبنى وأنت تركتها   وكنت عليها بالملا أنت أقدر

وتخريج هذه اللفظة أن بعض العرب يقـف على المختوم بالألف بالهمز فيقـول فى حبلى : حبلأ فى الوقف ، فهؤلاء قالوا : الملأ فى الوقف على هذه اللغة ، واستمروا على ذلك فى الوصل ، وجاء بعد من ظن أن الهمز بدل من القاف كما فى لغة أهل القاهرة فردّوها قافا . وهذا كما يقول بعضهم لق فى لا ، فهذا تخريجه ما ذكرت : أنه قيل فى لا : لأ فى الوقف واستمر هذا فى الوصل فظـن أن الهمز بدل من القاف فردت قافا . ولهذه الصنعة باب يسمى تدريج اللغـة ، بسط الكلام فيه ابن جنى فى الخصائص ، وجعل له آثارا كثيرة فى اللغة . م

محمد النجار

مثل النبي ﷺ ومثل أمته

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكان، فقعد أحدهما عند رجليه، والآخر عند رأسه، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه: اضرب مثل هذا ومثل أمته. فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة، ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل فى حلة حبرة. فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء، أتتبعونى؟ فقالوا: نعم. قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء. فأكلوا وشربوا وسمنوا. فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لى إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعونى. فقالوا: بلى. قال: فأن بين أيديكم رياضا أعشب من هذه، وحياضا هى أروى من هذه. فاتبعونى. قال: فقالت طائفة: صدق والله، لنتبعنه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه. رواه أحمد.

* * *

السفر بزنة ركب وصحب جمع سافر كراكب وصاحب والسافر هو المسافر. أو السفْر هو السفر بفتح الفاء. أى كمثل قوم ذوى سفر، والمفازة الفلاة لا ماء بها، وسميت مفازة وهى مهلكة، والفوز هو النجاة من تسمية الضد بالضد تفاؤلا. كتسمية اللديغ سليما، والحلة الثوب الجديد لأنه حل طيه، أو هى ثوبان يحل أحدهما على الآخر، والحبرة بزنة عنبة نوع من برود اليمن، وحلل اليمن وبرودها مضرب الأمثال فى الجودة والحسن فى القديم. أرأيتم، أى ما تقولون؟ وأصله سؤال عن الرأى، والرياض المعشبة ذوات العشب وهو الحشيش الرطب، وهو دليل الخصب والإثمار، فهو كناية عنه، والحياض جمع حوض وهو مجتمع الماء. والرواء جمع ريان كعطاش وظماء جمعى عطشان وظمآن، وأصل الريان الشارب المرتوى فشبه به الحوض الممتلئ. فهو فيه مجاز. والمثل الشبيه والنظير، وضرب المثل سوقه، وهذا أظهر من قول أئمة اللغة فيه: اعتماده وصنعه كضرب اللبن جمع لبنة والخاتم ونحوهما. وإنما جعلته أظهر لقولهم مثل سائر، وهو أسير من مثل، وإليك يزجى القول ويساق الحديث؛ وفى الكشاف أن لضرب العلماء الأمثال،

واستحضار العلماء المثل والنظائر شأناً ليس بالخفى فى إبراز خبيات المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ؛ ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين، وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء . قال الله تعالى « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » وهم — أى العرب — لم يضربوا مثلا ؛ ولا رأوه أهلا للتسيير إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ، ولهذه الغرابة التى فيه ناسب إطلاقه على الحال والصفة والقصة إذا كان لها شأن ، وفيها غرابة من بعض الوجوه : كقوله تعالى فى المنافقين : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » أى صفتهم وحالهم وقصتهم العجيبة ، وقوله تعالى : « مثل الجنة التى وعد المتقون » أى صفة الجنة العجيبة « فيها أنهار الخ » « ولله المثل الأعلى » أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة .

إذا تمهد هذا فقول أحد الملكين للآخر « اضرب مثل هذا ومثل أمته » من المعنى الأول ، أى سق له ولأمته شبيها ونظيرا ، وقول الآخر له : « مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر » لفظ المثل فيه من الثانى أى حاله وصفته وقصته العجيبة هو وأمته كصفة قوم سفر وحالهم . لا يقال : إن ذلك يؤدى إلى أن يكون الجواب عن غير السؤال فإن الجواب إنما هو هذا التركيب ، وهو من قبيل التشبيه والتمثيل ، تمثيل صفة بصفة وقصة بقصة وحال بحال .

وقد مثل الحديث أهل الجاهلية — فيما انتهوا إليه من سوء سيأتى بيان طرف منه — بقوم مسافرين فى فلاة مهلكة خالية من أسباب النجاة وضروريات الحياة ، وقد أشرفوا فيها على الغاية المهلكة ، والنهاية القاتلة ، بعد ما نفد زادهم وساء حالهم ، وصاروا أعجز ما يكونون عن المضى فيها أو الرجوع منها . فبينما هم فى هذه الحال من العجز واليأس إذ طلع عليهم رجل تحيي هيئته فى النفوس ميت الرجاء وتبعث خامد الأمل ، إذ ليس عليه شئ من غبرة السفر ، وشعث البداوة ، وجهد المسير ، ورثاثة الهيئة ، وكسوف البال ، كالذى هم فيه . بل عليه شارة الحضارة والنضارة ، وأمارة النعمة والغضارة [١] وهيئة الخفض [٢] والسعة واليسار . ليكون حاله ذلك مصداقا لما يبشرهم به مما وراءه

(١) الغضارة : النعمة والسعة والخصب . (٢) الخفض هنا : الدعة ولين العيش .

من رياض معشبة ، وحياض رواء . ففى هـذه الحلة الحبرة إذن إشارة الى ظهور صدقه صلى الله عليه وسلم . وقد ورد أن رجلا من المشركين لم يكن رآه صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : أشهد أن هذا الوجه ليس بوجه كذاب ، وآمن به ، وروى أن أصحاب عبد الله (بن مسعود) ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم فقال : إن أمر محمد كان بينا لمن رآه ، والذى لا إله غيره ، ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب . وقرأ قوله تعالى : « هـدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب » الآيات . وروى السدى أن الأخنس بن شريق وأبا جهل التقيا فقال الأخنس لأبى جهل : يا أبا الحكم . أخبرنى عن محمد : أصادق هو أم كاذب ، فأنه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيرى . فقال أبو جهل : والله إن محمدا لصادق ، وما كذب محمد قط . ولكن إذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ فنزل قوله تعالى : « فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول لله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب فى شىء ولكنهم كانوا يجحدون .

والظاهر أن هذه الرياض الاولى التى قنع بها من تقاصرت هممهم ، ونت عزائمهم من المؤمنين ، هى ماصاروا إليه فى ظلال الإسلام وكنفه من حسن حال ، وصلاح بال ، وحياة طيبة رخية ، وعيشة راضية مرضية ، الى ما شملهم من عدل وأمن ، وأخوة وألفة ، وسعة ويسار ، وما آتاهم الله من سناء ورفعة ، وعزة وتمكين ؛ وأن الرياض الثانية هى هـذه الجنات التى أعدها الله لأولى الهمم الفتية ، والعزائم القوية الذين يخشون أن تذهب طيباتهم فى الحياة الدنيا ، ويعلمون أن ما عند الله هو خير وأبقى .

ويجوز أن يكون المراد بالرياض الأولى هو ما أعده الله من الجنات لأصحاب اليمين . والمراد بالثانية : هو ما أعده للسابقين السابقين من المقربين . كما جاء وصف ذلك فى سورة الواقعة فى قوله تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ، ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ، على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين » الى قوله تعالى « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » وبقوله « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب » الآيات . والوجه الأول أظهر لقوله صلى الله عليه وسلم : « فأ كلوا وشربوا وسمنوا » .

وقد أجمل الحديث ما ضرب له المثل من حال سيئة كان عليها أهل الجاهلية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، قبل هذه الحال الحسنة التي صاروا إليها ، وسر هذا الإجمال أن المخاطبين به من سلف الأمة كانوا يعلمون ذلك بالضرورة . وليس الحال كذلك بالإضافة إلينا معشر الخلف فنحن فى أمس الحاجة الى أن يصفوا لنا بألسنتهم طرفا مما كانوا فيه قبل هذا الذى أكرمهم الله وأكرمنا تبعا لهم به .

فمن ذلك ما أجاب به جعفر بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ النجاشى رحمه الله حينما هاجر إليه مع طائفة من المؤمنين (الهجرة الأولى) فأرسلت قريش فى أثرهم من يغرى النجاشى بهم ، بأنهم فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينه وجاءوا بدين ابتدعوه لا يعرفه هو ولا قريش ، ويسألونه أن يردهم إليهم فأبى حتى يسألهم عن هذا الذى يقولونه فيهم . فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى (النصرانية) ولا دين أحد من هذه الملل . فكان الذى كلمه جعفر فقال : أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . وعدد عليه أمور الإسلام ، ثم وصف له ما أصابهم من قومهم حين صدقوه وآمنوا به ، وما رجوه بالهجرة إليه ، إلى أن قال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله شىء فقرأ عليه من سورة مريم حتى أبكاه وأبكى أساقفته حتى أخضلوا أناجيلهم ، فأبى أن يسلمهم إلى قريش ، ومنه ما روى الطبرى فى فتح أصبهان وتوجيه عمر رضى الله عنه النعمان بن مقرن إليها فأتاها وبينه وبينها النهر فأرسل إلى ملكها المغيرة بن شعبة رضى الله عن الجميع . فدخل عليه وقد قعد على سريره ، ووضع التاج على رأسه ، وقعد أبناء الملوك نحو السماطين (الصفين) عليهم أسورة الذهب ، وثياب الديباج ، ومع المغيرة رمحه وترسه ، فجعل يطعن برمحه بسطهم ليتطيروا . وقد أخذ بضبعيه (عضديه) رجلان . فقام بين يديه فكلمه الملك فقال : إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعا ، وأشقى الناس شقاء ، وأقذر الناس قذرا ، وأبعدهم دارا ، وما منعنى أن آمر هؤلاء الأساورة (القواد والجند والرمى بالسهام والثابتون على ظهور الخيل) حولى أن ينتظموكم بالنشاب

إلا تجسا لجيفكم ، فأنتم أرجاس فإن تذهبوا نخل عنكم و إن تأبوا نركم مصارعكم . قال (المغيرة) : فحمدت الله وأثنيت عليه . فقلت : والله ما أخطأت من صفتنا شيئا ولا من نعتنا . إن كنا لأبعد الناس دارا ، وأشد الناس جوعا ، وأشقى الناس شقاء ، وأبعد الناس من كل خير ، حتى بعث الله عز وجل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم فوعدنا النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ، فوالله مازلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر حتى أتيناكم ، و إنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على ما فى أيديكم ، أو نقتل بأرضكم ، وصدق المغيرة فقد وفى هو ومن معه ما عاهدوا الله عليه ، فوفى الله لهم ما وعدهم من الغلبة والفوز ، وما كتب لهم من النصر والفتح المبين .

أما بعد — فهل لنا معشر المسلمين أن نعرف لهذه النعمة التى أنقذنا الله بها من الهلكة حقها ، فنؤديها إلى أبنائنا كما ورثناها عن آبائنا رياضا وارفة الظلال عذبة الماء طيبة الثمار قبل أن تزعجهم عنها هذه الأعربة المشئومة التى تنعق بالإلحاد والوجودية إلى هجير الفلوات وسراب المفازات ، ؟ وهل لنا أن نحوط هذه الرياض والحياض ، ونكنفها بأسوار منيعة من صدورنا وسواعدنا ، وحذرنا ويقظتنا ، حتى لا يصوح بنضرتها الناضرة ، وثمارها اليانعة ، وبهجتها البهيجة ، ما يهب عليها كل يوم من أعاصير الفتن وزعازع المحن ؟ وهل لنا أن نعلم أن علينا أن نقف على رأس كل مفازة من هذه المفازات التى ضلت أمم الأرض فى مهالكها وتاهت فى شعابها ، لندلهم على سبيل الخلاص وطريق النجاة متحلين بما يصدقنا من حالنا ، لعلهم أن يتبعونا فينزلوا فيما ندعوهم إليه من رياض معشبة وحياض رواء ، لنكون قد شكرنا نعمة الله علينا شكرا من جنسها ، وأدينا إلى الأخوة الإنسانية — وإن ناصبتنا العداء — بعض حقوقها . ولعلهم إذا ما اهتدوا أن يشدوا من عزائمنا ، ويوقظوا من هممنا ، فيما لا يزال يدعونا إليه نبينا ، مما هو بين أيدينا من رياض أعشب وحياض هى أروى . ويالها من أمان حسان يتمناها إنسان لإخوانه من بنى الإنسان على ما بذر الشيطان فى النفوس من بذور الفرقة والعداوة والبغضاء ، وما نفث فيها من أسباب الريبة ومن سوء الظنون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

« ولله عاقبة الأمور » م

محمود فرج العقدة

مدرس بكلية اللغة العربية

بنـــــو اسرائيل
فى المـاضى والحاضر

يعجب كثير من النـاس لمـا يشاهدونه كل يوم من يهود إسرائيل من نبذ العهود ونقض المواثيق وغدرهم الذى لاينقطع واعتدائهم على الآمنين ولاسيما الضعفاء من الكهول والنساء والصبيان البرآء ومجاوزتهم فى ذلك الحـد حتى انهم لم يراعوا حقوق الإنسانية الفاضلة التى جاءت بهـا الشرائع والقوانين ، و إنمـا يعجب من ذلك من لم يعلم أن تاريخ اليهود سلسلة متصلة من المخازى والخيانة والغدر والتقتيل والتخريب وأن هذه أمور متأصلة فيهم من قديم الزمان .

وشعب إسرائيل اشتهر بسوء الطباع وشكاسة الأخـلاق وانتـكاس الفطرة ، وقد وصفوا فى التوراة بأنهم شعب صلب الرقبة [١] وهو كناية عن البلادة والعناد وعصل الطباع [٢] المانع من الانقياد للحق ولو كان واضحا .

ولم يجد نبى من قومه من إيذاء وتعنت ونقض للعهود مثل ما وجد موسى عليه السلام من بنى إسرائيل ، ولم يكن ما نال الأنبيـاء الذين جاءوا من بعده من الأذى والاضطهاد بأقل ممـا ناله ، فقـد قتلوا البعض كزكريا ويحيى عليهما السلام ، وكذبوا البعض الآخر كعيسى ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام . وقد سجل الله سبحانه عليهم هذه الجرائم الشنيعة بقوله : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفـكلما جاءكم رســول بمـا لا تهوى أنفسكم استـكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » [٣] .

---

(١) الوحى المحمدى ص ١٢١ ط ثالثة . (٢) اعوجاجها مع صلابتها من عصل الشىء من باب فرح اعوج فى صلابة فهو عصل وأعصل والجمع عصال كسهام .
(٣) البقرة الآية ٨٧ .

وبسبب ذلك كتب الله عليهم الذلة والمسكنة واستحقوا سخط الله ، قال سبحانه : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » [١] .

وسأتتبع ما استطعت ما أخذ عليهم من عهود ومواثيق أقروا بها ثم لم يلبثوا أن نقضوها وناقضوا أنفسهم بعدم التزامها كي يتبين لنا أن ما يقوم به أخلاف بني إسرائيل اليوم هو امتداد لما كان يفعله أسلافهم من قبل .

فقد أخذ الله سبحانه عليهم العهد المؤكد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وأن يصلوا الأرحام ويحسنوا إلى اليتامى والمساكين ويتحلوا بمحاسن الأخلاق ويقيموا فرائض الدين ، فما وفى منهم إلا قليل ونكثوا العهد فقالوا : عزير ابن الله وقطعوا الأرحام وأكثروا من الفساد في الأرض ، قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون » [٢]

وأخذ الله عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماء إخوانهم في الدين والنسب ولا يخرجوهم من ديارهم مبينا لهم أن سفك دم الغير كسفك دم النفس وأن إخراج الغير من داره كإخراج النفس ، وأقروا بالميثاق وشهدوا على أنفسهم به ثم نقضوه فسفك بعضهم دم بعض وأخرج بعضهم بعضا من داره ، قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون »[٣] وإذا كان هذا التصرف المشين مع إخوانهم دينا ونسبا

(١) البقرة الآية ٦١ .

(٢) البقرة الآية ٨٣ .

(٣) البقرة الآيتان ٨٤ ، ٨٥ .

فما بالك بمن لا يربطهم به دين أو نسب ؟ لاشك أنهم يكونون معهم أشد ضراوة وأقسى قلوبا وأغلظ أكبادا ، وهكذا كانوا ، فكم سفكوا من دماء وانتهكوا من حرمات وأعراض ، وها هم اليوم يعيدون سيرتهم الأولى : فاستحلوا دماء العرب الآمنين فى فلسطين ، وأكثروا فيهم القتل وفى ديارهم التخريب ، واغتصبوها وأخرجوهم منها ، وأصبح الغاصب متمتعا بالبلاد وخيراتها ، وأبناء البلاد الأصيلون مشردين فى بقاع الأرض ، يفترشون الأرض و يلتحفون السماء ، وكل ذلك تم بصنع أشياع الصهيونية ، وعلى مرأى ومسمع من العالم الحر — كما يقولون — ولئن يئس أهل فلسطين عن عدالة أهل الأرض فلن ييئسوا من عدالة السماء ، ففيها معقد الأمل والرجاء ، وحين تدور الدائرة على الباغى سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وأخذ الله عليهم العهد أن يعملوا بما فى التوراة من التكاليف والآداب ، واستوثق عليهم برفع الجبل حتى صار كالظلة فأقروا وأذعنوا ، وسرعان ما تخلوا عن العهد ولم يلزموا أنفسهم بما فيها . قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » [١] . وأخذ الله عليهم العهد أيضا أنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم من التوراة أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه وقررهم على ذلك فأقروا وأشهدهم على أنفسهم . قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » [٢] ومع كل هذه التوكيدات لم يعملوا بما عاهدوا الله عليه ، فكذبوا بعض الرسل ، وقتلوا بعضهم ، فكانوا فاسقين حقا ، ولم يكن علماؤهم بأوفى منهم بالعهود ، فقد أخذ الله عليهم الميثاق أن يبينوا الحق ولا يكتموه ولا يلبسوه بالباطل وأن لا يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا من الرشا والسحت والجاه الزائل والرئاسات المزيفة ، لكنهم نقضوا الميثاق ونبذوه وكتموا الحق وبدلوا فى التوراة وحرفوا واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » [٣] .

---

(١) البقرة الآية ٦٢ ، ٦٣ . (٢) سورة آل عمران الآية ٨١ ، ٨٢ .
(٣) آل عمران الآية ١٨٧ .

وشعب بنى اسرائيل معروف من القديم بالتبجح والدعاوى الكاذبة والأمانى الباطلة التى لا تستند الى حق ، فقد ادعوا أنهم أولياء الله وأصفياؤه وأن لهم الجنة دون غيرهم ، فأكذبهم الله وتحداهم بتمنى الموت إن كانوا صادقين فما فعلوا . قال الله تعالى : « قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » [١] وقال : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » [٢] وادعوا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ، كما ادعى النصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ، وقد أكذب الله هؤلاء وهؤلاء وجعل ذلك من أمانيهم الباطلة ، فالجنة لن تنال بالادعاء وإنما تنال بإسلام الوجه لله والانقياد إليه والإحسان فى العمل ، قال جل شأنه : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » [٣] .

ولا يزال اليهود إلى اليوم يدعون ـ كذبا وزورا ـ أنهم شعب الله المختار ، والله يشهد انهم لكاذبون ، وأن ما يتصفون به من قبيح الصفات وما يقومون به من أساليب الأجرام لتبعدهم من أن يضافوا الى الله سبحانه وتسلكهم فى عداد القردة والخنازير ومردة الشياطين .

ومن ادعاءاتهم الباطلة قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، وقد نقض الله سبحانه قولهم بأبلغ حجة وأوفى بيان ، وبين لهم أن قاعدة المجازاة العامة تقتضى لا محالة أن يوفى كل إنسان جزاء عمله : إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، قال جل شأنه : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله مالا تعلمون ، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » [٤] .

---

(١) سورة الجمعة الآيتان ٦ ، ٧
(٢) سورة البقرة الآيتان ٩٤ ، ٩٥ (٣) سورة البقرة الآيتان ١١١ ، ١١٢
(٤) سورة البقرة الآيات ٨٠ ـ ٨٢

ولا تزال الأماني الباطلة والدعاوى الكاذبة تستبد بعقولهم وأفكارهم الى يومنا هذا ، فتجد رؤساءهم الأفاكين المشعوذين كثيرا ما يظنون أن دولة إسرائيل المزعومة ستمتد من النيل الى الفرات ، ويتشدقون بمثل هذا الكذب الصراح فى غير استحياء ولا خجل ، وكأنما سولت لهم نفوسهم الشريرة أنهم ماداموا قد اغتصبوا جزءا من بلاد العرب بالغدر والخيانة وأعانهم على غدرهم قوم آخرون من المستعمرين ، فقد أصبح من الميسور لهم تحقيق هذا الأمل الكاذب والحلم البعيد ، ولكن هيهات هيهات ، ولا يغرنهم أن الأسد العربى قد آثر التريث والانتظار ، واعتصم بالصبر وضبط النفس ، فأنه إذا وقعت الواقعة سيثب الوثبة الكبرى ويعمل مخالبه القوية فى جسم إسرائيل المنهوك ، وحينئذ سيعضون أصابع الندم ، ولن يجدوا لهم مستقرا إلا فى قاع البحر العميق ، وصدق الحق تبارك وتعالى « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » .

(يتبع)

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين



حقائق

* حفظ الصحة أيسر من علاج العلة .
* أوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء .
* الدنيا كالحية : لين لمسها ، قاتل سمها .
* حياتنا أحلام تنتهى برقاد الموت .
* طوبى لمن كان بصره فى قلبه ، والويل لمن كان قلبه فى بصره .
* ثمرة الأدب العقل الراجح ، وثمرة العلم العمل الصالح .

يأتمرون بالدين . . .
والله غالب على أمره

فى غمار الأحداث الصاخبة التى يعالج العالم مشاكلها ويقاسى من عنفها ، ويكفكف من حدتها ، يتحين جماعة من الخوارج على الدين هذه العواصف الهوج ، ليبلبلوا الفكر ، ويشعبوا الهوى ويقذفوا بأباطيلهم فى اسماع الناس ، ويخيلوا بخدعهم أمام ابصارهم ، متحللين من قواعد المنطق المسدد ، متجافين عن معدلة الرشد والأنصاف .

وإذا كان هؤلاء الخوارج - بسفههم فى الرأى ومجانبتهم للحق - يشككون الناس فى قوانين السماء ، وتتعالى صيحاتهم مرجفين بمذهب (الوجودية) فى غير تحرج بأنكار الله واجب الوجود ، وبأنكار الأخلاق وإنكار القانون ، ليتسنى لهم تذوق المتع الرخيصة فى رحابة الإباحية التى لا تعترف بالدين ولا بقيوده وروابطه ، فالدين فى نظرهم قيود ثقيلة تفرضها شرائع ونظم لا حاجة لهم بها ، ولا يستطيعون هضمها . إذا كانوا كذلك فهم جد واهمين متخبطين .

* * *

لو هدأ تفكير هؤلاء الجامحين قليلا ، وسكنت نزغتهم ، لرأوا بمنظار النصفة الهادئة : ألا قيود فى الدين ، وأنه ليس إلا الفطرة السليمة يحوطها سياج متين كريم يحفظها من عوامل الشر والفساد ، فلا تهاجمها فى حصنها جراثيم ضارة خبيثة ، تهدد سلامتها وتعكر صفاءها . هذا السياج المتين الكريم لا يقيد الفطرة السليمة ، ولا يربطها ، بل يبقى عليها : منطلقة ، مرحة ، مستمتعة ، فى كل حلال ، وبكل جمال ، وفى فضيلة الاعتدال .

وإذا كان السياج المحيط الحافظ يتمشى مع الفطرة السليمة ، فيحفظ من أجلها العقل أن يضل ، والعرض أن يستباح ، والمال أن يضيع ، والدم أن يهدر ، والأنساب أن تختلط . أفيكون فى هذا الحفاظ ، وفى هذا الإباء ، وفى هذه السلامة ، ما يبغض ويذم ويستنكر ؟ .

يا معشر المتحللين ! !

إن هذه النظم التى تضيقون بها وتحاولون أن تظهروا عليها ، إنما وضعها الشارع

الحكيم ، لتبق فيكم الإنسانية الحكيمة الرحيمة المعتدلة . ولو أنها خولفت أو حوربت أو تبدلت أوضاعها ، لعمت الفتنة ، واندلع الشر ، وشاعت الفوضى .

فأنه إذا أبيح الخمر - مثلا - وانطلقت المخدرات تغزو كل أنف وتقذف فى كل جوف ، اختل ميزان العقل من أثر ذلك .

و إذا استبيحت الأعراض ، وانتهكت الحرمات ، وقدم السيد المتحلل الوجودى - أخته أو أمه أو زوجه أو ابنته - متعة رخيصة ، تتناولها الأيدى ، وتتلقفها الأوضاع العابثة الشائنة ، وتعمر بها المواخير ، ترتب على ذلك تحالل الروابط واختلاط الأنساب ، والقضاء على الفضيلة .

ثم إذا انعدم الكسب الحلال ، وطغى احتراف الغصب والسرقة ، وأصبحت الأموال فى غير حرز نهبا مقسما ، تخاذل الناس عن السعى فى التجارة والجد فى العمل ، واستصلاح الأرض ، وتبدل أمن الناس خوفا ، وجهادهم فى الحياة قعودا ، ونشاطهم فتورا ، ووقف دولاب العمل ما دام الوصول إلى المال قريب المنال .

و إذا تم كل ذلك يا معشر المتحللين ، فماذا يبق للانسانية بعد تخبط العقول ، واستباحة الأعراض ، وفساد الذمم ، وطغيان الإثم ، وضياع النفس والمال ؟ .

ما ذا يبقى فى الوجود بعد هذا الفساد الشامل ؟ أيها الوجوديون ! .

يمينا أحلفها بارا بها أنكم خياليون ، لا تستطيعون أن تعتنقوا مذهبكم هذا فى بيئتكم الضئيلة البغيضة ، و إلا فجربوا ، ثم انشروا على الناس ثمار ما جربتم ، واصدقونا القول فى مبلغ ما وصلتم إليه من نقيصة و إثم وعدوان .

ألا إن الدين وتعاليمه ونظمه ليضمن لكم فى الحياة كل فضل ، ويذيقكم كل خير ، و يغمركم فى سعادة من الإحسان والبر والمرحمة والتضامن والتكافل ، و يحفظ عليكم أعراضكم وأموالكم وعقولكم وأنفسكم ، و يقف بكم عند حدود الله « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » .

واقرأوا قول الله تعالى فى سورة الرعد : « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم و يخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية و يدرءون

بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

* * *

وثمت لون آخر من الائتمار بالدين تقوم به شرذمة من الملاحدة . . لا يؤمنون بمبدأ، ولا يستقرون على حال، وإنما يتقلبون من رأى الى رأى حسبما يشاء لهم الهوى، وتغمرهم المادة ، ويطيب لهم العبث والافساد . . .

أولئك هم دعاة توحيد التعليم فى المرحلتين الأولى والثانية . . . بين الأزهر والمدارس . فأنه لو تم هذا لتعذر حفظ القرآن ، وضعف إعداد رجل الدين لتلقى علوم التفسير ، والفقه ، والأصول ، وعلم الكلام ، وأدب السنة ، فتطغى موجة الجهالة ، ويبيت المجتمع فى حلك الالحاد وضلالة الفتيا . وانتهجم على تلك العلوم بضعف الادراك وقصور الفهم ، فتكون التعاليم الدينية الصحيحة هدفا للضياع . وتلك وايم الله فتنة الالحاد للتخلص من عصب الحياة الدينية فى الشرق ، بل فى العالم كله .

فالأزهر كعبة العلم، ومشرق الهدى، والحفيظ على تراث الأولين فى علومهم ومعارفهم، والأزهر مدرسة القديم والحديث، فيه قوة الفكر ، ورجاحة الرأى ، وغزارة المادة . فمن الإجرام أن يطعنه الملحدون فى (أبجدياته) من المراحل الأولى للتعليم ، ليوهنوا من أسلحة الإعداد الأولى ، فيقوم الجهاد فى وجه أعداء الدين على غير أساس .

لا . يادعاة الفتنة . وياعصبة الشر . لن يكون الدين أبدا غرضا لسهامكم ، وهدفا لأراجيفكم ، فالدين شريعة الحق ، وجنوده أبطال مستبسلون ، وحصنه يقوم على دعائم ثابتة من علم ، وخلق ، ومثل عليا .

وكل أولئك لا يتأثر بفحيحكم الخافت ، وحسبكم ما حملتم من خفى حنين .

أما بعد — فقد كنا نود أن يكون لهؤلاء الكتاب وأمثالهم قلم يذودون به عن حمى الدين، ولسان يحركونه فى نصرة الحق .

أما أن يأتمر هؤلاء وأولئك بالدين ، فينكر بعضهم تعاليمه وشرائعه ، ويمزق البعض الآخر بنوده وأعلامه ، ويسعى المتعصبون لتدمير حصنه وتوهين شأنه . فهم فى ذلك جد خاسرين . « والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » صدق الله العظيم .

محمد عبد التواب

المفتش العام للوعظ بالأزهر

الشيخ الصعيدى

١١١٢ — ١١٨٩

كان الشيخ ـ بعد أن يقضى حق الله وحق أهله ـ لا يقضى وقته إلا بين تلاميذه ومريديه ، متوافرا على درس العلم ، منقطعا للارشاد والهـداية ، يحتسب عند الله ما ينفع النـاس ويستصلح نفوسهم فيطهرها من الرعونة والفساد ، ليملأها بالنور والصلاح ، فهو لا يقصد إلى أمير ولا وزير ما لم تمس إلى ذلك الحاجة من بعض أفراد الشعب أو التلاميذ والمريدين. كان الشيخ إذن يتردد على على بك أمير مصر حين يفـزع الناس إليه فى بعض حوائجهم ليقضيها منه إنسانية تعلمها من روح هـذا الدين العظيم ، وامتثالا لقول السيد الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته ، فمن فعل ذلك كنت له شفيعا وشاهدا » .

وقصد الشيخ الصعيدى فى بعض غدواته على الأمير على بك إلى تلك المثوبة الـكريمة ، وحين أبصره الحشم من بعد دخلوا على الأمير كعادتهم ينبئونه بقدوم الشيخ حتى يعد المكان للقائه ، فينفض من حوله تلك الشبك التى يدخن بها ، لأن الشيخ يكره الدخان ويقرع شاربه ولو كان الأمير الجبار ، لا يبالى ما يصيبه فى جنب الله . وقام الأمير إلى الشيخ كعادته ، يستقبله من خارج الدار ليقبل يده ويقدمه إلى مكان الاستقبال ، ودخـل الشيخ فأخذ مكانه ، وجلس الأمير إلى جانبه ، ثم نسى الأمير أن يوفر نفسه على خدمة الشيخ كعادته وأن ينصرف إليه بكليته ، فأطرق يفـكر فى أمر كان يشغله ، والشيخ يظن أنه منصرف عنه ، فأخذته انفعالة كثيرا ما تعترى العلماء والصالحين . وأخذ يخاطبه بلغة الصعيد : يامين يامين يامين ، هو غضبك ورضاك زى بعض ، بل غضبك خير من رضاك . ويقوم الشيخ قائما . ويقوم الأمير بقيامه ثم يحاول أن يعيده إلى مجلسه وهو يعتذر إليه ويحلف له بكل محرجة من الأيمان أنه ما غضب ولا كان إلا قرير العين بذلك المقدم الميمون الكريم . ولـكن الشيخ يصر على موقفه ويأبى أن يعود إلى مجلسه ، وكأن صدر الشيخ كان حرجا بلقاء

هذا الأمير وهو يعتقد فيه الجبروت والظلم، ضيقا بالتردد على أمثاله، ولو فيما هو طاعة لله، يخشى أن يسأله الله عن التردد على مثله وهو يقول فى كتابه الكريم: «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون» . فرحم الله الشيخ الصعيدى على قدر نيته وما أخلص فى تنفيذ أوامر الله وتحرى رضاه .

وبعد ذلك سأل الأمير على بك عما جاء بالشيخ فى هذه المرة، فذكرت له حاجته، فقضاها التماسا لفيئة الشيخ ورجوعه إلى ما كان من رضا يشعر الأمير بأن فيه حياته واستقرار أمره وإلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت .

ومرت الأيام فإذا الشيخ يركب فى ليلة من ليالى رمضان مع شيخه الشيخ حسن الجبرتى والد الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ ، وكان ذلك أيضا لحاجة عزاء بعض الأمراء، ومرا بقصر على بك . فقال الشيخ حسن الجبرتى، عرج بنا نسلم على الرجل. فقال الصعيدى: يا شيخنا أنا لا أدخل . وقال الشيخ الجبرتى: لا بد من دخولك معى، فلم تسعه مخالفة أستاذه، ودخلا على الأمير المحزون ، فاستبشر بقدومهما، وفرح به أشد الفرح، وكان من المصادفات العجيبة أن يقضى الأمير نحبه فى تلك الليلة، فيستبشر أهله بغفران الله له ورضوانه عنه لأن الشيخ قد رضى .

ذلك أيها القارئ الكريم هو العالم الأزهرى الصالح الشيخ على الصعيدى العدوى، تمثل لك به نمطا من رجال الدين وعزتهم فى الله واعتدادهم بالله وعدم خشيتهم لأحد سواه، حتى استقادت لهم القلوب النافرة، وخضعت لهم رقاب الجبابرة، كذلك كانوا وكذلك فليكونوا إن شاء الله .

كان الشيخ الصعيدى من علماء الأزهر فى القرن الثانى عشر الهجرى وهو عهد كان الحكم فيه بمصر للأتراك العثمانيين الذين جاسوا خلال الديار فشملوها بالعسف والجور والاستبداد، وأطفئوا معالم العلم والتعليم فى كل مكان، سوى الأزهر الذى حفظه الله من كل يد ظالمة فلا تصل إليه وقال : يا نار كونى بردا وسلاما عليه ، لأن الله أراد به أن يبلغ رسالة الدين ، وأن يحفظ كتابه الكريم تشريفا ميزه الله به ، وكرامة خلعها عليه .

كان الشيخ الصعيدى من علماء ذلك العهد، فقد ولد ببلدته بنى عدى سنة ١١١٢ هـ، ونشأ بها صغيرا، ثم سافر إلى مصر حيث تلك الكعبة العلمية الملحوظة بعناية الله المصنوعة

على عينه، فتعلم بها على خيرة علماء عصره : كالشيخ عبدالوهاب الملوى والشيخ شلبي البرلسي والشيخ عبد الله المغربي والشيخ ابراهيم الفيومي الذي بشره بالعلم حين قبل يده وهو صغير كشأن كثير من المحدثين الصالحين من العلماء ثم الشيخ محمد زكريا والشيخ ابراهيم شعيب المالكي والشيخ أحمد الملوى والشيخ أحمد الديار بي والشيخ الحفنى إمام العلماء فى عصره وكثير غيرهم ، وفى آخر عهده بالطلب تلق الطريقة الأحمدية على الشيخ على بن محمد الشناوى وواظب على الأوراد ووظائف العبادة كدأب كثير من شيوخ الأزهر وطلابه قديما ، وكان ذلك سر ما وضع الله لهم من محبة ومهابة ، فإن الذكر والعبادة يضفيان على العالم قوة عجيبة ويملآن النفوس بحبه وتفديته ويجمعان القلوب عليه ، وقل أن يكون عالم غير متصل بالله إلا وهو فاشل فى مهمة الدعوة إلى الله سبحانه ، وكان الشيخ فى فقر يرشحه للتفرغ ، على أنه كان زاهدا يجود بكل ما يجد .

ولما قضى الصعيدى أجل التعليم ، وأنس من نفسه القدرة على الإفادة ، وأذن الشيوخ له بالتدريس ، تصدر له فى أدب وتواضع وإكباب على الدرس والبحث ، فأفاد وأجاد، وألف كتبا كثيرة من الحواشي التى كانت أكبر مظهر للعلم المتوارث فى ذلك العهد التركى . وكان للشيخ طبقات من التلاميذ صاروا فحول العلم، وصارت له مؤلفات سارت بها الركبان منذ ذلك العهد، فكان ممن تخرج عليه الشيخ المحقق القلعى الشهير بعلامة المعقول والمنقول، والشيخ الفرماوى ، والشيخ الجناحى المعروف بالشافعى ، والشيخ الدرديرى العدوى وحسبك به، وكثير غير هؤلاء، وكلهم فحول لهم مكانتهم فى الأزهر، وكان مما ألف حواش مشهورة يسرت سبل الفقه وجلت كثيرا من غوامض كتبه كحاشية ابن تركى وحاشيته على الخرشى وعلى الزرقانى على المختصر ، وكان له حواش فى غير الفقه كالحاشية الصغرى والكبرى على جوهرة عبد السلام فى التوحيد ، وعلى الهدهدى على الصغرى كذلك وعلى الأخضرى على السلم فى المنطق . ويقال إنه أول من كتب الحواشى فى فقه المالكية ، ومهما يكن فأن التأليف منذ عهد المماليك تقريبا كان مصابا بالزمانة وضعف الإنتاج ، فالمؤلفات كانت فى جملتها تدور حول مختصرات للمطولات تسمى المتون ، ثم تحتاج المتون إلى شروح يرجع فيها إلى تلك المطولات وإلى تطبيق العلم فى فروعه المختلفة كالنحو والمنطق والبيان على عبارات المتون ، ثم تحتاج الشروح أحيانا إلى حواش تزيد الإيضاح أو تناقش، ثم كانت التقريرات فى عهد الأتراك ، فما كان من مؤلفات الشيخ ماهو إلا سير بسيرة العصر فى أرق صوره .

أخلاق الشيخ وصفاته :

لعلك رأيت فيما مرّ بك من استعراض لحياة الشيخ ودراسته وظروفه أنه صار من الراسخين فى العلم والمبرزين فيه ، ثمرة لذلك الانقطاع للعلم والتحصيل ، وأثرا من آثار روحيته الصافية النقية . ولقد كان لهذه الروحية أثر يتجلى فيما رأيت من غيرته على الدين وحرصه على تحقيق ما يدعو إليه يقينا أو ظنا . ويدل على ذلك ما شهر عنه من تحريمه لشرب الدخان ونعيه على كل من يشرب به وانتهاره إياه ولو كان أميرا أو وزيرا ، ثم تجلى تلك الصوفية الروحية العجيبة فيما وهبه الله من قوة ، وهو الضعيف الأعزل الذى لا قوة له إلا ما وهب الله من شخصية جبارة جعلت الأمير على بك وغيره يطلبون رضاه ، ويلتمسون القرب منه ، ويتشاءمون من سخطه حتى تضيق الأرض على الواحد منهم بما رحبت إذا أحس من الشيخ تغيرا أو امتعاضا .

وقد ذكر الجبرتى فى علاقته بالأمير محمد بك أبى الذهب أنه كان يتردد عليه بين الفينة والفينة لا لشىء إلا ليذكره بالله ويخوفه بطشه ، وأنه كان يمسك بيديه ويقول : ما أجمل هاتين اليدين لو سلمتا من عذاب جهنم . وشىء آخر أيضا كان يحفزه إلى ذلك اللقاء وهو تبليغ حوائج الناس التى يجمعها فى مذكرة له لا يستثنى طالب حاجة ، بل يكتب حوائج الناس كلها ثم يعرضها على الأمير ويقول له : لا تمل أيها الأمير فأنى محتسب ، أرجو أن يغفر الله لك ذنوبك ، ويتجاوز عنك بما تفعل من خير لعباده .

وكان الشيخ يصل أهله بالصعيد ويرسل إليهم كسوة الشتاء والصيف كلا فى إبانه لا يستثنى منهم أحدا ولا يحتقر شيئا مما يرسل كلما توفر لديه شىء من المال .

هكذا كان الشيخ الصعيدى العالم العامل الورع الصوفى .

وهكذا كان علماء الأزهر ، وهكذا ينبغى أن نكون جميعا ، وما توفيقنا إلا بالله وحده ، هو حسبنا ونعم الوكيل .

محمود النواوى

البقاء

ليس الابن عزيزا على أبيه لذاته ، ولكن لأن الأب يرى فيه امتداد نفسه ، ويرى فيه خلود حياته لأجيال مقبلة .

(تاغور)

ملكة المراقبة

بين الفرد والمجتمع

تنزع النفس الإنسانية بطبيعتها إلى الانطلاق من قيود الفضائل والآداب ، وتتطلع إلى ما لا يليق بالكرامة التى شرفنا الله بها فى قوله : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

فكان من رحمة الله بالإنسان الذى خاطبه واستخلفه فى عمارة هذا الكون أن تعاقبت شرائع السماء على تهذيب نفسه ببيان ما لها وما عليها ، وكبح جماحها عن المضى لغايتها حتى تستبصر لها ، وتنظر فى عواقب ما اعتزمته بعقول ينير الإيمان مسالكها ، وتكشف تقوى الله لها سواء السبيل ، ففى ذلك الخيرة لها بين طريق النجاة والهلكة ، وإيثار ما يجمل بها ويحلو لها من حظوظ الخير والشر والهدى والضلال ، وفى نهاية الشوط ما يلذ ويرضى من مغبة الرشد ، أو يقض المضاجع ويعصف بالقلوب من عواقب الغى والبغى « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ » . وفى الحديث قال أنس بن مالك بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا هممت بأمر ففكر فى عاقبته ، فأن كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فانته عنه » .

وإذا كان العاقل الرشيد يقف وقفة طويلة أمام ما يريد من مطالب عيشه وحاجات نفسه ، ويملى فيها لعقله ، ثم يوازن بين مغانمها ومغارمها ، ويتعرف الربح فيها من الخسارة ، وهى أرباح - مهما بلغت قيمتها وعلت درجتها - قليلة الجدوى سريعة النفاد ، فكيف لا يطيل التفكير ، ويسرف فى التقدير والتدبير فيما نهضت همته إليه ، وعزم أمره عليه من عمل ؟ ! أفى طاعة الله أم فى معصيته ؟ ! وفى رضوانه أم فى مخالفة أمره ؟ ! فأن كان فى رضاه وضع يده فى يد الله ، واستعانه واستهداه ، وجاهد فى ذلك العمل الصالح هواه ، عساه يدرك منه ما يسعد دنياه ، ويكون له ذخرا نافعا فى أخراه ، وإن كان غير ذلك حبس عنه خطاه ، وغل دونه يديه ، واتقى فيه ربه الذى أمر وحذر وبشر وأنذر « ومن

أعرض عن ذكرى فأن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » فأطيب ثمرات الإيمان أن نستبق الخيرات ، وأن ننافس فيها المؤمنين ، وأن نكف جوارحنا عن السيئات صادقين « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

والحديث الذى أسلفته من رواية أنس بن مالك توجيه نبوى يثمر فى أنفس الذين يمثلونه ملكة مراقبة الله وخشيته ، فلا يصدرون فيما يأتون وما يذرون إلا عن هـذه الملكة التى يبلغون من رضوان الله فى الدنيا والآخرة بقدر نصيبهم منها . فهل لهؤلاء الذين لا يتبصرون فى الأمور قبل الإقدام عليها أن يقيموا حياتهم فى ذلك النور المحمدى ، فيتهموا أنفسا قد تستحسن القبيح وتستقبح المليح حتى تبلغ من تقوى الله درجة تمضى معها إلى عز الطاعة وتنتهى بها عن ذل المعصية ! ؟ فالرسول الذى سن لنا هذه الشرائع المبصرة كان أخشى الناس وأخوفهم من الله عز وجل ، وما أكثر ما كان يدعو ربه بقوله : « اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد » .

ومن هنا كان بلاؤه فى الدعوة إلى الله وجهاده الموصول ليجعل الناس ملائكة يسيرون على الأرض . ولقد ورث — صلوات الله عليه وسلامه — أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فضيلة محاسبة أنفسهم وردها عن فجورها وهواها إلى صلاحها وتقواها ، فكان أبو بكر — وهو من يرجح إيمانه إيمان المؤمنين كافة كما حدث المعصوم عليه الصلاة والسلام — يشم من فمه رائحة الكبد المشوى بعد أن حرقت خشية الله قلبه ! ! ويقول : لو كانت إحدى رجلى فى الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله ! ! وكان عمر يقول : ليت أم عمر لم تلد عمر ، وكان تميم الدارى يصلى ليلة عند المقام فبلغ قول الله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » فجعل يبكى ويردد إلى الصباح : ساء ما يحكمون ساء ما يحكمون ! ! . وبلغ الفضيل بن عياض هذه الآية فجعل يرددها وهو يبكى ويقول : يا فضيل . ليت شعرى من أى الفريقين أنت ؟ !

لقـــد وضح الطريق إلى العزة الإسلامية إذا وضحت هذه المعـانى النبوية ، فلشد ما باعدت الغفلة عن الله أقواما عن الصراط السوى ، فهم لا يتعرفون أين أعمالهم من الغى أو الرشد ، ولا يقيمون وزنا لنصيبها من الذم أو الحمد ، ولا تتسع صدورهم للعظة الصادقة يسديها إليهم الناصح الأمين « وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه ، وفى آذاننا وقر ومن بيننا

و بينك حجاب فاعمل إننا عاملون» وكأنهم أحفاد الأخنس بن شريق الذى قال الله تعالى فيه : «ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . و إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، و إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ورحم الله أبا حفص أمير المؤمنين إذ قال وهو على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرأ أهدى الى عيوب نفسى » .

إننا ننشد المحال إن طالبنا الخلف بكل ما طبع الله عليه السلف من كرائم الخلال ومجيد الخلائق ، لكن المجتمع الإسلامى فى غمرة الغفلة عن الله ، وتعجل لذائذ الحياة ، ما أشد حاجته إلى ملكة المراقبة و إقامة الضمير الرادع عن الإثم ، الدافع الى الصلاح ، مكانه الهادى من حياتنا . ففى أحاديثنا ينبغى أن نزم شفاهنا على الكلمة حتى يجيز العقل انطلاق اللسان بها ، فالكلمة الطيبة ترعى الحق وتؤكد بين الناس الود ، وتدنى الأرواح ، وتعطف القلوب على القلوب ، وعلى نقيض ذلك ما تفعل الكلمة الخبيثة . ولقد بالغ رجل فى أذى أبى ذر رضوان الله عليه فكان يغضى عن أذاه ، و يؤثر صلاحه وهداه فيقول له : يا أخى : لا تسرف فى شتمنا ودع للصلح موضعا ، واعلم أننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه ، وهو يأخذ نفسه فى ذلك الأدب الرفيع بتوجيه الله عز وجل إذ يقول : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم » .

. . وفى أعمالنا ينبغى أن نغل جوارحنا عما تريد أن تتحرك إليه حتى ننظر : أحق هو أم باطل ؟ فما أكثر الذين اندفعوا الى بعض الأعمال بدون روية ولا استبصار ، فلما بدا لهم وخامة ما عملوا شق على فريق منهم أن يعودوا إلى الصراط السوى ، واستحب آخرون العمى على الهدى وأصروا واستكبروا استكبارا ، فهؤلاء الذين يخسرون الميزان ، و يستطيلون على الناس بجاههم ، و يبخلون عليهم بفضل ما لهم ، وهؤلاء الذين يرون من هوان المؤمنين بأيدى المستعمرين ما يوجب المناصرة والمؤازرة فلا يجاوزون موقف المتفرج ناسين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» هؤلاء وأولئك يفعلون ما يفعلون فى غيبة خشية الله ومراقبته فيما يأخذون وما يدعون ، و إنها لصفة الملائكة المقربين الذين « يخافون ربهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون » وهى من نعوت المؤمنين « الذين هم من خشية ربهم مشفقون » . « و يرجون رحمته ويخافون

عذابه »وصلى الله على معلم الناس الخير إذ يقول : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » وما أكرم هاتين العينين اللتين عبرت إحداهما ببكائها عن حصن الخشية الحصين الذى يصون من التقحم فى معاصى الله ، كما عبرت أختها عن السهر الدائب حتى لا يروع المؤمنين ولا يزعجهم من عدوهم أذى .

أما بعد . . فإن ملكة المراقبة هى طوق النجاة فى حياة الأفراد والجماعات ، وهى السبيل الذى لا معدى عنه لإعادة المجتمع الإسلامى المنشود الذى ساد الدنيا حينا من الدهر بالرفق والسماحة والعدل فى الخصوم والأولياء على السواء ، وهو بهذه الملكة قادر على أن يحل الأخوة والتكافل الإنسانى والسلام الحق مكان التدابر والأثرة الهادمة وتنافس أدعياء السلام فى إعداد وسائل الإبادة والتدمير . فالى مراقبة الله و إلى خشيته و إلى محبة الرحمن الرحيم أيها المؤمنون ؟

معوض عوض ابراهيم
الواعظ العام



طريقة العرب فى دراسة العلوم الكونية

فضل العرب على العلوم راجع لدراستهم على طريقة الإسكندرية ، لا على طريقة أثينا وغيرها من مدن اليونان ، فأدركوا سريعا أن العلوم لا تتقدم أبدا بمجرد النظر والتخمين — كما فعلت أثينا — بل لابد من امتحان الطبيعة بالمسائل العملية وعمل التجارب . وكان من أخص مميزات طريقتهم التجارب والرصد ، فاعتبروا الهندسة والعلوم الحسابية وسائل وآلات للتفكير ورياضة العقل . وتراهم فى أكثر مؤلفاتهم العديدة ـ فى الميكانيكا وعلوم السوائل والبصريات ـ يحلون المسائل بعمل تجربة ، أو بواسطة رصد بآلة .

هذه الطريقة هى التى مكنتهم من ابتداع الكيمياء ، وابتكار آلات التقطير والتصعيد والصهر والترشيح ، وجعلتهم فى الفلك يرجعون إلى الآلات المدرجة والمقسمة كالربع المجيب والاصطرلاب ، واستعمال الميزان فى الكيمياء ، وعمل جداول الثقل النوعى . . . الخ

الدكتور محمد شرف

الاله والوجوديون

إن الشعور بالإله أمر مركوز فى الطباع، وفطرة فطر الناس عليها، يشعرون بها فى أعماق قلوبهم وإن عجزوا عن التعبير عنها والكشف عن حقيقتها ، فترى الناس وهم يسكنون الوديان والوهاد بعيدين عن الحضارة والعمران ، يحسون أن هناك أمرا خارجا عنهم له عليهم السلطان والهيمنة ، يشعرون بعظمته وقوته ولا يدركونه ، وتنطوى نفوسهم على تعظيمه والخضوع له وإن لم يعرفوا من هو هــذا المتسلط عليهم كما ينبغى أن يعرف ، فاختلفوا فى تصوره وإدراكه ، ففريق منهم أدرك أن فى النار مثلا ناحية من نواحى العظمة المخيفة فعبدها واتخذها إلهـا ، وفريق آخر أدرك أن فى الشمس عظمة فعبدها واتخذها إلهـا ، وآخر أدرك أن فى البقر أو فى الحجر أو فى الشجر نواحى تملأ نفسه عظمة وجلالا فعبدها واتخذها إلهـا ، وفريق هداه تفكيره السليم وفطرته الصافية التى لم تتبدل ولم تتغير إلى أن هــذا المتسلط عليهم الذى يهابونه ويخافون عذابه ويرجون رحمته لا بد أن يكون شيئا لا يشبههم ولا يشبهونه ويطعمهم ولا يطعمونه ، لا يحتاج إليهم وهم يحتاجونه ، يحيط بهم ولا يحيطون به ، له كل الكمال وليس يلحقه نقص ، وجاءت الرسل فقوت فى نفوسهم هذا الذى أدركوه بفطرتهم وتصوروه بعقولهم ، ، فمن ضل من النـاس فأنمـا ضل من حيث اعتقاده أن ذلك المهيمن عليه إنمـا هو النـار أو الشمس أو الحجر أو غيرها ، ولم يضل من حيث اعتقاده أن له إلها أو أن هناك شيئا متسلطا عليه ، فهاهنا قضيتان : قضية صادقة رابحة ترى الناس جميعا مفطورين عليها وهى عين الصواب، وهى أن هناك إلهـا أو قوة يخضع لهـا ويدرك عظمتها ، وقضية أخرى خاطئة خاسرة وهى أن ذلك الإله أو تلك القوة هى النـار أو الشجر أو الحجر أو أى شىء آخر متصف بصفات المخلوقين، ولا يلزم من كذب الثانية كذب الأولى، ألا تسمع إلى قوله تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم » أى اعتقد أن الإله هو الهوى فأضله الله، ولو اعتقد أن الإله هو الله لـكان على هدى ومعتقدا عقيدة صحيحة لا غبار عليها ولا خطأ فيها .

لعلك أيها الناظر أدركت أن الشعور بالإله أمر فطرى عند جميع الناس ، ولـكن ممـا

يؤسف له أشد الأسف و يدمى القلوب حقا أن تظهر فى الناس فئة تسمى الوجودية تنكر الإله وتنكر كل شىء فيه خير وسعادة .

إنى أريد أن أناقش تلك الفئة الخاطئة التى ركبت رأسها وتمارت فيما هو مركوز فى قرارات النفوس ويشعر به كل إنسان ، ولا أريد أن أستدل لهم بكتاب أو سنة ولا بقول الصحابة أو الأئمة ، فربما يقولون : لا نقر بهذا ولا نعترف به بل لعلهم قالوها فعلا واعتنقوها عقيدة .

وإنما أريد أن أحاكمهم إلى العقل وإلى العقل وحده ، فأنظر فى كلامهم أنفسهم وأعرضه على العقل ، فأن قبله العقل وارتضاه التزمته أنا نفسى وآمنت به ، وان أباه العقل ورفضه رفضا باتا وأظهر أنه خرافة من الخرافات وجب عليهم أن يقبلوا حكمه وإلا كانوا مجانين أولى بهم أن يعكفوا فى سراى المجانين .

استمع إلى المؤسس الأول لهذا المذهب (مذهب الوجودية) كيركجورد كيف يصور مذهبه ويشرحه للناس يقول : « لا يصح أن نقول الله موجود» ولماذا لا يصح أن نقول هذا القول أيها الهاذى ؟ «لأن الموجود هو الإنسان ، والذى يتغير هو الإنسان فله زمان ، أما الله فلا زمان له فهو غير موجود لأنه لازمان له ، بل هو كائن » انظر أيها القارئ إلى دليل هذا الرجل على أن الله ليس بموجود ، ودع عنك ركة أسلوبه وتهافت تعبيره واضطرابه ، ولكن تأمل فى المعنى الذى يرمى إليه فهو يستدل بزعمه على عدم وجود الله بأنه لا يتغير ولا زمان له وإنما الذى يتغير ويمر عليه الزمان هو الإنسان فهو الموجود . ولست أدرى أى تفكير هذا الذى يأخذ من ثبات الشىء وعدم تغيره أنه معدوم ، وإذن فماذا يقول هذا الرجل فى الجبال الراسيات ، والبحار المحيطات ، والأرض والسموات ، وهو قطعا قد رآها طول حياته غير متغيرة ، أفيقول إنها غير موجودة ، أوماذا عساه يقول ؟ قد يقول إنها يمر عليها الزمان ، ونقول ما دليلك على هذا وهى لم تتغير أبدا ؟

استدل العقلاء المفكرون بالتغير ومرور الزمان على الحدوث الأخص من الوجود إذ الوجود يعم القديم والحادث ، واستدلوا بعدم تغير الله سبحانه وعدم مرور الزمان عليه على أنه قديم إذ أنه موجود قبل الزمان فلا يقاس وجوده بالزمان إذن ، ومن كان

هذا شأنه كان موجودا قديما ، وهـذا كما ترى استدلال يتمشى مع العقل السليم والتفكير السديد ، ولـكن فساد عقل هذا الرجل جعله يستدل بما يثبت القدم على العدم . تفكير معكوس ومنطق مقلوب، ثم استمع إليه بعد حكمه على الله بأنه غير موجود ! ! (سبحانه وتعالى) يقول : « بل هو (أى الله) كائن » هل معنى هـذا عنده أن الـكائن شيء غير الموجود؟ فما هو ؟ وما حقيقته ؟ وهل الـكائن بأى معنى أراده يقال إنه غير موجود ؟ إن زعم ذلك فما دليله وما وجهته ؟

الذى نعرفه فى معنى كلمة (كائن) أنه موجود أو ثابت أو واقع أو حادث أو غير ذلك مما لا يخلو عن معنى الحدوث والوقوع ، وإذن فقـد أثبت لله سبحانه الوجود بعد أن نفاه عنه، ويدلك على أنه يخلط فى القول ويلقيه بلا وعى ولا فهم أن ذلك كان منه فى عبارة قصيرة قرب أولها من آخرها (الله غير موجود لأنه لا زمان له بل هو كائن) .

على أنه أطلق هذه الـكلمة « كائن » بنصها على أبيه فى عبارة له يذكرها عنه لما مات جميع أخوته وبقى أبوه وقد نيف عن الثمانين حيث يقول : « أبصرت فى أبى (كائنا) شقيا كتب عليه أن يعيش بعدنا جميعا » كأنه فرض نفسه ميتا حيث يقول بعدنا جميعا (وأحسبه فى هذا صادقا فأن مثله ميت الأحياء) . فالمعنى الذى أراده من هـذه الـكلمة بجانب أبيه ما هو ؟ إن أراد أن معناها بجانب أبيه الموجود وجب أن يراد هـذا المعنى بعينه بجانب الله ، وإن كان معناها غير الوجود كان قد أثبت على أبيـه أنه غير موجود مع أنه إنسان يتغير وله زمان ، وإن أراد أن لها بجانب الله معنى يغاير معناها بجانب أبيه طالبناه بالدليل ولا دليل عنده ، بل هو متخبط غلبت عليه شقوته .

ثم انظر إليه وهو ينعى حال أسرته ويتوجع لها يقول : لقد كتب على هذه الأسرة أن يسلط عليها عقاب الله فتبيد . أين هو الله بحسب زعمك يا أبله ؟ إنك تعتقد أنه غير موجود ، فـكيف يسلط العقـاب عليك وعلى أسرتك ؟ ألم أقل أنه يخلط ويلقى الـكلام بلا وعى ولا إدراك ، ولذلك يملأنى العجب والألم الممض أن أرى أناسا فى الدنيا يتبعون هذا الرجل وهو يهذى هذيان المجنون .

ثم انظر إليه وهو يتبرم ويضجر ويئن ويتألم مما أصابه ونزل به فيقول : لماذا كانت تسعة أشهر قضيتها فى بطن أمى كفيلة أن تجعل منى رجـلا عجوزا ؟ لماذا لم أولد

فى النعيم ؟ ولماذا ولدت فى الألم وللألم ؟ ولماذا انفتحت عيناى لا لترى الهناء بل لتغوص فى دنيا الزفرات وحدها دون أن أملك الخلاص منها ؟ . ألا يكون نزول هذه المصائب به واجتماعها عليه وهو لا يحبها ولا يميل إليها ولا يرغب فيها ثم لا يجد منها فكاكا ولا يملك لها خلاصا . ألا يكون نزولها به دليلا واضحا ـ لو فكر أدنى تفكير وتأمل قليلا ـ على أن هناك وراء محيطه ومحيط العالم كله قوة قاهرة لها عليه وعلى غيره السلطان والغلبة، تصب عليه ماتشاء من غضب ونقم، وتنزل بغيره الرحمة وتوليه النعم، وماذا عساها تكون تلك القوة القاهرة إلا الله ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

هل يعرف الشيء ويستدل عليه إلا بآثاره الناشئة عنه ، وهل هذه الآثار جميعا لا تدل فى نظر هذا الرجل على أن هناك موجدا لها وهى تنادى باحتياجها الدائم وفقرها المتأصل إلى من يدفع عنها حاجتها ويصون لها وجودها . إن لم يكفه هذا فى الدلالة على وجود الله سبحانه ، فهو إذن ليس من فصيلة الإنسان .

لست أعجب أن يهذر هذا الرجل فى كلامه ويهذى ، فقد يكون به جنة أو مسه طائف من الشيطان ، ولكن عجبى الشديد أن أرى أناسا يزعمون أنهم عقلاء مفكرون، وأنهم حكماء مثقفون تثقيفا عاليا، يقلدون هذا الرجل فى ترهاته وأباطيله ، ثم لم يكفهم أن يجعلوا ذلك لأنفسهم فحسب بل أخذوا يلقنونه فى الجامعات وغير الجامعات للشبان الأطهار البرءاء بمعسول كلامهم المموه بالطلاء الكاذب طلاء الحرية الزائفة، حتى اغتر بهم بعض الشباب فطلق عقله وركب رأسه ورفع عقيرته يقول : « سأعلم ابنى كيف يكون بلطجيا ، وبنتى كيف تكون عاهرة » . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، أين الشهامة ؟ وأين الرجولة والكرامة ؟ وأين العزة التى كانت لآبائك العرب الأمجاد ، لعله من ذرية فرعون .

أسأل الله له ولغيره ممن أضلهم الله على علم أن يهديهم سواء السبيل ، ويبصرهم عاقبة ما هم فيه ، إنه ولى التوفيق، وهو الرءوف الرحيم؟

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

« للبحث بقية »

من تاريخ الاسلام :

الفتوح الاسلامية الكبرى

« مناقشة الدكتور محمد هيكل فى رأيه حول بدء الفتوح »

كان أول عمل قام به أبو بكر الصديق رضى الله عنه هو تسيير جيش أسامة على الرغم من معارضة كثير من الصحابة فى ذلك، لأنه رأى فى تسييره مناورة حربية وسياسية ، تشعر أعداءه وأعداء المسلمين فى الداخل والخارج بقوة الحكومة ، وثبات مركزها ، ثم أمن الإسلام فى موطنه بالقضاء على فتنة الردة ، وبعد أن أمنه التفت إلى دفع الخطر الخارجى عنه بالقضاء على أعدائه ، وهو فى هذا لم يكن إلا منفذا للسياسة التى وضع أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى إرساله الكتب والبعوث إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان برسالته ، ووضحت فى غزوه للروم ، والغساسنة الخاضعين للروم على حدود الشام، لما سخروا من دعوته ، واعتدوا على رسله ، وقتلوا أصحابه - غزوة تبوك وسرية مؤته - وإذن فالصديق إنما كان ينفذ خطة موضوعة ، ولم يكن القصد منها ، ولا الباعث لها إلا دفع الأذى وحماية الطريق ، والتمهيد لنشر الدين بالحسنى إن تيسر ذلك ، فأن اعترض هذه الدوافع صعاب عمل على تذليلها وإزالتها بالقوة، وهى خطه لا هجوم فيها ولا تهجم، ولكن هل كان من الخطة الموضوعة فتح الشام أو فارس؟ يرى الدكتور فى كتابه (الصديق أبو بكر ص ٢٢٤ و ٢٢٥) أن جل غرض الرسول اتجه إلى تأمين التخوم العربية فى الشمال من جنود قيصر ، وأنه لم يدر بخواطر المسلمين أن يغيروا على الشام أو أن يتخذوا من دعوة هرقل للاسلام سببا للأيغال فيه ، ثم يتساءل فيقول : ترى أيقيم أبو بكر على هذه السياسة ولا يتعداها وله فى رسول الله أسوة حسنة .؟ أم يغامر بحرب قيصر ، والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء، ويرى أن هذا الخاطر كان يدور بنفس أبى بكر حينما كان النصر يحالف أعلامه فى حروب الردة ، وأن أبا بكر كان أحصف من أن يستنيم لهذا النصر ، فينسى به ماتنطوى عليه صدور العرب من حفيظة قد تضطرم فتضرم نار الثورة كرة أخرى ، فأن من الخير أن تتجه أنظار العرب إلى ما وراء الحدود

من شبه الجزيرة فتنسى بذلك حفائظها وأحقادها ، وبادية الشام تنتشر فيها قبائل العرب، بجدير بها أن تسمع الدعوة إلى الدين الجديد كما سمعها العرب فى شبه الجزيرة .

ثم يقول فى ص ٢٢٦ : لكن غزو الروم مخاطرة إن لم يحالف النصر فيها أعلام المسلمين تعرضت شبه الجزيرة لشر من الثورة التى أخمدتها حروب الردة ، تعرضت للروم وحكمهم ، تعرضت بذلك لكارثة تجتث حكم المدينة ، وقد تفتن المسلمين عن دينهم ، ومنازلة الروم ليست هينة .

ويقول عن فارس فى ص ٢٢٧ : ولم يدر التفكير فى محاربة الفرس بخاطر أبى بكر، فالحجاز لا يتصل بفارس والبلاد العربية التى تتاخم الفرس هى التى فشت فيها الردة ، ويتعذر لذلك أن يعتمد أبو بكر عليها أو يأمن لها فى غزو دولة لا يزال لها مع ظفر الروم بها جيوش جرارة وموارد كثيرة .

أفلا يجمل بالخليفة أن يوجه همه إلى توطيد الأمن فى مختلف الأرجاء من شبه الجزيرة لتنضم كلها فى وحدة تزيدها قوة ، وتزيد سياستها اتساقا ؟ ؟

وإن أبا بكر ليفكر فى هذا وفى مثله إذ ترامت إليه الأنباء بأن المثنى بن حارثة الشيبانى قد سار بقواته شمالا فى البحرين حتى وضع يده على هجر والقطيف ، وحتى بلغ مصب دجلة والفرات وأنه قضى فى مسيرته هذه على الفرس وعمالهم ممن عاونوا المرتدين بالبحرين، وسأل أبو بكر عن هذا المثنى ؟ ومن هو ؟ وإلى أى قبيلة ينتسب ؟ فعلم أنه رجل يمكن الاعتماد عليه .

وحينئذ فكر فى فتح العراق :

والخلاصة أن الدكتور هيكل يرى :

١ — أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفكر فى شىء سوى تأمين الحدود من جنود قيصر.

٢ — وأن أبا بكر تردد فى : أنه هل يسير على سياسة الرسول، أم يتعداها فيغامر بحرب قيصر ؟ لأنه لا بد له من أن يدفع العرب الى وراء الحدود حتى لا يثوروا مرة أخرى .

٣ — وأن أبا بكر — فضلا عن الرسول — لم يفكر فى فتح فارس، وله فى هذا مبررات .

٤ — وأن الأفضل له أن يوطد الأمن فى شبه الجزيرة .

٥ — وأنه بينما يفكر فى هذا ومثله إذ وصلت إليه أخبار المثنى بن حارثة وانتصاراته على الفرس فى هذا الوقت ، وفى هذا الوقت فقط فكر فى فتح فارس ، وأن هذا المثنى قد يكون خير طليعة لتنفيذ هذه الفكرة . هذا مايراه الدكتور هيكل فى بدء الفتوح الإسلامية

رأينا : ونحن نرى أن فتح الشام والعراق كان سياسة قد وضع أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم وأن أبا بكر قد نفذ هذه السياسة ، ولو أن حياة الرسول امتدت زمنا لأرسل إليها الجيوش ، وأدلتنا على ذلك هى :

١ — أن دعوة الرسول كانت لسائر العالم بنص القرآن والسنة ، قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا [١] » وقال : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله [٢] » وقال : وقاتلوا المشركين كافة [٣] » ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : بعثت الى الأحمر والأسود : ويقول : أيها الناس . إنى رسول الله إلى الناس كافة . إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى تدل دلالة قطعية على أن رسالة الرسول للناس كافة . وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة . كما أجمع المؤرخون على أن الرسول أرسل الكتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم الى الإسلام ، على أساس أن رسالته للناس كافة لا للعرب خاصة .

٢ — نرى أن الواقع يؤيد ما قلناه عن سياسة الرسول نفسه ، إذ أنه ـ بعد تأمين طريق الدعوة بعقد صلح الحديبية ، ودخول بعض القبائل العربية فى محالفته ـ أرسل الكتب إلى أكثر ملوك الأرض يعلمهم بدعوته ، ويطلب منهم اتباعه ، وهذا ما يعرف : بالهجوم السلمى .

٣ — إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح فارس والروم فى كثير من الأحاديث ، من ذلك ما رواه مسلم عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا فتحت عليكم خزائن الفرس والروم ، أى قوم أنتم ؟ ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : كما

---

(١) سورة سبأ آية ٢٧ (٢) التوبة آية ٣٢ والفتح آية ٢٧ والصف آية ٨
(٣) سورة التوبة آية ٣٥

أمرنا الله تعالى : فقال صلى الله عليه وسلم ، بل تتنافسون وتتحاسدون ، ثم تتدابرون وتتباغضون . وما رواه البخارى عن عدى بن حاتم الطائى قال :

بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه رجل آخر فشكا إليه قطع الطريق ، فقال يا عدى : هل رأيت الحيرة ؟ قلت لم أرها ، وقد أنبئت عنها ، قال لئن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ما تخاف أحدا إلا الله تعالى (قلت فيما بينى و بين نفسى : فأين دعار طيئ الذين سعروا البلاد ؟)، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت : كنوز كسرى بن هرمز ؟ . قال : كنوز كسرى بن هرمز ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز !

وما رواه البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فوالذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله تعالى .

وما رواه البخارى أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فأن لهم رحما وذمة .

وقد وعد الله رسوله والمؤمنين بنصره فقال : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » [١] ، وأكد هذا الأمر عند المسلمين ، وعد الرسول لسراقة بن مالك يوم هاجر من مكة بسوارى كسرى ، ووعده لرجل آخر اسمه شويل - كان قد أسلم - وسمعه يبشر بفتح الحيرة ، فطلب منه أن يعطى له كرامة بنت عبد المسيح سيد الحيرة إذا تم للمسلمين فتحها ، وقد تحقق هذا بعد الفتح .

٤ - لو فرضنا أن محمدا كان مصلحا اجتماعيا أو سياسيا ، وليس برسول وله نظريات يريد أن يعتنقها الناس ، أليس من البدهى أن يعمل على نشر مبادئه بكل ما أوتى من قوة ؟ وهو قد جاهد حتى دانت له شبه الجزيرة ، وأصبح قوة يحسب لها حساب . فمن السهل عليه أن يعمم هذه المبادئ التى يدين بها ، و يؤمن أنها خير لصالح المجموعة البشرية . ولنا فى التاريخ القديم والحديث ما يؤيد ذلك ، ففى القديم كان اليونان يعملون على نشر حضارتهم وثقافتهم خارج بلادهم ، والرومان كذلك ، وفى الحديث الأمثلة كثيرة .

(البقية فى الصفحة التالية)

---

(١) النور آية ٥٤ .

الأزهر والثورة

نشرنا بعض أبيات من هذه القصيدة العامرة فى العدد المـاضى ، وننشرها الآن كاملة

يا ثورة أيقظت فى مصر وسنانا	وتوجت هامها علما وعرفانا
أرست دعائمها فى كل ناحية	وبدلت مصر جنات وعمرانا
كل الطوائف تشدو اليوم تالية	آيات حمـد وتزجى المدح شكرانا
والأزهريون مذ كانوا ومذ وجدوا	لا يبخلون ببذل النفس قربانا
فلا ترى ثورة تبدو طـلائعها	إلا وجـدتهمو شيبا وشبانا
وهذه الثورة الـكبرى مذ اندلعت	كانوا فداء لمـذكيها وأعوانا
قام الشيوخ إلى التدريب فى لهف	كانت كتيبتهم للفخر عنـوانا

---

٥ — ان المسلمين بعد أن صاروا دولة موحدة ، قوية الشوكة ، مرهوبة الجانب . كان لابد لهم من البحث عن أمكنة خصبة ، يخرجون إليها ليعيشوا فيها بعد أن استمروا زمنا طويلا فى جزيرتهم المقفرة ، وليست هذه الأماكن إلا على حساب فارس أو الروم . وقد كان حقق الصديق رضى الله عنه ما كان يعمل له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونفذ سياسته بحكمة وحزم وقوة . وانتصر المسلمون انتصارا سريعا على أقوى دول الأرض ، وسارت موجه الفتح الإسلامى بقوة هائلة لم يعهدها التاريخ المعاصر ، فلم ينته عصر الخليفة الثانى (عمر بن الخطاب) حتى كانت مملـكة الفرس قد انهارت ، وودع هرقل سوريا وداعا لا لقاء بعده ، وصارت مصر ولاية إسلامية ٦١

محمود محمد زيادة
المدرس بكلية اللغة العربية

الأزهر والثورة

نشرنا بعض أبيات من هذه القصيدة العامرة فى العدد الماضى ؛ وننشرها الآن كاملة

يا ثورة أيقظت فى مصر وسنانا	وتوجت هامها علما وعرفانا
أرست دعائمها فى كل ناحية	وبدلت مصر جنات وعمرانا
كل الطوائف تشدو اليوم تالية	آيات حمد وتزجى المدح شكرانا
والأزهريون مذ كانوا ومذ وجدوا	لا يبخلون ببذل النفس قربانا
فلا ترى ثورة تبدو طلائعها	إلا وجدتهمو شيبا وشبانا
وهذه الثورة الكبرى مذ اندلعت	كانوا فداء لمذكيها وأعوانا
قام الشيوخ إلى التدريب فى لهف	كانت كتيبتهم للفخر عنوانا

٥ — ان المسلمين بعد أن صاروا دولة موحدة، قوية الشوكة، مرهوبة الجانب. كان لابد لهم من البحث عن أمكنة خصبة ، يخرجون إليها ليعيشوا فيها بعد أن استمروا زمنا طويلا فى جزيرتهم المقفرة، وليست هذه الأماكن إلا على حساب فارس أو الروم. وقد كان لحقق الصديق رضى الله عنه ما كان يعمل له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونفذ سياسته بحكمة وحزم وقوة . وانتصر المسلمون انتصارا سريعا على أقوى دول الأرض ، وسارت موجه الفتح الإسلامى بقوة هائلة لم يعهدها التاريخ المعاصر ، فلم ينته عصر الخليفة الثانى (عمر بن الخطاب) حتى كانت مملكة الفرس قد انهارت، وودع هرقل سوريا وداعا لا لقاء بعده ، وصارت مصر ولاية إسلامية ٥١

محمود محمد زيادة
المدرس بكلية اللغة العربية

وما توانى شباب عن مفاخرها ... وكلهم حرس قد خاض ميدانا
للأزهريين صـولات مدونة ... كم حررت من قيود الذل أوطانا
وهم ضراغم غاب فى مفاوزها ... لا يستباح حماهم أينما كانا
إن يمسكوا بسلاح فى قوابضهم ... فأن فى قلبهم نورا وإيمانا
أو يجمعوا بين إيمان وأسلحة ... فر العـدو زرافات ووحدانا
الأزهرى قوى فى شكيمته ... إن كر صال ولم يرتد خذلانا
إن العـدو على الأبواب فى لهف ... يبغى النزال وكم فى عهده خانا
فلقنوه دروسا فى مواجهـة ... حتى يفر من الميدان حيرانا
المستميت إذا ما خاض معركة ... فلن يموت وإن أصلوه نيرانا

* * *

حكومة أيقظت فى مصر فتيتها ... ولقنتهم فنون الحرب ألوانا
وما ثناها عن التسليح شرذمة ... لم ترع للعدل بين الناس ميزانا
هـذا تسلحه سرا وفى علن ... وذاك تحرمه ظلما وعـدوانا
أعطوا وعودا وكانت غير صادقة ... وأسفر الصبح والمستور قد بانا
فكشر الليث عن أنيابه غضبا ... وما استكان لتهـديد وما لانا
وجاءنا بسلاح من مصادره ... رغم الذى قيل تضليلا وبهتانا
وعاودت مصر فى فخر كرامتها ... وسجلت موقفا بالعز مزدانا
وأصبحت مضرب الأمثال فى أمم ... حيث ليوثا بوادى النيل شجعانا
إن تنصروا الله ينصركم مناجزة ... وتهزموا الجمع مهما عز أوهانا

السباعى الشناوى
المراقب بكلية الشريعة

تعليقات

– ١ –

موقف الثورة من الأزهر

ثورة رشيدة ملهمة

ولم تكن غير ذلك ، منذ جالت بها الفكرة فى خواطر الثائرين ، ومنذ هتفت بها ضمائرهم ، ونشطت إليها عزائمهم . . ثم بدت هذه الثورة فى ألوان صادقة من الجهود المتلاحقة ، ولم يعد الإيمان بها والاطمئنان إليها بحاجة إلى الانتظار عند من يترددون فى الإيمان بالأمور الجدية : فضلا عن أن تكون أمورا واقعية ، لها من ذاتياتها ما يشهد بقوتها وصلابتها ، ويبشر باطراد نجاحها : ضرورة أنها صادرة عن أصدق الإيمان بالله وبالوطن ، وقائمة على الاخلاص فى التضحية ، ومتجهة إلى الغايات السامية للنهوض بالأمة إلى حيث تحب لنفسها سؤددا ، وسعادة ، وأمنا ، وعدالة ، ومعايشة كريمة مع الغير . . والى ما هو فوق ذلك : ان كان لهذا فوق يرتجى .

ولكن الذين مردوا على التشكك حيث يجب الإيمان ، ويحقدون عند ما يتحتم الحب والصفاء ، وينازعون وقتما ينبغى الوئام – لم يفهموا روح الثورة ، ولم يتبينوا مسالكها ، ولم يقدروا واجهتها ، فحسبوها تتريث فى نهوضها لتصغى إلى دعوة المفرقين ، أو تغفل عما يبيت لها فتقف إلى جانب المخذلين ، وتشغل نفسها معهم بالهذيان العابث ، فتهدم وتطمس ما يروق لأعداء الوطن هدمه وطمسه ، وقد عجزوا عنه فى غابر الأيام . . . وحسبوها مخدوعة فى زعمهم لها أنهم أوفياء لمصر ، ودعاة إصلاح فيها ، وأنصار لأبطال ثورتها فى خدمة مصر حبا فى مصر .

وقد أسرف على أنفسهم هؤلاء الخادعون حينما طرحوا شباكهم ليصيدوا الأزهر فيما يصيدونه ؛ وأسرفوا على أنفسهم حينما توهموا أن أيدى رجال الثورة هى التى تقتنص لهم الفريسة لتمكن لهم بعد أن يتقاضوا جزاءهم من خصوم رابضين هنا وهنالك لمصر ، ولكل شىء تعتز به مصر : مما يقوم عليه كيانها ، أو ينبثق منه مجدها ، أو يمتد به صيتها فى الآفاق . أسرف هؤلاء على أنفسهم بزعمهم أن الثورة غير واعية لمجد الأزهر ، أو غير عارفة بشأنه فى الحياة الروحية التى تعيش فى أريجها مصر ، والتى ينبعث نفحها من القاهرة إلى أرجاء العالم كله فيثير لمصر ذكريات ، ويجدد لمصر حبا ، وثقة ، ومناصرة فى كل واد .

وما كانت الثورة إلا مؤمنة بكل ذلك ، وحفيظة على صيانة القرآن من محاولات الماكرين ، وعلى بث الروح الإسلامى فى ربوع الوادى جهد الإمكان ، والثورة التى تضاعف نشاطها ، وتفجأ العالم بأحدث جهودها لتخلق مصر خلقا جديدا ، لا يمكن أن تدخل فى حسابها الإبقاء على النزعات المنحرفة ، ولا أن تفسح للمتحللين طريق الاندفاع وراء التقاليد الطائشة ، ولا يطيب لها أن تخلى عن القومية المصرية لأراجيف الهدامين ، وإن فرحوا لتسرب عدوى الإباحية إلى بعض الجماعات ، أو لتبجح من لا يعرفون الاحتشام ولا الغيرة ؛ ولم يتعودوا الانحياز إلى الوطنية الجادة المنزهة عن الميوعة ، والتذبذب بين تيارات غريبة علينا ، وجارفة لأمجادنا .

مصر ــ بطبيعتها ، وبتدينها ، وبأزهرها ، وبأصالة الخلق الدينى فيها ــ ليست مستعدة للانسلاخ عن مقوماتها ، التى أبرزت شخصيتها منذ القدم بين جاراتها وغير جاراتها من الدول . فكيف وقد تولى قيادتها وأمورها أناس من أبنائها لحما ودما ، ومن أسرها المحافظة الكريمة ، ومن نبغائها الذين ادخرهم القدر لهذه الساعات المرموقة وللحياة المرجوة التى تعثرت مصر فى الطريق إليها عثرات مدميات ، ثم لم تيأس حتى آلت القوس إلى باريها .

رجال الثورة لا ينقصهم مدح ولا ثناء ، وإنما هى شهادات من واقع نهضتهم ، نبرئ بها أنفسنا من لوثة الجحود التى تستفز الحانقين إلى استدراج الثورة نحو آمال كاذبة ، ولم يكن خافيا أن المسرفين على أنفسهم فى مهاجمة الأزهر والدعوة إلى التخلص من ثقافته الإسلامية إنما يطوحون بسمعة رجال الثورة ، ويعرضونهم للأرجاف فى كل بقعة

من البلاد الإسلامية . . أما أن يتم لهم ما تمنوا فذلك شيء ميئوس منه فى برامج أعمال الثورة .

لذلك هبت الثورة فى وجههم منكرة لهذه الصيحات التى استباحوها، وكان الظن بها أولا أنها صرخة فى واد . .

هبت فى وجههم ، وكشفت عن البواعث التى حفزتهم على المجاهرة بخبثهم ، وعن رغبتهم فى بعثرة المجتمع المصرى تحت أقدام الاستعمار ، إذ أن رباط المجتمع المصرى فى أوثق أنواعه إنما يكون بدينه ، ورباطه بالشرق كذلك إنما يكون بدينه ، ومركز الدين ومنبع ثقافته هو الأزهر ، الذى يعتبر شريان الحياة الروحية المتصل بمكة والمدينة والممتد إلى أطراف الآفاق .

كما أعلنت الثورة أن الحياة المادية قصيرة المدى وإن عمرت أزمانا ، وأن الدول الاستعمارية التى تعتد بحياتها المادية وشيكة الانهيار يوما ما ، وبهذا تجاوبت الثورة مع الواقع الحق ، ومع شعور المسلمين فى بقاع الأرض ، وعرف الناس أن الغامزين فى الأزهر يدفعهم إلى ذلك حرصهم على الدولار ، والفرنك ، وعلى البنكنوت الجديد الجذاب . . أما مصر ، ودينها ، وشعبها ، ومجدها ، وسلامتها من الدخلاء ، وحراستها من سموم الاستعمار ، فليست فى شيء من حسابهم .

ولكن الله حرس مصر ، وسيحرسها بأزهرها وبأبطالها ، ويحميها على يدهم من الماكرين بها ، وسيحوطها بعاصم من جهود رجالها ، حتى يشمخ بناؤها أكثر مما هو شامخ ، فلا يطمع فى هدمها دخيل ولا غوى مأجور »

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش

— ٢ —

كلية علمية خاصة للبنات

كتبنا مرة : شاكرين لرجال الثورة عزمهم على إنشاء كلية خاصة بالبنات ، وأنكرنا فى شيء من الأسف والعجب على الدكتور طه حسين أن يمتعض لهذه الفكرة ويتنكر لها

فى شىء من السخرية : لا لشىء غير أنها خاصة بالفتيات . . .

واليوم نجدد غبطتنا لهذه الفكرة التى أخذت طريقها الى الظهور عما قريب ، والتى حدثتنا عن مشروعها من جديد، المربية الفاضلة السيدة أسماء فهمى بوزارة التربية والتعليم.

إذ قررت « بعد عودتها من أمريكا والاطلاع على ما هناك » أننا لن نكون رجعيين ولا متخلفين إذا أنشأنا كلية خاصة بالبنات ، وضربت لنا الأمثال بما شهدته فى أمريكا وعلمته عن وجود ١٥٤ كلية خاصة بالبنات الخ .

وهـــذه لفتة أكيدة الى صواب ما تعتزمه الحكومة وأخذت فى تنفيذه للنهوض بالمستوى الثقافى النسوى إلى خير مما تورطنا فيه بفضل الدكتور طه حسين منذ كان عميدا لكلية الآداب ! ! .

ويا ترى ! ! ما قيمة هذه اللفتة عند دعاة الاختلاط الذين لا يروقهم أن نأخذ بهذا النظام ، ونعود فى كرامة ورفق الى شىء من الحفاظ على فتياتنا الخفرات ؟ ؟

لو كانت هذه الفكرة بدعا فى نظم التعليم لجاز للأباحيين أن يسخروا منها ، ويسموها رجعية أو أحط منها . . ولكن ما بالهم والأمريكيون هم الآخذون بها والحريصون عليها، وهم الذين يرون الاختلاط ـ كما حدثتنا مربيتنا الفاضلة ـ يشغل الفتيات عن الجد والنشاط العلمى الى العناية بالملابس والزينة ، وما إلى ذلك مما لا يفكرن فيه فى حالة عدم وجود الشبان ؟ ؟

وكأن الأمر عند الأمريكيين ليس أمر اشتغال الفتيات عن الجد والنشاط بالملابس والزينة الخ ، وإنما هو أمر آخر يدفع بهن الى العناية بالملابس والزينة بين الشبان . .

وإنما اكتفوا عن التصريح به بتلك الكلمات المهذبة التى تحجب ما وراءها عن الأفهام . . والذى نشهده أن تهافتنا على التقليد فى الاختلاط لم يفدنا بقدر ما أضرنا . ومهما يقل القائلون إننا جامدون ننزع إلى الرجعية، ونتحكم فى الفتيات لنحول بينهن وبين الحياة الجديدة، فأنا على رأينا فى أن هذه ميوعه، وتحلل، وثورة على الحياء الذى تتجمل به الفتاة الشرقية . . وكان يمكن جدا ، ولا يزال ممكنا جدا، أن نعطيها نصيبها سخيا من الثقافة مع البقاء على أنوثتها أن تمسخ أو أن نخلطها برجولة تقليدية ، وبين الأنوثة والرجولة المصنوعة تضييع ميزات وميزات . وإن يكن خلط الأنوثة بالرجولة فى نظر دعاته مظهرا للمدنية التى يعشقونها، فقد كذبت نظريتهم فى نظام الأسر التى تسرب إليها الاختلاط : إذ تهدمت تلك الأسر ، أو تصدع بناؤها ، وهو دائما وشيك الانهيار . وبين جدران البيوت مآس

مبكية ، وليس لها فيما سمعنا وعرفنا سبب غير فقدان الحياء ، والتأثر بروح التجديد التى استفزت هواية الغواة . وإلى جانب هذه الأسر التى نكبها التجديد وجرفها الاختلاط لم يحصل أو لم نسمع أن أسرة تراخت روابطها ، وفترت المحبة بين طرفيها ، بسبب التعفف والاحتشام والترفع عن المظان .

وهذا هو نظام الإسلام الذى أحكمه واختاره ليصون على الأسر كرامتها ، ويحفظ على البيوت أمنها وهناءتها ، وهو النظام الذى جهلته أمم غير إسلامية ، أو عرفته ولكنها تجافت عنه وعابته ، وشطحت وراء الميول والرغبات ، ثم لما تقدمت بها المدنية ، واتسع لها الأفق ، وكثرت لديها التجارب ، بدأت تحاوله وتجنح إلى الأخذ به ، لا على أنه إسلام ، ولكن على أنه الإصلاح الذى تقتضيه المدنية الصحيحة .

فهل لدعاة الاختلاط بيننا أن يذكروا للإسلام أدبه ، ويكفوا عما يلحون فيه ، ويستحيوا من هذا اللجاج فى الباطل ، وأن يستغفروا الله ، ويعتذروا إلى الوطن عما أفرطوا فيه ، وأسرفوا فى التهافت عليه ، حتى ابتعدنا عن تقليد كريم ، ودين قويم ، وأخذنا نلتقط من تقاليد الغير ما يحاولون نبذه والانسلاخ منه " ؟ .

سيقولون : إن هذا وعظ نسمعه ، ومن عادة الوعاظ أن يبالغوا . . .

لا : والله ! ! ما قصدنا وعظا خطابيا ، وإنما هو علاج لمرض تفشى ، ودرء لخطر يحدق ، وحفاظ على هناءة تلاشت ، ورحمة بأبناء تصرمت حبال الود بين أبويهم بسبب الفرنجة والتجديد والانزلاق .

وذلك كله فساد فى المجتمع ، وشؤم على مرتكبيه بالذات ، وعلى غيرهم بالتبع ، وقد عم بلاؤه أو كاد . ونحن نبلغ ما أمرنا بتبليغه ، ونتناهى عن المنكر لئلا نكون كبنى إسرائيل « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وإذا ترك الحبل على الغارب ، وظل دكاترة الاختلاط يموجون فى هذه التخرصات ، ثم يموج بعضهم فى بعض فسنصبح فى مهب الريح ، وتكون نهضة مصر الحديثة فى شىء من الوهن الخلق . والله يقول : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ويومئذ لا يغنيها عن ضررها واحد أو مئات من دكاترة الاختلاط ١١

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء ـ ومدير التفتيش بالأزهر

— ٣ —

ماهو الهدف ؟

دأب بعض الصحف فى هذه الأيام على غمز رجال الدين بالقول والإشارة والتصوير فى بعض المناسبات، وتعوزها المناسبات أحيانا فتتصيدها تصيدا لتتحدث عنهم بالأسلوب النازل الممقوت أسلوب التهكم والتشهير، كما تحرص على أن تذكر حوادثهم فى صور بارزة تلفت الأنظار والأسماع .

وإنا لا ندعى العصمة لرجال الدين فننزههم عن الخطأ كما يدعى غيرنا، وما رجال الدين إلا بشر يصيبون ويخطئون كما يصيب غيرهم ويخطئ، إلا أن الذى نستطيع أن ندعيه أن أكثرهم ممن منحهم الله نعمة التوفيق، فاستقاموا على الطريق — وقد يزل أحدهم — ولكن لا ينبغى أن تتخذ زلة فرد أو أفراد وسيلة إلى التشهير بهم جملة وتصويرهم بصور الخاطئين الضالين .

ونخشى أن يكون وراء هذا التشهير هدف خطير هو التشكيك فى أخلاق رجال الدين وفقدان الثقة بهم، وازالة ما لهم فى قلوب الناس من إجلال واحترام وتوقير لينصرف الناس عنهم، وبالتالى ينصرفون عن الدين، وإن صح ظننا كان الهدف أخطر سلاح يوجه إلى جمهور أبنائنا الناشئة، فالدين وحده صمام الأمان والاستقرار فى الأمم، وما تجردت أمة عن دينها إلا زعزع أمنها واختل نظامها، وكانت هدفا للمبادئ الخطرة والدعوات الضالة الهدامة .

ولا نظن أن هؤلاء يهدفون إلى هذه الغاية بوحى من نفوسهم، بل لابد أن هناك دوافع ومغريات تغرى هؤلاء بما يفعلون، فقد تعودنا من أمثالهم أن يكونوا مطايا تساق بسياط المطامع والشهوات، حتى يبلغ بها ذوو الأغراض أغراضهم، ثم يسرحونها ليستخدمها غيرهم، وهكذا دواليك، وإنهم لهذا جرثومة فساد فى الأمة، على من يعنيهم أمرها أن يطهروها منهم، ويحفظوها من وبائهم، قبل أن يتمكن الداء ويعز الدواء ؟

أبو الوفا المراغى

رسالة الأزهر الشريف اليوم

عقد فى دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة مؤتمر لبحث رسالة الأزهر ، افتتحه رائد الجمعية الدينى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى ، وتكلم فيه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، وفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى ، وأصحاب الفضيلة الشيخ كامل محمد حسن ، والشيخ عبد الرحيم فودة ، والشيخ عبد المنعم النمر ، والشاعر محمد بدر الدين .

وأصدر المؤتمر القرارات الآتية :

١ — ان الدهام التى توجه إلى الأزهر محاولة النيل منه أو الغض من شأنه ، ليست موجهة إلى أبناء الأزهر بقدر ما هى موجهة إلى رسالة الأزهر الكبرى التى تدور حول الإسلام ولغة القرآن .

٢ — الأزهر الشريف هو المفخرة الكبرى لمصر العربية الإسلامية ، وكل تعويق للأزهر عن السير فى طريقه يعد تعويقا لمصر عن حراستها لسمعتها الكريمة ، بين أبناء البلاد العربية والإسلامية .

٣ — من واجب الدولة أن تبسط للأزهر ورجاله الأسباب الموصلة لتحقيق رسالته ، وليتم التعاون بين ولاة الأمر فى الدولة وفى الأزهر لبناء الوطن المؤمن السليم فى عقائده ، وأخلاقه ، وتفكيره .

٤ — قد يكون من وسائل التمكين للعلماء من أداء رسالتهم ، أن تصدر الدولة تشريعا يقضي بتجنيد بعض الأزهريين المختارين من معسكرات الأزهر التدريبية ، لتكون مهمتهم مقاومة المنكرات الشائعة ، فى المجتمع بصورة عملية ويكون لهم الامتيازات المكفولة لبوليس الآداب ، ويسمون « الحرس الدينى الاجتماعى » كما يكون لهم شعار خاص يعرفون به بين الجمهور .

٥ — من واجب الأزهر أن يسارع إلى الأخذ بأسباب الإصلاح الجدى الصحيح ، حتى يستقيم الركب الأزهرى على الطريق الموصل إلى تحقيق رسالته الإسلامية ، والعربية ، والقومية .

٦ — يأمل الأزهر من الدولة أن تفسح أمام الأزهريين مجال العمل فى المدارس ، وفى القضاء ، وفى الإذاعة ، وفى كل مجتمع يحتاج إلى دعاة ومرشدين .

الفتاوى

الصلح مع إسرائيل

والتعاون والتحالف مع دول الاستعمار

اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر فى يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ الموافق (أول يناير سنة ١٩٥٦) برياسة السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتى الديار المصرية سابقا وعضوية السادة أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقا (الشافعى المذهب) والشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء (الحنفى المذهب) والشيخ محمد الطنيخى عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والإرشاد (المالكى المذهب) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبلى المذهب) وبحضور الشيخ زكريا البرى أمين الفتوى .

ونظرت فى الاستفتاء الآتى وأصدرت فتواها التالية

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد — فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الاسلامية فى ابرام الصلح مع اسرائيل التى اغتصبت فلسطين من أهلها ، وأخرجتهم من ديارهم ، وشردتهم نساء وأطفالا وشيبا وشبانا فى آفاق الأرض ، واستلبت أموالهم ، واقترفت أفظع الآثام فى أماكن العبادة والآثار والمشاهد الاسلامية المقدسة ، وعن حكم التواد والتعاون مع دول الاستعمار التى ناصرتها وتناصرها فى هذا العدوان الأثيم ، وأمدتها بالعون السياسى والمادى لإقامتها دولة يهودية فى هذا القطر الإسلامى بين دول الإسلام ، وعن حكم الأحلاف التى تدعو إليها دول الاستعمار ، والتى من مراميها تمكين إسرائيل من البقاء فى أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها إلى أهلها ، وحيال المشروعات التى تحاول إسرائيل ومن ورائها

الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها ، وفى ذلك تركيز لكيانها ، وتقوية لسلطانها ، مما يضيق الخناق على جيرانها ، ويزيد فى تهديدها لهم ، ويهيئ للقضاء عليهم .

* * *

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل - كما يريده الداعون إليه - لا يجوز شرعا ، لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار فى غصبه ؛ والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه ، وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه . وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله ، وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه . ففى الحديث الشريف : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد) وفى حديث آخر : (على اليد ما أخذت حتى ترد) . فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين ، واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم : على أى وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة فى أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة ، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها ، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحى ومصلى الأنبياء الذى بارك الله حوله ، وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية ، من أيدى هؤلاء الغاصبين ، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد فى هذا السبيل ، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون ، حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين ؛ قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » . ومن قصر فى ذلك ، أو فرط فيه ، أو خذل المسلمين عنه ، أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والاسلام وضد هذا القطر العربى الاسلامى ، فهو - فى حكم الإسلام - مفارق جماعة المسلمين ، ومقترف أعظم الآثام . كيف و يعلم الناس جميعا أن اليهود يكيدون للاسلام وأهله ودياره أشد الكيد ، منذ عهد الرسالة إلى الآن ؟ ! وأنهم يعتزمون ألا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى ، وإنما تمتد خططهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهرى النيل والفرات . وإذا كان المسلمون جميعا - فى الوضع الإسلامى - وحدة لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام ، فأن الواجب شرعا أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد

واستنقاذها من أيدى الغاصبين قال تعـالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، وقال تعـالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» وقال تعـالى : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وأما التعاون مع الدول التى تشد أزر هذه الفئة الباغية، وتمدها بالمـال والعتاد، وتمكن لهـا من البقاء فى هذه الديار، فهو غير جائز شرعا ، لمـا فيه من الإعانة لها على هذا البغى والمناصرة لها فى موقفها العدائى ضد الإسلام ودياره . قال تعـالى : « إنما ينها كم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » وقال تعالى : « لا تجـد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمـان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهـار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

وقد جمع الله ــ سبحانه ــ فى آية واحدة جميع ما يتخيله الإنسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التى يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء ، وحذر المؤمنين من التأثر بشىء من ذلك واتخاذه سببا لموالاتهم فقال تعـالى : « قـل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتـكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ولا ريب أن مظاهرة الأعـداء وموادتهم يستوى فيها إمدادهم بمـا يقوى جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأى والفـكرة، وبالسلاح والقوة : سرا وعلانية، مباشرة وغير مباشرة . وكل ذلك ممـا يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات .

ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف ــ التى تدعو إليها الدول الاستعمارية، وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية ، ابتغاء الفتنة، وتفريق الـكلمة ، والتمـكين لهـا فى البلاد الاسلامية، والمضى فى تنفيذ سياستها حيال شعوبها ــ لا يجوز لأية دولة إسلامية أن تستجيب

لها وتشترك فيها، لما فى ذلك من الخطر العظيم على البلادالإسلامية ، وبخاصة فلسطين الشهيدة التى سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نكاية فى الإسلام وأهله وسعيا لإيجاد دولة لها وسط البلاد الإسلامية، لتكون تكأة لها فى تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين فى أنفسهم وأموالهم وديارهم ، وهى فى الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهى عنها شرعا والتى قال الله تعالى فيها : « ومن يتولهم منكم فأنه منهم » . وقد أشار القرآن الكريم إلى أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض فى القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التى تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى : « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » .

وكذلك يحرم شرعا على المسلمين أن يمكنوا إسرائيل ـ ومن ورائها الدول الاستعمارية التى كفلت لها الحماية والبقاء ـ من تنفيذ تلك المشروعات التى لا يراد بها إلا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها فى رغد من العيش وخصوبة فى الأرض ، حتى تعيش كدولة تناوئ العرب والإسلام فى أعز دياره ، وتفسد فى البلاد أشد الفساد ، وتكيد للمسلمين فى أقطارهم ، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها، ويقفوا صفا واحدا فى الدفاع عن حوزة الإسلام،وفى إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التى من أولها هذه المشروعات الضارة. ومن قصر فى ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفا سلبيا منها ، فقد ارتكب إثما عظيما .

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقتدوا به ـ وهو القدوة الحسنة ـ فى موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعدأن أخرجوه ومعه أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ من ديارهم، وحالوا بينهم وبين أموالهم وإقامة شعائرهم، ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان والأصنام ، فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لإنقاذ حرمه من أيدى المعتدين ، وأن يضيق عليهم سبل الحياة التى بها يستظهرون، فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم فى اقتصادياتهم التى عليها يعتمدون ، حتى نشبت بينه وبينهم الحروب ، واستمرت رحا القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال ، حتى أتم الله عليه النعمة ، وفتح على يديه مكة ، وقد كانت معقل المشركين ، فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان ، وقلم أظافر الشرك والطغيان .

وما أشبه الاعتداء بالاعتداء ، مع فارق لابد من رعايته ، وهـو أن مكة كان بلدا مشتركا بين المؤمنين والمشركين ، ووطنا لهم أجمعين ، بخلاف أرض فلسطين ، فأنها ملك للمسلمين، وليس لليهود فيها حكم ولا دولة، ومع ذلك أبى الله تعالى إلا أن يظهر فى مكة الحق ويخذل الباطل ويردها الى المؤمنين ، ويقمع الشرك فيها والمشركين، فأمر سبحانه وتعالى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتال المعتدين . فقال تعالى : « واقتلوهم حيث ثقفتمـوهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » . والله سبحانه وتعالى نبه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

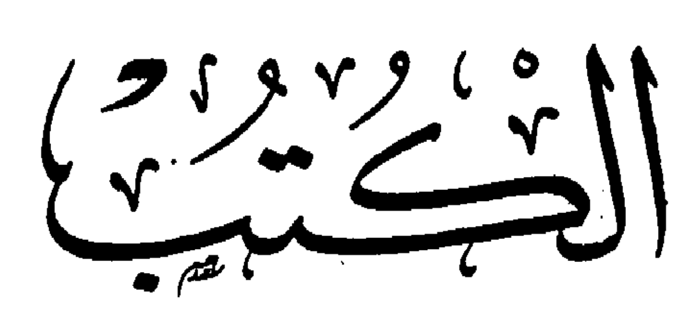
ومن مبادئ الاسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد ، وإذا كانت ازالته واجبة فى كل حال، فهى فى حالة هذا العدوان أوجب وألزم، فأن هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند أخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم فى البلاد ، بل تجاوز ذلك الى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها وهى : احترام المساجد وأماكن العبادة .

وقد جاء فى ذلك قوله تعالى : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

* * *

أما بعد ـ فهذا هو حكم الاسلام فى قضية فلسطين، وفى شأن إسرائيل والمناصرين لها من دول الاستعمار وغيرها، وفيما تريده اسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها، وفى واجب المسلمين حيال ذلك، تبينه لجنـة الفتوى بالأزهر الشريف ، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين، وأن ينهضوا بمـا يحقق لهم العزة والكرامة ، وأن يقدروا عواقب الوهن والاستكانة أمام اعتداء الباغين ، وتدبير الكائدين ، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى وحق الأجيال المقبلة فى ذلك ، اعزازا لدينه القويم .

نسأل الله تعـالى أن يثبت قلوبهم على الإيمان به ، وعلى نصرة دينه ، وعلى العمل بمـا يرضيه . والله أعلم م٠



الجزء الرابع من تفسير الطبرى

بتحقيق وتعليق الأستاذ محمود محمد شاكر — ٦٣٩ ص — دار المعارف

أهدى إلينا فى هذا الشهر الجزء الرابع من دائرة المعارف الإسلامية التى أودعها الإمام أبو جعفر الطبرى فى تفسيره جامع البيان ، وفى هذا الجزء جميع المحاسن التى أشرنا إلى وجودها فى الأجزاء الثلاثة الماضية . وقد شكا الأستاذ السيد محمود شاكر من أن ناسخ المخطوطة التى يعتمد عليها قد طال عليه ما نسخ ، فعجل فى نسخ الكتاب عجلة أدخلت على خطه كثيرا من التصحيف والتحريف والسقط والبياض، وكان الاستاذ محمود يتلافى أمثال هذا الضعف فى المخطوطة بمراجعة ما ينقله الناقلون عن أبى جعفر فى التفاسير التى ألفت بعده ، لكن نقل هؤلاء عن تفسير الطبرى قد قل فى الجزءين الثالث والرابع فاعتمد على توفيق الله إلى الصواب فى بيان ما غمض والتبس . وهو ولله الحمد موفق إلى ذلك بدليل ما نجده فى الكتاب من آثار التحقيق والعناية والبصيرة النافذة . زد على ذلك ما امتازت به هذه الطبعة من بيان حال بعض رجال أسانيد الآثار وتحقيق الشواهد والتنبيه على النكات اللغوية . أعان الله على إتمام هذا الكتاب النفيس .

فى عالم المكفوفين

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى — ٤٠٠ ص — مطبعة نهضة مصر

المكفوفون — ولا سيما فى مصر — عنصر كريم من عناصر الأمة ، لو قامت له الأمة بما له عليها من حقوق لقام لها بنصيب عظيم من الواجبات قد ينوء بها غيره . وإن التعريف بالمكفوفين ، وإرسال أشعة من النور فى عالمهم حتى يعرفهم المجتمع ، هو

الوسيلة الأولى لتبادل الحقوق والواجبات بين هذا العنصر الكريم والكيان الاجتماعي الذي ينتسب اليه ، وهذا ما فعله فضيلة الأستاذ الشرباصي في مجهوده الأدبي الجديد الذي بذله في تأليف كتابه النفيس (في عالم المكفوفين) ، وعلى كثرة ما ألف الأستاذ الشرباصي من كتب فلعل هذا الكتاب من أدلها على فضله ، وأحفلها بمعارفه وأدبه .

وأول عهد الأستاذ الشرباصي بموضوع المكفوفين محاضراته الأربع التي ألقاها في دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين قبل خمس سنوات ثم سجلها في كتابه « محاضرات الثلاثاء » فجاءت في نحو ثلاثين صفحة منه ، وفي العام الماضي دعاه المركز النموذجي لتدريب المكفوفين في الزيتون إلى إلقاء سلسلة من المحاضرات حول المكفوفين على المبعوثين الذين حضروا من البلاد العربية ليتدربوا على تدريب المكفوفين حتى يكونوا نواة التوسع في عناية الأمة العربية بشئون هؤلاء المكفوفين ، فتحدث إليهم أحاديث شتى . فكان ذلك البذرة الأولى لبداية البحث والتأليف المنهجي في عالم المكفوفين .

والآن يقدم الأستاذ الشرباصي للمكتبة العربية كتابه هذا في ٤٠٠ ص ، افتتحه بالفصل الذي عنوانه « كلنا مكفوفون » وقد نشرته هذه المجلة في جزء شوال من السنة الماضية ، ثم عقد فصلا بعنوان « المكفوف في نظر الإسلام » ، وآخر بعنوان « واجبنا الإسلامي نحو المكفوفين » وفصلا عنوانه « من أخلاق المكفوفين » ، و « ذكاء المكفوفين » و « التصوير الحسي والمعنوي في شعر المكفوفين » و « مواقف في السيرة للمكفوفين » و « كفيف يرتد بصيرا » و «الشاعر المكفوف أحمد الزين» و «الفكاهة عند المكفوفين » و « أسباب كف البصر » و « عبقرية مكفوفة : أبو العلاء المعري يستغل مواهبه » و « قصائد في المكفوفين » و «كفيف يأبى الأبصار بعين مجرم » و « المكفوفون . . . هؤلاء الأشقاء » .

والكتاب - كما يقول مؤلفه المفضال - أول كتاب يظهر بيننا عن عالم المكفوفين وشئونهم المختلفة مع أنه قد ارتاد المجال الذي لم تعتد الأقدام طروقه ، فقد كان المجلي في حلبته ، فملأ فراغا في المكتبة العربية يغتبط به كل مثقف وأديب .

أسس الاقتصاد — بين الاسلام والنظم المعاصرة

للأستاذ أبي الأعلى المودودي - ١٧٥ ص - المطبعة التعاونية في دمشق

سبق لنا في صفحة ١٨٦ من السنة الماضية التعريف بكتاب (مبادئ الإسلام)

لأبى الأعلى المودودى الذى طبع فى دمشق، وهو حلقة من سلسلة (ذخائر الفكر الإسلامى). وكتاب (أسس الاقتصاد) الذى بين أيدينا الآن حلقة أخرى من هـذه السلسلة، وهو دراسة علمية للمذاهب الاقتصادية السائدة فى زماننا تقوم على تتبع النشأة التاريخية لهـذه المذاهب والعوامل الكامنة وراءها فى كل طور من أطوارها، وبيان ما فيها من المحاسن والمبادئ بأسلوب نزيه محكم. وفيه أيضا كشف عن حقيقة الداء وعلاج الإسلام له، مع بيان أركان النظام الاقتصادى فى الاسلام وكيف يكفل للشخصية الإنسانية حريتها، ويساعدها على اكتمال نموها الخلق، مع مراعاة مصلحة الجماعة وإرسائها على قواعد راسخة من التنظيم العادل.

والكتاب فى سبعة فصول: أولها فى الفرق الأساسى بين الإسلام والرأسمالية والشيوعية، والثانى فى العوامل والمؤثرات التاريخية وراء النظام الرأسمالى، والثالث فى النظام الرأسمالى الجديد، والرابع فى الاشتراكية والشيوعية، والخامس فى رد الفعل، والسادس فى تشخيص الداء وعلاجه، والسابع فى نظام الإسلام الاقتصادى وأركانه. وكان السيد المودودى قد كتب الفصلين الأول والسابع قبل الحرب العالمية الثانية بسنتين عندما كان مقيما فى حيدر أباد الدكن ردا على من دعا الى ادخال تعديل فى الاسلام على أحكام الربا توطئة لقبول المسلمين النظام الرأسمالى بدعوى أنه ضرورة عصرية. ثم كتب الفصول الخمسة الأخرى بعد الحرب الثانية مدة حبسه الأول، ونشرها بعد اطلاق سراحه فى مجلته (ترجمان القرآن).

وقد نقل الكتاب إلى العربية الأستاذ محمد عاصم الحداد معتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية فى باكستان. وطبع فى دمشق طبعا أنيقا يليق بموضوعه الجليل.

مبادئ الاسلام وهندسة الاجتماع

للأستاذ المهندس فتحى محمد فراج — ١٩٠ ص — مطبعة مصر بشبين الكوم

الأستاذ المؤلف مهندس قائم بأعمال مشرعات الرى فى الزقازيق، وإن نزعته الإسلامية قد وسعت دائرة الأفق لبحوثه الإسلامية فى شئون الاقتصاد، والتفكير بالأساليب الإسلامية لإصلاح المجتمع. وفى داخل هذا الأفق كتب كتابه هذا، فأصدر

الجزء الأول منه ، وتكلم فيه على حساب الرزق، ومن رأيه أن الأرزاق عينية لا نقدية ، فاستعرض آراء مفكرى الغرب فى ملكية الأرض وقارنها بملكية الأرض فى الإسلام ، وعقد فصلا لنظرية الرزق فى الإسلام ، وإطلاق الأرزاق ، وتنمية الدخل القومى ، وأن الأجر أصل الثمن . وتكلم على الموظفين ومرتباتهم ، وعلى الكسب المشروع ووجوب ثبات الاسعار ، وتأثير المساواة فى الرخاء والأمن والأخلاق وبقاء الأصلح . وإذا اتسع لنا المجال سننشر خلاصة لآراء المؤلف وبحثه الاقتصادى من الناحية الإسلامية.

نسمات الاصيل فى المذياع

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان — ٨٠ ص — مطبعة الفجالة الجديدة

هى أحاديث إسلامية أذيعت من (صوت زنجبار) قبل سنتين ، وتكلمنا على الرسالة الأولى منها فى ص ٧٠٩ من السنة الماضية . ثم أهديت إلينا الآن الرسالة الثانية بالعربية وترجمتها باللغة السواحلية ، وفيها عشرة أحاديث عن القرآن ، وأن فى أولى آياته وضعت سعادة العالم ، وعن خصال الخير الجامعة ، والإسلام والجوار ، وأدب القارئ والمستمع ، والإيثار ، وأفضل الأعمال ... إلى غير ذلك من الأحاديث التى ألقاها الأستاذ المؤلف من مذياع زنجبار عند ما كان مبعوثا من الأزهر إلى تلك الديار ، وكان لها الأثر النافع فى ذلك المحيط الإسلامى النائى .

توجيه الانظار ، لتوحيد المسلمين فى الصوم والافطار

لفضيلة الشيخ أحمد بن الصديق — ١٢٠ ص — مطبعة العهد الجديد بالقاهرة

هو كتاب يدل عليه عنوانه ، وقد ألفه فضيلة الأستاذ مؤلفه ليبين لمواطنيه المغاربة خطأهم فى عدم اعتمادهم على ثبوت شهر الصيام فى الأقطار الإسلامية بواسطة المذياع بزعم أنهم لا تلزمهم رؤية غيرهم من أهل البلاد الإسلامية ولو القريبة منهم والمجاورة لهم . وقد استوفى الأدلة الحديثية والفقهية على وجوب اتحادهم مع المسلمين أو مع من ثبتت عندهم رؤية الهلال من أهل أى قطر من الأقطار ، والكتاب حافل بالأدلة والنصوص كدأب المؤلف فى سائر مؤلفاته .

الأدب والعلوم

تاريخ العرب لم يدرس بعد

فى الدورة السنوية لمؤتمر « الاتحاد التاريخى » خطب السر هملتون جب المؤرخ البريطانى المعروف بحوثه فى تاريخ العرب فقال : إن المؤرخين الغربيين هواة فقط فى هذه الناحية وليسوا علماء ، ووصف نفسه أنه هاو أيضا وليس عالما . والمشكلة الرئيسية هى العثور على مؤرخين مؤهلين يستطيعون دراسة الوثائق والمراجع التاريخية دراسة مستمرة مركزة ، وأنه يخجل من « الترقيع » الذى تتصف به بحوث المؤرخين الغربيين فى ميادين كثيرة من تاريخ العرب .

صحافتنا

بين الخبر ، والتوجيه

خطب وزير الإرشاد فى قسم الصحافة بكلية الآداب فى جامعة القاهرة فتحدث عن صحافة الرأى وصحافة الخبر ، ومما قاله : هناك فكرة سائدة مؤداها أن العالم يعيش الآن فى عهد صحافة الخبر ، وأن صحافة الرأى قد انتهت . وإذا سلمنا جدلا بانطباق هذه الفكرة ، فعلينا أن نتساءل : هل هذا يعتبر تقدما فى الصحافة ، أم يعتبر عيبا يجب أن يعالج ؟ الواقع أن ميل الإنسان الى معرفة الأخبار ميل غريزى ، وهذا الميل يعتبر فضيلة . ولكنه إذا تجاوز قدرا معينا أصبح رذيلة ، إذ يتحول إلى فضول وتطفل . والإنسان عادة لا يكون فضوليا إلا إذا كان غير مقتنع بحياته ، أو مستكف بذاته ، فيكون دائما فى حاجة الى مزيد من الخارج يأتيه من غير نفسه ، لأن نفسه خاوية فارغة من أى معنى .

طلبة الجامعات المصرية

بلغ مجموع طلبة الجامعات المصرية الثلاث ـ نظاميين ومنتسبين ـ حسب آخر إحصاء رسمى ٥٦ ألفا و ١٨٠ طالبا وطالبة .

منهم فى جامعة القاهرة ٣٣ ألفا و ٧١٥ طالبا ، و ٢٧٩٩ طالبة .

وفى جامعة عين شمس ١٦ ألفا و ٥٠٣ طلاب ، و ٢٠٨١ طالبة .

وفى جامعة الإسكندرية ١٠ آلاف و٢٢٦ طالبا ، و ٨٥٦ طالبة .

نظرات الصحافة

ضعوا لهذا حداً . .

كتب الأستاذ جـــلال الدين الحمامصى فى (الجمهورية) يقول :

استمعت إلى حديث بين سيدة من سيدات مصر المثقفات وأحد الزملاء الصحفيين ، كانت السيدة توجه إلى الصحفى نقداً مراً لما يكتبه فى مجلته ، كانت تمسك الوقائع واحدة بعـد الأخرى وتقدمها له من واقع ما يكتب فى مجلته . واندفع الزميـل يرد ، ويدافع عن نفسه وعن زملائه الذين يشتركون معه فى تحرير المجلة .

والسيدة التى أثارت هذا الموضوع لا يمكن أن توصف بأنها من سيدات القرن الماضى أو أنها تدعو إلى الرجعية . لكنها ـ مع هذا ـ كانت ترى أن الدعوة إلى (الاباحية) أو الكتابة فيها بحرية كاملة ، أو قلب الأوضاع فتجعل المرأة فى مكان الرجل . . كل هذا يجب ألا يسمح بنشره فى الصحف ، وألا يشجع على أن يكون الأساس فى حياتنا القائمة .

ثم قال الأستاذ جلال الدين الحمامصى : إن الذى يحدث الآن فى مصر من دعوات إباحية لا يحدث فى أى بلد من بلاد العالم . فنحن هنا لا نقلد ، وإنما نبتكر . ونستند فى هذا الابتكار إلى حجج : منها الادعاء بأنها دعوة إلى تحرير المرأة المصرية . . ونحمد الله على أن فى مقدمة الثائرين على هذا الكلام الذى يكتب ، المرأة نفسها ، المرأة المثقفة وليست الجاهلة . إننا نظلم المرأة المصرية عند ما نلصق بها كل اتجاه خاطئ ، فالمرأة المصرية بخير ما دامت بعيدة عن «التحريض» المستمر ، التحريض الذى يصور لها الحياة فى أوضـاع مقلوبة ، وفى صور لا نرضاها لأحـد . . .

الفن الأموى

أعلن متحف فريير للفنون فى أمريكا أن المحاضرة الأولى من المحاضرات الأربع المصورة التى ستلقى فى شتـاء عام ١٩٥٦ وربيعه ستكون تحت عنـــوان « الفن الأموى ـ فن امبراطورى » ، وسيلقى الدكتور أوليج جرابار رئيس قسم الفن الإسـلامى بجامعة مشجان هذه المحاضرة يوم ١٧ يناير .

وقد تتبع الدكتور جرابار الفن الإسلامى فى مصدر من مصادره ، وهـو ما حققه الأمويون فيه ، وذلك على ضوء المكتشفات الأثرية الحـديثة التى اشترك فى بعضهـا الدكتور جرابار نفسه .

ويضم متحف فريير مجموعات فنية فريدة بعضها من مصر ، وبعضها من الهند أو إيران أو العراق أو سـوريا أو آسيـا الصغرى أو بيزنطة . كما يضم مكتبة من أثمن المكتبات فى العـالم مخصصة كلهـا لفنون الشرقين الأوسط والأقصى .

أنباء العالم الإسلامي

تمويل السد العالى

من أهم أنباء الشهر المنصرم موافقة البنك الدولى للانشاء والتعمير على إعطاء مصر قرضا بحوالى مائتى مليون دولار لتمويل السد العالى ، وموافقة الحكومة الامريكية على إقراض مصر مائتى مليون دولار أيضا لهذا الغرض . وقد أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن الحكومتين الأمريكية والبريطانية قد وافقتا على تقديم مساعدات مالية أخرى لمصر لتمكينها من الانفاق على تحقيق هذا المشروع فى مراحله الأخرى . ويبلغ مجموع منحتى بريطانيا وأمريكا ٧٠ مليون دولار تسلم بمعدل ١٥ إلى ٢٠ مليون دولار سنويا .

واتفقت شركة قنال السويس على توظيف بعض احتياطيها فى استثمارات طويلة الأجل كمشروع السد العالى ، وحولت فورا ثلاثة ملايين جنيه من العملات الأجنبية إلى مصر لهذا الغرض .

وتقدر تكاليف مشروع السد العالى بمبلغ ٩٦٠ مليون دولار ، وينتظر أن يؤتى المشروع ثماره خلال تنفيذه فى الفترة الأولى باستصلاح مليون و٢٠٠ ألف فدان .

البترول المصرى

لا تزال حركة الكشف عن البترول المصرى فى نشاط ، وقد كشف أخيرا فى المنطقة الجنوبية من حقل (بلاعيم) عن بئر جديدة يبلغ امتداد منبعها ستة كيلو مترات وعرضها نحو خمسة كيلو مترات ، ويقال إنها أغنى بئر بترولية كشف عنها حتى الآن . وهذه المنطقة واقعة فى نطاق نشاط الجمعية التعاونية للبترول .

استقلال السودان

انتهت مهمة آخر حاكم بريطانى للسودان . وأعلن البرلمان السودانى استقلال هذا القطر العربى الشقيق . واجتمع فى أواخر ديسمبر الماضى مستر مورى الوزير المفوض فى السفارة البريطانية والأميرالاى عبد الفتاح حسن نائب وزير الدولة لشئون السودان ، وتم الاتفاق بينهما على جميع الخطوات التى تتفق وصالح السودان ، كما اتفقا على صيغة اعتراف دولتى الحكم الثنائى بالاستقلال . وسافر الأميرالاى عبد الفتاح حسن إلى الخرطوم مندوبا عن الحكومة المصرية لتسليم وثيقة

اعتراف مصر باستقلال السودان وحضور الاحتفال الرسمى بهذا الحادث القومى فى حياة الأمة العربية .

ويقول مصدر رسمى فى وزارة الدولة لشئون السودان بالقاهرة : إن تنظيم الروابط بين مصر والسودان بعد إعلان الاستقلال متروك أمره إلى السودانيين يقررونه حسب ما يتفق مع الصالح العام للدولتين ، ولاشك أن التعاون الوثيق كان ولا يزال موجودا بين البلدين .

مصر تنذر اسرائيل

أرسل الرئيس جمال عبد الناصر رسالة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة قال فيها : إن اسرائيل ـ التى لا زالت حتى الآن تتبع سياسة العدوان المدبر ضد مصر ـ قد تمادت فى هذا العدوان حتى حدود الدول العربية الأخرى ، وأن حادث العدوان الأخير على القوات السورية يعتبر اعتداء على مصر ، وقد صبرت مصر على العدوان الإسرائيلى لتبين للعالم أنها لم تتبع سياسة عدوانية . أما وقد اتخذت هذه الاعتداءات صفة الاستمرار التى جاوزت القوات العسكرية إلى الاعتداء على المدنيين بصورة وحشية ، فأن مصر ترى نفسها فى وضع يضطرها إلى معالجة الأمور بالمثل ، وهى لن تتوانى فى استعمال قواتها البرية أو الجوية أو البحرية لتحافظ على سلامتها ، ولإقرار السلام فى المنطقة بعد أن عجز مجلس الأمن فى منع تكرار هذه الحوادث .

فأرجو أن تبلغوا رسالتى هذه إلى الدول فى مجلس الأمن ليكونوا على بينة من موقفنا

وقال الرئيس جمال عبد الناصر فى تصريح للأهرام : لقد أصبح من الواضح أنه لاجدوى من سياسة السلام ، حيث لايمكن أن يكون هناك سلام من جانب واحد ، بينما يتمادى الجانب الآخر بالعدوان .

عبث الاستعمار فى الأردن

وما أعقبه من الانفجار

ندبت السلطات الاستعمارية الجنرال تمبلر رئيس هيئة أركان حرب الأمبراطورية البريطانية للحضور إلى الأردن لحمل حكومتها على الانضمام إلى ميثاق بغداد ، فاستعمل جميع أنواع الضغط بمعاونة الجنرال جلوب وأذنابه المحليين ، فاستقالت وزارة سعيد المفتى وجىء بهزاع المجالى رئيسا للوزارة الأردنية ليحقق الغرض الذى حضر الجنرال تمبلر لأجله ، فثارت البلاد عن بكرة أبيها ، ولا سيما القسم الواقع غربى الأردن ، فاضطر هزاع المجالى وأعضاء وزارته إلى الفرار إلى بيروت ، ومنها إلى بغداد ، ودعى السيد ابراهيم هاشم رئيس مجلس الأعيان لتأليف الوزارة . ثم اضطرت وزارة ابراهيم هاشم إلى الاستقالة فتجددت الاضطرابات ، وأخيرا ألفت وزارة جديدة برياسة سمير الرفاعى واختير ابراهيم هاشم نائبا له ووزيرا للدولة .

وأصدرت الوزارة الجديدة بيانا ضمنته أن سياستها تقوم على عدم الانضمام إلى أية أحلاف أو الارتباط بها ، وعلى العمل لتحقيق وحدة العرب وحفظ حقوقهم كاملة فى فلسطين . وهذا بجانب تأمين الحريات العامة ، وإعادة الحالة فى البلاد إلى مجراها .

عيد العلم

شهدت القاهرة فى الشهر الماضى أول عيد للعلم كرم فيه وزير التربية والتعليم – باسم مصر الثائرة وقادتها – النبوغ والتفوق والامتياز فى البحث العلمى العميق فى شخص اثنين من أساتذة الجامعة ؛ كما كرم الدرس والتحصيل والاطلاع فى أشخاص عشرات ومئات من الطلبة والطالبات والتلاميذ والتلميذات الذين سبقوا أقرانهم فيما تقدموا إليه من مسابقات فى العلم أو الفن أو القراءة ، فكان ذلك دلالة على أن مصر لم تعد تكتفى من أبنائها بأن يتعلموا وحسب ، بل هى تطلب إليهم وتدفعهم وتشجعهم على أن يكون تعلمهم للعلم ، وللتعمق فيه ، والانقطاع له ، ليكونوا مرجعا لوطنهم فى المواد التى تفرغوا لها ، ويحاولون التخصص فيها والإلمام بكل ما يتعلق بها من خفايا المعرفة . وهى سنة استنها هذا العهد النشيط للتقدم بالبلاد خطوات إلى الأمام فى سبيل التعمق العلمى والتفوق فيه .

تعزيز الجيش السورى وتسليحه

قرر مجلس الوزراء السورى اعتماد ١٢٠ مليون ليرة سورية . وتخصيص القرض السعودى – وقدره عشرة ملايين دولار – لتعزيز الجيش وتسليحه . كما قرر تطبيق نظام الفتوة وتدريب الطلبة عسكريا ، وإعداد الخنادق والأقبية للوقاية من الغارات الجوية .

فى الجزائر

أصيبت الإدارة الفرنسية فى الجزائر بشلل خطير ، فقد استقال معظم موظفى الحكومة من الجزائريين استجابة لدعوة الوطنيين ، وأبدى الأعضاء الجزائريون فى الجمعية الوطنية المحلية تأييدهم المطلق لهذه الحركة تأييدا أدهش المقيم الفرنسى العام فى الجزائر وأذهله .

وقد تحدث زعماء جبهة التحرير الوطنية فى الجزائر إلى الزعماء الاشتراكيين فى فرنسا فأكدوا لهم أن استقرار السلام فى الجزائر لن يتم إلا على أساس الاستجابة لمطالب الجزائريين واعتراف فرنسا بحق الشعب الجزائرى فى الحرية والاستقلال ، وتحدث أحد الزعماء الجزائريين فى باريس . فقال : إننا لا نحارب من أجل إنشاء مدارس ومستشفيات أو إصلاح زراعى ، ولكننا نكافح لأجل الفوز بحقنا فى أن نعيش أحرارا .

الفهرس



رجب سنة ١٣٧٥

التحيات لله

طلبة التدريب العسكرى بالأزهر ومعهم طلبة البعوث الاسلامية فى الصلاة

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	للطلبة بوادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء السابع ـ القاهرة في غرة رجب ١٣٧٥ ـ ١٣ فبراير ١٩٥٦ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعب المصري

جزء من الأمة العربية

هذه حقيقة علمية ، رأينا التاريخ يستعرض أدلتها متسلسلة ومتوالية في عشرات القرون الماضية ، ثم جاء دستور الشعب المصري في الشهر الماضي فأعلنها على رءوس الأشهاد ، وسجلها في مادته الأولى .

إن الشعب المصري ، وشقيقه في السودان ، وسائر شعوب الشمال الإفريقي ، أجزاء كريمة في الكيان العربي . وقد كان التعليم الاستعماري في مصر وما يليها من شمال إفريقية يحاول ـ بعناية وخبث ـ أن يشكك المثقفين في مدارسه بهذه الحقيقة ليزلزل إيمانهم بها ، فيتمكن بعد ذلك من توهين رابطتهم القومية بالوطن العربي الأكبر ، لتضعف صلتهم بتاريخ العروبة وتراث الإسلام . . .

وقبل أن ينشب الاستعمار مخالبه في كيان التعليم المصري ، كان الفحول من علماء تاريخ مصر القديم ـ كالعلامة الأثري أحمد كمال ، وصنوه العالم الضليع أحمد نجيب الأمين العام للآثار المصرية ـ يؤمنون برابطة مصر الوثيقة بالعروبة في القرون الخالية ،

حتى إن العلامة أحمد كمال – بعد أن انتهى من كتابة مسودة معجمه الضخم الذى ألفه للغة قدماء المصريين – تبين له أن نحو ثلث تلك اللغة يتفق مع لغتنا العدنانية ، فكان يقول لمن يتحدث معهم فى هذا الموضوع : لو أن اللغة العربية العريقة فى القدم والتى كانت معاصرة للغة قدماء المصريين محفوظة ومعلومة لنا لكانت نسبة التوافق بينها وبين لغة قدماء المصريين أكبر وأوسع مما توصلت إليه فى معجمى .

ويقول العلامة أحمد نجيب فى صفحة ١٢ من كتابه (الأثر الجليل لقدماء وادى النيل) المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٣١١ ، أى قبل أربع وستين سنة : إن التمدن المصرى صعد من الشمال الى الجنوب ، بدل أن ينحدر مع النيل من الجنوب إلى الشمال . . . قال : ومن تأمل فى التماثيل المصرية القديمة المحفوظة بدار الآثار المصرية علم يقينا أن هذه الأمة من الجنس الأبيض الاسيوى ، وليست من الجنس الأسود الإفريقى . وقال : إن لتركيب لغة قدماء المصريين مشابهة قوية بتركيب لغة آسيا (يعنى ما وراء العريش وسيناء) ، وإن كثيرا من أصل لغتهم مشتق من اللغة الآرامية (وهى لغة سامية كالعربية ، وكانت لغة بلاد الشام) ، كما أن الضمائر المتصلة والمنفصلة فى كلتا اللغتين أصلهما واحد . فأصل المصريين من الجنس السامى (أى الذى منه سكان بلاد العرب والشام والعراق) أتوا إلى هذا الوادى من برزخ السويس ، وربما وجدوا فيه طائفة من الزنوج فرت أمامهم صوب الجنوب . ومن البديهى أن النيل كان – فى تلك الحقبة – يمد ويجزر ويغير مجراه كل سنة بدون أن يروى شيئا من أرضه . وكان بعض الوجه البحرى مغمورا بمياه البحر المالح ، تتخلله جزائر تنبت البردى والاقحوان والقصب الفارسى ، فضرورة المعيشة أحوجت هؤلاء النازلين (أى الاسيويين ، وهم من عرب شرق سيناء وما وراءها) إلى ضبط مياه النيل بحفر الترع والخلجان وإقامة الجسور وحرث الأرض وزرعها . وبتمادى الأزمان صاروا قبائل وعشائر كثيرة لكل واحد منها رئيس ، وربما مكثوا على ذلك ثلاثة آلاف سنة أو أكثر ، فتكونت منهم ممالك صغيرة لكل واحدة منها قوانين وديانة ومعبودات خاصة ، ثم انحازت تلك الممالك بعضها الى بعض فتكوّن منها مملكتان كبيرتان : إحداهما فى الصعيد ، والأخرى بالبحيرة » .

هذا هو تحقيق عالم مصرى متخصص ، وهو من أعلم المصريين بماضى وطنه ، وقد أهله علمه لأن يتولى أرفع مقام فى هذا الموضوع وهو مقام الأمانة العامة للآثار المصرية .

والذى ذكره هو المعقول عن انفراد الزنوج الإفريقيين بسكنى وادى النيل قبل أن يستقر مجرى النيل على ما صار إليه فى الحضارة المصرية ، ثم طرأ عليهم عنصر جديد هو سلف الشعب المصرى الحاضر ، وهذا العنصر الطارئ لم يهبط من السماء ، ولا جاء من أمريكا وغيرها من البلاد القاصية ، وإنما دخل مصر من أقرب البلاد إليها وهى البلاد التى وراء العريش وسيناء ، أو البلاد المقابلة للصعيد فى الضفة الشرقية من البحر الأحمر ، وهؤلاء وأولئك هم أسلافنا العرب ، ولا يمكن أن يكون غيرهم . وهؤلاء حتى لو لم يكونوا يسمون فى تلك العصور الموغلة فى القدم باسم العرب ، فهم هم ، مهما كان الاسم الذى كانوا يعرفون به ، ونجد آثارهم فى لغة قدماء المصريين المكتوبة بالحروف الهيروغليفية ، فأن ثلث لغة قدماء المصريين تتفق مع لغتنا العربية العدنانية ، ولو أن لغة قدماء سكان ماوراء سيناء والمناطق العربية كانت محفوظة ومعلومة لنا الآن لكانت نسبة مايتفق معها من لغة قدماء المصريين أعظم من ذلك بكثير . فالوطن العربى يغذى مصر بالمهاجرين إليها من أبنائه يوما فيوما وشهرا فشهرا وعاما فعاما وعصرا فعصرا باطراد وبلا انقطاع عن طريق سيناء والبحر الأحمر من قبل مينا بثلاثة آلاف سنة حتى الآن وإلى يوم القيامة ، بل إن مينا نفسه ــ وهو مؤسس أقدم وحدة لمصر ــ هو أحد هؤلاء الداخلين إلى مصر مما وراء العريش وسيناء كالألوف والملايين من أمثاله قبله وبعده .

وفى المجلد الثالث من مجلة المجمع اللغوى المصرى ص ٣٣١ أن (سترابون) أحد قدماء جغرافيى اليونان ومؤرخيهم (وكانت ولادته قبل المسيح بخمسين سنة) نص على أن نصف سكان مدينة قفط فى مصر العليا كانوا فى زمانه من العرب ، أى من موجات الهجرة العربية المتواصلة بلا انقطاع من بلاد العرب إلى الصعيد المصرى بحرا ، ومن طريق العريش وسينا إلى مديرية الشرقية وسائر بلاد الدلتا برا .

ومن أحدث موجات الهجرة العربية إلى مصر قبل الإسلام ما أشار إليه قبل أحد عشر قرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ) فى كتابه (صفة جزيرة العرب) فى فصل عنوانه (مساكن من تشاءم من العرب) فذكر قبائل بنى بياضة من جذام ، وبنى راشدة من لخم ، والثعل من بنى الجرى ، وبنى أبير من عذرة ، وأنهم دخلوا جميعا مصر قبل الإسلام ، وتوطنوا بلادا منها فى الوجهين البحرى والقبلى .
وكلما هضمت مصر موجة من الموجات العربية تلتها من ورائها موجة أخرى تجدد حيوية الدم العربى فى الأجسام المصرية التى كان أولها من هذا الجنس المبارك ، ولو لم يتجه

الجنس العربى إلى مصر فى عشرات القرون ليكوّن كيانها القومى لبقيت مصر وطنا للزنوج الأقدمين الذين اكتسحتهم موجات الهجرة العربية فدفعتهم إلى آفاق بعيدة من قلب القارة السوداء .

فأنت ترى من هذه الحقائق التى كان التاريخ يستعرضها عصرا فعصرا أن « الشعب المصرى جزء من الأمة العربية » كما أعلنت ذلك المادة الأولى من دستور الشعب المصرى، وأن الدستور المصرى قد أحيى هذه الحقيقة العلمية ، فيما يحييه من حقائق ، وهو فى سبيل تجديد الحيوية فى مصر التى قررت أن تكون ركنا ركينا فى الكيان العربى . وقد كان كثيرون فيما مضى يحاولون تشكيك مصر فى عروبتها العريقة، خدمة لأغراض استعمارية وتبشيرية ، ولكن للباطل جولة ثم يضمحل .

إن الأمم التى تتكلم العربية الآن — فى العراق ، والشام ، ومصر ، والسودان ، وشمال إفريقيا — هى أمم سامية . والبيئة الأولى للأمم السامية جزيرة العرب ، والأصل الأول للغات واللهجات السامية لغة قديمة بادت هى اللغة السامية الأولى ، فكان أهلها الأولون كلما توالدوا وازداد عددهم فى الجنوب يرحل فريق منهم نحو الشمال ، و بتباعد الأوطان وتجدد الأزمان تتطور لهجاتهم وتفترق وتختلف وتحدث عند كل فريق منهم مسميات جديدة يسميها كل فريق منهم باسم غير الذى يسميها به الآخرون ، وهكذا تحولت اللهجات السامية فصارت لغات تشترك فى أصولها ، وتفترق فيما تفرع عنها . ومن هذه الأمم السامية الأشوريون والبابليون والكلدانيون والآراميون والفينيقيون ، وقد كتبت قبل إحدى وثلاثين سنة رسالة بعنوان (اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب) بينت فيها أوقات نزوح هذه الأمم عن وطنها الأول جزيرة العرب والنصوص القديمة عن ذلك وتحقيقات علماء الغرب فى هذا الموضوع .

وقد تبين لى من هذه الدراسة أن جميع الأمم التى تتكلم العربية الآن وتنعم بالوحدة الشاملة فى ظل هذه اللغة ، كانت فى فجر التاريخ — وقبل التاريخ — أسرة واحدة تتكلم لغة واحدة هى اللغة السامية الأولى التى ذابت فى هذه اللغات وبادت ، وورثتها لهجات للأمم التى افترقت عنها ، ثم مع الزمن تحولت اللهجات إلى لغات سامية مستقلة ، حتى إذا جاء الإسلام ودخلت هذه الأمم وغيرها فى نظامه ، عادت للأمم السامية وحدتها فى

ظل العربية ، وفى طليعة هذه الأمم مصر . فكان من معجزات الإسلام إعادة الوحدة - باللغة العربية - إلى جميع الأمم التى كانت لها مثل هذه الوحدة قبل افتراقها عن أصلها السامى الأول فى جزيرة العرب . واعلان الدستور المصرى الآن أن « الشعب المصرى جزء من الأمة العربية » هو إعلان للمعجزة الإسلامية التى حققت وحدة العروبة للأمم التى كادت تنسى وحدتها السامية العريقة فى القدم .

على أنه لو لم تكن الدماء العربية من عشرة آلاف سنة الى الآن هى الخميرة المتجددة فى الكيان المصرى ، لكانت عروبة مصر فى بضعة عشر قرنا - من عهد مجدد كيانها الاجتماعى الرجل العظيم عمرو بن العاص السهمى - كافية لأن تجعل « الشعب المصرى جزءا كريما من الأمة العربية » ، فمصر - لهذا السبب وحده - أعرق فى عروبتها من عراقة سكان فرنسا فى جنسيتهم الفرنسية .

وهنا حقيقة يجب أن نجعلها نصب أعيننا فى مثل هذا البحث ، وهى أن الحضارة بوتقة تذوب فيها الأنساب ، وإذا كانت عروبة عربى القبيلة قائمة على أساس الأنساب ، لأن النسب هو وطن البدوى وعصبته وكيان قومه ، فأن عروبة عربى الحضارة تقوم على أساس اللغة والثقافة ووحدة المطامح . ومصر من ثلاثة عشر قرنا تتكلم بالعربية وتتثقف بثقافتها ، وإن حماقة الاستعمار - بما نصبه وينصبه للكيان العربى فى آسيا وإفريقيا من حبائل الكيد السياسى والاقتصادى والثقافى - قد وحد مطامح القومية العربية فى كل مكان ، فجعل العروق تنبض بأحساس واحد فى مصر والشام والحجاز ونجد وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وليبيا والسودان وفى كل مكان ينطق أهله بالضاد . وكانت هذه العروق النابضة بأحساس واحد فى حاجة الى تسجيل هذه الحقيقة تسجيلا رسميا فى مصر التى هى رأس العروبة المفكر ولسانها الناطق ، فجاء دستور الشعب معلنا هذه الحقيقة العلمية بالصوت الرسمى المجلجل ، وهو حادث تاريخى عظيم فى نظر كل من يراقب القومية العربية فى مراحل يقظتها وتقدمها ، وإن لهذا الحادث ما بعده إن شاء الله .

محب الدين الخطيب

أمثـــــلة

من توافق العربية والمصرية القديمة

أشرنا فى افتتاحية هـذا الجزء إلى أن نحو ثلث اللغة المصرية المنقوشة بالهيروغليفية على الأحجار يتفق مع لغتنا العربية الحاضرة . ومن ذلك كلمة « سبط » بمعنى ابن الابن وابن البنت فأنه يتفق باللفظ والمعنى فى العربية والمصرية القديمة ولغات سامية أخرى .

قال العلامة أحمد كمال فى كتابه معجم اللغة المصرية القديمة : إن لفظة «سبط» وجدت فى نصائح (بتاح حتب) ووجدت على جدران مقبرة (أمست) بمعنى ماجاءت به فى العربية.

و «صهر» بمعنى طبخ وأذاب وردت فى اللغتين العربية والمصرية القديمة بمعنى واحد.

و « البيعة » بمعنى المعبد فى العربية ؛ وردت فى المصرية القديمة فى ورق ابوت ١ ٢/١ ٤/١ المؤشر عليه برقم ١٠٢٢١ فى متحف انجلـــترا ، وفسروها بمعنى الجبانة ؛ ولـكن العلامة احمـد كمال يرجح أنها بمعنى المعبد كما يدل عليه السياق .

ومادة « زبر » و « ذبر » و « سفر » كلها واحدة بمعنى كتب . قال العلامة أحمد كمال : إنها قد تنوع لفظها فى العربية وفى النصوص المصرية . قال : وهـذا القلب والإبدال فى الحروف له أصول متبعة فى اللغتين العربية والمصرية القديمة ، والسبب فيه تعدد القبائل ولهجاتها .

وفى باب العدد كلمة « الثـامن » بالعربية ، فأنها باللغتين المصرية القديمة والفينيقية تلفظ « أشمون» أى الثامن، ومدينة «أشمون» فى مصر سميت باللغة المصرية القديمة لتؤدى هذا المعنى .

هذا غيض من فيض ، ومثال للبعض من الـكل نكتفى به لنؤيد الحقيقة التاريخية ، وهى أن سكان مصر الأولين من الزنوج قـد نزحوا عنها قبل التاريخ وقبل استقرار النيل فى مجاريه وحل محلهم أقوام دخلوا وادى النيل من برزخ السويس أو قدموا إلى ضفاف البحر الأحمر الغربية من ضفافه الشرقية فى جزيرة العرب ، فهم السلف الحقيقى لسكان مصر الآن .

نفحات القرآن

— ٣٧ —

(ا) غرور الناقصين
(ب) وتزكية الآثمين

> (ا) ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ؟؟ بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا .
>
> (ب) انظر كيف يفترون على الله الكذب ؟ ؟ وكفى به إثما مبينا .

١ — من وسائل القرآن فى توجيه النصح أن يتخذ من الواقع مادة لقصصه ، وأمثلة لموضوعه . والأخذ من الواقع أجدى فى التأثير ، وأقوى فى الإفادة ، وأقوم فى الإصلاح .

وقد وجد القرآن من شأن أهل الكتاب والمشركين مجالا فسيحا لاستمداد العبرة فى تربية المسلمين ، ووجد من عناد أولئك جميعا أمثلة جمة يضربها للمسلمين ، ليجنبهم سوء ما وقع فيه غيرهم من قبل ، وليباعد بين أهله وبين المخازى التى جابت على المخالفين تشنيع القرآن ، وجعلت قصصهم عبرة لأولى الألباب .

٢ — وأنت ترى فى الآية الأولى تند[illegible] بمن كانوا يزكون أنفسهم زورا ، فيمتدحونها بما ليس فيها ، وينتحلون لها من الفضا[illegible] ما لها : ظانين أن تمدحهم بخير لم يصنعوه يرفع من قدرهم كما يشتهون .

وكان هذا شأن أهل الكتاب منذ [illegible] دلوا بعد أنبيائهم ، ثم منذ احتدمت الخصومة بين يهودهم ونصاراهم .

وكان المشركون من قريش كذلك بعد : ينتحلون لأنفسهم سيادة ، ويشمخون بسيطرتهم على الأتباع من ضعفائهم ، ثم كانت هذه النزعات المتشابهة من جنوح كل فريق إلى إعجابهم بما هم عليه سببا فى انحياز أهل الكتاب إلى المشركين وقتا ما ، ليواطئوهم على قتال محمد وصحبه ، حتى يتخلصوا من دعوته التى غاظتهم جميعا ، والتى سلكت طريقها رغم تفرقهم عنها ، والتى أخذت تجرف باطلهم بحقها ، وتدحض كثرتهم بقوتها .

وكانوا جميعا يرون فى الإسلام مساواة ، وعدالة ، وحرية ، ومعانى كثيرة يتلاشى أمامها الاستبداد الذى ألفوه ، والكبرياء الذى استمرءوه ، والضلال الذى شبوا عليه وارتاحوا إليه ، فلم يكن يعجبهم أن يستجيبوا لهذا الدين ، أو يستمعوا لرسوله .

٣ — وإذ كانت تزكيتهم لأنفسهم شاغلا عن التفكير فى عيوبهم ، وصارفا عن تكميل نقصهم ، وقادحا فى أذهانهم أنهم فى غير حاجة إلى هداية ، أراد الله أن ينهى المسلمين عن هذه الخصلة التى تقف بهم دون الكمال ، وتقعد بهم عن مسايرة الجديد النافع ، إلى العكوف على ما كان عليه آباؤهم ، فى حين أن الإسلام ينشد فى أهله أن يكونوا الدولة الفتية الناهضة إلى كل صالح مفيد .

٤ — جاء النهى عن تزكية النفس فى أساليب متنوعة : فمرة يأتى صريحا قاطعا ، كقوله تعالى : « فلا تزكوا أنفسكم ، هو أعلم بمن اتقى » يعنى : مدحكم لأنفسكم بالقول غير مجديكم ، ولا جائز لكم ، والعبرة بالتقوى فى العمل ، وعلم ذلك عند الله لا عند الناس. ومرة يأتى النهى بصيغة الوعيد والتهديد الشديد ، كقوله تعالى : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم » . والمزكون لأنفسهم بالقول يحبون أن يحمدهم الناس بما لم يفعلوا ، فهم المهددون بالعذاب فى صريح الآية .

ومرة ثالثة يأتى النهى فى أسلوب التشن ... إثارة السخرية من المزكين لأنفسهم ، كقوله تعالى : « ألم تر إلى الذين يزكون ... » فهذا استفهام للتعجب ، وللإثارة التعجب والأنكار والسخرية ممن كانوا ... سم بالأقاويل المكذوبة ، ثم يكشف عن خطئهم فى زعمهم فيقول : « بل الله ... » يعنى أن التزكية الحقة هى فى هداية الله إلى الطاعة ، وتوجيهه إلى ... وأما العاكفون على تزكية أنفسهم

فسيحاسبون على عملهم هذا ، ولا يظلمون فى شر ، ولا فى خير ، ولو كان عملهم ضئيلا كالفتيل ، وهو الخيط الذى يعهدونه فى جوف التمرة .

٥ — وقد يقال : كيف يجزون على الخير وهم خالدون فى النار لكفرهم ؟

وجواب ذلك أن المزكين لأنفسهم إن كان لهم عمل طيب فأنه يخفف عنهم عذابهم بالنسبة لكافر لم يكن له عمل كعملهم ، فالكفار جميعا خالدون فى جهنم ، ولهم فيها عذاب شديد ـ أعاذنا الله ـ ولكن شدة العذاب تتفاوت بينهم ، وفى جهنم طبقات تختلف عن بعضها ، ولكل باب من أبوابها جزء مقسوم ممن قدر عليهم العذاب فيها ، وفى القرآن آيات يشهد ظاهرها بذلك ، كقوله تعالى : « فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » وقوله تعالى : « ولا يظلمون فتيلا » . وتخفيف العذاب هناك لايشعرهم بهناءة ، ولكنه يقنعهم بعدل الله فيهم ، ويقيم الحجة عليهم ، ويزيدهم ندما على تخلفهم وحرمانهم ، حتى يقولوا : « ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل » .

وليس فى هذا القول منافاة لما ورد من الآيات فى سوء حالهم جميعا : ففريق منهم فى السعير ، وفريق فى الزمهرير ، وفريق فى سقر ، وآخرون فى الدرك الأسفل ، وهكذا . . . مما يؤكد أن العذاب متفاوت فى نوعه ، وأن الشر فيه متفاوت .

٦ — ونعود إلى التزكية التى كانت سببا فى النهى عنها . . فأهل الكتاب ينقسمون على أنفسهم ، ويتبارون فى التزكية على بعضهم ! فاليهود يقولون : نحن شعب الله المختار . . . نحن أبناء الله وأحباؤه . . لن يعذبنا بذنوبنا ، فأننا أطهار منها كطهارة أطفالنا . . ليست النصارى على شىء من الحق .

والنصارى يرون فى أنفسهم مثل ما يرى اليهود فى أنفسهم ، ويقولون : ليست اليهود على شىء من الحق . وكل حزب بما لديهم فرحون .

وكانت قريش ترى لنفسها سيادة ومكانة فوق ما للمؤمنين بمحمد صلوات الله عليه ، وكانوا يقولون فى الإسلام والمسلمين : « لو كان خيرا ماسبقونا إليه » وهكذا من أساليب الافتراء التى يتعللون بها ، ويركنون إليها .

(ب) ثم جاءت الآية الثانية تدحض هـذا الافتراء فى إيضاح أتم ، وتقريع أشد ، لأن المزكى لنفسه يثبت لهـا عند الله فضلا ليس لها « انظر كيف يفترون على الله الكذب ؟ وكفى به إثمـا مبينا » .

٧ — وهذه الآية آكد فى التعجب من الأولى ، وأشد استهجانا لمـا هم عليه من التزكية المـكذوبة ، والـكذب كله شنيع ، وأشنعه الكذب على الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وإذا كان كذب الولد على والده ، وكذب المرءوس على رئيسه ، وكذب الخادم على مخدومه ، والزوجة على زوجها ، ممـا يعد جرأة غير هينة ، وجرما غير يسير ، فـكيف يكون الكذب على الله شناعة ، وخزيا ، وضررا بالنفس وبالناس ؟ ؟ « وكفى به إثمـا مبينا » يعنى حسب الكاذب على الله إثمه المبين الواضح ، أو المبين القاطع الذى يقطعه عن رحمة الله قطعا لا صلة له ، كأبانة الحبل بقطعه قطعا لا تبقى له صلة .

٨ — وإنمـا كانت التزكية بهذه المثابة من سخط الله ؛ لأن تصوير المرء لنفسه عند الناس بغير صفاته يحمل الناس على حسن الظن به ، فينزلقون فى حسن الظن به ، فإذا غلب عليه طبعه أصابهم من ضرره ما لا ينبغى أن يكون ، وهذا خداع لا يلائم صالح الجماعة ، ولا يتفق مع ما يحاوله من حمـل الناس على الثقة فيه ، والاطمئنان إليه ولو فى المحيط الضيق الذى يعيش فيه .

وجهة ثانية : هى أن الناس إذا رأوا من المزكى لنفسه مناقضة لقوله ، وعملا غير مرضى ، أساءوا الظن ببعضهم ، وأصبح الـكذب مفروضا فى أحاديثهم ، فتضيع الثقة ، وتنعدم الرحمة بينهم ، والإسلام ينفى الضرر ولو كان مظنونا ، أو من أبعد طرقه .

٩ — وهنا يقال : كيف ذلك كله : وقد امتدح القرآن تزكية المرء لنفسه فى قوله تعالى : « قد أفلح من تزكى ـ قد أفلح من زكاها » ؟ .

وجواب هـذا : أن التزكية بالقول المـكذوب هى مورد الحظر ، ومعرض النهى ، لمـا علمت فيها من أضرار بالمجتمع ، وبالخلق ، وبالدين . . فوق أنها رياء ، وخداع ، وانصراف عن محاولة الـكمال إلى تلك الميوعة ، والإعجاب بالنفس الخ .

أما التزكية بالحق، فهى تطهير النفس من المآثم، وتجميلها بعمل الطيبات، وإسداء المعروف قدر الطاقة .. فبهذا تزكو النفس: بمعنى تنمو، كما يزكو الزرع، ويترعرع بخدمته وتعهده، وتلك التزكية هى المطلوبة فى الآيات، وهى المحببة إلى النفوس عامة، وفيها يكون التنافس، لا فى مثل ما اصطنع أهل الكتاب، أو اصطنعت قريش، أو يصطنع المعجبون بأنفسهم حتى اليوم.

وبعد – فهذه نزعة من النزعات الفاشية بين الناس فى كل طبقة وفى كل جيل، وهى لون من ألوان العقلية المختلفة بحكم الفطرة.

والقرآن – حينما عرض لها بالإنكار والتشنيع – لا يقصد الرجوع بهديه إلى من سبقوا، وحاقت بهم مآثمهم، وإنما قصد – كما أسلفنا – وقاية المسلمين من التدافع فى الإعجاب بأنفسهم، والتهافت على تزكيتها بالدعاية المفتراة، والاشتغال بهذا الهذر عن الجد فى تربية الخلق، والنظر فى عيوب الأنفس ونقائصها، والأخذ بالكمال مما علمنا الله ومما تعارفه العقلاء، وهذا هو سبيل البقاء للذكريات الطيبات، ووسيلة البناء لمجد الأمم وتنقية المجتمع من تلك التعللات التى تتعشقها النفوس الهزيلة.

ولعل المسلمين الأولين طفروا طفرتهم من الجاهلية إلى المثالية التى يتغنى بها التاريخ، لأنهم شغلوا أنفسهم بعيوبها، واستحثوا هممهم إلى التزود من الكمال فى معارفهم، وفى أخلاقهم، وفى نظمهم عامة.

وقد كانت النخوة العربية تضطرم فى دمويتهم، وفى خواطرهم، وكانت غيرتهم على التوجيه مشبوبة فى صدورهم، فلما جاء الإسلام وجد منهم تربة صالحة لغرس مبادئه، ووجد فيهم أذهانا صالحة للتنمية، وللصقل، فما كادوا يسمعون دعوة الله، ويتذوقون الدين، ويتنسمون روحه، حتى نشطوا إلى وقاية أنفسهم ومجتمعهم بالخلق الصادق، ولم يشغلهم التخنث والتواكل بتزكية أنفسهم، والتمويه على مابهم من وهن.

وإذا كانت الشعوب الإسلامية تعثرت فى الاستعمار أزمانا، وتخلفت عن متابعة الأسلاف أحقابا، وتخلت عن مقاعد شامخة كانت لهم فى الصدارة، فقد آذنت حياتهم باليقظة، ونشطت هممهم إلى تدارك مافات، وها هى ذى: تطارد الاستعمار فى غير هوادة، وتجتاحه فى غير تريث، حتى أخذ ينكمش فى سرعة، وتنقشع سحبه فى غير تردد، وتقلصت حياته من أرض العروبة، وعما قليل ينجاب ظله عما بقى من الوطن الإسلامى.

وهـذه صحوة الأمم الإسلامية بدت فى مظاهرها هنا وهناك، ونهض الشرق يضم

صفوفه ويجمع أشتاته ، ويتجهم لمن يتوانى من شعوبه ؛ أو يجنح إلى سياسة المستعمرين ، وأصبحت صيحات الشرق كله تتجاوب فى ربوعه ، وبين أقطاره بالدعوة إلى الاستبسال والتكتل والحذر من خدع الغرب التى غشيتنا زمنا ما ، ولعل امتحان العروبة والإسلام بما مضى من تحكم الاستعمار يكفى عظة وتنبيها لمن يخامره شك فى ألاعيب اللاعبين من أمم غربية لم يسبق لها برهان واحد على حسن النية نحو الشرق وأهله .

وإن مصر – والحمد لله – قد سبقت إلى هذه الصيحات المدوية فأعلنتها بين الخافقين ، وتردد صداها فى المشرقين ، وبدأ العالم يشهد أن ثورة مصر كانت كامنة فى ضمير شعبها إلى وقتها المناسب ، ويشهد أن أبطال ثورتها كانوا الذخيرة التى أعدها التاريخ الحديث لتنهض فى وجه الزمن العابث ، وتوقظ العالم كله نحو مصر بالأعجاب ، كما تعود العالم فى ماضيه أن يقف منها موقف الأعجاب .

وسيرى الناس من حاضرها وفى مستقبلها ما يزيدهم إيمانا بمصرية مصر ، وإعجابا بأبطال ثورة مصر .

وخير ما يعود إلى الذاكرة اليوم وبعد طول الزمن : هو صيحة الأسلام فى فجر تاريخه « حى على الفلاح . حى على الفلاح » وهو شعارنا إلى اليوم وبعد اليوم . ومن لم يفهم شعارنا أو لم يدرك ديننا فليعلم أن ترجمة هذا الشعار هى ثورة مصر الحاضرة الرشيدة ما

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

مرضى الافهام

ما جعل الله سبيل المصلحة والمفسدة إلا من أفهامنا ، حتى ان الأدمغة لتعد من أكبر العلل فى أمراض التاريخ الإنسانى ، وربما كانت العلة الكبرى فى طائفة من الطوائف صورة أثرية لأكبر رأس فيها .

السنة

خاتم النبيين

— ٤ —

من أذناب المتنبئين ـ المنصورية ـ القاديانية ـ البهائية ـ متنبئ جديد ـ ورثة الأنبياء ـ الصحابة والتابعون ـ نزول عيسى عليه السلام .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين . (رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري)

* * *

قلنا في نهاية الجزء الماضي : إن الله ـ جلت حكمته ـ لايزال يبتلي هذا الدين الحنيف بأرؤس من هؤلاء الدجاجلة المتنبئين ، تتحرك ثم تقطع ، ثم تبقى أذنابها تتلوى حيناً من الدهر على عمى وتخبط ، إلى أن يقطعها الله كما قطع أصولها من قبل ، بأيدي أولي بأس من عباده ، ووعدنا أن يكون هذا الحديث الختامي في هؤلاء الأذناب ، قطع الله دابرهم ، وأراح العالمين من شرهم :

* * *

فمن هؤلاء أذناب أبي منصور العجلي ، من أهل الكوفة ، عاصر محمدا الباقر . . . ولما كشف الباقر خيانته لأصل الإسلام تبرأ منه ، وعلى الرغم من براءته منه ادعى بعد

موته أنه وصيه ، وزعم أن عليا والحسنين وعلى بن الحسين ومحمدا الباقر كانوا كلهم أنبياء مرسلين ! وأنه هو أيضا نبي ورسول ! وستكون النبوة فى ستة من ولده آخرهم « القائم » !

وكما أن ابن سبأ هو أول من اخترع كلمة « الوصى » فان العجلى هو أول من اخترع كلمة « القائم » وزعم العجلى – فيما زعم – أنه عرج به إلى السماء .. وكان يحرض أذنابه على خنق مخالفيه ! ولم يزل فى عمايته حتى أخذ وصلب فى ولاية يوسف بن عمر الثقفى على العراق لهشام بن عبد الملك (١) .

* * *

ومنهم مرزا غلام أحمد (٢) الهندى القاديانى زعيم الأحمدية ، كان يزعم أنه ينزل عليه الوحى ، وأنه نبي ورسول ، وزعم أصحابه فيما سموه « البشارة الإسلامية الأحمدية » أن الله كلمه بجميع الطرق التى يكلم بها أنبياءه ، لأن الأنبياء فى وصف النبوة سواء ! ! ومع هذا الكفر البواح يزعمون إفكا وبهتانا أنهم مسلمون ! ! وقد أهلك الله هذا القاديانى بإسهال شديد مزمن فى سنة ١٣٢٦

* * *

ومنهم البابية ثم البهائية ، أذناب مرزا على محمد الملقب بالباب ، الذى ابتدع هذه النحلة ونعق بها سنة ١٢٦٠ إلى أن أعدمته الحكومة الإيرانية فى تبريز صلبا سنة ١٢٦٥ ، ثم زعم أحد شيعته الملقب بهاء الله أنه الموعود الذى أخبر عنه الباب ، وقبل دعوته أكثر البابيين ، وتسموا حينئذ بالبهائيين ؛ وبقى البهاء بعكا منفيا إلى أن هلك بها سنة ١٣٠٩ فتولى رياسة الطائفة ابنه عباس الملقب عبد البهاء ، فأخذ يدعو إلى هذه النحلة الضالة ، ويتصرف فيها كما يشاء .

وقد زعم مرزا على أنه رسول من الله ! ووضع كتابا ادعى أن مافيه شريعة منزلة ، وسماه البيان ، وقال فى رسالة بعث بها إلى الشيخ الآلوسى صاحب التفسير المشهور « روح

---

(١) انظر ص ٩٦ من حاشية السيد محب الدين الخطيب على « المنتقى » من منهاج الاعتدال .

(٢) مرزا : كلمة فارسية معناها الأمير ؛ ولعلهم يريدون هنا الإمارة فى الدين والرياسة فيه . ومعنى غلام أحمد : خادمه وتابعه .

المعانى » دعاه فيها الى مذهبه الذى سماه كذبا على الله دين الله ، ثم زعم المسمى بهاء الله أن رسالته هى لتأسيس السلام على الأرض !

* * *

ادعى الباب الرسالة ! ثم زعم أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية ، ثم هذى بما انتحل لأتباعه أحكاما لا وجهة لها إلا هدم الإسلام من أساسه ! ! !

ولم يكتفوا — خيبهم الله — بدعوى النبوة والرسالة ، بل طفروا منها إلى ما طفر إليه بعض أئمتهم « الباطنية » من قبل ، فادعوا حلول الإله فى بعض زعمائهم كما قال «القرامطة» بألهية محمد بن إسماعيل بن جعفر ! ! ! وقد ظهرت دعوى الحلول جلية فى بعض مقالات البهائية [١] .

ومهما يكن فى هذه النحلة الفاجرة من خلط واضطراب فى دعوى النبوة والرسالة ونسخ الإسلام أو توحيد الأديان تارة ، وفى دعوى الحلول والإلهية وتجليها فى بعض أشخاصهم تارة أخرى — فأن غرضها الذى ترمى إليه إنما هو هدم الإسلام بمعاول تختلف باختلاف عدو الأنبياء من شياطين الإنس والجن فى تقلبهم ، وفيما يوحى بعضهم الى بعض من زخرف القول وغروره .

قال العلامة الآلوسى فى تفسيره :

وقد ظهر فى هذا العصر [٢] عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية ، لهم فى هذا الباب فصول، يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم فى سلك ذوى العقول ، وقد كاد يتمكن عرقهم فى العراق ، لولاهمة واليه النجيب الذى وقع على همته وديانته الاتفاق ، حيث خذلهم ، نصره الله تعالى وشتت شملهم ، وغضب عليهم رضى الله تعالى عنه وأفسد عملهم ، فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيرا ، ودفع عنه فى الدارين ضيما وضيرا » .

---

(١) راجع مقال السيد الخضر فى المجلد الأول من هذه المجلة (ص ٣٥٥ — ٣٧٠) ثم راجع مقالى السيد محب الدين الخطيب فى مجلد العام السابق .

(٢) يعنى سنة ١٢٦١ ﻫ وقد توفى الآلوسى رحمه الله عام ١٢٧٠ .

ونحن ندعو الله جلت قدرته بما دعا به الآلوسى ، لأولى الأمر من المسلمين جميعا أن يتعقبوا هؤلاء الأذناب المفسدين ، بالسنان والبيان ، حتى لا يقع فى شركهم الضعفاء من الطغام .

وقد كفتنا مجلتنا هذه ـ بارك الله عليها وعلى القائمين بها ـ مؤنة البسط فى تلك النحلة وضلالها ، بما كشفت من مخازيها ، وحذرت من أباطيلها ، وكتبت من مقالات أضحت للمؤلفين مصدرا ، وللباحثين منارا [١] .

وقد يكون من الطريف أن نشير هنا إلى مارونه الصحف أخيرا من ظهور أفاك جديد فى شرق السودان ، يدعى « على هياتى » ادعى النبوة فى شرذم من الطغام أخذوا يلتفون حوله ، وخشيت الحكومة خطره على الأمن ، فقررت نفيه إلى « حلفا » فثار على هذا التصرف سكان الوادى خوفا على معتقداتهم ، وناشدوا ولاة الأمور أن يطردوه إلى مكانه الأول (٢) .

* * *

إن ظهور هؤلاء الأفاكين حينا بعد حين ، أعظم الدلائل على صدق خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وعلى أن النبوة قد ختمت به فلا نبى بعده .

ذلك بأنهم يظهرون وبرهانات الكذب تحيط بهم ثم تلبسهم ، ويتخذ الناس منهم — حتى العامة — طريقا للتندر والاستهزاء والسخرية .

لكن هذا لن يمنع أولى الأمر أن يضربوا على أيديهم درءا لما يخشى من فتنتهم للبله والأغرار من أشباه الناس . . ثم إعظاما لمقام النبوة .

* * *

(١) من محاسن الموافقات أن يكتب ببسط وإفاضة فى نحلتى البهائية أو القاديانية أوهما معا ، رؤساء تحرير هذه المجلة على التعاقب : فكتب أستاذنا الأجل السيد الخضر فى البهائية فى المجلد الأول ، وفى القاديانية فى المجلدين الثالث والرابع ؛ وكتب الأستاذ وجدى فى البهائية والقاديانية فى المجلد الخامس ، وكتب الأستاذ السيد محب الدين فى البهائية فى المجلد السادس والعشرين ، عدا ما كتب كتاب آخرون فى أجزاء شتى .

(٢) اقرأ أنباء الخرطوم فى أهرام السبت ٧ / ١ / ١٩٥٦

وإذا كانت النبوة قد ختمت بالخاتم صلوات الله وسلامه عليه ، فان ورثة الأنبياء من أمته ، قد ورثوا عنه مقام البلاغ من بعده ، فكان أعلى من بلغ عنه أصحابه رضى الله عنهم ... بلغوا جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، فى ليله ونهاره ، وسفره وحضره ، وجهره وسره ، ثم التابعون لهم بإحسان ممن بشر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بأنهم لا يزالون قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ... فبنورهم يقتدى المهتدون ، وعلى منهجهم يسلك السائرون .

* * *

ولا يعارض ختام نبوته صلى الله عليه وسلم ، نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان من السماء حكما عدلا مقسطا ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ؛ لأنه لا ينزل بشرع جديد ، وإنما يحكم بشريعة أخيه وأولى الناس به .

لا جرم أن اتباع عيسى لأخيه محمد ـ عليهما صلوات الله وسلامه ـ تأييد لنبوته ـ وتصديق لدعوته ـ وتكريم لخير أمة أخرجت للناس ؟

طه محمد الساكت



نظرية التطور

فى علوم العرب ودراساتهم

قال العلامة درابر الأمريكى :

« تأخذنا الدهشة أحيانا عند ما ننظر فى كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد إلا فى زماننا ، كالرأى الجديد فى ترقى الكائنات العضوية وتدرجها فى كمال أنواعها ، فان هذا الرأى كان مما يعلمه العرب فى مدارسهم ، وكانوا يذهبون إلى أبعد مما ذهبنا ، فكان عندهم عاما يشمل الكائنات العضوية والمعادن . والأصل الذى بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى المعادن فى أشكالها » .

بنو اسرائيل في الماضى والحاضر

— ٢ —

اليهود قوم بهت[١] : و بنو إسرائيل عريقون فى الكذب لا يتورعون عن الافتراء ولا عن مناقضة أنفسهم بين ساعة ومنتهاها ، وتلك طبيعة فيهم . روى الثقات[٢] أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة جاءه عبد الله بن سلام فسأله عن أشياء لا يعلمها إلا نبى ، فأخبره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم قال : يارسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بأسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فدخلوا عليه ، فقال : « يا معشر اليهود ، ويلكم ، اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا ، وأنى جئتكم بحق ، فأسلموا ، فقالوا : ما نعلمه ، قال : فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ، ما كان ليسلم ، قال : يا بن سلام اخرج عليهم ، فخرج فقال : يا معشر يهود ، اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بالحق ، فقالوا : أنت شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه ! فقال : يا رسول الله هذا الذى كنت أخاف .

فهل رأيت ـ أيها القارئ ـ فى باب الهوى المتبع والتناقض المشين أعجب من هذا ؟ !

* * *

اجتراؤهم على الله سبحانه :

وقد بلغ بعلمائهم الطيش وخفة الأحلام غايتهما حينما تعدوا على الرب جل وعلا ،

---

(١) بهت بضم الباء والهاء : جمع بهوت كرسول ورسل ، والبهوت : العريق فى الكذب والافتراء .

(٢) صحيح البخارى قبل « باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة » .

ورموه بأقبح الصفات . روى ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال : « دخل أبو بكر رضي الله عنه بيت المدراس (١) ، فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص ، اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل ، فقال فنحاص : والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم [٢] : ينهاكم عن الربا ، ويعطيناه ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا .

فغضب الصديق أبو بكر رضي الله عنه ، وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ـ على ما كان يتصف به الصديق من الحلم والرزانة والوقار ـ وقال : والذى نفسى بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك ياعدو الله. فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يامحمد، انظر ماصنع بى صاحبك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما حملك على ماصنعت يا أبا بكر » ؟ فقال : يارسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيما ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء . فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه . فجحد فنحاص وقال : ماقلت ذلك . فأنزل الله سبحانه ردا على فنحاص وأتباعه وتصديقا للصديق أبى بكر قوله : «لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ،سنكتب ماقالوا، وقتلهم الأنبياء بغير حق، ونقول ذوقوا عذاب الحريق ؛ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » ثم تستطرد الآيات الى كذبة أخرى من كذباتهم على الله ، فيقول الله سبحانه : « الذين قالوا ان الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم ، فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » (٣)

---

(١) المدراس : الكنيسة التى يتدارسون فيها كتابهم .

(٢) يريدون ـ لعنهم الله ـ قول الحق تبارك وتعالى حاثا على الانفاق والتصدق فى سبيل الله : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » الآية .

(٣) سورة آل عمران الآيات من ١٨٢ — ١٨٤ .

ويتصل بفريتهم السابقة فرية أخرى ، وهى زعمهم أن الله بخيل (١) - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - لأنه يضيق عليهم فى بعض الأحيان ، ولا يعطيهم من الأموال والخيرات ما يملأ عيونهم التى لا يملؤها التراب ، فأكذبهم الحق ولعنهم ، وبين أن يديه تفيضان بالجود والخير العميم لمن يشاء ، وأنهم قوم أكل الحقد والحسد قلوبهم ، وتغلب عليهم حب الشر واراقة الدماء ، ولولا أن الله يرد كيدهم فى نحرهم ويطفئ نار فتنتهم لامتلأت الأرض بالفساد والخراب . وإليك قول الحق تبارك وتعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فسادا ، والله لا يحب المفسدين » [٢]

وما كان لنا أن ندع قصة فنحاص وما فيها من حماقة حمقاء ، وضعف فى الجدال ، وتلبيس على السذج من الناس ، بألقاء الشبهات والترهات وبدء بالعدوان الأثيم ، ثم اسراع إلى التظلم وبث الشكوى ، ما كان لنا أن ندع ذلك دون أن نبين أن سلالاتهم من سكان - ما زعموا - إسرائيل قد اقتدوا بهم حذو النعل بالنعل ، فما من مرة يغدرون فيها ، ويسفكون الدماء ، وينقضون العهود ، إلا وتجدهم يقيمون غدرهم على أساس أوهى من بيت العنكبوت ، ويسرعون بالشكوى التى يملئونها زورا وبهتانا كى يوهموا من لا يعلم الحق والواقع - أو يعلم ولكن يتجاهل - أنهم مظلومون ومجنى عليهم وأن الحق معهم ، والحق منهم برىء .

ألا ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أشد التطابق بين شذاذ الآفاق ورذالة الخلق فى الحاضر وأسلافهم الذين شردهم بختنصر ، وسامهم الخسف والهوان طيطوس الرومانى فى القديم ! !

وقد يستبد ببعضهم الهوى والغضب فيلقون بالقول جزافا ، وقد يترتب عليه إنكار بعض الحقائق المقررة التى يعترفون بها ولا يسعهم إنكارها ؛ قال سعيد بن جبير : جاء رجل

---

(١) قيل إن قائل ذلك هو فنحاص أيضا ، وقيل غيره . وأيا كان القائل فقد ارتضى هذا وذاك الكثيرون منهم ولم ينكروه .

(٢) المائدة الآية ٦٤

يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي: «أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى، أما تجد فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين» ـ وكان حبرا سمينا ـ فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء. فقال له أصحابه من اليهود لما علموا بمقالته: أليس أن الله أنزل التوراة على موسى؟ فلم قلت هذه المقالة. فقال مالك: أغضبنى محمد، فقلت ذلك (١). وفى رواية لابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود: يا محمد، أنزل الله عليك كتابا؟ قال: نعم. قالوا: والله ما أنزل الله على بشر من شيء. فأنزل الله سبحانه: «وما قدروا الله حق قدره» الآية.

وقد لقن الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم حجة دامغة أفحمتهم وألقمتهم حجرا فقال: قل لهم: إذا كان الأمر كما زعمتم فمن الذى أنزل التوراة على موسى الذى آمنتم به واعترفتم برسالته؟ وقد ذكر الله مقالتهم، والرد عليها فى قوله: «وما قدروا الله حق قدره، إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم، قل الله، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون (٢)».

فهل مثل هؤلاء الذين يستخفهم الغضب والحمق إلى أنكار أمر مقرر عندهم يرجى منهم أو من أسلافهم وسلالاتهم إذعان لحق أو إقرار بفضل لذويه مهما تواردت عليه البينات؟؟ وأليسوا الآن إذا استبد بهم الغضب والطيش ينكرون البدهى من حقوق

---

(١) تفسير القرطبى جزء ٧ ص ٣٧.

(٢) سورة الأنعام الآية (٩١). وللمفسرين فى هذه قولان: الأول: أنها نزلت فى اليهود، وأنهم هم المخاطبون بها. والثانى: أنها نزلت فى المشركين، وأنهم الذين قالوا هذا القول. ويرجحون هذا بأن السورة مكية. والذى يترجح عندنا ـ والله أعلم ـ الأول، ولا يشكل كون السورة مكية فبعض السور المكية فيها بعض الآيات المدنية. وقد ذكر البغوى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «نزلت سورة الأنعام بمكة إلا قوله تعالى: «وما قدروا الله حق قدره» الخ الآيات الثلاث، وقوله تعالى: «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم ـ إلى قوله ـ لعلكم تتقون» فهذه الست الآيات مدنية. ويكاد يعين أن الآية فى اليهود الرد عليهم بقوله سبحانه: «قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى»، ولو كانت فى المشركين لما اتجه الرد، إذ المشركون لايقرون بنبوة موسى فضلا عن غيره.

الإنسان فيأتون المنكر من القول والسيئ من الفعال التي يندى لها جبين الإنسانية المهذبة الفاضلة . ؟ ؟

* * *

عداوة بني إسرائيل لأنبيائهم وقتلهم لبعضهم :

قلنا فيما سبق إن بني إسرائيل عرفوا من قديم الزمان بعصل الطباع ، وفساد الفطرة ، وضراوة الأخلاق ، والشهوة إلى إراقة الدماء . وقد وجد منهم موسى أسوأ ما وجد نبي من قومه ، ووجد منهم الأنبياء من بعده العنت والأذى والقتل، حتى لقد روى أنهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ، وكان ممن قتلوا نبيا الله : زكريا ويحيي عليهما السلام ، وقد قيل إنهما قتلا في حادثة واحدة وفي يوم واحد ، وكان يحيي تقيا صالحا ويعتبر حجة في الشريعة الموسوية ومرجعا لكل من يستفتي في أحكامها، وكان في زمانه حاكم من حكام فلسطين، وكان له بنت أخ بارعة الجمال أراد عمها أن يتزوجها ، لكن يحيي أبى ذلك لأنه حرام ، فأوعزت أم البنت إليها أن تخرج إلى عمها في زينتها ، فأذا ما سألها عما تريد فلتقل له إنها تطلب رأس يحيي بن زكريا في هذا الطبق ، ونفذت البنت هذه الخطة الماكرة ، فما كان من عمها إلا أن أجابها إلى ما أرادت وقتل نبيا كان سيدا وحصورا ومن الصالحين ، فلما رأى أبوه زكريا ذلك فر فأدركوه وقتلوه . وقد انتقم الله منهم وسلط عليهم من أكثر فيهم القتل وسامهم سوء العذاب .

* * *

رميهم السيدة مريم بالزنا وهمهم بقتل السيد المسيح عليه السلام :

كان حمل مريم بولدها عيسى عليه السلام من غير أن يمسسها بشر آية خارقة من آيات الله، ومعجزة من المعجزات الخالدة، فلما ولدت العذراء البتول ولدها وجاءت به إلى قومها تحمله أرجف بها المرجفون من بني إسرائيل، ورموها بالزنا وهي منه براء، ولكن الله الذي يتولى الصالحين والصالحات من عباده أنطق عيسى وهو لا يزال في المهد صبيا « قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » الآيات . فكان في هذا الأرهاص تبرئة لساحة السيدة العذراء مما رماها

به هؤلاء الملاعين الأرجاس . ثم ينبأ عيسى ويأتي بشريعة مصدقة لشريعة موسى عليه السلام، فيجد بني إسرائيل نسوا حظا مما ذكروا به، وغيروا فيها وحرفوا وطال عليهم الأمد حتى قست قلوبهم وأقفرت نفوسهم من معاني الهدى والحق والخير ، وهاله ما صنعوه بابن خالته يحيي وأبيه، فصار يعظهم ويذكرهم بعبارات ترقق القلوب القاسية وتلين الصخور الصماء ، فما لانت قلوبهم، ولا تركوا ماكانوا عليه من الجشع وحب الدنيا وسفك الدماء وأكل أموال الناس بالباطل، فكادوا له عند الوالي وادعوا أنه يقول انه ملك اليهود، وانهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية، فأرسل الوالي الجند للقبض عليه، وما أن هموا بأخذه حتى ألقى الله شبهه على أحد تلاميذه وهو يهوذا الأسخريوطي ، فأخذوه وصلبوه وقتلوه ، وأنجى الله عيسى ورفعه اليه ، وأشاعوا القالة بين الناس أن عيسى قتل ، والحق أنهم ما قتلوه ولا صلبوه ولكن شبه لهم ، وماكان ذلك عن يقين وإنما كان ظنا ممزوجا بالشكوك ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما»

* * *

فيا أتباع المسيح عليه السلام : كيف نسيتم ما رمى به بنو إسرائيل مريم الطاهرة وما اضطهدوا به المسيح ، وماهموا أن ينالوه به ، فأغدقتم عليهم السلاح والمال ؟ وبأي وجه ما لأتم من لا عهد لهم ولاذمة على العرب الذين نصروكم في حربين عالميتين ، ولولا جهودهم لكنتم الآن في الغابرين الهالكين ؟

إن المسيح عليه السلام يتبرأ إلى الله مما تصنعون »

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

السفير الأزهرى

للأزهر سفارات إلى كثير من أقطار العالم يرجع تاريخها إلى بعيد عهد إنشاء الأزهر ، فقد رحل بعض علمائه إلى كثير من أقطار العالم، ينشرون دعوة القرآن ولغة القرآن ، ويبشرون برسالته ، فلقوا من شعوبه من الحفاوة والتقدير ما يناسب مهمتهم ويليق بسفارتهم ، وليس هناك أكرم ولا أشرف من تبليغ دعوة الإسلام والتعريف بها .

وعلى كواهل هؤلاء السفراء قام مجد مصر، و بعد صيتها ، وذاعت شهرتها ، فأصبحت على طول المدى أشهر دولة إسلامية فى العالم، يعترف بزعامتها ما بعد وما قرب من شعوب الشرق والغرب ، ولم يقم مجد مصر على سفارة سياسية أو اقتصادية ، وإنما قام مجدها على السفارة الإسلامية الأزهرية ، وكان من حسن حظ مصر أن يكتب لها التوفيق ، فنجح هؤلاء فى سفاراتهم ، وحققوا لمصر مجدا تاريخيا حديثا وصل مجدها التاريخى القديم لعهد الفراعنة .

والمتحدث فى تاريخ السفارات الأزهرية لا ينسى سفارة الإمام الشيخ محمد عبده الاضطرارية ، حين نفاه الخديوى عباس من مصر ، لسلوكه سياسة تناهض سياسة القصر ، فطوف فى باريس ، ولندن ، وسويسرا ، ولبنان ، وكان فى جميع هذه البلاد المثل الأعلى للسفارة العلمية والخلقية والدينية والوطنية . ففى باريس أصدر بمعاونة أستاذه السيد جمال الدين الأفغانى العروة الوثقى ، وهى الصحيفة التى وقفها على الدفاع عن وطنه ، ورسم الخطط لأنهاضه وتحريره ، بل لأنهاض العالم الإسلامى جميعه وتحريره ، واحتلت مكانة مرموقة فى ميدان الصحافة ، مع قصر عهدها وضيق نطاقها وقلة إمكانياتها ، وفى بيروت كان المرشد الصالح ، والعالم العامل ، فدرس فى معاهدها ، ووعظ فى مساجدها ، وألف بعض كتبه ، وترك هناك ذكرا يتضوع شذاه ، ويعبق أريجه مدى الدهر .

وفى هذه الأيام يطوف بالعالم سفير أزهرى ، وهو أول سفير رسمى اختارته الثورة لأعمال رسمية ، وسيجدد فى العالم ذكرى السفارات الأزهرية الموفقة . وكان من حظ مصر والأزهر أن يكون السفير الأزهرى الرسمى السيد أحمد الباقورى ، ذلك الرجل الذى جمع – إلى

نشاط الشباب وفورة العواطف الدينية والوطنية ـ حكمة الشيوخ وحصافتهم ، كما جمع ـ إلى ذرابة اللسان وقوة البيان ـ قدرة كتابية نادرة ، وتوافرت له ثقافة دينية مستنيرة وتجارب سياسية خطيرة ، وكان لذلك خليقا أن ينجح فى سفارته ، وكان من تمام التوفيق أن تقتضى المصلحة الوطنية أن يتنقل الأستاذ الباقورى فى بلاد كثيرة ، ليكون التعريف بمصر الحديثة والأزهر الحديث أوفى وأشمل .

وستكون رحلات الأستاذ حجة قاطعة لألسنة الذين يتخرصون على الأزهر فى أن رسالته انتهت ، وأن الحاجة إليه قد فرغت ، وأن التعليم فيه بلا هدف ولغير غاية .

إن نجاح الأستاذ الباقورى فى سفارته الرسمية يرجع أكبر الفضل فيه إلى الأزهر وإلى شهرته الدينية والثقافية . فلقد كان له فى رحلاته صفتان : صفة رسمية مصرية عامة ، وصفة أزهرية إسلامية خاصة ، وقد تظاهرت الصفتان على نجاحه . فبحب الأزهر ورجاله تدافعت الشعوب إلى استقباله وتكريمه ، وبحب مصر وثورة مصر ونهضة مصر تنافست الحكومات فى الترحيب به والتقدير لرسالته ، ولا شك أن الأستاذ الباقورى قد لمس ذلك فاغتبطت نفسه ، وانشرح صدره ، فزاد اعتزازه بمعهده ، وتضاعف حبه له ، وقويت رغبته فى التحفى به والعمل على إنهاضه .

إننا نتوقع أن تجنى مصر من سفارة الباقورى إلى الأقطار التى سفر إليها أرباحا سياسية وأدبية ، فالباقورى سياسى حصيف تمرس بأساليب السياسة وخاض غمارها وذاق حلوها ومرها ، وامتحن بها ولم يسلم من محنها ، فإذا دخل من أبواب السياسة الضيقة كان على علم بها وبصر بمذاهبها وخرج منها ظافرا ، أما الربح الأدبى فهو فى ذلك التقارب الذى سيحققه بين مصر وبين الشعوب التى وفد إليها وتحدث إلى جماهيرها بلسان الزعيم الدينى الذى تحرر من قيود الوظيفة وتقاليد السياسة ، فصور لها عواطف مصر وأمانيها ورغبتها فى التعاون معها على إنهاضها وتحريرها ، وهو إذ يعود إلى مصر فسيصور للشعب المصرى أمانى تلك الشعوب وعواطفها وآمالها فى مصر ، فيربط بينها برباط المحبة والمودة والرغبة الصادقة فى التعاون على ما فيه الخير للجميع فى سائر الميادين .

وسيكون للأزهر من هذه الزيارات حظ خاص يضاف إلى ما ستفيده مصر عامة منها ، فمن بين ما سيضعه الوزير بين أيدى المسئولين ما لمسه فى تلك الأقطار من تقدير للأزهر ورسالته ، وشدة تعلقهم به ورغبتهم فى الاستفادة منه ، وأنه الرباط المقدس بين مصر وكثير من الشعوب الإسلامية فى الشرق والغرب ، به تتعلق أنظارهم ، وإليه تهفو قلوبهم . وأن التعليم به نوع من التعليم لا تغنى عنه جامعات العالم قديمها وحديثها ، وسيكون ذلك باعثا

لأولى الشأن على مضاعفة العناية به ، وتهيئة الوسائل اللازمة للمضى فى رسالته .

وربما كان من نتائج رحلات السيد الباقورى أن يفكر القادة فى الاستفادة من السفارة الأزهرية إلى بعض الشعوب ، وقد يرون أنها أجدى على مصر من غيرها، فالسفير الأزهرى بطبيعة ثقافته و تقاليده الخلقية أقرب إلى قلوب الكثرة الغالبة فيها و إلى عواطفهم ، و أن الأنس به والثقة فيه أوفى من الثقة بغيره .

وفى الجملة فسيخرج السيد الباقورى من رحلاته المتعددة بتجارب ومعلومات قد تكون أساسا صالحا لوضع علاقات جديدة بين مصر وغيرها من الشعوب ، أو لتعديل بعض هذه العلاقات على ضوء الخبرة والمعرفة الشخصية ، وستأخذ رحلاته مكانها فى تاريخ الرحلات الأزهرية التى تفاخر بها مصر ويفاخر بها الأزهر ما

أبو الوفا المراغى



الوطن العربي الاكبر

(وطن واحد) لأبناء (سام)	عربى فى خطوه ومجاله
كفلته الصحراء شرقا وغربا	حين فت الأعداء فى أوصاله
ليس (عمرو) و (خالد) غير قطبين	أطلا منه على آماله
بعثاه بعثا جديدا أرانا	ضوء مجد مخلد فى مثاله
هجرة إثر هجرة من صحارى	كن أصلا للبحر فى جباله
ملأت أفقه بآمال مجد	فمشى البحر ناشطا من عقاله
مصر والشام فرعه الوارف الظل	وأهل القطرين من أشباله

محمد الشربيني

الرشوة من أدوائنا الخطيرة

ليس من السهل أن تقنع الرجل العابث بأنه جزء من المجموعة التى تتكون منها الأمة ، وأن الأمة ما لم تكن كتلة واحدة تعمل متضامنة متعاونة ، فلن يرجى لها رقى ولا تقدم فى الحياة الإنسانية ، فأن الفرد المتهاون فى مجد قومه ، يرى نفسه أمة وحده ، و يعمل على أن مصلحته فوق كل مصلحة ، و ينشد مع الشاعر :

اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر

و إذا جاذبته القول ، فأبنت له أن النصر فى المعارك الحربية ، لا يستجيب لطالبيه حتى يكون الذين يقاتلون كالبنيان المرصوص ، وأن معركة الحياة ليست أقل خطرا من تلك المعارك الحربية ، وأن النصر فيها لابد ـ أن يكون ـ أيضا بالتكتل والمحبة، وشعور كل فرد بأنه جزء من البنيان المرصوص ، لا يقوم البناء إلا بتضامن الجميع ، وليست مجاهدة الحياة ، والارتفاع بالأمة ، والسير بها فى طريق النهوض فى حاجة أشد من حاجتها بأن يؤدى كل عامل ما نيط به أداؤه من الأعمال على أتم الوجوه ، إذا ألقيت إليه هذا النصح أجابك : أنا و بعدى الطوفان ، و بذلك تخطو الأمة التى تسود فيها هذه الروح : روح الأثرة ، وحب الذات ، خطوات متعثرة ، مضطربة ، ربما أفضت بها إلى أوخم العواقب .

وفى الأمم معاول هدامة كثيرة ، لا يخطئها النظر السطحى ، فكل رذيلة من شأنها أن تعوق تقدم الأمة ، وأن تجعل الثقة مفقودة بين أبنائها ، فهى معول هدام ، وسوس ينخر فى عظام الأمة ، حتى يوردها موارد الهلكة ، ما لم يتداركها الله بعنايته ، فيقيض لها من أبنائها المخلصين من يضرب على أيدى العابثين .

ولعل الرشوة من أخطر المعاول التى تعمل فى هدم الأمم، وهى كذلك من الرذائل التى تدل على دناءة النفس ، وسقوط المروءة ، وضعف الدين ، كما أنها ـ ولا شك ـ شهادة صريحة على أن الفرد لا يعمل للمجتمع ، ولا يهمه شأنه ، وأنه لا يدرك واجب الأمة نحوه ، وأن ضميره الاجتماعى ضمير ميت .

ومما تكاد النفس تتقطع له أسى وحسرة أن الرشوة لا تزال عند كثير من الناس أمرا متعارفا مقبولا ، وليس أدل على ذلك من أن الجمهور نفسه لا يزال يعتقد أن صاحب المصلحة لا يمكن أن يجد سبيلا إلى قضائها ، إلا إذا مد يده لمن يملك أن يقضيها له ، وليست هذه البلوى فى أوساط الموظفين فحسب ، بل هى - مع كل أسف - شائعة فى كل وسط من أوساط الأمة . ما دام هناك صاحب حق ، ومن يملك إعطاء هذا الحق أو منعه .

وقد أحسنت الثورة أيما إحسان حين شددت العقوبة على المرتشين ، وكان أملنا قويا أن يقضى هذا الاتجاه الحازم من قادة مصر على الرشا قضاء مبرما ، ولكن ما زلنا - بالرغم من سوء العواقب التى يئول إليها أمر المرتشين - نرى آثارها باقية ، والحيل فى أخذها تجدد كل يوم .

والرشوة على أى وجه من وجوهها سحت ودناءة : سواء كانت مالا يدفع فى سبيل إيصال حق إلى صاحبه أو منع حق عن مستحقه ، أو مالا يدفع بعد أن يقوم من عليه أداء هذا الواجب بأدائه ، أو كانت فى صورة هدية لهذا الغرض .

ولقد حدث أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا على صدقات بعض القبائل ، فلما جاء الوالى إلى رسول الله ، أمسك بعض ما معه ، وقال : هذا لكم ، وهذا لى هدية ، فقال عليه الصلاة والسلام : ألا جلست فى بيت أبيك و بيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ، ثم قال : مالى أستعمل الرجل منكم فيقول : هذا لكم ، وهذا لى هدية ، ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له ، والذى نفسى بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى الله يحمله . !

وهذا أبلغ زجر ، وأشد تحذير ، وقد صاغه الرسول فى صورة منفرة رادعة ، مهينة للمرتشى ، « ألا جلس فى بيت أمه » . ثم أبان عن نتيجة هذا العمل ، وأن صاحبه سيأتى يوم القيامة وهو يحمل فوق ظهره ما أخذه .

والرشا تجعل الأعمال فوضى ، فصاحب الحق ربما تعذر عليه الوصول إلى حقه ، والمبطل يستطيع أن يفوز بباطله ما دام يملك الوسيلة التى تجعله صاحب حق ، ومن هنا تملأ الأحقاد نفوس الناس ، وتنتشر بينهم البغضاء ، فطبيعى أن كل صاحب حق إذا لم يصل إليه حقه حتى يبذل فيه ، فأنه يرى فى العامل أو الموظف مغتصبا ، ولا ينظر

إليه إلا بعين الساخط المتذمر ، ولولا الخوف من الدين أو القانون لبطش به . ثم هذه الرشا تعطل القوانين ، وتجعلها حبرا على ورق ، لا أثر لها إلا فى اللوائح والدساتير ، أما فى نفس العامل ، أما فى واقع الأمر ، فهى وهم وخيال ، وحسبنا بهذا فوضى فى أعمال الأمة ونهضتها ، وإن أمة تتقطع أواصر المحبة بين أبنائها ، وتنعدم بينهم الثقة ، وتسود فى صفوفهم البغضاء ، لأمة مسكينة ، توشك - إن استفحل الداء - أن تنهار .

وما أبلغ قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقربه إلى أن يسود التعاطف والحب بين الناس ، وأن تستقر أمور الأمم على وضع سليم ، وذلك حيث يقول : «اجعلوا الناس فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وإياكم والرشا ، والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب ، فقوموا بالحق ، ولو ساعة من نهار » .

ومما هو واضح لا يحتاج إلى برهان أن النفس مجبولة على حب الخير ، وأنها مجبولة - كذلك - على حب من يوصل هذا الخير لها ، فإذا سمحت نفس العامل أو الموظف بقبول الرشوة ، أو أخذ الهدية ، فإنه يميل بطبيعة الحال إلى الراشى أو المهدى ، فينظر إلى حاجته نظرة أخرى ، فهو يعمل جاهدا لإنجازها ، ويحتال على القانون ليجد لها منفذا - إن سدت المنافذ - ولا يقلق ضميره أن يضر آخرين ، أو يعطل مصالحهم ، بل لا يعنيه عدل ولا إنصاف .

ولقد حدثوا أن بعض قضاة المهدى الخليفة العباسى جاءه يوما ، وهو خال ، فاستأذن عليه ، فلما دخل طلب منه أن يعفيه من القضاء ، وأن يقيله من ولايته ، فظن المهدى أن بعض الولاة عارضه فى حكمه ، فقال له فى ذلك ، انه إن كان عارضك أحد لننكرن عليه ، فقال القاضى : لم يكن من ذلك شىء ، قال المهدى : فما سبب استعفائك من القضاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين : كان تقدم لى خصمان منذ شهر فى قضية مشكلة ، وكل يدعى بينة وشهودا ، ويدلى بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت ، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا ، فسمع أحدهما أنى أحب الرطب ، فعمد فى وقتنا هذا ، وهو أول أوقات الرطب ، فجمع رطبا لا يتهيأ فى وقتنا جمع مثله لأمير المؤمنين ، وما رأيت أحسن منه ، ورشا بوابى بدراهم على أن يدخل الطبق على ، فلما أدخله علىّ أنكرت ذلك ، وطردت بوابى ، وأمرت برد الطبق فرد عليه ، فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلى فما تساويا فى عينى ولا قلبى ، فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل ، فكيف يكون حالى لو قبلت ؟ ولا آمن أن تقع على حيلة فى دينى فأهلك ، وقد فسد الناس ، فأقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله ، وأعفنى عفا الله عنك . . . فأقاله .

وعلى ذكر القضاة ونزاهتهم يحلو لى أن أذكر أن بعض قضاة مصر فى العصور الأولى لما ولى القضاء دعا امرأته ، وقال لها : كيف علمت محبتى لك ؟ قالت : جزاك الله من عشير خيرا ، قال : قد علمت ما بلينا من أمر الناس كلهم ، فأنت الطلاق ، فصاحت ، فقال : إن كلمتنى فى خصم أو ذكرتنى به ، قالوا ، فأن كانت اترى دواته قد احتاجت إلى الماء فلا تأمر بها أن تمد خوفا من أن يدخل عليه فى يمينه شىء .

ونختم هذا الحديث بأبيات الشاعر الصوفى ، وقد رأى الرشا تنتشر فى عصره فقال :

نقدت طوائف المستخدمينا فلم أر فيهم رجلا أمينا
فكتاب الشمال هم جميعا فلا صحبت شمالهم اليمينا
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا بهم فكأنما سرقوا العيونا

ثم يقول :

أمولاى الوزير غفلت عما يتم من اللئام الكاتبينا
تنسك معشر منهم وعدوا من الزهاد والمتصوفينا
وقيل لهم دعاء مستجاب وقد ملئوا من السحت البطونا

علي العماري

أسرار الحياة

* عند ما فهمت أسرار الحياة تشوقت إلى الموت لأنه أعمق أسرار الحياة .
* من حسنات الناس أنهم لا يستطيعون إخفاء سيئاتهم طويلا .

جبران خليل جبران

حقوق الانسان

والتضامن الاجتماعى

فى دستور مصر الجديد

— ١ —

١ — فى ١٦ يناير ١٩٥٦ أعلن دستور الشعب المصرى الذى وضعته الثورة من واقع الحياة المصرية والمجتمع المصرى ، جامعا بين محاسن الديمقراطية والاشتراكية ، ومبرزا للعدالة الاجتماعية والتضامن الاجتماعى ، فى قالب جديد ، يتضح منه لكل مطلع ومتمعن مدى التحول فى المجتمع المصرى من العهود المظلمة إلى عهد مضىء لامع ، ومدى الوثبة التى وصل بها هذا المجتمع إلى تحقيق أمل كبير فى سبيل الحرية والكرامة والعدالة فى مظاهرها الاجتماعية والاقتصادية .

٢ — ولما كانت حقوق الإنسان المصرى من أهم ما أبرزه مشرع الدستور الجديد ، فضلا عن التقنين الصريح لمظاهر التضامن الاجتماعى ، فقد أضحت هذه الحقوق وتلك المظاهر من أحق الجوانب المضيئة فى هذا الدستور بالإعجاب والحمد ، الأمر الذى يجعل فرضا على باحثى القانون والاجتماع أن يبرزوها ويقدروها ، حتى تلقى فى مجال التطبيق والعمل ما لاقته فى مجال التقنين والصياغة من حسن أداء وعرض .

٣ — ويهمنا فى التمهيد لإبراز هذه الجوانب المضيئة فى حقوق الإنسان المصرى والأخذ بفكرة التضامن الاجتماعى أن نبدأ بالقول بأنه كان من شأن انتشار المبادىء الديمقراطية فى المجتمعات الحديثة الاعتراف للأفراد بمجموعة من الحقوق ، أطلق عليها اسم (الحقوق الفردية Droits Individuels) ، ولقد صاحب هذا الاعتراف البحث عن الأساس الذى يستوجبه تقرير حقوق خاصة بالفرد يتمتع بها فى نطاق المجتمع ويواجه بها السلطة الحاكمة فى الدولة .

٤ — فقيل بأن أساس تقرير هذه الحقوق يستند إلى الأوامر الدينية التى تأمر به ، وقيل باستناده إلى القانون الطبيعى (Droit Naturel) ، ذلك القانون الذى يهتدى إلى مبادئه وقواعده كل امرئ بفطرته عن طريق توجيه العقل وإرشاده ، وقيل بأن الأساس فى تقرير هذه الحقوق إنما يرجع إلى سيادة نظرية (العقد الاجتماعى Contrat Social) التى قال بها جان جاك روسو ، ومن مقتضاها أن الناس قد اجتمعوا فى يوم من أيام التاريخ ، واتفق كل منهم على أن ينزل عن جزء من حريته التامة للسلطة العامة ، حتى تقوم الدولة ، غير أن نزوله عن هذا الجزء لا يعنى نزوله عن الجزء الآخر من حريته ، لذلك استبق لنفسه هذا الجزء الأخير ، والذى لا يعدو فى الواقع أن يكون مكونا للحقوق الفردية التى صار لا مندوحة من تمتع الفرد بها فى نطاق المجتمع — غير أن الأساس السليم فى هذا الشأن هو أن وجود الدولة منوط بقيامها بحماية الفرد فى مجتمعها ، وما دام الفرد له إدراكه وتمييزه ، فيجب أن تعترف الدولة له بهذه الحقوق الشخصية ؛ إذ أن هذا الاعتراف يضحى — والحالة هذه — ضرورة لا محيص عن تسليمها ، ليستطيع الفرد أن يباشر نشاطه وحيويته ، ويرقى بذهنه ومركزه ، مباشرة تستوجبها طبيعة الأشياء ، ويحتمها الفكر والمنطق ! .

٥ — وأول هذه الحقوق هو الحق فى المساواة المدنية (L'égalité civile) وبمقتضاها يتساوى الأفراد جميعا أمام القانون ، فلا تميز التشريعات التى تصدرها الدولة بين فرد وآخر أو تحابى طبقة دون طبقة ، وهذا ما أخذ به مشرع الدستور المصرى الجديد فى المادة ٣١ منه التى نصت على أن المصريين لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة ، ولا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .

٦ — ومن مقتضى تلك المساواة أيضا عدم التفرقة بين الأفراد فى قيامهم بالتكاليف والأعباء العامة ، كالتكليفات العسكرية ، والالتزام بدفع الضرائب ، فلا تجبر طبقة أو فرد على دفع ضريبة لا يتساوى فى دفعها مع الآخرين من أبناء الأمة ، إلا إذا كان ذلك مما يوجبه التوزيع العادل للتكليفات المالية كما فى حالة فرض الضريبة التصاعدية ، لذلك نص الدستور الجديد فى المادة ٢٢ منه على أن (العدالة الاجتماعية) هى أساس الضرائب والتكاليف العامة ، ونص فى الوقت نفسه فى المادة ٥٩ على أن أداء الضرائب والتكاليف

العامة واجب، وأن قوانين الضرائب تنظم إعفاء الدخول الصغيرة من الضرائب، بما يكفل عدم المساس بالحد الأدنى اللازم للمعيشة، كما جاء بالمادة ٩٤ منه أن إنشاء الضرائب العامة أو تعديلها أو إلغاءها لا يكون إلا بقانون، وأنه لا يجوز تكليف أحد أداء غير ذلك من الضرائب أو الرسوم إلا فى حدود القوانين الخاصة بالضرائب.

٧ — وتتمثل الحقوق الفردية كذلك فى تقرير حق الإنسان فى التمتع بحرياته، وهذه الأخيرة على ضروب شتى، تتعلق بعضها بالمصالح المعنوية للشخص، ويتعلق البعض الآخر بمصالحه المادية.

٨ — والحريات الفردية الخاصة بمصالح الفرد المعنوية عبارة عن حريته فى اختيار الدين والعقيدة التى يؤمن بها، وهى الحرية المعروفة بحرية الاعتقاد أو العقيدة Liberté de conscience، وبما أن هذه الحرية تقتضى أن يباشر الفرد عقيدته ودينه علنا، فلابد من تقرير العلنية فى مباشرة هذه الحرية، وقد أطلق على حق العلنية هذا فى التشريعات المقارنة (حرية علنية الديانة Liberté de culte) وبعد أن نص الدستور الجديد فى مادته الثالثة على أن (الإسلام) هو دين الدولة المصرية، قرر فى المادة ٤٣ منه أن (حرية الاعتقاد) مطلقة، وأن الدولة المصرية تحمى حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد طبقا للعادات المرعية فى مصر، مع عدم إخلال ذلك بالنظام العام والآداب العامة.

٩ — ويدخل فى الحريات المعنوية كذلك حريتا التعلم والتعليم d'apprendre d'enseignement. والحرية الأولى تعنى حق كل امرئ فى أن يتعلم أو ألا يتعلم، كما تعنى حق الفرد فى اختيار أساتذته الذين يفضل تلق العلم على أيديهم، بيد أن هذا الحق مقصور على الفرد الذى بلغ من العمر مرحلة يستطيع فيها حسن الاختيار، لذلك يقتصر هذا الحق على البالغين الرشد من الأفراد، وترك للدولة أن تختار للأطفال التعليم الذى يجب عليهم الانخراط فى سلكه، لهذا قرر مشرع الدستور الجديد فى المادة ٤٨ حرية التعليم، وقيدها بحدود القانون والنظام العام والآداب، ورأى فى المادة ٤٩ منه أن التعليم حق للمصريين جميعا تكفله الدولة بإنشاء مختلف أنواع المدارس والمؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيها تدريجيا، وأوجب على الدولة المصرية الاهتمام — على وجه الخصوص — بنمو الشباب البدنى والذهنى والخلق، كما أوجب عليها فى المادة ٥٠ الإشراف على التعليم العام، وقضى فى المادة ٥١ بأجبارية التعليم فى مرحلته الأولى.

١٠ — ومن أهم الحريات المعنوية « حرية الرأى Liberté d'opinion » و بمقتضى هـذه الحرية يكون للفرد أن يعبر عن أفكاره وآرائه بأية صورة من الصور : كالكتابة والقول والتصوير وما شابه ذلك ، ملتزما فى ذلك الحدود التى يضعها القانون المدى الذى يجب أن تكون عليه حريته فى هذا الشأن ، ومقدرة القانون فى هذا مقصورة على تحقيق المحافظة على حقوق سواه من الأفراد ، أى على النظر فى ضرورة تمتع الأشخاص الآخرين بالحرية نفسها ، ولذلك نص دستور الشعب الجديد فى المادة ٤٤ منه على كفالة (حرية الرأى والبحث العلمى) ، وقرر أن لكل إنسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير أو غير ذلك من الوسائل فى حدود القانون ، كما قرر فى المادة ٤٥ كفالة (حرية الصحافة والطباعة والنشر) وقيدها بصالح الشعب و بحدود القانون .

١١ — وكذلك الأمر بالنسبة لحرية الاجتماع Liberté d'union ، ونعنى هـذه الحرية أن للانسان حريته فى أن يجتمع بسواه من الأفراد ، وأن يعرض عليه ما يشاء من آراء ، بيد أنه نظرا لخطورة هذه الحرية ، فأن الدول تضع من التشريعات ما يجعلها تتلاءم مع مقتضيات الأمن والنظام العام ، ومع مقتضيات الاعتراف بها لسواه من الأفراد ، لهذا قرر مشرع الدستور فى المادة ٤٦ منه للمصريين حق الاجتماع ، وقيده بأن يكون فى هدوء و بغير حمل للسلاح ، وأعفى الاجتماع من توقفه على الإخطار السابق ، ومنع البوليس من حضور اجتماعات المصريين ، كما أباح الاجتماعات العامة والمواكب والتجمعات ، وقيدها بأن تكون فى حدود القانون ، وألا تكون أغراضها و وسائلها غير سلمية أو منافية للآداب .

١٢ — و يتصل بحرية الاجتماع حرية الفرد فى تكوين الجمعيات والشركات والنقابات ، وهذه حرية جديدة تنظمها تشريعات الدول الحديثة ، مع تسليمها بحرية الأشخاص فى إنشاء مثل هذه الهيئات ، ليستطيعوا — عن طريقها — التعبير عن آرائهم فى قوة تجعل لهذه الآراء سلطانها وأثرها فى تنظيم المجتمع وأوضاعه . وقد خول الدستور الجديد للمصريين فى المادة ٤٧ (حق تكوين الجمعيات) على الوجه المبين فى القانون ، وقرر فى المادة ٥٥ أن إنشاء النقابات حق مكفول . "

(له بقية) أحمد طه السنوسى

الانشاء وديوان الانشاء

(١)

لكلمة « صناعة الإنشاء » فى عالم الأدب – كما نفهم اليوم – معنى عام ومعنى خاص.

أما معناها العام فمزاولة الكتابة الفنية والتبريز فيها ، وبذلك تشمل كل فنون الكتابة من مقالات ورسائل وقصص ونحوها ، والمنشئ هنا أديب ناثر ، ويطلق عليه فى عصرنا الحديث لفظ « كاتب » كما يطلق على الإنشاء نفسه لفظ « كتابة » والكتابة أشهر ، والمراد منها الكتابة الفنية .

ونعنى بالكتابة الفنية حسن صوغ التراكيب اللفظية ودقته ، للدلالة على الصور الذهنية والعاطفية .

أما معناها الخاص ، فمزاولة كتابة الرسائل الديوانية ، فى ديوان الإنشاء – كان – . والمنشئ هنا أحد موظفى الديوان المذكور ممن كان يوكل إليهم تحرير الرسائل الملوكية ، ومن كانوا يشبهونهم من قبل .

ونعنى بكتابة الرسائل اختراع صورها اللفظية للدلالة على المعانى المقصودة منها .

وهذا هو ما نفهمه من كلام القلقشندى حيث قال فى صبح الأعشى :

« وأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تاليف الكلام وترتيب المعانى من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمان ، وما فى معنى ذلك ، ككتابة الحكم ونحوها » ، وعلى هذا الاعتبار جرى حديث القلقشندى عن الإنشاء فى كتابه المذكور .

ومن المناسب أيضا أن نذكر رأيه فى تعريف « الإنشاء » وفى الصلة بينه وبين الكتابة ، فلعل فيه شيئا من المخالفة ، لما تعورف عليه اليوم .

فبعد أن قال : إن « الكتابة » لا تخرج عن أصلين هما : كتابة الإنشاء ، وكتابة الأموال ، وما فى معناهما ، قال ما نصه :

« إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء ، حتى كانت الكتابة إذا أطلقت لايراد بها إلا كتابة الإنشاء ، والكاتب إذا أطلق لايراد

به إلا كاتبها . حتى سمى العسكرى كتابه : « الصناعتين : الشعر والكتابة » يريد كتابة الإنشاء . وسمى ابن الأثير كتابه : « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » يريد كتابة الإنشاء ، إذ هما موضوعان لما يتعلق بصناعة الإنشاء من علم البلاغة وغيرها .

ثم غلب فى زماننا بالديار المصرية اسم « الكاتب » على كاتب المال ، حتى صار الكاتب إذا أطلق لا يراد به غيره ، وصار لصناعة الإنشاء اسمان : خاص ، يستعمله أهل الديوان و يتلفظون به وهو « كتابة الإنشاء » ، وعام يتلفظ به عامة الناس وهو : « التوقيع » .

فأما تسميتها بكتابة « الإنشاء » فتخصيص لها بالإضافة إلى الإنشاء الذى هو أصل موضوعها ، وهو مصدر أنشأ الشيء ، إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتذيه ، بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعانى فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وغيرها ، أو أن المكاتبات والولايات ونحوها تنشأ عنه .

وأما تسميتها بالتوقيع ، فأصله من التوقيع على حواشي القصص [١] وظهورها ، كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب الإنشاء أو كتاب الدست ، ومن جرى مجراهم ، بما يعتمد فى القضية التى رفعت القصة بسببها . ثم أطلق على كتابة الإنشاء جملة » .

وبعد أن أورد القلقشندى كلاما فى معنى التوقيع ووجوه اشتقاقه ومآخذه ، قال :

« ووجه إطلاقه على كتابة الإنشاء أنه قد تقدم أن التوقيع فى الأصل اسم لما يكتب على القصص ونحوها ، وسيأتى أن ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتبات كالولايات ونحوها ، إنما يبنى على ما يخرج من الديوان من التواقيع بخط صاحب ديوان الإنشاء أو كتاب الدست ومن فى معناهم . وحينئذ فيكون التوقيع هو الأصل الذى يبنى عليه المنشئ . وقد يكون سمى بأصله الذى نشأ عنه مجازا .

وقد يعبر عنها بصناعة الترسل ، تسمية للشيء بأهم أجزائه ، إذ الترسل والمكاتبات أعظم كتابة الإنشاء وأعمها من حيث انه لا يستغنى عنها ملك ولا سوقة ، بخلاف الولايات فأنها مختصة بأرباب المناصب العالية دون غيرهم ، وعلى ذلك بنى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ـ رحمه الله ـ تسمية كتابه : « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » .

* * *

---

(١) المراد بالقصص : القضايا والمظالم .

ونستنبط من حديث القلقشندى أمورا منها :

١ — أن « الـكتابة » كانت قديما ترادف الإنشاء ،وتطلق عليه وحده . والكاتب هو المنشئ . وهـذا يمـاثل ما يعرف اليوم فى عالم الأدب ، إذ الكاتب هو الذى يدبج المقالة أو القصة ونحوهما ، كما أشرنا .

٢ — وأن الـكتابة أطلقت فى زمن القلقشندى على كتابة الأموال ، و « الكاتب » حينذاك ، هو كاتب الأموال . وهذا يمـاثل ما يعرف اليوم فى دواوين الحكومة ، إذ يطلق على موظفيها لفظ « الكتاب » .

٣ — وأن « الإنشاء » بمعنى اختراع الرسائل وتحرير الولايات ، أطلق عليه فى زمن القلقشندى : « كتابة الإنشاء » هكذا بالإضافة . ولعل ذلك تمييز لهـا عن كتابة الأموال .

٤ — وأن كتابة الإنشاء كانت تطلق على كتابة الرسائل ونحوها ، داخل الديوان . أما الناس فيعرفون كتابة الرسائل ونحوها « بالتوقيع » .

٥ — وأن « كتابة الإنشاء » قد يعبر عنها بصناعة « الترسل » ويبدو أن هذا التعبير معروف فى جميع عصور الأدب .

* * *

هذا ، ولمـا كانت وظائف كتابة الرسائل أملا موموقا ، وهدفا مقصودا ، لما تضفيه من الجاه ، وما تدره من الخير ، شاعت كلمة « الإنشاء » على مزاولة الكتابة فى أى فن من فنونها ، تيمنا بإنشاء الرسائل ، و إعلانا بالتطلع .

هذا ، إلى أن كتاب الديوان ـ غالبا ـ كانوا
المنشئين . فـكانوا قدوة لهم فى مسالك أساليبهم و
« الإنشاء » على صناعتهم جميعا ، وعرف غير منذ

وقـد كانت الرسائل الديوانية بوا كير الـ
وازدهارا فى الدولة الإسلامية لمسيس الحاجة إلى

وقد نبتت نابتتها أول الأمر بين يدى النبي
دعوته إلى مخاطبة أمرائه وأصحاب سراياه .
الملوك المجاورين له ـ فاتخذ لذلك كتابا ممز

كاتبا، يكتبون وحيه و إملاءه. وممن كتب له عليه الصلاة والسلام: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبى سفيان . وكان هذان الأخيران ألزمهم له. وكانوا يكتبون ما يمليه عليه الصلاة والسلام عليهم بلا تغيير ، ذلك لأنه كلام النبوة .

وروى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لزيد بن ثابت: «تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها أحد ، فهل تستطيع أن تعلم العبرانية » ـ وقيل السريانية ـ فقال زيد : « نعم» . فتعلمها فى سبع عشرة ليلة . وبهذا ترى أن زيد بن ثابت كان أول كاتب سر فى الدولة الإسلامية .

ونهج الخلفاء الراشدون هـذا النهج النبوى ، فاتخذوا لأنفسهم كتابا يملون عليهم مراسلاتهم . وكتب لأبى بكر : عثمان بن عفان . وكتب لعمر : زيد بن ثابت . وكتب لعثمان : مروان بن الحكم . وكتب لعلى : عبد الله بن رافع .

وسار خلفاء بنى أمية على هـذه السنة ، فكتب لمعاوية : عبد الله بن أوس الغسانى . وهكذا .

غير أن اتساع الدولة فى زمان بنى أمية ، وتعدد أجناس رعاياهم وتنوع مصالحهم ، دعاهم إلى التوسع فى إنشاء الدواوين . فكان فى جملة دواوينهم ديوان الرسائل ، وأطلق لفظ « الكاتب » على متولى كتابتها . وتعدد كتاب الخليفة ، فكان ـ مثلا ـ ممن كتب ليزيد بن عبد الملك : سعيد بن الوليد الأبرش ، ومحمد بن عبد الله بن حارثة الأنصارى ، وقد كتبا أيضا لهشام بن عبد الملك . وكتب له أيضا مولاه سالم أستاذ عبد الحميد بن يحيى ابن سعيد آخر كتاب بنى أمية . وكان عبد الحميد كاتبا لمروان بن محمد آخر خلفائهم .

وعلى يد عبد الحميد أصبح إنشاء الرسائل الديوانية صناعة مجيدة ذات رسوم وقوانين مرعية . وكان الخلفاء قد شغلتهم أمور السياسة عن الإملاء على كتابهم بأنفسهم ، فاستقل الكتاب بإرسال الرسائل ، وأخذت طبقة من طبقات الأدباء تبدو فى الأفق ، تلك هى طبقة الكتاب « المنشئين » . وكان آخرهم ـ كما أشرنا ـ عبد الحميد الكاتب الذى يعتبر الأستاذ الأول لكتاب الرسائل ، أطالها فى موضوعات وقصرها فى موضوعات ، ونوع فى بدئها وختامها بما يناسب الغرض منها ، وأطال فى التحميدات ، إلى غير ذلك من خصائص إنشائه ، ومهد أمام الكتاب سبيل بلوغ الوزارة ، بما أبرزه من أهمية صناعته .

*

ولما أسس العباسيون دولتهم ، وسعوا نطاق دواوينهم ، واقتبسوا نظما فارسية أنشئوها عليها . وكان من أجلها خطرا : ديوان الرسائل ، ولا يليه إلا كل أديب ممتاز عالي الكعب في الأدب والسياسة ، واسع الحيلة ذكي مشهور بالعلم والفضل .

وكان خلفاؤهم يوقعون على القصص والولايات ونحوها بأنفسهم ، حتى كانت خلافة هرون الرشيد ، فوكل أمر رسائله إلى وزيره يحيي بن جعفر البرمكي . فكان أول وزير ولي ديوان الرسائل ، فجلت بذلك رتبته ، وصار يحيي يوقع على الولايات والظلامات وإطلاقات الرزق والعطيات وما شابه ذلك ، وصار سنة لمن بعده من الوزراء .

غير أن هذا الوضع لم يتصل دائما ، بل ربما انفرد رجل بديوان السر وديوان الرسائل تحت إشراف الوزير ، أو وليه الوزير . حتى كانت أواخر العصر ، فانفرد به رجل دون الوزير سمي « صاحب ديوان الرسائل » أو « متوليه » أو « صاحب ديوان المكاتبات » أو « متوليه » . قيل : وكان يسمى « كاتب الإنشاء » .

ولما اشتهر الديوان بديوان الإنشاء - ويبدو أن ذلك كان في أواخر العصر العباسي - قيل لمتوليه : « صاحب ديوان الإنشاء » . وربما جمع لفظ الديوان تعظيما له ، فقيل : « صاحب دواوين الإنشاء » وقيل : « كاتم السر » .

واشتهر كثير من كتاب الرسائل في عصر بني العباس ، ومنهم : عبد الله بن المقفع ويحيي ابن خالد بن برمك ، وأبو أيوب المرزباني ، والربيع بن يونس ، ويوسف بن القاسم ابن صبيح ، وأحمد بن يوسف . . . الخ .

ونهج كثير من الدول المعاصرة للعباسيين نهجهم في اتخاذ ديوان خاص بالمكاتبات السلطانية كأموية الأندلس وبني الأحمر ، واشتهر هناك ابن زيدون وابن الخطيب ، وكدول المغرب حيث كانوا يسمون صاحب الديوان : « صاحب القلم الأعلى » . وسمي الديوان في الدولة السلجوقية : « ديوان الطغراء » ١٥

محمود رزق سليم

أستاذ الأدب المساعد في كلية اللغة العربية

(للكلام بقية)

المرأة المثالية فى تقدير الاسلام

« عـود على بدء »

فى العـدد الفائت نشرنا لقراء هذه المجلة فصلا ضافيا عن المرأة ومكانها فى المجتمع ، وكيف أنها تختلف كل الاختلاف فيما تحمله من الأعباء عن الرجل ، وفى أى وضع وضعها الله حتى استأهلت ذلك الوضع بطبيعة تكوينها وعقليتها وصلاحيتها لما يسرت له ، فكانت صيحة جارفة فى وجه القائلين بضرورة تحميل المرأة تلك الأعباء التى يحملها الرجل ، وبدهى أن المرأة لم تخلق إلا لتحمل عبء البيت وعبء توجيه أطفالها وترتيب شئونها المنزلية والتفقه الواسع الأفق فى تدبير أسرتها وتركيزها على أساس يوائم المجتمع ويساير ركب الحياة العامة ، حتى تخصص علماء تربويون فى البحث عن المرأة وما تمارسه من شئون الحياة ، ولأى شىء يسرت له من تلك الشئون .

ولقد بحث الفيلسوف الألمانى (شوبنهور) فى رسالته الخاصة بالمرأة ، والفيلسوف العلامة چان چاك رسو ، والفيلسوف الكاتب البليغ شامفور ، ونورد هنا فقرات من آرائهم التى كان لها دوى فى الآذان شحذ الأذهان وأطلق الأقلام لعلماء البيان .

قال شوبنهور الألمانى : إن من المقرر فى الأذهان أنه كلما كان الشىء متقنا دقيقا كان بطىء النمو يحتاج لزمن طويل ، والرجل لايبلغ شرف العقل وتمام الذكاء إلا حوالى الثالثة والعشرين من عمره . أما المرأة فلا ينمو عقلها بعد السنة الثامنة عشرة ، فلا يكون ثمت خلاف فى أنها ذات عقل صغير محدود ، وهى فى الحقيقة طفلة فى جميع أطوار حياتها ، لاترى لقصر نظرها غير ما يقع تحت عينيها ولا تهتم بغير الحاضر ، وتحكم على الظاهر وتترك الحقائق ، وتفضل سفاسف الأمور على العظائم منها .

وقال (روسو) فى كتابه «جواب إلى والمبرت» : لا تميل النساء لفن من الفنون ، وهن معدومات الذكاء ، شديدات الحرص على إخفاء حقيقتهن .

وقال شامفور : لم تخلق النساء إلا لمناوشة ضعفنا وجنوننا ، لا لاستلاب عقولنا وإعدام حسنا ، فأكثر ميلنا اليهن بهيمى ، أما التوافق بين الأرواح والعقول والأخلاق فضعيف جدا .

وقال نابليون كلمة جديرة بالاعتبار : « لا قيمة للنساء » .

هذا عرض يسير لآراء كبار الفلاسفة والتربويين فى أوربا . ونريد هنا أن نعرض لآراء السياسيين من الأمريكان الذين احتلوا الصدارة فى عالم الفكر وفلسفة الاجتماع وقضايا النظريات العامة فى تشكيل المجتمع ، كما احتلوا الصدارة فى السياسة الدولية العامة فى هذه الأيام ، فغير خاف على كل ملم بقضايا المجتمع تلك الآراء التى كان يجهر بها روزفلت أكبر زعيم من زعماء أمريكا السابقين : أدلى برأيه فى السياسة وفى الاجتماع وفى القضايا التربوية وفى المرأة ومايجب أن تمارسه فى حياتها وفى قضايا الشعوب ، وكان جريئا فى آرائه عن المرأة ، والمرأة فى عهده يومئذ عالمة وصحفية ومخترعة ومشرفة أحيانا على بعض الولايات الأميريكية وطيارة ومغامرة ونائبة ووزيرة ـ كان ما مارسته المرأة من أكبر الحوافز على أن ينشر روزفلت رأيه فى المجلة العلمية بأمريكا حيث يقول : « أنا لا أنكر حرية المرأة ، ولكنى أستنكر أن تصل نتائج هذه الحرية إلى قطع أرزاق كثير من المتعلمين فى وظائف البلاد بسبب امتلائها بالنساء ، لا يرضينى أن أرى العمال العاطلين فى حاجة ماسة إلى أعمال يعيشون مع عائلاتهم من ورائها ، بينما هذه الأعمال تصيبها المرأة ولا يجدها الرجل لأنها تعرض نفسها بأقل الأجور فى الوقت الذى هى فيه فى غير حاجة إلى مال ، وفى الوقت الذى تكون فيه متزوجة . هذه حال تعرقل الحياة الاقتصادية والنهوض الذى نريده ، إذ يجب على المرأة المتزوجة أن تنهض بالبيت وأن تنظمه وتهيئ للأمة الأميريكية رقيا فى بيتها وأسرتها ، وعلى الفتاة أن تتزوج وتعيش من كدح زوجها لا من كدح ذراعها حتى تقتصد البلاد تلك النفقات التى تدفعها للعاطلين حينما يشغلون الأعمال التى يشغلها النساء ويتسنى أن نربح من جهود المرأة فى دائرة البيت أضعاف ما نربحه من جهودها فى الأعمال الأخرى » .

غير أن كاتبا إنجليزيا هو مسته چامس دوجلانس كان بعيد النظر سديد التفكير فى قضايا المرأة ، كتب عن المرأة الأمريكية فى المجلة العلمية لجامعة كمبردج مامعناه تحت عنوان الرجعية النسائية الأمريكية « هذه رجعية تعود بالحضارة إلى الوراء ، فالاستهتار بحقوق الرجل فى الزوجية وحدوث الطلاق لأوهى الأسباب وتكبيد الرجل بأفدح النفقات والمعاشات

للزوجة و إرهاقه وسجنه من أجل ذلك - كل هذه أشياء فوضوية تجعل المدنية فى حكم البربرية ، والمرأة الأمريكية تدير عصابات المجرمين والسفاكين ولا ترهب القانون وتستغل شرائع الطلاق والزواج لمصلحة مزاجها واستعباد زوجها . وتسير وتعمل وتسهر على كيفها ، وتندفع وراء الشهوات والموبقات ، وتغرى الشبان إغراء مباشرا بارتكاب الجرائم فى سبيل حبها ، وتنشر الرذائل والفساد فى كل الأوساط . وهذه فوضى شاذة فى كل القوانين يجب تلافيها ، بتعديل مسائل الارتباط والانفصال الزوجى ومراعاة حقوق الرجل بحيث لا تزيد عنه المرأة وتستعبده وتهدده بالطلاق والنفقات ، وتتخذ الزواج ألعوبة تلهو بها ، وتجعل من الحرية سلما إلى الفوضوية الأخلاقية » .

ولعلنا بهذا العرض الغريب من نوعه قد كشفنا للقارئ عن جانب غير يسير من أقوال فلاسفة الغرب من ألمان وفرنسيين وانجليز وأمريكان ممن ضربوا فى هذه القضايا بسهم أشد ورأى أسد .

ولعلنا أيضا نهتدى بدون عناء إلى الفكرة التى نبتت فى عزيمة شيخ نهل من مناهل الحضارة الأوربية وأخذ شيئا غير يسير من ثقافتهم وحضارتهم ، فجاء إلى الأزهر شيخا ثم لم يمض وقت غير يسير حتى فكر ثم قدر ثم تدبر ، وانتهى به المطاف إلى إخراج مشروع يفتح بابا من التعليم الدينى والثقافة الإسلامية للمرأة فى الأزهر ، ويأخذ بيدها إلى حضارة مستقاة من معين الحكمة ومصدر الدين ونور اليقين .

أنوار الشرائع كلها تلاقت فى شريعة محمد بن عبد الله ، فهدت البشرية إلى أنبل الطرق ، وسلكت بها إلى أشرف الغايات - جاءت الشريعة لتهذيب المرأة وتعليمها تعليما منزليا وعائليا ، لأنها هى التى تبنى الأسرة ، والأسرة تبنى الجماعة ، والجماعة تبنى الطائفة ، والطائفة تبنى المجتمع ، فلابد أن يكون الفرد نواة صالحة للشعب ، يقوم على هديه ، ويتخذ من سننه وطرائقه مشكاة لا يضل معها إذا عميت السبل على الحكماء وشمتت الحيرة قلوب أهل الخبرة . ومن أصدق من الله قيلا حين يقول : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم » . و إذن فشيخ الأزهر وشيخ العلماء وشيخ المسلمين فى العالمين العربى والإسلامى كان على صواب حين دعا إلى تهذيب المرأة واحتضان الأزهر لها فى كنفه ، وقيامه على تهذيبها وتربيتها تربية دينية غير وجودية وغير وثنية ، فما أعظم الفرق بين شيخ يدعو إلى الهدى والرشاد لتقويم المرأة من جميع مناحيها ، وبين قوم فى الجامعات يدعون إلى التهتك والتحلل من الفضائل ، و يكتبون فى كل يوم عن معتقداتهم وآرائهم فى المرأة بين أعمدة الصحافة العربية فى مصر وغير مصر .

عباس طه
المحامى

يوم فى «هارفارد»

دعتنى جامعة « هارفارد » بأمريكا إلى الاشتراك فى « حلقة الدراسات الدولية للعلوم الإنسانية » . وهى حلقة بحث نظمتها تلك الجامعة فى شهرى يوليو وأغسطس سنة ١٩٥٥، واشترك فيها خمسة وأربعون عضوا يمثلون نحو عشرين قطرا من الأقطار الأوربية والآسيوية .

وقد رحبت بالدعوة لأنى وجدت فيها فرصة يمكن الانتفاع بها أثناء العطلة الدراسية ، ورجوت فى هذه الرحلة القصيرة أن أعطى ممثلى الرأى العالمى صورة صحيحة عن مصادر الفكر الإسلامى الحديث ، ودعائم النهضة المصرية الحاضرة ، وأن أقف فى الوقت نفسه على المسارب التحتانية المتشعبة للحياة الأمريكية المعاصرة .

* * *

وصلنا نيويورك صباح اليوم الخامس من شهر يوليو الماضى ، ولم نستطع مغادرة الباخرة إلا بعد أن اجتزنا على ظهرها امتحانا دقيقا عسيرا استمر ساعات فى جو رطب حار لا يطاق . وقد كان علينا أن نجيب فى هذا الامتحان إجابات « تحريرية » وأخرى « شفوية » عن أسئلة منوعة كثيرة ، تتصل فى جملتها بأخص أمورنا الشخصية ، وتتناول مواردنا المادية وأحوالنا الصحية ، إلى جانب معتقداتنا الدينية وميولنا السياسية . وكان لا بد لإجاباتنا من أن تكون سريعة واضحة مدعمة بالوثائق والمستندات والأرقام . . .

ولست أبالغ حين أقول إننا قد أدينا امتحانا شاقا ، قبل نزولنا إلى ميناء نيويورك ، فالحقيقة أن هذا التحقيق على ظهر الباخرة لم يكن مراجعة لأوراقنا وجوازات سفرنا ، بل كان بمثابة امتحان « الدور الثانى » الذى يعقد عندنا للراسبين فى المعاهد والجامعات ، وقد تبين لى حينئذ أنى رسبت فى امتحان « الدور الأول » الذى عقد لى فى القنصلية الأمريكية بالقاهرة ، والذى لم يقنعوا فيه بتوقيعى على أوراق الإجابة ، ولا بتقديمى عددا من صورى الفتوغرافية ، بل رأوا ضرورة الاحتفاظ عندهم بصور من بصمات أصابعى ! .

والانصاف يقتضيني هنا أن أقرر أنى لم أكن العضو الوحيد الذى رسب فى دور يونيه ، فقد تبينت أن هذا الرسوب قد شمل غالبية الأعضاء الذين يمثلون عشرين دولة ، فلم ينج من « الدور الثانى » إلا أقلية من المحظوظين ، أعنى ممثلى انجلترا وتركيا والباكستان وإسرائيل .

لكن مهما يكن الباعث على هذا التحقيق الدقيق ، فقد خيل إلى بعد نجاحى فى الدورين ، أن الامريكيين ينظرون إلى « غير الامريكى » نظرتهم إلى مخلوق شاذ ، وإذن فينبغى عليه : إذا أراد أن يعتبر إنسانا ، أن يثبت أولا أنه « نسخة » من الامريكيين ، يحيا حياتهم ، ويفكر على غرارهم .

* * *

وبلغنا « هارفارد » فى المساء ، وأوينا إلى مضاجعنا بعد العشاء ، فقد كنا فيما يبدو متعبين مكدودين ، ولكن كان لا بد — قبل أن ننام — من أن نطلع على التعليمات العديدة ، وأن نملأ الاستمارات الكثيرة المتعلقة بنظام إقامتنا فى مساكن الجامعة .

وفى الصباح ذهبنا إلى مقر إدارة الحلقة ، وبعد أن أثبتنا أسماءنا وقدمنا استماراتنا ، وقرأنا التعليمات الجديدة ، أخبرونا بأنهم قد رتبوا لنا زيارة الجامعة فى صحبة دليل من خريجيها الشبان ، ليحدثنا عن تاريخها وآثارها .

وقد كنا نعلم قبل زيارة « هارفارد » أنها أقدم الجامعات الأمريكية ، وأنها أنشئت منذ نحو ثلاثة قرون ، ولكننا لم نكن نعلم أن بعض خريجيها يتحدثون عنها وينظرون إليها وكأنها أقدم جامعات الدنيا . فقد لاحظنا فى حديث دليلنا الشاب عن الجامعة الأمريكية العتيدة نغمة افتخار واضحة رنانة ، ولعل هذه النغمة كانت جديدة على أذنى ، بعد أن عشت السنين الطوال فى أقدم الجامعات الأوربية . فأخذت أسرح الفكر فى مصر وفى تاريخها الثقافى العريق ، وجعلت أسائل نفسى وأنا أستمع إلى الدليل الأمريكى :

« ترى لو أتيح للغربيين أن يكون لهم من معاهد العلم والتعليم مثل (جامعتنا الأزهرية) فما عساهم كانوا يصنعون ، وما عساهم كانوا يقولون » ؟ .

وأمر آخر استرعى انتباهى ، فجعلنى أفكر فى مصاير بعض البلاد إذا ألقيت مقاليد الرأى والتوجيه فيها الى طوائف من الناس ، يستخفون بالقيم الأخلاقية ، ولا يرعون فى

علاقاتهم مع الناس ذمة ولا عهدا ، ويدأبون على هدم الأركان الثابتة التى يقوم عليها المجتمع الانسانى الفاضل ، فقد لاحظت من ملامح الدليل ولهجة كلامه ما جعلنى أشك فى أنه أمريكى « أصيل » حتى على المعنى النسبى للفظ « الأصالة » ، وسألت عن اسم الشاب ، فأنبئت بما أكد ظنى ، فهو من يهود أوربا ، هاجر إلى أمريكا ، عندما استفحلت الحركة النازية فى ألمانيا . .

ولعلنى ، وأنا مسترسل فى هذه الخواطر عن تصوير الأمريكيين للتاريخ المصرى الحافل ، وعن أثر اليهود فى تكوين تلك الصورة الشوهاء ، وفرضها على الرأى العام هناك ، لعلنى كنت أبدو وعلى وجهى علامات القلق والتفكير والاهتمام . ولعل الدليل اذ رآنى على تلك الصورة ظننى مأخوذا مبهورا مما أسمع ومما أرى ، فاقترب منى قليلا ، وسألنى همسا : « أهذه زيارتك الأولى للولايات المتحدة ؟ فقلت » : « نعم » قال : « ومن أى البلاد جئت ؟ » قلت : « من مصر » .

فسكت الدليل لحظة ، وكأنه يستعيد ما قد حفظه فى الجامعة أو مالقنه من منشورات الدعاية الأسرائيلية عن التاريخ المصرى القديم ، ثم رفع صوته قليلا ، موجها حديثه الىّ ؛ وقال على مسمع من الحاضرين : « اننا ــ معشر الأمريكيين ــ لا نستطيع بالطبع أن نجارى بلادكم فى آثارها التى ترجع الى آلاف السنين ؛ والتى سخر الشعب فى بنائها تمجيدا للملوك والحكام والفاتحين ، ولكنى أرى أن جامعة كهذه ــ أنشئت منذ نحو ثلاثمائة سنة خدمة للشعب وتثقيفا له ــ أعظم قيمة من أبى الهول والأهرام بل من وادى الملوك كله ؟ أنا أرى أن قدم هذه الجامعة يجعل أمريكا أعرق فى الديمقراطية والحرية من بلادكم .

ألقى دليلنا هذا الكلام ؛ وسارع الى استئناف حديثه عن « هارفارد » كأنه ظن أنى سأتلقى أحكامه قضية مسلمة لا تقبل مناقشة أو معارضة ، فضبطت عواطفى ؛ واستأذنت الحاضرين فى مقاطعته وقلت له : اسمع يا مستر ؛ إن كلامك الخاطف عن تاريخ مصر وعن معنى الحرية والديمقراطية هو عندى اقرب الأشياء الى الخطب الذرية أو التصريحات الهيدروجينية التى تلقى فى حملات الدعاية الانتخابية ، التى تنفق فيها الدولارات الأمريكية ، تأييدا لأغراض العصابات الصهيونية ! .

فلما ضحك الحاضرون ، استأنفت كلامى قائلا :

لا أحب أن ألجأ فى مناقشتك إلى سلاحكم الجديد هذا . ولا يحلو لى أن أحاسبك الآن كيلا أصرفك عن مهمتك المحدودة ، وهى التحدث عن هارفارد لا عن مصر .

ولكني أود أن تعلم ـ أنت وأعضاء هذه الحلقة ـ أن مصر الحديثة الثائرة تشيد كل يوم ماهو أعظم من الأهرام ومن أبي الهول . هل سمعت عن مديرية مصرية برزت الى الوجود فى قلب الصحراء ، وكانت فى طى العدم منذ ثلاث سنين؟ . وهل سمعت عن تجميل القاهرة وإصلاح القرى والثغور المصرية؟ . وهل عرفت أن سبعين مليونا من الجنيهات قد أخذت من ثروة فاروق وأسرته لتنفق فى مشروعات وأعمال يعود خيرها على الشعب كله ؟ . وإذا كان الهرم الأكبر معروفا باسم خوفو ، فالمديرية الجديدة تعرف باسم مديرية التحرير ، والتحرير عندنا ليس كلمة رخيصة خداعة تدور على كل لسان ، بل معناه خدمة الشعب وتخليصه من طغيان الملوك وعدوان الطامعين . إن مصر الثائرة لا تعيش على ما ضيها المجيد ، بل ترنو وتعمل لمستقبل أزهر وأمجد .

وتوقفت عن الكلام لحظة ، إذ سمعته يقول همسا : هذا مجرد كلام عام ! !

فأجبت على الفور : « لا يامستر . . ليس هذا كلاما مجردا بل وقائع حية ناطقة . والآن هل تسمح بأن أوجه إليك سؤالا أوسؤالين محددين متصلين بمعرفتك بوقائع التاريخ . هل تعلم أن الأسكندرية مدينة مصرية . . وأنها كانت تسمى « مدينة النور » فى العصر القديم ؟ وأن جامعتها كانت أزهر الجامعات قبل ميلاد المسيح بعدة قرون ؟ وهل تعلم أنه لا يزال عندنا فى القاهرة جامعة يزيد عمرها الآن على ألف سنة ؟ وهل تعلم أخيرا أن الفكر الإسلامى قد حمل الى الإنسانية رسالة الحرية والديمقراطية قبل اكتشاف القارة الأمريكية بمئات السنين ؟

ثم توقفت قليلا ونظرت إليه متصفحا أسارير وجهه المنقبضة المكفهرة ، فتصنع الابتسام ، ثم ضحك ضحكة هستيرية ليوهم الحاضرين أنى أسأله مازحا . فلما ذكرت له أنى جاد فى كلامى ، قال : ـ

لنترك التاريخ القديم . . ولكن هل تستطيع أن تذكر لى اسم تلك الجامعة المصرية التى تقول إن عمرها ألف سنة ؟

فقلت له : ـ نعم أستطيع أن أذكر اسمها باعتزاز وفخار ، إنها (الجامعة الأزهرية) وإذا شئت أن تتحقق من صحة كلامى ، فما عليك إلا أن تراجع تاريخ الأزهر « فى الموسوعة الإسلامية التى يحررها علماء غربيون متخصصون أكثرهم من اليهود والمسيحيين » .

عندئذ نظر الدليل إلى ساعته وقال :

أظن أنه قد حان وقت الغـداء . . .

فهم الأعضاء بالانصراف ، وهممت معهم ، ولكنى حرصت على أن ألق فى أذن الدليل كلمة قبل مفارقته ، فقلت له :

إننى أشكرك شكرا جزيلا يا مستر . . . لأنك فى الحقيقة قد هديتنى من حيث لاتريد إلى موضوعات المحاضرات التى يجب أن ألقيها على جمهور الأمريكيين فى هارفارد ، إن كان فيها أمريكيون .

فما كدت أقول هذا حتى وجدت الشاب يتودد إلىّ ، ويتشبث بى ويلح علىّ فى أن أقبل دعوته الى قضاء ساعة معه فى المقهى المواجـه للجامعة ، ليعرفنى بصفوة المفكرين والعلماء فى هارفارد ! !

ولما كنت طلعة بطبعى ، فقد لبيت دعوته ، وذهبت فى الموعد إلى المقهى . . وهناك قدمنى إلى عـدد من الشبان والـكهول ، رحبوا بى ترحيبا مبالغا فيه ، ووجدتهم متلهفين على معرفة الموضوعات التى سأتحدث عنها فى محاضراتى القادمة . . . فأجبتهم بأنى سأتحدث عن مصر وعن الإسلام . . ولكنى لما كنت أكره السياسة ، فلن أتحدث إلا من ناحية الفلسفة والعلم . .

ودارت بيننا بعد القهوة المثلجة مناقشة ــ أردت أن تـكون هادئة ــ حول العرب وإسرائيل ، ومقاصد اليهودية العـالمية ، فقلت لهم فى آخرها : ــ

يظهر أنكم بعد أن دأبتم بأساليبكم على تضليل الرأى العـالمى قـد وجدتم فى أمريكا أرضا صالحة وفرصا سانحة ، لتنفيذ السياسة التى رسمها لـكم حكماء صهيون ! ! !

فبهتوا جميعا . وسأل واحد منهم متجاهلا أو متظاهرا بأنه لم يفهم : من هم حكماء صهيون ؟ وما هى هذه السياسة التى رسموها ؟

فقلت : إنك رجـل جامعى ، فهل ترضى أن تلقن قضايا تعيدها دون أن تفهمها ، ودون أن ترجع إلى أصولها ؟ أما قرأت أو سمعت عن كتاب « بروتوكولات حـكماء صهيون » ؟ قال : لم أسمع بشىء من ذلك .

قلت : « إننى قرأت هذا الكتاب الذى لا يوجد طبعا فى المكتبات العامة لأن اليهود قد تخطفوه من الأسواق ، وأعدموا نسخه المطبوعة . قال : فكيف وصلت اليه إذن ؟ قلت : قرأته بالفرنسية مطبوعا على الآلة الكاتبة «إبان حرب فلسطين» ثم قرأت ترجمة عربية له نشرها أحد أدباء العرب سنة ١٩٥١ .

ما كدت أنتهى من كلامى حتى سارع الجميع متلهفين على رؤية هذه الترجمة العربية ، ومع أنى كنت فى الحقيقة قد حملت هذه الترجمة معى إلى أمريكا إلا اننى خفت أن يحتلوها منى فقلت لهم إننى تركتها فى مصر ، وسأل أحدهم عن المترجم العربى فادعيت أنى نسيت اسمه مع أنى كنت أعلم أنه الأستاذ محمد خليفة التونسى .

وسأل آخر عن مضمون الكتاب فقلت : « يحضرنى منه أشياء : استوقف نظرى مثلا ما جاء فى البروتوكول الأول من قول حكماء صهيون : «لقد أقمنا على اطلال الارستقراطية الطبيعية والوراثية ارستقراطية من عندنا على أساس بلوقراطى (أى على أساس حكومة الأقلية الغنية التى تملك معظم الثروة) ، ولقد أقمنا الارستقراطية الجديدة على الثروة التى نتسلط عليها ، وعلى العلم الذى يروجه علماؤنا ، وقد عاد النصر أيسر فى الواقع ، فأننا فى صلاتنا بالناس كنا دائما نستثير مراضى ضحايانا ، من أجل المنافع ، ونحرك شرههم ونهمهم وحاجاتهم المادية . وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع وحده أن يحطم قادة الشعب وزعماءه ، وظاهر من هذا أن حكماء اليهود يوصون قومهم بأن يسددوا ضرباتهم إلى القادة الذين هم فى الطليعة . فأذا حطموهم تحطمت الأمم والطوائف التى تتبعهم فى غير عناء . . .

ثم توقفت وساد الصمت لحظات . ولكن واحدا منهم قطعه بقوله : « ليس المسلمون هم المقصودين بهذا ، بل المسيحيون ! ! . »

فقلت له : « ولكنى أذكر أيضا قول حكماء صهيون فى البروتوكول الخامس فقد جاء فيه « لضمان الرأى العام ، يجب أولا أن نحيره كل الحيرة بتعبيرات من كل النواحى لكل أساليب الآراء المتناقضة ، حتى يضيع الأمميون (أى غير اليهود) فى متاههم ، وعندئذ سيفهمون أن خير مايسلكون من طرق هو ألا يكون لهم رأى فى المسائل السياسية ، هذه المسائل لا يقصد منها أن يدركها الشعب ، بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب . . .

عندئذ التفت أحدهم إلى زملائه وقال : « لا بد أن يكون هذا الأستاذ المصرى مبعوثا سياسيا من قبل حكومته ، ولا بد أن محاضراته ستكون سياسية ، و إن كان يتظاهر بأنه يكره السياسة . . . . »

فقلت له : « صدقنى – يامستر – أننى دعيت إلى حلقة هارفارد بصفة شخصية . ولم أكن مبعوثا من حكومتنا ولا من جامعتنا – وكل ما فى الأمر أننى باعتبارى أستاذا جامعيا لا أحب أن أحاضر فى موضوع إلا إذا كنت درسته دراسة وافية » . قال : « وهل درست الصهيونية ؟ » قلت : « لا ولكنى إنما ناقشتكم فيها لأتعلم منكم » .

ما ذكرته حتى الآن ليس إلا جزءا يسيرا من مشاهداتى فى يوم واحد هو أول يوم قضيته فى هارفارد . ولا يتسع المقام لذكر شىء عن مشاهداتى فى الأيام التالية ، ولا عن الموضوعات التى درسناها فى الحلقة . وجملة ما أقول أننى وجدتنى مضطرا هناك إلى استمرار القيام بوظيفة المعلم والأستاذ ، بعد أن خيل إلى أنى تركتها ورائى حين ركبت الطائرة ، ووجدتنى منذ اليوم الأول مضطرا إلى العكوف على إعداد محاضرات أربع ألقيتها خلال أربعة أسابيع : الأولى عن « لمحة إلى مجد الإسكندرية » والثانية عن « أنوار من الجامعة الأزهرية » والثالثة عن « رسالة الفكر الإسلامى » والرابعة عن « مصر الثائرة الواعية » .

وقد حرصت فى محاضراتى وأحاديثى على أن أتجنب المجادلة بقدر ما فى الإمكان ، وأن أرسم للجمهور صورة إيجابية ، متوخيا تصحيح الأخطاء وتقويم الاعوجاج . وخيل إلى أنى كنت أعطيهم دائما دون أن آخذ عنهم شيئا ، أستغفر الله ؛ لقد أخذت عنهم درسا هاما جدا لن أنساه أبدا ، وهو أن واجبنا فى هذا العالم الباغى هو أن نمضى فى طريقنا دون أن نبالى ، وأن نعمل ، وأن نعمل ، وأن نعمل ، والله معنا ! .

الدكتور عثمان أمين
أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

الامام محمد عبده والأزهر

رحم الله الإمام وطيب ثراه؛ لقد جاهد طويلا من أجل الأزهر الشريف، وإن عاش فى صراع عنيف مع طائفة من أبنائه، الذين خالفوه فى وجهته، أو تخلفوا عن هضم آرائه؛ والأزهر هو تلك الجامعة الإسلامية الكبرى التى صاحبت الأحداث وطاولت الزمان، واتسمت بالذود عن الإسلام، والعناية بلغة القرآن، والغيرة على تراث العربية؛ وأبناؤها طائفة من الناس يحاولون النهوض بتبعات هذه الرسالة، وليسوا بمكان العصمة، بل يجرى عليهم ما يجرى على البشر من السعد والبؤس، والصواب والخطأ، والإقبال والإدبار.

والله جل جلاله يبعث لهذا الأزهر بين الفترة والفترة من ينفخ فيه من روحه، ويبعث فيه من عزمه، فيرد عليه جدة شبابه ورونق إهابه، ويدفع به إلى الأمام فيعوض مافاته خلال هجعة غلبته أو تعويق ألم به، وكان الإمام محمد عبده أحد أولئك المجددين الأعلام . . .

* * *

ولقد دخل محمد عبده ميدان التجديد والإصلاح، والأزهر منكمش على نفسه، منطو على ذاته، لا يجد أمامه الطريق الممهد، ولا يقتدر على إنشاء الطريق المجدد، ومع كثرة الناقدين لهذه العزلة حينئذ قد يوجد من يلتمس لها فائدة، وهى حفظ التراث الإسلامى والعربى من طوفان العوامل المقوضة الدخيلة؛ فقد كان هناك الاحتلال ببلاياه، وكانت هناك النزعات الأجنبية بخبائثها، وكان هناك الويلات الحسية والنفسية التى تصب صبا على العرب والمسلمين؛ فكان الأزهر حينئذ كصاحب رأس المال العزيز عليه، الذى لايجد أمامه السوق الرائجة الصالحة لاستثمار هذا المال، فهو يخزنه ويحرسه، وإن تجمد وركد إلى حين، حتى يتهيأ له المجال، فيبدأ فى الحركة والانطلاق.

وحاول الإمام إصلاح الأزهر فى وقت اصطلحت فيه على الأزهر محن شتى، وكثير منها لم يكن له فيها حيلة، ولا يجد لدفعها وسيلة، فالفقر المدقع، وإعراض المجتمع المطبق، وسوء الاستغلال المجرم، وكيد الاحتلال الأثيم، وانعدام التوجيه الصحيح،

وفتور العزائم وضيق الآفاق . كل هذه محن تلاقت وتجمعت ، فكانت أعداء خبثاء للأزهر والأزهريين ، ولمريد الخير للأزهر والأزهريين . . .

ومع ذلك أقدم الإمام على الإصلاح ، متدرعا بثقة المصلح ويقين المؤمن ، فاكتسب الكثير من الناقمين ، وكسب القليل من المؤيدين؛ وليس بصحيح أن أبناء الأزهر كلهم كانوا حربا عليه ، وإلا لضاعت صيحاته سدى ؛ وإذا كان موقف رجل كالشيخ عليش مع الإمام عنيفا ، فقد كان موقف رجل كالشيخ العباسي منصفا ولطيفا ؛ والدروس التي تعجل الإمام بالقائها في الأزهر عن علوم جديدة على بيئته ، وبأسلوب غريب على طريقته ، وبجرأة مفاجئة للمألوف من محافظته ، هذه الدروس إن صد عنها كثيرون فقد أقبل عليها كثيرون ، وكثير من الصادين زالت عنهم هزة الحيرة أو نزعة المعارضة ، فرجعوا إلى الشيخ يستمعون ، ومن مناهله يغترفون ، وكانوا هم الطلائع للبعث في الأزهر الحديث .

* * *

وكان الإمام عليه الرحمات يرى أن النهوض بالأزهر هو أعظم خدمة للإسلام ، لأن إصلاحه إصلاح لجميع المسلمين ، وكان يقرر أن هذا الإصلاح الأزهري يحتاج إلى زمن طويل ومراحل متعددة ، وأنه إنما قبل العمل في وظائف الحكومة لتتيسر أمامه الأسباب الموصلة إلى تحقيق إصلاحه ، كما كان يقرر أنه إذا تم إصلاح الأزهر الذي ينشده قبل وفاته ، فأنه يموت قرير العين ، ويرى نفسه سعيدا ، بل يرى نفسه ملكا ! . .

وقد حصر الإمام إصلاحه الديني في مجالات ثلاثة هي : الأزهر ، ومساجد الأوقاف ، والمحاكم الشرعية ، وإن شئت فقل إنه حصره في الأزهر ، لأنه الذي يتخرج منه رجال المساجد في الأوقاف ورجال القضاء في المحاكم الشرعية ، وكان يرى أن إصلاح الأزهر يؤدي إلى إصلاح التربية والتعليم . وأن إصلاح الأوقاف والمساجد يؤدي إلى إصلاح الوعظ والارشاد ، وأن إصلاح المحاكم الشرعية يؤدي إلى إصلاح البيوت والعائلات ؛ وكان يؤمن بأن إصلاح هذه المجالات يؤدي إلى إصلاح الأمة كلها .

* * *

وقد بذل الشيخ ــ رضوان الله عليه ــ ما بذل من جهود في « مجلس إدارة الأزهر » ليرد على الأزهريين كرامتهم ، وليؤمن لهم مقومات حياتهم ، يجاهر في وجه الحاكمين قبل

المحكومين بأن إصلاح الأزهر لابد من أن يكون أولا برضا شيوخه واقتناعهم وبأيديهم، وكان يسعى من وراء ذلك إلى هدفين كريمين: الأول هو الإبقاء على عزة الأزهر والاحتفاظ بكرامة أبنائه، لأنهم حملة الدين ودعاة الملة، والثانى هو ضمان الوصول بهذا الإصلاح إلى غايته، إذ لو سيق مساق الإرغام والاكراه لنبتت له المكايد والعوائق عن يمين وشمال.

ثم جاهر الإمام بأن عماد الارتكاز فى هذا الإصلاح هو النهوض بالمستوى المادى لأبناء الأزهر، وبينما كانت ميزانية الأزهر منذ قرابة سبعين عاما تعد بالمئات من الجنيهات استطاع الإمام أن ينتزع فوقها من الدولة ألفين من الجنيهات، وياله من رقم هائل خطير فى الدولة يوم ذاك وفى ميزانية الأزهر المتواضعة جدا بوجه خاص.

* * *

وعلى الرغم من أن الإمام قد اتصل بأوساط غير أزهرية، وطعم من ثقافات غير أزهرية، واختلط بأوساط غير أزهرية، وتعلم بعض اللغات الأجنبية، ورحل هنا وهناك، واشتغل بالسياسة والوظائف الحكومية، فقد ظلت الروح الأصلية غالبة عليه، وظل هو وفيا لهذا الصبغ الأزهرى المتميز، وقد يدل على شيء من ذلك ما حدث وهو مدير للمطبوعات، فقد تجلت فيه الدقة اللغوية، حتى انه أنذر صاحب جريدة مشهورة باغلاقها إذا لم يتجنب ما يقع فيها من أخطاء لغوية ونحوية، وإذا لم يعين لها محررا صحيح اللغة قويم التعبير، وسارع صاحب الجريدة بالامتثال خوفا من الإغلاق.

وهناك موقف آخر قد يكون أدخل فى باب الدلالة على هذه النزعة الأزهرية الوفية لبيئتها المعتزة بعرفها وتقاليدها: فقد حدث وهو يشتغل فى الحكومة أن حرضه بعض الكبار على ترك عمامته إلى الطربوش، فأبى وتمنع، فاستعانوا عليه برياض باشا، وأوهموه أن الشيخ يريد أن يترك العمامة فعلا، ولكنه يحتاج إلى من يشجعه أو يطلب ذلك منه، فحادث رياض باشا الشيخ فى ذلك فعاود إباءه، ولما ألح عليه رياض قال الإمام: إن كان لا بد من ذلك فانى سأخلع عمامتى أثناء أداء وظيفتى. ثم أعود إليها بعد ذلك. فقال له رياض: «كلا، إننى لا أرضى لك الطربوش، لأننى أحب أن يعلم الناس أنه يوجد تحت العمائم من العقول والأفهام مثل ما يوجد تحت الطرابيش وغيرها»!!..

ومن هنا حق لكاتب سيرة الإمام ـ وهو السيد رشيد رضا ـ أن يقول : « يا لها من عمامة شرفت برأس صاحبها ، حتى حسدتها الطرابيش ، وهابتها التيجان ، وعظمتها البرانيط » ! ! . . . .

ويبلغ الإمام قمة الغيرة على رسالة الأزهر حينما يجاهر منذ عشرات من السنين بأن تسخير رجال الدين فى الحزبية والسياسة وأهواء الحاكمين يضر الضرر البليغ بالإسلام والمسلمين، وكان يطالب للعلماء بأن لا يكون لأحد سلطة عليهم أو تأثير فيهم، حتى ولو كان الخديوى نفسه ، لئلا يغريهم بوعد أو يثنيهم بوعيد ؛ وهذه حصانة إذا تحققت لرجل الدين الصحيح جعلته قادرا على الجهر بكلمة الحق بلا خشية من بغى أو رهبة من طغيان .

* * *

أما بعد ـ فقد آتت ثورة محمد عبده فى الأزهر أكلها ، وحققت الدفعة التى أرادها ، فصارت فى الأزهر علوم حديثة ، ولغات أجنبية ، وصلات اجتماعية ، وبعثات علمية وتعليمية ، ولكن الإصلاح والتجديد كالموكب الدائب المسير ، والأزهر دائما بحاجة إلى « محمد عبده » جديد ، ليدفع به دفعة جديدة تؤتى ثمراتها من جديد .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

الشيخ محمد عبده فى عين شمس

ذهب الشاعر العظيم الشيخ عبد المحسن الكاظمى إلى عين شمس فى حياة الشيخ محمد عبده ليزوره ـ وكان منزل الأستاذ الإمام فيها ـ فلم يجده ، فترك له بطاقة كتب فيها :

قيل بدر الهدى إذا غابت الشمس علينا يعود فى عين شمس
فترحلت عن حماك وخلفت ـ لتلقاك فيه ـ مهجة نفسى

الأله والوجوديون

- ٢ -

بينا لك - أيها القارئ - فى مقالنا السابق أن مؤسس هذا المذهب - إن صح أن ماقاله يسمى مذهبا - كان يخلط فى كلامه، ويهذى هذيان المشدوه، و يأتى بأقوال لا تثبت أمام النظرة الفاحصة ، ولا تقوى أدنى قوة على الوقوف تجاه التفكير السديد والعقل الرشيد ، وإنما هى عبارات مفككة الأوصال واضحة الحبال ، ليس فيها من فكرة سديدة ، ولا نظرية حكيمة ، بل هى أخلاط مبعثرة جمعها فى عبارات متنافرة متناقضة ، ورمى بها فى أوجه الناس ليتلقفها منه من لعب بلبه الشيطان وأغراه الهوى وأضله الله .

فتلقفها منه ودعا إليها من بعده جان بول سارتر الباريسى ، وعاش يعمل لترويجها وحمل الناس عليها ، ولكنه كرئيسه يهذى هذيان المجنون ، ويفكر بأفكار المعتوهين . استمع إليه يقول : « الوجودى يرفض فكرة وجود الله كما يرفض فكرة البعث ، والوجودى يطرح كل ما حوله من قيم ومعتقدات وآراء وحضارة ولا يرى غيره فى الميدان » .

الوجودى يرفض وجود الله ، لأنه لا يعترف بشىء وراء المادة ، ولا يؤمن به ، وإنما وقف به تفكيره عند حدود المادة لا يريم عنها ولا يفكر فى شىء سواها . وما أدرى ماذا يقول هذا الأبله فى نفسه التى بين جنبيه ، وروحه التى بها يحيا ويعيش ، وعقله الذى به يفهم ويفكر ؟ أكل هذا من المادة ، أو هو شىء وراءها عرفته آثاره ودلت عليه دلائله وأماراته ؟ فأن قال إنها جميعها من المادة كذبه الحس والعقل معا ، وإن قال إنها شىء وراء المادة قلنا له : وماذا يمنع أن يكون الله سبحانه كذلك وراء المادة مثل العقل والروح والنفس ؟ .

والوجودى يرفض فكرة البعث ، وهو الرجوع إلى حياة أخرى غير هذه الحياة . ومعنى هذا أن المحسن فى هذه الحياة يمر ولا يلقى جزاء إحسانه ، كما أن المسيء طول أيامه يمضى ولا يلقى جزاء إساءته من ظلمه للناس وابتزاز حقوقهم ، وهو مالا يقول به عاقل . « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » . الحق أن هؤلاء الوجوديين لا يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

استمع إليه يقـول بعد ذلك : « والوجودى يطرح كل ما حوله من قيم ومعتقدات وآراء وحضارة ، ولا يرى غيره فى الميـدان » وإذا طرح الوجودى ما حوله من قيم ومعتقدات الخ ، فمـاذا يبقى له ليكون إنسانا كامل الإنسانية ، أو عاقلا بين العقـلاء ؟ وإذا كانت كل القيم والآراء عنده هباء ، وليس يرى غيره فى الميدان ، فماذا له من أثر يدل عليه ، أو عمل صالح يؤتسى به فيه ؟ ليس له إلا الإباحية المطلقة والتحالل من كل خلق عظيم ، وأدب كريم : صفة البهائم والعجماوات ، ألم تره يطرح كل فضيلة ويتمسك بكل رذيلة ، ويرفض فـكرة وجود الله كما يرفض فكرة البعث ، ودلائل وجوده واضحة البيان . « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » .

يقول الدكتور ا . ح . كروزين فى مقال له نشر فى مجلة المختار عـدد يناير سنة ١٩٥٦ بعنوان (لهذا آمنت) بعد أن ذكر حوادث وقعت تحت حسه جعلته يؤمن بالله ـ يقول : ونحن لا نستطيع أن نبرهن على وجود الله كما نبرهن على المعادلات الرياضية ، ولكن إذا تأملنا الكون وأسراره وعجائبه ، ونظامه ودقته ، وضخامته وروعته ، فلا بد أن نفكر فى إله خالق . من ذا الذى يتطلع إلى السماء فى ليلة صيف صافية ويرى النجوم اللانهائية وهى تتألق بعيدا ، ثم لا يؤمن بأن هذا الـكون لا يمـكن أن يكون وليد الصدفة العمياء ؟

وعالمنـا هذا وهو يدور فى الفضاء فى حركة دقيقة منظمة ، وفى فصول متتابعة . هذا العالم لا يمـكن أن يكون مجرد كرة من المـادة خالية من الدلالة ، قد نزعت من الشمس فألقيت فى الفضاء بلا معنى ولا سبب . اهـ .

وقد نقل إلينا أن علجا من الأعلاج قصد إلى خليفة المسلمين فى بغداد يطلب منه أن يحاج الإمام الأعظم أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه ـ وقد كان عالم زمانه ـ فى وجود الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا . فأرسل الخليفة إلى الإمام رضى الله عنه وكان فى الناحية الأخرى من النهر ، فأبطأ أبو حنيفة طويلا ثم أبطأ وأبطأ ، فلما وصل إلى الخليفة سأله عن سبب إبطـائه فقال ـ رضى الله عنه ـ والعلج يسمع : (وكأنه كان يفهم اللغة العربية أو أن أبا حنيفة كان يعرف لغته) إنى يا أمير المؤمنين ركبت ذات الألواح والدسر لأعبر بها النهر ، فلما توسطت بها النهر إذا دسرها تنتزع وألواحها تتفرق ، فتعلقت بلوح منها وحرت فى أمرى ، وبينما أنا أفـكر فى حالى الذى وصلت إليه إذا الدسر تتسمر ، والألواح تنضام

وتجتمع ، وإذا السفينة تعود كما كانت من غير أن تمتد إليها يد صانع . وما أن سمع العلج هذا القول من الإمام حتى صفق بذراعيه على جنبيه كالديك ، وظن أنه سيصيب حتما من مناظره مقتلا ، فقال فى تيه بل وقلة أدب : كذبت ، كيف يعقل أن تعود السفينة كما كانت من غير أن تمتد إليها يد صانع ؟ فقال أبو حنيفة رضى الله عنه : إذا لم تعقل هذا فكيف عقلت أن هذه السماء وكواكبها والبحار وماءها والأرض وزرعها والأشجار وثمارها والأنعام وألبانها والعيون وأبصارها والآذان وسمعها خلقت بلا صانع ؟ ! فبهت الذى كفر ؟ فمن لى ببهت هؤلاء الوجوديين كما بهت ذلك العلج .

ثم بعد استمع إلى سارتر يقول : « يولد كل مولود بلا سبب عقلى ، وبلا داع » ولست أدرى ماذا يريد من السبب العقلى الذى يتخيل أن المولود يولد له ؟ ليس هناك من سبب عقلى لولادة أى مولود مهما كان شأنه ، وإنما له أسباب عادية معروفة ، أما الداعى إلى ولادة المولود (ونعنى بالداعى الآثار المترتبة على ولادة المولود ، وهى المسماة بالعلة الغائية) فعمارة هذه الدنيا وابتلاء المخلوقين فيها ، كما قال ربنا جلت قدرته وعز سلطانه : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » . فالداعى واضح وإن كان لا يعقله السفهاء .

ثم يقول بعد ذلك : « وتمتد حياته أى المولود بواقع من الضعف ، ثم يموت بالمصادفة » . سبحانك ربى ! هل من يقول هذا القول يعد من العقلاء المفكرين أصحاب المبادئ والنظريات ؟ هل الضعف يمد الحياة أو يطويها طيا ؟ وما معنى الموت بالمصادفة ؟ هل المصادفة هى التى تقطع الأنفاس ، وتجمد الدم فى العروق ، وتسلب الحياة سلبا ؟ وهبها كذلك ، فماذا يمنعه أن يعظمها ويجلها ويعبدها ، ولكن هذا الرجل كرئيسه مؤسس هذا المذهب - غلبت عليه شقوته ، وجعلت على قلبه أكنة منعته الفهم والتعقل ، وماذا ينتظر من رجل يقول : (إننا والعالم كله خداع فى خداع) يا ليت شعرى من المخادع (بكسر الدال) ومن المخادع (بفتحها) ؟ وهل هناك شىء أقوى دلالة على هذيان الرجل من هذا الذى يقوله ويهرف به ، لو أراد بهذا القول ما يريده بعض الفلاسفة الإسلاميين (وإن لم يأتوا بمثل هذه العبارة) من أن الوجود الحق هو الذى لا يلحقه عدم لا قبل ولا بعد ، وهذا ليس إلا لله وحده ، أما غيره من الموجودين فوجوده مستعار لا قرار له ولا ثبات حيث سبقه العدم ويلحقه العدم ، لو قال هذا لأقررناه عليه واتبعناه فيه ، ولكنه بكل جرأة وسفاهة

ينكر وجود الله سبحانه ، ويرفض فكرة وجوده ، وتبعه فى ذلك خلق كثير ضلت أفكارهم وضعفت عقولهم ، فعموا وصموا واتبعوا السبل فتفرق بهم عن سبيله فهم لا يهتدون .

رب ان الهدى هداك وآيا تك نور تهدى بها من تشاء

ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم .

(للبحث بقية)

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ بالجمهورية المصرية



السعادة فى سوريا قبل ٦٠ عاما

فى سنتى ١٨٩٤ — ١٨٩٦ أقام الفاضل الإنجليزى مارماديوك بكثول فى سوريا قبل أن تدهمها أساليب الغرب وحضارته وأنظمته ، فكتب يصف سعادة الناس هناك ، ونحن ننقله من تعريب الأستاذ ميخائيل نعيمة :

« . . . دهشت لما لقيته فى تلك الحياة من الراحة والحرية ، وقبل ذلك لم أر قط فى حياتى شعبا سعيدا ، أما هؤلاء القوم فكانوا سعداء . أجل ، قد يكونون فقراء ، غير أنهم لا يحلمون بالغنى ، ولا علم لهم بالمضاربات للكسب ، ولا يعرفون من المباريات إلا مباراة الفروسية . فأجور العمال وأجور المساكن وغير ذلك من المتاعب التى نحن نعانيها لم يسمعوا بها على الإطلاق . وليس بينهم طبقات مثلما بيننا ، فأوضعهم يخاطب أرفعهم كما لو كانا من طبقة واحدة . إن بينهم إخاء صادقا ، بقطع النظر عما يكون بينهم من تفاوت فى الرتب » .

لغويات

الأقاح : الأقاحى . العال : العالى

الأقاحى جمع الأقحوان ، وهو من الزهر . و يقول صاحب المصباح : إنه من نبات الربيع له نور أبيض لا رائحة له . وترى أن نون « أقحوان » حذفت فى الجمع ، وقلبت الواو فى الجمع ياء لوقوعها فى الطرف إثر كسر ، فتقديره : أفاعل . وقد ورد فى الجمع الأقاحى بتشديد الياء . ومن هذا قول ذى الرمة :

تبسمن عن نور الأقاحى فى الثرى وفترن عن أبصار مكحولة نجل

ومأتى هذا زيادة ياء قبل الآخر للتعويض من النون المحذوفة ، كما يقال فى جمع سفرجل : سفاريج ، وهذا التعويض جائز قياسا ، ولم أقف فى الأفاعى على التشديد ، فيجوز على هذا أن يقال الأفاعىّ . ووزن الأقاحى ـ بتشديد الياء ـ أفاعيل . وهو فى الوجه الأول من المنقوص ، فالإعراب على الياء ، وتحذف فى حالتى الرفع والجر عند التجرد من أل المعرفة والإضافة . فتقول : هذه أقاحٍ ، ونظرت إلى أقاحٍ . وتثبت الياء فى غير ذلك فتقول : قطفت أقاحى ، وهذه الأقاحى .

وقد غرّ حذف الياء فى أقاحٍ بعض المتأدبين فظنّ أن آخر الكلمة الحاء وجعل الإعراب عليها ، فيقول : قطفت أقاحا . ومن هؤلاء أبو على الحسين النشار من أدباء الأندلس . فقد أورد له صاحب المغرب (٢٠ / ٣٣٨) قوله :

ألوامى على كلفى بحبى متى من حبه أرجو سراحا
وبين الخدّ والشفتين خال كزنجى أتى روضا صباحا
تحير فى جناه فليس يدرى أيجنى الورد أم يجنى الأقاحا

ومن جنس هذا الخطأ فى الأقاحى قولهم : العال فى العالى . والناطق بالعال من العامة لايرى أنها من العلو ، فهو يقول : مكان عالى ، وشىء عال أى جيد ، ويفرق بينهما

فى مدارج القول ، فالظن بالقائلين : العال أنهم يرون نهاية الكلمة اللام حتى لو أن الإعراب جرى فى لسانهم لقالو : اشتريت شيئا عالا ، كما قال الأديب الأندلسى : أم يجنى الأقاحا . والخطأ فى العال جرى أيضا على ألسنة المتأدبين ، فيقول القاضى تقى الدين التميمى من شعراء الريحانة :

الدون لا نرضى به والعال لا يرضى بنا

ويقول الشهاب الخفاجى فى الريحانة ٢٣٤ بعد أن أورد البيت : « والعال بمعنى العالى كقولهم : لم تُبَلْ ؛ إلا أنها لغة عامية مبتذلة » وتراه قرأ « العال » برفع اللام حتى حكم بأنها لغة عامية مبتذلة ، ولو قرأه بكسر اللام لم يكن فيه خروج عن الفصيح ، فقد ورد حذف الياء فى المنقوص المقرون بأداة التعريف ؛ كما فى قوله تعالى : فى الآية التاسعة من (سورة الرعد) : « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » وقول الشهاب : « كقولهم لم تبل » يريد أن العرب يقولون : لم تبال هذا الأمر ، وهذا هو الأصل ، وقد حذف الجازم حرف العلة ، ويقولون أيضا : لم تبل . وتخريج هذا أنه سكن اللام فى « تبال » تخفيفا ، أو لتوكيد أثر الجازم ؛ كأنه لم يكتف بحذف الياء له . وهذا كما فى قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » ، فقد قال الزمخشرى فى الكشاف : قرئ : « ألم تر بسكون الراء للجد فى إظهار أثر الجازم » . ولما سكنت اللام فى « تبال » التقت ساكنة مع ألفها ، فحذفت الألف للتخلص من الساكنين . ويقول سيبويه فى الكتاب ٢/٣٩٢ « وسألته — يعنى الخليل — عن قولهم : لم أبل ، فقال : هى من باليت ، ولكنهم لما أسكنوا اللام حذفوا الألف ، لأنه لا يلتقى ساكنان ، وإنما فعلوا ذلك فى الجزم لأنه موضع حذف . فلما حذفوا الياء التى هى من نفس الحرف بعد اللام صارت عندهم كنون يكن حين أسكنت ، فأسكان اللام هنا بمنزلة حذف النون من يكن . وإنما فعلوا هذا بهذين حيث كثرا فى كلامهم . . . وهذا من الشواذ ، وليس مما يقاس عليه ويطرد » ويرى القارئ بعد هذا أن جعل الشهاب « العال » من باب « لم تبل » فى الحذف تعوزه الدقة ، فالحذف فى « لم تبل » سهله حذف حرف العلة للجزم كما ذكر سيبويه ، ومن قواعدهم أن التغيير يجرئ على التغيير ، فأما الحذف فى العال وجعل الياء نسيا وإجراء الإعراب على اللام فهذا مما يبعده عن النظير المذكور .

على أن للحذف فى الأقاحى والقالى نظيرا بل نظائر ، ولـكننا نجدهـا فى الشاذ الذى لا ينبغى أن يعاج به ، فقد جاء فى كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه ٤٣ : « ومن فوقهم غواشٌ » ، أبو رجاء . قال ابن خالويه : هذا كقراءة الحسن : صالُ الجحيم . ومثله : وله الجوار المنشئات » يريد أن أبا رجاء قرأ فى الآية ٤١ من سـورة الأعراف : « لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش » برفع غواش أى بضم الشين ، وأن الحسن البصرى قرأ فى الآية ١٦٣ من سـورة الصافات : إلا من هو صال الجحيم بضم اللام ، وفى الآية ٢٤ من سورة الرحمن : « وله الجوار المنشئات فى البحر كالأعلام » بضم راء الجوار . وسبيل هذا كله طرح ياء المنقوص نسيا وإجراء الإعراب على ما قبلها ، وهـذا شاذ يقتصر فيه على ما ورد .

فقد علم الباحث خطأ الناس فى قـولهم : قطفت أقاحا . وقولهم : شىء عال على ما يتبادر من استعمالهم أن نهاية الـكلمة اللام .

أغراب : غرباء

جرى النـاس على استعمال الأغراب فى جمع الغريب . فتسمعهم يقولون : حضر فى البلد ناس أغراب ، ومصر تعنى بالأغراب وهم فيها موضع التـكريم والإجلال . وقد نقد المعنيون بتهذيب اللغة وتنقيتها هذا الجمع وأوصوا أن يقال : الغرباء .

وفى الحق أن وجـه الجمع لغريب هو الغرباء . وهو ما جاء به السماع عن العرب ، وفى الحديث : « فطوبى للغرباء » غـير أنه يمـكن تصحيح ما فشا استعماله فى الناس . وفى تصحيحه مسلـكان :

الأول : أن يحتذى فى جمع غريب على أغراب قولهم : شريف وأشراف ويتيم وأيتام وأبيل - وهو كاهن النصارى - وآبال . وفى اللسان (شرف) أن من هذا القبيل قولهم : نصير وأنصار وشهيد وأشهاد . غير أن الوارد من هـذا الباب لا يبلغ الـكثرة التى تخوله أن يكون منهجا يقاس عليه .

والمسلك الثانى : أن يكون أغراب جمع غُرُب فى معنى غريب ، وإن لم يكن هـذا اللفظ جاريا فى استعمال الناس اليوم ، ومما ورد فيه غرب ما أورده صاحب اللسان :

وإنى والعبسى فى أرض مذحج غريبانْ شتى الدار مختلفان
وما كان غض الطرف منا سجية ولكننا فى مذحج غُرُبانِ

وهذا المنهج قياسى فالمصير إليه أولى . ويقول ابن الحاجب فى الشافية : « ونحو جنب على أجناب » فقال الرضى فى شرحها ٢ / ١٢٢ : « فعل فى الصفات فى غاية القلة ، فلا يكسر إلا على أفعال . وإنما اختاروه لخفته » .

سيأ البلاط : صيأ البلاط . صايع : سائع

تقول الخادم فى المنزل : سيأت البلاط . وتقول أخرى : مسحت البلاط . وهذا يعرف فى المدن المفروش أرض دورها بالبلاط من الحجر وما جرى مجراه . وأصل ذلك : صيأ . والتصيىء : بل الشيء . قال فى اللسان : « وصيأ رأسه : بله قليلا قليلا . والاسم الصيئة . وصيأه : غسله ولم ينقه وبقيت آثار الوسخ فيه » . ولما كان البلاط إذا غسل لا يعدم أن يبقى فيه وسخ قيل فيه التصيىء . وترى أن التحريف جاء فى هذا اللفظ من إبدال الصاد سينا . وقد أورد فى المزهر فى النوع الثانى والثلاثين من هذا الضرب قدرا صالحا . ومن ذلك السندوق فى الصندوق ، وسنجة الميزان فى صنجته ، وقولهم سيف صقيل وسقيل ، ومما جاء من هذا قولهم الفقوس والفقوص ؛ قال فى القاموس فى مادة فقس : « وكتنور : البطيخ الشامى أى الحبحب » وفى مادة فقص : « وكتنور : البطيخة قبل النضج مصرية » .

ويقول العامة للرجل المهمل لا يعنى بعمل : صايع : ويبدو أن أصله : سائع ، ومعناه : الضائع . يقال : ساع الشيء يسيع : ضاع ، ويأتى هذا فى سوء الحال ، يقال : ناقة مسياع : تصبر على الإضاعة والجفاء وسوء القيام عليها ، ويقال : ضائع سائع ، وهو من الإتباع ؛ كما يقال : حسن بسن . وقد جاء التحريف عند العامة بإبدال السين صادا ، وهو عكس ما جرى لهم فى المادة التى سبق الحديث فيها .

استدراك على « الملا »

ذكرت فى جزء جمادى الآخرة من هذه المجلة فى بحث كلمة « الملق » العامية التى يعنى بها المتسع من الأرض أن أصلها الملا بالألف ، وهو فى العربية لما يعنى به فى العامية .

وقد نبهني أستاذنا الجليل الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الجامع الأزهر الأسبق على أنه يمكن أن تكون هي الملق في العربية ، والملق في العربية الصخور الملس ، واحدها ملقة ، وهي أيضا سفوح الجبال ، أو التلال المنبسطة ، والمعنى الأخير قريب من المتسع من الأرض ، ويمتاز هذا التخريج على ما ذكرته قبل بأنه ليس فيه تحريف للكلمة نسب إلى العامة ، ويمتاز ذاك بأن المعنى في الملاهو عين ما يعنى بالكلمة في لسان العامة .

وإني إذ أقيد هذا أشكر لأستاذنا هذه الفائدة وأشرك معي فيها القراء ، وأسأل الله التسديد في القول والعمل .

محمد علي النجار



مشكلة الفقر والغنى

يزعمون أننا في عصر العلم ، وفي دهر القانون ، ويريدون أن يسلبوا الناس إيمانهم . كأن الإيمان هو مشكلة الإنسانية ، مع أنه لا حل لمشكلاتها إلا به . إن مسألة الغني والفقر وما كان من بابها لا يحلها العلم ولا القانون ، إذ هي من مواد القضاء والقدر في إنشاء الآلام والأحزان وأضدادها التي تقابلها . وما دام فوق الإنسانية من السماء قوة لا تحد ، وتحت الإنسانية من القبر هوة لا تسد ، فلا نظام إلا على تصريف النفس أمرا ونهيا ، وتأويل الحياة معنى وغاية . فإن لم يكن الشأن في ذلك مقررا في الغريزة على جهة الإيمان ، فلن يكون العلم والقانون على ظاهر النفس إلا ثورة بما في باطنها ، ولن يبرح الناس على ذلك بعضهم من بعض كالهارب منه وهو مضطر إليه ، أو كالمضطر إليه وهو هارب منه ، وكل من كل في معنى من معاني النفس لا إنسانية فيه .

مصطفى صادق الرافعي

بحـــوث

فى الحضانة

— ١ —

١ — الحضانة ـ بالفتح والكسر ـ فى اللغة : تربية الولد وكفالته [١] ، ويذكر الفيروزابادى فى القاموس أن الحضانة ـ بالكسر ـ : تربية الولد ، وأن الحضانة ـ بالفتح ـ التنحية عن الشيء [٢] ، وهذا المعنى اللغوى ـ وهو تربية الولد ـ معتبر فى مفهوم الحضانة عند الفقهاء مع زيادة بعض القيود ، فيعرفها فقهاء الحنفية بأنها : تربية الولد لمن له حق هذه التربية [٣] ، فهم لا يطلقون هذا الحق لكل أحد من الناس ، وإنما يقصرونه فى اصطلاحهم على من تربطه بالصغير صلة الرحم وأواصر القرابة القوية ، وكلما قويت هذه العلاقة فى شخص كان مقدما على غيره من الأقارب فى هذا الحق ، والحكمة فى هذا واضحة جلية ، فأن الجنين ينزل إلى هذه الدنيا لا حول له ولا طول ، ولا قوة له ولا قدرة ، ويخرج من بطن أمه لا يعلم شيئا من أمر هـذه الحياة التى وفد إليها بل ولا من غيرها ، فكان من الرحمة واللطف به أن يجعل له من يكفله ويقوم عليه بالرعاية والحفظ والتأديب والتربية ، وأن يكون القائم عليه ممن يتكامل فيه الشفقة والمحبة ويتوافر لديه الحنان والعطف ، حتى يدفعه ذلك إلى رعاية مصلحة الصغير والقيام عليه على أكمل وجه وأتمه ، بل كان من الرحمـة به ومراعاة مصلحة الأمة أن تحتم الشريعة على ولى الأمر أن يدفع الصغير إلى من تحضنه بنفقة من بيت المال إذا عدم الصغير الأهل والأقارب [٤] ، وأوجبت عليه اختيار الثقات الأكفاء فى هذه الحالة ، ضمانا لكمال التنشئة وحسن التربية وجميل الرعاية ، ويستمر الطفل من وقت ولادته فى رعاية من يقوم عليه من الأهل

---

(١) المصباح المنير ص ١٩٣ .

(٢) القاموس المحيط جـ ٤ ص ٢١١ طبع بولاق .

(٣) حاشية ابن عابدين جـ ٢ ص ٦٥٠ طبع بولاق .

(٤) العناية جـ ٣ ص ٣١٦ .

أو ممن تقيمهم الدولة لذلك حتى يصل إلى درجة يصح أن ينتقل بعدها إلى طور آخر من الرعاية والتثقيف ، فيدفع إلى صنف آخر يكون أقدر على هذا اللون من التثقيف والرعاية وبه أهدى وأدرى ، وهم الرجال الأقربون إليـه أو من تعينهم الدولة لذلك ، والشريعة بنظامها التفصيلى فى الحضانة تحيط الصغير بعنايتها من المهد ، وترعاه رعاية صالحة كاملة إلى أن يستطيع الاستقلال بنفسه غير معتمد على أحد، فيخرج للأمة فى كل جيل من يقدر على تحمل أعباء الحياة والنهوض بها على أكمل وجه وخير مثال .

٢ — وسنقتصر فى بحثنا هذا على أحكام خاصة فى الحضانة ، بعضها فى الفقه الحنفى خاصة تطبقه المحاكم على أنه أرجح الأقوال فى المذهب ، تطبيقا للمادة ٢٨٠ من لائحة المحاكم الشرعية ، مع أن للبحث فيه مجالا ، وبعضها فى الفقه المقارن كثر الكلام فيها لمطالبة بعض الهيئات النسائية بتغييرها وتعديلها بما يتفق مع أهوائها ، وهذه الأبحاث هى : (١) التبرع بالحضانة . (٢) مدة الحضانة . (٣) تخيير المحضون بين الأب والأم عند انتهاء مدة الحضانة .

١ — التبرع بالحضانة

٣ — المتبرعة بالحضانة إما أن تكون أجنبية عن المحضون وإما أن تكون غـير أجنبية عنه ، ونعنى بالأجنبية : من ليس لها حق فى الحضانة ، سواء كانت قريبة غـير محرم للمحضون كأن كانت بنت عم له ، أو محرما غير قريبة له كأخته من الرضاعة ، أو لا يربطهـا بالمحضون أى نوع من أنواع القرابة ، وعلى ذلك فغـير الأجنبية هى القريبة المحرم .

٤ — فأن كانت المتبرعة غـير أجنبية من المحضون كعمته أو جدته لأبيه ، وطلب من هو أولى منها بالحضانة أجرا على حضانته ، فأن المحاكم تسـير فى قضائها على أن الأب إذا كان موسرا فأنه يحكم للطالبة بأجر الحضانة على الأب ، ولا تأثير لتبرع من دونهـا من الحاضنات ، أما إذا كان معسرا — سواء كان للصغـير مال أو لا — أو كان الأب موسرا وللصغير مال ، فأن الأم تخير بين أن تحضنه بغير أجر أو تدفعه إلى المتبرعة ممن دونها فى الترتيب . والمحاكم فى قضائها بذلك تستند إلى ما فى « التنوير » وشرحه « الدر المختار » من أن هـذا الحكم هو المذهب ، وإن كانت عبارتهما واردة فى فرع خاص ، وهو تبرع العمة بالحضانة مع

طلب الأم أجرا عليها، إلا أن الحصكفى فى شرح « الدر المختار » قد استظهر تبعا لغيره أن العمة ليست قيدا بل كل حاضنة كذلك، ونص عبارتهما : « أو أبت أن تربيه - أى الأم - مجانا والحال أن الأب معسر والعمة تقبل ذلك أى تربيته مجانا ولا تمنعه عن الأم ، قيل للأم : إما أن تمسكيه مجانا أو تدفعيه للعمة على المذهب (١) » وكذلك ذكر هذا الحكم ابن عابدين فى رسالة : « الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة (٢) » ولكنه لم يتعرض للنص على أن هذا الحكم هو المذهب .

٥ - وقد علق ابن عابدين فى حاشيته « رد المحتار » على عبارة « التنوير » التى نسبت الحكم المتقدم إلى المذهب بقوله : « لم أر هذه العبارة لغيره وإنما قالوا على الصحيح . وهذا لا يلزم أن يكون من نص المذهب بل يحتمل التخريج تأمل (٣) » .

ونزيد على تعليق ابن عابدين بأن الحكم بتخيير الأم عند تبرع من دونها بالحضانة عند إعسار الأب فقط دون يساره ثابت بطريق التخريج ، وأن طريق تخريجه غير سليم فى نظرنا ، وأنه لا فرق فى تخيير الأم عند تبرع من دونها بين إعسار الأب ويساره ، وأن حكم التخيير ثابت فى الحالين . ولبيان ذلك وإثباته نقول :

٦ - ذكر العلامة ابن نجيم فى البحر نقلا عن الوالوالجية وغيرها أنه إذا تبرعت العمة بالحضانة وطالبت الأم بأجرة الحضانة فالصحيح أنه يقال للأم : إما أن تمسكى الولد بغير أجر وإما أن تدفعيه إلى العمة . ونص عبارته : « أما فى الحضانة ففى الوالوالجية وغيرها : رجل طلق امرأته وبينهما صبى ، وللصبى عمة أرادت أن تربيه وتمسكه من غير أجر من غير أن تمنع الأم عنه ، والأم تأبى ذلك وتطالب الأب بالأجر ونفقة الولد ، فالأم أحق بالولد ، وإنما يبطل حق الأم إذا تحكمت فى أجر الإرضاع بأكثر من أجر مثلها ، والصحيح أنه يقال للوالدة : إما أن تمسكى الولد بغير أجر وإما أن تدفعيه إلى العمة » (٤)

---

(١) التنوير والدر المختار على هامش رد المحتار ج ٢ ص ٦٥١

(٢) الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة ج ١ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

(٣) حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٦٥١

(٤) البحر الرائق ج ٤ ص ٢٢١ ، ٢٢٢

وواضح جدا أن كلام الوالوالجى وغيره فى الحضانة لا فى الرضاع حيث يقول : « أما فى الحضانة » وقوله : « أرادت أن تربيه وتمسكه من غير أجر » فأن الحضانة هى التربية والإمساك عند الحاضنة، وبهذا صرح ابن عابدين فى حاشيته على الدر حيث قال : « والمراد من هذه الأجرة أجرة الحضانة كما هو مفهوم من سياق كلام المصنف تبعا للفتح والبحر والدرر ، خلافا لما فى العزمية على الدرر من أنها أجرة الإرضاع » (١) .

٧ — وقد استظهر ابن نجيم أن غير العمة من المحارم مثل العمة فقال ما نصه : « والظاهر أن العمة ليست قيدا ، بل كل حاضنة كذلك ، بل الخالة كذلك بالأولى، لأنها من قرابة الأم (٢) وقد تابعه على هذا الاستظهار علاء الدين الحصكفى فى « الدر المختار » حيث قال : « والعمة ليست بقيد فيما يظهر » (٣) . وقد أيد هذا التعميم فى الحاضنات ابن عابدين فى حاشيته بتعليقه على كلام القهستانى بقوله : « فهذا ظاهر فى أن العمة غير قيد بل مثلها بقية المحارم » (٤) .

فيتضح مما تقدم أن الحاضنة لو طلبت أجرا على الحضانة ، وتبرع من دونها من الحاضنات بالحضانة ، فأنه يقال للطالبة : إما أن تحضنيه بغير مقابل ، وإما أن تدفعيه إلى المتبرعة لتحضنه مجانا ، فأن رفضت وأصرت على الطلب كان إصرارها مسقطا لحضانتها ، سواء كان الأب موسرا أو معسرا ، وذلك لإطلاق النصوص التى ذكرناها عن الوالوالجى وغيره، فأنها لم تفصل بين يسار الأب وإعساره، ولم تتعرض لذلك، فكانت شاملة لحالى يسار الأب وإعساره من غير تفريق بينهما، وعلى ذلك فلو طلبت الأم أو أمها أجرا على الحضانة وتبرعت أم الأب (جدة الصغير لأبيه) أو أخت الأب (عمة الصغير)، قيل للأم أو أمها : إما أن يكون فى حضانتك مجانا وإما أن تدفعيه إلى جدته لأبيه أو عمته، فأن رفضت حضانته مجانا وأصرت على طلب الأجر أخذ منها ودفع إلى المتبرعة ، لا فرق فى ذلك بين أن يكون الأب موسرا أو معسرا ، بشرط أن تكون المتبرعة قادرة على الحضانة وأهلا لها بأن يتوفر فيها سائر الشروط التى اشترطها الفقهاء فى أهلية الحضانة .

---

(١) حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٦٥١

(٢) البحر الرائق ج ٤ ص ٢٢٢

(٣) الدر المختار على هامش ابن عابدين ج ٢ ص ٦٥٢

(٤) المصدر السابق نفسه .

٨ — لكن خير الدين الرملى يرى أن نص الوالوالجية وغيرها المتقدم مقيد بأعسار الأب، إذ يقول ابن عابدين فى حاشيته على البحر : « قوله والصحيح أنه يقال للأم . . . الخ قال الرملى : قيده فى الخانية والبزازية والخلاصة والظهيرية وكثير من الكتب بكون الأب معسرا، فظاهره تخلف الحكم المذكور مع يساره » (١)، وقد أفتى الخير الرملى — بناء على رأيه هذا — فى محضونة لها أم أب متبرعة بالحضانة وأم أم وأب موسر، بأن المحضون لا يدفع إلى أم الأب ليسار الأب .

٩ — وقبل أن نبحث فهم الخير الرملى تقييد الدفع إلى المتبرعة بأعسار الأب وفتواه بذلك فى تنازع الجدتين نقول : إن المتقدمين من فقهاء المذهب لم ينصوا على حكم تبرع الحاضنة بالحضانة مع طلب من هى أولى منها بأجر الحضانة ولم يؤثر عنهم شىء فى ذلك، وأول من أثر عنه الكلام فى هذا الموضوع هو قاضيخان المتوفى عام ٥٩٢ هـ، حيث تعرض فى فتاويه لحكم عمة متبرعة وأب معسر وأم تطالب بأجرة الحضانة فقال : إنه يدفع للعمة بعد تخيير الأم فى قبوله مجانا، وجاراه فى هذا النص صاحب البزازية وصاحب الخلاصة . وأول من تعرض لحكم تبرع الجدة لأب هو الخير الرملى المتوفى بعد ١٠١٣ هـ حيث أفتى بأن الصغير لا يدفع لأم الأب بعد التخيير إلا إذا كان الأب معسرا، مستخرجا هذا الحكم مما نص عليه فى الخانية والبزازية، ولم يتعرض أحد بعده من الفقهاء لذكر حكم تبرع الجدة لأب، حتى ان تلميذه علاء الدين الحصكفى المتوفى ١٠٨٨ هـ لم يتعرض لحكم تبرع الجدة لأب فى شرحيه « الدر المختار » و « الدر المنتقى » وإنما تعرض لتبرع العمة على نحو ماجاءت به الخانية، وقد ذكر ابن عابدين فى رسالة « الإبانه عن أخذ الأجرة على الحضانة » أحكام تبرع الحاضنة مفصلا، ولكنه جعل الأساس فى هذا التقسيم رأى الخير الرملى وفتواه المتقدمين، ومن ذلك يظهر أن أول من تعرض لتبرع العمة هو قاضيخان، وأول من تعرض لتبرع الجدة لأب هو الخير الرملى، لا بنقله نصا فيها وإنما بالتخريج على نص الخانية وغيرها . ولكن ماقيمة هذا التخريج ؟

١٠ — وللجواب عن ذلك يجب أن نعرف أولا كيف فهم الخير الرملى أن الدفع إلى

---

(١) البحر الرائق جـ ٤ ص ٢٢٢

المتبرعة مقيد بأعسار الأب ؟ وكيف خرج تقييد الدفع للجدة لأب بأعسار الأب ؟ وما الذى استند عليه فى هذا الفهم والتخريج ؟

يجيب الخير الرملى على هذا كله بما تضمنته فتواه على سؤال وجه إليه . ونص السؤال والجواب هكذا : « محضونة لها أم أم ، وأم أب ، وأب موسر ، هل يفرض لأم الأم أجرة على الحضانة ولو طلبتها أم الأب مجانا أم لا ؟ . فأجاب بأن أم الأم أحق فى باب الحضانة من أم الأب كما صرحوا به قاطبة ، أما أولويتها به وإن طلبتها أم الأب مجانا فالمفهوم - من كلام الخانية والخلاصة والظهيرية والبزازية وكثير من كتب المذهب المعتمدة - أنه مع يسار الأب أم الأم أولى منها لتقييدهم الدفع إلى العمة مجانا بكون الأب معسرا ، فيفهم منه عدم الدفع إليها إذا كان موسرا ، وقد ذكر فى البحر : العمة ليست بقيد بل المراد بها كل من كان له حق الحضانة فى الجملة ، وقد تقرر أن مفهوم التصانيف حجة يعمل به ، فعلم بما نقلناه أولوية أم الأم على أم الأب ، حيث لم تطلب زيادة على أجر المثل » (١)

أما كلام الخانية الذى يشير إليه الخير الرملى فنصه : « صغيرة لها أب معسر وعمة موسرة ، أرادت العمة أن تربى الولد مجانا بمالها ولا تمنع الولد عن الأم ، والأم تأبى ذلك وتطالب الأب بالأجر ونفقة الولد ، اختلفوا فيه ، والصحيح أنه يقال للأم : إما أن تمسكى الولد بغير أجر وإما أن تدفعيه إلى العمة » (٢) .

فيتضح من هذا أن سند الخير الرملى فى كل من الفهم والتخريج هو نص الخانية المتقدم ونص البزازية وهو مثله ، وأن طريقه الذى اعتمد عليه فى هذا التخريج هو مفهوم التصانيف .

ونبين الآن قيمة هذا المفهوم فى ذاته وقيمته بالنسبة إلى النصوص الأخرى المخالفة له فى الحكم فنقول :

١١ — مفهوم التصانيف هو المعروف عند الأصوليين بمفهوم المخالفة ، وهو إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت ، وهو أنواع : مفهوم الشرط والصفة والغاية والعدد واللقب ، ومنه عند البعض مفهوم الاستثناء والحصر بألا وإنما ، والمفهوم فى عبارة الخانية وغيرها مفهوم صفة ، لوصف الأب فى عبارتها بالأعسار ، وهذا المفهوم غير معتبر عند

(١) الفتاوى الخيرية ج ١ ص ٦٧ .

(٢) فتاوى قاضيخان على هامش الفتاوى الهندية ج ١ ص ٤٢٣ .

فقهاء الحنفية فى النصوص الشرعية ، أما فى المؤلفات والتصانيف العلمية فقد نقل ابن عابدين - فى الوقف. وفى رسالته المسماة برسم المفتى - أن المتقدمين من فقهاء الحنفية لا يعتبرون هذا المفهوم أيضا، وإنما اعتبره المتأخرون منهم [١] ، وعلى اعتبار أن قاضيخان من المتأخرين بناء على أن عصرهم يبدأ من منتصف القرن الخامس الهجرى، وهو قد توفى فى أواخر القرن السادس ، فما الذى يفيده هــذا المفهوم ؟ . إنه يفيد عدم دفع الصغير إلى العمة إذا كان الأب موسرا بل تكون الأم أولى به من العمة ، وحينئذ يتعارض هذ المفهوم مع منطوق نص الوالوالجية وغيرها المفيد بأطلاقه الدفع إلى العمة المتبرعــة سواء كان الأب موسرا أو معسرا ، أى أنه تعارض منطوق نص الوالوالجية وغيرها مع مفهوم عبارة الخانية وغيرها. فما الخلاص إذن؟ . الخلص هو ماقرره الأصوليون من أنه إذا تعارض منطوق ومفهوم قدم المنطوق على المفهوم لقوة دلالة المنطوق على دلالة المفهوم، ولا يقوى الضعيف على معارضة القوى ، وعلى ذلك فالمعول عليه هو نص الوالوالجية وغيرها المفيد بأطلاقه الدفع إلى العمة موسرا كان الأب أو معسرا .

١٢ - وقد يقال : لم لا يحمل المطـلق فى عبارة الوالوالجية على المقيــد فى عبارة الخانية ؟ . والجواب على هذا واضح جدا مما قرره الأصوليون من التـكافؤ بين المطلق والمقيد فى القوة، لأن التقييد إبطال لبعض أفراد المطلق ، ولا يقوى الضعيف على إبطـال القوى، ولهذا منع الحنفية الزيادة على الكتاب بخبر الواحد لعدم التكافؤ ، وماهنا لا ينطبق عليه ذلك ، لأن التقييد هنا بالمفهوم وهو أضعف دلالة من المنطوق فلا يقوى عليه . هذا فضلا عن عدم اتحاد المصدر والقائل بين العبارتين، فالقائل بالإطلاق غير القائل بالتقييد. والمصدر الذى نص فيه على الإطلاق وهو الوالوالجية وغيرها غير المصدر الذى يفهم منه التقييد وهو الخانية ، فليس هناك إذن ما يسوغ حمل المطلق على المقيد .

١٣ - ومما قدمناه يظهر أنه لا يوجد نص من فقهاء المذهب على تقييد الدفع إلى العمة المتبرعة بأعسار الأب ، وكل ما أمكن العثور عليه هو مفهوم بعض العبارات ، وقد عرفنا قيمة هذا المفهوم وعدم صلاحيته للتقييد . فأذا انتقلنا إلى البحث عن دليل يصلح أن يكون مقيدا من الأدلة الشرعية فأننا لا نجد ما يصلح دليلا على التقييد من كتاب

---

(١) ابن عابدين جـ ٣ ص ٤٢٩ .

أو سنة أو إجماع ، وكل ما أمكننا العثور عليه هو بحث للخير الرملى نفسه فى مساواة الحضانة بالرضاع وقياسها عليه انتهى فيه إلى إلحاق الحضانة بالرضاع ، ورتب على ذلك الحكم بجعل أجرة الحضانة فى مال الصغير إن كان له مال ، كما يحكم بجعل أجرة الرضاع فى ماله ، وقد نقل ابن عابدين عنه هذا البحث فى حاشيته على البحر الرائق وفى رسالة الإبانة ، ونتيجة القياس المذكور تؤيد الدفع إلى العمة إذا تبرعت بالحضانة موسرا كان الأب أو معسرا ، كما يدفع الصغير إلى العمة لإرضاعه إذا تبرعت بذلك موسرا كان الأب أو معسرا ، كما هو حكم الأصل ، والجامع توقف مصلحة الصغير على كل منهما ، وذلك لأن فقهاء الحنفية جميعا يتفقون ـ فى الإرضاع ـ على أن الصغير يدفع إلى المتبرعة ولو كانت أجنبية موسرا كان الأب أو معسرا من غير تقييد بأعسار الأب ، فقياس التبرع بالحضانة على التبرع بالإرضاع لا بد أن يعطينا عدم التقييد كما هو حكم الأصل خصوصا على رأى الخير الرملى الذى أثبت التساوى بينهما .

١٤ — وقد يقال : هناك فارق بين تبرع العمة بالإرضاع و بين تبرعها بالحضانة ، فأن عملية الارضاع عملية آليـة لا تحتاج إلى شفقة أو حنان ، أما الحضانة فتحتاج إلى ذلك ، وهو موجود فى الأم على سبيل الـكمال ، والعمة تقل عنها فى ذلك ، وعليه فلا وجه لإلحاق تبرع العمـة بالحضانة على تبرعها بالإرضاع لوجود هذا الفارق ، فيـكون لإلزامه بالدفع فى حال اليسار معنى معقول ، وهو كون ما يدفعه الأب فى مقابل وضع الصغير عند من يشفق عليه .

والجواب عن هذا الاعتراض أن المتبرعة إن كانت إحدى الجدتين فكل منهما يتوفر فيها كمال الشفقة والحنان ، باعتبار أن كلا منهما أصل للصغير وهو متفرع منها ، وكمال الشفقة ينبنى على ذلك . ولهذا يقول صاحب الهداية فى تعليل انتقال الحضانة الى كل منهما : إن كلا منهما من الأمهات ، ولهذا تحرز ميراثهن السدس ، ولأنها أوفر شفقة للولاد(١) ، وفى ذلك يقول السرخسى فى المبسوط : «ثم أصل الشفقة باعتبار الولاد وذلك للجدات دون الأخوات»(٢) وإنما قـدمت أم الأم على أم الأب باعتبار أن الحضانة وهى ضرب من الولاية تستفاد من قبل الأم لا من قبل الأب ولا علاقة لذلك بكمال الشفقة فى الجـدتين ، ومما

(١) الهداية مع فتح القديرج ٣ ص ٣١٥

(٢) المبسوط ج ٥ ص ٢١٠

يؤيد ما نقول أن الجدتين تتساويان مع الأم فى كثير من أحكام الحضانة، فإن مدة الحضانة للصغيرة عند الأم أو إحدى الجدتين تختلف عنها عند غيرهن من الحاضنات ، فأن الأم والجدتين أحق بالصغيرة حتى تحيض ، أما غيرهن من الحاضنات فليس لهن حق الحضانة إلى تلك المدة ، وإنما ينتهى حقهن ببلوغ الصغيرة حد الاستغناء أو حد اشتهاء الرجال على اختلاف الروايات (١) .

و إن كانت المتبرعة غير الجدتين من المحارم كالعمة والخالة فأصل الشفقة موجود، والحنان والعطف متحققان بسبب القرابة المحرمية، وفرض المسألة كما قدمنا أن هذه المحرم أهل للحضانة وهو ما يعنينا و يعنى الصغير ، وعلى ذلك فلا مجال لوجود الفارق الذى يبطل قياس التبرع بالحضانة على التبرع بالإرضاع .

١٥ — وقد يقال : إن الدليل على التقييد بالاعسار عند التبرع بالحضانة هو الضرر المتحقق من إلزام الأب بأجرة الحضانة مع إعساره ، فدفعا للضرر عنه قيل بالتخيير عند إعساره ، وهذا الضرر غير متحقق عند اليسار لقدرته على الدفع ، فلا معنى للتخيير فى هذه الحالة، و يلزم الأب بأجرة الحضانة ، ولا يدفع المحضون إلى المتبرعة . والجواب عن ذلك أن هذا الضرر متحقق فى حال اليسار أيضا إذا ألزم بأجرة الحضانة مع تبرع من دون الطالبة من الحاضنات ، وذلك لأنه سيلزم بدفع مال لا تعود به على الصغير مصلحة زائدة لتحقق العطف والشفقة والحنان فى المتبرعة إذ الفرض أنها غير أجنبية ، وأنها أهل وقادرة على الحضانة كما قدمنا ، وحينئذ فدفع المال يكون بغير مقابل يعود على الصغير فى رعايته وحفظه أو تربيته ، فيكون إضاعة للمال ، وقد نهينا عن إضاعته بنص الحديث المتفق على صحته ، فكان الضرر متحققا فى حال اليسار أيضا، فيجب أن تخير طالبة الأجر على الحضانة عند وجود متبرعة دونها فى حال يسار الأب أيضا ما دام الدافع إلى التخيير هو الضرر ، ولا مجال للقول بعدم حصول الضرر عند اليسار بدليل أن فقهاء الحنفية قاطبة يجمعون على القول بدفع الصغير إلى المتبرعة بالإرضاع إذا طلبت الأم أجرا عليه ولو كانت المتبرعة أجنبية لا قرابة لها بالصغير ، معللين ذلك بقول الله تبارك وتعالى : « لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده » أى لا يضار والد بألزامه بأجر المثل إن وجدت متبرعة كما فى بعض التأويلات [٢] .

---

(١) فتح القدير ج ٣ ص ٣١٧

(٢) البدائع ج ٤ ص ٤١ ، الزيلعى ج ٣ ص ٦٣ ، ابن عابدين ج ٢ ص ٦٩٤ .

فهم يرون أن الحكم بأجر الإرضاع عند وجود المتبرعة به يعتبر ضررا بالأب، والضرر منفى بالنصوص الكثيرة ، ولا فرق فى الضرر بين إلزامه بدفع أجر الإرضاع أو أجر الحضانة عند وجود المتبرعة فيما إذا كان الأب موسرا وكانت المتبرعة من الحاضنات المحارم كما قدمنا بيان ذلك فيما سبق .

١٦ — بقى أن يقال : إن الأخذ بهذا الرأى تترتب عليه أضرار اجتماعية، لأن كل أب لا يعدم أن يسخر من تدعى التبرع فتزهد الأمهات فى تربية أبنائهن ويتركنهم إلى من لا يعتنى بشئونهم، فيفسد بذلك المجتمع، وتنهار الأسس الصالحة فيه. ولكننا نرى أن هذا نقد لا يتوجه على موضوع البحث، لأننا فرضنا أن المتبرعة لها حق الحضانة وأنها أهل له وقادرة عليه ، ومثل هذه يبعد جدا أن تهمل فى شأن من تبرعت بتربيته أو تقصر فى حفظه ورعايته ؟! ثم ما الذى يزهد الأمهات فى تربية الأبناء ما دامت تتقاضى للصغير النفقة بجميع أنواعها ؟ وما الحكم فيما إذا تزوجت أو سقط حقها فى الحضانة لسبب ما ؟ ، هل يوجه مثل هذا النقد إلى من يليها فى ترتيب الحاضنات ! ! ؟ وهل يقال : إن هذه حال ضرورة مع أنها هى التى زهدت فى حضانة ابنها بمحض اختيارها و إرادتها ؟ فالواقع أنه لا يوجد سند لهذا الاعتراض ، كما لا سند للموضوع أصلا بتقييد الدفع إلى المتبرعة بإعسار الأب فقط .

١٧ — أما إذا كانت المتبرعة أجنبية عن الصغير على النحو الذى شرحناه فى أول البحث ، فأن الصغير لا ينزع من الحاضنة ، ولو طلبت أجرا على الحضانة قضى لها بهذا الأجر ، ولا تأثير لتبرع الأجنبية مطلقا ، موسرا كان الأب أو معسرا ، وسواء كان للصغير مال أو ليس له مال ، وذلك مراعاة لمصلحة الصغير بدفعه إلى من يتوفر لديه النفقة والحنان والرعاية وهى الحاضنة دون الأجنبية ، ولا ضرر فى دفع المال هنا ، سواء كان من مال الأب إذا لم يكن للصغير مال ، أو من مال الصغير إذا كان له مال ، لأن دفعه يعود بمصلحة على الصغير ، وهى وجوده عند من تشفق وتحنو عليه وتقوم برعايته رعاية كاملة ، فدفع المال فى هذه الحالة ليس إضاعة له بل هو صرف له فى موضعه الشرعى .

١٨ — وقد يقال : لم لا يدفع الصغير إلى الأجنبية المتبرعة بالحضانة كما يدفع إليها عند تبرعها بالإرضاع ؟ ولم لا يقاس تبرع الأجنبية بالحضانة على تبرعها بالإرضاع ، فيدفع إليها الصغير كما يدفع إليها عند تبرعها بالإرضاع بإجماع فقهاء المذهب كما قدمنا .

وردنا على هذا أن هنـاك فارقا كبيرا بين الحضانة والإرضاع ، فالإرضاع عملية آلية لا تستغرق إلا زمنا يسيرا، ولا تحتاج إلى ما تحتاجه الحضانة من الشفقة والحنان والعطف والرعاية ، فتستوى فيها الحاضنة والأجنبية ، فيكون تحكم الحاضنة بطلب الأجر على الإرضاع مع وجود أجنبية متبرعة مضرا بالأب إذا ألزم بدفع الأجر إلى الحاضنة ، ولا كذلك الحضانة فإنها تحتاج إلى الشفقة والحنان ، وتحتاج إلى أن تكرس الحاضنة كل وقتها ومجهودها فى رعاية الصغير والعناية به ، فيكون طلب الحاضنة الأجر فى هذه الحالة وإلزام الأب به غير مضر بالأب ، وهذا الفارق الكبير بين طبيعة الحضانة والإرضاع هو الذى يمنع الإلحاق فى هذه الحالة ، ولا يتأثر قياس الحضانة على الإرضاع فى دفع الصغير إلى المتبرعة الحاضنة عند يسار الأب كما يدفع إلى المتبرعة عند اليسار أيضا ، نقول : لا يتأثر القياس بهذا لأن هذا الفارق غير موجود فى القياس الماضى إذ كل من الحاضنتين المتنازعتين محرم للصغير يتوفر فيها ما تتطلبه الحضانة ، وليست أجنبية عنه بحال ، فيكون قياس الحضانة على الإرضاع فى هذه الحالة سليما من جميع نواحيه .

١٩ — بقى أن نقول : إن الحكم المتقدم ـ وهو عدم الدفع إلى الأجنبية وإلزام الأب بأجر الحضانة إذا أصرت الحاضنة على طلبه ـ ثابت بطريق التخريج فى المذهب ، والنص الذى خرج عليه هو نص الولوالجية والخانية اللذين قدمناهما حيث عبر فيهما بلفظ (العمة) وهى محرم للصغير ولم يعبر فيهما بلفظ « متبرعة » حتى يشمل الأجنبية ، وفى ذلك يقول العلامة ابن نجيم فى البحر : « ولم أر من صرح بأن الأجنبية كالعمة فى أن الصغير يدفع إليها إذا كانت متبرعة والأم تريد الأجر على الحضانة ، ولا تقاس على العمة لأنها حاضنة فى الجملة ، وقد كثر السؤال عن هذه المسئلة فى زماننا ، وهو أن الأب يأتى بأجنبية متبرعة بالحضانة ، فهل يقال للأم كما يقال لو تبرعت العمة ؟ وظاهر المتون أن الأم تأخذه بأجر المثل ولا تكون الأجنبية أولى ، بخلاف العمة على الصحيح إلا أن يوجد نقل صريح فى أن الأجنبية كالعمة [١] .

وقد علق الخير الرملى على تخريج ابن نجيم بقوله : « وهو تفقه حسن صحيح ، لأن فى دفع الصغير للمتبرعة الأجنبية ضررا به لقصور شفقتها عليه ، فلا يعتبر معه الضرر فى المال لأن حرمته دون حرمته » [٢] .

---

(١) البحر الرائق ج ٤ ص ٢٢٢

(٢) منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين ج ٤ ص ٢٢٢ ، رد المحتار له ج٢ ص٦٥٢

خلاصة البحث

٢٠ — ويتلخص من هذا البحث ما يأتى :

(ا) أن تبرع الحاضنة بالحضانة مع طلب من هى أولى منها أجرا عليها ليس فيه نص عن المتقدمين لا صريحا ولا تخريجا .

(ب) أن النص المأثور عن المتأخرين خاص بتبرع العمة مع طلب الأم أجرا على الحضانة ، وأن النصوص الواردة فيه بعضها مقيد بإعسار الأب بطريق المفهوم وبعضها مطلق .

(ج) أن الخير الرملى هو أول من قيد النصوص المطلقة بإعسار الأب بطريق التخريج .

(د) أن تخريج الخير الرملى غير سليم لأن مفهوم نص الخانية والبزازية وغيرهما ممن اعتمد عليه لا قيمة له لمعارضته للمنطوق وهو النصوص المطلقة .

(هـ) أنه لا دليل على التقييد بإعسار الأب من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس أو نظر فقهى سليم أو نص صريح من أقوال فقهاء المذهب .

(و) أن القول بعدم التقييد بالإعسار فى موضوع البحث مستند إلى :

١ — نص الوالوالجية وغيرها مع عدم صلاحية غيره من النصوص لمعارضته .

٢ — توفر الشفقة والحنان عند الحاضنتين وهو المناط فى دفع الصغير إلى الحاضنة .

٣ — قياس التبرع عند يسار الأب على التبرع عند إعساره بجامع لزوم الضرر فى كل منهما كما بيناه .

٤ — قياس تبرع الحاضنة بالحضانة على تبرعها بالإرضاع بجامع لزوم الضرر فى الحالين ، فكما يدفع إلى الحاضنة المتبرعة بالإرضاع من غير تقييد بالإعسار فكذلك يدفع إليها فى الحضانة من غير تقييد .

(ز) أن تبرع الأجنبية لا يسقط حضانة الحاضنة بحال ويحكم لها بما تطلبه من أجر ، وأن هذا الحكم ثابت بطريق التخريج . والله أعلم بالصواب ؟

عيسوى أحمد عيسوى
المدرس بكلية حقوق عين شمس

لا تأكلوا لحم الخنزير

لا تأكلوا لحم الخنزير فقد حرمه الله فى قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله » . . ولقد تضارب الفقهاء فى إيجاد أسباب للتحريم خفيت عنهم ، فلما اكتشف العلماء أن الخنزير يصاب بكثرة بدودة « السيستو سيركس » وجدوا فى هذا سببا منطقيا لحكمة التحريم .

ولكن قال المجادلون بعد ذلك : إن هذه الدودة يمكن قتلها بالغلى أو بالتبخير ، وأجابهم البسطاء بأن القرآن أنزل فى وقت لم تكن قد اكتشفت بعد إصابة الخنازير بهذه الدودة ولا طريقة الخلاص منها .

ثم قال آخرون بعد أن أظهر العلم أن الدودة التى تصيب الخنزير تصيب البقر والجاموس وغيره من الحيوانات التى أبيح أكل لحمها ، وسألوا : لماذا هذا الخلاف ؟ فأجيبوا بأن نسبة إصابة الخنازير أكثر من نسبة إصابة الحيوانات الأخرى ، وهذا القول لا يحقق رغبة المدققين من العلماء .

وأخيرا حلل علماء التغذية اللحوم كيماويا فى مختلف الحيوانات ، فوجدوا أن لحم الخنزير يحتوى على دهون أكثر من ضعفى اللحوم العادية ، وأضعاف ما يوجد فى لحوم الطيور والأسماك ، وبذلك يجد أكلة لحم الخنزير رسوب كمية كبيرة من الدهن فى جسمهم ، ووجد العلماء أيضا أن « الكولسترول » هو فضلة من فضلات الدهن يسير فى الدم بنسبة خاصة ، إذا زاد تعاطى الدهن والزبدة والزيوت زادت نسبة « الكولسترول » فى الدم .

وهذا الكولسترول هو الذى يسبب تصلب الشرايين وضيقها و إرهاق القلب وتقصير العمر . وأثبت العلماء ذلك بما لاحظوه أثناء الحرب العالمية الثانية فى النرويج التى خفضت كمية الزيوت المستهلكة فيها إلى أدنى حد ـ من عدم إصابة « النرويجيين » بأمراض تصلب الشرايين والأمراض القلبية على العموم . وليس معنى هذا أن يحرم عن الناس أكل الزيوت

والدهون، ففائدتها عظيمة لحياة الخلايا، ولكن المقصود أن يأكلوها بقدر معلوم وكميات لا تزيد عما يطلبه الجسم للاحتراق الداخلي .

فإذا أكلها الناس ضمن لحم الخنزير دون أن يعلموا أن لحم الخنزير أكثر دهنا من اللحوم الأخرى رسب « الكولوسترول » في جدار الأوعية الدموية ، وأحدث تصلب الشرايين وما يتبعه من أمراض قلبية ينتج عنها تقصير عمر الإنسان وتخفيض في محصول إنتاجه ، فواجبنا بعد ظهور كل هذه الأسباب وثبوتها علميا أن نرفع صوتنا عاليا لمنع مخالفة الدين الحنيف حتى ولو خفيت عنا أسباب التحريم ، فالله خالقنا وهو العليم بما ينفعنا ، يهدينا إليه ويحله لنا ، وما يضرنا ينهانا عنه ويحرمه علينا »

دكتور محمد محفوظ



نذير لأمريكا

يناديها من قبر بنيامين فرانكلين

قبل أكثر من مائة وستين عاما خطب بنيامين فرانكلين — أحد محرري الولايات المتحدة الأمريكية — عند ما كانت أمريكا تضع دستورها ، فقال :

« هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية ، هو (الخطر اليهودى) . فإذا لم ينص الدستور على إقصاء اليهود عن الولايات المتحدة فأنهم (سيحكموننا) فى أقل من مائة سنة ، ويغيرون شكل حكومتنا الذى من أجله سفكنا — نحن الأمريكيين — دماءنا ، وبذلنا حياتنا . . . إنى أنبهكم إلى أنكم إذا لم تزيلوا اليهود إلى غير رجعة فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم فى قبوركم » .

لقد كان هذا الصوت نذيرا لأمريكا من محررها بنيامين فرانكلين ، ولا يزال هذا الصوت يجلجل من باطن قبر فرانكلين إلى أن يسمعه الأمريكيون . . .

حول ترجمة القرآن الكريم

تمهيد :

الترجمة : هى إبانة معنى كلام من لغة من اللغات بكلام آخر من لغة أخرى . قال فى المصباح : يقال ترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلغة أخرى .

ومن المعلوم عرفا أن ترجمة أى كتاب أو رسالة تكون مساوية للأصل ومحاذية له فى حكاية المعنى ونسبته إلى ما هو منسوب إليه فى الأصل ، فترجمة « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » تكون بلفظ من لغة أخرى يفيد الإخبار من الله بأنه أنزل القرآن فى ليلة القدر . ولا تكون الترجمة حقيقية إلا إذا اتفقت ألفاظ اللغتين فى إفادة هذا المعنى من غير زيادة ولا نقصان ، وحينئذ يجوز أن تحل الترجمة محل الأصل وتستوى اللغتان فى الاعتماد عليهما والاحتجاج بكل منهما عند الحاجة إلى العمل بهذا المعنى . ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان المترجم حاذقا للغتين واقفا على مراد المتكلم الأول من كلامه بطريق من الطرق دون الاعتماد على مجرد فهم كلامه لمعرفته بأصول لغته . وبغير ذلك تكون الترجمة تقريبية ، وتتفاوت فى القرب من الأصل والبعد عنه حسب قوة المترجم وضعفه .

والترجمة التقريبية لا تحل محل الأصل فى الاعتماد عليها فى موطن العمل المبنى على مقتضى ما تفيده النصوص ، لكن العرف العام بين الناس يعتبر الترجمة حالة محل الأصل مطلقا سواء كانت حقيقية أو تقريبية ، وسواء كانت الترجمة واحدة أو متعددة من لغة واحدة أو من عدة لغات ، وسواء كانت المتعددة متفقة أو مختلفة ، كترجمة التوراة والإنجيل ، فأنها تسمى فى العرف بالتوراة والإنجيل ، وككتاب كليلة ودمنة لبيدبا الفيلسوف الهندى ، فأن أصله باللغة الهندية وترجم إلى عدة لغات ومنها العربية ويسمى الجميع كليلة ودمنة ، وككتاب سر تقدم الإنكليز السكسونيين الذى ترجمه المرحوم فتحى زغلول ، فأنه يسمى بهذا الاسم فى ثوبه العربى كما يسمى بذلك فى ثوبه الانكليزى . وهكذا كثير من الكتب المترجمة لا يتحاشى الناس عن إطلاق اسم الأصل على الترجمة من غير تصريح بها ، وذلك لاعتقادهم أن الترجمة والأصل شىء واحد لا يختلفان إلا فى اللغة .

فلو عقدت معاهدة بين دولتين مختلفتي اللسان ووضعت موادها بلغة إحدى الدولتين بمشاركة أولى الأمر من الدولة الثانية العارفين بتلك اللغة ثم ترجمت الدولة الثانية تلك المعاهدة بلغتها لا تكون تلك الترجمة معتمدة عند الدولة الأولى بحيث يصح الرجوع اليها عند الاختلاف فى تطبيقها إلا إذا كانت تلك الترجمة معتمدة من تلك الدولة : بأن يوافق على نصوصها بتلك اللغة أولو الأمر منها من العارفين بلغة الدولة الثانية ، وحينئذ يستوى أصل المعاهدة وترجمتها فى كل شيء : فى الاسم ، والمراعاة فى التطبيق ، والرجوع إلى نصوص أيتهما عند الاختلاف بين الدولتين . ولكن العرف العام - كما قلنا - يعتبر الترجمة مطلقا نفس المعاهدة ، ويسوى بين الأصل وترجمته من غير فرق ، سواء وافقت الدولة الأولى على الترجمة أو لم توافق ، لأن أهل العرف ليسوا فى معرض الاحتجاج بالنصوص والتزام الدقة فيما يستفاد منها .

القرآن الكريم :

إذا تمهد هذا فالقرآن الكريم يطلق على معنيين : أحدهما الصفة القديمة ، وهو بهذا المعنى موضع نظر علماء التوحيد ، وهذا لا كلام فيه فى موطن الترجمة . الثانى اللفظ المنزل من عند الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته ، وهذا اللفظ عربى كما هو معلوم قال تعالى : (إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون) أول سورة يوسف ، وهو موضع نظر الأصوليين والفقهاء ، لأن منه استنباط أحكام الشريعة إما مباشرة أو بالواسطة ، وهو بهذا المعنى موضع النظر فى ترجمته إلى غير العربية ، فنقول : يستحيل عقلا ترجمته إلى لغة أخرى ترجمة حقيقية بحيث تساوى الأصل فى إفادة جميع ما قصد منه من غير زيادة ولا نقصان وفى الاعتماد والاحتجاج بكل منهما ، وتكون الترجمة حجة بين الله وخلقه كالأصل ، إلا إذا كانت الترجمة بتوقيف من الله تعالى ، وهو ما لم يكن ولن يكون قطعا .

وأما الترجمة التقريبية ، وهى التى تكون بحسب ما يفهمه المترجم من نصه العربى ، فأن كان المترجم لها غير خبير باللغة العربية أو باللغة الأخرى التى يراد الترجمة اليها ، أو غير خبير بالأصول الإسلامية القطعية ، أو غير خبير بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الذى عهد اليه بيان ما أنزله الله تعالى عليه من الذكر الحكيم كما قال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر

لتبين للناس ما نزل اليهم) سورة النحل ، أو كان من الطوائف المبتدعة الخارجة عن الإسلام وترجم القرآن على مقتضى نحلته وهواه ، فهنالك تكون الطامة الكبرى والداهية العظمى ، فأن هذه الترجمة تصوير للقرآن على غير حقيقته وتحويل لبيانه عن الطريق القويم ، وذلك كما قيل عن ترجمة الطائفة القاديانية للقرآن الكريم .

وإن كان المترجم خبيرا باللغة العربية و باللغة الأخرى ، خبيرا بأصول الإسلام القطعية ، خبيرا بالسنة النبوية المطهرة ، وليس من أهل الأهواء والبدع ، فلا يمكن أن تكون ترجمته وافية بمعظم مقاصد القرآن الكريم : أولا ـ لأن فى اللغة العربية من المزايا والخواص والاتساع ما ليس فى غيرها من اللغات ، فأن فيها الحقيقة والمجاز والكناية والاشتراك والترادف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والإضمار وغير ذلك . ثانيا ـ لأن فى القرآن الكريم من سمو المعنى وجزالة التركيب و براعة الأسلوب ما ليس فى كلام العرب ، و إن كان من جنس كلامهم ، ولذلك أعجز البشر ، قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) سورة الإسراء . ثم إنه يدل بالعبارة على منطوق وعلى مفهوم ، والمفهوم إما مفهوم موافقة ان وافق المنطوق ، أو مفهوم مخالفة إن خالفه . و يدل أيضا بدلالة الاقتضاء ، ودلالة الإيماء ، ودلالة الإشارة . و بعبارة أخرى يدل بدلالة العبارة ، ودلالة النص ، ودلالة الاقتضاء ، ودلالة الإيماء ، ودلالة الإشارة . وفيه المطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والمحكم والمتشابه ، والنص والظاهر والمؤول والمجمل والمبين وغير ذلك مما يطول شرحه ، وهذا يجعل الترجمة التقريبية ناقصة وقاصرة وغير وافية بمعظم ما يقصد من القرآن الكريم ، ومهما كانت وافية ببعض المعانى لا تكون حجة يجوز للمسلم الاعتماد عليها فى أخذ الحكم الشرعى واستنباطه ان كان أهلا لذلك ، لا للمترجم ولا لغيره . أما غير المترجم فظاهر لأنه يلزمه التقليد للمترجم ، وأما المترجم فيجب عليه إذا أراد استنباط حكم مراعاة النص العربى لأنه هو الحجة فى حقه دون الترجمة . ومع ذلك ففى الترجمة ضرر كبير وخطر جسيم ، مع أنها خالية من الفائدة ، فلا ينطبق عليها ما أخبر عنه سبحانه وتعالى فى شأن الخمر والميسر بقوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس و إثمهما أكبر من نفعهما) سورة البقرة .

أما الضرر والخطر فلأمور :

أولا : لأن فيها تلبيسا على المسلمين بأنها القرآن الكريم كالنص العربى، وهى ليست كذلك بالاتفاق. ووجه التلبيس أن العرف العام يقضى بأن ترجمة أى كتاب ونفس الكتاب شىء واحد ، فأن كتاب كليلة ودمنة بالنص العربى فى نظر الناس هو كليلة ودمنة بالنص الأصلى الهندى، وكتاب سر تقدم الانجليز باللغة العربية هو بعينه كتاب سر تقدم الانكليز باللغة الانكليزية ، ولا يجدى نفعا ما يتخذ من الاحتياط فى ترجمة القرآن الكريم بالتنبيه على أنها غير القرآن ، فأن تطاول الزمن وتعدد طبع الترجمة وما يفهمه أهل العرف يكفى كله أو بعضه فى اعتبار الترجمة والأصل واحدا من غير فرق .

ثانيا : أن الترجمة قد تتعدد بعدد اللغات ، وقد تتعدد فى لغة واحدة ، وفى ذلك ضرر من وجهين : الأول أنه يقع فيها اختلاف ، وهذا الاختلاف يكون فى نظر العامة اختلافا فى القرآن — لا فى التراجم — فيكون القرآن الكريم فى معرض القبول والرد والتصحيح والابطال والعياذ بالله تعالى . والوجه الثانى أن التعدد قد يكون مثار اختلاف المسلمين فى أصل دينهم ، لأنه يكون لكل طائفة منهم قرآن بلغتهم يعتزون به، وقد ينكرون غيره ، فمع ما فيه من خطر الانكار يترتب عليه ضياع حكمة إنزال القرآن بلغة واحدة ، وهى جمع المسلمين على كتاب واحد .

ثالثا : أن فتح باب الترجمة للقرآن الكريم من جهة رسمية يعتبرها المسلمون قدوة يشجع الملحدين وغيرهم على ترجمته ترجمة مشوهة ، وتختلط الترجمات فلا يفرق عوام المسلمين من غير العرب بين التراجم ، فتكون ترجمته سببا للاضلال لا للهداية ، مع أنها تحمل المسلمين غير العرب على عدم العناية بالقرآن الكريم بثوبه العربى ، وعدم تمتعهم بقدسيته العظيمة وروحانيته الباهرة .

أما إذا قفل باب الترجمة كما قفله أسلافنا الأقدمون ، وعرف لعموم المسلمين أن القرآن لفظ عربى أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم معجز للبشر متعبد بتلاوته كما أنزله الله لا تجوز ترجمته ، فأن هذه التراجم لا يلتفت إليها المسلمون فتندثر ولا يكون لها اعتبار إلا عند صانعها كما هو الحال الآن ، كما أن ذلك يحمل المسلمين غير العرب على تذليل الصعاب فى سبيل تعلم اللغة العربية حتى ينعموا ببركات هذا الكتاب المبارك، ويتمكنوا من التعبد بتلاوته والاستهداء بهديه .

وأما ما يقوله المناصرون للترجمة فى هذا الزمن من أن لها فائدة هى إرشاد المسلمين غير العرب الى أمور دينهم وتصحيح عباداتهم ومعاملاتهم والحيلولة بينهم وبين التراجم الفاسدة المضللة التى ينشرها بينهم المبشرون ليردوهم عن دينهم، ودعوة غير المسلمين من غير العرب إلى الإسلام، لأن اطلاعهم على محاسن القرآن ومزاياه بالترجمة ربما هداهم الى دين الإسلام فغير وجيه، فأن إرشاد عوام المسلمين إلى ماذكر إنما يكون بوساطة مرشدين من أهل العلم الذين يعرفون علوم الإسلام، سواء كان العوام المسلمون من العرب أو من غيرهم، إلا أنه ينبغى أن يكون المرشد لغير العرب عارفا بلسانهم . أما مجرد تلاوة القرآن ولو بنصه العربى فلا يكفى لإرشاد العوام العرب، لعلوه عن مستواهم، فغير العرب من باب أولى، وكذلك دعوة غير المسلمين الى دين الإسلام إنما تثمر اذا قام بالدعوة علماء يشرحون أصول الإسلام ويبينون مزاياه ومراعاته لصوالح الناس فى الدنيا والآخرة .

فاذا رأى ولاة الأمر من المسلمين أن بعض المسلمين فى بعض البلاد الإسلامية وغيرها ــ وبخاصة غير العرب ــ قد تفشى بينهم الجهل بالدين ويخشى عليهم من تأثير المبشرين، فليبعثوا مرشدين إلى تلك البلاد ممن يعرف لغتهم ويطلبوا إلى أهل تلك البلاد أن يبعثوا من بينهم طلابا إلى الجامع الأزهر ليتعلموا علوم دينهم، ويعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم . وبتوالى هذه البعثات من هنا وهناك يمكن أن تحصل المقصود ويزول هذا الخطر عن بلاد المسلمين .

ولو انضم إلى ذلك بذل المساعى والجهود لدى جميع الدول والطوائف الإسلامية غير العربية فى نشر اللغة العربية بينهم، واعتبارها لغة رسمية بين المسلمين فى جميع الأقطار، كان ذلك خيرا عظيما، لأنها لغة الدين، ولا يمكن الوقوف عليه من جميع الوجوه إلا بإتقان اللغة العربية .

وقد كان حال المسلمين فى العصور السابقة كلما فتحوا بلادا نشروا اللغة العربية فيها، وقد برز كثير من العلماء الأعاجم فى علوم اللغة العربية حتى فاقوا كثيرا من العلماء العرب، مثل الزمخشرى صاحب الكشاف، وعبد القاهر الجرجانى صاحب كتابى دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة .

ورضى الله عن الإمام الشافعى إذ يقول فى رسالته الأصولية : «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله،

ويتلو كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك . وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم نبوته ، وأنزل به آخر كتبه ، كان خيرا له ، كما عليه الصلاة والذكر فيها ، ويأتى البيت وما أمر بأتيانه ويتوجه إلى ما وجه إليه ويكون تبعا فيما افترض عليه وندب إليه لا متبوعا » .

وقد أشار رضى الله عنه بقوله : (ويكون تبعا) إلى دقيقة سياسية كان على المسلمين استدامة مراعاتها ، وقد راعاها المستعمرون ، فأنهم إذا استعمروا بلدا نشروا لغتهم بين أهلها ليكونوا تابعين لهم .

من أجل ما قلناه وغيره مما لم نصل إليه أجمع أئمة المسلمين على عدم جواز (ترجمة القرآن الكريم) ترجمة عامة كترجمة غيره من الكتب ، وأجازوا ترجمة تفسيره ، وسنذكر نصوصهم فيما بعد .

الفرق بين الترجمة والتفسير :

والفرق بين ترجمة نفس القرآن وتفسيره أن الترجمة تحاكى الأصل بحيث يظهر لقارئ الأصل والترجمة أن المتكلم واحد ، سواء كانت الترجمة حقيقية أو تقريبية ، فهى تحاذى الأصل فى نسبة الأقوال تماما ، فأذا كانت عبارة الأصل مثلا هكذا « قلت لفلان كذا ، ورد علىّ بكذا » فالترجمة تكون على هذا السياق والنمط ، من أجل ذلك قلنا فى التمهيد : إن العرف العام يقضى باتحاد الترجمة والأصل .

وأما التفسير فهو شرح وبيان لمعنى القرآن الكريم بحسب ما فهمه المفسر بعبارة من عنده منسوبة إليه يتضح لكل من قرأه أنه غير القرآن الكريم ، وقد يشتمل التفسير على زيادات من التوجيه وبيان أسرار التركيب وغير ذلك .

ولظهور أن عبارة التفسير صادرة من المفسر لا يقع اشتباه بينها وبين القرآن الكريم ، ولم يكن فى ترجمته ضرر أو خطر كالذى بينا ترتبه على ترجمة نفس القرآن ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

نصوص الأئمة فى ترجمة القرآن الكريم :

١ — قال الزركشى فى البحر المحيط فى علم الأصول — وهو كتاب مبسوط لم يطبع — : لا يجوز ترجمة القرآن بالفارسية وغيرها، بل يجب قراءته على هيئته التى يتعلق بها الإعجاز، لتقصير الترجمة عنه ، ولتقصير غيره من الألسن عن البيان الذى خص به دون سائر الألسنة قال تعالى : (بلسان عربى مبين) .

٢ — عبارة النووى فى كتاب المجموع شرح المهذب فى فقه الشافعية صفحة ٣٧٩ من الجزء الثالث : «مذهبنا أنه لا تجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب ، سواء أمكنه ذلك بالعربية أو عجز عنها ، وسواء كان فى الصلاة أو غيرها ، فإن أتى بترجمته فى صلاة بدلا عن القراءة لم تصح صلاته سواء أحسن العربية أم لم يحسن» .

٣ — عبارة المغنى لابن قدامة فى فقه الحنابلة صفحة ٥٣٠ من الجزء الأول :

« ولا تجزيه القراءة بغير العربية، ولا إبدال لفظها بلفظ عربى ، سواء أحسن قراءتها بالعربية أم لم يحسن » اهـ .

٤ — وأما ما نقل عن الحنفية من جواز قراءة القرآن بالفارسية فهو فى خصوص الصلاة لبعض آيات تتوقف عليها صحة الصلاة . وقد أجازوا ذلك للعاجز عن قراءة هذه الآيات باللغة العربية للضرورة واكتفاء بالمعنى ، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، أما ترجمة جميع القرآن كما يراد من المشروع فقد نصوا على منعه كغيرهم من باقى الأئمة . وهذه بعض نصوص الحنفية :

(١) قال شيخ الإسلام أبو الحسن المرغينانى الحنفى فى التجنيس :

« ويمنع من كتابة القرآن بالفارسية بالإجماع ، لأنه يؤدى إلى الإخلال بحفظ القرآن ، لأنا أمرنا بحفظ اللفظ والمعنى ، فإنه دلالة على النبوة ، ولأنه يؤدى إلى التهاون بأمر القرآن » .

(٢) وقال فى معراج الدراية :

« من تعمد قراءة القرآن أو كتابته بالفارسية فهو مجنون أو زنديق ، والمجنون يداوى والزنديق يقتل » .

مشروع الترجمة

مشروع الترجمة صريح فى الترجمة التى بينا فيما سبق أنها لاتجوز ، أما الترجمة الحرفية فظاهر . وأما الترجمة المعنوية فأن هذه الترجمة متى كانت تحاكى الأصل وتحاذيه فى نسبة الكلام - وإن لم تف بجميع مقاصده - هى فى العرف ترجمة للقرآن يعتبرها أهله مع تطاول الزمان هى نفس القرآن مهما اتخذ من الاحتياط بالتنبيه على أنها ليست هى القرآن كما شرحناه فيما سبق . نعم إن أرادوا بالترجمة المعنوية تفسيرا مختصرا ينسب الكلام فيه إلى المفسر من غير محاذاة للأصل ولا محاكاة له فى نسبة الكلام فلا مانع منه بشرطين : الأول أن تكون عبارته واضحة أنها تفسير للقرآن منسوبة للمفسر ، والثانى طبع نصها العربى معها ليزول الاشتباه من كل وجه . وهذا خلاف ظاهر المشروع ، فأن ظاهره أن المراد ترجمته بالمعنى المعروف لاتفسير .

وما استند إليه المشروع من كلام المرحوم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى فأن رأيه قد استقر على ترجمة التفسير كما يعلم من استفتائه جماعة كبار العلماء وافتائهم بذلك وتصديق مجلس الوزراء (إبريل ١٩٣٦) .

وما استند إليه أيضا من كلام الزمخشرى فى كشافه فقد اقتصر فى نقل عبارته كما يقتصر القارئ على قوله تعالى : (ويل للمصلين)، وقوله تعالى : (لاتقربوا الصلاة)، وذلك أن بقية عبارته تفيد ترجمة تفسيره وتفهيمه للناس ، فقد قال فى آخرها : « مع مافى ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والأقطار المتزاحمة والأمم المختلفة والأجيال المتفاوتة على كتاب واحد ، واجتهادهم فى تعلم لغته وتعلم معانيه، ولأنه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف » اه ومثله عبارة شيخ الإسلام وهو أبو السعود .

وما استند إليه أيضا من عبارة الزيلعى شارح الكنز فى فقه الحنفية فكلامه كغيره من الحنفية فيما تجزئ قراءته فى الصلاة فقط ، وفى آخر عبارته قال : إن أباحنيفة رحمه الله رجع عن رأيه .

وما استند إليه من كلام الشاطبى فى الموافقات ، فخلاصته أن اللغة العربية تختص

بالدلالة على معان ثانوية تابعة وخادمة زيادة عن المعانى الأصلية فلا يمكن ترجمتها بالنظر لهذه المعانى التابعة التى اختصت بها اللغة العربية إلى لغة أخرى، ويمكن ترجمتها بالنظر إلى المعانى الأصلية المشتركة بين جميع اللغات ، وذكر خلافا وهو أنه هل تستفاد الأحكام الشرعية من القرآن الكريم باعتبار دلالته على المعانى الثانوية أولا تستفاد ، ورجح عدم استفادتها ، ويعنى أنها لا تكون مقصودة بالتبليغ ، وبناء عليه جوز ترجمة القرآن بالنظر لمعانيه الأصلية المقصودة بالتبليغ قياسا على تفسيره الذى اتفق عليه أهل الإسلام .

وعندى أن كلامه غير وجيه : فأولا لا نسلم أن الأحكام الشرعية لا تستفاد من القرآن باعتبار دلالته التبعية ، فأن تقديم ما حقه التأخير قد يفيد الحصر فيكون مشتملا على الاثبات والنفى كقوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) فأن معناه نعبدك ولا نعبد غيرك ، ونستعينك ولا نستعين غيرك ، والأول منطوق والثانى مفهوم ، وبعبارة أخرى الأول أصلى والثانى تبعى . ولو سلم ذلك فترجمة القرآن باعتبار معانيه الأصلية على فرض استيعابها لها ليست مساوية للقرآن بالاتفاق، ومع ذلك تشتبه به وتعتبر فى نظر أهل العرف أنها القرآن . وفيه من الخطورة ما فيه كما سبق ، وقياسها على التفسير قياس مع الفارق كما وضحناه .

وما استند اليه من كلام الحافظ ابن حجر نقلا عن ابن بطال المالكى من أن الوحى كله متلوا وغير متلو نزل بلسان العرب وبلغ اليهم وهم يبلغونه الى غير العرب بالترجمة ، فمراده أن أحكام الدين الاسلامى من أصول وفروع وأخلاق ـ المأخوذة من الكتاب والسنة ـ تبلغ الى غير العرب بالترجمة ، وليس مراده أن يترجم القرآن كله الى لغات عدة بحيث يتكون من تلك التراجم مصاحف عدة انكليزية وفرنسية ولاتينية . . الخ . والدليل على ذلك أنه لم يقع فى زمانهم ولا فى زمان من قبلهم . والله اعلم ما

عيسى منون
عضو جماعة كبار العلماء
وشيخ كلية الشريعة سابقا

مهازل الترجمة

فى الكلام البليغ

نقلنا فى صفحة ٢٤٧ من المجلد ٢٥ لهذه المجلة الشروط الفنية التى ذكرها أبو عثمان الجاحظ للترجمة ، وما يعتورها من أخطار ، وما يتحمله القائم بها من عظيم المسئولية ، هذا فى كتب العلم ، فما بالك بكلام الله المعجز ؟ . ونقلنا فى ص ٢٦١ من المجلد ٢٦ جواب الشاعر البرهمى رابندرانات تاغور للذين اقترحوا عليه فى مصر أن يترجم بالانجليزية كتبه التى ألفها هو نفسه باللغة الهندوستانية ، فقال لهم : إن ذلك مستحيل ، وإنه يعجز عن ذلك ، لأن لكل لفظة فى لغتها جوا خاصا محيطا بها ، فأذا أمكن وجود لفظ فى اللغة الثانية قريب المعنى من اللفظ فى اللغة الأولى فأن الجو الخاص بكل لفظة فى لغتها لا يمكن أن ينقل إلى اللغة الأخرى . ولذلك كانت الترجمة تصلح فى علوم الرياضة والطبيعة ، وتصلح فى كتب التاريخ والسير : كالتوراة ، والإنجيل ، وتستحيل فى الكلام البليغ ، ولا سيما إذا بلغ فى بلاغته الذروة العليا كالقرآن .

وأمامنا الآن مقال من اليوميات للاستاذ العقاد فى جريدة الأخبار عن هذه الترجمات الجديدة لكتب شكسبير التى ينفق على كل منها مئات الجنيهات تحت إشراف الدكتور طه حسين ! ! . قال الأستاذ العقاد :

النشوز .. والتنمر

سألنى أمس صديق أديب عن رأيى فى ترجمة رواية شكسبير Taming of the Shrew بتأديب الناشز وقال لى : إن الدكتورة سهير القلماوى التى تتولى ترجمتها فضلت هذه التسمية على اسم « ترويض النمرة » الذى اختاره الأستاذ إبراهيم رمزى رحمه الله .

وإذا صح ما سمعته من الصديق الأديب فترجمة شكسبير تحتاج الى تحقيق أصح من هذا التحقيق ، لأن الفرق بين النمرة والناشز بعيد ، بل جد بعيد .

إذ كانت الزوجة الناشز تهجر مسكن زوجها ويصلحها الرد إليه، ولا يلزم من التنمر أن تخرج المرأة من بيت الزوجية بل لعلها تستقر فيه ولا تفارقه ولو طردت منه .

والناشز تكره زوجها وتقلاه ولا تحب أن تعيش معه ، ولكن المتنمرة قد تحبه وتهواه ، وقد يكون تمرها من قبيل المناوشات والمغايظات التي يتبادلها الأحباء .

والناشز قد تترك بيت زوجها أو تعيش فيه ولا تنبس بكلمة واحدة .

أما النمرة أو المتنمرة فلا تسكت عن لذعات اللسان ولو كانت على مائدة الطعام !

والنشوز لا يكون إلا بين المرأة وزوجها ، ولكن التنمر خليقة تكون في المرأة مع كل إنسان : مع زوجها وأهل زوجها ، ومع أبيها وأمها ، ومع الصواحب والجارات .

وإذا اطلع القارئ على رواية شكسبير علم أن الأساليب التي لجأ إليها الرجل لترويض الزوجة السليطة أو المتنمرة ـ تنفع حقا في تخويفها وتهدئتها وتنجع في تهذيبها حيث يكون الأمر كله مستدعيا للتهذيب والتأديب .

ولكن هذه الأساليب قد تزيد المرأة الكارهة كراهة لزوجها ، ونفورا من معاشرته والإقامة معه في مسكن واحد ، وقد يكون نشوزها لأنها هي المهذبة المؤدبة وزوجها هو المحتاج للتهذيب والتأديب .

وهذا هو الفارق البعيد في معنى العنوان .

فكيف يكون الفارق أو الفوارق في الرواية كلها بما اشتملت عليه من مناظر وفصول؟!! .

كان الله في عون الأدب إن لم يتدارك فهمه بتحقيق أصح من هذا التحقيق ؟

الصـــــدق

الصدق مطلوب في الأمور التافهة ، بقدر ما هو واجب في جلائلها . وليس المهم ما يترتب على الكذب من الشر ، بل المهم أن لا تلطخ نفسك بالكذب .

تولستوي

الدستور الجديد

« إن هـذا الدستور يا إخوانى بداية جهاد وليس نهاية كفاح » .

هذا من تعليق الرئيس جمال بعد أن انتهى البطل أنور السادات من تلاوة الدستور .
وحينما كانت مصر كلها مصغية إلى زعيمها فى تعقيبه، وفيما يلهج به عن مآسيها فى الماضى، وآمالها فى المستقبل، كانت مصر فى إصغائها تتلقف كل مادة من مواد الدستور ، وكل كلمة من كلمات الزعيم ، كما يتلقف الظمآن قطرات الماء فى فمه، فتروى غلته رويدا رويدا ، وتبرد كبده شيئا فشيئا ، حتى لم يكد دستورها يتلى عليها ، ولم يكد زعيمها ينتهى من كلماته، إلا دبت فى أعصاب مصر حياة جديدة ، وخالجها أمل قوى ، وتجدد إحساسها فى غبطة وإيمان بأن الثورة لم تقف بأبطالها عند الخطوات الموفقة التى شهدتها ، بل تتجه بها إلى أهداف أخرى ، وتسعى بها إلى غايات ليست قصيرة المدى ، وان حظها من هـذا الدستور فضفاض بحق ، وخطر لمصر طائف الذكريات نحو دستورها القديم حينما قام حوله الجدل ، وثار من أجـله بين الصفوف شغب وانقسام . . ، وذلك لقصوره عن رغبات الشعب ، ضرورة أنه كان منحة شحيحة ممن يودون بقـاء مصر فى عقالهـا ، ولا يرضيهم إطـلاقها فى فسحة من الحرية ، ولا تمكينها من الأوضاع التى تقيم عليها حياتها المنشودة .

ثم جاءت تجارب تلك الحيـاة الدستورية تمثيلا لفصول مكررة : امتزج فيها الجـد بالهزل ، واشتبه الحق بالباطل ، ثم ظل مفروضا على مصر حقبة غير قصيرة . وإذا كانت الأمة أفادت منه شيئا ، أو تقدمت به خطوة، فقد فاتتها أشياء، وتعثرت فيه خطوات . . إذ كان النفوذ الاستعمارى متغلغلا فى أعصاب الدستور ، وكانت ألاعيب الحـكم آخـذة صفة المشروعية الزائفة باسم ذلك الدستور وفى حمايته .

فأذا عدلنا بالذاكرة عن هذه النقائص ، ووقفنا أمام دستور الثورة ، تبينا فى واضح نصوحه ، ولمسنا فى فحواه ومفهومه ، كل مايجيش فى صدر الأمة من رغبات ، ووجدناه غير مشوب بأيهام تريث الأفهام فى تفسيره ، أو يتكلف الذهن فى تعليله ، أو يقبل التأول للسير به ذات اليمين وذات الشمال .

هذا دستور أوحت به وأملته على واضعيه حساسية شعبية وعاطفة وطنية ، وأشرف عليه ضمير قوى يقظ ، وتكفلت به عزيمة جدية صادقة ، فجاء تبويبه طبيعيا يوائم الثغرات التى تحسها الأمة فى نظامها الاجتماعى ، وجاءت مواده جامعة لكل رغبة ، ووافية بالمقاصد التى يتجه إليها طموح المواطنين النابهين وغير النابهين. وماذا يبقى للطامحين بعد أن اشتمل الدستور الجديد على كل منفذ من منافذ الإصلاح ، وجمع كل مبدأ من مبادئ الوطنية المثالية ، والعدالة التامة ، والتوجيه إلى الصالح العام ؟ ؟

ماذا يبقى للغيورين على التربية بعد أن اعتمد الدستور فى توجيه الشعب على الدين ، والخلق ، والوطنية ؟ وبعد أن ترك للمرأة رسالة شاقة تتفرغ لها فى الأمومة ، وتؤازر بنشاطها فى محيط الأسرة كفاح الرجل فى جهوده المضنية ، وتسانده فى بناء المجتمع بتكوين جيل جديد ؟ ؟

أحاطت مواد الدستور بجوانب الخير فى كل ناحية يرجى منها الخير ، وقد نهض إلى تفسير ذلك كله رجال إخصائيون : كالدكتور العربى ، والدكتور عثمان خليل ، وتحدثت إلينا سيدات فضليات كالدكتورة سهير القلماوى فيما أذاعته . وبهذا هدأت نفوس كانت صاخبة ، واستراحت طوائف الأمة إلى الدستور على وجه الإجماع ، ريثما تحين الفرصة لإبداء ما يعن لهم من رغبات .

وإذا روعى أن هذا المشروع للدستور لم يفرض على الأمة نهائيا ، بل مع ما فيه من جمال أتيحت للأمة فرصة النقد له ، وإدخال ما ترى من تعديله أو تكميله بالإضافة إليه — تبين من جديد وعلى وجه التأكد أن روح الثورة هى روح الأمة ، وأن أهداف الثورة هى أهداف الأمة ، وأن الثورة فيما نهضت إليه لم تكن مستوحية إلا من جانب الأمة ، ولا متأثرة بغير الإخلاص للأمة ، والحدب عليها ، والتفانى فى إعلاء شأنها ، وتوفير السعادة لها ، وليس ذلك بحاجة إلى إعراب ، فالثورة لا تضن على الشعب بجهود تبذله ، ولا تمن عليه بخير تحققه ، ولا تصده عن أمل ينشده ويعلق عليها الأمل فى إدراكه .

بل هى تسبق الشعب إلى مبتغاه ، وتوقظ الوعى لدى من غفل وعيه ، وتهيب بالجميع أن يتكتلوا صفا واحدا ، وأن يقتدوا بالثورة فى إنكار الذات ، ونبذ التواكل ، وإيثار الجد ، وعقد الخناصر على المودة فى الوطن والتضحية للوطن ، والإيمان بأن سعادة الوطن سعادة لكل أفراده وجماعاته ، وأن الأنانية وحب النفس سبب للتراجع ، ومضيعة للمجد ، ومهزلة فى التاريخ .

ومن خلال هذه الوطنية المثالية التى تبلورت فيها آمال الشعب ، ونفح عبيرها من فم الرئيس ، ومن أفواه رجال الثورة .. من خلال هذه البطولة التى نهضت على يدها مصر من حضيض إلى نجد ، ومن خلال هذه الرجولة التى كشفت لمصر عن حياة أفسح مما كانت تقنع به ، وأبانت لها أن المجد أعظم مما كنا نحكيه عن الأسلاف ، وأحب مما كنا نقدره .

من هذا الجهاد الصادق الذى كنا نقرؤه فى سير الأولين ، ولم نره إلا فى مواقف أبطال الثورة .

من هذه المحامد التى يتمثل فيها الحق ، وينطق بها الواقع ، ويشهد بها العالم فى الآفاق .

ومن هذه الحياة النابضة فى قوة ، والتى تبعثها الثورة فى جنبات الوادى مع إشراقة الشمس كل صباح ...

ومن هذا الجديد الفتى الذى نلمح مخايله فى وجه الزمن ـ نستطيع أن ندرك حقا تلك الأهداف التى تتمثل فيها روح الثورة ، والتى حدثنا عنها زعيم مصر مترجما بها عن إيمان الثورة : « بأن الدستور الجديد بداية جهاد ، وليس نهاية كفاح » .

ومن هذه الجملة عرف من لم يكن يعرف أن الثورة قامت لتظل قائمة ، وقالت لتظل ناطقة ، وتقدمت الصفوف لتمهد السبيل أمام الأجيال حتى تدأب الأجيال على مواصلة السير ، وإفساح الخطى ، وإدراك ما يضمره الزمن من أمجاد ، حتى تعيش مصر بعد : أكرم مما عاشت : قوية فى دينها ، وأخلاقها ، ووطنيتها — قوية فى قوميتها ، وشخصيتها ، عزيزة بين الدول ، مهيبة الجانب ، مذكورة بالثناء والإعجاب .

أما جمال وصحبه فلم يطمعوا لأنفسهم فى شىء ، ولم يزاحمهم فى وطنيتهم جنوح إلى شىء .

وإذا كان من خصائص مصر عرفانها بالجميل فلن تستطيع الوفاء لرجال الثورة بما يستحقونه من تقدير .

فسلام على جمال فى صحبه ، وسلام على صحبه فى تضافرهم ، وجهادهم ، وسلام عليهم جميعا فيما يستقبلون من أعمار طويلة ، وحياة هنيئة ، تحوطهم فيها الأمة بقلوبها ، وتغمرهم بحبها ، وتهتف لهم دائما بدعواتها الطيبات ، والله المستجيب .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

مسئولية الطبيب

تطالع الصحف والمجلات على الجمهور أحيانا بحوادث مختلفة ، ترجع إلى سلوك بعض الأطباء مع مرضاهم مسلكا غير عادى فى علاجهم ، أو فى إجراء بعض العمليات الجراحية ، أو فى وصف بعض الأدوية التى ينشأ عنها ضرر أو وفاة ، وأحيانا ينشأ الضرر من خطأ القائمين بتحضير بعض الأدوية فى الصيدليات ، أو خطئهم فى تقديم الدواء الذى وصفه الطبيب المعالج للمريض . وقد يترتب على هذه الحالات أن يلجأ المرضى أو أقاربهم إلى الدعاوى والشكايات لدى الجهات المختصة ، وتصدر أحيانا أحكام تلزم الأطباء أو أصحاب الصيدليات بتعويضات مالية ، تتفاوت بتفاوت الأضرار التى طلب عنها التعويض . ويراعى فى تقدير التعويضات الظروف والأحوال والمناسبات والأسباب التى تولد منها الضرر . وقد استرعت هذه الحوادث وتلك الأحكام نظر بعض من يتطلعون دائما إلى أحكام الشريعة الإسلامية فى جميع تصرفاتهم ، حتى تساءل البعض عن حكم الشريعة فى مثل هذه الحوادث وتلك التصرفات ، وهل لها فيها رأى ، وماذا يكون رأيها وحكمها ؟

وقد استدعانى ذلك التساؤل إلى البحث عن الجواب عن هذه الأسئلة ، فعمدت إلى درس هذه الحوادث والتعرف على أحكامها فى مظانها من كتب الفقه الإسلامى ، وهى ترجع إلى ما يأتى : —

جعل الفقهاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لاضرر ولا ضرار » قاعدة عامة فرعوا عليها كثيرا من أحكام الضمانات كضمان الحارس ، والملاح ، والخياط ، والصباغ ، والخباز ، وما إلى ذلك من أنواع الضمانات الناشئة عن تقصير أو تعد ممن يقومون بعمل من هذه الأعمال ، وفوق هذا فقد ورد نص خاص فى تضمين الطبيب عن الضرر الناشئ من علاجه للمرضى ، فقد روى أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده (عبد الله بن عمرو بن العاص) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن » . وفى الحديث إيجاب

الضمان على الطبيب إذا تعاطى علم الطب ، ولم يتقدم له به معرفة ، لأنه تعدى بجهله على الأنفس وغرر بالمرضى فيكون ضامنا لما ينشأ عن عمله من ضرر أو إتلاف .

وقد بحث بعض العلماء في منطوق هذا الحديث ومفهومه وما يدل عليه وما يتعلق به ، فحصر الحالات المتعلقة بالعلاج ، وبين حكم كل منها ناظرا فى ذلك إلى مقدار الضرر الناشئ من العلاج ، والتقصير الناشئ من الطبيب ، ومقدار معرفته بمهنة الطب والظروف التى تولد منها الضرر على الوجه الآتى :

فأن كان الطبيب حاذقا أعطى الصنعة حقها ولم تجن يده فتولد عن فعله المأذون فيه من جهة الشارع ومن جهة من يعالجه تلف فلا ضمان عليه ، لأن التلف نشأ بطريق السراية عن فعل مأذون فيه فلا مؤاخذة عليه : كما إذا ختن الطبيب الصبي فى سن مناسبة للختان وراعى فى ذلك الإجراءات التى يجب عليه القيام بها فى مثل هذه العملية ، فأذا تلف العضو أو توفى الصبي لم يضمن الخاتن ، كما إذا نشأ عن التعزير وفاة فلا شيء على المعزر . وإن كان الطبيب جاهلا فنشأ عن علاجه ضرر للمريض فأن علم المريض بجهل الطبيب وأذن له فى العلاج لم يضمن . وإن كان الطبيب حاذقا واتبع الإجراءات المطلوبة لجراحته لكنه أخطأت يده فهذا يضمن جناية الخطأ ، وذلك فى حالة ما إذا سبقت يد الخاتن إلى مقدار أزيد مما يجب قطعه من العضو فتلف العضو ، وهذا الطبيب الموصوف بهذه الأوصاف لو وصف دواء لمريض فأخطأ فى اجتهاده فمات المريض يؤاخذ الطبيب بخطئه ، وإذا قام بجراحة بغير إذن فنشأ عن جراحته ضرر يضمن لأن الضرر تولد عن فعل غير مأذون فيه .

هذا ما قاله بعض فقهاء الشريعة الغراء خاصا بمباشرة الأطباء لأنواع العلاج والجراحة ووصف الأدوية ، وهو شامل لجميع تصرفاتهم على وجه التقريب . وجميع الأحكام المتعلقة بمهنتهم يمكن استخلاصها فيما أظن من قاعدة : « لا ضرر ولا ضرار » ، وقاعدة : « المتعدى يضمن ما نتج من أضرار بسبب عدوانه » . وهذه بعينها قاعدة المسئولية التى سلكها المشرع الوضعى ، إذ قسم المسئولية إلى مسئولية تعاقد ومسئولية تقصير ، فالأولى تترتب على الإخلال بالتزام عقدى : كمسئولية البائع الذى يقصر فى تسليم المبيع ، والثانية مترتبة على الإخلال بالتزام قانونى يوجب عدم الإضرار بالغير ، وهذه بعينها تشملها القاعدة الشرعية المأخوذة من الحديث النبوي . وقد نص القانون المدنى الجديد فى باب الالتزام

على هذه القاعدة فى المادة الثالثة والستين بعد المائة حيث قال : « كل خطأ سبب ضررا للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض » كمسئولية سائق السيارة الذى يحدث ضررا للغير فى أثناء قيادته . فالضمان والمسئولية مدلولها واحد ومنشؤهما واحد وهو الضرر ، فاذا أخل الطبيب بواجبه العلاجى أو المحامى بواجبه الدفاعى كان كل منهما مسئولا عن الضرر الناشئ من تقصيره ، فأركان المسئولية خطأ نشأ عنه ضرر للغير .

والخطأ فى نظر المشرع الوضعى هو تقصير فى مسلك الإنسان لا يقع من شخص يقظ فى نفس الظروف الخارجية التى أحاطت بالمسئول ، فهو بالنسبة للطبيب تقصير فى إجراءاته لايقع عادة من طبيب يقظ وجد فى نفس الظروف الخارجية التى أحاطت بالطبيب المسئول ، إذ المفروض فى مهنة الطب أنها أجنحة رحمة تبسط على أفئدة المرضى فتكسبها اطمئنانا وتخفف عنها أوجاعها وتلطف آلامها ، فهى مهنة إنسانية تقوم بالواجب لاتطلب جزاء ولا شكورا ، وإنما تبغى الخير والمصلحة العامة للانسانية . فالأرواح والأنفس والمهج أمانة فى أيدى الأطباء يطلب منهم القيام بها على خير وجه ، وتطلب فيها العناية البالغة بموضاهم حتى يصلوا إلى بر السلامة ويخرجوا مما فيه من أمراض وآلام ، فهم فى بحر لجى من الفزع والخوف والرعب تغشاه ظلمات بعضها فوق بعض ، ومن أجل ذلك ورد فى بعض الآثار كثير من المثوبات والأجور للأطباء الذين يقومون بواجبهم خير قيام ، ويؤدون لمهنتهم ما تتطلب من عناية وجهد على الوجه الأكمل .

ورد فى كل ذلك ما يشجعهم على القيام بواجبهم ، ويبشرهم بالخير العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فمن هذا البحث الشرعى والوضعى المتعلق بالأطباء ومهنتهم وأخطائهم وتقصيراتهم وإهمالهم يرى أن المشرع الوضعى كان فى استطاعته أن يولى شطره نحو قبلة الشريعة الإسلامية ويجعلها مصدرا معتدا به فى وضع الأحكام لنظرية المسئولية ، مستندا فى ذلك إلى القاعدتين اللتين ذكرتهما ، خصوصا وأن المشرع الوضعى له سابقة عهد بهذه الشريعة حينما ولى وجهه شطرها فى استقاء أحكام الشفعة ونحوها ، فوجد فيها مرتعا خصيبا وأحكاما دقيقة مناسبة لأحوال الشفعة ، فتخير منها ما شاء له أن يتخيره ، وانتقى الأحكام المناسبة لظروفنا وأحوالنا العمرانية والحضارية والاجتماعية ، وكان فى اتجاهه هذا تأكيد للقاعدة الشرعية القائلة : « الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان » وهذا ما دعا الفقهاء إلى أن يتوفروا على البحث والدرس واستنباط الأحكام الشرعية الملائمة لكل عصر ، كما دعاهم

إلى أن يستنبطوا أحكام الحوادث المتجددة المتولدة من اختلاف الأحوال باختلاف الأزمان، علما منهم بأن الحوادث لا بد لها من تكاثر وتوالد ، وأن ما قاله الفقهاء فى العصور الماضية قد لا يصلح لبناء المجتمع الصحيح فى العصور المتلاحقة . وإنا لنرجو للشرع الوضعى سدادا وتوفيقا ، كما نرجو له ازدياد نشاطه وبحثه ودرسه وتنقيبه فى التراث الفقهى الإسلامى حتى يأتى اليوم الذى يستطيع فيه أن يحصل على استقلاله التشريعى ، ويتخلص من الاستعمار التقنينى ، فاستعمار العقول أشد حسرة وألما من استعمار البلدان .

والتفاخر بالعقول ونضجها واستنارتها أقوى مجدا ، وأعظم كرامة . فقد روى عن نابليون أنه قال غداة وضعه للتشريع الفرنسى فى عهده : « إننى لفخور ومغتبط بهذا العمل أشد من اغتباطى بالنصر فى أعظم موقعة وأخطر حرب خضت غمارها وشاهدت ما حمى من وطيسها » . وقبل ذلك اغتبط جستنيان بجمعه للقانون الرومانى وتنظيمه وترتيبه وتبويبه وتهذيبه واختيار الأحكام المناسبة لعصره من القوانين السابقة عليه . ولم تكن الشريعة الإسلامية شيئا مذكورا فى مجال الأبحاث القانونية الدولية ومجامعها ومؤتمراتها فى العهود الماضية ، وقد علا شأنها وذاع صيتها ودوت أحكامها فى العصر الحديث فى ميادين الدراسات القانونية الدولية : فى المؤتمرات والمجامع ، كما أنه قد أصبح لها شأن أعظم ومجال أوسع فى أبحاث القوانين المقارنة ، بل لقد قررت أخيرا بعض المؤتمرات الدولية التى مثلت فيها مصر ببعض فقهائها أن الشريعة الإسلامية تعتبر مصدرا من مصادر التشريع . كما أن قانوننا المدنى الجديد قد اعتبر الشريعة الإسلامية وأحكامها مصدرا من مصادره . وإن فى إقبال بعض الباحثين على الفقه الإسلامى ودرسه وبحثه واستنباط أحكام القانون الدولى الخاص والعام من الفقه الإسلامى من قواعد معاملة الحربيين والذميين والكتابيين وقواعد الحرب والسلم وغير ذلك من الأحكام التى تدور حول هذا القانون ، وفى وجود رسائل خاصة من بعض الباحثين فى التشريع الإسلامى كرسالة « المصلحة فى التشريع الإسلامى » الدائرة حول المصالح المرسلة والمقبول منها والمردود ، ورسالة التعزير فى الإسلام ، وما تضمنته من ابحاث حول الجنايات ونحوها ، كل ذلك بشير خير ، ورسول فأل ، ينبئ بأن الشريعة الإسلامية لابد أن تصل إلى مجدها الغابر ، وسلطانها الماضى ، وهيمنتها السابقة فى التشريعات ، كما أن فى الأبحاث القانونية التى يقوم بها معهد الدراسات العربية أملا عظيما . وإنا لنرجو التوفيق لكل باحث ومنقب فى تراثنا الإسلامى الفقهى . وإن فى تكاتف الجهود ، وتساند القوى ، وامتداد البحث والسير ، بشيرا بالوصول إلى الغاية المنشودة . والله معين العاملين ، وموفق المصلحين ؟

عبد الله مصطفى المراغى

أغراض الإسلام

يتحدث عنها وزير العمل والشئون الاجتماعية

فى مساء يوم الأحد ٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥ هـ ، جلسنا بأحد أحياء مدينة القاهرة نتدارس الإسلام فى جماعة التزم فى أفرادها أن يكونوا جامعيين .

وكان موضوع مدارستنا تلك الليلة هو التفسير ومناهج المفسرين ، وبعد أن استعرضنا صورا شتى من التفسير ومناهج المفسرين رأينا أن خير منهج للتفسير هو أن ينظر المفسر إلى السورة أو الآيات المجتمعة فى موضع ككل ، ثم يعرف ما الغرض من تلك السورة أو هذه الآيات ؟ وماذا حشد له من الأدلة ؟ وكيف وفت هذه بالغرض المطلوب منها ؟ .

وإذا بنا نفاجأ بالسيد البكباشى أركان الحرب حسين الشافعى وزير العمل والشئون الاجتماعية يدخل علينا فيحيينا ويصافحنا ، ثم يجلس متحدثا معنا فيقول :

إننى مسرور جدا لوجودى بينكم ، ولهذه الطريقة السامية التى تتدارسون بها الإسلام .

إن الإنسان يجب عليه أن يعرف الغرض من كل شىء يتصل به ، وإن تلك المعرفة مهمة جدا ، والعسكريون يعتبرون معرفة الغرض أمرا هاما للغاية . وإذن فما هو الغرض من الإسلام ؟ .

إن الغرض من الإسلام هو الرحمة : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . « بسم الله الرحمن الرحيم » والرحمن الواهب الرحمة ، والرحيم فاعلها ، ولذلك فكل تشريع يهدف إلى الرحمة فهو من أغراض الإسلام ، وكل عمل أو تشريع لا رحمة فيه بعيد كل البعد عن الإسلام .

والتساؤل عن الإسلام وأغراضه أمر قديم ثابت ، فقد جاء فى الحديث الصحيح أن

النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه فطلع عليهم رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يعرفه من الجالسين أحد ، وليس عليه أثر السفر، حتى دنا فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع يديه على فخذيه، ثم سأله فقال : يا محمد ، ما الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلا » .

والإسلام على هذا يتكون من شعار وأربعة أعمدة أو دعائم، ولا بقاء للشعار إذا فقدت دعائمه ، ولا فائدة فى هذه الدعائم إذا لم تحمل هذا الشعار .

فشعار الإسلام أو أساس الإسلام هو : « شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله » ودعائمه هى الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج .

والشعار يرمز إلى العزة والكرامة والحرية والمساواة ، فالناس جميعا سواسية : لا فضل لجنس على جنس، ولا للون على لون . إنما ذوو الفضل من يحققون معنى « لا إله إلا الله » ومن يؤمنون بهذا الشعار ! .

وأما الدعائم الأربع فمنها دعامتان لتربية الفرد الصالح وهما الصلاة والصوم ، ومنها دعامتان لتكوين المجتمع الصالح وهما الزكاة والحج .

فالصلاة تدرب الفرد على محاسبة نفسه ، وحب الله ، والسعى فى رضاه ، والبعد عن غضبه ، وكل صلاة لا تؤدى هذا الغرض ولا تربى فى الفرد تلك المعانى فهى غير مقبولة عند الله بل هى مردودة على صاحبها ! ! فأن الله تعالى يقول : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وفى الأثر : « رب مصل لا صلاة له » .

وأما الدعامة الثانية وهى الصوم فانها تدرب الفرد على الصبر وعلى الإحساس والشعور ، وتهيئه للاندراج فى سلك المجتمع ، فيشعر بآلام الغير .

وأما الدعامتان الثالثة والرابعة ــ وهما الزكاة والحج ــ فهما الغاية القصوى لتكوين المجتمع الصالح ، ففى الزكاة التراحم والتعاطف والتساند ، والحج هو المؤتمر الإسلامى

الأكبر، يجتمع فيه المسلمون من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، فيتم بينهم التعارف والتشاور والتناصح وتبادل العلوم والمعارف .

والشخص الذى يحج دون أن يفهم هـذا الغرض الأسمى من الحج لم يفد من حجه كثيرا .

وكل هذه الدعائم لا شك تكون الفرد الصالح فى المجتمع .

وهى أهم ما تهدف إليه أرقى النظريات العلمية الحديثة لمثل هذا التكوين .

وقد سلك الإسلام فى تلك التربية العالية طريق التدرج ، فأول ما يجب على الفرد هو الإيمان بهذا الشعار، ثم إقامة الصلاة لأنها هى الدعامة الأولى فى تربية الفرد، ثم الصيام لأنه يعد الإنسان للاندراج فى المجتمع . ثم يأتى دور التكوين الجماعى العام فتأتى الزكاة والحج .

فالعسكريون فى التدريب العسكرى الحديث يسيرون على هذا المنهج فى تدريب الجنود . فالفرد يدرب فى مجموعة صغيرة ، ثم ينقل إلى محيط أوسع ، ثم إلى المحيط العام ، وكذلك أركان الإسلام .

ولو تتبع الناس نهج القرآن لسعدوا ! ! ولأتوا بالمعجزات ، فأن القرآن ليس معجزا بلفظه ومعناه فحسب ، بل تأتى المعجزة أيضا إن طبقت مبادئه .

وقد تحقق لنا ذلك أيما تحقق فى مشروع معونة الشتاء ، إذ حاولنا فيه تطبيق مبدأ من مبادئ الإسلام والقرآن ، ولم ندخل فيه أى مال حرام كاليانصيب والقمار والحفلات المحرمة التى كانت تقام لجمع مثل هذه الأموال، فلم تعد بركاته على الفقراء والمحتاجين فحسب، بل كان من بركاته ما عاد على مصر كلها بالعزة والكرامة والرفعة والمجد، وصدق الله العظيم الذى يقول : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

عبد القادر شيبة الحمد

فضيلة المحبة فى الله

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها عليه ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله تعالى . قال : فأنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه . رواه مسلم .

تقديم : قوله صلى الله عليه وسلم : فأرصد الله على مدرجته ملكا — معنى أرصده : أقعده يرقبه ، والمدرجة بفتح الميم والراء هى الطريق لأن الناس يدرجون عليها : أى يمضون ويمشون . ومعنى تربها عليه : تحفظها وتراعيها ، أو تربيها كما يربى الرجل ولده ، لأنه يقال : ربّ فلان ولده يُربه ربا كما يقال رباه ، ومثلهما ربّبه ، ولتضمن تربها معنى الزيادة والمضاعفة عديت بعلى ، فقيل عليه . ومعنى أحببته فيه : أحببته فى مرضاته أى لها .

المعنى : إنّ من آيات الله الحسان ، الهادية إلى الخير والبر والإحسان ، فى هذا الدين الذى أرسل الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وإنقاذا للهالكين ، وتفريجا عن المكروبين، وإسعادا لليائسين ـ هذه المبادئ الاجتماعية التى تتعرفها العقول، وتتعشقها القلوب ، ويشهد بعظيم جدواها وثمراتها كل من لا ينكر الظاهر المشاهد ، ولا يجحد الواقع الملموس ، وهى تلك المبادئ التى لا يغنى فى أخذ الناس بها ، وتقدير مشاعرهم على مقاديرها، وصبغ قلوبهم بصبغتها، أية قوة مادية قاهرة، بل ولا حكمة عقلية صائبة فى هذا الوجود . فأن القوى المادية ـ بالغة ما بلغت ـ لا تستطيع أن تقضى إلا فى ظاهر من أمر هذه الحياة الدنيا ، والأحكام العقلية مهما أحكمت وسددت لا تملك من أمر المثوبات الباقية شيئا ، وليس لهاتين القوتين من هيمنة على الأسرار والبواطن ، ولا تأثير على العواطف والمشاعر كالذى للدين فى حسن تلطفه إلى القلوب ، وتهديه إلى نواحى الخير من النفوس ، وعرضه عليها من لدن ربها البر الرحيم ، وخالقها الوهاب

الكريم ، الذى خلقها ، وفطرها ، وأعدّ لها ـ على مقتضى ما أودعه من الأسرار فيها ـ ما فيه قرّة العيون ، وشفاء الصدور ، مما لا يملكه أحد إلا الله ، ولا ينبغى لأحد سواه .

وهل يستطيع أحد غير الله أن يبشر أحدا بمثل هذه البشارة لهذا الذى أحب أخا له فى الله بأنه قد حظى بمثل هذه المحبة من الله التى ما جعلها لعبد إلا وقد قضى له بالرفعة والكرامة ، والشرف والعزة ، واللطف والعناية ، والنصرة والولاية ، والتوفيق والهداية ، والروح والريحان ، والجود والإحسان ، وكل ما يقتضيه وصف المحبة فى هذا المقام العظيم الذى يعلو بمعناها على هذا الذى يتنزه الله عنه من حقيقتها البشرية التى هى ميل القلوب وانجذابها نحو المحبوب .

على أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فيصل من يشاء بمن يشاء ، ويؤلف بين من يشاء ، ويفرّق بين من يشاء ، على مقتضى من حكمته البالغة ، وعزته القاهرة ، وعلمه المحيط . وفى الحديث : « الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » فكيف يستطيع أحد غيره أن يؤلف بين القلوب المتنافرة ؛ أو يوحد بين الأهواء المتغايرة ، حتى لا يشق إنسان بانسان ، ولا يتوقع منه غوائل البغى والعدوان ؟

فمن هذه المبادئ التى لا تملك قوة ولا حكمة بعد الدين أن تغرس فى النفوس غراسها ، وتشرب فى القلوب روحها ، هذا المبدأ الكريم الذى تتحلى به قلوب أهل المحبة فى الله من المؤمنين . وقد بين الحديث بطريق الأولى أنها محبة خالصة من الشوائب والأغراض ، منزهة عن الأطماع والأهواء . إذ برأها من كل شىء غير ابتغاء وجه الله ، حتى من انتظار الجزاء على ما سلف من النعماء ، وهى الغاية التى تتقاصر دونها مودة الأوداء ، ووفاء الأوفياء .

وقد عظم الإسلام من أمر هذه الخصلة أيما تعظيم ، ودعا إليها بكل أسلوب حكيم ، ورغب فيها بكل ترغيب كريم . فالمؤمنون فيه ليسوا إلا اخوة متعاطفين « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد » . وهذه الأخوة من نعم الله التى يجب أن يذكروها ليشكروها « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » . ولن يجد أحد حلاوة الإيمان وبشاشته ، وطيبه فى القلوب

ولذته، وجماله ووسامته، حتى يكون فيه ثلاث خصال هى إحداها كما فى الحديث: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » بل إن انتفاء هذه الخصلة وحدها ليؤذن بانتفاء الإيمان، ففى الحديث: « والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » بل إن لأهل هذه المحبة ــ من القرب والزلفى ، والسمو عند الله إلى الدرجات العلا، بعد أن يكونوا من الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله ــ ما يصوره لك هذا الحديث الذى رواه الترمذى بسنده إلى معاذ بن جبل رضى الله عنه وقال فيه : حديث حسن صحيح . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « قال الله عز وجل: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » ، وحسبهم أن يرسل الله إلى رجل منهم ملكا كريما ليبشره بأنه يحبه ، وحسبنا أن يخبرنا بذلك نبينا لنتخذ من المتحابين فى الله قدوة ومثلا ، ولنعلم أن الله أحق بكل جميل وأولى ، وأن له من كل وصف حميد المثل الأعلى .

أما بعد ــ فأننا نريد أن نتبين سر هذا الفضل الظاهر لهذه الخصلة الحميدة من خصال الإسلام ، ولم كانت بهذه المنزلة من الإيمان، وما هو وجه ما أسلفنا من أنها من آيات الله الاجتماعية الحسان؟ . وأول ما ينبغى أن يعلم من ذلك أن هذه المحبة إنما هى فرع عن محبة العبد لله . ولهذا ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما من حديث رواه أحمد رحمه الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « والذى نفس محمد بيده ما تواد اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما » . ومن هنا يعلم أن هذه المحبة ليست بالأمر الهين كغيرها من ضروب المودات، وصنوف المحبات التى لا ترجع إلى أصول ثابتة فى القلوب، بل إلى أحوال خارجية طارئة من الاجتماع على الأغراض والشهوات والالتقاء فى الأهواء والنزعات مما هو مظنة التضارب والاختلاف ، وعرضة للتغير والزوال . ولهذا قيل : إن المحبة بين الأخيار سريع اتصالها، بطىء انقطاعها، وأن مثل ذلك كمثل كوب الذهب الذى هو بطىء الانكسار هين الإصلاح ، وأن المودة بين الأشرار سريع انقطاعها ، بطىء اتصالها : كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث ثم لا وصل له أبدا . وقد قيل فى ذلك :

من لم تسكن فى الله خلته   فخليله منه على خطر

ومن وجوه أنها ليست بالأمر الهين كغيرها من المودات مع كونها سريعة الاتصال بين الأخيار أن هذا الوصف من الخير الذى تتلاءم به القلوب وتأتلف النفوس لا يكون

حتى تتطهر القلوب مما يلابسها ملابسة الأرواح للأجساد، ويجرى فيها مجرى الماء فى العود، ويتردد فى خطراتها تردد الأنفاس فى الصدور: من الأثرة وحب الذات، والتعلق بالمطامع واللذات، واتباع الأغراض والشهوات، والطموح إلى العلو على الخلق، والاستكبار فى الأرض بغير الحق. وكما قيل:

كل امرئ فى نفسه أعلى وأشرف من قرينه

وهل التطهر من هذه الخصال، والتحلى بأضدادها، إلا بمثابة هدم النفوس ثم بنيانها، وقتلها ثم إحيائها؟ وهل ذلك إلا صورة من صور الجهاد الأكبر الذى يصل فيه المؤمن ليله بنهاره فى محاربة غرائزه وخصاله، ومنازلة مآربه وأوطاره، حتى يخرج من هذه الحرب الصارمة الحاسمة، حرب الموت أو الحياة، والهلاك أو النجاة، رجلا صادق الإخاء، كريم الوفاء، نقى الصفاء، يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لها، ولا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، فلا يغيره خلاف فى الرأى إن وقع، ولا تضارب فى المصالح إن كان. وعن على كرم الله وجهه «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هذا ما أبغضنى» ولهذا حدت هذه المحبة بأنها «مالا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء» أى أنها أعلى من أن تتطاول إليها أعراض الحياة. وسمع المأمون من بعض الشعراء قوله:

وإنى لمحتاج إلى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

فقال: ائتنى بهذا الصاحب، وخذ منى الخلافة. على أن لهذه الأخوة من الخصال فى الدين ما يجعلها كغيرها من الأصول العظام، لا تستطاع لغير أولى العزم من المؤمنين الصادقين، والعاملين المخلصين، والموفقين المسددين. فعن ابن عمر رضى الله عنهما من حديث سبق بعضه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول: «للمرء المسلم على أخيه من المعروف ست: يشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، وينصحه إذا غاب ويشهده، ويسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات. وينهى عن هجرة المسلم أخاه فوق ثلاث» وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن: يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه» وفى رواية أخرى لغيره «المؤمن مرآة أخيه المؤمن يرى فيه حسنه وقبحه» وهى كالتفسير لما قبلها. وقد كان أهل النفوس الكبيرة من أسلافنا يرون أن ذلك

هو حق الإخاء ، وواجب الوفاء ، لا ما يتعلق به صغار النفوس ـ وما أكثرهم ـ من حب الإطراء والثناء .

فعن عمر رضى الله عنه أنه كان يقول : رحم الله امرأ أهدى إلىّ عيوبى . ومن كلام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لميمون بن مهران رحمه الله : قل لى فى وجهى ما أكره ، فأن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكره .

ولو أن المسلمين أشربوا فى قلوبهم هذه المحبة كما أشربها أسلافهم من المهاجرين والأنصار حتى قدمت فيهم أخوة الإيمان على أخوة الأنساب فى كل شىء حتى فى المواريث إلى أن استقرت بهم الدار ، واختلفت الحال ، لاستطاعوا أن يبنوا مجتمعا لا يجد فيه الضعيف ذلة ، ولا الفقير قلة ، ولا المنقطع وحشة ، ولا الغريب غربة ، ثم لأوصدوا هذه الأبواب التى يظن الجاهلون أن فى فتحها المخرج من مشاكلنا الاجتماعية ، ثم لمحوا من بينهم هذه الحدود التى أقامها ليقطع بها ذات بينهم المستعمرون ، ويفرقهم بها الغاصبون ، حتى يكونوا ضعفاء مستذلين ، أو أعداء متنافرين ، ولاستطاعوا أن يكونوا كما شرع الله أمة واحدة لا تفرقها المذاهب والعصبيات ، ولا تخالف بين قلوبها الاختلافات والخصومات . فأن ما بينهم ـ على وضوح الكتاب وبيان السنة ـ لعجب من العجب ، عجب كما يقول على كرم الله وجهه يميت القلب ، ويشغل الفهم ، ويكثر الأحزان .

ولنختم هذه الكلمات بحديث كريم فى مثوبة المتحابين فى الله ومن يعطون هذه المحبة حقها العظيم . فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : وجبت محبتى للمتحابين فىّ ، والمتجالسين فىّ ، والمتزاورين فىّ ، والمتباذلين فىّ » ، وبقوله تعالى فى صفة الأنصار الذين ضربوا لهذه الأمة وللأمم جميعا أروع الأمثال فى المحبة والإيثار « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

محمود فرج العقدة
المدرس بكلية اللغة العربية

إنما هي اللقطة، بفتح القاف، لا غير

اللقطة : فى كتب الحديث بفتح القاف .

قال النووى : هى بفتح القاف على اللغة المشهورة التى قالها الجمهور .

وقال فى الفتح : اللقطة بضم اللام وفتح القاف ، على المشهور عند أهل اللغة والمحدثين .

وقال عياض : لا يجوز غيره .

وقال الزمخشرى فى الفائق : اللقطة ، بفتح القاف ، والعامة تسكنها . كذا قال : وقد جزم الخليل بأنها بالسكون .

وقال الأزهرى : هذا الذى قال هو القياس . ولكن الذى سمع من العرب وأجمع عليه أهل اللغة والحديث الفتح .

وذكر مثله القسطلانى .

هذا هو الصواب الذى لا محيد عنه ، وما سواه خطأ فاحش ، أوقع المخطئ فيه عدم تمييزه بين ما جاء على وزن فُعلة من النعوت ، وما جاء على وزنها من الأسماء .

ومن هؤلاء الخليل بن أحمد ثم الليث ثم صاحب المقاييس ، وبعض المعاصرين .

ومن تمسك بقول الليث فى اللسان، فقد أنكره عليه الأزهرى حيث قال : الفصحاء على غير ما قال الليث : روى أبو عبيد عن الأصمعى والأحمر قالا : اللقطة والقصمة والنُّفقة (بالفتح) مثقلات كلها . وهذا قول حذاق النحويين . ولم أسمع اللقطة (بالسكون) لغير الليث .

ونقل الأستاذ عبد السلام هرون فى التعليقة صفحة ٤٦٤ من تهذيب الصحاح ما جاء فى شرح الفصيح المنسوب إلى ثعلب ، لمؤلفه ابن درستويه قال : اللقطة على وزن فعلة ، بفتح الثانى، والعامة تسكنه، وأما الخليل فذكر أن اللقطة ساكنة القاف . والقياس ما قال الخليل وهو الصواب، وما اختاره ثعلب وغيره خطأ .

انتهى كلام ابن درستويه .

وابن درستويه خطأ الصواب ، وهو ما قاله ثعلب ، وصوب الخطأ ، وهو ما قاله الخليل ، والذى أوقعه فى ذلك أيضا عدم تمييزه بين ما جاء على وزن فعلة نعتا ، وبين ما جاء على وزنها اسما .

وقد جاء فى أدب الكاتب لابن قتيبة ، تحت باب ما جاء محركا والعامة تسكنه : قال : أتحفته تحفة ، وأصابته تخمة ، وهى اللقطة ، لما يلتقط ، وقال فى الاقتضاب : كذا حكى غير ابن قتيبة ، و وقع فى كتاب العين : اللقطة بسكون القاف اسم لما يلتقط ، واللقطة بفتح القاف الملتقط ، وهذا هو الصحيح ، و إن صح الأول فهو نادر ، لأن فعلة بسكون العين من صفات المفعول ، و بتحريك العين من صفات الفاعل .

وأقول أنا : إن صاحب الاقتضاب قد خلط بين ما هو اسم على وزن فعلة و بين ما هو نعت على وزنها ، كما خلط إخوان له من قبل .

أما الجواليقى فلم يعقب على قول ابن قتيبة ، وهذا معناه إقراره لما قاله صاحب أدب الكاتب .

وقال ابن دريد فى الجمهرة (ج ٣ ص ١١٢) واللقطة (بالفتح) ، التى تسميها العامة اللقطة (بالسكون) معروفة ، وهو ما التقطه الإنسان فاحتاج إلى تعريفه .

هذه النقول قد ذكرتها على طولها ، لأن بعض من يعز علينا قد أخطأ فيها وتمادى فى الخطأ حتى اعتقد أن الخطأ هو الصواب ، وأن صواب غيره هو الخطأ .

والقول الفصل التعليمى فى هذا الباب ما عقد له ابن السكيت فى كتابه (إصلاح المنطق) باب فعلة . قال : واعلم أنه ما جاء على فعلة بضم الفاء وفتح العين من النعوت فهو تأويل فاعل . وما جاء على فعلة ساكنة العين فهو فى معنى مفعول به . تقول : هذا رجل ضحكة كثير الضحك ، ولعبة كثير اللعب ، ولعنة كثير اللعن للناس الخ . .

وفاته أن يذكر مثلا لفعلة ساكنة العين ، فذكره السيوطى فى المزهر . قال : قال أبو عبيد : و يقال فلان لعنة يلعنه الناس ، وسبة يسبونه ، وسخرة يسخرون منه ، وهزأة وضحكة مثله ، وخدعة يخدع ، ولعبة يلعب به .

ثم قال ابن السكيت : ومما أتى من الأسماء على فعلة (بفتح العين) ، الزهرة النجم . وهى التهمة واللقطة والتخمة والتحفة وعليك بالتؤدة فى أمرك . . الخ .

والذى يدعو إلى الدهشة أن الأستاذ عبد السلام هرون كان أحد شارحى ومحقق كتاب (إصلاح المنطق) وقد صدر عام ١٩٤٩ . ولما أخرج كتاب تهذيب الصحاح عام ١٩٥٢ انساق مع ابن درستويه فى تخطئة المصيب وتصويب المخطئ ، فى تعليقه على مادة لقط ص ٤٦٤ ، ولم يمر بذهنه ما قرره هذا المعلم الكبير : ابن السكيت ، فى إصلاح المنطق .

وبعد تحرير ما تقدم حدثنى الأستاذ الكبير السيد خير الدين الزركلى ، أن بدار الكتب المصرية نسخة خطية من كتاب : (التقريب فى علم الغريب) لابن خطيب الدهشة — محفوظة تحت رقم ٦٧٧

وقد جاء فيه : اللقطة كرطبة . ويسكن ، أو هو من لحن العوام . اه .

وأنا أقول قولا لا ريب فيه : بل هو من لحن العوام وإن قالها الخليل والليث وابن درستويه ومن والاهم من المعاصرين .

نقلت هذا من تعليق على صحيح مسلم الذى تخرجه الآن دار إحياء الكتب العربية . صفحة ١٣٤٧ م

محمد فؤاد عبد الباقى

الشباب والمشيب

لم يدر طعم العيش شبان ولم يدركه شيب
جهل يضل قوى الفتى فتطيش والمرمى قريب
أواه لو عقل الشباب ، وآه لو قدر المشيب

اسماعيل صبرى

ركن الطلبة

الى الميـــــدان

قسما بحبك يا بلادى والدموع الطـاهره

لأخوض معركة الـكفاح مع الجنود الظـافره

ونرد كيد عصابة دارت عليهـا الدائره

مجــد العروبة لن يهـان فكل عين ساهره

ستـكون دولتنا لأعــداء السلام القـاهره

بعزائم الشجعان منا سوف تبقى عامره

فلسوف نذهب للعــدا مثل الأسود الـكاسره

ولسوف نرجع بعـــد ما نسقى الردى للغادره

* * *

قسما بحبك يا بلادى أننى لن أقعـدا

حتى أرى بأس العدو اليوم قــد ولى سدى

يأيهـا الوطن العزيز دم الشباب لك الفـدا

سنخوض معركة تنال بهـا المنى والسؤددا

ونلقن البـاغى دروسا ليس ينساها المـدى

فالثأر يصرخ فى دمائى ضاربا لى موعدا

بين الملاحم ، كى أرد الحق من أيدى العـدا

وبكل جارحة بجسمى الحر ، لبيت الندا

فإذا حييت فإننى أحيا شريفا سيدا
وإذا قتلت ففى سبيل الله أن أستشهدا

* * *

عملاء إسرائيل لن يبغوا لنا غير النواح
قامت قيامتهم وثاروا عندما رمنا السلاح
ملئوا مسامع كل من فى الأرض من ذاك الصياح
وجموع إسرائيل ضجت من مهازلها البطاح
نقضوا العهود ، وأمعنوا فى غدرهم فلمَّ النباح
هذى مكايدهم ترى للناس فى وضح الصباح
ومن المذلة أن نرى مهد العروبة يستباح
وطئوا قداسته وقالوا : إن ذا أمر مباح ! !
فإلى المعامع يا فتاتى قد أتى زمن الكفاح
فعلى تقتيل العدا وعليك تضميد الجراح

عبد الله محمد أبو عيد
بكلية الشريعة

يا شرق

يا شرق فانزع عنك ثوب البلى واستبدل المبهج بالموجع
فقد كفى أهليك مانابهم حتى أضاعوا واضح المهيع
كان لهم ما كان من عزة أرفع من أوج السهى الأرفع

مصطفى الغلاييني

أسرار الشريعة الاسلامية

فى تعديل التقويم العربى وبدء الشهر الشرعى

نبينا الأمى محمد صلى الله عليه وسلم قد عدل وحدات التقويم القمرى (اليوم ، الشهر ، السنة) ثلاثة تعديلات بالوحى دون الاستعانة بأى أحد من الحاسبين أو الفلكيين . وبيانه :

التعديل الأول : حصل فى السنة الثانية بعد الهجرة ، إذ كان المتبع عند العرب خصوصا بالمدينة المنورة العمل بقاعدة تقريبية اصطلاحية لمبادئ الشهور القمرية بالوضع الاقترانى الوسطى ، فكانوا يجعلون كل شهر فردى العد من السنة (٣٠ يوما) كالأول والثالث والخامس الخ ، وكل شهر زوجى العد (٢٩ يوما) كالثانى والرابع والسادس ، وهكذا .

ومن المعلوم أن صيام شهر رمضان قد فرض فى شعبان من السنة الثانية بعد الهجرة ، إذ نزل فيه آية (شهر رمضان) إلى قوله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) . وحدث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) و بقوله : (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه) . . .

وفى ليلة السبت الثلاثين من شعبان هذا التمس الصحابة رؤية الهلال بعد غروب الشمس ولم يروه ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأتمام شعبان (٣٠ يوما) آخرها السبت ، وصاموا رمضان (٢٩ يوما) من الأحد لغاية الأحد ، إذ رأوا هلال شوال عاليا مساء الأحد ، وشمل هذا التعديل جملة أمور :

« منها » أن مبدأ الشهر القمرى بعد أن كان معتبرا بالوضع الاقترانى أى من الاجتماع للاجتماع صار معتبرا من الوضع الهلالى الذى هو (اتجاه نور القمر نحو سطح الأرض بعد المحاق بحالة تحقق رؤيته بعد غروب الشمس) وبهذا صار مبدأ الشهر الدينى الإسلامى إنما هو اليوم المسبوق بالمغرب الذى يعقبه رؤية الهلال . . .

و « منها » أن مبدأ اليوم الدينى الإسلامى أيضا صار من الغروب للغروب ، فتقدم ليله على نهاره بعد أن كان اليوم عند العرب مضطربا ، تارة يعتبر مبدؤه من الشروق للشروق ، وتارة من الغروب ، وتارة من الزوال ، وتارة من لحظة الاجتماع كمبدأ الشهر الاقترانى عندهم . . .

و « منها » إقرار الشارع لتركيب الشهر من أيام كوامل عـددها (٣٠ يوما) تارة و (٢٩ يوما) أخرى مع إلغاء لزوم التعاقب بينهما أى إلغاء قاعدة الفردية والزوجية التى أشرنا إليها ، إذ قد يتوالى فى القاعدة الشرعية أربعة شهور كوامل أعنى (٣٠ يوما) وثلاثة شهور نواقص أعنى (٢٩ يوما) بعد أن كان بعضهم يركبه من (٢٩ يوما) فقط تاركين للكسر و بعضهم يجعله (٢٩ يوما) وكسرا دائما غير مبالين بالكسر فى أوله أو آخره بحيث يبدأ الشهر من لحظة الاقتران ليلا أو نهارا ، و بعضهم يجعل الشهر الأول من السنة (٣٠ يوما) والثانى (٢٩ يوما) والثالث (٣٠ يوما) وهكذا على التعاقب إلا ذى الحجة فيجعلونه فى السنة الكبيسة (٣٠ يوما) وفى البسيطة (٢٩ يوما) .

التعديلان الثانى والثالث : حصلا فى السنة العاشرة من الهجرة إذ كانت السنة القمرية الدينية (١٢ شهرا قمريا) منها (أربعة حرم) كالترتيب الحالى من عهد الخليل إبراهيم و ولده إسماعيل عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ولكن عرب قريش قبل الإسلام بنحو (٢٠٠ سنة) كانوا قد انحرفوا عن دين أبويهم وأدخلوا كبسا غير منتظم على سنتهم بجعلها (١٣ شهرا قمريا) كلما صادفت حرارة الصيف مواسم حجهم وتجاراتهم ، ولم يكتفوا بهذه المخالفة بل كانوا ينسئون الأشهر الحرم : بأن ينقلوا اسم الشهر إلى ما بعده كلما أرادوا شن الحرب على غيرهم ، فانبهمت معالم المواسم الدينية وفسد نظام هذا التقويم الدينى .

ولما جاء الإسلام عدله بتحريم الكبس والنسىء معا إذ نزلت الآيتان « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الآية » و « إنما النسىء زيادة فى الكفر الآية » بهذا التحريم فى سنة فاصلة بين الحق والباطل وهى العاشرة بعد الهجرة ، إذ اتفقت فيها جميع التقاويم والتواريخ الشمسية والقمرية صحيحها وفاسدها ، وعلم النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بالوحى فحج وخطب فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، أى منذ خلق الله الأجرام السماوية وحركاتها وأزمنتها .

و يالها من معجزة باهرة لنبى أمى لا يكتتب ولا يحسب ، إذ عادت فى هذه السنة أسماء الشهور وجميع المواسم الدينية إلى أمكنتها التى كانت عليها زمن إبراهيم و إسماعيل عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم . كما كشف هذا أيضا أخطاء التواريخ : القبطى والرومانى والعبرى والميلادى قبل أن يتنبه أهلها لخطئها .

هذا ولم يؤثر أى خلاف بين المسلمين فى أول صومهم وفطرهم أيام النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ومن بعدهم مع اتساع رقعة الإسلام فى أيامهم واختلاف المطالع

غير الحادثة المأثورة فى خلافة معاوية بالشام وولاية عبد الله بن عباس على المدينة المنورة، وكان عهد فتن كقطع الليل المظلم ومظنة عدم الثقة والاتصال كالحاصل بين حكومات الإسلام الآن .

اى نعم لم يكن سبب هذا الخلاف الآن من أصول الدين أو أصول الفقه الإسلامى، بل السبب الحقيق إنما هو التقاطع وعدم الثقة بين حكومات المسلمين، خصوصا بعد أن فرقتهم الحروب التترية والصليبية ودسائس الاستعمار ودماره .

ولذلك كان من أوجب الواجبات على المسلمين بعد إزاحة الاستعمار التماس عوامل التواصل والترابط والثقة بين حكوماتهم حتى تنتظم أمورهم الدينية والدنيوية .

ولاشك أن من أهم هذه العوامل اتحاد كلمتهم فى أول صومهم وفطرهم وجميع مواسمهم وأعيادهم، إذ فيها تظهر مظاهر الوحدة الاجتماعية بمعانيها الحقيقية .

مع العلم بأنه لا يمكن تحقق هذا المأمول إلا مع المبدأ القائل (بعدم التعويل على اختلاف المطالع) فى إثبات مبدأ الصيام والفطر والحج والنحر وسائر الشهور الشرعية، ما دام العمل بهذا المبدأ القوى لايخالف أصول الفقه ولارأى المحققين من مجتهدى الفروع، إذ صرحوا بالتزام أهل المشرق الصيام والفطر برؤية أهل المغرب و إن اختلفت المطالع .

وبالجملة فأن ما أريد بيانه أن الشارع قد اعتبر اليوم الشمسى الدينى الإسلامى بقسميه الليل والنهار « من المغرب للمغرب » ، فليل اليوم الشرعى يعقبه نهاره ، كما جعل الله لهذا اليوم بقسميه فلكا يدور به أو يسبح فيه على حد تعبير القرآن الكريم « وكل فى فلك يسبحون » حول الأرض من الشرق إلى الغرب . . .

وكما أن دول العالم قد اتفقت على أن المبدأ الدورانى لليوم المدنى عند خط الطول المقابل لخط جرينتش المار بالمحيط الهادى شرق آسيا المسمى (خط تغيير التاريخ) بمعنى أنه إذا كان اليوم والتاريخ فى أمريكا شرق هذا الخط (الأحد ٢٢ مايو) مثلا يكون فى شرق آسيا غرب هذا الخط (الاثنين ٢٣ مايو) فأننا نعتبر أيضا هذا الخط مبدأ الدوران لليوم الشرعى . . .

فأذا تصورنا دوران نصف الليل الذى هو مبدأ اليوم المدنى من (خط تغيير التاريخ) نحو المغرب منه أعنى إلى آسيا ثم أفريقيا وأوربا والأطلانطى ثم أمريكا وهكذا

فكذلك نتصور دوران المغرب الذى هو مبدأ اليوم الشرعى من هذا الخط على هذا الترتيب قبل نصف الليل الذى هو مبدأ اليوم المدنى بست ساعات ، وكل بلد يمران به يتجدد فيه اسم اليوم والتاريخ .

بحيث إذا مر نصف الليل على القاهرة مثلا ثم تركها نحو الغرب ساعة واحدة قيل : إن الساعة عندنا الواحدة صباحا أى بعد نصف الليل من يوم (الاثنين ٢٣ مايو) بعد أن كان قبل هذه الساعة (الأحد ٢٢ مايو) بينما تكون الساعة حينئذ فى لندن (١١) من مساء (الأحد ٢٢ مايو) وهكذا يمر نصف الليل بالبلد الشرقى قبل البلد الغربى ويتجدد بمروره اسم اليوم الأسبوعى والتاريخ على هذا الترتيب . . .

وكذلك إذا مر المغرب بالقاهرة ثم تركها بساعة واحدة قيل إن الساعة عندنا الواحدة بعد المغرب من يوم الاثنين ٢٣ مايو بالتوقيت والتاريخ العربى أو الساعة (٧) أفرنكى مساء من يوم (الأحد ٢٢ مايو) بالتوقيت والتاريخ المدنى الغربى وهكذا .

وبهذا تبين أن عمل جميع الحكومات الإسلامية بل كل المسلمين فى بقاع الأرض برؤية أى بلد ولو كانت إلى الغرب ما أمكن كما كشر لا يلزم عليه أى اختلاف أو تغيير فى التاريخ أو اسم اليوم الأسبوعى خلافا لما فهم البعض .

بقى أنى ذكرت فى المقال السابق أن الذين اعتمدوا الحساب الفلكى سببا لوجوب أو جواز الصيام والفطر بدل الرؤيه من متأخرى الفقهاء يؤخذ من عباراتهم مجتمعة أنهم يشترطون :

أولا : دلالة هذا الحساب على إهلال القمر بمعنى اتجاه نوره نحو سطح الأرض بعد المحاق بحالة تحقق رؤيته مع البيان دون عسر بعد غروب الشمس .

ثانيا : أن يكون هذا الحساب الفلكى من موثوق بحسابهم كأن يكونوا جمعا يؤمن تواطؤهم على الخطأ .

هذا من جهة معتمدى الحساب الفلكى من الفقهاء ، وأما من جهة الفلكيين الحاسبين والراصدين فقد اشترط أئمتهم لحالة (إمكان الرؤية مع البيان وعدم العسر) ألا يقل قوس السبق عن (١٢ درجة) ولا يقل قوس المكث عن (١٠ درجات) أو ما يساوى ذلك بحيث لا يقل زمن مكث القمر على الأفق بعد غروب الشمس عن (٤٠ دقيقة زمنية) .

وأما إذا قل المكث عن (٤٠ إلى ١٦) فى مثل أفق القاهرة فقال أئمة الحساب الفلكى والرصاد منهم : إنها و إن كانت حالة إمكان للرؤية لكن مع خفاء وعسر ، ولذا لم يعتمدها هؤلاء الفقهاء مبـدأ للصيام والفطر بدل الرؤية ، و إنما قال بعضهم : ينبغى ألا ترد شهادة الشهود معها . كما قال أئمة الحساب والرصاد أيضا باستحالة الرؤية حتى مع الصحو إذا لم لم يبلغ المكث (١٦ دقيقة) فى مثل عرض القاهرة ، ولذا قال بعض الشيوخ : ينبغى أن ترد الشهادة حينئذ إذ أنها ترد بالريبة ، والاستحالة العادية الثابتة بالحساب القطعى أقوى من الريبة . . .

هذه هى خلاصة شروط المعتمدين للحساب الفلكى بدل الرؤية كما يؤخذ من عباراتهم مجتمعة مع ندورتهم وضعف أدلتهم كما ذكرتها فى المقال السابق دون تعصب . . .

وقد سئلت أخيرا عن مصادر هذه الشروط خصوصا اشتراط كون الحساب من جمع يؤمن تواطؤهم على الخطأ ، وكذا اشتراط (حالة الإمكان مع البيان) واشتراط أئمة الحساب مكث الهلال (٤٠ دقيقة) . . . ؟

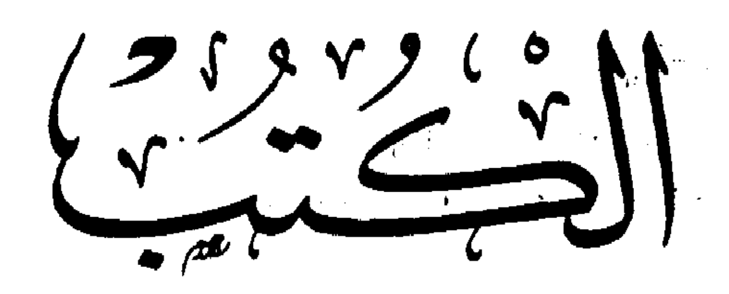
وأقول إجابة لهذا السؤال : إن مراجعى فيما تقدم (من كتب السادة الشافعية) شرحا ابن حجر الهيتمى والرملى الصغير على المنهاج وحواشيهما لابن قاسم العبادى والشروانى والرشيدى والسيد البصرى وفتاوى الرملى الكبير والعلم المنشور للسبكى وما نقلوه عن القشيرى المشهور بابن دقيق العيد وعن ابن حجر العسقلانى (ومن كتب الحنفية) حاشية ابن عابدين على الدر ورسالته (تنبيه الغافل) [١] . وأما مراجعى من كتب الفلك فملخص الجغمينى وشروحه وحواشيه وكتاب تشريح الأفلاك للعاملى و (بهجة النظر فى حساب الأوقات والقمر) للشيخ الفيومى وشارح اللمعة لخضرى و (خلاصة الأقوال فى معرفة الوقت ورؤية الهلال) لشهاب الدين المجدى . وفى هذه المراجع أقوال كثيرة مختلفة ذكرها يطول ، وما قدمته خلاصتها وأصحها . و كلها أو معظمها موجود بمكتبة الأزهر . والله الموفق م

محمد أبو العلا البنا

مدرس الفلك بالأزهر وبكلية الشريعة

---

(١) (وإرشاد أهل الملة إلى ثبوت الأهلة) للشيخ بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية سابقا و (من كتب المالكية) مقاصد التحكيم للشيخ محمد على بن حسين مفتى السادة المالكية بالحرم المكى سابقا .



رائد الفكر المصرى ــ الامام محمد عبده

للدكتور عثمان أمين — ٢٨٧ صفحة — مكتبة النهضة المصرية

الدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة أوسع الناس الآن دراسة لحياة الشيخ محمد عبده ، ومذهبه فى الإصلاح ، وما بذله من الجهود فى هذا السبيل . وأول عهد الدكتور عثمان أمين بهذه الدراسة يوم كتب أطروحته بالفرنسية ، عن الشيخ محمد عبده ، ليحصل بها على العالمية (الدكتوراه) من جامعة السوربون ، بل كان أول عهده به عندما كان يصغى إلى أستاذه الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وهو ينوه بشيخه الشيخ محمد عبده ، كلما سنحت لذلك فرصة فى محاضراته ومناقشاته بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم اتصل الدكتور عثمان أمين بما عثر عليه فى دار السيد رشيد رضا من مراجع ووثائق عن الشيخ محمد عبده توطئة لإصدار كتابه عنه فى سلسلة أعلام الإسلام ، وكان ذلك قبل نحو اثنى عشر عاما ، ومن ذلك الحين إلى الآن ينشر الدكتور عثمان أمين فى المجلات والصحف العربية والإفرنجية ، بحوثا ممتعة عن هذا النابغة المجدد المصلح .

وأمامنا الآن آخر دراسات الدكتور عثمان أمين فى هذا الموضوع ، وهو كتابه (رائد الفكر المصرى) وهو كتاب ممتع حقا فى أربعة أبواب : الأول لسيرة الشيخ محمد عبده : فى شبابه ، وبعد أوبته من المنفى ، ووصف شخصيته . والباب الثانى لفلسفته : فعقد فصولا لمحمد عبده الفيلسوف ، ومحمد عبده والمنطق ، ومحمد عبده الناقد ، ونظرية الحرية ، ونظرية الخير ، وفلسفة الاجتماع ، وفلسفة تاريخ الدين . والباب الثالث لمذهب الإمام فى الإصلاح : الإصلاح الأخلاقى ، وتفسير القرآن ، والدفاع عن الإسلام ، ومواقف الإسلام من الصوفية ، والإمام وإصلاح الأزهر ، وموقف الإسلام من السياسة ، والإمام وتعدد الزوجات . وعنوان الباب الأخير : أشعة الأستاذ الإمام ، تكلم فيه على

مدرسته فى مصر ومدرسته فى العالم الإسلامى . وبعد خاتمة تليق بالكتاب ذيله بثانى قطع من مأثورات قلم الإمام . تلى ذلك فهارس للمراجع العربية والأوربية ، وكشاف للأعلام التى ورد ذكرها فى الكتاب ، وصور شمسية لوثيقة من خط الإمام ، والشهادة العالمية التى نالها من الأزهر فى عهد إسماعيل ، ورسالة بخط المستشرق براون إلى الأستاذ الإمام سنة ١٣٢١ (والمستشرقون إذا كتبوا بالعربية يؤرخون بالتاريخ العربى الإسلامى) ثم فهرس لموضوعات الكتاب .

إن كتاب (رائد الفكر المصرى) دراسة علمية لحياة شخصية من أعظم أعلام العصر الحديث فى دنيا العروبة والإسلام ، وقد بذل الدكتور عثمان أمين أعظم مجهود فى تسجيلها فشكراً له وجزاه الله خيراً .

المسند للامام أحمد

الجزء الرابع عشر — ص ٣٦٠ — دار المعارف بمصر

صدر الجزء الرابع عشر من مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١) بتحقيق العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر ، متضمنا ٣١٤ حديثا (رقم ٧٥٥٦ — ٧٨٧٠) من مسند أبى هريرة الذى ابتدأ من الجزء الثانى عشر ص ٨١ ، وقد طبع على مطبوعة الحلبى سنة ١٣١٣ والنسخة الكتانية المغربية ، ومخطوطة أبناء الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ التى فى الرياض ، وعلى مجلد مخطوط سنة ٨٣٧ وفيه مسند أبى هريرة فقط . ومما لاريب فيه أن هذه المطبوعة الجديدة أصح ماخدم به مسند الإمام أحمد لضبطها وعظيم العناية بتصحيحها ، وللتحقيق فى إسناد أحاديثها والتنبيه على درجاتها من الصحة ، ومقارنة الأحاديث بطرقها فى دواوين السنة الأخرى ، زد على ذلك الاستدراك والتعقيب على الأجزاء السابقة ، وفهرس الأبواب ومايندرج تحتها من الأحاديث فى كل جزء، إلى غير ذلك من مزايا الكمال التى بلغت المستوى المرجو فى الطباعة والنشر ، يسر الله إتمامه .

المصطلحات الاربعة فى القرآن

لأبى الأعلى المودودى — ١٣٧ ص - مطبعة العلوم والآداب بدمشق

وهذا كتاب آخر من ذخائر الفكر الإسلامى ألفه باللغة الأوردية الأستاذ السيد

أبو الأعلى المودودى فى سنة ١٣٦٠ ، ونشر فصوله تباعا فى مجلته الشهرية (ترجمان القرآن) ثم جمعه فى هذا الكتاب . والمراد بالمصطلحات الأربعة فى القرآن : الإله - الرب - العبادة - الدين . وهذه الكلمات الأربع أساس المصطلح القرآنى وقوامه ، والقطب الذى تدور حوله دعوة القرآن . ولما كان دين الإسلام أقدس العقود بين المسلمين وربهم ، فأن الوفاء بهذا العقد متوقف على فهم شروطه والعمل بها ، وقد ألف هذا الكتاب لذلك فقام بنقله إلى العربية الأستاذ السيد محمد كاظم سباق من زملاء دار العروبة للدعوة الإسلامية فى باكستان التى يقوم عليها معتمدها الأستاذ السيد محمد عاصم الحداد ، بعد فقيدها ومؤسسها السيد مسعود عالم الندوى رحمه الله .

ومن زيادة العناية بهذه الترجمة العربية للكتاب أنه قد ألحق به ملحق بتخريج الأحاديث الواردة فيه ، بقلم الأستاذ المحقق الشيخ ناصر الدين الألبانى . فنحث العارفين بقدر مؤلفات السيد أبى الأعلى المودودى على إكمال ما عندهم من مجموعة مؤلفاته باقتناء هذا الكتاب .

مع الرعيل الأول

محب الدين الخطيب — ٢٧٠ صفحة كبيرة — المطبعة السلفية ومكتبتها

الرعيل الأول فى الإسلام هو الذى قال فيه رسول الله إلى الإنسانية صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » وقد حدد ذلك الحافظ ابن حجر فى فتح البارى إلى سنة ٢٢٠ ، وهذه الحقبة التى شهد لها النبى صلى الله عليه وسلم ولأهلها بأنها خير القرون قد اتخذتها أقلام الدخلاء على الإسلام من المؤرخين والأدباء هدفا للطعن . ولما كانت هى المثل الأعلى فى الكمال الإنسانى ، فقد شوه الطاعنون سيرة أهلها وصوروهم للقراء بغير صورهم التى كانوا عليها فى الواقع . إلا أن الذين يتحرون الصدق من رجال الحديث كالبخارى ومسلم والإمام أحمد وأضرابهم استدركوا هذا الشر وقطعوا الطريق على أهله فأثبتوا فى كتبهم التى هى أصدق الكتب بعد كتاب الله نصوصا تدل على حقيقة أعلام القرون الثلاثة الأولى ، ليهتدى الناس بها إلى مواطن الحق فى تاريخ الصحابة والتابعين .

وكتاب (مع الرعيل الأول) الذى ص[illegible] فى هذا الشهر بقلم رئيس تحرير هذه المجلة هو مجموعة فصول عن القرون الثلاثة الأولى من [illegible] صلى الله عليه وسلم إلى أوائل القرن الثالث الهجرى ، وهى مستمدة من نصوص [illegible] والصدق من رجال الحديث وتلاميذهم

ومن نهج منهجهم ، وفيها صورة صادقة لأهل تلك القرون الثلاثة تؤيد صحة الحديث النبوى فيهم ، وتصحح الصورة الكاذبة المشوهة التى رسمها أهل الأغراض السياسية والمذهبية من المؤرخين . وما دمنا فى عصر أخذنا فيه باعادة النظر إلى أخطاء التاريخ محاولين تصحيحها ، فان هذا الكتاب سيوقظ المشتغلين بالتاريخ و ينبههم لحقائق تدفعهم إلى كتابة التاريخ الإسلامى من جديد اعتمادا على النصوص الإسلامية الصحيحه التى أشرنا إليها . و بذلك يتبين لهم سر الله فيما أسدى من نصر وتوفيق لأهل الصدر الأول حتى تم لهم نشر دعوة الإسلام فى آفاق الدنيا ، و إقامة دعائم الإمبراطورية الإسلامية التى كانت مفخرة الإنسانية فى التاريخ ، وما كان ذلك إلا على أساس من الأخلاق والدين وتقوى الله عز وجل ، فجاءت النتائج على قدر مقدماتها ، ولا ينقصها إلا أن يعلمها الناس كما كانت فى الواقع ، وهو أحد الأغراض الأولى من تأليف هذا الكتاب .

البهائية

لمحب الدين الخطيب — ٣٠ صفحة كبيرة — المطبعة السلفية ومكتبتها

هذا هو البحث الذى سبق لرئيس تحرير هذه المجلة كتابته ، ونشر فى جزءى رجب وشعبان ، من المجلد السادس والعشرين لمجلة الأزهر . وهو على اختصاره لا نظير له فى العربية ولا فى غيرها لأنه مأخوذ عن كتب البهائيين مباشرة : ما ينشرونه منها ليطلع عليه الناس ، وما يتداولونه بينهم محاولين بذلك أن يواروا سوءاتهم . و يمتاز هذا البحث عما فى كتبهم بأنه قد وضعت فيه النقط على الحروف بعناية و بصيرة ، فجاء مرجعا صحيحا لمعرفة عقيدة هذه النحلة الضالة وسيرة مؤسسيها ، وكيف تطورت حركتهم إلى أن صارت الى ما هى عليه الآن . وقد نشر هذا البحث الآن فى كراسة مستقلة ليطلع عليه الذين لم يتيسر لهم قراءته فى المجلة عند صدورها .

الوجودية فى الميزان

للأستاذ محمد أبى المكارم عيسى — ٣٢ ص — مطبعة لجنة البيان العربى

الكفر بالله مرض قديم أصيب به ضعفاء الأحلام من الناس ، منذ أنعم الله على الانسانية بمعرفته والايمان به . والوجودية أحدث أعراض هذا المرض وأسخفها ، وقد

علم قراء مجلتنا أن لهذا المرض العقلى دعاة وناشرين حتى فى جامعاتنا . ولما كانت معالجته من رسالة قسم الوعظ والإرشاد فى الأزهر فقد نشرنا لصاحب الفضيلة مدير الوعظ والإرشاد مقالين فى الجزء الماضى وهذا الجزء عن الاله والوجوديين ، وأهديت إلينا رسالة بعنوان (الوجودية فى الميزان) لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى المكارم عيسى الواعظ بالأزهر ، وهى رسالة ممتعة تناولت هذا البحث من مختلف النواحى ، وقدم لها فضيلة الأستاذ الجليل مدير الوعظ والأرشاد ، فلفت إليها الأنظار .

الرائد الى سليم العقائد

للأستاذ أبو العلا بدارى — ٢٠٦ ص — مطابع دار الكتاب العربى

أسلوب جديد فى تقرير العقيدة السليمة وعرضها على قلوب الطلبة منسجمة مع ما يتلقونه من أسرار الطبيعة ، وآيات الله فى الأحياء من نبات وحيوان ، وما تقع عليه أنظارهم من بدائع الكون ، ألفه فضيلة الأستاذ أبو العلا على حسين بدارى ناظر مدرسة لطفى ، بأسيوط وأحد علماء الأزهر ، مستفيدا من تجاربه العملية فى تكوين العقيدة الاسلامية فى نفوس أبناء المسلمين ، فائتلف بهذا الأسلوب الاستدلال على دين الفطرة بالحقائق التى فطر الله الكون عليها . يتلو ذلك عرض لطيف فى فصول متعددة لمعالجة الإسلام أحوال المجتمع ، وتقويمه نفوس أهله بمكارم الأخلاق ، وما لعباداته من جميل الأثر فى تكوين الأمة الصالحة . فنرجو الله أن ينفع الناشر بما فيه من حسن التوجيه .

مذكرة علوم القرآن

لفضيلة الشيخ أحمد أحمد على — ١١١ ص — مطبعة الأزهر

صدرت الطبعة الثالثة من هذه المذكرة النافعة لطلبة السنة الأولى (قسم إجازة الدعوة والإرشاد) بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد أحمد على الأستاذ بكلية أصول الدين ، وهى منطبقة على المنهاج المقرر فى معنى علوم القرآن وتاريخ ظهور هذا الإصلاح وتاريخ التدوين له وحكمة تنجيم القرآن وأول ما أنزل وآخر ما أنزل ، ونزول القرآن على سبعة أحرف ، والمكى والمدنى ، والكلام على الوحى والشبه الواردة عليه ، ومنهاج جمع القرآن بحفظه وكتابته والشبه الواردة على الجمع وردها ، ومنهاج ترتيب القرآن وكتابته ورسم المصحف والاعجام والشكل ، ومنهاج القراءات والقراء ، ومنهاج التفسير والمفسرين ، ومزج العلوم الادبية والكونية بالتفسير إلى غير ذلك من تفاصيل المقرر لهذه المادة فى دراسة الأزهر .

الأدب والعلوم

رسالة المثقف

قال وزير التربية والتعليم فى حفل أقيم فى نادى بنك مصر بانبابه لتكريم رجال التعليم الذين أحيلوا إلى المعاش : أرجو ألا تنقطع صلتكم بالتعليم بمجرد انتهاء مدة خدمتكم ، لأن عمل الرجل المنتج ليس مجرد وظيفة ، ولكنها رسالة كبرى لا تنتهى إلا بانقضاء الحياة .

ونحن نرى من تمام هذه الحكمة أن يعيد المثقف نظره إلى رسالته - إن كان يرى أن له رسالة - فينقيها من أدران الخطأ ، ويرجع إلى ربه فى الأخطاء الفكرية التى سبق له الانزلاق فيها فيصححها لتكون خاتمته - بعد إحالته إلى المعاش - أرضى لله مما انزلق فيه انخداعا بالثقافات الأجنبية ومغريات الدنيا .

مؤتمر عليكرة الجغرافى

دعت جامعة عليكرة الإسلامية فى الهند إلى مؤتمر جغرافى انعقد بين ٩ و ١٦ يناير الماضى وحضره ممثلون من عشرين دولة من آسيا وإفريقية ، علاوة على ممثلى أربعين جامعة وأربع جمعيات جغرافية عالمية وبعض ممثلى الهيئات الدولية ، فبلغ مجموع أعضاء المؤتمر ٢٦٠ عضوا ، ومثل مصر فى هذا المؤتمر وفد برياسة مدير جامعة أسيوط . وألقى مندبو مصر أربعة بحوث أساسية فى موضوعات : مسح الأراضى ، واستخدام موارد البيئة ، ومشروع السد العالى ، والمشروعات التى أعدت لمواجهة تزايد السكان فى مصر وموقع مصر الجغرافى وأثره فى تحديد سياستها الدولية . وقد أجمع المؤتمر على أن موقف مصر فى سياستها الحاضرة يعتبر مثالا للأمة التى تريد أن تحمل الأمانة فتصون كيانها وكرامتها واستقلالها من جهة ، وتحول دون أن تستغل أية قوة كبرى موقعها الجغرافى من أجل تحقق سيطرة عالمية . بل إن المؤتمر أجمع - بما فيه من ممثلى بعض الجامعات البريطانية والاوسترالية - على أن موقف مصر الحازم فى سبيل الاحتفاظ بحياد موقعها الجغرافى سيكون فيه إنقاذ الشرق الأوسط كله من أن يصبح مجالا للتنافس الدولى من أجل السيطرة ، كما ينقذ العالم كله من أن تصبح هذه المنطقة الخطرة طريقا للسيطرة العالمية والحرب التى قد يحتك فيها الشرق بالغرب احتكاكا لابد أن ينتهى إلى كارثة إنسانية .

مجلس دولى للدراسات العلمية

قرر مؤتمر عليكرة الجغرافى إنشاء مجلس للدراسات العلمية فى إفريقية وآسيا ينضم إليه علماء يمثلون القارتين لتنظيم تبادل المعلومات ونتائج البحوث العلمية ، وعقد المؤتمرات وتبادل البعثات التى بالقارتين وبلادهما وحياة شعوبهما ونهضاتهما القومية وتحقيق التعاون بين الباحثين بصفة عامة .

ذكرى الخلافة الاموية

فى قرطبة

تقيم الدولة الاسبانية عما قريب احتفالات شائقة لذكرى تأسيس عبد الرحمن الداخل الخلافة الأموية فى قرطبة ، وسيقام معرض عربى اسبانى فى قرطبة — خلال هذه الاحتفالات — يشتمل على أقسام خاصة بالفن المعمارى ، والآثار ، والنحت ، والنقش على القيشانى ، والأسلحة ، والنقود ، وصناعة الأوانى النحاسية والزجاجية والبرنزية والفضية والأقمشة والسجاجيد ، وسيقام معرض للموسيقى والقصص الشعبى . وتعد ادارة العلاقات الثقافية فى اسبانيا ومعهد الثقافة الاسبانية معا برنامجا شاملا لهذه الاحتفالات .

اللغة العربية بلندن

ورد فى التقرير السنوى الذى اصدرته مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن أن هنالك أكثر من ١٥٠ طالبا كانوا يتلقون العلم فى قسم دراسات الشرق الأدنى والأوسط بالمدرسة فى العام الدراسى ١٩٥٤ — ١٩٥٥

ومن هؤلاء ٩١ طالبا كانوا يدرسون اللغة العربية ، و ٢٢ الفارسية ، و ١١ العبرية ، و ٧ التركية ، فى حين كان الباقون موزعين بين اللغة الكردية والجورجية واللغات القديمة .

الطلبة المصريون

يدرسون الطاقة الذرية

يدرس الآن سبعة من الطلبة المصريين فى (قسم الاشعاع الذرى) بمركز الابحاث الذرية فى هارويل ببريطانيا .

وقد وقع الاختيار على ضعف هذا العدد من الطلبة المصريين الذين يدرسون الطبيعيات وظهرت مواهبهم ، لكى يتدربوا — ابتداء من أول ابريل القادم — ويرجى أن يفد من مصر الى بريطانيا رأسا طلبة آخرون لتلقى دروس عملية فى العلوم الذرية .

أنباء العالم الإسلامي

الدستور والهدف

قال البكباشي زكريا محيي الدين وزير الداخلية عند افتتاحه نقطة بوليس كفر شكر : إن الدستور فى ذاته ليس هدفا ، وإنما الهدف المبادئ والمعانى التى سجلها الدستور . وهو العمل المنتج ، وبناء مجتمع صالح قوى بمبادئه ، وأخلاقه ، ليواجه هذا المعترك الدولى الملىء بالدسائس والأطماع . إن الدستور وحده لن يجعل السماء تمطر ذهبا وفضة ، ولكن العمل والكفاح والاتحاد هو الوسيلة للنهوض بالأمة والوطن .

القوانين

التى ذكرت فى الدستور

يقول البكباشي أركان الحرب حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية والعمل : إن القوانين التى أشار إليها الدستور إذا كانت تتناول مبدءا جديدا ، فلا بد أن يصدر بها قانون جديد ينظم موضوعاتها ، أما إذا كانت تتناول شيئا قائما فسيكون الغرض من ذكرها فى الدستور الاعتراف بهذا الشيء والتأكيد له ، ومن ثم تترتب الالتزامات التى تتعهده بالنمو حتى تصل به إلى حد الكمال .

التعاون فى الدستور

لأول مرة تعترف الدولة المصرية بالتعاون فى دستورها الجديد على أنه أساس من أسس النظم القائمة فى مصر . صحيح أن هذا النظام كان موجودا من قبل ، ولكن شتان بين ما كان عليه وبين قيامه على قواعد دستورية سليمة تهدف لخير الجميع ، فى شتى مرافق الحياة الاقتصادية والعمرانية .

طريق السويس — جدة

فى مقدمة الطرق التى يراد إقامتها لربط مصر بالمملكة العربية السعودية طريق يمتد من السويس إلى جدة ، وتقوم مصر بإنشاء وتعبيد قسمه الممتد من السويس إلى خليج العقبة فى محاذاة الشط الشرقى من خليج السويس ، وينتظر أن ينتهى قبل نهاية العام الحالى ، وتقدر نفقاته بنصف مليون جنيه ، ويبلغ طوله ٥٠٠ كيلومتر .

وتقوم المملكة السعودية من جانبها بإنشاء طريق داخل حدودها على أن يتصل بالطريق المصرى ، فيمتد من منطقة الرأس

إلى المويلح فينبع إلى جدة ويبلغ طوله ٨٠٠ كيلو متر ، وقد بدأت الجهات المختصة فى القطر الشقيق بتنفيذ المرحلة التمهيدية لإنشاء هذا الطريق .

وكان هـذا الطريق - قبل الاعتماد على البواخر البحرية - هو طريق الحج المصرى من السويس إلى الحجاز .

الجزائر

لا يمكن اعتبارها مقاطعة فرنسية

تولى الوزير الفرنسى الجنرال كاترو منصب « وزير يسكن فى الجزائر » وليس منصب « الوزير المقيم » ، وأدلى بتصريح لصحيفة فرنسية قال فيه : « إن نظرية ضم الجزائر إلى فرنسا أصبحت قديمة ، ولا تمشى مع التطور الحديث ، وإن للجزائر شخصية جزائرية خاصة » . ثم قال : « ولا يمكن اعتبار الجزائر مقاطعة فرنسية . ويجب أن نبتكر نظاما يرضى الشخصية الجزائرية ، كاعطائها مثلا استقلالا إداريا كبيرا لا يؤدى إلى الاستقلال السياسى ، وبمعنى آخر يجب تأييد النظام الحالى مع توسيعه ومنح جميع سكان الجزائر حقوقا وواجبات متساوية . وفى هـذه الظروف إذا أصبحت فرنسا الجمهورية فى المستقبل وحـدة جمهورية فيدرالية فأن الجزائر تجد مكانها فيها » .

هذا ماقاله صاحب « منصب وزير يسكن فى الجزائر » وهو صادر عن عقلية استعمارية يطغى عليها التعصب فيخفى عليها تطور الشعوب العربية واهتداؤها إلى طريق التحرر الذى لا طريق لها غيره . ومع ذلك فان الفرنسيين الذين أسكنتهم فرنسا فى وطن الجزائريين منذ مائة سنة إلى الآن قد ساءهم هذا التصريح الاستعمارى المائع من الجنرال كاترو ، فما كاد رئيس الوزارة الفرنسية يصل إلى الجزائر حتى خرج نزلاؤها الفرنسيون لاستقباله بالشتائم ، ورجموه بالطماطم والبيض والحجارة ، وأرغموه على إقالة الجنرال كاترو .

وفى نفس الوقت أصدر النواب والعلماء الجزائريون بيانا طالبوا فيه رئيس الوزراء بالحكم الذاتى للجزائر وعدم الخضوع لضغط المستعمرين الفرنسيين .

ميثاق الجامعة العربية

تقترح سوريا تعديله

تلقت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة من وزارة الخارجية السورية تقترح فيها تعديل ميثاق الجامعة على ضوء التجارب التى مرت بها فى الميدانين العربى والدولى ، وقالت المذكرة : إن الهدف من هـذا هو تعديل ميثاق الجامعة العربية بصورة تؤدى إلى دعمها وازدياد نشاطها فى الحقل العربى وفى الميدان الدولى .

مؤازرة الصهيونية

أبعدت الشعوب العربية عن الغرب

عقد سفير المملكة العربية السعودية فى مصر مؤتمرا صحفيا طالب فيه بريطانيا وأمريكا بأن تقلعا عن مؤازرة الصهيونية العالمية ، وأن توقفا سياستهما الاستعمارية التى أبعدت العرب عن الغرب ، وأعلن أن لدى حكومته وثائق دامغة تدين بريطانيا وتثبت أنها استخدمت المال للتأثير على المواطنين العرب لتصل إلى أغراضها الاستعمارية . قال : وان حكومته ستقدم هذه الوثائق للعالم فى الوقت المناسب

المكتبات المدرسية

نجح فى امتحان الدراسات التدريبية لأمناء المكتبات المدرسية الذى عقد للفوج الثانى ، ٩٤ مدرسا ومدرسة ، من مجموع الذين حضروا هذه الدراسات وعددهم ١٢٠ من مدرسى القاهرة والجيزة . وينتظر أن تصدر وزارة التربية والتعليم قريبا قرارا باسناد أعمال المكتبات إليهم .

وقد اعتمد وزير التربية والتعليم اللائحة الخاصة بالمكتبات المدرسية ، ومن أهم نصوصها إعفاء المدرسين المشرفين على المكتبات من الحصص فى المدارس والمعاهد الكبيرة ، وتخفيض جدول الحصص فى المدارس الصغيرة إلى عشر حصص ، لكى يتمكن أمناء المكتبات من النهوض بواجباتهم فيها على أكمل وجه .

حركة الترجمة والتأليف

كانت الإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم قد قررت مشروعا بترجمة وتأليف ألف كتاب تملأ فراغ المكتبة العربية فى الموضوعات التى لا غنى عنها ، على أن ينفذ هذا المشروع بالتدريج . وقد بلغ عدد الكتب التى اختارتها للترجمة حتى الآن ١٣٠ كتابا فى نحو ستة عشر موضوعا كما بلغ عدد الكتب التى تقرر تأليفها فى موضوعات خاصة بهذا المشروع ثلاثين كتابا فى مختلف العلوم والفنون .

الفهرس

١٥١



شعبان سنة ١٣٧٥

فضيلة شيخ معهد قنا الديني والسيد مدير ــ وبعض كبار الحاضرين
في حفل استقبال فريق الحرس الوطني بالأزهر

الاسراء .. والمعراج

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » . وقال عز وجل : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد » .

هذا هو القرآن الكريم ، كما وصفه الله رب العالمين ، هدى ونور ، وشفاء لما فى الصدور ، آيات محكمة ، ودلائل مفصلة ، وهدايات عظيمة ، ينتفع بها أهل الفطر السليمة ، والمستعدون لقبول الحق ، الذين لا يمارون فيه ولا يجادلون .

أما المعوجون أهل العناد والمكابرة ، فلا يزدادون بعنادهم ومكابرتهم القرآن إلا زيغا إلى زيغهم ، وضلالا فوق ضلالهم .

هذا القرآن الكريم ، قد أنزل الله من آياته البينات ، آية تحدث فى وضوح وجلاء ، أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قد أسرى به فى ليلة واحدة ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ليريه الله من بديع آياته ، وليظهره على عجائب ملكه وملكوته .

فليس من الإيمان إنكار ذلك ، أو المماراة فيه . قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو الصادق الأمين ـ قد حدث صبيحة الليلة التي كان فيها الإسراء ، أنه أسرى به في تلك الليلة من مكة إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى ، وأنه قد عاد من ليلته إلى مكة . وأن أول من حدثهم بذلك أم هانئ بنت عمه أبي طالب ، فعجبت لهذا الأمر العظيم ، ونصحت له ألا يحدث به الأقوام من كفار قريش حتى لا يكذبوه ، لكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يستمع لها ، وخرج إلى المسجد ، وجلس إلى جوار الكعبة ، فمر به أبو جهل ، وهو ممعن في تفكيره ، فقال له : هل من خبر ؟ قال : نعم ، فقال : وماهو ؟ فقال : إني أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس . قال : إلى بيت المقدس ؟ قال : نعم ، قال أبو جهل : أرأيت إن دعوت قومك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرتني به ؟ قال : نعم . فنادى أبو جهل : هيا معشر قريش ، فاجتمعوا من أنديتهم ، فقال للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أخبر قومك بما أخبرتني به ، فقص عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قد ذهب إلى بيت المقدس تلك الليلة وصلى فيه ، فأخذوا يصفرون ويصفقون ، تكذيبا له ، واستبعادا لخبره .

* * *

وانتشر خبر ذلك في مكة ، وذهب الناس إلى أبي بكر يخبرونه أن محمدا يقول : إنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد في ليلة ، فقال لهم : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : والله إنه ليقوله ، فقال : إن كان قد قاله لقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك ؟ قال : إني أصدقه على أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة . ثم جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحوله مشركو قريش يسألونه ويستنعتونه صفات بيت المقدس وأحواله ، وكان فيهم من رأى بيت المقدس من قبل ، وعرف شيئا من معالمه وصفاته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجعلت أخبرهم عن آياته ، فالتبس علي بعض الشيء ، فجلى الله لي بيت المقدس ، حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب . ثم قالوا : أخبرنا عن عيرنا فهي أهم إلينا ، هل لقيت منها شيئا ؟ قال : نعم ، مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء ، وقد أضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه ، وفي رحالهم قدح من ماء ، فعطشت فأخذته وشربته ووضعته كما كان ، فاسألوا : هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا ، قالوا : هذه آية . قال : ومررت بعير بني فلان ، وفلان وفلان راكبان قعودا ، فنفر بعيرهما مني فانكسر ، فاسألوهما عن ذلك ، قالوا : هذه آية أخرى ، ثم سألوه

عن العدة والأحمال والهيئات ، فمثلت له العير ، فأخبرهم عن كل ذلك ، وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ، وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان مخيطتان ، قالوا : وهذه آية أخرى . فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية ، فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس ليكذبوه ، إذ قال قائل : هذه الشمس قد طلعت ، وقال آخر : هذه العير قد أقبلت ، يقدمها بعير أورق ، فيها فلان وفلان كما قال . لكنهم لم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين .

* * *

هذه بعض تفاصيل لواقعة الإسراء التى حدث عنها القرآن ، وأخبر بها الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد حفظها الثقات الأثبات من المؤرخين ورواة الحديث والمفسرين ، وهى - من حيث مايجب توافره لإثبات الوقائع التاريخية - قد توافر لها ما يثبت - إثباتا لا مرية فيه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أسرى به من مكة إلى بيت المقدس ، ثم عاد إلى مكة فى ليلة واحدة .

ولكن كيف كان هذا الإسراء ؟ هل كان فى اليقظة سيرا حقيقيا ، وحركة مادية ، وانتقالا جسمانيا ، رأى فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما أراه الله من الآيات الكونية ، بالمشاهدة العينية ، والرؤية البصرية ؟ أو كان رؤيا منامية ، كشف الله له فيها عن معالم ومشاهد فى بيت المقدس والمسجد الأقصى وفى الطريق إليهما ، على نحو مايرى النائم - فى كثير من الأحيان - أنه سافر إلى جهة من الجهات البعيدة النائية عن موطنه ، يكشف له فيها عن معالم ومشاهد هى من الحقائق الثابتة فيها ؟ . هذا هو الذى نعرض له الآن .

إسراء الرسول فى اليقظة بالروح والجسم معاً

يدل على أن الإسراء كان فى اليقظة بالجسم والروح معا جملة أمور نقتصر هنا على أهمها :

أولا - قول الله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » فانه يدل دلالة واضحة على أن الإسراء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان بجسمه وروحه جميعا ، وأنه كان سيرا حقيقيا ، وانتقالا بحركة مادية : وذلك أن الإسراء كالسرى ، معناه فى اللغة السير ليلا ، والسير حقيقة فى الحركة المادية التى ينتقل بها الإنسان من مكان

إلى مكان ، فلو كان الحديث عن الإسراء حديثا عن رؤيا منامية ، لكان يسيرا على القرآن أن يقول : سبحان الذى أرى عبده فى المنام كيت وكيت .

هذا إلى أن الآية الكريمة - كما هو واضح منها - فيها تنويه بشأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإشعار برفعته وسمو مكانته ، وتنويه بشأن ما أجراه الله على يديه من الأمر العظيم . وعظم هذا الأمر ليس إلا لأنه كان شيئا مما لا يجرى على أيدى الناس ولا يعهدونه . لا بد أن يكون شيئا يستحق أن يبدأ القول فيه والحديث عنه بالتسبيح الذى لا يكون إلا فى المقامات الجليلة ، والآيات العظيمة ، والأمور الهائلة العجيبة . وذلك كله يدل دلالة واضحة على أن الإسراء لم يكن رؤيا منامية ، ومجرد انكشاف روحى ، وإنما كان سيرا حقيقيا ، بالروح والجسم معا .

ثانيا - انه لو كان أمر الإسراء مجرد رؤيا منامية لم يكن حينئذ شيئا غريبا ، ولم يكن فيه ما يثير العجب والدهشة ، ولا ما يستوجب الإنكار والتهكم والسخرية ، كالذى كان من أبى جهل ومشركى مكة ، حينما سمعوا من الرسول - صلى الله عليه وسلم - حديث هذا الإسراء .

إن كثيرا من الناس يرى فى منامه عظائم وأعاجيب ، ويرى حقائق وكائنات لم يسبق له علم بها ، ولم يرها قط فى حياته رأى العين ، ولكن حين يُقص قصصُها ويُحدث عنها ، وحين يُعلم أنها إنما كانت رؤيا فى المنام ، لا يرى فى ذلك ما يوجب الدهشة ، ويدعو إلى الاستنكار والاستهزاء .

* * *

ومن هنا استفاض النقل عن الصحابة والتابعين وسائر علماء المسلمين ، أن الإسراء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى بيت المقدس ، كان سيرا حقيقيا ماديا فى اليقظة ، بروحه وجسمه جميعا . ولم يرد عن الصحابة نقل يخالف ذلك ، إلا ما روى برواية ضعيفة عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت فى شأن هذا الإسراء : « ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وفى رواية أخرى ليست أقل ضعفا من هذه أنها قالت : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » بالبناء للمجهول .

وقد أخذ من هاتين الروايتين على ضعفهما أن السيدة عائشة كانت تنكر أن الإسراء بالرسول كان فى حالة اليقظة ، وأنها كانت تذهب إلى أنه رؤيا منامية ، وهو ما كان يذهب إليه معاوية بن أبى سفيان ، على ما روى عنه .

لكن الصحيح المحفوظ فى النقل عن السيدة عائشة أنها كانت تقول فى مسألة الإسراء بما كان يقول به جمهور الصحابة ، من أن هذا الإسراء كان يقظة بالروح والجسم معا .

وفى الحق أن العبارة التى رويت عن السيدة عائشة فى الرواية الأولى تحمل بنفسها الدليل على ضعف الرواية وعدم صحتها [١] .

وذلك أن هذه العبارة : « مافقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » تفيد أن السيدة عائشة كانت زوجا للرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ ، وأنها كانت معه فى الليلة التى كان فيها الإسراء ، وأنه عليه الصلاة والسلام لم يبرح المكان الذى كانا فيه فى تلك الليلة .

وهذا شىء لا يستقيم بحال ، ولا يصح قبوله ، فإنها رضى الله عنها لم تكن زوجا للرسول حينئذ ، ولم تكن حيث كان عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء ، فكيف تحدث عن نفسها أنها لم تفقد جسده الشريف فى تلك الليلة ؟ ! !

إن فى هذه العبارة خطأ واضحا ، ولا بد أن تكون محرفة عما ورد فى الرواية الأخرى الضعيفة أيضا من أنها قالت : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » بالبناء للمجهول . و إذاً تكون مقالتها هذه تحديثا ترويه عن شخص آخر يقول : إنه لم يفقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وراوية كهذه يتحدث فيها عن مجهول لا يعرف شخصه ولا حاله ، ولم تثبت ملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام فى ليلة الإسراء ، لا يمكن أن تعارض أو تقاوم ما رواه الثقات الأثبات ، من الصحابة المعروفين بأشخاصهم ، المسمين بأسمائهم ، من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتقل بشخصه ، وسار كما أراد الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، على دابة تسمى البراق ، وأنه صحبته ملائكة الله فى سيره ، كما حدث بذلك عليه الصلاة والسلام ، حتى بلغوا المسجد فى بيت المقدس .

هذا فضلا عما أشرنا إليه من أن العلماء أهل الشأن فى روايات الأحاديث ونقدها ، والتمييز بين صحيحها وضعيفها ، قد أثبتوا ضعف ما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها

---

[١] الأمر فى تضعيف هاتين الروايتين هو من ناحيتى السند والمتن ، شأن ما صنعه العلماء بكثير من الأحاديث الضعيفة التى نظروا فيها وأثبتوا عدم صحتها فى الناحيتين جميعا . فهم لم يقتصروا فى نقد الأحاديث على ناحية السند وحدها كما يدعيه بعض المستشرقين المفترين وما جاراهم فيه بغير وعى ولا علم بعض المؤلفين المعاصرين من المسلمين .

من العبارتين السابقتين ، كما أثبتوا أن الصحيح المحفوظ عنها أنها لم تخالف سائر الصحابة فيما ذهبوا إليه فى موضوع الإسراء ، من أنه كان بالروح والجسد جميعا .

أفهام ومزاعم لا تخلو من شغب وتخليط

إن بعض الكاتبين المحدثين ـ ولا سيما أولئك الذين لا يميلون إلى التسليم بما استفاض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وخوارق العادات ، التى لم يكن فيها بدع من الرسل قبله ـ قد اغتروا بالرواية التى وردت فيها عبارة « ما فقدت جسد رسول الله » أو « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقالوا : إن الإسراء لم يكن سيرا حقيقيا فى اليقظة ، وإنما كان رؤيا منامية ، سبحت فيها روحه عليه الصلاة والسلام ، وكشف الله لها ما تحدث عنه من آيات الله ، وزعموا أن هذا هو ما يدل عليه أيضا قوله تعالى : «وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » ، فان الأصل فى الرؤيا ـ بغير تاء ـ أنها هى التى تكون فى النوم ، أما التى تكون بالعين فى اليقظة فهى الرؤية ، بثبوت التاء .

ولكن هذا الزعم ضعيف غاية الضعف ، بل هو فاسد ساقط ، لا يعبأ به ولا يعول عليه . والاستدلال بهذه الآية فى موضوع الإسراء ، هو من الشغب الباطل ، والجدال بغير الحق ، وهو أيضا ضرب من فساد المحاولات ، والتخليط فى الآيات :

أما ان ذلك شغب وجدال بغير حق ، فلأن الآية نفسها تنادى ببطلان التعلق بها على الوجه الذى يريده هؤلاء ، فانها تقرر أن تلك الرؤيا المنامية كانت فتنة للناس ، فأى فتنة فى رؤيا منامية يحدث صاحبها أنه رأى فيها أنه ذهب إلى بلدة قريبة أو بعيدة ، وأنه رأى بعض هياكلها ومشاهدها ومعالمها ، وأشياء عرضت له أو كشفها فى طريقه إليها ؟ هل فى ذلك ما يفتن أحدا من المؤمنين أو المشركين ؟

إن كثيرا من الناس قد يرى فى منامه أنه ذهب إلى جهات بعيدة ، وبلاد نائية ، أشد بعدا مما بين مكة وبيت المقدس ، ثم لا يكون فى ذلك عجب ولا غرابة ، ولا شىء يوجب الاضطراب أو يوقع فى الفتنة .

وأما ان ذلك ضرب من فساد المحاولات والتخليط فى الآيات ، فلأن هذه الآية : «وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » ـ على ما اعتمده أئمة التفسير ـ ليست واردة

فى شأن حادثة الإسراء، وإنما هى تحديث عن الرؤيا المنامية التى رآها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبيل واقعة الحديبية، وهى التى أشار إليها القرآن فى قول الله تعالى: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون» فهى رؤيا منامية حقا، رأى فيهـا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه وجماعة المؤمنين قد دخلوا مكة على الحال التى بينها الله فى هـذه الآية .

فلما قص الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الرؤيا على أصحابه، علموا أن الله سيفتح عليهم مكة، يدخلونها آمنين مطمئنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لايخافون، وظنوا أن ذلك سيكون قريبا جدا، وفى السنة نفسها التى رأى فيها هذه الرؤيا، ثم قوى هذا الظن عندهم لما نهض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد السير إلى مكة معتمرا، ومعه نحو ألف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار، حتى إذا كانوا عند قرية الحديبية، وصدهم المشركون عن دخول مكة، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على أن يعدل بأصحابه إلى المدينة ذلك العام، أصاب الناس من ذلك بلاء وغم شديد، وحزنوا لذلك واضطربوا، واشتد الأمر على عمر حتى قال مقالته المشهورة: ألست رسول الله؟ أو لسنا على الحق؟ أو ليسوا على الباطل؟ فلماذا إذاً نعطى الدنية فى ديننا ونرجع؟.

وهذا كان من كمال غيرته الدينية، وشدة حنقه على إبرام صلح يحول بينهم وبين دخول مكة فى ذلك العام .

أما عبد الله بن أبى ومن كان معه من المنافقين فقد انتهزوها فرصة للسخرية والتهكم، لعدم تحقق الرؤيا، وقالوا: والله ما حلقنا، ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام .

هذه هى الرؤيا المنامية التى جعلها الله فتنة للناس، وامتحانا لهم، جعلها تمحيصا للمؤمنين، وتمييزا بينهم وبين المنافقين .

وإذا كانت هذه الرؤيا لم تتحقق ـ على ما كان يظن الناس ويؤملون أن تتحقق ـ فى سنة الحديبية التى قصد فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إلى مكة، فذلك ليس تخلفا ولا إخلافا لوعد الله، الذى وعده رسوله فى رؤياه . وهو أيضا لايوجب اليأس من تحقق تلك الرؤيا فى الميعاد الذى أراده الله . وقد تحقق وعد الله، ففتح عليهم مكة ودخلوها آمنين مطمئنين . وهذا هو الفتح المبين . أتمه الله عليهم بعد ما حقق لهم بين يديه فتحا قريبا، هو

صلح الحديبية نفسه أو فتح خيبر . جعل الله هذا أو ذاك أو كليهما فتحا ونصرا ، ومقدمة للفتح الأكبر ، كما قال تعالى : « فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » .

هكذا يقول فريق من أعلام المفسرين فى تفسير الرؤيا التى جعلت فتنة للناس .

ويقول فريق آخر : إن المراد بها مارآه النبي – صلى الله عليه وسلم – فى منامه قبل التحام الجيوش فى موقعة بدر ، التى انهزم فيها المشركون شر هزيمة ، فقد أراه الله فى منامه أن صناديد قريش وزعماءها سيهلكون فى هذه الموقعة ، وكشف له عن مصارعهم ، فلما كان قبل بدء المعركة وقبل أن يلتقى الجمعان ، نزل الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين أصحابه إلى ساحة القتال ، ليرتب جيشه وينظم وحداته ، وينصح لهم ويعضدهم ويقوى أمرهم ، وجعل يخط برمحه فى عدة مواضع من الساحة ويقول : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان – لأشخاص بأعيانهم من زعماء قريش – قد أريت مصارعهم ؛ فسرى حديث هذه الرؤيا إلى مقر المشركين ، وتسامع به أفراد منهم ، فسخروا منها ، واستهزءوا بها ، معتزين بقوتهم ، وعدتهم ، وكثرة عددهم ، فكانت تلك الرؤيا فتنة لهم ، وكان استهزاؤهم بها وبالا عليهم ، ثم كانت نكبتهم فى هذه الموقعة مضرب الأمثال فى الخزى وعار الهزيمة .

ومجمل القول أن رؤيا الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهى التى قال الله فيها : « وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » ليست فى الإسراء ، ولا علاقة لها به ، حتى يقال : إن الإسراء كان رؤيا منامية ، اعتمادا على تلك الآية .

وقد يقال : إنه إذا لم يستقم حمل الإسراء على مايكون فى الرؤيا المنامية ، للأسباب التى أشير إليها ، فذلك لا يقتضى حتما أن يحكم بأنه كان فى اليقظة بالجسم والروح معا ، فانه يمكن أن يقال : إنه كان فى اليقظة بالروح وحدها ، وإن الله قد مكن لها أن تسبح فى الفضاء ، وتقطع المسافات الشاسعة بين مكة وبيت المقدس ، فى ساعات أو لحظات قليلة من الليل ، فترى من آيات الله العظيمة ما أراد الله اطلاعها عليه ، وما حدث الرسول صلى الله عليه وسلم القوم ببعضه ، فأثار عجبهم ودهشتهم وإنكارهم .

قد يقال هذا ، بل قد مال إليه بعض الكاتبين وخصوصا أولئك الذين لايودون التسليم بوقوع خوارق العادات من الأنبياء والمرسلين . ولعلهم اختاروه رغبة

فى التوسط بين الأمرين : الإسراء الحقيق فى اليقظة بالجسم والروح جميعا ، والإسراء المجازى بطريق الرؤيا فى النوم ، لعلهم اختاروه رغبة فى ذلك ، وتمشيا مع تلك الرواية التى جاء فيها أن جسم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفتقد فى تلك الليلة .

ولكن هذا القول مردود بأن حمل الإسراء على ذلك المعنى لا يخرج عن كونه تأويلا وحملا للفظ على غير معناه، من غير موجب ولا بينة . ثم إن الذهاب بالروح والكشف لها عن المشاهد والمعالم التى تكون بعيدة عن مقر جسمها هو نظير الإلهام والإلقاء فى الروع ، ومن قبيل ما يجده كثير من أصفياء النفوس مما تنكشف لهم به كائنات واقعة أو حوادث مستقبلة ، ومثل هذا لا يكون من الغرابة فى المنزلة التى تدعو القوم إلى الإنكار والتهكم والسخرية ، حتى يقول بعضهم لبعض : اسمعوا . . اسمعوا . . إن محمدا يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ثم عاد من ليلته ، مسافة لا يقطعها الراكب فى أقل من ثلاثين أو أربعين ليلة .

هل هذا مما يصلح أن يكون ردا على من يدعى أنه قد كشفت لروحه معالم فى بيت المقدس ، وأن روحه قد أطلعها الله فى حال يقظته على ما يمكن أن يطلع عليه النائم فى رؤيا نومه ؟ .

إنه ليس بين هذين الحالين كبير فرق ، وليس فى شىء منهما ما يدعو إلى الاستنكار والاستهزاء، وإذاً لا مناص من التسليم بأن الإسراء كان فى حال اليقظة بالروح والجسم جميعا .

وهذا هو ما تفيده الآية الأولى من سورة الإسراء، ويدل عليه حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى حدث به الأقوام مؤمنين ومشركين ، وهو ما حفظه التاريخ، وأثبته رواة الحديث وحفاظه جيلا عن جيل ، سجلته كتب السيرة وجوامع الأحاديث الصحيحة .

قد اتفق عليه المسلمون منذ اليوم الذى حدث فيه عن هذا الإسراء ، ولم يرو فيه خلاف يعول عليه .

حقيقة قد وقع خلاف بين العلماء فى موضوع الإسراء ، ولكن من وجوه أخرى :

اختلف فى زمانه : هل كان قبل الهجرة بسنة واحدة ، أو بسنة وبضعة أشهر ، أو قبلها بأكثر من ذلك ؟ .

وفى أى شهر كان ؟ هل كان فى شهر ربيع الأول ؟ فى شهر رجب ؟ فى ذى القعدة ؟ فى ذى الحجة ؟

واختلف فى مكانه : أى فى الموضع الذى بدئ منه الإسراء :

هل كان من شعب أبى طالب ؟ أو من بيت ابنته أم هانئ ؟ أو من المسجد الحرام نفسه من حجر إسماعيل فى جوار الكعبة ؟

ونحن نرى أن الاختلاف فى المكان ليس اختلافا حقيقيا ، وليس بين الروايات الثلاث فيه تناقض أو تعارض، فانه يمكن أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى ليلة الإسراء قد كان فى شعب أبى طالب ، وفى بيت أم هانئ ، ثم ابتدأ السير من المسجد حيث كان فى حجر إسماعيل .

إنما الخلاف الحقيق هو الذى وقع فى زمان الإسراء ، وقد رجح العلماء فيه بعض تلك الروايات ، وأنه كان فى شهر رجب قبل الهجرة بسنة و بضعة أشهر ، تاريخ فرضية الصلوات الخمس .

وهذا الاختلاف فى زمن الإسراء: « يومه، وشهره ، وسنته » لا ينبغى أن يكون له أى تأثير يمكن أن يشكك فى ثبوته ، وفى أنه حقيقة وقعت فعلا ، فانه اختلاف عادى يقع مثله كثيرا فى تواريخ الأحداث الكونية ، وفى تحديد الوقائع وأعمال الناس اليومية ، ولا سيما إذا لم تكن هنالك سجلات كتابية ، يعنى فيها بتدوين تلك الحوادث والوقائع والأعمال .

ونظن أن كثيرا من الناس اليوم لا يستطيع أن يحدد من ذاكرته الأيام أو الأشهر التى قامت فيها ثورات الشعب على الاحتلال فى سنة ١٩١٩ أو فى سنة ١٩٢١ م .

ونظن أن كثيرا من الناس كذلك لا يطمئن إلى ذاكرته ، إذا أراد أن يعين اليوم الذى قامت فيه الثورة الحاضرة : ثورة سنة ١٩٥٢ : هل كان يوم جمعة، أو يوم خميس، أو يوم ثلاثاء أو أربعاء ؟ .

وكم من الناس يذكر اليوم أو الشهر أو السنة التى تقلد فيها الشيخ محمد عبده منصب الإفتاء ؟ أو السنة التى مات فيها الشيخ عبد الله الشرقاوى ، أو الشيخ الخرشى ، أو الشيخ جمال الدين الأفغانى ؟

بل هل يستطيع كثير من المثقفين الذين حصلوا على شهادات دراسية، أن يعينوا الشهر أو اليوم الذى أعلنت فيه نتيجة امتحاناتهم أنفسهم، فى الشهادات الابتدائية أو الثانوية أو العالية أو ما بعدها ؟.

هل من اليسير أن يعتمد الناس على ذاكرتهم فى تعيين هذه الأحداث وأشباهها، فيتفقوا جميعا على تواريخ معينة لها ؟ هذا مالا يمكن أن يكون.

إنه لا بد أن يقع الاختلاف فيها وفى تحديد أزمنتها : أيامها، وأشهرها، وسنيها، على نحو الاختلاف الذى وقع فى تحديد زمن الإسراء وأشد مما وقع فيه.

هذه اختلافات طبيعية وعادية من غير شك. فهل الاختلاف فى تعيين التاريخ الذى حدث فيه شأن من هذه الشئون ينبغى أو يصح أن يجر إلى إنكار حدوثه من أصله ؟ وهل إذا اختلفنا الآن فى تعيين اليوم الذى افتتح فيه حديثا الطريق الجديد على شاطئ النيل فى مدينة القاهرة، كان ذلك مسوغا لأحد منا أو ممن يجىء بعدنا أن ينكر أصل إنشاء هذا الطريق، مهما تغيرت المعالم، وتتابعت الأحداث ؟

إذاً اختلاف المسلمين فى تعيين زمن الإسراء ليس معناه الاختلاف فى أصل حدوثه، ولا ينبغى أن يؤدى بالعاقل المنصف إلى إنكار وقوعه.

إن اختلافات كثيرة نشأت حول السيد المسيح عيسى عليه السلام، وما كان من عجائب حمله، وميلاده، ونشأته، ومدة بقائه على وجه الأرض، وما وقع منه من الكلام فى المهد، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وما إلى ذلك من الخوارق التى لا يعترف بها العلماء الماديون، ولا تخضع لمقرراتهم فى المادة وخصائصها، بل هى من شأن الله وحده، خاضعة لمحض قدرته، واقعة فى قبضة سلطانه على المادة وعلى كل شىء.

هذه الاختلافات التى وقعت حول السيد المسيح لا ينبغى أن تجر إلى الشك فى وجوده، أو ادعاء أنه شخصية خرافية، كما فعل بعض المخرفين المتهوسين، ممن يزعمون أنهم من العلماء الأحرار فى البحث والتفكير.

إن الذين أنكروا وقوع الإسراء ممن كانوا فى زمن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنما

هم المشركون المعاندون الذين لا يؤمنون بحق ، ولا يخضعون لحجة ولا بينة ، والذين كانوا محسوبين فى عداد المؤمنين ، ممن لم تتشبع قلوبهم بخالص الإيمان ، وصدق اليقين .

فانكار هؤلاء وهؤلاء لحادث الإسراء – بعد ما أراهم النبي صلى الله عليه وسلم فيه الآيات البينات – ليس إلا من قبيل كفرهم وجحودهم بكل ما أتاهم به من الحق ، والجاحد المكابر لا سبيل إلى إقناعه ، ولا حاجة لأحد فى إقناعه ، ما دام لا يريد أن يسمع أو يفكر ، أو يسلم بنتائج تقضى بها المقدمات .

« أمران مهمان »

نود هنا أن نقف قليلا من حادثة الإسراء عند أمرين جديرين بالنظر والاعتبار :

« الأول » ما كان من المشركين من اللجاجة فى الجدال ، والإلحاف فى السؤال : عن العير وعدتها وأحمالها ، وعن صفات بيت المقدس ، دقيقها وجليلها ، خفيها وجليها ، وما تحمله تلك الأسئلة من روح التعنت ، والنية الخبيثة ، والقصد السيئ الملح الذى استولى على أصحابه ، فدفعهم إلى الحملة والإسراف فى الأسئلة بطلب المعقول وغير المعقول ، وليس من بينهم رجل معتدل منصف ، يفرق بين سؤال طبيعى يقع موقعه ، وتحسن الإجابة عنه ، وسؤال آخر يجب أن يهمل ، ويرد فى وجه صاحبه .

إن تلك الأسئلة التى أجهد بها أصحابها أنفسهم لم تكن أسئلة إنصاف ومنطق عاقل ، يقصد بها تعرف الحقيقة ، والوقوف على مبلغ صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما أخبرهم به من أمر الإسراء . وإنما كانت أسئلة عناد ومشاغبة ، يراد بها إظهار الرسول – صلى الله عليه وسلم – بمظهر العاجز عن إجابتهم الى بعض ما سألوا ، ليكذبوه فيما أخبر به .

فهل فى منطق العقل والعدل يتوقف صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما أخبر به من الذهاب إلى بيت المقدس فى تلك الليلة ، على أن يعلم تفاصيل بيت المقدس ، وجميع صفاته وأحواله ، ويحيط بما احتواه المسجد الأقصى من مشاهد ومعالم ، ويعلم أيضا على وجه التفصيل حال عيرهم ، وأحمالها وأقتابها ، وعددها وعدتها ؟

إن النبي – صلى الله عليه وسلم – فى ذهابه إلى بيت المقدس لم يكن همه أن يدرس مبنى المسجد الأقصى دراسة هندسية تفصيلية ، ويحصى عدة ما فيه من أبواب وعمد ونوافذ ، ويعرف مواقعها واتجاهاتها ، ومسافات ما بينها ، ولم يكن – وهو فى طريقه إلى بيت

المقدس أوفى عودته منه ـ بسبيل أن يرصد عير قريش ، فيعرف عددها وعدد أصحابها ، ويقف على أحمالها وألوانها ، ويتبين منها الأورق والأصفر والأسود ، حتى يصح أن يسرفوا فى سؤاله عن ذلك كله ، فيكذبوه إذا لم يجب عنه أو عن بعضه .

إن كثيرا من الناس قد رأى الجامع الأزهر ودخله عشرات المرات ، بل إن كثيرا من الناس قد قضى فى الأزهر دهرا طويلا من عمره ، ومنهم من عاش حياته فى مقاصيره وأروقته ، فهل من اليسير على أحد من هؤلاء أن يجيب إجابة صادقة واعية عما يسأل عنه من تفاصيل ما احتواه هذا المسجد ، وعدد أعمدته ، وأبوابه ونوافذه ، وارتفاعاتها وألوانها ، والمسافات التى بينها ؟ وهل إذا عُصبت عينا أحد الجالسين فى هذا المسجد عند المنبر ، أوطلب إليه أن يغمض عينيه ، فيسأل عن لون هذا المنبر ، وهل هو لون ماطليت به الأعمدة والأسقف ، أو هو لون يغاير ذلك ، يستطيع أن يجيب عن ذلك إجابة صحيحة مطمئنة ؟ وهل يستطيع أحد وهو خارج هذا المسجد أن يعين شكل أعمدته ؟ وهل هى جميعها مستديرة ، أو منها مربعة الأضلاع ، أو ما هو على شكل مثمن ؟ .

وإذا عجز أحد من هؤلاء عن الإجابة عن هذه الأسئلة أوعن بعضها ، فهل يمكن أن يقال : إنه لم ير الأزهر قط ، وإنه كاذب إذا ادعى أنه من الملازمين له أو العاكفين فيه ؟ .

إن كل الأسئلة التى أشرنا إلى نماذج منها هى من قبيل ما كان يوجه إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند ما أخبر قومه بخبر الإسراء ، فماذا كان ينتظر من هؤلاء القوم المسرفين فى عنادهم ، لو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عجز عن إجابتهم عن بعض ماسألوا ؟ .

إن هؤلاء المشركين ـ فى تظاهرهم عليه ، وحملتهم بأسئلة التعنت التى كانوا يوجهونها إليه ـ لم يكن ليردهم شىء عن تكذيبه والتشنيع عليه والتشهير بموقفه ، إذا هو عجز أو توقف عن إجابتهم عن شىء مما سألوا ، وإن كان العجز فى مثل تلك الأسئلة حتما وطبيعيا كما ضربنا له الأمثال .

لكن الله العلى القدير أراد ألا يمكنهم أن يصلوا إلى غايتهم من تلك الحملة ، وذلك التظاهر الفاجر ، فأدرك نبيه الصادق الأمين بما بكت به القوم ، ورد به تعنتهم وتهكمهم إبلاسا فى نفوسهم ، واندحارا فى قلوبهم ، وخزيا فى جباههم ، يطالع به بعضهم بعضا ، كما كان يميل بعضهم إلى بعض أول الأمر بالسخرية والاستهزاء .

كشف الله لرسوله عن المواقع والمعالم، لما التبس عليه بعض الشيء مما سألوا عنه، وجلى له بيت المقدس، حتى كان ينظر إليه أقرب من دار عقيل، فجعل ينعته لهم، ويستملي إجاباته من مشاهداته، يسددها طعنات في صدورهم، وغما وكمدا في أفئدتهم، وأظهره الله عليهم، والله غالب على أمره، وهو القوى العزيز.

«الأمر الثاني» أن بعض الناس قد حاول ـ بحسن نية ـ أن يقرب إلى الأذهان مسألة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، بتلك السرعة الخاطفة التي لم يعهدها أحد، فقال: إن الإسراء بتلك السرعة بين هاتين البلدتين المتباعدتين، وقطع المسافة بينهما في فترة قصيرة جدا، إذا كان عجيبا غريبا قبل أن تستخدم قوة البخار وقبل أن تستحدث الطائرات العادية والطائرات النفاثة، فانه يجب أن يعتقد وأن يسلم به من غير تردد بعد ظهور تلك المخترعات وتلك المستحدثات، فان المسافات البعيدة التي يحتاج في قطعها راكب البعير أو الفرس إلى ثلاثين وأربعين يوما يمكن أن تقطعها الطائرات في بضع ساعات.

يريد أصحاب هذه المحاولات حسنو النية بهذا التقريب، أن يضعوا واقعة الإسراء في المحل الذي لا غرابة فيه، والذي يثبت التقدم العلمي وقوع نظائر له ومشابهات، ليقنعوا بصحة ذلك الإسراء وإمكان حصوله أصحاب العلوم المادية، الذين لا يسلمون إلا بما تلمسه أيديهم، ويقع تحت أبصارهم، ويخضع لتجاريبهم وقوانين علومهم، في الحوادث والكائنات.

نية حسنة، ومقاصد طيبة، ولكنها تنطوي على شيء غير قليل من الغرارة وعدم التبصر، في مجاراة الماديين الذين لا يؤمنون بمعجزات، فانه لا سبيل إلى التقريب أو الربط بين أمور هي من فعل الإنسان يقدر عليها بتفكيره واستنباطه، ويتوصل إليها بأسباب مادية تخضع لقوانين علمية، ومعارف إنسانية، وأمور أخرى لا دخل لقدرة الإنسان فيها، وإنما هو مظهر كونها، ومحل جريانها، يخلقها الله فيه، ويجريها على يديه، كما قال تعالى: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» فان رمية واحدة بقبضة من الرمل أو الحصباء يصيب بها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عيون فريق كبير من الأعداء في غزوة بدر، حتى يكون ذلك من أسباب هزيمتهم واندحار جموعهم، ليس أمرا عاديا مما يكون في طاقة الانسان، وإنما هو فعل الله الخالق لكل شيء، القادر على كل شيء، القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير.

إنه مهما تقدمت العلوم، وارتقت الصناعات، وجد من المخترعات ما يبلغ فى غرابته وطرافته أضعاف أضعاف ما كشف عنه العلم الحديث الآن، فانه على كل حال يكون نوعا آخر غير نوع المعجزات التى يجريها الله على أيدى المختارين من رسله، فان هذه المعجزات ليست لها وسائل ومقدمات، ولا أسباب وأدوات، مما يدخل فى مقدور العباد.

أما المخترعات الإنسانية فانها لا بد أن تنبنى على قواعد وقوانين علمية، ولا بد فيها من استخدام أجهزة وأدوات، يتوصل فيها بالتحليل والتركيب وإحكام الصنع إلى ما يراد تكوينه من مخترعات.

فالطيران فى السماء باستخدام الأجهزة والآلات البخارية وغيرها أمر بديع، وعمل إنسانى عجيب، ولكن له أسبابه ومقدماته العلمية التى يستطيع الطيران بها فى الجو كل من يعرفها، ويعرف طريقة استخدامها فى ذلك.

أما الطيران من غير تلك الأسباب والمقدمات، فليس فى مقدور أحد من الناس.

وعلى هذا الأساس يكون الفصل بين المعجزات وبين كل غريب عجيب من المبتكرات والمخترعات التى تنبنى على قوانين علمية، وأفكار واستنباطات إنسانية.

* * *

أما بعد - فهذا أمر الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. قد اقتصر عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما تحدث به إلى قريش عند الكعبة كما علمنا.

ولم يعرض عليه الصلاة والسلام فى ذلك الحديث لأمر المعراج، وهو صعوده إلى السماء فى تلك الليلة التى كان فيها الإسراء.

والسر فى ذلك الاقتصار هو أن المعراج ما كان يمكن - فى أغلب الأمر - أن يصدق به رجل مشرك أو كافر لا يؤمن برسالة الرسول، ولا يذعن لما يذعن له المؤمنون من أن الرسل معصومون من الكذب والافتراء.

فالتحدث إلى أولئك المشركين عن المعراج لا تكون له حينئذ جدوى، ولا يفيد أية فائدة. بل قد يكون من نتائجه أن يزيدهم كفرا إلى كفرهم، وإمعانا فى شركهم.

فانه ليس لأمر المعراج شواهد ودلائل مادية، يمكن أن يدلى بها إليهم ،ليثبت لهم حقية ما يقول ، سواء آمنوا بعد ذلك أم لجوا فى العناد والإباء ، كما كان فى أمر الإسراء :

لكن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ تحدث فى غير ذلك الموطن عن المعراج : حدث به أصحابه المؤمنين وأخبرهم بما شاهده فى السموات من بديع الآيات ، وما تلقاه من الأمر الإلهى بفرض الصلوات الخمس اليومية .

* * *

هذا والقرآن الكريم قد اشتملت آيات منه فى سورة النجم على ما يثبت المعراج: ذلك قوله تعالى ـ فى الإخبار عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لسيد الملائكة جبريل عليه السلام: «ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

ومعنى هذا ـ كما يقول أئمة التفسير ـ أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ رأى جبريل مرة أخرى فى صورته الحقيقية الملكية فى السماء عند سدرة المنتهى ، بعد مرة أولى رآه فيها على تلك الصورة ، وكانت رؤية عينية بصرية كما ينبئ بذلك قوله تعالى : « مازاغ البصر وما طغى » ـ صدق الله العظيم .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب ، والحمد لله رب العالمين »

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثامن ـ القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٥ ـ ١٣ مارس ١٩٥٦ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

تطور المجتمع المصري :

بين الأمس، واليوم، والغد . . .

كانت مرافق مصر ونشاطها الاقتصادي والتجاري — إلى عهد قريب — في أيدي الأجانب، وكانت للأجانب امتيازات قضائية وسياسية فرضتها القوة على الضعف فزادتهم تمكينا في هذه المرافق، ونشاطا في مصادر الحياة، حتى لقد امتد نشاطهم إلى الأرض الزراعية، وإلى الصناعات الزراعية، فكانت شركة كوم امبو ـ مثلا ـ هي كل شيء في مقاطعة كوم امبو، وكان مأمور المركز ـ المفروض فيه أنه يمثل وزارة الداخلية في ذلك الملك الواسع ـ كأنه ضيف أو موظف لدى شركة كوم امبو، لا يتصرف في عمله إلا بما يوافق مصالحها، وما ينال به عطفها ورضاءها، فاذا لم يرض عنه رأس المال اليهودي في هذه الشركة، كان عليه أن يزم حقائبه في اليوم التالي عائدا إلى القاهرة، ليأتي منها إلى كوم امبو مأمور آخر أكثر منه لباقة في رعاية مصالح الشركة وتحري رضائها . . .

وكان مجلس الاسكندرية البلدي ليس له من بلديته إلا عنوانها، وفيما عدا ذلك

يكاد يكون مجلسا أجنبيا — بل مجلسا دوليا — يمثل بأعضائه وميوله ونزعته وتصرفاته جاليات الأمم الغربية من انجليز وفرنسيين و إيطاليين ، الى اليونانيين ومن هم أقـل شأنا من اليونانيين . . .

هكذا كانت مصر من أعلاها فى كوم امبو ، إلى سيف البحر بالاسكندرية . فكان أهل البلد غرباء فى بلدهم ، و يزيدهم شعورا بهذه الغربة سيطرة الأجنبي على وزارة الداخلية وأقسام البوليس ، و إشراف المستشار البريطانى على وزارة المالية وما يلتف عليه ذلك الاخطبوط ، ثم تصرف القسيس البروتستانى دانلوب فى أداة التعليم وفى تكوين عقلية رجال المستقبل طبقة بعد طبقة ، وقيام جيش الاحتلال فى ثكنات قصر النيل ، ومنطقة القلعة ، وعلى ضفاف المعادى ، وفى كل مكان إلى الإسماعيلية وقاعدة القنال . . .

وكان نفر من الإقطاعيين والانتهازيين — مع العاطلين من سلالة محمد على — مستأثرين بأرض النيل يبتزون خيراتها ، و يبددونها هنا وهناك فيما لا خير فيه . . .

لقد كنت — مع لداتى من أبناء جيلى — شاهد عيان لتفاصيل ذلك فى النصف الأول من القرن العشرين ، ولو شاء المؤرخ الثاقب النظر أن يسجل ذلك لألف فيه مجلدات حافلة بالحقائق المؤلمة التى كانت عقوبة لنا من الله على ما فرطنا فيه من أسباب القوة بمختلف ألوانها ، وفى طليعة ذلك أخلاقنا العربية وآدابنا الإسلامية .

إن هذا التيار المخيف من حضارة الغرب داهمنا على حين غفلة منا قبل نحو مائة وخمسين سنة ، وكانت لا تزال فينا بقية أخلاق إسلامية ، فكان علينا أن نسلحها من حضارة الغرب بما نحتاج إليه من علومها وصناعاتها ، وأن نتق الله فى هذه الأمة فنجنبها كل ما يضعفها — فى أخلاقها وثروتها — من عبث ولهو و إسفاف . ولكن وقع عكس ذلك من عهد اسماعيل، ومن قبل عهد اسماعيل، فأخذنا من حضارة الغرب قشورها وسو بقاتها، ودفعنا ثمن ذلك من أخلاقنا وديننا .

لما احتل الفرنسيون مصر كان لما تحمله سفن النيل إلى القاهرة من بلاد الوجه البحرى جمرك فى بولاق قال عنه أحد مهندسى الحملة الفرنسية مسيو جومار فيما سجله فى كتابهم العظيم (وصف مصر) : إن الأمانة فى الشعب المصرى يومئذ كانت بالغة ذروتها العليا ، فكانت الغلال والبضائع التى تنقل من السفن إلى شاطئ النيل فى بولاق تلق بالعراء

وتبقى على الشاطئ أياما بلا حارس يحرسها ولا بناء يحفظها . فلا تمتد إليها يد سارق ، ولا يطمع فيها أحد فى ليل أو نهار .

هذه شهادة من خصم ، مدونة إلى هـذا اليوم فى كتاب عظيم محترم من الجميع .

هكذا كنا قبل أن يداهمنا تيار الحضارة الغربية منذ نحـو مائة وخمسين سنة فقط .

فأين ذهبت هذه الأمانة التى كانت من أخلاق جماهيرنا ودهمائنا ؟

كيف فقدنا هذه الجوهرة الثمينة ، وما كان معها من جواهر الأخلاق الفاضلة التى هى فينا من بقايا أخلاق الإسلام ؟

إن الذى خسرناه من أخلاقنا وديننا مدة حكم أسرة محمد على كان أفدح وأكبر مصيبة من كل ما وصفته فى صدر هـذا المقال من توغل الأجانب فى مرافقنا ، وائتمارهم ـ مع الإقطاعيين والظلمة ـ على الاستئثار بخـيرات النيل والأرض التى تحتضنه من السودان إلى الدلتا .

وهذه الخسارة التدريجية فى الأخـلاق والدين هى التى كان الأجانب وعملاؤهم من المصريين يسلسون لنا القياد للامعان فيها ، والانزلاق فى مهاويها ، وهى التى كانوا يعتمدون عليها فى إقامـة سلطانهم وتوسيع دائرة مصالحهم ، إلى أن صـاروا فى مصر كأنهم أصحابها ، و إلى أن صار أهلها وأبناؤها كأنهم الغرباء .

وكما كان من أثر النظام الذى قام فى مصر من عهد اسماعيل أن صار المصريون غرباء فى بلادهم ، فإنهم صاروا كذلك غرباء عن أخـلاقهم الإسلامية ، حتى صار للجريمة فى كل صحيفة يومية صفحة يومية ، بل مست الحاجة إلى أن تـكون لها مجلة خاصة بهـا ، ومست الحاجة إلى أن تعقد فى دار الشبان المسلمين وغيرها ندوات للتحدث عن انحراف الشباب وأسبابه ومظاهره ، ومسئولية البيت والمدرسة عن ذلك ، والدور الذى تمثله شاشة السينما ، والصحف والمجلات التى تلتمس الرواج على حساب الشباب الذى تساعده على هـــذا الانحراف بل تدفعه إليه ببراعة وقوة وسرعة .

لله فى تغيير مجرى التاريخ ، وتحويل الأمم من حال إلى حال ، إحـدى طريقتين : فاما أن يستدركوا ما فرط منهم فيعودوا إلى ما يرضيه من صالح الأخلاق وخالص الإيمان ،

فيكون من ثمرة ذلك أن يمن عليهم بالقوة والهناءة والنظام السعيد . وإما أن يمتحنهم بإسداء النعمة قبل استحقاقهم لها، ليرى ان كانوا أهلا لذلك فيكتب لها الدوام فيهم والاستمرار .

وقد رأينا بأعيننا كيف كف الله عن مصر يد القضاء المختلط وذيوله ، والامتيازات الأجنبية وشرورها .

ورأينا بأعيننا جلاء جنود الاحتلال عن أرض الوطن ، فلم يبق على تمام الجلاء عن قاعدة القنال إلا أشهر معدودات .

ورأينا بأعيننا كيف سدت بالوعة قصر عابدين التى كانت تضيع فيها وفى قصور الكسالى والعاطلين من ذرية محمد على الألوف والملايين من أموال مصر ، فتحولت هذه الأموال إلى مصانع الأسلحة ومصانع الحديد والصلب ، وإلى إقامة السد العالى ، وإصلاح المرافق ، وتعمير البلاد وتجميلها .

هذه الدار قد جددنا شبابها ، وأخذنا نبعث فيها روح النشاط والقوة . فكيف السبيل إلى تجديد شباب سكانها ، وازدهار أخلاقهم، وبعث روح النشاط والقوة فيهم ؟

الأخلاق ، الأخلاق . هذه هى عين الحياة لكل أمة تريد أن تقوى وتسود وتسعد ، والمادة الخامسة من دستورنا الجديد تعلن على ملأ الأشهاد أن « الأسرة أساس المجتمع ؛ قوامها الدين والأخلاق والوطنية » .

فهذا الفساد فى الأخلاق الذى فتحنا له فى كل صحيفة يومية صفحة يومية ، يجب أن يوضع له حد ، ويجب أن يعالج ، ويجب أنه تشفى هذه الأمة من أوصابه .

والقيام بهذا الواجب ليس منحصرا فى قادة الثورة ، ولا فى رجال الحكم ، بل هو واجب كل مؤمن بأن الأخلاق حياة الأمم، ولا حياة لأمة بلا أخلاق .

مدرس التاريخ ، ومدرس الأدب ، ومدرس المواد الاجتماعية مطالب من ربه ومن وطنه ومن أمته ومن نفسه بأن يتخذ من دروس التاريخ أو الأدب أو المواد الاجتماعية وسائل وذرائع لبناء دعائم الأخلاق — الأخلاق الفردية ، والاجتماعية ، والقومية — فى نفس كل طالب ، لأنه أمانة الوطن بين يدى المدرس ، وهو ابنه الروحى فى الفصل وفى المدرسة ، كابنه فى الدم والنسب .

فى كراسى التدريس الجامعى والثانوى مدرسون وأساتذة سلبهم الله نعمة الإيمان بالإسلام ، فهم دائبون عن تشكيك الطلبة فى دينهم ، وتشويه سيرة أعلامه ، وإساءة التأويل فى تاريخه . هؤلاء الأساتذة والمدرسون شر على الأمة والوطن من قيام إسرائيل شوكة فى كيان العروبة ، لأن شوكة إسرائيل فى كيان العروبة قد شعرت العروبة بعداوتها وهى تتألم منها وستعرف كيف تتخلص منها ، وأما هؤلاء الذين يسيئون إلى كيان العروبة والإسلام باسم العلم فانهم يلبسون مسوح العلماء وهم دجالون ، والخير كل الخير فى إنقاذ رجال المستقبل من شرهم ، ووضع حد لهذه المهازل التى يبرأ منها العلم ، ويجب أن تتطهر منها كراسى التعليم .

وفى الصحافة أقلام (تجاهد) لتحطيم بنيان العفة فى قلوب الفتيات والفتيان باسم الفن والأدب والقصة والتصوير والتجديد ، هذه الأقلام يجب أن تكسر فى وجوه أصحابها ، ويجب أن يعلم هذا الوطن أنها أسلحة شرعت لحربه ، وأنها مقضى عليها بالمادة الخامسة من دستورنا الجديد .

وهذه الأفلام السينمائية التى تدفع الأمة دفعا الى الانحراف والجريمة والانحلال ، لاينفع فيها منع الأحداث من الاتصال بها بل ينبغى أن تمنع بتاتا بيد قوية حازمة وأن لا تعرض على أنظار الجميع كبارا وصغارا . إن السينما وسيلة خير ووسيلة شر ، وقانا الله شرها ، ويكفينا منها ما قد يكون فيها من خير محض .

نحن الآن فى دور نقاهة وانتقال الى كيان جديد يجب أن نكون أقوياء فيه بأخلاقنا وديننا ومعارفنا وأنظمتنا ووسائل عيشنا . وهذا الانتقال لا تستطيعه الحكومة وحدها ولا قادة الثورة بأشخاصهم ، بل لا بد أن تتعاون عليه الأمة كلها ، على قدر طاقة كل فرد فيها ، وبمقدار ما يدركه من مسئوليته ، ولا أتردد فى أن أقول : إن عبء هذه المسئولية واقع فى الدرجة الأولى على كل أزهرى ، وعلى كل متعلم ، وعلى كل حامل قلم . والانتقال الى الكيان الجديد يجب أن يكون بالعمل والقدوة ، قبل أن يكون بالكلام والوعظ الذى يبقى رنين صوته فى مكانه لا يتجاوزه الى ميادين العمل . فالوعظ بالقول دون العمل هو العلم الذى استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم منه ووصفه بأنه العلم الذى لا ينفع .

أيها العلماء ، أيها المثقفون ، أيها المتعلمون ، نحن فى دور نقاهة وانتقال الى كيان جديد ، والعبء ثقيل ، فلنتعاون جميعا على حملة صادقة فى سبيل القوة والاستقامة لنتخلص من ضعفنا ، فأن الضعف جريمة ، وأهله لا يستحقون الحياة . . .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٣٨ -

دعائم المجتمع الصالح

(ا) أمانات ، وعـــدل

(ب) وطـاعات ، واحتـكام إلى الـكتاب والسنة

(ا) ١ — « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها »
٢ — « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »
(ب) ٣ — « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »
٤ — « فأن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

تمهيد : المشرعون فى مختلف الأمم ينشدون استقرار الحيـاة ، وتوفير الطمأنينة ، ويضعون من التشريع ما يبتغون منـه تحقيق أغراضهم . . . وهم يصدرون فى هذا عن تجاربهم فى تعرف الثغرات التى يحسونها فى محيطهم ، وعن اجتهادهم فى توخى المصلحة .

وواضح أن التجارب والاجتهاد مهما يكن لها من مساعدات فى ملاءمـة التشريع ، فأنهما لا يبلغان مبلغ الإيحاء السماوى ، ولا يغنيان غناءه فى شئون المجتمع ، ولا فى الـكثير منها : ضرورة أن شرائع الناس مكيفة بروح الزمن الذى وضعت له ، والبيئة التى نجحت فيها ، وبقاء الزمن والبيئة على لون واحد أمر غير مفروض ، فيكون طبعيا أن ما يصلح لليوم لا يصلح للغد ، وما ينفع فى بيئة لا ينفع فى أخرى .

لذلك تـكون الأمم المتدينة لاجئة إلى دينها : لا بحكم العقيدة فقط ، ولـكن بدافع الحاجة إلى الاهتـداء به والاقتباس منه ، ويكون المجتمع الإسـلامى بصفة أخص

أولى الشعوب بالاتجاه نحو دينه وأجدرها بالمسارعة إلى الأخـذ به ، فأن للمسلمين كتابا حافلا بالنظم المدنية ، ولا ينقصه شيء من أساليب التقنين لـكل ما تنشده الإنسانية بعد مراحلها الأولى ، وفيما يمس الحيـاة في مستقبلها المتجـدد . . ولسنا في مقام الموازنة حتى ننـادى بأنه دين الخلود ولا جرم .

وأنت إذا قرأت القرآن ، واستوعبت سنة الرسول ، وجدت الجانب الأكبر منهما في التنظيم الاجتماعى ، وفى تربية الضمير ، وتـكوين الأنفس على غرار حسن ، وفى دعم المجتمع بالخلق الرفيع ، ووجدت نصوص الأحكام على كثرتها محصورة العـدد إلى جانب ما يتعلق بالفضيلة .

وفحوى ذلك أن غرس الفضيلة ، وتقويم الخلق فى المـكان الأول من الشريعة الإسلامية . وشاهـد ذلك من القرآن نفسه أن الله أثنى على رسوله محمد بعظمة خلقه ، ورقة قلبه فى قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم ـ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ـ بالمؤمنين رءوف رحيم » ولو أن الجانب الخلقى بلغ مبلغ الكمال أو قريبا منه عند الناس جميعا ، أو عند أكثرهم ، لاستغنوا عن كثير جدا من التقنين المدنى الذى اقتضته نزعات الانحراف ، ونزوات النفوس .

لذلك جاء القرآن معنيا جد العناية بالناحية الأدبية ، وأكثر فيها من توجيهاته وإرشاده مراعاة لأن النفس أمارة بالسوء فهى بحاجة إلى مقاومة شديدة .

(ا) — ومما جاء به القرآن لضمان الاستقرار ، وذيوع الطمأنينة : تلك الأمور التى توجنا بها حديث اليوم : أمانات ، وعدل ، وطاعات ، واحتكام إلى الكتاب والسنة . وإنك لتلمس فى مطلع الآيات آكدية التكليف بهذه الأمور الأربعة ، فبدؤها :

١ — « إن الله يأمركم » وفى ذلك توكيد بأن . . وتصريح بذكر الله . . وإخبار بأنه يأمرنا ، فكأنه أمر سابق مفروض الحصول لا يحتاج إلى إنشاء جديد . . وهو بصيغة المضارع يقارن زمنه ويتجدد مع الزمن فى مستقبله ، ثم هو يتجـه إلى جميع المخاطبين به من وقت حصوله إلى نهاية الدنيا : دون استثناء رجل أو امرأة ، ولا ملك أو سوقة .

ولا شك أن الخطاب على هذا النمط يثبت تعلق تلك الأمور بكل ذمة من ذمم المسلمين بل وغير المسلمين مضافا إلى مطالبتهم بأصل الإيمان .

٢ — والأمانة شاملة لكل ما يعهد بحفظه إلى الغير من أموال ، وأقوال غير منكرة ، وشاملة لما يوكل إلى الإنسان من أعمال وظيفته ، وصناعته ، وكل ما يرتبط به صالح الفرد والمجموع ويعتمد فيه على حسن الظن بالأمين .

وذكر الأمانات بلفظ الجمع يقوم مقام التفصيل فى التكليف بها ، والتفصيل متروك إلى ما تكشف عنه حوائج الناس . . . وقد بلغ من شأن الأمانة فى الإسلام أن ذكرها القرآن كثيرا ، وذكرها فى سياق الأمر بأهم ما يعنى به من صلاة وزكاة ، ومحافظة على الأعراض .

٣ — وبلغ من شأنها كذلك أن الله اعتبر دينه أمانة عند عباده ، وأفاد أن السموات والأرض والجبال على عظمتها لم تتهيأ لحمل هذه الأمانة .

ولكن الإنسان بما امتاز به من عقل ومواهب كان أهلا لحمل تلك الأمانة ، وللتكليف بها ، فأذا اداها على الوجه المطلوب كان أمينا ، وإذا لم تكن الأمانة التامة من خلائقه وشيمه ، فهو مستهين بحق الله وحقوق الناس ، وهو ظلوم جهول كما تحدث الله عنه ، والظلوم الجهول مهدد بعذاب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات .

٤ — وبلغ من شأن الأمانة بين الناس أن الله رفع مستواها حتى جعلها فى مستوى الأمانة من الله ورسوله ، وجعل الخيانة فى شيء منها كالخيانة فى أمانة الله ورسوله . . . فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » أى تعلمون أنها أمانة ، وتعلمون شأن الأمانة فى شريعة الله ، وتعلمون خطر الخيانة فيها عند الله .

٥ — وبلغ من شأن الأمانة أخيرا أن النبي صلوات الله عليه نص على أنه لا إيمان لمن لا أمانة له ، ومعنى ذلك فى صراحة أن من فقد الأمانة ، أو تزعزعت فيه تلك الصفة ، فقد ضيع دينه . ونحن لا نرى فى ذلك مبالغة ، إذا ذكرنا خيانة تقع من قائد أو جندى ، ويعرض بها حياة الأمة ، أو سيادتها للضياع . . أو ذكرنا خيانة من رجل السياسة حينما يخادع شعبه بالأباطيل حتى يرجع بشعبه عن مقاصده ، ويمكن للفساد أن يستشرى فيه ،

أوذكرنا خيانة الرجل لزوجته، أو الزوجة لزوجها، حتى تنعدم الثقة بينهما، فيكون ذلك هدما لبناء الأسرة، وزعزعة للنظام العائلى، والأسرة وحدة من وحدات الأمة، وانحلال أسرة من الأسر كتناثر الحجر من بين صفوف البناء يوشك أن يجتذب حجرا وحجرا بعده، فيفقد البناء قوته، ويكون قريب الانهيار، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.

وهكذا نجد الأمانة متغلغلة فى الذمم، وضاربة فى كل شأن، وكل امرئ منا مأمون على ما بيده، فإذا خان فهو مسئول عن رعيته.

(ب) الدعامة الثانية: العدل بين الناس.

١ — والعدل من صفات الله، والله يدعونا إلى الاتصاف بصفاته ليستقيم الأمر بيننا كما استقام ملك الله فى ملكوته بعدله سبحانه.

وكم أهاب القرآن بنا أن نعدل فيما بيننا، بل حتم علينا أن نأخذ أنفسنا بالعدل ولو مع عدونا، وكم حذرنا أن نميل عن العدل طواعية لعاطفة، أو تشفيا من ذى خصومة.

« ولا يجرمنكم شنآن قوم — بغضهم — على ألا تعدلوا: اعدلوا.. هو أقرب للتقوى » « وإذا قلتم فاعدلوا، ولو كان ذاقربى ».

٢ — والإسلام كدين سماوى مدنى يأبى أن يكون فى ظله شىء من الجور، لأن المدنية الصحيحة لا تقوم إلى جانب الظلم، وليس العدل خاصا بالحكام، بل هو متعلق بكل من يؤخذ بقوله فى خصومة، أو يحتكم إليه فى رأى، أو يتولى رعاية فى جماعة، ولو فى أهله وولده.

٣ — ولأن العدل وشيجة بين الناس، ومدعاة للاطمئنان: ترى النفوس مرهفة لالتماسه فى شهادة الشاهد، وفى قضاء القاضى، وفيما يجرى على الألسن، وترى من وراء ذلك حبا يتمكن فى القلوب إذا رأوا عدلا بينا، وكراهية تطيح بالروابط إذا لمسوا حيفا ولو ضئيلا. ذلك لأن العدل لغة الضمائر، وله سلطان على الأرواح، ولقد احتكم يهودى مع على بن أبى طالب رضى الله عنه أمام شريح قاضى المسلمين، وكان اليهودى أخذ درعا لعلى وادعاها لنفسه وهو يعلم بكذب نفسه، ولما وجد من عدل شريح أنه لم يتعصب

لأمير المؤمنين ، وسوى بينه وبين اليهودى فى موقف القضاء ، ولم يسمع شهادة الحسن ابن على لأبيه ، واكتفى بيمين حلفها اليهودى وحكم له بالدرع ، اهتزت نفس اليهودى إعجابا بعدالة الإسلام ، وذهبت حفيظته على المسلمين ، وأعلن إسلامه وهو فى غبطة وجذل .

وتلك روحانية الإسلام فى قضائه العادل . . . وفى هذا الباب تقف الأقلام دون استيعاب الأمثلة فى سياسة الرسول وصحبه مع من أخضعهم الإسلام لحكمه ، وخفقت على أوطانهم راية القرآن حتى انضووا إليها راغبين فرحين .

٤ — وانظر تجد القرآن بعد أن ذكر العدل نوه إلى ما فيه من نفع لديننا ودنيانا فقال : « إن الله نعما يعظكم به » يعنى نعم الشيء الذى يعظكم به الله : هو العدل .

(ح) ومن العدل المنشود ألا يتمرد محكوم على حاكم ، ولا صغير على كبير .

١ — ولا يختلف إنسان على من له حق الطاعة من ذوى العلم ، وذوى الاختصاص فى عملهم ، وفيما يلون من شئون الدولة ، وإذا كانت الطاعة لله فيما شرع ، وللرسول فيما بلغ وبين : حقا مفروضا على المؤمنين ، فالطاعات فيما يكفل نظام الدولة ، وفيما يجدى على الناس ويجمع شملهم ، من أقوى التكاليف الدينية : إذ الإسلام دين ودنيا معا . . .

وليس من مظاهر الإسلام أن يكون شقاق ، أو تكون فتنة وتنازع مادامت الطاعة فيما لا يجافى تعاليم الدين . وحسبك أن كلمة الإسلام معناها الطاعة ، بل أقصى ما يكون من الطاعة لله « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » . ومن طاعة الله ، وإسلام الوجه إليه تعالى : تنفيذ أمره فى تبادل الطاعة بيننا حتى لا ننازع الأمر أهله .

فالعالم يطاع فى علمه ، والطبيب الحاذق يطاع فى طبه ، والقائد يطاع فى جيشه ، والحاكم يطاع فى حكمه ، وهكذا ليستقر النظام العام ، وتتجه الجهود إلى الغايات ، ويعود الخير على الجميع « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »

٢ — لذلك يعتبر القرآن أن الخروج عن الجماعة شذوذ وضلال ، وتعرض للعذاب فى جهنم . . . ويعلمنا القرآن أن إثارة الخلاف تعتبر إيقاظا للفتنة ، ويصرح بأن الفتنة أشد من القتل ، والنبى صلى الله عليه وسلم يلعن كل من أيقظ فتنة بين الناس .

ولذلك أيضا ينصح القرآن باجتناب أسباب الفرقة ، ويتهددنا بالوبال إذا خالفنا

واختلفنا « فليحذر الذين يخالفون عن أمره : أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

(د) ولكن اختلاف الرأى أمر فطرى ، ولعله وسيلة إلى الفلاح إذا كان غير مشرب بالعناد ، ولا ناجم عن هوى ، فحينذاك يكشف عن وجوه الصواب ، ويبصرنا بمواطن الزلل .

١ — ولقد دعا الإسلام إلى المشورة ، وفتح باب الاجتهاد ، وعاب على المهملين لعقولهم الرشيدة ، والمتكاسلين وراء التقاليد العمياء . . وكل ذلك حفز على تبادل الرأى والاجتهاد ، فى التماس المصلحة . . .

٢ — غير أن الرأى قد تخالطه حمية ، أو تشوبه عصبية ، فيكون مؤذنا بالفتنة ، وقاضيا على الوحدة . لذلك حتم القرآن علينا ألا نركب الرءوس ، ونطاوع الهوى ، وأن نرجع عن هذا التطاحن إلى كتاب الله ، وسنة رسوله .

والرجوع إليهما حين الاحتدام يحتاج الى يقين وإيمان بمافيهما مما شرع الله ، وفيهما الهداية والتبصرة « فأن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول : إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا » وهذه عدة من الله لعباده إذا رجعوا إلى كتابه وسنة نبيه بأن يهديهم الى الخير ، وأن هذا كما هو خير الآن ، فهو أحسن تأويلا : عاقبة .

وهذه توجيهات ترتضيها الأنفس المطمئنة بالله ، ويغتبط بها المخلصون لأمتهم ، فأنهم يرون فيها دعائم قوية ينهض عليها المجتمع المرغوب فيه ، ولا ينفر من تلك التوجيهات إلا خصوم الحق ومصطنعو الوطنية .

هذا ـ ومن عجائب المجتمعات الإسلامية فى كل واد أنهم يلمسون فى تاريخ الأسلاف تصديقا واقعيا لكل ما هداهم به القرآن ، ودعاهم إليه ، فأن أمجاد المسلمين ، ومجتمعهم الذى بهر الزمن ، لم يقم إلا على تلك الدعائم الكريمة ، حتى وضح فيهم يومذاك أنهم خير أمة أخرجت للناس . . . ثم غلبتهم الأنانية ، وتسربت إلى صفوفهم الدسائس ، وشجر بينهم خلاف وخلاف ففاتتهم فرص ذهبية ، وفرغت صفحات فى التاريخ من ذكريات طيبات تلائم ذكريات الأوائل من رجال الإسلام .

ولكنا نعود ونقول : إن الله قد رضى لنا الإسلام دينا ، وأكرم أمة محمد لأجل محمد ، فلم يعجلهم بالشر كما يستعجلون الخير ، وفتح أمامهم باب الرجوع عن مآثمهم ،

إلى هدى كتابه، وسيطيب للناس أن يستجيبوا لدعوته بعد أن غمرتهم ضلالة الهوى، وراقتهم الشهوات .

وان يكن الباطل فاشيا فيهم اليوم فسينتصر الحق ويتغلب، وسيذهب الباطل مدحورا « إن الباطل كان زهوقا » . ومن الحق علينا شكرا لله أن نفح مصر نفحة من رحمته فهيأ لها من رجال ثورتها من يرفع النداء جهيرا بدعوتها إلى النهوض ، ويفسح لها الخطا إلى الإمام، لتدرك ما فاتها وتجدد ما وهن من قوميتها، وتجمع ما تفرق من صفوفها، وتستضىء بهدى دينها، وتسبق غيرها فى سبيل الحياة الجدية الجديدة، وتقيم بنيانها منذ الآن على ما أوضح القرآن من دعائم المجتمع الصالح .

ومصر بحمد الله مستجيبة لنداء الثورة ، وسائرة خلف أبطالها فى جد ، وساعية معهم فى نشاط : بارك الله مصر و بارك نهضتها ٦

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

موجة الانحلال فى الأدب المعاصر

ظاهرة مؤسفة تتجلى واضحة فى الأدب المعاصر على إطلاقه ، هى ظاهرة الانحلال التى تتستر تارة تحت ثوب الفن ، وتارة تحت مذهب من المذاهب الشاذة الجديدة ، وطورا تحت ذريعة التجديد .

ويتخذ هذا الانحلال أشكالا شتى تنعكس على كل مايسمى بعمل فنى : فانحلال فى اللغة مرجعه الى جهل قواعدها وأصول مفاتيحها ، وادعاء استعصائها على الإدراك .

وانحلال فى المعانى والأخيلة ، حتى صارت المعانى المبدعة هى المعانى التى تختلط باللذة الحسية والشهوة العارمة .

وانحلال فى التفكير، حتى التوت مسارب الفكر أمام حملة الأقلام .

وانحلال فى الموازين والمقاييس ، حتى غدا العمل الفنى مقيسا لا بأصالته ونصاعة ديباجته وجدة معانيه، بل بقدرته على الإثارة، وقدرة الكاتب على تصوير العاطفة بأحسن العبارات وأرخصها .

وديع فلسطين
بالقاهرة

عن مجلة (الأديب) البيروتية

السنة

سيد الأزواج

— ١ —

أعرف الناس بالمخدوم والزوج ـ أساس السعادة الزوجية ـ من حق الإنسانية على الناس ـ أعرق البيوت فضلا ونبلا ـ أكرم زوج وأعظم أم ـ مثل من المكارم العليا .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ؛ ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعث بها فى صدائق خديجة ؛ فربما قلت له : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت ، وكانت ، وكان لى منها ولد .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

قلنا فى هذا المكان لمناسبة من الخلق النبوى العظيم [١] :

والخدم والأزواج أعرف الناس بالمخدوم والزوج ، ولو كانت واحدة لقلنا زوج تحب زوجها وتثنى عليه ، ولو كانت اثنتان أو ثلاث أو أربع لافترضنا المحال واقعا وقلنا : اتفقن كلهن جمع على هذا الحب والثناء ! ! فكيف وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى ـ صلوات الله

(١) انظر جزء رجب من مجلد العام الماضى .

وسلامه عليه - وفى عصمته الطاهرة تسع كان بينهن من المنافسة والغيرة ما لا يحتمله بشر، إلا أن يكون نبيا أيده بالمعجزات خالق القوى والقدر ؟!.

وإذا لم يتسع المقام هناك للبسط والتفصيل ، فإننا نحاول هنا بعون الله وتوفيقه أن نجلى - فى شيء من البسط والتفصيل - خلق النبي صلى الله عليه وسلم فى بيته ، ومع أزواجه أمهات المؤمنين واحدة واحدة ؛ ليعلم من لم يكن يعلم أن بيوت النبي صلى الله عليه وسلم - على تواضعها وكفاف عيشها - أعز البيوت وأكرمها ، وأسعدها فى الآخرة والأولى ؛ وأن السعادة الزوجية ليست فى زينة الحياة الدنيا ومتاعها ، وإنما هى فى كرم المعاملة وحسن المعاشرة ، ومكارم الأخلاق وطهارتها . . . ثم ليعلم من لم يكن يعلم أن سيد الأزواج جميعا ، والمثل الأعلى فى الوفاء للناس عامة ؛ ولأزواجه خاصة ، هو من بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق .

هو سيد الأزواج وأوفاهم بلا ريب ، سواء منهم من اقتصر على واحدة ، ومن زاد عليها فى حياتها أو بعد مماتها . . وهو مصداق قوله صلوات الله عليه وسلامه : أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخيارکم خياركم لنسائهم ؛ وقوله : خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي . رواهما الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه وصححهما .

* * *

ومرد هذا المثل الأعلى فى الوفاء والفضل إلى أن معاملته صلى الله عليه وسلم للناس عامة ، ولأزواجه خاصة - لم يبنها قط ، وما ينبغى له أن يبنيها ، على أساس المنفعة العاجلة ، أو المتعة الزائلة ؛ فأن هذه معاملة التجار ، لا معاملة الأبرار ، فضلا عن معاملة المصطفين الأخيار . . . وإنما أساسها الفضيلة فى أوج رفعتها ، والمكارم فى ذروة سنامها .

* * *

وإذا كان صلوات الله وسلامه عليه هو السيد الأول للأزواج جميعا ، فأن كل زوج معه - منفردة به ، أوذات ضرة أو ضرائر - سيدة الزوجات كلهن جمع ، على مايعتريها من غيرة تزل الحليم الرشيد أحيانا ، حاشاه صلوات الله عليه وسلامه .

* * *

على أن كل واحدة منهن قد استمدت هذه السيادة الزوجية ، أو جانبا منها ، من معدن المكارم ، وينبوع الفضل والفضيلة ، صلوات الله عليه وعلى سائر النبيين إخوانه .

لقد بنى الله لمحمد وأهله للعالمين أحد عشر بيتا ، هى فى حقيقة الأمر ـ لا مجازه ـ أحد عشر كوكبا ، تختلف عن كواكب السماء الدنيا : بأنها لا تأفل أبدا ؛ وبأن ليلها كنهارها ، تهدى السائرين على ضيائها فى الدجنة الحالكة ، كما تهديهم فى الشمس المشرقة على سواء .

* * *

وإذا كان من حق الإنسانية على الناس كافة أن يستضيئوا بكواكبها ، فأحق هذا الحق وأوجبه ، على أقرب الأقربين إليها ، وهم خير أمة أخرجت للناس ... ولا سيما المعنيين منهم بالشئون الاجتماعية والحياة الزوجية فى هذه الأيام .

إنهم إن استضاءوا بها ، فسوف يخففون من غلوائهم فى تعدد الأزواج وتقييد الطلاق ، وسيعلمون حق العلم أن الشأن إنما هو شأن التربية المنزلية ، والحياة الزوجية ، فى حدود ما أنزل الله ، من إمساك بمعروف أو تسريح باحسان ، ومن الزواج بواحدة أو أكثر من واحدة ، ما قامت الحياة على أساس العدل ومكارم الأخلاق .

* * *

والآن فلنبدأ بالبيت الأول : بيت أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، لأنه أعرق البيوت فضلا ونبلا ، وأسبقها تاريخا وزمنا ، ولأنه الذى قدمه الله لنبيه وادخره له ، ليواجه به أحرج الأوقات ، وأشد الأزمات !!.

* * *

كانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة ، كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعى الأمين ، اختص كل منهما بلقبه لبلوغه الغاية فيه ... وكانت إلى مكارمها النادرة ، ونفسها الطاهرة ، ذات مجد تليد ، وثراء عريض ، وعقل راجح ، وفهم راسخ ، وبصر بالأمور عجب ...

وحسبك أن السادة من العرب كانوا يزدادون شرفا بالزواج منها أو الانتماء لها . . حتى حظى بهذا الشرف اثنان : أبو هالة النباش من سادة بنى تميم ، وعتيق بن عابد القرشى من سادة بنى مخزوم ، وقد ماتا عنها كلاهما ، أحدهما بعد سابقه ، من بعد أن أعقب الأول منها هندا وهالة . . وهما رجلان صحابيان . . وأعقب الثانى منها هندا . . وهى صحابية .

ثم زهدها الله فى الرجال على شدة رغبتهم فيها . . حتى إذا بلغت أشدها واستوت ، وبلغت أربعين سنة ، وأضحت أكرم زوج فى الوجود ، وأعظم أم فى الخليقة ، وأعقل وزير وأخلصه فى النصح والصحبة ـ رغبت هى فى أن تكون زوجا لسيد الأزواج بل لسيد العالمين جميعا .

هكذا تفرست ، وهكذا صدق الله فراستها فأعدها لأمر عظيم ، لم تك تصلح إلا له ، ولم يك يصلح إلا لها .

* * *

لا نريد أن نتقصى تاريخ هـذا الزواج المثالى مبدأ ونهاية ، فقد كفتنا مئونة هذا التقصى صحاح السيرة والشمائل .

وحسبها فضلا ونبلا أنها كانت أسرع الناس إلى هواه ، ولا يهوى إلا الخير خالصا ، وأنهـا أول من آمن به واستجاب لدعوته ، وأول من بشره وثبته فى رجفة الوحى إذ رجع بالآيات الأولى من غار حراء يرجف فؤاده ، وتضطرب بوادره ، حتى دخل على الزوج الحنون ، والأم الرءوم ، وهو يقول : زملونى زملونى . . لقـد خشيت على نفسى . . وأخبرها الخبر . . ويا له من خبر . . فما كان جوابها إلا أن قالت : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخـزيك الله أبدا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحـديث ، وتحمل الـكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق (١) ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، فأكد بشارتها ، وصدق فراستها ، فى حديث الصحيحين وهو أشهر من أن يذكر . .

* * *

قضى سيدا الأزواج قبل البعثة المحمدية خمسة عشر عاما ، يعدل كل يوم منها دنيا الأمانة والطهارة ، والبر والوفاء ، وما شئت من خلال الفضل والنبل ، وكل منهما لذلك موئل وأهـل . . ثم قضيا بعد البعثة عشرة أعوام كاملة ، كل يوم منها من أيام الله ، فلا يقدر قدرها ، ولا يحصى ثناءها ، إلا هو سبحانه ، تباركت آلاؤه ، وجلت نعماؤه . .

* * *

وهنا نرجو قبول المعذرة ، إذ نمسك بالقلم بعد هـذه المقدمة التى لا بد منها بين يدى هذا الحديث الخطير ، حديث الغيرة بين أمهات المؤمنين ، وخير نساء العالمين . . وعسى الله أن يأتى بفتح من عنده ، وعون على البيان بإذنه ، وموعدنا الجزء التالى إن شاء الله ؟

طه محمد الساكت

---

(١) البادرة : لحمة بين المنكب والعنق ، والـكل : العاجز الذى لا يستقل بأمره ، والمعدوم والمعدم : الفقير الذى لا مال له ، وكسبه وإكسابه : إعطاؤه والانفاق عليه ، وقرى الضيف : إكرام مثواه ، ونوائب الحق : كوارثه ونوازله ، ووصفتها بالحق لأنها تـكون لغيره . وصفته بأصول المـكارم التى أخذ بمجامعها ، وارتقى إلى ذروتها . . وأقسمت مطمئنة بفطرتها وصادق تجربتها ، على أن صاحب هذه المـكارم لن يضيمه الله أبدا . . بل يكرمه بحسن العقبى . .

الاله والوجوديون

- ٣ -

حدثتك أيها القارئ فى مقالىّ السابقين حديث الوجوديين الذين يهذون ويقولون ما يجافى العقل الصافى والطبع السليم ، واستمع فى مقالى هذا إلى حديث من تمذهب بهذا المذهب من أهل بلادنا المحبوبة ، وجعل يدعو إليه ويؤلف الرسائل فيه ، ويعتبر نفسه الآن حجة الفلسفة (كذا) الوجودية فى جمهوريتنا المصرية .

استمع الى فقرات من بعض رسائله ، نشرها الأستاذ الكبير نقيب الصحفيين أحمد قاسم جودة فى بعض أعداد الجمهورية من حقبة مضت من غير تعليق عليها ، استمع إليها لتعرف أن هؤلاء الوجوديين خلفهم كسلفهم : يفكرون بقلوب لا يفقهون بها ، وينظرون بعيون لا يبصرون بها ، فعموا وصموا ، وضاعت عنهم العقول والأفكار .

استمع إليه يصور مذهبه فيقول :

« هل يمكن قيام أخلاق وجودية ؟ إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك . إما وأن تقول باللا أخلاق فتخاطر بوجودك ، لكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته » .

يتشكك أولا فى إمكان قيام أخلاق وجودية ، ثم ينتهى به البحث الى إنكارها ونفيها ، وجرى فى بحثه على أن للمرء ذاتا مستقلة ووجودا ، ثم فرض الأخلاق مرة واللا أخلاق (عدم الأخلاق) مرة أخرى ورتب على كل منهما أمرا ، فرتب على الأخلاق (أى اتصاف المرء بها) فقدان الذات ، ورتب على اللا أخلاق المخاطرة بالوجود أى تعرضه للضياع والهلاك . ثم فاضل بين المخاطرة بالوجود وبين فقدان الذات فزعم أن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته ، وإذن فالنتيجة أن الوجودى لا يعترف بالأخلاق ، ولا يجعل لها قيمة ، محافظة على ذاته ، وإن خاطر بوجوده وعرضه للهلكة والضياع .

ولست أرى قولا أبعد من صواب وأقرب إلى خطل من هـذا القول ، فمتى كان الوجود والذات أمرين يمكن المخاطرة بأحدهما ولو مخاطرة معنوية دون الآخر ، أو يمكن فقدان أحدهما ولو معنويا دون الآخر ؟

لا أريد أن أقول كما يقول فلاسفة المتكلمين : الوجود عين الموجود ، ولا أقول إنه غيره ، وليفرضه هذا الإنسان كما يشاء ، ثم ليقل لنا : كيف تصور عقله أنه يمكن المخاطرة بالوجود مع بقاء الذات مصونة محفوظة حتى نفقد الأخلاق صونا لها ، ونعرض نفس وجودها للمخاطرة . الله يشهد والعقلاء يشهدون أن هـذا منطق جانبه الصواب وظهر عليه الخبال .

إنه يريد أن يحاكى الفلاسفة فى تعبيراتهم حين يحثون إذ يقولون مثلا : إما أن يكون هذا الشيء إنسانا فيكون قابلا لصفة الكتابة ، وإما أن يكون لا إنسانا فلا يقبلها ، فتراهم يقابلون بين الشيء (وهو الإنسان فى مثالنا) ونقيضه (وهو لا إنسان) ويرتبون على كل واحـد ما يناسبه ، ولا يمكن ترتبه على النقيض الآخر لا بالمباشرة ولا بالتبع كما فى مثالنا الذى ذكرناه ، ولكن هـذا الإنسان يرتب على قيام الأخلاق فقدان الذات ويرتب على عدمها المخاطرة بالوجود ، وظاهر إلى حـد البداهة أن فقدان الذات يتبعه قطعا فقدان الوجود ، وأن المخاطرة بالوجود يتبعها قطعا المخاطرة بالذات ، وإذن فقد رتب على الشيء ونقيضه شيئا واحـدا ولا يقول بذلك باحث مفكر ، وهكذا شأنهم فى كلامهم :

فبعض القول ليس له حصاة كمخض الماء ليس له إتاء

انظر إلى نتيجته التى انتهى إليها ـ وهى أن القول باللاأخلاق فيه مخاطرة بالوجود ، ولكنه يحفظ الذات ويبقيها ، هل ترى عاقلا يتبجح بمثل هذا القول المتهافت السخيف ؟ أى قيمة للذات (على فرض أننا صدقناه فى بقائها مع المخاطرة بوجودها) من غير أن تكون متصفة بالأخلاق الفاضلة وكريم الصفات ؟

إذا فقد الإنسان أخلاقه وتجرد من كل الصفات الفاضلة وانحط إلى هـذا الدرك الأسفل من الحقارة ، أفيكون له مركز بين بنى جنسه ؟ أظنك لا ترى فى الناس شخصا واحدا يحترم إنسانيته أو حتى لا يحترمها يرضى لنفسه أن يكون مجردا من الأخلاق الفاضلة والخلال الكاملة ، أى فرق بينه وبين العجماوات إذن ؟ أى عاقل يقول إن القول

بالأخلاق يفقد الذات ويهدمها ؟ إن الأخلاق تقوى صاحبها وتحييه حياة طيبة ، فأذا امتدت به حياته كان ملءالسمع والبصر ، وإذا لقى حتفه كانت له ذكرى حسنة ـ والذكرى للإنسان عمر ثان ـ فهو فى كلتا الحالتين محفوظ الذات معزز الجانب .

إن الخلق الكريم يعز صاحبه ويحفظ كرامته ويرفع قدره ويحيى نفسه ويجعله بين الناس محترما معظما ، اذ الأخلاق هى موازين الرجال التى تدرك بها قيمهم وتعرف بها مزاياهم وقوة شخصياتهم .

تزين الفتى أخلاقه وتجله وتذكر أخلاق الفتى وهو لايدرى

إن الأمة التى تضيع أخلاق بنيها ويجردون منها تكون أمة واهية ضعيفة لا قيمة لها بين الأمم ، وما حوربت أمة قط فى أخلاقها إلا استذلت وانحطت قيمتها ، بل وقد تتلاشى من الوجود ويمسك بنواصيها عدوها وتديث بالصغار .

لقد كان الناس قديما يحدون الأخلاق الفاضلة ويعتبرون صاحبها ويثقون به ، وكانت العرب فى جاهليتها الجهلاء تحافظ على الأخلاق أشد محافظة ، وتثور إذا مست الكرامة حتى لقد تقاتل حيان من العرب قتالا ذريعا لعبثة عبث بها غر جاهل من أحد الحيين بامرأة من الحى الآخر ، حيث شد ذيل ثوبها فى أعلاه بشوكة ، فلما قامت ظهرت سوأتها فضحك الناس فثارت وصاحت : يالفلان يالفلان ، تنادى حيها ، فثاروا على الحى الآخر وتنادوا السلاح السلاح ، ثم تقاتلوا حتى كاد يفنى بعضهم بعضا ، وما ذلك إلا حفاظا للأخلاق وتقديرا لها واعتزازا بمكانتها ، ولكن الوجوديين يهدرون الأخلاق ويرضون لأنفسهم ألا يكونوا ذوى أخلاق ، وأن يتجردوا من كل وصف كريم « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » .

استمع إلى هذا الانسان مرة ثانية يقول : (الوجودى الحق أعدى أعدائه القانون) أى الوجودى الحق فوضوى لا يحده قانون ولا يرده نظام ، كأنه من أبناء الغابات وساكنى الأدغال ، تنتشر بينهم الهمجية الفاحشة وتعمهم الفوضى الشاملة .

ليس يغيب عن الأذهان أن القانون أساس لنظام الأمة التى قنن لها وتهذيب أمورها الاجتماعية والاقتصادية وحفظ الحقوق والواجبات فيها بين أفرادها ، حتى لا يظلم بعضهم بعضا ، ولا يعتدى بعضهم على بعض ، ولا يسلبه حقا هو له ، ولا يحيف عليه فى نفس

أو مال ، ولا يثلمه فى عرض أو متاع ، ولكن هـذا الإنسان الوجودى يريدها حرية مطلقة لا تحدها حدود ولا يقف فى طريقها عقل أو دين، وتلك حرية البهائم والحيوانات .

يريد أن يتخذ هواه قائدا ومرشدا، لا يعصى له أمرا، ولا يخالف له إشارة ، والويل كل الويل لمن اتخذ هواه قائدا ومرشدا ، إنه يقوده إلى أحقر الأعمال وأسفلها وأحطها وأسوئها ، ويغريه دائما بالمفسدات ، ويلح عليه فى المنكرات ، بل ياليته يريدها حرية مطلقة ، إذن لهان الأمر قليلا ، فأن الحرية المطلقة قد تحمل صاحبها على فعل الخير مرة وعلى فعل الشرور مرات، فيكون فيه شيء من الخير ولو بسيطا جدا ، ولكن هذا لم يكتف بأن القانون عدو له بل جعله أعدى أعدائه ، وإذن فلا يمكن أن ينفذ منه مادة واحدة، ولا يرعى له حرمة فى شيء ما، فتعدت حريته أن تكون مطلقة، وزادت فى تحللها عن حرية البهائم والعجماوات ، ولست أدرى بعد ذلك بم أسميها ؟ هل أسميها الحرية الفاجرة ؟ أو الحرية المنحطة السافلة . لا . بل أسميها الجنون ، ولكنى أرى الجنون خيرا منها ، إذن بماذا أسميها ؟ الحق أنى على طول تفكيرى لم أعرف لها اسما ، ولا أدرك لها وصفا، إلا أن أقول : إن هذا هذيان يجب أن يذهب بصاحبه إلى محجر الحمق والمجانين ـ إنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويهدينا دائما سواء السبيل .

(للكلام بقية)

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ بالجمهورية المصرية

الحيــــاء

قال علقمة بن علاثة للنبى صلى الله عليه وسلم :

ـــ يا رسول الله ، عظنى .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ـــ استحى من الله ، استحياءك من ذوى الهيبة من قومك .

كيف نتعلم من الحياة ؟!

الحياة . . . ذلك اللفظ القليل الحروف ، الجليل المعنى ، الواسع الآفاق . . . الحياة التى تشمل الفرد والمجموع ، والعقلاء وغير العقلاء ، والدانين والنائين ، والمرئيين والمستورين ؛ وما فى الماضى والحاضر والمستقبل . . . الحياة التى هى الحركة ، وكم من أشياء نراها ساكنة قارة ، وهى متحركة موارة : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون » .

هذه الحياة ، كيف نتعلم منها ؟ وكيف نأخذ عنها ؟ . . . وكيف نستفيد بها ؟ . . . لعل أول شرط للتعلم من الحياة هو أن نكون من الأحياء ، وأن نحقق معنى الحياة الصحيح فى أنفسنا ، فننزل ميدانها ونحن صالحون لها ؛ محسون بها ، مندمجون معها ، متأثرون منها ، مؤثرون فيها ، فلا نكون معها سلبيين دائما ، ولا نكون معها إيجابيين على « طول الخط » كما يعبرون ؛ بل نقف منها مواقف الإيجاب والسلب حسبما تقتضيه قواعد الحياة الأصيلة الكريمة .

وهناك عدة أمور يجب أن نلحظها حتى نستطيع أن نحسن التعلم من الحياة ، وأن نتقن السير فيها ، وأن نجيد الانتفاع بها ، فمن هذه الأمور أن نتذكر أن هناك فرقا بين المبدأ والواقع ، فالمبدأ هو ما يجب أن يكون ، والواقع ما هو كائن بالفعل ، والمبدأ نظرية مثالية رفيعة نطمح إليها ونتمنى بلوغها ، والواقع هو ما نبلغه فعلا بجهودنا المحدودة وخطواتنا المستقيمة حينا ، المتعثرة حينا آخر ، وشتان ما بين النظرية التى يتفلسف فيها العقل ، ويبدع فى تصويرها الفكر ، ويفسح من مداها الخيال ، وبين تطبيق هذه النظرية ، فمن السهل أن نضع مبدءا جليلا فى لحظات ، ولكن تطبيقه تطبيقا كاملا يحتاج إلى سنوات وسنوات ، والحياة أقوى أحيانا من الأحياء ، فاذا لم يكن كل ما تريد ، فأنك تستطيع أن تريد جانبا أو جوانب مما هو كائن ، وتستطيع أن تستعين بهذا الذى هو كائن على تحقيق جانب أو جوانب من هذا الذى تريده أن يكون .

والحياة - على الرغم من أصولها الثابتة الراسخة - جديدة دائما ؛ والعربية أدركت هذا منذ أقدم العصور ، فأطلقت على الليل والنهار اسم : « الجديدان » ، وهما المشهدان الخالدان خلود الدهر ، اللذان يطالعان الأحياء باستمرار ودوام ؛ وما دامت سنة الحياة التجديد ، فأنت لا تحسن الفهم عنها ولا الأخذ منها إلا إذا استشعرت هذه السنة - سنة التجديد - فى نفسك وفيما بين يديك ؛ وليس التجديد بترا ، أو انسلاخا من واقع ، أو انقطاعا عن سابق ، أوتعاميا عن قابل ، لحاضر الحياة الجديدة المتجددة منحدر من ماضيها ومرتبط به ، ومستقبل هذه الحياة وليد حاضرها وماضيها ، فجدد وتجدّد ، ولكن لا تبتر نفسك من ماضيك ، ولا تغمض عينيك عن مستقبلك .

ونتعلم من الحياة الكثير إذا تذكرنا أنه لا يوجد اثنان من الناس يتحدان تمام الاتحاد فى جميع الأمور والأشياء ، فكل فرد يشابه أخاه فى طائفة من خصائص الحياة ، ولكن كل فرد نمط قائم بذاته ، يختلف عن غيره فى بعض الوجوه ، لأن « الفردية » هى الخصيصة الأولى التى تظهر فى الحى ، أو تبديها الحياة ، وقد رمز القرآن الكريم إلى نحو ذلك - فيما أظن - حيث يقول متحدثا عن مظاهر قدرة الله وجلاله : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » .

وحينما قال الحق سبحانه : « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » كأنه أشار بهذا إلى أن قدرته أوجدت بعض مظاهر الاختلاف والتميز بين الفرد والفرد ، فى جزء صغير من الأطراف وهو تلك الخطوط الدقيقة الرفيعة الموجودة فى بصمات البنان . . .

ولأن التميز سمة الفرد نلاحظ أن ذلك الفرد يحاول دائما أن يثبت وجوده ؛ وأن يؤكد ذاته ؛ وأن يعبر عن كيانه ؛ فيغاير سواه عامدا أو غير عامد ، وتتخذ هذه المغايرة أشكالا ومظاهر عديدة : فى الطعام والثياب والحديث والحركة والتفكير وإصدار الأحكام . . .

بل قد ترى أناسا يشذون ويخالفون لمطلق الشذوذ والمخالفة ، حتى لقد يحتال عليهم أصحاب الذكاء ، فيعرضون عليهم آراء واقتراحات لا يريدها أصحاب ذلك الذكاء ، ليخالفها أولئك المولعون بالمخالفة ، وينادوا بنقيضها وهو ما يريده أولئك الأذكياء الذين يتظاهرون فى النهاية بقبولهم هذا النقيض إرضاء لأولئك المخالفين ! ! . . .

وقد أشار إلى مثل هذا فى ميدان الهوى والعاطفة ذلك الذى يقول :

ولطالما اخترت الفراق مغالطا واحتلت فى استثمار غرس ودادى
ورغبت عن ذكر الوصال لأنها تبنى الأمور على خلاف مرادى !

وقد يكون من هذا القبيل أيضا قول الآخر فى معاندة الليالى له :

وكانت إساءات الليالى كثيرة فما برحت حتى شكرنا اللياليا

ونستطيع أن نحسن التعلم من الحياة إذا تذكرنا أن الأحياء يغلب عليهم طابع الذاتية ، أو الشخصية ، أو الأنوية ، أو الأثرة ، أو حب النفس ؛ وهذا الطابع الشخصى يتغلب على طابع النحنية ، أو الغيرية ، أو الإيثار ، فى أكثر الأحيان ؛ وقد يجمل المرء فرديته أو أنويته بمظاهر براقة ، وقد يخفيها بحيل تختلف قوة وضعفا ، حسب ذكائه ومهارته وتجربته ، ولكن يظل ساكنا هناك فى أعمق الأعماق ذلك الجبار العملاق المسمى «أنا» ! ! .

والأخلاق والتهذيب والتعليم والتربية ، كلها عوامل لتخفيف طغيان ذلك العملاق الرهيب « أنا » ؛ وقد تصادف هذه العوامل الكريمة العظيمة أرضا خصبة طيبة ، فتؤتى ثمراتها ، وقد تصادف أرضا خبيثة سيئة ، فلا يجدى التوجيه أو الإرشاد .

* * *

ولنتذكر أيضا أن من قوانين الحياة والأحياء قوة التطلع إلى الجديد ، حتى فى أخس الحيوانات درجة ، وحينما قال الأولون : « لكل جديد لذة » كانوا يصورون طبيعة الأحياء خير تصوير ، فالنبأ الجديد ، والطعام الجديد ، والوجه الجديد ، والصورة الجديدة كل هذا له تأثيره ووقعه ؛ واللبيب من احترس فى لقاء الجديد ، فقد يخدعه بهرجه عن أصالة قديم نبيل .

والتكرار والتعود يفقدان أكثر الأشياء القيمة قيمتها ، وهذا مثلا منظر السماء المزدانة بنجومها وكواكبها ، إنه من أروع المناظر ، ولكنه مألوف معتاد ؛ ففقد بألفته واعتياده الكثير من روعته فى نفوسنا ، وكم شخصا منا يفكر فيه ، أو يتطلع إليه بتدبر أو تفكير الآن ؟! .

وأنت قد تعيش فى مدينة عظيمة ، وقد تكون جميلة ؛ ولكن الاعتياد يجعلك

لا تفكر فيها ولا تحس بها ؛ ثم تصور حالك وأنت تطير إلى مدينة أخرى فى قطر آخر ، قد تكون أقل من مدينتك عظمة وجمالا . . . إنك تنتبه فيها للصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، وتحرك حواسك ووسائل إدراكك كلها ؛ ولذلك كان من الواجب أن نتواصى بأيقاظ المدارك مع أشيائنا المألوفة من حين إلى حين ، فأننا بهذا الإيقاظ قد نلحظ منها ما يفيدنا فى أمور دنيانا وفى شئون حياتنا المختلفة .

* * *

ونحن نحسن التعلم من الحياة إذا تذكرنا دائما وأبدا أن الكثير من المظاهر كاذب ، وأن الكثير من الصور خداع ، وأن وسائل الأحياء فى الستر والإخفاء ، والتلون والادعاء ، والتظاهر والرياء ، والالتواء والاستخفاء ، مكنت هؤلاء الأحياء من كثير من التحريف والتضليل ، والتمويه والتخييل ، فأكثر الناس يبدون فى مظاهر اللطاف الضعاف ومن وراء هذه المظاهر ثعالب وذئاب ، وأكثر الناس يقولون مالا يفعلون ، ويعملون ضد ما يدعون إليه ، والقرآن الكريم يعطينا نموذجا لهؤلاء حين يقول :

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ! . . .

ما أكثر ما تعلمنا هذه الحياة ، وما أحوجنا إلى الكثير لكى نحسن التعلم عن هذه الحياة ! ! . . .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

إذا تراكمت الاعمال

قال توماس كارلايل فى كتابه « الخياط يرقع » :

« ابدأ — قبل كل شيء — بالعمل الذى بين يديك ، أى بالعمل الذى تعرف أنه واجب ، فأنك إن فعلت اتضح لك الواجب التالى » .

الوحدة الاسلامية

وعوامل الضعف فيها

كتب الصحفى الباكستانى السيد يوركى مقالا فى مجلة « النيوكومنولث » تحدث فيه عن الوحدة الإسلامية وعوامل الضعف فيها . ومن رأى الكاتب « أنه لاينتظر أن تصبح الدول الإسلامية وحدة قوية متماسكة فى المستقبل القريب » ، ويقول : « إن من بين العقبات التى تقف فى سبيل ذلك نمو الروح القومية التى تطغى أحيانا على التمسك بأهداب الدين ، وقيام المنازعات بين بعض الأسر الحاكمة وبعضها ، الأمر الذى منع الجامعة العربية عن تأدية مهمتها على الوجه المنشود ، ثم حاجة الدول الإسلامية إلى الأسلحة وإلى النهضة الصناعية » .

وعاد الكاتب الباكستانى فقال : « إن الروابط الدينية لها أثر كبير فى عقول الشعوب الإسلامية ، ولهذا تظهر أحيانا بوادر الوحدة التى تطغى على المصالح القومية ، فالنزاع على فلسطين مثلا يجب أن يكون من شئون العرب ، ولكنه كان مصدر قلق للمسلمين فى مختلف ربوعهم ، ومن هذه البوادر أيضا ظهور هيئات دينية فى جميع الأقطار الإسلامية ، وهى هيئات لم تلبث أن أصبحت ذات قوة سياسية ونفوذ كبير ، ولكن هذه كلها بوادر ظاهرية فقط » .

ثم تحدث الكاتب عن عوائق الوحدة من الناحية الاقتصادية فقال : « إن المشكلات التى تقف فى سبيل الشعوب الإسلامية قد بلغت حدا من التعقيد يجعل تنفيذ التحسينات التى تسد حاجة هذه الشعوب إلى النهضة الاقتصادية أمرا يقتضى وقتا طويلا ، وبخاصة لأن الحكومات التى تحاول معالجة هذا الموقف تجد أمامها الكثير من الصعاب ، كقلة الموارد المناسبة ، والافتقار إلى معرفة الطريق الصحيح إلى تنفيذ البرامج ، وقلة

الكفايات ، ثم النضال فى سبيل الحكم . فهذه العوامل كلها تعرقل برامج الإصلاح من ناحية ، وتفسد النهضة السياسية من ناحية أخرى » .

وهذا الذى قاله الكاتب الباكستانى فيه ثغرات تحتاج إلى ما يسدها من التصحيح والتصويب ، فقد حسب أن نمو القوميات فى الدول الإسلامية مما يعوق الوحدة بينها ، ويجعلها بعيدة التحقيق . ويبدو أن الكاتب قد تأثر فى هذا الحكم بما قرره علماء السياسة من النظريات والآراء العامة ، ولو أنه تدبر الأمر فى عالم الواقع لوجد أن العكس هو الصحيح ، ذلك لأن القوميات فى الدول الإسلامية إنما تنمو وتطرد على أساس واحد ، هو التحرر والخلاص من النفوذ الاستعمارى ، واستعادة العزة الإسلامية التى تتمثل بمقوماتها فى تاريخ الإسلام المجيد ، وهذه هى بعينها الأسس التى تتجمع حولها الوحدة الإسلامية ، ومن هنا يمكن أن نقول إن نمو القوميات على هذا الوضع فى الدول الإسلامية ، إنما هو تسديد إلى قيام الوحدة ، ودعم لكيانها ، وزيادة فى الشعور بضرورتها ، على العكس مما قدر الكاتب الباكستانى .

ويرى الكاتب أن من بين العقبات التى تقف فى سبيل الوحدة الفقر فى القوى المادية ، وقلة الموارد المناسبة ، والافتقار إلى معرفة الطريق الصحيح ، وهذه نظرية قديمة كانت ترددها أقلام الكاتبين فيما مضى . أما اليوم فلم يعد العالم الإسلامى فقيرا أبدا ، ولكنه غنى بموارده ومرافقه الزاخرة ، وقد اكتشفت فيه منابع البترول ، وتفجرت أراضيه بالكميات الضخمة منه ، والبترول كما تعرف هو ما يسمونه بالذهب الأسود ، وهو عصب الحياة المادية وقوامها ، فإذا علمنا إلى جانب هذا أن مناجم أوربا وأمريكا قد نضبت ، وأنها فى طريق الانهيار ، أدركنا أن العالم الإسلامى قد أصبح بيده مفتاح الحياة الآلية والمادية ، أما التقدم فى الصناعة ، وأما معرفة الطريق الصحيح ، فليس هناك ما يعوق طريق العالم الإسلامى فيهما إلا الاستعمار ، فتى خلص من هذا الوباء فإنه بالغ فى هذا المكانة التى يريد .

وأخيرا يرى الكاتب الباكستانى أن الروابط الدينية لها أثر كبير فى عقول الشعوب الإسلامية ، ولكنه يرى أن هذا الأثر يبدو ظاهريا فحسب ، والحق أن أقل ما يوصف به هذا الحكم أنه إدراك سطحى للواقع ، ولو أن الكاتب تغلغل فى صميم الشعوب

الإسلامية لأدرك أن الدين لا يزال أقوى وتر فى نفوس المسلمين ، وأن التراث الإسلامى إنما يجعل من الشعوب الإسلامية عقلية متفقة فى الاتجاه والتفكير وفى الارتباط بالدنيا ، وفى الإيمان بالآخرة ، وهذا الشعور القوى المشترك هو الذى وقف بهذه الشعوب فى وجه الأحداث الرهيبة ، وثبت أقدامها أمام ضربات الاستعمار القاصمة ، ولولا هذا الشعور القوى المتين لذابت الشخصية الإسلامية وتحللت ، وتبدلت لغتها وقوميتها ودينها كما كان يريد الاستعمار الأثيم .

وحين ضرب الكاتب المثل بحادثة فلسطين إنما نظر إليها على ما بدا فى صنيع الحكومات . ولكن ليعلم الكاتب الباكستانى أن نكبة فلسطين إنما هى جرح فى قلب كل مسلم ، وأن الشعوب الإسلامية لن تطيق بقاء الصهيونية متربعة فى قلب بلادها ، وبهذا الإيمان العميق استطاعت الشعوب الإسلامية أن تطرد الصليبية الغازية من فلسطين بعد أن عمرت فيها أكثر من ستين عاما ، وهى لا بد صانعة ذلك بالصهيونيين مهما طال الزمن ، ومهما تألبت قوى الشر وتحالفت لمساندة هذا البهتان .

نعرة صليبية ! !

وننتقل من هذه الجولة مع ذلك الكاتب الباكستانى إلى كاتب فرنسى تناول موضوع الوحدة الإسلامية ، ولكن من ناحية أخرى ، فقد كتب الكاتب الصحفى « فيكتور فرانكو » مقالا فى صحيفة « بارى برس » الفرنسية تحدث فيه عما سماه « قصة الإسلام ووسائل انتشاره ودفاع المسلمين عن قضاياهم » ، وقد استهل الكاتب كلامه قائلا : « إن أربعمائة مليون مسلم منتشرون على مساحة شاسعة تمتد من المحيط الأطلنطى حتى المحيط الهادى ، ولكن الصحارى تشغل نصف هذه المساحة ، وإذا رسمنا خطا مستقيما يبدأ من الخليج الفارسى حتى جبال أورال ، فهو يقابل المحور الجغرافى للعالم الإسلامى ، وليس لهذا الخط من أهمية إلا بالثروات البترولية التى تمتد على طوله ، فأن الدول الإسلامية تملك فى الواقع أكثر من نصف فائض البترول فى العالم » .

وبعد أن تحدث الكاتب عن تعاليم الإسلام بما هو معروف عمد إلى الغميزة التى أراد أن يدسها فى أطواء البحث فقال : « ومنذ ثلاثة عشر قرنا أخذ المسلمون فى مختلف الأقطار يعملون على إعلاء شأن الإسلام ونشر مبادئه بما يهدد التوازن العالمى على حساب أوربا . . . والحلم القديم للمسلمين هو التوصل إلى وحدة الإسلام وعزته ، وفى القاهرة

توجد المراكز التي تغذي هذا الاتجاه، ومن هذه المراكز تنبعث التوجيهات إلى جميع البلدان في شمال أفريقية، وفي أندونيسيا، واستدل على ذلك « بأن الحركة الإسلامية المناهضة للسياسة الفرنسية في الجزائر قد ناصرها العلماء المسلمون ».

أما ان العالم الإسلامي له أهميته بما فيه من ثروات بترولية كما يقول الصحفي الفرنسي فهذا حق، وأما ان المسلمين يعملون لتحقيق حلمهم القديم في وحدة الإسلام وعزته فهذا حق أيضا، بل إننا نقول للكاتب: إن المسألة لم تعد حلما ولكنها أصبحت حقيقة لا بد منها، وأما ان المسلمين يأخذون في ذلك بما « يهدد التوازن العالمي على حساب أوربا »، فهذا ما لا يدريه التاريخ في الماضي، ولا نعرفه في الحاضر. ونحن نسأل هذا الكاتب وأمثاله: متى عمل المسلمون على تهديد هذا الذي يسميه بالتوازن العالمي؟ أكان ذلك يوم اندفعت دول أوربا وفي مقدمتها فرنسا على العالم الإسلامي لتفتك به باسم الصليب؟ أم كان يوم وثب الاستعمار الغربي يتخطف أطراف العالم الإسلامي وينشب مخالبه في صدره باسم المدنية؟ وهل كان هذا لحساب التوازن العالمي الذي يذكره الكاتب أم لتهديد هذا التوازن؟!

إن الأمر في التوازن العالمي الذي يتحدث عنه الكاتب وأمثاله من الكتاب الغربيين أمر مفهوم لنا، فأنهم في الحقيقة لا يعنون بالتوازن إلا التوازن بين مصالح الدول الاستعمارية في الشرق الإسلامي، وإنما أراد الكاتب الاستعماري بما أثاره من حديث: « التوازن العالمي على حساب أوربا» وبما أشار إليه من عمل المسلمين على تحقيق حلمهم في الوحدة والعزة، أن يثيرها في نفوس الدول الأوربية نعرة صليبية ليجمعوا خيلهم ورجلهم في الوقوف أمام الحركات التحريرية في الأمم الإسلامية، ولعل الدول المسيحية أن تفزع لمساندة دولته فرنسا في استعمارها لشمال أفريقيا، ولكن فليعلم الكاتب الفرنسي الذي يكتب بعقلية الفرنسيين أيام الحروب الصليبية أن دعوته ليست مما يفزع العالم الإسلامي في كثير ولا قليل، فلن تقف حركات التحرير الإسلامية حتى يتحرر وطن الإسلام من كل دخيل، وستبقى القاهرة عونا للأحرار في كل مكان حتى تتحقق لهم حياة العزة والكرامة، وإن الثروة البترولية الضخمة التي تتفجر في أرض المسلمين ستبقى ملكا لأهلها، ولن تكون للاستعمار بعد اليوم.

المؤتمر الإسلامي والوحدة الإسلامية :

ونعود من هذه الجولة مع ذلك الكاتب الفرنسي إلى الباكستان مرة ثانية، ولكنا

لن نبعد عن الموضوع كثيرا ، فقد نشرت مجلة « إسلاميك ريفيو » القاديانية مقالا عن المؤتمر الإسلامى فى مصر فوصفته بأنه « يمثل ذروة الجهود المتتابعة لتوحيد العالم الإسلامى الحديث » ، وقالت المجلة : « إن فكرة وحدة العالم الإسلامى الحديث قد نادى بها المصلح الكبير جمال الدين سعد آبادى ، والمعروف خطأ بالأفغانى ، ثم أتباعه من بعده أمثال الشيخ محمد عبده ، والأمير شكيب أرسلان ، والكواكبى ، ومولانا محمد على ، وأخيه مولانا شوكت على ، والحاج أمين الحسينى فى الأيام الأخيرة » .

ثم أشارت الصحيفة إلى المؤتمرات التى عقدت فى الآونة الأخيرة فقالت : لقد أعطت باكستان هذا الموضوع عناية كبيرة ، فعقدت فى كراتشى ستة مؤتمرات إسلامية عالمية فى السنوات الثمانى الماضية ، وكان من أهم هذه المؤتمرات المؤتمر الإسلامى العالمى الذى كان السيد أمين الحسينى رئيسا له ، ولكن نظرا لقلة المعونة المالية ، ولعدم التدبير الصحيح ، فأن المؤتمرات الإسلامية العديدة التى عقدت بين آونة وأخرى فى مختلف المراكز الإسلامية لم تخلف وراءها أثرا ملموسا .

وبعد أن تحدثت المجلة عن الفكرة فى إنشاء المؤتمر الإسلامى ، وكيف نبتت هذه الفكرة فى موسم الحج بين رجالات الإسلام وأعلامه أشارت إلى الأهداف التى قام من أجلها المؤتمر فقالت : « إنه يستهدف الارتفاع تدريجيا بحياة الشعوب الإسلامية من النواحى الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، ويؤمل فى استطاعة الوصول إلى الوحدة الشاملة للعالم الإسلامى » .

وهذا كله كلام طيب ، وإنه ليدل على مدى ما يعلقه المفكرون من أهمية على المؤتمر الإسلامى ، والأهداف التى قام من أجلها ، وإنا لنرجو أن يكون المؤتمر موضع أمل المسلمين فى تحقيق مقاصدهم وأهدافهم ، على أننا نعتقد أن أمام المؤتمر الإسلامى فى هذا خطوة لابد منها فى الطريق ، وهى أن يعمل على ربط جميع الهيئات الإسلامية فى جميع الأقطار برباط واحد ، وأن يوثق بينها فى الاتجاهات إلى الغاية الكبرى التى هى غاية هذا المؤتمر ، وغاية المسلمين أجمعين . وإن ذلك لأول عمل إيجابى فى سبيل الوحدة . وهنا لابد من إشارة يقتضيها الموضوع بالمناسبة ، فقد اهتم الكاتب اهتماما خاصا بالإشارة إلى نسب المصلح الإسلامى الكبير جمال الدين ، فقد ذكر أنه أسعد ابادى ، وأن الناس ينسبونه خطأ إلى الأفغان ، والخلاف فى هذه المسألة قديم ، فقد ذكر الأستاذ محمد عبده

فى ترجمته لجمال الدين أنه ولد فى قرية أسعد آباد فى ناحية كنر بالأفغان من أسرة عريقة يتصل نسبها بالحسين بن على حفيد النبي العربى ، ولها إمارة على مقاطعة صغيرة فى الأفغان ، ومن هنا كان نسب الأفغانى ، ثم جاء الشيخ مصطفى عبد الرازق فذكر فى ترجمته لجمال الدين أنه فارسى الأصل ، أفغانى النشأة ، وكتب الكاتب العراقى الأستاذ عبد الكريم الدجيلى مقالا بمناسبة نقل رفات جمال الدين فى عام ١٩٤٤ أثبت فيه أن جمال الدين إيرانى ، ولا صلة له بالأفغان ، ومن قبل هذا أصدر ميرزا غلام حسين خان أستاذ اللغة الفارسية بالجامعة الأمريكية ببيروت كتابا أثبت فيه نسب جمال الدين إلى إيران ، وقال إنه ليس بالأفغانى .

وكل هذا كلام يحتمل فى ميدان التحقيق العلمى ، ولكن أجدى من هذا كله أن نأخذ بتوجيه الأفغانى نفسه فى هذا المقام ، فقد سأله أحد الكتاب فى يوم أن يملى عليه ترجمة لحياته لينشرها على الناس ، فقال له الأفغانى : وماذا يفيد الناس من أننى فلان الذى ينتهى نسبه إلى فلان ، كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أنى كنت أحتفظ من قبل بجبة ثانية ، فلما تتابع نفيي من قطر إلى قطر أصبحت أكتفى بجبة واحدة . . وكان الأفغانى يقول : إننى رجل مسلم ، فكل بلد من بلاد الإسلام هو بلدى ، وكل شعب مسلم هو شعبي وأهلى ، فهل لنا أن نأخذ فى أمورنا بتلك النظرة العالية التى تسمو على الإقليمية الضئيلة ؟ !

الإسلام فى نظر مجلة أمريكية :

ومن هذا الجو النقى ننتقل بك إلى جو قد نراه خانقا ، ولكن لا بد من أن نجتازه فى صبر ، فقد نشرت مجلة «لايف» الأمريكية فى أحد أعدادها الأخيرة استطلاعا صحفيا حشدت فيه عددا من الصور زعمت أنها تمثل حقيقة الإسلام وحياة المسلمين ؛ وقد بدأت المجلة استطلاعها بصور لجامع مزخرف الجدران فى أصفهان ، ثم صورة للقرآن الكريم ، ثم أوردت عدة صور تمثل مشاهد الحج ، وهى صور التقطتها المجلة من الزوايا التى تتفق وأغراضها ، على أن الأمر إلى هنا مما يحتمل ، ولكنها انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن عادات المسلمين ، فهذه صورة لتكفين ميت ، وتلك صورة للاحتفال بختان طفل تضم رجلا مطربشا ورجلين بالكوفية والعقال ، وامرأة تلبس لباسا بدويا ؛

ثم رجلا رابعا يعزف على العود ، وصورة ثالثة لما سمته بحلقة الذكر ، وهى تمثل درويشا يرقص ، ومعه ثلاثة يصفرون فى الناى ، ورابع يضرب على الدف ، ثم صورة قالت المجلة : إنها لفريق من الشيعة وهم سائرون فى الطريق يضربون أجسادهم بالسيوف ، ويشدون شعورهم ، ويبكون وينوحون ، ثم زعمت المجلة أن هذه الصور كلها صورة صادقة للحياة الدينية للمسلمين فى بلادهم .

وليست هذه الشناعة الصحفية بأول افتراء تصطنعه المجلات الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين ، ولن تكون آخر افتراء فى هذا الباب ، فأنها حملات مغرضة لها أهداف ، وإذا علمت أن المصور لهذا الاستطلاع هو اليهودى « دافيد » أدركت أنها الصهيونية التى تبذل المال والجهد لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين فى العالم الخارجى ، ولتصويرهم فى صورة المشعوذين والحواة ، والبدو الذين لا يزالون يضربون فى مجاهل الحياة ، ويعيشون على الخرافات والخزعبلات .

ونحن لا نعجب أبدا أن يكون هذا من دعاة الصهيونية تارة ، ومن أهل التعصب الصليبى تارة أخرى . ومن أفن الرأى أن نفزع من هذا ، أو أن نتمشى معهم فى مناقشة قوامها الحجة والمنطق ، وتلمس الحقيقة لوجه الحقيقة ، فأن الغرض يعمى ويصم كما يقولون ، وهؤلاء الناس يعلمون الحقيقة ، ولكنهم ينشدون تقبيح المسلمين ، والتشنيع عليهم فى المحافل العالمية ، وإذا كان لنا أن نقول شيئا فى هذا المقام ، فأننا ننبه الهيئات الإسلامية إلى تعقب مثل هذه السخافات ، وفضح تلك المؤامرات الصهيونية والصليبية حتى لا تترك مجالا تنفث فيه سمومها ، على أن هناك واجبا إسلاميا أكبر ، وهو مقاطعة تلك المجلات المغرضة ، والعمل على أن لا تجد لها بابا تدخل منه إلى إفساد العقول ، وتشويه التاريخ . . إننا أشد ما نكون حاجة إلى دعاية إسلامية تكشف للعالم عن عبقرية الإسلام وحقيقته ، فهل نحن فاعلون ؟ ومتى يكون هذا ؟ !

محمد فهمى عبد اللطيف

العقاد فى الميزان

لمناسبة كتابه عن معاوية

وقع فى يدى كتاب شهرى من السلسلة التى تصدر عن دار الهلال بتاريخ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ و يناير سنة ١٩٥٦ ، وهو العدد الثامن والخمسون ، وضعه الأستاذ الباحث الأديب عباس محمود العقاد بعنوان (معاوية بن أبى سفيان فى الميزان) ، و بما أنى أحب هذا النوع من البحث فقد فرغت نفسى من شواغلها حينا ، ثم بدأت أقرأ فى هذا الكتاب ، وما كدت أسير فيه حتى وجدتنى يكاد يلبس على الأمر فيما أخذت من أدب الإسلام ، وتحقيق الأعلام ، وتحرى رجال الدين الكرام ، مما يصوره فى بعض نواحيه قول الشيخ اللقانى :

وأول التشاجر الذى ورد إن خضت فيه ، واجتنب داء الحسد

وذلك صيانة لكرامة قوم حملهم الله سبحانه الدين ، وجعلهم لرسوله أنصارا وحواريين ، وصور بهم أخلاق الإسلام وأدبه ، وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتلاميذه ، فوجبت المحافظة عليهم تقديرا لكل هذه النواحى الكريمة ، وهذا معنى دينى يغفله كثير من الناس ، ثم هو معنى فلسفى خلقى يتصل بمعنى الضبط والتحرى فى نقل الأخبار حتى يمكن البناء عليها ، وترتيب ما يفكر فى ترتيبه بمقتضاها .

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

لقد طال العهد بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ودخل كثير من الدخيل فى أخبارهم ـ رضوان الله عليهم ـ مما دسته فتن التفريق بين جماعات المسلمين من السبأيين والمجوس وغيرهم من أعداء الإسلام ، فوجب رفض كل خبر لا يتفق مع ما هو الأصل فى أنباء هاته المدرسة الكريمة التى نزع الله من قلوبها الغل والحسد ، بعد أن نزغ الشيطان بين بعض أبنائها و بعض ، إن ربى لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم .

والأستاذ العقاد لم يكتف بتضليلات التاريخ وأسلوبه الهادئ فى البحث مع تضليله الناس ، وصرفه إياهم عن الحق فى كثير من رواياته عمدا أو خطأ ، ولكن

الأستاذ تحامل ثم تحامل، وخيم على القارئ بسفسطات يخرج منها وهو سيئ الظن بصحبة هـذا النبي ، ضعيف الحماسة نحو دينه السماوى ، فاتر العقيدة فى تخريجه ، كما تسيء الظن برجل عظيم تعبث الفوضى بأصدقائه والحافين به ، وهو أحرص ما يكون عليهم ، وهم أحرص ما يكونون على الأخـذ من مزاياه ، والانتفاع بما آتاه الله .

إن القـارئ لـكتاب العقاد ليخرج منه وهو مبغض لهؤلاء الناس الذين حرصوا على الدنيا ـ فى زعمه ـ حرصا سلبهم الدين والضمير والمروءة ! وجعلهم يستبيحون كل وسيلة إلى غاياتهم، ولو كانت قتل الأبرياء من البررة الأصفياء ، أو الدس والوقيعة والمشى بالنميمة أو توسيد الأمور إلى كل مجرم لئيم ، يخرج منه وقـد نفض يده من هذا الرعيل الأول ، فإنه مشترك الصفات فى الأعم الأكثر ، وقد تطرق الفساد الفاسد إلى هـذا الذى كان يصطفيه الرسول صلى الله عليه وسـلم ويجعله فى خاصته من الـكرام الـكاتبين ، ويدعو له أن يهديه الله ويهدى به ، وأن يعلمه الـكتاب والحساب ويقيه العذاب . فإذا كان هذا قد تورط فى تلك المظالم والظلمات، فما بال غيره من أصحاب هذا النبي ؟ وإذا كان هذا شأن الصفوة من الرعيل الأول الذين يفتخر بهم الإسـلام ويعول عليهم فى الفتوحات والانتصارات ونشر الدعوة الإسلامية، فما شأن من جاء بعدهم ثم من جاء بعدهم وهكذا؟

إن العقاد ـ أصلح الله شأننا وشأنه، وهدانا وإياه إلى مسالك الحق ـ قد جنى فى هذا الـكتاب على الدين وعلى العـلم جناية ، تدعونا ونحن رجال الدين والعلم أن ننبه إليه وأن نحذر منه ، والدين والعلم فوق كل اعتبار ، والحـق يعلو ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولـكن المنافقين لا يعلمون .

وإن الذى تعجب له حقا أن الأستاذ العقاد يعترف لهذا الصحابى الجليل اعترافات فى ثنايا كتابه كان فيها الـكفاية لأن يصلح ميزانه ، ولـكنه لا ينتفع بها فى تخفيف وطأته ، والتحامل على صاحبه . وكأنما يريد بذلك أن يلاطف القارئ حتى لا يمل هـذا السباب ، ويجعل من ذلك حجة له عند تلاحم الحجاج والاحتجاج ، وليظهر بذلك إنصاف التاريخ فى شىء لا سبيل إلى المـكابرة فيه . إنه يدس كل ما يفلت منه من ثناء على هذا الصحابى الجليل بين السموم الفاتـكة فيدسيه بها ، ويخفى معالمه بين طياتها ! !

لقد قال مثلا فى صفحة ١٧٤ فى خاتمة فصل النشأة والتكوين :

« ومن تحصيل الحاصل أن يقال : إن معاوية يعـلم من فقه دينه ما لا بد أن يعلمه

رجل كتب للنبي وحضر مجالسه وحضر عهده كله وعهد خليفته من بعده ، ومرت به الأقضية التي فصل فيها ولاة الأمر على مسمع منه ، وراجع الفقهاء من الصحابة فيما أشكل عليه بعد ذلك من أشباه تلك الأقضية ، فهو على نشأته الجاهلية والإسلامية لم يقصر في معارف دينه ودنياه عن الطليعة بين نظرائه من السادة الأمويين والقرشيين » .

ويقول في صفحة ١٧١ من ذلك الفصل :

« ومعاوية بعد إسلامه لم تثبت عليه كلمة ولا فعلة تنقض تصديقه بدينه ، ورعايته لفروضه وشعائره . كان يصلي ، ويصوم ، ويزكي ، ويحج ، ويقرأ القرآن ويستمع إليه ، وكانت كل لفظة فاه بها وأحصيت عليه في مرض الوفاة تدل على الإيمان بلقاء الله . وعلى الإيمان بالجزاء في العالم الآخر . . . »

فليته اتخذ من هذه الأصول المحكمات وأمثالها ما يتفق معها ويلائمها من أخبار المؤرخين المتضاربين ، ولا يكون من الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، ولا كالذي يأخذ من الأخبار ما يوافق هواه ، ويترك ما عداه ! . ولكنه بدأ كتابه « بأن معاوية كان رجلا قديرا ، ولم يكن بالرجل العظيم [١] » وبأنه يستطيع أن يعلل جميع أعماله بعلة المصلحة الذاتية أو مصلحة الأسرة والعشيرة » [٢] . ثم ختمه في فصل الميزان « بأن أحدا لو أراد أن يمحو من سجل معاوية كل ما عمله لنفسه ولبنيه لما بقي في هذا السجل عمل واحد تطول اللجاجة فيه حول النيات . وبأنه كان قويا ، لا مشاحة في وصفه بالقوة على مثالها ، ومثالها أنك تصوغها في خيالك على صورة من الصور فتحضرك صورة الجمل الصبور ، ولا تحضرك صورة الأسد الهصور » [٣] . ثم كان مجموع ما بين البدء والختام يدور حول الانتقاصات والتشنيعات والتبشيعات إلا فيما لا بد من الاعتراف به مما لا سبيل إلى إنكاره ، ولكن على نحو يمحو قيمته ويرده إلى مثل ما ترى من التصوير . فهل هذا كان معاوية بن أبي سفيان ؟ وهل ذلك مقتضى البحث في الرجال ؟ وهل تلك المصادر التي كان يستقي منها مما ينبغي أن يطمئن إليه رجل يواجه الناس بمشكلات مسائل التاريخ في نواحيها الحساسة التي تلامس العقائد ، وتتصل بالديانات ؟ .

---

(١) ص ٢٥ معاوية بن أبي سفيان .

(٢) ص ٢٦ منه .

(٣) ص ٢٠٦ .

إن خيرا من هذا كله ، وأقرب إلى الصدق والتصديق ، ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان مما لا يقل ثبوتا عن هذه المفتريات التي اخترعتها المذاهب والعصبيات بين محتالين دجالين ، يستبيحون الكذب على الله ورسوله والخيرة من المؤمنين ، إن صح أن للافتراء ثبوتا ، فكيف إذا كانت شهادة النبي وأصحابه والتابعين والعلماء الثابتين المحققين هذه الثابتة ، وما عداها إفك مفترى ؟ .

إن التاريخ خبر ، وكل خبر يحتمل الصدق والكذب ، فوجب ألا يقبل منه إلا ما يرويه عدل ضابط عن مثله عن مثله . . . ممن تجردوا عن كل هوى وشهوة ، وهيهات ثم هيهات أن يصح ذلك فى أمثال هذه الخزعبلات . إن الصحابة كلهم عدول فى مذاهب العلماء جميعا ، ولا يكون العدل ضعيفا فى خلقه ، ولا مؤثرا لدنياه على دينه ، ولا مقدما نفعه المادى ونفع أهل بيته على الصالح العام ، ولا سيما إذا كان من الولاة والحكام . ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ألا رغم أنف رجل حاول أن ينتقص واحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المذكورون أولا وبالذات ، والمقصودون قبل كل أحد بالخير والوسط فيما ورد من الآيات ، مثل قوله عز اسمه : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله سبحانه : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . وقد قامت الأدلة على أن الله يغفر لمن أساء منهم فإنهم جميعا غير معصومين ، والعصمة لاتكون إلا لنبي ، فمن زل منهم – ولكن لا بالمعنى الذى يسوقه العقاد وأمثاله – فزلته مغفورة مغمورة جزاء ما خلصت نياتهم ، وجاهدوا مع رسول الله فى الله ، وجدوا فى نشر دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلولاهم لما كان للإسلام أثر يذكر . وهذا معاوية الذى يقدح فيه القادحون ، لقد أخلص لله وجاهد فى سبيله وفتح فتوحات سيمر بك الحديث عنها ، وقد عرفها كل من قرأ فى التاريخ الإسلامى أو سمع به ، ولبعض هذا المعنى أجاب الامام الربانى عبد الله بن المبارك – وقد سئل : أيهما أفضل ؟ أمعاوية بن أبى سفيان أم عمر بن عبد العزيز ! فقال : « إن الغبار الذى دخل أنف معاوية فى جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز . ألم يصل خلف النبي صلى الله عليه وسلم فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : سمع الله لمن حمده ، ويقول معاوية : ربنا لك الحمد » . وأراد بذلك أن معاويه وأمثاله ممن صلوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن يسمع الله لهم وأن يكون معهم ، ومن كان كذلك كان خيرا ممن عداه لأن عناية الله بأمره مكفولة .

ومن ذا الذى يستطيع أن يعقب على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » أخرجه أحمد والشيخان .

ومن ذا الذى يجرؤ على قوم يقول فى شأنهم محمد صلى الله عليه وسلم: « الله الله فى أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وقد فهم حفاظ الإسلام من هذه الأخبار ماتدل عليه من طهارة القوم ونزاهة ساحتهم فى الأعم الأكثر من أحوالهم، وفى المهيع الواضح من أمرهم .

قال الحافظ الكبير الخطيب البغدادى : إن الأخبار فى هـذا المعنى تتسع ، وكلها مطابقة لما فى نص القرآن، وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له (١) وأطال فى ذلك المعنى .

ولعل التعميم فى قوله «لا يحتاج أحد منهم» الخ لا يتناول معاوية عند العقاد، أو لعل رأى هذا الحافظ مما يقع فى نفسه موقع الاشمئزاز، لأنه رأى جامد لا يعرف إلا سنة محمد صلى الله عليه وسلم، أو لعله يقول: إنه يخالف ما قال غيره من الأئمة أو العلماء ، والكل باطل بالبداهة .

إن معاوية صحابى ما ينكر ذلك أحد، والحافظ البغدادى مصدق لما أجمع عليه الأئمة والعلماء ، لا يختلف أحد منهم إلا أن يتكلم فى بعض الفروع الثابتة كخروجه على على رضى الله عنه ، وهو بالإجماع مجتهد يذهب بعضهم إلى أنه مخطئ له أجر فى اجتهاده، ويذهب بعضهم إلى أنه مصيب له أجران، ويقول عمر بن العزيز — وقد جرى الحديث أمامه بشأن الخصومة — ما قال الله سبحانه : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » فرحم الله امرءا عرف قدر نفسه ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم يعدل عنها إلى البدعة !

أما الإمام المجتهد الحجة ناصر الدين والسنة : ابن تيمية ، وتلميذه الحافظ الذهبى ، فاليك

---

(١) راجع مقـدمة العواصم من القواصم التى وضعها الأستاذ المجاهد المخلص محب الدين الخطيب على هذا الكتاب القيم للامام ابن العربى ص ٣٢ من هذه المقدمة .

بعض ما نقله الحافظ الذهبي فى كتابه (المنتقى) الذى لخص به كتاب منهاج السنة وهو الكتاب الذى يرد به ابن تيمية أقوال أهل الرفض والاعتزال (١) :

« مذهب أهل السنة أن ما ذكر عن الصحابة والتابعين من السيئات كثير منه كذب ، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه ، ولكن لا يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم ، وما قدر أنه كان فيه ذنب من الذنوب فمغفور لهم : إما بتوبة ، وإما بحسنات ماحية ، وإما بمصائب مكفرة ، فأنه قد قام الدليل الذى يجب القول بموجبه أنهم من أهل الجنة ، فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة . ولو لم نعلم أنهم من أهل الجنة لم يجز لنا أن نقدح فى استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار ، فأن هذا لا يجوز فى آحاد المؤمنين الذين لم نعلم أنهم يدخلون الجنة . فكيف يجوز ذلك فى خيار المؤمنين . والعلم بتفاصيل أحوال كل واحد منهم ظاهرا و باطنا وحسناته وسيئاته واجتهاداته أمر يتعذر علينا معرفته ، فكان كلامنا فى ذلك كلاما فيما لا نعلمه ، والكلام بلا علم حرام . فلهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيرا من الخوض فى ذلك . . . لأن كثيرا من الخوض فى ذلك أو أكثره كلام بغير علم ، وهو حرام لو لم يكن فيه هوى ومعارضة للحق المعلوم ، فكيف إذا كان كلاما لهوى يطلب فيه دفع الحق المعلوم . ومن علم ما دل عليه الكتاب والسنة من الثناء على القوم ورضا الله عنهم واستحقاقهم الجنة وأنهم خير هذه الأمة التى أخرجت للناس ، لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة : منها مالا يعلم صحته ، ومنها ما يتبين كذبه ، ومنها مالا نعلم كيف وقع ، ومنها ما يعلم عذر القوم فيه ، ومنها ما يعلم توبتهم منه . . ومنها ما يعلم أن لهم من الحسنات ما يغمره . فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله ، وكان من أهل الحق » .

ذلك كلام نفيس قيم إلى الغاية ، لا يترك لقائل مجالا فى نقد ، ولا جرأة على حماة الإسلام .

وقد يظن القائل أنه ينظر من ناحية دينية ، وانه على ذلك لمنطق علمى فلسفى لا يدع لمتأمل مجالا إلى المعارضة . ولولا أننى بصدد مقال فى مجلة الأزهر الغراء لحللته بدقة

---

(١) راجع ص ٢١٩ من كتاب (المنتقى من منهاج الاعتدال) ، وهو الذى نشره وعلق حواشيه الأستاذ محب الدين الخطيب .

ولرددت به على العقاد تفصيلا ، ولعل المقام أهون من ذلك ، وفى غير حاجة إليه .

إن هذا هو ما نقوله نحن معاشر رجال الأزهر ونادى به وندعو إليه ، ولو كره الحاسدون وحاولوا التهويش .

وإليك جزءا من كل مما قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى معاوية وحده من بين الصحابة ، وهو كلام يمثل روح الإسلام والمنطق ، قال ـ وهو بصدد الرد على قول الرافضة : إن معاوية طليق بن طليق(١) ـ : « هذا ليس بصفة ذم ، فان الطلقاء غالبهم حسن إسلامهم : كالحارث ابن هشام وابن أخيه عكرمة وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية ويزيد بن أبى سفيان وحكيم بن حزام وأمثالهم ، وكانوا من خيار المسلمين . ومعاوية ممن حسن إسلامهم (٢) وولاه عمر بعد أخيه يزيد ، ولم يكن عمر والله ممن يحابى ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا كان يحب أبا سفيان ، وقد حرص على قتله لما جاء به العباس(٣) ، ولو كان ممن يحابى لولى أقاربه من بنى عدى . ثم إن معاوية بقى على دمشق وغيرها عشرين سنة أميرا وعشرين سنة خليفة ، ورعيته يحبونه لإحسانه وحسن سياسته وتأليفه قلوبهم ، حتى انهم قاتلوا معه عليا وعلىّ أفضل من أمثاله وأولى بالحق منه ، وهذا يعترف به غالب جند معاوية . ولكنهم قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر على فيه قتلة عثمان ، وفيه ظلمة ، ولهذا لم يبدأوا بالقتال حتى بدأهم أولئك دفعا لصيالهم وقتال الصائل جائز . . . وعلى كان عاجزا عن قهر الظلمة من العسكرين ، ولم يكن أمراؤه وأعوانه يوافقونه على كثير مما يأمر به وأعوان معاوية يوافقونه » .

وقال فى دفاعه عن مقاتلته لعلى (٤) (الباغى قد يكون متأولا معتقدا أنه على حق وقد يكون بغيه مركبا من تأويل وشهوة وشبهة وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لا يرد ، وإنا لا ننزه هذا الرجل ولا من هو أفضل منه من الذنوب ، والحكاية مشهورة عن المسور بن مخرمة أنه خلا بمعاوية) وذكر الحكاية التى سنسوقها لك فيما بعد .

---

(١) ص ٢٤٨ من المنتقى .

(٢) وقد اعترف العقاد بذلك فيما نقلته لك آنفا .

(٣) كان ذلك أثناء فتح مكة وقد فصله التاريخ .

(٤) ص ٢٤٩ منه .

هذا بعض ما ينظر به السلف من أمثال ابن تيمية والحافظ الذهبى إلى الصحابة و إلى معاوية رضى الله عنهم ، فهل هذا أم ما يهول به العقاد من تفظيع أمره والجرأة عليه وعلى أمثاله بأخبار موضوعة وأحكام مصنوعة لا يرضاها الله ولا رسوله ولا صالح المؤمنين .

لقد اقتضت تعاليم الإسلام ذلك الأدب ، وقد استوجبه العقل السليم الذى لا يقبل إلا منطقا سليما . إن العقاد نفسه يرد أحاديث البخارى ومسلم و يتأول فى آيات الكتاب الكريم هو ومدرسته المجددة ، إذا خالف شىء من ذلك هوى فى نفوسهم ، فكيف لا يردون أمثال أخبار تنسب إلى ابن قتيبة والمسعودى ممن يأخذون عن المضللين والفاسقين[١]

وعلى ذلك فأن معاوية ليس كما يقول العقاد وأنصار العقاد ممن لا يبالون أن يزعزعوا عقائد المسلمين فى أئمتهم وسلفهم الأولين ، لأنهم يتناولون الأمور من ناحية الترويج والتهريج ، لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون .

((يتبع))

محمود النواوى
المفتش بالأزهر

(١) (المجلة) ابن قتيبة مظلوم بما نحله المغرضون كتاب (الإمامة والسياسة) ، فهو ليس له ، وفيه خبر بناء مدينة مراكش ، وكان بناؤها بعد موت ابن قتيبة بدهر طويل ؛ فالإمامة والسياسة مدسوس عليه . أما المسعودى فمن شيوخ الشيعة ويذكرون له مؤلفات فى أصولهم .

أصول الاسلام

والتقريب بين الأمم وشرائعها المختلفة

شرع الله الإسلام خاتما للأديان ، وعهدا خالدا للانسان ، فلم يدع أصلا من الأصول المقربة بين العقائد، الموحدة بين النزعات، الجامعة بين مختلف المقاصد والغايات، إلا أتى به الإسلام على قدر ما تسمح به الفطرة السليمة ، والطريقة القويمة ، والخطة المثلى ، فدعا إلى تحكيم العقل فى كل خلاف ، والرجوع إلى النظر فى كل موضوع تعترك فيه الموروثات القديمة ، والميول الجديدة .

وهو لأجل أن يرفع من طريق العقل الخالص كل ما يعترضه من العوائد الوهمية أنحى على مبدأ التقليد فنقضه ، وعلى أصل تقديس القديم الرث فهدمه ، ونعى على الواقفين مع هاتين العقبتين جمودهم . فقال تعالى زاريا بالمقلدين « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ، وقد بالغ فى الزراية بالتقليد إلى حد أن سماه عبادة ، وهذا نهاية ما يمكن أن توصم به نزعة من النزعات الخاطئة فقال تعالى : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » . وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى اتخاذهم أربابا أنهم أخذوا كل ما سمعوه عنهم بدون جدال أو تعقل .

كل هذا ليتوسل الإسلام به إلى تخليص العقل من العوائد القائمة فيه ، وإذا تم للأمة أن تحترم حكم العقل الكامل المستضيء بنور العلم ، سهل إقامتها على الطريق السوى ، وتوجيهها إلى باحات الكمال الصورى والمعنوى ، من أقرب الطرق ، وأبعدها عن القواطع ، فأصبحت أرواحها خالصة من كل شائبة عبودية ، فأن لاح لها أصل جديد فيه خير أسرعت إليه بأوسع الخطى ولم تتأخر عن القيام عليه ، ولم تجد فى نفسها حرجا من الاندفاع فى تياره ، بل رأت أن من الدين أن تتجه إلى وجهته ، ابتغاء الاهتداء إليه وحيا إلهيا ، وإلهاما ربانيا .

هذا على خلاف الأمم الجامدة على القديم البالى ، المقدسة لكل ما نقل عن أسلافها بدون نظر فيه ، فهى كلما لاح لها أصل فيه حياتها لم تزنه بميزان عقلها ، ولم تنظره بعين مصلحتها ، ولكن تنظر إليه من خلال تقاليدها ، فإن رأته ينطبق على ما ورثته من أقوال أسلافها اتبعته مرتابة ، ولم تحسن الاندفاع فيه ، شأن المستعبد المثقل بالقيود والأغلال ، وإن لم تجده ينطبق على ما عندها من هذه الأقوال ثارت عليه متأثرة بعوامل الجمود ، وربما كان الأخذ مما لايبطل شيئا من أصولها الأولية، ولكنها لشدة كلفها بالقديم والقدماء ترتاح إلى معارضة كل جديد ، لا لعلة غير كونه جديدا ، لم يعرفه آباؤها من قبل .

هذا من أكبر عوامل انحلال الأديان ، وصيرورة أهلها فى مؤخرة الأمم فى كل ضرب من ضروب مظاهر الحياة ، حتى الأخلاق التى يفخرون بأنهم أخص القائمين بحقوقها ، والمهيمنين عليها ، فيكثر فيهم الختل والخطل ، والكذب والنفاق ، وسوء الملكة واللؤم ، وينتهى بهم الأمر لأن يعدهم مواطنوهم خطرا على الأخلاق والاجتماع ، فانظر كيف يدهورهم جمودهم على التقليد إلى عكس ما كانوا يرمون إليه بتشددهم فيه .

من الأمور التى رمى الإسلام بها إلى تقريب الأمم المختلفة ، تحطيم صنم هذا التقليد الأعمى ، لأن العقول متى تخلصت منه اندفعت إلى قبول كل ما تراه موافقا للعقل ، ملائما للحياة ، فيميل بعضها إلى بعض كنتيجة طبيعية للاختيار الأحق والأحسن ، والعقل المطبوع فى جميع الأفراد واحد ، فيكون ذلك مقدمة لاقتراب بعض الأمم من بعض ، واجتماعهم جميعا على بساط واحد من البحث الحر ، وتكون النهاية توحدهم فى المعقولات والعقائد ، لأن الحقائق لا تتعدد كما هو الصحيح .

ومن الوسائل التى تذرع بها الإسلام للتقريب بين الأمم المختلفة ما نص عليه كتابه فى مسألة الإيمان برسالة محمد خاصة ورسالات المرسلين عامة ، فقد صرح سبحانه وتعالى أنه لم يرسل خاتم رسله بدين جديد ، ولكنه أرسله بالدين الذى أنزله على جميع من تقدمه من المرسلين فقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ، وما تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع (أى لتوحيد الدين فادع) واستقم

كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » نصت هذه الآية على أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كانت إعادة ما سبق به الوحى على ألسنة جميع المرسلين من الدين الحق والصراط السوى ، فحرفه أتباعهم وخرجوا به عن حقائقه .

ولا مشاحة فى أن هذا التصريح يقلل من تشدد أصحاب الملل فى مناقضة الإسلام ، ويلفتهم إلى ما يقول رسوله ، ويحملهم على النظر فيما بين أيديهم من الكتب ، وكل هذا مما يقرب بين الأمم ويجمع بين متفرقها ؛ لذلك جمع الإسلام فى حظيرته فى أقل من قرن بين أمم كانت على أشد ما تكون من الاختلاف والتباين ، فبعد أن كان من المحال أن ترى الفارسي إلا زردشتيا ، والهندى إلا بوذيا ، والصينى إلا كونفشيوسيا أو لاوتسيا ، والسودانى إلا فتشيا ، أصبحت ترى حظيرة الإسلام جامعة بين جميع هذه الأمم .

ومما قصد به الإسلام إلى التقريب بين الأمم إيجابه على الآخذين به الإيمان بجميع رسل الله ، وعدم التفرقة بينهم ، والإيمان بما جاءوا به من الكتب إجمالا فقال تعالى : «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » .

فى هذه الآية نص صريح على وجوب الإيمان بجميع رسل الله وجميع كتبه التى أنزلها عليهم بلغات مختلفة ، وهذا أبلغ ما يعرف من الأصول المقربة بين البشر ، فإذا أجلت نظرك فى جميع الأمم لا تجد دينا لواحدة منها يعنى بدين واحدة أخرى ، فما ظنك بأديان الأمم كافة ، على حين ان المسلم لا يستطيع أن يكفر برسول أرسل لواحدة منها فقال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » .

فالدين فى نظر الإسلام كل لا يتجزأ ، أساسه الإيمان بالله وبجميع رسله ، من بلغتنا أسماؤهم ومن لم تبلغنا (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) . فلا أتخيل

أن فى العالم أصلا عمليا يجعل الوحـدة الإنسانية ماثلة فى عقلية أمة ونفسيتها مثل هـذا الأصل ، فهو وضع إلهى محض ، يكشف عن إلهيته سمو مقصده ، و بعـد غايته ، فهو من هذه الناحية ليس فى حاجة إلى دليل يؤيده ، فهل بعد هذا غاية فى قطع ذرائع الخلاف بين الأمم ، وحسم مادة التلاحى بينهم ؟ أليس هـذا بجملته وتفصيله يجعل الإسلام دينـا عاما ، و يهيئه لأن يكون نقطة اتصال بين الجماعات البشرية ، فتسكن الأرواح منه إلى حظيرة عقيدة عادلة لا تذهب بأصحابها مـذاهب الجور فى هضم حقوق الأمم ، ولا تنزع بهم إلى تجريدها من خصوصياتها . إنك بينما ترى أتباع الأديان الأخرى يتنازعون أديانهم فيكفر بعضهم بأنبياء بعض، ويهزأ الأولون بكتب الآخرين ، والآخرون بكتب الأولين ، تجـد المسلمين فى مستقر من العـدل مكين ، يؤمنون بجميع رسل الله وكتبه ، لا يبخسون أمـة حقا ، ولا يهضمون لطائفة واجبا إلا بأمر واحـد وهو أن يعدلوا فيؤمنوا بجميع كتب الله ورسـله ، فمن لم يقبل ذلك من الناس كانوا من أهـل الشقاق المؤثرين للخصام على الوفاق ، وليس هذا من الإسلام فى شىء .

فلا مشاحة بعد هذا البيان فى أن الإسلام هو الدين العام ، المؤاخى بين جميع الأنام ، وكل ما حدث بعده بأكثر من ألف سنة من المـذاهب التى غرضها التوفيق بين الأديان تحت أسمـاء مختلفة فلن تبلغ مبلغه فى هذا الباب .

أما الفرق بين الاسلام وهذه المذاهب ، فهو أن الاسلام عرض للـكتب السماوية الموجودة بين أيدى أصحابها ودل على وجوه التحريف فيها ، أو على سوء تأويلهم لهـا ، ودعا الى الكتاب الذى جمعها جميعا ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه وهو القرآن الكريم ، وأما تلك المذاهب فترمى الى توحيـد الأديان بتأويل النصوص التى تختلف عليها تذرعا إلى التوفيق بينها ، وهذا التأويل يشعر بتكلف شديد ، وعنت ظاهر بالالفاظ والعبارات ، ومثل هذا العنت الظاهر لا يبتنى عليه إيمان، فتكون النتيجة تشكيك الناس فى جميع الأديان .

ومن هذه المذاهب أيضا محاولة توحيد الناس فى عبادة الله ، بحجة أن جميع الأديان تدعو للعبادة ، وهى فى نظرهم تؤتى ثمراتها على أية ضروب كانت ، أما الـكتب الموجودة بين أيدى الأمم فتترك لأهلها مع كل ما بنوه عليها من أهواء وأوهام .

فالناقد البصير يرى أن مذهب الإسلام فى توحيد الأمم هو خير المذاهب ، وهو دعوتها إلى كتاب جديد شامل لجميع ما تقدمه مما لم تمسه أيدى التحريف ، ذلك لأن النقد

العلمى كشف عن أحوال تلك الكتب من ناحية ضعف روايتها ، وضياع أصولها ، ما لا يستطاع معه الإيمان بها ، فتكون النتيجة الطبيعية من تقرير تركها وشأنها ، خروج أهلها عن حظيرة الأديان جملة ، ثم أن المذهب الإسلامى فى هذا الشأن أرسخ قواعد ، وأشبه بسنة الوجود ، وأقوى على حملات الشبه والشكوك ، لأنه بعد أن قرر أن الأديان كلها وحى من الله ، و أن الذين أتوا بها كلهم رسل الله ، وأن كتبها كلام الله ، عاد فقرر أن طول الزمان أوجب أن ينحرف الناس عن تلك الكتب ، وأن يتسامحوا فيها بالتحريف والتبديل ، والإسلام فى هذه القضية موافق للنقد العلمى كما رأيت .

بعد هذا أخذ الإسلام يدعو الناس إلى كتاب يجمع ما فى تلك الكتب و يزيد عليها ما اقتضاه وما يقتضيه تطور الأمم ، ووعد بحفظه من التحريف والتبديل على مدى الأجيال .

كان شأن الإسلام فى هذا كشأن عالم نبغ فى أمة كانت من علومها على مذاهب شتى ، كل طائفة منها تنابذ الأخرى باسم مذهبها العلمى ، وعالمها الرسمى ، فجاء هذا العالم النابغ ، فجمع ما فى الكتب الموجودة من الحقائق المقررة فى كتاب واحد ، وزاد عليها ما فتح الله به عليه ، ثم دعا إلى تداول كتابه المنقح ، وترك ما لديهم من الكتب الأولية المطبوعة بطوابع أزمانها المختلفة .

فهل كان يستطيع هذا العالم أن يقر كل طائفة على كتابها العلمى على ما فيه مما يجافى روح العصر الحاضر ، ومما وضعه الوضاعون بين حقائقه من الأكاذيب والوساوس ؟

« أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها و إليه يرجعون » فأما طوعا فباستخدام العقل و إعمال الفكر ، وأما كرها فتحت ضغط الحوادث والمثلات ؟

عباس طه
المحامى

الاسلام ينهض بالمرأة

منذ سنوات مضت اجتمع وزير سابق بسيدة فرنسية مثقفة ، لها مكانتها الاجتماعية الملحوظة ، فهي زوجة لمشرع فرنسي كبير ، وتحدثت إليه وتحدث إليها ، وأخذا يفاضلان بين الشرق والغرب ، فقالت له : إنني أزف إليك بشرى تسر لها ، وتجعلك تعتقد أن فرنسا دائما هي رائدة الحرية ، ونصيرة المرأة ، ذلك أننا في طريقنا الى إصدار تشريع يتيح للمرأة التقاضي دون إذن رجلها ، فأخذته الدهشة ، واستولى عليه العجب ، ونظر إليها متسائلا : أما زالت فرنسا متأخرة الى هذا الحد المعيب ؟ فقالت له : لا . إن فرنسا هي السباقة دائما إلى ما يحقق حرية المجتمع ، ونحن أول أمة تسن هذا القانون لتحرير المرأة . فقال لها : يؤسفني ، لا بل يسرني أن أخبرك أن الإسلام قد فرغ من ذلك منذ أربعة عشر قرنا ، فمنح المرأة هذا الحق ضمن ما منحها من حقوق ، واعترف لها بالشخصية الكاملة ، وحرية التصرف في أموالها .

بهذا ينظر الغربيون الى الأمور ، بل بهذا ينظر بعض الشرقيين الذين ابتعدوا عن مصادر الإسلام الأولى ، فهم يرون أن كل جديد غربي ، وأن الشرق لا يملك من مواريث الحضارة ومناهج الإصلاح والتقدم شيئا قليلا أو كثيرا ، وأنه يعيش عالة على الغرب في ذلك ! !

نعم ـ جاء الإسلام ، والأمم القديمة تستعبد المرأة ، وتستبد بها ، وتبسط عليها سيادة الرجل وسلطانه طول حياتها ، وفي كل شئونها .

كانت سلعة تباع وتشترى ، تورث ولا ترث ، وتُملك ولا تملك ، وكان البعض القليل ممن يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه ، وكانوا يجعلون ذلك لزوجها أو وليها . كانت متاعا يستمتع به ، لا حول لها ولا طول ، مهدرة الكرامة ، قعيدة بيتها المظلم ، وسجينة حياتها الضيقة ، ثم كانت تكره على الزواج ، ولا تستشار فيمن يختار لها ، بل كانت تجبر على البغاء في كثير من الأحيان على كره منها .

وكان فريق من أهل الجاهلية الأولى ـ إذا مات الرجل منهم عمد أخص أوليائه ، وأقرب ورثته ، فوضع ثوبه على امرأته ، وقال : أنا أحق الناس بها ، ثم إن شاء بعد ذلك تزوجها ، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ، أو عضلها حتى تفتدى نفسها .

جاء الإسلام ـ وبعض الناس لا يزال يبحث فى شأن المرأة ، وهل هى إنسان له نفس وروح ؟ وهل يجوز لها أن تتعلم الدين ؟ وهل تصح منها العبادة ؟ وهل يقبلها الله منها فيثيبها عليها .

جاء الإسلام ـ وبعض المجتمعات تبيح للوالد بيع ابنته ، وبعضها يرى أن له الحق فى قتلها بل فى وأدها حية « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » .

ولم يكن هـذا شأن العرب وحدهم ، فقد كانت العادة فى أثينا حين ولادة الذكور أن يعلنوا فرحهم بذلك ، ويعلقوا إكليلا من الزيتون فوق الباب ، وفى إسبارطة كان الآباء يقتلون سبع بنات من عشر يولدن لهم .

ظهر نور الإسلام ـ والناس تعيش فى هذه الضلالات والأوهام ، وتؤمن إيمانا قويا بهذه الخرافات ، وترزح المرأة تحت وطأة هذه الأوضاع المخزية ، والتصرفات المؤسفة ، فأزال شكاتها ، وأنصف قضيتها ، وحماها من الضيم الواقع عليها ، وانتشلها من وهـدة الظلم الاجتماعى الذى وقعت فيه ، ورسم لهـا طريقا يتفق مع طبيعتها ورسالتها . تتعاون فى سفينة الحياة مع شقيقها الرجل ، وتبنى كما يبنى ، وتساعد فى تعمير الكون . وكل ميسر لمـا خلق له .

وليس هذا كلاما يقـال ، وعبارات تساق لترضية المرأة ، بل هى قضايا ثابتة نزل فى شأنها كتاب يتلى ، وعنونت باسمها (سورة النساء) التى افتتحها الله تعالى مخاطبا عضوى المجتمع بأنهما من أصل واحد ، ونفس واحدة ، وأن المرأة من المرء ، وكل أدماء من آدم . « يأيهـا الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ثم أثابها على عبادتها « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وأمر بتعليمها « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » ثم ورثها من أقاربها وأزواجها « للرجال نصيب ممـا ترك الوالدن والأقربون ، وللنساء نصيب ممـا ترك الوالدن والأقربون ، ممـا قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » .

وإذا كان نصيبها فى أغلب الأحـوال على النصف من الرجل ، فذلك لأنها لا تلتزم بما يلتزم به : من واجبات الدفاع ودفع المهور والإنفاق على الأسرة والأولاد . بل إن بعض الباحثين قارن بين التزامات كل منهما فى الحياة ، فرأى أن فى إعطاء المرأة نصف الرجل

تخفى عليها استدعاه ما يغلب على حالها من ضعف طبيعى ، وعجز عن التكسب ، وانصراف عن جمع المال لضياع وقتها فى عوارض الإنتاج البشرى وتربية الأولاد .

أعطى الإسلام المرأة هذا ، كما أعطاها الحق فى اختيار زوجها ، ثم نبهه إلى عظيم فضلها ، وأنها خلقت منه ليسكن إليها ، ويجد أنسه فى جوارها « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ، وأوصاه بحسن عشرتها ، وجميل مودتها « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » . « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » . « ما أكرم النساء إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم » .

ثم أباح لها جميع التصرفات المالية ، وجعل لها الولاية كاملة على مالها كالرجال سواء بسواء ، كما قبل شهادتها ، واحترم بيعتها ، واستجاب لجوارها « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء وأمنا من أمنت » .

وإذا كان الله قد أمر ببر الوالدين فقد خص الأم بمزيد من العناية ، وفصل القول فى شأنها تفصيلا يستدعى مزيد العطف عليها « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب من يسأله عن أحق الناس بحسن صحابته فيقول له : « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك »

لقد كرم الله المرأة فجعل منها أول قلب يخفق بالإسلام فى شخص السيدة الطاهرة خديجة ، وجعل ذرية الرسول ونسبه متصلا بها ، فقد شاءت إرادة الله أن يموت أبناؤه فى حياته دون عقب وألا يبقى له إلا فاطمة الزهراء التى يقول فيها : «فاطمة بضعة منى يسوءنى ما يسوءها ، ويسرنى ما يسرها » .

وهذا عمر بن الخطاب يخرج يوما ومعه الناس فيمر بعجوز تستوقفه فيقف ويحدثها طويلا حتى يقول له أحدهم : « يا أمير المؤمنين ، حبست الناس على هذه العجوز » فيقول له : « ويلك ، أتدرى من هى ؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات . هذه خولة بنت مالك التى أنزل الله فيها : «قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله» .

إن المرأة بين يدى الإسلام شقيقة الرجل وشريكته « إنما النساء شقائق الرجال » لها من الحق ماله ، وعليها ما عليه ، ولا فضل لأحد منهما على صاحبه ، سوى أن يقوم الرجل — بماله من حسن التدبير ، واتساع الحيلة ، واكتمال التجربة — فيتولى رياستها ، ولا ضير عليها فى هذا فهو أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها ، لاترى المرأة العاقلة فى

ذلك انتقاصا لشأنها « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » تلك هى درجة الواقع الملموس، هى درجة الرعاية والحياطة، والرأى والمشورة، والتعاون والمحبة، لا تتجاوزها إلى استبداد الرأى، وعنف السيادة، درجة تفرضها سنة الوجود، التى توجب أن يكون لكل مجتمع رئيس يسوسه، ورياسة الأسرة لابد أن تكون للقادر عليها، والمرأة بعواطفها وغرائزها وتركيبها لا تستطيع القيام بها قيام الرجل، وقد فطن إلى هذا فلاسفة الدنيا، وعلماء الاجتماع حتى فى الدول غير المسلمة. هذه كاتبة انجليزية تقول: « لا تتعلق المرأة بالرجل الذى تديره كيف تشاء » ويقول فيلسوف غربى: « لو أراد البشر تغيير نظام المجتمع وإعطاء الرياسة للمرأة لكان لهم فى طبيعتها وتركيبها ومزاجها ما يحول دون تنفيذ مرادهم ».

نعم إن المرأة قلب المجتمع، وإن الرجل عقله، ولا تستقيم الحياة بدون عقل يرشد، وقلب ينبض، وكلاهما لا بد منه للسير بالحياة إلى غايتها.

* * *

وبعد – فأننا فى مجتمع يتجاذبه تياران متعارضان: أحدهما يبالغ حتى يرجع بالمرأة الى الجاهلية الأولى، فلا يجعل لها شأنا، ولا يسمع لها قولا، ويسومها سوء العذاب، ويرى أن عليها كل الواجبات، وليس لها حق من الحقوق. ويقابله تيار آخر يخرج بالمرأة عن رسالتها، ويدعوها إلى هجر بيتها، وإبداء زينتها، وكشف حيائها.

وبين هذين التيارين نعيش، ونحاول أن نوفق بينهما، وندعوهما إلى كلمة سواء، هى كلمة الإسلام الأولى التى تحفظ على المرأة شخصيتها وكرامتها، وتصون حياءها، وتفسح لها – فى ميدن الأمومة الصالحة والزوجية الرشيدة – ما تبغيه لنفسها ومجتمعها من رفعة شأن وبلوغ غاية. وإنه إذا استجابت المرأة الى الدعوات المتطرفة التى تقرع سمعها فى كل يوم، وهجرت منزلها دون حاجة فى دنيا أو دين، وتركت مملكتها العظيمة، وانصرفت إلى ميدان الرجل تؤدى واجبه، فسيضطرب نظام المجتمع، ويتداعى بنيانه، بحيث اختلط نظام وحداته، وانصرف بعضها ليؤدى واجب الأخرى، تاركا مكانه دون حماية أو دفاع.

لقد أعطى الإسلام المرأة كل شىء إلا أن تكون رجلا، كما أعطى الرجل كل شىء إلا أن يكون امرأة، وكما لعن المخنثين من الرجال، فقد لعن المترجلات من النساء.

زكريا البرى

الأمهات

كلمة السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

لمناسبة عيد الأمومة

بسم الله الرحمن الرحيم .

قال الله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ، ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا » .

وروى أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال : « هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد ، فقال عليه الصلاة والسلام : هل باليمن أبواك ؟ قال : نعم ، قال : هل أذنا لك ؟ قال : لا ، فقال عليه الصلاة والسلام : فارجع إلى أبويك فاستأذنهما ، فإن فعلا فجاهد وإلا فبرهما ، فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد » .

وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس « أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه ، قال : هل بقي من والديك أحد ؟ قال : أمي ، قال : فابل الله في برها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » .

وروى أحمد وأبو داود والترمذي عن معاوية القشيري قال : قلت يارسول الله من أبر ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : أباك ثم الأقرب فالأقرب .

من هذا يتبين عظم ما للوالدين على الولد من الحقوق ، فأنها أعظم وآكد من حقوق أى رحم أو قرابة أو جوار ، وأن برالوالدين وتكريمهما والاجتهاد فيما يحقق مرضاتهما ، أمر تحتمه الشريعة ، وتهدى إليه الفطرة الإنسانية السليمة ، وهو من أسباب هناءة الحياة ويسرها ، والاهتداء فيها إلى وجوه الصلاح والرشاد ، التى تعود بالخير على الأولاد أنفسهم قبل كل أحد ، ثم على أفراد الأسرة ومجموع الأمة .

وحق الأمهات من البر والتكريم وحسن الرعاية أوجب وأعظم من حق الآباء ، نظرا لما تحمله الأم من العناء ، وما تتكبده من المشاق فى سبيل الحمل والوضع ، وما تبذله من الجلد والصبر والعمل الكادح والسهر المضنى ، فى تربية الأطفال وإصلاحهم وتغذيتهم وعلاجهم وتمريضهم ، وسائر ما هو مطلوب منها لتنشئة وحدات جيل صالح نافع .

تحمل الأم فى سبيل ذلك أضعاف ما يحمله الأب من المتاعب والمشاق والآلام ، وهذا هو السر فى أن كانت الجنة تحت أقدام الأمهات ، كما ورد فى الحديث النبوى الشريف . فسبيل الوصول إلى السعادة والفوز بنعيم الجنة إنما هو بمعرفة حق الأمهات واكرامهن واعزازهن وبذل كل مرتخص وغال لمرضاتهن .

وهذا الفضل الذى امتازت به الأم وسما به حقها على حق الأب — بعد اشتراكهما فى وجوب البر والاكرام وحسن الرعاية — قد صرح به القرآن فى آياته البينات مبينا سر هذا التفضيل ، قال تعالى فى سورة لقمان : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير » .

وقال عز وجل فى سورة الأحقاف : « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » .

ومن هنا كان تكريم الأمومة مما يحث عليه الإسلام ويدعو إليه ، فهو يمجد الأسرة ويقوى روابط أفرادها ، ويمكن بينهم أسباب المودة والألفة ، وهو يشجع على الزواج الذى هو خير نظام اجتماعى صالح يوصل إلى الأمومة التى هى محل التقدير والتكريم . ثم هو يشجع بالضرورة على أن يكون نسل لتكون أمومة .

وإن عزوف بعض الناس عن الزواج أو عن التناسل ، أو العمل على إحداث العقم والدعوة اليه ، كل هذا لا يتفق وتكريم الأمومة وإكبارها والاحتفاء بها .

هذا ـ وان الإسلام يدعو إلى تكوين الأم واعدادها اعدادا صالحا دينيا وعقليا وخلقيا واجتماعيا ، فهى طابع الطفل ، ثم هى حاضنته ومربيته ومهذبته : على يديها ينشأ وتتكون شخصيته ، و بحسن توجيهها تبدأ وتعظم نظرته إلى الحياة .

وقد حرص الإسلام على أن يحوط الأم بكثير من عنايته و رعايته ، للدور الخطير الذى تقوم به فى بناء الأسرة ، وعمل على أن يهيئ لها الجو الصالح الذى تستطيع فيه أداء واجبها ، واهتم بحمايتها من مواطن الزلل ، وتجنيبها عوامل الانحراف وكل ما يعوقها أو يشغلها عن واجباتها نحو أسرتها وأبنائها ، وأوجب لها على الرجل راعى الأسرة معاونتها بتحقيق مطالبها و رعاية شئونها ، وتوفير أسباب العيش والراحة لها ، وأوجب لها على الأبناء من السمع والطاعة ما يسهل لها مهمتها فى تنشئتهم وتقويمهم ، و يكافئ فضلها عليهم و برها بهم .

وقد صارت الأم ـ بفضل النظام الذى شرعه الإسلام ، و بما عمل على توفيره لها من أسباب الحفظ والحماية والرعاية ـ المحور الذى تلتق حوله الأسرة وتترابط فروعها وتستقر أمورها، على أساس من الدين القويم والخلق المتين . وهذا هو الأمر الذى وعاه وأشاد به دستور الأمة الجديد ،فأن صلاح الأمة انما يكون بإصلاح الأسرة و بنائها على أسس الفضيلة والدين والأخلاق .

وتكريم الأمومة والاحتفاء بها انما هو بتكريم المعانى النبيلة التى تتمثل فى كل أم فاضلة تسير على هدى الفطرة الانسانية السليمة، وتقوم بواجباتها نحو أسرتها وأبنائها، وتؤدى هذا الحق بأمانة واخلاص، لا يشغلها عنه شاغل، ولا يصرفها عن العناية به أى صارف.

فواجب أن تتكاتف الجهود وتتعاون القوى على العناية بالأسرة، والعمل على اعداد الأمهات الفضليات اللاتى يحق لهن على أوطانهن واجب التكريم والاعزاز والتبجيل .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

بنو اسرائيل
فى الماضى والحاضر

— ٣ —

عداوة اليهود للعرب : —

عداوة اليهود للعرب عداوة متأصلة من قديم الزمان ، دفعهم إليها الحقد الدفين وخبث الطوية . ومن عداوة اليهود للعرب أنهم أرادوا أن يسلخوا عنهم أى فضل ، فزعموا أن الذبيح إسحق لا إسماعيل، ولأجل هذا الغرض السيئ حرفوا التوراة ، ولكن الله أبى إلا أن يبقى ما يدل على هذا التحريف ، فحذفوا اسم إسماعيل ووضعوا موضعه اسحق ، ولكنهم غفلوا عن كلمة فضحتهم وكشفت عن فعلتهم الشنيعة ، ففى التوراة ـ الاصحاح الثانى والعشرين الفقرة (٢) « فقال الرب خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب به إلى أرض الموريا وأصعده محرقة على أحد الجبال التى أقول لك » و إسحق عليه السلام لم يكن وحيدا فى يوم من الأيام ، لأنه ولد ولإسماعيل نحو أربع عشرة سنة كما هو صريح التوراة (١) فهذا مما حرف قطعا . وقصة الذبح حدثت بنواحى مكة لا فى جبل الموريا (٢) وقد بقى إسماعيل إلى أن مات أبوه ابراهيم وحضر وفاته ودفنه . وحديث البخارى الصحيح صريح فى استيطان إسماعيل وأمه هاجر عند البيت قبل بنائه . وبعض العلماء المسلمين الذين ذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق قد اغتروا بروايات واهية وضعها اليهود وتنبه لها المحققون من أئمة الإسلام (٣) .

---

(١) فى التوراة سفر التكوين (الاصحاح ١٦ الفقرة ١٦ « وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لأبرام » ، [illegible] اصحاح ٢١ الفقرة ٥ « وكان إبراهيم بن مائة سنة حين ولد له إسحق ابنه) انظر قصص [illegible] ء للشيخ النجار ص ١٣٤ — ١٣٦

(٢) هو الذى عليه مدينة أورشليم

(٣) انظر ما كتبته فى مجلة الأزه[ر] الجزء الثامن ص ٨٩٧

ومن مزاعمهم الكاذبة ما ادعوا أنهم ليس عليهم فى أكل أموال الأميين سبيل ، ومرادهم بالأميين العرب لغلبة الأمية عليهم ، وقد بين الله سبحانه أن هذا من أكاذيبهم ، وما من شريعة من شرائع الله إلا وتحرم أكل أموال الغير بالباطل ، وقد سجل الله عليهم هذا الافتراء فى قوله عز شأنه : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ، بلى من أوفى بعهده واتقى فأن الله يحب المتقين » [١] وقد روى ابن أبى حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال : « لما قال أهل الكتاب : ليس علينا فى الأميين سبيل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : كذب أعداء الله ، ما من شىء كان فى الجاهلية إلا وهو تحت قدمى هاتين ، إلا الأمانة فأنها مؤداة الى البر والفاجر » .

وها هى العصابات اليهودية اليوم تعيد هذا الإفك القديم الذى افتراه آباؤهم من قبل ، فاستحلوا أموال العرب فى فلسطين العربية واغتصبوها جهارا نهارا ، ولم يراعوا فى ذلك أى حق من حقوق الإنسان ، واستغلوها فى صنع وشراء آلات الهلاك والدمار ، ولمن ؟ للعرب ، ولأبناء البلاد المشردين فى الصحارى والعراء .

وهأنذا أكتب هذا المقال وقد وافتنا الأنباء الموثوق بها باستيلاء المزعومة إسرائيل على ثمانين ألف دونم من أملاك البقية الباقية من عرب فلسطين فى منطقة الجليل بحجة استغلالها فى مناوراتهم الآثمة المجنونة ، وكان أصحاب هذه الأرض الشاسعة يستغلونها فى الزراعة ، فأصبحوا بعد اغتصابها مهددين بالجوع والعرى والفناء ، فإلى متى يا أرحم الراحمين ويارب المستضعفين يستمر هذا البلاء ؟ .

وقد سولت لليهود عداوتهم للعرب أن حرفوا صفات النبي العربى الأمى التى يجدونها مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل حتى لا تقوم عليهم الحجة برسول يبعث من العرب . ومن تناقضهم وعجيب أمرهم أنهم كانوا يستفتحون على العرب من الأوس والخزرج ، ويقولون لهم : « إنه قرب زمان نبى يبعث فى آخر الزمان سنتبعه وسنقتلكم معه قتل عاد وإرم » فلما جاءهم النبي العربى المؤيد بالوحى والمعجزات الباهرات كفروا وعاندوا ،

---

(١) آل عمران الآيتان ٧٥ ، ٧٦

ولم يألوا جهدا فى عداوته والكيد له ، قال سبحانه : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » الآية (١) .

تحريفهم للتوراة :

وكما حرفوا صفات النبي صلوات الله وسلامه عليه حسدا وحقدا حرفوا بعض أحكام التوراة طمعا فى الرشا والسحت ، وذلك مثل ما فعلوا فى رجم الزانى المحصن ، وقد كان هذا حكم الله سبحانه فى التوراة ، ثم بدأوا يتلاعبون بكتاب الله المنزل على موسى عليه السلام ، فكانوا إذا زنى فيهم شريف يطمعون فى ماله وجاهه تركوه ، وإذا زنى فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، واتخذوا هذا سبيلا إلى أكل أموال الناس بالباطل ، ثم انتهى بهم الأمر إلى أن غيروا حكم الرجم إلى التحميم والجلد ، واستمر أمرهم على هذا حتى بعث النبى الأمى العربى ، فلما هاجر واستقر به المقام بالمدينة زنى منهم رجل وامرأة ، فجاءوا إليه يستفتونه فى أمرهما رجاء أن يحكم بالجلد ، فأخبرهم أن حكم الله الرجم ، وتحداهم أن يأتوا بالتوراة إن كانوا صادقين فيما يزعمونه من أن حدهم الجلد .

روى الإمام مالك فى موطئه والإمام البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ويجلدون . فقال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما . ورواه الإمام مسلم بنحو من هذا ، وروى الإمام أحمد بسنده عن البراء بن عازب قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم (٢) مجلود ، فدعاهم فقال : أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟ فقالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال : أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون

(١) سورة البقرة الآية ٨٩

(٢) فى المصباح المنير : « وحممت وجهه تحميما إذا سودته بالفحم » وهذا التحميم مما ابتدعوه .

حد الزانى فى كتابكم ؟ فقال : لا والله ، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد . فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئا نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله عز وجل : « يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . سماعون للكذب أكالون للسحت ، فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين . وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » [١] .

فاليهود ـ قبحهم الله ـ كانوا يحرفون التوراة تارة بتغيير الألفاظ وإزالتها ، وتارة بتعطيل بعض أحكامها أو بحملها على غير محملها الصحيح ، وهكذا وصل بهم الإيغال فى الباطل والخضوع للهوى والشهوات إلى تحريف كتاب الله الذى استحفظوا عليه ، وصدق الله « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (٢) .

وقد توعدهم الله سبحانه على تحريفهم التوراة طمعا فى عرض زائل فقال : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم [٣] »

قال عكرمة : « نزلت فى رءوس اليهود كتموا ما عهد الله إليهم فى التوراة فى شأن محمد

---

(١) سورة المائدة الآيات ٤١ ــ ٤٣
(٢) سورة آل عمران الآية ٧٨
(٣) سورة آل عمران الآية ٧٧

صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفو أنه من عند الله لئلا يفوتهم المـأكل والرشا التى كانت لهم من أتباعهم » .

وألزمهم الله اللعنة وقسوة القلب فقال : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين »(١)

وهاهو التاريخ يعيد نفسه ، ونجد اليهود يحرفون نصوص المعاهـدات والمهادنات ويفسرونها تبعا لأهوائهم وشهواتهم ، وكثيرا ماينسون حظا ممـا يذكرون به وينذرون . وإن قوما بلغت بهم الجرأة على الله جل جلاله أن يغيروا ويحرفوا كلامه وعهوده لا ينتظر منهم بالنسبة إلى الخـلق إلا أن يحرفوا فى العهود ما شاء لهم هواهم أن يحرفوا ، ولا عجب اذا كان مامن يوم يمر إلا ونطلع منهم على خيانة وغدر ونكث للعهود ، ولم يعد يفيد معهم الصفح والإغضاء ، فقـد قطع منهم كل أمل فى الوفاء ، ولم يبق إلا الاقتصاص منهم والانتصار ، وإجلاؤهم عن الأرض الطيبة المباركة حتى يعود إليها أهلها فى أمن وسلام ، وليس هذا اليوم ببعيد إن شاء الله ؟

(يتبع)

الدكتور
محمد محمد أبو شهبة
المدرس بكلية أصول الدين

تصحيح

جاء فى كلمتى بالعدد السابق من المجلة بعنوان « السفير الأزهرى » أن الشيخ محمد عبده نفاه الخـديوى عباس من مصر . وهـذا سهو ؛ والحقيقة أن الذى نفاه من مصر هو الخديوى توفيق .

وإنا لنشكر للأخ السيد محمد طاهر اللاذقى لفت نظرنا لذلك .

أبو الوفا المراغى

(١) المائدة الآية ١٣

الحسد والأثرة
وأثرهما فى فساد المجتمع
من قصة ابنى آدم

فى الماضى البعيد ، عند مطلع الحياة البشرية المنسابة فى الوجود ، ظهرت هذه القصة المثيرة ، التى تختلط عناصرها بعوامل البغى والحسد والأنانية الرعناء ، لتفتح على الإنسانية البادئة فى أوائل أيامها طريقا غير معلوم النهاية للفساد والشر والمظالم الكبرى .

إنها قصة قابيل وهابيل ولدى آدم عليه السلام ، من منا لم يسمع بهذين الاسمين ؟ كان قابيل شخصية ضعيفة تمتزج بها عناصر الشر ، وتسيطر على تصرفاتها نزوات الإثم والطمع ، والتمرد على حكم الحق ، وكان أخوه هابيل رجلا صالحا تقيا يطمئن نفسه للحق ، وتتمرد ولكن على دواعى البغى والعدوان وشطط النفس الأمارة بالسوء ، وقد وقع بينهما ذلك الصراع الأبدى الذى لا بد أن يقع بين هذين الوجهين المتقابلين فى سيرة الحياة أبدا .

وكما تظهر حواء دائما أو فى أكثر الأحوال فى كل نزاع يقع بين الناس على هذه الأرض ، فقد ظهرت هذه المرة على أشد ما تكون فتنة وإغراء فى مجال الخصومة الدامية - أول خصومة دامية - بين هذين الأخوين ، وهما لم يزالا ضيفا جديدا على الأرض البيضاء على الفطرة البكر ، لا يعرفان بغضا ولا إثما ولا قتلا ولا دما .

كان آدم عليه السلام ينجب أولاده - فى بدء الخليقة - مثنى مثنى ، ذكرا وأنثى طبقة بعد طبقة ، وكان يزوج الابن الأكبر من الطبقة الأولى أخته الصغرى من الطبقة التى تليه ، ويزوج الأخ الأصغر أخته الكبرى من الطبقة التى تعلوه ، هكذا قضت عليهم الاحتياجات الملحة للتعمير والإكثار من النسل - يوم كانت الأرض فضاء مترامبا - أن يفعلوا .

وكان لابد — بناء على هذه الشريعة السائدة — أن يتزوج قابيل الأخ الأكبر توأم هابيل أخته الصغرى ، وأن يتزوج هابيل توأم قابيل أخته الكبرى .

وهنا تبرز مشكلة المرأة الجميلة من أول يوم فى حياة الإنسان ، كما تبرز بعد ذلك فى حياته دائما ، تجر أكثر مشاكل الدنيا وراءها ، فأن قابيل وجد الزوجة المنتظرة لأخيه هابيل جميلة رائعة ، بينما الزوجة التى يراد له أن يقترن بها — وهى توأم هابيل — دميمة قبيحة لم يقسم لها حظ من الحسن والبهاء ، فرفض قبولها ، ومد عينيه إلى فتاة أخيه الجميلة الحسناء ، وتحركت فى ظلمات صدره عقارب الحسد المغتال ، وصمم على انتزاعها منه قسرا ـ كيفما كان الأمر ـ متحديا بذلك الشريعة والرحم وطاعة الوالدين ، وانتهى نبأ هـذا الشر الـكاشر عن أنيابه إلى آدم عليه السلام أبيهما الذى هبط من الجنة ، لينشئ هو وذريته عمارة الدنيا ، فأمرهما أن يقرب كل منهما إلى الله قربانا ، فمن قبل الله قربانه فقد حكم له بزواج الأخت الجميلة ، وفى هذه المرة أيضا لم يحظ قابيل بحكم الله له ، فازدادت نفسه حسدا وحنقا ، وكأنما رأى بمنطق المخذولين التعساء أن الله يتحداه برفض قربانه ، وقبول القربان من أخيه هابيل ، فأقبل عليه وملء نفسه حقد وثأر ، يتوعده بالقتل : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين » قال أهل العلم بالتفسير : إن قابيل كان زارعا وإن هابيل كان راعيا ، فلما تقدما للقربان اختار هابيل أحسن رأس من الغنم عنده فقدمه إلى الله طيبة به نفسه ، فقبله الله منه ، وعمد قابيل — ولم يفارقه طمعه ولا أنانيته — إلى مقدار من الحنطة بخمله — على استكراه منه — لله قربانا ، فرده الله عليه ، لأن الله إنما يتقبل القربان من عباده المتقين الذين يحملون فى أنفسهم معنى العبودية الصادقة ولا يمنون على الله بما يفعلون .

لقد كانت كلمة التقوى وحـــديث المتقين فى لسان هابيل وهو يخاطب أخاه قابيل جديرا أن يـكسر إرادة الشر فى نفسه ، ولـكن هيهات ، فأنه الحسد قلما يجـــدى معه علاج ، فلم يزل الشقى الحانق على إرادة القتل والتوعد به ، فقال له الرجل الصالح : « لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إنى أخاف الله رب العالمين ، إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين » .

لم يـكن الصراع فى الحقيقة بين قابيل وهابيل ، ولـكنه كان صراعا من قابيل مـع

نفسه : مع النوازع الشريرة والإرادات الخبيثة ، والشهوات العارمة المسلطة ، وكان الواجب أن يعمد قابيل الى هذه الشهوات والإرادات التى تسومه سوء المهانة والعذاب وتتقحم به أسنة الرماح ، فيقتلها ويتخلص من أسرها ، ولكنه عجز . . . عجز أمام ضعفه ، وطغيان شهواته ، وتحول معنى القتل الذى كان يطلب منه لشهواته الى قتل أخيه « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » . وهذا أعنف ضروب الحسد : الحسد على الفضيلة ، والحسد على الاستقامة ، حينما تستشعر بعض النفوس الخبيثة المنحلة أن مثال الفضيلة والقوة الخلقية فى شخص يقوم بإزائها — فيكون محض ظهوره كافيا فى تحقيرها وكشف ضعفها ، فلا تجد سبيلا لضمان وجودها وستر نقائصها إلا أن تزيل من فوق الأرض مثلا نورانيا رفيعا .

كانت هذه أول جريمة قتل وقعت فى الدنيا ، كان قابيل يترصد أخاه فى كل مكان ليقتله ، فراغ منه الفتى فى رءوس الجبال ، فما زال يتتبعه حتى وجده نائما ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وتركه بالعراء — أول دم سفك على الأرض من ولد آدم ، وتتابعت على أثره دماء القتلى جميعا ، أول اغتيال تلوث به ضمير الإنسان — فى فجر مولده — فلم يتهيب الاغتيال ولا الجريمة بعد ذلك أبدا .

وأمسى قابيل القاتل الأول الذى شرع جريمة القتل للناس كافة ، فكل دم سفك بعد فعلته فعليه وزر منه ، فعن النبى صلى الله عليه وسلم : لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه كان أول من سن القتل . وكان عبد الله بن عمر يقول : « إن أشقى الناس رجلا لابن آدم الذى قتل أخاه ، ما سفك دم فى الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيامة إلا لحق به منه شىء ، وذلك أنه أول من سن القتل » .

هذه سلسلة من الجرائم والكوارث الكبيرة إذا نظرتم لأصلها ألفيتموه الحسد وحب الذات ، وقانا الله وإياكم شرورهما . م

محمد سعاد جلال
دكتور فى الشريعة الإسلامية
ومدرس بالأزهر

حكم المـــرتد

فى الشريعة الاسلامية

كنت كتبت مقالا بعنوان: متى يجوز الاجتهاد ومتى لايجوز ؟، بمناسبة ما نشره الشيخ عبد الحميد بخيت فى إباحة الفطر وشروطه ، وقد نشر هذا المقـال فى مجلة الأزهر [١] وجريدة الجمهورية . ثم اطلعت على كتيب مطبوع بعنوان اجتهاد جديد للشيخ عبد المتعال الصعيدى الأستاذ فى كلية اللغة العربية . وقد ذكر فيه مقالى المشار إليه، وعقب عليه بأمور خمسة ، مهد لها بتمهيد رمانى فيه وأمثالى من غالب علماء الأزهر بالجمود ، وأننا سبب ضعف المسلمين ، وقال: إن خطأ الشيخ بخيت يهون فى جانب خطئهم وجمودهم .

ولمـا كان مسلكه فى هذا التعقيب لا يجوز غض النظر عنه رأيت من الواجب على تنبيه المسلمين إلى ما فيه من الخطورة على أحكام الشريعة ، فانه لو اتخذ مثل هذا المسلك فى أى حكم شرعى متفق عليه بين المسلمين لأمكن إنكاره والقول بخلافه، ذلك أنه لم يبال باجماع الأئمـة ، ولم يراع ما تقرر فى العلوم الشرعية والعربية حتى البديهى منها الذى لايجهله صبيان المكاتب . وقد تشبث بشبه لا تخلو الأدلة عن مثلها .

وإنى أبدأ بالتعقيب الثانى لأنه أهمها وأخطرها ، قال ما نصه بالحرف :

« وهو ثانيا يرى أن حكم المرتد القتل لأنه هو المشهور عنده وعند أمثاله من علمـاء الأزهر، وهو المقروء فى كتب الفقه الأزهرية، وهو الذى قال به الأئمة الأربعة ، ولاقيمة لقول غـيرهم فى ذلك عندهم وإن كان هو المناسب لروح الشريعة الإسلامية ، فيجمدون على هذا ولا يرون شيئا خلافه، لأنهم لم يدرسوه فى كتبهم ، مع أن المرتد فيه أقوال كثيرة: منها أنه يستتاب أبدا ولا يقتل ، وقد استدل من ذهب إليه بمـا روى عن أنس بن مالك أن أبا موسى الاشعرى قتل جحينة الكذاب وأصحابه، قال أنس: فقدمت على عمر بن الخطاب فقال : مافعل جحينة وأصحابه ؟ قال: فتغافلت عنه ثلاث مرات ، فقلت: يا أمير المؤمنين وهل كان سبيل الا القتل ؟ فقال عمر : لو أتيت بهم لعرضت عليهم الاسلام . فأن تابوا

---

(١) شوال ١٣٧٤ ص ١١٤٣ .

وإلا استودعتهم السجن . وكذلك استدل بما رواه ابن مسعود فى الرجل القائل : إن رسول الله لم يعدل ، ولا أراد وجه الله فيما عمل . فان هذا كفر وردة ، ومع هذا لم يمكن من أراد قتله من أصحابه من قتله . وقد رويت أخبار فى مثل هذا من الكفر والردة ولم يرد فى شىء منها أن من ارتد تاب من ردته ولا أنه قتل ولا أنه سجن ولا أنه استتيب . ولنا أن نأخذ من هذا أنه لا يستتاب أيضا . وقد ذهب الحنفية إلى أن المرأة المرتدة لا تقتل ، واستدلوا بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من النهى عن قتل النساء لما رأى امرأة مقتولة وقال : ما كانت هذه لتقاتل . ويمكننا أن نأخذ من هذا أن من ورد فى الأحاديث قتله من المرتدين كان مقاتلا ، فيكون قتله لأنه مقاتل ، لا لأنه مرتد . ويمكن أيضا حمل ما ورد من قتل المرتد على من يرتد من العرب لأنهم خاصة لا يقبل منهم إلا الإسلام ، وكان هذا لسبب سياسى لا لسبب دينى ، لأنه أريد جعل جزيرة العرب وطنا خالصا للمسلمين حتى يقضى على كل أسباب الفتن فيها ، وتكون ملجأ للمسلمين إذا أصيبوا فى غيرها . ولا شك أن عدم قتل المرتد هو المناسب لما جاء به الإسلام من الحرية الدينية ، لأن الدعوة فيه إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة لا بقتال أو غيره من وسائل الإكراه . وقد نفى القرآن الإكراه فى الدين نفيا صريحا بقوله فى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وقوله فى الآية ٢٩ من سورة الكهف : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . ولكن علماء الأزهر لا يزالون يصرون ـ إلا النادر ـ على أن هذا منسوخ بآيات القتال الخ ما قال مما لا فائدة فى نقله .

هذا ما قاله الأستاذ بالحرف ، وإنى سأذكر ما قيل فى شأن المرتد من مواطن الخلاف وموطن الوفاق بين جميع الأئمة ، لا الأئمة الأربعة فقط ، مقتصرا فى مواطن الخلاف على مجرد الحكاية من غير تعرض لمدارك الأئمة فيها . وأما موطن الوفاق فسأذكر فى شأنه كلام الأئمة فى حكاية الإجماع ، وأبين الشبه التى يشتم منها رائحة الخلاف فى هذا الحكم المجمع عليه والتى تشبث بها هذا المجتهد الجديد ثم أبطلها ، ثم أذكر الأدلة الشرعية التى استند إليها جميع الأئمة مع الإشارة إلى إدحاض ما حاوله من تحويلها عن مجراها الطبيعى ، ثم أذكر الشبه التى تشبث بها والتى يشتم منها رائحة المعارضة لهذه الأدلة ، ثم أكر كرا عنيفا على ما تخيله من الأدلة على ما ادعاه من الحكم المخالف للاجماع .

ما قيل فى شأن المرتد

أجمع أئمة المسلمين ـ من صحابة وغيرهم ـ على أن الرجل المرتد عن دين الإسلام يقتل

بردته ، واختلفوا فى المرتدة : فذهب الجمهور إلى أنها تقتل كالمرتد ، وذهب أبو حنيفة وأصحابه والثورى وابن شبرمة وابن علية إلى أنها لا تقتل ، وروى ذلك عن ابن عباس ، واختلفوا أيضا : فقيل يقتل المرتد مطلقا حالا من غير استتابة ، وقيل لا يقتل مطلقا إلا بعد الاستتابة ، وقيل إن كان زنديقا يقتل من غير استتابة ، وإن كان غيره لا يقتل إلا بعد الاستتابة ، واختلف القائلون بالاستتابة : فقيل يستتاب مرة ، وقيل ثلاث مرات : قيل فى مجلس واحد أو فى يوم واحد أو فى ثلاثة أيام ، وعن على أنه يستتاب إلى شهر وقيل أكثر ، وعن إبراهيم النخعى يستتاب أبدا ، وسنذكر ما فيه .

حكاية الاجماع على قتل الرجل المرتد

أولا : قال ابن عبد البر فى التمهيد فى الكلام على حديث «من بدل دينه فاقتلوه » : وفقه هذا الحديث أن من ارتد عن دينه حل دمه وضربت عنقه ، والأمة مجمعة على ذلك . وإنما اختلفوا فى استتابته ، وبعد أن ذكر الخلاف فى الاستتابة وفى المرتدة قال : وروى عثمان ابن عفان وسهل بن حنيف وعبد الله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعائشة وجماعة من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لايحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، أوزنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس »فالقتل بالردة على ما ذكرنا لا اختلاف بين المسلمين فيه، ولا اختلفت الرواية والسنة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه، وإنما الاختلاف فى الاستتابة وفيما ذكرنا من المرتدة اه

ثانيا : قال صاحب المغنى من فقهاء الحنابلة : وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد ، وروى ذلك عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاذ وأبى موسى وخالد وغيرهم ، فلم ينكر ذلك ، فكان إجماعا اه .

ثالثا : قال ابن دقيق العيد فى شرح العمدة : فراق الرجل بالردة عن دينه سبب لإباحة دمه بالإجماع . واختلف الفقهاء فى المرتدة اه . هذا بعض ما قيل من حكاية إجماع أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة فقط على وجوب قتل المرتد .

ما يشتم منه رائحة الخلاف فى قتل المرتد

أولا : نقل عن إبراهيم النخعى أنه قال : يستتاب المرتد أبدا ، فيفهم من ظاهر كلامه أنه يرى أن الرجل المرتد لا يقتل . وقد اغتر بهذا الظاهر صاحب المغنى فقال ـ

بعد أن حكى الاجماع كما سبق - : وقول النخعي يستتاب أبدا ، وهذا يفضى الى أنه لا يقتل أبدا ، وهو مخالف للسنة والإجماع اهـ . وكذلك اغتر به ابن حزم فقال فى المحلى : وقالت طائفة يستتاب أبدا ولا يقتل ، ورد عليه بقوله : ولو صح هذا لبطل الجهاد جملة ، لأن الدعاء كان يلزم أبدا مكررا بلا نهاية ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، وليس دعاء المرتد - وهو أحد الكفار - بأوجب من دعاء غيره من الكفار الحربيين ، فسقط هذا القول اهـ . ويظهر أن المجتهد الجديد اغتر بكلام ابن حزم فحكى ما حكاه من الخلاف .

والتحقيق أن هذا الظاهر من كلام النخعي غير مراد ، لأنه لا معنى للاستتابة الدائمة إذا لم يترتب على عدم الإجابة شيء ، فيتعين حمله على أنه يستتاب أبدا كلما رجع إلى الردة ، ولذلك قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : وعن النخعي يستتاب أبدا ، كذا نقل عنه ، والتحقيق أنه فيمن تكررت منه الردة اهـ . يعنى أنه إذا ارتد يستتاب فأن لم يتب قتل ، وإن تاب ترك . فأن رجع وارتد ثانيا يستتاب ، فأن لم يتب قتل ، وإن تاب ترك ، وهكذا . هذا هو المعنى المعقول من كلام النخعي . وقد روى البيهقى فى السنن الكبرى بسنده هذا المعنى عن النخعي أى أنه قال : المرتد يستتاب كلما رجع . والدليل الصحيح الواضح على مراد النخعي ما ذكره البخارى فى صحيحه تعليقا بصيغة الجزم فقال : وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم أى النخعي : تقتل المرتدة اهـ .

فاذا كان النخعي يقول بقتل المرتدة التى فيها خلاف ، فهو يقول بقتل المرتد من باب أولى . على أن الحافظ ابن حجر حينما بين أئمة الحديث الذين وصلوا هذا التعليق ظهر منه أن بعض الروايات عن النخعي بهذا النص : إذا ارتد الرجل أو المرأة عن الإسلام استتيبا ، فأن تابا تركا ، وإن أبيا قتلا اهـ . فلا حاجة بنا الى القياس الأولوى على المرتدة . فيتعين مما ذكرناه أن النخعي كغيره يقول بوجوب قتل المرتد إن لم يتب ، وأن معنى ما نقل عنه من قوله : « يستتاب أبدا » أنه يستتاب كلما رجع . والله أعلم .

ثانيا : ما رواه البيهقى فى السنن الكبرى وابن عبد البر فى التمهيد وابن حزم فى المحلى عن أنس بن مالك قال : إن نفرا من بكر بن وائل ارتدوا عن الإسلام يوم تستر ولحقوا بالمشركين ، فلما فتحت قتلوا فى القتال ، فأتيت عمر بفتحها فقال : ما فعل النفر من بكر بن وائل ؟ فعرضت فى حديثه لأشغله عن ذكرهم ، فقال : ما فعل النفر من بكر بن وائل ؟ قلت : قتلوا . فقال لأن أكون أخذتهم سلما أحب إلى مما طلعت الشمس من بيضاء أو صفراء . فقلت : وهل كان سبيلهم إلا القتل ؟ ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين . قلت :

اعرض عليهم أن يدخلوا فى الباب الذى خرجوا منه فأن فعلوا قبلت منهم، و إلا استودعتهم السجن . اه ، وهـذا لفظ رواية ابن عبد البر ، واللفظ الذى أورده المجتهد الجديد لفظ ابن حزم ، وظاهر هذه الرواية عن عمر أنه يرى عدم قتل المرتد فى الحال، بل يرى سجنه ، ولكنه لم يبين فى هذه الرواية غاية سجنه : هل يسجن مدة معينة فأن لم يتب بعدها يقتل ، أو يخرج من السجن من غـير قتل ، أو يسجن مؤبدا فلا يخرج من السجن إلا إن تاب ، كل محتمل . وقد ورد عن عمر ما يعين مدة سجن المرتد بثلاثة أيام فأن تاب و إلا قتل ، فقد روى مالك فى الموطأ قال : قدم على عمر بن الخطاب رجل من قبل أبى موسى الأشعرى ، فسأله عمر عن الناس ، فأخبره ، ثم قال له عمر : هل من مغربة خبر ؟ قال : نعم ، رجل كفر بعد إسلام . قال فماذا فعلتم ؟ قال قربناه فضربنا عنقه ، قال عمر : هلا حبستموه ثلاثا وأطعمتموه كل يوم رغيفـا واستتبتموه فلعله يراجع أمر الله ، اللهم إنى لم أحضر ولم آمر ولم أرض إذ بلغنى ، وفى رواية كما فى التمهيد لابن عبد البر قال : قـدم وفد أهل البصرة على عمر فأخبروه بفتح تستر ، فحمد الله ثم قال : هل حدث لكم حدث ؟ قالوا : لا والله يا أمـير المؤمنين ، إلا رجل ارتد عن دينه فقتلناه ، فقال : ويلكم ، أن تطينوا عليه بيتا ثلاثا ، ثم تلقوا إليه رغيفا ، فأن تاب قبلتم منه ، و إن أقام كنتم أعذرتم إليه ، اللهم إنى لم أشهد ولم آمر ولم أرض إذ بلغنى . اه ، فهـذا يدل على أن عمر يرى وجوب الاستتابة و إمهاله ثلاثة أيام مع سجنه فيها ، فأن تاب و إلا قتل ، فتحمل الرواية المطلقة على ذلك . وقد استدل ابن القصار - كما فى فتح البارى - بهـذا الأثر عن عمر لما قاله الجمهور من وجوب الاستتابة ثلاثة أيام، وادعى أن عمر قاله بمحضر الصحابة ولم ينكر عليه، فكان إجماعا ، اه . هذا ما يمكن أن يتخيل فيه وجود خلاف بين المسلمين فى وجوب قتل المرتد ، وقد تشبث به حضرة المجتهد الجديد، ففهم منه الخلاف تبعا لابن حزم الذى اغـتر بمـا نقل عن النخعى ، وكان الواجب استيفاء البحث ليوفق بينه و بين من نقل الإجماع .

الادلة الشرعية التى تعتبر سندا للاجماع

أولا : قوله صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » أخرجه البخارى وأصحاب السنن ، وكلهم أخرجوه فى ضمن قصة إحراق على لبعض الزنادقة ، إلا ابن ماجه فاقتصر على هذا اللفظ .

ثانيا : قوله صلى الله عليه وسلم : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ،

أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس » أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما بألفاظ متقاربة . وقال ابن عبد البر فى التمهيد كما تقدم : ورواه عثمان بن عفان وسهل بن حنيف وعبد الله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعائشة وجماعة من الصحابة اهـ .

ثالثا : ما أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى الأشعرى إلى اليمن ثم أتبعه معاذ بن جبل ، فلما قدم عليه ألقى إليه وسادة قال : انزل . فاذا رجل موثق عنده . قال : ما هذا ؟ قال : كان يهوديا فأسلم ثم تهود . قال : اجلس . فقال : لا أجلس حتى يقتل . قضاء الله ورسوله . فأمر به فقتل . وفى رواية زيادة بعد قوله : « قضاء الله ورسوله » هى قوله : إن من رجع عن دينه ـ أو قال بدل دينه ـ فاقتلوه .

هذه بعض الأدلة الشرعية التى تعتبر سندا للاجماع . ومن المعلوم أن الصحابة عملوا بمقتضى هذه الأدلة ، فان أبا بكر رضى الله عنه حارب أهل الردة باتفاق الصحابة ، وذلك معروف ومشهور . وأخرج ابن عبد البر فى التمهيد أن عليا أتى بالمستورد العجلى وقد ارتد عن دين الإسلام ، فاستتابه فأبى ، فقتله . وأخرج أيضا أن عليا أخذ رجلا من بكر ابن وائل تنصر بعد الإسلام فعرض عليه الإسلام شهرا فأبى فأمر بقتله . ثم إن هذه الأحاديث الدالة على وجوب قتل المرتد وآثار الصحابة التى تفيد العمل بمقتضاها ليس فيها ما يشتم منه رائحة حملها على المرتد المقاتل ولا على المرتد من العرب الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام ، كما يقوله حضرة المجتهد الجديد، ومن الواضح أن المقاتلين سواء كانوا مرتدين أو كفارا أصليين أو مسلمين بغاة يجب قتالهم على الوجه المقرر فى الشريعة، وهذا حكم آخر بأدلة أخرى غير هذه الأدلة التى وردت فيمن بدل دينه وكفر بعد إيمان ، ولو كان فردا واحدا لم يقاتل . والمرتد الذى نفذ فيه القتل أبو موسى الأشعرى كطلب معاذ كان أصله يهوديا فأسلم ثم ارتد ، فلم يكن من العرب الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام .

ما يتخيل فيه المعارضة لهذه الأدلة

أولا : ما أخرجه البخارى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : لما قسم النبى صلى الله عليه وسلم قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فتغير وجهه فقال : رحم الله موسى لقد أوذى بأكثر من هذا .

ثانيا : ما أخرجه البخارى وغيره عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يقسم جاء عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى فقال : اعدل يا رسول الله . فقال : ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قال عمر بن الخطاب : ائذن لى فأضرب عنقه . فقال : دعه فأن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية اه .

ووجه المعارضة أن الذى صدر من هذين الرجلين فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر كفرا وردة ، ومع ذلك لم يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتلهما ولا باستتابتهما ، ومنع عمر من قتل الثانى ، فدل ذلك على أن المرتد لا يقتل بل ولا يستتاب كما رآه حضرة المجتهد الجديد .

والجواب عن ذلك : أما عن الرجل الأول فأنه كان من المنافقين ، واسمه معتب بن قشير من بنى عمرو بن عوف . ومن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى بدء الإسلام يتغاضى عن المنافقين وعما يحصل منهم من إيذاء حتى لا يعرف عنه أنه يقتل أصحابه فتنفر الناس عن الدخول فى الإسلام ، وكان يرجو أن يهديهم الله الى الإيمان كغيرهم ويعاملهم معاملة المؤمنين ويصلى على من مات منهم ، ولما استقر الإسلام وظهر أمره الله بجهادهم كمظهرى الكفر ، فقال الله تعالى : « يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين » ونهاه عن الصلاة عليهم فقال تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » .

هذا ــ واعلم أن ابن حزم فى المحلى ذكر المنافقين وما كان يحصل منهم فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه شبهة لمن يقول بعدم قتل المرتد وأطال الكلام فى ذلك ، وخلاصة ما أجاب به أن المنافقين أقسام : منهم من لم يكن يعرف الرسول عينه ، ومنهم من كان يعرفه ولكنه تاب . وأما من كان يعرفه وظهر منه مكفر ولم يتب ولم يقتله فلأن ذلك كان قبل تشريع قتل المرتد . وقد علمت أن مأخذ ابن حزم فى حكاية هذا القول هو ما نقل عن النخعى وسبق تحقيق القول فيه . وصاحبنا المجتهد الجديد تبع ابن حزم فى حكاية هذا القول والشبه التى أوردها ، ولم يتبعه فى رأيه فيها ، بل زاد عليه القول بعدم استتابة المرتد أيضا ، مع أن ابن حزم حكى الإجماع على ذلك ، وعبارته « والأمة مجمعة على إكراه المرتد عن دينه ، فمن قائل يكره ولا يقتل ، ومن قائل يكره ويقتل » اهـ .

وأما عن الرجل الثانى فان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عنه بأنه رأس الخوارج ،

وذكر صفاتهم وأحوالهم ومآلهم وأمر بقتلهم وقتالهم ، ووقع كما أخبر . وذلك من دلائل نبوته .

إلا أن صدور هذا الكلام من هذا الرجل رئيسهم كان قبل أن يستقر الإسلام ، فكان الحال داعيا للتألف لئلا ينفر الناس عن الإسلام ، وقد ورد فى بعض طرق هذا الحديث أنه حينما أراد عمر قتله ومنعه الرسول صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام : « لا أريد أن يسمع المشركون أنى أقتل أصحابى » وفى رواية : « معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى » ولذلك ذكر البخارى هذا الحديث تحت ترجمة (باب ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه) .

وقد صح عن أبى سعيد الخدرى راوى هذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن استقر الإسلام بعث إلى هذا الرجل على بن أبى طالب ليقتله فلم يجده ، والله أعلم .

(تفنيد الادلة التى تخيلها من بنات فكره على ما ادعاه من مخالفة الاجماع)

أما قوله : ولا شك أن عدم قتل المرتد هو المناسب لما جاء به الإسلام من الحرية الدينية ، فغير صحيح على إطلاقه ، لا بالنسبة للمسلمين ولا بالنسبة للكفار ، أما المسلمون فقد تقرر فى الشريعة عقوبات رادعة فى الدنيا من حدود وتعازير لكل من تعدى منهم حدود الله ، فتارك الصلاة يعاقب بالقتل أو الحبس ، ومانع الزكاة تؤخذ منه قهرا ، فأن كان له منعة وقاتل يقاتل ، وهكذا . فأين الحرية الدينية لهم ؟ . وأما الكفار فأن كانوا من أهل الكتاب وأمثالهم فالمطلوب منهم إما الإسلام وإما دفع الجزية احتراما لأصل دينهم ، وإن كانوا من غيرهم فالمطلوب منهم الاسلام فقط ، فأين الحرية الدينية المطلقة لهم ؟ .

وأما قوله : لأن الدعوة اليه إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، فهذا صحيح على الجملة ، لكن إن لم تفد الحكمة والموعظة الحسنة وعاند الكافر ولم يسلم ولم يدفع الجزية ـ إن كان من أهل الكتاب ـ أو وقف فى سبيل الدعوة على الرأى الحديث ـ فماذا يكون الحال ؟ أيترك حرا ولا يقاتل أم يقاتل ؟ !

وأما قوله : إن القرآن نفى الإكراه فى الدين نفيا صريحا واستدلاله بالآيتين الشريفتين ، فهذا من عجائب الأفكار وغرائب الأفهام . أما الآية الأولى فكلام الأئمة فيها مشهور ، فمنهم من قال : إن معناها لا إكراه من الله تعالى فى الدين ، ولا الجاء ولا قسر ، بعد أن تبين

الرشد من الغى ، وإنما جعل الأمر موكولا الى اختيارهم أحد النجدين : طريق الهدى والرشاد وطريق الغى والضلال ، ليتحقق الابتلاء والامتحان فى دار الدنيا ، ثم هو سبحانه وتعالى يجازى كلا حسبما فعل باختياره . وربما يتوهم أن هذا المعنى انما يتمشى على مذهب المعتزلة الذين يقولون بخلق العبد أفعاله الاختيارية ، وليس بصحيح ، بل يجرى على مذهب أهل السنة أيضا لأنهم يقولون : إن للعبد كسبا واختيارا هو مناط التكليف . ومنهم من قال : إنه خبر بمعنى النهى ، والمعنى لا تكرهوا أحدا على الإيمان ، وهى خاصة بأهل الكتاب ، فانهم مخيرون بين الإسلام ودفع الجزية ، وسبب نزولها يؤيد هذا الرأى . وهناك أقوال أخرى وكلها لا تمت الى المرتد بنسب ولا سبب .

وأما الآية الثانية فالجواب عنها هو مجرد تلاوتها بتمامها ، قال الله تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا »

ولا شك أن العامى الذى يسمع تلاوتها كل جمعة من قارئ (سورة الكهف) يفهم منها أن الغرض التهديد من الله تعالى للكافرين ، ولا يخطر فى باله أن المعنى على الإباحة والتخيير ، إذ لا معنى للوعيد الشديد حينئذ .

وقد رأيت كتابا صغيرا يدرس لتلاميذ المدارس الأولية أو الإعدادية فيه التمثيل للأمر الوارد للتهديد بهذه الآية ، فكيف يغيب عن أستاذ فى كلية اللغة العربية مالم يجهله صبيان المكاتب ؟ ! فاذا كان هذا مبلغ إدراكه فى اللغة العربية فكيف يصح أن يؤتمن على تدريسها ؟ هدانا الله وإياه الى سواء السبيل ؟

عيسى منون

عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقا

بحوث فى الحضانة

٢ — مدة الحضانة

١ — الغرض من الحضانة رعاية الصغير من وقت ولادته وحفظه وصيانته وتربيته والقيام عليه بكل ما يعود عليه بالمصلحة ، ولا يختلف فقهاء الشريعة فى أن للحضانة أمدا مقررا وغاية تنتهى إليها ، إذ يجمعون على أن الصغير أو الصغيرة يبقى كل منهما فى رعاية الحاضنة مدة محددة تنتهى بنهايتها حضانتها ، ولكنهم يختلفون فى هذا الأمد وتحديد مقداره رغم اتفاقهم على أنه حق مؤقت .

٢ — فيرى الحنفية أن هذا الأمد يختلف باختلاف نوع المحضون و باختلاف الحاضنة ، فالحضانة بالنسبة للصغير تنتهى إذا استغنى عن الحضانة واستقل بأموره وشئونه من غير اعتماد عليها ، بأن أصبح قادرا على الأكل والشرب واللبس وحده ، وأضحى لا يستعين بأحد فى استنجائه ووضوئه ، ومع اتفاقهم على أن استغناء الصغير هو الحد الفاصل بين الحاضنة والصغير إلا أن فقهاء المذهب يختلفون فى تقدير السن التى يستغنى فيها الصغير ، فالخصاف وغيره من فقهاء المذهب يقدرونها بسبع سنين ، اعتمادا على أن الغالب فى الصغير إذا بلغ السابعة من عمره أن يستغنى عن الحاضنة و يباشر أموره بنفسه من غير معونة أحد ، وقدرها بعض فقهاء المذهب بتسع سنين ، لكن الفتوى فى المذهب على تحديد ذلك بسبع سنين . وجميع الحاضنات فى ذلك سواء ، فلا فرق بين أن يكون الصغير عند الأم أو إحدى الجدتين و بين أن يكون عند غيرهن من الأخوات والخالات والعمات .

أما بالنسبة للصغيرة فأنهم يفرقون بين نوعين من الحاضنات ، فان كانت الصغيرة عند الأم أو إحدى الجدتين فان الحضانة تنتهى ببلوغ الصغيرة ، و بلوغها يتحقق بالعوارض الطبيعية من حيض أو احتلام فأن لم يكن احدهما فبالسن ، و إن كانت الصغيرة عند غير الأم أو إحدى الجدتين من الحاضنات فأن حضانتها تنتهى ببلوغها حدا تشتهى فيه ، وهو ما يعبر عنه البعض ببلوغها سن المراهقة ، وقد قدر بعض فقهاء المذهب هذا الحد بتسع سنين ، وقدره بعض آخر بأحدى عشرة سنة ، ولكن الفتوى فى المذهب على التحديد بتسع سنين . وهذا ظاهر الرواية فى المذهب .

ونقل عن محمد بن الحسن ـ وهو رواية عن ابي يوسف أيضا ـ أن الصغيرة إذا كانت عند الأم أو إحدى الجدتين فأن حضانتها تنتهى أيضا ببلوغها حد الاشتهاء ، وأنه لافرق بين أن تكون الصغيرة فى حضانة الأم أو إحدى الجدتين و بين أن تكون فى حضانة غيرهن ، أى أن جميع الحاضنات فى ذلك على قدم المساواة ، وهذا الرأى المنقول عن محمد وأبى يوسف هو الذى أفتى به فقهاء المذهب معللين ذلك بأن المصلحة تقتضى إنهاء حضانة الصغيرة فى هذه السن ودفعها إلى الأب لفساد الزمان ، وقد قدمنا أن بعض الفقهاء حدد هذه السن بتسع سنين وأن البعض الآخر حددها بأحدى عشرة سنة وأن الفتوى فى المذهب على التسع [١]

٣ — ويرى المالكية فى المشهور عنهم أن حضانة الصغير تنتهى بالبلوغ ، فأذا بلغ باحتلام أو إحبال أو غير ذلك انتهت حضانته ، وعلى الأب أن يتعهده عند أمه قبل البلوغ ، فينظر فى شئونه ويقوم بتربيته بأرساله إلى دور التعليم أو أصحاب الحرف ليتعلم منهم ، ونقل عن المالكية فى غير المشهور عنهم أن حضانة الصغير تنتهى باستغنائه ووصوله إلى السابعة كما يقول الحنفية ، أما الصغيرة فان حضانتها تنتهى بزواجها ودخولها ، أى أنها تستمر فى حضانة أمها بعد البلوغ إلى أن تتزوج ويدخل بها الزوج ، فلا تسقط حضانة الأم بمجرد عقد زواج المحضونة كما لا تسقط بالطلاق قبل الدخول ، فالمعول عليه فى إسقاط الحضانة وإنهائها هو الدخول ، لكن إذا دخل بها الزوج قبل البلوغ ثم طلقت وكان الطلاق قبل البلوغ أيضا عادت الحضانة إلى الحاضنة ولا كذلك فيما إذا طلقت بعد البلوغ [٢]

٤ — ويرى الشافعية أن الحضانة بالنسبة للصغير والصغيرة تنتهى متى صار كل منهما مميزا ، وقد اختلف فقهاء المذهب فى تحديد السن التى يتحقق فيها التمييز ، فقال البعض : إنها السن التى يصل فيها الصغير أو الصغيرة إلى حال يستطيع فيها أن يأكل وحده وأن يشرب وحده وأن يستنجى وحده ، وقال بعض آخر : إنه سبع سنين فى الغالب ، وقد يكون ثمانى

---

[١] الهداية وفتح القدير ج ٣ ص ٣١٦ ، ٣٠٧ ، حاشية ابن عابدين على الدر ج ٢ ص ٦٥٧ ، تبيين الحقائق للزيلعى ج ٣ ص ٤٩ .

[٢] حاشية الدسوقى على شرح خليل ج ٢ ص ٥٢٦ ، الحطاب على شرح خليل ج ٤ ص ٢١١ ، نيل الاوطار ج ٥ ص ٢٨١ ، الميزان الكبرى للشعرانى ج ٢ ص ١٣٣

سنين فى غير الغالب ، لكن المدار عندهم على التمييز، فاذا صار المحضون مميزا فان حضانته تنتهى ويخير بين أبويه كما سيأتى فى البحث التالى [١] .

٥ — ويرى الحنابلة أن حضانة الصغير والصغيرة تنتهى ببلوغ كل منهما السابعة من عمره ، فاذا وصل الصغير إلى هذه السن خير بين أبويه كما سيأتى فى البحث التالى ، وأما الصغيرة فانها لاتخير وإنما تدفع إلى الأب وجوبا ، وهناك روايات أخرى عن الحنابلة نقلها الشوكانى فى نيل الأوطار والشعرانى فى الميزان الكبرى ، ولكننا لم نعثر عليها فى كتب الحنابلة ، ولذلك أعرضنا عنها [٢] .

٦ — ويرى الليث بن سعد إمام أهل مصر أن حضانة الصغير تنتهى بوصوله إلى الثامنة من عمره ، أما الصغيرة فتنتهى حضانتها ببلوغها [٣] .

ويرى ابن حزم من فقهاء الظاهرية أن الحضانة تنتهى لكل من الصغير والصغيرة بالبلوغ ، فاذا ظهر على أحدهما علامة من علامات البلوغ الطبعية مع التمييز وصحة الجسم سقطت حضانة الحاضنة أما كانت أو غيرها ، ونص عبارته : « الأم أحق بحضانة الولد الصغير والابنة الصغيرة حتى يبلغا الحيض أو الاحتلام أو الإنبات مع التمييز وصحة الجسم سواء كانت أمة أو حرة ، تزوجت أو لم تتزوج ، رحل الأب عن ذلك البلد أو لم يرحل » [٤] .

٧ — ويتلخص مما قدمناه أن للفقهاء فى انتهاء مدة الحضانة أربعة مذاهب :

المذهب الأول : الوصول إلى حد الاستغناء، ويتحقق غالبا فى سن التمييز، وقدر ذلك بسبع سنين ، وهو مذهب الشافعية والحنابلة والحنفية بالنسبة للصغير فقط وللصغيرة فيما إذا كانت فى حضانة غير الأم والجدة فى بعض الروايات ، ويستدلون على رأيهم هذا بأن مهمة الحاضنة هى حفظ الصغير ورعايته والعناية به وتربيته لعدم قدرته وتمييزه ، فاذا وجد لديه التمييز والفهم وأمكنه الاستقلال بأمور نفسه وأضحت له القدرة على مزاولتها

---

[١] حاشية القليوبى وعميرة على شرح المنهاج حـ ٤ ص ٩١ ، مغنى المحتاج شرح المنهاج حـ ٣ ص ٤٥٦ .

[٢] المغنى لابن قدامة حـ ٥ ص ٦١٧ طبع المنار ، وانظر أيضا كشاف القناع ، نيل الأوطار حـ ٦ ص ٢٨٠ طبع الحلبى ، الميزان الكبرى للشعرانى حـ ٢ ص ١٣٣ طبع الأزهرية .

[٣] ، [٤] المحلى لابن حزم حـ ١٠ ص ٣٢٩ ، ٣٢٣ .

من غير معونة أحـــد ـ وغالبا يكون ذلك فى سن السابعة ـ انتهت مهمة الحاضنة ، كما يستدلون بمـا رواه أحمد وأبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا صبيانـكم بالصلاة لسبع سنين » (١) . فالأب مأمور بأن يأمر الصبي بالصلاة إذا بلغ السابعة من عمره ، وهـذا يقتضي أن يكون الولد عند أبيه فى هذه السن حتى يتحقق أمر الأب له بالصلاة على وجـه الـكمال ، كما يقتضى أن يكون الصغير قادرا على الاستقلال بنفسه مستغنيا عن غيره ، إذ لو لم يكن قادرا على مباشرة أموره بنفسه ومنها الصـلاة المحتاجة إلى التطهر بل قدر عليها بمعونة الحاضنة لمـا أمر بالصلاة ، لأن القدرة شرط التـكليف باتفاق الأصوليين ، والقادر بقـدرة الغير لا يعتبر قادرا .

وهناك رأى بتقدير هذه المرحلة بثمـانى سنين ، وهو رأى الليث بن سعد بالنسبة للصغير ورأى فى مذهب الشافعية ، كما أن هناك رأيا آخر بتقديرها بتسع سنين ، وهو رأى فى مذهب الحنفية ، ولعل وجهة نظر هؤلاء أن استقلال الصبي وتمـييزه لا يتحقق على وجه الكمال إلا فى الثامنة أو التاسعة من العمر ، ولـكننا قدمنا أن الراجح والمفتى به فى هذه المذاهب هو السبع .

٨ — المذهب الثانى : سن المراهقة ، وهو ما يعـبر عنه بحد الاشتهاء ، وهذا رأى عند الحنفية بالنسبه للبنت إذا كانت فى حضانة غير الأم أو إحدى الجدتين ، ورأى محمد وأبى يوسف فى البنت عنـد جميع الحاضنات ، وقد قدر بعض فقهاء المذهب ذلك بتسع سنين ، وقـدره بعض آخر باحـدى عشرة سنة ، ولكن الفتوى فى المذهب على التسع ، ووجهة نظر هؤلاء أن البنت وإن كانت فى حاجة إلى البقاء مع الحاضنات ـ لمـا سيأتى فى تعليل ظاهر الرواية ـ إلا أن فساد الزمان وكثرة الفساق يقتضيان أن تكون البنت عند من يحفظها ويصونها من عوامل الإغراء والفساد فى سن مبكرة قبل البلوغ ، ولا أقدر على ذلك من الرجال .

٩ — المذهب الثالث : البلوغ الطبعى بعلامة من علاماته المعروفة ، وهـذا رأى الظاهرية بالنسبة للولد والبنت ، ورأى المـالكية بالنسبة للولد ، ورأى الليث بن سعد بالنسبة للبنت ، وظاهر الرواية عنـد الحنفية فيما إذا كانت الحاضنة أما أو جدة ، ووجهة نظرهم

(١) نيل الأوطار جـ ١ ص ٢٦٠ .

ـ فيما عدا الحنفية ـ أن المحضون لايستغنى عن الحاضنة استغناء كليا ولا يستقل بجميع أموره استقلالا تاما إلا بالبلوغ ، فهو إن استقل ببعض الأمور لكنه محتاج إلى المعونة والرعاية فى البعض الآخر ، ولذلك لم توجه إليه الشريعة جميع التكاليف وتعتبره مسئولا عن جميع التصرفات إلا عند بلوغه ، وهـذا دليل كماله واستغنائه عن غيره ، أما وجهة النظر عنـد الحنفيـة فهى أن الصغيرة تستغنى وتستقل بأمورها فى سن السابعة ، ولـكنها بعد هـذا الاستغناء فى حاجة إلى أن تتعلم آداب النساء فى التدبير المنزلى وغيره من غسل وطبخ وخبز وكى وما إلى ذلك ، والنساء أقدر على ذلك من الرجال و به أدرى وأهـدى ، فاذا بلغت احتاجت إلى التحصين والحفظ ، والرجل على هذا النوع أقدر وأبصر .

١٠ — المذهب الرابع : وقت الزفاف ، وهذا رأى المالكية بالنسبة للمحضونة فقط ، ولعل وجهة نظرهم فى ذلك أن المحضونة ما دامت لم تتزوج فهى فى حاجـة إلى الرعاية والإشراف من النساء ولا تستغنى عنهن نهائيا إلا بزفافها على زوجها ، إذ بهذا تعتبر ربة بيت ، والعادة الغالبة أن البنت لا تتزوج إلا إذا كانت قادرة على القيـام بأمور بيتها من غـير استعانة بأحد .

١١ — هذه هى المذاهب المختلفة فى إنهاء مدة الحضانة ، ووجهة النظر التى بنى عليها الفقهاء آراءهم . ولكننا نلاحـظ على رأى المالكية ببقـاء البنت فى حضانة الحاضنة حتى الزفاف الأمور الآتية :

(١) أن الغرض من الحضانة وهو الحفظ والتربية لا يمكن أن يبقى بحال إلى السن التى تتزوج فيها المحضونة ، إذ غاية الحضانة تنتهى باستقلالها عن الحاضنة ونيلها شيئا من آداب النساء ، وهذا يتحقق قبل الزواج بمرحـلة كبيرة ، فالقول بامتـداد الحضانة إلى زواج المحضونة وزفافها قول لا يتحقق فيه الغرض المقصود من الحضانة فيكون باطلا .

(٢) أن الصغيرة إذا وصلت إلى سن المراهقـة احتاجت إلى من يصونها ويحفظها ويثقفها ، والرجال أقدر على ذلك من النساء ، وما نظن أن المرأة ـ وخصوصا فى مجتمعنا الحالى ـ قادرة على ذلك على وجه الكمال .

(٣) ما يقوله ابن حزم من أن : « البنت قد تزوج وهى فى المهد ، وقد لا تتزوج وهى

بنت تسعين سنة ، ورب بكر أصلح وأنظر من ذوات الأزواج ، وبضرورة الحس يدرى كل أحد أن الزواج لم يزدها عقلا لم يكن ، ولا صلاحا لم يكن » [١]

(٤) أن عرف الناس الذى لا ينكر أن البنت تخطب من وليها لا من الحاضنة لها ، وهذا يقتضى أن تكون البنت عند أبيها فى ذلك الوقت لا عند الحاضنة .

(٥) أن القول ببقاء البنت فى الحضانة حتى الزفاف معناه سلب الأب ولاية الإشراف على تربية بناته ، لأنها إذا استمرت فى الحضانة الى الزفاف ثم انتقلت الى بيت زوجها – وللزوج الإشراف والرعاية – فأنى يكون للأب إشراف على بناته أو توجيه ؟ وفى هذا ضرر خطير بالمجتمع ، وأى بلاء أنكى وأفتك بالمجتمع من أن تحرم فتياته من حماية الآباء والإشراف عليهن وتربيتهن ، وأن يكون ذلك كله قاصرا على النساء وحدهن، وقد يقال : إن الأب له الإشراف والتربية والتوجيه على بنته وهى عند حاضنتها . والجواب عن ذلك أن النزاع فى الحضانة إنما يكون عند افتراق الزوجين عن بعضهما ويستتبع هذا – كما هو معلوم مشاهد – كيد كل منهما للآخر والتربص به والالتجاء إلى المحاكم ودور البوليس، وهذا من شأنه أن يمنع أو يعرقل إشراف الأب على بناته وتربيتهن من جانب الأم إيذاء للأب وإضرارا به .

١١ – ونلاحظ على القول ببقاء المحضون الى البلوغ ما يأتى :

(١) أن الغرض المقصود من الحضانة ينتهى فى سن السابعة أو بعدها بقليل، فالقول ببقائها حتى البلوغ قول عار عن الفائدة لتحقق المقصود قبل البلوغ .

(٢) أن بقاء الغلام إلى البلوغ فيه سلب الأب ولاية الإشراف على تربية أبنائه ، إذ من المقرر أن الصغير متى بلغ فله الحرية فى أن يستقل عن أبويه ، وليس لأبيه أن يضمه إليه إلا فى حالات مخصوصة .

(٣) أن البنت إذا بلغت سن المراهقة احتاجت الى من يحميها ويصونها، والأب أقدر على ذلك من الحاضنة .

١٢ – كما نلاحظ أخيرا أن حد الاستغناء الذى يعبر عنه بعض الفقهاء بحد التمييز

---

[١] المحلى لابن حزم ج ١٠ ص ٣٢٩ وما بعدها

ويحددونه بسبع سنوات يحقق الغاية المقصودة من الحضانة ، إذ الصغير فى هذه السن غير محتاج إلى الحاضنة فى أموره لقدرته وتمييزه ، ولذلك تكاد تتفق كلمة فقهاء الشريعة على أن الصبي المميز هو من بلغ سبع سنين ، ولذلك أيضا خاطبه الشارع فى هذه السن بأول خطاب ، حيث أمر الآباء بأن يأمروا الأبناء بالصلاة فى سن السابعة ، وقد جعلت الدولة سن الإلزام فى التعليم ست سنوات ، وما نظن أنها ألزمت الآباء بأن يرسلوا أبناءهم و بناتهم مع الحاضنات إلى دور التعليم ، غير أن البنت بطبيعتها تحتاج إلى مزيد من آداب النساء وتربيتهن ، ويكفى فى هذا أن تكون فى حضانة النساء إلى سن المراهقة ، فتبقى فى حضانتهن إلى التاسعة من عمرها ، ومع ذلك فيجب أن تعطى للقاضى فسحة فى أن يأذن بامتداد الحضانة لكل من البنت والولد سنتين بعد ذلك أخذا بأحد رأيين فى مذهب الحنفية إن رأى داعيا إلى ذلك فى بعض الحالات : كمرض أو هزال أو غير ذلك من الحالات التى تستدعى بقاء المحضون فى رعاية الحاضنة ، وهذا هو ما نراه مناسبا لحال الأمة الاجتماعية ، رعاية لمصلحة الصغار ونظرا لهم وضمانا لنشء سليم قادر على تحمل أعباء الحياة وتبعاتها ، وعلى ذلك فلا نرى داعيا لتغيير المادة رقم ٢٠ من القانون رقم ٢٥ لسنة **١٩٢٩** الخاصة بجعل سن الحضانة للولد سبع سنوات وللبنت تسع سنوات مع جواز الإذن بامتداد الحضانة إلى سنتين بعد ذلك ، بل إننا نرى أن التغيير ورفع السن فوق ذلك مفسدة تعود على المجتمع بالضرر والوبال لما بيناه .

٣ — التخيير بين الابوين

عند انتهاء الحضانة

١ — إذا انتهت حضانة الحاضنة فهل يخير المحضون بين البقاء مع أمه أو الانتقال إلى أبيه ؟

اختلاف الفقهاء فى ذلك — :

فذهب الشافعى وإسحاق بن راهويه إلى أن الصغير أو الصغيرة إذا بلغ كل منهما السابعة من عمره خير بين البقاء مع أمه أو الذهاب مع أبيه ، فأن اختار أمه بقى معها وإن اختار أباه دفع إليه .

وذهب أحمد بن حنبل إلى أن التخيير خاص بالولد ، أما البنت فأنها لا تخير وتدفع إلى أبيها وجوبا .

وذهب الحنفية والمالكية والظاهرية إلى أنه لا تخيير أصلا ، ولذا كان المحضون أو بنتا ، وذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى أن أحد الأبوين إذا كان أصلح من الآخر قدم عليه ، أما إذا لم يعلم ذلك خير المحضون بين أبويه أو استهما عليه (١) .

وينبغي أن يلاحظ أن من يقول بالتخيير يقيد ذلك بأمرين : ـ الأول ـ أن يكون كل من الأب والأم أهلا للحضانة ، فأن كان أحدهما غير أهل لها كان كالمعدوم ويتعين الآخر . ـ الثاني ـ ألا يكون المحضون معتوها ، فأن كان معتوها فأنه لا يخير ويبقى عند الأم .

٢ — استدل من يقول بالتخيير بما يأتي :

أولا : بما رواه أحمد وابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خير غلاما بين أبيه وأمه ، وفي رواية — رواها أبو داود — أن امرأة جاءت فقالت : يا رسول الله : إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عنبة وقد نفعني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استهما عليه ، فقال زوجها : من يحاقني في ولدي ؟ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا أبوك وهذه أمك فخذ بيد أيهما شئت ، فأخذ بيد أمه فانطلقت به .

ثانيا : بما رواه أحمد والنسائي عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري عن جده ، أن جده أسلم وأبت امرأته أن تسلم ، فجاء بابن له صغير لم يبلغ ، قال : فأجلس النبي صلى الله عليه وسلم الأب ههنا والأم ههنا ، ثم خيره ، وقال : اللهم اهده ، فذهب الى أبيه ، وفي رواية رواها أحمد وأبو داود عن عبد الحميد بن جعفر قال : أخبرني أبي عن جدي رافع بن سنان أنه أسلم وأبت امرأته أن تسلم ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ابنتي وهي فطيم أو شبهه ، وقال رافع : ابنتي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقعد ناحية ، وقال لها : اقعدي ناحية ، فأقعد الصبية بينهما ، ثم قال : ادعواها ، فمالت إلى أمها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اهدها فمالت إلى أبيها فأخذها .

فهذه النصوص واضحة في التخيير بين الأبوين وأنه لا فرق بين الغلام والجارية كما هو واضح من رواية أحمد وأبي داود عن عبد الحميد بن جعفر ، فأن التي قد خيرت في هذه الرواية كانت بنتا .

---

(١) المراجع السابقة في البحث السابق ، وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ﺟ ٣ ص ١٦٤ ، نيل الأوطار ﺟ ٦ ص ٢٨١ ، المحلى لابن حزم ﺟ ١٠ ص ٣٢٦ ، ٣٣١ .

ثالثا : ان المقصود من الحضانة النظر إلى المحضون ورعاية مصلحته ، والمميز أعرف بحظه ومصلحته فيرجع إلى رأيه واختياره ، وهـذا أمر يتساوى فيه الذكر والأنثى ، وفى ذلك يقول ابن قدامة فى المغنى : إن المقصود هو مصلحة الصغير بدفعه بعد الاستغناء الى من هو أشفق عليه وأكرم ، ولما لم يمكن الوصول الى حقيقة الشفقة اعتبرنا مظنتها وهى اختيار المحضون ، فأنه إذا بلغ السابعة استطاع أن يعرب عن نفسه ويميز بين الإكرام وضده ، فأذا مال إلى أحـد الأبوين دل ميله على أنه أرفق به وأشفق عليه وأن حظه ومصلحته فى أن يكون عنده .

٣ — غير أن الإمام أحمد يقول : إن النصوص لم ترد إلا فى الغلام ، وما ورد فى بعض الروايات من تخيير البنت فانها لم تصح ، وكذلك إجماع الصحابة قد ورد فى الغلام لا فى البنت ، فروى عن عمر أنه خير غلاما بين أبيه وأمه رواه سعيد ، وروى عن عمارة الجرمى أنه قال : خيرنى على بين أمى وأبى وكنت ابن سبع أو ثمان ، وروى نحـو ذلك عن أبى هريرة ، وهذه قصص فى مظنة الشهرة فـكانت إجماعا [١] .

٤ — واستدل من لا يرى التخيير بمـا يأتى :

أولا : بما رواه أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن امرأة قالت : يا رسول الله ، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وحجرى له حواء ، وثديى له سقاء ، وزعم أبوه أنه ينزعه منى فقال : «أنت أحق به ما لم تنكحى» فان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يقيد أحقية الأم به إلا بأمر واحد وهو عدم الزواج ، ولو كانت أحق به عند التخيير لبين لها ذلك ، فحيث اقتصر على ذلك دل على أنه لا تخيير .

ثانيا : بمـا رواه البخارى ومسلم عن البراء بن عازب أن ابنة حمزة اختصم فيها على وجعفر وزيد ، فقال على : أنا أحق بها وهى ابنة عمى ، وقال جعفر : بنت عمى وخالتها تحتى ، وقال زيد : ابنة أخى ، فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالتها ، وقال : الخالة بمنزلة الأم ، فهذا قضاء من الرسول عليه الصلاة والسلام لم يخير فيه فدل ذلك على أنه لا تخيير .

ثالثا : بأن الصبى وإن وصـل إلى سن التمييز فان عقله لا زال قاصرا ولا يعرف مصلحته ، فربما اختار من يلعب عنده ويترك تأديبه ويمكنه من شهواته ، فيؤدى إلى فساده .

---

[١] المغنى جـ ٧ صـ ٦١٤

٥ — واستدل ابن تيمية وابن القيم بالأدلة العامة من مثل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ولا تحقق وقاية الأهل والأولاد إلا بدفعهم إلى الأصلح عند ظهوره فيكون أحق به من غيره ، ولأن المصلحة فى دفع الصغير إلى الصالح من أبويه فيتعين المصير اليه ، كما جعلنا المناط فى الحضانة مصلحة الصغير دون غيرها ، وقد حكى ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه قال : تنازع أبوان صبيا عند الحاكم ، فخير الولد بينهما ، فاختار أباه ، فقالت أمه : سله لأى شىء يختاره ؟ فسأله فقال : أمى تبعثنى كل يوم إلى الكاتب والفقيه وهما يضربانى وأبى يتركنى ألعب مع الصبيان فقضى به للأم .

٦ — هذه هى أدلة الفقهاء فى موضوع التخيير ، وقد رد من لا يرى التخيير على أحاديث التخيير بأن حديث أبى هريرة بتخيير النبي صلى الله عليه وسلم غلاما بين أبيه وأمه محمول على غلام بالغ ، بدليل ماورد فى بعض روايات هذا الحديث — وهى رواية أبى داود — أن الغلام كان يستقى من بئر أبى عنبة ، ومن دون البلوغ لا يرسل إلى الآبار للاستقاء منها للخوف عليه من السقوط فيها لقلة عقله وعجزه عن الاستقاء غالبا ، ولا شك أن البالغ مخير بين أن يكون عند أحد أبويه وبين أن ينفرد بالسكنى [١] .

أما حديث عبد الحميد بن جعفر ففى إسناده اختلاف كثير ، وألفاظه مختلفة ، فرواية تذكر أن المخير كان غلاما ، وأخرى أن المخير كان بنتا ، ومرة تذكر أن المخير اختار أباه أول الأمر ، ومرة تذكر أنه اختار أمه أولا ثم اختار أباه بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولذلك قال فيه ابن حزم : إن هذا الحديث لم يصح قط ، وعلى فرض صحته فان المخير إنما وفق لاختيار الأصلح له ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام ، ومثل ذلك لا يتحقق بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلم يبق إلا أن يدفع إلى من يظن فيه المصلحة بعد انقضاء مدة الحضانة ، والأب هو المظنة دون الأم لما قدمنا فيدفع إليه (٢) .

أما القول بأن الصبي المميز أعرف بمصلحته فقول يدفعه الواقع ، إذ لم يقل أحد بأنه كامل الإدراك والتمييز ، بل إن الشافعية لا يصححون له تصرفا من التصرفات قبل البلوغ ، لأن وجود الولى شرط فى ذلك عندهم ، وقد يدفعه قصور عقله إلى اختيار من يدلله ويخلى بينه وبين اللعب فيترتب على دفعه إليه ضياع الصبي وفساده .

---

[١] و [٢] فتح القدير ج ٣ ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، نيل الأوطار ج ٦ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، المحلى لابن حزم ج ١٠ ص ٣٢٧

٧ — أما ادعاء الحنابلة الإجماع على التخيير فى الغلام فانه لم يصح هـذا الإجماع ، وكيف يصح ثم يخالفه مثل أبى حنيفة ومالك ، أما الوقائع التى جعلها مستند الإجماع فقد نقل عن بعض الصحابة أنهم لم يخيروا كما نقله صاحب الهداية ، وعلى فرض عدم المخالف فغايه ما تفيده هذه الوقائع هو الإجماع السكوتى ، وهو مختلف فى الاحتجاج به .

٨ — ويلاحظ على رأى ابن القيم وشيخه ابن تيمية أننا نقول أيضا بدفع المحضون إلى الأصلح والأشفق ، لكن هذا لا يمكن الوصول إلى حقيقته لخفائه ، والحكم فى مثله يناط بمظنة المصلحة ، والمظنة فى دفعه إلى الأب لأنه مظنة الإشفاق والعطف على ولده بما يحقق مصلحته الكاملة ، فيجب الدفع إليه .

أما كون الأب مهملا مضيعا ولده فهذا إنما يظهر بعد ضمه ، ومثل هـذا أمر نادر لمخالفته الجبلة الطبعية والفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ومع ذلك فأننا فى هذه الحالة نرى أن يقوم ولى الأمر بتعزيره وإرغامه على أن يسلك الطريق السوى فى رعاية ابنه وتربيته تربية كامله .

٩ — أما أحاديث من لا يرى التخيير فأننا نرى أنها محل نقاش ، فأن حديث « أنت أحق به ما لم تنكحى » قد قيد بما إذا فعلت فعلا يسقط حضانتها ، فأنها ليست أحق به فى هذه الحالة ، وعلى ذلك فالقائلين بالتخيير أن يقيدوه بأحاديث التخيير ويجمعون بينها ، ويكون المعنى : أنت أحق به مالم تنكحى ومالم يختر أباه إذا بلغ مرحلة التمييز . أما حديث ابنة حمزة فأنما يصح الاستدلال به لو علمنا أن ابنة حمزة قد وصلت إلى سن التمييز والادراك ، ومالم نعلم ذلك فيحتمل أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد دفعها إلى الحاضنة لأنها لم تصل إلى هذه المرحلة ، فيكون الحديث فى غير محل النزاع ، فلم يبق معنا مايصلح للاستدلال إلا قصور عقل المحضون الذى قد يدفعه إلى اختيار غير الصالح له فيضر ذلك به مع وجود أبيه الذى يعتبر الدفع إليه مظنة المصلحة ، فيجب المصير إلى ذلك وعدم التخيير .

والله الهادى إلى سواء السبيل ، وهو أعلم بالصواب ؟

عيسوى أحمد عيسوى
المدرس بكلية حقوق عين شمس

بحـــــوث

فى مصادر الشريعة النظرية

— ١ —

اتفقت كلمة العلماء على أن الشريعة الإسلامية نزلت لتقرير أحكام الوقائع التى تحدث للناس فى هذه الحياة ، فلا توجد واقعة إلا لها حكم مدلول عليه فيها ، غير أنه سبحانه لحكمة بالغة لم ينص على كل أحكامه ، بل نص على بعضها فى كتابه الكريم ، أو سنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ، وسكت عن النص على أكثر الأحكام ، ولكنه أقام عليها دلائل أخرى ، وأرشد الناس إليها ، ومهد الطرق التى توصلهم إلى معرفتها ، ليتوصل المجتهدون وأهل الذكر إلى معرفة الحكم فيما لم يدل على حكمه نص فى الكتاب أو السنة . يقول الإمام الشافعى فى رسالته الأصولية : « كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم ، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة ، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم اتباعه ، و إذا لم يكن فيه بعينه حكم طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد » [١] .

وهذا النوع من الدلائل هو ما قصدنا الكلام عليه فى هذه البحوث ، وسيرى المطلع على هذه المصادر أنها معين لا ينضب ، ومدد لا ينفد ، وأنها تتناول أحكام ما لا يتناهى من الحوادث ، وكل ما يمكن تصوره من الوقائع ، وأن فيها من المرونة والخصوبة ما يكفل حركة تشريعية متجددة ، وقوانين وأحكاما تتطور بتطور أحوال الناس ، وتسع مقتضيات العصور على اختلافها ، وتقوم بحاجات الشعوب على تباعد ما بينها ، وأن فيها البرهان العملى على سماحة الشريعة وملاءمتها لكل الأزمنة ، والحجة الدامغة فى وجه الطاعنين عليها بالجمود ، وأنها ليست — كما يزعم بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم — ضيقة المجال لا تفى بأحكام الحوادث ، أو قديمة العهد لا تلائم ماجد من المعاملات ومقتضيات الحياة فى العصور الحديثة .

---

[١] الرسالة ص ٤٢٢ .

وهذه المصادر كثيرة، وسنقتصر هنا على أهمها وهى: القياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والاستصحاب، وسنتكلم فيها على هذا الترتيب.

١ - القياس

القياس: هو أول مصدر تشريعى يلجأ إليه المجتهد لاستنباط الحكم فيما لا نص فيه ولا إجماع، وهو أوضح طرق الاستنباط وأقواها، وبه تعرف أساليب الشريعة، ويوقف على أسرارها ودقائقها، إذ هو المرشد لمعرفة عالل الأحكام، والوسيلة إلى الإحاطة بمقاصد الشريعة الغراء من جلب المصالح ودرء المفاسد.

وبيان ذلك: أن الأحكام التى وردت النصوص بها مبنية - كما يقول المحققون من العلماء - على علل وأسباب شرعت لأجلها، وأن لكل حكم شرعى حكمة تلائم شرعه، ومرجع هذه الحكمة إلى تحقيق مصالح العباد فى العاجل والآجل معا، وقد أشار الشارع إلى هذا بما بينه من مقاصده فى بعض ما شرعه، فقال تعالى فى آية الوضوء: «ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم» [١] وقال فى الصلاة: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» [٢] وقال فى الصيام: «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» [٣] وقال فى فرض الزكاة: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» [٤] وقال فى الحج: «ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام» [٥] وقال فى إيجاب القصاص: «ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب لعلكم تتقون» [٦] وقال فى الفىء: «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» [٧] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم فى وجه طهارة الهرة: «إنها من الطوافين عليكم والطوافات» وقال فى وجه المنع عن بيع الثمر قبل أن يبدو صلاحه: «أرأيت إن منع الله الثمر بم يأخذ أحدكم مال أخيه» وقال فى المنع عن الجمع بين البنت وعمتها أو خالتها: «إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم» إلى غير ذلك من النصوص التى تدل على أن

---

[١] آية: ٦ من سورة المائدة
[٢] آية: ٤٥ من سورة العنكبوت
[٣] آية: ١٨٣ من سورة البقرة
[٤] آية: ١٠٣ من سورة التوبة
[٥] آية: ٢٨ من سورة الحج
[٦] آية: ١٧٩ من سورة البقرة
[٧] آية: ٧ من سورة الحشر

المقصود من تشريع الأحكام رعاية مصالح الناس أفرادا وجماعات ، وإذا كانت الأحكام المنصوص عليها قائمة على رعاية المصالح ، فاذا قرر الشارع للواقعة حكما ، ونبه فى الآية أو الحديث على المصلحة المناسبة لتقريره ، أو كانت تلك المصلحة ظاهرة ظهورا لا شبهة فيه ، كان للمجتهد أن يعمد إلى كل واقعة تحققت فيها تلك المصلحة ، ويسوى بينها وبين الواقعة المنصوص عليها فى الحكم ، وهذا هو ما يعرف عند الأصوليين بالقياس .

فالقياس ـ عندهم ـ أن يقصد المجتهد إلى حكم واقعة من الوقائع التى ورد النص أو الإجماع بحكمها فيثبته لواقعة أخرى لم يرد نص ولا إجماع بحكمها ، لاشتراك الواقعتين فى علة الحكم ومصلحته .

فاذا دل الكتاب أو السنة أو الإجماع على حكم واقعة وعرف المجتهد المصلحة التى قصدها الشارع من تشريع الحكم وأدرك العلة الظاهرة التى ربط تشريعه بها ، ثم وجد واقعة أخرى لم يرد حكمها فى واحد من هذه الأدلة ولكنها تشترك مع الواقعة الأولى فى تلك العلة فانه يغلب على ظنه اشتراك الواقعة التى سكت الشارع عنها مع الواقعة المنصوص أو المجمع عليها فى الحكم بناء على اشتراكهما فى العلة ، وعندئذ يلحق الواقعة التى سكت الشارع عن بيان حكمها بالواقعة التى بين الشارع حكمها ويسوى بينهما فى الحكم . فهذا الإلحاق والتسوية يسمى قياسا فى اصطلاح الأصوليين ، وما ورد النص أو الإجماع بحكمه يسمى عندهم بالأصل أو المقيس عليه ، وما لم يرد النص أو الإجماع بحكمه يسمى بالفرع أو المقيس ، والمعنى الذى لأجله شرع الحكم فى المنصوص أو المجمع عليه يسمى بالعلة ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ ـ قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »(١) .

أفاد هذا النص الكريم تحريم الخمر ، وبين المعنى المقتضى لهذا التحريم ، وهو ما يترتب على شرب الخمر من المفاسد الدينية والدنيوية من الصد عن طاعة الله تعالى وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس .

والخمر ـ عند علماء الحنفية ـ اسم لشراب خاص ، وهو المتخذ من عصير العنب

---

[١] آيتى : ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة

من غير طبخ بالنار(١) وعلى هذا لا يكون هذا النص متناولا لغير الخمر من الأشربة الأخرى كالنبيذ ونحوه ، ولكن هذه الأشربة يترتب على شربها ما يترتب على شرب الخمر من المفاسد التى بينها الله تعالى فى كتابه فيكون حكمها حكم الخمر وهو التحريم بطريق القياس .

٢ — وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يتناجى اثنان دون واحد فان ذلك يحزنه » (٢) فانه ينهى عن تناجى الاثنين وانفرادهما بالحديث سرا إذا كان معهما ثالث ، وبين العلة فى هذا النهى وهى أن الاثنين إذا تناجيا دون رفيقهما أحدث هذا العمل حزنا له ، وأوقع فى نفسه أنه ليس أهلا للسر أو أن حديثهما فى شأنه ، وذلك مما يكدر صفو الإخاء بين الناس ويقطع حبل الأخوة والصداقة بينهم ، وتوجد واقعة أخرى لم يبين الشارع حكمها ولكنها تشترك مع الواقعة المنصوص عليها فى هذه العلة ، وهى أن يتحادث اثنان بلغة لا يعرفها رفيقهما إذا كانا يجيدان الحديث بلغة يعرفها الرفيق ، فالمجتهد أن يقيس هذه الواقعة على الواقعة التى ورد النص بها ويحكم بالنهى عنها بطريق القياس .

هذا هو معنى القياس ، وهذه بعض أمثلته ، ومنها يتبين أن مدار القياس على مساواة الواقعة التى سكت الشارع عن بيان حكمها للواقعة التى بين الشارع حكمها ومشاركتها لها فى علة الحكم وإدراك المجتهد لذلك ، وهذا أمر لا يختلف فيه القائلون بحجية القياس ، كما أنهم لا يختلفون فى أن القياس المتعارف عند الفقهاء فى مواطن الاستدلال وعند الأصوليين فى مواطن البحث عن أحواله هو القياس بمعنى فعل المجتهد ، وهو إدراك ثبوت حكم المنصوص أو المجمع عليه للمسكوت عنه استنادا إلى مساواتهما واشتراكهما فى علة الحكم ، وإنما يختلفون فى النظر إلى هذه الأمور والبناء عليها فى تحديد القياس وبيان مفهومه ومعناه من حيث هو دليل شرعى كغيره من الأدلة الشرعية : كالكتاب والسنة والإجماع ، وكان لهم فى تعريفه طريقتان :

طريقة تعرفه على أنه فعل صادر عن المجتهد متعلق بالمقيس والمقيس عليه ، وهذه هى طريقة المتقدمين : كالإمام أبى منصور الماتريدى ، والقاضى الباقلانى ، وأبى الحسين البصرى ، وجرى عليها بعض المتأخرين : كفخر الدين الرازى ، وابن السبكى ، وصدر الشريعة .

وطريقة تعرفه على أنه معنى قائم بكل من المقيس والمقيس عليه يقتضى اشتراكهما

---

[١] راجع بدائع الصنائع جـ ٥ ص ١١٢

[٢] بلوغ المرام مع شرح سبل السلام جـ ٤ ص ١٣٦

فى الحكم، وهذه طريقة بعض المتأخرين: كالآمدى، وابن الحاجب، والكمال بن الهمام، ولكل من الطريقتين تعريفات كثيرة نذكر هنا أهمها :

أهم التعريفات على طريقة المتقدمين :

أورد المتقدمون تعريفات كثيرة للقياس أهمها تعريف القاضي البيضاوى وتعريف ابن السبكى. أما القاضى البيضاوى فقد عرفه فى كتابه « المنهاج » بقوله : «القياس إثبات حكم معلوم فى معلوم آخر لاشتراكهما فى علة الحكم عند المثبت» (١) أى فى نظر القائس وهو المجتهد.

وأما ابن السبكى فقد عرفه فى « جمع الجوامع » بقوله : « القياس حمل معلوم على معلوم لمساواته له فى علة حكمه عند الحامل » [٢] .

وهما تعريفان بمعنى واحد فكلاهما يجعل القياس اسما لإدراك المجتهد ثبوت حكم المقيس عليه للمقيس لاشتراكهما فى علة الحكم فى نظره واعتقاده سواء أكان مطابقا للواقع أم مخالفا له، وهو ما عبر عنه الأول بقوله : « اثبات حكم معلوم ... الخ » وعبر عنه الثانى بقوله : « حمل معلوم ... الخ » .

أهم التعريفات على طريقة المتأخرين :

وقد أورد المتأخرون أيضا تعريفات كثيرة للقياس على طريقتهم، أهمها تعريف ابن الحاجب المالكى الذى يعتبر أصلا لما عداه من تعريفات المتأخرين وهو : «القياس مساواة فرع لأصل فى علة حكمه» [٣] وهو تعريف واضح فى أن القياس اسم لنفس المساواة بين الفرع والأصل فى علة الحكم ، وليس اسما لإدراك المجتهد هذه المساواة وإثبات الحكم فى المسكوت عنه بناء على ذلك ، كما هو رأى المتقدمين .

ولكل من الفريقين وجهة فيما ذهب إليه، أما المتقدمون فانهم نظروا إلى أن القياس مأمور به من قبل الشارع ، وهذا يقضى بأن القياس الشرعى هو فعل المجتهد ، لأن الأمر - كما هو مقرر - لا يتعلق إلا بفعل المكلف ، وفعل المكلف إنما هو إدراك الحكم فيما لا نص فيه ولا إجماع المستند إلى المساواة والمشاركة فى علة الحكم ، أما نفس المساواة والمشاركة فليست من عمله وإنما هى من صنع الشارع وجعله .

---

(١) المنهاج للبيضاوى بشرح نهاية السول لجمال الدين الأسنوى المطبوع بهامش التقرير والتحبير شرح التحرير جـ ٢ ص ٢١٧

[٢] جمع الجوامع بشرح الجلال المحلى وحاشية العطار عليه جـ٢ ص ١٢٨

[٣] المختصر لابن الحاجب مع شرح العضد جـ ٢ ص ٢٠٤

وأما المتأخرون فانهم نظروا إلى أن القياس حجة شرعية موضوعة من قبل الشارع ، وهذا يقتضى أن يكون القياس وضعا إلهيا متقررا فى ذاته ، سواء نظر فيه المجتهد أو لم ينظر.

وعلى هذا لا يكون فعلا للمجتهد ، ولا متوقفا على نظره ، كما هو الشأن فى سائر الأدلة الشرعية ، ولا ريب أن الذى يصدق عليه أنه كذلك هو المساواة والمشاركة فى العلة لأنها وضع إلهى متقرر فى ذاته نظر فيه المجتهد أو لا ، أما فعل المجتهد فانه ليس وضعا إلهيا ولا متقررا فى ذاته ، لتوقفه على نظره واجتهاده ، فجعله حقيقة القياس ـ كما قال المتقدمون ـ يخرجه عن سنن الأدلة الشرعية ، ويجعله بدعا منها .

وقد أجاب أتباع المتقدمين عما تضمنه كلام المتأخرين من نقد لطريقة المتقدمين بأن كون القياس حجة شرعية موضوعة من قبل الشارع لا ينافى أن يكون فعلا للمجتهد ، إذ لا مانع من أن يجعل الشارع فعل المجتهد المستند إلى المساواة فى العلة دليلا له على حكم الفرع ، ففعل المجتهد من جهة جعل الشارع له دليلا يصدق عليه أنه وضع إلهى ، ومن جهة استناده إلى المساواة التى هى متقررة فى ذاتها يصدق عليه أنه متقرر فى ذاته ، فتعريف القياس بفعل المجتهد ـ كما جرى عليه المتقدمون ـ لا ينافى أنه حقيقة شرعية موضوعة من قبل الشارع ، ولا يخرجه عن سنن الأدلة الشرعية .

وبعد بيان طريقة الأصوليين فى تعريف القياس ووجهة نظر كل فريق نرى أن الخلاف بينهم فى ذلك خلاف نظرى ، لا يترتب عليه أى أثر من الناحية العملية ، وذلك لأنهم يتفقون جميعا على أن المعول عليه فى القياس ـ كما قدمنا ـ هو المساواة بين المقيس والمقيس عليه فى علة الحكم ، سواء أكانت هذه المساواة جزءا من مفهوم القياس ـ كما قال المتقدمون ـ أو نفس مفهومه ـ كما قال المتأخرون ـ وأن المعتبر فى تحقق هذه المساواة هو نظر المجتهد واعتقاده لا الواقع ونفس الأمر ، وأنه عند العمل والاحتجاج بالقياس لا تفترق المساواة عن عمل المجتهد ، لأن المساواة من غير عمل من المجتهد يظهرها ويكشف عنها لا يترتب عليها أثر ، وعمل المجتهد من غير مساواة يستند إليها لا يعتبر ، وعلى هذا لا يكون هناك أى حرج فى الأخذ بكل من الطريقتين ، وإطلاق القياس على كل من المعنيين : إدراك المجتهد ، والمساواة بين الشيئين .

« يتبع »

زكى الدين شعبان
مدرس الشريعة بحقوق عين شمس

عيد الأم

إن تسلني عن هداتي في حياتي ... قلت : أمي (نعم يوم الأمهات)
صاحبتني قبل أن أزهي بروحي ... فهي روحي فهي أصل الكائنات
ولدتنا أرضعتنا هذبتنا ... أسعدتنا من بنين وبنات
عمر الدنيا بنوها بعقول ... وجسوم فازدهت بالمنشآت
كل راع بعدها فرع لأصل ... فهي تزهو في أعالي الدرجات

شرعة الإسلام أعلت مستواها ... وأحلتها رفيع المنزلات
ذكر التاريخ مما أحسنته ... ما بنت من فاضل أو فاضلات
وتغنى الشعر بالفضل قديما ... وحديثا بالجهود الصادقات

فاحفظوا للأم أفعالا جساما ... وانقشوها في القلوب الواعيات
كرموها في وفاء خلدوها ... بولاء في سجل الخالدات
وارتجوا منها أسودا عاديات ... وجهوا مصر رشيد الوجهات
أنقذوها أكرموها جنبوها ... دولة الظلم بأيد عاتيات
(بجمال) هو رئبال عتيد ... بين أشبال الحروب الضاريات
وارتجوا منها عظيما مثل (تاج) ... طاب نفسا صح عزما في ثبات
ذو اعتراف بحقوق الأمهات ... ومداها في محيط الخدمات
فانبرى يهدي إليها الدين صرفا ... سائغا في (معهد للفتيات)
جعل الأزهر يشدو بأياديه العظام الخالدات الطيبات

محمد صالح الزيدي

المشرف العام على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم
والمراقب العام للغة العربية بوزارة التربية سابقا

الأزهر، والأزهر وحده

تسير حكومة الثورة قدما نحو أهدافها الإصلاحية فى تناسق محكم، فليس فى الجمهورية المصرية ناحية لم تبعث فيها يد الثورة حركة نشاط نحو التقدم والكمال : ففى الجيش، وفى التعليم، وفى الصناعة والزراعة، وفى الإنشاء والتعمير، وفى غير ذلك حركات قوية وعنيفة للابتكار والتنفيذ، وقد انبعث الشعب بهيئاته المختلفة للسير فى الطريق الذى رسمته الثورة، وسرت فيه روح النشاط والجد، وأخذت الجماعات تسهم بنصيبها من الإصلاح المنشود، كل فى المحيط الذى يناسبه . ولقد أصبح الشعب لأول مرة كتلة متعاونة متماسكة تعمل جادة غير وانية للوطن لا للأفراد والطوائف .

وقد كان للثورة نشاط بارز فى النواحى الدينية ــ وهى جديرة بالنشاط والعناية ــ لأنها أولى الوسائل لإصلاح الشعوب، وإذا استقام للشعوب أمر دينها فقد استقامت لها حياتها . والدين مجموعة من المثل العليا لأرقى الجماعات تقودها إلى أفضل المدنيات . وكان من أهم أعمالها إنشاء المؤتمر الإسلامى الذى يربط بين الشعوب الإسلامية، ويقوم بدراسة أحوالها، ويضع لها ما يلائم من النظم التى تأخذ بيدها وتنهضها من عثرتها، وتستثير عزائمها لتنافس الأمم فى ميادين الفكر والعمل، والقوة والعزة والكرامة، وقد استجابت بعض الهيئات لروح الثورة فى سبيل الإصلاح الدينى فأنشأت معاهد للدراسات الدينية بأسماء مختلفة، فأخذت هذه الهيئات تلفق فى هيئات التدريس من هنا وهناك، وتنفق الكثير من الأموال فى مكافأة الأساتذة وأجور الأماكن وفى الشئون الأخرى .

وإنا إذ أحسنا الظن بالقائمين على هذه المعاهد نقول لهم : إنهم قد جانبهم التوفيق فى وجوه نشاطهم هذه، ولم يتأثروا بروح الثورة فى أسلوبها الإصلاحى ــ وهو الوصول الى الهدف بأقل ما يمكن من النفقات ودون توزيع للجهود والأعمال .

إن هذه المعاهد كما خبرناها صورة مكررة للدراسات الأزهرية فى المواد الدينية، وأبرز مدرسيها هم أساتذة الأزهر، وأبرز طلبتها فى هذه المواد هم أيضا طلبة الأزهر، ولو تخلف هؤلاء وأولئك عن هذه المعاهد لفتر نشاطها، وأصبحت صورا لا حياة فيها .

وما يلقيه أساتذة الأزهر من المواد العلمية فى هذه المعاهد ـ وإن كان جديدا على غير طلبة الأزهر ـ هو أيضا صورة مكررة مما يدرسونه بكليات الأزهر ومعاهده الثانوية مع تحوير شكلى لا يغير من واقع الأمر شيئا . ولا أقول ذلك تعصبا للأزهر ولا خشية عليه ، فلن يضير الأزهر ولن يحط من مكانته الإسلامية ، أن يقوم بجواره معهد ومعاهد ، فقد أقيم بجوار الأزهر معاهد ثم زالت وبقى هو خالدا على الزمن خلود رسالته على الأزمان .

إنما أقول ذلك توفيرا لجهود القائمين على هذه المعاهد ، وتوفيرا لأموال الدولة أن تنفق فيما لا يجدى ولا يفيد .

قد يكون الباعث على إنشاء هذه المعاهد إعداد طائفة من الرجال إعدادا دينيا ، يقومون بنشر رسالة الإسلام فى الأقطار الإسلامية فى قوة ونجاح ، وفى هذا اتهام للأزهر نغض الطرف عنه ، ونناقش الفكرة فنقول : إذا كان عالم الأزهر الذى قضى خمسة عشر عاما فى الدراسة الدينية المستفيضة ، وقضى وقتا غير قصير فى تدريسها ونشرها ، لا يحسن أداء هذه الرسالة ، أفيستطيع خريج المدارس المدنية ـ بعد دراسة شهرين فى بعض هذه المعاهد ، وسنتين فى بعضها دراسة مسائية متقطعة ودراسة عامة شكلية ـ أن يحسن أداءها بأكمل مما يؤديها خريج الأزهر ؟ وأين هى الثقة التى يوليها المسلمون فى أقطار الأرض لهؤلاء الخريجين ؟ لقد استقر فى نفوس المسلمين فى أنحاء الأرض أن أحكام الدين إذا لم تؤخذ عن أفواه علماء الأزهر فلن يتوافر لها الاطمئنان والقبول .

وبعد هذا ما الذى قصر فيه علماء الأزهر حتى نولى وجوهنا شطر غيرهم ليقوموا عنهم بما فشلوا فيه ؟ وهل شكت أمة من الأمم الإسلامية ممن بعث إليها من علماء الأزهر ؟ وهل اتهمتهم بالعجز والقصور ، فنحاول أن نتدارك ذلك بخريجى هذه المعاهد الذين يتمون دراستهم الدينية فى شهرين أو عامين ؟ إننا نعرف عن يقين أن أقطار العالم الإسلامى ترحب بعلماء الأزهر وتقدر رسالتهم وتوليهم ثقتها وتلتمس المزيد منهم ، وفى المكاتب المختصة بمشيخة الأزهر رسائل تفيض بالثناء والتقدير على مجهوداتهم ، وتشهد لهم بالنجاح فى مهماتهم ، وتستطيع مشيخة الأزهر لو أرادت المفاخرة والمباهاة أن تنشر صفحات غراء لأبناء الأزهر فى ميدان الجهاد الإسلامى .

وإذا كانت الحال كما ذكرت وأن أكثر دارسى المواد الدينية بهذه المعاهد من أعلام الأزهر وأكثر المنتسبين إليها من الطلبة من أبناء الأزهر ، أفلا يكون من العبث

أن تقوم هـذه المعاهد الى جوار الأزهر تشاركه فى رسالته دون جـدوى ؟ وأليس من الأولى أن توفر نفقات هذه المعاهد لتصرف فيما هو أجدى وأنفع ؟

لانظن أن لهذه المعاهد أغراضا خفيـة تمس الأزهر ورسالته حتى ندعو الأزهر إلى مناهضتها ، ومناهضتها يسيرة هينة ، وماهى إلا أن يكف عن معاونتها أساتذته وطلابه فاذا هى أجسام لاحياة فيها ، و إذا هى أطلال تنعى من بناها .

نعم قد يحس بعض الأمم الإسلامية بفراغ من الناحية الدينية ، فلا يجد حاجته من علماء الدين ممن ينشر بينهم الثقافة الدينية ، ولكن ليس هـذا من تقصير الأزهر ولا من تقصير علمائه ، وما تهيب علمـاء الأزهر أن يهاجروا فى سبيل الله إلى أقصى الأقطار لو انتدبوا لها ، ومنهم الآن علماء فى الصومال وار يتريا ونيجريا وغيرها ، ولكن العـلة فى ذلك أن ميزانية الأزهر محـدودة لا تستطيـع أن تلبى رغبات المسلمين جميعهم فى بعث البعوث إليهم ؛ وإنمـا تعمل فى هذا السبيل فى حدود امكانياتها ، فتبعث إلى بعض هذه البـلاد دون بعض ، وتقـدم الأهم على المهم ، ولو أتيح للأزهر إمكانيات مالية واسعة لاستطاع أن يسد حاجة المسلمين فى جميع البقاع من علماء الأزهر .

ان الجمـاعات الواعية هى التى تحسن توزيع الأعمال على المختصين ، والفوضى فى الاختصاص سمة الجماعات البدائية ، وقديمـا كان الطبيب يمـارس علاج الأمراض كلها : يعالج العين والأذن والمعدة والـكبد وكل علة فى جسم الإنسان ، أما الآن وفى الجماعات المستنيرة فلـكل علة فى الإنسان مختصون ، و إنمـا نقولها نصيحة متواضعة : ان الخير فى أن يوحد القائمون على هذه المعاهد مجهوداتهم و يوفروا أموالهم و يوجهوها الوجهة النافعة ، وأن يوسدوا الأمر إلى أهله فيكلوا الشئون الإسـلامية إلى الأزهر ، و إلى الأزهر وحده ، فهو عليها أقدر ، و بها أجدر « وعلى الله قصد السبيل، ومنها جائر » .

أبو الوفا المراغى

شباب الحرس الوطنى بالأزهر

فى رحلة إلى قنا والقصير فالأقصر

مائة من شباب الحرس الوطنى فى الأزهر، كلهم قوة وفتوة وعزم وجلد على تحمل المشاق، قاموا برحلة علمية ورياضية بقيادة الصاغ محمد طاهر عليش نحو الجنوب، إلى قنا والقصير ثم إلى الأقصر ، بين سيف البحر الأحمر ومجاهل الصحراء والهضاب والجبال ومفاتن النيل وما يحتضنه من حقول .

استقلوا قطار الجنوب فأخذ يطوى بهم الفيافى ليلا حتى بلغوا قنا عند فلق الصبح ، والمدينة نائمة ، والأشجار قد بللها الندى ، فنزلوا فى إحدى مدارسها ، واستراحوا فى أسرتها ، حتى إذا حان وقت المباريات الرياضية بين منتخب الحرس الوطنى بالأزهر ومنتخب قنا أقبلت الوفود نحو ملعب الكرة الذى أعد فيه سرادق فخم ، وحضرت فرق كشافة المدارس مبكرة للمحافظة على النظام ، وشهدت المدينة على بكرة أبيها هذه المباريات ، يتقدمها المعهد بشيوخه وعلمائه ، والمدارس بنظارها ومدرسيها ، والموسيقى تعزف ، ثم بدا مدير المديرية وحكمدارها وشيخ المعهد ومدير المنطقة التعليمية مرحبين بضيوف قنا شباب الحرس الوطنى فى الأزهر .

وبدأت المباريات بمباراة فى كرة السلة ، فكان انتصار الشباب الأزهرى ٤٣ الى ١٣ . ثم تلتها مباراة كرة القدم فكان الفوز فيها لمنتخب قنا ٢ إلى ١ . ثم أقيمت مباراة فى شد الحبل ، فاستطاع فريق الأزهر أن ينحى فريق قنا عن مكانه عدة أمتار . وأقيمت مسابقة مائة متر كان الفائز فيها أحد أبطال الحرس الأزهرى . وانتهى بذلك المهرجان الرياضى الكبير بعد أن وزع مدير الإقليم الجوائز والكئوس على الفائزين .

ودعى الحرس الأزهرى الى حفل تكريم أقامه لهم فضيلة شيخ معهد قنا وكان له فى النفوس أطيب الذكر وأعظم الأثر .

واستأنف الحرس رحلته فقامت به العربات تشق فيافى الصحراء مشرقة بين الصخور والجبال ، قاصدة ميناء القصير وشواطئه الجميلة على البحر الأحمر ، فكان اعضاء الرحلة يقرأون على صفحات الطبيعة قول الله عز و جل : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » إلى أن أقبل عليهم نسيم البحر وهواؤه العليل فأشرفوا على القصير ، ونزلوا فى مدرستها الإعدادية ؛ وسرى الخبر الى فريق شركة الفوسفات الرياضى فدعوهم الى الاشتراك فى مباراة انتهت بتعادل الفريقين . ثم زاروا مصانع شركة الفوسفات وشاهدوا طريقة استخراجه فى مراحله المتعددة .

واستأنفوا رحلتهم من القصير إلى الأقصر بين الصخور الضخمة ، والجبال الشاهقة ، والجو المكفهر ، فى مفازات لا زرع فيها ولا ضرع ، ولا شجر ولا ماء ، فمروا بمنجم الذهب وشاهدوا مراحل تعدينه واستخراجه و جمعه وصهره ، والمنجم يمتد تحت جبل شامخ عدة كيلو مترات كلها ظلمات فى ظلمات . ثم انطلقت بهم العربات متجهة نحو الجنوب الى الأقصر ، الى أن خرجوا من المفاوز الجرداء الى الأرض الطيبة والزرع الأخضر حيث الكادحون فى حقولهم يعملون فى سبيل الحياة ، والمياه تجرى فى الترع والأشجار على حافاتها ، فكان ذلك إيذانا بالدنو إلى الأقصر ، واتفق الوصول إليها فى اليوم الذى تقوم فيه سوقها ، وفى الأقصر وآثارها درس رجال الرحلة تاريخ مصر القديم على الطبيعة بين الرسوم والرموز . وكان للعالم الأثرى الصاغ عليش الفضل الأكبر فى توضيح ما خفى علينا من معالم التاريخ .

كل هذه الأشياء رأيناها ودرسناها عملا ، وسجلها فى صور (فوتوغرافية) الزميل محمد أحمد صقر الطالب بكلية اللغة ، بعد أن تلقيناها فى دروسنا من الكتب ، وكان الفضل فى ذلك للثورة وعنايتها بالشباب ، وهكذا عادت الرحلة بأجل الفوائد تاركة أطيب الأثر فى شباب يؤمن بربه ودينه ونفسه ، وبوطنه وأهدافه ، وهذه طريقة فعالة فى تكوين الشباب وإعداده للحياة الصالحة .

ناصف ناصف سليم
كلية اللغة العربية

لغويات

ينقصنى من كتب الدرس كتاب التاريخ . أعوز كتاب التاريخ

شاعت العبارة الأولى على ألسنة المتأدبين . فيقولون : ينقص هذا الكاتب فصاحة العبارة ، مع براعته فى تصوير المعنى ، يريدون أنه خال من فصاحة العبارة وأن هذا يعيبه ، والمراد من هذا الأسلوب أصبح واضحا لا يخالج السامع أو القارئ شك فيه ، ومع هذا إذا تأمل الناظر فيه وجد أن معناه على حسب تأليفه : أن فصاحة العبارة أورثت الكاتب نقصا وكسبته عابا ، وهذا ضد ما يراد من التركيب ، وقد أتى فى كلام الناس هذا الأسلوب على وفق مفاده اللغوى فى قولهم فى الرسائل الإخوانية ،ولا ينقصنا إلا فراقكم ، فهذا استعمال صحيح لاغبار عليه .

والعبارة العربية الوافية بالمعنى الذى يراد فى هذا المقام أن يقال : يُعْوِزنى من كتب الدرس كتاب التاريخ (من أعوز) أو يعوزنى كتاب التاريخ (من عاز) ، ففى اللسان : « أعوزه الشىء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه »وفيه : « وإذا لم تجد الشىء قلت : عازنى » وفى الأخيرة هذه مقال ، ففيه عقب الكلام السالف : « قال الأزهرى : عازنى ليس بمعروف » .

وقد بدا لى أن الاستعمال الشائع له وجه من الصحة ، فلا بأس بامتثاله ، إذ حسنه الإلف له وصقلته الألسن ، وذلك أن يخرج على حذف المضاف، أى لا ينقصنى إلا عدم كتاب التاريخ ، ولا ينقص الكاتب إلا عدم فصاحة العبارة . فالمضاف « عدم » أو « فوت » حذف للعلم به ، وهذا كما سبق فى تخريج قولهم : أعتذر من حضورى اليوم لأمر يعوقنى .

وأزيد هنا أن حذف هذا المضاف ورد فى عدة مواضع فى كلام العرب ، وقد استساغوه لفهم المعنى،وأفرد ابن فارس فى الصاحبى ١٩٨ بابا لهذا النوع من الإضمار،

بدأه بقوله : « العرب قد تضمر الفعل فيشتبه المعنى ، حتى يعتبر فيوقف على المراد » وهو لا يريد بالفعل ما هو مصطلح النحاة بل ما يشمله وغيره ، وقد أورد من هـذا قول الخنساء فى مرثية لأخيها صخر :

يا صخر وراد ماء قـد تناذره أهـل الموارد ما فى ورده عار

ويذكر شارح الديوان أن المراد : مافى ترك ورده عار ، أى ليس يعير أحد أن يعجز عنه من صعوبة ورده ، ويقول ابن فارس : « ظاهر هذا أن معناه : ما على من ورده عار ، وليس فى ورد المـاء عار فيبجح به . ولكن معناه : مافى ترك ورده مخافـة عار ، وإنمـا عنت أنه ورد ماء مخوفا يتحاماه الناس فينذر بعضهم بعضا ، تقول : فهو يرد هذا المـاء لجرأته » .

وقد أورد المبرد فى الكامل بيت الخنساء وقال فى شرحه : « تعنى الموت أى لإقدامه على الحرب » فهو يفسر المـاء بالموت ، ويقول الشيخ المرصفى فى كتابته عليـه (تعنى الموت الخ) أجنبي عن البيت . وهى إنمـا تريد نفس المـاء . وكان المناسب أن تقول : (وما فى تركه عار) على معنى : وما فى ترك ورده إذا عجز عنه عار» وانظر بغية الآمل ١٨٦/٨

وورد من هذا قول النابغة يخاطب عصاما حاجب النعمان حين مرض النعمان ، وكان النابغة محجوبا عنه :

ألم أقسم عليك لتخـبرنى أمحمول على النعش الهمام
فانى لا ألام على دخول ولـكن ما وراءك يا عصام

فقوله : لا ألام على دخول أى على ترك الدخول ؛ لأن النعمان كان نذر دمه إذا رآه ، لمـا كان نقم عليه من وصفه لامرأته المتجردة .

وأورد شارح ديوان الخنساء من هذا قول المرقش :

ليس على طول الحيـاة ندم ومن وراء المرء ما يعـلم

أى ليس على فوت طول الحياة ماينِدم عليه ؛ لأن ذلك يؤدى إلى الهرم وفساد العيش .

ويقول ابن فارس : « وفى كتاب الله جل ثناؤه : (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) التأويل : لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يقعدوا عن الجهاد » فتراه يجعل الآية ممـا وقع فيه الحذف والإضمار ، فقوله : « أن يجاهدوا »

أى فى ترك أن يجاهدوا بالقعود عن الجهاد ، لأن الاستئذان فى العادة إنما يكون للتخلف عن أداء الواجب . ولا يرى هذا عامة المفسرين ، وإنما يرون أن المؤمنين لا يستأذنون فى شأن الجهاد فى القعود عنه أو مباشرته . ويقول القرطبي فى تفسيره ج ٨ ص ١٥٥ : « أى فى القعود ولا فى الخروج ، بل إذا أمرت بشيء ابتدروه . فكان الاستئذان فى ذلك الوقت من علامات النفاق ، لغير عذر » . وقوله « لغير عذر » متعلق بالاستئذان كما لا يخفى .

ومما ورد من هذا الباب قول ثعلبة بن عمرو العبدى* :

وأهلك مهر أبيك الدوا ءُ ليس له من طعام نصيب

خلا أنهم كلما أوردوا يصبح قعبا عليه ذنوب

الدواء : اللبن ، يريد : أهلك مهر أبيك ترك اللبن ، وذكر فى البيت الثانى أنه يسق من لبن عليه دلو من ماء . فتراه أضمر « ترك » . ذكر هذا ابن الأنبارى فى شرح المفضليات ٧٣ ، ونقله عنه فى اللسان فى ترجمة (دوا) .

وفيما أوردته بلاغ ومقنع فيما نحن بسبيله ، وما يكفل تصحيح الاستعمال الشائع بين الناس .

وأعود بعد هذا لما اشتهر عند العامة من قولهم : أعوز هذا الشيء أى أحتاج إليه أو أريده . والمعروف أن هذا قلب للاستعمال العربى ، وهو أن يقال : عازنى هذا الشيء ، كما سبق فى عبارة اللسان . ولم أر ما يشهد لعبارة العامة إلا ما ورد فى المصباح . ونصه : « عزت الشيء ، أعوزه – من باب قال – : احتجت إليه فلم أجده » . ولا أدرى علام اعتمد صاحب المصباح فى هذا . فاما أن يكون دون ما اشتهر على ألسنة الناس وخاله عربيا ، وإما أن يكون له مرجع صحيح لم يقف عليه أصحاب المعاجم التى بأيدينا . وأيا ما كان الأمر فهو يثبت قدم استعمال العامة : أعوز هذا الشيء ، وعزت هذا الأمر .

الطريحة

تستعمل الطريحة فيما يوظف من العمل على العامل فى مدة محدودة . فيقال : طريحة الحاصد للقمح قيراط ، مثلا . ولم أقف على هذا المعنى فى المعاجم . وكأن وجهه أن القدر

من العمل يطرح على العمال وينتدبون إليه ، فمن قبله قدر عليه ، فهو فى الأصل صفة لحصة مثلا أى حصة طريحة ، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما قيل فى الذبيحة والنطيحة ، ولولا هذا لاستغنى عن التاء .

وقد جاء فى ترجمة عبد الملك بن سراج النحوى إمام أهل قرطبة أنه كان يقول : طريحتى فى كل يوم سبعون ورقة ، يريد ما يقرؤه كل يوم . ذكر هذا السيوطى فى ترجمته فى بغية الوعاة . وكانت وفاة ابن سراج سنة ٤٨٩ هـ .

لم أقرأ هذا الكتاب من ذى قبل

أنكر المعنيون بتهذيب اللغة هـذا الاستعمال ، وأوجبوا حذف « ذى » وأن يقال : لم أقرأ هذا الكتاب من قبل . وقالوا : إنمـا يقال : أفعل هذا الأمر من ذى قبل بفتح القاف وكسرها وفتح الباء أى فى مستأنف أمرى ومستقبل أيامى ، وهـذا غير ما يراد فى الاستعمال الذى هـو موضوع البحث . ويوردون نص اللسان : « الفرّاء قال : لقيته من ذى قَبَل وقِبَل ، ومن ذى عَوَض وعِوَض ، ومن ذى أُنُف أى فيما يستقبـل » ويوردون أيضا عبارة القاموس : « ولا أكلمك إلى عشر من ذى قبل كعنب وجبل أى فيما أستأنف ، أو معنى المحـرّكة : إلى عشر تستقبلها ، ومعنى المكسورة القاف : إلى عشر مما تشاهده من الأيام » .

وقد خطر لى جواز الاستعمال الشائع ، وتخريجه على أحد وجهين : الأول زيادة ذى ، والثانى أن تكون صفة لموصوف محذوف .

فأما زيادتها فهى كثيرة فى الكلام العربى ، وفى اللسان فى (جرم) نقلا عن ابن الأعرابى : « والعرب تصل كلامها بذى وذا وذو ، فتكون حشوا ولا يعتدّ بها » وأما جعلها صفـة لمحذوف فقد قالوه فى قولهم : ذات مرة أى دفعة ذات مرة ، وفى قولهم : ذات صباح ، أى ساعة ذات صباح ، وفى قولهم : فعلتـه ذا صباح ، أى وقتا ذا صباح أى وقتا مسمى بهذا ، ومن هذا قوله :

عزمت على إقامة ذى صباح   لأمر ما يسود من يسود

فقـولهم : ما فعلته من ذى قبل أى من الوقت صاحب هـذا الزمن وهـو قبل ، وقـد أفرد ابن جنى لمثل هذا فى الخصائص بابا عنوانه : باب فى إضافة الاسم إلى المسمى ، والمسمى إلى الاسم » م

محمد على النجار

تعليقات

الصحف المنحرفة

على الرغم من أن الصحافة فى مصر سائرة بتوجيه أصحابها المهذبين ، فان فيها صحفا نادة ، لا تتوخى الصواب ، ولا تستجيب للتفاهم ، ولا تتحرج من الإسفاف ، وخاصة حينما يطاب لها أن تتصيد المنفعة ، ولو على حساب الدين ورجاله ، ممن يسرهم الغمز فى الدين ورجاله ، وفى الأزهر وعلمائه .

وقد عرفنا قديما تلك الصحف كما هى عارفة بنفسها ، ورأيناها أخيرا كما عرفها الناس من قبل : ذات أهداف مادية جشعة ، وذات وسائل تستسيغها هى ، ولو لم يسوغها سبب آخر ، وتدأب عليها وإن عافتها كرامة الصحف الأخرى .

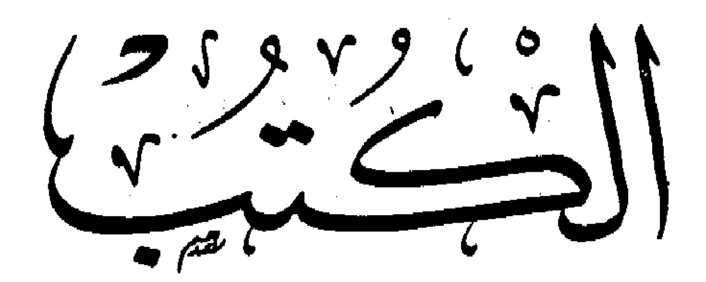
وقد رأينا أخيرا تلك الصحف تكتب بعنوان ظاهر «الشيخ متلوف» وتنشر تحت هذا العنوان الهازل صورا مرذولة لشيخ هرم ذى لحية طويلة يلاحق السيدات فى كل مكان .

ويشهد الله والناس أن تلك الصحف ما قصدت بهذا التخيل الماجن ـ أولا ـ إلا تجريحا سفيها لرجال التعليم الدينى ، وإلا أن تتوسل ـ ثانيا ـ بهذا الغمز اللادينى إلى عطف المعادين للاسلام الذين اعتاضوا عن التبشير السافر بالاستتار وراء بعض الصحف ، فهم يقبلون عليها بما يرضيها ، وهى تنشر لهم ما يرضيهم من البذاءة على رجال الدين .

كم وددنا على صحافة تعتبر نفسها وطنية مسلمة أن تتجرد قليلا من النفعية الجشعة ، وأن تسهم بحق فى الإصلاح القومى ، وأن تسير مخلصة فى ركاب الداعين إلى الجد فى تخليص الوطن والمواطنين من التهريج ومن الشوائب المرذولة ، ومن التلون بالألوان المتناقضة فى أزمنة متعاقبة . وددنا ذلك ، ورفعنا به الصوت غير مرة على مسمع من أكرم الرجالات العاملين على بناء القومية ، ولكن تمرد تلك الصحف على الآداب يلويها عن سماع دعوتنا لها ، ويغريها بذلك أن رجالات مصر مشغولون عن هذه السفاسف بأمور أخرى تستأثر اليوم بكل أوقاتهم .

وشىء من الترفع أو الحياء كان يكفى للاقلاع عن هذا التمادى فى بث اللادينية من طريق الصحافة الجامحة ، ولكن أين الحياء الذى ننشده لهم ، عسى أن يكون قريبا . . . ؟!

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



مصر فى القرن التاسع عشر ـ الجزء الثانى

للأستاذ محمود الشرقاوى ـ ١٨٠ ص ـ مكتبة الانجلو المصرية

لو أن تاريخ الجبرتى من تراث أمة كالألمان أو غيرهم من أمم الغرب لامتلأت خزائن كتبهم بالدراسات والبحوث التى تعكف عليها أقلام العلماء والمحققين لاستخراج دفائنه ، وإضاءة ما واراه الزمن من غوامض أحداثه ، وبيان الظروف التى وقعت فيها تلك الأحداث ، وعرض ذلك بالأساليب التى تجعل المعاصرين من القراء كأنهم معاصرون لرجال ذلك العصر يشهدون أعمالهم ويفهمون أغراضهم ويربطون بين المقدمات ونتائجها . وهذا ما قام به الأستاذ المحقق محمود الشرقاوى فى دراساته الدقيقة لكتاب عجائب الآثار، الذى دون فيه الجبرتى ما وصل إليه علمه من أحداث عصره والزمان القريب منه، فكان فى ذلك أمينا صادقا مخلصا، وقد ملأ الجبرتى بعمله فراغا فى تاريخ مصر كان حلقة فى سلسلة زينها أسلاف الجبرتى ـ كابن إياس وابن تغرى بردى وابن الفرات وغيرهم ـ بمؤلفاتهم التى تحتاج هى الأخرى إلى من يجدد بدراساته شبابها ، ويحيى بحوثه ظروفها ، ويزين بقلمه أساليبها، فيكون الماضى وأهله بين يدى الحاضر وأهله جليا واضحا يتصل آخره بأوله، فتتعظ الأجيال بعبر الماضى ، ويكمل الأحفاد رسالة الأجداد ، ويتعرف الناس مواطن الزلل ليجتنبوها ، وأسباب الضعف وعواقبه فيتقوها ، وطريق القوة فيسيروا فيه إلى الأهداف القومية التى توحد بين الأجيال، وتقيم منها كيانا واحدا تكون أمثال هذه الكتب مصابيح فى طريقه إلى الخلود .

إن جمهرة القراء المثقفين يفيدون من مثل هذه الدراسات عن أمهات كتب التاريخ الكبرى مالا يفيدونه من أصولها ، لذلك كان عمل الأستاذ الشرقاوى عظيما وقد سد به فراغا يشعر به قراؤه . فنرجو له التوفيق فى مواصلة هذا العمل النافع المفيد .

حرية الفكر فى الاسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون ـ ٣٩ ص ـ مطبعة الأزهر

هى محاضرة جليلة نافعة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون فى دار كلية الآداب بجامعة الاسكندرية باقتراح من عميدها ، وقد استهدف بها أمرين : أحدهما أن نكيف أنفسنا بتحقيق قول أسلافنا « العلم رحم بين أهله » ، ومن صلة هذا الرحم قيام شيخ علماء الإسكندرية بالقاء هذه المحاضرة فى كلية الآداب بتلك الجامعة. الأمر الثانى أن ينقل إلى الذين يحاضرهم صورة واقعية صادقة عن (حرية الفكر الإسلامى) حتى يعلم الذين لم يتعمقوا دراسة الإسلام فوقفوا منه موقف الصديق المتوجس أو الغريب الكاشح أو العدو الجاهل أنهم مقصرون فى ذات أنفسهم ، مفرطون فى حق عقولهم ، وحتى يعلموا أنهم ليسوا أمام دين يكبل عقولهم ، ولكنهم أمام حقيقة إلهية تنبع من أعماق أنفسهم ، وتتأصل جذورها فى فطرهم ، وتتلاءم مع طباعهم ، وتستجيب لها ضمائرهم . ثم أفاض فى براهين موضوعه بدراسة عميقة زرة خرج السامعون منها بأكثر مما وعدهم به المحاضر فى فاتحة محاضرته ، فكان ذلك من أعظم ما خدم به الحق من حيث هو ، والمجتمع الإسلامى المصرى ممثلا بمن استمع إلى المحاضر فى كلية الآداب بالاسكندرية ، ولا نقول إنه خدم بذلك الإسلام ، فالإسلام أسطع نورا ، وأرسخ دعائم ، وأبقى على الدهر من أن يحتاج منا الى مناصرته ، بل نحن المحتاجون الى العلم به لنتمكن من الانتصار به فنكون من أهل القوة والسعادة فى الأرض .

نهضة الداعى ، إلى الاصلاح الاجتماعى

لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ـ ٢١٢ ص ـ مطابع دار الكتاب العربى

كتاب حافل بشتى المواعظ وجليل الحكم فى طائفة من الموضوعات المتنوعة التى تتعلق بشتى نواحى صلاح المجتمع الإنسانى ، مدعما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وحلاه بالقصص الطريفة والأشعار المستحسنة ، متوسلا بذلك إلى إصلاح البيئة الاجتماعية حتى تسترد مجدها فى ظل الإسلام .

وكان قد نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب وهو طالب على أبواب التخرج بكلية أصول الدين ، ثم أعاد طبعه الآن منقحا مضافا إليه من الموضوعات المهمة ما فيه تبصرة وذكرى وعظة وبشرى . حقق الله النفع به .

اولو العزم من الرسل

للأستاذ محمد عبد الله السمان – ١٧٥ ص – مكتبة الخانجى ومكتبة وهبه بالقاهرة

حلقة جديدة من إنتاج الأستاذ الفاضل محمد عبد الله السمان فى الثقافة الإسلامية ، كتبها بعد عزلة قدرها الله له فامتدت زهاء نصف عام كانت له شعاعا أضاء له الطريق ، إذ كان كتاب الله القبلة التى اتجه إليها ، فهيأ له لقاؤه مع كتاب الله أطيب فرصة للنزول ضيفا على ساحة « أولى العزم من الرسل » نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ، فكان من ثمرات ذلك إخراجه هذا الكتاب لايكون سردا قصصيا ولا مرجعا تاريخيا بل هدف إلى أن يكون تحليلا لشخصيات هؤلاء الحاملين لرسالات الله وظروف دعواتهم ونتائجها ، فكتبه عن قوة شخصياتهم ، وطاقات احتمالهم ، ونتائج دعواتهم ، بأسلوب بليغ وعرض لطيف مستعينا بالمأثور عنهم فى كتاب الله وفى الكتب الأخرى كالأناجيل ومنها إنجيل برنابا ، وهكذا جعل من حياة أولى العزم من الرسل ودعواتهم بحثا تحليليا مستفيضا يلتمس منه القارئ المثقف النماذج الطيبة التى تتمثل فيها شخصياتهم والمعانى الحية التى تتجلى فى دعواتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وحى النهضة الوطنية — فى الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ على رفاعى محمد – ١٧٠ ص – مطبعة الأمين بالقاهرة

هو الجزء الثانى من (الأنوار المحمدية فى الخطب المنبرية) الذى وصفناه فى ص ١٠٩٨ من هذه المجلة سنة ١٣٧٣ ، وهذا الجزء على غرار أخيه السابق له ، وتدور خطبه حول النهضة والأهداف القومية والجهاد، وفضل الشهداء والانتاج القومى ، والرياضة وأثرها ، وأن النظافة من الإيمان ، إلى غير ذلك مما له أثر طيب فى تكوين كيان الأمة وتجديد شبابها .

موعظة المؤمنين — الجزء الاول

للأستاذ حامد محمود اسماعيل – ٢٠٠ ص – مطابع دار الكتاب العربى

هى مجموعة خطب منبرية تدور حول مختلف المعانى الاسلامية والخلقية والاجتماعية وقد بلغت خمسين خطبة على عدد أسابيع السنة . وقدم لها المؤلف مقدمة عن مقومات الخطابة الدينية ، ومنها السهولة وتجنب العبارات الغريبة ، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتخير الألفاظ المثيرة لشعور السامعين ، وشجاعة الخطيب ورباطة جأشه ، وقوة العاطفة ، وورع الخطيب وتدينه وعمله بما يقول ، وقصر الخطبة على موضوع واحد ، وحسن المظهر والهيئة . فيلفت اليه الأنظار .

نشاط الأزهر الثقافى

عرضت على جهات الاختصاص فى الأزهر طائفة كبيرة من مؤلفات حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة والمدرسين التى وضعوها وفقا للمناهج الأخيرة فى القسمين الثانوى والابتدائى . وهذا بيان ببعض هذه الكتب التى رأت المشيخة صلاحيتها للتدريس :

ففى مادة البلاغة : كتاب (المدخل فى علوم البلاغة) للسنة الأولى الثانوية من تأليف صاحبى الفضيلة الشيخ الدسوقى حسن سلامة ، والشيخ كمال هاشم نجا . وفى مادة المنطق : كتاب (التصورات والتصديقات) للسنتين الأولى والثانية الثانويتين من تأليف فضيلة الشيخ عبد الرحمن مصطفى ، وفى مادة المطالعة : كتاب من تأليف أصحاب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى ، والأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى ، والأستاذ محمود رزق سليم . وفى مادة أدب اللغة : كتاب (الأدب العربى) لأصحاب الفضيلة الشيخ أمين دياب خضر ، والشيخ زكى سويلم ، والشيخ الصادق جمال الدين ، والشيخ محمد العزازى . وفى مادة الصرف : كتاب (الرائد الحديث) لفضيلة الشيخ كامل شاهين . وفى مادة العروض : كتاب (اللباب) له أيضا .

ومن الكتب التى رأت المشيخة صلاحيتها للتدريس فى القسم الابتدائى :

كتاب التاج فى المطالعة لصاحبى الفضيلة الشيخ محمد خليفة والشيخ إبراهيم الوقفى . وشرح الأزهرية الجديد فى النحو لأصحاب الفضيلة المشايخ إبراهيم عيسى ، وعبد اللطيف خليفة ، وعلى كرسون ، ومحمد عباسى . وتيسير الصرف لصاحبى الفضيلة الشيخ عبد السميع السنباطى ، والشيخ زكى على سويلم . وإرشاد الطالب فى الصرف لصاحبى الفضيلة الشيخ أحمد عمارة ، والشيخ عبد الغنى إسماعيل . وتعليقات على شرح ابن قاسم فى فقه الشافعية لفضيلة الشيخ فرج السيد فرج . وكتاب مختارات الباجورى على ابن قاسم للمشايخ توفيق حموده ، وفرج السيد فرج ، ومحمد البهنسى ، والحسينى الشيخ .

البيانات

لأبى الأعلى المودودى ـ ٢١٣ ص ـ مطبعة العلوم والآداب بدمشق

هى مجموعة بيانات ثلاثة أدلى بها الأستاذ المودودى فى محكمة التحقيق التى ألفتها حكومة باكستان سنة ١٩٥٣ للبحث عن اضطرابات مقاطعة بنجاب عامة ومدينة لاهور

خاصة ، التى هى نتيجة طبيعية لسلوك القاديانيين المريب فى الوطن الباكستانى الاسلامى . فقد وجهت المحكمة السؤال الى مختلف الاحزاب السياسية والجمعيات الدينية عن موقفها من القاديانية والاضطرابات التى ثارت من حولها ، وعلى من تقع تبعة هذه الاضطرابات ، وهل أصابت الحكومة فى فرضها الحكم العرفى على مدينة لاهور أم لم يكن ثمة حاجة إليه ، وهل التدابير التى اتخذتها الحـكومة كافية لتوطيد الأمن أم غير كافية .

وكان الأستاذ المودودى أحـد الذين وجهت المحكمة إليهم هذه الأسئلة ، فكتب الأستاذ المودودى أجوبته على هذه الأسئلة وهو فى غيابة السجن ، فكشف القناع عن وجهة نظر فى القاديانية وما كان منها وما وقع عليها وموقف الشعب والحكومة والجمعيات الإسلامية من ذلك ، فلما نشرت هذه البيانات فى الصحف الباكستانية بأذن من المحكمة أجمع أهل الإنصاف على أن ذلك هو القول الفصل والقضاء المحكم . ثم كان من المحكمة أن تصدت لمسائل أخرى غير التى كانت محددة فى نطاق البحث ، فعمد الأستاذ المودودى إلى كتابة بيان ثان عن هـذه النقط والمسائل أصلح فيـه الأخطاء التى صدرت عن بعض الشهود لقلة علمهم بالشريعة الإسلاميـة ونظامها . وفى الختام وجهت المحكمة إلى العلماء أسئلة عن المسيح والمهدى والنبوة والرسالة وما إليها من المسائل التى للقاديانيين فيها آراء مخصوصة وأوهام مضللة ، فوضع الأستاذ المودودى بيانه الثالث وفيه الأجوبة الحاسمة عن هذا كله فكان من مجموع ما تقدم كتاب (البيانات) الذى نشرهناك باللغة الأوردية ، وقام الأستاذ محمد عاصم الحداد والسيد محمد كاظم سباق من زملاء دار العروبة للدعوة الإسلامية فى باكستان بنقله إلى اللغة العربية وطبع بدمشق . ولما كانت مصيبة المسلمين بالقاديانية التى هى وليدة الاستعمار تعد مصيبة مشتركة بين المسلمين كلهم ويجب عليهم التعاون على الخلاص منها فان نشر هذه البيانات بالعربية يعد خدمة اسلامية يشكر عليها كل من له نصيب فى ذلك .

كتاب المطالعة للمعاهد الدينية

لأصحاب الفضيلة : الشيخ السبكى ، والشيخ أبو الوفا المراغى ، والأستاذ محمود رزق سليم – ٢٧٦ ص – دار الـكتب الحديثة .

هو الجزء الأول لطلبة السنة الأولى والثانية والثالثة الثانوية ، قررت مشيخة الأزهر تدريسه بالمعاهد الدينية الثانوية ، وقد جمع طائفة من الأدب البارع ، والشعر المنتقى ، مما جادت به قرائح أعلام البيان العربى فى مختلف عصوره ، وحسبنا أن يكون مؤلفوه هؤلاء الأفاضل الـكرام من رجالات الأزهر ، فنرجو الله أن ينفع به .

الأدب والعلوم

المدرسة والمسجد

تقرر أن يعد فى كل مسجد ينشأ فى المستقبل مكان لمدرسة ابتدائية ، وتبحث وزارة الأوقاف رغبة وزارة التربية والتعليم فى حصر المساجد التى يمكن إلحاق مدارس ابتدائية بها ، أو بناء فصول دراسية فى المساجد المعطلة . وا تضح أن وزارة الأوقاف يمكنها أن تدبر حتى أول العام الدراسى القادم نحو ٢٠٠ مدرسة . وتقرر أن تشترط وزارة الأوقاف لاعانة المساجد التى يقوم الأهالى بانشائها أن تكون بسيطة ، وأن تلحق بها مدرسة . وستكون الإعانة مجزية ومشجعة للأهالى ، وأن تكون إدارة تلك المدارس تابعة لها لتتحقق من الاحتفاظ بميزة تحفيظ القرآن الكريم .

نفقات التعليم الجامعى

يقول الدكتور كامل مرسى مدير جامعة القاهرة إن طالب كلية العلوم يتكلف ١٧٤ جنيها ويدفع عشرة جنيهات . وطالب الطب أو الهندسة يتكلف مائة جنيه ويدفع ١٥ جنيها ، وطالب كلية الآداب يتكلف ٣٤ جنيها ويدفع عشرة ، وطالب الحقوق يتكلف ٢٣ جنيها ويدفع عشرة ، وطالب كلية دار العلوم يتكلف ٦٤ جنيها ولا يدفع شيئا . وميزانية جامعة القاهرة وحدها ثلاثة ملايين من الجنيهات هى ميزانية المصروفات بينما لا تزيد الإيرادات على ٣٠٠ ألف جنيه .

اللغة الصينية

فى جامعة القاهرة

تقرر تدريس اللغة الصينية فى قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة . وقد قدم إلى مصر أستاذ من الصين لتدريس لغتها ، كما قدم عدد من الطلاب الصينيين للدراسة فى مصر .

وقد خصص وزير التربية والتعليم سبع بعثات من الطلبة المتفوقين لإيفادهم إلى الصين لدراسة لغتها .

اللغة الصينية

فى مدرسة الألسن

قررت مدرسة الألسن انشاء قسم جديد بها لتعليم اللغة الصينية ، والابتداء بذلك

فـورا، ويقوم بالتدريس فيه الأستاذ كنغ أستاذ اللغة الصينية الزائر بمصر، وستكون الدراسة بالقسم الجديد بعد ظهر يوم الأحد من كل اسبوع، ويقبل فيه خريجو الجامعات والكليات الحربية وكلية البوليس والجامعة الأزهرية ومن فى مستواهم .

الانفجارات فى الشمس

تـكررت أخيرا الانفجارات فى الشمس، وفى الانفجار الذى حـدث يوم ١٤ فبراير تمكن مرصد موزا يشنو فى اليابان من تصويره فى اللحظة التى كان فيها على أشده . ثم تكرر الانفجار يوم ٢٣ فبراير وسجل مركز الابحاث فى طوكيو زيادة طاقة الاشعاع الكونى من ١٠ الى ١٥ ٪ بينما سجل مرصد جبل نوريكورا زيادة تعادل ٦٠ ٪ ويؤكد مرصد موزا يشنو أنه أثناء انفجار ٢٣ فـبراير زادت قوة نور الشمس ثلاثة اضعاف متوسطها، وحدث ذلك فى منطقة تزيد مساحتها ست مرات عن مساحة الأرض . وهذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها اضطراب فى الأشعة الكونية فى الوقت الذى يحدث فيه الانفجار الشمسى .

ويتوقع العلماء أن يحدث انفجار رهيب فى سطح الشمس يوم ١٥ مارس الحالى (٢ شعبان) وقد استعدوا لإطلاق بالونات فيها آلات تسجيل واختبار إلى ٢١ ميلا فى الطبقات العليا من الجو . وقد اجتمع فى طوكيو خمسون فلكيا وعالما من علماء تـكوين الأرض لتبادل الآراء بخصوص الأشعة الكونية، وسيطلقون فى هذا الصيف عشرة بالونات للمراقبة على ارتفاع يتراوح بين ١٥ و ١٦ ميلا .

أسماء المعسكرات

فى قاعدة القنال

كان للمعسكرات البريطانية الكثيرة فى قاعدة القنال أسماء انجليزية، وكلما تسلمت القيادة الشرقية المصرية معسكرا من هذه المعسكرات نزعت عنه عنوانه الانجليزى وسمته باسم تختاره له، فاختارت لمعسكر سانت فنسانت اسم (الفسطاط)، ولمعسكر ليدى سميث اسم (عرفات)، ولمعسكر تايم اسم (الخطاب)، ولمعسكر مالطة اسم (أمية)، ولمعسكر كورا اسم (قرية الرياض)، ولمعسكر جبرا لتر اسم (قرية الأندلس)، ولمعسكر كورونا اسم (الأمين)، ولمعسكر تانجير اسم (المأمون) ولمعسكر الفاليز بالتل الكبير اسم (عرابى) ولمعسكر كوبنهاجن اسم (محمد عبده)، ولمعسكر غوردون اسم (الكرنك)، ولمعسكر سان جورج اسم (رمسيس)، ولمعسكر بلا كلافا اسم (تحتمس)، ولمعسكر بوب هنيسي اسم (أحمس)، ولمعسكر كلودن ابيم (قادش) .

أنباء العالم الإسلامي

أقطاب العرب الثلاثة

كانت أواخر شهر رجب المنصرم أيام إسراء ومعراج فى حياة الأمة العربية تمثلت فى اجتماع أقطاب العرب الثلاثة : الملك سعود ، والرئيس شكرى القوتلى ، والرئيس جمال عبد الناصر ، لتنسيق السياسة العربية الخارجية والاقتصادية ، وتجنيد إمكانيات القومية العربية لجمع شملها وتنظيم قواها وسد الثغرات التى فتحها الاستعمار والأنانيات والجهل فى كيان هذه الأمة النبيلة . وكل ما نرجوه من الله أن يؤهل هذه الأمة لتكون مستحقة للرجوع إلى طريقها فى تاريخ الإنسانية ، وقيامها برسالتها لتعود لها مكانتها بين الأمم .

وقد انتهى مؤتمر الأقطاب الثلاثة إلى نتائج عظيمة ، وقرارات تاريخية ، هذا بيانها :

نص البيان

فى الظروف الخطيرة التى تحيط بالبلاد العربية وتهدد سلامتها رأينا أن نجتمع لنبحث الأمر من جميع نواحيه ونستكمل بذلك المشاورات التى دارت من قبل بين حكوماتنا ونختمها بما نجده ضروريا من قرارات .

ولقد تم اجتماعنا بالقاهرة فى الفترة ما بين يوم الثلاثاء ٢٣ من رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٥٦ وبين يوم الأحد ٢٨ من رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ١١ من مارس سنة ١٩٥٦ .

والتقت آراؤنا عند تفاهم كامل فى كل ما عرض للبحث أمامنا واستطعنا بذلك أن نجمع إرادتنا على خطة كاملة نواجه بها كافة الاحتمالات والمفاجآت .

ولقد تمت محادثاتنا فى جو من الصداقة الوطيدة التى يدعمها التفاهم المتبادل بيننا ويربطها إيماننا الواحد الراسخ بفكرة العروبة والثقة التى لا حد لها فى مستقبل الأمة العربية .

وشد من عزمنا وقوى روحنا ما لاحظناه بارتياح من زيادة الوعى الوطنى فى الأمة العربية ، وإننا لننظر فى إعجاب واطمئنان إلى الدور العظيم الذى أصبح الرأى العام العربى يقوم به فى توجيه الحوادث بيقظة مستنيرة وشجاعة حكيمة .

الموقف فى الشرق

ولقد بحثنا الموقف فى الشرق الأوسط من جميع وجوهه ونواحيه واتفق رأينا على أن العمل للسلام وتحقيقه والمحافظة عليه إنما يقوم بالتعاون الصادق بين الدول على أساس من الاستقلال والمساواة التامة بينها جميعا ، وعلى احترام حقوق الإنسان والتزام أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه .

وإننا لنؤمن بأن السلام الحقيقى الذى تتطلع إليه شعوبنا وشعوب العالم لن يسود مالم تصبح هذه الأسس مصدر الإلهام فى تصرف كل دولة إزاء غيرها من الدول ، وبذلك تخف حدة التوتر الناشئ من تدخل بعضها فى الشئون الداخلية للبعض الآخر ، والضغط عليها بمختلف الوسائل والأساليب .

وإننا لنعلن عزمنا على تجنيب الأمة العربية مضار الحرب الباردة ، والبعد بها من منازعاتها والتزام سياسة عدم الانحياز تجاهها محافظة بذلك على مصالحها .

الدفاع عن العرب

كذلك نعلن أن الدفاع عن العالم العربى يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيقى وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية التى تحاول استخدام التنظيمات الدفاعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى مضحية فى سبيل ذلك بالقضايا والأمانى العربية الخالصة ووحدة أمتنا .

ولقد كانت قضية فلسطين موضع اهتمامنا البالغ ، وإننا لنؤكد تمسكنا بحقوق عرب فلسطين كاملة .

وإنه ليطيب لنا فى هذه المناسبة أن نؤكد تمسكنا بالمبادئ التى أعلنها مؤتمر الدول الافريقية الاسيوية بباندونج ، واعتبارها الطريق الذى تسير عليه سياستنا فى المحيط الدولى .

القرارات

وهذا هو نص قرارات مؤتمر الرؤساء الثلاثة :

اجتمع بالقاهرة فى الفترة من ٢٣ رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ٦ مارس سنة ١٩٥٦ إلى ٢٨ رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ١١ مارس سنة ١٩٥٦ .

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ابن عبد العزيز آل سعود .

وصاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى .

والسيد الرئيس جمال عبد الناصر .

وقد عقد هذا المؤتمر عدة اجتماعات عكف فيها الرؤساء على دراسة الموقف فى

الشرق الأوسط على ضوء ما ورد فى بيانهم من مبادئ وأسس ، وانتهوا إلى قرارات محددة بشأن كل ما عرض أمامهم من مشاكل .
وفيما يلى بعضها :

تدعيم الأمن

١ - تم وضع خطة شاملة لتدعيم الأمن العربى والعمل على حفظ كيان الأمة العربية والدفاع عنها ضد أخطار العدوان الصهيونى والسيطرة الأجنبية التى تحول دون استتباب السلام والاستقرار فى تلك المنطقة وتخلق حالة من التهديد والتوتر .

تنسيق الدفاع

٢ - تم وضع خطة شاملة لتنسيق خطة الدفاع العربى لمواجهة أى عدوان قد يقع ضد اية دولة عربية من قبل اسرائيل التى دأبت على سلوك سياسة عدوانية تنكر مبادئ الحق والقانون وتتجاهل قرارات الأمم المتحدة

اسرائيل ...

٣ - تم وضع خطة شاملة لمواجهة موقف بعض الدول التى تسمح بتجنيد رجالها لخدمة العسكرية فى القوات الإسرائيلية

٤ - تم الاتفاق على مواجهة الموقف الذى يقتضيه امن الدول العربية تجاه امداد اسرائيل بالاسلحة التى تساعدها على التمادى فى العدوان

حلف بغداد

٥ - تم وضع خطة شاملة لمواجهة المحاولات التى تبذل عن طريق حلف بغداد للضغط على البلاد العربية وتعريض الأمن العربى للخطر وتفرقة الصف العربى فى الوقت الذى تجد فيه البلاد العربية نفسها أشد ما تكون حاجة الى وحدة متماسكة فى الجهود والاتجاهات .

٦ - تم الاتفاق على التأييد الكامل للأردن ومساندته ضد أى ضغط أجنبي أو أى عدوان صهيونى بما يكفل للشعب الأردنى الباسل تحقيق غاياته .

وقد اتصل المؤتمر بحضرة صاحب الجلالة الملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية لا بلاغه ذلك وتأكيد ما سبق الإعراب عنه من الاستعداد التام الأكيد لمعاونة الأردن والوقوف بجانبها .

الكيان العربى

٧ - وضع المؤتمر خطة شاملة تهدف الى توثيق روابط الكيان العربى وتنمية التعاون بين الدول العربية الخالصة . كما بحث المؤتمر وسائل تحقيق الوحدة العربية التى

يؤمن الرؤساء الثلاثة إيمانا لا يتزعزع بأنها السياج المنيع للبلاد العربية الذى يضمن استقلالها و يكفل لها استكمال اسباب نهضتها .

سياسة سعودية سورية مصرية

٨ — وضع المؤتمر خطة شاملة لتنسيق السياسة السعودية ـ السورية ـ المصرية من النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية بحيث تكون نتيجة هذا التنسيق الشامل تعبئة جميع القوى وتوجيهها الوجهة التى تحقق المصلحة العليا للأمة العربية .

٩ — وضع المؤتمر خطة لمواجهة مشكلة الاحتلال البريطانى لواحة البريمى وإمارة عمان ورسم الوسائل التى تؤدى إلى إنهاء هذا النزاع على نحو يحفظ لهذه المناطق عروبتها ويحول دون الانتقاص من سيادتها وحقوقها

شمال افريقيا

١٠ — رأى المؤتمر بعد بحث مستفيض للوضع الراهن فى شمال افريقيا ـ أن السياسة الفرنسية التى تمعن فى انتهاك حقوق شعوب شمال افريقيا تهدد السلم تهديدا خطيرا فى تلك المنطقة وعلى فرنسا أن تعترف بحق شعوب شمال افريقيا فى الاستقلال طبقا لميثاق الأمم المتحدة ومبدأ حق تقرير المصير لكل الشعوب .

١١ — رأى المؤتمر بعد بحث القضايا العربية أن يعمل بكل الوسائل حتى تحل هذه القضايا حلا عادلا يحفظ للعرب سيادتهم وحقوقهم .

* * *

الجنرال جون جلوب

تعيده الأردن إلى بلاده

تفاقمت التصرفات العدائية التى ما زالت تصدر عن الجنرال جون جلوب مخالفة للأمانة المطلوبة من مثله فى مثل عمله الذى كان يقوم به فى الجيش الأردنى ، فاضطر الملك حسين ملك الأردن إلى إصدار مرسوم ملكى بانهاء خدمات هذا الضابط البريطانى بصفته رئيسا لأركان حرب الفيلق العربى ، وأسند منصبه إلى مساعده الوطنى الزعيم راضى عناب ، وقد غادر الجنرال جلوب وأسرته مدينة عمان فورا عقب صدور المرسوم ، وكانت قد أعدت له طائرة أردنية لتعيده إلى بلاده حالا . وقد أنهى المرسوم خدمات الكولونيل باتريك كوجهيل رئيس مخابرات الفيلق العربى ، والزعيم هانون مدير الحركات الحربية . وأحيل إلى التقاعد القائمقام عبد الرحمن الصحن والقائد سليم كرداشة ووكيل القائد أميل جميعان وهم من صنائع الطاغية جلوب . وقد قامت الأفراح البهيجة فى مملكة الأردن والبلاد العربية سرورا بهذه الخطوة الجريئة التى أقدم عليها **الملك حسين وكانت من أكبر حسناته .**

سياسة السودان

أكد وزير خارجية السودان فى مؤتمر صحفى أن سياسة السودان قائمة على عدم الدخول فى أحلاف عسكرية مهما كانت ، ليكون السودان بمنأى عن الخلافات ، وأن انضمام السودان إلى الجامعة العربية يعنى ارتباطه بسياستها . وأن مجلس الوزراء السودانى قد وافق على مقاطعة إسرائيل ، وأن الجهات المختصة فى الحكومة ستتخذ الإجراءات اللازمة لإحكام هذه المقاطعة .

السودان

وحصار إسرائيل الاقتصادى

على أثر مذكرة تلقتها الحكومة السودانية من الجامعة العربية متضمنة الاقتراح بأن تتخذ حكومة السودان الاجراءات اللازمة لإحكام الحصار الاقتصادى على إسرائيل ، وإنشاء مكتب لمقاطعة إسرائيل أسوة ببقية الدول الأعضاء بالجامعة — انعقد مجلس الوزراء السودانى وقرر الموافقة على مقاطعة إسرائيل وإحكام الحصار الاقتصادى الذى ضربته الدول العربية عليها .

قرى المرابطين السوريين

على حدود اسرائيل

أقر مجلس النواب السورى مشروع قانون تقدمت به الحكومة السورية لإنشاء قرى دفاعية نموذجية على حدود اسرائيل يرابط فيها سكان من الجنود والضباط المتقاعدين والمسرحين من رجال الجيش مع عائلاتهم ، وستنظم هذه القرى على نمط المستعمرات الإسرائيلية القريبة من الحدود .

اللاجئون الفلسطينيون

ومعركة الإنقاذ

أرسل سكرتير مكتب اللاجئين فى عمان برقية إلى الأقطاب الثلاثة المجتمعين بمصر : الملك سعود والرئيس شكرى القوتلى والرئيس جمال عبد الناصر ، قال فيها : إن اللاجئين يحيون جهودهم المباركة لوحدة العرب و إنقاذ فلسطين ، ويرفعون قرارهم إليهم بتأييد الأردن ، والتماس قبولهم فى الجيوش العربية ليكونوا المقدمة فى معركة الإنقاذ .

أسلحة أمريكية للعرب

عادت أمريكا فرفعت حظر تصدير بعض الأسلحة إلى الوطن العربى ، وأذنت بشحن ١٨ دبابة وأجهزة إشارة وأدوات طائرات للمملكة العربية السعودية .

الاعتراف باستقلال مراكش

فى يوم ١٩ رجب (٢ مارس) تمت فى باريس المفاوضات بين جلالة الملك سيدى محمد بن يوسف ومسيو رينيه كوتى رئيس جمهورية فرنسا على الاعتراف للمغرب الأقصى باستقلاله وسيادته ، وهذه خلاصة التصريح المشترك :

« ان حكومة الجمهورية الفرنسية وجلالة محمد الخامس سلطان مراكش يؤكدان عزمهما على تنفيذ تصريح سان كلو الصادر فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٥ ، وهما يقرران بعد التقدم الذى أحرزته مراكش أن معاهدة فاس التى عقدت فى ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ لم تعد ملائمة لضرورات الحياة العصرية وتحديد العلاقات المراكشية الفرنسية ، ومن ثم فان الحكومة الفرنسية تؤكد رسميا الاعتراف باستقلال مراكش ، وهو استقلال يبيح لها بصفة خاصة جيشا وسلطة دبلوماسية ، كما تؤكد الحكومة الفرنسية عزمها على احترام وحدة الأراضى المراكشية التى تكفلها المعاهدات الدولية .

وان حكومة الجمهورية الفرنسية وجلالة السلطان محمد الخامس يعلنان أن المفاوضات التى افتتحت بين مراكش وفرنسا فى باريس أخيرا ـ وهما دولتان متساويتان وتتمتع كلتاهما بالسيادة ـ تهدف إلى عقد اتفاقات جديدة لتحديد العلاقات بينهما فى مجال مصالحهما المشتركة وتنظيم التعاون على أساس من الحرية والمساواة ، وبخاصة فيما يتعلق بشئون الدفاع والعلاقات الخارجية والمسائل الاقتصادية والثقافية ، وكذلك ضمان حقوق وحريات الفرنسيين المقيمين فى مراكش والمراكشيين المقيمين فى فرنسا ، مع احترام سيادة الدولتين فى هذا الشأن ، وتجتمع فى ١٢ مارس فى الرباط لجنة فنية للبحث فى تأليف الجيش المراكشى المستقل . كما تجتمع لجنة أخرى يوم ١٠ مارس لتحويل السلطات من أيدى الفرنسيين إلى الحكومة المراكشية » .

جمهورية باكستان الاسلامية

قررت الجمعية التأسيسية الباكستانية أن يكون اسم دولة باكستان (جمهورية باكستان الإسلامية) .

بنك الجمهورية

وافق مجلس الوزراء المصرى على قرار بتأسيس شركة مساهمة مصرية باسم (بنك الجمهورية) وحدد رأس ماله بمليون جنيه قسمت على ٥٠٠ ألف سهم قيمة كل سهم جنيهان . وقد اكتتبت الحكومة المصرية بمبلغ ربع مليون جنيه ، وصندوق توفير البريد بـ ٢٥ ألف جنيه ، ومصلحة صناديق التأمين والادخار الحكومية بـ ٦٠ ألف جنيه ، ووزارة الأوقاف بـ ٣٠ ألف جنيه ، والمجلس الدائم للخدمات العامة بألفى جنيه ، وهيئة التحرير بألفى جنيه ، وصندوق التأمين الخاص بضباط القوات المسلحة بثمانية آلاف جنيه ، ونقابة عمال ومستخدمى بنك التسليف التعاونى بـ ٢٥ ألف جنيه ، ونقابة المحامين بـ ٤٠ ألف جنيه ، ونقابة عمال القاهرة

بعشرة آلاف جنيه ، كما اشتركت نقابات وهيئات أخرى بمبالغ مختلفة وخصص الباقى من الأسهم لأفراد الشعب . ويقول السيد أحمد عبدالله طعيمة المراقب العام للاتحادات والنقابات بهيئة التحرير العليا : إن هذا البنك الذى يملكه الشعب هو الطريق إلى تحطيم الاستبداد الاقتصادى والظلم الاجتماعى وانخفاض مستوى المعيشة .

المرحلة الأخيرة للجلاء

انتهت المرحلة الرابعة من مراحل الجلاء وبدأت المرحلة الأخيرة منه ولم يبق فى قاعدة القنال إلا قوات تقل عن عشرة آلاف جندى ، وكان المقدر لها فى هذه المرحلة أن تكون ضعف هذا العدد .

وفى يوم ١٨ يونيه القادم يجلو آخر جندى بريطانى عن الأرض المصرية إن شاء الله .

المعمل الذرى المصرى

تحدث سفير روسيا فى مصر إلى الصحفيين فى أواسط رجب الماضى فقال عن المعمل الذرى الذى اتفقت مصر مع روسيا على إنشائه فى مصر : إن هذا المعمل يعتبر مهما جدا بالنسبة لمصر ، إذ أنه سيحدث فيها ثورة إنتاجية وعمرانية ضخمة ، وسيحيل الصحراء إلى أراض زراعية ، ويستغل فى جميع المشروعات التى تهم البلاد .

السد العالى

أكبر مشروع بنائى فى تاريخ العالم

السد العالى مشروع متعدد الأغراض للرى وانتاج القوى الكهربائية والسيطرة على مياه الفيضان . فهو يتحكم تحكما تاما فى نهر النيل لتحقيق هذه الأغراض المفيدة .

وقد أثنى عليه الخبراء الماليون والفنيون الذين أوضحوا أن الفوائد السنوية التى ستجنى منه تزيد عدة مرات عن النفقات التى يتكلفها سنويا .

وهذا المشروع من حيث ضخامته يعتبر أكبر مشروع بنائى فى تاريخ العالم . وسيكون قوامه من الصخر ، ويبلغ طوله نحو ثلاثة أميال ، وارتفاعه مالا يقل عن أربعمائة قدم ، واتساع قاعدته أربعة آلاف وخمسمائة قدم .

وسيكون هذا السد بمثابة أعظم خزان صناعى فى العالم ، ويستطيع تخزين مايوازى ثلاثة أضعاف مخزون المياه خلف خزان (بولدر) فى الولايات المتحدة . وسيقوم السد العالى برى نحو مليون فدان فى مصر إلى جانب توليد قوى كهربائية تبلغ مليون كيلوات .

وان عملية تشييد السد العالى تنطوى على صعوبات فنية كبيرة ومسائل معقدة لم يسبق معالجتها ، ويقوم بدراسة هذه الصعوبات أعظم الخبراء فى العالم فى وقتنا هذا .

قال مدير البنك الدولى : وإنى أعتقد أنه يجب توجيه الثناء إلى السيد رئيس وزراء مصر وإلى الحكومة المصرية لاتخاذهما القرار الخاص بتنفيذ هذا المشروع. فان هذا يدل على بعد نظر كبير، ومع أنه ستمضى عدة سنوات قبل الاستفادة منه فان فوائده ستكون عظيمة جدا فى المستقبل لشعب مصر ورفع مستوى معيشتهم. وإن البنك الدولى ليسعده أن تتاح له فرصة المساهمة فى مثل هذا المشروع العظيم .

مشاكل شمال افريقية

بيان مشترك من مصر وفرنسا

دارت اليوم الموافق ١٤ مارس سنة ١٩٥٦ بالقاهرة محادثات بين السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، والسيد وزير خارجية فرنسا عرض أثناءها وزير الخارجية الفرنسية على السيد جمال عبد الناصر والسيد وزير الخارجية المصرية ، وجهة نظر حكومته وأهدافها الخاصة بمسائل شمال إفريقيا ، وكذلك أشار إلى القلق الذى يساور البرلمان الفرنسى والرأى العام فى فرنسا تجاه هذه المشاكل .

وقد أبدى الرئيس جمال عبد الناصر اهتمامه بالأمر ، كما أبدى استعداد الحكومة المصرية للمعاونة فى جميع الجهود التى تبذل لإيجاد حل سلمى لهذه المشاكل على أساس الأمانى والرغبات التى تبديها شعوب شمال افريقيا فى حرية تامة ...

حديث جمال عبد الناصر

عن الخطر الذى يتهدد العرب

أدلى الرئيس جمال عبد الناصر بحديث له بالتلفزيون مع ادوار مورو مراسل إذاعة كولومبيا الامريكية فقال جوابا على سؤال بشأن روسيا :

إنك تتحدث الآن عن خطر لا نشعر به وهو روسيا والعدوان أو التحكم الروسى ، ولكننا نرغب فى التخلص أولا من جميع الأخطار التى تواجهنا من الاستعمار والتحكم الغربى. ووجه الرئيس جمال عبد الناصر اللوم إلى الولايات المتحدة لتأييدها حلفاءها الغربيين ضد الامانى القومية للشعوب التى يستعمرها الغرب ، وقال : إنكم تحالفون بريطانيا وفرنسا وتؤيدونهما ، ونحن نشعر فى بعض الأحيان أنكم تتجاهلون أمانينا لإرضاء حلفائكم .

وقال عن إسرائيل : إن إسرائيل تعتبر بمثابة خطر يهدد العالم العربى ، وندد بالبيان الثلاثى الصادر سنة ١٩٥٠ لضمان خطوط الهدنة فوصف ذلك البيان بأنه نوع من التدخل والسيطرة . وإذا كان من الممكن اتخاذ أى إجراء للاحتفاظ بالسلام فى منطقة الشرق الأوسط فيجب أن تقوم بذلك الأمم المتحدة بنفسها .

ثم قال : علينا أن ندافع عن أنفسنا ضد أى عدوان ، وليس من العدل أن يقال عن الذين يريدون أن يدافعوا عن أنفسهم أنهم يريدون إثارة المشاكل .

الفهرس



شوال سنة ١٣٧٥

قاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر

الثمن ٤٠ مليما

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

مليم	
٤٠٠	فى وادى النيل
٢٠٠	لطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠	خارج الوادى
٣٠٠	للطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء العاشر ـ القاهرة فى غرة شوال ١٣٧٥ ـ ١١ مايو ١٩٥٦ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

تراثنا الثقافى

فى طريق البعث والتنظيم

قالوا : إن إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم تستعد لإصدار دائرة معارف مصرية .

إنها بشرى ، بل هما بشريان :

بشرى لهذه الأمة اليتيمة بأنها سيكون لها كتاب عام شامل تستمد منه معارفها بيسر وسهولة فى كل ضرب من ضروب المعرفة ، ويكون ـ فى الوقت نفسه ـ مرجعا لها فى التعرف إلى نفسها ، وإلى تراثها الثقافى ، وإلى أحدث ما وصل إليه العلم العام من حقائق .

وبشرى بتجنيد العلماء والمثقفين وأهل التخصص ، ليقوموا بتتبع تركة السلف ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من بقاياها التى تناوشتها أيدى الزمن ، ويعملوا على جردها ، وتنظيمها ، وردّ عناصر الحياة الى محاسنها ، وبعثها من جديد فى عرض علمى مدروس ،

تتعب به الأقلية المختارة من أبناء الجيل ، لتتمتع به الجمهرة الكبرى من شباب الجيل، فيكون أساسا نقيم عليه بنياننا الثقافى لكل جيل .

من نحن ؟

هذا ما لم تشأ لنا سياسة الاستعمار فيما مضى أن نجد الجواب عليه من معارفنا التى كنا نتلقاها بأساليبه وتوجيهاته و إرشاداته . بل إننا إلى هذا اليوم يوجد فينا جامعيون يتقدمون الى وزارة الخارجية ليكونوا فيها مرشحين لمناصب الوزراء المفوضين فى وقت قريب ، ومع ذلك لا يعرف بعضهم من هى الدول التى تتألف منها جامعة الدول العربية . وقد كنا قبل العصر الأخير إذا تساءلنا : من نحن يخطر على بالنا ــ مع أول خاطر ــ أننا مسلمون ، وكنا نرى أن تراث الإسلام الثقافى هو تراثنا ، ولو أتيح لنا يومئذ أن نؤلف دائرة معارف تنسب إلينا لكانت تكون ــ بلا شك ــ دائرة معارف إسلامية . فما زال بنا الاستعمار حتى صار فى الجامعيين من أبنائنا من لا يعرف الدول التى تتكون منها جامعة الدول العربية ، وحتى رأينا العالم الإسلامى على الخريطة قد تقطعت أوصاله وتمزقت أشلاؤه ، فصارت ليبيا فى دنيا غير دنيا جارتها مصر ، وصارت تونس فى دنيا غير دنيا ليبيا ، وصارت الجزائر منفصلة بحدود من حديد وفولاذ عن جارتيها وأختيها تونس ومراكش ، وصارت مراكش تغنى وحدها على ليلاها ، ولو شئت لقلت إنها هى أيضا تقطعت قطعا ثلاثا بين فرنسا و إسبانيا وطنجة الدولية ، وكل هذه الأوطان فى دنيا والسودان وجاراته جنوبا وجنوبا الشرق وجنوبا الغرب فى دنيا أخرى ، وكل هــذه الأقطار فى دنيا والشام فى دنيا غيرها ، بل الشام نفسها تقطعت قطعا وتمزقت مزقا ، فنشب سرطان إسرائيل فى إحدى هــذه القطع ، وقام إلى جانبها شىء جديد اسمه الأردن ، وكان إلى شمال الأردن ــ حتى وقت قريب ــ دولة ، نعم دولة ، اسمها دولة جبل الدروز ، وسميناها دولة جبل العرب نكاية بالاستعمار ، و بعدها فى شمال سوريا دولة سماها الاستعمار الفرنسى دولة العلويين ، وكانت تعرف نفسها باسم بلاد النصيريين ، وكان ولا يزال غير هذا وذاك دولة لبنان ، فضلا عن الوضع الذى تطور فى جزيرة العرب متوجها إلى الوحدة والحيوية والنهوض إن شاء الله . فلو سئلنا إلى عهد قريب جدا فى كل بقعة من هذه البقاع :

ــ من أنتم ؟

لكان الجواب : ما المسئول عن هذا بأعلم من السائل !

هذا بعض ماصنعه الاستعمار فينا . وكيف كان يمكن أن يكون للناطقين بالضاد دائرة معارف بلغة الضاد ، وقد أراد لنا الاستعمار كل هذا الشر ، وأعمل فينا حدّ السكين ، بل أسنان المنشار ، لنكون هكذا متقطعين ، و بالتالى غير متعاونين .

والآن ، و بعد أن تمردنا على الاستعمار ، وصحنا فيه بكلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قائلين له بملء أفواهنا :

— لا . . . .

فقد آن لنا أن نعرف من نحن ، وأن تكون لنا دائرة معارف نرجع إليها بسهولة و يسر ، لنتعرف منها على كياننا الثقافى ، وعلى تراثنا الفكرى ، وعلى تركة السلف وأصحابها الأكرمين ، ثم على جميع أبواب المعرفة الإنسانية التى توصل إليها البشر منذ وهب الله البشر نعمة النطق و جمال البيان .

أجل ، آن لنا أن تكون لنا دائرة معارف ، لأننا جياع إليها ، ظامئون لمواردها .

ولقد كنت فيما مضى إذا دار الحديث بينى و بين أحد من العرب أو من العجم حول دائرة المعارف أخجل من أننا بقينا فقراء حتى الآن إلى هذا المرجع العلمى العظيم ، مع أننا نملك من مادته ما لا تكاد تملك مثله أمة أخرى . وكنت أعتذر بالاستعمار وما فعله فينا من أفاعيل . وكنت أقول إن دائرة المعارف لا تستحقها إلا قومية تستطيع أن تتعاون كلها عليها ، وتلتف كلها من حولها ، وتعتبرها قلعة لكيانها العلمى ورمزا لتراثها العقلى . وما دام الاستعمار يحول ـ هكذا ـ بيننا و بين أن نكون أمة واحدة كما خلقنا الله ، بل يشككنا فى أنفسنا ، وفى ماضينا ، وفى قيمة تراثنا ، وفى قرابة أقطارنا بعضها من بعض ، فأنى لنا أن تكون لنا دائرة معارف تليق بكيان أمة ممتازة بأصالتها ، عريقة فى إنسانيتها ، غنية بمواريثها ، ولا ينقصها إلا شيئان :

أن تعرف نفسها من هى . . .

وأن تعرف تراثها ما هو . . .

معرفتان كنا فى حاجة إليهما ، وكانت أمامنا شواهق من العقبات تحول بيننا و بين إزالة جهالتنا فيهما ، ولعل جامعاتنا كانت بعض هذه الشواهق من العقبات ، ولعل حكوماتنا الماضية كانت قائمة على حراسة تلك الشواهق لتستمر جهالتنا بأنفسنا من نحن ، وجهالتنا بتراثنا ما هو .

لقد كان من نتائج تمردنا على الاستعمار ، قيام حكومات منا تقود هذا التمرد المبارك ، فنتج عن ذلك ولادة دساتير جديدة أجابت بصراحة ووضوح على السؤال الأول : من نحن؟ فأعلن الدستور المصرى الجديد فى مادته الأولى أن الشعب المصرى جزء من الأمة العربية وكان دستور سوريا قد أعلن مثل ذلك بالنسبة إلى سوريا ، وأظن أنه لا يوجد الآن فى دنيا العروبة شعب عربى يمكن أن يخدعه أحد عن عروبته . فنحن مائة مليون عربى واقفون الآن جائعين ظامئين إلى دائرة معارف تليق بكياننا وأصالتنا وثروتنا العلمية وغنانا الثقافى ، وتكون قلعة لنا فى معارفنا فنلتف من حولها ونلجأ إليها فى كل ما نحب أن نزيل من جهالتنا فى حقائق العلم وضروب الثقافة : الثقافة القومية باتساع ، والثقافات الأجنبية على قدر اللزوم .

ولكن بعد أن عرفنا أننا كلنا عرب ؛ وأننا نحن أصحاب هذا التراث الثقافى الضخم المنبثق من مدارك الناطقين بالضاد من ألفى سنة إلى الآن ، هل نأمل أن تكون دائرة المعارف التى تستعد لإصدارها إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ، محققة لهذا الغرض ، وستكون مرجعا وافيا لهذا التراث الثقافى الضخم ؟

هذا ما لا نعرفه بعد ، وقد لا يدل عليه العنوان الذى يقال إنه اختير لدائرة المعارف ، فقد قالوا إنها دائرة معارف مصرية ، وأنا لا أنكر أن مصر درة عظيمة تتألق فى تاج العروبة ، فاذا أضاءت الدرة المصرية أحد نواحى هذا التاج تألقت معها درر التاج الأخرى كلها . ولكنى — مع ذلك — كنت أتمنى لو أن دائرة معارفنا المنتظرة تكون دائرة معارف عربية ، بل دائرة معارف عربية و إسلامية ، ليكون تجنيد العلماء والمثقفين وأهل التخصص للاضطلاع بهذا الأمر العظيم تجنيدا يليق بدستورنا ، بل بدساتيرنا . . . ويليق بنهضتنا ، بل بنهضاتنا . . ويليق بهدفنا ، بل بأهدافنا . . .

إن دائرة المعارف إذا شرعنا نؤلفها على أنها مصرية سنرى أنفسنا فى بحر لجى يستحيل علينا أن نقيم فيه الحدود الثقافية والعلمية والقومية والسياسية بين ما نسميه مصريا وما نسميه غير مصرى ، لأن الله أراد للبلاد الناطقة بالضاد أن يكون نشاطها وتعاونها الثقافى والقومى متداخلا مع نشاط مصر وتعاونها الثقافى مدة أربعة عشر قرنا ، وإذا كان للاستعمار مصلحة فى أن يفرق بين ما جمعه الله ، فأن دائرة معارف قومية تصدر عن مصر و باسم مصر يجب أن تكون مظهرا لإرادة الله فى وحدة العروبة وتعاونها الأزلى ، وأن تحبط

إرادة الاستعمار بعد أن أحبطها الله وألحق بها الفشل الأبدى . وإذا كان لا بد لدائرة المعارف - حتى تكون دائرة معارف - من أن تكون مرجعا فى العلوم العالمية والثقافات الأجنبية ، فأحرى أن تكون مرجعا شاملا لتراث العروبة الثقافى والعلمى والعمرانى ، وإلا كانت نصف دائرة، بل ربع دائرة أو أقل. ومما لاشك فيه أن تراث مصر العلمى والثقافى والقومى فى الأربعة عشر قرنا الأخيرة هو تراث مشترك بين الناطقين بالضاد. بل إن تراث العروبة العلمى والثقافى هو تراث اسلامى بكل معانى هذه الكلمة . فلا بد لدائرة المعارف المصرية من أن تكون دائرة معارف عربية ولا بد لدائرة المعارف العربية من أن تكون دائرة معارف اسلامية أيضا شئنا أو أبينا . لأن هذه الأواصر من صنع الله ولا سبيل لأحد أن يقطع ما أراد الله به أن يوصل . وهؤلاء آل البستانى ووطنهم - بالمعنى الوطنى الذى تلقيناه عن الغرب - من أضيق الأوطان العربية رقعة لم يستطيعوا أن يجعلوا دائرة معارفهم دائرة لبنانية أو مارونية ، بل اضطروا راضين وراغبين - كما سيضطر رجال الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم المصرية راضين وراغبين - لأن يجعلوا دائرة معارفهم عامة شاملة لتراث العروبة والإسلام ، إذ المفروض فى دائرة المعارف أن تكون شاملة للعلم العالمى والثقافات الأجنبية بمقادير تتناسب مع حاجة المحيط الذى تصدر عنه ، فهل تراها فى مصر العربية الإسلامية تستطيع أن تقصر فى عرض تراث العروبة والإسلام فى العلم والثقافة وسائر عناصر الحياة الفكرية والعقلية التى عاش بها العرب والمسلمون فى ماضيهم الطويل ؟

إن الذين سيكتبون فى دائرة المعارف المصرية ترجمة مدروسة لعلم من أعلام مصر كالحافظ ابن حجر ، سيجدون أنفسهم أمام تفوق علمى تفتخر به مصر بل يفتخر به الإسلام وأهله ، وقد كان صاحب هذا التفوق الممتاز أشبه بالنحلة تجنى عسلها من زهرات العلم فى الحجاز والشام وسائر بلاد العروبة وأوطان المسلمين ، فهل تراهم يقتصرون على ترجمة التلميذ ابن حجر ويزهدون فى تراجم شيوخه كالحافظ العراقى ، وابن الملقن ، وابن جماعة الكنانى ، والفيروزابادى صاحب القاموس ، ومحدث الشام القاسم بن عساكر ، وفاطمة بنت المنجا التنوخية، وفاطمة بنت محمد بن عبد الهادى المقدسية التى قرأ الحافظ ابن حجر عليها وعلى أختها عائشة فى سفح قاسيون من صالحية دمشق ؟ إنهم بلا شك سيضطرون إلى تدوين تراجم شيوخ ابن حجر الذين كانوا مصابيح تتألق فى دنيا العروبة والإسلام ، كما سيضطرون إلى تدوين تراجم تلاميذه الذين صاروا كذلك مصابيح تألقت بها دنيا العروبة والإسلام وهكذا ستكون دائرة المعارف المصرية دائرة معارف للعروبة وللاسلام شئنا أو أبينا .

وفى اعتقادى أن أهم تحضير تقوم به إدارة الثقافة العامة لهذا المشروع إنما هو تحضير الأكفاء لهذا العمل ، وأن لا تخدع بالشهادات والألقاب العلمية ، فحسبنا ما انخدعنا بهذا فى وظائف الدولة ، ولنربأ بالعلم عن أن يكون مقياسه مثل هذه الشهادات ، وقد كنت قرأت أن دائرة المعارف البريطانية أشرف على تنظيمها فى بعض الوقت رجل لا يحمل شهادة من جامعة ، وهو - إذا لم تخنى الذاكرة الآن - مستر جارفن الذى كان يحرر مجلة الاوبزرفر الأسبوعية ، وإنما اختير لهذه المهمة لأنه مفطور على الاستقصاء والتنظيم الانسكلوبيذى ، ولأن ثقافته أوسع من أن تحصر فى اختصاص جامعى إذا خرج عنه صاحبه كان كالسمك إذا خرج من الماء .

إن اليهود تعدادهم عشر تعداد الأمة العربية ، وهم جزء من أربعين أو خمسين جزءا من تعداد أهل الملة المحمدية ، وتراثهم العلمى والثقافى والقومى أفقر من أفقر عنصر من عناصر جامعتنا الإسلامية ، ومع ذلك ألفوا دائرة معارفهم منذ عشرات السنين ، ولما ألفوها لم تكن لهم دولة تتبنى مثل هذا العمل الضخم ، ولا وزارات معارف تسهم فى رسم هذه الدائرة ، ثم تشترى منها لجامعاتها ومدارسها ومرافقها العلمية والاجتماعية . ولعل دائرة المعارف اليهودية هى التى أمدت شباب اليهود فى كل الدنيا بالروح الجامعة التى تكتلوا بها حول قوميتهم وتاريخهم ، فكان كل واحد منهم عاملا ناصبا لتكوين كيانهم الجديد . وذلك لأن الذين كتبوا مواد دائرة المعارف اليهودية كلهم من أهل التخصص حقا فى المواد التى دونوها فى هذه الدائرة وكلهم مؤمنون بيهوديتهم وعاملون على وصل آتيها بماضيها . وكانوا يعلمون أن دائرة المعارف فى كل أمة قلعة من أمنع القلاع التى تستند إليها ظهور الشباب والرجال والمثقفين ، فتكون لهم كالراية للجنود إذا خاضوا المعركة فانهم يندفعون إلى الأهداف مادامت الراية قائمة ترفرف أمامهم فى الفضاء وتتقدم بهم نحو تلك الأهداف .
لذلك ينبغى أن يكون للقائمين على تأليف دائر المعارف المصرية أو العربية - أو ما شاءوا أن يسموها - أهداف قومية واسعة النطاق يؤمنون بكرامتها ، ويتشرفون بتشريفها ما ساعدهم العلم وواتاهم العقل . ولكل أمة أيام بيض وأيام سود . كما أن لرجال كل أمة مفاخر وأخطاء . ومن سياسة كل أمة فى دائرة معارفها أن تكون أمينة فى عرض الأخطاء . ولكنهم يعرضونها مقرونة بالمعاذير المؤدية إليها والأسباب الحاملة عليها . قال لى قائدنا العسكرى الكبير عزيز المصرى فى حديث له قبل نحو ثلاثين سنة : لاحظت فى كتب التاريخ العربية أمرا عجبا تختلف فيه عن كتب التاريخ فى الأمم الأخرى . فأن المحققين من مؤرخى الفرنسيس والإنجليز والألمان يلتزمون الحقائق غالبا فى عرض الوقائع ،

ولكنهم يحيطون أخطاء الماضى بالظروف التى أدت إلى وقوع تلك الأخطاء فيشعر القارئ بأعذار المخطئين فيما صدر عنهم . ثم يستخلصون العبرة من هذه الأخطاء ليستفيد الناس من ذلك فلا يقعوا فى مثل الخطأ الأول ، وتبقى لهم فى القلوب الحرمة لأسلافهم . فالمحققون من مؤرخى تلك الأمم لا يحرفون عن مقتضى الأمانة فى بيان الخطأ والصواب ، غير أنهم يحسنون عرض هذا وهذا ويحيطون كل حادث بظروفه ونواحى العذر فيه . ويقول عزيز على المصرى : اننا لن نستطيع أن ننشئ أجيالا مؤمنة بقوميتها ما لم نرب فى نفوسها الحرمة لماضيها والإيمان بكيانها ، والسبيل إلى ذلك حسن عرض التاريخ والأدب فى تدوينه .

ومما يجب أن يعلمه كل من سيشترك بقلمه فى تدوين دائرة المعارف المصرية أو العربية أن تاريخ عصورنا الذهبية الأولى كتب فيما بعد بأقلام أناس تملقوا لبعض الدول بذم الدولة السابقة لها ، وفيهم من انساق فى تشوية التاريخ بعوامل مذهبية ونزعات شعوبية ، وفى النصوص الأولى المأثورة عن أهل الصدق والعلم والدين ما يصحح ذلك ويرد الحق إلى نصابه . ومما لاشك فيه أن تاريخنا لم يكتب بعد ، ولكن مصادر الحق فيه محفوظة فى مختلف المراجع ، وعندما نجد أنفسنا أمام واجب تدوينه تدويننا انسكلوبيذيا يجب علينا أن نتحرى هذه المصادر الصحيحة فى مراجعها المحترمة ، وهى ولله الحمد كافية لاحباط كل ما حاوله الشعوبيون لتشويه تاريخ أمجد أمة تبوأت مكان العزة فى التاريخ .

وقبل أن أختم هذه الكلمة أحب أن أذكر رجال الثقافة العامة فى وزارة التربية والتعليم بأن العلامة المحقق أحمد تيمور رحمه الله ، وكذلك أمثاله ومن هم فى منزلته من أعلام العلم المحققين ، كانوا يستحسنون أن تسمى الانسكلوبيذيات بالعربية باسم « المعالم » على وزن « المعاجم » واحدتها « معلمة » فنقول « المعلمة المصرية » و « المعلمة العربية » و « المعلمة الاسلامية » والذى يزور الخزانة التيمورية فى دار الكتب المصرية يجد قسم الانسكلوبيذيات فيها مسمى باسم (قسم المعالم) كما أن قسم القواميس فيها مسمى باسم (قسم المعاجم) ، وكلمة « معلمة » أخف على اللسان وألطف فى الذوق من كلمة « دائرة المعارف » وهى مع ذلك أدل على المقصود منها . والخطأ كل الخطأ أن تسمى « موسوعة » فان لهذه التسمية سببا مضحكا سبق لنا الاشارة إليه فى ص ١١٥٧ — ١١٥٨ من مجلة الأزهر لعامها الماضى .

وبعد فان إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ستكون بعد اليوم فى موقف الامتحان أمام الشعوب العربية وأمام التاريخ ، فالكل ينظرون إليها وينتظرون ، وإنا معهم منتظرون .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

– ٤٠ –

المجاهدون فى الله

فى ضيافة الله ورعايته

ا – ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة .
ب – ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفورا رحيما .

١ – تحدث القرآن كثيرا عن الجهاد فى سبيل الله ، وأشاد بفضل الجهاد ورفع من شأن المجاهدين حتى أصبح من البدهيات الدينية ومن المعلومات الأولية أن الجهاد فى سبيل الله أكرم غاية يتجه إليها المسلم حينما يقتضيه الأمر أن يعمل لإعلاء كلمة الله ، وصد المعتدين على الأوطان التى يقطنها المسلمون .

وصار المفهوم فى عرف الفقهاء أن كلمة – سبيل الله – يراد منها الجهاد بالنفس والمال فى مقاومة العدو ، والذود بالقوة المادية عن شريعة الله وعن أوطانها .

٢ – ولكن التحقيق العلمى أن سبيل الله أوسع من ذلك المعنى الضيق وأنها تتسع لكل مقصد من مقاصد الخير التى يدعو إليها الإسلام فى إقامة أو سفر وفى بدو أو حضر : كتحصيل العلم أو نشره أو تكثير جماعة المسلمين فى جهة يكونون فيها قلة يستهين بها خصومهم وكالخروج من بلد غلبت فيها المآثم والبدع دون قدرة على التخلص منها .

وكذلك يشمل سبيل الله السعى على المعايش فى غير الوطن الخاص وتحصيل منافع الوطن من جلب تجارات مباحة واستحضار سلاح وأدوات صناعة ونحوها مما يسد حاجة الأمة .

ويشمل كذلك الجهاد باللسان والقلم للذود عن دين الله، وإيضاح الحجة على من يشاقق الله ورسوله . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

٣ — وإذا كان الإسلام قائما على الدعوة إلى الخير فى أوسع معانيه ، وكانت هيبته وعزته تعتمدان على قوة العزيمة ، ووفرة العتاد : فمن الحكمة أن يفسح الله للمسلمين طريق عملهم فى سبيله ، وأن يؤكد لهم رعايته بصادق وعده ، حتى يستمدوا من ذلك جلادة وصرامة ، ويطمئنوا إلى أنهم جند الله ، وأن جند الله هم المفلحون .

٤ — والجهاد فى معناه الغالب يقتضى هجرة الوطن وخروجا إلى الأهداف المقصودة أينما كانت . . والمهاجر قد ينتهى الى مستقره الذى يقصد إليه ، وقد يفجأه الموت دون غايته التى اتجه إليها . .

وسنة الله جارية على ألا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأن يجزى المرء على حسن نيته وإن لم يدرك بها أملا .

لذلك بين ــ سبحانه ــ أن خروج المجاهد إلى غاية من غاياته مكفول بفضله ، فان طال بالمجاهد أجله فقد أفات من عدوه الذى كان يراغمه ، ووجد منفذا يأوى إليه فى غير وطنه المضيق عليه فيه ، وأرغم عدوه وكاده بهذا الإفلات ، ووجد سعة له بعد ضيق ، فليظهر من شعائر دينه ما كان ممنوعا منه ، وليتمتع بحرية كانت مسلوبة ، ولينتظر من مثوبة الله ما لا يضيع عند الله .

« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » .

وهكذا كانت هجرة الرسول وسلف المؤمنين يوم كانوا قلة مقهورة فأصبحوا كثرة قاهرة .

٥ — وإن لم يطل بالمهاجر أجله وجاءه الموت عقب خروجه من وطنه الأول ، فقد أحرز العاقبة الحسنى ، وهى منتهى الأمل ، ومحط الرجاء ، وغاية الغايات .

وإدراكه لهذا بعد وفاته مهاجرا إلى الله ورسوله ، وفى سبيل مقصد كريم من مقاصده ، ليس أمرا ملتمسا فقط ، ولا أملا مرجوا فحسب ، بل هو جزاء أكيد ووعد ناجز « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » بل يتسع جزاؤه الى التجاوز عن سابق مآثمه « وكان الله غفورا رحيما » .

٦ — ولقد اتسع فضل الله على المهاجرين كيفما كانت غايتهم المشروعة، فخفف عنهم بعض تكاليفه مع الاحتفاظ بثوابهم كاملا: مضافا إلى ثواب هجرتهم وذلك قوله تعالى: «وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة» فهنالك الصلوات المفروضة —مع أهميتها— تسامح الله فى شىء منها للمهاجرين ومن فى معناهم من المسافرين عامة.. مراعاة لما فى السفر من مشاغل، ولعدم توفر الأسباب المريحة عادة أو شأنا، وقد بينت السنة أن القصر يكون فى الصلوات الرباعية لما فيها من طول بالنسبة لغيرها.. ولم يقف التخفيف على المسافر عند قصر الصلاة فحسب بل تناول الجمعة فأسقطها وتناول الصوم فأجاز الفطر منه على أن يقضى... وإذا كان ذلك فى السفر الآمن ففى سفر الخوف من العدو المحارب أولى وآكد بل توسع الله علينا فى حالة الخوف من العدو حضرا أو سفرا فأسقط بعض أركان الصلاة كالسجود والطمأنينة؛ ضرورة أن الحرب كر وفر وخداع ومكر.

٧ — وقد يقال: إذا كان السفر الآمن اقتضى تخفيفا: فلم لم يسقط عنا الصلاة كلها حال الخوف؟؟ وحال الحرب مع العدو؟؟

والجواب أن الله لا يقطع صلته بعبده أو لا يحب من عبده أن ينقطع عن الصلة بربه؛ فبقيت الصلاة وخففت؛ والله الكفيل بالثواب والمعونة.

٨ — وكذلك يقال: الآية تدل على التخفيف حالة الخوف فقط؛ لقوله تعالى: «إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا». والجواب أن هذا القيد غير ملاحظ فلا مفهوم له؛ ولا يمنع من تعميم القصر فى كل سفر مباح عند أكثر الأئمة؛ أو غير مباح عند بعضهم.

هذا وقد اتسع كلام العلماء فى مقدار المسافة، وفى مدة القصر.

فأطلق بعضهم المسافة تبعا للعرف فكل ما يسمى سفرا فى اعتبار الناس صح فيه القصر، وأكثر الفقهاء على تحديد المسافة بسفر الأقدام، أو الجمال المحملة منها يومين، وهى تبلغ ثمانين كيلو مترا تقريبا. وأما المدة التى تقصر فيها الصلاة فمشروطة بألا ينوى إقامة.

فما دام على سفر، ولا يعرف موعده، ولم ينو إقامة، فله القصر لاعتباره على رحيل فى كل ساعة من ساعاته.

وإذا مكث اليوم أو اليومين والثلاثة إلى الأربعة فقط فهو مسافر حكما ، وله القصر فى صلواتها الطويلة . . وأكثر من أربعة أيام يعتبر إقامة فلا قصر عند بعض الأئمة . وهذا مقام فسيح للفقهاء : تبعا لكثرة ما لديهم من الآثار فى ذلك الباب .

وفى كتب المذاهب بسط وتفصيل .

٩ — هذا ـ ولعل فى التخفيف على المسافر فيما سلف تشجيعا على الأسفار فى سبيل الأغراض الكريمة . وفى ذلك إيحاء لنا أن الإسلام ليس دين ركود ، ولا دعوة إلى الانكماش ، بل هو سعى فى الخير ، وتحصيل للعلم ، ونشر للثقافة الإسلامية ، واطلاع على ما عند الغير ، وتقليد فى كل ما يرفع من شأن المسلمين ويكفل مجدهم .

ونحن فى حيز الوطن المصرى نعلم أن لنا جيشا من أبنائنا وإخوتنا ، يرابط على حدوده : حارسا للذمار ، ومدافعا عن الأرواح والأموال ، ومحافظا على مجد الأمة أن تلمسه يد غادرة ، أو تطمع فى النيل منه عين خائنة ، أو تقترب من رقعته فئة ماكرة .

وأولئك مجاهدون لا ريب ، ومكافحون عنا فى تضحية بأنفسهم التى أرخصوها فى سبيلنا وهى غالية علينا ، وبذلوها من أجلنا وهى حبيبة إلينا : فان تكن فيهم عزائم قوية ، وإيمان أكيد بالله والوطن ، فان الله ليكفلهم برعايته ، ويكرمهم فى ضيافته ، ويثبت أقدامهم فى مواقفهم ، وينصرهم فيما هم بسبيله ، ويضفى عليهم من حراسته لهم وحفظه لأرواحهم ما يبقيهم لوطنهم ويدخرهم لأمتهم ، وينكأ بهم عدوها ، ويصون بهم للوطن سلطانه ، وصولته ، وعزته ، وهيبته ما

عبد اللطيف السبكى

مدير التفتيش بالأزهر

وعضو جماعة كبار العلماء

السنة

سيد الأزواج

- ٣ -

مر الكرام - مكافآت نبوية - موقف لأم سلمة - تزويج من فوق السموات السبع - أعظم أمهات المؤمنين بركة - إصهار نبوى إلى أشد الناس عداوة - وشائج من الجمال والنبل .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم، ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعث بها فى صدائق خديجة ؛ فربما قلت له : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول: إنها كانت ، وكانت، وكان لى منها ولد .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى

* * *

بنى النبي صلى الله عليه وسلم بيته الثالث بالصديقة بنت الصديق عائشة . . . عقد عليها بمكة ، وبنى عليها بالمدينة فى السنة الثانية . . . وسنزور معكم هذا البيت الكريم بعد أن نمر مر الكرام على بيوت أمهات المؤمنين .

* * *

وبنى صلوات الله عليه بيته الرابع بالصوامة القوامة : حفصة بنت عمر بن الخطاب وزيره الثانى ، فى السنة الثالثة بعد غزوة أحد ، وكانت تحت خنيس بن حذافة القرشى السهمى ، وهاجرت معه فى المهاجرين الأولين، وقد شهد بدرا ثم توفى بعدها من جراحات أصابته بها ! فكافأها النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وأقر عين أبيها بزواجها، وكان قد عرضها على صاحبيه أبى بكر وعثمان فاعتذرا اعتذارا رقيقا فى قصة كريمة من قصص الأكرمين .

وبنى النبي صلى الله عليه وسلم بيته الخامس بزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية ، وكانت تدعى فى الجاهليــة أم المساكين ، لكثرة إطعامها إياهم ورأفتها بهم ، وزادها الإسلام عطفا وإحسانا إليهم . استشهد زوجها عبد الله بن جحش رضى الله عنه ، فى غزوة أحد ، فكافأها صلوات الله عليه بأن تكون من أمهات المؤمنين ، وبنى عليها فى رمضان من السنة الثالثة ، وانتقلت إلى جوار ربها بعد بضعة أشهر ، ولم يمت فى حياته صلى الله عليه وسلم إلا خديجــة وأم المساكين ، وقد صلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنها بالبقيع ! !

* * *

ثم بنى صلى الله عليه وسلم بيته السادس بذات العقل الراجح والرأى الصائب أم سلمة ، هند بنت أبى أمية المخزومية . كان أبوها من أجواد العرب المشهورين ، وكان زوجها وابن عمها عبد الله بن عبد الأسد المخزومى ، وهو من السابقين الأولين ، وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة . . وكانت تحبه وتجله . . حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته من جرح أصابه فى غزوة أحد فلم تقبل . . فلم يكن خلف لزوجها ، ولا كافل لأيتامها ، خيرا منه صلى الله عليه وسلم . . وحسبها بل حسب الأمة منها موقفها الرائع فى صلح الحديبية : حين كاد المسلمون يهلكون إذ تباطئوا فى التحلل من عمرتهم كما أمرهم صلى الله عليه وسلم ، فأشارت بأن يبدأ صلوات الله عليه بالحلق ففعل . . وامتثلوا ، وكشف الله بها الكربة التى ليس وراءها كربة ! !

* * *

ثم بنى صلوات الله عليه بيته السابع بابنة عمته أميمة : زينب بنت جحش ، وهو بناء إلهى بأمر الله عز وجل ، لم يكن لنبيه بهذا البناء من حاجة ؛ إلا أنه سبحانه أراد أن يبطل ضلالة التبنى فى الجاهليــة ، وتسويتهم المتبنَّى الدعى بالابن الحقيق ، فى الميراث وتحريم زوجه على المتبنِّى . . وكانت زينب زوجا لزيد بن حارثة حب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه نبيه بالإعتاق والتبنى والتزويج بابنة عمته . . . فلما قضى زيد منها وطرا ، وطلقها ـ لحكمة بالغة ـ بمحض رغبته ، زوجها الله رسوله : « لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » .

لا جرم أنها زيجة إلهيــة ، وآية من آيات النبوة ، تخرس الزنادقة والمتقولين ، ومن

لف لفهم من أعداء النبي الكريم ... ولقد حق لزينب أن تباهي أمهات المؤمنين بأنهن قد زوجهن أولياؤهن ، وأما هي فقد زوجها الله من فوق السموات السبع .

كانت رضوان الله عليها أطول أمهات المؤمنين يدا بالبذل والإحسان والصدقة وصلة الرحم وكانت صناع اليدين: تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله ... وكانت أسرع أمهات المؤمنين لحاقا بالنبي صلى الله عليه وسلم ..

* * *

وبني صلوات الله عليه بيته الثامن ببرة بنت الحارث سيد بني المصطلق ..

وكان أبوها وقومه قد جمعوا الجموع لقتاله صلى الله عليه وسلم في « المريسيع » ماء لخزاعة ، فأحاط بهم المسلمون وأخذوهم أسرى بعد قتل عشرة ، منهم مسافع بن صفوان زوج برة ... فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو إسارها وترجو رحمة الله على يده : وهو صلوات الله عليه أكرم الأكرمين لعزيز قوم ذل ، فلم يكد يسمع شكاتها حتى اصطفاها لنفسه ، ثم أعتقها وألحقها بأمهات المؤمنين وسماها جويرية ، وما إن تسامع الناس بهذه المكرمة النبوية حتى أعتقوا ما بأيديهم من الأسرى ، وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم !! ثم أسلم بنو المصطلق وسيدهم من بعد أن أسلم العتق جميعا ، وكانوا مائة أهل بيت أو يزيدون !. فهل عرفت في تاريخ الدنيا امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية ، هل عرف في تاريخ الدنيا أعظم أو أكرم من هذه الصنيعة النبوية ! أو ليست آية أخرى من آيات النبوة ؟!

* * *

ثم بنى صلى الله عليه وسلم بيته التاسع بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان : صخر بن حرب ، وكان هو وزوجه هند من ألد أعدائه صلى الله عليه وسلم .

أسلمت رملة قديما بمكة ، وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر زوجها بالحبشة ومات بها ، وثبتت هي على إسلامها ، فرق النبي صلى الله عليه وسلم لكربتها ، وكافأها على ثباتها في غربتها وأرسل إلى النجاشي ليخطبها عليه ، فأصدقها عنه أربعمائة دينار مع نفائس من الهدايا . . ولما عادت إلى المدينة بنى عليها . وقد قصد صلوات الله عليه ـ فوق صنيعه هذا ـ إلى تأليف أبويها وقومها بني عبد شمس ، أعداء قومه بني هاشم .. وقد وقع هذا الزواج من أبيها موقع الغبطة والرضا .

أما بيته العاشر فقد بناه بسيدة بني قريظة والنضير [١] جميعا : صفية بنت حيي بن أخطب . . كانت زوجا لسلام بن مشكم القرظي ، ثم لكنانة بن أبي الحقيق ، فقتل عنها وهو عروس بخيبر ، فجاءها صلوات الله عليه من الذل بعد العز ، ومن الرق بعد السيادة ، اصطفاها لنفسه ثم أعتقها وتزوجها ، وجعل عتقها صداقها ، ووصل بهذا الصنيع العريق في المكارم رحما وصهرا ، إلى بني اسرائيل عامة [٢] و إلى إخوانه النبيين منهم خاصة ، ولكن سفاكى الدماء ، وقتلة الأنبياء ، وموقدى نار الحرب والبغضاء ، يجحدون الإحسان ، و يقابلون النعم بالكفران ! !

* * *

ثم بني بيته الحادى عشر — وهو آخر بيوت النبوة — بميمونة بنت الحارث الهلالية ، كانت في الجاهلية زوجا لمسعود بن عمرو الثقفي ، ففارقها وخلف عليها أبو رهم ابن عبد العزى فتوفى عنها ! فجعلت أمرها إلى أختها أم الفضل و زوجها العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، فرغبه فيها العباس ليربط بين العباسيين وخاتم النبيين بأقوم رباط وأحكمه نسبا وصهرا .

* * *

هذه زيارة كريمة عاجلة لبيوت أمهات المؤمنين قبسنا مما فيها من آيات الله والحكمة ، لنعود — كما وعدنا — إلى بيت الصديقة بنت الصديق ، فنقبس منه قبسة أخرى .

ولسنا نطمع ولن نطمع أن نذكر كثيرا ولا قليلا من فضائل هذا البيت الكريم وشمائله ، فذلك ما لا سبيل إليه في مجلدات فضلا عن صفحات ، وإنما هي لمحة خفيفة وقور ، من بناء الله ونبيه لهذا البيت ، ولمحة أخرى مثلها مما كان بين الطاهرة والمبرأة !

* * *

أما البيت و بناؤه فقد علم الناس جميعا أن الإصهار من أحكم الأسس في روابط الألفة والمودة ، إن لم يكن أقوم أساس وأشده ، وقد علم الناس جميعا — حتى المكابرون منهم — أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبلوا أعظم البلاء في الإسلام دعوة وحماية ، على اختلاف درجاتهم عند الله عز وجل . . . و إذا لم يكن من المستطاع أن يصاهرهم

---

[١] لأن أمها كانت بنت سيد قريظة وأباها سيد بني النضير .

[٢] وقد وصل في هذا العام أقباط مصر بجارية التي اهداها إليه المقوقس . انظر ج ١٠ م ٢٥ .

جميعا عليه صلوات الله وسلامه على حدة ، فان من المستطاع أن يصهر إلى كثير من كبرائهم والسابقين منهم ، فيسرى شرف هـذه المصاهرة إلى الشعوب والقبائل ، كما سرى شرف الحجر الأسود إليهم حينما وضعه فى ردائه وأمرهم أن يأخذوا بأطرافه . .

هكذا فعل صلوات الله عليه كلما صاهر . . لم يكن به إلى تعديد النساء من حاجة ، إلا إرضاء لربه ، وصلة لرحمه ، ونشرا لدعوته . .

وأحق من وصـل بهذه المصاهرات الـكريمة ، خلفـاؤه الراشدون ، أسبق الناس إسلاما ، وأعظمهم بعد الأنبياء مقاما ، وأرسخهم فى دعوة الحق أقداما .

* * *

وقد أكمل الله إصهاره إلى أبى بكر ، بوشائج من الجمـال والجلال ، والعلم والفضل ، والذكاء والنبل ، وما شئت من خلال الخير والبر ، فى خير عقيلة بكر . . .

وكأن الله صنع الصديقة على عينه ، ليسر بها نبيه ويقر بهذا السرور عين أبى بكر .

* * *

وكانت رضوان الله عليها إلى ما خصها الله به : بعيدة الهمة ، طاحة إلى ذروة المجد ، لم يكفها أن حظيت بأسمى مكانة بين صواحبها لدى النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى رغبت أن تحتل من قلبه المـكان الأول ، مكان الصديقة الأولى ، والحبيبة الفضلى ، التى لا يفتأ يذكرها ويبشرها ، ويكرم من أجلها خلائلها ، ويثنى عليها ثنـاء كريمـا يسابق الدهر . وعبثا حاولت الصديقة بحسن الدّل ، ولطف الحيـل ، وفنون الذكاء والنبل ، أن تقنع سيد الأوفياء ، وأكرم النبـلاء ، بأن الله أبدله خيرا من خديجة . . . فلتلق السلم إذا ، ولا تجادل فى الحق بعد ما تبين ، ولتعلم أن المجادلة والمنافسة ، والغيرة من أعقل العقائل ، وفضلى الفواضل ، ومن لها قدم الصدق ، وفضل السبق — لا تزيد صاحبتها التى لم ترها إلا صدقا من عاطر الثناء وخالد الذكر . .

* * *

رضى الله عن الصديقة بنت الصديق ، لم تمنعها غـيرتها من صواحبها ، ولا منافستها لهن ، أن تذكر فضائلهن ، وتروى عن النبى صلى الله عليه وسـلم ثناءه عليهن وذلك من الإنصاف العجيب النادر الذى لا يعرف إلا فى مضارب البيت العريق ، ومعادن الكرم العتيق .

طه محمد الساكت

المرأة المصرية الرشيدة
وحق الانتخاب

المرأة المصرية متدينة : إما بالتعليم ؛ أو التلقين فى بيتها وبيئتها . والبيت المصرى والبيئة المصرية ـ والحمد لله ـ متدينان إلى حد كبير ؛ وقد توارثت الحياء والحشمة عن آبائها وأجدادها . ومن الإثم فى العرف والتقاليد المصريه أن تتمرد المرأة على حدود الحياء والوقار ؛ وهى إلى جانب ذلك عاملة ناصبة ؛ تشارك بنصيب موفور فى الكفاح فى سبيل العيش ؛ وعلى كاهلها يقع العبء الأكبر فى العمل المنزلى ورعاية شئون الأطفال ؛ وليست هى النصف المشلول فى الأمة كما يقول بعض الناس ؛ وهى لهذه المعانى ركن قوى فى بناء الأسرة المصرية ؛ وبفضلها ظلت الأسرة تنعم فى ظلال الهناء والاستقرار ؛ وليس سبب ذلك أنها مستعبدة محرومة من حقوقها مسترقة سجينة الحريم والبيوت خاضعة لسلطان الرجل لا تستطيع التعبير عن رأيها ولا يمكنها الاشتراك فى الحياة العامة ! ! ولو صح ذلك لكانت الأسرة فى المجتمعات التى تتميز فيها المرأة أحسن حالا وأهنأ بالا . ولكنا نجدها هناك أشد ما تكون تفككا وانحلالا . وليس الأمر فى حاجة إلى دراسة عميقة أو بحث جاهد ، فبمقارنة بسيطة بين حالى الأسرة فى بعض المدن والريف يمكننا القطع بصحة هذا الحكم .

وفى أوائل القرن الحالى انبعثت الدعوة إلى ما يسمونه تحرير المرأة وتهيئة السبيل لإشراكها فى الحياة العامة مع الرجل . وسلكت هذه الدعوة سبيل القصد مرة وسبل الشطط مرات حتى كانت تبلغ أحيانا مبلغ المعارضة للمقررات الدينية ، ووجدت لها أنصارا من الجنسين الله أعلم بنياتهم فيها ، وغايتهم منها وظلت هذه الدعوة تجد وتجد وتظهر فى مظاهر شتى من الغيرة على كرامة المرأة أو مصلحة المجتمع وما إلى ذلك حتى ظفرت المرأة ببعض المطالب التى ظنت أنها تصل بها إلى حياة الهناء والرفاهية ، فاذا هى تصل بها إلى حياة القلق واليأس والبوار ، كما يعلم ذلك من يشغل نفسه بدراسة حياة الأسرة المصرية فى المدن ، وكما يعلم الآباء والأمهات .

لم يقنع دعاة التحرر من الجنسين بما نالت المرأة من مطالب اجتماعية وثقافية ، بل امتدت أعينهم إلى ما وراء ذلك من المطالب السياسية لتتحقق المساواة المنشودة ، واغتصب حفنة من هؤلاء مقام الوكالة عنها فطالبوا بالحق الانتخابي للمرأة ، ورفضت الحكومات السابقة فى دساتيرها المختلفة وفى قوانينها الانتخابية الاعتراف بهذا الحق إيمانا منها بأضراره على المرأة وعلى المجتمع ، ولما فيه من تعريض لحرمات المرأة أن تكون موضع العبث فى ميادين الانتخاب ومواكبه ، ولكن حكومة الثورة كانت أبعد نظرا وأحصف رأيا وأعمق دراسة لنفسية المرأة المصرية والمجتمع المصرى ، فلم ترفض هذا الحق المزعوم ، ولكن منحته فى صورة اختيارية حتى لا يقال إنها حرمت نصف الأمة من حقوقه ، وحتى تبرز – لهؤلاء الوكلاء من غير توكيل – رغبة المرأة المصرية واضحة جلية عن طريق الاستفتاء فى هذا الحق ليكون ذلك أساسا لما تقرره بعد .

وقد ظهرت رغبة المرأة على وجه يحفظ كرامتها ويبقى على سلامة المجتمع وتقاليد الأسرة المصرية ، فبهت هؤلاء الدعاة ، وخرست ألسنتهم ، ودحضت حجتهم ، وحققت الأيام حكمة رجال الثورة وصحة تقديرهم ، وأبدت المرأة رأيها فى هذا الحق وهو الرفض بطريق لا يقبل الجدل والمراء .

لقد فتح باب تقييد الأسماء فى الجداول الانتخابية لمن يشاء من النساء أكثر من شهر ، ونشط الدعاة لهذه الفكرة ، واستخدموا ما عرف من وسائل الدعاية ، وما خفى وما ظهر من أساليب التأثير : استخدموا الصحف والإذاعة ، حتى فى أثناء الإذاعات العلمية والاجتماعية ، واستعملوا مكبرات الأصوات فى السيارات ، وسافروا إلى القرى والنجوع وانبثوا فى المعاهد والمدارس ، واستعمل بعض ناظرات المدارس سلطانهن الأدبى على التلميذات ليمارسن هذا الحق ، ومع ذلك كله ماذا كانت النتيجة ؟ . لقد كانت بردا وسلاما على نفوس الحريصين على كرامة المرأة ، الغيورين على سلامة المجتمع وخيبة ويأسا لهؤلاء الدعاة والوكلاء . كانت النتيجة أن يرفض النساء – بما يشبه الإجماع – قيد أسمائهن فى جداول الانتخاب تمهيدا لاستعمال حقهن الانتخابى ، وصدقت المرأة المصرية ظننا فى حسن تقديرها لوظيفتها الطبيعية حيث يتوافر لها الجو الهادى بعيدا عن مظان الريب والشكوك .

نعم – ونقولها مفاخرين : لقد برهنت المرأة المصرية على أنها رشيدة وجد رشيدة إذ رفضت أن تنزل فى ميدان ليست من فرسانه ولا ضرورة لخوضه ، بل فيه الضرر

المحقق عليها . و إنه لموقف للمرأة جدير أن يهنئ به بعض المصريين بعضا ؛ وهو موقف له ما بعده . والآن وقد حصحص الحق وأعلنت المرأة رأيها فى هذا الحق الانتخابى ؛ وهو الرفض بما يشبه الإجماع كما أسلفنا . فماذا يا ترى يكون موقف حكومة الثورة منه بعد هذا الاستفتاء ؟

ألا يسوغ لنا أن نطالب الحكومة ـ ونتيجة الاستفتاء فى يدها أقوى سلاح ـ أن تلغى هذا القرار حتى لا يكون فى المستقبل مصدر عبث و إزعاج ، حين تحاول بعض ذوات الدل والحال أن تذهب فى حشد من المعجبين بالأناقة والجمال إلى لجان الانتخاب للادلاء بأصواتهن .

إنه يسوغ لنا ذلك . وأكبر الظن أن الحكومة ستلبي رغبتنا احتراما لإرادة المرأة وعملا بمبدأ من أهم مبادئ الديمقراطية . ولن يستطيع منصف أن يتوجه إليها بلوم أو مؤاخذة فقد ألجمت نتيجة الاستفتاء أفواه الداعين للمرأة والمتحدثين عنها .

ولنا أخيرا كلمة هادئة نسوقها إلى أنصار المرأة نرجو أن يتدبروها بروح الإنصاف والإخلاص لا بروح التعصب الأعمى والعاطفة الهوجاء تلك هى أننا نرى أن فى نيابة الرجال وانتخابهم غناء عن نيابة النساء ونوائبهن وهؤلاء الرجال هم آباء النساء وأبناؤهن وأزواجهن . ولا شك أن الآباء والأبناء والأزواج أحرص الناس وأغيرهم على حقوقهن ، فاذا عرضوا لشأن من شئونهن كان رائدهم فى البحث والتمحيص والإقرار هو المصلحة الحقيقية لهن وللأمة بحسب اجتهادهم ، مع غض النظر عما بين الفريقين من قدرة على تبين وجه المصلحة فيما يطرح للنظر . فهلا يرون معنا ذلك الرأى أم يرون أن فى المرأة عبقرية تحل ما يستعصى على الرجل حله من المشكلات ؟ ؟ ! !

وأخيرا نرى واجبا أن نتوجه مرة أخرى إلى المرأة المصرية بالتهنئة على هذا الموقف الجليل الذى برهن على بعد النظر وسلامة التقدير .

أبو الوفا المراغى

الله جل علاه

نريد أن نثبت فى هذه العجالة الزاخرة بالحقائق الحافلة بالدقائق أن وجود الله ضرورى الثبوت بدهى التعقل .

فما من ظاهرة من ظاهرات هذا الوجود إلا وهى ناطقة بأبلغ لسان وأبين عرفان فى باب البرهان بوجود مدبر يدبر هذا الوجود من أطرافه فينسقه على نظامه الذى يوافقه .

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

فعقيدة وجود الله قائمة شامخة بين القلوب والضمائر ، وبين البوادى والحواضر ، تخزى أولئك المنكرين لوجود الله وقد نصبوا أدلتهم الواهية ، وعقائدهم الباطلة النامية على رمل سريع الانهيار ، وبناء وشيك التحلل .

قامت نزعة مشتقة من قلوب مريضة وأفئدة واهية أطلق عليها أصحابها عنوان « الوجودية » وهو عنوان حديث التسمية فى آفاق العلم . وقصته أن رجلا فى فرنسا يدعى بول سارتر ، هذا الرجل فى أعقاب الحرب الثانية حض على منابذة الأديان والتحلل من كل فضيلة وعرفان ، ويدخل تحت هذا المفهوم إشباع الغرائز وإنماء النحائز وتجاهل الفضائل فى شتى صورها ، وإنماء المخازى فى مختلف نزعاتها ، وجد هذا الرجل أنصارا له فى الحى اللاتينى فى فرنسا من الفتيان والفتيات الذين هم فى سن المراهقة والذين لا يميزون بين التمرة والجمرة ، ثم خف إلى السير فى ركابهم جماعة من المأجورين والممرورين الذين كتب عليهم أن يقرعوا كل باب ، وأن يسيروا خلف كل ركاب ، هؤلاء وأولئك نفثوا فى لداتهم وأشباه لداتهم هذا السم الزعاف ، فحملوه كذبا وافتراء مذهبا من المذاهب التى تكون العقائد وتنمى القوى والملكات بين فريق من بنى البشر .

ومن العجب العاجب أن يتسرب مذهب الوجوديين إلى الشرقين الأدنى والأوسط ويهبط إلى مصر والبلاد الإسلامية الأخرى فيجد له أنصارا بين الطبقات العلمية المدنية فى الجامعات ، فيغزو عقائد الطلبة والطالبات ، ويهيمن على أخلاقهم حتى يصبحوا معولا من معاول الإلحاد تحارب العقائد والمبادئ بين الجماعات والآحاد .

فمنكر وجود الله مصاب بأفظع أنواع الجنون ، ومن الواجب حذفه من سجل الإنسانية ،

ويجب أن نتحاماه كما نتحامى المصاب بالجذام أو بمرض ذات الرئة . وقد قال تعالى تحقيرا لشأن هذا الصنف من الآدميين : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل» «وإن تدعهم إلى الهدى لايسمعوا،وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون» فوجود الله ضروري عند كل عاقل، فأنك إذا رأيت بناء شامخا على أحسن وضع وأتم نظام، قد نسقت أشجاره، ودبرت أنهاره، وهيئت مساكنه على ماتقتضيه الحكمة وتوجبه الحاجة. فهل يمكنك أن تصدق أن هـذا البناء بلا بان وذلك النظام بلا منظم ؟ فاذا جوزت أن يوجد بناء بلا بان ونظام بلا منظم ، خرجت من زمرة العقلاء ، وسقطت عن رتبة الخطاب والمكالمة .

لو سلك علماء الكلام مسلك القرآن فى الاستدلال على الله تعالى لقربوا الطريق ، وهزوا القلوب بما أودع فى الفطر وغرس فى النفوس حتى التحق بالبدهيات التى لاتحتاج إلا إلى الالتفات إليها وانتباه النفس لها .

انظر إلى قوله تعالى : « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » أدمج سبحانه كل ما أطال به علماء الكلام فى أسفارهم « فاطر السموات والأرض » وهو فى غاية الجلاء ونهاية الوضوح « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » ويقول: « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » ويقول: « فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب، إنه على رجعه لقادر ، يوم تبلى السرائر » ويقول : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ويقول : « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون » . « أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما » . « أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون، لو نشاء جعلناه أجاجا » . ويقول : « أمن خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله ، بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ، أإله مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون » ويقول : « قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر

الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون» «قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون، قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق، قل الله يهدى للحق، أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع، أمن لا يهدى إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون» ويقول فى آيات أخرى تحقيرا لأولئك الذين يشككون فى وجوده وتشنيعا على أولئك الزائفين الضالين المضلين: «قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين، فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم».

وهكذا شأن القرآن لا يتعسف فى التعبير ولا يتفلسف فى الاستدلال، وإنما يملك النفوس ويخاطب المشاعر ويرى الذين يسمعون ويرون: «أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون».

وبدهى أن الاستدلال يختلف باختلاف الناس، فمنهم من يذعن لأقل شىء لسلامة فطرته واستقامة بديهته. وقد روى عن الأئمة من ذلك الشىء الكثير حتى إن بعض العارفين حين قيل له إن الإمام الرازى أقام على وجود الله ألف دليل قال لقائله: ويحكم ومتى غاب حتى يقوم البرهان على وجوده ؟!.

ومن الاستدلال الظريف على وجود الله قول الإمام الأعظم أبى حنيفة لمن جادله من الملحدين: «ماتقولون فى رجل يقول لكم إنى رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مليئة بالأثقال، قد احتوشتها أمواج متلاطمة، ورياح هوجاء مختلفة، وهى من بينها تجرى مستوية ماخرة عباب البحر غير آبهة لما اصطلح عليها من الأنواء وليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يهديها ولا مدبر يقيها الغرق والشرق وقد فتح الموت لراكبيها بين كل موجتين قبرا. فهل يسوغ العقل البشرى قيام هذا الوضع بلا موجه ولا مدبر؟». قال المجادلون لأبى حنيفة: لا. هذا شىء يأباه نسق العقل وتنكره مذاهب الدليل. فقال أبو حنيفة: «ياسبحان الله إذا لم يجز فى تقدير العقل أن سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير مدبر ولا مرشد، فكيف يجوز العقل قيام هذه الدنيا على اختلاف آفاتها وتباين خططها وسعة أطرافها وترامى أكنافها من غير صانع يصنعها ومدبر يدير شئونها» عند ذلك لزمتهم الحجة وقد اتضحت لهم المحجة.

ومن الاستدلالات التى لاتحتمل المـكابرة فرض من الفروض افترضه الإمام أحمد بن حنبل أحد المجتهدين الأربعة حين قال لمجادله هب قلعة حصينة ملساء لافرجة فيها، ظاهرها كالفضة المذابة ، و باطنها كالذهب الإبريز ، ثم انشقت الجدران عن حيوان سميع بصير فأين مصدر هذا الحيوان ؟ لابد أن يكون له فاعل دبر أمره وأبدى سره (عنى بالقلعة البيض و بالحيوان الفرخ) .

ومنها أن هارون الرشيد سأل مالكا رضى الله عنه عن ذلك فاستدل باختلاف الأصوات وتردد النغمات ، وتفاوت اللغات . ويشير إلى ذلك قوله تعـالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم) .

وسئل اعرابى عن الدليل فقال : « البعرة تدل على البعير ، وآثار الأقدام على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجـاج ، وبحار ذات أمـواج ، أفلا تدل على الصانع الحـكيم العليم القدير » ؟

وقال آخر : عرفته بنحلة فأحد طرفيها يعسل، والآخر يلسع ـ والعسل مقلوب اللسع . وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال فى بعض خطبه :

« سبحان من بصر بشحم ، وأسمع بعظم ، وأنطق بلحم »

ومنهم من يقول بسعة رزق الغبي دون الذكى ، فانه ضيق رزقه

هذا . ويوجد كثير من الاستدلالات لايأتى عليها العدد ولذلك قالوا : لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق .

وخليق بنا أن نرجو فضيلة شيخ الجامع الأزهر أن ينشر على قراء هذه المجلة رسالته القيمة التى وضعها فى فلسفة الأديان ونال عليها لقب الدكتوراه من إحـدى جامعات فرنسا ، فهى رسالة قيمـــة ظفرت باعجاب أساتذة الأكاديميات فى فرنسا وأثنى عليها المشتغلون بنظريات الأديان ثناء عميقا مستطابا يبعث فى النفوس عوامل الشوق الى النظر إليها بعين الإجلال والإكبار ، وبعثها من جديد لتنتشر بين البيئات العلمية المدنية منها والدينية فتكون بلسما يذهب بالأوصاب ويهدى الحائر الى خير السبل والأبواب ؟

عباس طه
المحامى

من ملامح الشخصية المسلمة

شخصية الإنسان مجموعة من الصفات تميزه عن غيره ، وتحدد ملامح ذاته ، وتعطيه الطابع الخاص به ؛ وللمسلم شخصية مثالية يمكن أن نجتلى مكوناتها فى هدى القرآن الكريم ، وأدب السنة المطهرة ، وعمل الصالحين من سلف المؤمنين ؛ ومن هذه المكونات ما يتصل بالبدن ، ومنها ما يتصل بالعقل ، ومنها ما يتصل بالنفس والروح ؛ فالمسلم المثالى رجل صحيح البدن قوى العضل شديد المنة ، صالح بقوته وفتوته وصحته وسلامة بدنه للعمل والنضال ، والاحتمال وهدوء البال ، لأن الجسم الضعيف أو العليل أو المئوف بآفة من عوامل الهدم قد ينال تفكير صاحبه بالخلل ، وقد يدخل على نفسه بالسأم والملل . . . وجسم المسلم بناية ربه الذى خلقه فسواه فعدله ، فى أى صورة ما شاء ركبه ؛ وبناية بناها الرحمن يجب أن تكرم وأن تحفظ وتصان .

والمسلم المثالى رجل علم ومعرفة وثقافة ، يطلب العلم من المهد إلى اللحد ، وكلما نال مزيدا من العلم أقنعه ذلك المزيد بأنه لا زال بحاجة إلى ازدياد ، لأن العلم لا نهاية له ، ولأن المرء مهما حصل من المعرفة فلن يزال محجوبا عن الكثير من العلوم والمعارف : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

والمسلم المثالى رجل أخلاق ، بل هو الأخلاق الكريمة تسعى على الأرض مصورة فى إنسان ؛ لأن الأخلاق الفاضلة هى دعامة الإسلام وأس بنائه ، وأقرب المسلمين مجالس من رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يوم القيامة أحاسنهم أخلاقا ، وهو القائل يعلم أتباعه : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » ! . . .

وهذا التكامل الجسمى العقلى النفسى قد نلحظه فى الهدف العام لقوله عز من قائل : « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » أى فى أحسن تعديل من جهة الشكل والصورة ، ومن جهة العقل والفهم ، ومن جهة الاستعداد ليكون خليفة الله تبارك وتعالى فى هذا الكون العريض . . وخير الناس من استغل هذا التقويم المثالى الكريم ليؤتى أكله وثمرته بأفضل الوسائل وفى أنظف الميادين . . .

ومن مقومات شخصية المسلم أنه سيد نفسه بامتلاكه زمامها ، وسيد العالم بصلاحه وإصلاحه ، وقوامته على الناس ، وشهادته على العالمين ؛ ولكنه أيضا عبد الله وحده ، وليس عبدا لسواه ، لا تذل جبهته لغير الله ، ولا تخفض هامته إلا لبارئه ومولاه ، إذ خضوع المخلوق للبارئ عز ، ورضا المسلم بالمذلة أمام سوى الله كفر وخزى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » وليست العزة فى المسلم كبرا أو تجبرا ، فقد جعل الله مصير الكبر إلى النار « أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين » ؟ وقال رسول الله عليه صلوات الله : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر » ؛ ولكن هذه العزة إباء للضيم ، وترفع عن العيب ، ومقاومة للهوان ؛ وعمر الفاروق يقول : «يعجبنى من الرجل إذا سيم خطة خسف أن يقول (لا) بملء فيه » ! . . . كما أن سيادة المسلم على العالم تقتضيه أن يكون أهلا لهذه السيادة بعلمه وفضله ، وقوته وعدالته وهدايته ، وأن يكون قدوة عليا للناس ، يحملهم على حقه ، ولا يحملونه على باطلهم ؛ والرسول يقول فى هذا : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ؛ ولكن وطنوا أنفسكم إذا أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » ! . . .

والمسلم موصول بيمين الحق عز وجل ، وهذه الصلة ترفعه عن ترابية الأرض إلى نورانية السماء ، ومن حضيض الضعف والاستكانة إلى معاقل الاعتزاز والصيانة ، وتجعله موقنا بحقه ، مستمسكا برأيه ، قويا على باطل الناس ، نفورا من أهوائهم : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » ، « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور » . . . وما دام المسلم قد وصل حبله بحبل الله ، وقد أسلم وجهه لله ، وقد استمسك بالعروة الوثقى ، وقد آمن وأحسن وعمل عملا صالحا ، فلن يكون للشيطان عليه سبيل ، بل سيراه المسلم دائما عدوا مبينا له ، فلا يقبل عليه ، ولا يميل إليه ، وسيقيم المسلم من نفسه على نفسه رقيبا وحسيبا وبصيرا ، لأنه يتذكر دائما أن ساعة ستأتى يلقى إليه فيها سجل أعماله ، ويقال له : « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » ، وسيجد المسلم هذا السجل دقيقا حريصا فى التدوين والتسجيل ، وسيجد الجزاء ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وأن إلى ربك المنتهى » ! . . .

ومن مقومات شخصيـة المسلم أنه رجل جماعى وليس بأنوى ، ، فهو ممن يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهو رجل يعطى قبل أن يأخذ ، وهو رجل قـد غرس فى نفسه وقلبـه حب التعاون والتعاطف والتآلف ، لأن مولاه يقـول له : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان » ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول : « والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » . . . وهو رجـل ودود بشوش ، ليس بانطوائى ولا بانعزالى ، بل يخالط و يصادق و يتواد ، ومن هنا قال محمد نبى الأخلاق : المؤمن إلف مألوف ، ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف ! . . .

والمسلم صاحب الشخصية الإسلامية الصحيحة يقول « أنا » فى مـــواطن البـذل والتضحية والإيثار ، فحينما دعا الله محمدا صلوات الله عليه إلى أن يتمسك بالحق ، ويحمـل نفسه وغـــيره على هذا الحق ، أمره بأن يذكر نفسه أولا ، لأن المقام مقام تبعة وجهاد وتطبيق ، يقول الحق عز من قائل : « قل هـذه سبيلى ، أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركـين » . . ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يصور فى الأنصار هـذه الروح الإيثارية التى تجعل صاحبها ينسى نفسه فى مواطن الشهوة والرغبة ، و يقدمها فى مواطن النضال والبذل . فيقول لهم : « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » وهذه صفة تجعل صاحبها فى أعلى عليين من مراتب السمو الأخلاقى ، فهو يعطى ولاينتظر الأخذ ، وهو يبذل ولا يتوقع الأجر ، وهو يكافح كفاح الجندى المجهول الذى يريد وجه الله وحده ، والرسول يصور هذا بقوله فيما ينسب إليه : « أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضا والغضب ، وأن أعطى من حرمنى ، وأصـــل من قطعنى ، وأعفو عمن ظلمنى ، وأن يكون نطقى ذكرا ، وصمتى فـكرا ، ونظرى عبرا » . . وقد صور الشاعر هـذه الرتبة الإيثارية الخالية من المن والأذى بقوله :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى ... وبين بنى عمى لمختلف جدا
أراهم إلى نصرى بطاء ، وإن هم ... دعونى إلى نصر أتيتهم شدا
وإن يأكلوا لحمى وفرت لحومهم ... و إن يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وإن زجروا طيرا بنحس تمر بى ... زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
وإن ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا غيى هويت لهم رشدا

ولا أحمل الحقد الدفين عليهم فليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالى إن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا ! !

* * *

ومن تمام شخصية المسلم المثالى أن يتجلى فيه الثبات والاطمئنان ، لأن النفس المطمئنة هى الراضية المرضية عند الله فى الدنيا والآخرة ، وثبات المسلم على دينه وخلقه ومبادئه هو عنوان إيمانه ويقينه ، وهو الذى يجعله لا يبغى عند النعمة ، ولا يتزلزل لدى المحنة . والداء العياء الذى تشكو منه المجتمعات هو ذبذبة الأخلاق واضطراب النفوس ، ولو آتى الله عبده ثباتا على ما رآه ، وصبرا على ما يلاقيه ، وثقة بالذى يرتجيه ، لوجدت مكارم الأخلاق حراسها وحماتها ورجالها ، ولصان الله المجتمع من مآثم الثعالب التى تتلون بطباعها وأخلاقها تلون الحرباء ، وقديما أعطانا الشاعر العربى صورة كريمة لثبات النفوس واطمئنان القلوب واستقرار الأخلاق برغم تقلب الأحداث والأيام فقال :

فان تكن الأيام فينا تبدلت ببؤسى ونعمى ، والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للتى ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة تحمل ما لا يستطاع فتحمل !

ولقد صوّر القرآن الكريم هذا الثبات بأبلغ من ذلك حين قال : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » ! ! . .

وقد يكون أبو الطيب المتنبى تطلع إلى مثل هذا المعنى حين قال :

وفى الجسم نفس لا تشيب بشيبه ولو ان ما فى الوجه منه حراب
يغير منى الدهر ما شاء غيرها وأبلغ أقصى العمر وهى كعاب !

* * *

هذا جانب من ملامح الشخصية المسلمة ، ولو تابعنا بقية الملامح لأسلمنا هذا الجانب إلى جوانب ، فان شأن المسلم المثالى أن يظل دائما راقيا فى مراقى الفضل والنبل ، ومراتب السمو والعلو ، حتى يكون ربانيا ، وحتى يكون نعم الخليفة لبارئه فى هذا الوجود ! ! . .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

ثقافة المسلم

لنذكر بالفخر أياما مضت ، حمل المسلمون فيها مشاعل النور ، ومصابيح الحضارة ؛ ورفعوا للانسانية صروحا عالية ، وقبابا سامقة ، يؤذن عليها بدعوة الحق والعلم ، والحكمة والمعرفة ، والثقافة الشاملة ، والمدنية المهذبة . .

ولنحيِّ بالإجلال جهود علماء المسلمين الأولين ، فى مكة والمدينة ، والبصرة والكوفة ، والفسطاط والقاهرة ، ودمشق وبغداد ، وقرطبة وغرناطة والقيروان ، وبخارى وسمرقند وجرجان وسواها من عواصم الإسلام الكبرى ، التى قامت فيها الجامعات الإسلامية ، ومن بينها الأزهر جامعة الإسلام الكبرى ، ومعهده العتيق ، ذو التاريخ الحافل ، والجهاد العلمى الطويل المتصل ، خلال عشرة قرون أو تزيد .

وهل ننسى محمد بن موسى الخوارزمى واضع علم الجبر ، والحسن بن الهيثم مبتكر نظريات علم الضوء ، وابن النفيس مؤلف رسالته فى الدورة الدموية ، وجابر بن حيان صاحب المؤلفات فى علم الكيمياء ، والفارابى وابن سينا وابن رشد والغزالى وسواهم من العلماء والمفكرين المسلمين ، الذين كانوا يبحثون ويدرسون ويدونون ، ويقيمون الصناعات ، ويخترعون الآلات ، ويرقبون حركات الكواكب فى أفلاكها ، ويقيسون محيط الكرة الأرضية بالأجهزة الدقيقة ، وينشرون الثقافة بين الناس ؟

وكيف ننسى وديننا دين العلم والثقافة ، والداعى إلى تقديس الحكمة والاستنارة بها ، وكتابه الحكيم ذخيرة من الهداية والمعرفة ، والاسلام رسالة عالمية تضمنها القرآن الكريم ، وإن الإنسان ليقف مشدوها أمام العظمة الفكرية التى تجلى فيها الإسلام على محمد عليه الصلاة والسلام ، وما بالك بدين يعز العلم ، ويرفع شأن العلماء ، ويعدهم المصابيح الهادية للانسانية ، ويجعل قداسة العلم مضارعة لقداسة العبادة ، لأنه يعتبر العلم فى ذاته من أسمى العبادة ، وحسبك أن القرآن الكريم دائم التذكير بالعقل والتدبر والتفكير ، وقد ذكر العقل باسمه وأفعاله زهاء خمسين مرة ، وذكر العلم فى مواضع من آياته تناهز المائة ، وذكر مشتقاته أضعاف ذلك ،

وجاء فيه ذكر فيه أولى الألباب أى العقول بضع عشرة مرة ، وذكر فيه أولو النهى أى العقول فى آخر سورة طه ، وجاء فيه ذكر الحكمة مرات كثيرة ، وهى بمعنى التفكير الرفيع ، والفلسفة العملية : كعلم النفس والأخلاق ، وأسرار الخلق ، وسنن الاجتماع ، وفلسفة التاريخ .

والعلم فى القرآن يشمل علوم الدين والدنيا فى شتى أنواعها وفروعها ؛ وهذا العلم هو ثقافة المسلم خلال الأجيال ؛ وهو واجب على المسلمين كافة ، كما يعبر عن ذلك الحديث النبوى الشريف « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وبلغ من إعزاز شأن العلماء فى الإسلام أن جعلهم الرسول صلوات الله عليه وسلامه ورثة الأنبياء ، وجعلهم فى الذروة من طبقات الأمة ، فقال : « خيار أمتى علماؤها وخيار علمائها فقهاؤها » ، يريد أن أفضل الناس هم العلماء ، وأفضل العلماء هم المتخصصون فى شتى الدراسات ، سواء منها الدينية والدنيوية . ولقد قدم محمد الرسول الأمى للعالم مثالية قوامها العلم والفلسفة العملية ، وهذه المثالية العلمية هى التى أثلت للحضارة الإسلامية مجدها التليد المرموق ، وقد جرى هذا فى وقت لم يكن للعلم الواقعى فيه شأن مذكور فى حياة البشر ، بل كان الشأن للأساطير والأوهام . ثم نادى بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، وبأن المستقبل له ، وبهذا تقدم الرسول بمعجزة أخرى لم تدركها أفهام الناس من قبل ، ووضع الأساس لديانة تقدمية صادقة ، تحترم العلم والعقل ، وتوجه الإنسان الى تفسير الوجود والحياة على ضوئهما ، ولم يحصر رسالته فى قومه ، بل ارتفعت شخصيته فوق حدود البيئة والمكان والزمان ؛ وهذه العظمة الذهنية هى إحدى معجزاته العظيمة ، ولم تكن الحضارة الإسلامية العالمية الشاملة إلا نتيجة من نتائج الفلسفة الإسلامية العملية ، وليس المنهج العلمى التجريبي الذى يعتمد على المشاهدة والتجربة والتمحيص وامتحان المقدمات من وضع بيكون فى كتابه « الأداة الجديدة » الذى ألفه عام ١٦٢٠ ميلادية ، بل إن القرآن الكريم هو الذى وضع قبل ذلك التاريخ بألف عام أساس هذا المنهج العلمى ، بما حوت آياته من دعوة إلى التأمل والنظر والتفكير ، وترك الأوهام والتقليد . وهذا المنهج القرآنى الرفيع يجب أن ترتكز عليه ثقافة المسلم اليوم ، حتى يفكر بالعقلية العلمية ، فيواجه الحقائق ، ويعنى بالجوهر دون العرض ، ويطلب اللب دون القشور .

وفرض العلم وجعله إلزاما على كل مسلم هو الذى ساعد على انتشار الروح العلمى بين

المسلمين فى الأمس البعيد ، وما أحوجنا اليوم إلى هذا كله لنستعيد مجدنا العلمى الغابر ، ونسترد شخصيتنا الإسلامية ، التى تعد الثقافة العلمية أولى مميزاتها الأصلية .

لقد كان من أخص صفات المسلم فى القديم الحرص على التزود بقسط من الثقافة ، وطلب العلم من المهد إلى اللحد ، والرحلة من أجله ، والهجرة فى سبيله ، والإقبال على القراءة ، وعلى تكوين مكتبة متخيرة فى كل منزل ، وحث الأبناء على الإقبال على العلم ، وكان من الشعائر كذلك : بذل الأموال الطائلة فى سبيل تشجيع البحث والثقافة ، وإعزاز شأن العلماء حتى لقد كان الناس ينصرفون عن مواكب الرشيد فى عنفوان خلافته ليسيروا فى مواكب العلماء ، وكان العلم نورا يضىء لا نارا تحرق ، فلم يتخذوه وسيلة للافساد ولا للتجارة والمنصب ، حتى لقد أريد أبو حنيفة على تولى منصب القضاء فأبى ذلك إباء شديدا ، وكذلك فعل غيره من أعلام الفقهاء .

وظل المسلمون يحرصون على الثقافة حرصا ظاهرا ، والتراث العلمى والفكرى فى نضوج مستمر ؛ حتى كانت الأحداث التى توالت على المسلمين ، فبددت هذا التراث العلمى الخالد ، وأشاعت الجهل فى العالم الإسلامى ؛ وفى مقدمة هذه الأحداث : تخريب العبيديين (الفاطميين) وإحراقهم فى آخر دولتهم لمدينة الفسطاط عام ٥٦٤ هـ ، بما فيها من مساجد ومدارس وجامعات ومكتبات وكتب تعد بالملايين ، ثم تخريب التتار لبغداد مركز الحضارة الرفيع فى العالم الإسلامى عام ٦٥٦ هـ ، ثم سقوط الأندلس فى أيدى الأسبان الجهلة المدمرين عام ٨٩٧ هـ وافناء علمائها ومكتباتها وجامعاتها العتيدة .

وكان الملوك فى العالم الإسلامى يحمون الجهل لتظل الشعوب مسخرة لطغيانهم .

واليوم الذى فقد المسلمون فيه الزعامة العلمية والفكرية فى العالم هو اليوم الذى فقدوا فيه نفوذهم الدولى ، ومكانتهم الرفيعة بين الشعوب . وجاءت أوربا فوضعت يدها على تراث المسلمين العلمى والفكرى والحضارى ، واغتصبته لنفسها ، بعد أن كانت قد ترجمت علوم المسلمين ومعارفهم وفلسفاتهم فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الميلادى .

إذا أرادت الشعوب الإسلامية اليوم أن تنهض من جديد ، وأن تتبوأ مكانها المرموق بين الأمم ، فعليها أن تحارب الجهل ، وأن تسرف كل الإسراف فى نشر التعليم ،

وإقامة المدارس ، وبناء الجامعات ، وفتح الأندية الثقافية ، والمكتبات العامة ، وتشجيع الكتاب العربى ورعايته ، كما تشجع انجلترا مثلا الكتاب الإنجليزى وتتخذه أداة للدعاية لها فى كل مكان فى العالم .

يجب أن تخفض هذه النسب المرفوعة للأمية فى العالم الإسلامى كله ، وأن لا يكون العلم فى مدارسنا معناه القراءة والكتابة فحسب ، بل يجب أن يكون التعليم الثانوى فرضا واجبا على كل مسلم فى كل مكان من العالم الإسلامى .

إننا لنتألم حين نرى المجتمع الإسلامى لا يقدر العلم والعلماء ، ولا يحرص على القراءة والاستفادة ، وحين نرى العلماء يخلدون إلى الراحة ، والجامعات تهتم بالمظاهر لا بالحقائق والعصبيات الثقافية يهدم بعضها البعض الآخر ، والصحف والمجلات تصبح مصادر لثقافة الشعب ؛ ونأسف حين نرى المادية الجامحة تصد الشباب عن العلم ، والطلاب يجعلون هدفهم النجاح فى الامتحان لا العلم فى حد ذاته .

ونطالب بالاهتمام بالثقافة الإسلامية والتعليم الدينى ، وتقريرهما فى المناهج الدراسية الحديثة ، بحيث تصبح المناهج شاملة لشتى الثقافات الإسلامية والعربية القديمة والجديدة .

ونطالب بالغاء قيود التعليم كافة فى جميع المدارس فى البلاد الإسلامية ، حتى يصبح العلم متاحا للجميع دون استثناء ، فليس للتعليم فى الإسلام قيود ولا لوائح ولا قوانين تصد عنه .

ويجب الإكثار من مدارس التعليم للكبار ، فالعلم حق للجميع ، الكبار والصغار جميعا فيه سواء .

إن المسلم الذى يجب أن يعيش عزيزا فى وطنه ، كريما على الناس ، هو الذى يحرص على الثقافة ، ويتزود بأكبر قسط من المعرفة والعلم ، ليرفع من مستواه المادى والأدبى ، وليتحرر من الجهل والفقر والمرض ، وليكون العلم وسيلته لنشر السعادة والرفاهية والخير والأمن والسلام بين الناس ٥٠

محمد عبد المنعم خفاجى

آداب الغريب

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل » . رواه البخارى وغيره ؛ وزاد ابن ماجه « وعدّ نفسك من أهل القبور » .

تقديم : المنكب بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف ، وأو فى الحديث ليست للشك من الراوى بل هى للتنويع ، قيل لأن العبور لا يستلزم الغربة ، فهو من عطف العام على الخاص ، ولكنّ المقام يعين هنا أنه عبور الغريب . فالأحسن فى الجواب أن الغريب من حيث هو غريب غيره من حيث هو عابر سبيل فيتأتى التنويع .

المعنى :

إنه لما يزال يدوّى فى آفاق الدنيا ، وأسماع الزمان ، هذا النبأ العظيم ، والخطب الجسيم الذى وقع بالإنسانية فأشقاها ، ونزل بها فأصابها وأصماها [١] حين أنزلها الله من دار رحمته ، ومنزلة كرامته ، إلى دار الفناء والشقاء ومنزلة البلاء والعناء ، بمعصية آدم وحوّاء . ولا يزال المؤمنون الصادقون ممن حفظ الله عليهم فطرهم ومشاعرهم ، وسلم لهم أذاوقهم ومداركهم يجدون مفارقة عجيبة بين أحاديث نفوسهم ومطامحها و بين متاع هذه الحياة الدنيا وزينتها ، ويستشعرون بونا بعيدا ، وفرقا شديدا بين مآربهم وآمالهم و بين ما يأخذون به منها . وهو من الأدلة التى أقامها الله فى قرارات النفوس ، وسويداوات القلوب ، لتبصرة الإنسان بحقيقة أمره ، وتذكيره بأنه نازل فى أرض غير أرضه ، ومنزل غير منزله ، وعيش غير عيشه ، ليكون ذلك داعية له إلى أن يشتاق إلى وطنه وأهله ، ويسعى إلى حياته وعيشه ، ويلتمس السبيل الى الخلاص من غربته ووحشته ، والخروج من عنائه وشقوته ، فيستهدى الهادين ، ويتبع السالكين ، ويطيع الرائدين ،

[١] من أصمى الرامى الصيد ، إذا رماه فأثخنه .

ويستقيم على طريق الدعاة الى الله رب العالمين ؛ وليكون ذلك حافزا له على اتخاذ الأهبة ، وإعداد العدّة ، واصطحاب الزاد ، وارتقاب المعاد .

وفى هذا وردت هـذه الوصية الكريمة ممن هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما ولمن بلغته من المؤمنين ، أن يتشبه فى هـذه الحياة الدنيا بالغريب فى خلاله وأحواله ؛ وفى شمائله وخصاله : من رقة القلب ، وغزارة الدمع ، وقـلة اللهو ، والحنين إلى الوطن ، والاشتياق إلى الأهـــل ، والخوف من الانقطاع ، والسعى إلى اللقاء والاجتماع ، وأن يتشبه بعابر السبيل إلى وطنه وأهله : فى أن يـكون مصمم العزم ، دائم السعى ، خفيف الأحمال ، قليل الأثقال ، لا يحيد فى سبيله إلى يمين ولا إلى شمال ، ولا يطمئن من حالاته إلى حال ، ولا يقعد به شيء عن اقتحام العقبات وتجشم الأهوال ؛ وأن يتشبه فى هـذه الدنيا بأهل القبور ، فيطرح الفرح والمرح ، والبطر والأشر ، والفخر والخيلاء ، والتعالى والـكبرياء ، ويباعد بين نفسه وبين الغرور ، وينزهها عن الآثام والشرور ، فانه مرتهن بعمله مأخوذ بذنبه ، كما أن أهل القبور بيد البلى مرتهنون ، وعن الغرور والخيلاء ناكبون ، وعن البطش والأذى عاجزون .

وقد بين الله ورسوله لهذه الأمـة صراط الله المستقيم ، وطريقه القويم ، ولم يدعهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم إلا على الحنيفية السمحة ، والمحجة الواضحـة ، والطريقة البيضاء الناصعة التى ليلها كنهارها ، حتى لا تتفرق بهم السبل ، كما تفرقت بالضـالين الحـائرين ، والغـلاة والمبتدعين ، ولا تتقطع بهم الأسباب كما تقطعت بالمغرورين الغافلين ، والمقصرين المفرطين ، والوانين المتواكلين . « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم » ؛ وهـو سبيل واحـد لا يشتبه على الناظرين ، ولا يلتبس على المستبصرين . وفى ذلك يقـول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : والطريق إلى الله فى الحقيقـة واحد لا تعـدد فيه ، وهو صراطه المستقيم الذى نصبه موصلا لمن سلـكه إلى الله . قال الله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » فوحد سبيله لأنه فى نفسه واحد لا تعدد فيه ، وجمع السبل المخالفة لأنها كثيرة متعددة ، كما ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم خط خطا ثم قال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره ثم قال : « هـذه سبل على كل سبيل منها

شيطان يدعو إليه ثم قرأ الآية» ؛ ولا يشكل على ذلك جمع هـذا السبيل فى قوله تعالى: « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام» وقوله: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » لأن المراد بهذه السبل هى شعب الإيمان وطرائقه التى ينتظمها سبيل الله وتحاذى فيه كالصلاة والصيام والزكاة والبر والصلة وغيرها ، كالذى كتب به عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عدى بن عدى « ان للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان . فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص » وهو مما صدر به البخارى رحمه الله كتاب الإيمان .

وكما كان من الحق على عابر السبيل أن يتخفف ما استطاع من الأحمال والأثقال فكذلك من الحق على سالك سبيل الله أن يتخفف ما استطاع من التبعات والأوزار وأن يفرغ قوته وجهده لحمل ماينفعه من الزاد إلى يوم المعاد وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « إنما يكفى أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب » ويدخل عليه عمر رضى الله عنه وهو على حصير قد أثر فى جنبه فيقول : يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هـذا ؟ فيقول له صلى الله عليه وسلم: « مالى وللدنيا ، وما للدنيا ومالى . والذى نفسى بيده ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها » وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه « إن خليلى عهد إلىّ أن دون جسر جهنم طريقا ذا دحض [١] ومزلة [٢] وأنا أن نأتى عليه وفى أحمالنا اقتدار أحرى أن ننجو من أن نأتى عليه ونحن مواقير [٣]» وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « إن أمامكم عقبة كئودا [٤] لا يجوزها المثقلون » ومن الحق على هذا الغريب أن لا يكون وهو لا يدرى ماينتهى إليـه أمره : من اللقاء أو الفراق ، والعـودة أو الانقطاع من الفرحين المسرورين فقد حكى الله سبحانه من مقالة قوم قارون له «لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين » وجعل السرور من موجبات الثبور وعذاب السعير إذ يقول: « وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان فى أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور»(٥) كما جعل ضد ذلك من إشفاق الإنسان وقلقه وخوفه وهو مقيم بين أهله من أسباب النجاة من عذاب السموم : إذ يقول حكاية عن هؤلاء المشفقين حين ينجون فى يوم الدين

---

(١) أى يزلق من عليه (٢) عطف تفسير (٣) جمع موقور من وقره إذا أثقله .
(٤) صعبة . (٥) يرجع .

« إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ».

وعليه أن لا يكون من الغالين المشددين حتى لا يتطرق إليه العجز والملل فيكون من المنقطعين ، ففى الحديث : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » ومعناه كما قال النووى رحمه الله : استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال فى وقت نشاطكم ، وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون بالعبادة ولا تسأمون وتبلغون مقصودكم كما أن المسافر الحاذق يسير فى هذه الأوقات ويستريح هو ودابته فى غيرها فيصل إلى المقصود بغير تعب . وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بما تطيقون . فوالله لا يمل الله حتى تملوا ، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه » وفى رواية لها أخرى : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » ؛ وعليه أن يكون على بينة من أمره ، وبصيرة فى دينه ، فان الدين ليس بالرأى ولكنه اتباع وامتثال ، ولا سبيل للوصول إلى الله إلا بما جاء به رسول الله . والله سبحانه وتعالى يقول : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » وفى رواية : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » أى مردود عليه ، ومن هنا شدد ابن القيم رحمه الله[١] النكير على أهل الجهل بالسنة من المتصوفين السالكين على غير طريق العلم بل على طريق الذوق والوجد والعادة إذ يقول : يرى أحدهم أعمى عن مطلوبه لا يدرى من يعبد ، ولا بماذا يعبده ، فتارة يعبده بذوقه ووجده ، وتارة يعبده بعادة قومه وأصحابه : من لبس معين ، أو كشف رأس ، أو حلق لحية ونحوها ، وتارة يعبده بالأوضاع التى وضعها بعض المتحذلقين ، وليس لها أصل فى الدين ، وتارة يعبده بما تحبه نفسه وتهواه كائنا ما كان ، وهنا طرق ومتاهات لا يحصيها إلا رب العباد .

وقد وفى هذا الإمام قبيل ذلك بيان ما يحتاج إليه السائر إلى الله والدار الآخرة فقال : « السائر إلى الله والدار الآخرة بل كل سائر إلى مقصد لا يتم سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين : قوة علمية ، وقوة عملية . فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق ومواضع السلوك ، فيقصدها سائرا فيها ، ويجتنب أسباب الهلاك ، ومواضع العطب ،

---

(١) فى كتابه : طريق الهجرتين ، وباب السعادتين .

وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل . وبالقوة العملية يسير ، بل السير حقيقة هو القوة العملية ، فان السير هو عمل المسافر ، وكذلك السائر إلى ربه إذا أبصر الطريق وأعلامها ، وأبصر المعاثر [١] والوهاد والطرق الناكبة عنها فقد حصل له شطر السعادة والفلاح، وبقى عليه الشطر الآخر وهو أن يضع عصاه على عاتقه ويشمر مسافرا فى الطريق قاطعا منازلها منزلة بعد منزلة . فكلما قطع مرحلة استعد لقطع الأخرى ، واستشعر القرب من المنزل ، فهان عليه مشقة السفر ، وكلما سكنت نفسه من كلال السهر ومواصلة الشد والرحيل، وعدها قرب التلاقى ، وبرد العيش والوصول . فيحدث لها ذلك نشاطا وفرحا وهمة . فهو يقول : يا نفس أبشرى فقد قرب المنزل ، ودنا التلاقى ، فلا تنقطعى فى الطريق دون الوصول ، فيحال بينك وبين منازل الأحبة فان صبرت وواصلت المسرى وصلت حميدة مسرورة جذلة ، وتلقتك الأحبة بأنواع التحف والكرامات ؛ وليس بينك وبين ذلك إلا صبر ساعة ، فان الدنيا كلها كساعة من ساعات الآخرة ، وعمرك درجة من درج تلك الساعة . فالله الله لا تنقطعى فى المفازة ، فهو والله الهلاك والعطب لو كنت تعلمين » .

أما بعد ـ فان أمامك أيها المنقطع الغريب وإن طال بك المقام، وأيها المنفرد الوحيد وإن حف بك الأهل والأحباب والخدام، أهلا أحن إليك من أهلك، وأحبة أشد شوقا إليك وتعلقا بك من أحبتك ، لا تصرفهم عن ذكراك الأحداث والأغيار ، ولا يذهب بشوقهم إليك اختلاف الليل والنهار ، وإن أمامك من يغار عليك من إساءة أحب الناس فى هذه الدنيا إليك وأعطفهم عليك . فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجه من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » رواه الترمذى وحسنه ، وستعلم إن قدر لك الوصول ورأيت الأهل والمنازل أنه لا عيش إلا عيش الآخرة كما ورد عن رسول الله، وأن هذه الحياة الدنيا ما هى إلا لهو ولعب وأن الدار الآخرة هى الحيوان كما وصفها الله، وسترى إن خلصت من حبائل هذه الدار ، ونزلت سالما فى دار القرار أنك لست إلا آيبا من دار الوحشة والاغتراب إلى دار الأنس والاقتراب ، وأنك أعرف بما أعد الله لك مما كنت تشاهد وتبصر فى هذه الدار ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم » : هم أعرف

---

(١) جمع معثر اسم مكان من عثر يعثر فهو عاثر .

بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم ، ونحوه عن محمد بن كعب ، وعن مجاهد : يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا ، وقال ابن القيم رحمه الله فى كتابه « حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح » بعد أن ساق هذه الأقوال : هذا قول جمهور المفسرين . وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة : عرّفها لهم أى بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال ، ومصداق ذلك من السنة ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده إلى أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار يتقاصّون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة ، والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزله فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا » وفى مسند آخر من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة » .

ولقد وصف القرآن الكريم هذه المنازل الطيبة والأهل الحسان والعيش الرغيد وصفا يهز المشاعر ، ويجتذب القلوب ، ويرتفع بمطامح النفوس ، وهو على ذلك إنما يدركه المدركون ويعقله السامعون على نوع من المقاربة والمناسبة بينه وبين مايعرفون ، أما حقائقه كلها على ما أودعه الله فيها من جميل صنعه وعظيم إبداعه فما تقصر عنه مدارك العارفين ، وتحسر دونه أوهام العالمين ، وبنحو من هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومقاتل ابن سليمان رحمه الله ، وإلى ذلك يشير قول الله سبحانه وتعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . مصداق ذلك فى كتاب الله « فلا تعلم نفس » الآية . ونحوه فى صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدى ، وفى معجم الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمى . فقالت « قد أفلح المؤمنون » ؛ وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب (١) قوس أحدكم أو موضع قده ـ يعنى سوطه ـ

(١) القدر وما بين مقبض القوس وسيتها .

من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الأرض لملأت ما بينهما ريحا «١» ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها «٢» على رأسها خير من الدنيا وما فيها .

فيا عجبا لك أيها المغرور بخادع السراب عن منازل الأحباب ، المسحور عن العيش الهنيء بما يغصّ من الطعام والشراب ، كيف تنصح فلا تنتصح ، وتزجر فلا تزدجر ، وتذكر فلا تذكر ، وتدعى فلا تجيب ، وترقق فلا ترق ، وتخوف فلا تلين ، وينـاح لك فلا تبكى ، وتشوق فلا تشتاق ! ؟ وليتك أيها المحروم المغبون إذ حرمت نفسك الروح والريحان فى جوار الرحيم الرحمن خرجت من الدنيا كفافا لا إلى العذاب ولا إلى النعيم ، ولم يلق بك فى قعر الجحيم .

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حى
ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعد ذا عن كل شيء

نعم إنه والله لهو النبأ العظيم والخطب الجسيم « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » . « وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » . « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » . « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

محمود فرج العقدة
المدرس بكلية اللغة العربية

«١» أى طيبا «٢» غطاء رأسها .

معجزة نبـــوية

توشك أن تتحقق

منذ ثمـانية عشر عاما كتبت فى مجلة (الفتح) الغراء ، التى كان يصدرها أخى العلامة المحقق السيد محب الدين الخطيب صاحبها (ورئيس التحرير لمجلة الأزهر الآن) .

كتبت ذلك المقال فى ٢٩ شوال سـنة ١٣٥٨ ، ونشر فى العدد الصادر يوم الخميس ٣ ذى القعدة سنة ١٣٥٨ عن (معجزة نبوية توشك أن تـكون) . وقـد رأيت فى هذا العام سنة ١٣٧٥ (فى شهر شعبان المـاضى) أمارة أخرى تؤكد تحقق هذه المعجزة .

فرأيت أن من الواجب إعادة نشر ذلك المقـال إثباتا تاريخيا لمـا توقعته من تحقق هذه المعجزة النبوية الباهرة ، ثم التعقيب عليه بمـا رأيت فى هـــذا العام . وهاك نص المقـال الأول :

قرأت ما نشره (الفتح) فى عدده الصادر يوم ٥ شوال سنة ١٣٥٨ عن النجاح الذى كتبه الله لحـكومة صاحب الجـلالة الملك عبد العزيز آل سـعود باستنباط منابع المـاء العذب التى استخرجت بالمضخات الارتوازية فى منطقة (الخرج) من أعمال (الحسا (١)) ثم جلبت إليها المحاريث البخارية وعمات الأيدى فى إدارتها حتى تسنى إصـلاح آلاف الأفدنة فيها وزينت بغرس أنواع النخيل وأصناف الفواكه وزرع الحبوب .

ثم قرأت ما نشره فى عدده الصادر يوم ١٢ شوال (ونشرت الأهرام بعد ذلك مثله يوم الأربعاء ١٨ شوال) عن قيام حكومة جـلالة الملك ابن سعود بتجـارب فى مختلف جهات المملـكة العربية السعودية لاستنباط الميـاه من الآبار الارتوازية توطئة لتعميم

---

(١) الصواب أن «الخرج» من أعمال الرياض . وأما «الحسا» فصوابها «الأحساء» وهى منطقة شرق الرياض بعيدة منها .

الزراعة وإنهاض البلاد اقتصاديا . وقد أجريت الحفريات فى (الدمام) من أعمال الحسا فى شهر شعبان الماضى فظهرت المياه بقوة اثنين وعشرين ألف برميل فى اليوم ، باتساع ثمانى صفائح للبرميل الواحد ، وأن الضغط يرفع الماء إلى عشرين قدما فوق سطح الأرض ، وأن حفريات أخرى أجريت فى بداية شهر رمضان فى (الجبيل) فظهر الماء قويا وبغاية العذوبة ، وأجريت حفريات أخرى فى (القطيف) نظهر الماء إلى علو ثلاثين قدما فوق سطح الأرض .

قرأت هذا الخبر فذكرت بشرى محمدية عظيمة ، فى حديث صحيح ، قد لا يعرفه إلا القليل من الناس ، ولم أكن أظن أنها قريبة التحقيق والوجود فى عصرنا .

فقد روى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده (برقم ٨٨١٩ ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧١) قال : حدثنا محمد بن الصباح ، قال : حدثنا إسمعيل يعنى ابن زكريا ، عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق ، وحتى يكثر الهرج . قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل » .

وهذا إسناد صحيح جدا ، على شرط الشيخين : البخارى ومسلم . ونقله الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ٧ ص ٣٣١) ونسبه لمسند أحمد وقال : « رجاله رجال الصحيح » .

وروى الحاكم أبو عبد الله فى المستدرك (ج ٤ ص ٤٧٧) الشطر الأول منه بإسناد آخر من طريق سفيان عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ، وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الحافظ الذهبى ، وهو كما قالا .

وقد بدأت هذه المعجزة أن تكون ، فإن استنباط المياه من أرض الجزيرة إذا سار سيرته أعادها مروجا وأنهارا ، كما بشر بذلك رسول الله ، لما فى تكاثر المياه والأشجار وأنواع النبات من أثر فى مناخ البلاد ، وازدياد الأمطار إلى غير ذلك مما هو معروف مشاهد .

وهذا الحديث لم يظهر أثر لتحققه قبل هذه الأيام ، وهو معجزة قطعية لا يعتورها الشك ولا الريبة ، ولا يستطيع الملحدون ولا المبشرون أن يدعوا أن هذا الحديث اخترعه العلماء والمحدثون فى هذا العصر ، وهو فى كتب قديمة ، أصولها المخطوطة حاضرة

ثابتة التاريخ . بل إن مسند أحمد مطبوع سنة ١٣١٣ أى منذ ٤٥ سنة ؛ قبل أن نرى أمارة من أمارات تحقق هذه المعجزة النبوية ؛ وهو قبل ذلك مخطوط مقروء ؛ موجود بين أيدى علماء الحديث من عصر الإمام رضى الله عنه ؛ منذ أكثر من ألف سنة . وهذا مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية ؛ وتاريخ كتابة النسخة ٢٩ ربيع الآخر سنة ٨٠٧ أى منذ أكثر من ٥٥٠ سنة .

وها أنا ذا أسجل هذه البشرى وبدء تحقق المعجزة قبل وقوعها فعلا فى مجلة « الفتح » فى شهر شوال من سنة ١٣٥٨ حتى يوقن من يعيش منا من قرائها أو من يأتى بعدنا من أبنائنا من صحة هذه المعجزة النبوية ؛ بالإثبات التاريخى الذى لا يستطيع أعداء الإسلام أن يجادلوا فيه .

وإنما أطلت فى بيان هذا – وهو بديهى كضوء النهار – لما أرى من تلاعب المستشرقين – ومن ورائهم المبشرون – بإثارتهم الشكوك والريب حول تاريخ الإسلام وحول الأحاديث الصحيحة التى ثبتت بأدق طرق وصل إليها البشر فى التوثق من صحة النقل وأداء الأمانة .

ثم يقلدهم أبناء المسلمين ممن اختلس أعداؤنا عقولهم وعواطفهم وأهواءهم فركبوا رءوسهم يشكون فى كل شىء يأتى به الإسلام ويخدعون عن دينهم وعن مقومات مجدهم وعزهم ، حتى ان منهم من لا يستحى أن ينكر كل معجزات محمد صلى الله عليه وسلم — عدا القرآن — ويصرح بأنه لم يؤت معجزة مادية قط مما يعرفه المسلمون وغيرهم بالتواتر الذى لا يسمو إليه الريب . ثم هم يقرون للأنبياء السابقين — موسى وعيسى وغيرهما صلوات الله عليهم — بالمعجزات التى رويت لهم تحببا إلى أساتذتهم من اليهود والنصارى وتملقا ! !

وإن فى تحقق هذه البشرى النبوية لتصديقا لعلماء السنة فيما بذلوا من جهد ونصيحة إذ نقدوا ما ورد إليهم من الروايات على محك القواعد الدقيقة التى اختاروها لمعرفة صحيحها من زيفها حتى نفوا عن السنة النبوية كل ما حاول المبطلون أن يلصقوه بها فلم يتركوا بعدهم فى ذلك مقالا لقائل ولا مجالا لصاحب هوى يريد أن ينصر هواه بإنكار الصحيح وتصحيح الباطل .

وقد عقب أخى العلامة السيد محب الدين الخطيب على مقالى فى العدد نفسه ، بتعليق تاريخى نفيس . ثم زاد هذا البحث التاريخى إيضاحا وتثبيتا ـ بعد خمس سنوات تقريبا ـ بمقال نفيس نشره فى العدد الصادر من مجلة (الفتح) الغراء فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣

وأنا أرى وجوب إعادة نشر المقالين الآن فى مجلة (الأزهر) . وأرجو من الأخ السيد المحب أن يحقق لنا هذه الأمنية .

* * *

والذى أريد أن أزيده بعد مقالى السابق : أن البشرى النبوية المعجزة ، بعودة (أرض جزيرة العرب مروجا وأنهارا) ـ رواها أيضا مسلم فى صحيحه ، ضمن حديث آخر لأبى هريرة (صحيح مسلم ج ١ ص ٢٧٧ من طبعة بولاق سنة ١٢٩٠ هجرية) ، أى قبل طبع مسند الإمام أحمد الطبعة الأولى بثلاث وعشرين سنة . وصحيح مسلم هو أحد الكتب الستة الثابتة ثبوت التواتر عن مؤلفيها ، وهو أحد (الصحيحين) اللذين نرى ـ كما يرى كثير من أئمة الحديث وحفاظه ـ أن أحاديثهما قطعية الثبوت ، عن أدلة ليس هذا موضع تفصيلها .

فروى مسلم فى صحيحه ، عن قتيبة بن سعيد ، عن يعقوب بن عبد الرحمن القارى ، عن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا » .

وهذا الحديث رواه أيضا الإمام أحمد فى مسنده (رقم : ٩٣٨٤ بتحقيقنا ، ج ٢ ص ٤١٧ من طبعة الحلبى سنة ١٣١٣ هجرية) ـ رواه عن قتيبة بن سعيد ، بالإسناد الذى رواه به مسلم . وهو إسناد كالشمس ، لا يشك فى صحته أحد يفقه الأسانيد الصحاح وثبوتها .

وقد أتاح الله لى من فضله أن زرت (الرياض) عاصمة المملكة العربية السعودية ، فى شهر شعبان من هذا العام (سنة ١٣٧٥) فى رحلة إلى الحجاز ونجد ، باذن ملكى كريم ، من حضرة صاحب الجلالة سيد العرب وإمام المسلمين ، الملك الإمام (سعود ابن عبد العزيز) أطال الله بقاءه موفقا منصورا .

وقـد تفضل حفظه الله فأمر بدعوتى للعشاء على المائدة الملكية فى حضرة جلالته ورعايته ـ مساء يوم الأربعاء ١٥ شعبان سنة ١٣٧٥ ـ فكان مما تيمنت به واستبشرت فى ذلك اليوم التاريخى العظيم : أن علمت ونحن جلوس ننتظر الإذن بالتشرف بالمقابلة الملكية خبرا عظيما جليلا عن وفرة المياه الجوفية فى أرض الجزيرة وفورتها [١] مما كان بشيرا بالخير العميم ، وسعودا لهذه الأمة العربية العظيمة ، موافقا لاسم مليكها وإمامها العظيم ، ومبشرا لها أن ستكون أيامه كلها سعدا ورفعة وخيرا كثيرا ، إن شاء الله .

ثم صدر بلاغ رسمى بهذه البشرى السعيدة ، أذاعته المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر . ونشر فى جريدة (البلاد السعودية) فى عـددها الصادر يوم الجمعـة ١٧ شعبان سنة ١٣٧٥ (٣٠ مارس سنة ١٩٥٦) . وهذا نص البلاغ الرسمى :

(حدث هام فى تاريخ البلاد السعودية)

ثروة جـديدة يقدمها جـلالة الملك لشعبه الكريم

أذاعت المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر ما يأتى :

ما فتئ حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم منذ أن ولى أمر هذه الأمة . . وهو يفكر آناء الليل وأطراف النهار فى أن يضمن لهـا مستقبلها ، ويرفه عنها فى معيشتها .

وكان أهم مايقلق بال جلالته ما ذكره الجيولوجيون من احتمال نضوب الماء فى الرياض فأصـدر أمره الكريم وجرى عقـد اتفاق مع شركة هيدروليك افونك لحفر آبار تجريبية للبحث عن المياه الجوفية فى الرياض .

وقد بدئ بالحفر فى البئر الأولى منذ بضعة شهور . وعندما بلغ الحفر (١١٥٠) مـترا كانت النتيجة التى نزفها للأمة العربية السعودية هى العثور على حقل مائى كبير يعد الأول من نوعه فى جزيرة العرب وهو حقل يمتد طولا من الجنوب إلى الشمال نحو ٨٠٠ كيلو متر ويبلغ عرضه نحو ١٠٠ كيلو متر وعمق المـاء فيه نحو ٤٠٠ متر . وقـد ارتفع المـاء حتى لم يبق بينه وبين سطح الأرض سوى ثلاثين مـترا .

---

(١) المجلة ـ وقد نشرنا هذا النبأ العظيم فى الجزء الماضى ص ١٠٤٧ فى باب أنباء العالم الإسلامى

وكمية الماء التى يمكن أخذها يوميا من البئر مليون جالون على أقل تقدير والماء عذب وممتاز .

ولا شك أن هذه النتيجة العظيمة التى تفضل الله تعالى بها على هذه البلاد وأجراها على يد حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم تعادل فى الأهمية منشئات الزيت فى هذه البلاد إن لم تكن أهم .

وستكون من أعظم الأسباب لتأمين حاجات البلاد الزراعية ، والاكتفاء الذاتى . وسيجرى حفر آبار تجريبية أخرى فى مختلف المناطق إن شاء الله تعالى . نسأله تعالى أن يحفظ للبلاد مليكها الساهر على راحتها ، ويديم توفيقه) .

وهذا التبليغ الرسمى الدقيق يدل على أن قلب الجزيرة العربية ، والقسم الأعظم من ساحاتها الشاسعة ، كأنه فلك عظيم ، فوق بحر خضم من الماء العذب الذى منه حياة كل شيء (١) . وهو أمارة جديدة على قرب تحقق البشرى النبوية المعجزة : أن تعود جزيرة العرب مروجا وأنهارا .

وكان هذا بتقدير العزيز الحكيم ، الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، يحيي الأرض بعد موتها ، وهو على كل شيء قدير .

وكان هذا فى عهد الملك الإمام ، ميمون النقيبة ، سعود بن عبد العزيز ، الذى سار على النهج القويم الذى وضع أساسه والده الإمام وسلفه العظيم رحمه الله ورضى عنه وأسكنه فسيح جناته .

أطال الله بقاء الملك الهمام ، الإمام (سعود) ، ووفقه للقيام بما اضطلع بعبئه من احياء مجد الإسلام ، والمحافظة على استقلال الأمة العربية الكريمة ، ووضعها مكانها اللائق بها فى هذه الحياة ، قائدة للأمم إلى الصلاح والسلام . . .

أحمد محمد شاكر

---

(١) المجلة — ويرى بعض الجيولوجيين الألمان وغيرهم أن جزيرة العرب يخترقها واديان كانا فى عصور ماقبل التاريخ نهرين عظيمين ثم غاضا بعد ذلك تحت الأرض .

بحـــوث
فى مصادر الشريعة النظرية

— ٢ —

حجية القياس والتعبد به :

القياس لا يكون مصدرا تشريعيا إلا إذا قام الدليل من قبل الشارع على اعتباره وقبول العمل به ، ومثل القياس فى هـذا سائر الأدلة الشرعية ، ولهذا نجد علمـاء الأصول عنـد كلامهم على هذه الأدلة يتعرضون لبيان حجية كل دليل منها ، و يقيمون الأدلة والبراهين على إثباتها ، سواء فى ذلك الأدلة التى اتفق العلماء على حجيتها كالكتاب والسنة ، والأدلة التى اختلفوا فى حجيتها كالإجماع والقياس ونحوهما .

وللأصوليين فى تعبيرهم عن مقصودهم فى هذا المقام عبارتان مشهورتان : إحداهما حجية القياس ، والثانية التعبد به ، وهما عبارتان تختلفان فى اللفظ والمفهوم وتتحدان فى الغاية والمقصود ، وذلك لأن معنى حجـية القياس أن القياس حجـة شرعية وأصل من أصول الشريعة يستدل به على أحكام الوقائع التى لم يرد فيها نص ولا إجماع . ومعنى التعبد بالقياس إيجاب الشارع تحصيل القياس ، والعمل به فى الوقائع التى لم يرد فيها نص ولا إجماع ، وهما معنيان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن ثبوت حجية القياس يستلزم ثبوت التعبد به ، و إلا لما كان هناك معنى لحجيته ، وجعله دليلا شرعيا . وثبوت التعبد بالقياس يستلزم ثبوت حجيته ، و إلا لما وجب تحصيـله ، ولما صح العمل به ، فانه لا يصح العمل فى دين الله تعالى بغير حجة شرعية [١] .

---

(١) راجع المستصفى للغزالى ح ٢ ص ٢٣٤ ومابعدها ، والإحكام للآمدى ح ٣ ص ٢٤ وما بعدها ، ومختصر المنتهى لابن الحاجب ح ٢ ص ٢٤٨ ومابعدها ، والتقرير والتحبير ح٣ ص ٢٤١ وما بعدها ، وجمع الجوامع وشرح الجـلال المحلى وحاشية العطار ح ٢ ص ٢٢٠ وما بعدها .

وقد اختلفت كلمة العلماء فى حجية القياس والتعبد به، وكثرت آراؤهم فيه وتشعبت (١) ونحن لانعرض هنا لهذه الآراء جميعها ونكتفى منها برأيين رئيسيين وهما :

رأى الجمهور ومنهم الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة ، وهو : أن القياس حجة شرعية ومصدر تشريعى لأحكام الوقائع التى لا نص فيها ولا إجماع.
ورأى النظام (٢) وبعض الشيعة والظاهرية ، وهو : أن القياس ليس حجة شرعية ، ولا يجوز العمل به .

ولكل من الفريقين أدلة على ما ذهب إليه ، ويجدر بنا قبل إيراد هذه الأدلة أن نبين هذه الحقيقة ، وهى أن المنكرين لحجية القياس - إذا استثنينا ابن حزم الظاهرى - لم يقولوا باهدار كل ما يسمى قياسا ، بل هم يعترفون بحجية القياس الجلى ، وهو ما يكون المقيس فيه أولى بالحكم من المقيس عليه ، ومن أمثلته تحريم ضرب الوالدين بالقياس على تحريم التأفيف الثابت بقوله تعالى : « فلا تقل لهما أف » [٣] كما يعترفون بالقياس المساوى وهو الذى يقطع فيه بنفى الفارق بين المقيس والمقيس عليه ، ومن أمثلته تحريم إتلاف مال اليتيم باللبس أو الإحراق بالقياس على تحريم أكله الثابت بقوله تعالى : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، إنما يأكلون فى بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا » [٤] ، وهذان النوعان يسميهما بعض الأصوليين مفهوم الموافقة أو دلالة النص كما أن منهم من أجاز

---

(١) انظر المستصفى للغزالى جـ ٢ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ ، ونهاية السول مع سلم الوصول جـ ٤ ص ٦ وما بعدها و إرشاد الفحول ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) النظام هو إبراهيم بن سيار البصرى المتوفى سنة ٢٣١ هـ وكان من علماء المعتزلة ، ورئيسا لطائفة من طوائفهم سميت باسمه وهو أول من أنكر الإجماع والقياس وأطال لسانه فى الصحابة ليتم له ما أراد من نفى حجية إجماع الصحابة ورد تمسكهم بالقياس فى النوازل وهو كثير الطعن فى أهل الحديث أيضا وكان يعاقر الخمر ويجاهر بالفسوق وهو الذى اتخذه الخوارج والروافض والظاهرية قدوة فى إنكار الإجماع والقياس انظر بقية الكلام عليه فى كتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) آية : ٢٣ من سورة الإسراء .

(٤) آية : ١٠ من سورة النساء .

القياس الذى وقع النص على علته خاصة ، وأنكر ما كانت علته مستنبطة ، وذلك كقياس حشرات البيوت كالفأرة ونحوها على الهرة فى الحكم بطهارتها ، لاشتراكها مع الهرة فى العلة التى نص الشارع عليها ، وهى الطواف ومخالطة الناس مخالطة يصعب عليهم التحرز منها ، كما جاء فى الحديث : « الهرة ليست بنجسة ، إنها من الطوافين عليكم والطوافات »

أما ابن حزم الظاهرى فانه وقف موقف الجمود ، وأنكر أن تكون أحكام الشريعة معللة ، وبنى على هذا الرأى الجامد إنكار القياس جملة ، ولم يفرق بين قياس جلى وقياس خفى ، ولا بين ما كانت علته منصوصة وما كانت علته مستنبطة ، وصرح فى كتابه « الإحكام فى أصول الأحكام » بأن شيخه داود بن على لم يقل بحجية القياس الجلى ، وهذا يخالف ما نسبه إليه بعض الأصوليين [١] ، وإليك ماقاله فى هذا الموضوع مع شىء من التصرف : « ذهب أهل الظاهر إلى إبطال القياس جملة ، وهو قولنا الذى ندين الله به ، وذهب بعض منكرى القياس إلى القول به فى منصوص العلة ، وهذا لا يقول به داود ولا أحد من أصحابه ، وإنما هو قول من لا يعتد به من جملتنا ، وإن الله تعالى لم يشرع شيئا من الأحكام لعلة أصلا ، فاذا نص الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم على أن أمر كذا لسبب كذا أو من أجل كذا أو لأنه كان كذا ، فمعنى أنه جعل ذلك سببا للشىء فى ذلك الموضع خاصة ولا توجب تلك الأسباب شيئا من تلك الأحكام فى غير تلك المواضع البتة » ثم راح يغلظ القول على القائلين بالقياس ويحمل عليهم حملة جافية ويرميهم بالتناقض والاختلاف وقلة الفهم والإنصاف [٢] .

ومن ينظر إلى الشريعة بامعان وتدبر يدرك أن ابن حزم قد خرج بهذه النزعة عن طريقة السلف ، وخالف بانكاره القياس الجلى بداهة العقول ، إذ لا يتصور أن عاقلا

---

(١) انظر حاشية العطار على شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع ج ٢ ص ٢٢١ فقد جاء فيها نقلا عن ابن السبكى فى كتابه « الأشباه والنظائر » أنه عثر على مختصر لطيف لداود فى أدلة الشرع لم يذكر فيه القياس لكنه ذكر شيئا من الأقيسة الجلية سماها الاستنباط ولهذا نسب إليه فى جمع الجوامع عدم إنكاره القياس الجلى فقال : « ومنع داود غير الجلى من القياس » .

(٢) الإحكام فى أصول الأحكام ج ٧ ص ٥٥ وما بعدها .

يقول : إن قول الله تعالى « فلا تقل لهما أف » لا يستفاد منه تحريم غير التأفيف كالضرب والحبس وغيرهما من أنواع الإيذاء لا بطريق القياس ولا غيره من الطرق ، ولولا أننا وجدنا ابن حزم يصرح بذلك فى كتابه « النكت » الذى ألفه فى إبطال القياس والرأى والتعليل والاستحسان والتقليد لما كان العقل يصدق بنسبته إليه ، وإليك ما قاله فى ذلك كما جاء فى نبراس العقول [١] « إن تحريم غير التأفيف من أنواع الإيذاء ليس مستفادا من القياس على التأفيف المحرم بقوله تعالى : « فلا تقل لهما أف » بل هو مستفاد من قوله تعالى : « وبالوالدين إحسانا » وقوله « وقل رب ارحمهما » وقوله تعالى « وقل لهما قولا كريما » ودون الذرة ليس مستفادا من القياس على الذرة المنصوص عليها فى قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » [٢] ، وإنما هو مستفاد من قوله تعالى : «انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى» [٣] وقوله : « لتجزى كل نفس بما تسعى » [٤] إلى غير ذلك من أمثال هذين ، وهو صريح فى إنكاره القياس الجلى .

ومن هذا يتبين أن المخالفين فى حجية القياس ما عدا ابن حزم لا ينازعون إلا فى نوع واحد منه ، وهو القياس الذى تكون العلة فيه ثابتة بطريق الاستنباط والاجتهاد ، أما القياس الجلى أو المساوى أو الذى تكون العلة فيه ثابتة بالنص فانهم يقولون بحجيته وجواز العمل به . وعلى هذا جرى الشوكانى فى كتابه « إرشاد الفحول » إذ يقول فيه ـ بعد أن أورد أدلة المثبتين للقياس ورد عليها ـ : «إن القياس المأخوذ به هو ما وقع النص على علته ، وما قطع فيه بنفى الفارق ، وما كان من باب فحوى الخطاب ولحن الخطاب على اصطلاح من يسمى ذلك قياسا » (٥) .

وبعد هذا البيان الذى لا بد منه لمعرفة القياس الذى جرى الخلاف بين العلماء فى حجيته نورد ما استدل به كل من الفريقين على مذهبه فيما يلى :

---

(١) ص ٥١ .
(٢) آيتى : ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة .
(٣) آية : ١٩٥ من سورة آل عمران .
(٤) آية : ١٥ من سورة طه .
(٥) إرشاد الفحول ص ١٧٨

أدلة القائلين بحجية القياس : أما القائلون بحجية القياس فقد استدلوا بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول ، أما الكتاب فاستدلوا منه بآيات كثيرة ذكرها علماء الأصول فى كتبهم المختلفة (١) نقتصر هنا على أهمها ، وهى :

أولا : قول الله تعالى : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار » (٢) فإن الله تعالى بعد أن بين ما حل ببنى النضير من اليهود جزاء كفرهم وكيدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أعقب هذا بقوله جل ثناؤه : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » ومعناه تأملوا يا أصحاب العقول السليمة فيما نزل بهؤلاء القوم من العقاب ، وفى السبب الذى استحقوا به هذا العقاب ، حتى لا تفعلوا مثل فعلهم ، فتعاقبوا بمثل عقوبتهم لأنكم أناس مثلهم ، وما جرى على المثيل يجرى على مثيله ، وفى هذا دليل على أن المسببات تابعة لأسبابها ، توجد أينما وجدت ، والقياس الشرعى لا يخرج عن ذلك ، فهو ترتيب للمسبب على سببه أينما وجد ذلك السبب ، والحكم على النظير بما حكم به على نظيره (٣) .

وثانيا : قول الله جل شأنه : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم » (٤) فإن الله تعالى أثبت إعادة المخلوقات بعد فنائها بقياسها على بدء خلقها ، فكما أنه سبحانه أوجدها بعد أن لم تكن فهو قادر على إعادتها بعد أن كانت موجودة ، وهذا وإن كان قياسا فى الأمور الحسية ، وليس قياسا فى الأمور الشرعية ، إلا أنه يدل على حجية القياس فى الشرعيات ، وذلك لأن الله تعالى لما استدل على المنكرين للبعث بهذا القياس اقتضى ذلك أن إعطاء النظير حكم نظيره مما لا ينبغى أن يتردد فيه عاقل ، وأن منكره يعد معاندا لما اقتضته بداهة العقول ، ومن ضمن ذلك القياس الشرعى المتنازع فيه .

---

(١) راجع أصول السرخسى حـ٢ ص ١٢٥ وما بعدها والإحكام للآمدى حـ٣ ص٧٦ وما بعدها وإرشاد الفحول ص ١٧٥ — ١٧٧

(٢) الآية الثانية من سورة الحشر (٣) انظر مسلم الثبوت حـ ٢ ص ٣١٢

(٤) آية : ٧٨ من سورة يس

وثالثا : الآيات الكثيرة التي يقرن الله فيها الحكم بعلته كقوله سبحانه فى المحيض : « قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن » [١] وقوله جل شأنه فى الخمر : « فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة » وقوله جل ثناؤه فى إباحة التزوج بزوجة الابن المتبنى : « لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم » [٢] ووجه الاستدلال منها أن تعليل الشارع الحكيم لهذه الأحكام إرشاد للخلق إلى أن الأحكام الشرعية مبنية على حكم ومصالح ومرتبطة بالأسباب والعلل، وإشارة منه جل شأنه إلى أن الحكم يوجد حيث توجد علته وما بنى عليه ، وهذا هو القياس المتنازع فيه .

وأما السنة فانهم استدلوا منها بأحاديث كثيرة نكتفى هنا بايراد أهمها وهى :

أولا : حديث معاذ بن جبل وهو ماروه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا قاضيا إلى اليمن قال له : كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله ، قال : فان لم تجد فى كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان لم تجد فى سنة رسول الله ولا فى كتاب الله، قال: أجتهد رأيي ولا آلو « أى لا أقصر فى الاجتهاد » فضرب رسول الله صدره وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » [٣] .

وهو حديث صحيح مدون فى الصحاح كما قال إمام الحرمين وجماعة من الفقهاء ، وقد تلقته الأمة بالقبول ولم يظهر فيه أحد طعنا وإنكارا ، كما قال الغزالى فى المستصفى [٤] ويفيد الطمأنينة وبمثله يصح إثبات الأصول ، كما فى مسلم الثبوت وشرحه (٥) .

ووجه الاستدلال من هذا الحديث : أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر معاذا على الاجتهاد بالرأى إذا لم يجد نصا يقضى به فى الكتاب أو السنة ، والقياس نوع من الاجتهاد بالرأى ، فيكون حجة فى استنباط الأحكام الشرعية .

---

(١) آية : ٢٢٢ من سورة البقرة .

(٢) آية : ٣٧ من سورة الأحزاب .

(٣) صحيح الترمذى حـ ٦ ص ٦٨ - ٦٩ طبع المطبعة المصرية ، وسنن أبى داود حـ ٢ ص ١١٦ طبع المطبعة التازية .

(٤) حـ ٢ ص ٢٥٤ . (٥) حـ ٢ ص ٣١٣ .

ويمكن أن يستدل به من وجه آخر ، وهو أن إجابة معاذ بما أجاب به ، وعلمه بأن الاجتهاد بالرأى أصل من الأصول التى يرجع إليها كالكتاب والسنة ، دليل على أن ذلك أمر مقرر ومعروف لدى كبار الصحابة وخواصهم الذين يصلحون لمنصب القضاء ، وهذا أبلغ فى الدلالة على حجية القياس (١) .

وثانيا : ما ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أثبت الحكم فى كثير من المسائل بطريق القياس : منها مارواه أحمد والنسائى : « أن رجلا من خثعم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبى أدركه الإسلام وهو شيخ كبير لا يستطيع ركوب الرحل ، والحج مكتوب عليه أفأحج عنه ؟ قال : أنت أكبر ولده ؟ قال : نعم ، قال : أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه أكان يجزئ ذلك عنه ؟ قال : نعم ، قال : فاحجج عنه » (٢) .

فهذا من الرسول صلى الله عليه وسلم بيان للحكم بطريق القياس ، وهو قياس دين الله تعالى وهو الحج على دين الخلق فى وجوب القضاء ونفعه عن الغير .

ومنها ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن عمر قال : هششت يوما فقبلت وأنا صائم فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : صنعت اليوم أمرا عظيما ، قبلت وأنا صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت لو تمضمضت بماء ، وأنت صائم ؟ فقلت : لا بأس بذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : ففيم [٣] ؟ » أى ففى أى أمر هذا الأسف .

ووجه الدلالة من هذا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم بين الحكم بقياس القبلة على المضمضة فى عدم إفساد الصيام لاشتراكهما فى أن كلا منهما مقدمة ووسيله إلى المقصود ، ولم يترتب عليها المقصود ، فان القبلة لم يترتب عليها المخالطة ، والمضمضة لم يترتب عليها الشرب ، وكما أن المضمضة لا تفسد الصيام فكذلك القبلة .

ومنها ما روى أن رجلا من فزارة أنكر ولده لما جاءت امرأته به أسود فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال : ما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورق [٤] ، قال : نعم ، قال : فمن أين ؟ قال : لعله نزعه عرق ، قال :

---

(١) نبراس العقول ص ٨١ .
(٢) منتقى الأخبار مع شرح نيل الأوطار حـ ٤ ص ٢٤٢ .
(٣) المصدر السابق حـ ٤ ص ١٧٨ .
(٤) الأورق : الذى فيه سواد ليس بحالك بل يميل إلى الغبرة ومنه قيل للحمامة ورقاء .

وهذا لعله نزعه عرق (١) . روى هذا الحديث البخارى ومسلم ، وقال المزنى : فأبان له بما يعرف أن الحمر من الإبل تنتج الأورق فكذلك المرأة البيضاء تلد الأسود ، فقاس أحد نوعى الحيوان على الآخر وهو قياس فى الطبيعيات ، لأن الأصل ليس فيه نسب حتى نقول : إنه قياس فى إثبات النسب ، فيستأنس به على المطلوب ، وهو حجية القياس فى الشرعيات .

ومنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرن كثيرا من الأحكام بعللها وبالأسباب الداعية إلى تشريعها ، وفى ذلك إرشاد إلى أن الأحكام الشرعية توجد حيث توجد عللها وأسبابها ، وذلك هو القياس ، والأمثلة على ذلك كثيرة :

منها قوله عليه الصلاة والسلام : « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى لأجل الدافة [٢] فكلوا وادخروا » رواه مسلم [٣] . ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ـ لما سئل عن بيع الرطب بالتمر ـ : « أينقص الرطب إذا جف ؟ قالوا : نعم ، فقال : فلا إذا » رواه مالك (٤) .

وأما الإجماع فما ثبت بالتواتر المعنوى عن جمع كثير من أكابر الصحابة أنهم احتجوا بالقياس وعملوا به وتكرر ذلك منهم فى كثير من الوقائع المشهورة ، ولم يظهر الإنكار من أحد منهم على ذلك فكان إجماعا منهم على العمل بالقياس ، والأمثلة على ذلك كثيرة مختلفة نكتفى منها بما يأتى :

١ ـ أن الصحابة أجمعوا على تولية أبى بكر الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قياسا على إمامته فى الصلاة حتى قال بعضهم : « لقد رضيه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا » (٥) .

---

(١) منتقى الأخبار مع شرحه نيل الأوطار جـ ٦ ص ٢٣٦ .

(٢) الدافة « بتشديد الفاء » الجماعة من الناس تدف أى تقبل من بلد إلى آخر ، والمراد بهم فى الحديث جماعة من الأعراب وفدوا على المدينة فى أيام عيد الأضحى ، وكانوا فى حاجة إلى المعونة ، فنهى الرسول عن ادخار لحوم الأضاحى ليفرقوها ويتصدقوا بها فينتفع أولئك القادمون بها .

(٣) منتقى الأخبار جـ ٥ ص ١٠٧ بشرح نيل الأوطار .

(٤) موطأ الإمام مالك بشرح المنتقى جـ ٤ ص ٢٤٢ .

(٥) راجع المستصفى للغزالى جـ ٢ ص ٢٤٢ .

٢ — أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه سئل عن الكلالة فقال : أقول فيها برأيى فان يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان : الكلالة ما عدا الوالد والولد » يعنى أن الكلالة الميت الذى لا يكون فى ورثته والد ولا ولد ، والمراد بالرأى فى كلامه القياس .

وبيان ذلك : أن الله تعالى ذكر الكلالة فى آيتين من سورة النساء : إحداهما قوله تعالى : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس [١] » والثانية قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك » (٢) فعلم من مجموع الآيتين أن الكلالة هى امرؤ هلك ، وليس له ولد ، ولم يذكر فى الآيتين شىء عن الوالد ، فاختلف الصحابة فى حكمه ، وتبع ذلك اختلافهم فى تفسير الكلالة ، فرأى أبو بكر أن الوالد مساو للولد فى كونه عاصبا للميت قوى القرابة منه ، فقاس الوالد على الولد المنصوص عليه فى الآية الثانية فى أن عدم وجوده شرط لاستحقاق الإخوة الميراث المذكور ، وأن وجوده مانع لهم منه ، وبنى عليه تفسيرها بقوله : الكلالة ما عدا الوالد والولد » .

٣ — ما روى عن عمر بن الخطاب أنه كتب فى رسالته المشهورة إلى أبى موسى الأشعرى حينما ولاه قضاء البصرة : « الفهم الفهم فيما يختلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب ولا سنة ، اعرف الأشباه والنظائر ، وقس الأمور برأيك ، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى [٣] » .

٤ — أن عمر رضى الله عنه قيل له : إن سمرة أخذ الخمر من تجار اليهود فى العشور وخللها وباعها ، فقال : قاتل الله سمرة ! أما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها ، وأكلوا أثمانها » فقد قاس عمر رضى الله عنه الخمر على الشحم فى أن تحريمها تحريم لبيعها وأكل ثمنها كما فى الشحم ، فان الشارع لما حرم على اليهود أكله كان هذا التحريم تحريما لبيعه وأكل ثمنه [٤] .

---

(١) آية : ١٢ (٢) آية : ١٧٦

(٣) أعلام الموقعين جـ ١ ص ٩٩ .

(٤) المستصفى للغزالى جـ ٢ ص ٢٤٤ .

٥ — ماروى أن يعلى بن أمية كتب إلى عمر بن الخطاب يسأله عن الرجل الذى قتلته امرأة أبيه وخليلها، فتوقف عمر فى ذلك ، فقال له على رضى الله تعالى عنه : أرأيت لو أن نفرا اشتركوا فى سرقة جزور فأخذ هذا عضوا وهذا عضوا أكنت قاطعهم ؟ ، قال : نعم ، قال: فكذلك ، فكتب عمر إلى يعلى أن اقتلهما فلو اشترك فيه أهل صنعاء كلهم لقتلتهم [١] .

ووجه الدلالة من ذلك أن عليا قاس القتل على السرقة وأقره عمر وسائر الصحابة على ذلك فيكون إجماعا منهم على حجية القياس وأنه دليل موصل إلى معرفة حكم الله فيما لم يرد فيه نص

وأما المعقول فاستدلوا منه بأن الله تعالى جعل الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع، فلا تأتى شريعة بعدها إلى يوم القيامة، وإذا فلا بد أن تكون مصادرها وافية بأحكام ما وجد وما سيوجد من الحوادث والقضايا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن المعلوم أن نصوص الكتاب والسنة محدودة متناهية بانتهاء الوحى ، وحوادث الناس وأقضيتهم غير محدودة ولا متناهية . والمتناهى لا يفى بأحكام غير المتناهى إلا إذا فهمت العلل التى لأجلها شرعت الأحكام المنصوصة وطبقت على ما عاثلها مما لم يرد فيه نص ، وهذا هو القياس ، فالقياس هو الطريق الذى يظهر تناول النصوص الشرعية للوقائع التى لم يرد فيها نص ، ويجعلها شاملة لما يستجد من الحوادث والقضايا ، وبذلك تكون الشريعة صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ، وافية بحاجة العباد ومصالحهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فانكار القياس فى الشريعة رمى لها بالجمود وطعن عليها بعدم وفائها بمصالح العباد وحاجاتهم وذلك مناف لحكمة الحكيم .

هذا ما أمكننا جمعه وصياغته من أدلة الجمهور على أن القياس حجة وأن العمل به جائز فى الشريعة الإسلامية م

يتبع

زكى الدين شعبان

المدرس بكلية حقوق عين شمس

---

(١) أعلام الموقعين حـ ١ ص ٢٥٧ .

نحو مطلع شمس النبوة :

لبيك اللهم لبيك !.

فى مثل هذه الأيام من كل عام تهفو قلوب المؤمنين إلى بيت الله الحرام ، وتهوى أفئدتهم إلى زمزم والمقام ، ويرنون بأبصارهم وبصائرهم نحو مشرق نور التوحيد ومطلع شمس النبوة فى مكة المكرمة . ويمضى السعداء المحظوظون فى سباق طيب وتنافس محبب ، إلى أخذ الأهبة وإعداد العدة لتلك الرحلة الروحية التى لا يكمل إيمان القادرين إلا بها !

ومن حق هذا البلد الحرام أن يطول إليه الشوق، وأن يتصل به الوجد، وأن نبتغى إليه الوسيلة ، لنقضى لأرواحنا بعض الحظوة بالحياة بين الرحاب الرحيمة التى استقبلت محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتيما فآواه مولاه، وأميا فعلمه واجتباه وأرسله رحمة للعالمين . وصدق الله العظيم « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى . . » « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا و إنك لتهدى إلى صراط مستقيم . . . . » !

ومن حق هذا البلد الآمن أن يطوى المؤمنون جوانحهم على محبته و إعزازه ، بقدر إعزازهم لأنفسهم التى جعلها الله ـ بالإسلام الذى ذاع منها ، وبالنبى الذى استعلن بأمر الله فيها ـ خير أمة أخرجت للناس .

. . . بهذه المشاعر الهائمة يحيا المؤمنون فى هذه الأيام . وكذلك كانوا منذ اللحظة الأولى التى أعلن فيها القرآن الكريم دعاء جد العرب إبراهيم : « رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ، ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ومنذ بلغهم نداء الله لخليله « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . . . » « وليطوفوا بالبيت العتيق » ! .

ومن ذا الذى يسمع هذا الرجاء وذلك النداء ثم لا يهزه الحنين إلى أطهر البقاع ، ولا يغالبه الشوق إلى أشرف المنازل ؟ ومن ذا الذى تواتيه الحظوظ وتسعفه فرص الحج

ثم لا يبادر بأداء هذه الشعيرة التي أوجبها الحق سبحانه بقوله : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » ولا يسارع إلى رؤية هذه المشاهد التي تروى تاريخ الإسلام في أطواره جميعا ، سريا وجهريا ، مكيا ومدنيا ، وتملأ سمع الأيام والليالى بما واجه رسول الله في إخراجه الناس من الظلمات إلى النور ، من رضا وخصام ، وحرب وسلام ، كان صلوات الله عليه في جميعها الأسوة الحسنة ، والرحمة العامة ، والتفسير الصحيح لقول الله تعالى فيه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

ألا ما أحوج المسلمين في شرق الدنيا وغربها - وقد تفرقت بهم السبل وعميت عليهم الأنباء - إلى دراسة فريضة الحج في زمانها ومكانها لتذكرهم بما للآباء في ذممهم من حقوق ما زالوا في الطريق إلى أدائها ! ! وليشهدوا - كما قال الله - منافع لهم ، في رأس قائمتها نعمة التعارف والأخوة التي يفيضها ذلك المؤتمر الإسلامى العام ، ففيه يتواصون بالحق ، ويتعاونون على البر والتقوى ويعرضون مشاكلهم ، ويتدارسون مسائلهم ، ويضعون الخطط الرشيدة الهادية لبناء الأمة الإسلامية الواحدة التي احتفل بها دستور مصر الجديد ودساتير عربية أخرى ، والتي إن قامت بينها فواصل الأرض ، فلها من وشائج الإيمان وعواطف الرحم الماسة ، ما يجعلها في الشدة والرخاء قلبا واحدا ينبض بالأخوة ورأيا مفردا يمضون معه إلى مواطن العزة والقوة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . وإنما تحيا هذه الأمة الواحدة في أضواء الإسلام وتعاليم محمد عليه الصلاة السلام ، ولا غنى للذين ينشدون سلام العالم ورفاهيته عن وساطة الإسلام في ذلك ، فهو دين السلام لا ريب ، فالسلام اسم الله الذى أكمل بالإسلام دينه ، وأتم به على المؤمنين نعمته ، ورضيه لهم شرعة ومنهاجا ، وهو دين السلام في شعاره وتحيته ، والجنة التي وعد الله المؤمنين وراء أسوار الحياة هي دار السلام « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

والحج في حقيقته ومغزاه هجرة إلى الله واعتراف عملى بأنه أكبر من المال والأهل والولد ، وأعز من كرائم الحياة ولذائذها التي ندعها وراء ظهورنا راضين ونحن نستقبل التقشف باسمين في أداء هذه المناسك ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا . . لبيك اللهم لبيك . . لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . بهذه الوحدانية الحقة تجيش الضمائر

وترتفع الحناجر فى تلك الأماكن المقدسة التى ارتفع فيها صوت محمد وصحبه حتى صدقهم الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده. وبهذه العقيده الخالصة يصدر وفد الله عن مكة بعزم صادق على أن لايدنسوا بالإثم هذه الأيدى التى وضعوها فى يد الرحمن وهم يستلمون الحجر الأسود أو يشيرون إليه ، أوهكذا ينبغى أن يكونوا حتى يعطوا من أعمالهم ومشاعرهم صور الحج المبرور بعد أن نزلت عليهم السكينة من فوق عرفات؛ وغشيتهم الرحمات ؛ وباهى بهم الحق ملائكته فقال : « ياملائكتى : هؤلاء عبادى جاءونى من كل فج عميق شعثا غبرا ضاحين أشهدكم يا ملائكتى أنى غفرت لهم » !

فاتغتبط أنفس المحظوظين بمكة ؛ وبأول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ؛ ولتطمئن قلوبهم بالأمن يفرغه الله ملء قلوبهم فى مقام إبراهيم ؛ فلا يذكرون هنالك غير الأخوة والسماحة والعفو ؛ ولا يصدرون إلى ديارهم إلا وقد عقدوا الخناصر وأكدوا الأواصر على التعاون والتناصر فى السراء والضراء حتى يأمن من التداعى بنيانهم وتسلم من غدر الغادرين أوطانهم ؛ وتمضى الأمم العربية والإسلامية صفا واحدا فى كيان عربى حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله .

.. وما أكثر ما يعطى حج بيت الله وزيارة مسجد رسوله من معان وعبر ؛ وما يثمران من نافع الثمر ؛ وجليل الأثر ؛ فعندهما تشحذ على طاعة الله العزائم ؛ ومن ينبوعهما يغسل الله الخطايا والمـآثم ؛ والمعصوم صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وهنالك تستحكم الألفة بين المسلمين بعد أن زالت من بينهم فوارق الغنى والفقر ، وانمحت فواصل اللون والجنس ، وسيطر عليهم إيمان ويقين بأن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

وفى حفظ الله وجميل رعايته يا جيران بيت الله وزوار مسجد رسول الله ؛ فى الظعن والإقامة ؛ والعودة الرابحة ؛ وكونوا على الدوام رعاة الحق ؛ وهداة الخلق ، لتعلو بأيديكم وعزائمكم الراية الإسلامية وتبقى بكم وحدة الأمة العربية .. م

معوض عوض ابراهيم
الواعظ العام

الفضائل الاجتماعية

فى الشعر الجاهلى

دأب جماعة من الحاقدين على العرب ، والمفتونين بالغرب ، على أن يجردوا العرب من فضائلهم وأخلاقهم وعلومهم ، فهم إذا عنت لهم شبهة طاروا بها فرحا ، و إن لم يجدوا شبهة اختلقوها :

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... عنى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

فمنذ عهد غير بعيد كتب كاتب فى إحدى الصحف الكبرى يحتقر عقلية العرب الجاهليين ، ومنذ عهد غير بعيد قرأنا فيما ألف المؤلفون أن العرب اعتمدوا فى أكثر علومهم على غيرهم من الأمم وبخاصة اليونان ، ولا زلنا نسمع ونقرأ ما نعتبره افتراء على العقلية العربية فى الجاهلية و بعد الإسلام ، وما نعده تجنيا على الفضائل التى سادت بين عرب الجاهلية .

على أن هذا التجنى على العرب ليس حديث الميلاد ، فمنذ ظهرت الشعوبية ونحن نقرأ أن العرب ليسوا عند الله من أحد ، ولكن وجد فى تلك الأزمنة من كبار العلماء من رد هؤلاء الشعوبيين على أعقابهم ومن أبان لهم فضل العرب ، وما امتازوا به من متانة أخلاق ، ولطف شمائل ، وفصاحة ولسن ، وزكانة وفطانة ، وكان لابد أن تقابل مغالاة الشعوبيين بمغالاة مثلها ، فذهب بعض المدافعين عن العرب إلى أن الله لم يخلق البلاغة إلا فيهم ، وأن لغتهم أفضل اللغات ، وهى متقدمة على جميع اللغات ، ذلك : (أن أربابها وأصحابها هم العرب الذين لا أمة من الأمم تنازعهم فضائلهم ، ولا تباريهم فى مناقبهم ومحاسنهم) وأن الخطابة فيهم ارتجال وبديهة وعند غيرهم تكلف ومعاناة .

ولسنا مع هؤلاء ولا هؤلاء ، لا نغالى مغالاة المتعصبين على العرب لأن مايفترون عليهم

ينكره الحق والمنطق والتاريخ ، ولا نغالى مغالاة المتعصبين للعرب لأن الدراسات الحديثة كشفت لنا نواحى كثيرة من حياة الأمم وأخلاقها وفلسفاتها وعلومها وحضارتها ، مما جعلنا نؤمن أنه من التورط أن نلق هذه الأحكام دون تريث أو تبصر ، ولئن كان لهؤلاء الذين يرفعون شأن الأمة العربية ، ويفضلونها على سائر الأمم ، لئن كان لهؤلاء عذر من قصور الدراسات فى عهدهم أو من قلة اختلاطهم بالشعوب الأخرى أو مما استفزهم ويستفزهم به الشانئون المبغضون الذين يحاولون أن يجردوا أمة عظيمة كالأمة العربية من كل الفضائل والمعارف،فما عذر هؤلاء الدارسين المعاصرين الذين يأبون إلا أن يكون الفضل لأمم الغرب قديمة وحديثة ؟

وإذا كان القرآن الكريم نعى على عرب الجاهلية بعض عاداتهم وتقاليدهم ، وسفه أحلامهم فى معتقداتهم ، وسلوكهم ـ أحيانا ـ فأى أمة من الأمم القديمة أو الحديثة التى تدعى أنها بلغت الذروة من الحضارة ، أى أمة من هذه الأمم سلمت من العيوب ، بل من العيوب الضخمة الفاضحة ، بل إننا نجد العذر للجاهلى فيما كان يدين به من عاد،وما يختطه لنفسه من خلق ، ولكننا نعجب أشد العجب لهذه الشعوب التى ساد فيها العلم والثقافة ، وأضاءت عليها أنوار المعارف من كل جانب ، ومع ذلك نجدها ـ فى بعض ما تتخذه من تقاليد ـ أشد ضلالا من الجاهليين أنفسهم .

على أنه إذا كان القرآن سفه أحلام الجاهليين فى بعض معتقداتهم فليس معنى ذلك أنه جردهم من الفضائل النفسية ، أو حرمهم نعمة الخلق الجميل ، وكيف وقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده على ما علم من فضائلهم ، فنراه صلى الله عليه وسلم يشيد بحلف الفضول الذى عقد فى دار عبد الله بن جدعان ، ويقول : لو دعيت إليه فى الإسلام لأجبت ، ثم يثنى على حاتم طى بأنه كان يحب مكارم الأخلاق ، ويقول : لو كان اسلاميا لترحمنا عليه ، ويثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على زهير بن ابى سلمى بأنه كان لا يمدح أحدا إلا بما فيه ، وتدعو عائشة وغيرها رضى الله عنهم إلى مذاكرة الشعر الجاهلى وحفظه ، والتملؤ منه لأنه يحث على معالى الأمور .

ونرى عبد الملك بن مروان ومعاوية بن أبى سفيان يثنيان ثناء عطرا على الشاعر الصعلوك عروة بن الورد ، فمرة يفضل على حاتم فى الجود،ومرة يتمنى عبد الملك أن يكون عروة والدا له ، وما كان عروة بدعا فى أولئك الجاهليين ، وكل ما كان عليه أنه كان سمح

النفس عزيزها وكان يجمع الفقراء فى حظيرة ويجرى عليهم الأرزاق ، فلذلك سمى عروة الصعاليك .

ولقد كتب العالم الشاعر ابن سنان الخفاجى فصلا ممتعا فى كتابه (سر الفصاحة) عن العرب وتفضيلهم ؛ ومما جاء فى هذا الفصل : « وأما العقول الصحيحة ، والأذهان الصافية ، فالأمر فى تفضيلهم بها واضح ، وذلك أنهم لم يكونوا أهل تعليم ودرس ، ولا أصحاب كتب وصحف ؛ ولايعرفون كيف التأديب والرياضة ، ولا يعلمون وجه اقتباس العلم والرواية ، وفى كلامهم من الحكم العجيبة ، والأمثال الغريبة ، والحث على محاسن الأخلاق ، والأمر بجميل الأفعال ، ما إذا تأملته غض عندك ما يروى عن حكماء اليونانيين وسهل الأمر عليك فيما حكاه الناس عنهم ، ووجدت تلك الفصول اليسيرة والفقر القليلة ، تسند إلى جليل من الحكماء ، وتضاف إلى رئيس من العلماء ، وأمثالها واضعافها فى شعر راع جلف ، ومن كلام عبد غمر ، ينشئها طبعه بلا تثقيف ، ويسمح بها خاطره عن غير صقال » .

وسبيلنا فى هذه الكلمات القصار أن نضع أمام الأنظار ما كان يسود فى المجتمع الجاهلى من فضائل جماعية من شأنها أن توجد بين الناس التعاطف والتواد والمحبة ؛ وأن نبين أن الجاهليين على الرغم مما كان بينهم من مشاحنات ومنازعات وحروب ، كانت لهم سجايا كريمة تخفف من حرارة هذه الأجواء ، وتلطف من حدة هذه الحياة العنيفة الثائرة .

وسنعتمد فى هذا البحث على الشعر الجاهلى مستخلصين منه أهم المناقب الاجتماعية التى توارثها العرب جيلا بعد جيل ، وأدق آداب السلوك التى تبرز فى حياتهم وفى أشعارهم .

ونحن نعتقد أننا نؤدى بذلك دينا فى أعناقنا ، وننتصر للحقيقة والتاريخ ، ونفضح مكايد هؤلاء الذين يريدون أن يضعوا فى اذهان الناس أن العرب أمة ضائعة تافهة منذ قديم الزمان ، وأنه لم يكن لهم من فضائلهم النفسية والاجتماعية ما يمكن لنا أن نفخر بأننا أبناؤهم ، والوارثون لمجدهم ، وانه لخير لنا — على حد ما يزعمون — أن نتخلص من هذه العروبة ، وننتسب إلى آبائنا الفراعين . وفى اعتقادى أن كل هذه الدعوات ما هى إلا محاولات لفصم عرى الأخوة بين الشقيقات العربيات ، ولإبعادها عن التمسك بهذه العرى التى يعتز بها كل عربى ، يعرف عن يقين ما كان عليه العرب منذ وجدوا على هذه الأرض من عزة ومتانة خلق ما

للحديث بقية

علي العماري

لغويات

زار السيد الوزير ونحن مدرسة الصناعات ، أجل أبي وإياك

قد يرى القارئ هذا الاسلوب . وفيه تقديم الاسم الظاهر على الضمير المنفصل ، والجارى فى معتاد الكلام غير هذا ، فيقال : حضرت أنا ومحمد ، وأجلك وعليا ، ولكن الأمر فى المثالين المصدرين دعا إلى تقديم الاسم الظاهر لما يقضى به الأدب من تقديم الوزير والأب .

وقد جرى بحث فى صحة هذا الأسلوب فى العربية مع بعض الأصدقاء . ووجه الشبهة فيه أنه يمكن الإتيان بالضمير متصلا لمجىء به منفصلا ، وقد جرت العربية أن يؤثر المتصل على المنفصل ما أمكن فى الكلام . وأيضا فعطف المنفصل على الظاهر المرفوع بالفعل أو المنصوب به يقضى بتسليط الفعل على المنفصل ، ففى حضر محمد وأنا كأنه قيل : حضر محمد وحضر أنا ، وفى رأيت محمدا وإياك كأنه قيل : رأيت محمدا ورأيت إياك ، وهذا ينبو عن طبيعة الضمير المنفصل كما هو معروف . على أن الجواب عن هذا الإشكال الثانى سهل ؛ فإن النحويين يقررون أنه يغتفر فى التابع مالا يغتفر فى المتبوع .

ورأيت النحاة عرضوا لهذه المسألة قديما ، فأسوق إليك ما قالوا فيها :

جاء فى الأشباه والنظائر النحوية للسيوطى (١٠٣/٢ من طبعة الهند القديمة) أن الأبذى [١] شارح الجزولية يقول : « لا يجوز عطف الضمير المنفصل على الظاهر بالواو ، ويجوز فيما عدا ذلك » فترى أن الأبذى يحظر هذا الأسلوب ولا يسوغه فى العربية .

وجاء أبو حيان فخالف الأبذى شيخه . واستند أبو حيان إلى مجىء هذا الأسلوب فى الكتاب العزيز . جاء فى قوله تعالى فى أول سورة الممتحنة : « يخرجون الرسول

---

(١) هو على بن محمد من نحاة الأندلس ، ومن شيوخ أبى حيان . والجزولية مختصر فى النحو يعرف بالمقدمة لعيسى بن عبد العزيز أبى موسى الجزولى المراكشى . توفى سنة ٦٠٧

وإياكم » . فتراه قدم الاسم الظاهر « الرسول » وعطف عليه الضمير المنفصل « إياكم » ودعا إلى تقديم الرسول التنويه بشرفه وتقدمه ، وأنه أصل المؤمنين . وجاء قوله تعالى فى الآية (١٣١) من سورة النساء : « ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » فترى كيف قدّم الاسم الظاهر على الضمير المنفصل . وقد دعا إلى هذا التقديم مراعاة ترتيب الزمن والوجود . ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ٣٦٦/٣ : « ومثل هذا العطف ـ أعنى عطف الضمير المنصوب المنفصل على الظاهر ـ فصيح جاء فى القرآن وفى كلام العرب ولا يختص بالشعر . وقد وهم فى ذلك بعض أصحابنا وشيوخنا فزعم أنه لا يجوز إلا فى الشعر ؛ لأنك تقدر على أن تأتى به متصلا ، فتقول : آتيك وزيدا ، ولا يجوز عنده : رأيت زيدا وإياك إلا فى الشعر . وهذا وهم فاحش . بل من موجب انفصال الضمير كونه يكون معطوفا . فيجوز : قام زيد وأنت ، وخرج بكر وأنا ، لا خلاف فى جواز ذلك ، فكذلك ضربت زيدا وإياك » . ويؤخذ من كلامه أن عطف الضمير المرفوع المنفصل على الظاهر أجوز وأسوغ من المنصوب ، حتى ليقول : « فيجوز قام زيد وأنت ، وخرج بكر وأنا بلا خلاف فى جواز ذلك » .

ويخرج القارئ من هذا البحث بصحة الأسلوب الذى كان الحديث عنه .

الرأسمالى ، الرأسمالية

استفاضت النسبة إلى رأس المال بالإبقاء على جزأى التركيب : المضاف والمضاف إليه ، كما ترى .

والمعروف فى مثل هذا أن يقتصر على الجزء الأول ، فيقال : الرأسىّ . وهذا كما قالوا : العبدىّ فى النسب إلى عبد القيس ، من قبائل العرب ، قال الشاعر :

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة   فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

وقالوا فى النسب إلى مدينة تسمى رأس عين من مدن الجزيرة : رأسى كما ذكره ياقوت فى معجم البلدان ، فهذا هو وجه النسب إلى المركب الإضافى .

وقد جاء عن العرب النسب إليه بطريق النحت ، ومن هذا قولهم : العبقسى فى عبد القيس وهو وجه آخر غير ما سلف لك . وقالوا : عبدرىّ فى عبد الدار . وقالوا فى النسب إلى رأس عين : رسعنىّ . ويقول ياقوت : إنه أشهر من الرأسىّ .

وجاء عن المولدين وجه آخر فى النسب إلى المركب الإضافى ، وهو أن يعامل معاملة الكلمة الواحدة وينسب إليه على لفظه كاملا . ومن هذا قولهم: الدار قطنى فى النسب إلى دار القطن ، وهى محلة ببغداد . وقد اشتهر بهذه النسبة الإمام المحدث أبو الحسن على الدار قطنى الذى مات ببغداد سنة ٣٨٥.

ومنه قولهم : الدار قزى فى النسب إلى دار القز ، وهى أيضا من محال بغداد. وقالوا : الكفر طابى فى النسب إلى كفر طاب ، وهى مدينة بين المعرة وحلب ، وفى النسب إلى كفر سوسية من قرى دمشق : الكفر سوسى . وأذكر هنا أن الكفر بفتح الأول وسكون الثانى كما هو معروف . ويظهر أن بعض أهل الشام يفتحون الثانى ، فسجل ياقوت هذه اللهجة ، وقد جاء عليها قول الشاعر فى كفر طاب :

ولا كفر طاب عندى بالحمى عوضا نعم ، سقى الله سكان الحمى ورعى

ويعنينى هنا تخريج « الرأسمالية » « والرأسمالى » على ما فعله السلف فى الدار قطنى وما جاء على مثاله . وهذا وإن صدر من المولدين فقد قبل عند العلماء ولم ينكروه . وعلى هذا فتقرأ الرأسمالية بفتح السين كما يفعل بآخر الجزء الأول من المركب المزجى ، كما فى بعلبك . على أن الأولى الرجوع إلى الوجه فى النسب ، وهو الرأسى والرأسية .

الماضى

كانت هذه الكلمة حية فى حداثتنا فى عهد الكتاتيب وتحفيظ القرآن سقاه الله صوب رحمته . والماضى ماسبق للطالب أن حفظه ، فيسمعه للشيخ . وقد استرعى نظرى أن وجدت هذه الكلمة كما كنا نعلمها ونستعملها قديمة . وهذا فى قصة ذكرها التاج السبكى فى طبقات الشافعية ٣٥/٤ ورد فيها : « أن الطالقانى حكى عن نفسه أنه كان بليد الذهن فى الحفظ ، وأنه كان عند الإمام محمد بن يحيى فى المدرسة ، وكان من عادة ابن يحيى أن يستعرض الفقهاء كل جمعة ، ويأخذ عليهم ما حفظوه ، فمن وجده مقصرا أخرجه . فوجد الطالقانى مقصرا فأخرجه . فخرج فى الليل وهو لايدرى أين يذهب فنام فى أتون حمام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فتفل فى فمه مرتين وأمره بالعودة إلى المدرسة . فعاد ووجد الماضى محفوظا ، واحتد ذهنه جدا » .

محمد على النجار

في النحو :

اعراب العارية

الأصل فى الإعراب الظاهر أن يكون علامة على ما يستحقه اللفظ الذى يلحقه ، ولكن من الإعراب الظاهر نوعا لا يظهر على اللفظ الذى هو علامة له ، وإنما يظهر على غيره لعدم إمكان ظهوره على صاحبه ، ويسمى هذا النوع من الإعراب : إعراب العارية - أى أن اللفظ الذى ظهر عليه هذا الإعراب استعاره من صاحبه الذى يستحقه ، فظهر عليه هو بدل ظهوره على صاحبه . واللفظ الذى يظهر عليه إعراب العارية ، تارة يكون تاليا لصاحب الإعراب الأصلى وهذا هو الغالب ، وتارة يكون سابقا عليه ، وهذا قليل .

وسنتكلم فى هذا المقال عن أنواع من إعراب العارية مع بيان آراء العلماء فيها وشرح ما خفى منها على المعربين ، وبيان وجهة النظر السليمة فى هذا النوع من الإعراب :

الموضع الأول « إلا » الاستثنائية إذا جعلت صفة لما قبلها أى إذا حملت « إلا » على « غير » فصار معناها الوصفية لا الاستثناء ، مثال ذلك قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وقول الشاعر :

لو كان غيرى سليمى [١] الدهر [٢] غيره   وقع الحوادث إلا الصارم [٣] الذكر [٤]

فالا فى الآية صفة لآلهة وهى مرفوعة فحق إلا الرفع لأن تابع المرفوع مرفوع ،

---

(١) سليمى منادى والتقدير يا سليمى . (٢) الدهر ظرف زمان منصوب .
(٣) الصارم : السيف القاطع . (٤) الذكر من السيوف ماله رونق وبهاء ، والمعنى لو كان غيرى يا سليمى يقاسى الدهر أى حوادثه ونوائبه لتغير غير الصارم الذكر .

ولكن علامة الرفع لا يمكن ظهورها على إلا لبنائها ولملازمة آخرها السكون ، فتظهر علامة الرفع على ما بعدها وهو لفظ الجلالة على طريق العارية ، وإلا مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة العارية ، و « إلا » فى البيت صفة لكلمة « غيرى » وهى مرفوعة « وإلا » صفتها حقها الرفع مثلها ، ولا يمكن ذلك لما سبق . فظهر إعرابها على ما بعدها وهو كلمة « الصارم » كما سبق بيانه فى الآية ، ولا يصح إعراب لفظ الجلالة فى الآية ولا لفظ الصارم فى البيت مستثنى ، لأن الكلام فيهما تام موجب يجب معه نصب المستثنى .

هذا أحد رأيين للعلماء فى إعراب « إلا » الوصفية ، يجعلونها اسما بمعنى غير ، والرأى الآخر يجعلها حرفا كما كانت فى الاستثناء ، ولما وجد أصحاب هذا الرأى أن الحرف لا يوصف به قالوا : إن الوصف بها وبما بعدها ، والغريب أن النحويين يرجحون الرأى الأخير على الأول بل يكادون يجمعون على الأخير ، قال العلامة الصبان – عند تعليقه على قول الأشمونى « وقد تحمل إلا على غير فيوصف بها » – : وقوله فيوصف بها أى مع بقائها على حرفيتها كما صرح به غير واحد ، بل حكى عليه السعد فى حاشية الكشاف الإجماع كما قاله الدماميني .

ولا يخفى أن ترجيح النحويين للرأى الأخير غير مقبول لأمرين : الأول أن إلا على رأيهم تكون حرفا وبعض وصف ، فيكون الوصف بحرف واسم ، وهذا لا نظير له فى اللغة فيما أعلم . الثانى أنه يترتب عليه عدم صحة قولهم : ظهر إعرابها على ما بعدها عارية ، لأن الإعراب لا يكون لبعض الوصف ، وإنما يكون لجميعه ، ومحل الإعراب آخر الوصف وهو آخر الكلمة التى بعد إلا فلا تكون هناك عارية ، وإنما يكون الإعراب ظاهرا على اللفظ الذى يستحقه . والرأى الأولى بالترجيح فى نظرى هو الرأى الأول الذى يجعل « إلا » اسما بمعنى غير ، فهذا أشبه بالأسلوب العربى مع بعده عما يرد على الأخير من الاعتراض .

الموضع الثانى : « أل » الموصولة ، وهى اسم على الصحيح ، فإن صلتها صفة صريحة فى الغالب ، وهذه الصلة لا محل لها من الإعراب على بعض الأقوال ولها محل على بعضها الآخر ، والوصف ومعموله معتبران شبه جملة ، فإذا قلنا « جاء العالم » « فأل » من العالم فاعل لجاء مبنى على السكون فى محل رفع ، وظهرت علامة رفعه على عالم لعدم إمكان ظهورها على صاحبها وهو أل نظرا لملازمة آخره السكون ، وعلى القول بأن لصلة « أل » محلا تكون كلمة عالم مضافا إليه مجرورة بكسرة مقدرة على آخرها منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة العارية ،

وفاعلها ضمير مستتر تقديره هو يعود على أل ، وعلى القول بأن الصلة لا محل لها تكون كلمة عالم لا إعراب لها . وإذا قلنا « جاء محمد المنصور أبوه » تكون أل صفة لمحمد وهو مرفوع فتكون أل مبنية على السكون فى محل رفع أيضاً وعلامة رفعها ظاهرة على ما بعدها وهو كلمة منصور وأبوه نائب فاعل لمنصور ، وعلى القول بأن للصلة محلا تكون منصور مضافا إليها مجرورة بحركة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة العارية كما سبق ، وعلى القول بأن لا محل لها تكون لا إعراب لها ، هذا إذا كانت صلة أل صفة صريحة ، أما إذا كانت جملة كما فى قول الشاعر :

من القوم الرسول الله منهم لهم دانت رقاب بنى معد

فإن رسول مبتدأ ومنهم خبره والجملة صلة أل . فهل ينتقل إعراب العارية إلى محل الجملة أولا ؟ . اختلف العلماء فى ذلك : قال بعضهم : ينتقل إعراب أل إلى محل جملة صلتها عارية كما ينتقل إلى الوصف . وقال بعضهم : لا ينتقل لأن إعراب العارية خاص باللفظ ولا يكون فى المحل ، والرأى الأخير هو الراجح لأنه يوافق أرجح الآراء فى إعراب جملة صلة الموصول وهو أنها لا محل لها من الإعراب ، هذا إلى أن اعتبار العارية فى المحل لا دليل عليه ولا فائدة من اعتباره .

الموضع الثالث : « لا » إذا كانت بمعنى غير ، مثال ذلك « جئت بلا زاد » أى بغير زاد ، فلا اسم مجرور بالباء مبنى على السكون فى محل جر ، وظهرت علامة جره على مابعده وهو (زاد) على طريق العارية لعدم إمكان ظهورها على « لا » وزاد مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة العارية . ومن أمثلته أيضا قولهم « محمد لاقائم ولا قاعد » عند من يجعل « لا » بمعنى غير فتكون « لا » خبر محمد وهى مبنية على السكون فى محل رفع وظهر إعرابها على مابعدها عارية لعدم إمكان ظهوره عليها لملازمة آخرها السكون و « لا » مضاف وقائم مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بضمة العارية .

الموضع الرابع : « غير » إذا حملت على « إلا » فصار معناها الاستثناء أى مغايرة ما بعدها لما قبلها فى النفى والإثبات بعد أن كان معناها مغايرة مابعدها لما قبلها فى ذاته أو صفته . مثال ذلك « نجح الطلاب غير واحد » فغير هنا معناها إلا ، فهى اسم استثناء

يجب نصبها لأنها تأخذ حكم ما بعد إلا ، والكلام هنا تام موجب يجب معه نصب المستثنى ، فكان حق كلمة « واحد » التي هي المستثنى النصب ، ولكن لما لم يمكن ظهور علامته عليه لملازمته الجر بسبب إضافة غير إليه انتقل إعرابه إلى غير على طريق العارية ، وكان حق غير لو أنها بقيت على معناها الأول وهو الوصفية أن تكون مرفوعة لأنها تكون حينئذ صفة للطلاب ، وإذا قلنا « ما نجح الطلاب غير واحد » ، جاز فى غير الرفع على البدلية والنصب على الاستثناء مع رجحان الأول ومرجوحية الثانى ، وإذا قلنا « ما نجح غير واحد » وجب رفع غير على الفاعلية وإعرابها فى الأحوال الثلاثة على طريق العارية عما بعدها ، وما بعدها ملازم للجر بالإضافة دائماً ، ويلاحظ فى هذا الموضع أن إعراب العارية ظهر على اللفظ السابق لصاحب الإعراب بخلاف المواضع السابقة ، فإنه ظهر فيها على اللفظ التالى لصاحب الإعراب . ولنا عودة إلى هذا الموضوع لبيان ما يتعلق بإعراب العارية .

طه الزينى

أستاذية فى النحو والصرف



ناطح صغير لصخرة الأزهر

ظن كاتب ناشئ أن سبيل الشهرة التى بلغها بعضهم إنما هو الطعن فى الأزهر والتنديد بما سموه ازدواج التعليم ، وكان من حق هذا الناشىء أن يعتبر بما كان من نتائج الدعوة إلى الخطوة الثانية فيلتمس للتسلق سلما غير هذا السلم ، ولكن الغرض يعمى ويصم ، فجاءت إلى مصر مجلة بيروتية تحمل فى جزئها الرابع لشهر إبريل مقالا بعنوان « الأزهر والثقافة الجديدة » بقلم ذلك الكاتب الصغير المقيم فى مصر تعترفيه بسلسلة من الأخطاء قال عنها فضيلة الاستاذ على العمارى بعد أن مر بنظره عليها : إنها أذكرتنى ذلك الأبله الذى سأل رجلا قائلا :

آلحسن والحسين بنتا معاوية بن أبى طالب ؟ .

فأجابه المسئول : والله ما أدرى أى أخطائك أصلح !.

بيع الدين ونقله

— ٢ —

بينا فى مقالنا السابق رأى الدكتور شفيق شحاته فى موضوع حوالة الحق فى الفقه الحنفى، وقلنا إننا لا نوافقه على ما انتهى إليه من رأى . وتفصل رأينا هذا فيما يلى :

إن نقل الحق فى المسألة الأولى ليس من باب الحوالة الحقيقية الاصطلاحية عند فقهاء الحنفية ، وقد كيفوا هـــذا النقل بأنه توكيل بقبض الدين فى المعنى أى أنه حوالة قصد بها التوكيل ، وهم ليسوا مخطئين فى هذا التكييف أو متناقضين مع قواعدهم وفروعهم ، ذلك لأن نقل الحق فى هـذه الصورة ليس بطريق بيع الدين أو الشراء به للنص على أن العقد لم يضف إلى الدين ، ولأنهم لا يجيزون بيع الدين لغير من عليه الدين ، كما أنه ليس بطريق الاعتياض عن هـــذا الحق ، لعدم النص على ذلك ، ولتصريحهم بأن الحقوق لا يجوز الاعتياض عنها كما فى حق الشفعة ونحوه[1] ، ولا يمكن أن يكون نقل هذا الحق بطريق الحوالة الحقيقية ، لأن حقيقة الحوالة عندهم هى نقل الدين من ذمة المدين وهو المحيل إلى ذمة غيره وهو الذى أحيل الدائن عليه ، وليست نقل الحق من الدائن إلى شخص يحل محله قبل المدين ، وهـــذه الحقيقة الاصطلاحية يجمع عليها عند فقهاء الحنفية [٢] ، ولأن الأحكام الخاصة بالحوالة الحقيقية الاصطلاحية لا تجرى فى نقل الحق فى هذه الصورة ، فالحوالة الاصطلاحية يشترط فيها رضا الطرف الآخر فى الدين وهو الدائن ، أما فى نقل الحق فى هـــذه الصورة فلا يشترط الحنفية رضا الطرف الآخـــر ، وكذلك الحوالة الاصطلاحية لا يتمكن المحيل من إبطالها ، أما فى نقل الحق فى هذه الصورة فإن الدائن يملك إبطال هـذا النقل ، إلى غير ذلك من الأحـكام ، وإذا كان نقل الحق فى هـذه الصورة لا تنطبق عليه حقيقة الحوالة

---

(١) ابن عابدين حـ ٤ ص ١٤

(٢) ابن عابدين حـ ٤ ص ٣٠٠ ، البحر الرائق حـ ٦ ص ٢٣٤ وغيرهما .

ولا يتقبل أحكامها فأنه لا يمكن اعتباره حوالة حقيقة ، كما أنه لا يمكن اعتبار النقل فى هذه الصورة ثابتا بطريق الاستخلاف ، لأن التعبير لم يكن بلفظ الوصية بالدين حتى يمكن أن يعتبر من باب الاستخلاف ، فلم يبق إلا أن يكون النقل فى هذه الصورة بطريق الوكالة ، لأن الوكالة يتحقق بها نقل التصرف من جانب إلى جانب آخر على سبيل الجواز والصحة كما صرحوا بذلك ، ومن هنا رتبوا على النقل فى هذه الصورة أحكام الوكالة من ملك الدائن إبطال هذا النقل ، وعدم توقف النقل على رضا المدين ، والعجيب فى الأمر أن الدكتور يعترف بتكييفهم للنقل فى هذه الصورة بأنه توكيل بقبض الدين ، ومع ذلك يقول بأنه حوالة رغم ما بين الوكالة والحوالة من فوارق فى الحقيقة والأحكام .

وبيان منشأ الغلط فى فهم المسألة أن النص عبر عن نقل الحق بلفظ الحوالة ، وهذا يفيد بظاهره أن الحوالة ترد على الحق كما ترد على الدين ، لأن اللفظ متى أطلق انصرف إلى حقيقته الاصطلاحية .

لكن هذا الفهم يكون صحيحا إذا لم يوجد هناك صارف يصرف اللفظ عن حقيقته الاصطلاحية إلى غيرها ، وقد وجد الصارف وهو ما قدمناه من استحالة تطبيق الحوالة الاصطلاحية بحقيقتها وأحكامها على نقل الحق فى هذه الصورة ، وبناء على ذلك يكون لفظ الحوالة فى نص هذه المسألة مستعملا فى نقل التصرف بطريق الوكالة على سبيل المجاز بالنسبة للمعنى الاصطلاحى ، أو على سبيل الحقيقة اللغوية ، وإطلاق الحوالة وإرادة الوكالة إطلاق شائع فى تعبيراتهم تخرج عليه الأحكام وتبنى ، يقول صاحب التنوير : « وإن قال المحيل المحتال أحلتك لتقبضه لى ، فقال المحتال : أحلتنى بدين لى عليك فالقول المحيل » وقال صاحب الدر تعليلا لهذا : « ولفظ الحوالة يستعمل فى الوكالة » أى مجازا كما نص عليه ابن عابدين [1] وهذا صريح فى أن لفظ الحوالة يستعمل فى الوكالة وترتب عليه أحكام الوكالة لا الحوالة ، ويقول ابن نجيم فى البحر : « ولفظ الحوالة مستعملة فى الوكالة مجازا لما فى التوكيل من نقل التصرف من الموكل إلى الوكيل » [2] وبهذا يظهر أن نقل الحق فى هــــذه الصورة ليس حوالة حقيقة كما فهم الدكتور .

---

(١) ابن عابدين حـ ٤ ص ٣٠٥ (٢) البحر الرائق حـ ٤ ص ٢٧٣ وصحتها ٢٤٠

أما قول الدكتور : إنها لو كانت وكالة لنصوا على جواز عزل المحال فيها كما تقتضيه طبيعة الوكالة ، مع أن الأمر بالعكس إذ قد نصوا على أن المضارب مأمور بالحوالة والأمر بها يمنع جواز الرجوع حتما ، فقول لا يقوم على أساس ، فإنهم قد نصوا على جواز عزل المحال في الحوالة التي قصد بها الوكالة كما هو ظاهر كلام البحر عند رد الاعتراض الوارد على الحكم في مسألة اختلاف المحيل والمحال له في كون التصرف وكالة أو حوالة [١] ، وهذا في غاية الوضوح ، فإنه على فرض أن المحال له بمنزلة الوكيل وليس وكيلا فإنه يأخذ حكم الوكيل ما دام هو بمثابة الوكيل ومنزلا منزلته ، ومن أحكام الوكيل أنه يجوز عزله في أي وقت شاء الموكل ، أما مسألة المضارب فهي وكالة يجبر عليها المضارب إحياء لحق صاحب المال وليست من باب الحوالة كما سيأتي .

ويتضح مما تقدم أن نقل الحق في المسألة المذكورة إنما هو بطريق الوكالة لا الحوالة وإن عبر النص عنه بلفظ الحوالة ، إذ العبرة في العقود بالأغراض والمعاني لا بالألفاظ والمباني ، وقد قدمنا المعاني التي لأجلها اعتبر فقهاء الحنفية نقل الحق في هذه الصورة من باب الوكالة لا الحوالة .

ومع ذلك فيمكن القول بأن هذه المسألة من باب الحوالة الاصطلاحية ، وذلك لأن المحيل هنا وهو المشترى مدين للبائع بثمن المبيع ، فحين أحاله على غريمه فقد نقل الدين من ذمته إلى ذمة غريمه ولم ينقل الحق إلى البائع ، أما القول بأن الدليل على أن هذا حوالة حق لا حوالة دين هو أن هذا المدين (غريم المشترى) ليس طرفا في العلاقة وليس هناك ما يفيد قبوله لهذه الحوالة ، فيمكن الرد عليه بأن غريم المشترى بقبوله الإحالة عليه أصبح طرفا في هذا التصرف ، ولا يضر عدم التصريح بالقبول فإن القبول ملاحظ ومفهوم من المقام ، وهذا أمر شائع في التأليف بدليل استفادة القبول في مثالي البيع والشراء اللذين حكم بصحتهما قبل ذلك مع أنه لم يصرح بالقبول فيهما ولا ينعقد كل منهما بدون القبول ، وغاية الأمر أن الحوالة هنا مقيدة بالدين الذي للمشترى على غريمه ، ولا خلاف في صحة الحوالة إذا كانت مقيدة أما تكييف صاحب البدائع لهذه المسألة بأنها توكيل بالقبض - وهو ما قدمناه - فإنه مبني على أن الحوالة حوالة حق لا حوالة دين .

---

(١) من البحر الرائق جـ ٦ ص ٢٧٣ .

أما المسألة الثانية فنقل المضارب الحق إلى رب المال نقل له بطريق الوكالة لا الحوالة ، وإن لفظ الحوالة مستعمل فى الوكالة على سبيل المجاز ، والدليل على ذلك أمران - الأول - قال ابن عابدين : « إن لفظ الحوالة يستعمل فى الوكالة مجازا ، ومنه قول محمد فى باب المضاربة إذا امتنع المضارب عن تقاضى الدين لعدم الربح يقال له : أحل رب الدين أى وكله[1] » . فهذا صريح فى أن استعمال لفظ الحوالة فى هذه المسألة قد قصد به الوكالة على سبيل المجاز . - الثانى - ان ضابط الحوالة التى قصد بها الوكالة منطبق على هذه المسألة ، قال صاحب الخلاصة : « رب الدين إذا أحال رجلا على رجل وليس للمحتال على المحيل دين فهذه وكالة وليست بحوالة[2] » ومما لاشك فيه أن المحتال وهو رب المال ليس له على المحيل وهو المضارب دين فيكون هذا التصرف منه وكالة لا حوالة ، وعلى ذلك لا يصح أن يقال إن هذه المسألة تدل على جواز حوالة الحق .

أما المسألة الثالثة : فالمراد بالاستعمال فيها الاستعمال المجازى لا الحقيقى بدليل أنه مثل لهذا الاستعمال بالإحالة فى المضاربة ، وقد قدمنا الأدلة على أن استعمال لفظ الحوالة فى مسألة المضاربة استعمال مجازى لا حقيقى .

أما المسألة الرابعة : فلفظ الحوالة مستعمل فى معناه المجازى أيضا ، وهو نقل التصرف بطريق التوكيل ، بدليل أن الدكتور ينقل عن الطحاوى أنه يرى أن الحوالة هنا - أى فى نموذج التوثيق - تتم بلا حاجة إلى قبول المدين ، والذى يتم بلا توقف على قبول المدين هو الوكالة بقبض الدين ، أما الحوالة الحقيقية فلابد فيها من رضا المدين وقبوله .

ومما تقدم نرى أن حوالة الحق غير جائزة فى الفقه الحنفى ، وأن ما يخال من جوازها فى بعض النصوص بحسب الظاهر هو فى الواقع وعند التحقيق توكيل بقبض الدين ، وهناك فرق بين التوكيل والحوالة فى كل من الشريعة والقانون .

ولا يضير الشريعة ألا يجيز الفقه الحنفى حوالة الحق ، فإن فقهاء الشريعة من غير الحنفية يجيزون ذلك لكن لا باسم الحوالة ، بل باسم بيع الدين أو هبته .

---

(١) ابن عابدين ج ٤ ص ٣٠٥ . (٢) البحر الرائق ج ٦ ص ٢٣٧

وسنتناول بالبحث موضوع بيع الدين وهو الموضوع الذى يشمل أغلب صور حوالة الحق لنرى أن الفقه الإسلامى ، قانون حى يتجاوب مع ضرورات الحياة ويتلاءم مع حاجات المدنية ، ولا يقف فى طريق المصالح والحاجات ما دام ذلك لا يصادم أصلا أو نصاً من نصوص الشريعة .

كما سنتناول بالبحث موضـــوع نقل الدين وهو ما يعرف فى اصطلاح فقهاء الشريعة بالحوالة .

بيع الدين :

قد يحتاج الدائن إلى التصرف فى دينه بالبيع ، ولما كان البيع يقع على أنحاء كثيرة ، فقد يكون البيع إلى المدين وقد يكون لغيره ، كما أنه قد يكون البدل حالا وقد يكون مؤجلا ، وكانت مذاهب الفقهاء فى ذلك مختلفة ، ولبعضهم تفاصيل تخالف ما للبعض الآخر ، آثرنا أن نبسط المذاهب فى ذلك حتى نتعرف مواضع الاتفاق ومواضع الاختلاف ، وإليك تلك المذاهب :

قال الحنفية : إن الدين لا يخلو من أن يكون مما لا يجوز استبداله قبل قبضه كالمسلم فيه ورأس مال السلم وبدل الصرف ، أو مما يجوز استبداله قبل قبضه وهو ما عدا ما ذكر ، فإن كان الأول فلا يصح بيعه مطلقا ، سواء أكان البيع للمدين أم كان لغيره ، وسواء أكان البدل حالا أم مؤجلا ، وإن كان الثانى فإما أن يكون المشترى من عليه الدين أو غيره ، فإن كان المشترى من عليه الدين صح البيع بشرط أن يكون البدل نقدا غير مؤجل ، وإن كان المشترى غير من عليه الدين لا يصح البيع مطلقا ، سواء كان البدل حالا أو مؤجلا[1]

ويرى المالكية أن بيع الدين ببدل مؤجل غير جائز ، سواء كان المشترى من عليه الدين أو غيره ، أما إذا كان البدل حالا فإن كان المشترى هو المدين جاز ذلك بلا قيد ولا شرط ، أما إذا كان المشترى غير المدين فإنه يجوز إذا تحقق فيه الشروط الآتية :

---

(١) فتح القدير جـ ٦ ص ٢٦٩ — ٢٧٠ ، ابن عابدين جـ ٤ ص ١٧٣ — ١٧٤ — ٣٤٩ . الفتاوى البزازية جـ ٣ ص ٢٣٤

١ — أن يكون الدين مما يجوز بيعه قبل قبضه بأن يكون من قرض أو نحوه .

٢ — أن يكون البدل من غير جنس الدين ، أو من جنسه مع التساوى حذرا من الوقوع فى الربا .

٣ — ألا يكون البدل ذهبا حيث يكون الدين فضة ، لئلا يؤدى إلى بيع النقد بالنقد من غير مناجزة .

٤ — ألا يكون بين المشترى والمدين عداوة ، لئلا يتوصل بذلك إلى ضرره والتسلط عليه

٥ — أن يكون المدين حاضرا فى بلد العقد ليعلم حاله من عسر أو يسر حتى يمكن تقدير قيمة الدين لأنها تختلف تبعاً لذلك .

٦ — أن يكون المدين مقراً بالدين حتى لا يستطيع إنكاره بعد .

٧ — أن يكون المدين ممن تناله الأحكام ليكون الدين مقدور التسليم [١] .

هذا ما شرطه المالكية لصحة بيع الدين إلى غير المدين ، ويلاحظ على هذه الشروط ما يأتى :

أولا : أن الشروط الأربعة الأولى يمكن أن يغنى عنها شرط واحد يعمها ، وهو ألا يؤدى بيع الدين إلى محظور شرعى ، فيشمل ذلك ما يؤدى إلى الربا أو الاضرار بالغير أو غيرهما من المحظورات الشرعية .

ثانيا : أن اشتراط حضور المدين يمكن الاستغناء عنه بالعلم بحالة المدين ، سواء كان حاضراً أم لا .

ثالثا : أن اشتراطهم إقرار المدين وكونه ممن تأخذه الأحكام يمكن الاستغناء عنه باشتراط إمكان الحصول على الدين ، لأنه لا يمكن الحصول على الدين إلا إذا كان الدين ثابتا بإقرار أو شهادة أو كتابة ، وكان المدين ممن تناله سلطة القضاء .

وعلى هذا يمكن أن يقال إن بيع الدين لغير المدين جائز عند المالكية بشرطين :

---

(١) الباجى على الموطأ ح ٥ ص ٧٦ ، الخرشى ح ٥ ص ٧٦ — ٧٨

أحدهما : ألا يؤدى البيع إلى محظور شرعى ، ثانيهما : أن يغلب على الظن الحصول على الدين [١]

ويقسم الشافعية الدين إلى مستقر وغير مستقر ، فالدين المستقر كبدل المتلف والقرض يجوز بيعه ممن عليه بثمن حال قولا واحدا . ولا يجوز بيعه منه بثمن مؤجل ، وكذا لا يجوز بيعه من غير من عليه بثمن مؤجل ، وفى بيعه بثمن حال لغير من عليه وجهان : أحدهما لا يجوز ، والثانى يجوز بشرط أن يقبض مشترى الدين الدين ممن هو عليه وأن يقبض بائع الدين العوض فى المجلس ، وأما غير المستقر فإن كان مسلما فيه فإنه لا يجوز بيعه أبدا سواء كان المشترى هو المدين أو غيره ، وسواء كان البدل حالا أو مؤجلا ، وإذا كان ثمنا فى بيع ففى بيعه بثمن حال قولان : أحدهما يجوز والآخر لا يجوز [٢] .

ويرى الحنابلة عدم جواز بيع الدين لغير من عليه الدين مطلقا ، سواء أكان البدل معجلا أم مؤجلا ، وسواء أكان الدين مستقرا أم غير مستقر ، أما إذا كان المشترى هو المدين نفسه فإنه يجوز بيع الديون المستقرة بثمن حال ولا يجوز بيعها بثمن مؤجل ، أما غير المستقرة فلا يجوز بيعها مطلقا [٣] .

وذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى جواز بيع الدين سواء أكان المشترى هو المدين أم غيره ، وسواء أكان البدل حالا أم مؤجلا ، ولم يمنعا التعامل فى الدين إلا فى صورة واحدة ، وهى ما تسمى عند بعض الفقهاء « بابتداء الدين بالدين » وهى أن يبيع شخص لآخر إردبا من القمح مثلا إلى أجل معين بثمن قدره أربعة جنيهات مصرية يدفعها له بعد مدة معينة مثلا [٤] .

وذهب ابن حزم إلى عدم جواز بيع الدين مطلقا سواء كان المشترى هو المدين أو غيره ، وسواء أكان البدل نقداً أم مؤجلا .

تلك مذاهب الفقهاء فى بيع الدين ، ومنها يتبين لنا ما يأتى :

أولا : ان بيع الدين للمدين بثمن حال جائز عند الأئمة الاربعة وابن تيمية وابن القيم ،

---

(١) رسالة فى البيوع المنهى عنها للأستاذ عبد السميع إمام (٢) المجموع للنووى ج ٩ ص ٢٧٢ -- ٢٧٥ ، ومغنى المحتاج ج ٢ ص ٧٠ — ٧١ (٣) المغنى ج ٤ ص ١٧٢ ، الاقناع ج ٥ ص ١٤٣ — ١٤٤ (٤) أعلام الموقعين ج ٢ ص ٨٩ - ٩٠ .

وهو مروى عن الحسن البصرى والحكم وحماد وطاوس والزهرى وقتادة والقاسم بن محمد، وباطل عند ابن حزم وابن شبرمة وبعض السلف، وهو مروى عن ابن مسعود وابن عباس.

ثانياً : ان بيع الدين المدين بثمن مؤجل غير جائز عند الأئمة الاربعة وابن حزم، وجائز عند ابن تيمية وابن القيم.

ثالثاً : ان بيع الدين لغير من عليه الدين بثمن حال جائز عند المالكية إذا تحقق فيه ماتقدم من الشروط، وهو قول ابن تيمية وابن القيم وأحد قولى الشافعى، وممنوع عند الحنفية والحنابلة وابن حزم وهو القول الآخر للشافعى.

رابعاً : ان بيع الدين لغير من عليه الدين بثمن مؤجل غير جائز عند الأئمة الاربعة وابن حزم، وجائز عند ابن تيمية وتلميذه.

وسنذكر أدلة الفقهاء فى كل صورة من هذه الصور الاربع على حدة، ونناقش ما نراه يستحق المناقشة منها.

الصورة الاولى : بيع الدين لمن عليه بثمن حال :

احتج المجيزون بما يأتى :

(١) ما رواه أصحاب السنن وابن حبان والبيهق عن ابن عمر أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : إنى أبيع الإبل بالبقيع فأبيع بالدنانير وآخذ مكانها الدراهم وأبيع بالدراهم وآخذ مكانها الدنانير، فقال عليه الصلاة والسلام : «لابأس أن تأخذها بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء»، قالوا : فهذا ابن عمر يأخذ الدنانير مكان الدراهم والدراهم مكان الدنانير، وهو بيع لاحدهما بالآخر، ويقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، فيكون دليلا على جواز بيع مافى الذمة من أحد النقدين بالآخر إذا كان المشترى هو المدين وكان الثمن حالا، وإذا جاز بيع أحد النقدين بالآخر جاز بيع غيرهما مما يثبت فى الذمة بطريق الاولى [1].

(٢) ان مافى ذمة المدين مقبوض له فإذا دفع ثمنه للدائن كان هذا بيع مقبوض بمقبوض وهو جائز شرعا.

---

(١) نيل الاوطار ج ٥ ص ١٣٣، والسنن الكبرى للبيهق ج ٥ ص ٢٨٤، فتح القدير ج ٥ ص ٢٧١ والمجموع للنووى ج ٩ ص ٢٧٤.

واحتج المانعون بما يأتي :

(١) ما رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منهما غائبا بناجز » [١] فهذا نهي عن بيع أحد النقدين بالآخر إذا كان أحدهما غائبا والآخر ناجزا ، والدين غائب عن مجلس العقد ، فيصدق عليه أنه بيع غائب بناجز ، فيكون منهيا عنه ، والمنهي عنه حرام لا يحل فعله شرعا .

(٢) ان بيع الدين من باب بيع الغرر ، لأنه بيع شيء لا يدرى أخلق بعد أم لم يخلق وهو ما يؤديه المدين إلى الدائن عند الأجل مما يصدق عليه الدين ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الغير والمنهي عنه باطل[٢].

(٣) ما روى عن أبي المنهال عبد الرحمن بن مطعم أن عبد الله بن عمر قال : « نهانا أمير المؤمنين - يعني أباه - أن نبيع الدين بالعين » [٣] .

هذه أدلة الفريقين ، وقد ناقش كل منهما أدلة الآخر ، فقال المانعون من بيع الدين لمن عليه الدين : إن حديث ابن عمر لم يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا من طريق سماك بن حرب ، وسماك هذا ضعيف يقبل التلقين ، شهد عليه بذلك شعبة ، فلا يصلح للاحتجاج [٤] .

وإن قولهم - في الدليل الثاني - بيع الدين من المدين بيع مقبوض بمقبوض غير مسلم ، إذ قد يكون الدين مؤجلا فلا يصدق عليه أنه مقبوض لأن المراد من القبض في الأموال الربوية هو المناولة .

---

(١) فتح الباري ج ٤ ص ٣١٧ ونيل الأوطار ج ٥ ص ١٦١ .

(٢) المحلى ج ٨ ص ٥٠٣ ، ج ٩ ص ٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) المحلى ج ٨ ص ٥٠٣ ، نيل الأوطار ج ٥ ص ١٣٣ .

أما المجيزون فقد ناقشوا أدلة المانعين بأن المقصود من المناجزة فى حديث أبى سعيد الخدرى هو براءة الذمم فى الحال بأن لا يفترقا وذمة أحدهما مشغولة بشىء، وهذا المعنى متحقق فى بيع الدين لمن عليه، لأن المدين إذا اشترى دينه برئت ذمته بمجرد العقد وإقباض الثمن، فلا يكون بيع الدين لمن عليه من باب بيع الغائب بالناجز، كما ناقشوا الدليل الثانى للمانعين بأن بيع الدين ممن عليه ليس من باب الغرر فى شىء، لأن الغرر إنما يتحقق إذا كان البدلان مجهولين فى القدر والصفة أو كان أحدهما كذلك، وما هنا ليس كذلك لاشتراط معلومية القدر والصفة، وقالوا أيضا: إن أثر ابن عمر معارض بما روى عنه أنه سئل عن أخذ دنانير قضاء عن دراهم فقال: « إيت بها الصيارفة فاعرضها عليهم، فإذا قامت على سعر فإن شئت فخذها وإن شئت فخذ مثل دراهمك »، فقد أجاز أخذ الدنانير عن الدراهم إذا علم قدر صرفها عند الصيارفة [1].

هذا ما ناقش به كل فريق أدلة الآخر، غير أننا نرى - فى مناقشة المانعين المجيزين - أن سماكا وإن كان شعبة قد وهنه إلا أن غيره قد وثقه كابن معين وأبى حاتم، وروى له مسلم وكثير من الأئمة فغاية الأمر أن يكون حديثه فى درجة الحسن وهو مما يصلح للحجية، كما نرى أنه يمكن رد نقد المانعين دليل المجيزين الثانى بأن المقصود الاساسى من إقباض البدلين فى عقد البيع هو براءة الذمة، وهذا متحقق فى بيع الدين ممن عليه الدين إذا كان الثمن حالا ولو كان الدين مؤجلا حيث تبرأ ذمة المدين بمجرد التعاقد ودفع الثمن.

ومما تقدم يظهر لنا رجحان ما ذهب إليه الجمهور من جواز بيع الدين ممن عليه، خصوصا وأنه موافق لأصول الشريعة وقواعدها العامة، فإن العقد إذا لم يكن فيه ضرر ولا مفسدة بل تحققت مصلحته - وهى هنا براءة ذمة المدين وحصول الدائن على وفاء دينه - كان اللائق بسماحة الشريعة اعتبار ذلك صحيحا مفيدا المقصود منه.

عيسوى أحمد عيسوى

المدرس بكلية حقوق عين شمس

[يتبع]

---

(١) المحلى ج ٨ ص ٥٠٤

حقوق الانســـــان

فى دستور مصر الجديد

— ٢ —

١٣ — أما عن الحريات الفردية التى تتصل بمصالح الفرد المادية ، فنحن نرى منها حق الإنسان فى أن يروح ويغدو ، فى أن يمشى فى أى مكان يريد وأى طريق يحب ، ومنها حقه فى أن يظل فى بلده أو أن يبرحه وقتما شاء ، ومنها حقه فى أن يكون آمنا على نفسه ، فلا يقبض عليه ولا يوقع عليه أى جزاء دون أن يكون ثمة مسوغ قانونى يدعو لهذا القبض أو يستوجب ذلك العقاب ، وقد كفل مشرع دستور الشعب الجديد فى المادة السادسة منه : الحرية والأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع المصريين ، وقرر فى المادة ٣١ مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ، فقضى بألا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون ، كما قضى بألا عقاب إلا على الأفعال اللاحقة لصدور القانون الذى ينص عليها ، ونص فى المادة ٣٣ على شخصية العقوبة بحيث لا تلحق إلا بمرتكب الجريمة ، وحظر فى المادة ٣٤ القبض على الأفراد أو حبسهم إلا وفق أحكام القوانين الجنائية ، وأكد فى المادة ٣٥ كفالة القانون حق الدفاع أصالة أو بالوكالة ، ورتب على ذلك فى المادة ٣٦ وجوب أن يكون لكل متهم فى جناية من يدافع عنه ، ومنع بمقتضى نص المادة ٣٧ منه إيذاء المتهم جسمانيا أو معنويا ، كما قرر فى المادة ٣٨ عدم جواز ابعاد أى مصرى عن الأراضى المصرية أو منعه من العودة إليها ، ونص فى المادة ٣٩ على أنه لا يجوز أن تحظر على مصرى الإقامة فى جهة ، ولا أن يلزم الإقامة فى مكان معين إلا فى الأحوال المبينة فى القانون .

١٤ — ومن هـــذه الحريات كذلك ما يتصل باحترام حرمة المساكن الخاصة : L'inviolabilité du domicile privé ، ومن مقتضى ذلك أنه لا يحق للسلطة العامة أن تقتحم منزل أى فرد إلا وفقاً لما تنص عليه قوانين الدولة ، وقد أقر الدستور الجديد ذلك ، فنص فى المادة ٤١ منه على أن للمنازل حرمة ، فلا يجوز مراقبتها ولا دخولها إلا فى الأحوال المبينة فى القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه .

١٥ — وكذلك نص مشروع الدستور فى المادة ٤٣ على (حرية المراسلة) وقرر كفالتها وكفالة سريتها فى حدود القانون . ويندرج كذلك تحت تلك الحريات المتصلة بمصالح الفرد المادية حريته فى العمل والتجارة والصناعة ، وتعنى هذه الحرية أن السلطة العامة يمتنع عليها أن تحرم أى فرد أو هيئة من مزاولة عمل معين أو أن تصده عن القيام به ، ولذا نص الدستور فى المادة ٥٢ منه على تخويل المصريين (حق العمل) وأوجب على الدولة العناية بتوفيره لهم .

١٦ — ولقد صارت الحقوق الفردية فى المجتمع الحديث من المرونة بحيث تزيد وتتغير وتتعدل ، بما يتفق مع تطور الدول والشعوب وتقدم المدنيات والحضارات : بيد أن هذه المرونة لم تكن مسلمة منذ القرن الثامن عشر حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، لأن هذه الحقوق كانت فى تلك الأحقاب حقوقا مقدسة غير قابلة للتعديل ولا سبيل إلى المساس بها .

١٧ — وكانت الفلسفة التى بنى عليها تقرير هذه الحقوق فلسفة فردية ، بمعنى أنها فلسفة تعنى بالفرد على اعتبار أنه فرد ، ولا تأخذ فى اعتبارها اشتراكه فى مجتمع يضم مجموعة من أمثاله من الافراد ، ومن هنا كانت النزعة الفردية متغلبة على الدساتير ، كما كانت طاغية على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، حيث ساد فى الاقتصاد مذهب عدم التدخل المعبر عنه بعبارة (دعه يعمل ، دعه يمر Laisser faire, laisser passer)

١٨ — بيد أن هذه الفلسفة قد تبدلت وتغيرت ، واقتضى التطور الاجتماعى قيام فلسفة أخرى تبنى عليها هذه الحقوق ، وينبنى عليها موقفها منها بما يتلاءم مع هذا التطور الجديد ، وكان مما ساعد على هذا الأخير ، وبالتالى دعا إلى إبدال الفلسفة التى أبدلها بأخرى أساسا له ، أن المذهب الفردى قد بدأ يتزعزع ، نظرا لازدياد التبادل بين الناس وانتشار الصناعات وظهور الحركات العمالية ، وقيام المذاهب والاتجاهات الاشتراكية فى المجتمع .

١٩ — ولم تكن الفلسفة الجديدة شيئا سوى التضامن الاجتماعى : La Solidarité Sociale الذى بمقتضاه ينظر إلى الفرد باعتباره وحدة من وحدات الجماعة التى يعيش فيها وجزءاً منها لا يتجزأ عنها ، ومن هنا وجب عليه أن يتضافر وإياها لكى تسير الاوضاع

العامة سيرها المطرد ، وأن يتضامن مع سائر الأفراد للوصول إلى الهدف المشترك لمجموعهم ، ذلك الهدف الذى يعنى تحقيق الصالح العام والفائدة المجموعية والتقدم الاجتماعى فى مضمار الحياة العامة ، وهذه هى الفلسفة الجديدة التى أقرها الدستور المصرى الجديد ، إذ اعتبر التضامن الاجتماعى أول مقوم أساسى للمجتمع المصرى ، فنص فى المادة الرابعة منه على أن هذا التضامن أساس المجتمع المصرى .

٢٠ — ومن أجل تحقيق التضامن الاجتماعى لم يعد الاقتصار على الحقوق الفردية مجدياً ، وأضحى لامفر من الاعتراف بحقوق جديدة تتسم بطابع الفلسفة الجديدة ، وتتميز بالطابع الاشتراكى ، لذلك أطلق عليها اسم (الحقوق الاجتماعية Droits Sociaux) .

٢١ — وتهدف هذه الحقوق الاجتماعية إلى تحقيق رفاهية الأفراد وتقدمهم وتمتعهم بأطايب العيش ، وللوصول إلى ذلك تبين أنه لابد من تقرير حد أدنى لمعيشة الإنسان ، لا يتنافى مع الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية ، كما تعين أن تقوم الجماعة بمهمة تهيئة الوسائل اللازمة لعيش المتخلفين عن الركب من أبناء المجتمع . نظراً لسوء أحوالهم الاقتصادية أو العقلية أو الصحية أو نظراً لكبر أسنانهم وعجزهم عن العمل والكسب ، وأن يضمن المجتمع للأفراد والعائلات وسائل التقدم والعيش ، فيقيهم شر الأمراض برعاية صحتهم ، ويقضى على الفقر فى بيئاتهم بتشجيع الإنتاج وزيادة موارده ورفع مستوى المعيشة ، وقد نص الدستور الجديد فى المادة ١٧ منه على أن تعمل الدولة المصرية على أن تيسر للمواطنين جميعاً مستوى لائقا من المعيشة ، أساسه تهيئة الغذاء والمسكن والخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية ، وخول فى المادة ٢١ منه للمصريين الحق فى المعونة فى حالة الشيخوخة وفى حالة المرض أو العجز عن العمل ، كما نص على كفالة الدولة خدمات التأمين الاجتماعى والمعونة الاجتماعية والصحة العامة وتوسعها تدريجا ، وقضى فى المادة ٥٦ بأن الرعاية الصحية حق للمصريين جميعاً ، تتكفله الدولة بإنشاء مختلف أنواع المستشفيات والمؤسسات الصحية والتوسع فيها تدريجا ، كما نص فى المادة ٢٠ على أن الدولة تقى النشء الإهمال الأدبى والجسمانى والروحى ، ورأى فى المادة ٢٤ أن يلزم الدولة كفالة تعويض المصابين بأضرار الحرب وفقا للقانون ، وفى المادة ٢٥ أن يلزمها كفالة تعويض المصابين بسبب تأدية واجباتهم العسكرية .

٢٢ — وتهدف الحقوق الاجتماعية كذلك إلى توفير الراحة والسعادة لفئات العمال برفع مستواهم المعيشى والصحى وإنقاذهم من عطلاتهم وتنظيم أوقات فراغهم وتهيئة وسائل قضائها فيما يحقق لهم الرفاهية والسعادة ، ومن مقتضى ذلك أن يباح للعمال المساهمة فى تحديد شروط العمل الجماعية ، والانضمام الى النقابات والدفاع عن حقوقهم ومصالحهم العمالية فى حرية كافية ، وقد أسلفنا أن الدستور الجديد قد كفل حق انشاء النقابات ، ونضيف هنا أنه قرر فى المادة ٥٤ أن ينظم القانون العلاقات بين العمال وأصحاب الأعمال على أسس اقتصادية مع مراعاة العدالة الاجتماعية ، واهتم فى المادة ٥٣ بالنص على أن الدولة تكفل للمصريين معاملة عادلة بحسب ما يؤدونه من أعمال وبتحديد ساعات العمل وتقدير الأجور والتأمين ضد الأخطار وتنظيم حق الراحة والإجازات .

٢٣ — وتتحقق رفاهية الشعوب كذلك بأن تكفل الحقوق الاجتماعية لها التمتع بنعمة العلم والثقافة ، وذلك يتأتى عن طريق تقرير مجانية التعليم لأفراد الشعب ، وقد نص الدستور فى المادة ٥٥ على أن التعليم العام فى مراحله المختلفة بمدارس الدولة بالمجان فى الحدود التى ينظمها القانون ، كما أكد المجانية فى المادة ٥١ منه .

أحمد طه السنوسى

ذكرى الشاعر الإسلامى أحمد محرم

فى مساء السبت العاشر من رمضان الماضى (٢١ أبريل ١٩٥٦) عقد حفل كبير بدار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة احتفاء بذكرى الشاعر الإسلامى الكبير أحمد محرم رحمه الله.

وقد افتتح هذا الحفل فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى رائد الجمعية والمدرس بالأزهر ، فتحدث عن النواحى الإسلامية عند محرم ، وتكلم عن الإلياذة الإسلامية ووجوب نشرها كاملة . ثم تحدث الشاعر الكبير الاستاذ عزيز أباظة عن صلته بمحرم وأخلاقه الكريمة وترفعه عن الدنايا . ثم تحدث الأستاذ عمر دسوقى عن منهج محرم فى الإلياذة وقارن بينها وبين إلياذة هوميروس ، وفضل عمل محرم لأنه تاريخ على أساطير هوميروس .

ثم تحدث الأستاذ حسن كامل الصيرفى عن مكانة أحمد محرم بين شعراء جيله ، فقال : إنه كان فى الصف الأول من عمداء الشعر العربى . ثم تحدث الدكتور أحمد الحوفى عن الوطنية الثائرة فى شعر محرم وأورد على ذلك كثيراً من الشواهد .

وقد أجمع المتحدثون فى هذا الحفل على وجوب قيام الأمة بطبع « الإلياذة الإسلامية » وتعميمها بين أبناء الإسلام والعروبة .

٢٢ — وتهدف الحقوق الاجتماعية كذلك إلى توفير الراحة والسعادة لفئات العمال برفع مستواهم المعيشى والصحى وإنقاذهم من عطلاتهم وتنظيم أوقات فراغهم وتهيئة وسائل قضائها فيما يحقق لهم الرفاهية والسعادة ، ومن مقتضى ذلك أن يباح للعمال المساهمة فى تحديد شروط العمل الجماعية ، والانضمام الى النقابات والدفاع عن حقوقهم ومصالحهم العمالية فى حرية كافية ، وقد أسلفنا أن الدستور الجديد قد كفل حق انشاء النقابات ؛ ونضيف هنا أنه قرر فى المادة ٥٤ أن ينظم القانون العلاقات بين العمال وأصحاب الأعمال على أسس اقتصادية مع مراعاة العدالة الاجتماعية ، واهتم فى المادة ٥٣ بالنص على أن الدولة تكفل للمصريين معاملة عادلة بحسب ما يؤدونه من أعمال وبتحديد ساعات العمل وتقدير الأجور والتأمين ضد الأخطار وتنظيم حق الراحة والإجازات .

٢٣ — وتتحقق رفاهية الشعوب كذلك بأن تكفل الحقوق الاجتماعية لها التمتع بنعمة العلم والثقافة ، وذلك يتأتى عن طريق تقرير مجانية التعليم لأفراد الشعب ، وقد نص الدستور فى المادة ٥٠ على أن التعليم العام فى مراحله المختلفة بمدارس الدولة بالمجان فى الحدود التى ينظمها القانون ، كما أكد المجانية فى المادة ٥١ منه .

أحمد طه السنوسى

ذكرى الشاعر الإسلامى أحمد محرم

فى مساء السبت العاشر من رمضان الماضى (٢١ أبريل ١٩٥٦) عقد حفل كبير بدار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة احتفاء بذكرى الشاعر الإسلامى الكبير أحمد محرم رحمه الله.

وقد افتتح هذا الحفل فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى رائد الجمعية والمدرس بالأزهر ، فتحدث عن النواحى الإسلامية عند محرم ، وتكلم عن الإلياذة الإسلامية ووجوب نشرها كاملة . ثم تحدث الشاعر الكبير الاستاذ عزيز أباظة عن صلته بمحرم وأخلاقه الكريمة وترفعه عن الدنايا . ثم تحدث الأستاذ عمر دسوقى عن منهج محرم فى الإلياذة وقارن بينها وبين إلياذة هوميروس ، وفضل عمل محرم لأنه تاريخ على اساطير هوميروس .

ثم تحدث الأستاذ حسن كامل الصيرفى عن مكانة أحمد محرم بين شعراء جيله ، فقال : إنه كان فى الصف الأول من عمداء الشعر العربى . ثم تحدث الدكتور أحمد الحوفى عن الوطنية الثائرة فى شعر محرم وأورد على ذلك كثيراً من الشواهد .

وقد أجمع المتحدثون فى هذا الحفل على وجوب قيام الأمة بطبع « الإلياذة الإسلامية » وتعميمها بين أبناء الإسلام والعروبة .

الاخـــــــــلاق

ليس من شك فى أن الاخلاق الكريمة هى الدعامة التى ينبنى عليها مجد الامم ، وهى الاساس الذى تشيد فوقه صروح الحضارة والمدنية .

وليس من شك كذلك فى أن المقياس الذى يقاس به تقدم الشعوب ليس هو الثراء الواسع والجاه العريض والمال الوفير ، ولكنه الاخلاق القويمة والآداب الرفيعة والطباع المستقيمة والاذواق السليمة .

ولهذا لم يمتدح المولى جل شأنه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بشىء من متاع الحياة ، وإنما امتدحه بالخلق العظيم فوصفه بهذه العبارة البليغة وهى قول الله سبحانه : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

ولقد جرت سنة الله سبحانه مع كثير من أنبيائه ورسله أنهم لم يورثوا من بعدهم شيئا من حطام الدنيا ، وإنما ورثوهم الخلق الكامل والعلم النافع والأدب الرفيع ، كما اقتضت السياسة الإلهية الحكيمة أن يرسل الله جل وعز إلى الناس عامة وإلى الأمة العربية خاصة رسولا منها ينطق بلغتها ويتكلم بلسانها ويخاطبها بما تعرف ، وهو إلى كل ذلك كان مضرب المثل فى مكارم الاخلاق ، فاستطاع - صلوات الله عليه - بأخلاقه وحكمته وحسن سياسته وبتأييد الله له أن يقود هذه الأمة العربية التى كانت تشن الغارات لاوهى الأسباب وأتفه المناسبات أحسن قيادة ، وأن يسوسها أحكم سياسة ، وأن يخلق من تلك الامة الجافة الجافية أمة كريمة فى أخلاقها قويمة فى صفاتها عظيمة فى أعمالها راقية فى آدابها سامية فى أفكارها كاملة فى حضارتها ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : (إن أحبكم إلى وأقربكم منى منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون) .

وإن التاريخ الصادق ليحدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن فارق الدنيا والتحق بالرفيق الأعلى اشتاق إليه قومه فاجتمع فريق من الصحابة حول أنس بن مالك

خادم رسول الله عليه صلوات الله وطلبوا إليه أن يحدثهم عن رسول الله ، وقد كان أشد الناس اختلاطا به لخدمته الطويلة له ، فبكى أنس بكاء شديدا وطلب منهم أن يعفوه من ذلك ، ولكنهم ألحوا عليه ، فلم يسعه إزاء إلحاحهم إلا أن يتحدث عن أهم الجوانب فى صفات النبي الكريم ، فقال رضى الله عنه : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ، والله مامسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت ريحا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط ، ولا قال لى لشيء فعلته لم فعلت كذا ؟ ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعل كذا ؟ » وهذه هى « الديمقراطية » العظيمة من « الديمقراطى » الاول صلى الله عليه وسلم بينها للناس جميعا فى معاملته لخدمه ، فقد رفع الكلفة بينه وبينهم ليشعرهم بالحرية والكرامة وليبعد عنهم وصف الارقاء والعبيد .

ولو أن الناس اتبعوا هذه السياسة الرشيدة فى معاملة الخدم لا نمحت الفوارق بين الخادمين والمخدومين ، وزالت الحواجز من بينهم ، وساد الجميع روح الوفاق والوئام ، وحسبنا أن نذكر فى هذا المقام أن الأعرابى الجلف كان يأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجذبه من ردائه الغليظ ويقول له : أعطنى فإنك لا تعطينى من مالك ولا من مال أبيك ، فيهم بعض الصحابة بضربه ، فينهاه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك ويأمر للأعرابى بالعطاء ، فتكون هذه السياسة الحكيمة سببا فى دخوله وقومه فى دين الله .

وانه صلوات الله عليه كان يقول : (أنا أحق بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالا فلأهله ، ومن ترك أهلا أو ضياعا فإلىّ وعلىّ) .

فيالها من نفس تفيض رقة ، وتسيل رحمة ، وتقطر برا وحنانا وعطفا وإحسانا .

على أن الأخلاق الكريمة كثيرا ما كانت سببا فى نجاة أربابها من الشدائد وتخليصهم من المخاطر ، انظروا إلى « سفانة بنت حاتم الطائى » وقد جيء بها أسيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنت منه ودخلت عليه وقالت له : « يا رسول الله ، أنا بنت حاتم الطائى » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » .

إن الإسلام كما يدعو إلى مكارم الاخلاق يحذر من الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، وينهى عن السخرية والاستهزاء والشتائم والسباب والتنابز بالألقاب . اقرءوا إن شئتم قول

الله سبحانه : (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم . .
الآية) وقول الشاعر الحكيم :

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا

وإن الأمم التي تريد أن تحيا حياة طيبة وأن تبني ملكا كبيرا، وأن تتمتع بسمعة كريمة عليها أن تتحلى بمكارم الأخلاق ، وأن تتخلى عن رذائل الصفات .

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز ركن

* * *

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

* * *

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

إن الأمم إذا أصيبت في أموالها كان أمرا محتملا، وإذا أصيبت في أبنائها كان خطبا يسيرا ، أما إذا أصيبت في أخلاقها فتلك هي الكارثة الكبرى والمصيبة العظمى .

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

من كل أولئك يتبين بوضوح وجلاء أن الأمة الإسلامية لو سارت على هدى القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم ، ونهجت نهج نبيها عليه الصلاة والسلام في التمسك بأهداب الأخلاق الكريمة والتقاليد الطيبة ، لعزت كما عز المسلمون الأولون ، ونجحت كما نجح سلفها الصالح ، وفتحت البلاد شرقا وغربا كما فتحوا ، وطهرت البلاد من المستعمرين والمستعبدين .

ولكن يؤسفني كل الأسف أن الأمة الإسلامية وبخاصة شبابها كانوا سببا في انهيار الأخلاق وتدهور الآداب ، وانتشر بين هؤلاء الذين نعتبرهم عدة المستقبل وعماد الجيل الجديد التخنث والميوعة والخلاعة والمجانة ، فالشباب يقلدون الفتيات في أصواتهن وإشاراتهن ومشيتهن وأزيائهن وفي كل شيء يتصل بهن ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) .

إن طبيعة الرجل غير طبيعة المرأة ، فقد خلق الرجل للكد والجد والعمل وكسب القوت ، وطبيعته فيها من الخشونة ما يلائم تلك الخصائص ، وقد خلقت المرأة للبيت والأمومة وتربية الأبناء ، وطبيعتها تتناسب مع تلك المميزات ، فليس لها أن تغتصب حقوق الرجل بالطمع في الرياسة والنيابة والقضاء وما إلى ذلك من الوظائف التي لا تتفق وأنوثتها .

ويعجبنى فى هذا المقام قول نابليون بونابرت : «أنا أعرف الرجل رجلا والمرأة امرأة . أما أن تغتصب المرأة حقوق الرجل ، أو يغتصب الرجل حقوق المرأة ، فذلك ما لا أعرفه » .

تلك ظاهرة قد عرفت فى هذا الزمن ، وهناك ظاهرة أخرى لا تقل عنها سوءا ، وهى انتشار الأنانية وحب الذات والعكوف على الصالح الخاص ، وذلك ينافى قانون الأخلاق ، ويجافى أسس الآداب ، ويتعارض كل التعارض مع روح الدين ، إذ الأخلاق الدينية العالية تدعو إلى حب الخير للغير ورعاية الصالح العام ، وأن تعم نعم الله الناس جميعا (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، (خير الناس أنفعهم للناس) ، (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ، (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه) ورحم الله أبا العلاء إذ يقول :

ولو أنى حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

إن الأخلاق الكريمة تمنع صاحبها من الوقوع فى المآثم ، وإن الضمائر الحية تحاسب أصحابها على ما يأتون من أعمال ، فإذا ما هم الإنسان بسيئة من السيئات أو خطيئة من الخطايا وقفت الأخلاق والضمائر سدا منيعا أمام الشهوات والنزوات وحائلا حصينا دون الموبقات والمنكرات ، ولقد كان آباؤنا وأجدادنا على أكبر جانب من الأخلاق الحميدة والضمائر النقية ، فلم تكثر فيهم المنكرات كما كثرت فينا ، ولم تفش فيهم الفاحشة كما فشت بيننا ، ولو أن الناس تمسكوا بالدين وآدابه والشريعة وما فيها من أخلاق سامية ، لسما الناس بأنفسهم عن مواقع الزلل ومهاوى الرذيلة ، ولنجحوا فى أمورهم ووصلوا إلى أهدافهم ، وحصلوا على ما يبغون من عزة وكرامة وفوز وفلاح .

(ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) ؟

ابراهيم أبو سمرة
من علماء الوعظ بالأزهر الشريف

تعليقات

– ١ –

صحيفة الشعب

صحيفة بناء لا هدم

السيد المحترم صلاح سالم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد .

فمن البشائر الميمونة أن يستقبل الشعب صحيفتـه الجديدة ، وعلى رأسها بطل من أبطاله الذين توكأت عليهم مصر فى نهضتها لانتشالها من وهدتها ، فكانوا عند ظنها بهم ، وافتدوها بأرواحهم ، وتمخض عنهم التاريخ الحديث ليكونوا فخر الوطن فى فم الأجيال .

نعم يستقبل الشعب صحيفته الجديدة ، وهو صادق الأمل فى أنها ستكون مجالا فسيحاً لنشاطك المعهود ، ووسيلة جدية لخدماتك المدخرة ، ومرآة تتمثل فيها جهودك ، وصفحة خالدة لمآثرك وتوجيهاتك وكتابتك ونزعاتك .

وإنك لتعلم ياسيدى أن مصر حتى اليوم بحاجة قصوى إلى صحيفة جديدة تتجاوب مع القومية المصرية فى إبراز خصائصها ، وتصوير مشاعرها ، وتربية أخلاقها ، والصدق فى توجيهها .

ذلك لأن الاتجاه الصحفى الموروث فيما يراه المفكرون - وأنت عليم - ممزوج بروح العهود السالفة ، ووليد السياسات المتضاربة ، فهو اتجاه خليط ، ليس محصا من الأغراض ، ولا ناشئاً على النزاهة .

بل هو فى مظهره أسباب للكسب أكثر من أن يكون مبادىء قويمة ، وهو وسيلة إلى الزلفى المائعة أكثر من أن يكون أسلوبا جديا فى الإصلاح .

وظاهرة ذلك أن بعض الصحافة - فيما يشغلها كثيرا - تتهافت على مساقط الأخلاق ، وتحتطب من الروايات الهزيلة ، والأخبار المرذولة ، ثم تطلع علينا زاعمة أنها أوسع أفقا من سواها ، حتى أسرفت فى ذلك ونسيت رسالتها الأدبية فى تلقين قرائها - وبخاصة الشباب - روح الجد والغيرة الوطنية ، وتحولت إلى معرض للصور الماجنة والأخبار المثيرة مما يجرى بين السفلة وطغام الأمة ، وهى توهم قراءها أنها تبصرهم بالجرائم ليتجنبوها ، وما هو فى الحق إلا استدراج

إلى الرذيلة ، وترضية للغرائز المنحرفة ، ومسايرة للشباب الطائش ، كل ذلك لحساب أعداء الوطن .

ونحن - ياسيدى - شعب متدين فى مجموعه ، يطرق المساجد فى تزاحم ، رغم ما يجلب إلينا من المغريات الفاتنة ، ورغم ما تحاط به من الدعايات المقنعة ، ورغم ما يخدعنا به نفر من المتحللين .

وإنك - ياسيدى - لتقرأ بنفسك كثيرا مما قلناه ، فلست بحاجة منا إلى مزيد .

ولولا حياء مركوز فى الخلق المصرى بوجه عام ، ودين غالب على الجمهرة منا ، لانحدرت الأكثرية ، وتغلغلت المفاسد ، وانهار بناؤنا الأدبى أكثر وأكثر .

وإن تكن ثورة مصر - وأنت ركن من أركانها - تكشفت عن أمل جديد فى الإصلاح ، فأنت - فى صفحتك الجديدة - أقدر على العلاج وأعرف بموطن الداء .

لهذا - لم يكن إسرافا من الناس أن يستقبلوا صحيفة الشعب قبل ميلادها بكثير من الغبطة بها ، والثقة فيها ، والتعويل على شخصك ووطنيتك .

وإن يكن فى الناس من يقيس الغائب على الحاضر ، ويعتبر أية صحيفة ناشئة ستكون أشبه بصحف سابقة ، فإنا نعتقد أنك مدرك لهذا الإحساس ، وعامل على إحلال ثقة الشعب فى صحيفة الشعب محل امتعاض الشعب من أكثر كتابه وصحافته .

وإذا كان من الخير أن تتآزر الجهود والآراء ، فإنى لأرجو منك - أولا وأخيرا - أن تتنزه صحيفة الشعب عن المخازى التى انحدرت إليها مجلات وصحف مما تخجل منه القومية ، وتعافه الكرامة والخلق ويأباه على الجيل الجديد كرام الآباء والأمهات ورجال الإصلاح . لتكن صحيفة الشعب غير محاربة للدين ، ولا مخاصمة للعلماء ورجال الدين المسلمين (كما جنحت إلى تلك الخصومة صحيفة الجمهورية مع الأسف !!) ولتكن صحيفة الشعب حريصة على سمتها الخلق ، حتى يحس الشعب أنها حقا صحيفته ، وأنها تحمل إليه رسالتها الصحفية فى أمانة وصدق ، وأنها تعمل لإنهاضه ورفع مستواه الأدبى ، لا للمتاجرة عليه ، والسير فى غفلته .

وستجد الصحيفة باعتدالها جمهورا يقدرها وينتفع بها ، وهذه غايتك .

ياسيدى - هذه صيحة من الضمير ، أناجيك بها فى ثقة واطمئنان ، فهل أنت - وتلك عقيدتى - مستجيب ؟؟

١٢ من رمضان سنة ١٣٧٥ — عبد اللطيف السبكى

٢٣ من ابريل سنة ١٩٥٦ — عضو جماعة كبار العلماء - ومدير التفتيش بالأزهر

— ٢ —

مهزلة الأزهرى المخبول...

لم يعرف بشخصه ولا بعلمه ، حتى يقال : تطلع إليه الناس فأفتاهم بما يعلم ، ولم يكن مدفوعا إلى رأى يدلل عليه ، ويدعو إلى تمحيصه ، لمعرفة صوابه من خطئه ، حتى تفسح له الصدر ، وننشر عليه لواء الحرية .

وإنما هو لدى خلطائه وعارفيه غوى يفقد رشده ، ويتخلف عنه وازع الدين ، فيهرف بما لا يكون من عاقل ، ويخلط بما لا يرتضيه الدين .

وفى عامنا الفائت تبين من هزله أنه لا يفرق بين دين وزندقة ، ولا يثبت على حق ولا على باطل . . ولكن الصحف ناصرته على أى حال ، وكان حريا بالصحف ألا تفسح له صدرها . . وكان حريا بكتاب الصحف ألا يطلقوا أقلامهم بالخوض معه فى بهتانه ، ولكنها نزعة صادفت هوى فاحتضنوه ، ورشقوا بلواذع الكلم من يدافعه عن ضلالته ، واتخذوه درعا يدرأون به عن أنفسهم ما يعزى إلى كثيرين منهم . .

ومع هذه المقاومة الصحفية وقف الأزهر من معتوهه ومن أنصار التحلل موقف الإبقاء على العقيدة ، والدعوة إلى الحياء من الله ، وأقصاه عن التدريس فحسب ، ثم كانت النتيجة أن جهات أخرى تأولت فى فهم الجريمة ، وفى شكلية المجلس الذى تولى محاكمة الباغى على دين الله ، وكان من رأيها الرجوع به إلى كرسى التدريس بالأزهر ، وإن رغم الأزهر ورغم سواه .

وفى عامنا هذا عاد صاحبهم إلى شر مما سبق ، مطمئنا إلى مناصرة الأنصار وحمايتهم لحرية رأيه على حساب الدين ، وفى مواجهة القرآن ، ورغم أنوف المسلمين . . .

عاد فصاح صيحته الجديدة الطائشة حول ما جاء به الكتاب على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستقر عليه الدين ، وآمن به المهديون ، اطمأنوا إلى التزامه : من صلاة وصوم وزكاة الخ .

فزع المسلمون لذلك الهوس العقلى ، والتهور اللادينى ، كما فزعوا لما مضى . .

فيا ترى !! ما هو السر الخبىء وراء هذا الصائح الخبيث ؟ ؟

الصواب : أنه ضائق بنفسه : إذ تنازعه إلى الظهور ، وتغالبه فى إدراك الشهرة ؛ وليس له سبيل إليها من جانب العلم .

فلم يبق لمركب النقص عنده منفذ إلى غايته سوى صيحة جديدة تثير حوله أحدوثة الناس ، وتفتح عليه باب الأخذ والرد ثانيا ، وهذا ما تطيب له نفسه المنهومة .

وفى مصر شراذم تستغل مثل هـذا الأبله ، وتبذل ما لهـا فى استنهاضه إلى الفتنة حول الدين ، وإثارة التشكيك فى دعائم الخلق وفتنة الناس عنها .

ثم : ياترى !! ماذا يرى الذين كلفوا أنفسهم حمايته آنفا ، أو الذين غلبهم حسن الظن ورجح عندهم التأول فى جريمته ، وتلطفوا به فى غير مبالاة ؟

تذبذب صاحبهم فى موقفه الأول ، فكان يتحدى مرة و يعتذر أخرى ، حتى هزم أنصاره ، وحملوا عليه حملة السخرية ، لأنه لم يكن مصرا على موقفه كما ينشدون .

وهاهو ذا : فى عامنا الحاضر يضاحك نفسه من عقولهم ، ويعود إلى تبذله فى دينه غير جاد ، ولا مصر . . فهو يكفر ثم يؤمن ، ويكفر ثم يؤمن ، وتعود الصحافة وكتابها إلى تدليله ساعة يكفر ، والحملة عليه ساعة أخرى حينما يعتذر . أيكون بعد هذا التأرجح بين الكفر وتصنع الدين ، وفى الخبل ثم التظاهر بالعقل ، مستحقا عندهم للدفاع عنه : كما يقول الأستاذ زكى عبد القادر ويتهدد ؟؟ أم يكون إغفاله عدوانا صارخا على دين الله : دين الدولة ، وهدما مقصودا لمعالم الأخلاق ، ومحوا فى إسراف للقيم الروحية ، وترويجا للإباحية فى بلد عاش مسلما ، ويحرص شعبه على أن يظل مسلما ، وإن غضب كتابنا ؟؟ .

... أعتقد أن بعض الصحافة المصرية تهدم أكثر مما تبنى ، وتسىء أكثر مما تحسن ، وأود أن يثوب إلينا الرشد ، ونثوب إليه ، وأن ندرك واجبنا قبل أن يتأصل فينا الاستخفاف بالواجب .

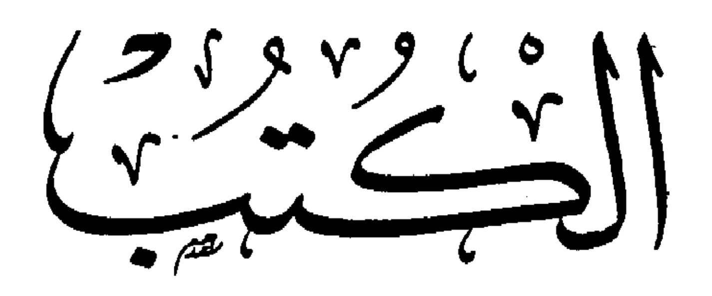
والتهاون فى شأن الدين والخلق ، وإهدار الحياء ، وإذاعة الفكر الخبيثة ، أمور عدائية لأهداف الثورة ، فلتقلع تلك الصحافة عن المتاجرة بالمبادئ السامية ، وليعلموا بأننا - حين ننصحهم - لا نتجر بالدين كما يسفسطون .

وليكن من غيرة الصحافة وكتابها أن يتعاونوا على مقاومة العابثين بالدين والخلق ، والكف عن استدراج الناس إلى الأباطيل .

أما الأزهر فقد برئ إلى الله من هذا المعتوه ، وقد بذل من سلطانه الرسمى مايملك ، ومن محاولاته ما استطاع ، فلم يجد من النصرة للحق بعض ما وجد المبطلون من أقلام مسرفة ، وحمايات للبهتان فى الدين والافتراء على الله .

(كل امرئ بما كسب رهين)

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



الجزء الخامس من تفسير الطبرى

بتحقيق وتعليق الأستاذ محمود محمد شاكر - ٦٤٨ ص - دار المعارف بمصر

تكرر منا التنويه بهذه الطبعة من (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ، لأنه أعظم مؤلفات أئمة الإسلام فى تفسير كتاب الله ، بل هو جامع لطائفة من كتب التفسير المأثورة عن التابعين وشيوخهم من الصحابة ، مما رواه مجاهد وقتادة والسدى وعطاء والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وطبقتهم ، وكانت لذلك كتب فى زمن ابن جرير أخذ هو عنها وفقدت فى العصور التالية ، ولولا أنه قد دون فى تفسيره الأقوال المأثورة عنهم بأسانيدها لضاعت بضياع أصولها ، ولو شاء أهل العلم أن يجردوا من تفسير ابن جرير تفسيراً لمجاهد وآخر لقتادة وثالثا للسدى الخ لكان من ذلك كتب كاملة قد تستوعب تفسير آى الذكر الحكيم كله وتكون عزاء لنا عن أصولها المفقودة الآن . ثم إن من دلائل إخلاص الإمام ابن جرير لله عز وجل فى تأليفه جامع البيان أن قيض لخدمته وتحقيقه والتعليق عليه أديبا ضليعا واسع الحفظ متثبتا كالأستاذ محمود شاكر الذى أشرنا إلى نواحى مجهوده فى كلماتنا السابقة عن هذا التفسير ، وبلغ هذا المجهود حد الكمال بقيام علامة الحديث الأستاذ الشيخ أحمد شاكر بتحقيق أسانيد الآثار المروية فيه ومتونها وهى فى كل جزء من أجزاء التفسير تزيد على ألف نص ، بل إنها بلغت فى الأجزاء الخمسة التى صدرت حتى الآن ٦٢٣٤ نصا ، وفى تحقيقها والتعريف برواتها علم جم لا يقدره قدره إلا من يكابد مثله . ونحن نعتبر صدور كل جزء من أجزاء هذا التفسير كسبا عظيما للمكتبة العربية ، وثروة ثمينة للثقافة الإسلامية ، وعندما يتم طبع جامع البيان لمحمد بن جرير الطبرى على هذا النحو فإنه سيكون بنفسه مكتبة لا غنى عنها لعالم ، ولا لطالب معرفة فى علوم الإسلام .

الصحاح ومدارس المعجمات العربية

للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار — ٢٨٢ ص — طبعه السيد حسن شربتلى
بمطابع دار الكتاب العربى

معجم (صحاح اللغة) لأبى نصر اسماعيل بن نصر بن حماد الجوهرى ٣٣٢ - ٣٩٣ هـ هو المعجم العربى الأول الذى نظر فيه مؤلفه إلى أواخر الكلمات المجردة فابتدأه بالكلمات التى أواخرها همزة ثم رتبها بحسب حروف أوائلها . وكان الذين تقدموه كالخليل فى (كتاب العين) وابن الأزهر فى (تهذيب اللغة) وابن سيده فى (المحكم) يذكرون الكلمة وما ينشأ عنها بالقلب لملاحظتهم أن الكلمات التى تشترك فى الحروف وإن اختلفت فى الترتيب لابد أن يكون لها معنى مشترك هو جنس لأنواع معانيها . فترتيب الجوهرى كلمات (الصحاح) على حروف أواخر الكلمات المجردة كان فيه تيسير بالنسبة إلى من تقدمه من مؤلفى المعاجم العربية ، وهم أول مؤلفى معاجم اللغة فى تاريخ الإنسانية . ثم إن الصحاح يمتاز بأن الجوهرى التزم فيه الصحيح من ألفاظ العربية واقتصر عليه ، فهو فى اللغة نظير صحيح الإمام البخارى فى الحديث ، وقد جمع فيه أربعين ألف مادة أى نحو نصف مواد لسان العرب وثلثى مواد القاموس المحيط . والجوهرى يعد أنحى اللغويين . قيل إنه سمع عليه معجمه إلى باب الضاد ، ثم عرض له وسوسة مات بسببها ، فبيضه من بعده تلميذه ابراهيم بن صالح الوراق فغلط فى بعض مواضع منه نبه عليها علماء اللغة فيما بعد .

وكان هذا المعجم النفيس قد طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٢ فقيض الله لبعثه الآن المحسن الحجازى الكريم السيد حسن الشربتلى فتبرع بنشره نشراً علمياً يليق بمكانة هذا الأثر العربى الجليل . وناط هذه المهمة بالأديب الحجازى المعروف الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، فهو آخذ الآن بأسباب ذلك وماض فيه ، غير أنه رأى أن يقدم بين يدى المعجم مقدمة له فى كتاب ممتع هو هذا الذى توجنا هذه الكلمة بعنوانه ، وهو بحث كتبه عن « الصحاح » واللغة العربية ورواد المعجمات فيها » وعن مدارس المعجمات وتاريخها ومناهجها . والذى قام حول « الصحاح » من دراسات تناولته من أكثر جوانبه ، وهو لكثرته يدل على ما قوبل به هذا المعجم من حفاوة ما تزال تتجدد على مر الأيام . وقد ألحق الأستاذ

أحمد عبد الغفور عطار بكتابه ست فهارس وافية للموضوعات ، والأعلام ، والطوائف والقبائل والأجناس ، والأماكن والبلدان ، والكتب الواردة أثناء البحث والمراجع .

وقد حمل الينا هذا الكتاب بشرى أخرى ابتهجنا لها كثيراً وهي أن الرجل الكريم السيد حسن الشربتلي يعد العدة لنشر كتاب (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد بن أحمد ابن الأزهر (٢٨٢ - ٣٧٠) وهي يد له على العربية سيشكرها له الدهر عندما يمن الله بتحقيقها . ولا نستطيع أن نكتم هذا المحسن العربي أن أعلام الإسلام من الطبقة التي كانت قبلنا - وعلى رأسها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والعلامة الشنقيطي الكبير والشيخ طاهر الجزائري وأحمد تيمور باشا - كانوا يتمنون أن يطبع كتاب (المحكم) لنابغة الأندلس أبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الضرير (٣٧٨ - ٤٥٨) ، وهو كتهذيب اللغة تصعب المراجعة فيه إلا إذا ألحق بهما فهرس لألفاظهما ترتب على ترتيب المصباح والأساس ، فيكون هذان المعجمان مع الصحاح والجمهرة المطبوعة في حيدراباد الدكن ومع لسان العرب والتاج خزينة ثمينة من خزائن العربية لاتنسى العروبة أيادي العاملين على بعثها وإحيائها ، والله هو الملهم والموفق .

من ماضي الاسلام وحاضره

لصاحبي الفضيلة الاستاذ الشيخ محمود النواوي والاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي — ١٩١ ص — دار العهد الجديد للطباعة

هي مجموعة دراسات اسلامية تخير فيها المؤلفان الفاضلان ما لابس حياة هذا المجتمع ، وعالجا كثيرا من مشكلاته التي تمدها موجات الالحاد وتطاير شرارتها تألبات الخصوم الذين يلبسون الهمجية اسم المدنية . ويجد القارىء مع هـــذه الدراسات صوراً لامعة لأعلام من رجالات الاسلام كالزبير بن العوام والحسين بن علي ، والقاضي أبي يوسف والامام البخاري ، ومن الزهاد كبشر الحافي والسري السقطي وإبراهيم الخواص وإبراهيم الدسوقي ، وهكذا يتنقل القارىء في هذا الكتاب النفيس بين رياض من البحوث الاجتماعية والاصلاحية والادبية ، والدراسات التاريخية في تمحيص الحقائق عن ماضي الاسلام ، وتقويم الاتجاهات المختلفة في حاضره ، إلى نماذج فيها القدوة والاسوة من حياة عظماء هذه اللغة وأعلام العلم

والتقوى والجهاد فى مختلف أدوارها . وإن المؤلفين الفاضلين معروفان لقراء هذه المجلة بما ملأ به صفحاتها من مقالاتهما وبحوثهما ودراساتهما ، فلا غرو إذا كان كتابهما هذا فى سبيل ذلك من خدمة العلم والاسلام . فشكرا لهما ، وننتظر منهما المزيد .

تجديد التفكير الدينى فى الاسلام

للشاعر الاسلامى محمد اقبال — ٢٢٧ ص —

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

صدر بالعربية هذا الكتاب مترجما بقلم الاستاذ عباس محمود ، وراجع مقدمته والفصل الأول منه الاستاذ عبد العزيز المراغى رحمه الله ، وراجع بقية الكتاب الدكتور مهدى علام . ولم يذكر المترجم ولا القائمون على النشر اللغة التى ألف بها الكتاب هل هى الاوردية أم الفارسية أم الانجليزية ، وكان المؤلف يحسن اللغات الثلاث . وكان ينبغى أن يتحدث المترجم أو القائمون بالنشر عن اتجاه محمد إقبال فى هذا الكتاب نحو تجديد التفكير الدينى فى الاسلام هل هو اتجاه اسلامى محض كما كان يفهمه السلف فى القرون الثلاثة الاولى ، أم اتجاه سياسى ، أم هو اتجاه صوفى ، وهل هو تصوف إسلامى محض ، أم هو ينزع إلى ما كان ينزع اليه جلال الدين الرومى قديما وتاغور وغاندى أخيراً ، أم أن له فيه طريقة خاصة وما هى هذه الطريقة ؟ .

إن محمد إقبال شاعر اسلامى عظيم ، وكانت له مواقف بليغة كمواقف القلاع الحربية والأساطيل فى مقاومة الاستعمار السياسى والاستعمار العقلى ، ولكن مواقفه تلك شىء وآراءه فى تجديد التفكير الدينى فى الاسلام شىء آخر ، فالتجديد الدينى فى الاسلام لا يجوز أن يكون إلا بعثا لحيوية الاسلام كما كان يفهمها الصحابة والتابعون ، ونصوص القرآن والحديث لا ينبغى للمسلم أن يحملها على غير ما كان يحملها عليه الأئمة المروية مذاهبهم فى تفسير الطبرى وفتح البارى ، وقد كان المسلمون بخير وقوة وعزة يوم كانوا يفكرون تفكيراً إسلامياً على هذا النحو ، ثم وضعوا كيانهم فى القصعة التى تداعت إليها الامم لما شغلوا تفكيرهم الدينى بفلسفة اليونان والتصوف البرهمى . وما كان لنا أن نكرر التجربة فنشغل أفكار شبابنا

المثقف بمذاهب الأغيار فيما استأثر الله بعلمه من أمور الغيب التى يجول فى آفاقها المجهولة تفكير المفكرين فيما بعد الطبيعة . وفيما لا يتصل بالمجهر والبوتقة من علوم لو كان لنا خير فى معرفتها لكشف لنا الإسلام عنها غطاء الغموض وعرضها لحواسنا ، فمن الخير لنا أن نفهم الإسلام كما فهمه الصحابة من معلم الناس الخير ، وأن نتخلق بالأخلاق التى كان نبينا المثل الأعلى لنا فيها ، وأن نتعلم وسائل القوة وفنونها وعلوم الكون التى تزيدنا معرفة بخالقها ، وتؤهلنا للخلافة على الأرض كما كان أسلافنا فى الأجيال الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام .

وقد يكون محمد إقبال أراد هذا ، ولكن ثقافته التى استمدها من تعليمه الأوربى ونزعته الصوفية ومطالعاته الأوربية حملته على تأليف كتابه هذا على هذا النحو ليكون متعة له من متعه العقلية فى حياته ، فهو أجدر بأن يكون كتاباً خاصاً لرجل مفكر سجل فيه عصارة تفكيره وثمرة ثقافته ، بينما الجيل الإسلامى فى حاجة إلى آفاق أخرى وينابيع أخرى يستمد منها تفكيره الدينى فى الإسلام .

وعلى كل حال فإن نقل هذا الكتاب إلى العربية سيكون سبباً لاطلاع خاصتنا على وجهة نظر محمد إقبال فى هذه المعانى ، وهى فائدة ثمينة لا يستهان بها .

الإسلام والشيوعية

للأستاذ عبد المنعم النمر — الطبعة الثانية ٢٤٤ ص — دار الكتاب العربى بمصر

سبق لنا وصف هذا الكتاب فى ص ٥٥ من السنة الماضية عند صدور طبعته الأولى ، وتمتاز الطبعة الجديدة ببعض زيادات وتعديلات لم تمس الجوهر ، بل زادته تمكيناً وتدعيما .

وقد أشار المؤلف فى خاتمة مقدمته للطبعة الثانية إلى الطريق الذى اختاره لنسير عليه فى مصر والعالم الإسلامى ، وهو أن الكتاب يحمل فكرة سامية لا شرقية ولا غربية . . وإنما هو دعوة إلى إيجاد مجتمع إسلامى وكتلة إسلامية لها شخصيتها الاستقلالية وطابعها المتميز ولها رسالتها العظمى . رسالة العدل والحرية ، والأمان فى هذا العالم الزاخر بالظلم والخوف والاستبداد . . هذا هو الهدف ... وفى الله الأمل ، ومنه التوفيق .

الأدب والعلوم

تعليم الدين
فى المدارس الأجنبية بمصر

بعثت وزارة التربية والتعليم بكتاب دورى إلى المدارس الحرة والأجنبية عن تعليم الدين للتلاميذ الذين هم تحت أمانتها ، وقد جاء فيه :

« على المدرسة أن تدرس مادة الدين لتلاميذها المصريين — كل حسب دينه — وفق المناهج المقررة بالوزارة . ولا يجوز لمدرسة أن تعلم تلاميذها دينا غير دينهم ، أو تشركهم فى شعائر دين غير دينهم ، ولو قبل ذلك ولى أمر التلميذ » .

وأعطت الوزارة مهلة لهذه المدارس حتى يوم ٤ ديسمبر من هذا العام لاتخاذ هذه الإجراءات ، وإلا اضطرت الوزارة إلى إغلاق المدرسة أو الاستيلاء عليها .

مدارس جديدة

تستعد وزارة التربية والتعليم لإنشاء ٣٠٠ مدرسة جديدة فى العام الدراسى القادم ، و ٥٠٠ مدرسة بدلا من المدارس القديمة المتداعية و ٢٥٠٠ فصل جديد فى المدارس الحالية ، وستقبل حوالى ٤٢٠ ألف طالب ، ويقول وزير التربية والتعليم إنه ليست العبرة بزيادة عدد الطلبة فقط وحشرهم فى الفصول حشرا ، وإنما العبرة بتدعيم العلم نفسه .

التعليم الفنى

تهتم الدولة المصرية الآن بالتعليم الفنى اهتماما كبيراً لمسايرة اتجاه النهضة الزراعية والتجارية والصناعية الحديثة . وكانت ميزانية التعليم الفنى فى السنوات الخمس الماضية مليونا و ٩٠٠ ألف جنيه ، وستبلغ فى نهاية السنوات الأربع القادمة أربعة ملايين من الجنيهات .

التعليم الجامعى والعالى

يقول وزير التربية والتعليم : إن الاتجاه العام بالنسبة للتعليم الجامعى هو أن ندعم الدراسات والكليات العملية وخاصة الهندسة والطب وكلية العلوم ، والإقلال من التعليم النظرى .

فساد التعليم الجامعى
فى مصر

قال الصاوى فى (ماقل ودل) بالاهرام :

« دعا ديوان الموظفين الدكتور محمد عوض محمد والأستاذ محمد كامل النحاس وكاتب هذه

السطور إلى لجنة لامتحان طائفة من الشبان والفتيات المتقدمين للالتحاق بمصلحة الاستعلامات أو مصلحة السياحة ، واستمر الامتحان ثلاثة أيام .

والواقع أن الامتحان أظهرنا على ألوان من الضعف فى ثقافة شبان الجيل تدعو إلى أشد الأسى ، فإن كثيرين من خريجى الجامعات كانوا يقولون رداً على سؤال : إن تركيا وإيران من أعضاء الجامعة العربية ! ولا يعرفون عاصمة كندا مثلا . أو .. وكان جهلهم بالبدائيات وبالبديهيات يحير الألباب ، لذلك كان سقوطهم فاحشا .

التعليم الابتدائى فى مصر

أصبح التعليم الابتدائى فى مصر إلزاميا لكل من بلغ السادسة من عمره ، ويعتبر أول أكتوبر أول السنة الدراسية عند حساب سن التلميذ ، والتعليم الابتدائى بالمجان ، وتقدم للتلاميذ وجبة غذاء ، وعلى القائمين بقيد المواليد أن يشتركوا مع شيوخ النواحى وشيوخ الحارات فى إعداد قوائم سنوية قبل نهاية يونيه من كل عام بأسماء الأطفال الذين بلغوا السادسة أو يبلغونها لغاية شهر أكتوبر وترسل هذه القوائم إلى المناطق التعليمية لتتولى هذه المناطق توزيع الأطفال على المدارس القريبة من مساكنهم بقدر الإمكان . ومدة الدراسة الابتدائية ست سنوات . وكل من أتم الدراسة بالمرحلة الابتدائية أو أمضى ٦ سنوات دراسية تعطيه المدرسة تقريراً يوضح المستوى الذى وصل اليه فى دراسته . ولا يبقى التلميذ فى المدرسة الابتدائية إذا كانت سنه فى أول أكتوبر تزيد على ١٤ سنة ، ويستثنى من هذا الشرط فرق تحفيظ القرآن فى حدود سنتين أى إلى السن ١٦ وتمنع العقوبات البدنية . وعلى كل مجلس مديرية أن يدرج فى ميزانيته سنوياً للتعليم الابتدائى مبلغاً يعادل ٦٦ ٪ من مجموع الرسوم الإضافية المقررة على ضرائب الأطيان ، وعلى كل مجلس بلدى أن يدرج لهذا الغرض واحداً فى المائة من مجموع إيراداته .

الوثائق والمحفوظات

تقرر إنشاء دار للوثائق القومية والتاريخية وقسم المحفوظات التاريخية فى قصر عابدين ، وسيكونان تابعين لدار الكتب المصرية .

لوح أثرى آرامى

يظن أنه نص للتوراة

أشرف أساتذة من جامعة مانشستر على فتح كهف أثرى فى منطقة البحر الميت بفلسطين حيث عثر على لوح أثرى نحاسى يرجع عهده إلى ماقبل نحو أربعة آلاف سنة وقد نقش عليه كتابة باللغة الآرامية يظن علماء الآثار أنها نص لبعض الأقسام القديمة من التوراة . ويبلغ طول هذا اللوح ثمانية أقدام وعرضه نصف قدم . وهو محفوظ الآن فى متحف القدس ، وقد طلبت الحكومة الأردنية من أساتذة المتحف ترجمته بالعربية .

أنباء العالم الإسلامي

تجديد الحرم المكي

أمر جلالة الملك سعود ملك المملكة العربية الحجازية بتجديد بيت الله الحرام ، عقب الانتهاء من تجديد الحرم النبوي .

والنية معقودة على توسيع مساحة الحرم المكي إلى ضعف مساحته الحالية ، وقد انتزعت ملكية ثمانين ألف متر مسطح حول الحرم لتحقيق ذلك . وسيبنى طابق علوي على التوسعة الجديدة بمثل مساحة الحرم ، وستحيط بالمسجد الحرام بعد التوسعة شوارع من جهاته بعرض عشرين مترا ، فتكون مساحة هذه الشوارع أربعين ألف متر ، وتقام ميادين في أركان المسجد الاربعة يعتني بتشجيرها وتنسيقها . وسيجعل المسعى فيما بين الصفا والمروة متصلا بالمسجد الحرام تفصله عنه أبواب وشبابيك بلورية بحيث يرى الساعي بين الصفا والمروة الكعبة المشرفة ليس بينها وبين نظره حائل إلا البلور ، وسيحجز المسعى للساعين فيه .

وهذا أعظم تجديد يحدث في بيت الله الحرام من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام إلى الآن .

اصلاح قبة الصخرة

وافق مجلس الوزراء على مساهمة الحكومة المصرية بمبلغ ٧٥ ألف جنيه لإصلاح قبة الصخرة في المسجد الأقصى ، وقدر لهذا المشروع نصف مليون جنيه جمعت الأردن منها ١٥٠ ألفاً وستتعاون البلاد العربية الاخرى على تسديد بقية المبلغ .

والحرم القدسي من بناء الدولة الاموية ، أمر بانشائه الخليفة العمراني الوليد بن عبد الملك ، ورصد لبنائه خراج مصر مدة سبع سنوات ، وكما كان لمصر شرف المساهمة في اقامة هذا الأثر العمراني العظيم في الدولة العربية الأولى بعد الخلفاء الراشدين ، سيكون لها مثل هذا الشرف في الحياة العربية الجديدة ، وسيتولى مهندسو وزارة الشئون البلدية المصرية الإشراف على عمليات الإصلاح الذي قدر له خمس سنوات .

الاتفاق العسكرى

السعودى - اليمنى - المصرى

فى العاشر والحادى عشر من شهر رمضان سنة ١٣٧٥ اجتمع بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية جلالة الامام أحمد ملك المملكة المتوكلية اليمنية والسيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الحكومة المصرية وجلالة الملك سعود الاول ملك المملكة العربية السعودية .

وقد عقدت خلال هذين اليومين عدة اجتماعات تم فيها بحث المسائل التى تهم الدول الثلاث بوجه خاص وتتصل باقرار الامن والسلام فى العالم العربى بوجه عام . وقد دارت المحادثات والمشاورات بين الرؤساء الثلاثة فى جو من الود الخالص والتكاشف الكامل .

وقد حرص الجميع على تمكين أواصر الإخاء والتعاون فيما بين دولهم مستشرفين فى ذلك أمانى الشعوب العربية فى الحرية والكرامة والامن والسلام .

وقد أسفرت الاجتماعات عن عقد اتفاقية دفاع مشترك ثلاثية وقعها الرؤساء الثلاثة . كما أنها اتاحت فرصة مواتية لتبادل الرأى فى وضع الخطط العملية التى تكفل نمو الروابط الاقتصادية والثقافية والفنية بين الدول الثلاث وتوثيق عرى التعاون بينها فى سبيل خير العروبة ورخائها .

جبهة موحدة

من الجيشين المصرى والأردنى

زار وفد عسكرى أردنى مصر فى النصف الثانى من رمضان (بين ٢٨ إبريل حتى ٥ مايو ١٩٥٦) واجتمع بممثلى الجيش المصرى للتباحث فى تنسيق جهود الجيشين الشقيقين على ضوء المصلحة العربية المشتركة ، فلاقى من المسئولين تجاوبا وتعاونا أمينا ، مما أدى إلى سرعة الوصول إلى تفاهم واتفاق كاملين على جميع النقاط . وبعد دراسة مستفيضة لكافة المسائل العسكرية فى جو من الود والصراحة والرغبة الأكيدة فى التفاهم واستعراض مختلف وجهات النظر ، قد تم بعون الله وتوفيقه وضع اتفاق توحيد بموجبه جهود الجيشين الشقيقين وتنسيقه بما يضمن الدفاع عن مصالح الأمة العربية وكيانها على أسس واقعية عملية رائدها التعاون الكامل .

دخل مصر القومى

كان دخل مصر القومى فى سنة ١٩٥٣ قد بلغ ٨٣٢ مليونا و ٦٥٥ ألف جنيه ، فزاد فى سنة ١٩٥٤ إلى ٨٦٨ مليونا بزيادة ٣٥ مليونا و ٣٤٥ ألف جنيه . وتقوم مصلحة الاحصاء والتعداد بجمع البيانات لتقدير الدخل القومى عن السنة الماضية (١٩٥٥) وهى تتوقع فيه زيادة كبيرة عن سنة ١٩٥٤ بسبب المشروعات الكبيرة التى نفذت فى سنتى ٥٣ و ٥٤ .

فهرس

المجلد السابع والعشرين

(لسنة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م)

(ا)

(ب)

(ت — ث)

(ج)

(ح – خ)

(د — ذ)

(ر — ز)

(ع – غ)

(ف — ق)

(ك — ل)

(م)

الفهـرس